

6 me Année, No. 261

Lundi - 4 - 7 - 1938

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٢٦١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٦ جمادى الأولى سنة ١٣٥٧ — ٤ يولية سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

صفحة

بين مصر والعـــراق

تجرى أحكام القـدر على أسباب خافية من حكمة الله لا يؤثر فى منطقها مقتضيات السياسـة، ولا مناسبات الظروف، ولا مجاملات الصداقة . ولو كان لهوى النفوس ومشيئة العقول أثر فى تدبير الأحداث وتغيير الأقضية لما اختُبِل فى ذلك الوقت هـذا الطالب العراقى المسكين فأراق على ثرى دار الحقوق البغدادية نَفَس الدكتور سيف، ودم الدكتور عزمى، وهما مجاهدان غريبين فى سبيل العلم، ويؤديان مخلصين للعراق فروض المودة. وأقول فى (ذلك الوقت) لأن وقوع هذا القدر المروِّع فى هذه الساعة التى تنعقد فيها أواخى المصاهرة بين مصر وإيران أتاح لبعض النفوس الجاهلة أو المريضة أن توازن بين ما يفعل إخوان النسب وبين ما يعمل إخوان العقيدة . ومثل هذا الحادث المشئوم يقع فى كل قوم وفى كل يوم، فلا تضطرم له القلوب، ولا تضطرب به الألسنة، ولا تهن منه العلائق، ولـكن وقوعه ظلماً على الغريب النافع، من القريب المنتفع، أعطاه معنى التضحية وجعل له تأثير الشهادة. وابن الوطن إذا قتل فى وطنه كان مصابه مصاب أسرته، وإذا قتل فى وطن غيره كان مصابه مصاب أمته. أضف إلى هذه

الملابسات شائعات مكذوبة وتعليقات مشوبة استطار بها السماع فدلَّست على الناس وجوه الحكم ، وآذت أصدقاء العراق وعارفيه فهبوا يصححون الخطأ فى المجالس ، ويعلنون الصواب فى الصحف ، رعاية لأسباب الإخاء ، وإدامةً لتعاون الفكر ، وضناً بأخلاق هذا الشعب النبيل على الأفواه القارضة

* * *

شهد الله أنى قضيت بالعراق ثلاثة أعوام لم ينلنى فيها كلمة تؤذى ولا فَعلة تسوء ؛ إنما كنت أتقلب فى بغداد كما يتقلب الطفل على أحناء الصدر الحنون ، لا أحس غربة ، ولا أستشعر وحشة ، ولا أجد فى العيون ولا على الشفاه إلا العطف علىّ والإعجاب بمصر

وربما وجد المصرى فى غير مصر تناكرا بين وجه ووجه ، وتدابراً بين عاطفة وعاطفة ، إلا فى العراق ، فإنه يجد وجهه فى الوجوه ، وهواه فى الأهواء ؛ ويحس أن الأدب الذى درس ، والتاريخ الذى قرأ ، يتمثلان لباصرته وذاكرته فى كل شخص وفى كل شيء ؛ ويرى أن هؤلاء الناس الذين خُلقوا كما خُلق من النهر ذى الغرين الخصب ، وعاشوا كما عاش على الأرض ذات الطَّلع والحب ، لا يختلفون عنه فى سَحنة ولا خلق ؛ والعراقيون من جهتهم يؤيدون حسبانه ووجدانه بالطلعة الأنيسة ، والمروءة الجزْلة ، والكرم المحض

كانت مصر إذا ذكرها فى المجلس ذاكر نزعت إليها قلوب القوم كما تنزع الأسْرة إلى عَصَبتها النازحين إلى بلاد الذهب والأدب والجمال . وكان المصريين فى بغداد على قلتهم مَنزلة ملحوظة بين الجاليات الأخرى لا تحوم حولها شبهة

فهرس المجلد الأول من السنة السادسة

بهذا العدد يبتدئ المجلد الثانى من السنة السادسة

وقد سهونا أن نلحق فهرس المجلد الأول بالعدد الماضى وبهذا العدد. وسنوزعه إن شاء الله مفصولا مع العدد القادم

الارتزاق ولا سُبَّة التشرد، لأن العراق وإن كان ضنيناً بخيره ع الأجنبي الواغل ، يعرف عن المصرى ما يعرفه كل النـاس م عزوفه عن النقلة من قرية إلى قرية ، فكيف بالرحلة من وط إلى وطن ؟

وهذا الذى رأيته بعيني لا أزال أسمعه بأذنى من الأساتذ المصريين الذين لا يزالون يسفرون بين الشعبين الشقيقين بالثقا والمودة. فالأحاديث التى تندس اليوم إلى الأندية اندساس الفتن لا ترجع إلى حق ولا تذهب إلى منفعة. وهذا الحادث على فظاع ظاهرة من ظواهر المجتمع ، يحدث فى الأمم المدنية كما يحدث ف الشعوب الهمجية ؛ ويقع من القريب على القريب ، كما يقع م المواطن على المواطن؛ وحقد النفس على النفس من طبائع الإنسان وضلال العقل ووهن الأعصاب من آفات الحى ، وما يستطي غير الله أن يعلم خوافى الصدور وخوائن الأعين

فماذا كانت تعمل حكومة العراق وأمة العراق لتدرآ ذلك العدوان الفردى المحتوم وقد تهيأت أسبابه خفية فى نفس مضطر ب وأعصاب موهونة ويأس مضل؟ إن الذين قالوا إنما كان هناك وعي كُتِب، وتهديد قِيل، لم يثبتوا أن الصديق الجليل عزمى قد عا بهذا الوعيد ، أو أخبر الحكومة بهذا التهديد . وإذن لا يبق إلا نزق الشباب الذى لا طِبَّ له ، وقدر الله الذى لا حيلة فيه

إن العلاقة بين مصر والعراق طبيعية لم يفتعلها طمع الاقتصا ولا طموح السياسة ؛ إنما هى علاقة الدم واللغة والأدب والتاريخ والمجد والعقيدة ؛ فإذا طاشت يد هناك ، أو هفا لسان هنا فلا ينبغى أن يقع ذلك من البلدين الأخوين إلا موقع العبث الضروري الذى لا تكون الحياة دنيا إلا لوقوعه فيها ، ولا يكون الإنسان بشراً إلا لوقوعه منه

هذه كلمة كنا نود ألا نقولها، فإن الحاجة إلى تقرير الود بين الصديقين مظنة لوقوع الشك فيه، ولكن قعائد البيوت وأحلاس المقاهي لا يحبون أن يزجُّوا فراغهم الثقيل إلا بزخرفة الأحاديث على حساب الحق ، فلم يكن لنا ولهم بد من هذه الهمسة !

احمد حسن الزيات

الكبريت

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

« أشعلى لى سيجارة »

وكنا نسير بسرعة ، فيداى لا ترتفعان عن عجلة القيادة مخافة أن يؤدي أضأل انحراف في التوجيه إلى اصطدام بشيء. ثم إن فمها حلو ، وشفتيها رقيقتان ، وليس عليهما شيء من الأحمر ، ولست أحب السيجارة المبتلة ، ولكنى قلت لنفسى إن رضابها لا بد أن يكون عذباً

وكانت السجاير بينى وبينها على المقعد ، فتناولتها ، ثم جعلت تتلفت وتتحسس باحثة عن الكبريت فقلت :

« هو فى جيبى — »

فدست يدها فى الجيب ، ثم ضحكت

قلت : « ماذا ؟ أشركينا . . . »

قالت : « ثلاث علب كبريت . . . ! ؟ ما هذا ؟ »

فصحت ، والتفت إليها برغمى ، وأحسست وأنا أفعل ذلك أن يدى ترعش

« بس ؟ »

قالت مستغربة : « بس ؟ هل تريد أن تتجر بالكبريت ؟ »

قلت : « هذه سرقة . . . لا بد أنى سُرقت . . . كان فى هذا الجيب خمس علب ، فأين ذهبت الاثنتان ؟ هه ؟ طارتا ؟ لا يمكن ! احترقتا ؟ مستحيل ! واضح جداً أنهما سُرقتا . . . فمن هو السارق يا ترى ؟ هذه هى المسألة التى تتطلب الحل السريع . . . أهو أنت ؟ من يدرى ؟ »

قالت : « والله ما أخذت شيئاً ، ولا كنت أعرف أن جيبك هذا فيه كبريت . . . بل لم أكن أدرك أن هنا جيباً . . . ثم ماذا أصنع بالكبريت وأنا لا أدخن عادة ؟ »

وكان فى صوتها الفضى اللين من الجزع ما أضحكني فقلت :

« لا عليك يا فتاتى . . . كونى سارقة أو لا تكونى . . . فانت على الحالين . . . ماذا ؟ هه ؟ قولى أنت . . . »

فابتسمتْ — أحسست أنها تبتسم ، فقد كنت معنياً بالطريق الناص بالناس والسيارات والغنم والحمير ، والجمال . . . ولا سيما الجمال فانها شر ما أخاف ، فان لها لفزعاً غريباً من السيارات

وصمتنا قليلاً ، ثم فركت جبينها الصابح ببنانها وقالت كأنما تذكرت شيئاً :

« قلت إنه كان فى هذا الجيب خمس علب ، فهل تعنى أن فى جيوبك الأخرى كبريتاً ؟ »

قلت « لم يخب ظنى فيك يا فتاتى . . . ذكية والله ! »

وكنا قد بلغنا أول شبرا ، فاستوقفتنى وزعمت أنها تريد أن تشرب ، فوقفت ، ونظرت إليها — حدقت فى وجهها — متفرّساً ثم قلت :

« على بابا يا حيدة ؟ » وتناولت ذقنى بيدى

قالت : « ماذا تعنى ؟ »

قلت : « هل تريدين أن تشربى ، أو تريدين أن ترىْ ما فى جيوبى من الكبريت ؟ أنا أريحك ، وأرضى فضولك .. خذى ! »

وأخرجت من كل جيب بضع علب من الكبريت ، وألقيت ذلك كله على المقعد بيننا ، فصار كوماً صغيراً

فقالت : « إحدى عشرة علبة ! مدهش ! ما حاجتك إلى كل هذا ؟ لماذا تحشو به جيوبك ، وفى واحدة منه الكفاية ؟

قلت : « هذه أسئلة ليس لها عندى جواب . وما أضن بالجواب لو أنى كنت أعرفه ، وأحسب هذا مظهراً لبعض ما يخفى على المرء من نفسه ، فما أبالى أن أخرج وليس معى فلوس ، وليس يكربنى أن أكون فى مكان منقطع وليس معى سجاير ، فإنى أستطيع احتمال هذا الحرمان ، ولكن لا أطيق أن أمشى إلا إذا كانت جيوبى مفعمة بالكبريت ، وأشعر أن رأسى يدور ، وأنى كالضائع التائه إذا نقص الكبريت الذى معى عن حد الكفاية فى رأيى وإحساسى . . . وحدُّها عندى أن تكون جيوبى ملأى . . . وأن أتحسس هذه الجيوب من الخارج فأشعر بالرضى والارتياح . . .

لا أدرى لماذا ولكنى هكذا ... والآن أما زالت بك حاجة إلى الماء تطفئين به ظمأك ؟ »

فضحكت وقالت « أهذا مظهر لشذوذ العبقرية ؟ »

قلت « لا تتهكمى ... إن لكل منا ولعاً بشىء ، وحرصاً على شىء ... وفي وسعك أن تقولى إن لكل منا موضع ضعف ، وأحسب أن مواطن الضعف عندى كثيرة ، ولكن هذا من أبرزها ، وإن كان من أخفاها على الناس ، فإن من حسن الحظ أن النـاس لا يبلغ من فضولهم فى العادة أن يتحسس بعضهم جيوب بعض ، وأظنهم يرون انتفاخ جيوبى فيظنون ما فيها ورقاً ولا يستغربون »

قالت « ولكنى لا أفهم ... »

قلت « ولا أنا ... ولا أعلم حتى متى بدأت هذه العادة ... لقد اعتدت أشياء كثيرة أستطيع تعليلها . مثلا فى وسعى أن أكتب والمدافع حولى تطلق قذائفها ، فلا أكاد أسمعها ، والمحقق على كل حال ، أنى لا أتأثر بها ، ولا أشتغل عما أنا فيه ... اعتدت ذلك لأن الضرورة قضت به وألزمتنيه . — ضرورة العمل فى الصحف اليومية التى يتخذ الزوار من مكاتبها مقهى أومصطبة أو ناديا ... وأنا أستحيي أن أحجب نفسى أو أرد زائرا ، فلم يبق لى مفر من اعتياد العمل فى هذا البيمارستان ... ولكن الكبريت مسألة أخرى ... لاأذكر متى بدأت احتفظ به وأحرص عليه... وأنت تسخرين وتقولين إن هذا مظهر لشذوذ العبقرية أو جنونها.. لاياسيدتى ... لاعبقرية ولا يحزنون . إنما هو عندى مظهر لنزعة نفسية خفية كان من الممكن — لو أتيحت لها فرصة .. أن تظهر فى صورة أخرى ، ولكن ما هى هذه النزعة ؟؟ هذا ما لا أعرف... ولكن أتعبنى كثرة الغوص فى أعماق نفسى على الأصل فى هذا الحرص على الكبريت ، فنفضت يدى يائسا ، وأسلمت أمرى لله ، وللمتهكمين والمتهكمات من أمثال حضرتك .... »

فضحكت ، فقلت « والآن هل نمضى ؟ »

وعدت بها إلى بيتها ، وقلت لأمها وأنا أسلم عليها « قد رددت الأمانة فاستودعك الله »

فتعلقت بى حميدة وقالت : « حتى تسمع ماما حكاية الكبريت » وسمعت « ماما » حكاية الكبريت ، واستغربت — كما كان لابد أن تفعل — وأسدت إلىّ نصحا كثيرا ، لاشك أنه نفيس ، وأكدت لى أنها تخشى على الاحتراق ، وأيدتها حميدة فزعمت أنى كالبركان الذى لا يؤمن انفجاره فى أية لحظة ، وكانت النتيجة التى لا معدى عنها أن حميدة وماما أخلتا لى جيوبى من الكبريت . . .

وانحدرت إلى الشارع ، وأنا أحس أنى كما قال القائل « خالى الوفاض ، بادي الأنفاض » وكان من المستحيل أن أعود إلى بيتى هكذا ، وماذا عسى زوجتى تقول حين ترى أن جيوبى فرغت من الكبريت ؟؟ إنها تكون حكاية لا آخر لهـا ، لهذا لم يسعنى إلا أن أعرج على دكان وأشتري مقدارا كافيا من رضى النفس وراحة البال ....

ابرهيم عبد القادر المازنى

التعليم الالزامى في مصر

للأستاذ أبى خلدون ساطع الحصرى
مدير دار الآثار العراقية

قرأت فى مجلة مصرية مقالة لأحد الأساتذة ، يقول فيها :
« إن تقارير مفتشى التعليم ومراقبيه » أظهرت فى السنين الأخيرة شيئاً جديداً لم يكن ملحوظاً من قبل ، وهو أن الأولاد الذين يمارسون الزراعة فى الحقل أو الصناعة في المعمل أو التجارة فى السوق من متخرجى المدارس الالزامية ، لا تكاد تمضى عليهم أربع سنوات أو خمس ، حتى ينسوا القراءة والكتابة ، وتمحى من ذا كرتهم البقية الباقية من الحروف الأبجدية ، فيعودون بذلك إلى الأمية مرة أخرى ... »

إننى لم أطلع على نصوص التقارير التى يشير إليهــا صاحب المقال ، فلا أعرف تفاصيل مالاحظه المفتشون فى هذا الباب . ومع ذلك لم أجد فى هذه النتيجة شيئاً يستوجب الاستغراب ، نظراً إلى ماأعرفه عن الظروف المحيطة بالتعليم الالزامى فى مصر من جهة ، وعن التجارب التى مرت على الأمم الغربية فى هذه القضية من جهة أخرى ...

إنني لاأشارك المحرر فى الأسباب التى يعزو إليها هــذه النتيجة ، كما لا أوافقه على الوسائل التى يقترحها لمعالجة القضية . ومع هــذا لا أرى لزوماً لمناقشة الآراء الواردة فى المقال المشار إليه ، بل أفضل أن أبحث عن القضية من « أساسها » ، بقطع النظر عن آراء المحرر فيها

— ١ —

يظن الكثيرون أن « تعليم القراءة من الأمور البسيطة » التى يستطيع أن يقوم بها كل من « يعرف القراءة والكتابة » وبالأحرى كل من يعلم شيئاً من « مبادئ أصول التدريس » . فى حين أن هــذا التعليم من الأعمال الدقيقة المحفوفة بالمزالق الكثيرة التى لا يمكن تجنبها إلا بيقظة متواصلة وتمرين خاص .. لأن « تعليم القراءة » لا يعنى « تعويد الطالب على قراءة بعض الكتب المعينة » ، بل يعنى « إكساب الطالب مقدرة على قراءة أى كتاب كان »

ومع هذا، فكثيراً ما نجد أن المعلمين لا يقدرون خطورة هذا المبدأ حق التقدير ؛ فيوجهون جهودهم إلى تعليم القراءة من الكتب المدرسية المخصصة لهذا الغرض ، دون أن يمرنوا الطلاب على القراءة السريعة بوجه عام

فى حين أن الطلاب كثيراً ما يتعلمون قراءة تلك الكتب على طريقة الاستظهار، دون أن يجهدوا أنظارهم وأذهانهم فى تتبع الكلمات المطبوعة فى سطورها . وكثيراً ماينخدع المعلمون بسرعة هذه القراءة ، فلا ينتبهون إلى أن الطالب قد قرأ معظم ما قرأه عن ظهر الغيب ، دون ملاحظة الكتاب . وهــذه الحالة تتفشى بوجه خاص ، عند ما يكون الصف مزدحماً بالطلاب ، وعنــد مايتمشى المعلم فى تدريسه على طريقة ميكانيكية ، لا نصيب فيها لليقظة والاهتمام . يقرأ المعلم العبارة بنفسه بصوت جهورى ، ثم يطلب قراءتها من أحد الطلاب ، ثم من ثان ، فثالث ، فرابع ؛ ويكرر هذه العملية عشرات المرات .. وكثيراً ما تنصرف أنظار القسم الأعظم من سائر الطلاب ــ خلال هذه القراءة والتكرار ــ عن أسطر الكتاب إلى أشياء أخرى ؛ غير أن آذانهم تبقى مستهدفة لتأثير الألفاظ التى يلفظها المعلم ويكررها سائر الطلاب ، بطبيعة الحــال . وإذا ما تكررت قراءة العبارات عدة مرات ، يكون هؤلاء الطلاب قد حفظوا الشيء الكثير منها عن طريق السمع ؛ وإذا ماجاء دورهم فى القراءة ، أخذوا بقرأونها « قراءة ظاهرية » تكون حصة النظر فيهــا محدودة جدا ، ويكون العامل الأصلى فى سرعتها هو الحافظة السمعية وحدها ..

ولذلك كثيراً ما نري بعض الطلاب « يقرأون دون أن ينظروا» ؛ وإذا ما طلب إليهم أن يبدأوا القراءة من محل غير المحل المعتاد ، يضطرون إلى التهجي ، فيقرأون بتلعثم وتردد وبطء ؛ غير أنهم إذا ما تمكنوا من قراءة الكلمة الأولى بعد هذا الجهد ، فتذكروا الكلمة التى تليها ، أخذوا يستمينون بذاكرتهم السمعية ، فصاروا يقرأون مابعدها بسرعه واسترسال ... وكثيرا مالاينتبه المعلمون إلى « حقيقة الأمر » فى هذه القراءة الظاهرية وينخدعون بهذه السرعة ، ويظنون أنهم نجحوا فى تعليم القراءة..

شاهدت هـذه الحالة فى عدد غير قليل من المدارس فى دروس مئات من المعلمين ، وما أعرفه عن مدارس التعليم الالزامى فى مصر يخولنى حق الجزم بأن هذه الحالة ليست من الأمور النادرة هناك أيضاً ...

وعندما تـكون طريقة تدريس القراءة مشوبة بهذه الصورة بنواقص وشوائب كثيرة ، فلا حاجة للبيان بأن عدداً غير قليل من الطلاب عندما ينتهون من الدراسة الالزامية ، لا يكونون قد تعلموا القراءة بكل معنى الكلمة ، بل يكونون قد تعلموا قراءة بعض الكتب قراءة ميكانيكية ، لم تخرج من دور التهجى والتردد إلا باعانة الذاكرة السمعية ... فهل من مجال للاستغراب إذا ما فقد هؤلاء خلال بضع سنوات ما كانوا قد اكتسبوه من المقدرة السطحية فى القراءة الميكانيكية فعادوا إلى الأمية بصورة تدريجية ؟

فإذا أردنا أن ننجو من هذه المزلقة الأليمة ، يجب علينا أن نهتم باصلاح طرق تعليم القراءة ، ونسعى إلى حمل الطلاب على قراءة كتب متنوعة ، فنتجنب كل ما من شأنه أن يجعل القراءة ميكانيكية وظاهرية

— ٢ —

مع هذا يجب علىّ أن أصرح بأن كل ذلك أيضاً لا يضمن معالجة المشكلة التى نبحث عنها معالجة قطعية

لأن « مقدرة القراءة » فى حد ذاتها ليست من الأمور التى ترسخ فى النفس بمجرد اكتسابها ، بل هى من القابليات التى لا تعيش وتنمو إلا بالعمل والتكرار والمران .. إنها من القابليات التى تضعف وتتلاشى شيئاً فشيئاً عندما تبقى « عاطلة » ولا تجد مجالاً للعمل بصورة متصلة ...

إفرضوا أن طالباً مجتهداً ونبيهاً ، قد تعلم القراءة بصورة جيدة، فأصبح قادراً على قراءة الـكتب بصورة مرضية ... ثم تصوروا أن هذا الطالب ترك القراءة بعد خروجه من المدرسة ؛ فقد مضى عليه عدة سنوات دون أن يقرأ شيئاً ، ودون أن يجد فى بيئته دافعاً يدفعه إلى استعمال قابلية القراءة التى كان اكتسبها قبلاً . لاشك فى أن القابلية المبحوث عنها سوف لا تحافظ على قوتها مدة طويلة من الزمن ، بل ستكون عرضة للضعف بصورة تدريجية ... وسيزداد هذا الضعف على مر السنين فيعود صاحبها إلى دور القراءة «بالتهجى» كالمبتدئين؛ وإذا استمر الحال على هـذا المنوال مدة أخرى ، فسيفقد قابلية القراءة التى كان اكتسبها فى المدرسة ، وسيعود إلى الأمية مرة أخرى

وهـذا هو ما يحدث فى الحياة الاعتيادية . فى كثير من الأحيان ينتهى الطفل من التعليم الالزامى فيترك المدرسة ويذهب إلى الحقل أو المعمل ، للاشتغال مع والديه ... ولا يجد هناك فرصة لتغذية القابلية التى كان قد اكتسبها ، ولا يشعر بدافع يدفعه إلى قراءة شىء يحرك ويجدد تلك القابلية ، فينسى فى حياته الجديدة ، بصورة تدريجية كل ما كان اكتسبه فى حياته المدرسية ...

إن القول بأن « التعليم فى الصغر كالنقش فى الحجر » بصورة مطلقة ، لا يتفق مع الحقائق الراهنة : فان الدماغ ليس من نوع الأحجار الجامدة التى تحافظ على كل ما ينقش فيها ؛ والقابليات التى يكتسبها الدماغ لا تشبه النقوش التى تحفر على الحجر بوجه من الوجوه ؛ ولا سيما دماغ الطفل ، فانه يمتاز بمرونة كبيرة ، يكتسب بسرعة ، غير أنه قد يفقد أيضاً بسرعة

هذه حقيقة هامة يجب أن نضعها نصب أعيننا عند ما نفكر فى أمر التعليم الالزامى ومكافحة الأمية : يجب علينا أن نهتم بتغذية قابلية القراءة وتقويتها — بعد المدرسة — بقدر ما نهتم بتوليدها وتنميتها في المدرسة ... يجب علينا أن نتوسل بشتى الوسائل التى تدفع إلى القراءة — بعد الانتهاء من الدراسة الالزامية — خلال مزاولة أعمال الحياة الاعتيادية ...

وإلا ، فيجب علينـا ألا نستغرب إذا ما وجدنا « قابلية القراءة » التى بذلنا كل تلك الجهود فى سبيلها قد أخذت تندثر وتتلاشى شيئاً فشيئاً ... و « الأمية » التى قضينا كل تلك الأوقات فى سبيل مكافحتها داخل المدرسـة وفى سن الطفولة ، عادت إلى الحـكم بعـد مدة ، فاستولت على النفوس تدريجياً فى ساحة الحياة ، وفى سن الرشد والشباب ...

— ٣ —

إن تجارب الأمم الغربية — المسطورة فى تواريخ معارفها — تؤيد الملاحظات النظرية التى سردناها آنفاً ؛ فان رجال معارف

تلك الأمم أيضاً كانوا قد اصطدموا بالمشكلة التي بحثناعنها، في بدء انكبابهم على تعميم التعليم ومكافحة الأمية ؛ وهم أيضاً كانوا قد لاحظوا — عندئذ — أن معظم الطلاب الذين يتخرجون من المدارس الابتدائية ويدخلون معترك الحياة ، ينسون بصورة تدريجية الكثير مما كانوا تعلموه في المدرسة خلال سني التعليم الالزامي . وكثيراً مايصل بهم الأمر إلى درجة «نسيان الأبجدية» والعودة إلى الأمية

إن هذه النتيجة مَثلت للعيان ، على وجه أخص ، عند ما أخذوا يفحصون معلومات الراشدين الذين يبلغون السن العسكرية فيدخلون الثكنات ... فقد وجدوا بين هؤلاء الجنود عدداً غير قليل من الذ لا يستطيعون أن يقرأوا شيئاً بالرغم من أنهم تعلموا القراءة والكتابة — في طفولتهم — في المدارس التي داوموا فيها

ولذلك أخذوا يبذلون الجهود الكبيرة لمعالجة هذه المشكلة ، ويتوسلون بوسائل شتى لتوقي هذه النتيجة

وكان من جملة الوسائل التي توسلوا بها إحداث دروس ومدارس تجمع الراشدين أيام الأحد ، أو أحد ليالي الأسبوع طول السنة ، أو خلال بعض الأشهر منها بقصد « تكرار » و « ترسيخ » المعلومات التي كانوا اكتسبوها خلال دراستهم الابتدائية . . .

إن الألمان الذين كانوا أسبق أمم الغرب إلى تطبيق نظام التعليم الالزامي ، أحدثوا مثل هذه الدروس منذ القرن الثامن عشر ، وجعلوا المواظبة عليها من الأمور المحتمة على كل فرد ، منذ انتهائه من الدراسة الابتدائية حتى دخوله الخدمة العسكرية ...

إن كثيراً من الأمم الغربية حذت حذو الألمان في هذا الباب ، في القرن التاسع عشر ، وأحدثت مثل هذه الدروس والمدارس ، تحت أشكال وأسماء مختلفة . . .

في الواقع أن الحاجة إلى التوسل بمثل هذه الوسائل قد زالت من الغرب ، نظراً إلى انتشار القراءة والكتابة بين جميع الطبقات ، وازدياد حاجة الناس إليها في كل البيئات وفي جميع نواحي الحياة ، وانتشار الكتب التي تلذ الناس وتفيدهم مع ازدياد المكتبات التي أصبحت في متناول أيديهم . . . فان كل ذلك لم يدع — في البلاد الغربية — حاجة لإدامة الدروس والمدارس التي كانت تستهدف « التكرار » و « الترسيخ » . . . ولذلك حدث تطور عظيم في أهداف الدروس والمدارس الخاصة بالراشدين .

غير أن الأهداف الحالية والتطورات الأخيرة يجب ألا تنسينا الغرض الأصلي الذي كان استوجب إحداث مثل هذه الدروس والمدارس . ويجب أن نلاحظ على الدوام أن تلك الدروس والمدارس لعبت دوراً هاماً في ضمان نجاح التعليم الالزامي ، ومكافحة الأمية في عهودها الأولى

* * *

إنني أعتقد أن الملاحظات الآنفة الذكر تكفي لاظهار أنواع الواجبات التي تترتب على وزارات المعارف التي تهتم بأمر التعليم الالزامي ومكافحة الأمية :

يجب عليها أن تسعى لتحسين طرق تدريس القراءة ، وتدريب المعلمين للقيام بأعباء هذا التدريس

كما يجب عليها أن تتخذ التدابير اللازمة لايجاد سلسلة كتب ونشرات ملائمة لحاجات الناس وميولهم ، على اختلاف مهنهم وبيئاتهم . . .

ويجب عليها أن تتوسل بوسائل متنوعة لنشر تلك الكتب بين الناس ، لتسهل تغذية رغبة المطالعة في نفوسهم ...

وأخيراً يجب عليها أن تتوسل ببعض الوسائل التي تضمن اجتماع الشبان في المدرسة من حين إلى حين — بعد انتهائهم من سني التعليم الالزامي — لإدامة علاقتهم بالدرس والمطالعة بصورة منتظمة . . .

وإذا لم تفعل ذلك يجب أن تعلم جيداً أن الجهود التي تبذلها والنفقات التي تنفقها في سبيل نشر التعليم في الأرياف وبين جميع طبقات الناس ، لا تثمر الثمرة الكافية ، ولا يبعد أن يذهب معظمها هباء منثوراً . . .

أنتهز هذه الفرصة لألفت أنظار وزارات المعارف في البلاد العربية — ولا سيما في مصر — إلى هذه الواجبات التي تترتب عليها لإتمام مهمتها في نشر التعليم ومكافحة الأمية بصورة فعلية

قلت : لاسيما في مصر ... لأنها المملكة العربية الوحيدة التي استطاعت أن تسن قانوناً للتعليم الالزامي ، وأن تضع خطة عملية لتنفيذ أحكام ذلك القانون ، وتحقيق نشر التعليم بين جميع طبقات الناس وفي جميع أنحاء البلاد . . . فعليها — قبل غيرها — يترتب واجب الاسراع في اتخاذ التدابير التي سردناها آنفاً . . .

(بغداد) ساطع الحصري

قصة الكلمة المترجمة

(القتل أنفى للقتل)

لأستاذ جليل

تتمة

انتشرت كلمة الشيخ عبد العزيز الأزهرى (البلاغ ٢٠ رجب ١٣٥٢) فكتب الأستاذ الرافعى (رحمه الله) مقالة عنوانها (ليست جاهلية) — البلاغ ٢٢ رجب ١٣٥٢ — قال فيها .

« أثبت الأستاذ عبد العزيز الأزهرى فيما نشره فى البلاغ أن هذه الكلمة عربية واحتج لذلك بحجج أقواها : زعمه (أنها وردت بين ثنايا عهد القضاء الذى بعث به سيدنا عمر إلى أبى موسى الأشعرى) ولا ندرى أين وجد الكاتب كلمة (القتل) فضلا عن (القتل أنفى للقتل) فى ذلك العهد المشهور المحفوظ ، وقد رواه الجاحظ فى البيان والتبيين ، وجاء به المبرد فى الكامل ، ونقله ابن قتيبة فى عيون الأخبار ، وأورده ابن عبد ربه فى العقد الفريد ، وساقه القاضى الباقلانى فى الاعجاز ، وفى كل هذه الروايات لم تأت الكلمة فى قول عمر ، بل لا محل لها فى سياقه ، وإنما جاء قوله (فان أحضر بينته أخذت له بحقه ، وإلا وجهت عليه القضاء . فان ذلك أنفى للشك) أما سائر حجج الكاتب فلا وزن لها فى باب الرواية التاريخية وقد أصبح عاليها سافلها كما رأيت »

قلت : كتاب احمد ابن عبد ربه اسمه (العقد) والفريد زيادة نسخ ومطبعة . قال ابن خلكان : (وصنف كتابه العقد وهو من الكتب الممتعة) وقال الفتح ابن خاقان : (وله التأليف المشهور الذى سماه بالعقد) والكتب التى سميت العقد الفريد هى (العقد الفريد فى أحكام التقليد ، العقد الفريد فى انساب بنى أسيد ، العقد الفريد فى علم التجويد ، العقد الفريد فى علم التوحيد ، العقد الفريد، للملك السعيد)

وقلت : جاء (القضاء) فى البيان والتبيين ، والعقد ، وعيون الأخبار . ووردت (القضية) فى الكامل ، وإعجاز القرآن . وجاءت (استحلت) فى هذين الكتابين . والقضاء والقضية مصدران ، والاسم القضية فقط ؛ و (القضية المصرية) لاتعرفها العربية . والعبارة فى العهد أو الرسالة (فان ذلك أنفى للشك) قول عربى متناسب ، و(النفى) نازل فيه منزله . ورسالة الفاروق إلى أبى موسى مشهورة ، وقد رواها رواة وعزوها إليه . وذكر الجاحظ فى البيان والتبيين كتابا من عمر إلى الأشعرى (رضي الله عنهما) فيه تعليم وإرشاد وتذكير ، والله أعلم

وقال الأستاذ الرافعى (رحمه الله) .

« والذى أنا واثق منه أن الكلمة لم تعرف فى العربية إلا فى أواخر القرن الثالث من الهجرة . وهذا الامام الجاحظ يقول فى موضع من كتابه (البيان والتبيين) فى شرح قول على كرم الله وجهه : (بقية السيف أنمى عددا وأكثر ولدا) ما نصه : (ووجد الناس ذلك بالعيان للذى صار إليه ولده من نهك السيف وكثرة الذرء وكرم النجـــل . قال الله تبارك وتعالى : (ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب) وقال بعض الحكماء : قتل البعض حياة للجميع . ولم يزد الجاحظ على هذا . ولو كانت الكلمة معروفة يومئذ لما فاتته كما هو صنيعه فى كتبه ، وهذه العبارة الأخيرة (قتل البعض...) هى التى زعم الرازى فى تفسيره أنها للعرب ... فلا عبرة فى هذا الباب بكلام المفسرين ولا المتأخرين من علماء البلاغة ، وإنما الشأن للتحقيق التاريخى »

قلت : فى النسخة المطبوعة : (قتل البعض إحياءٌ للجميع) ولم تجىء هذه العبارة والآية الكريمة قبلها فى شرح قول على (رضى الله عنه)— أن قصد أنهما جاءتا شرحا له، فالمقاصد مختلفة. وإيراد الجاحظ الآية والعبارة هو كعادته فى إملاء مايعليه فى كتابه ، وقد وردت قبل جملة وكلمةٍ للمهلب فى معناها أقوالٌ متنوعة ، وتلت الآيةَ والعبارة مقطوعةٌ لهمام الرقاشى ، ثم تبع الشعر قولٌ لخارجية يشا كل الجملة العلوية، ثم خبر وشعر، ثم أحاديث متنوعة. وإن حسب الجاحظ أن الآية والعبارة تحكيان (بقية السيف...) فقد أخطأ حِسبانه

ثم روى الأستاذ الرافعى (رحمه الله) قولاً للجاحظ فى (حجج النبوة) فى القوم الذين كانوا يولدون الأخبار ويطعنون بها على (الكتاب) ثم قال : « وإن لم ينهض الدليل القاطع على أن تلك الكلمة مترجمة عن الفارسية بظهور أصلها فى تلك اللغة ؛

ورجوعه إلى ما قبل الاسلام فهى ولا ريب مما وضع على طريقة ابن الراوندى الذى كان فى منتصف القرن الثالث »

قلت : الكلمة لم تظهر فى مصنفات نعرفها فى القرن الثانى أو الثالث فينسبها إلى أحد من العرب أو غيرهم ناسب أو يقصد بها مقصد ابن الراوندى وتلك الشرذمة شرّير . وما هى إلا قول من جنس الأقوال الفارسية والأغريقية التى ترجمها النقلة وروى مثل الثعالبي وابن هند وطائفة منها

* * *

ظهرت مقالة الأستاذ الرافعى (رحمه الله) فنشر البلاغ (٢٥ رجب ١٣٥٢) كلمة للشيخ عبد العزيز الأزهرى عنوانها (القتل أنفى للقتل) قال فيها : « لأول مرة فى حياتي الأدبيـة أقرأ للأستاذ البحاثة مصطفى الرافعى كلاماً يخترمه التناقض ، وينسف آخره أوله . إن الأستاذ محق فى أن نسبة الجملة الماضية إلى وثيقة القضاء التى بعث بها سيدنا عمر إلى أبي موسى الأشعرى ليست حقيقية ، ومما لاشك فيه أن الذي أوقع فى حسبانها منها مشابهتها لمجز الجملة الآتية فى الرسـالة : (فانه أنفى للشك) وقليلون هم أولئك الذين يشبهون الأستاذ فى قوة الذاكرة ، ووفرة كتب المراجعة ، وانفساح الوقت . و (ظروفى) المدرسية وأكداس الكراسات التى تنوء بالعصبة أولى القوة (أرغمتنى) على أن لا أتصفح الجرائد إلا إلماماً مثل حَسْو الطير ماء الثماد [1] ، ففى اللحظة التى كنت أتجمع فيها الراحة وقع نظرى على كلمة الأستاذ النشاشيبى وفيها يرى أن الجملة مترجمة لا جاهلية ولا مولدة، فكان ردى عليها أنها عربية ، وبرهنت على ذلك بعدة أدلة ، لهذا غشيتنى الدهشة عندما حكم الأستاذ بأن الأدلة التى ذكرت أصبح عاليها سافلها لنقض بعضها ، فهل عدم العثور عليهـا فى عهد القضاء (يترتب عليه) » ثم ذكر ما يثبت عنده جاهلية تلك الكلمة مفصلا

١ — عدم الحاجة إلى اقتراض هذه المعانى

٢ — خشونة الجملة

٣ — عنجهيتها البدوية

٤ — رنين لفظة القتل في المسامع

٥ — حالة العرب قبل البعثة أسالت على شباة ألسنتهم (يعنى حكامهم) أمثال هذه المعانى ثم قال : « ومما أعجزنى فهمه ادعاء بحاثتنا الكبير أن الكلمة لم تعرف إلا فى أواخر القرن الثالث الهجرى » ثم قال : « الحق الذى لامرية فيه أن القتل أنفى للقتل كلمة عربية لحماً ودماً وعصباً ، وأن قلم الأستاذ خانه فى هذه المرة فكان من نتائج شطحاته ! أن (انزلق) به إلى هـذا الحكم . فليتقبل منى الأستاذ الأديب هذا الرأى وليثق أنه لم يؤثر في منزلته فى نفوسنا هذا الشطط ! إلا بمقدار ما تنداح دائرة »

قلت : وجدت كلام الشيخ فى الأستاذ الرافعى (رحمه الله) طرفة فرويته ، والله يشهد أنى ما قصدت بروايته تنقص قائله

* * *

ثم نشر البلاغ فى اليوم الثانى (٢٦ رجب ١٣٥٢) كلمة عنوانها (ليست جاهليـة ولا مترجة !) للفاضل (أمين حافظ شرف بنيابة طنطا) قال فيها : « عاد الأستاذ الأزهرى إلى دعواه أن كلمة (القتل أنفى للقتل) جاهلية ، ولم يضف إلى براهينه الأولى شيئاً يعتمد عليه فى تأييد هـذه الدعوى رغم اعترافه بأنها لم ترد فى عهد القضاء من عمر إلى أبي موسى كما وهم أولا ونبه إلى وهمه الأسـتاذ الرافعى ، وكل ما جاء به ليبرهن على جاهليتها بعض استنتاجات فرضية لا تقوم عليها دعوى . أما وقد بيّن الأستاذ مصطفى صادق الرافعى أن تلك الكلمة لم تعرف قبل القرن الثالث الهجرى ولم يروها أحـد إلى ذلك العهد على كثرة ما روى عن الجاهليين فلا محل للقول بأن هناك أدلة عقلية أو منطقية ، فهى ليست جاهليـة ولا مترجمة ! إلا أن تؤيدها الرواية الصحيحة أو يعرف أصلها الأعجمى ! »

قلت : قول السيد أمين (رغم اعترافه) عربيته : (مع اعترافه أو على اعترافه) والمعروف الاعتراف بالذنب ، يقال : اعترف بذنبه وفى (الكتاب) : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم » وفى حديث عمر : « أطردوا المعترفين هم الذين يقرون على أنفسهم بمـا يجب عليهم فيه الحد والتعزيز ، كأنه كره لهم ذلك ، وأحب أن يستروه

(١) ذكرنا هذا القول بأبيات لأعرابى جيدة ، وهى من مختار (الكامل):

ما لعينى كحلت بالسهاد وجنبى نابياً عن وسادى
لا أذوق النوم إلا غراراً مثل حسو الطير ماء الثماد
ابتغى إصلاح سعدى بجهدى وهى تسعى جهدها فى فسادى
تتاركنا على غير شىء ربما أفسد طول التمادى

على أنفسهم » كما ذكرت (النهاية) و (استنتاجات) فى كلمة (الأمين) غريبة فى العربيات

* * *

ثم ظهرت فى البلاغ (غرة شعبان ١٣٥٢) كلمة عنوانها (أسئلة القتل أنفى للقتل) للأستاذ (أزهرى ، المنصورة) قال فيها : « الظاهر أن الشيخ عبد العزيز الأزهرى يريد أن تكون (القتل أنفى للقتل) جاهلية ، فان يتشبث برأيه ولا يرجع عنه يُطالبْ بجواب هذه الأسئلة :

المجمع عليه أن اللغة العربية هى لغة الرصانة والأحكام فلن تضع كلمة إلا موضعها ، فهل يجوز أن تستعمل العربية (النفى) فى تلك الجملة ؟ وما معنى (القتل أنفى للقتل) ؟ وهل توضح ألفاظ الجملة معناها ؟ وما معنى (النفى) فى اللغة ؟ وهل استعملت مادة (ن ف ى) واللغة لغة والعرب عرب ، فى مثل هذا المقصد ؟

فاذا أقام الشيخ عبد العزيز دهراً طويلا يبحث فلا يجد للنفى فى العربية مثل هذا الاستعمال، فهل تبقى (القتل أنفى للقتل) جاهلية أو عربية ؟

قلت : النفى : التنحى ، التنحية ، الطرد الابعاد عن البلد ، التساقط : تساقط الشعر ، التغريب الذى جاء فى الحديث ، الجحد (ومنه نفى الأب والابن يقال : ابن نَفِىٌّ إذا نفاه أبوه) كما فى التاج ، الرد (نفيت الشيء إذا رددته ، وكل ما رددته فقد نفيته)

ولو استُبدل (القتل) بـ (النفى) فى العبارة الفارسية فقيل : القتل أقتل للقتل لصح اللفظ، ولكن تدهى الأذن والدماغ والعصب والجسم حينئذ داهيـة ، ومجيء ثلاث « قافات خشنة كل قاف كجبل قاف» كما قال أحمد بن الحسين الهمذانى[1] وتخالف العبارة قول المتنبى[2] :

فقلقلت بالهم الذى قلقل الحشا قلاقل عيس ، كلهن قلاقل

قال العكبرى فى (شرح التبيان) : «عاب الصاحب اسماعيل ابن عباد أبا الطيب بهذا البيت وقال : (ماله — قلقل الله أحشاءه — وهذه القافات الباردة) قال أبو نصر بن المرزبان : ثلاثة من الشعراء رؤساء، شَلْشلَ أحدهم، وسلسل الثانى، وقلقل الثالث. فالذى شلشل الأعشى[1] والذى سلسل مسلم[2] وأما الذى قلقل فالمتنبى . قال الثعالبى : فقال لى أبو نصر : فبلبل أنت . قلت له : أخشى أن أكون رابع الشعراء ... ثم قلت بعد مدة :

وإذا البلابل أفصحت بلغاتها فانف البلابل باحتساء بلابل[3]

* * *

كان خطأ مطبعى فى الكلمة السابقة (أسئلة) فنشر الأستاذ (أزهرى المنصورة) كلمة عنوانها (التطبيع) — البلاغ ٨ شعبان — قال فيها : « بعثت إلى (البلاغ) والقوم يقتلون فيه (القتل أنفى للقتل) بحثاً — وقد قُتِلت ، وقد رُمِست ، وللأقوال كما للقائلين آجال — بكلمة فيها أسئلة ، ولما جاءت إلىّ الجريدة وجدت وذكر الكاتب الخطأ المطبعى (لا الأخطاء كما يقول بعض الأدباء) ثم قال : فعجبت وما عجبت ، وقلت هى الطبعة ، وهى السرعة فى العصر البراقّ . وقد أردت أن أسمي مثل هذا فقلت : لما كانت الصحيفة والصحف والصحائف والقلم الكاتب قالوا : (التصحيف) فهل لنا — واليوم يوم المطبعة — أن نقول (التطبيع) وقل من يستعمل هذه اللفظة فى هذا الزمان للمعنيين القديمين . والصحيفة الخطأ فى الصحيفة مولدة ، والتطبيع (الخطأ المطبعى) عصرية بنت العصر ، وفى بنات العصر كريمات »

* * *

ثم ظهرت فى البلاغ ١٦ شهر رمضان ١٣٥٢ كلمة عنوانها (القتل أنفى للقتل مولدة لا جاهلية) للأستاذ محمود محمد شاكر قال : « كانت هذه الكلمة سبباً فى لجاج بعض الكتاب حين قال الأستاذ مصطفى صادق الرافعى فى مقاله الذى نشره فى بلاغ السبت (١٥ رجب سنة ١٣٥٢ — ٤ نوفمبر سنة ١٩٣٣) بعنوان كلمة مؤمنة فى رد كلمة كافرة) : (أنا أقرر أن هـذه الكلمة مولدة

---

(١) صاحب المقامات والرسائل وهو عربى الأصل كما قال الدكتور عبد الوهاب عزام فى (الرسالة) وقد أخبرتنا مجلة (المصور) الأسبوعية فى هذه الأيام أنه فارسى فجزى الله المحققين فى دار الهلال خيراً . . .

(٢) أبو الطيب شاعرنا العظيم ، وهذا بيت فى أبيات قالها فى صباه فى وعكة أو مرض

(١) وقد غدوت إلى الحانوت يتبعنى شاو مشل شلول شلشل شول

(٢) سلت فسلت ثم سل سليلها فأتى سليل سليلها مسلولا

(٣) بلابل الأخيرة جمع بلبلة وهى الكوز

وضعت بعد نزول القرآن الكريم ، وأخذت من الآية ، والتوليد فيها بيّن ، وأثر الصنعة ظاهر عليها) وقد قال بعض الكتاب بترجمتها عن اللغات وقد بحثت طويلا عن أصلها وكنت أود أن أسوق الأدلة كلها على نفيها عن عرب الجاهلية ، ولكن لا يتسع وقتى الآن لذلك ، ثم وجدت أخيرا النص القاطع على أنها ليست من كلام الجاهلية فى كتاب الايجاز والاعجاز لأبى منصور الثعالبي المطبوع بمطبعة الجوائب سنة ١٣٠١ مع رسائل أخرى » ثم نقل كلام الامام الثعالبي وفيه « ويحكى عن أردشير الملك ما ترجه بعض البلغاء أنه قال : القتل أنفى للقتل » وقد رُوِي النصُّ كله من قبل فى كلمة الكوكب ثم قال الأستاذ محمود : « وهـذا نص يؤيد ما ذهب إليه الرافعى ولا موضع للجدل بعده »

* * *

فنشر الأستاذ (أزهرى المنصورة) بعد هذا القول كلمة عنوانها (الكلمة المترجمة ، الأقوال الفارسية فى العربية) — البلاغ ١٩ شهر رمضان ١٣٥٢ — ومما قاله : « هذا النص بنفسه قد أورده الأستاذ النشاشيبى فى جريدة (كوكب الشرق فى (١٢) رجب ١٣٥٢ وكان قول الثعالبي من جملة الأدلة على أن تلك الكلمة مترجمة ، ويظهر أن الأستاذ محمودا لم يقرأ المكتوب فى الكوكب إذ لو رآه ما كان أتعب النفس فى نقل ذلك النص . وكان قول الأستاذ الرافعي فى تلك الكلمه المترجمة فى (١٥) رجب ٣٥٢ وقد طلب الأستاذ الأصل الفارسى ، والظفر بالمطلوب فى هذا الوقت مستحيل . ولولا ذلك لسألنا العالم الهمام الدكتور عبد الوهاب عزام الأستاذ فى الجامعة المصرية أن يهدينا إلى مظنته.

الأقوال المنقولة عن الفارسية بعضها عزى إلي أهله فعرفناه، وبعضها جهل أصله فلم يدر أعربى هو أم فارسى . فهل للنابغة العالم بلغة العرب والأعاجم الدكتور عبد الوهاب عزام أن يطرف الناس بحثا مستفاضا فيه عن الأقوال الفارسية في العربية

آباء عزام كان (قِرَى الأضياف سجيّتهم ، ونحر العشار دأبهم وهجيراهم[1]) وقد جمع الأبناء بين القرَيَـيْن : قرى الضيفان بالجفان [2] وقرى العقول والأذهان بالعلم والعرفان »

* * *

وفى (البلاغ ٨ شوال ١٣٥٢) ظهر قول عنوانه : (الكلمة المترجمة ، الأقوال الفارسية فى العربية) للدكتور عبد الوهاب عزام . وهذا هو القول : « نشر فاضل (أزهرى) كلمة فى البلاغ تحت العنوان المصدرة به هذه الأسطر ، تناول فيه الكلام عن الأقوال الفارسية المنقولة إلى العربية ، وطلب منى أن أكتب ما أعرف فى الموضوع ، وأحسن الظن بى وبآبائى ، فأثنى علينا بما شاء له خلقه الكريم وأدبه الرفيع .

وإنى ليؤسفنى أن فاتتنى هذه الكلمة فلم أطلع عليها حتى تفضل أديب العرب الأستاذ محمد اسعاف النشاشيبي فأرسل إلى من فلسطين قطعة من البلاغ تتضمن كلمة الأديب (أزهرى)

فالآن أبادر إلى شكر أستاذنا النشاشيبي والاعتذار إلى أديبنا (أزهرى) وشكره ، راجياً أن أشرّف باجابة دعوته إلى الكتابة فى هذا الموضوع حين يتيسر لى ما تصديت لمعرفته وجمعه من الكلمات فى هذا الصدد »

قرأ الأستاذ (أزهرى المنصورة) قول الدكتور عبد الوهاب عزام فنشر كلمة عنوانها (موهبة الله واهبها، الدكتور عبد الوهاب عزام) — البلاغ ١٩ شوال ١٣٥٢ — قال فيها : « قال المحبى فى (خلاصة الأثر) : تعلم العلامة البوريني اللغة الفارسية حتى صار يتكلم بها كأنه أعجمى ، وفى ذلك يقول:

تعلمت لفظ الأعجمىّ وإننى من العرب العرباء لا أتـكتم[3]

(١) من قول فى (المفتاح) عند الكلام عن الالتفات ، وبعده : افترام يحسنون قرى الأشباح فيخالفون فيه بين لون ولون ، وطعم وطعم ، ولا يحسنون قرى الأرواح فلايخالفون فيه بين أسلوب وأسلوب وإيراد وإيراد

(٢) قلت : قال الكاتب الجملة إعرابية ، والكلام الصحيح : قرى الضيفان فى أكرم آنية شرقية وغربية فى المائدة ، فى الخوان أو على الطشتخان ، وهذا ما عايناه عند القوم فى حلوان

الطشتخان عربته الفاثور وهو الخوان من رخام وقيل من فضة أو ذهب كما فى الأساس

(٣) الذى وجدناه : كتم ، كاتم ، اكتتم ، كتّم — بالتشديد — استكتم ، فهل وجد البورينى تكتتم فى كلام

وما كان قصدى غير صون حديثكم

إذا صرت من شوق به أترنم

وإن كنت بين المعجمين فمعرب وإن كنت بين المعربين فمعجم

فأغدوا بأشواقي إليكم مترجماً وسركم فى خاطرى ليس يعلم

وقد تعلم العلامة الأستاذ الكبير (الدكتور عبد الوهاب عزام) اللغة الفارسية والتركية وغيرهما من لغات الأعاجم وحذقها، كما نبغ فى العربية وأدبها ليستفيد نشء العرب — قل وشبانهم وشيبهم — من بحثه وتحقيقه، وتفتيشه وأدب درسه استفادتهم من سيرته وخلقه وأدب نفسه، وليهدى فى المشكلات من يستهديه، وليظهر للناس ذلك الكنز العظيم الذى أثرت به العربيـة . والكنز المعنى هو (الشاهنامه) . قال ضياء الدين بن الأثير : (كما فعل الفردوسى فى نظم الكتاب المعروف بشاه نامه وهو ستون ألف بيت من الشعر يشتمل على تاريخ الفرس ؛ وهو قرآن القوم ، وقد أجمع فصحاؤهم على أن ليس فى لغتهم أفصح منه)

إن الذى عند الدكتور عبد الوهاب عزام — قلت أو الدكتور موهوب عزام — هو موهبة ، الله واهبها ، والله (الوهاب) وهو فى الفضل والعلم من أولى (العزم) »

قال : انتهت القصة

(الاسكندرية) (***)

حـــــواء

ديوان شعر طريف فى الغزل العرفانى من نظم الأستاذ الحومانى تحت الطبع ، تحمل الرسالة منه إلى قرائها عدة نماذج قبل صدوره

اباعثتي

تَلَفتُّ أسأل ماضيَّ عما وعيتُ فألفيتُه لا يعى

وأيقنتُ أنَّ ربيع الشباب تولىَّ ولم يكُ قلبي معى

كأنَّ أناشيده قبلما خلقتكِ لم تجرِ فى مسمعى

ولا فتق الصبح أكمامها عن الحب ريان من أدمعي

أباعثتى قبلَ الأربعين جديدَ الصبا قلقَ المضجع

مشت بيَ أيامُكِ القهقرى من الأربعين إلى الأربع

فأبصرتُ والشمس عند المغيـب ، تباشيرَها قبلَ المطلع

وأنضرَ فودىَّ من ناظريكِ شبابٌ تدفق فى أضلعى

رأيتك ...

يراكِ بعينيه مَن لا يرا كِ فى ظلمة اليأس فجرَ الأمل

يراكِ بنفسجة فى الحضيض وزنبقة فى سماء الجبل

يراكِ ندي فى جيوب النسيم وبدراً تنقل حتى اكتمل

فيازهرة فى رياض الربيع وبدراً تكبّد قلب الحمل

حنانيك والزهر يجنى عليه

ضحى الصيف والبدر يغشى الطفَل

رأيتكِ والعينُ لمَّا تسَعْـكِ أحجيَّة فى ضمير الأزل

رأيتُكِ ، والعينُ ملء الفؤا دِ ، ملء النهى عُقداً لا تُحل

رأيتكِ أنشودةَ العبقري وأضحيّة فى فؤاد البطل

رأيتكِ بين يديْ ناظريَّ فـا أتلقاه غضّ القُبَل

فماً وشّعَتْ بسماتُ الخلود حواشيه باللثم حتى اشتمل

الحومانى

جورجيـــــاس
او البيان
لافلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ٢ —

« تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف لأنها أجل محاوراته وأكملها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة »

« رينوفيير »

الأشخاص والمحاورة

بينت لك فى المقال السابق أهمية هذه المحاورة وموضوعها. وأقدم إليك اليوم أشخاصها، ثم أبدأ فى ترجمتها وفى التعليق على ما يحتاج منها إلى تعليق:

١ — الأشخاص

أولهم: « سقراط » Socrate، وهو بطل المحاورة كما قلنا. وسنرى إفلاطون متقمصاً إياه ومعلناً تلك الأفكار السامية المتعلقة بطبيعة « البيان » و « الأخلاق ». وسنرمز له فى الهامش بالحرف « ط »

وثانيهم: « جورجياس » Gorgias وهو السفسطائى ومعلم البيان الذى يتخذ منه سقراط محوراً يدور حوله ويمطره وابلاً من أسئلته البارعة ليثبت له أن فلسفته قائمة على المغالطة والجهل والغرور والكبرياء. وسنرمز له بالحرف « ج »

وثالثهم: « شيروفون » Chérephon وهو صديق « سقراط » وتلميذه. وسنرمز له بالحرف « ش »

ورابعهم: « بولس » Polus وهو تلميذ « جورجياس » وصفيه، وسنرى أن « جورجياس » يتخذ منه محامياً يذود عن أفكاره أمام هجمات سقراط. وسنرمز له بالحرف « ب »

وخامسهم: « كاليكليس » Galliclès وهو من أهل « أثينا ». ويتخذ إفلاطون منه ومن تلميذى سقراط وجورجياس الآنفين همزة وصل لإحكام الحوار. وسنرمز له بالحرف « ك »

٢ — المحاورة

وتبدأ المحاورة فى منزل « كاليكليس » حيث يصل « سقراط » متأخراً وكان يريد أن يستمع إلى حديث جورجياس السفسطائى فيقابله صاحب المنزل بقوله:

ك — أو هكذا تجيء « بعد المركة » كما يقولون ياسقراط!؟

ط — وهل تأخرنا كثيراً عن « العيد » كما يقال؟[1]

ك — نعم. ولقد جئتم بعد عيد كامل البهجة والظرف!. إذ الحق أن « جورجياس » كان يسمعنا منذ لحظة أشياء جميلة لا حصر لها!

ط — إن شيروفون — الموجود بيننا الآن — هو المسئول عن ذلك التأخير يا كاليكليس لأنه أرغمنا على الوقوف فى الطريق

ش — ليس من ضير ياسقراط لأنى سأصلح الأمر على أية حال. إن جورجياس صديق، ولذلك سيكرر الآن إذا ما أردت نفس ما قد قال، أو هو سيرجئ الحديث إلى فرصة أخرى إذا فضلت

ك — ماذا يا شيروفون؟ أو بسقراط فضول لأن يسمع جورجياس؟

ش — لقد جئنا نقصد ذلك

ك — حسن! هيا متى إذاً فهو يقيم هنا. وسيبسط لكم الموضوع.

ط — شكراً يا كاليكليس. ولكن أتراه يقبل التحدث معنا؟ إنى لأريد أن أعرف منه معرفة تامة خواص الفن الذى يمتهنه، وماذا يعد به وماذا يعلمه للناس، أما ما عدا ذلك فسوف يحدثنا عنه كما تقول فى فرصة أخرى

ك — ليس أجدى من أن تسأله هو نفسه ياسقراط لأن هذه الناحية ليست بالدقة إلا جزءاً من الشرح الذى سيقدمه

— ليس أجمل من هذا. فعليك إذاً أن تسأله يا شيروفون!

ش — وماذا أطلب منه؟

ط — أى شيء هو!

(١) التهكم هنا ظاهر « المعرب »

ش — ماذا تريد أن تقول ؟

ط — ألا تفهمنى ؟ إذا كانت مهنته — مثلاً — صناعة الأحذية فسيجيبك بأنه صانع أحذية !

ش — لقد فهمت وسأسأله قائلا : أخبرني يا جورجياس ! أصحيح ما يقول كاليكليس من أنك تعد نفسك للاجابة على كل الأسئلة التى يستطيع أن يقدمها لك الانسان ؟ (١)

(يتقدم جورجياس)

ج — نعم يا شيروفون ، فهو نفس ما قد أعلنت منذ لحظة وأضيف إليه الآن أننى لم أتلق من أحد منذ سنين كثيرة سؤالاً واحداً يعتبر جديداً على مثلى !

ش — وإذا فيجب أن تكون إجابتك ياجورجياس متناهية السهولة والسرعة !

ج — ليس عليك ياشيرفون إلا أن تجرب !

ب — نعم . ولكن سلنى أنا إذا أردت ياشيروفون لأنه يبدو لى أن جورجياس خائر القوى بعد إذ تحدث فى أشياء كثيرة .

ش — ماذا يابولس ؟ أتملق نفسك بادعائك أنك تستطيع أن تجيب بأحسن مما يجيب جورجياس ؟

ب — وماذا يهمك إذا كنت سأجيبك إجابة تكفيك ؟

ش — طبعا هذا لا يهم فأجب ما دمت تريد !

ب — سل

ش — ذلك ماسأفعل . إذا كان جورجياس ماهراً فى نفس الفن الذى يحذقه أخوه هيروديكوس Hérodicus فأى الأسماء يصلح لأن نطلقه عليه إطلاقا صحيحا ؟ أليس هو نفس الاسم الذي نطلقه على هيروديكوس ؟

ب — من غير شك !

ش — وإذا أنكون محقين إذا أسميناه طبيبا ؟

ب — بلا ريب .

ش — وإذا كان منهمكا فى نفس الفن الذى يشتغل به ايستوفون بن أجلاوفون أوفى فن أخيه فأى الأسماء نطلقها عليه؟

ب — واضح أنه اسم « المصور » .

ش — حسن . ولكن فى أى فن قد صار جورجياس عالما، وأى اسم يصلح له فنطلقه عليه ؟

ب — للناس ياشيرفون فنون كثيرة، والانسان مدين فى كشفها للتجربة (١) لأن التجارب هى التى تجعل حياتنا متمشية مع قواعد الفن ، بينا عدمها يجعلها تسير مع الصدفة العمياء . والناس يختلفون فيما بينهم ، فالبعض ينهمك فى ذلك الفن ، والبعض ينهمك فى فن آخر ، ولكن أفضل الفنون هى ما كانت نصيب أفضل الناس كجورجياس لأن الفن الذي يشتغل به أفضل الفنون جميعاً !!

ط — يلوح لى حقا يابولوس أن جورجياس قد مهر جداً فى الخطابة لأنه (٢) لايواصل الحديث الذى وجهه إلى شيروفون!!

ج — وكيف هذا ياسقراط ؟

ط — يبدو لى أنه لا يجيب عما يسأله الناس !

ج — سله بنفسك، إذا لتجدنه مستعدا!

ط — إذا كان يسرك أن تجيب ، فانى أسائلك بسرور وأعظم إذ يلوح لى أن ما يقوله بولوس يدل على أنه قد حذق فن «البلاغة» أكثر من حذقه فن المناقشة والاقناع !

ب — وماذا يحملك على هذا القول يا سقراط ؟

ط — ذلك لأنك — وقد سألك شيروفون عن الفن الذى مهر فيه جورجياس — رحت تمدح هذا الفن دون أن تخبرنا عن ماهيته كأن هناك من يحتقره ويحط من شأنه !! (٣)

ب — ألم أقل إنه أفضل الفنون جميعاً ؟

ط — ليكن كما تريد ! ولكن أحداً لم يسألك عن صفة هذا الفن و كيفيته . لقد سألناك فقط عن ماهيته ، وعن أي اسم يجب أن نطلقه على جورجياس ، ولقد ذكَّرك شيروفون على الطريق بالأمثلة ، فأجبته فى البدأ إجابة حسنة قليلة الكلمات .

(١) هنا يظهر جورجياس على المسرح ويبدأ القسم الأول من ذلك الحوار الطريف الذى يلجىء فيه سقراط جورجياس « أستاذ البيان » إلى التناقض المضحك بفضل أسئلته البارعة ، مما يجعل الرجل يخفى انكشاف علمه الأجوف أمام فيلسوف رث الملبس وحافى القدمين كسقراط ، فيحيل الرد إلى تلميذه المخدوع « بولوس » « العرب »

(١) يلاحظ هنا طريقة السفسطة فى الاجابة . إنه أبدا يلف ويدور ويبدأ حديثه بمقدمات خلابة توهم أنه علامة بينا هو خاوى الوفاض

(٢) يحاول سقراط هنا أن يجذب السفسطائى إلى الكلام بسخريته اللاذعة.

(٣) وهكذا كثيراً ما يكون العلم مجرد ألفاظ لا يدرك عقل صاحبها من معناها شيئا «العرب»

فقل لنا كذلك : أي الفنون يمارس جورجياس ؟ وأى الأسماء يصلح له ؟؟ أو — بالأحرى — قل لنا أنت يا جورجياس : أى الأسماء يجب أن نسميك به ؟ وبأى الفنون تشتغل ؟[1]

ج — بالبيان يا سقراط !

ط — إذاً يجب أن نسميك معلم بيان ؟

ج — نعم ، ومن المعلمين المجيدين يا سقراط ، إذا ما شئت أن تسميني بما أفخر به ، على حد تعبير هوميروس !

ط — ليكن ما تريد !

ج — حسن — سمنى إذاً هكذا !

ط — أتقول إنك قادر على تعليم هذا الفن للغير ؟

ج — هذا ما أمتهنه هنا وفى كل مكان !

ط — وهل تريد يا جورجياس أن تستمر آناً مسئولاً وآناً مجيباً كما نفعل الآن ، مرجئاً هذه الخطب الطويلة — كتلك التى بدأ بولوس بإحداها — إلى وقت آخر ؟ إن يكن نخذ فيما وعدتنا به ، واجعل إجابتك على كل سؤال قصيرة

ج — هناك يا سقراط من الإجابات ما يحتاج بالضرورة إلى سعة وبسط ، ولكني سأحاول مع ذلك أن أجيب بكل اختصار لأن من بين الأشياء التى تعجبنى من نفسى أنه لا يوجد من ينطق بنفس الاجابة فى أقل تعبير كما أفعل[2]

ط — هذا ما يجب هنا يا جورجياس . فأرنى إذا ذلك الاختصار الفريد ولنترك الأقوال المطولة إلى فرصة أخرى

ج — سأسرك . وسترى أنك لم تسمع شخصاً يشرح بأخصر من قولى ؟

« يتبع » محمد حسن ظاظا

(١) يلاحظ أن جورجياس يهرب من الاجابة ويصمت عند أول فرصة تتاح لتلميذه بولوس . ولكن سقراط له بالمرصاد

(٢) أحسب غرور السفسطائى هنا واضحاً « المعرب »

بين مذهبين

للأستاذ محمد سعيد العريان

« لقد مات الرافعى — رحمه الله — فانقطع بموته ما كان بينه وبين خصومه من عداوات . وما أريد أن أوقظ فتنة نائمة يتناولنى لهيبها أولَ ما يتناول ؛ فما لى طاقة على حمل العداوة ، ولا اصطبار على عنت الخصومة ، ولا احتمال على مشقة الجدال ؛ وإنما هو تاريخ إنسانٍ له على العربية حق جحده الجاحدون فنهضت للوفاء به ؛ فإن كنت أكتب عن أحد من خصومه أو أصحابه بما يؤلم أو يسئ ، فما ذلك أردت ، ولا إليه قصدت ، ولا به رضيت ؛ ولكنها أمانة أحملها كارهاً ، وأضطلع بعبئها مضطراً ، لأؤديها إلى أهلها كما تأدَّت إلىّ . وإنى لأعلم أنى بما أكتب من هذا التاريخ أضع نفسى بالموضع الذى أكره ، وأتعرض بها لما لا أتوقع ؛ ولكن حسبي خلوص النية ، وبراءة الصدر ، وشرف القصد ؛ ولا علىّ بعد ذلك مما يكتب فلان ، ولا مما يتوعد به فلان ؛ فإن كان أحد يريد أن يصل بى ما كان بينه وبين الرافعي من عداوة فانقطعت ، أو يربط بى رابطة كانت بينه وبين فلان فانفصمت ، أو يتخذ من الاعتراض علىّ زلفى إلى صديق يلتمس ودّه ، أو يجعل مما يكون بينى وبينه سبيلاً إلى غرض يرجو النفاذ إليه ، أو وسيلة إلى هوى يسعى إليه — إن كان أحد يريد ذلك فليمضِ على إرادته ، وإن لى نهجى الذى رسمْت ؛ فلتفترق بنا الطريق أو تلتقِ على سواء ، فليس هذا أو ذاك بمانعى من المضىّ فى سبيلى ومن الله التوفيق !

« وهذه خصومة أخرى من خصومات الرافعى ، ومعركة جديدة من معاركه ؛ وإني لأشعر حين أعرض لنبش الماضى فأذكر ما كان بين الرافعي والعقاد ، أنى كمن يدخل بين صديقين كان بينهما فى سالف العمر شحناء ثم مسحت على قلبيهما الأيام فتصافيا ، فانه ليذكّر بما لا ينبغى أن يُذكر ، والموت يحسم أسباب الخلاف بين كرام الناس ؛ فاذا كان بين الرافعى والعقاد عداوة فى سالف الأيام فقد انقطعت أسبابها ودواعيها ، فان بينهما اليوم لبرزخاً لا تجتازه الأرواح إلى أخراها إلا بعد أن تترك

شهواتها وأحقادها وعواطفها البشرية . فهنا ناموس وهناك ناموس ، ولكل عالم قوانينه وشريعته ؛ فما تخلص ضوضاء الحياة إلى آذان من فى القبر ، ولا ينتهى إلى الأحياء من عواطف الموتى إلا ما خلفوا من الآثار فى دنياهم ... هنا رجل من الأحياء وهناك رجل فى التاريخ ، وشتان ما هنا وهناك ؛ فما أتحدث اليوم عن خصومة قائمة ، ولكنى أتحدث عن ماض بعيد . والرافعى الذى يحيا بذكراه اليوم بيننا غير الرافعى الذى كان ؛ فما ينبغى أن تجدد ذكراه ماضى البغضاء . وهذا عذري فيما أذكر من الحديث ... »

***

... ذلك قول قلته منذ بضعة أشهر وقدمتُ به للحديث عما كان بين الرافعى والعقاد ؛ وكأنما أتىَ إليَّ من وراء الغيب أن كاتباً مثل الأستاذ سيد قطب سيحشر نفسه فيما لا يعنيه وما لا يصلح له ، وما لا يُحسن أن يقول فيه ، ليحاول أن يحمل التاريخ غير ما كان ، مظاهرة لصديق ، أو انتصاراً بالباطل ...

ولقد كنت أكرم (صديق) أن يكون هو الذى يحاول هذا العبث إسرافاً فى حسن الظن بفهمه وأدبه وسمو نفسه ، ثم كان ما لم أكن أتوقع ...

وإنى لأشعر الساعة — وقد خرجت من الصمت الذى فرضته على نفسى شهرين رعاية لحق الصديق وإبقاء عليه — بشيء من الألم يحزنى فى صدرى ويجعل القلم يضطرب بين أناملى ؛ فما سهلٌ على مثلى أن ينسلخ عن ماضيه وينكر صاحبه ليقول على ملأ من الناس : « يا هذا ، لستُ منك ولست منى ... ! » ولكن سيد قطب قد قالها فما بدٌّ لقائل أن يقول ...

لقد كان بين الرافعى والعقاد عداوة وشحناء سارت مسير المثل بين أدباء الجيل ، فهل كان من الحتم تبعاً لذلك أن يكون سعيد العريان وسيد قطب عدوين ، لأن أولهما يؤرخ للرافعى والثانى يجرى فى غبار العقاد ... ؟

ولكن سيد قطب يرشح نفسه ليكون فى غد شيئاً له فى الأدب خطر ومقدار ، وما يرى نفسه بالغاً هذه المنزلة إلا أن يجرى على نهج صاحبه ويتأثر خطاه ؛ فكان أول سعيه إلى غايته أنه احتقب كنانته وخرج إلى الطريق يرمى الناس باليمين وبالشمال لا يعنيه أين يصيب ولا من يصيب ولو كان أحرص الناس عليه

وأرأفهم به ...! وكان إلى سعيد العريان أول ما راش من سهامه يا صديقى الذى كان ... لقد أخطأت الهدف المؤمَّل ... !

***

ما بى فى هذا المقال أن أتحدث عن الرافعى ولا عن العقاد ، ولكنْ مذهبين سماهما سيد قطب أريد أن أضرب لهما مثلين : أما أحدهما فقول سعيد العريان يعتب على صاحبه : « ... فإن كان هذا هو كل عذر الأستاذ سيد قطب من تمزيق أكفان الموتى بأظفاره فقد بلَغَ وأبلغ ... »

وأما ثانيهما فهو قول الأستاذ قطب نفسه يردّ على عتاب صاحبه : « ... إن سيد قطب ليس هو الذى يمزق الأكفان بالأظفار ، والذى يمزّق بظفره « مخلوق آخر » ، أكرم آدابى وآداب الناس أن أقول : إن الأستاذ (العريان) أو أحد زملائه من « فصيلته » ! خشية أن تتدهْور خطوة أو خطوتين بعدها فيصبح من النقاش الأدبى المعترف به أن يقول الواحد للآخر : « يا ابن الـ ... » ، ويكون هذا من أساليب النقاد ! »

تُرَى هل عرف القراء فرق ما بين المذهبين ؟

نعم ، ولكن لا بأس من زيادة البيان والايضاح ، فقد يكون فى القراء طائفة من أمثال الأستاذ سيد قطب ، لا يقنعون بغير ما هو صريح الدلالة فى موضعه وإن كانوا مثله (إخصائيين) فى اللغة وفى أساليب البيان ...

لقد ظل المرحوم الرافعى دائباً فى تجديد الآداب العربية سبعاً وثلاثين سنة ، يتردد اسمه فى المحافل والنوادى ومجامع الأدب ، فليس بين قراء العربية أحد لا يعرفه ، وسيد قطب واحد من قرائها الاخصائيين فى اللغة كما قد يعرف القراء ، ولكنه مع ذلك لم يشرع قلمه ليجرِّد الرافعى من « النفس » ومن « الانسانية » ومن « العقيدة » وليزيِّف أدبه ويكشف عيبه إلا حين غيَّبه التراب وآن أوان ذكراه . فهل يكون ذلك شيئاً غير تمزيق أكفان الموتى بأظفار ... ؟

ليس الأستاذ سيد قطب — ولا شك — كلباً ، ولا ذئباً ، ولا ثعلباً ، ولا شيئاً من ذوات الظفر والناب ؛ ولكنه مع ذلك — عندنا — يمزق أكفان الموتى بأظفار . . .

هذه هى عربيتنا نحن أنصار المذهب القديم ، فبأىّ عربية

فهمها الأديب الناقد المجدّد الإخصائي في اللغة وفي أساليب البيان الأستاذ سيد قطب ؟ . . . لقد فهم أننا نجرّده من إنسانيته وأننا نعني أنه . . . أنه . . . أنه ذو ظفر وناب . . . !

وأساء الظن بآدابنا وبنفسه . . . وردّ شتيمة بشتيمة ، وزاد في الردّ عبارة يريد أن يجعلها من أساليب النقّاد . . . وعفا الله عنه ؛ فما يملك أحدٌ يناله سيد قطب بالإساءة إلا أن يعفو عنه . . . !

. . . معذرة !

لقد فاتني أن أنوّه بفضيلة من فضائل سيد قطب تتصل بهذين المثَلين ، وإنها لبسبيل من مذهبه في أدب « النفس » وأدب « الطبع » ، وإنها لتكشف عن أسلوب من أسلوبه . . . إن سيد قطب لم يشتم ، ولم يقل شيئاً يستحق العفو أو المؤاخذة . إنه يقول فيما يرد : « . . . إنني أكرم آدابي وآداب الناس أن أقول . . . » أتراه قال شيئاً ؟ لا ، إنه ليُكرم آدابه وآداب الناس أن يقول ؟ فمِن التجنّي عليه أن نزعم أنه قال . . . أيعرف سيد قطب شبيهاً بهذا الأسلوب فيما يتحدث الناس ؟ . . . أما أنا فأعرف : أعرف (مجدّدين) غيره من الصماليك والسوقة يهمّ أحدهم أن يشتم خصمه فيقول له ما ترجمته في مثل لغة الأستاذ قطب : « إنني أكرم آدابي أن أقول . . . » ويكون بذلك عند العصبة المتجمهرين حولهما مؤدّباً كريماً عفيف اللسان لأنه لم يقل شيئاً ، ويكون بذلك مجدّداً في أسلوب الشتم وإن لم يعترف سيد قطب بأن مثله من المدرسة الجديدة . . .

. . . ويبقى بعد ذلك قول الله تعالى : « أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً ؟ » فيكون معناه على هذا القياس في مذهب الأستاذ قطب : « من منكم تهفو نفسه إلى أكلة شهية فيها مسلوق وقديد ومشويٌّ من لحم بني آدم ؟ » ويكون جواب هذا الاستفهام صوت « إنسان » يقول : « أنا . . . ! » فيمسخه الله كلباً أو ذئباً أو ثعلباً أو شيئاً من ذوات الظفر والناب . . .

أليس هـذا هو مدلول هذا الاستفهام عند من لا يؤمن بالكناية والاستعارة والمجاز في أساليب البيان ؟ والله أعلم بمراده . . !

* * *

أراني أطلت في شرح هذا المثال قبل أن أخلص إلى ما أريد ، وما تثبت القاعدة بمثال واحد ؛ فهذا مثال آخر : يقول سعيد العريان في وصف المرحوم الرافعي حين يهم أن يجمع خواطره لموضوعه قبل أن يكتبه : « .. فكان يرسل عينيه وراء كل منظر ، ويمد أذنه وراء كل حديث ، ويرسل فكره وراء كل حادثة ، ويُلقي باله إلى كل محاورة ... »

فيقول سيد قطب : « ... إن المرحوم الرافعي لم يكن يمد أذنه وراء كل حديث كما يعرف من يعرفه ؛ ولم تكن هذه الحاسة من أدواته في التنبه والتأمل ، فكان من (الصدق) ألا تذكر دون أن يغيره هذا أو يعيبه ، إذ كان هذا مما لا يعاب ... »

فالأستاذ الأديب الناقد سيد قطب الاخصائي في اللغة ، لا يفهم من كلمة « يمد أذنه وراء كل حديث » إلا معنى السماع بالأذن ؛ وإذا كان الرافعي معطّل الأذن لا يسمع فإن هذا التعبير ليس من الصدق في الرواية . وذلك هو المذهب الجديد ...

... ويبقى بعد ذلك قول الله تعالى : « يد الله فوق أيديهم » فتكون دلالته عنده على معنى من معنيين : أن لله يداً ، أو أن ذلك ليس من (الصدق) في تعبير القرآن ... وأستغفر الله العظيم .. !

وقال لي قائل من صحابتي : « إنك لتتعسف في هذا التفسير وفي تطبيقه على المذهب (الجديد) ؛ وإنك « لمعذور في هذا الجهل لأنك لم تختلط بالعقاد أولا ، ولأن نفسك لم تتفتح لأدب العقاد فتفهمه ثانيا ... ! » إن سيد قطب ليس من الجهل بحيث لا يفهم : « يمد أذنه وراء كل حديث » على وجهها ؛ ولكنه يعيب عليك في التعبير أن تُعنَى بما سماه « استيفاء الأشكال » وتغض النظر في سبيل ذلك عن (الصدق) في العبارة ... »

قلت لصاحبي : « لست أفهم ما يعنيه بقوله « استيفاء الأشكال » فما يكون الاصطلاح الجديد ؟ »

قال : « وأنت معذور في هـذا أيضاً ، لأنك لا تستطيع أن « تماشي الأستاذ قطب في سموقه » الفكري وفي مبتكراته العلمية التي أثمرتها دراساته الشاملة لكل ما نُقل إلى العربية من الآداب الإفرنجية ومن المباحث النفسية الحديثة ونظريات العقل الباطن والتحليل النفسي والسلكية ، ومن المباحث الاجتماعية والمذاهب القديمة والحديثة ومن مباحث علم الأحياء ونظرية دارون ومباحث الضوء وتجارب الكيمياء ونظرية اينشتين والنسبية وتحطيم الذرة ووظائف الأعضاء و و و و »

قلت : « حسبك ! إنما أريد أن أعرف معنى « استيفاء الأشكال » وما يقصد بها ! »

قال : « ألا تعرف في « البديع » شيئا يسمونه ... ؟ »

قلت : « يسمونه ماذا ؟ »

قال : « أنظرنى حتى أسأل سيد قطب فقد نسيت ... ! »

وحسب سيد قطب أنه جاء بجديد حين جاء بما سماه « استيفاء الأشكال » ، ونسى ما سماه به علماء البديع منذ كان ابن المعتز ؛ ثم نسى ثانية فسماه عيباً لأنه سمع العقاد مرة يعيب شاعراً بالتزام محسّنات البديع ...

ولكنه مع ذلك (إخصائى) فى اللغة التى نعبر بها ... !

***

أما بعد فهذا شيء من أشياء تفرق بين مذهبين سماها الأستاذ قطب ؛ وما كان لى أن أعنى بالحديث عنهما إلا لأنبهه إلى وجوب « استيفاء الوسائل » قبل أن ينتدب للنقد ؛ وما كان لى أن أعنى بتنبيهه إلى ذلك لولا علمى بأن ذلك يفيده ويجدى عليه ، ويعينه على فهم ما يكتب أهل الأدب فلا يتورّط فيما تورط من الحديث عن فصائل ذات الظفر والناب فيسيء إلى نفسه وإلى صحابته !

وليس يغنيه عن استيفاء هذه الوسائل أن يدعى ويستطيل ويبالغ فى الإعجاب بنفسه ليكون أديباً وناقداً له مكان ملحوظ ومنزل مرموق

وإنى على ما ساءنى من صديق لأرجو أن يقبل نصحى خالصاً لله فيكف عما هو فيه ؛ فلقد كشف بهذا الذى يكتب عن أشياء فى نفسه لم يكن يعرفها إلا الخاصة من أصحابه . ولقد جلا على القراء كل مايستطيع أن يجلو من ألفاظ « الطرافة والحيوية ، والسموق ، ولفتات الذهن ، والاستغراق » مما يجعل وراء كل بيت فارغ يحاول أن ينثره من شعر العقاد ليثبت له ما ليس فيه ؛ وقد نثر كل ما فى كنانته من ألفاظ « الجمود ، والاستغلاق ، وضيق الفهم » مما يحاول أن يرمى به كل من يعرض له من مناظريه .

فإن سمع أراحنا وأراح نفسه ، وإلا فقد علمتُ وعلم القراء ما يدفعه إلى هذه المحاولات ؛ فما بي حاجة بعدُ إلى مناقشته والرد عليه ؛ ولقد أكرمته من قبل فسكتُّ عنه حفاظاً عليه وحرصاً على مودته ، وإنى لأكرمه وأكرم نفسى من بعدُ بالسكوت عنه حتى يفرغ ؛ لعل فى ذلك شفاء أو وفاء أو قضاء لحاجة نفسه

والسلام عليه

« شبرا » محمد سعيد العريان

بين العقـــــاد والرافعي

١ — صرخة مفزوع

٢ — ابن الرومى حياته من شعره

للأستاذ سيد قطب

— ١٠ —

نحن نعتذر لأخينا صاحب « المصور » وناشر « على السفود » ونحس فى أنفسنا استعداداً للعطف على صرخته فى العدد الماضى من الرسالة !

نحن نعتذر ، فالظاهر أن الضربة التى ووجه بها كانت أعجل مما ينتظر وآلم مما يحتمل ، لأنها خلعت عنه لحيـة الوقار المستعار وشعار العدالة المصطنع ، وقد شاء أن يلوح بهما فى عام ١٩٣٨ فبدا للناس على حقيقته يحلل الأمر عاماً ويحرمه عاماً ، ويدور فى التحليل والتحريم حول الأشخاص فى الوقت الذى يعيب فيه نصرة الأشخاص !

هذه هى المسألة ياصاحب المصور ، ونحن نعذرك فى المهاترة التى أجبتنا بها ، ونعذر أنفسنا إذا وقفنا لحظة على أول درجات السلم فى هذه المهاترة ، لنرتفع بعـدها إلى مستوانا ، ونأخذ فى القضية الأولى التى تهم القراء

ونحن حين نعتذر إليك عن توجيه تلك الضربة ، نعتذر لأنفسنا عن احترامنا لك إلى هـذا الحد الذى أوجب البطر ، ولو استطعنا من أول الأمر أن نهبط إلى المستوي الذى هبطت إليه فى كلمتك الأخيرة لتغير وجه المسألة !

أنت ياسيدى — أولا — لا تفهم الكلام ، ومن هنا كان تفسيرك للجملة التى أقول فيها :

« وأننا من أخلص تلاميذ مدرسة هذا الكاتب لطريقته ، وأشد الناس فهماً لها ، واقتناعاً بها ، ونسجاً على منوالها » .

ففهمت منها أن الذى يقول ذلك يكون « طبعة ثانية » للعقاد وهنا كلام نقوله للناس ، وكلام نقوله لك :

فأما كلمتنا لمن يفهمون فان الاخلاص لطريقة فى الأدب والاقتناع بمذهب خاص ، والنسج على منوال مدرسة معينة ، لا يعنى تقليد شخص معين فقد ينشأ إمام وينشىء له مدرسة ، ويكون لهذه المدرسة تلاميذ ، ثم يكون لكل تلميذ من هؤلاء طابعه الشخصى ومميزاته الذاتية ، ولاسيما إذا كانت هذه المدرسة هى مدرسة العقاد التى تقوم فى أساسها على الدعوة إلى أدب « الشخصية » وتنكر التقليد وتشتط فى إنكاره . فمن يخلص لطريقة هذه المدرسة ، فانما يخلص للاستقلال و « الخصوص » والتفلت من القيود والتقليد

وأما كلمتنا لك ، فنحن نسلم أننا « طبعة ثانية » من العقاد ، فاذا تكون أنت ؟ . إننا نقول لك : كن أنت - إن استطعت - طبعة ثانية من العقاد أو أى فنان سواه ، أو كن — على حد تعبيرك المؤدب — الطبعة التى تتركها فى الرمل قدم العقاد تكن خيراً مما أنت الآن عشرات المرات !

وأنت ياسيدى — ثانيا — لا تحترم نفسك. فلقد كنت تقول يوم نشرت كتاب « على السفود » إنك تريد به « مثالا يحتذيه الذين يريدون أن يحرروا بالنقد عقولهم من عبادة الأشخاص ووثنية الصحافة فى عهدها البائد » . فكانت مسألة نصرة الأشخاص يوم ذاك — على ماتدعى — بعيدة عن غرضك ، بل كنت ممن يقاومونها وينشرون هذه الكتب « الساقطة » لدفعها ثم هاأنت ذا الآن تقول إنك كنت وقتها تناصر شخصاً وأنك تبت مما عملت : « سقت نقدى مساق من لا يبرىء نفسه مما تناول ذلك النقد من رأى أو اتجاه . فلم أخرج ذاتى من مجال النقد الذى سقت ، معترفاً بأن ذلك رجوع إلى الحق ، واطمئنان إلى اتجاه جديد » وتعنى بهذا أنك — إذن — ممن كانوا يناصرون الأشخاص على الأشخاص ، بينما كنت يوماً تبرأ من ذلك .

قلها يامولانا كلمة صريحة أنت وأمثالك ممن لا يجدون فى أنفسهم الشجاعة الكافية لمواجهة من يريدون مواجهته ، فيلفون ويدورون ، ويتخذون طرائق المرأة فى الدفاع والهجوم .

قل : إنه ما دامت الشتائم توجه إلى العقاد فهى حينئذ نصرة مذهب على مذهب ؛ أما حين تكون مدافعة ورد لهذه الشتائم ، فهى — إذن — نصرة أشخاص على أشخاص !

وقل يامولانا : إنك تحقد على العقاد حقداً ادفينا لا سبب له — إذ ليس بينكما منافسة على أدب ولا موهبة فنية — وأنك لهذا ترحب بشتائم الرافعى له وتطبعها وتروج لها وتسميها علوا عن الشخصيات . وأما حين يقوم « أديب » مثل «سيدقطب» ليكشف عن شنعة هذه الشتائم ، وليشرح بعض نواحى أدب العقاد بالقدر الذى تتسع له مجلة ، فانك تتألم وتثور حفيظتك فتسمى هذا الشرح وذلك الرد مناصرة للشخصيات ؟

قلها يامولانا واسترح . أراحك الله

قلها ولا تخش « صديقك » العقاد كما عبرت عن العلاقة بينكما قبل العدد الأخير ، وأنت تتخاذل وتتضاءل وتدخل بعضك فى بعضك ، وتدعى صداقة الرجل الذى ثلبته وشتمته ، ومهدت لشتمه بأحقر الوسائل .

قلها . ورزقك على الله !!!

أما سيد قطب . فسمه أديبا . سمه باسمه مجردا . فسيظل هو هو الذى أسقط عنك لحيتك المستعارة ، وأثارك كل هذه الثورة وكشف للناس عن خبيئة نفسك ، وحقيقة آرائك ، ثم هاهو ذا الآن يمتحن رجولتك التى لا تثبت على رأى ، ولا تواجه الخصوم و« الأصدقاء » بما يقابل به الرجال الرجال . أما أنك لم تفهم ما كتبت ، فابن الرومى يقول فى هذا كلاما أحيلك عليه إن كانت لك دراية به !

وقل بعد هذا ما تشاء ، فلن أهبط مرة أخرى ، ولن أجرف « الرسالة » ولا قراءها إلى حيث تابعناك قليلا فى لغة الكلام

* * *

أما كلمتى اليوم عن العقاد ، فمن كتابه « ابن الرومى . حياته من شعره » وإنما اخترت هذا الكتاب بالذات لأمور :

الأول : ما يدعيه خصوم العقاد من أن الصحافة تساعده ، وتشهر مؤلفاته ولا تقبل مقالات النقد التى يكتبها نقاده

والثانى : أن هذا الكتاب مظهر من مظاهر عبقرية العقاد الفنان والناقد . والبصير بالطبائع والفنون

والثالث : أن فيه تصحيحاً لكثير من النظرات الفنية وشرحاً لكثير مما تتحدث عنه من « أدب الطبع »

فاذا كتب فى الصحف عن هذا الكتاب الفريد ؟

إنها بضع كلمات بين ثناء كالاعلان ، أو نقد كالشتائم . وهى في مجموعها لا تساوى ما يكتب عن مؤلف صغير لأديب ناشىء

والحقيقة أن ذلك نصيب كتب العقاد كلها من الصحف ، فاذا استثنينا « وحى الأربعين » والمعركة التى دارت حوله وجدنا ما يشبه التعمد فى إدارات الصحف للسكوت عن كتب العقاد . وقد طالما سمعت أصدقاءه يشكون لأن مقالاتهم عنه دفنت فى مكاتب رؤساء التحرير !

وتلك ضريبة العظمة التى يسددها العقاد !

وإنه لمن المفزع أن يعقد الانسان موازنة بين كتاب ابن الرومى وصداه فى الصحف المصرية ، بين ضخامة الانتاج وضآلة الاستمداد بقوله حتى ليحس أنما ألقى به فى موماة تائهة لاحياة فيهاولا إحساس. لا تستطيع إلاالعبقريةدون سواها من المواهب الانسانية أن تخرج هذا المؤلف على هذا النحو

ولـكى نعرف معنى هذا المقال يجب أن نستعرض « ابن الرومي » قبل هذا الـكتاب وبعده ، ثم نستعرض فهم الأدب والحياة ، وفهم الفنون والطبائع قبل صدوره وبعده

فماذا كان ابن الرومى قبل كتاب العقاد عنه ؟

إنه كان بضعة أخبار متناثرة فى ثنايا بعض كتب الأدب والتاريخ القديمة أغلبها عن طيرته وتشاؤمه ، وأقلها عن حياته ومعاشه . بضعة أخبار ضئيلة هى كما قال عنها الـكاتب العظيم : « ومثلنا فى ذلك كمثل المنقبين فى المحفورات ، إذ يعترون ببعض العظام المهمشة من جسم مدثورفهم يقيسون المفقود على الموجود ، ويصنون بما وجدوه على الضياع ، ولو لم يكن به قوام »

وماذا صار بعد كتاب العقاد ؟

إنه صار إنساناً حياً ، نراه ونأنس به ، وندرك خفايا ضميره وخوالج نفسه ، ونعرف حركاته وسكناته ، ومن ورائها أسبابها وبواعثها ، ولم تعد تخفى علينا ملامحه بين الملامح الـكثيرة

وليس هذا بالشىء القليل ، ولا باليسور لـكل كاتب . ولـكنه ليس الـكسب الوحيد الذى نخرج به ، فقد عرفنا شكل خلقته بمحاسنها وعيوبها ، وعرفنا أخباره وسيرته فى لبابها ، وعشنا معه فى داره ، ورافقناه فى غدواته وروحاته ، وعلمنا أسفاره ورحلاته ، وشاهدنا ما حدث له من خير وشر ، وما لاقاه من نعيم وجحيم

ولم نعرف هذا وذلك وحدهما ، فقد تصورنا فى لمحات سريعة صورة العصر الذي كان يعيش فيه ، بل عشنا فى صميم هذا العصر بضع ساعات ، ولقينا شخصيات هـذا المجتمع ، وفهمنا طباعهم الغالبة ، وسيماهم الظاهرة والباطنة ، وكدنا نكابد ما كانوا يكابدون من تقلب الصروف ، وألاعيب السياسة ، وأعاصير الانقلابات ، وتيارات الدسائس ... إلى آخر ما يعرفه المطلع البصير من مجتمع يعيش فيه فعلا ، ويدرج بين أهله وعشيرته

وما تستطيع غير العبقرية أن تنفخ الحياة فى العظام النخرة بعد أن تكسوها لحماً وتملؤها دما ، وتنفث فيهـا من الخوالج والخواطر ما يفعمها حساً وفكراً . وما تستطيع غير العبقرية أن تنفخ فى ميت العصور روحاً ، وتبعث هوامد السنين حية تتحرك وتعرضها فى الفلك ودورات النجوم من جديد

* * *

ولـكن هذه القدرة الخالقة ، لم تقف عند هـذا الحد ، ولم يكن ابن الرومي ولا حياته ، ولا فنونه ومزاياه ، هى التى أفادت من هذه القدرة حياة ... بل لم يكن هذا إلا أقل مافى الـكتاب من مزاياه

وإنما المزية الـكبرى — فى نظرنا — هى البيان المعجب للفن والحياة والطبائع الانسانية ، وشرح العبقرية الفنية وحدود النظر للأدب نظرة صحيحة ، وتصحيح كثير من الأغلاط الشائعة فى ذلك قديماً وحديثاً . بحيث تصلح فصوله أن تكون ديواناً للنقد البصير الحصيف فى الأدب العربي ، ومقوماً للطبائع والأذهان والافهام ، لمن يجد فى نفسه استعداداً للافادة

اسمعه يتحدث عن « عبادة الحياة » فى أدب ابن الرومي :

« حب الحياة خليقة نادرة ، وإن ظن أنهـا أعم شىء بين الناس وعامة الأحياء ، فليس الحب — سواء حب حياة ، أو حب شىء من أشيائها — سهلا رخيصاً يطمع فيه كل من يريد . فمن الناس من يحب الحياة وكأنه مسوق إلى حبها ، ومنهم من يحبها كأنه مأجور على عمله ، ومنهم من يحبها كأنما يحب شيئاً غريباً عنه ؛ ومنهم من يحبها كما « يحب » الحيوان الأعجم ما هو فيه ؛ ومنهم من يحبها حب العاشق الذى يختار معشوقه ، أو يستوى عنده الحب على القسر والحب على المشيئة ، لأنه يريد ما يقسر عليه

ويأبى أن يفرض للفراق وجودا ، أو يتوقع لهواه تغيرا ، فهو سعيد بأن يحب ، وأن يسمح له بأن يحب ؛ وهو يحب الحياة لأنه حى لا موت فيه ، ولا عمل لكل حاسة فى نفسه إلا أن تحس وتحيا ، وتستجد إحساساً وحياة ، ولا تشبع من الاحساس والحياة . وهكذا كان ابن الرومى يعبد الحياة عبادة لا يبتغى عليها أجراً غير ما يبتغيه خلص العابدين . فكان حياً كله لا مكان فيه للموت إلا الخوف منه والتفكير فيه »

وإنك لتقرأ هذا فتعجب لانتباه العقاد لكل ألوان « حب الحياة » وفهمه لأصحاب هذه الألوان وطبائعهم ، وتعرف أن ذلك وليد إدمان اطلاع وملاحظة للنفوس والآداب ، ولكنك خليق أن تقدر وراء الاطلاع والملاحظة طبيعة فائقة مستعدة للنفاذ فى اطلاعها وملاحظتها ، وفى تقييد ما تلاحظه ، وطريقة تقييده كذلك

وما التفت العقاد إلى هذا كله إلا لأنه فى خلة حب الحياة كابن الرومي ، مع الفرق بين طبيعته الصارمة ، وطبيعة ابن الرومى المتماوجة . نعم هذا سر التفاته للحياة وحبها وطرائق حبهم وطبيعتها . ودواوينه فائضة بدلائل هذا الحب بل العبادة للحياة

ثم يتحدث عن « حب الطبيعة » بمناسبة حب الشاعر القديم لها :

« وصف الطبيعة شعراء كثيرون ، ولم يمنحها الحياة إلا قليلون ؛ أما الذين منحوها حياة تحبها وتحبنا ، ونعطف عليها وتعطف علينا، ونناجيها وتناجينا ، فأقل من هؤلاء القليلين .

وذاك أن الشاعر قد يؤخذ بأحمرها وأبيضها وأصفرها وأخضرها ، ويفتن بما فيها من الزراكش والأفانين ، ثم لا يعدو بذلك أن يمدح شيئا قد يجد مثله فى ألوان الحلى وأصباغ الطنافس ونقوش الجدران . أو نحن نخطو وراء ذلك خطوة فنقول : إنه لا يعدو بذلك أن ينظر إلى دمية فاتنة ، يروقه متماوجه مليح، وقوام ممشوق وحسن مفاض على الجوارح والأوصال ولكنه لا يتطلع منها إلى عطف ، ولا يفتش فيها عن طوية .

وقد يستريح الشاعر إلى الطبيعة لأنها ظل ظليل ، ومهاد وثير، وهواء بليل ، وراحة من عناء البيت وضجة المدينة، فلا يعدو بذلك أن يستريح إليها كما تستريح كل بنية حية إلى الماء والظل والهواء . كذلك تهجع السائمة فى المروج وكذلك تهتف الضفدع فى الليلة القمراء .

وقد يمنحها الشاعر حياة من عنده ، أو من عند الخرافات والأساطير ، فاذا هي حياة بغيضة لا تصلح للتعاطف والمناجاة، ولا يصدر عنها إلا الفزع والاحجام ، ولا تقوم بينه وبينها إلا الحواجز والمداوات .

أما الطبيعة التى تحب وتناجي ، ويتم التعاطف بين الشاعر وبينها عن ثروة غزيرة من الشعر والشعور فهى طبيعة الحور الخافقات فى الهواء، والعرائس السابحات بين الأمواج، والعذارى الراقصات فى عيد الربيع ، والجنيات الهامسات فى رفرفة النسيم ورقرقة الغدير وحنين الصدى وحفيف الأغصان ، أو إن شئت فقل : إنها هي الطبيعة العامرة بما فى البروق والرعود والسموات والأعماق من بطولة وعظمة ونضال جياش بالغضب الظافر والسطوة المجيدة والخطر المثير والشجاعة التى تقدم ولا تحجم وترجو ولا تخاف ، أو إن شئت فقل : إنها هى الطبيعة التى تبث الاغراء في كل شيء حتى ليحذر الملاح لجة البحار مخافة أن تستهويه بنات الماء من وراء زرقة الأمواج ، فيثب إلى أحضانها وكأنما يثب إلى أحضان عروس طال بها عهد الغياب

فعلى هذا النحو تتجلى الطبيعة للعبقرية التى تحبها وتمنحها الحياة فليست هى دمية ولا حلية ، وليست هى مروحة للهواء ولا مجلسا للمنادمة ، ولكنها قلب نابض وحياة شاملة ونفس تخف إليها وتأنس بها ، وذات تساجلها العطف وتجاذبها المودة ، ثم هى عمار لاخواء فيه ، وأسرة لا تبرح منها فى حضرة قريب يناجيك وتناجيه ، ويباطيك الاخلاص وتعاطيه

وقد كان ابن الرومى يحب الطبيعة على هذا النحو ويستروح من محاسنها نفساً تتصبى الناظر إليها وتتبرج له « تبرج الأنثى تصدت للذكر » ويرى وراء هذه الزينة التى تبدو على وجهها عاطفة من عواطف العشق تتعلق بها العفة والشهوة تعلقها بالعاطفة الانسانية الشاعرة »

هكذا يتحدث العقاد عن « حب الطبيعة » بالطاقة التى تحدث بها عن « حب الحياة » وبالشرح الوافى الذى تجده هناك

وليس من المصادفات أن يكون العقاد نفسه من محبي الطبيعة

فهو إن لم يكن على طراز ابن الرومى، فعلى طراز يتفق وإياه فى الأساس، ويختلف حين يكون حب العقاد ممزوجاً بالفلسفة ، والوعى الفنى لما يخالط نفسه من هذا الحب ، وهو في هذا يتفق مع طبيعته ، ويسير مع اتجاهه الخاص فى حياته وتفكيره

ثم اسمعه يتحدث عن « التشخيص والتصوير » فى ابن الرومى : « القريحة المطبوعة على إعطاء الحياة ، مطبوعة كذلك على إعطاء الشخوص ، أو على ملكة التشخيص

ولكننا نحب أن نستثنى هنا ذلك التشخيص الذى تلجئ إليه ضرورة اللغة وتسهيل التعبير ، مع علم المتكلم بما فى كلامه من المجاز والمفارقة ، فقد يتكلم الشاعر أو غير الشاعر عن الشمس بضمير المؤنث وعن القمر بضمير المذكر ، وقد يسند إليهما أفعال الأحياء العاقلة وغير العاقلة ، ولكنه بعد تعبير لفظي ليس وراءه تصور ، وليس وراء التصور — إن كان — أثر من الشعور ، ولاسيما الشعور المتبادل بين طرفين متعاطفين

وإنما المقصود بالتشخيص تلك الملكة الخالصة التى تستمد قدرتها من سعة الشعور حيناً أو من دقة الشعور حيناً آخر . فالشعور الواسع هو الذى يستوعب كل ما فى الأرضين والسموات من الأجسام والمعانى فاذا هى حية كلها لأنها جزء من تلك الحياة المستوعبة الشاملة ؛ والشعور الدقيق هو الذى يتأثر بكل مؤثر ، ويهتز لكل هامسة ولامسة ، فيستبعد جد الاستبعاد أن تؤثر فيه الأشياء ذلك التأثير ، وتوقظه تلك اليقظة ، وهى هامدة جامدة صفر من العاطفة خلو من الارادة . وهذا الشعور الدقيق هو شعور ابن الرومى بكل ما حوله وسبب ما عنده من قدرة الاحياء وقدرة التشخيص : قدرة التشخيص التى هى ملكة مقصودة تكون عند أناس ولا تكون عند آخرين ، وليست قدرة التشخيص التى هى حلية لفظية تلجئنا إليها لوازم التعبير ويوحيها إلينا تداعى الفكر وتسلسل الخواطر »

وعلى هذا النحو البارع يمضى العقاد فى تصوير ملكات ابن الرومى مستطرداً إلى بحث كامل فى الملكات عامة ، يبين صحيحها من زائفها ، ويكشف عن وشائج هذا بذلك مستخلصاً الصحيح من النظرات ، ممحصاً خالصاً

ويمثل هذه البراعة يحلل الأمثلة التى يستعرضها من شعر ابن الرومى ، ويكشف عن نواحى القوة أو الضعف فيها ؛ فاذا الرجل شاخص وراء هذا التحليل ، تطالعك نفسه كالصفحة المبسوطة تحت المجهر الدقيق

* * *

هذه ومضات عن ذلك الكتاب الذي ظن أحد الكتاب عندنا أنه يمنحه أقصى حقوقه حينما قال عنه : « لو تقدم به صاحبه إلى أية جامعة لمنحته الدكتوراه ! »

هه ! الدكتوراه !

ومن يكون الأساتذة الذين يناقشون هذه الرسالة إذن ولمن يمنح « كرسى الأدب » فى أية جامعة من جامعات الدنيا إذ ذاك ؟

« حلوان » سيد قطب

بين الرافعي والعقاد

القـــديم والجديد

نقد وتحليل

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

— ١ —

لعل من أسوأ سيئات عصور الانتقال ظاهرة التمرد التى تغلب على الناشئين فيها ، فقد كان الناس قبل أن يبتلوا بعصر الانتقال هذا يرجعون فيما يختلفون فيه إلى أصول مقررة تستند إلى ما يسلمون به جميعاً من دين ، أو عرف مستمد من دين ، أو إلى أدب عريق تحددت أحكامه وتبينت معاييره ورسخت أصوله على طوال القرون . فلم يكن صغير يخرج على كبير فى تحديد ما ينبغى ، ولم يكن ناشئ يتطاول على أستاذ فيما يعلم أنه ناشئ فيه وأنه حديث العهد به . فكان الصغير إذا خالف فى سلوكه رأى الكبير يخالف وهو يعرف أنه مخطئ ، ولم يكن ناشئ مبتدئ فى الأدب أو غير مبتدئ يخطر بباله — إذا لم يقتنع برأى أستاذه أو من هو فى منزلة أستاذه فى اللغة أو فى الأدب أو فى الدين فى مسألة بدا له فيها رأى خاص — أن يعيب أستاذه أو يثلبه أو يصغره أو يحاول أن يعرضه لسخرية الناس . وكان الكبار إذا اختلفوا يتحاكمون إلى ما أجمعوا على التسليم به من الأحكام والأصول . فلم يكن الخلاف فى المقاييس ولكن فى طريقة القياس ؛ لم يكن فى القواعد ولكن فى التطبيق . فكانوا سرعان ما ينتهى خلافهم إلى اتفاق إن كانوا ممن يبتغون الحق للحق لا للشهوة ، أما الذين تأخذهم العزة بالإثم فلا ينزلون على حكم الحق وإن وضح فأولئك فى كل عصر هم مصدر الشقاق والفراق ، سواء أكان العصر عصر استقرار فى المعايير أم كان فيها عصر اضطراب يشبه الفوضى كعصرنا الذى نعيش فيه

كان الأمر كذلك وكان الناس فى راحة من أجل ذلك . كان يكفى أن يحتج أحد المتناظرين لرأيه بآية كريمة أو حديث شريف أو رواية فى اللغة ثابتة تشهد لأحد الرأيين حتى ينزل صاحب الرأى الآخر على رأى الأول من غير أن يجد فى نفسه غضاضة ، لأنه فى قرارة نفسه يعرف أنه نزل على حكم الآية أو الحديث أو الرواية الصادقة ، وهذه عنده أحكام يجب أن تطاع وأصول يجب أن تتبع ، والغضاضة كانت عنده والهوان فى مخالفة تلك الأحكام والأصول بعد أن وضح له وجه الحق منها ، لا فى مخالفتها نزولا على حكم الهوى والشهوة . وكان الأمر فى ذلك كله مداره الدين وعلمُ المرء أن الله سائله عن الحق لِمَ لَمْ يتبعه وقد وقر فى نفسه ، وعن الباطل كيف اتبعه ولبس به الحق رغم ضميره ورغم قلبه . فكان هذا الوازع الداخلى حاملاً على الحق صارفاً عن الباطل حتى ضعف فى الناس على الأخص بفشو هذا التجديد الذى يستمد كل قوته من جلال الغالب فى نفس المغلوب

ومسألة القديم والجديد عمرها لا يكاد يزيد على ثلاثين عاما أثارها فى الناس نفر تثقفوا ثقافة غربية من غير أن يكون لأكثرهم من الثقافة الاسلامية نصيب مذكور . والغرب والشرق على طرفى نقيض لا يلتقيان كما يقول رديارد كبلنج ، وإن كان من الممكن أن يلتقيا فى العلم الذى هو مفخرة الغرب والذى هو جزء من الاسلام الذى يدين به الشرق . لكن الذين أثاروا مسألة القديم والجديد لم يكونوا يعرفون ، ولعل أنصارهم لا يزالون يجهلون أن العلم الذى ظهر به الغرب هو فى الاسلام جزء من الدين ، وأن المدنية الغربية ليس فيها ما يستحق أن يطلب ويؤخذ إلا ذلك العلم الطبيعى الذى اهتدى إليه الغرب بالعقل والتجربة ، والذى يمثل فطرة الله التى فطر عليها الأشياء . أما فطرة الله التى فطر عليها الناس فتلك يمثلها الاسلام عن يقين . فكأن الغرب والشرق قد اقتسما علم الفطرة : عَلِمها الغرب فى الماديات بالعلم والتجربة ، وعلمها الشرق فى الروحانيات والاجتماعيات بالدين والوحى . فكان الشرق مخطئا حين لا يأخذ بعلم الغرب ، وكان الغرب ضالا حين يخالف الاسلام كما أنزله فاطر الفطرة على محمد عليه الصلاة والسلام . وكان سبيل الكمال لهما معا وللانسانية أن يجتمعا على العلم والدين ، علم الغرب الطبيعي ودين الشرق الاسلامى ، فيجتمع لهما بذلك علم الفطرة ونظامها فى المادة والروح . وكان هذا أيضا هو سبيل التجديد الصحيح لمن يريد أن يكون مجددا مصلحا ، يجدد للشرق شبابه ومجده من غير أن يعرضه لشر ما يهدد الغرب من أخطار . وهذا هو السبيل الذى دعا إليه جمال الدين الأفغانى وسار على أثره

فيه محمد عبده . لكن دعاة التجديد الذين جاءوا بعدهما من لم يكن لهم مثل علمها ولا بصرهما بالاسلام ضلوا سبيل الدعوة وصدّقوا الغرب فى ظنه الذى ظن بالاسلام من أنه كان سبب تأخر الشرق. ولما لم يطيقوا أن يهاجموا الاسلام مواجهة فيدعوا الناس صراحة إلى نبذه ، عمدوا إلى مهاجمته مداورة بدعوة الناس إلى قبول كل ما عليه الغرب إن كانوا يريدون أن يكون لهم ما للغربيين من قوة وحياة . وزعموا للناس أن المدنية الغربية كل لا يتجزأ ، فإما أن تؤخذ كلها أو تترك كلها ، إما أن تؤخذ باجتماعياتها وأدبياتها وعلمياتها وإما ألا يؤخذ منها شيء . فوقع الناس بهم فى مصيبة طامة وفتنة عامة لأن الناس يلمسون قوة الغرب ويريدون أن يكون لهم مثل قوته لينجوا مما هم فيه من رقه واستعباده . فإن كان حقا ما يزعمه لهم دعاة التجديد الغربى من أن لا سبيل إلى ذلك إلا بأخذ المدنية الغربية بحذافيرها فليس لهم فيما يبدو مفر من ذلك ولو كان فى ذلك خروج على الاسلام . ونجحت حركة الالتفات التى قام بها دعاة الغرب ضد سلطان الاسلام فى نفوس من أصغى إليهم من الناس حين ألجأوهم إلى أن يجيزوا أنفسهم ذلك التمييز بين الاسلام وبين القوة والحياة ، من غير أن يتعرض أولئك الدعاة فى سبيل ذلك للخطر الذى كانوا يتعرضون له من غير شك لو أنهم دعوا الناس مباشرة إلى نبذ الاسلام . وأصبح الذين أصابتهم فتنة ذلك التجديد كمن أحاط به العدو لابد له من الموت أو التسليم ، أو كمن وجد نفسه مضطرا إلى الاختيار بين قتل ولده وبين الحياة . ولقد كان سهلا على من وقف هذا الموقف من الناس أن يفك عن نفسه ذلك الحصار ويخرج من ذلك الاضطرار الوهمى لو أنه كان يعرف حقيقة دينه وتاريخه حتى صدر الخلافة الراشدة على الأقل ، لكن أولياء أمور المسلمين عفا الله عنهم وتداركهم بهدايته وتسديده كانوا ولا يزالون يهملون تعريف المسلمين بدينهم ، وتنشىء أبنائهم وبناتهم فى الروح الاسلامى بالتربية الاسلامية . ومن هنا كان المسلمون عوناً لعدوهم على أنفسهم . ومن هنا كان كل ما أصاب أولئك « المجددون » من نجاح ، وما يهدد الاسلام فى بلاده وفى نفوس أهله من خطر . ومن هنا أيضاً هب لدرء هذا الخطر فريق من المجاهدين المحتسبين الذين آتاهم الله فقهاً فى الدين وقوة فى الجنان وبسطة فى البيان ، وفى طليعة هؤلاء كان الرافعى رحمة الله عليه

فالمسألة بين القديم والجديد كما يسمونها ليست مسألة اختيار بين أدب وأدب وطريقة وطريقة ، ولكنها فى صميمها مسألة اختيار بين دين ودين . فالذين يسمون أنفسهم أنصار التجديد يؤمنون بالغرب كله ويريدون أن يحملوا الناس على دينهم هذا ولو خالف الاسلام فى أكثره . والذين يسميهم هؤلاء أنصار القديم يؤمنون بالاسلام كله وبالقرآن كله ويأبون أن يؤمنوا ببعض ويكفروا ببعض ، أو أن يدينوا للغرب مؤمنين به من دون الله . وكل الخلاف بين أنصار « القديم » وأنصار « الجديد » منشؤه هذا ومرده إلى هذا . هؤلاء مثلا يريدون متابعة الغرب في السفور والاختلاط لينعموا بالحب ! كيفما شاءوا ، وأولئك يرون السفور والاختلاط مفسدة أى مفسدة لأن الله وهو أعلم بخلقه نهى عنهما فى الكتاب . هؤلاء يريدون متابعة الغرب فى ألا يتزوج متزوج إلا واحدة ، وأولئك يرون إباحة تعدد الزوجات لأن الله سبحانه أباحه فى الكتاب . هؤلاء يريدون التسوية بين الذكر والأنثى في كل شيء ظناً منهم أن الغرب يسوى بينهما ، وأولئك يرون غير ذلك فيما لم يسوّ الله بينهما فيه فى الكتاب . هؤلاء يرون الاسلام ديناً عربياً أنزل للعرب ولا يلائم إلا العرب، وأولئك يعتقدونه دين الانسانية الكامل أنزل للناس كافة بما يضمن صلاح الناس كافة غير متقيد بزمان ولا متخصص بمكان كما نص الله عليه فى القرآن وكما يتجدد عليه فى كل عصر البرهان

ثم أنصار « الجديد » يضيقون ذرعاً بالقيود الأخلاقية التى قيد الدين بها الناس فيما يعملون وفيما يقولون ، ويريدون أن يتحللوا منها فيزعموا للناس أن هذه الأخلاق وقيودها إن هى إلا عرف وتقاليد ، وإن التقيد بالعرف والتقاليد فى الفن والأدب يعوق الفن ويحول دون رقى الأدب ، فيجب إذن إطلاق الفن وتحرير الأدب من تلك القيود . ومن هنا نشأ خلاف آخر بين الفريقين نقل العراك بينهما من ميدان الاجتماع إلى ميدان الأدب . فأنصار الجديد يدعون إلى الفن العارى والأدب المكشوف ويدّعون للفنان والأديب حرية في القول والفعل لم يأذن الله فيها لانسان، وأنصار قديم الاسلام يدفعونهم عن هذا ويحدون حرية الفنان والأديب بما حد الله به حرية كل

إنسان من قيود الدين والأخلاق وإلا عمت البلية بالأدب وصار شراً ووبالاً على الناس . واتسع الخلاف وتشعب بين الفريقين . يمضى أنصار الجديد الغربي في توهين السد الاسلامي الذي يجدونه قائماً في وجوههم أينما تلفتوا فيزعمون للناس من طرف خفي أن القرآن من صنع عبقري لا من صنيع الله ، وأنه آية فنية لكنه آية فنية إنسانية لامعجزة إلهية ، وإذن فينبغي أن يخضع لما يخضع له كل عمل إنساني من النقد والفحص والبحث العلمي فيما يزعمون، ويهب لدرء هذا الافك المظيم كل كريم نجد من رجال الأدب أو غير رجال الأدب من المسلمين ، ويقاتلونهم على إعجاز القرآن وحرمته وتقديسه ، ويدعونهم إلى خطة إنصاف ليس من إنصاف بعده : إما أن يتركوا القرآن وشأنه لا يتعرضون له بشيء إن كانوا لا يؤمنون به ، وإما أن يذكروه ويدرسوه إذا قدروا على دراسته ، ولكن بنفس روح الاحترام والاحتياط والاجلال الذي يدرس به العلماء الشمس والنجم والبحر وما إليها من الظواهر الكونية الثابتة التي لايد في خلقها للانسان . وهي كما ترى كلمة سواء غاية في الانصاف ، لو كان لدى أنصار الجديد الروح الذي يقضي بقبولها لما كانت هناك تلك المرارة في القتال التي جلبها عدم قبولهم شطر الكلمة الأول ، ولاصطلح الفريقان وتحابا واجتمعا على التجديد الحق في الأدب وغير الأدب لو أن أولئك قبلوا شطر الكلمة الثاني . وإذن لما كان هناك أنصار جديد وأنصار قديم ، ولكن فئة واحدة من المجددين المصلحين الذين يعملون بالحق للحق ضمن دائرتى العلم والدين اللتين يشملهما الاسلام جميعاً

إن من أشد ما يؤسف له أن تفترق قوة أولى القوة في الشرق هكذا فرقتين، إحداهما تهدم والأخرى تدفعها عن الهدم، فيشغل الفريقان جميعاً عن التجديد والبناء ، وعدوهما واقف لهما بالمرصاد . لكن التمنى لا يجدى والواقع هو الواقع . فستستمر المعركة بين أنصار جديد الغرب وأنصار قديم الاسلام كأشد وأحمى ما تكون حتى يقضى الله بينهما بحكمه . ومهما يكن من ذلك فالموقف بين الفريقين هو في صميمه كما صورنا . وعلى أساسه يمكن النقد في غير كبير عناء أن يضع الأمر بينهما في نصابه فيما كان وفيما يجد من خلاف . وسنضرب فيما نستقبل من الكلمات مثلاً لذلك بتبيين وجه الحق فيما احتدم حول أدب الرافعي رحمه الله من جدال

محمد احمد الغمراوى

بين الرافعي والعقاد

على هامش المعركة

للأستاذ محمد رفيق اللبابيدى

سيدى الأستاذ محرر الرسالة

كتب الأخ الصديق الأستاذ الطنطاوى في معرض التعليق على ما يكتبه الأخ الصديق والزميل الأستاذ سيد قطب . وآثر أن يشتد فيما كتب وأن يسرف في سوء الظن فيما يكتبه الأستاذ قطب

وبيني وبين الأستاذين الطنطاوى وقطب من الدالة ما يسمح لي أن أقول كلمة في الموضوع الذي بسطا القول فيه ، ومن حق كزميل للثاني عرفه حق المعرفة أن أرد على أخى الطنطاوى برفق قوله : إنه لا يعرفه وإنه الخ ... فلقد سبق أن عرف الأستاذ الطنطاوى الأستاذ سيد قطب وزامله أيضاً حين كنا ثلاثتنا في فصل واحد وفي سنة واحدة من مدرسة دار العلوم العليا ، على أني لست بسبيل تقرير هذه المعرفة فهي ليست بشيء في الموضوع الذي أريد أن أقول كلمتي فيه

* * *

كنت قبل أن يكتب الأخ الطنطاوى أوشك أن أكتب في موضوع الخلاف بين الأساتذة العريان وشاكر وقطب ، وأنا أعرف رأى الأخ قطب في الرافعي من قبل، وأعرف أنه رأى «غير تقليدي»، فلقد كنت في دار العلوم وكانت حلقة الاخوان تضم قطباً وكنا دائماً على طرفى نقيض ، فجماعة منا مع الرافعي وأخرى عليه، وكان على ما أذكر الأخ قطب لسانها ، فليس حقاً أن يتهم الأستاذ قطب في رأيه هذا، فهو رأي عقيدة — وإن كنا نخالفه فيها كل المخالفة — ثم إن الأخ قطباً من إخواننا النابهين المعروفين في البيئة الأدبية، وليس من العدل أن يجهل هذا الجهل ويرمي بهذا النبز من القول الذي جاء في مقال الأخ الطنطاوى

وإذا كان خطأ مناظرك في الرأى مدعاة للتجهيل والوقوع فيه وفي فضله وفي علمه فلم يبق ثمة مجال للجدل والنقاش

الأديبين، وهنا اتهام صريح للرسالة ومحرر الرسالة في إفساح المجال لمن لا يعبأ بقوله أو رأيه. وأعتقد أن الأخ الطنطاوي على قدري إياه كل التقدير وإعجابي به كل الاعجاب قد تنكب أصول النقاش والنقد في الأدب في الوقت الذي يتهم سواه بهذا الجنوح ...

* * *

بعد هذا نحب أن نلج موضوع النقاش من بابه ولا نثب من النافذة ، فالأستاذ سيد قطب على ما نعتقد ونرى وعلى ما يتسع له علمنا واطلاعنا لم يوفّق بعض التوفيق في رأيه في فقيد الأدب العربي المرحوم الرافعي، كما أنه لم يوفق ولا بعض التوفيق في نفاحه عن الأستاذ الكبير العقاد

وأصوله وقواعده التي اتجه إليها في كتابته في هذه الموازنة على تساعحنا بهذه التسمية ليست أصولَ اللمّ بأدب من وضعهما في كفتي الميزانُ الفني . فلا هو يستطيع أن يقول : إنه قرأ كتب العقاد جميعها — على ما يذهب إليه من وجوب اجتماع أكثر من ثقافة واحدة لفهم ما يكتب أو يقول الأستاذ العقاد — ولا هو يطيق أن يقول أيضاً : إنه قرأ الرافعي قراءة المستوفي المستكمل

والأخ الأستاذ سيد قطب معي في أن ما تناوله من أدب الرافعي غيض من فيض ، ولعله جنح إلى ما يمكن أن يوقع فيه واختاره ليقول فيه قوله الذي قال ، وما يمكن أن يقال في مثل هذا من شعر الرافعي يقال في مثل هذه القصيدة التي أضعها بين يدي القراء من شعر العقاد ، قال الأستاذ من قصيدة يعارض فيها ابن الرومي(١) :

هل يعرف البيضُ أن الحسن جوهرة
لما اشتراه شراء النفس أثمانُ

يقنو نفائسه من لا يسوّمه	وقد يعز على اللآل قنيان
يا جوهراً بت أرعاه على أمم	رعى الشحيح ومالي فيه سلطانُ
ما في يدي منه لا عينٌ ولا أثرٌ	ولي عليه مناليقٌ وأعيانُ
قد نلت ما نلت من حظ به عرضاً	وقد تولى لحظي منه فقدان
إني على الرعي من عينيك مفتقرٌ	ياضوء قلبي فان القلب ميدانُ

وحسبي أن أسأل الأستاذ قطباً رأيه فيها دون أن يكون مني أي تعليق . . .

* * *

بعد هذا فالحق أن الأستاذ العريان كان منصفاً كل الانصاف فيما يؤرخ به حياة الرافعي — رضوان الله عليه — وليس معنى هذا العصمة من كل خطأ ، وأيُّ الكاتبين الكامل ؟ ؟

ومن الحق أن الأستاذ قطباً تقحم الوضوع على الأخ العريان وأراد أن يثير بين أنصار الرافعي وأنصار العقاد، والفريقان كثر، معركة أدبية لعل من الخير لو ثارت على غير هذا اللون من البحث، والجدلُ البعيد عن الأثرة يفتق القرائح، وربما جاء بخير كثير وأفاد منه النشء والبيئة الأدبية ، ولربما كشف عن مواهب كانت مستورة ، وعلم كان خبيئاً ، وفضل لم يكن يعرفه القراء

وقد قرأت ما كتبه الأستاذ قطب في نقده فوجدت ألمعية واستعداداً ذاتياً وقوة وبراعة واتساع أفق ، ولكني لم أجد في تضاعيف هذا كله الحجة التي تقنع أو تمسح ما في نفسي مما قرأت لها من أدب الرافعي وأقرأها إياه الكاتبون في أدب الرافعي والرافعي — أحسن الله للأستاذ الزيات — كان كنزاً مخبوءاً في نثره كشفته الرسالة لقراء العربية عامة بعد أن كان معروفاً عند الخاصة في كتبه وفي نتف من بيانه الذي كان يتناقله الأدباء من هنا وهنالك

وقد يجوز للأستاذ قطب أن ينكر ناحية من نواحي أدب الرافعي وأن يدلل على ذلك بقوة، ولكن لا يجوز في منطق سائغ أن ينكره أديباً على الاطلاق

كما يجوز لي — على صغري وضيق أفقي — أن أنكر شاعرية العقاد إنكاراً أود لو يتسع لي المجال من فسحة هذا العمل الآلي لأبرهن عليه بما يسعفني من حجة أو تدليل ، على أن إنكاري هذا ليس بضائر فضل الأستاذ العقاد وهو في رأيي الكاتب الناثر الجبار في عمق مادته وسعة اطلاعه وغزارة ثقافته

أما أن أثب وثباً منقطع النظير فأنكر العقاد أديباً وأتجاهل رأي الكثرة الكاثرة من قرائه وأصحاب الرأي الحسن فيه فذلك مما لا يقفني موقف المسموع الرأي عند أهل البصر في الأدب

* * *

وقرأت للأخ قطب مقاله الأخير ومحاولته أن يجمل من

(١) ديوان العقاد ص ٤٠

الفروسة العربيـــة

للأستاذ جميل قبعين

— ١ —

محاضرة قيمة ألقاها الميجر كلوب قائد قوة البادية فى شرق الأردن بتاريخ ٢٥ تشرين ثانى سنة ١٩٣٦ فى الجمعية الأسيوية الملكية فى لندن ونشرتها مجلة الجمعية فى عدد يناير سنة ١٩٣٧

تحمل كلة الفروسية معاني مختلفة فى انكلترا وتوقظ فى أذهان الكثيرين منا شعوراً مبهماً وانطباعاً خيالياً عن فرسان بأسلحتهم اللامعة وملابسهم الجميلة الجذابة ، وقد نستعمل هذه الكلمة فى كثير من الأحيان للدلالة على احترام المرأة ، ولكن إذا ما رجعنا إلى الحقيقة وجدنا هذا الاتجاه فى التفكير عن الفروسية سطحيا وخياليا لأن الفروسية نشأت وانتشرت كنظام خاص في الحياة عند بزوغ فجر المدنية . ولكى أوضح ما أقصد باستعمال كلة الفروسية يجب أن أرجع بكم إلى العصور الخالية

قصيدة الأستاذ العقاد فى الجيبون دائرة معارف ثقافية ففيها من كل علم ومن كل فكر ، فهل لو صح هذا كان شعراً . والشعر من الوجدان وإلى الوجدان وماله وهذه اللفتات إلى ما هو عميق متكلف ؟

وهل لو صح هذا الوزن لشعر الشعراء واصطنعنا هذه المقاييس التى يتفضل بها الأستاذ قطب نكون قربنا الشعر من الطبيعة الصادقة والفطرة السليمة و لذوق الذى لا تشوبه شائبة النظريات العلمية القلقة ...

اللهم لا ، ثم لا . وللحديث رجع إن شاء الله

(حيفا — فلسطين) محمد رفيق اللبابيدى

المدرس بمدرسة حيفا الثانوية الأميرية

حاشية : كان الأستاذ الطنطاوى قد التحق فى مدرسة دار العلوم العليا ولبث فيها قرابة الشهرين - على ما أذكر — ثم آثر أن يعود إلى دمشق ولعل الذاكرة خانت الأخ فنسى أن الأستاذ قطباً كان قيد خطوات منه فى حجرة الدرس

عند ما كانت موارد الرزق تنحصر فى الزراعة وتربية المواشى ، و كان الانسان فى انكلترا وأوروبا على العموم يستطيع أن يجمع بين العملين معا لأن جو هذه البلاد الرطب كان يهيئ كثرة الكلأ وخصوبة المرعى ، ولذلك كان بامكان المزارع أن ينصرف إلى أعمال الحرث والحصاد ، وفى نفس الوقت يقتنى المواشى التى ترعى بالقرب من مزرعته لكثرة الأعشاب . ولكن تطبيق هذه الطريقة فى تنظيم العمل كان متعذرا فى القارات الأخرى وعلى الأخص آسيا وافريقيا حيث تقل الأمطار وتعانى مساحات واسعة منها المحل والجفاف لقلة سقوط الأمطار وبطبيعة الحال تقل المراعي وتبعد المسافة بينها — ولذلك كان المزارع الذى لا يتمكن من ترك حقله غير واجد مرعى لأغنامه . وهكذا كان الجمع بين الزراعة والرعى غير ممكن . ولذلك بقى سكان تلك البلاد ألوف السنين منقسمين إلى قسمين متباينين الرعاة والمزارعين أو البدو والحضر ، وهكذا أوجدت طريقتا المعيشة بينهما تباينا في الأخلاق وتباعدا فى المجتمع فتأصل العداء .

قد يستغرب الرجل الانكليزى فى هذه الأيام أن يجد عندما يزور البدو تشابها عظيما بين عاداتهم وبين عادات الفرسان الاوروبيين فى العصر الاقطاعى ، ولهذا ترون أننى استعملت كلة «الفروسية» عنوانا لمحاضرتى .

وقد يكون غريباً أن تعلموا أنه لا توجد كلة فى اللغة العربية للدلالة على الفروسية كنظام خاص مع العلم بأننا نرى البدو يعيشون بروح فرسان القرون الوسطى ، والسبب فى ذلك أنهم لا ينظرون إلى نظام معيشتهم كنظام يمكن درسه بل كحياة طبيعية ولما كانوا لا يعرفون القراءة لم يتمكنوا من درس أنظمة غيرهم من الأمم ، ولهذا لم يجدوا ضرورة لإيجاد اسم خاص لطريقتهم فى الحياة . ولو وصفت الصفات المميزة للفروسية لمزارع أو حضرى من سكان هذه البلاد لأجابك على الفور أنك تتكلم عن حياة البدو . وعليه فإنى أرجو من حضراتكم أن تبعدوا المعنى الخيالي الذى يتصل بكلمتى الفروسية والفرسان لأنى أعنى باستعمال هذه الكلمة عادات البدو أى نظام الحياة اليومى ونظام الحكم الديمقراطى بينهم

حياة البدو والمزارع

يمكننا عند دراسة أخلاق وطباع البدوى والمزارع أن نبدأ بدراسة وجهة نظر كل منهم نحو الحرب . تنحصر كل ثروة المزارع فى مسكنه وحقوله وأشجاره فإذا ماسلم أملاكه إلى عدو يصبح على الفورجائعاً متشرداً ، وهذه النتيجة المنتظرة تجبره على الاستماتة فى الدفاع إذا ماهوجم ، وفي نفس الوقت نرى أن الزراعة عمل مستمر يستوعب كل أوقات الفصول الأربعة بحيث لا يبقى له وقت يقضيه بالسفر والتنقل بحثاً عن المغامرة ، ولذلك نجده يدافع دفاع المستميت دون الاهتمام بقواعد الحرب أو بتطلب المجد الشخصى ، وحالة المزارع هذه تقوده إلى أن ينظر إلى الحرب نظرة الكراهية ، فاذا ماهوجم نرى أن همه الأول أن ينتصر بأسرع ما يمكن بطرق شريفة أو غير شريفة ، وبما أن غرضه الأسمى هو الدفاع لا المجد ، وبمـا أنه يقطن فى القرى نراه يفرض على كل شخص فى المجتمع أن يشترك فى الدفاع لـكى يضمن السلامة والفوز . وهكذا يمكننا حصر نظرة المزارع إلى الحرب فيما يلى :

١ — الدفاع المستميت

٢ — كره المغامرات الحربية

٣ — التصميم على الفوز بطرق مشروعة أو غير مشروعة

٤ — فكرة خدمة المجتمع

أما نظرة البدوى للحرب فهى على العكس تماماً وذلك لأن ثروة البدوى هى الخيل والجمال والغنم وليست من الأملاك الثابتة كالبيوت والحقول والبساتين ، لذلك نراه غير مضطر لمقاتلة عدو قوى إلى الرمق الأخير بل على العكس قد يتمكن من انقاذ كل أمواله بتقهقر منظم سريع . وعلاوة على ذلك فان المواشى شيء مزعج فى الحرب إذ أنهـا قد تتشتت أو تذبح ولو كان صاحبها منتصراً فى الحرب . كل هذه الاعتبارات تشير إلى حقيقة واحدة وهى أن طريقة البدوى فى الدفاع ضـد عدو قوى هى التقهقر السريع وليست الاستماتة فى الدفاع كما يفعل القروي

وهنا لا يسعنى إلا أن أتحول قليلا من البحث عن الحرب إلى السياسة . إن الفلاح يدافع عن بلدته ويقاتل قتال المستميت دونها ولـكنه إذا غلب على أمره خضع واستسلم إلى العدو تمسكا بقطعة أرض يتركها له غالبوه ، وإذا ما سمح له بالبقاء يدفع الضرائب الفادحة صاغراً ويتحمل أنواع الذل والاهانة . أما البدوى فاذا وجد نفسه محاطاً بعدو قوى استكان دون مقاومة وتظاهر بتقديم الخضوع إلى كبير الفريق الغالب حتى إذا ما رأي من عدوه غفلة رحل بسرعة إلى مكان قصى أمين حيث يصبح حراً طليقاً . وهكذا نرى أن البدوي رغم ضعفه فى الدفاع ذو نفسية استقلالية تصبو إلى الحرية وهو أوسع حيلة وأعز نفساً وأعظم كبرياء من القروى

وفى الهجوم أيضا نجـد البون شاسعا بين البدوى والمزارع فان هذا الأخير مرتبط بأرضه وبأعماله المستمرة ، أما البدوى فقليل الشاغل كثير الفراغ وهو بسائق فطرته وطريقة معيشته معتاد ركوب الخيل والجمال وتحمل الأسفار البعيدة الشاقة ولذلك كانت المغامرات الحربية موضوع فخر وتسلية له وكانت الشهرة والمجد مطمعه فى الحياة ، لأن نظرة البدوى إلى الحرب لا تتجه لخدمة المجتمع نراه يتطلب فى حروبه المجد والفخر والقيام بالأعمال العظيمة التى تنيله الشهرة ، فالمجد والشهرة هما غايته من الحرب لا سلامة المجتمع .

إن أساليب الحرب فى نظر البدوى أهم بكثير من النصر وكسب المعركة ، والمجد بالتسابق بأعمال البطولة على أساليب الشرف هدفه الأسمى فى القتال . وقد نشأ عن ذلك أساليب وعادات معقدة ورثنا بعضها فيما نسميه الروح الرياضية . فالبدوى لا يجد من الشرف أن يهاجم رجلا نائما أو أقل منه سلاحا ، وهكذا ظهرت تقاليد أهم صفاتها تطلب المجـــد والشهرة وإثارة روح التقدير والاعجاب فى الآخرين باتباع أساليب الشرف . ولا يجد البدوى غضاضة فى الاعتراف ببطولة العدو إذا كانت أساليب الشرف والاستقامة رائد هذا العـدو فى الحرب . كما أنه ينظر بازدراء للقروى الذى يحارب بقصد النصر دون التمسك بأساليب الشرف .

توجد ناحية غير مستحبة فى طباع البدو الحربية وهى الانانية والحسد ، فالمحاربون البدو يحاربون لاظهار فروسيتهم ورجوليتهم وشجاعتهم الفردية بقدر الامكان ، وقد لا يشمر أحدهم بكراهية

نحو عدو بعيد ولكنه ينفجر حقداً إذا ما نافسه أحد رجال قبيلته بأعمال البطولة وسبقه بالشهرة. قد نرى نحن الأوروبيين أن هذا أمر غير مستحب، ولكن الحقيقة أن هذه الصفة كانت من أهم الصفات الظاهرة لدى النبلاء الأوروبيين فى العصر الاقطاعى ومع أنها صفة غير جذابة ولكنها إحدي صفات الفروسية.

معاملة المرأة

إن الشىء الثانى الذى يميز حياة الفروسية أو حياة البدو هو طريقتهم فى معاملة المرأة، فالمزارع مرتبط بعمله الممل المنهك فلا ينتظر منه أن يشجع زوجته على التجمل والراحة فى البيت بينما هو يقضى ١٢ — ١٣ ساعة يومياً فى أعماله الزراعية، ولذلك تجد أن نساء المزارعين كن دائماً خشنات المظهر لاشتراكهن فى الأعمال الشاقة خارج البيت. ولربما أوجدت حياة المزارع الجافة فيه عقلية خاملة خالية من الجو الخيالى البهيج

ولكن نظرة البدوى إلى المرأة تختلف تماماً عن نظرة المزارع اليها لما ذكرنا فيما سبق من أن البدوى قليل المشاغل وغايته القصوى فى الحياة المجد وإثارة الاعجاب. ومن الطبيعى أن الانسان عند ما يتطلب ميزة خاصة على غيره يتطلب أن تعترف له المرأة بتلك الميزة، وأن إعفاء المرأة البدوية من الأعمال الجسمية الشاقة المنهكة جعلها تحتفظ بنعومتها ورشاقتها، ومن الممكن أن فراغ وقتها أعطاها الفرصة الكافية للتزين والتجمل، ولذلك بقيت جميلة مشتهاة أكثر من زميلتها القروية الخشنة

ينظر القروى إلى المرأة كوسيلة للخدمة والولادة وواسطة للربح. أما البدوى فيرى فيها مخلوقاً يجب العطف عليه والتغنى به ويتخذها البدوي حكماً لتقدير أعماله. ومن المفيد أن نذكر أن المرأة البدوية بالرغم من كونها تعامل معاملة أحسن من زميلتها القروية، فإنها لم تكن مساوية للرجل، وأن التقدير والاعجاب اللذين كانا محيطين بها راجعان إلى اختلافها في التكوين والخلقة عن الرجل — فالرجل كان المحارب والحاكم، والمرأة هى الجمال. إن الفروسية لا تعترف بمساواة الجنسين لأنهما مخلوقان مختلفان والمرأة لم تحاول أن تشارك الرجل فى الحكم يوماً. وفكرة مثل هذه كانت غير مستحسنة من الطرفين

مزايا البدو الأخرى

إن طِلاب المجد وحب الشهرة خلقا فى البدوى مزايا أخرى أهمها الكرم والسخاء. يعتمد البدوى فى حياته على قطعانه، وهى بطبيعة الحال عرضة للسلب والفقدان فى كل لحظة، وهذه الحال قد تجعل الرجل الغنى الوفير الخيرات فى القبيلة يصبح فقيراً معدماً فى اليوم التالى — وفى نفس الوقت قد يسترجع ما فقد بغزوة ثانية موفقة يقوم بها، ولذلك فان البدوى يشبه الأموال بالأوساخ العالقة باليد تأتي اليوم وتذهب غداً. إن حياة التنقل المستمر جعلت من الصعب على البدوى أن يحتفظ بكثير من ضروريات الحياة، كما أن حبه للظهور وتعطشه للمجد كان لهما أثر كبير فى أعماله القريبة من الخيال؛ فهو مستعد دائماً لأن يبذل كل ما يملك أو يمنح بسخاء جميع ما غنمه في غزوة شاقة خطرة لكى يظهر بمظهر شائق. أما القروي فهو بعكس ذلك تماماً لأن حياة الشقاء التى يعيشها واستقراره وتمكنه من التوفير أسباب كافية لجعله مقتراً

إن إحدى النتائج التى أوجدها الكرم هو حسن الضيافة. وإنى لا أجد ضرورة لأن أقول بأن كل بدوى يملك بيتاً مفتوحاً أو بالأصح خيمة مفتوحة للضيوف فى جميع ساعات الليل والنهار، وتكون الخيمة مقسمة إلى قسمين أحدهما للعائلة والآخر للضيوف. ولقد جرت العادة أن يضيف البدوى ضيفه ثلاثة أيام قبل أن يسائله من أين أتى وما هى مهمته

وهذا الكرم يصل إلى الفقراء من القبيلة، إذ أن من عادات البدو ألا يهملوا شيخاً ولا فقيراً، ولا يمكن لإنسان يعيش بين البدو أن يموت جوعاً. وكثيراً ما نرى شيخ القبيلة يوزع بعد عيد أو وليمة اللحم والأرز بنفسه أو يرسله إلى بيوت المسنين والأرامل. ويمكننا تلخيص صفات البدو فيما يلى:

١ — السعى وراء الشهرة فى الحرب بالقيام بأعمال البطولة

والمغامرات الفردية دون الاهتمام بربح المعركة

٢ — تقدير المرأة واحترامها لأنوثتها واتخاذها وسيلة للتسلية والتمجيد وإن كان لا ينظر إليها كمساوية للرجل

٣ — وجود دافع داخلي في البدوى يدفعه إلى القيام بأعمال البطولة والكرم حتى تكون أعماله هذه أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة في أكثر الأحيان

٤ — الكرم وحسن الضيافة الحاتميان ويرجع سببهما أولاً إلى عدم الاطمئنان إلى بقاء الممتلكات بصورة مستمرة، وثانياً إلى حب التفوق والمجد اللذين يسمى البدوى إلى تحقيقهما في الحرب أيضاً

ولكى أشرح هذه الصفات الأربع سأستشهد ببعض قصص تصف لنا الفروسية العربية. والقصص التي من هذا النوع أكثر من أن تحصى. وقد أشاد بذكرها الشعراء وامتلأت بأخبارها كتب الأدب وتغنى بها العشاق والمطربون. ولقد كان هذا شأن التروبادور Troubadour في القرون الوسطى في أوروبا، واسمهم هذا مشتق من فعل طرب العربي. وقد كانوا يتجولون في البلاد مثيرين الحماسة برواية قصص الأبطال والأحاديث الغرامية

وسأقتصر على بعض القصص والحكايات كما أنى سأذكر تجاربي الخاصة

« يتبع » جميل قبعين

ماضى القرويين وحاضرها

للأستاذ عبد الله كنون الحسنى

— ١ —



(جامع القرويين)

كتب الأستاذ على الطنطاوى في العدد (٢٣٦) من «الرسالة» بمناسبة إظلال العيد الألفى للجامع الأزهر يقترح على أبناء جامع القرويين والزيتونة والنجف أن يتحدثوا لقراء «الرسالة» عن شيء من تاريخ هذه المعاهد وما ساهمت به في خدمة الثقافة الاسلامية وفنون المعارف الأخرى، كما سيتحدث أبناء الأزهر في ذلك العيد القريب عن أزهرهم ويقومون بإحياء ذكراه الخالدة المحفوظة في ضمير الزمان ما بقى من يراعى الجيل من بنى الانسان. وذلك لأن كثيراً من الناس يتشوفون إلى معرفة أحوال هذه المعاهد والأطوار التي اجتازتها منذ تأسيسها إلى الآن، وسيبلون عطشهم بالنسبة إلى الأزهر؛ أما بالنسبة إليها فسيبقون أعطش مما كانوا، لأن الذكرى تبعث الذكرى. فلا أقل من أن يحظوا ببلالة من العلم في كلمة أو كلمتين عن تلك الجامعات التي غبرت هي والأزهر مدى أجيال تشع على العالم أنوار العلم والمعرفة وتتدرج بالفكر الانساني في مدارج النمو والارتقاء.

وقد استحسنا اقتراح الأستاذ ولبثنا مدة ننتظر من يستجيب له ويعتمنا بالحديث عن أى جامع كان من تلك الجوامع فما ظفرنا

إلا بالخيبة والملل ، وأخيراً تكلم بعض أفاضل النجف عن جامعه وهو ثالث الثلاثة الأحق ببسط الكلام فيه والتوسع فى الحديث عنه، ولكن ذلك الفاضل اقتضب القول فيه اقتضاباً ووعد بالتبسط مرة أخرى وإنا لوعده لمنتظرون . وقد حبب إلينا لما بقى الميدان خالياً بل رأينا من الواجب أن نتقدم بكلمات عن جامعنا القروى العامر يتعرف بها الجمهور العربى من قراء « الرسالة » عظمة تاريخ ذلك المعهد وما قام به من خدمات جلى للعلم والمعرفة طوق بها المدنية الغربية فى فجر نهضتها بأياد بيضاء :

فأولى الميزات التى تبعث على الفخر والازدهار ، وهى مما اختص به هذا الجامع، أن مؤسسه امرأة ، وامرأة من صميم الشعب ،

جامع القرويين

لا ملكة ولا أميرة . وفى هذا ما يكفى لرد ما يتقوله المتقولون على المرأة المسلمة ويصمونها به من الجهل والتأخر عن مجاراة سنن الحياة ؛ إذ ما عهدنا فى تاريخ أمة من الأمم وفى العصر الحاضر أن يكون مؤسسو الجامعات العلمية العالية من النساء . ولكن الاسلام الذى رفع من شأن المرأة وأعلى من قدرها إلى مالم تبلغه فى أية شريعة أخرى سواء كانت سماوية أو وضعية هو الذى سما بنفس السيدة أم البنين فاطمة بنت محمد الفهرى — إلى هذا المقصد النبيل وبعث فيها الرغبة الملحة إلى بناء جامع القرويين بمالها الحلال الذي ورثته من أبيها وزوجها ، لم تنفق فيه سواه احتياطاً منها وتحرجاً من الشبهة ؛ وذلك عام (٢٤٥) وكانت لم تزل صائمة منذ شرعت فى بنائه إلى أن تم وصلت فيه شكراً لله تعالى الذى وفقها لذلك العمل المبرور

وهذا التاريخ الذى بنى فيه جامع القرويين لا شك أنه أقدم من تاريخ بناء الأزهر الذى كان سنة (٣٥٩) . فقول الأستاذ فريد وجدى فى دائرة المعارف : « إنه أقدم مدرسة فى العالم بعد مدرسة بولونيا بإيطاليا فقد تقدمته بأكثر من أربعة قرون » غير صحيح ، لا بالنسبة للقرويين كما رأيت ، ولا بالسنبة إلى كلية بولونيا المذكورة لأن تأسيسها إنما كان سنة (١١١٩م) أى بعد الأزهر بنحو قرن ونصف . إذ أن مقابل تاريخ بنائه من الميلادى يكون حوالى (٩٧٠) وحينئذ فترتيب هذه الجامعات فى القدم يكون هكذا : القرويين فالأزهر فجامعة بولونيا

ومن المعلوم أن القرويين لأول بنائها لم تكن على ما هى عليه اليوم من السعة والفخامة ، فقد زيد فيها كثير ، وجدد بناؤها مراراً، وأولى الزيادات كانت فى أيام دولة زناتة سنة (٣٠٧) ، ثم فى أيام عبد الرحمن الناصر الأموى خليفة الأندلس الذى دانت له البلاد ردحاً من الزمن . وقع تجديد لبناء القرويين وزيادة أخرى فيه وذلك سنة (٣٤٥) ، ثم كان إصلاح جديد في أيام المنصور ابن أبى عامر حاكم الأندلس وحاجب الخليفة هشام بن الحكم سنة(٣٨٨) . ثم فى دولة لمتونة فى أيام أمير المسلمين على بن يوسف ابن تاشفين نقض المسجد كله وزيدت فيه زيادة مهمة من جميع جهاته واحتفل فى بنائه وزخرفته إلى الغاية وكل ذلك سنة (٥٣٨) أى بعد وفاة أمير المسلمين على بن يوسف بسنة

ولما ملك الموحدون فاس سنة (٥٤٠) خاف فقهاء المدينة وأشياخها أن ينتقد عليهم الموحدون النقش والزخرفة التى فوق المحراب لقيامهم بالتقشف والتقلل ، وقيل لهم إن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على يدخل غداً المدينة مع أشياخ الموحدين بقصد صلاة الجمعة بالقرويين، فأتى الحامون الجامع تلك الليلة وغطوا على ذلك النقش والتذهيب الذى فوق المحراب وحوله بالورق ولبسوا عليه بالجص ودهن بالبياض فاختفى أثر ذلك ولم يبق ظاهراً إلا البياض

ونلاحظ هنا أن فقهاء المدينة وأشياخها إنما خافوا انتقاد الموحدين عليهم لما كانوا هم المباشرين لبناء المسجد وزخرفته ولم يكن ذلك من عمل المرابطين الذين قام عليهم الموحدون ؛ وكذلك كان هذا المسجد منذ تأسيسه من الشعب وإليه . فمعظم هذه الزيادات — إن لم نقل كلها — كانت مما قام به أفراد من الشعب فقهاء وأئمة وغيرهم ، بعد استئذان الحاكم طبعاً . ولشد ما كانوا يتحرون فى المال الذى ينفق على ذلك ، بل فى الآجر والماء والتراب الذى كان يدخل فى البناء فلا يصرفون فيه إلا ما كان من أصل طيب ؛ وربما اشتبه عليهم مال أحدهم فأدى الأيمان المغليظة على أنه من الحلال الخالص الموروث عن آبائه الذين صار

إليهم من عمل شريف إلى غير ذلك مما تراه مفصلاً عند ابن أبي زرع في القرطاس والجزنائي في زهرة الآس وابن القاضي في جذوة الاقتباس

هنا كان قد بلغ الجامع كماله فأتى دور المصالح والمنافع والمرافق اللاحقة به من فسقيات وميضآت ومستودعات وخزانات ومقاصير ومدارس وما إليها . وأهم ذلك خزانة الكتب التي أسسها به السلطان أبو عنان فارس المريني وأودعها كما يقول الجزنائي : « من الكتب المحتوية على أنواع من علوم الأبدان والأديان واللسان والأذهان وغير ذلك من العلوم على اختلافها وتنوع ضروبها وأجناسها ووقفها ابتغاء الزلفى ورجاء ثواب الله الأوفى ، وعين لها قيما لضبطها ومناولة ما فيها وتوصيلها لمن له رغبة . وأجرى له على ذلك جراية مؤبدة تكرمة وعناية وذلك في جمادى الأولى سنة ٧٥٠ »

وأسس أبو عنان كذلك خزانة مصاحف احتفل في بنائها وتشييدها بما لم يسبق إليه ، وأعد فيها جملة كثيرة من المصاحف الحسنة الخطوط وكلف بها من يتولى أمرها على أحسن الشروط . ثم لم تزل الملوك والسوقة تقف الكتب على خزانة القرويين بعد ذلك حتى اجتمع بها من المجلدات العلمية والأدبية والدينية ما لا يدخل تحت حصر ولا يستوفيه عد ولا حساب

(مدرسة العطارين)

وأما المدارس وهي بيوت الطلبة اللاحقة بالقرويين ، فإن من أقدم ما بني منها مدرسة الصابرين التي أسسها أمير المسلمين ابن تاشفين حوالي منتصف القرن الخامس الهجري (٤٥٠) . والمرينيون هم سباق هذه الحلبة الذين خلفوا لنا أكبر عدد من المدارس المتقنة الصنع المحكمة الوضع ، لا حول القرويين فقط بل في جميع أنحاء المغرب ولما كان كلامنا هنا إنما يساق إلى القرويين فلنذكر بالخصوص مدرسة العطارين التي بناها السلطان أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق. ومدرسة أبي عنان اللتين تعدان قطعتين خالدتين من فن العمارة والنقش والتخريم والتزويق المغربي . وقد تلحق بهما مدرسة الشراطين التي بناها مولاى رشيد من ملوك دولتنا العلوية العلية . أما غير هذه المدارس فإنها وإن لم تكن مثلها في بداعة الشكل وجمال الصنعة إلا أنها لا تقل عنها فخامة بناء ورحابة فناء



المدرسة البوعنانية

هذه العناية الفائقة بالقرويين والاهتمام البالغ النهاية بأمره من الشعب ثم من الحكومة في كل عصر وفي كل دولة — تدلنا على ما كان له من مكانة سامية في النفوس منذ عهد تأسيسه وما كان يخص به من الاحتفال والاهتمام دون بقية المساجد الأخرى . وإلا فأخوه وشقيقه جامع الأندلس الذي بنته السيدة مريم أخت أم البنين وشقيقتها لم يظفر بعشر مما ظفر به هو من ذلك ، بل إنه ما لبث أن غطى على جامع الأشراف الذي أسسه المولى إدريس ثاني ملوك الدولة الإدريسية ومختط فاس وبانيها سنة (١٩٢) فنقلت خطبة العدوة القروية من مسجد الأشراف المذكور إلى القرويين وأصبح هو المسجد الجامع في تلك العدوة كلها وابتدأ نجم القرويين يلمع في سماء العلم منذ أواخر القرن

الثالث وأوائل الرابع، وما كاد القرن الرابع يبلغ النصف حتى كان مثل عبدالله بن أبي زيد القيرواني صاحب الرسالة والنوادر والذى يعرف بمالك الصغير يشد الرحلة إلى أحد رجاله وهو دراس بن اسماعيل المتوفى سنة ٣٥٧ هـ وفى هذا المهد كان أيضاً أبو جيدة ابن أحمد وهو فقيه فاس ومحررها من سطوة عامل المنصور بن أبي عامر . ولا شك أنه كان أحد أساطين هذه الكلية وممن عملوا على رفعة شأنها وعلو قدرها

وتتوالى حلقات السلسلة حتى تصل إلى العصر الحاضر مؤلفة من رجال وقفوا حياتهم على خدمة التشريع الاسلامى تحت راية مالك وأصحابه فبلغوا به الغاية التى ما بعدها غاية فى الكمال ، وطارت لهم شهرة مطبقة فى أرجاء العالمين الشرقى والغربى . فما منهم إلا إمام فتوى ومجتهد مذهب مثل الفقيه ابن عمران الفاسى المتوفى سنة ٤٣٠ والفقيه ابن محمد صالح المتوفى سنة ٦٣١ والفقيه راشد الفاسى المتوفى سنة ٦٧٥ والفقيه أبي الحسن الصغير المتوفي سنة ٧١٩ والفقيه أبى عمران العبدوسى المتوفى سنة ٧٧٦ والفقيه القورى المتوفى سنة ٨٧٢ والفقيه الشارك أبى عبد الله بن غازى المتوفى سنة ٩١٧ والفقيه أبى على بن رحال المتوفى سنة ١١٤٠ والفقيه الرهونى المتوفى سنة ١٢٣٠ وغيرهم

وفى الحقيقة أن أكثر الجهود فى الكلية فى كل عصر كانت موجهة إلى هذه الناحية من التعليم، ومعظم إنتاج رجالها كان فى هذا العلم : علم الفقه وما إليه على مذهب مالك رحمه الله حتى ليصح القول إن أهل كل بلاد لم يخدموا مذهبهم بقدر ما خدمه أهل المغرب، وإن المذهب المالكى لم يصل إلى ما وصل إليه من الخصب والنماء والنضوج — حتى أن أتباع غيره من المذاهب ربما اضطروا إلى الأخذ عنه والاقتباس منه كما فى بعض قوانين المحاكم الشرعية بمصر — إلا بفضل القرويين وما أبدوه من الهمة الصادقة فى هذا السبيل (يتبع)

« طنجة » عبد الله كنون الحسنى



رسالة الشعر



في حادث العراق

جناية الأقدار

للأستاذ محمود غنيم

كلمة أوحى بها إلى حادث العراق الأليم على أثر ما قرأته من حملات بعض غير المنصفين من كتابنا المصريين وعلى الأخص في جريدة الأهرام

أمرٌ به سَبَق القضاء الجارى   ما حيلةُ الإنسان فى الأقدارِ
لا تأخذوا بالذنب غيرَ جُناته   إن الصوابَ تلمُّسُ الأعذارِ
الرُّزء يذهب بالعقول جلالُه   فحَذارِ من شَطَطِ المقالِ حذارِ
إن تسرفوا فى الاتّهام جَنَيْتُمُو   أَتم على القُطر الشقيق الجارِ
هى أمةٌ وَزرَ امرؤٌ من أهلها   أفتثقلون الكلَّ بالأوزارِ ؟
اللهُ يعلم أنهم ما أضمروا   للنيل غيرَ الحبِّ والأكبارِ
أوَلم يُصُبْ «سعدٌ» بأيدى أمةٍ   تَفْدِيه بالأسماع والأبصارِ
إن الذين أصاب «سيفاً» سهمُهُمْ   مِنْ دمعهم غسلوه فى أنهارِ
ولو استطاعوا لافتَدَوهُ من الحِما   مِ بألف سيفٍ منهمو بتّارِ
قالوا: العراقُ ومصرُ قلنا: بل هما   مِصْرانِ بل مصرٌ من الأمصارِ

* * *

هذا أبٌ أودى به نَزَقُ ابنه   ماذا تقول لِصِبْيَةٍ أغْرارِ ؟
ماذا تقولُ لنائبٍ عن رُشده   يَجْنى جنايتَه وليس بدارِ ؟
ما حاد عن سَنَن العدالة آخذٌ   لغريمه من نفسه بالثارِ
عُذْرُ الشبيبة طيشُها والخِطْء ما   فعلوه عن عَمْدٍ وعن إصْرارِ
لا كان مخترع «الرصاص» فإنه   باع المنونَ رخيصةَ الأسعارِ

* * *

بغدادُ عذراً للكنانة إن قست   فى عَتْبها والعَتْبُ للأحرارِ
أوما نظرت إلى الكنانةِ أعيناً   تَهْمى وأفئدةً بغير قرارِ ؟
إنا لنرخصُ فى سبيل الوُدِّ يا   بغدادُ ما يغلو من الأعمارِ
وهو الودادُ إذا عُراه توثّقَتْ   أَضْفَى على الآثام كلَّ ستارِ
إحسانُ من عاديتَ كلُّ إساءةٍ   وكبارُ من صافيتَ غيرُ كبارِ

* * *

هـذا شهيد العلم عزَّزْنا به   مَنْ راح من شهدائنا الأبرارِ
خلِقَ الجهادُ لنا سواءٌ عندنا   مَنْ بالحديد يموت أو بالنار
والعلمُ مختلِفُ الضحايا كم طوى   من سابحٍ وقضى على طيّارِ
يا رُبَّ مخترعٍ يروح ضحيةً   للكشف عن سر من الأسرارِ
ومعلِّمٍ قد راح يبذلُ نفسه   بذلَ الكرام لناشئينَ صِغارِ
تمتصُّ أفواهُ الشبيبة رُوحَهُ   مثلَ امتصاص النحل للأزهارِ

* * *

« غزمى » إذا التأمتْ جراحُك فى غدٍ   وبرِئتَ فاشكُر للطيف البارى
أنت ابتدأتَ رسالةً فأتمَّها   واهزأ بما تَلْقَى من الأخطارِ
املأْ مكانك فى العراقِ وقل له   لا يعرف الجبنَ الأثيمُ الضارى

محمود غنيم

انت دير الهوى وشعرى صلاة (*)

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

« إلى غمامتي الشاردة ... أهدى هذه الصلاة »

أقبلي كالصلاة رقرقها النسك بمحراب عابد متبتل
أقبلي آية من الله عليا زفها للفنون وحي منزل
أقبلي فالجراح ظمأى! وكأس الحب ثكلى! والشعر ناي معطل
أنت لحن على فمي عبقري وأنا في حدائق الله بلبل
أقبلي... قبل أن تميل بنا الريح! ويهوى بنا الفناء المعجل
زورقي في الوجود حيران شاك مثقل بالأسى، شريد مضلل
أزعجته الرياح، واغتاله الليل بجنح من الدياجير مسبل
فهو في ثورة الخضم غريب خلط النوح بالمنى وتنقل
أقبلي يا غمام روحي فالشط (م) بعيد! والروح باليأس مثقل
وغمام الحياة أغشى سوادى (م) ونور المنى بقلبي ترحل
أنا ميت تغافل القبر عني وهو إن يدر شقوتي ما تمهل
فاسكبي لي السنا وطوفي بنعشي ينعش الروح سحرك المتهلل
أنت نبعي، وأيكتي، وظلالي وخميلي، وجدولي المتسلسل
أنت لي واحة أفيء إليها وهجير الأسى بجنبي مشعل
أنت ترنيمة الهدوء بشعري وأنا الشاعر الحزين المبلبل
أنت تهويدة الخيال لاحزا ني بأطياف نورها أتملل
أنت كأسي وكرمتي ومدامي والطلا من يديك سكر محلل
أنت فجري على الحقول، حياة وصلاة، ونشوة، وتهلل
أنت تغريدة الخلود بألحا ني.. وشعر الحياة لغو مهلهل
أنت طيف الغيوب رفرف بالرحمة والطهر والهدى والتبتل
أنت لي توبة إذا زل عمري وصحا الإثم في دمي وتململ
أنت لي رحمة براها شعاع هل من أعين السما وتنزل
أنت لي زهرة على شاطئ الأحلام تروى بمهجتي وتظلل
أنت شعر الأنسام وسوست الفجر، وذابت على حفيف السنبل
أنت سحر الغروب، بل موجة الإشـ راق عن سحرها جناني يسأل
أنت صفو الظلال تسبح في النهر وتلهو على ضفاف الجدول
أنت عيد الأطيار فوق الروابي أقبلي! فالربيع للطير أقبل...
أنت هولي وحيرتي وجنوني يوم للحسن زهوة وتدلل
أنت دير الهوى وشعري صلاة لك طابت ضراعتي والتذلل
أنت نبع من الحنان، عليه أطرق الفن ضارعاً يتوسل
أعين للخشوع تغرى، فخليها على لوعتي تغض وتسبل
واتركيها وسحرها يتمادى علما [1] «بابل» بنجواه تشغل
هو فني، وملهمي... فابعثيه فهو من زهوه شحيح مبخل
يتغافى على الجفون، فإن رحت أناجيه لج في الكرى وتوغل
وانتشى من سناك وانساب في لحظك يحسو الضياء منه وينهل
وانبرى من جفونك البيض كالأقدار يردي كما يشاء ويقتل
ليت لي من صراعه كل يوم غزوة في سكون قلبي تجلجل
ولك الصوت ناغما عاده الشو ق فأضحى حنينه يترسل
نبرات كأنها شجن الأو تار في عود عاشق مترحل
أو حفيف الأذان في مسمع الفجر ندي الصدى، شذي المنهل
أو غناء الظلال في خاطر الغد ران شعر في الصمت عان مكبل
أو نشيد أذابه الأفق النا ئي، وغناه خاطري المتأمل!
ولك البسمة الوديعة .. طهر وصفاء، وصبوة، وتعزل
لذة [2] الهمس في دمي تنقل الرو ح لواد بصفو عمري مظلل
فاسكبيها على جناني، وخلي سحرها في مشاعري يتهدل!
ولك الهدأة التي تغمر الحس فيروي من السكون ويثمل
واحة للجمال، قلبي فيها من أسى الدهر ناسك متعزل
علمتني ظلالها كيف أنسى صخب الهم وهو عصف مزلزل
ولك العفة التي عاد منها «مريمي» الستور فوقك مسبل

(١) من ديوان (هكذا أغنى) الذي يظهر حديثاً

(١) لعلما (٢) لذيذة



مؤتمر دولي للقوانين ودعوة الأزهر للاشتراك فيه

تلقى صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر كتاباً من جامعة جوهانبرج يقول إن فريقاً من علماء القانون ومن أعضاء مؤتمر القوانين الذي عقد في السنة الماضية في هولندا واشترك فيه الأزهر فكروا في إقامة مؤتمر عالمي للقوانين يشترك فيه جميع الهيئات والجامعات التي فيها دراسات قانونية ويشترك فيه كذلك كبار علماء القانون والتشريع في العالم كله

ثم جاء في كتاب الجامعة أنها ترجو أن يستطيع الأزهر المساهمة في العمل لنجاح هذا المؤتمر بإبداء الملاحظات والاقتراحات التي يرى إبداءها على فكرته وموضوعاته وأن يساهم بقسط من المعاونة الأدبية فيه

ثم قال إن أبحاث المؤتمر ستشمل جميع القوانين والتشريعات والمبادئ التي تؤدي إلى تقدم البشرية وتقارب قوانينها ومن التشريعات التي تضمنت قسطاً كبيراً من المبادئ القانونية السامية في الشريعة الاسلامية

فتعالَيْ نغيبُ عن ضجَّة الدُّنـــيا، وَنمضي عن الوجود ونرْحَلْ
وَإلى عُشِّنا الجميلِ ... ففيهِ هَزَجٌ للهوى، وظِلٌّ، وسَلْسَلْ
وعصـــافيرُ للمُنى تتغنَّى بالتَّرانيم بين عُشْبٍ وَجدْوَلْ
وَغرامٌ مُقدَّسٌ، كاد يَضْوِي نورُهُ العذْبُ في سَمانا وَيُشْعَلْ
وَوَفاهُ يكاد يَسْطعُ للدُّنــيا بِشَرْعٍ إلى المحبِّينَ مُرْسَلْ

***

عادَ للعشِّ كلُّ طَيْرٍ، ولم يَبــقَ سِوى طائرٍ شريدٍ مُخبَّلْ..
هو قلبي الذي تناسَيْتِ بَلْوَا هُ فأضحَى على الجِراح يُوَلْوِلْ!
أَقبلي.. قبلَ أنْ تميلَ به الريــحُ، ويهوِي به الفناءُ المعجَّلْ!
«أَقبلِي ... فالجراحُ ظمآى! وَكأسُ الـ ـحُبِّ ثَكْلَى! والشِّعْرُ نايٌ مُعطَّلْ!»

(المجمع اللغوي الملكي بمصر) **محمود حسن اسماعيل**

أندريه موروا في الخالدين

من أنباء باريس الأخيرة أن الكاتب الفرنسي أندريه موروا انتخب عضوا في الأكاديمية الفرنسية في المقعد الذي خلا بوفاة « رينيه دوميك » رئيس تحرير مجلة العالمين والذي كان سكرتيرا دائما للأكاديمية

وأندريه موردا ابن صاحب مصانع كبرى للنسيج في مدينة « روان » وهو اليوم يتولاها أيضا فتدور المصانع على خير وجه يدر المال، وتدور المطابع في باريس بكتبه فتدر المال والمجد

لفت أندريه موروا الأنظار بقصة «صمت الكولونيل برمبل» إذ نجد فيها خلاصة تجاريبه واتصاله بالانكليز في أثناء الحرب عندما كان ضابط اتصال نظرا لتضلعه في اللغة الانكليزية، هذا التضلع الذي ما لبث أن ظهر أثره في كل كتبه بعد ذلك إذ جعل أكثرها لتاريخ حياة أبطال الانكليز في الأدب والسياسة مثل بيرون وشللي ودزرائيلي كما كتب حياة تورجنيف والماريشال ليوتي، فضلاً عن « محاورات في القيادة » و « صور انكليزية » و « مطالعات في ديكنز » ثم محاضراته في جامعة اكسفورد التي لفتت إليه جميع الأنظار

هذا وقصص موروا من أروج القصص الأدبية والجمهور يتهافت عليها في كافة أنحاء المعمورة. ومن خير ما وصفه به صديقه أندريه بيلي قوله : إنه الذكاء، وطيبة القلب، والحساسية، والاستعداد الدائم للفهم والعطف ... ليس فيه من التعالي أو التغالي شيء. وكان نجاحه العظيم السريع جاء مفاجئاً بحيث لم يتبينه هو ذاته ولم يقدره قدره! »

وأندريه موروا صديق عزيز لمصر، زارها أكثر من مرة

ويحمل لها كل مودة ، وفى نيته أن يخصص لها كتاباً من كتبه.

العربية الفصحى فى تدريس المواد

أذاعت وزارة المعارف على حضرات المراقبين والمفتشين ونظار المدارس الكتاب التالى :—

كثرت الشكوى من ضعف التلاميذ فى اللغة العربية الصحيحة فى تدريس المواد ، ولهذا توجه وزارة المعارف نظر حضرات المفتشين ونظار المدارس إلى مراقبة تدريس المواد التى تلق باللغة العربية سواء أكانت علمية أم أدبية ، ووجوب إلقائها بلغة عربية سليمة، والبعد عن استعمال العامية حتى تتمكن فى نفوس التلاميذ ملكة اللغة الفصحى ويسهل عليهم الحديث والكتابة بها . وفى مكنة الأساتذة أن يبسطوا أسلوب اللغة الفصحى حتى تكون فى متناول جميع التلاميذ على اختلاف أعمارهم وثقافتهم

الثقافة الإسلامية فى المدارس الثانوية

يهتم وزارة المعارف بتعزيز برامج التعليم فى المدارس الثانوية ببرنامج مفصل عن الثقافة الاسلامية ، يدرس فى السنتين الرابعة والخامسة ، وقد عهد معالى الوزير إلى لجنة مؤلفة من بعض مفتشى اللغة العربية بالوزارة وكبار رجال التعليم وضع هذا البرنامج بحيث يمكن البدء بتنفيذه فى السنة الدراسية القادمة

وسيشمل هذا البرنامج بحوثا مهمة تدور حول التاريخ الاسلامى فى أزهى عصوره ، والبطولة الاسلامية والسيرة المحمدية الشريفة .

حول نظرية التطور

عرض الأستاذ على الطنطاوى فى نقده لشعر الأستاذ العقاد فى الجيبون لنظرية التطور وذكر أنها لم يؤيدها العلم ، وكنا نود لو يرشدنا الأستاذ الفاضل إلى عالم يحترم علمه يدحض هذه النظرية التى غزت جميع المعارف البشرية وبها سهل تعليل كل نظم الحياة. أما إذا كان اعتماد الأستاذ على ما ينشر فى الصحف الرخيصة من أخبار مشعوذى العلم الذين يعارضون النظرية ظناً منهم أنها تعارض الدين ، فهذا تملق رخيص لعقلية جمهور القراء لأن خصومها لا يعدون بعض جهلة القساوسة الذين يرون فيها الخطر الداهم على مذاهبهم ، فى حين أن الطبقة المستنيرة من رجال الدين فى انجلترا يرون فيها ما يؤيد دعوامم الدينية ، لذلك نرى المطران انج أبرز شخصية فى الكنيسة الانجليزية يعترف بها ، ويعظ بها فى كنيسته .

والنظرية ليست حديثة كما ذكر الأستاذ طنطاوى فقد بصر بها فلاسفة الاغريق والعرب حتى جاء دارون وجمع شتات الأدلة العلمية ونشر كتابه أصل الأنواع ١٨٥٨ ، فكان أول بحث مؤيد بالأسانيد العلمية فى هذا الموضوع تلاه أبحاث كثيرة من علماء آخرين أيدوا وجهة نظر دارون ، مثل هكسلى وولاس وهيكل والثير ارثر كيث . ومن المفيد أن أذكر أن ابن خلدون كان مغرقا فى إيمانه بالتطور فقد قال إن الجماد يتحول إلى نبات والنبات إلى حيوان والحيوان إلى إنسان

أما اعتراض الأستاذ على معالجة فنون العلم شعراً فهو اعتراض ليس له وجاهة لأن نظرية التطور علم وفلسفة ، فهى رغم حقائقها العلمية لها جانب فلسفى يبعث على التأمل ، وقد عاش فى القرن الماضى بانجلترا شاعر لا يحضرنى اسمه الآن أطلق عليه شاعر التطور لأنه عالج فلسفة التطور شعرا . وقد نظم المرحوم الزهاوى شعرا عن التطور أعجب به كل من قرأه

والدليل على أن لها فلسفة أن سبنسر بنى فلسفته على نظريات التطور فأطلق عليه فيلسوف التطور . وما يقال عن نظرية التطور يقال عن كل علم من أن له جانباً فلسفياً ، وعلى ذلك لا يمنع أن يعالج الدكتور ناجى نواحى الطب شعراً . وقد قرأت للعلامة ماكنزي كتابا فى الفيسولوجيا ختمه ببحث فلسفى بديع عن الموت لو وضع فى قوالب الشعر لكان تحفة فنية رائعة . وقد نشرت مجلة طبية فرنسية بباريس تدعى فيلسفون منذ أعوام شعرا لطائفة من أطباء فرنسا عن تأملاتهم فى الحياة من الوجهة العلمية يعد بحق نوعا جديداً فى الأدب الفرنسى . وقس على ذلك المهندس والرياضي ، ما دام وراء كل علم جانب فلسفى للتأمل . وبديهى أننى لا أقصد أن توضع حقائق العلم فى قوالب الشعر كما وضعت قواعد النحو فى ألفيه ابن مالك ، لأن هذا ليس من الشعر فى شىء

كامل نصيف

عضو بالمعهد الفلسفى البريطانى بلندن

الحلاج

جاء فى (قصة الكلمة المترجمة) فى الجزء الماضى : « لكنه قاله فى (الرسالة) قبل ذلك : « وكذلك قوله الكل (أي قول ابن القارح) ادخاله الألف واللام مكروه » (قاله) صوابه قال — أعنى

أبا العلاء — وقولى ابن الفارح خطأ ، صوابه الحلاج . وقد وردت (السكل) فى أبيات له رويت من قبل فى (رسالة الغفران) قال الحلاج :

يا سرّ سرٍ يدق حتى يجلّ عن وصف كل حىّ
وظاهراً باطناً تبدى من كل شيء لكل شيّ
ياجلة السكل لستَ غيرى فما اعتذارى اذن الىّ

قال أبو العلاء : « قوله (الىّ) عامة فى الأبيات ، إن قيّدَ فالتقييد لمثل هذا الوزن لا يجوز عند بعض الناس ، وأن كَسَر الياء من (الىّ) فذلك ردىء قبيح . وأصحاب العربية مجمعون على قراءة حمزة : (وما أنتم بمصرخىّ) بكسر الياء ، وقد رُوى أن أبا عمرو بن العلاء سئل عن ذلك فقال إنه لحسن تارة إلى فوق وتارة الى أسفل ، يعنى فتح الياء فى مصرخى وكسرها ، والذين نقلوا هذه الحكاية يحتجون بها لحمزة ويذهبون إلى أن أبا عمرو أجاز الكسر لالتقاء الساكنين ، وان صحت الحكاية عنه فما قالها إلا متهزئاً على معنى العكس ، وهذا كما يقول الرجل لولده إذا رآه فعل فعلا قبيحا : ما أحسن هذا ! : وهو يريد ضد الحسن »

الاسكندرية (***)

سؤال الى الأستاذ سيد قطب

تقول فى العدد (٢٥٩) من الرسـالة ، إن العقاد (يعنى بالحياة النابضة فى ضمائر الأشياء ، قبل الحياة الظاهرة على سطوحها ، ويعنى بالحياتين معاً قبل العناية بأشكالها وصورها ، ويلتفت للخوالج النفسية قبل أن يلتفت إلى الصور الذهنية ، ويعنى بهاتين قبل العناية ببهارج الأسلوب وزخارف الطلاوة)

١ — فهل هناك حياة نابضة فى ضمائر الأشياء غير الحياة الظاهرة على سطوحها ؟ أو ليست الحيـاة واحدة فى الضمائر والسطوح ، وفى الأفئدة والقلوب ، وفى الجوارح والأعضاء ؟ وإذا كان للحى الواحد حياتان كما تقول ، فما حدّ كل واحدة منهما ، وما هو وصفها الذى تختلف به عن أختها ؟

٢ — وهل الحياة الظاهرة على سطوح الأشياء — على حد تعبيرك أنت — غير أشكال الحياة وصورها ؟ وما هو الفرق بينهما وكيف تكون العناية بهذه قبل تلك ؟

٣ — وما هو الفرق (العلمى) بين الخوالج النفسية والصور الذهنية ؟ وهل تعني بالصور الذهنية المحاكات العقلية أم تعنى بها ما يسمى بتداعى الأفكار ، والخيال المرجع ، فى علم النفس ؟ وما معنى قولك : أدب ذهن ، وأدب نفس ؟

٤ — وهل تريد من قولك إن العقاد يعنى بهذا قبل عنايته بالأسلوب والطلاوة — أن من كانت له هذه العناية بالحياة النابضة ، والخوالج النفسية ، كان شاعراً ولو جاء بأسلوب ركيك ، ولغة مرذولة ، وعىّ فاضح ؟

هذا ما نحب أن تبينه لنا ، فما فهمنا والله ما تريد منه . وإن فى كل فقرة لك لمجالاً لمثل هذه الأسئلة حين تتكلم فلا نفهم عنك ، وتأتى بألفاظ لا نعرف لها مدلولا ، وأنت بين شيئين : إما أنك تذهب بنفسك علواً حتى ما يتعلق بك قارئ ، وإما أنك لا تدرى (بالضبط) معانى ما تقول ...

(دمشق) ع . . .

بين الرافعى والعقاد

جاء فى بحث الأستاذ سيد قطب عن العقاد والرافعى فى (الرسالة رقم ٢٦٠) ما اعتبره الأستاذ تناقضاً بين تلخيص الرافعى لرأي الفيلسوف شوبنهور فى الجمال وبين رأى الفيلسوف الحقيق

وبرجوع القارئ إلى ذلك البحث وتدبّره لا يذهب مع الكاتب فيما ذهب إليه من وجود ذلك التناقض . ولعل الأستاذ قطب يقرنا على ذلك

فقد قال شوبنهور ما نصّه : « إن الأشياء « تسرنا » كلما قربت من عالم الفكرة وابتعدت عن عالم الارادة » وقال الرافعي فيما اعتقده رأياً للفيلسوف « إن الأشياء « تحزننا » كلما ابتعدت عن عالم الفكرة واقتربت من عالم الارادة » ، ثم قال : « وإنها « تفرحنا » كلما ابتعدت عن عالم الارادة واقتربت من عالم الفكرة »

فانه واضح من مراجعة الـكلام بأنه لا تناقض بين قولى الرافعى الأول والثانى فهما رأى واحد لا تناقض فى مضمونه . ولعل الأستاذ قطب قد اعتبر عكس الألفاظ فى شقى القول أساساً للتناقض وقد غاب عن خاطره أن « تحزننا » عكس « تفرحنا » . ثم نحن لا نجد (مسخا) لرأى الفيلسوف لأن الرافعى لا يناقض فى أى مِن قوليه رأى الفيلسوف « وهما ينطبقان عليه تمام الانطباق »

ونحن إن أخذنا على الأستاذ قطب عدم تدبره فى الحكم فى هذه الحالة فنحن نأخذ على الأستاذ الرافعى ، رحمه الله ، عدم توقفه بترجمة الأستاذ العقاد مع أنه انتهى فى تلخيص رأي الفيلسوف إلى ما ترجمه العقاد

وليسمح لنا القارئ إن نحن طالبنا الكاتبين عن أدب الرافعى



إلهام

قصة مصرية

تأليف الأستاذ نقولا يوسف

هذه قصة دفعها إليّ صديق من أصدقاء المؤلف، ورجاني أن أقرأها وأرى رأيي فيها؛ وما سهلٌ على كاتب من الكتاب أن يتحدث عن كتاب هو مرجُوٌّ أن يتحدث عنه ويري رأيه فيه، فإن ذلك خليق أن يصبغ الرأي بلون من ألوان الهوى تختفي وراءه بعض الحقيقة؛ ولكني مع ذلك سأحاول أن أكتب، وسأحرص في هذه المحاولة أن أكون ناقداً وحسب . . . ؛ ولن يفوت القارئ بعد ما قدّمتُ أن يعرف الرأي في هذا الكتاب على حقيقته، وأن يستخلصه مما قد يكون عالقاً به مما تزيّفه النفس على صاحبها لتخدعه عن رأيه . . .

وبعد فهذه قصة مصرية ألفها مؤلفها منذ إحدى عشرة سنة، ولم ينشرها إلا منذ أشهر، وكان مؤلفها يوم ألفها شاباً في الثالثة والعشرين؛ وما بدٌّ لمن يؤلف مثل هذه القصة في مثل هذه السن أن ينظر إلى نفسه قبل أن ينظر إلى ما يحيط به؛ وهذا شيء لا ينكره المؤلف ولا يعترف به كل الاعتراف؛ فهو يقول في تقدمة هذه القصة:

« أعددت قصة إلهام للطبع في سنة ١٩٢٧ . . . . . . ؛ ثم أرغمني كثير من ظروف الحياة على أن أهمل أمرها عشر سنوات، وفي هذه السنة أعدت قراءتها، وكنت في أثناء تلك القراءة كمن يسير بين قبور عزيزة تضم رفاتاً مقدساً وذكريات تثير الأشجان

ومع أن هذه القصة لا تصور حياة المؤلف إلا أن فيها بعضاً من نفسه وتجاريبه ومشاهداته . . . »

أما الغاية التي يقصد إليها المؤلف من قصته فانه يقول عنها: « . . . وسترى أنها قصة مصرية لا تدور حول غاية معينة من أنواع الاصلاح، يغلب عليها ذلك النوع التصويري الذي يصور المناظر والشخصيات والميول والخواطر، لا سيما ما ينساب منها أحياناً في الرأس بلا ترتيب . . . »

وهذا القول الذي يقوله هو حق إلى حد ما؛ فهو لم ينشئها ناظراً إلى غاية معينة من غايات الاصلاح وإن كان فيها كثير من الدعوة إلى الاصلاح مبثوث في تضاعيف القصة وفي أثناء الفصول بلا ترتيب ولا نظام، ونجد أكثره فيما جعل من الحوار على ألسنة أبطال القصة؛ بل لقد كان حرصه على أن يثبت رأيه ودعوته إلى الاصلاح داعياً له إلى أن يقحم كثيراً من القول في أساليب المحاورة لغير وقته، فكانت بعض المحاورات تطول أحياناً طولاً يدعو إلى الملالة ويبعد بموضوع المحاورة عن أصله وداعيه. والمحاورة كما يعرف كل من عالج القصة أو درس فنها — ليست موضعاً ملائماً للدعوة إلى الاصلاح وبيان أوجه الرأي فيه، ولكنها وسيلة من البيان في أوجز عبارة تصل بين رأي ورأي أو حادثة وحادثة مما يفيض به موضوع القصة؛ ولن يكون الحوار أبداً وسيلة إلى بث فكرة أو دعوة إلى إصلاح إلا بقدر غير ملحوظ ولا مُدرَك في جملته. إنما يكون ذلك في الحادثة لا في الحديث، وفيما يحكى لا فيما يُنطق به . . .

على أننا وقد وافقنا المؤلف على أنه لم يكن له غاية من قصته في الدعوة إلى نوع من الاصلاح، نقول إن « ذلك النوع التصويري الذي يصور المناظر والشخصيات والميول والخواطر »

والنقاد ألا يتخذوا من عبارات وألفاظ مستهجنة (جاءت معبرة عن حالة عاطفية) أساساً يدعمون به حكمهم على كل من الأديبين الكبيرين. ونحن ندعوهم إلى بحث شخصيتيهما الأدبية في مخلفاتهم التي تركاها وهم أكثر ما يكونان سكوناً وهدوءاً فيجيء حكمهم نزيهاً معتبراً في نظر القراء ويسلمون من كثير من المهاترات التي تصيبهم بين الحين والحين

علي كمال

(فلسطين)

هو فى نفسه غاية من الغايات الرفيعة يقصد إليها كثير من أهل الفن ؛ وقد بلغ المؤلف فى ذلك وأجاد وانتهى إلى غاية . ولقد كنت أقرأ بعض ما كتب المؤلف من الفصول التصويرية فى هذه القصة فأشعر بكثير من اللذة والاعجاب ؛ وأجمل ما قرأت من هذه الفصول وصفه فى الفصل الأول عيد « شم النسيم » كما يحتفل به كثير من طوائف المصريين فى الريف والحضر ؛ وفى الفصل الرابع وصف حياة الشاب العزب تترامى الآمال حوله فى الزواج والمصاهرة ، وتمترك حوله أمانى الأهل والأصدقاء ؛ وفصول أخرى لا تقل عن هذين الفصلين جمالا وروعة

أما عناية المؤلف بالفن ومقدار توفيقه فيه ، فما أريد أن أسهب فى الحديث عنه ؛ فان من الظلم أن نكلف فتى فى الثالثة والعشرين أن يكون له من السيطرة على نفسه وعلى وجدانه ما يساعده على حبك قصة طويلة كهذه القصة على ما يقتضى فن الرواية على وجهه ؛ إذ كان كل هم الشاب فى مثل هذه السن أن يحشد كل خواطره وأمانى نفسه ومصورات خياله فيما يكتب ؛ فانه ليصعب عليه أن يغفل معنى أو فكرة أو حادثة تلح على نفسه ؛ ومن هنا جاءت قصته — كما قرأتها — وكأنها فى نفسى قصتان لا رابطة بينهما إلا فيما تبدأ القصة وفيما تنتهى ؛ أما فى العرض وفى تسلسل الرواية فإن القارئ يكاد يحس فى أكثر من موضع أنه انتقل من قصة إلى قصة فلا يشعر أنه فيما كان فيه إلا حين يوشك أن يبلغ نهاية الفصل . وذلك شىء حقيق بالنظر والتدبر عند من يريد أن يكون قاصًّا موفقاً ؛ فان أول شرط القصة هى أن تتسلسل بحوادثها تحت عينى القارئ حتى تبلغ بذلك أن تنقله من جو إلى جو فيسير فى قراءتها وكأنه يعيش بين أبطالها وعلى مقربة من زمانها ومكانها ؛ وما أنكر أن المؤلف قد بلغ إلى ذلك فى بعض الفصول ولكنه لم يبلغ إليه فى جملة القصة ؛ على أن هذا التنافر فى موضوع الرواية لا يستمر إلى نهايتها ؛ فما هو إلا أن ينتهى القارئ إلى حد ما ثم تسير القصة إلى خاتمتها طبيعية لا تكلف فيها ولا اصطناع ، حتى تنتهى إلى نهايتها فى حيلة موفقة

على أن هذه القصة — وهى مصرية المغزى والموضوع فى جملتها — تبتعد كثيراً فى بعض فصولها وحوادثها عن المألوف من عاداتنا وما نعرف ، فهى لا تصوّر صورة مصرية عامة يراها كل أحد ؛ ولكنها صورة خاصة قامت فى نفس كاتبها فى يوم ما فرآها على التعميم حقيقة بالتسجيل فى قصة يريد أن يجمل بها صورة لبعض ما فى مصر ؛ ولقد كنت أريد أن ألخص موضوعها فى هذا الفصل لأعرضها عرضاً جلياً لمن يريد أن يعرف ، ولكنى أوثر أن يكون تعرّفى بها من بعيد حتى لا أقطع الطريق على من يريد أن يقرأها بقلم مؤلفها ليعرفها العرفان الحق

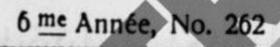
أما أسلوب المؤلف فى الأداء فهو الأسلوب السهل الطبيعي ، لا تكلف فيه ولا صناعة ؛ وفيه إلى ذلك روح وعاطفة وقلب نابض ؛ تقرؤه فتعرف نفس كاتبه بما تجيش به من أمانى وآلام تراها مصوّرة أدق تصوير وأبرعه ، فكأن وراء كل عبارة قلباً ينبض ، وكأن وراء الظلال من كل فصل نفسية سامية تؤمن بالمثل الأعلى إيمان الرأى والعقيدة ، وتقف جهدها على تحقيق المعنى الانساني العام في كل نفس وفى كل إنسان ؛ فهو أسلوب قصة ، وهو صرخات نفس حانقة ، وهو غيظ حبيس يتفجر نثراً وكتابة ، وهو أمانى وأحلام ، وهموم وأحزان ؛ وهو غبطة ورضا ، وسخط وألم . وإن فيه لمانى جديدة وفكراً جديداً ...

ولكن ذلك كله لا يحمل الناقد المنصف على تجاهل ما فى أسلوب المؤلف من غلطات فى اللغة والنحو وفى استعمال الكلمات كان حرياً أن يتنزه عنها ؛ ولو أنها غلطات تعد لما كان من حق أن أشير إليها هذه الاشارة ، ولكنها غلطات عامة ومتكررة بحيث لا تكاد تخلو صفحة من غلطة ... وإنى وقد قرأت للمؤلف وتذوقت فنه وأدبه لأجد من الخيانة أن أغض النظر عن هذه الغلطات ؛ فان كاتباً مثل مؤلف هذه القصة حقيق بأن يكون فى غد من أصحاب القلم والفكر فى هذا البلد لو كان أحرص من ذلك على لغته وعبارته ؛ وإن ذلك الأمل فى مستقبله الأدبى ليحملنى على أن ألفته إلى ذلك ليستكمل أدواته ويمهد لمستقبله

***

أما بعد فانها قصة مصرية ، وما تزال القصة الطويلة فى العربية شيئاً نحاوله فلم نبلغ فيه حد الكمال أو ما يقرب منه ؛ وإنه لفن رفيع يستحق العناية من أدبائنا ليسدوا نقص العربية فى هذا الباب ؛ فما يغيب عنى وقد ذكرت ذلك أن أثنى على المؤلف الفاضل لهذه المحاولة ؛ وما يغيب عنى مع كل أولئك أنها قصة ألفها مؤلفها منذ إحدى عشرة سنة وما يزال يومئذ شاباً حدثاً يخطو خطاه الأولى إلى هذا المترك الأدبي ؛ فاذا كنت اليوم أرى فيها مايستحق الملاحظة والتعليق ، فانها ملاحظات على الأديب الناشئ نقولا يوسف الذى ألف قصة (إلهام) سنة ١٩٢٧ وهو فى الثالثة والعشرين من عمره ؛ وهو عندى غير الأديب الفاضل (الأستاذ) نقولا يوسف في سنة ١٩٣٨ ، الذى عرفه القراء فيما أنشأ بعد ذلك من مؤلفات لها خطر ومقدار وهو مع ذلك غير الأستاذ نقولا يوسف الذي نرجو أن يكون فى غد ... (س)





6 me Année, No. 262

Lundi - 11 - 7 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الادارة



ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع عبد العزيز رقم ٣٦

العتبة الخضراء — القاهرة

ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العــدد ٢٦٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٣ جمادى الأولى سنة ١٣٥٧ — ١١ يولية سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـرس

أسباب ما نعمـــل

للأستاذ عباس محمود العقاد

السيدة الأرمنية العجوز التى تسكن معنا فى الدور الأرضى من المنزل أزمعت النقل إلى منزل آخر على مقربة من الحى، وهى واقفة على الباب تراقب الحمالين وهم ينقلون الأثاث ويرتبونه . ولا بد من كلمة تحية ومجاملة فى الطريق . فوقفت وسألتها :

إلى أين يا سيدة؟ ما الذى أغضبك من منزلنا؟

قالت : قسمة !

قلت : ألعلك وجدت مسكناً خيراً منه فى هذا القيظ ؟

قالت : لا . بل هى آخر قسمتنا فيه ، وإنما هى كما تقولون أعتاب وأيام !

« سبب امرأة »

نعم . فقد تعودنا حين نسمع أمثال هذه الأسباب التى لا تعليل فيها أن نبتسم ونصرف الحديث قائلين : سبب امرأة ، أو هو سبب من الأسباب التى لا يقنع بها غير النساء

والمتفق عليه بيننا معشر الرجال أن أسباب النساء هى الأسباب التى لا تعطيك تفسيراً ولا تزيدك علماً بعلة ما يصنعن وما يتركن . فاذا سألت امرأة : لم صنعت هذا ؟ أو لم لم تصنعيه ؟ فأغلب

ما يكون الجواب : هكذا ! أو هل تراني عارفة ؟

هذا أو تعطيك جوابين نقيضين لتعليل العمل الواحد .

فقد رووا أن رجلا صحب زوجته إلى متجر الملابس لينتقيا حلة تعجبها . فاختار لها لوناً من الحرير عرضه عليها ، فصاحت به : ما هذا ؟ إن جميع الناس يلبسون منه ... واختار لها لوناً آخر فصاحت به الصيحة الأولى: ماهذا ؟ إني مارأيت قط أحداً يلبسه !

فكان السببان النقيضان عندها صالحين لتعليل العمل الواحد وهو الإحجام عن شراء الحلة المعروضة عليها

***

لكن جهل الأسباب في الواقع غير مقصور على النساء ، وكذلك هذا النمط العجيب من التسبيب

سعيد وابراهيم واسماعيل ثلاثة إخوة صغار يلعبون أمام المنزل في معظم الأحيان ، أكبرهم في التاسعة وأصغرهم في نحو الخامسة؛ فهو لا يذهب إلى المدرسة أو لا يريد أن يذهب إليها

لقيته يوماً يلعب مع غير أخويه فسألته :

ماذا تصنع يا إسماعيل ؟

قال : لا أصنع شيئاً

قلت : لكني أراك تلعب ، فأين ذهب أخواك ؟

قال : إلى المدرسة ؟

قلت : ولم لم تذهب أنت معهما ؟

قال : هكذا ! !

قلت : هكذا ؟ هكذا كيف ؟

فأعادها مرة أخرى ، وأدركه طفل أكبر منه بالجواب ، فقال : إنه صغير ! وهو على كل حال جواب يحسن السكوت عليه

***

قد يقال : وأسباب الأطفال أيضاً هي أسباب النساء ..!

لكن الواقع أن جهل الأسباب على هذا النمط غير مقصور على النساء والأطفال ، وأن أناساً كثيرين بعضهم متعلمون وبعضهم غير متعلمين يجهلون أسباب ما يعملون وأسباب مالا يعملون ، وتسألهم عن أمر من الأمور التي تقوم عليها الحياة وتتصل بها الأرزاق ، فلا يعطونك سبباً، أو يعطونك سبباً قلما يغنيك عن التعليل

أعرف أسرة من الأذكياء المتعلمين ينتقلون من منزل إلى منزل كل ستة شهور أو كل سنة على أبعد أجل ، ويحيل أحدهم على الآخر في بيان أسباب الانتقال ، فهذا المنزل كرهه فلان ، وهذا المنزل انتقاه فلان ، وآخر ما يقال في تهوين هذه المشقة وتهوين ما يتبعها من خسارة ونفقة :

وما الفرق بين بيت مستأجر وبيت مملوك إن كان الانسان لا ينتقل بين البيوت ؟

ومن الواضح أن الانسان لا يزعج نفسه وأسرته بالانتقال وتحطيم بعض الأثاث وتجديد بعضه على حسب تنظيم المسكن الجديد لغير شيء إلا أن يجد الفرق بين البيت المستأجر والبيت المملوك ، أو أن ينفس على شخص واحد أن يتقاضاه الأجر زمناً طويلا فيفرقه بين أشخاص متعددين

فلا بد من سبب ولا بد من باعث ، ولكننا نحن الآدميين جميعاً نعمل ولا نكلف عقولنا تبيين أسبابها ، وإن كنا نبالغ في سؤال الآخرين عن الأسباب

وقد يسهل على الأكثرين أن يعرفوا أسباب ما يعملون إذا استقصوا هذه الأسباب . أما الذي يصعب على الأكثرين فهو عرفانهم أسباب مالا يعملون ، كأنما يحسبون أن الانسان يترك جميع الأعمال لغير سبب ، أو أنه لايحتاج إلى الأسباب إلا عند ما يعمل شيئاً أو يشرع في عمل شيء ، فأما أن يكف عن العمل أو عن الشروع فيه فذلك طبيعة لا تحتاج إلى سؤال

هذه حالة إذا أفرطت من إحدى جهتيها انتهت إلى الاباحية التي تتساوى عندها جميع البواعث والدواعي ، أو إلى الاباحية التي وصفها ابن المعتز في قوله :

قليل هموم القلب إلا للذة	ينعّم نفساً آذنت بالتنقل
يعب ويسقى أو يسقى مدامة	كمثل سراج لاح في الليل مشعل
ولست تراه سائلا عن خليفة	ولا قائلا من يعزلون ومن يلي
ولا صائحا كالعير في يوم لذة	يناظر في تفضيل عثمان أو علي

وهي حالة قريبة مما نراه من قلة المبالاة أو قلة التمحيص أو قلة «التدقيق» على حد تعبير أبناء البلاد — عند أناس كثيرين في المصر الحاضر يعملون وينظرون إلى غيرهم يعمل ثم لا يسألون ولا يفكرون ... وهذا إن كانوا يعملون وينظرون

أما إذا أفرطت هذه الحالة من جهتها الأخرى فنهايتها إلى الوسواس والمراجعة فى كل شىء والمحاسبة على أهون الأمور ، والتردد بين الخواطر حتى لا إقدام ولا احجام ولا فائدة من الاقدام والا حجام

إنما الحد القوام بين هذا وذاك أن يكون المرء قادرا على تعليل عمله والنفاذ إلى باطن مشيئته ، لأنه متى قدر على ذلك استولى على زمام نفسه ، وقبض على سكان سفينته فى زعازع هذه الحياة.

فمن عرف لماذا يعمل عرف كيف يجتنب العمل إذا وجب عليه اجتنابه

وعرف كيف يقنع به غيره إذا حسن عنده اقناعه

وعرف كيف يصنع على مثال أجمل وأكمل إذا لاحظ تقصيرا فيه

وكذلك من عرف لماذا لا يعمل شيئا من الأشياء ، فانه خليق أن يروض نفسه على عمله متى عرف سهولة المانع أو عرف ما فيه من مؤاخذة ونقيصة . وخليق أن يفهم دواعى الاحجام عنده فيعالجها بما يصلحها أو يقربها إلى الصلاح

بعض علماء النفس ينصحون طلاب الرياضة النفسية بتسجيل المذكرات اليومية ، لاثبات أعمالهم وقياس الفارق بين أمسهم ويومهم

والذى نراه أن تسجيل المذكرات اليومية لا يجدى جدواه مالم ينته إلى مساءلة النفس عن بواعثها ودواعيها . فليجرب من شاء أن يختار حادثة من حوادث الحياة كل يوم يسأل عن سببها ويستقصى دخائلها ويصمد على ذلك شهرا واحدا ثم ينظر فى نتيجة هذه الرياضة ، فانه واجد لا محالة أنه يتقدم فى طريق القدرة على النفس والقدرة على الحياة ، وأنه يصبح يوما بعد يوم سيد نفسه ومالك قياده ، وتلك بغية الرجل الكامل فى الثقافة وفى الرياضة وفى الآداب والأخلاق

عباس محمود العقاد

فأصبحتم بنعمته إخوانا

لأستاذ جليل

إلى حضرة الدكتور محمد محسن البرازى
الأستاذ فى الجامعة السورية

يا سيدي ، إن قولى : (المرء بفضله وفصله، لا بزخرفه وأصله، والأمة إنما هى بلغتها وأدبها وعقيدتها ومصلحتها) وتمثلى بحديث الهمذاني وجميع ما رقمتُه فى تلك القطعة من (الكلمة) — هو إعلان حقيقة قالوها ، وليس فى شاهدى من كلام (البديع) إزراء بأصل ما ، أو استصغار قبيل إن ظن أحد أن ذلك فيه

ولم أنع َ فى (كلمتى) — كما لاح لأخى الدكتور — على مُتمَعْزَز إلى الفرنسية نخوته حين قال : (أنا فرنسي ، أنا فرنسي ، أنا ابن النول) إنْ له أنْ يقول وينتخى كما يقول الابطالى والجرمانى والبريطانى وغيرهم مزهوين . والمكتوب هناك هو شرح حال .

وأرى أن أذكر فى هذا المقام أن الأمة الألمانية فى تلفيقها وتأليفها إنما هى مثل الفرنسيس وغيرهم من الأمم . وكان صاحب مجلة جرمانية قد اعتزم قبل (الحرب الكبرى) على أن يبحث عن عناصر الجرمان بحث العلماء المحققين فمنعته [1] وزارة الحرب من ذلك

ألمانية نقية صافية خالصة مروَّقة مصفَّقة [2] ما كانت ولن تكون

والسلطان صلاح الدين [3] يوسف بن أيوب (خرّيج الملك نور الدين [4] محمود بن الشهيد رضى الله عنهم أجمعين) وسادتنا الأيوبيون ملوك العرب لا أعدهم — ونحن فى هذا الشكل من البحث — أكراداً ، بل هم عرب ، بل هم أعرب من يَعْرُب [5]

---

(١) منعه كذا ومن كذا وعن كذا

(٢) روق الشراب : صيره رائقا بالتصفية ، وصفقه : حوله من إناء إلى إناء ليصفو (الأساس)

(٣) فيه قال الشاعر :

قل للملوك تنحوا عن ممالككم ... فقد أتى آخذ الدنيا ومعطيها

(٤) يقول ابن منير الطرابلسى فيه :

عقل الحق ألسن المدعينا ... أنت خير الملوك دنيا ودينا

(٥) بضم الراء ، يعرب كينصر

ابن قطان . ونولى فى البرازيين الكرام ، فى بلاد الشام مثل قولى فى الأيوبيين . ولا أقصد بما أقول تفضيل عربية على كردية ، أو تفضيل كردية على عربية ، فلست فى حديثى هذا من (المفضلة)

وبعد فنحن نتلهى فى غيبة السلطان الأعظم (أعنى الإسلامية) بهذه المسماة (جنسية وقومية ووطنية) ومشابهها من الفتن الأوربية ، فإذا جاء القرآن ، إذا جاء محمد ، إذا جاء الاسلام ، الاسلام الصحيح خرست العربية المصرية ، وخرست الاعرابية الجزَرية ، وخرست الكردية ، وخرست الشامية والعراقية ، وخرست البربرية والمغربية والغربية ، وخرست الهندية والفارسية والصينية والجاوية والتترية

« إنما المؤمنونَ إخوة »

« واعتصموا بحبل الله جميعاً ، ولا تَفرّقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شَفا حُفرةٍ من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون »

قل : نار الضلال والتعادى ، نار الجنسيات والقوميات والوطنيات والعصبيات والطبقات

***

قال الدكتور البرازى فى (مقاله) : « دين الاسلام عالمى » وهذا أظهر من الشمس ، وهذا واضح بيّن مثل ضياء القرآن المضئ الباهر

« إنْ هو إلاّ ذِكرٌ للعالمين »

« قُلْ : يا أيها الناسُ إنى رسول الله إليكم جميعاً »

ومن الأفاكيه التى تُروى للاطراف والتفكيه قول « طائفة من اليهود يقال لهم : العيسوية — وهم أتباع عيسى الأصفهانى — إن محمداً رسول الله صادق مبعوث إلى العرب وغير مبعوث إلى بنى اسرائيل [1] » وقد ذكر ابن حزم هذه الطائفة ومقالتها فى كتابه (الفِصَل فى الملل والأهواء والنحل) قال : « العيسوية هم أصحاب أبى عيسى الأصفهانى كان بإصبهان ، وبلغنى أن اسمه كان محمد بن عيسى ، وهم يقولون بنبوة عيسى ابن مريم ومحمد (صلى الله عليه وسلم) ويقولون إن عيسى بعثه الله (عز وجل) إلى بني اسرائيل على ما جاء فى الانجيل وإنه أحد أنبياء بنى اسرائيل

(١) مفاتيح الغيب

وإن محمداً نبى أرسله الله بشرائع القرآن إلى بنى اسماعيل وإلى سائر العرب كما كان أيوب نبياً فى بنى عيص ، وكما كان بلعام نبياً فى بنى مواب بإقرار من جميع فرق اليهود ، ولقد لقيتُ من ينحو إلى هذا الذهب من خواص اليهود كثيراً »

وفى (الفرق بين الفرق) للبغدادى : « وقوم من شاذكانية اليهود حكوا عن زعيمهم المعروف بشاذكان أنه قال : إن محمداً رسول الله إلى العرب وإلى سائر الناس ماخلا اليهود . وأنه قال : إن القرآن حق ، وإن الأذان وإقامة الصلوات الخمس وصيام شهر رمضان وحج الكعبة — كل ذلك حق ، غير أنه مشروع للمسلمين دون اليهود »

قلت : إن الله (عز وجل) يقول :

« وأرسلناك للناس رسولا [1] »

« وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين »

فهل ترى هذه الطائفة أو تري يَهودُ أنهم ليسوا من الناس . . . وليسوا من العالمين . . . ؟؟

الاسكندرية (***)

(١) فى (روح المعانى) : فيه رد على من زعم اختصاص رسالته (صلى الله عليه وسلم) بالعرب فتعريف الناس للاستغراق

جورجيــــاس
او البيان
لافلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ٣ —

(تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجل محاوراته وأكملها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة !)

« رينوفيير »

«إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائما وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »
٢ — شيروفون : صديق سقراط : « سه »
٣ — جورجياس : السفسطائى : « ج »
٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »
٥ — كاليكلس : أثينى : « ك »[1]

ط — حسن ! وما دمت تُعجب بمهارتك فى فن البيان ، وبقدرتك على تعليمه للغير ، فأخبرنى ما هو موضوع ذلك الفن . إن لفن النسج مثلاً موضوعاً هو صنع الأقمشة . أليس كذلك ؟

ج — بلى

ط — وموضوع الموسيقى هو تأليف الألحان ؟

ج — نعم

ط — ياجينون[2] ! إنى لمعجب جداً بإجاباتك ياجورجياس ! إذ لا يستطيع أحد أن يجيب بأقصر من ذلك !

ج — وأنا أغبط نفسى لنجاحى التام فى هذه الناحية !

ط — الحق أنك غير مخدوع فى ذلك قط ! فأرجو أن تجيبنى بالمثل عن علم البيان وأن تخبرنى عن موضوعه !

ج — موضوعه الخطب والأحاديث

ط — أية خطب يا جورجياس ؟ أتلك التى تشرح للمرضى قانون الغذاء الذى يجب أن يتبعوه كيما يتم لهم الشفاء ؟

ج — كلا

ط — إذا لا يشمل موضوع البيان كل أنواع الخطب ؟

ج — من غير شك

ط — ولكنه يعلم الناس — مع ذلك — الكلام ؟

ج — نعم

ط — وهو يعلم أيضاً التفكير فى سبب تعليمه الكلام ؟

ج — نعم دون ما تناقض

ط — ولكن ألا يبحث فن الطب ـ الذى اتخذناه مثلاً ـ ويتكلم فى الأمراض ؟

ج — بالضرورة

ط — وإذاً أيكون الكلام من موضوعات الطب كما يبدو ؟

ج — نعم

ط — أو بالأحرى الكلام الذى يتعلق بالأمراض على الأقل ؟ !

ج — تماماً !

ط — وبالمثل، ألا يكون موضوع « الرياضة البدنية » هو الكلام فى حسن استعداد الجسد أو سوئه ؟

ج — هذا صحيح

ط — وهل الأمر بالمثل في الفنون الأخرى يا جورجياس ؟ هل موضوع كل منها هو الكلام المتعلق بما تعالجه من شئون ؟

ج — يلوح ذلك

ط — ولم لا تطلق إذاً اسم « البيـان » على تلك الفنون الأخرى التى موضوعها « الكلام » ما دمت تطلق هذا الاسم « إطلاقاً »[1] على فن موضوعه الكلام ؟

(١) بدأت المحاورة فى العدد الماضى . وقد انتهت هناك بدخول جورجياس فى المناقشة مجيباً على أسئلة سقراط الذي أراد أن يعرف من السفسطائى موضوع الفن الذى يمتهنه ويدعى أنه أفضل الفنون وأجلها . وسنرى اليوم كيف يحاوره سقراط ويكشف عن جهله بحقيقة مهنته !

(٢) أحد آلهة اليونان (المعرب)

(١) قد زدنا هذا اللفظ من عندنا لتنبيه القارئ إلى قصد سقراط (المعرب)

ج — يرجع السبب في ذلك يا سقراط إلى أن الفنون الأخرى تكاد تتعلق فقط بأعمال اليد أو بما يشبه هذه الأعمال من إنتاج . أما البيان فلا ينتج أي عمل يدوى . ولا يقوم كل أثره ونفوذه إلاّ فى الكلام فحسب . وهذا ما يجعلنى أصرح بأن موضوع البيان هو الكلام ، وما يجعلنى أدعى أن قولى هذا صحيح !

ط — أعتقد أنى فهمت ما تريد أن تعنيه بذلك الفن . ولكنى أريد أن يزداد الأمر وضوحاً فأجبنى : أليست عندنا فنون كثيرة ؟

ج — بلى !

ط — ومن هذه الفنون — كما أظن — ما يقوم فى أساسه على العمل دون أن يحتاج لغير أقل قدر من الكلام ، أو دون أن يحتاج إلى كلام قط ؛ فيتم عمله فى صمت تام كالحفر والتصوير وفنون كثيرة أخرى مما قد قلت عنها — فيما يتراءى لى — أنها لا تتصل بالبيان قط ؟ أصحيح هذا ؟

ج — إنك لتمسك بفكرتى تماماً يا سقراط

ط — هذا بينا توجد على النقيض فنون أخرى تعتمد تقريباً على الكلام ولا تحتاج إطلاقاً إلى أي عمل action كالحساب والإحصاء والهندسة ولعب الشطرنج وفنون أخرى كثيرة ، إذ بين هذه ما يتطلب من الكلام أكثر مما يتطلب من العمل ، بل إن أغلبها يتطلب بالفعل « كلاماً » أكثر . ولذلك تقوم كل قوتها وأثرها فى الكلام فحسب . فترى هل البيان من ذلك النوع الذي ذكرتُ كما يبدو ؟

ج — إنك تقول حقاً

ط — ومع ذلك فقصدك — كما أظن — ليس إطلاق اسم البيان على أحد هذه الفنون، لأنه ما إن تقول عامدين إن البيان فن تقوم كل قوته فى الكلام حتى يتعلق بعضهم بالألفاظ ويخرج منها قائلا : « إنك إذاً تطلق البيان على الحساب يا جورجياس ! » . ولا أحسب أنك تسمى الحساب أو الهندسة بهذا الاسم[1]

ج — إنك مصيب يا سقراط وقد فهمت قولى كما يجب أن يفهم !

(١) تلاحظ هنا براعة سقراط وأدبه فى الحوار . إنه يكاد يشفق على محدثه الجاهل ويرده إلى الصواب فى أدب ساخر وتصحيح سليم

ط — إذاً أتم إجابتك على سؤالى . ما دام البيان أحد هذه الفنون التى تعتمد على الكلام اعتماداً أساسياً ، وما دامت هناك فنون مثله فى ذلك الاعتماد ، فأخبرنى من أية ناحية يعتمد البيان على الكلام[1] ؟ إذ لو سألنى مثلا أحدهم عن موضوع فن من الفنون التى أسميها بأسمائها وقال ما هو الحساب يا سقراط ؟ فإنى أجيبه — كما أجيب الآن — بأنه أحد الفنون التى تعتمد تماماً على الكلام . فاذا سألنى ثانياً : من أية ناحية ذلك الاعتماد ؟ أجبته : من ناحية الزوج والفرد كيما ندرك عدد الوحدات فى هذا وفى ذاك . . . وهو إذا سألنى بالمثل عن الاحصاء قلت له أيضاً إنه أحد الفنون التى كل قوتها فى الكلام . فاذا طلب : من أية ناحية ذلك ؟ قلت : — كما يفعل جامعو الأصوات فى الجمعية — إن الاحصاء يقوم للفنون الأخرى مقام الحساب لأن موضوعهما واحد : أى معرفة الزوج والفرد . وهناك فقط هذا الفارق : وهو أن الاحصاء يبحث فى كمية الزوج والفرد لا إطلاقاً فحسب ، ولكن أيضاً فى علاقات هذه الكمية ونسبها . وكذلك إذا سألنى أحدهم ثانياً عن الفلك وأضاف بعد قولى له إنه فن يعبر بالكلام عما هو فى دائرة اختصاصه — أضاف : على أى شيء ينطبق القول فى الفلك ؟ أجبته بأنه ينطبق على حركة الكواكب والشمس والقمر كما يمتد فيتناول علاقات سرعتها بعضها ببعض[2]

ج — حسن جداً يا سقراط

ط — إذاً أجبنى بالمثل يا جورجياس ! أليس البيان أحد هذه الفنون التى تعالج كل شيء وتنجزه بالكلام ؟

ج — هذا صحيح !

ط — ولكن أخبرنى من أية ناحية هذا ؟ وما هو الموضوع الذى يتصل به ذلك الكلام الذى يستعمله البيان ؟

ج — إنه يا سقراط أعظم أعمال الإنسانية وأرفعها ![3]

(١) قصد التحديد وعدم إطلاق الألفاظ بلا تدقيق ظاهر (المعرب)

(٢) أرجو ألا يمل القارئ من كثرة الأمثلة إذ لاشك فى طرافتها وضرورتها لاقناع العقول المهوشة العلم

(٣) لاحظ اللف والدوران واستعمال الكلمات الطنانة !

ط — لم يزل ما تقول يا سقراط موضع شك وغموض !
ويبدو لى أنك قد سمعت فى الولائم تلك الأغنية التى يعدد فيها
الندماء خيرات الحياة ويقولون إن أول هذه الخيرات هو الملبس
الحسن ، وثانيها الجمال الرائع ، وثالثها الغنى الحلال كما يقول مؤلف
هذه الأغنية ؟

ج — لقد سمعتها حقاً ولكن لم تذكرها ؟

ط — ذلك أن أصحاب هذه الخيرات التى يتغنى بها الشاعر
كالطبيب ، ومدرب الرياضة البدنية ، ورجل الأعمال ، سيقفون
فى الحال إلى جانبك ، وسيبدأ الطبيب فيقول لى إن جورجياس
يخدعك يا سقراط لأن موضوع فنه ليس من خيرات الانسانية
الكبرى فى شىء ، بينما موضوع فنى أنا هو الذى يتصل بهذه
الخيرات ! فإذا سألته : وما مهنتك أنت يا من ترسل هذا القول
فإنه سيقول : « إننى طبيب ! » وإذا ما سألته : ماذا ؟ أتدعى أن
أعظم خيرات الانسانية هو ما ينتج من فنك ؟ أفلا يحتمل أن
يقول لى متسائلاً : وهل يستطيع أحد أن يجحد ذلك ما دامت
« الصحة » هى ثمرة هذا الفن ؟ وهل هناك خير يفضل الصحة
لدى الناس ؟[1]

« يتبع » محمد حسن ظاظا

(١) أظن أن ليس هناك أبرع ولا أمهر من هذا الرد (المعرب)

حـــواء

. . . ديوان شعر طريف فى الغزل العرفانى
يصدره الأستاذ الحومانى تحت هذا الاسم
وستقدم الرسالة لقرائها نماذج منه فى أعدادها
التالية ريثما ينتهى طبع الديوان

عبقر الفنان

ألأمانىُّ أغلقتْ بىَ عينيـــكِ وعيناكِ رمز هذى الأمانى
كيف لا أرصد النجوم لعينيـــكِ طَوالَ الدجى ولى عينان ؟
أفما جالتا — وقد خفق الحا لم — من وجنتيكِ فى بستانِ ؟
تملأ النفسَ منه بالأمل الغضّ رُؤى عبقرية الألوان
لا عيون الرائى تفوز بما تُبـ صرُ منها ولا أكفُّ الجانى
إنما هن فى السما مُثُلُ الفنِّ وفى الأرض عبقر الفنان

روح الله

مبدعَ الفن أىُّ كفيكَ خطَّت عجب الفن تحت هذى الجباهِ ؟
فى صدور تموج تحت صدور وشفاهٍ تهتز فوق شفاهِ ؟
إن فى الابتسام والدمع سِرًّا هو غير العيون والأفواهِ
أهو الحبُّ خلقهن ؟ وما الحبُّ ؟ هل الحب غير روح الله ؟
آمنت فيكَ هذه الناس ساهيـــنَ وآمنتُ فيك غير الساهى
قد تحسست ذات قدسك لا فى النا ر مسجورة ولا الأمواهِ
إنما الحب دمعة وابتسام وهما أنت فى الحقيقة لاهى

الحومانى

أحمد الاسكندرى بك

بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاته

١٨٧٥ - ١٩٣٨

بقلم تلميذه وصهره
الأستاذ محمد أحمد برانق



اتصل بى كثير من الأدباء الذين يقدرون المغفور له الأستاذ أحمد الاسكندرى قدره، ويقرون له بالفضل (وبخاصة أدباء لبنان وفلسطين وغيرهما من الأقطار الشقيقة)، وطلبوا إلى أن أقدم لهم كلمة فى تاريخ حياته، وموجزاً عن آثاره العلمية والأدبية، ليكون نواة لما يقال عنه فى حفلة تأبين يقيمها أدباء بيروت، ولما بأتى من محطة الاذاعة فى فلسطين، ولكن شدة وقع المصيبة كاد يصرفنى عن كل شئ حتى هذا، إلا أنى غالبت ذلك الضيق الذي أحس مرارته في نفسى، واستطعت أن أكتب ما أرجو أن يكون فيه بعض الغناء إلى حين، حتى إذا أمكنتنى الفرصة من وضع يدى على آثاره الأدبية المخطوطة، جلوتها للأدباء، وفاء له، واعترافاً بفضله

نشأته:

صدر العلماء، وغرة الأدباء، وباقعة عصره — أحمد بن على عمر الاسكندرى، ولد فى مدينة الاسكندرية فى ٢٦ فبراير سنة ١٨٧٥، تعهده أبوه بالتعليم، وبعد أن حفظ القرآن وأجاده التحق بالمعهد الدينى بالأسكندرية المعروف بجامع الشيخ. وأكب على التحصيل، ولكن مناهج التدريس لم تشبعه، فكان يقرأ الكتب التى تقع تحت يده، ومنها قصص عنترة، وأبى زيد، وسيف بن ذى يزن وألف ليلة وليلة، ونحوها، فأولع بالأدب، وقرض الشعر يافعاً، وعرفه بعض أبناء الأعيان المتأدبين، ولكن الأفق العلمي فى الاسكندرية أصبح محدوداً أمامه، فرغب فى النزوح إلى القاهرة حيث الأفق أوسع، ولكن والده لم يوافقه؛ إلا أن الهمة البعيدة الموهوبة، تفك القيود، وتحطم الأغلال، وتحتال لتقهر كل صعب، فصمم الغلام أحمد الاسكندرى على الرحلة إلى القاهرة، وجمع كتبه وحزمها، وخرج فى غفلة من أهل الدار، وليس فى جيبه إلا دريهمات كان قد ادخرها، وصحبه فى سفره اثنان لا أذكر اسميهما، أما أحدهما فإنه تخلف فى حدود الاسكندرية، وأما الآخر فإنه صحب أحمد وركبا مركباً يسير فى ترعة المحمودية حتى وصلا إلى مدينة كفر الزيات. وهنا نفد زادهما ودريهماتهما، فعاد الرفيق إلى الاسكندرية، أما هو فان عزمه حديد لا يفل؛ فقد حمل كتبه على ظهره، ومشى على قدميه من مدينة كفر الزيات حتى وصل إلى القاهرة وهو حدث.

والتحق بالأزهر ليتلقى علوم اللغة والدين. وفى سنة ١٨٩٤ التحق بمدرسة دار العلوم، وكان أصغر زملائه سناً، وأنبههم ذكراً، وأوسعهم معرفة. وكان من عادة المدرسة حينئذ أن تعقد فى أول كل سنة دراسية اختبارا عاماً لطلبة المدرسة فى كتب تعينها لهم، ثم فى المعلومات العامة، فكان الاسكندرى فى كل عام فارس الحلبة الذى لا يدرك، فتخصه المدرسة بجوائزها

وكان أيام الطلب مبرزاً فى مادة الانشاء بديع الصنعة، مليح الصيغة. كتب أول أمره على الطريقة الشائعة إذ ذاك، وهى طريقة السجع، وله موضوعات كانت موضع إعجاب أساتذة الانشاء فى عصره، فأطروها ونشروها منسوبة إليه فى كتبهم؛ ولعل من هؤلاء الشيخ مفتاحاً — إن لم تكن الذاكرة قد

خانقى — فإنه نشر له موضوعاً فى وصف قنطرة قصر النيل (الخديو إسماعيل الآن) فى كتاب له

تخرج فى دار العلوم سنة ١٨٩٨ ، واشتغل بالتدريس فى المدارس الأميرية، ثم كان ناظراً لمدرسة المعلمين فى الفيوم والمنصورة؛ وفى هذه الأثناء ظل على نشاطه الفكرى ، فأخذ من محاسن الآداب بأوفر حظ

فى دار العلوم

فى سنة ١٩٠٧ انتقل إلى دار العلوم لتدريس مادتى الانشاء والأدب العربى وظل يزاول ذلك العمل بتلك المدرسة زهاء سبعة وعشرين عاماً ، ألف فى أثنائها كتاباً عن الأدب العربى فى العصر العباسى ، أجمع الأدباء على أنه كان المعين الذى استقى منه جميع من بحثوا فى تاريخ الأدب من بعده . ووضع لطلبته مذكرات فى العصور الأخرى ، كانت وما تزال عدة الطلبة ، يجدون فيها طلبتهم فيستعينون بها على تهيئة أنفسهم لأن يكونوا أدباء باحثين لما تحتويه من الحقائق العلمية والفنية الخالية من الزخرفة والتهويل ، ولأنها ترسم لهم طريق البحث فى أحدث صورة

وكان منهج تاريخ الأدب فى دار العلوم يحتوى فوق النظريات العامة تراجم كثيرة لعدد كثير من الكتاب والشعراء والخطباء والعلماء وغيرهم ؛ فكانوا يضطرون إلى وضع مختصرات تشبه المتون ؛ وهذا لا يعلم الطلبة ، ولا يربى فيهم ملكة البحث فاقترح — رحمه الله — أن يكتفى بدراسة بضع تراجم بحيث يدرس المترجم دراسة تفصيلية تحليلية وافية ، يرى فيها الطلاب نبراساً يهتدون به إذا حاولوا مزاولة البحث أو تصدوا لاستقصاء أى عمل علمى ؛ وحمل هو هذا العبء بادئاً ونهض به . وكان من حسن حظى أن كنت من أول من تتلمذوا عليه حين زاول هذا العمل ، فاستفدنا منه أجل فائدة ، وهو أول من اقترح تدريس فقه اللغة فى مدرسة دار العلوم ، وكان غير معروف من قبل فى المدارس المصرية . وتقدم لعمل المنهج ، وحمل عبء تدريسه ، فقسمه قسمين : قسم فلسفى نظرى يتعلق بنشأة اللغات والاشتقاق والنحت واختلاف اللهجات وغير ذلك ؛ وقسم نظرى يتعلق بوضع الألفاظ اللغوية للمسميات ، وكان مجدداً فى ذلك ، فوفقه الله كل التوفيق ، وجاء من بعده فاهتدوا بهديه ، وساروا فى نهجه

وفى سنة ١٩٢٢ عرض عليه موظف كبير كان بوزارة المعارف أن يزج بنفسه فى المعترك السياسى ، وأن يحرر مقالات ينشرها فى الصحف اليومية ، يؤيد بها حزباً معيناً ، فأبت عليه نفسه أن يفعل ، محتجاً بأن العلماء أحرى بهم ألا يكونوا ساسة ، وأن ما يتطلبه العلم من الأخلاق غير ما تتطلبه السياسة

وجميع من تخرجوا فى دار العلوم من سنة ١٩٠٧ إلى سنة ١٩٣٤ تتلمذوا عليه ما عدا فرقتين اثنتين

فى الجامعة

وفى سنة ١٩٣٣ اختير أستاذاً للأدب العربى بقسم اللغة العربية بكلية الآداب ، فاضطلع بذلك العمل على أكمل وجه وأتمه ، فأحبه تلاميذه ، وأقبلوا عليه ، وأفادوا منه

فى المكتب الفنى

وفى سنة ١٩٣٥ كتب إليه وزير المعارف إذ ذاك خطاباً يخبره فيه أنه يريد أن ينتفع بعلمه الواسع وتجاربه الطويلة فى المكتب الفنى فى وزارة المعارف ، فكان فيه عضواً عاملا ؛ وكانت له مشاركة تامة فى وضع مناهج اللغة العربية للمدارس الابتدائية والثانوية ، وفى مراجعة الكتب العربية لهذه المدارس

فى المجمع اللغوى

عند ما أنشئ المجمع اللغوى الملكى فى ١٣ ديسمبر سنة ١٩٣٢ وقع عليه الاختيار ليكون عضواً من أعضائه . وإن من يراجع محاضر جلسات المجمع فى سنواته الخمس ، يجد أنه كان المحور الذى تدور حوله المقترحات والمناقشات ، فكان بحق كما وصفه بعض العارفين : « مخ المجمع » . ولما تكونت اللجان الفرعية ساهم فى أكثرها ، فكان عضواً فى لجنة الرياضيات ، ولجنة العلوم الطبيعية والكيميائية ، ولجنة علوم الحياة والطب ، ولجنة المجلة ، ولجنة خزانة الكتب ، ولجنة الميزانية ، ولجنة الأصول العامة ، فكان عضواً فى سبع لجان من إحدى عشرة لجنة

تعصبه للغة العربية

كان يحب اللغة العربية ويتعصب لها تعصباً جعله يصف من يتهاون فى أمر من أمورها بالزندقة والالحاد . وكان يعتبر التساهل وفتح الباب للغات الأجنبية ، لغزو اللغة العربية ، جريمة شنيعة

ومن يرجع إلى محاضر جلسات السنة الأولى للمجمع اللغوى يجد أنه جاهد جهاداً شديداً حتى جعل المجمع يوافق على عدم اللجوء إلى التعريب إلا لضرورة قصوى. وكان يعجب من القوم الذين يعيبون على المجمع استعمال ألفاظ غريبة لمسميات جديدة، لأنه كان يرى أن هذه الألفاظ وإن بدت غريبة الآن فإنها بالاستعمال والمران تسهل على السمع وتجرى على اللسان، وهى أصون للغة من الدخيل. وله فى مسألة التعريب مواقف مشهودة وقفها فى نادى دار العلوم القديم الذى كان يرأسه المرحوم عاطف بركات باشا، وفى المجمعين اللغويين الأهليين القديمين اللذين رأسهما المغفور له العلامة الشيخ سليم البشرى ولطفى السيد باشا؛ ومبدؤه هذا كان يبثه فى تلاميذه، ويحضهم على الاستمساك به، حتى لتجد جمهرتهم إن لم يكن كلهم من رأيه ومبدئه

مؤلفاته

أول كتبه كتاب تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى، ثم ألف كتاباً عن اللهجات العامة، قدمه لمؤتمر المستشرقين سنة ١٩١١، ورأيته عنده مخطوطاً ولم يقع نظرى عليه منذ سنتين. ثم ألف كتاباً للمطالعة للمدارس الثانوية فى عدة أجزاء، وسماه «نزهة القارئ» طبع منه جزءين نفدت منهما طبعات، قررته وزارة المعارف سنة ١٩٣٤، ولكن أموراً شكلية تتعلق بشروط قائمة بينه وبين (مكملان) حالت دون التنفيذ

وألف كتاباً عاماً فى الأدب العربى فى جميع عصوره، يقع فى بضعة آلاف صفحة، وكان فى نيته أن يطبعه، واشتغل فى السنة الأخيرة من حياته بوضع مقدمة له وصفها هو بأنها: تقع من تاريخ الأدب موقع مقدمة ابن خلدون من التاريخ؛ وأعد العدة لذلك، ولكن عاجلته المنية، فاقتطعه دون الأمنية

وله بعد ذلك مؤلفات فى فقه اللغة كان يضعها لتلاميذه؛ لكنه لم يجعلها كتابا عاما لاعتقاده أن هذا من شئون الخواص. واشترك مع غيره فى وضع كتب مدرسية فى التاريخ العام وتاريخ الأدب والنصوص الأدبية أكثرها يدرس اليوم. وليس المقام هنا مقام البحث فى هذه الكتب ودراستها، ولكنه مجرد سرد موجز لما عمله.

أخلاقه وصفاته وعلمه:

كان هينا، ليناً، صريحاً، أبيا، عذب الحديث، بارع الجد، حلو الفكاهة، سريع الخاطر، حاضر النكتة، ظريف التفصيل والجملة، ميالا إلى العزلة، فكان يقضى فى بيته أياما لا يبرحه. وكان كثير القراءة، تمر به أيام يقرأ فيها خمس عشرة ساعة أو أكثر فى اليوم. وكان سريع التعليق، ويقتنى مكتبة عظيمة، وليس فيها كتاب لم يقرأه ولم يعلق عليه.

وكان أهم ما يعنى به فى قراءته بعد أن استوعب الكتب القديمة مطبوعة وخطية — هو الكتب المترجمة، وكان أول مايقرأ فى الصحف برقياتها الخارجية

أما معلوماته العامة فواسعة المدى، فهو سياسى مع الساسة، وأثرى مع علماء الآثار، ومصور مع علماء التصوير، واجتماعى مع رجال الاجتماع، وهو كذلك رياضى وطبيعى وكيميائى ومؤرخ. وكانت له فى كل هذه العلوم مشاركة تامة تدل على استبحاره. والموضوعات التى عالجها فى كتابه نزهة القارئ، والكلمات التى وضعها فى مجلة المجمع، ورسالته الأخيرة التى قدمها للمؤتمر الطبى العربى ببغداد — كل هذا يشهد بأنه كان ذا نشاط جم، وعقل جبار.

ومجالسه مع أصدقائه تشهد بما كان له بينهم من جليل القدر وعظيم الأثر. حدثنى أحد الفضلاء أنه شكا إليه يوما تخبط الكتب الانجليزية واضطرابها فى شرح نظرية دارون، وأنه تعب كثيرا فى التقصى والبحث إلا أنها لم تصر جلية فى ذهنه كما يجب، فأفاض الشيخ فى شرح هذه النظرية ببيانه المعروف عنه، وتوضيحه وتذليله وتصويره للحقائق فى أيسر صورها، حتى ترك صاحبه ومن كانوا معه يقولون: كأن دارون لم يفض بحقيقة نظريته إلا له، فاختصه الله القدرة على تفهيمنا.

وحدث صديق له قال: صحبته وبعض خلصائه يوماً إلى دار الخيالة؛ وما كدنا نصل إليها حتى أبدى أحدنا غرابة مما وصل إليه العلم من عرض الصور الصغيرة وتكبيرها؛ ثم تسجيل الصوت؛ فما كاد يسمع منه ذلك حتى انطلق يشرح لهم نظريات عن فن التصوير والعدسات وأنواعها وكيفية استعمالها، ثم عن التقاط الأصوات فى (الأستديوهات) وما يعانيه الممثلون والممثلات. والتفت حوله جمع من الناس وأقبلوا عليه بمجامعهم،

يستمعون منه ، معجبين به ، بل ودبعضهم لو أبطل صاحب الخيالة خيالته ليتم له هو حديثه .

من ذلك تعلم أنه تبوأ مكانه بجدارة بين علماء عصره . وكان ركنا عظيما تعتمد عليه وزارة المعارف والمجمع اللغوى والهيئات العلمية والأدبية .

وكان إذا أراد أن يعالج موضوعاً عالجه غيره من المحدثين لا يطلع على ما كتبه ذلك الغير إلا بعد أن يكتب . وكان فى كبره لا يهاجم من يخطئون كما كان يفعل أيام شبابه ، ولكنه كان يرد عليهم فى أثناء بحثه من غير إشارة إليهم ومن غير أن يمسهم من قرب أومن بعد .

وكان موضع الثقة من كثير من العلماء الأعلام ، يراسلونه ويستفتونه فى كثير من المسائل التى يشتبه عليهم الأمر فيها ، أو لا يهتدون إلى مصادرها ، ومن هؤلاء الفضلاء الأب أنستاس مارى الكرملى ؛ فان رسائله لم تنقطع عنه حتى فى أيام مرضه الأخير. وكان الأب على جلالة قدره يعترف له بالفضل والأستاذية ، كما كان يعترف غيره . كتب إليه يوماً يقول : « . . . جاءنى كتابك وفيه من سبحات النور ما جعلنى أدعو الله أن يزيدك فضلاً وعلماً للمستجيرين بك واللائذين إلى بحر عرفانك الجم . ولو كان فى الاسلام فى عصرنا هذا عشرة مثلك فى مصر . لانتقل الحنفاء جميعهم إلى هذه الديار المباركة للاقتباس من فيض نورك المتدفق ... الخ » .

وكان فى جلسات المجمع الأصلية والفرعية إذا أشكل أمر أو أظلمت مسألة خرج هو على الأعضاء بما يزيل اللبس ويكشف الغموض والابهام . وكانوا جميعاً يعترفون له بالسبق ، ويعتبرونه جهيزة تقطع قول كل خطيب . قال الدكتور منصور فهمى بك عضو المجمع اللغوى فى معرض رثائه : « . . . إنا أمس الأول — حين جمعتنى وبعض زملائك حلقة من حلقات المجمع اللغوى — كنا نقول فيما كنا نتذاكر فيه : انتظروا السكندرى ، وأرجئوا المسألة فعند السكندرى علم ما أشكل علينا ، ولديه حل ما استعصى علينا ، والآن يموت حلال المشكلات ، والمرتجى فى اللغة للمستعصيات . . . الخ »

وعند ما سافر سنة ١٩١١ إلى مؤتمر المستشرقين فى بلاد اليونان بصحبة المغفور لهم : الأمير فؤاد (جلالة الملك فؤاد) ، وأمير الشعراء أحمد شوقي بك ، وأحمد زكي باشا ، وحفنى ناصف بك ، وغيرهم ، خطب فى موضوع اللغة العربية الفصحى ، وفلة انتشارها بين الغالبية العظمى من أهل الممالك الاسلامية المختلفة ، وعرض على جماعة المستشرقين استفتاء فى رأى المرحوم يعقوب أرتين باشا وكيل وزارة المعارف إذ ذاك ، فى : « هل يجوز أن تحل فى كل بلد لغة أهله العامية — وهى لغة السواد الأعظم — محل اللغة الفصحى فى الكتابة ، وتستعمل فى المخاطبة ؟ » وذكر لغات هذه البلاد العامية ولهجاتها المختلفة ، وأدب كل لغة فى نثرها ونظمها ، وقرأ ذلك من كتاب له غير مطبوع . . . قال إن يعقوب باشا كانه بوضعه عن لغات هذه الشعوب الاسلامية العامية ، فقضى فى بحث هذه اللغات واللهجات بضع سنين ، واقتبس منها ما دونه فى كتابه المذكور ، وهى لغات العامة فى بلاد العرب والشام والعراق ومصر وتونس والجزائر ومراكش وغيرها من البلاد التى يتكلم أهلها اللغة العربية بلهجتها العامية الخاصة بها . وقد اهتم المستشرقون بهذا البحث وناقشوه فيه ، وقضوا وقتاً طويلا فى مباحثته ومساجلته ، ثم انتهوا من ذلك إلى قرار صريح بأن : « اللغة العربية الفصحى هى اللغة التى تصلح للبلاد الاسلامية العربية للتخاطب والكتابة والتأليف ؛ وأن من واجب حكومات هذه البلاد أن تعنى بنشرها بين الطبقات الشعبية لتقضى على اللهجات العامية التى لا تصلح كلغة أساسية لأمم تجمعها جامعة الدين والعادات والأخلاق » . وكان هذا القرار فوزاً بالغاً له سر به المجمع ، لأنه كان تعززاً لرأيه ضد رأى أرتين باشا ، وهو نصير اللغة العامية ، وإحلالها محل اللغة العربية الفصحى

وفاته

وفى منتصف الساعة الخامسة من مساء الثلاثاء ١٨ من صفر سنة ١٣٥٧ — ١٩ من إبريل سنة ١٩٣٨ : لحق بالرفيق الأعلى ، على أثر مرض ألزمه الفراش أسبوعين ولم يجد دواء الطبيب ، فلكل أجل كتاب :

دخل الدنيا أناس قبلنا رحلوا عنها وخلوها لنا
فنزلناها كما قد نزلوا ونخليها لقوم بعدنا

محمد أحمد برانق

الاسلام في فارس

للأديب حسن حبشي

لعل أبلغ معجزة للاسلام هي تلك السرعة التي وسم بها انتشاره في رحاب المعمورة ، حتى لقد خفق لواؤه في مدي قرن من الزمان على كثير من بلدان آسيا وإفريقيّة ، وتغلغلت شريعته وحبه والايمان به في نفوس قوم درجوا على الشرك ، وكانوا لا يألون جهداً — هم وأسلافهم من قبل — في صدّ كل عادية عنه . ومن مظاهر هذه المعجزة إسلام التتر بعد أن كاد الاسلام أن يحتضر من خطبهم وتدميرهم ، فلقد كانوا « المصيبة الكبرى التي عقّت الأيام والليالي عن مثلها ، فان التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها[1] » فاذا هم — بعد اعتناقهم إياه — من أكبر الذّائدين عن حياضه ، المدافعين عن بيضته . ويذهب السير توماس أرنولد في تعليله لهذا الانتشار والسبق الذي اختُص به الاسلام دون غيره إلى ما اتّسمت به العقيدة الاسلامية من بساطة لا تعقيد فيها ، وإلى وحدانية الله ، وإلى أن محمداً عبده ورسوله[2]

لقد درج الاسلام في بلاد الحجاز ، ثم ما لبث أن اتسعت رقعته وامتدت فتوحه شرقاً وغرباً فأصبحت العراق وفارس ومصر والشام وفلسطين وبلاد الخزر وإفريقية والنوبة والهند إمارات إسلامية قد انتقلت من الشرك والاضطهاد والنضوب الفكري إلى وحدانية مشرقة ، وعدل أظل الجميع بفيئه ، ونهضة اجتماعية وذهنية غيرت معالم الحياة بأسرها . ولا غرو فالاسلام في جوهره دين عقلي بأوسع ما تدل عليه هذه الكلمة من معنى[3]

وتاريخ الاسلام في مبدئه هو تاريخ تلك الأقطار المفتوحة ، وحسبنا في هذا البحث الموجز أن نرى مدى انتشاره في إيران وإن ذهب أهلها شيماً وتباينوا عقائد

ويرتبط تاريخ إيران الاسلامية أيما ارتباط بهذه الجماعات التي كانت تفد عليها متاجرة أو مهاجرة من جهة ، ومن جهة أخرى بتاريخ الملوك والخانات الذين كان لبعضهم فضل الجهاد في سبيل نشر الدين ، وإن وجدوا في كثير من الأحيان إقبالاً من الشعب نفسه يرجع في جرثومته إلى أسباب عدة ليس هذا مجال بحثها . كما أن بعض القواد لم يدخر وسعاً في سبيل نشر الاسلام فكان ابن القاسم فاتح بلاد الهند داعية من دعاته ، وأحد الحريصين على بث مبادئه العاملين على بسط نفوذه ، فلقد عرض على أمراء الهنود اعتناقه[1] ، ولم يكن الطمع في الغنيمة فحسب هو الدافع للجند العرب المسلمين على الاستبسال والاستماتة في هذه الفتوح العظيمة[2] ؛ تلك الروح التي تتمثل في قول خالد ابن الوليد حين لاقاه أهل الحيرة فقال لهم « أدعوكم إلى الاسلام فان أنتم فعلتم فلكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم ، وإن أبيتم فأعطوا الجزية ، فان أبيتم فقد أتيتكم بقوم هم أحرص على الموت منكم على الحياة[3] »

* * *

لقد كان فتح العرب لبلاد فارس حادثاً جديداً في تاريخ الاسلام من الناحيتين الفكرية والاجتماعية ، كما كان له أثره القوي فيما بعد — في الناحية السياسية والدينية لِما ظهر عند أهله من هوى عنيف للمذهب الشيعي ، وإن أرجع بعض المستشرقين هذا الميل إلى زواج الحسين بن عليّ « بشاه بانو » إحدى بنات يزدجرد الثالث آخر ملوك آل ساسان ، ومن زعماء هذا الرأي الأستاذ جولد تسيهر .

دخل المسلمون هذه البلاد الغريبة عنهم في حضارتها وتاريخها ونظمها السياسية وتفكيرها ، فكان ثمت احتكاك تولدت عنه نزعات جديدة في كل هذه الأمور ، ولعبت العصبية القومية دوراً خطيراً على مسرح الحياة العامة فكانت دعامة الدعائم في قيام الدولة العباسية التي اتخذت عاصمتها في بلدٍ ينزع أهله إلى تأييدها[4]

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ (طبعة مصر سنة ١٣٠١ هـ) ج ١٢ ص ١٦٤ - ١٦٥

(٢) Sir Thomas Arnold : Preaching of Islam (Luzac 1935. P. 413.

(٣) E. Montet : La propagande chrétienne et ses adversaires musulmans (Paris 1890) P. 17

(١) Wiot : Hist. of India. Vol I P. 175

(٢) H. A. R. Gibb : The Arab Conquests in Central Asia

(٣) أبو يوسف : كتاب الخراج (مصر ١٣٠٢ هـ) ص ٨٤

(٤) Cf : Le Strange : Bagdad under the Abbasid Caliphate ch I. pp. 1—h.

كانت بلاد الفرس وقت أن دخلها العرب مللاً متباينة ، ونحلا مختلفة متنازعة ، فهناك الصابئة والمجوس وأتباع مانى وزرادشت ، وهناك أهل الكتاب من يهود ونصارى ، فكان القوم بين مشرك ووثنى وموحّد ومثلث ، فلم يكن الاضطراب سياسيا فحسب ، بل كان دينيا كذلك . فوجد العرب هذه البلاد على حال من الفوضى السياسية والاجتماعية والدينية ، فكان العبء عليهم ثقيلا ، وكانت التركة بين أيديهم تتطلب منهم سياسة حكيمة ماهرة ، حتى يستطيعوا أن يبعثوها لغد يزهو على الأمس ، ويجعلوا من أهلها دعاة للحنيفية السمحاء .

لقد مرت القرون تترى والقوم مقيمون على الشرك وعبادة النار والنجوم ، فما أهلّ الاسلام عليهم بنوره حتى تسارعوا زمراً لاعتناقه والدفاع عنه ، فكان أئمة الدين وجلة علمائه من أهل فارس حتى لقد لاحظ ذلك ابن خلدون فقال : « من الغريب الواقع أن حملة العلم فى الملة الاسلامية أكثرهم العجم ، لا من العلوم الشرعية ، ولا من العلوم العقلية إلا فى القليل النادر وإن كان منهم العربي فى نسبته فهو عجمى فى لغته ومرباه ومشيخته مع أن الملة عربية وصاحب شريعتها عربى [1] » وكان أشد المدافعين عن الدين وعن العرب من رجال الفرس حتى فى الأوقات التى ظهرت فيها العصبية القومية بأجلى معانيها ، وفى الوقت الذى أطلت فيه الشعوبية تزعم ما تزعم من جحود ونكران للواقع ، وكأن هذا الميل القوىّ للاسلام لم يرق فى نظر البعض فذهب Dozy إلى أن مرجع اعتناق الفرس للاسلام أنهم ألفَوا فى القرآن الأركان الأساسية لديانتهم القديمة وإن اختلفت قليلا ، فلم يكن من العسير على الفارسى أن يقبل على عبادة اهرمزدا واهريمان إلهى الخير والشر حيث استترا وراء كلمتى الله وإبليس فى الديانة الجديدة ، كما يقول إن الاسلام اتفق والوثنية الفارسية القديمة فى القول بخلق الانسان ووجود الملائكة والبعث يوم القيامة وعودة الروح والجسم ثانية وفى فكرة الجحيم والجنة ، فالتقت العقيدة القديمة والدين الجديد فى هذه النواحى [1] . وغرض دوزى من ذلك الطعن فى إسلام الجماعة الأولى من أهل فارس ، وتجاهل هذه الروح الكريمة التى امتاز بها الاسلام والتى لا زال يغزو بها القلوب حتى فى عصر المادة فلا كبرياء ولا أرستقراطية مستهجنة [2] »

لم يقتصر فضل الاسلام على الناحية السياسية وانتشال البلاد من التدهور الاجتماعى ، بل تمداها إلى الناحية الدينية بين القوم وغيرهم من أهل الكتاب من النصارى واليهود ، فعامل الجميع معاملة حببت الجماعة فيه ، ولم يرغمهم على التصديق به والايمان برسالته وإنما حاجّهم فان أبوا فليس إلا الجزية ، إذ « هى واجبة على جميع أهل الذمة من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والسامرة [3] »

ولم تكن هذه الجزية دينية بحتة ، وإنما كانت كذلك للقيام بالمحافظة على دافعيها وضمان سلامتهم ، فى ظل هذا النظام الجديد الذى لم يألفوه من قبل أيام دولة الأكاسرة التى استبدت وبطشت بالمسيحيين وعصفت بهم ولم تحترم شعورهم ، بل كانت شديدة الوطأة عليهم فلاقى من عنتها اليعقوبيون والنسطوريون ألواناً من العذاب والتنكيل واضطربت أمورهم فى أيامها . أما المجوس فقد اكتفى العرب منهم بالجزية ، فلقد قال أبو يوسف [4] إنه « ذكر لعمر بن الخطاب رضى الله عنه قوم يعبدون النار ليسوا يهودا ولا نصارى ولا أهل كتاب (يعنى المجوس) فقال عمر ما أدرى ما أصنع بهؤلاء ؟ فقام عبد الرحمن بن عوف فقال أشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « سنوا بهم سنة أهل الكتاب » وذكر أنه « كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن

---

(١) ابن خلدون : المقدمة (طبعة المطبعة البهية بمصر) ص ٤٩٩

(١) Dozy : Essai sur l'hist de l'islamisme (Lyden) P. 156.

(٢) راجع فى الفخر (طبعة مطبعة الموسوعات ١٣١٧ هـ) ص ٧٣ — ٧٤ قصة ورود نبأ انتصار العرب فى فتح فارس إلى عمر بن الخطاب ففيها أبلغ الدلالة على الديمقراطية العربية

(٣) أبو يوسف : نفس المرجع ص ٦٩

(٤) أبو يوسف الخراج ص ٧٤

ساوى أن من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم ، له ذمة الله وذمة رسوله فمن أحب ذلك من المجوس فهو آمن ومن أبى فعلية الجزية [١] »

يقول الأمير كايتانى Caetani « لقد كان الاضطراب المنوى الذى ملأ أذهان المسيحيين يسير جنباً إلى جنب مع الفوضى السياسية فى الدولة ، وإذ شغلهم توالى نزول هـذه الكوارث والتدهور الخلقى الذى حاق بهم من جراء هذا الصراع العنيف بين المذاهب التنافرة الموجودة بينهم فلقد مالوا إلى هـذا النمط الذهبى العجيب الذى يسهل على العقيدة الجديدة أن تتمكن فيه . ولقد كان أهل فارس — وخاصة الأجناس السامية — فى نفس هذه الحال الذهنية مما جعلهم يرحّبون بالثورة الاسلامية التى سرعان ماأزالت من طريقها فساد الماضى ، وساعدها على ذلك ما امتازت به العقيدة الجـديدة: من بساطة خالصة ، هيأت النفوس لعهد جديد فائض بالآمال وخلصت القوم من الرق » ... لقد شهد بذلك كيتانى وهو من هو فى دراسته للتاريخ الاسلامى والعقلية الاسلامية [٢]

وكان دخول الاسلام بلاد فارس مؤذناً بعصر جديد من التحرر الفكرى ، كما رأى فيه المسيحيون مخلصاً لهم — كما يقول أرنولد — من استبداد ملوك آل ساسان ، ولم يركن المسلمون إلى الشدة والعنف فى سبيل بث مبادئ دينهم هناك ، وما كان إسلام القوم — من مجوس وصابئة ومانوية — عن طريق السيف إذ (لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) وما كان الاسلام وهو دين العقل ليحاول أن يخرج عما رسمه من حدود النقاش. وحسبه أن يعرض للأمر من جميع نواحيه فلا يزال يدعمه بالحجة والبرهان الصادقين فى منطق مستقيم حتى يأخذ به من اتبع العقل ولم يُكابر فى الحق . وإذا كانت هناك بعثات تبشيرية فإنها لم تكن تسير على خطة دبرها البعض ، وإنما هيأتها الظروف والملابسات وطبيعة الحياة كما كانت مدفوعة بإيمانها الصادق. وكان أغلب هـذه الجماعات التى قامت بالتبشير فى فارس والهند وبلاد آسيا الوسطى وبلاد ما وراء النهر من التجار الذين كانوا حلقة اتصال بين الوثنيين وبين الاسلام أو بين ماض مشرك ومستقبل لا يقر إلا بالوحدانية (قل هو الله أحد الله الصمد) ترفع عن الماديات (لم يلد ولم يولد) وجلّ عن كل ما يخاله الذهن البشرى القاصر عن إدراك ذاته (ولم يكن له كفواً أحد) ؛ فالعامل الأساسى فى تاريخ الفتوح الاسلامية كما يقول الأستاذ جب إنما هو هذا التبادل الدائم بين أهل الأقطار المفتوحة وبين العرب [١]

حسن حبشى

---

(١) أبو يوسف : كتاب الخراج ص ٧٥ — ٧٦

(٢) Sir T. Arnold : Op. cit. P.P. 207—208

(١) H. A. R. Gibb : Op. cit. P. 4

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي [1]

١٨٨٠ - ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ٣٠ —

« أنا لا أعبأ بالمظاهر والأغراض التي يأتي بها يوم وينسخها يوم آخر ، والقبلة التي أتجه إليها في الأدب إنما هي النفس الشرقية في دينها وفضائلها ، فلا أكتب إلا ما يبعثها حية ويزيد في حياتها وسمو غايتها ويمكن لفضائلها وخصائصها في الحياة ؛ ولذا لا أمس من الآداب كلها إلا نواحيها العليا ، ثم إنه يخيل إلى دائماً أني رسول لغوي بعثت للدفاع عن القرآن ولغته وبيانه ... » الرافعي

مقالاته للرسالة

سأحاول في هذا الفصل أن أتحدث عن كل مقالة من المقالات التي أملاها على الرافعي في الفترة التي صحبته فيها منذ بدأ العمل في الرسالة حتى صيف سنة ١٩٣٥ ؛ وما يجهل القراء أن كل مقالة يكتبها كاتب لها ظروفها وملابساتها ودوافعها ، وما يجهلون أن لكل كاتب عند كل مقالة يكتبها حالةً نفسية خاصة يظهر أثرها فيما يكتبه ، وإني لأعلم أن هذا التاريخ لا يتم تمامه في نفسي ولا يتأدى مُؤدَّاه إلى قارئه على وجهه إلا أن أثبت بعض ما أذكر من دوافع الرافعي إلى كل مقال مما أملاه عليّ ؛ وإني بهذا الفصل لأحاول جديداً في فن الترجمة ؛ فما أعرف كاتباً من كتاب التراجم في العربية حفل بهذا الباب في تاريخ الأدباء ، على أن له أثراً أي أثر في دراسة أدب المترجم يعين على فهمه وتصويب الحكم عليه ؛ فمن ذلك كانت عنايتي بهذا الباب ، وإني لأرجو أن تعينني الذاكرة على تمامه حتى أبلغ منه إلى ما أريد ...

***

لم يكن بين الرافعي والزيات صلةٌ ما قبل صدور الرسالة ، إلا صلة الأديب بالأديب ، وما أحسبهما التقيا قبلها قط إلا في كتبهما ورسائلهما . ثم صدرت الرسالة فكانت بريد الأدباء عامة إلى الأدباء عامة ؛ وكانت بريد الزيات إلى الرافعي ، فتعارفا وأتلفا وإن لم يلتقيا وجهاً لوجه . . . ومضت أشهُر . . .

وتصفحتُ الرسالة ذات مساء من صيف سنة ١٩٣٣ ؛ فإذا فيها كلمة عن « أوراق الورد [1] » للزيات ، يجيب فيها فتاة سألته أن يرشدها إلى شيء مما كتب أدباء العربية في رسائل الحب . ومضت فترة وكتبت الفتاة « عفيفة السيد . . . » رأيها في أوراق الورد فعابتـه ونزلت به منزلة . وكان الرافعي في هذه الأثناء بعيداً عن طنطا يصطاف في « سيدي بشر » ، وكان عليّ في هـذه الفترة ، والرافعي بعيد عن ميدان الأدب في مصطافه ، أن أجمع له كل ما يهمه أن يقرأ مما كتبت الصحف ؛ فلما قرأت ما كتب الزيات وما ردّت به الفتاة ، قصصته من صحيفته وبعثت به إليه في سيدي بشر ومعه رسالة مني . . . وقرأ الرافعي ما بعثت إليه ، فانتضى قلمه وكتب كلمة للرسالة يردّ بها رأي الفتاة . وكانت كلمة قاسية لم يجدها الزيات إلا فصلاً من « على السفود [2] » لا تقوى على لذعاته الفتاة الناعمة . . . فطوى الزيات كلمة الرافعي ونشر كلمة في الرسالة يعتذر بها إليه وإلى القراء ، ويرجوه بهذه المناسبة أن يكتب للرسالة شيئاً من منثور أوراق الورد . . . ولم يجب الرافعي هذه الدعوة إلا بعد بضعة أشهر

كانت كلمة الرافعي إلى « عفيفة السيد » عن أوراق الورد هي أول ما أنشأ للرسالة من مقالاته ، ولم تنشر . ثم سعى إليه يوماً شاب من المرتزقين بمراسلة الصحف اسمه « يوسف ... » وكان

(١) العدد ٢٥٨

(١) أوراق الورد ، هو الكتاب الثالث من كتب الرافعي في فلسفة الجمال والحب ، وهو الفصل الأخير من قصة (حب الرافعي) ورأيي فيه منشور في الأعداد السابقة من الرسالة

(٢) على السفود : هو كتاب الرافعي والعقاد ، ولي فيه رأي منشور بالعدد ٢٤١ من الرسالة ، على أني أعترف على نفسي بأني كنت قليل التجربة يوم حكمت حكمي على هذا الكتاب ؛ فإن من الناس طائفة لا يمكن مناقشتها إلا بمثل أسلوب « على السفود »

الرافعي يعطف عليه ويعينه على العيش بما يحسن إليه ؛ وإذ كان الرافعي لا يملك أن يحسن إليه بالمال — والمال في يده قليل — فانه كان يحسن إليه بما يملي عليه من رسائل الأدب ، ليأخذها فيبيعها إلى بعض المجلات فيستعين بما تدفع إليه من ثمنها على حاجات الحياة ، وهو ضرب من الاحسان على قدر طاقة الرافعي !

... جاءه هذا الشاب يسأله ويطلب منه الجواب : « لماذا لا تعالج القصة ؟ »

وأملى عليه الرافعي جوابه ، فذهب فنشره في الرسالة بعنوان « فلسفة القصة » . وكانت أول ما نشر للرافعي في الرسالة (١)

ثم كان عيد الهجرة بعد ذلك بقليل ، فطالبت الرسالة إلى الرافعي أن يكتب فصلاً للعدد الممتاز ؛ فأنشأ مقالة « وحي الهجرة في نفسي » (٢) ؛ وهو فصل كان يعتز به الرافعي اعتزازاً كبيراً ويتمنى لو أتيحت له الفرصة ليتم الحديث عن « فلسفة » حياة محمد (صلى الله عليه وسلم) على هذا النهج ، ليكون كتاباً بتمامه عن السيرة النبوية على نسق غير النسق الذي جرى عليه « القصاص » ممن كتبوا عن حياة محمد ...

ومضى شهر ، وأهدى إليه الشاعر محمود أبو الوفا « ديوان الأعشاب » وكان مرجواً أن يكتب عنه ؛ إذ كان المقصود من طبع هذا الديوان — وطابعه غير صاحبه — أن يكون إعانة مادية لناظمه توسع عليه ما ضاق من دنياه... !

وقرأ الرافعي ديوان الأعشاب ثم ... ثم هزته أريحيته إلى أن يكتب عنه ، تحقيقاً لرجاء الراجين فيه ، وبراً بصاحبه . وأبت كبرياؤه أن يكتبه مقالاً يعنونه بعنوانه ويذيله باسمه ؛ فدعاني إليه واصطنع حديثاً بيني وبينه فأملاه علي لينشر في الرسالة مذيلاً باسمي ؛ وما كان بيني وبينه حديث في شيء ، ولكنها مقالة تواضعت من كبرياء فسماها حديثاً ... وأرضى كبرياءه وعاطفته الرحيمة في وقت معا .

كان الرافعي في حرج وهو يملي علي هذا الحديث ؛ إذ كان يخشى أن يناقض نفسه في الرأي وهو يكتب عن هذا الشعر رعاية لصديق ، ولكنه خرج من هذا الحرج بحسن احتياله ، فجعل أكثر مقاله عن الشعر بمعناه العام ورأيه فيه ومذهبه منه ؛ ثم خص الديوان بكلمات في خاتمة الحديث كانت هي خلاصة الرأي فيه ؛ وبذلك برئ من الاسراف في المدح ومن الايلام في النقد ، وخرج من الأمرين معاً إلى تحديد معنى الشعر ووسائله وغايته. فأجاد وأفاد في باب من القول له منزلة ومقدار .

ومن كلماته في هذا الحديث :

« متى ذهبت لتحتج لزيغ الشعر من قبل الفلسفة ، وتدفع عن ضعفه بحجة العلم ، وتمتل لتصحيح فساده بالفن ؛ فذلك عينه هو دليلنا نحن على أن هذا الشعر ... لم يستو في تركيبه ، ولم يأت على طبعه ، ولم يخرج في صورته ؛ وما يكون الدليل على الشعر من رأى ناظمه وافتتانه به ودفاعه عنه ؛ ولكن من إحساس قارئه واهتزازه له وتأثره به ... » (١)

ونشر هذا الحديث في الرسالة ، ومضى شهر آخر ... ثم جاء البريد ذات صباح إلى الرافعي بكتاب من الزيات ، يعرض عليه أن يكون معه في تحرير الرسالة بمقالة ينشرها كل أسبوع أو كل أسبوعين ، وقدر له أجرا ... وقبل الرافعي ، وما كان له بد من أن يقبل ، لبعض ما قدمت من الحديث عن شئونه الخاصة في هذه الفترة من حياته . وكانت مقالته الأولى بعد هذه الدعوة ، هي مقالة « لا تجني الصحافة على الأدب ولكن على فنيته » (٢)

وتوالت مقالات الرافعي بعد ذلك في الرسالة ، فنشر في الأسبوع التالي مقالة « الاشراق الإلهي وفلسفة الاسلام » وأحسبه اختار هذا الموضوع — على انقطاع الصلة بينه وبين الموضوع السابق — احتفاء بالمولد النبوي ؛ إذ كان هذا موسمه ثم نشر « موت أم » وهي صورة حية نابضة لصبية فقدوا

---

(١) العدد ٤٠ سنة ١٩٣٤ من الرسالة
(٢) العدد ٦٢ سنة ١٩٣٦ من الرسالة

(١) العدد ٤٦ سنة ١٩٣٤ الرسالة
(٢) العدد ٥٠ سنة ١٩٣٤ الرسالة

أمهم وما يزال أكبرهم فى الثامنة ؛ وهى صورة حقيقية مرّت أمام عينيه فانفعلت بها نفسه ؛ أما هذه الأم فهى زوج صديقنا الأستاذ حسنين مخلوف ، وأما هؤلاء الصّبية فبنوها ؛ اهتصرها الموت فى ريعانها فمضت وخلّفت وراءها أربعة ، فبكاها الرافعى بكاء الوالد ؛ وما أعلم أنه مشى فى جنازة قبل جنازتها ، ودفنت فى مقبرة آل الرافعى بطنطا . ولما عاد الرافعى من الجنازة ليعزى الأستاذ مخلوفاً فى داره ، دعا بولده ليمسح على رأسه ويسرّى عنه ، فكان بين عينيه وعينىْ الطفل حديث طويل ؛ فما غادر مجلسه إلا ورأسه يفيض بشتى المعانى وقلبه يختاج بفيض غامر من الألم ، وعيناه تترقرق فيهما الدموع !

وروّح إلى داره فجلس إلى مكتبه يفكر ... ومضى يوم ثم أرسل يدعونى إليه فأملى علىّ « موت أم ! »

وكان فى الأسبوع التالى موعد امتحان الشهادة الابتدائية فكانت مقالتــه « حديث قطّين » وإنها لتتحدث بنفسها عن مناسبتها . وإن فيها لشيئاً من خلق الرافعى لم يكن يعرفه إلا الخاصة من أصحابه ، ذلك هو طبيعة (الرضا) بما هو كائن ؛ فقد كان ذلك من ألزم صفاته له ؛ فكان دائماً باسماً منبسط الوجه ، يقنع نفسه فى كل يوم بأنه فى أسعد أيامه ؛ فمن ذلك كان يحاول أن يجعل من كل ألم يناله لذةً يشعر بها نفسه ، ومن كل فادحة تنزل به خيراً يترقبه ويهيئ له . ولعل أحداً لا يعرف أن الرافعي لم يكن يرى فى تلك العلة التى ذهبتْ بسمعه وما يزال غلاماً ، إلا نعمةً هيأتــه لهذا النبوغ العقلى الذى أملى به فى تاريخ الأدب فصلاً لم يُكتب مثلُه فى العربية منذ قرون ! ولا شىء غير الإيمان بحكمة القدَر وقانونِ التعويض يجعل الإنسان أقوى على مكافحة أحداث الزمن فلا تأخذ منه النوازل بقدر ما تعطيه ... وذلك بعض إيمان الرافعى !

هذا الخلُق هو المحور الذى كان يدور حوله الحديث الذى اصطنعه الرافعي على لسان القِطّين ؛ وهو الذي حمله من بعد على إنشاء مقالتى « سمو الفقر » فى العددين التاليين من الرسالة ؛ والشىء يُذكر بالشىء ؛ فلولا ما جاء فى امتحان الشهادة الابتدائية فى ذلك العام ما أنشأ الرافعي حديث قطين ، ولولا ما ألهمه حديث القطين من المعانى فى فلسفة الرضا ما أنشأ مقالتى سموّ الفقر ؛ فنى هذه المقالات الثلاث موضوعٌ واحد اختلف عنوانه واتّحدت غايته وكانت مناسبتُــه ما قدّمْــت ...

ثم أنشأ مقالة « أحلام فى الشارع » وقصتها أنى كنت أساهر الرافعى أحياناً فى قهوة (لمنوس) بطنطا أو فى السينما ؛ فاذا ما انتهت السهرة صحبته إلى قريب من داره ثم أروح وحدى ، وكنا نمر فى طريقنا كل ليلة بدار (بنك مصر) ، ففى ليلة ما كنا عائدين من السينما وقد انتصف الليل ؛ فلما صرنا قبالة (البنك) وقف الرافعى هنيهة ليشهد منظراً استرعى انتباهه : طفل وطفلة من أبناء الشوارع نائمان على عتبة البنك ، وقد توسّــدت الفتاة ذراعاً وألقت ذراعاً على أخيها ... ووقف الرافعى ووقفْــت ... ورأى الشرطىّ ما رأينا فأسرع إلى الطفلين ...

وفى الغد أملى علىّ الرافعى مقالة « أحلام فى الشارع ! »

... وكانت المقالة التالية « فى اللهب ولا تحترق ! »

وهى الممثلة الراقصة المغنية ف... وكانت تعمل فى فرقة من الفرق التمثيلية المتنقلة بين الحواضر ، حلت مع فرقتها فى طنطا فى صيف سنة ١٩٣٤ ، ولسبب ما لم يذهب الرافعى إلى مصيفه فى سيدى بشر هذا العام ، واستغنى عن البحر والمصيف بما قد يكون فى طنطا من أسباب اللذات والرياضة ؛ وإن فيها لَغَنَاء وعوضًا ...

وكنا ثلاثة من أصدقاء الرافعى نسمر معه كل مساء (س ، ا ، ع) وجلسنا حوله ذات ليلة ، وكان متعبا مكدوداً يشعر بحاجته إلى لون من ألوان الرياضة يرد إليه نشاطه وانبساطه ؛ قال : « أين تقترحون أن نقضى الليلة ؟ »

قال ا : « إن فى متنزه البلدية فرقة تمثيلية ، هبطت المدينة منذ أيام ، وإن فيها المغنية راقصة ، أحسبها خليقةً أن توحى إليك بفصل جديد من أوراق الورد ! »

فطّ الرافعى شفتيه ولم يعجبه الاقتراح . وأحسب أن الصديقين ا و ع كانا على رغبة مشتركة فى هذه السهرة ، فما أحسّا رفض الرافعى حتى قال ع : « ... ولكنها راقصة

ليست كالراقصات : إنها صوّامةٌ قوّامة ، تصوم الشهر وستة أيام بعده ، وتقوم الليـل إلا أقـلّه ، وتصلى الخمس فى مواعيد الخمس ؛ وما أحسب رقصها وغناءها إلا تسبيحاً وعبادة . . . إنها . . . ! »

مغنية وراقصة ، ولـكنهـا صوامة قوامة ... ياعجبا ! وهل فى الراقصات كهذه التى يصفها الصديق العابث ع ؟ ... ولـكن الرافعى صدّق، وعرف الصديق طريق الاقناع إلى قلب الرافعى . واتفقنا على الرأى . . .

« هذه هى الراقصة التى أعنى ... » هكذا قال الصديق (ع) فاشرأب الرافعى ينظر من وراء الصفوف . لقد رآها ، ولـكنها لم تكن أمام عينيه كما هي فى أعين هؤلاء الناس . . . كانت تحت عينيه إنسانة أخرى لها طهر وقداسة واحترام ...

هذا الصدر الناهد ، وهـذه الساق اللفاء ، وذلك القوام الأهيف ، وهاتان العينان الحالمتان ، وهذا الخد الناضر ، وهذه الشفة الباسمة ، وذلك الشعر اللامع ... هذه كلها سحر وفتنة ، تمترك حولها شهوات الرجال ، وتترامى إليها أمانى الشباب ؛ ولـكن رجلاً واحداً بين النظارة لم يكن يبصر شيئاً من ذلك : رجلاً لم يكن أحد فيمن أعرف أضعفَ منه بإزاء سحر المرأة ، ولـكنه الليلة شخص غير من أعرف ؛ ولـكن هذه الراقصة بإزائه غيرها بإزاء الناس ... هى فى عين الجميع (أنثى) فاتنة ، ولـكنها بعينيه هو قديسةٌ تستحق التبجيل والاحترام ...

كانت على عين الجميع راقصة تغنى، وكانت بعينيه عابدة تسبّح وتصلى ... كان الناس ينظرون إلى الراقصة وهى تفتنُ فى إغراء الرجال بالنغمة والحركة والرَّنْوَة الفاتنة ، وكان الرافعى ينظر فى أعماق نفسه إلى صورة أخرى رسمها من خياله فقامت حياله تريه ما لا يراه الناس !

وانفض الساهرون إلا قليلا تحلّـقوا حول الموائد يقرعون كأساً بكأس ، ونهض الرافعى فيمن نهض ...

ومضى يومان ، ثم دعانى ليملى علىّ مقالة « فى اللهب ولا تحترق ! »

ولـما فرغ الرافعى من شأن هذه المقالة ، دعا إليه بصديقه (ع) يستزيده من خبر هذه الياقوتة الكريمة ، ويسأله الوسيلة إلى لقائها إن كان بينهما سبب ، لعل اجتماعاً بينها وبين الرافعي يفتق ذهنه عن موضوع جـديد يكتبه لقراء الرسالة ؛ فابتسم الصديق (ع) وقد دبر فى نفسه حيلة تجمع بينها وبينه ؛ وهل يعجزه هو — وهو مَن هو — أن يجـد وسيلة لمثل هذا اللقاء ليمضى فى مَزْحَته إلى النهاية ؟

وذهب (ع) يسأل عن الراقصة ويستقصى خبرها فعرف ... لقد فرّت (الياقوتة) مع موسيقىّ الفرقة ، ومضي زوجها فى أثرهما ، فانحلت الفرقة وغادرت المدينة

وجاء النبأ إلى الرافعى ؛ فـا عرف إلا من بَعد أنها كانت مزحة من الصديق ع فأسرّها فى نفسه . . .

وعاد الرافعى إلى المقال يقرؤه منشوراً فى الرسالة وهو يضحك ويقول : « أهذا ممكن ؟ أهـذا مما يكون ؟ أتكون فى اللهب ولا تحترق ؟ »

فرد الصديق (ع) قائلاً : « لقد احترقت ! »

وكانت كذبة ، ولـكنها أنشأت مقالة لم يُنشأ مثلها فيما قرأت من روائع الأدب العربى !

(شبرا) محمد سعيد العريان

بين العقاد والرافعي

مناقشات وشروح

للأستاذ سيد قطب

— ١١ —

عتب على كثير من الاخوان، وكثير من القراء، انشغالى فى بعض الأحيان بالردود على بعض من كتبوا فى الرسالة — عن الموضوع الأصيل الذى اخترت الحديث فيه، وعن شرح الآراء العامة التى أدليت بها فى أدب العقاد وأدب الرافعى، وسوق الأمثلة وتقرير الحقائق

وعند هؤلاء الاخوان أن آخذ بسبيلي في الموضوع الأصيل غير ملتفت إلى شيء مما يقال — لأنه لم يقل شيء يستحق العناية به — وهذا كان رأيي الذي صرحت به مرة ومرة

وبودى لو أطعت هؤلاء الراغبين فى الاستفادة، ولم ألق بالى إلى شيء مما يقال، ولكنني في الواقع أرى هناك ارتباطاً وثيقاً بين الموضوع ذاته وبين المناقشات التى تدور حوله، لا فى موضوعها وقيمتها، ولكن فى شكلها وبواعثها

وأفسر هذا فأقول: إن المدرسة العقادية تمنى بتصحيح المقاييس الأدبية عنايتها بتصحيح المقاييس النفسية، وقد أوردت من هذا نماذج فى شعر العقاد، عن «عدل الموازين. والعبوسة والبشاشة. ودرجات الفضائل... الخ» فاذا ما عنيت بمناقشة الأستاذ العريان، والأستاذ مظهر، أو سواهما، فانما أوجه عنايتى إلى «كشف» العوامل النفسية التى تبعثهما على الكتابة، وإلى «فضح» الظواهر المصطنعة التى تبدو فيها الأحكام، وإلى «تشخيص» العنت و«العدالة الزائفة» فى إصدارها

وهذا كله يعني المدرسة الحديثة عنايتها بالآراء الأدبية ذاتها، فما تقصد هذه المدرسة إلى تصحيح معايير الآداب والفنون، إلا وهى تمنى من ذلك تصحيح الأمزجة والنفوس. وهى لا تقصد بهذا الدعوة إلى المبادىء الخلقية التى يحترمها الناس بقوة العرف والاستمرار، ولكن تريد أن تصح النفوس فتكون هذه المبادىء أثراً لتفاعلها مع الحياة، أو جزءاً من غذائها اليومى الذى يدخل فى كيانها، لا أن تكون كالثوب تلبسه وتخلعه حسب المناسبات!

ومن هنا كشفت عن «العدالة الفريدة» التى تصف رد العقاد على الرافعى بأنه «سباب وشتائم» وتصف نقد الرافعى بأنه «منزه عن العيوب» وكان هذا الكشف بالأمثلة التى لا تدع قولاً لقائل!

ومن هنا كذلك كشفت عن «النزاهة العجيبة» فى وصف الدفاع عن العقاد ومدرسته بالشذوذ ومناصرة شخص على شخص ووصف «على السفود» بأنه «مثال يحتذيه الذين يريدون أن يحرروا بالنقد عقولهم من عبادة الأشخاص» وجئت كذلك بما استطعت أن أنقله عن الرافعي من أسلوب فى شتم العقاد!

وأنا أعتبر هذا جزءاً من تصحيح أساليب الأدب — باعتباره وسيلة لتصحيح النفوس — ولا أدرى أننى عدوت الموضوع الذى أتحدث فيه على هذا الاعتبار.

فأما الواقع فإننى أعجب لهذه الكثرة التى كتبت ترد على دون أن تقول شيئاً فى «الموضوع» مع مطالبتها لى أن أترك «الذاتية» وأتناول «الموضوعية» فى أدب العقاد وأدب الرافعى!

وها أنذا أراجع كل ما قيل. فماذا أرى؟

كل ما كتبه أنصار الرافعى، إنما هو شتائم شخصية، لسيد قطب، أكثرها فى أدبه وخلقه ونفسه — وهو خارج نهائيا على الموضوع — وأقلها فى تفكيره واستمداده واطلاعه — وهو قد يتصل بالموضوع — ولكن بدون دليل، إلا إشارات البكم، وتعبيرات العوام عن المسائل المبهمة فى نفوسهم، التى لا يحسنون التعبير عنها ولا يقدمون الدليل.

أفيمنيكم — ياهؤلاء جميعاً — أن تشتموا كاتب هذه الكلمات؟ لئن كان الأمر هكذا فأنا معكم أعاونكم فى شتمه إذا عجزتم، وأصرح لكم عنه بما يمنعكم خوف تقاليد الأخلاق — لاحياء نفوسكم — من التصريح به!

ولكن ماذا يعنى هذا، وأى شيء يكون قد استوى لكم، أو للمتأدبين والقراء؟ إنه ليبقى وراء ذلك آراء أبديت فى أدب الرجلين وأمثلة قدمت لهذه الآراء، وشروح تضمنت بعض النظريات فى الأدب وفى الحياة؟ وكل هذا قد بقى سليما كما هو،

لم تتناوله ردودكم ومناقشاتكم ، لأن شتيمة كاتب ممين شغلتكم عن كل ما عداه من الآراء والأمثال !

ولقد أظهرت هذه المركة أنكم تعضون فى الشتائم والتهم فينفسح لكم المجال ، حتى إذا قاربتم « الموضوع » وأردتم مناقشة الأمثلة ، ظهر العجز الفاضح والقصور فى الفهم والاطلاع . ليست كلمات الأستاذ « الطنطاوى » بعيدة ، وقد عجبت لاستطاعة الأستاذ « عبد الوهاب الأمين » أن يصبر على مناقشتها كما عجبت لصبر الأستاذ « كامل نصيف » فى الرد عليها ، فى حين لم أجدنى مستطيعا — على فرط المحاولة — أن أنظر إليها كشىء يستحق الالتفات !

وكيف يمكن أن تلتفت مثلا لرجل يكاد يفهم من قول العقاد عن الجيبون « ياعميد الفنون » أننا سنأتى غدا بقرد نجعله عميد « كلية الآداب » أو « الفنون الجميلة » فيفرق لهذا الحدث الخارق من المجددين ! . ثم ينتفض ذعرا من قوله « ياأبا العبقرى والبهلوان » ويسأل الله السلامة من هذا « الاعتراف » الذى هو لحسن الحظ « حجة قاصرة » !

أو كيف يمكن أن تصبر على مناقشة رجل ، يحلف لك بالطلاق أن كلمة « الجيبون » لاتدخل فى شعر عربى ، أو يستحاف سواه ، ويفتى له بعدم طلاق امرأته ! ويكون الحكم طبعا هو « مأذون الشرع » فى قيمة الآداب !

وليته مع ذلك ابتكرها ، فانما هى بعينها قولة الرافعى فى « على السفود » عن بعض الألفاظ فى قصائد العقاد !

ووددت لو يحلف الأستاذ على هذا ، فأفرق غداً بينه وبين زوجه — إن كان متزوجاً — لأن « ابن الرومى » وحده وهو شاعر عربى ذكر من مثل هذه الألفاظ العشرات فى ألوان الطعام وأسماء الفواكه والخمر . كما ورد فى أدب غيره !!

وبعد هذا نجد من يكتب فيقول لك : لم لا تناقش هذا الكلام ؟ أناقشه ؟ أكل من لاقاك فى الطريق فقال كلاماً — أى كلام — تقف لتناقشه ؟

على أننى وددت لو خفت حدة هذه المناقشات ، ولو عاد إليها هدوؤها الذي بدأتها به فى الكلمة الأولى . وهأنذا أحاول الاهتمام يبعض مالا يصح الاهتمام به من الأقوال ، وتناسى ما فيها من تعالم وتحفز ، أو تفاهة وضآلة . ولعلنى مفلح فى تحويل هؤلاء الناس — كلهم — إلى معالجة الموضوع

***

وأبدأ بكلمة الأستاذ « رفيق اللبابيدى » وقد مهد لها بدألة الصداقة والزمالة ، وساقها مساق من يورد رأيه — وليكن مايكون — مما يشفع في تناولها بالتمحيص

أول ما يراه أننى لم أقرأ كتب العقاد — على مذهبي من ضرورة الثقافات المختلفة لقراءتها — ولم أقرأ كذلك كتب الرافعى كلها

فأما العقاد ، فقد قلت : إننى فهمته بمقدار استعدادى واطلاعى ، وإننى سأرتقى فى فهمه كلما زدت ثقافة واتسعت جوانب نفسى . فكان تفسيرى له فى هذه الحدود الضيقة بالنسبة له ، الواسعة جد الاتساع ، بالنسبة لمن ينصبون أنفسهم نقاداً له ، فيخرجونه من عالم الشعراء ، بل الأدباء ، وهم جالسون فى راحة غبية ، و« طمطمة » بليدة !

وأما الرافعى فقد قرأت له معظم ما كتب ، فلم أر فى شىء منه دلائل على أن هناك استعداداً ، لأن تخرج هذه الطبيعة شيئاً مما أطلبه ، يحفزنى لقراءة الباقى ، على الأمل فى وجود ذخيرة نفسية . وقد عنيت أن أقرأ له الكتب والمقالات ، التى تفيض النفس الانسانية فيها بالشعور الخالص — عادة — فاذا لم يكن فى هذا المجال صاحب ذخيرة ، فما هو بصاحب ذخيرة على الاطلاق

أما الأمثلة التى سقتها ، فليست منتقاة على اعتبار أنها « مما يوقع فيه » ولكن لأنها أدل على تصوير طبيعة خاصة ، ناضبة من الذخيرة الانسانية ، ومن دفعة الحياة والعقيدة (العقيدة فى الأدب والحياة لا فى القاموس !)

ولى رأى فى الأمثلة لا بأس من إيراده هنا . فالأديب قد يخطئ وقد يهبط فى كثير من المواضع ، ولكنه يبقى بعد أديباً لا تسلبه أخطاؤه ولا يسلبه ضعفه ، صفة « الانسانية » فى أدبه (لا الإنسانية التى تقابل الحيوانية فى تكوينه كما فهم بعض من يفهمون !) ولا تسلبه صفة « الطبيعة الفنية » وقد يخطئ أديب آخر مرة واحدة ، فتسلبه هذه المرة كل تلك الصفات

ومرجع ذلك هو « نوع » الغلطة ومقدار دلالتها على فهم الرجل للحياة ، وعلى نوع إحساسه بها . كالرجل الذى يحدثك عن زيارته لمدينة القاهرة ، فيترك كثيراً مما فيها من المشاهدات ويخطئ فى وصف الكثير ، ولا يدل ذلك على كذبه فى وقوع الزيارة ؛ ولكنه لو قال مثلاً : « إنه كان من المشاهد التى رآها أسد يخترق الشوارع والطرقات » لحكمت من فورك بأنه كاذب فى دعواه ، وهى مع هذا غلطة واحدة لا غلطات !

فحين يقول الرافعى : إن الحبيبة لا تتعلق بقلب حبيبها بعد انتهاء الحب إلا بخيطين اثنين هما غيظها له ، وغيظه لها ... يدل على أنه لم يحس الحب يوماً ما ، ولم يحسن ملاحظته فى غيره ، بل لم يكن ذا طبيعة قابلة للحب ، ولا مستعدة لتلقى دفعاته وانفساحه ولو كتب بعد ذلك عن الحب ألف كتاب

وحين يقول ما يفهم منه أنه يرى النهر الذى حافتاه من الذهب والفضة ومجراه من الدر واليواقيت ، أجمل من النهر الذى حافتاه من العشب الأخضر ، ومجراه من المدر والطين ... يدل على أنه لم يحس الإحساس بجمال « الطبيعة » ، بل على أنه لم يوهب الطبيعة التى تحس هذا الجمال

وهكذا كل مثال جئت به لمثل هذه الغاية ، فهى غلطات : « الأسد الذى يخترق شوارع القاهرة » لا غلطات النسيان والضعف الطارئ ، والخطأ العارض فى التعبير ، ولعل فى هـذا البيان كفاية

ولعل القسوة التى يتخيلها الأستاذ ، ليست فى الحكم الذى أصدرته ؛ ولكنها فى وضع الرافعى مقابلا للعقاد ، والجمع بينهما فى عنوان ؛ فمن هنا بدأت مطالبة الرافعى بأدب الطبع ، وأدب النفس ، لأن المقابل له فياض بهذا النوع ، مبرز فيه ، بل هو ميزته ورمز فنه . وقد كان من جراء مطالبة الرافعى بهذا اللون الرفيع من الفن الأدبي ، ظهور خوائه ، وإنكار أدبه (إذ كان المطلوب نوعاً خاصاً منه يعلو على مجرد الأسلوب المتهايل ، والجمل المنقوشة) . فهذه هى القسوة . ومتى أعفينا الرافعي من أدب النفس والطبع ، فقد نجده بعد ذلك شيئاً فى التعبير ، وفى الأخذ بطريق خاصة فى هذا التعبير ، ولكن ما قيمة ذلك فى عالم الطبائع الفنية ، وفى معرض التعبير عن النفس وتمثيل الحياة ؟

ثم يسألنى رأيى فى أبيات اقتطعها من قصيدة للعقاد ، وشعر العقاد وحدة لا بد من عرضها كاملة — ومع هذا فأى شىء ؟ لعله يريد أن يقول : ها هو ذا العقاد يشبه الحسن بالجوهرة ، ويذكر اللآلئ كما ذكرها الرافعى !

وهذه ملاحظة شكلية ، فما قلت : إن كل من ذكر هذه الألفاظ يكون خواء من تقدير الجمال الروحى ، ولكن الذى يقول كما قال الرافعى ، ويبدئ ويعيد ، ويراها أجمل من الطبيعة كما قال عن « النهر » ... يكون كذلك

فأما حين نقول : إن الحسن جوهرة ، ثم لا يكمل البيت حتى نقول : « لها الثراء » « ثراء النفس أثمان » وحين نقول : إن هـذا الحسن يناله من لا يعرف قيمته ، ويحرمه الخبير بجماله وسحره وطبيعته ، كالجوهرة التى يحرمها اللآل ويقنو نفيسها من لا يسومها ... الخ

حين نقول مثل هـذا فنحن فى صميم الشعور الروحى . والجوهرة واللآل هنا أدوات للتشبيه ، وليست مقصودة لذاتها ، ولامغالى فى قيمتها . « وثراء النفس » هو الملتفت إليه ، والمقدر ثمنا لهذا الحسن الفريد

أما إنكار الأخ لشاعرية العقاد فليس لى فيه كلام . ووددت ـ والله — لو أننى أملك طبيعة فنية أخرى ، أهبها للزميل . ولكنى آسف معذور . وكذلك قولى فى الحديث عن « الجيبون » !

أما أسئلة « ع ... دمشق » فوددت لو خلت من هذا « الجفاف الناشز » فى آخرها . ومع هذا فسأغض الطرف عنه ، وأعتبرها أسئلة لمستفهم لا متعالم !

فمن السؤال الأول : أذكر أن فى الأشياء حياة نابضة فى ضمائرها ، وهى أعمق وأولى بعناية الفنان من الحياة الظاهرة على سطوحها ولو اتصلت بها — فحياة الزهر الظاهرة تبدو فى لونها وراً ئحتها وطراءتها ... الخ . أما الحياة النابضة فى ضميرها فهي المتصلة بتعبير الحياة المعنىّ فى هـذه الزهرة ، وقصد الطبيعة من إنشائها . وهى الحياة التى تستمدمن نهرالحياة الكبيرالجارى منذ بدء الخليقة إلى نهايتها ، التدافعة أمواجه فى كل حى وجد أوسيوجد . وهى الحياة التى تكون حلقة فى سلسلة الحياة الكبرى المتطورة من الخلية الواحـدة إلى الانسان . وهذا الالتفات

الأخير هو الالتفات الفنى لنظرية دارون ، الصالح لأن يتناوله الفن والأدب ، لأنه يتناول الحياة فى معرض أطوارهـا ونماذجها المعبّرة

وعن السؤال الثانى : أذكر أن السائل أخطأ فى إرجاع الضمائر إلى ماتعود عليه فى الجملة . فنشأ هذا اللبس ، فأنا لم أقصد أن الحياة الظاهرة على سطوح الأشياء — غير أشكال « الحياة » وصورها . إنما أردت أنها غير أشكال « الأشياء » وصورها فلا داعى للسؤال . أما أن العناية بالحياة فى الضمير والحياة فى الظاهر أولى بالتفات الفنان من صور الأشياء وأشكالها ، فهذا حق . والذى يقول :

وكأن محمر الشقيـ ـق إذا تصوب أو تصعد
أعـلام ياقوت نشر ن على رماح من زبرجد

لا يرى غير أشكال الأشياء وصورها ، ولا يعنى بحياة الشقيق فى سطوحها ولا فى أعماقها ، فيكون قوله تافهاً وإن سومه عشاق التشبيهات النفيسة بسمر كبير !

وعن السؤال الثالث : أذكر أن الخوالج النفسية والصور الذهنية ، وأدب الذهن ، وأدب الطبع ، تدل على ألوان من الأدب تكاد الآن تكون قد أخذت وضوح دلالة « العلم » على المسمى . وقد ضربت لها أمثلة — مع هذا — فمن لم يكن قد سمع شيئاً عن هذه الألوان من الأدب ، ولم يكن قد أمكنه الانتفاع بالأمثلة التى سقتها ، فليقرأ ، ولينتظر حتى تنضج فى نفسه هذه المعانى

أما السؤال الرابع فلا معنى له بعد ما قلت عن أسلوب العقاد ما قلت ، وبعد ما وعدت بالافاضة عن هذا الأسلوب . فليقرأ السائل كلماتى كاملة . وليراجع كلمة الأستاذ عبد الوهاب الأمين فهى مفصحة عن هذه الناحية

***

وأما ملاحظة الفاضل « على كمال . فلسطين » فنصفها فى موضعه ؛ وقد نشأ هذا من اضطراب فى ترتيب بعض الجمل ! وكثيراً ما يقع مثل هذا فنكتفى بفطنة القارئ . ولكن مع هذا يبقى التناقض بين قول شوبنهور وتلخيص الرافعى واضحاً

فالرافعى يقول : « فان محصل كلام هذا الفيلسوف أن ما تراه بسبب من إرادتك وغرضك وشهواتك ، فجماله فيك أنت لا فيه لأنه فى هذه الحالة صورة الاستجابة إلى ما فيك ، فلو لم يكن بمعك أنت هذا الغرض ، لم يكن معه هو ما خيّل لك من الجمال . فهو على الحقيقة (باعتبار الفكرة المجردة لا جمال فيه)

وأول هذا الكلام لا صلة بينه وبين شوبنهور ، ولا علاقة فى منزع ولا اتجاه ، وإنما هو رأى آخر فى تعليل الجمال يعتبر رخيصاً جداً إذا قيس مستواه بمستوى تفكير شوبنهور فى رأيه وآخر هذا الكلام مناقض تماماً لرأى الفيلسوف (راجع ما بين القوسين الكبيرتين على كلام شوبنهور)

وبينما هو يقول — عن شوبنهور خطأ — : « فهو على الحقيقة باعتبار الفكرة المجردة لا جمال فيه » — وهو عكس رأى شوبنهور — يعود فيقول : « فالنتيجة من ذلك أن الأشياء تحزننا كلما ابتعدت من عالم الفكرة واقتربت من عالم الإرادة ، وأنها تفرحنا كلما ابتعدت من عالم الإرادة واقتربت من عالم الفكرة » وهذا عكس ما نسبه الرافعى أولاً لشوبنهور ، وإن كان فى حقيقته هو رأى الفيلسوف المسكين !

الشىء باعتبار الفكرة المجردة جميـل فى رأى الفيلسوف الصحيح . والشىء باعتبار الفكرة المجردة لا جمال فيه ، فى الرأى الذى ينسبه الرافعى إليه . وهذا هو سوء الفهم والتخليط

وعلى كل فأنا شاكر لحضرة الأديب ملاحظته

***

أما الأستاذ سعيد العريان ، فقد شغلنا عنه وعن كلامه الطويل بما هو لائق أن نتحدث فيه ، فمعذرة يا أستاذ سعيد !

(حلوان) سيد قطب

حول أدب الرافعي

بين القديم والجديد

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

— ٢ —

كتب سيد قطب مقالات عدة يجرح فيها الرافعي وأدبه .
وسيد قطب ليس من تلاميذ الرافعي ولا يبلغ أن يكونه، فما أظنه ولد إلا بعد أن ولدت مسألة القديم والجديد، وعمرها كما نبهنا في الكلمة السابقة لا يزيد على ثلاثين عاماً ، وإذن فعمره من يوم ولد إلى يوم كتب لا يمكن أن يبلغ عمر أدب الرافعي الذي بدأ بقول الشعر الجيد على رأس التسمائة كما يدل عليه ما نشرت الرسالة من نماذج شعره في ذلك العهد (أنظر مثلا العددين ٢١٣ و ٢١٤ من الرسالة) ، وإذا كان عمر أدب الرافعي رحمة الله عليه أكبر من عمر صاحب تلك المقالات فقد كان المعقول أن يكتب عن الرافعي وأدبه بغير تلك اللهجة وبغير ذلك القلم لولا أننا في عصر انتقال من أسوأ سيئاته تمرد الشباب على النظم ولو كانت فاضلة ، وتطاول الصغير على الكبير في الاشارة والعبارة إذا كان بينهما خلاف

ونحن إذ نقول هذا لا نأخذ على صاحب تلك المقالات أن يكون له في الرافعي رأى يخالف رأي جمهرة الأدباء، ولكن نأخذ عليه ما أخذه غيرنا من طريقة إبداء هذا الرأى . فلو كان ندا للرافعي لما حسن فيما يبدى من رأي فيه إلا أن يكون مهذب اللفظ مؤدب القلم ، فكيف وهو ليس للرافعي بند ولا لبعض تلاميذ الرافعي ؟ إن الأديب من غير شك يستطيع أن يعرب عن رأيه في مقام كهذا من غير خروج على أدب القول ومن غير أن يزيد الطين بلة بالتماسه إلى هذا الخروج العلل والمعاذير

على أن إسراف تلك المقالات فيما ذهبت إليه من سوء الرأي في الرافعي وأدبه لا يشك فيه أحد ممن له شيء من الاتزان في التفكير . فلو غير صاحب تلك المقالات خطر له في الرافعي مثل هذا الرأى المسرف من أن ليس للرافعي إنسانية ولا طبع ولا نفس ولا قلب ولاذوق ولا ذهن ولاحياة إلى آخر ما شاءت له بغضاؤه أن ينفي عن الرافعي — لو غيره خطر له هذا في الرافعي لوقف من هذا الخاطر موقف المتهم المتشكك على أقل تقدير ، إذ غير معقول أن يبلغ الرافعي رحمه الله ما بلغ من حسن السمعة وبعد الصيت في عالم الأدب العربي ثم لا يكون له من كل تلك الصفات حظ يفسر ما نال من صيت حسن وتقدير كبير عند جمهرة الأدباء رغم بعض العيوب البادية في بعض ما كتب من مثل (على السفود) ورغم ما في بعض كتاباته من صعوبة أو غموض .
فالرافعي نال ما نال من حظوة ومكانة في عالم الأدب العربي رغم هذه العيوب ، ثم نال ذلك غير مؤيد بمال ولا جاه ولا سياسة ، وهذا معناه عند الناقد المتزن أن أدب الرافعي لا بد عند التصفية أن تبقى منه بقية كبيرة صالحة تكفي لتمجيده إن لم تكف لتخليده.
وإذن يكون عمل النقد الأدبي أن يميز تلك البقية و يُجليها للناس تراثاً طيباً يضم إلى ما خلفت القرون من التراث العربي الأدبي الطيب . لكن مثل هذا الناقد يحتاج من قوة العقل ، وسعة الاطلاع ، ومحبة الحق والخير ، ومجانبة العصبية والهوى، إلى مالا تنبئ عنه تلك المقالات

إن أظهر ما تنبئ عنه تلك المقالات أنها نتاج العاطفة قبل أن تكون نتاج العقل . فالعاطفة الجامحة أوحت بكتابتها ، والعاطفة الجامحة لونت الوقائع لعقل صاحبها حين سخرته لحياكة ذلك النقد طبق وحيها . ومدار هذه العاطفة هو حب العقاد وبغض الرافعي : حب العقاد حب مفتون ، وبغض الرافعي بغض مجنون . فلا مدح أكبر من أن يفيضه على العقاد ، ولا ذم أوضع من أن يكيله للرافعي، وكأنه يعتذر في الحالين من التقصير.
ولا عليه في حب العقاد أو غير العقاد أسرف في الحب أو اقتصد ، بل لا عليه في بغض الرافعي أو غير الرافعي ما بقي بغضه سلبي الأثر؛ أما إذا حركه الحب أو البغض إلى العدوان على من يبغض في سبيل من يحب ، فعندئذ تبدأ تبعته ، وعندئذ تجب مراقبته ثم محاسبته على ما يكتب أو يقول خصوصاً إذا أراد أن يستتر بالنقد مبالغة في الكيد أو احتماء من القانون

لو كان للنقد الأدبي في مصر أو في العالم العربي قوامون يغارون عليه ويرعونه لهيب اقتحامه من لايحسنه ، ولما أقدم على نقدمثل الرافعي من لا يعرف أولا يراعي أوليات النقد. إن من أبسط

أوليات النقد الاحاطة بالموضوع . وصاحبنا الذي لا يعجبه مذهب الأقدمين فى النقد ، ويريد أن يشق للناس طريقا جديدا ، يقدم على نقد الرافعى فيما زعم من غير أن يحيط بأدب الرافعى أو يحاول أن يحيط به . وهو فيما يظهر لا يحس أنه اقترف بهذا جرما لأنه يعترف به فى غير اعتذار ولا حياء . يقول فى مقاله الثالث إنه كتب كلمته الأولى على صدى مطالعته القديمة للرافعى، وكتب كلمته الثانية وليس بين يديه إلا وحى الأربعين. ثم ذهب إلى رسائل الأحزان يتلمس الأمثلة توضيحا لرأيه فاصطدم بالرافعى كما يقول من جديد؛ وعلى وقع هذا الاصطدام كتب عن الرافعى ثم كتب حتى أبلغ كلماته إلى ثمان . فعمدته فى تقدير الرافعى على الأخص شيئان : صدى مطالعاته القديمة ، ورسائل الأحزان . وصدى مطالعاته القديمة هو كما يقول « صدى غامض يدل على الجملة ولا يعد الناقد بالتفصيل » . ومطالعاته القديمة لا تعدو « حديث القمر » وما كان يكره نفسه على قراءته بعد « حديث القمر » . و« حديث القمر » كما أخبر فى كلمته الأولى كان أول ما قرأ للرافعى وقد أحس بعده ببغض الرافعى بغضا جعله لا يقرأ للرافعى إلا كارها، فتزداد كراهيته بما يقرأه من غير أن يعرف لذلك تعليلا كما يقول . فصدى هذه المطالعات كان من غير شك صدى بغضاء وكراهية ، ومع ذلك فقد ظفر الرافعى من صاحبنا فى مقاله الأول بنصيب يكاد يعدل نصيب العقاد حين أراد صاحبنا أن يقسم المزايا الأدبية بين الاثنين . فالعقاد أديب الطبع ، والرافعى أديب الذهن . « العقاد أديب الطبع القوى والفطرة السليمة ، والرافعى أديب الذهن الوضاء والذكاء اللماع . والعقاد متفتح النفس ريان القلب ، والرافعى مغلق من هذه الناحية متفتح العقل وحده للفتات والومضات » هكذا حكم سيد قطب بين الأديبين الكبيرين ، وحكم لنفسه ضمنا بشىء كثير حين نصب نفسه حكما بينهما . وإذا تذكر أنصار الرافعى أن هذا الحكم فيما يتعلق بصاحبهم هو صدى غامض لمطالعات قديمة محفوفة بالكراهية والبغضاء كان لهم حقا أن يتغبطوا به . ولا عليهم من « مغلق » « ومتفتح العقل وحده للفتات والومضات » فان الحكم لا يعطى العقاد شيئا من التفتح العقلى ولو للفتات والومضات . فهو سوى بين الاثنين تسوية تكاد تكون تامة ، أو بالأحرى جعل المزايا الأدبية قسمة بينهما على سواء تقريبا: أخرج العقاد من دائرة الذهن والعقل، كما أخرج الرافعى من دائرة النفس والقلب ، وخص أحدهما بما نفى عن الآخر . فاذا شك أنصار العقاد فى أن هذا مفهوم حكم صاحبهم على صاحبه ومنطوقه فليقرأوا مقدمة الحكم إذا شاءوا :

« وبعد فما كان يمكن أن يتفق العقاد والرافعى فى شيء ! فلكل منهما نهج لا يلتقى مع الآخر فى شىء »

فهل لا يزال أنصار العقاد بعد هذا على شك من مفهوم حكم صاحبهم؟ إنهم ليس لهم أن يشكوا بعد هذه المقدمة ، إذ لو كان العقاد يشرك الرافعى فى أدب الذهن لاتفق الاثنان فى شىء ، والتقى الأديبان على شىء ! أما وهما لا يتفقان ولا يلتقيان فى شىء فى حكم هذا الحكم الجديد ، فما أثبته للرافعى من أدب الذهن الوضاء والذكاء اللماع لابد أن يكون نفاه عن العقاد إن كان يعرف ما المنطق وما التفكير . ليس عن ذلك محيص

لكن لا عليهم هم أيضاً من حكم صاحبهم فانه لا يعنى ما يقول ولا ينظر فى أعقاب الكلام ونتائج المقدمات . هو حسن النية يلقى الكلام دفاعاً عن صاحبه كما ألقت الدبة ذلك الحجر المعروف

على أنه إن كان لحكمه هذا قيمة فقد عاد فنقضه فى مقاله الثالث . نقضه بالنسبة للرافعى من غير أن يصلحه بالنسبة للعقاد . ولو خطر بباله أن حكمه ينتج غير ما يريد بالنسبة لمن يحب لأصلحه ، لكن ذلك لم يخطر بباله فاكتفى بأن نفى عن الرافعى الدائرة التى كان أثبتها له ، دائرة أدب الذهن ، وترك العقاد فى الدائرة التى كان أثبتها له ، دائرة أدب القلب ، من غير أن يثبت له الدائرة الأخرى التى كان قد نفى عنه . وليس لرجوعه عن حكمه للرافعى داع إلا أنه فيما زعم ذهب يتلمس فى « رسائل الأحزان » الأمثلة التى تفصل مجمل ما دل عليه الصدى الغامض لمطالعاته الرافعية السابقة ، فاصطدم بالرافعى « واختلف الصدى الغامض القديم عن الصوت الواضح الجديد » كما يقول . فهو حين ذهب إلى « رسائل الأحزان » لم يذهب ليستوثق من صحة دلالة الصدى القديم التى بنى عليها حكمه الأول ، لأنه لم يكن يخالطه فى صحتها شك ، إذ « ما من شك أن الرافعى كان ذكيًّا قوى الذهن » كما يؤكد فى كلمته الأولى حين كان يلتمس أن ينفى أن يكون أدب الرافعى أدب طبع عن طريق تبيين أنه « كثيراً ما يختلط

أدب الذهن وأدب الطبع إذا كان مع ذكاء وقوة » . لم يذهب إلى رسائل الأحزان إذن ليستوثق من صحة تلك الدلالة أو ذلك الحكم ولكن ليؤيدها ويفصلهما بأمثلة . فلما اختلف الصوتان وتعارضت الدلالتان مال عن الدلالة القديمة الغامضة إلى الدلالة الجديدة الواضحة ؛ وهو يظن أن هذا كاف للرجوع عن حكم حكمه ورأى ارتآه ، ولا يرى فى ذلك شيئاً من سطحية الحكم والنظر التى كثيراً ما يرى بها خصومه من غير مبرر . لكن النظر السطحى وحده هو الذى يبرر الرجوع عن ذلك الحكم بمثل هذه السهولة لمثل هذا السبب . إن الغموض الذى وصف به صدى مطالعاته القديمة قد فسره هو وحدده بأنه عدم إمداد الناقد بالتفصيل . فذلك الصدى إذن صحيح فى جملته وإن لم يكن واضحاً فى تفاصيله . والتفكير الصحيح كان يقضى ويتطلب أن يتفق الصديان أو الصوتان فى الجملة إن كانا مما يبنى عليهما حكم ، فإن اختلفا لم يمكن بناء حكم على أيهما حتى يتبين وجه الحق فيهما ببينات جديدة . وكان المنتظر ممن جشم نفسه دراسة المباحث النفسية الجديدة ومباحث علم الأحياء ومباحث الضوء فى الطبيعة إلى آخر ما حدث عن نفسه فى مقاله السادس أنه قد درسه كى يرقى إلى محاولة استيعاب العقاد — كان المنتظر من مثل هذا أن يكون قد انتفع أيضاً بتلك الدراسات العلمية إلى حد الرقي إلى تذوق الروح العلمية وتفهم الطريقة العلمية فى النظر ، فهذا أنفع له وأجدى عليه من كل ما عرف من مفردات الوقائع والحقائق والنظريات . فلو كان رقى إلى الروح أو الطريقة العلمية فى النظر والاستدلال ، ووجد فى البحث الذى كان بصدده أن رسائل الأحزان تخالف فى دلالتها حديث القمر ، وما تبعه من مطالعات للرافعى وإن قلّت ، إذن لوقف موقف العالم الذى يجد نفسه حيال فرضين كل منهما يفسر شطراً من الوقائع التى لديه من غير أن يفسر الشطر الآخر ، فينبذ الفرضين جميعاً ويسعى للوصول إلى فرض جديد يفسر الوقائع جميعاً . فإن كانت الوقائع قليلة ، كما هى فى حالة صاحبنا حين أراد أن يحكم على الرافعى من كتابين اثنين — سعى العالم إلى تكثير الحقائق قبل أن يطمئن إلى فرض يفسرها ، كما كان يجب على صاحبنا أن يقرأ كل ما كتب الرافعى قبل أن يطمئن إلى حكم يحكمه ، لا أن يقرأ كتابين على فترة طويلة من الزمن حتى إذا اختلف صداهما عنده حكم لأحدهما على الثاني من غير قرينة ولا مرجح . وإذا كان الرأى الذى حكم له أقرب إلى ميله واتجاه عاطفته — كما هو الواقع — لم يبق شك فى أن صاحبنا الناقد المجدد مسير بعاطفته لا بعقله : يتبع العقل ما اتفق وعاطفته ، فاذا اختلفا ترك عقله واتبع هواه.

ومن عجيب أمر كاتبنا الناقد أنه أصدر فى أمر الرافعى أحكاماً ثلاثة فى كلمتيه الأولى والثالثة من غير أن يكون لأحد هذه الأحكام أساس معقول . قرأ حديث القمر وما إليه فازداد كراهية لذلك اللون من الأدب من غير أن يجد لذلك تعليلا ، غير أنه كان يزعم لاخوانه أن الرافعى خواء من « النفس » وأن ذلك سبب كراهيته له . هذا حكمه الأول أبداه على تردد وكأنه يعتذر منه فكان بذلك أقرب إلى المعقول

ثم كتب صديق الرافعى الحميم فصوله الممتعة فى تاريخ الرافعى وضمنها تاريخ حب الرافعى فى الأعداد ٢٢٦ إلى ٢٣٢ من الرسالة بدأها أول نوفبر وانتهى منها حوالى منتصف ديسمبر سنة ٩٣٧ فاغتبط ناقدنا كما يقول لأنه وجد للرافعى حباله مظاهر وخطوات وأخذ يعلل اغتباطه ذلك بقوله : « إن خيالى المنبعث من قراءة الرافعى لم يكن يطوع لى أن ألمح إمكان وجود هذه العاطفة فى حياته ، فالحب يتطلب قلباً وكنت أزعم أن ليس للرجل قلب ، والحب يقتضى « إنسانية » وكنت أفتقدها فيه» . حسن . هاهوذا قد عرف أن خياله المنبعث من قراءته الرافعى كان مخطئاً ، فهل تراه غير رأيه فى الرافعى وأثبت له ما كان ينفيه عنه من قبل من أخص خصائص الانسان بله الأديب ؟ . لا . واسمع له يتم لك بقية حديثه فانه حديث عجب :

« لقد ظللت هكذا » — أى قاسياً على الرافعى بنفى الانسانية والقلب عنه — « حتى استطعت أن أكون ناقداً لا يكتفى بالتذوق والاستحسان والاستهجان ولكن يعلل ما يحس ويحلله فماذا كانت النتيجة ؟ لقد عدلت حكمى قليلا ، وخفت حدته ولم أعد أستشعر البغض والكراهية للرجل وأدبه ولكن بقى الأساس سليما

كنت أنكر عليه « الانسانية » فأصبحت أنكر عليه « الطبع » ؛ وكنت لا أجد عنده « الأدب الفنى » فأصبحت لا أجد عنده « الأدب النفسى »

كلام مرصوص قد ينخدع به مثل كاتبه ، إن جاز على أصحاب « الأدب النفسى » فلا يجوز على أصحاب « الأدب الذهنى »

تأمل هذا الكلام قليلا ، تأمل أوله ثم تأمل آخره . لقد ظل ينكر على الرافعي الانسانية والقلب حتى أصبح ناقداً يعلل ويحلل . وقد رأيت من كلامه قبل ذلك أنه كان على هذا الانكار حتى حدثه العريان بحديث حب الرافعي في أواخر سنة ٣٧ . إذن فاستطاعته أن يكون ناقداً لا يمكن أن تكون سبقت هذا التاريخ ، وإن حدثنا فى مقاله الخامس عن محاضرة له فى وحى الأربعين ألقاها سنة ٣٤ . فتلك المحاضرة إذن كتبها قبل أن يستطيع نقداً أو تعليلا أو تحليلا إن كان يعنى كلامه السابق ، ويكون كلامه السابق هدما لما فى تلك المحاضرة من نقد وتحليل يحيل عليه فى مقاله الخامس . أما إذا كان لا يعنى كلامه السابق وكانت محاضرته تلك تحتوي على نقد نفيس فان هناك تفسيراً واحداً لهذا التناقض هو أن صاحبنا الكاتب الأديب لا يحسن التعبير عما يريد باللغة التى هو إخصائى فيها

عد عن هذا وسلم له استطاعته النقد حين قرأ حديث حب الرافعي ، بصرف النظر عن مبدأ هذه الاستطاعة ؛ وانظر فى النتيجة التى رتبها عليها . لقد عدل حكمه قليلا . لماذا هذا التعديل القليل أو الكثير ؟ وما علاقته باستطاعة صاحبه النقد والتعليل والتحليل ؟ إنه لم يقرأ للرافعي شيئاً جديدا بنقده ، ولم يرجع إلى ما قرأ قديما فيعيد قراءته ليحلله ويعلل أثره فى نفسه . إن المقروء القديم هو: حديث القمر وأكره نفسه عليه . ولو كان قرأه ثانيا من جديد ما كان صداه ذلك الصدى الغامض الذى يدل على الجملة ولا يعد بالتفصيل. إذن فاذا نقد وماذا حلل ولماذا عدّل ؟ هل نستطيع لهذا جوابا؟ هل يستطيع هو لهذا جوابا لا مراوغة فيه ولا « لعب على حبل » ؟ إن أحاديث العريان عن حب الرافعي يجب أن تؤخذ كلها أو تترك كلها لأنها من تبيل الأخبار . فان أخذت كلها لزم الكاتب الناقد اثبات « الانسانية » و« القلب » للرافعي من غير قيد ولا شرط . وإن تركت كلها لزمه الوقوف عند رأيه الأول من غير تعديل كثير أو قليل. فلماذا إذن ذلك التعديل القليل وما علاقته باستطاعة صاحب المقالات النقد والتعليل والتحليل ؟ أم هى كلمات ترص ليس تحتها معنى مقصود محدود ؟ أم هى العاطفة تسير صاحبها فى حكمه وإن قام على خطئها الدليل ؟

على أننا سنغض الطرف عن هذا كله ونفرض أن استطاعته النقد مكنته بطريقة ما من تعديل الحكم تعديلا قليلا . فهل تراه عدله تعديلا ما ! لقد كان يزعم قبل أن يعرف للرافعي حبا أن الرافعي خواء من « النفس » والآن وقد عرف للرافعي حبا كثيرا أصبح لا يجد عند الرافعي « الأدب النفسى » بعد ان كان لا يجد عنده « الأدب الفنى » ! أيجد فرقا بين خلو الرافعي من « النفس » وخلو أدبه من « الأدب النفسى » الذي لا يصدر إلا عن « نفس » على حد تعبيره ؟ ما نرى صاحبنا إلا وقد سلب الرافعي باليمين ذلك القليل الذى أعطاه بالشمال ، وقد صرح بهذا السلب فى صدر مقاله الثالث وإن زعم فى مقاله الأول أنه اغتبط لما حدثه به العريان من حديث حب عدّل حكمه من أجله بعض التعديل .

بقيت واقعة صغرى ليست بذات بال فى نفسها وإن كان لها دلالتها النفسية على تعبير صاحب تلك المقالات . إنه حين أحس بالغضاضة فى التراجع عن حكمه الأول بين الرافعي والمقاد إلى حكمه الأخير الذى بناه على رسائل الأحزان ، أراد أن يمهد لذلك التراجع لدى القارئ فى مواربة وجمجمة ، فهل تدرى ماذا صنع ؟ إنه زعم أنه أخطأ فى عدم تحديد « الذهن » الذى قال إن الرافعي يصدر عنه فى أدبه فى مقاله الأول ، فإن من الأذهان ما هو مشرق أو خاب وما هو متفتح أو مغلق إلى آخر ما قال . لكن رجعة إلى صيغة حكمه الذى نقلناه لك فى هذا المقال تبين لك حظ هذا الزعم من الصراحة والصدق . إنه لم يخطئ فى عدم « تحديد » الذهن لأنه حدده بأوضح الألفاظ فى ذلك الحكم . وقد كان يستطيع أن ينكر ويتراجع فى صدق وصراحة من غير لف أو اختداع للقارئ . ولا عليه من شىء قاله أو يقوله من مدح أو ذم ، من إطراء أو هجاء ، فان المدح والذم يستويان عند « ذوى المواهب الذهنية » إذا صدرا عن « ناقد » تسخر عقله العاطفة ، كما بينا فى هذا المقال ، وكما نرجو أن نزيده إن شاء الله بياناً فيما يأتى من الكلام

محمد أحمد الغمراوى

محمد اقبال

للدكتور عبد الوهاب عزام

منذ شهرين خفت صوت كان يقصف فى أجواء الشرق ليوقظه ، وخبا برق كان يتلألأ فى الظُلَم المتراكمة يضيئها ، وطفئ مصباح كان نوراً للسالكين فى هذه الغياهب ، وهدى للحائرين فى هذه الفتن ، وسكن قلب كان يحاول أن يزلزل الأرض بخفقانه ، وينشئ الناس نشأة أخرى بإيمانه ، وهمدت نفس حرة كانت تكبر على حدود الأوطان والحدثان ، والزمان والمكان

منذ شهرين فقد الناس عامة ، والمسلمون خاصة شاعراً مفلقاً ، ومفكراً مُبدعاً ، وفيلسوفاً حرًّا ؛ وافتقد شباب المسلمين فى الهند وغيرها حامل اللواء الذى كان يدعو إلى السموّ فوق كل عقبة ، والسير وراء كل غاية ، ويناديهم صباح مساء

آه للعشق الذى قد ذهبا ملأ الأرض ضياء وخبا
رُزق الميلاد فى أرض الحرم وأتاه الموت فى بيت الصنم

كلا. ما خفت الصوت ، ولا خبا البرق ، ولا طفئ المصباح ، ولا سكن القلب الكبير ، ولا همدت النفس الحرة ، فكل أولئك خالد فى آثار إقبال

— ٢ —

كان محمد إقبال عقلا كبيراً ، وقلباً عظيما ؛ درس ووعى مدنية الاسلام ومدنية أوربا ثم قام ناقداً لا مقلداً ، وحرًّا لا عبداً ؛ فكان من عظم عقله ، ووقدة ذكائه ، وكبر نفسه ، وسموّ قلبه ، ومن العلم الواسع والالهام الالهي هذه الآثار الخالدات

وهب إقبال فكره وقلبه للمسلمين يوقظهم ويعلمهم ، ويصف داءهم ودواءهم ، ويُشيد بماضيهم ، ويبشر بمستقبلهم ، ويصوغ وحى عقله وعاطفة فؤاده شعراً يوقظ النفوس الهاجدة ، ويشعل الهمم الخامدة ، بل يكاد يبعث الأموات ، ويحيي الموات ، تنسم فيه نفحات صوفية ، وتنير فى جوانبه لمات إلاهية . وقد صدق شاعر الاسلام محمد عاكف بك رحمه الله إذ قال : لو أن جلال الدين الرومى صاحب المثنوى بعث فى هذا العصر لكان محمداً إقبالا .

— ٣ —

نظم إقبال عشر منظومات نشرت على هذا النسق :

١ — أسرار خودى (أسرار الذاتية)
٢ — رموز بى خودى (رموز اللاذاتية)
٣ — بانك درا (صوت الجرس)
٤ — بيام مشرق (رسالة المشرق)
٥ — زبور عجم (زبور العجم)
٦ — جاويد نامه (كتاب جاويد سماه باسم أحد أبنائه)
٧ — مسافر
٨ — منظومة نظمها أثناء الحرب الحبشية وجعل عنوانها (وبعد فما العمل يا أمم الشرق)
٩ — ضرب كليم
١٠ — بال جبريل (جناح جبريل)

ومات وهو ينظم أهنك حجاز (لحن الحجاز)

ومن هذه المنظومات التسع ثلاث بالأوردية والأخريات بالفارسية

وله مؤلفان باللغة الانكليزية : الأول « تطور ما وراء الطبيعة فى إيران » والثانى محاضرات أراد فيها أن يبنى العقائد الاسلامية على أسس جديدة وسماها « إصلاح الأفكار الدينية فى الاسلام »

ولا يتسع الوقت للكلام عن هذه المنظومات وما ضمنت من شعر رائع وفلسفة عالية ، فحسبى أن أشير إلى كتابيه أسرار خودى ورموز بى خودى ، فقد شرح فيهما فلسفة فى الذاتية واللاذاتية ، وبين أن العالم قائم على الذاتية وأن على الانسان أن يقويها ما استطاع ، ثم بيّن كيف تلتئم الذاتيات القوية فى الجماعة واتخذ من تاريخ المسلمين رجالهم وجماعاتهم مُثلا لتطبيق هذه الآراء

وكذلك أشيرُ إلى كتابه « بيام مشرق » الذى جعله جواباً للشاعر الألمانى جوته صاحب « ديوان الغرب » وفيه صوَر من الشعر والفلسفة يفخر بها الشرق على الغرب ، وفيه نقد لكثير من مذاهب أوربا وفلاسفتها

ثم أشير إلى كتابه جاويد نامه الذى قصّ فيه رحلته فى الأفلاك ولقاءه عظماء المسلمين فى العصور القريبة والبعيدة . وكان دليله فى هذه الرحلة جلال الدين الرومى ، ولهذا الرجل العظيم على إقبال تأثير عظيم

— ٤ —

منظومات إقبال فيها سمة النفس العظيمة التى لا تحد ؛ ولكن يستطيع قارئها أن يتبين أصولا خمسة يدور حولها كثير من شعره :

١ — الحياة هى الجهاد الدائم وتسخير قوى العالم

« ما الحياة ؟ هى أن تأسر نفسُك هذا العالم . فكيف تجعل نفسك لهذا العالم أسيرة ؟ »

٢ — وإنما يصلح الانسان للجهاد بتقوية نفسه ، واستخراج كل ما فيها من قوى . وقد بنى على هذا مذهبه فى الذاتية وشرحه فى كتاب « أسرار خودى » ...

ومن كلامه فى پيام مشرق : « أخرج النغمة التى هى أساس فطرتك . أيها الضالّ عن نفسه ! خل نفسك من نغمات غيرك . »

ويقول على لسان اليراعة والحباحب : « لست كالفراشة اصطلى بنار غيرى . ولكنى أشتعل بنفسى ولا أحمل لأحد منّة ؛ إذا صار الليل أحلك من عين الظبى أرت بنفسى لنفسى الطريق »

وتقتضى هـذه الذاتية الحرية ، وحرّية اقبال ألا يحدّ النفس شئ حتى الزمان والمكان

هو بالأمس خبير بغـدٍ وهو اليـوم نجىُّ الأبد

وقد بين فى أسرار خودى الفرق بين العبد والحر فى قوله :

« العبد ضال فى ليله ونهاره ، والحر يضل فى قلبه زمانه . العبد يخيط الليل والنهار على نفسه ، وينسج من الأيام كفنه ، والحر ينسج على الزمان عزائمه — العبد طائر فى شبكة الصباح والمساء ، حرمت روحه السبح فى الهواء ، وصدر الحر الهام ، قفص لطائر الأيام . فطرة العبد تحصيل الحاصل ، وخواطره تكرار قاتل . ومقامه من الجود واحـد ؛ وصوته بالليل والنهار راكد . والحرّ كلّ حين خلاق يسكب نغمات جديدة فى الآفاق ، فطرته لا تحتمل التكرار ، وليست طريقه حلقة البركار ، العبد فى سلاسل من زمانه ، والقضاء والقدر ورد لسانه . وهمة الحرّ مشيرة على القضاء ، تصوّر يده الحادثات كما تشاء »

٤ — العلم وحـده حجاب دون الحقائق وعقبة فى سبيل الحياة — كما يقول ناحت صنم وبائع صنم وعابد صنم لابد مع العلم من العشق . وهو يذهب فى هذا مذهب الصوفية كفريد الدين العطار فى الكلام على العلم والعشق ، وهم يعنون بالعشق الوجدان اليقظ وهذه الحرقة التى تسمو بالانسـان عن السفاسف إلى المظائم وتدفعه إلى الحق والخير ، وتوجهه إلى الله . وقد ضرب فى ذلك مثلاً ابن سينا وجلال الدين الرومى ؛ قال : ضل أبو علىّ فى غبار الناقة ونالت يد جلال الدين ستر الهودج ، هذا دار مع الفتاة على وجه الماء وذاك غاص فى اللجة فظفر باللآلى

٥ — هـذه الأصول فى فلسفة إقبال لها مُثل لا تحصى فى مقاصد الاسلام وسننه وتاريخه . وهو يكره النزعات الوطنية الضيقة ويشيد بالأخوة الاسلامية العامة . وقد بدأ نشيده الذائع فى الهند والذى يسمى النشيد الملى بقوله : وچين وعرب همارا هندوستان همارا مسلم هين هم ، وطن هے سارا جهان همارا « الصين والعرب لنا والهند لنا ، نحن المسلمون وطننا كل هذا العالم »

وقال فى پيام مشرق : إن الناس لاموا طارق بن زياد حينما أحرق السفن وقالوا هذا بعيد من الشرع والحزم . فسل سيفه وقال الأرض كلها ملكنا لأنها ملك ربنا »

— ٥ —

كان إقبال واثقاً بنفسه ، معتداً بآرائه يتدفق فى شعره تدفق البحر لا يعرف خوفاً ولا تردداً . وكان يرى أحياناً أنه بشير المستقبل ، وأنه صوت شاعر الغد ، وأن العصر الحاضر لا يدرك معانيه ، والجيل القائم ليس كفء كلامه

يقول :

« أنا شمس حديثة الميلاد ، لا تعرف رسوم هذا الفلك ، كما يغمر النجوم ضياؤها ويرقص على صفحات البحار شعاعها ... أنا نغمة لا تبالى بالمضراب ، أنا صوت شاعر الغد ... إن عصرى لا يفهم الأسرار .. أنا يائس من الأصحاب القدماء ، وإن طورى يشتعل ليظفر بكليم ، بحر أصحابى كالقطرة لا تزخر ، وقطرى كالبحر فيها طوفان مضمر . نغمتى من عالم آخر وجرسى لغير هذه القافلة ... كم مرت بهذه الصحراء قوافل تمشى الهوينى كما تسير الناقة ولكني عاشق الصياح إعانى وضوضاء الحشر طليعتى أنا نغمة ولكنها أكبر من الوتر ، ولست أشفق على هذا العود أن ينكسر

كم شاعر ولد بعد الموت أغمض عينيه ليفتح عيوننا وبدا من وراء الموت كما تنبت الأزهار فى تربته .

ذلكم الرجل الذى فقدناه أمس ، والذى يدرك عارفوه ماذا فقد المسلمون منه .

كان اقبال يتمنى أن يموت فى الحجاز فان تكن فاتته هـذه المُنية فله بعض العزاء فى أن يستمع العالم الحديث عنه من البيت المقدس ، من المسجد الأقصى من قبلة المسلمين الأولى

عبد الوهاب عزام

تيسير قواعد الاعراب

لأستاذ فاضل

— ١ —

ألفت وزارة المعارف جماعة لتيسير قواعد تدريس اللغة العربية من حضرات الأساتذة طه حسين عميد كلية الآداب، واحمدأمين وابراهيم مصطفى الأستاذين بهذه الكلية، وعلى الجارم بك مفتش اللغة العربية الأول، ومحمد أبي بكر إبراهيم المفتش بوزارة المعارف، وعبد المجيد الشافعي الأستاذ بدار العلوم

وكان على وزارة المعارف أن تراعى مكان الأزهر في هذا العمل الذى أرادته، فتضيف إلى رجالها الذين اختارتهم من كلية الآداب ودار العلوم أستاذين أو أكثر من رجال الأزهر، حتى يأتي هذا العمل الذى أرادته باتفاق معاهد العلم في مصر، فيكون له مكانته واحترامه، لأن التغيير الذى عملته تلك الجماعة لا يقتصر على تيسير قواعد تدريس اللغة العربية، بل يتعدى هذا إلى إحداث تغييرات خطيرة في نفس تلك القواعد، فكان من الواجب أن يختار لذلك جماعة من هذه المعاهد المختلفة في بيئتها وثقافتها، ليتم الأمر فيه بعد تجاذب العقول المختلفة، والمشارب المتباينة، وبعد دراسته دراسة متزنة تقوى على النقد، وتقبلها هذه البيئات المختلفة

ولقد ظهر عمل هذه اللجنة فظهرت حركة يراد منها القضاء على كل ما عملته بجملته وتفصيله، ولا يهمها بعد هذا أمر تيسير تلك القواعد التى ألفت هذه الجماعة من أجله، وهو أمر لا بد لنا منه في هذا العصر الذى تزاحم فيه العربية مزاحمة شديدة يخشى منها عليها، وتأخذ نفوس كثير من أبنائها إلى الانصراف عنها لما تجده من تعقيد في بعض قواعدها، فلا بد لنا من تذليل هذه القواعد المعقدة وتيسيرها، ولابد لنا من حذف ما فيها من حشو يمكننا الاستغناء عنه، ويجب إذا ظهر أمامنا عمل في هذا السبيل أن نعمل على الاستفادة منه، وأن يكون رائدنا البحث في تهذيبه وتكميله، ولا يصح أن يكون رائدنا هدمه وتقويضه لا غير، فكم جنى هذا على محاولات الإصلاح فينا، وكم نشر فينا من عوامل اليأس في إصلاح حالنا. وسيكون نظرنا في عمل هذه اللجنة قائماً على أساس التهذيب والتكميل، ونرجو أن يكون هذا رائد كل محب للغته، حتى يتم لنا النهوض بها، ولا يكون حظنا في هذه المحاولة الإصلاحية كحظنا في غيرها من محاولات الاصلاح، معركة من التنابذ والتخاصم تفسد ولا تصلح، وتهدم ولا تبنى، ويعمل فيها سوء الظن بكل جديد عمله في توسيع مسافة الخلف، وعدم الوصول إلى شيء يصح الاتفاق عليه. ولولا هذا الظن السيء بكل جديد لأمكننا أن نصل إلى هذه الغاية التى تقضى على أسباب الخلاف بيننا، وتعمل على توحيد كلمتنا، وتجعل التعاون على الاصلاح رائدنا في كل أعمالنا

باب الاعراب

ترى اللجنة وجوب الاستغناء عن الاعراب التقديرى والاعراب المحلى، لأن مثل — الفتى — يعرب بحركات مقدرة على آخره منع من ظهورها التعذر، ومثل — القاضي — تقدر فيه حركتا الرفع والجر لأجل الثقل، ومثل — غلامى — تقدر فيه الحركات الثلاث لأجل المناسبة، وفى تقدير الحركات وفى الاشارة إلى سبب التقدير مشقة يكلفها التلميذ من غير فائدة يجنيها في ضبط كلمة، أو في تصحيح إعراب. كذلك الاعراب المحلى، فمثل (هذا هدًى) هذا يبنى على السكون في محل رفع، ومثل (ياهذا) مبنى على ضم مقدر منع منه سكون البناء الأصلى في محل نصب، وكذلك (ياسيبويه) مبنى على ضم مقدر منع من ظهوره حركة البناء الأصلى في محل نصب. وهذا عناء مضاعف وجهد يبذل لغير شيء، فيجب الاستغناء عن الاعراب التقديرى وعن الاعراب المحلى في المفردات وفي الجمل، ويوفر على التلميذ والمعلم والعلم هذا العناء

وعندنا أن الذى يمكن في هذا إدماج الاعراب المحلى في الاعراب التقديرى، فيستغنى بهذا عن باب البناء كله، ويوفر على التلميذ والمعلم والعلم ما يبذل من الجهود في هذا الباب، وما يجب أن يراعى في التطبيقات من الفروق بين الاعراب والبناء، بأن يقال إن هذا مبنى وذاك معرب، وبأن يقال في المبنى إن محله كذا من الرفع أو النصب أو الجر، ولا يخفى ما يذكر في علة البناء من تكلفات لا داعى إلى ذكرها هنا

فاللغة العرب تمتاز على غيرها من اللغات بأنها معربة ، أى بأن أواخر كلماتها لاتلازم حالة واحدة ، وهذا الحكم عام فى أسمائها وأفعالها وحروفها ، لأن حروف العربية منها ما هو مفتوح الآخر مثل رُبَّ ، ومنها ما هو مضموم الآخر مثل مُنْذُ ، ومنها ما هو مكسور الآخر مثل جَيْرِ ، ومنها ما هو ساكن الآخر مثل عن ، فمثل — رب — يقال فى إعرابها إنها منصوبة بالفتح الظاهر ، ومثل — منذ — يقال فى إعرابها إنها مرفوعة بالضم الظاهر ، ومثل — جير — يقال فى إعرابها إنها مجرورة بالكسر الظاهر ، ومثل — عن — يقال فى إعرابها إنها مجزومة بالكسر الظاهر

وكذلك أفعال العربية وأسماؤها ، فأفعالها منها ما هو مفتوح أو مضموم أو ساكن ، مثل الماضى فى ـ نام ـ ناموا ـ نمت ـ ومنها ما هو مضموم أو مفتوح أو ساكن ، مثل المضارع فى — يفهم — لن يفهم — ليفهمنّ — لم يفهم — يفهمن — ومنها ما هو ساكن أو مفتوح مثل الأمر فى ـ إفهم ـ إفهمنّ

وهذا كله فيما يتعلق بحركات الاعراب الأصلية ، أما العلامات التى تنوب عنها فسيأتى الكلام عليها فى العلامات الأصلية والفرعية

وأما أسماؤها فنها ما هو مضموم مثل المبتدأ والخبر فى قولك (الباب مفتوح) ومنها ما هو مفتوح مثل اسم إن فى قولك (إن العدل محمود) ومنها ما هو مكسور مثل المضاف إليه فى قولك (غلام زيد) . ويمتاز الاعراب فى الأسماء بأنه يجرى على حسب أنواعها لا على حسب مفرداتها ، فكل مبتدأ فيها مضموم وهكذا ، وكل مفعول فيها مفتوح وهكذا ، وكل مضاف إليه فيها مجرور وهكذا ، ومثلها الأفعال فى ذلك إلى حد ما

والاعراب التقديرى يأتي فى الكلمة العربية بأن يكون لها حكم فى الاعراب باعتبار نوعها ، ولكنها تكون فى ذاتها متحركة بحركة تخالف حكم نوعها فى إعرابه ، فمثل (جاء الفتى) الفتى فيه فاعل حكمه الضم ، فيكون ضمه تقديرياً ، ومثل (جاء سيبويه) سيبويه فيه فاعل مضموم ، فيكون ضمه تقديرياً أيضاً

ولا بد من تقدير هذا الاعراب لأنه إذا كان لا يظهر فى صاحبه فانه يظهر فى تابعه ، فتقول (جاء هذا الفاضل) ، (ورأيت هذا الفاضل) ؛ (ومررت بهذا الفاضل) ولا شك أن وجود هذا الاعراب فى التابع يدل على وجوده فى متبوعه

وعلى هذا يكون إعراب — جاء سيبويه — مثل إعراب — جاء الفتى — كل منهما فاعل مرفوع بضم مقدر ، ولا داعى إلى ذكر سبب التقدير فى كل منهما ، لأن هذه فلسفة لا طائل تحتها ، والاشتغال بها حشو فى النحو لا فائدة فيه

ويكون الاعراب التقديرى فى ثلاثة أقسام من أنواع الكلام : أولها الكلمة المقصورة مثل — عصى — يخشى — الفتى — وثانيها الكلمة المنقوصة مثل — يرمى — القاضى — وثالثها الاسم اللازم ، وهو اصطلاح جديد نطلقه على الاسم المبنى بعد أن ألغينا ذكر هذا الاصطلاح فى النحو ، ويدخل فى هذا القسم كل اسم لا يتغير آخره فى حالات إعرابه من الضمائر والموصولات وأسماء الاشارة ونحوها ، فاذا اتفقت الحركة التى يلازمها مع حركة إعرابه كان إعرابه ظاهراً لا مقدراً ، مثل — نحن نفهم — فنحن مبتدأ مرفوع بضم ظاهر فى آخره ، ويكون حاله فى هذا قريباً من حال القسم الثاني وهو المنقوص ، إذ يقدر إعرابه فى حالتى الرفع والجر ، ويظهر فى حالة النصب ، ولا يقدر إعرابه في جميع حالاته كما يقدر إعراب المقصور

(للكلام بقية) أزهرى

الفروسية العربية

للميجر كلوب

ترجمة الأستاذ جميل قبعين

— ٢ —

الحرب

لا تتجه نظرة البدوى فى الحرب إلى ربح المعركة كما قلت سابقاً. وإنك لا تجد فرقاً بين فرسان القرون الوسطى فى أسبانيا أو مغامرات ريكاردوس قلب الأسد فى حروبه عندما يصطف الفرسان ويتبارز الفارس والفارس وبين حروب البدو ، وقد انقرضت هذه العادة منذ عشرين سنة فقط . إن حب المفاخرة وتطلب الشهرة واحترام تقاليد أساليب الحرب مع عدم وجود الكراهية الشخصية بين الفريقين المتحاربين هى الروح التى تسيطر على المعارك . وإن البدوى يجد فى الهجوم ليلاً على مخيم العدو نذالة بل جبنا ؛ وإن معاونة الجرحى وعدم التعرض للنساء فى الحرب أمر عادى لديه . ومن تقاليد البدو وعاداتهم إذا ما التقطوا جريحاً أو أخذوا أسيراً أن يعاملوه باحترام ويقدموا إليه طعاماً وشراباً ومأوى إلى أن يشفى، ومن ثم يزودونه بالمؤونة ويسمح ليذهب إلى قبيلته بسلام . إن العقيدة أو الفكرة التى تخرج بها من كل هذه التقاليد والاعتبارات هي أن البدوى يهتم أن يحارب بشرف قبل أن يهتم بربح المعركة

والمرأة هى التى تثير حماسة الرجال فى الحرب ، وكما قلت تحكم على بطولتهم ، وقد جرت العادة أن تحضر النساء الموقعة راكبة فوق الجمال فى كتبان[١] مزينة ، وكثيراً ما تبرز المرأة من الهودج محلولة الشعر كاشفة الصدر وهى تتغنى بأعمال البطولة راوية أعمال الأبطال السابقين، وكثيراً ما تنادى الفرسان بأسمائهم ؛ ولا أرى ضرورة لأن أذكر أن الطرفين كانوا يعفون عن النساء أو لا يقربونهن

(١) الكتب أو الغبيط نوع من الهوادج ، قال امرؤ القيس :
تقول وقد مال الغبيط بنا معاً   عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل
(المعرب)

ومن جهة أخرى فان الابل كانت تلعب دوراً هاماً فى الحرب. إن الابل من أهم الضروريات للبدوى ، ومن المعتاد أن اغتنام قطيع الابل دليل على انتصار الفريق الغانم على الآخر ، ولما كانت الإبل هى ثمرة الحرب فقد كان شيوخ البدو يحرصون عليها ويتوارثونها جيلاً بعد جيل، وقد جرت العادة أن يسمى الشيخ قطيعه باسم خاص . إن هتاف فرسان البدو فى الحرب ينحصر فى اسم حبيبة الفارس أو باسم أخته أو باسم قطيع جماله . فيهتف مثلا (أنا أخو جوزا — فيصل) أو (لعيون حميده) أو (خيال العليا — النورى) والعليا قطيع من الإبل

ومن الحكايات التى تروى عن سلطان بن سويط ، وقد كان شيخاً لعشيرة الظفير منذ ثلاثة أو أربعة أجيال ، أن جماعة نهبت أموال فتاة على حدود الحجاز؛ ولما كان سلطان مشهوراً بشجاعته وفروسيته فقد هتفت الفتاة: (أين أنت يا سلطان لتدافع عن فتاة) وقد تناقل العرب هـذه الحكاية حتى وصلت إلى سلطان فأقسم لينتقمن لها ، وكيف لا وقد استغاثت به ولو على بعد مئات الأميال

وسأروى لكم حكاية حقيقية وقعت منذ جيلين فقط :
— اشتهرت فى الجنوب قبيلتا عتيبة وقحطان بعدائهما الشديد وكثرة غارات بعضهما على بعض ، وقد كان لابن هادى شيخ قحطان ابنة صارت مضرب المثل عند العرب فى الجمال — وقد رفضت كل الذين تقدموا لخطبتها . وكان ابن حميد[١] اشتهر بشجاعته وفروسيته وكثرة غزواته الموفقة التى شنها على قحطان حتى أقسم شيوخ قحطان يوماً أنهم سينحرون إبلهم فى اليوم الذى يأسرون به ابن حميد . وقد حدث أن تقدم رجل لخطبة ابنة هادى ، فلما راجعها والدها بهـذا الشأن أجابته قائلة : إننى لن أتزوج إلا أشجع فرسان العرب وأكرمهم وأجملهم . وقد كان رجل صليبي يسترق السمع فسمع ما دار من الحديث بين الوالد وابنته، وعند ما خرج والدها دخل عليها خدرها وقال إن هذه الصفات لم تجتمع يا مولاتى إلا لابن حميد . فأجابته : ليتنى أراه ولو مرة

(١) محمد بن هندى بن حميـد شيخ فريق برقة من عتيبة وهو شيخ قبيلة عتيبة كلها وتنقسم هذه القبيلة إلى فخذين كبيرين برقة والروقة وقد توفى معمراً . وولده نايف موجود الآن فى العراق إذ فر إليها من حبسه فى الرياض . (المعرب)

واحدة . فنقل الصليبى هذا الحديث لابن حميد . وقد كانت شهرة بنت هادى وصيت جمالها قد سبقا وصول خبرها إلى ابن حميد فكتم هذا الحديث فى نفسه حتى إذا جن الليل غادر منازل عشيرته ذاهبا إلى منازل قحطان وتسلل بين البيوت حتى دخل خيمة الفتاة وأيقظها بلطف وعرفها بنفسه ففرحت به، ولكن لم تكد تهدأ أعصابها بعد فرحها بلقائه حتى جزعت عليه لهذه المغامرة فطمأنها. وظلا يتسامران حتى طلع الفجر . وكانت العادة أن يجتمع البدو عند شيخ القبيلة صباحا لشرب القهوة وللتداول فى شئون العشيرة . فلما اجتمع الشيوخ خرجت الفتاة إلى والدها قائلة : يا أبت أطلب إليك أمنية فهل تعدنى باجابتى إليها ؟ فأجابها : إن أمنيتك مستجابة قبل أن تطلبيها . عندئذ قالت اشهدوا يا شيوخ قحطان على قول والدى . فأجابوها : نحن شهود على قوله . فقالت : حينئذ أريد أن تُبقي على بن حميد. فأجابها والدها لا تكوني سخيفة ! هذا عدو قبيلتنا ؛ وعلى كل حال بيننا وبينه ما تاميل على الأقل. فأجابته : كلا إنه فى هذه الخيمة. فقام والدها يريد الرجل لينتقم منه فاستوقفته منادية شيوخ قحطان الذين تدخلوا فى الأمر وذكروه بوعده، فخضع للأمر الواقع، وهنا خرج ابن حميد ليتزوج حبيبته بينما نحر شيوخ قحطان ابلهم لا لأمر ابن حميد بل احتفاء بزواجه من فتاتهم .

هذه الحكاية ترينا بجلاء أن غاية البدوى الفخر والمجد لا النصر، والحرب وسيلة المجد وليست وسيلة الكسب. وأمثال هذه الحكاية كثيرة لا تحصى .

لا يكون حديثنا عن الفروسية تاما دون التحدث عن صلاح الدين . فى الحقيقة أن صلاح الدين كردي، وقد قاتل لأجل الدين لا لأجل المجد والشرف ، ولكن روح الفروسية ظهرت بجلاء فى كثير من أعماله . حينما حاصر صلاح الدين قلعة الكرك لأول مرة كان أميرها همفرى أوف تورن يعقد قرانه على الزابث أخت ملك القدس. ولما علم صلاح الدين بالأمر منع جنوده عن رمى السهام على القلعة، كما أن صاحبها أرسل إلى القائد المسلم الخبز والخمر واللحم من وليمة العرس . ولما خرج ريكاردوس قلب الأسد للدفاع عن يافا بالبركان راكبا دابة استعارها من أحد السكان، ولكن صلاح الدين الشهم أرسل إليه فورا جوادين مع خادم ليركبها البطل العربى فى المعركة .

ومثل آخر من أمثلة الفروسية ما فعله القائد الفرنسى الباسل فى فونتانتونى إذ دعا الحامية الانكليزية إلى إطلاق النار أولا .

إننا فى وقتنا الحاضر قد نزدرى مثل هذه الأعمال ولكن يجب علينا ألا ننسى أن عقيدة البدوى في الفروسية هى القيام بالأعمال التى تنيل المجد والفخر لا كسب المعركة .

الكرم

يحمل الكثيرون من الأوروبيين – كنتيجة لزيارتهم للشرق – فكرة سيئة عن العرب لكثرة المتسولين ، ولكنى أصرح بأن الذين يتسولون هم الطبقة الدنيا من العرب؛ أما الطبقات الأخرى حتى التى يكثر فيها الفقراء فهم لا يتدانون لمثل هذا العمل، وإذا ما أخذ البدوى دراهم (بخشيشا) فانه يأخذها ليكرم بها . لأن البدوى كما قلت لا يهتم لمتاع هذا العالم — وهو لا يتردد أبدا فى نحر آخر ما يملكه من الابل لإطعام ضيف يمر به ولو كان هذا الضيف غريبا .

توجد قبيلة من البدو قاطنة فى شمال الحجاز فقيرة معوزة حتى أن أفرادها لا يملكون خيما يأوون إليها وهم يقطنون الكهوف ، ولكنهم إذا ما رأوا مارا بالطريق ركضوا نحوه وأحضروه ونحروا له ما يملكون من المواشى

« يتبع » جميل قبعين



رسالة الشعر



وحي الشاعرية

مصريات

للأستاذ حسن القاياتي

الجمود العلمي — مشيخة الاسلام — أمنية الاصلاح — مناجاة الشرق
خلال العصر — النيل والحرية — الرياء والذلة — الانتخابات الزائفة
إلى المنبت

من الملائك في زيّ الأناسيّ ... تبارك الله يا مصر الأمانيّ
النيل مجتمع الحسنى كما احتشدت ... ملاحةُ الروض في خدّ الأقاحيّ
علمٌ وجناتُ نبت مصر بينهما ... أحظى من النحل بالشهد النباتيّ
العلم حلية عصر نحن شارته ... صوغَ الهلال على العام الهلاليّ
من يحك عنّا يردّد كلّ ساحرةٍ ... كالعود ترجم للصوت الغنائيّ[1]
أدل بالغرب جيلٌ أوّليتهُ ... لم تشهد الحسنَ يستوحي لغربيّ
كُنّا وكانوا فتلك الشمس مخبرةً ... أن ليس في الغرب نورٌ غير شرقيّ
في عين شمسٍ لنا أو أرض أندلُس ... وادٍ من العلم صخّابُ الأواذيّ[2]
لنا البديعُ كأن الشمس قد نُثِرت ... صبغاً على كل حالٍ منه شمسيّ
سحر اليراعة فنٌّ كم نساجله ... بكل صنّاعةٍ للسحرِ فنيّ
ما أرسلت مصرُ بالتبيان ساحرةً ... إلا وقد حاسنته بالقباطيّ[3]
عطفاً على لغة التنزيل إن لها ... في ندوة الحيّ شأناً غير منسيّ
صونوا البيان فللدولات ناهضةً ... شأوُ البيانيّ في وقع الرُّدينيّ
مصرٌ على قِلّةٍ في مصر مكثرةٌ ... عَدّ الأماجيد كالرقم الحسابيّ
نمشي إلى جنة العلياء نسلُبها ... برد الجوانح من ظلٍّ ومن ريّ
الجدُّ يعليك فيمن لا تشابههُ ... كالأرض تخطر في ركب الدَّراريّ

* * *

النيل بالأزهر الوضاح نهضته ... كالبيت قام على الركن اليماني
ما أنبل الأزهر الديني يقبسه ... عهدُ الصقليّ من عهد التهاميّ
لله شيعيّة صلّتْ بقبلته ... فراح أزهر سنيٌّ وشيعيّ
ما أجدر العلم أن يحيا بموثقه ... ودُّ الشتيتين مشدود الأواخيّ
بيتٌ وبيتٌ أقام الرشدُ مدرسةً ... بالقاهريّ وصلّى بالحجازيّ
واهاً له أزهراً لو أن عالمه ... مشى إلى الدين في الرأيِ الأماميّ
العلم يفتَنُّ وضّاحاً فنطلبهُ ... بالأزهريّ مقيماً في الأحاجيّ
غفرانك الله إن العصر مُدَّخِرٌ ... للأزهريين ذكراً غير مطويّ
يا أزهر العلم دُمْ للشرق مدرسةً ... عزَّ العراقيُّ فيها بالشآميّ
حيٌّ الجديد فما يرضى معارضهُ ... حتى لدى الموت قبراً غير عصريّ

* * *

لا نصرٌ الله للتثقيف آونةً ... أنحت على الوحي بالشرح الخرافيّ
عَهْدٌ تزار به الموتى لخشيتها ... وربك الحيُّ فيه غير مخشيّ
إن الكتاب الذي صلّى بسورته ... محمدٌ باتَ صوتاً في الأغانيّ

(١) ترديد العود لما يقوله المغني يسمى ترجمة في الاصطلاح الموسيقي
(٢) الأواذي: الأمواج
(٣) القباطي: نسيج مصري قديم ينوه به التاريخ

غنت به «أم كلثومٌ» فجاوبها ... من «آل رفعت» أشباهُ القماريّ
دين الحنيفيّ لا يُجزَى بأزهره ... خيراً ويجزاه للدين السياميّ
الشرع في القوم يبنيه ويهدمه ... غاوٍ تأنق في الحلم المناميّ
أزرى على العلم والدنيا مثقفةٌ ... علامةُ الناسِ بالعلم اللدُنيّ
قطب من الرشد أدنى مايؤُمّ له ... من السماحة في القطب الشماليّ
إذا تشكيت للمناع لاَعِجَةً ... سقيت رِيًّا من الماء السَّرَابي
زين الشيوخ حَرِيٌّ أنْ يُسَدِّدَهُ ... هُدَى الكتاب إلى الجود الفراتى
لاأظلم الجودَ كم سحتوت أرملة ... لدى (الأمامين) والقبر (الحسينى)
يعطى لدى كل قبر كل مكتنز ... باب الزكاة لديه غير مرضِيّ
بنو الحياة حُلاها كيف نطلبها ... بكل غادٍ على الموتى قرافى؟؟
لله عـلامة بالدين يعصمه ... إن بات عالم دين غير ديني
مِلْءَ العيون سنا والشرق محمدة ... مِلْءَ النفوس هدى مِلْءَ الأماني
إن دام للأزهر الوضَّاء حاضِرُهُ ... فالأحمـدىُّ به فوقَ المراغى

* * *

تبا لمشيخة الإسـلام يفرضها ... مَنْ ينزل الوحى بالأمر الوزارى
شيخ ومن أين للإسلام مشيخة ... لولا تكذّبُ داعٍ أو حوارى؟
معليك يادين إن شابتك زائفةٌ ... فَلَّ الزجاجَ برأي منه ماسِيّ
باسم الولاية كم شيخ مراشفه ... على يدَيْ كل «شَبَّاكٍ وسُبْكِيٍّ»
الغرب يضحك والإسلام يخجله ... من شيخه قبلة في كفّ سُوقِيّ
بعضُ العمائم يطويه على سخَفٍ ... دين العفيفىّ عن وحى السباعى
صاد الرفاعىُّ ثعباناً فألَّهَهُ ... يا آيَ موسى هنيئاً بالرفاعيّ
هيهات لن يؤمن الأشياخ أو يصلوا ... دون الأناسىّ خلاّق الأناسيّ

* * *

يا مصلح الازهر المصدوق آمله ... حياك باريه بالروح السماوىّ
طبعت للنفع طبع الشمس منتحياً ... إلى الهدى سنة النور الصباحىّ
للدين ندعوك، للاصلاح يؤنسهُ ... مجدُ القدامى، وللنبت العصامىّ
أقبل كوصفك نوراً أىَّ مشترك ... لا خير في شيمة العلم الأنانىّ
الدين إن لم تَصُلْ بالعلم حجته ... فاز الخرافىُّ منـه باليقينىّ
أعمل حجاك فما أحرى بنيِّره ... أن يجلى الله في العرش الالهيّ
ذمّ القديمُ فما أصفى بتكرمة ... سوى عتيد العلى من كل عادىّ
أفٍّ لنفسي فما ترضى بصالحة ... ليس العصامىُّ فيها بالعظاميّ
جهل الأبوة بين النشء مقتلة ... ماذا يحب من الداء الوراثىّ
في معهد العصر أبناء أبوّتهم ... في معهد الدين ألفَوْا كل عصرىّ
إن الحنيفيّة الغراء يشغفها ... لُبُّ الثقافيّ في هدْى الحنيفىّ
يا رُبَّ دمع على الإسلام متَّهم ... كما تسمَّتَ للنوح الحمامىّ
خافوا على الدين من علم وفلسفة ... ما أنت يادين بالصرح الزجاجىّ
عداوة العلم والإسلام يعشقه ... سجية الإفن في اللُّبّ الثقافىّ
العلم أجمع فيـه الخير أجمعه ... كالنحل ماذية رفَّتْ بماذِيّ[1]

* * *

مهلاً بنى العصر قد جنت شمائله ... إن الهداة حمام عنـد بازىّ
لا السَّرحُ يحميه من أودت بعصمته ... دُنيا الفتُونِ ولا الراعى بمحميّ
مَنْ نصطفيه لدى الإصلاح ترجمةً ... لآية الرشد في العصر الإباحيّ؟
يا آسى الشرق إن الشرق محتشداً ... يجزيك نعماء هادٍ عنـــد مَهدِيّ
واهاً لوصفك مسكيًّا ننافحه ... بكل ذاكٍ من الأمداح مِسْكِيّ
خُذْنَا إلى النور لذاعاً بميسمه ... فلن تضيءَ بنورٍ غير نارىّ
الجدُّ من بغية الاصلاح أنجبه ... خلط الحريرىّ منه بالحديديّ
السائسُ البرُّ جبارٌ يصرفه ... لُبُّ الدراسىّ في عزم الحماسىّ
بدِّدْ من الجهل ليلاً أنت غُرَّته ... إن الصَّباح من الليل الغُدافيّ
يا حلكة الجهل فضّاحاً بسبّته ... متى تجليك بالضوء النَّهارىّ؟؟

* * *

لا أكذب العصر إن العصر مختلفٌ ... مجـد الرشيد وأكوابُ النواسىّ!
بنا ظِمَاءٌ إلى الساق على يده ... كأس تدفق بالسمّ الشَّرَابى

(١) الماذى العسل الأبيض

ويحى على النيل إن ردت مشارعه رِىَّ القلوب من العذب الزلالىّ
تلك الكؤوس ملاء كيف يجرعها
من يرهن النيل فى الدين العقاري
تقضى من الدين ما نخزي بمطلبه وللكرامة دين غيرُ مقضِىّ !
لؤمُ التصرف إذ نودى بنافعةٍ قد لفّ حاجبَها ثوبُ الكمالىّ
إنّا لنحمل بالآداب زائفةً عبء الخدود من الورد الصّناعى
كم فى الشمائل مطليٌّ نخادعه بكل خدٍّ صنيع الحسن مَطلِىّ
نَنحِى على الحسن إغواءً وتحليةً كالشعر يحنو على السحر الخيالىّ
ما أعدل الحسن تجزينا لواحظه على تصبّيه سحريًّا بسحرىّ

***

يا ربُّ، يا ربُّ خُذْ للنيل من فئةٍ ألقتْ على مصر عاراً غير مصريّ
خافوا على زيفهم من كل منتقدٍ يا ليث رحماك للدّلّ الكناسىّ
لو أرّخَ الفتحُ لم يعدل مؤرِّخُهُ
« بيوم بدر » سوى « يوم البدارى »
يوم البدارىّ فوزٌ ليس يعدله للنيل فوزٌ سوى النصر العرابىّ
لله درُّ فلانٍ لست أغمزهُ ولا رثى الله للعهد الفلانىّ
عهـــد بكينا له إبّان مولده شرُّ العهود وولّى غيرَ مبكىّ
أنحى على الفكر نفسيًّا فوا كبدى هل أنبت السعد فكرٌ غير نفسىّ
إن كان صاحبُ لُبٍّ ليس يعمله فأين حدثتَ باللُّبِّ الجمادىّ ؟
خُلْفُ الطوائف للأصلاح منقبة شمائل الرشد فى الرأى الخلافىّ
لا يملك الشائنُ الفضّاحُ منزلةً بين الأبيين من ناهٍ ومنهىّ
الحُرُّ للخطة العلياء غضبته وغضبة الوغد للرأى المدانىّ

***

عُبّاد كل رئيس لمة ضربت فى مصر فى مصنع الضرب الحكوميّ
همّتْ براعاتهم بالحق منصلتاً وَيْحَ الحديديّ من وقع الحريرى !
واحر قلباه كم تفضى إلى شرسٍ من الأناسيّ فى صولات جِنّىّ
الأمر يبرم سِرّيًّا فتُلهمُهُ منابتُ الغىّ من بادٍ وسرىّ
وعدُ المحبين مأتِيٌّ فإن ظفرت به العُداة فوعدٌ غيرُ مأتِىّ

***

قيل انتخاب (١) فماذوا فى نيابتهم بكل ذئب حديد الناب وحشىّ
ما أقتل العدل فى الشورى إن التفتت
عن كل محتفل بالرأى شورى
ضحوا بكل أبيّ ليس يفجعهم أن ردّدُ دستورهم بعض الأضاحىّ
ويح الكراسىّ للنواب كم حملت أشلاء جَلْدٍ على سلبِ الكراسىّ
إن الدساتير إن خطت معطلةً قتل الأمانىّ باللؤم الكتابىّ
ما أعدل الله فرداً فى حكومته وأعدل الحكم شورى غير فردىّ

***

للرفق إلمامةٌ بالنبت واعظةٌ مثل الجفون ألمّتْ بالأناسى (٢)
يا نبتة النيل يا أذكى صحائفه حييتما بين فَدّاءٍ ومَفدىّ
ألنّبْتُ للنيل فلينهدْ لعزته بالجد بالعلم ، بالسحر البيانىّ

السكرية — دار القاياتى
حسن القاياتى

(١) يراد بهذا أحد عهود الانتخابات الزائفة القديمة
(٢) الأناسى : هى أناسى العيون



بين العراق ومصر

سيدى الأستاذ الجليل صاحب الرسالة

لكم تألمت حين قرأت فى (الأهرام) وغير الأهرام وسمعت من إخواننا المصريين ما كتبوا وقالوا فى تأويل حادث الدكتور الشهيد سيف رحمه الله . وكم وددت أن أكتب كلمة فى الموضوع أبعث بها إلى الرسالة أدفع فيها عن العراق وأبين عن وجه الحق، ثم ظننت أن الرسالة تضيق عن مثل ذلك صفحاتها فترددت، حتى طلعت علينا يا سيدى بمقالتك البليغة التى قطعت قول كل كاتب وخطيب، فسرنى منها مايسرنى من كنز أقع عليه، أو أمل أصل إليه، وشكرتها لك أنا وأصحابي، شكر الله لك سعيك وجزاك خيراً ، فلقد ذدت والله عن الحق حين ذدت عن العراق ، ولقد شهدت شهادة الحق حين شهدت بما رأيت فى العراق

وهذه شهادة أخرى ، أشهدها بالله ولله ، أن قد عشت فى العراق سنة ، كنت فيها مع التلاميذ أخاً بين إخوان ، لا مدرساً بين تلاميذ ، فما رأيت إلا كرماً وودّاً ، ووفاء وتقديراً ، ورقة فى الطبع وسمواً فى النفس . ولقد كنت على أن أكتب ذلك من أمد طويل ، فكان يمنعنى أن الناس يظنون بكل صاحب ثناء رهبة أو رغبة ، وما بى رغبة ولا رهبة ، وإنما بى حب العراق وإجلاله كحبى لمصر وإجلالى إياها

وأشهد لقد عرفت هذا الطالب فى العام الماضى طالباً فى صف البكالوريا فعرفت فيه الفتى المهذب الوديع ، فلما سمعت بفعلته التى فعل ، بلغ منى العجب ، ولم أدر ماذا حاق به بعدى ؛ ثم سألت وتحسست الأخبار فعلمت أنها صدمة (الرسوب) طارت بلبه ولم يطق عليها صبراً (والصبر عند الصدمة الأولى) وتملكته حال لو رأى معها أباه لقتله ، فعزم وأمضى عزمه فى لحظة واحدة فهل يلام فى شرع أو عرف من ذهب اليأس بلبه فمضى يفعل فعله من غير لب ؟ وهل تؤخذ بجريرته هذه الأمة الحبيبة الوفية المسلمة العربية ، وهل تنسى حسناتها كلها لشبه إساءة ؟

لئن يكن الفعل الذى ساء واحداً فأفعالها اللائى سررن ألوف

وهل لنا (نحن معشر العرب المسلمين) إلا العراق ومصر ؟ هناك العروبة منشورة اللواء ، وهنا الاسلام رفاف العلم ، بل هنا وهناك العروبة والاسلام . لقد أسمعتنا هذه الأمة الطيبة ، وهذه الحكومة العربية المسلمة ، صوت الاسلام يخرج (فى أسبوع المولد) من (محطة) بغداد فتتجاوب به أرجاء هذه الكرة ، ولقد سمعنا الكلمة من كل مصرى فى مصر . أفتنفصم عرى هذه الأخوة التى عقدتها يد الله من فوق سبع سماوات فعلة شاب يائس ؟ هل يمكن أن يفرق شىء بين الأمتين المسلمتين الحبيبتين ، أمة الملك الصالح فاروق زين شباب المسلمين ، والملك الماجد غازى فخر شباب العرب ؟

لا والله ، إلا أن تبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟

***

فرحمة الله على الدكتور سيف البطل الشهيد ، وعلى الطالب القاتل البرئ ، وعزّى الأمتين الشقيقتين ، بل عزّى الأمة المسلمة (الواحدة) على ضفاف النيل وشواطئ الرافدين ، وزادها عزّاً ومجداً و (اتحاداً)

(دمشق) على الطنطاوى

نجاح الفنانين المصريين

تلقت إدارة الفنون الجميلة بوزارة المعارف من مدير الجناح المصرى بمعرض « بينال » الدولى للفنون الجميلة المقام الآن بمدينة البندقية والذي اشتركت مصر فيه لأول مرة هذا العام — كتاباً يشير فيه إلى نجاح القسم المصرى بهذا المعرض

نجاحاً حمل بعض الشخصيات الأوربية على إبداء الرغبة فى اقتناء بعض معروضات الفنانين المصريين المشتركين فى المعرض . وطلب الدور تحقيقاً لهذه الرغبة أن يخفض الفنانون المصريون أثمان معروضاتهم حتى يتمكن من تسهيل نشر الفن المصرى بين الأوساط الأوربية الراقية

ولا شك أن نجاح القسم المصرى فى معرض دولى يعد من أكبر معارض الفن بأوربا لما يدعو إلى التفاؤل بمستقبل الفنانين المصريين بفضل الجهود التى تبذلها مراقبة الفنون الجميلة بوزارة المعارف

آثار حملة نابليون بونابرت

سيفتتح قريباً فى قصر « التويلرى » بباريس معرض لآثار حملة نابوليون بونابرت على مصر . وسيضم هذا المعرض مجموعة قيمة من الوثائق الخاصة باعداد هذه الحملة؛ وهى تدل على أن نابليون — الذى عرف كيف يجمع حوله العلماء — كان قد فكر فى جميع التفاصيل المادية . ومن أمثال ذلك أنه حمل معه مطبعة لاعداد مجموعة من البيانات العلمية

وسيتضمن هذا المعرض أيضاً مجموعة من الصور تمثل القواد الشبان الذين اشتركوا فى حملة مصر

ولا شك فى أن التحفة النادرة فى المعرض ستكون الجمل المحنط الذى حمل نابليون فى مصر ولاسيما فى معركة الأهرام

ومع أن نابليون بونابرت كان يشعر بمثل دوار البحر عندما يمتطى جمله فقد تعلق به وعهد إلى أحسن علماء الطبيعيات فى المتحف بحشوه بالقش بعد أن نفق

وقد مر أمام هذا الجمل مئات من الزوار فى متحف باريس أو فى متحف نابوليون فى ايكس

وقد عاد هذا الجمل التاريخى الآن إلى باريس حيث يظهر فى المعرض وعليه رحل مزخرف بالذهب والفضة

ويحتمل أن ينقل الجمل — بعد انتهاء المعرض — إلى قصر مالميزون بجوار باريس حيث يبقى إلى جانب السرير الصغير الذى كان ينام عليه بونابرت فى منفاه بجزيرة القديسة هيلانة

وفاة أديب انجليزى

توفى المستر برسى هوبت الصحفى الروائى فى السادسة والثمانين من عمره، وقد تولى رياسة تحرير جريدة «الرأى العام» بيلك أوبنيون عشر سنوات ، واشتغل محاضراً فى آداب اللغة الانجليزية بالجامعة المصرية من سنة ١٩١١ إلى سنة ١٩٢٤

مكتبة عصبة الأمم ودراسة نظامها

وافقت وزارة المعارف على إيفاد الأستاذ احمد رامى إلى جنيف لزيارة عصبة الأمم ودراسة نظام العمل فى مكتبتها توطئة لاقتباس هذا النظام وإدخاله على دار الكتب المصرية

مقالة فى الجدل للامام الاسفرايينى

للامام أبى حامد الاسفرايينى مقالة فى الجدل مبينة، وللعلامة أبى نصر السبكى تعليقة عليها لطيفة . وقد رأيت أن أروى التعليقة والمقالة ، وإنهما لحقيقتان بالرواية فى (الرسالة) :

« قال أبو حيان التوحيدى : سمعت الشيخ أبا حامد (الاسْفَرَايِنى) يقول لطاهر العبّادانى : لا تعلق كثيراً لما تسمع منى فى مجالس الجدل ؛ فان الكلام يجرى فيها على ختل الخصم ومغالطته ودفعه ومغالبته ، فلسنا نتكلم لوجه الله خالصاً ، ولو أردنا ذلك لكان خطونا إلى الصمت أسرع من تطاولنا فى الكلام ، وإن كنا فى كثير من هذا نبوء بغضب الله (تعالى) فإنا مع ذلك نطمع فى سعة رحمة الله »

قال أبو نصر السبكى : « قلت : وهو طمع قريب، فانما يقع من المغالطات والمغالبات فى مجالس النظر يحصل به من تعليم إقامة الحجة ، ونشر العلم ، وبعث الهمم على طلبه — ما يعظم فى نظر أهل الحق ، ويقل عنده قلة الخلوص ، وتعود بركة فائدته وانتشارها على عدم الخلوص ، فقرب من الاخلاص إن شاء الله »

« القارئ »

من آفات المناظرة

من آفات المناظرة فى بلادنا (دون بلاد الله كلها) أن جمهرة القراء تنظر إليها نظرها إلى شكل من أشكال الصراع أو القتال لا ترى بينها وبين الملاكمة فرقاً ظاهراً . فليس الظافر من جاء بالحجة الظاهرة والدليل القاهر ، ولكن الظافر من كان أكثر كلاماً ، وأطول لساناً ، وأدنى إلى التعريض والتسميع بخصمه وأقدر على النيل منه ، ومن كان أثبت فى الجدال؛ بل إن كثيراً، من القراء يرون الظافر من كان صاحب الكلمة الأخيرة ، أى أنهم يقرأون لهذا فيميلون معه ، ثم يقرأون لذلك فيميلون إليه حتى يسكت أحد الخصمين فيحكموا عليه . أما الموازنة بين الحجج

والمفاضلة بين الدلائل، والحكم حكم المنصف العادل والناقد البصير، فشيء لا يكاد ينصرف إليه أحد. ثم إن القراء لا يعجبون بأحد ما يعجبون بكاتب يدافع وحده ويقابل جماعة من الناس، ولو كان مبطلاً يقول الواحد نصف الثلاثة، ولو كانوا محقين يقولون الواحد ثلثها، ولو كان مغالطاً وكانوا أصحاب الدليل، ولو كان ضعيفاً في نفسه، وكان كل واحد منهم أقوى منه؛ والقراء بعد ذلك يريدون من المناظر أن يجيب كل قائل، ولو لم يفرق بين كلمة العقيدة مثلاً تراجع في اللسان، وبين العقيدة ذاتها تدرس في كتاب الآراء والمعتقدات، ويحسبون من العجز أن يعرض المرء عن بعض القائلين ولو نالوا منه ولا يجدهم للجواب أهلاً. هذا إذا لم يكن القارئ صاحب هوى يميل حيث يميل به الهوى، ويستقر حيث تطرحه صداقة أوعداوة، فلا يفيد مما يقال شيئاً ...

... فأي فائدة للمناظرة مع هذه الآفات؟

« دمشق » (ع ...)

تحية الى الأستاذ العقاد

عزيزي الأستاذ الزيات صاحب « الرسالة » الغراء

أطلعني (بعضهم) على كلمات هزيلة درجت في جريدة « الاصلاح » السورية تستفتيني الحكم النزيه في أدب الأستاذين العقاد والمرحوم الرافعي، وتدعوني إلي أن أخوض المعمعة الأدبية التي أثارها تلاميذ الكاتبين العظيمين؛ ثم ينقل المحرر عني حديثاً ملفقاً مختلقاً يثبت فيه أني من أنصار الأستاذ المرحوم الرافعي؛ ودليله على ذلك (طبعاً) الحفلة التأبينية الكبرى التي كنت قد عزمت على إقامتها في مدينة ابن الوليد إجلالاً للكاتب العربي الكبير وتقديراً لمنافحته عن الاسلام والعروبة. ثم حالت الظروف القاهرة من دون تنفيذها وإخراجها إلى حيز الواقع والوجود...

وليت المحرر الفاضل وقف عند هذا الحد فلا يغش القراء ولا يظلم الحقيقة، بل هو يأبى إلا أن ينحلني مقالة مذيلة بإمضائي مؤداها أني ثائر على أدب العقاد، منكر عليه شعره وفنه، ناع عليه ضيق أفقه وغباوة فهمه لمعنى الأدب الصحيح ...!

وأنا — الذي أصرح الآن على صفحات الرسالة الغراء بأني من أشد الناس تعصباً لأدبه وعبقريته — لا يسعني إلا أن أحيي الأستاذ الكبير العقاد وأقول باختصار: إن كان كل مايرويه المحرر الفاضل من هذا القبيل فويل للحقيقة منه وويل له من الحقيقة...

« حمص » عبد القادر جنيدي

أسرار أبي الهول

أنجز الأستاذ سليم بك حسن وكيل مصلحة الآثار كتاباً جديداً نفيساً باللغة الانكليزية في « أبي الهول وأسراره » وهو في نحو أربعمائة صفحة ومئة وثمانين صورة، والمنتظر أن يقدم للطبع في انكلترا قريباً

والكتاب أربعة فصول أولها يحتوي على بحث الحفائر حول أبي الهول من عهد الملك خفرع إلى سنة ١٩٣٨، والثاني بحث في الملوك الذين زاروا أبا الهول من عهد الأسرة الثامنة عشرة المصرية إلى عهد الرومان، والثالث أصل أبي الهول وتحوله شكلاً ورمزاً في الأمم التي أخذته عن مصر، والرابع في المعنى الديني لأبي الهول ووجود مستعمرة كنعانية أو إسرائيلية في جواره والعثور على البلد المفقود اسمه والذي كان هؤلاء القوم يقطنون فيه

وفي هذا الفصل الأخير ولا سيما الكلام الخاص بالمستعمرة الكنعانية أمور كثيرة جديدة خطيرة الشأن كشفها الأستاذ سليم بك حسن وأفضت إلى فهم كثير من الأسرار التي كانت ولا تزال مقترنة باسم « أبي الهول »

نشأة الصحافة المصرية اليومية وتطورها

قدم الدكتور كمال الدين جلال رسالة عن « نشأة الصحافة اليومية المصرية وتطورها » إلى جامعة برلين نال بها إجازة الدكتوراه في علوم الصحافة فنال بها أعلى درجة جامعية، وأرسلت الجامعة إلى الجهات المصرية الرسمية في برلين تقريراً تثني فيه على جهود الدكتور جلال وتمتدح رسالته

ولا شك أن أسرة الصحافة المصرية التي يخدمها الزميل جلال خدماته الجليلة المعروفة منذ سنوات يهمها الوقوف على ما تحويه هذه الرسالة النفيسة التي جمعت لأول مرة تاريخ الصحافة في مصر منذ نشأتها الأولى حتى اليوم والتي سيكون لها بعد طبعها قريباً قيمتها العلمية المنتظرة

تعد الرسالة خير دعاية لجهود الصحافة المصرية وكفاحها في سبيل خدمة الشعب المصري حتى أصبحت عونه الأول والأخير في نضاله وتقدمه الاجتماعي

قسم المؤلف رسالته — وتقع في نحو ٣٥٠ صفحة — إلى أقسام يختص كل قسم بعصر سياسي تاريخي في مصر، وقد بدأ الرسالة ببحث ليس بالقصير يقع في فصلين، أولهما عن طرق النشر عند قدماء المصريين (وقد نال هذا الفصل تقديراً وثناء من



البـــاب المرصود

تأليف الأستاذ عمر فاخوري

من مطبوعات دار « المكشوف » — بيروت

للاستاذ محمد سعيد العريان

دأبت دار « المكشوف » على أن تنشر لقراء العربية خير ما يؤلفه أدباء لبنان فى الآداب والفنون

والمكشوف كما قد يعرف قراء العربية فى مصر هو جريدة أدبية يقوم على شئونها طائفة من خيرة أدباء لبنان ، وهى لسان الجيل الجديد من أدبائه وكتابه وشعرائه

أما كتاب اليوم فهو سلسلة مقالات أنشأها منشئها الفاضل فى مناسبات عدة ، فلما بلغت عِدّتها أن تكون كتاباً أخرجته دار المكشوف لقراء العربية

أما الأستاذ عمر فاخورى مؤلف هذه الفصول فأديب من أدباء لبنان لا نجد ما نعرّفه به إلى القراء إلا من قوله فى بعض رسائل هذا الكتاب

« إنى كثير المطالعة قليل الكتابة . وقد أوتيتُ بسطة من العيش وكثيراً من الفراغ يسّرا لى الانصراف إلى كتبى ودفاترى ، أقرأ وأقيّد ما يعن لبالى ، وقلما أغفل شاردة أو واردة لاعتقادى أنها تفيد يوماً من الأيام . ولو شئت الآن أن أعيد النظر فى حياتى

الأستاذ جرابو أستاذ علم الآثار المصرية فى جامعة برلين) وثانيهما عن طرق النشر فى مصر تحت الحكم العربى ، ثم تطرق الدكتور جلال إلى موضوع رسالته الأصلى فقسمها إلى :

١ — الحملة الفرنسية وأثرها فى نشأة الصحافة فى مصر
٢ — نشأة « الوقائع » فى عهد محمد على
٣ — الصحافة المصرية فى عصر إسماعيل
٤ — الصحافة فى عصر توفيق إلى مبدأ الثورة العرابية
٥ — الثورة العرابية وأثرها فى الصحافة المصرية
٦ — الصحافة فى عهد الاحتلال إلى أول نشوب الحرب الكبرى
٧ — الصحافة أثناء الحرب الكبرى
٨ — الصحافة فى الثورة الاستقلالية
٩ — الصحافة من إعلان الدستور حتى اليوم

هذه هى أبواب الرسالة الرئيسية قسم المؤلف كلا منها إلى ثلاثة فصول : درس فى الفصل الأول العصر من الوجهة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وذكر فى الثانى الصحف التى نشأت فى العصر فتحدث عن كل صحيفة بالتفصيل ثم ترجم لمؤسسيها والمشتغلين بها ، وتكلم فى الفصل الثالث عن عوامل العصر السياسية والاجتماعية التى أثرت فى تطور الصحافة. وقد قارن الدكتور جلال فى كثير من العصور صحافة مصر بصحافة البلاد الشرقية المجاورة

أتت هذه الرسالة على جل ما يتعلق بصحافة مصر العربية ، فكانت سفراً علمياً جامعاً سد به المؤلف فراغاً فى تاريخ النهضة المصرية الحديثة

ولقد أحسن الزميل إذ ذكر فى مقدمة رسالته أنه يهدى ثمرة جهوده هذه إلى صحافى مصر الذين اتخذوا الصحافة مهنة لهم يخدمون بها وطنهم مصر والذين لم يبالوا بما أصابهم ولن يعبأوا بما يصيبهم فى سبيل القيام بهذا الواجب المقدس

فالشباب المصرى يفتخر بجهود هذا الصحفى الشاب الذى جمع بين العلم والصحافة وجعلهما سلاحه فى خدمة بلاده والدعاية لها ، ونحن نهنئه من قلوب تنبض سعيدة مستبشرة كما شعرت بجهود ناجحة فى سبيل الواجب

مراد كامل
دكتور فى اللغات السامية

الماضية وأحصى ما مرّ عليّ من حوادث جديرة بالذكر ، كي أكتب سيرتي بنفسي ، لاستطعت دون عناء اختصارها في هذه الجملة الجامعة « مطالعات في زاوية بيت » فإن الكتب التي طالعتها هي أعظم حوادث حياتي ! »

ويبدو لي أن هـذا الذي يقوله المؤلف عن نفسه هو حق ؛ فإن أثر مطالعاته الشاملة المنوعة من أدب الشرق وأدب الغرب ، واضح كل الوضوح فيما أنشأ من فصول هذا الكتاب ، سواء في الرأي والفكرة والاتجاه العقلي ، أو في أسلوب الكتابة

أما موضوع الكتاب فقد أسلفت الاشارة إليه ، فهو فصول عدة كتبها كاتبها في مناسبات مختلفة بين سنتي ١٩٢٦، ١٩٣٧ ، ولكنها على طول العهد بين أجزائها تجمعها رابطة واحدة يصح أن نسميها « نظرات في الشعر من بعض نواحيه »

ويتحدث المؤلف في الفصل الأول من هـذا الكتاب عن « الشاعر وأبنائه » ويعني بأبنائه : مؤلفاته ، أو بنات أفكاره على ما نسميها أحياناً ؛ أما الباب الثاني فيتحدث عن الباب المرصود : الباب الذي يخال الانسان أن وراءه السعادة التي يدأب في السعي إليها

وهو في الفصل الثالث يتحدث عن « كنوز الفقراء » ، الكنوز التي يتعزّون منها بوهم الأماني في الحكايات والخرافات وأساطير الأولين . وله في هذا الفصل فكر وروح شاعرة ؛ ولكن له فيه إلى ذلك حديثاً عن النبوة والأنبياء كنا نؤثر ألا ينزلق إليه ، وإن كنت أومن في نفسي أنه لم يقصد إلى معنى من المعاني التي تتبادر إلى ذهن قارئه . ولكنا نحب ألا نتناول الحديث عن النبوة والأنبياء إلا بالعبارة الصريحة التي لا تؤدي إلى نفس قارئها غير معنى واحد

وفي حديثه عن الشعر القومي وعن صديقه الشاعر « عمر الزعني » تقرأ له رأياً في العامية والفصحى أحسب أن لا أحد من أصدقاء الوحدة العربية يوافقه عليه

وله فصل بعنوان « المرآة المجلوة والمرآة الصدئة » جمع فيه إلى رأيه آراء ، وتحدث عن الصلة بين الأخلاق والفن ، وعن الأسلوب والمعنى ، وعن الموضوعات التي ينبغي أن يتناولها الأديب ، وهو موضوع له خطره تناوله الكاتب بروح الشاب الثائر يحكم فيه الحكم (المبرم) قبل أن تجتمع له مقدماته ؛ فما ينبغي أن نتحدث عن صلة الأدب والفن بالأخلاق قبل أن نتفق على الرأي في الغاية من الأدب وفي رسالة الأديب وما يعود منهما على الانسانية . ومهما يكن الرأي في ذلك فلا جدال في أن الأمة العربية في حالها الواقع لم تنضج بعد النضج الأدبي أو الخلقي الذي يبيح لنا أن ندعو إلى ما يسمونه الأدب المكشوف ، على ما قد يكون فيه — كما يقول دعاته — من السمو بالآداب والفنون !

وفي الكتاب غير ذلك فصول ممتعة ، خليقة بأن يجد فيها القارئ لذة وفكراً ومعرفة ؛ وحسبي أن أذكر منها : العمود الهادئ ، والأحلام ، والشاعر في السوق . فإنها فصول جديدة في موضوعها ، وقد وُفّق الكاتب في تناولها توفيقاً يدعو إلى الإعجاب ...

أما بعد فهذا كتاب من منشورات إخواننا العرب في لبنان وما أقل ما نعرف عن أدباء لبنان وغيرها من الأقطار العربية ؛ وأقل منه ما نقرأ من مؤلفاتهم ومنشوراتهم ؛ على حين يعرف إخواننا في الشرق العربي من أدبائنا ويقرءون من مطبوعاتنا في مصر أكثر مما تعرف مصر نفسها عن أدبائها ومؤلفيها . وما نذكر ذلك لمنى نفاضل به بيننا وبينهم في الأدب ، ولكن لنذكر إخواننا في مصر بأن عليهم واجباً في الوفاء لإخواننا في البلاد العربية عرفوه ونسيناه ، وإني لأشير إليه في هذه الكلمة اعترافاً بالحق وعرفاناً بالجميل

وإني لأشعر بكثير من السرور إذ أقدم هذا المؤلف إلى من يريد أن يقرأه من أدباء مصر ، وإذ أعرفهم بأديب من جيراننا ينبغي أن يعرفوه ويقرءوا له ؛ ولعلي بهذا أكون قد اعتذرت لاخواننا مما يظنون بنا وقمت بشيء مما علينا لاخواننا من الوفاء وعرفان الجميل

محمد سعيد العريان

فهرس المجلد الأول من السنة السادسة

وزعنا هذا الفهرس مع هذا العدد فمن لم يصله فليطلبه من الادارة


الرسالة
السنة السادسه
العدد ٢٦٣

6 me Année, No. 263

Lundi - 18 - 7 - 1938

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

بدل الاشتراك عن سنة

مـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العـدد ٢٦٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣٥٧ — ١٨ يولية سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـرس

من الذكريات الجميلة

على ذكر الجدال فى الشرق والغرب

عرفت فى باريس عام ١٩٢٥ الآنسة (فرناند) ابنة أحد القضاة فى محكمة (ديجون). كانت طالبة بالسنة الأخيرة من كلية الحقوق، وكان لها بالمستشرق المرحوم (ب. كازانوفا) أستاذ الأدب العربى فى الكوليج دى فرانس صلة قرابة أو صداقة، فعرفنى إليها لتكون لى فى مدينة النور ما كانت (بياتْرِكس) لدانتى فى جنة الفردوس

وكانت هذه الفتاة آية فى الجمال والذكاء والظَّرف؛ وكان أعجب ما فيها أنها تؤلف فى نفسها بين المتناقضات فلا يكاد النظر العادى يلحظ ما بينها من التنافى! فهى منطقية الفكر حرة العقيدة؛ وهى خيالية الذهن شاعرية العواطف؛ تؤمن بنيتشه كما تؤمن بالمسيح، وتقدس جمهورية الثورة كما تقدس مَلَكية البربون، وتُشيد بفتح العرب للأندلس كما تشيد بغزو الصليبيين للقدس، وتعجب بروحية الشرق كما تعجب بمادية الغرب، وتحدثك فى ذلك كله حديث المطلع المقتنع الفاهم؛ فإذا أخذت عليها شذوذاً فى قياس القضية، أو نشوزاً فى سياق الحديث،

عمدت إلى المزاح البارع أو التهكم اللاذع أو الأسلوب الخطابي فتميت على لسانك البيان، وتُطير من عقلك الدليل

أدهشني منها إلمامها بأدب العرب وحكمة الإسلام وفلسفة الشرق. فلما عرفت اتصال سببها بالأستاذ كازانوفا وهو الذى جمل فنه أساطير الشرق وأدب القرآن، عزوت إليه هذا الميل وذلك العلم؛ وعرفت منها بعدئذ أنها كانت تستمع إلى محاضراته فى التفسير ومسامراته فى الآداب، وأنه أهدى إليها (حديقة الزهور) لصاحب المعالى الأستاذ واصف غالى، وأعارها ترجمة ألف ليلة وليلة لماردروس، فكان أكثر حديثها عن بغداد ودورها التى تفيض بالنعيم والسحر، وتنفح بالبخور والعطر، وتمرح بالقيان والغزل؛ وعن دمشق باب الجزيرة إلى الفردوس، وطريق البادية إلى الحضارة، وملتقى القبائل والقوافل فى الخانات المملوءة بالسماسرة والتجار، والأسواق المحفوفة بالمغامرات والأسرار، والغوطة الفياضة بالجمال والحب؛ ثم عن مصر التى خلقت المدنية، وأنشأت الفن، وشرعت الدين، وولدت موسى، وآوت عيسى، وتوجت الملوك بالشمس، وكفنتهم بالخلود، ودفنتهم فى الذهب. ثم كانت تتحرق شوقاً إلى النيل وأيامه المشمسة التى يضحك فيها القطن، ولياليه المقمرة التي يحلم بها النخيل. فكنت أقرن شوقها إلى مصر بالدعاء إلى الله أن يهيئ لهذا المحيا الفاتن أن يتفتح نضيراً فى جوها الإضحيان الطليق

***

أدينا الامتحان معاً؛ ثم أرسلت نفسى الحشيمة على هواها ومناها، فزرنا معابد الطبيعة فى فنسين وسان كلو وفنتينبلو، وحججنا محاريب الفن فى اللوفر والأوبرا وفرساي. وكنت يومئذ أترجم «رفائيل» فكان ما أقرأ وما أكتب وما أسمع وما أرى نَسَقاً عجيباً من الجمال والجلال والفن والشعر والحب والتأمل والاستغراق، لا يدع للخيال الوثاب مَسْبحاً، ولا للنفس الطامحة رغبة. ثم أحَمَّ الفراق فرجعتُ إلى مصر ولحقت هى بأهلها فى مدينة (رويّان)

وكان بينى و بينها رسائل مسكية المداد، وردية الورق، تؤلف كتاباً من شعر القلب والعقل تناول فيما تناول الفروق الناشئة بين الشرق والغرب من اختلاف وجهة نظريهما إلى الحياة، إذْ هى فى نظر الشرقى دار ممر، وفى نظر الغربى دار إقامة

وفى فبراير من عام ١٩٢٨ زارت مصر هي وزوجها، وهو ضابط فرنسى كان فى طريقه إلى عمله فى جيش سورية؛ فكنت لهما ترجماناً ودليلاً مدى أسبوعين إلى مخلفات الفراعين، وطلول الفسطاط، وقطائع ابن طولون، وقاهرة المعز. وسنحت الفرصة الموجوة فاجتمع القلبان والذوقان على فتون الشرق الحبيب. ورأيت من (مدام روجيه) عزوفاً قوياً عن الشوارع الأوربية فى مصر الحديثة، وولوعاً شديداً بالتجوال فى الغورية والنحاسين والجمالية وخان الخليلى، وشوقاً ملحاً إلى استطلاع المجهول، واستكناه الغامض، واستخبار الناس، واستحضار الماضى. وكانت كلما أوغلت فى هذه الأحياء، واستبطنت دخائل هذه الأشياء، شعرت بالحاجة إلى زيادة الإيغال و إطالة النظر و إدامة التقصى، كأنما كانت تبحث عن شئ تعتقد وجوده ولا تراه، ثم قالت ذات مساء وهى على شرفة القلعة تشاهد مغرب الشمس من وراء الأهرام :

رباه!! إن من وراء هذه الآثار التى أجهدها الدهر، وهذه المآثر التى شوهها الجهل، وهؤلاء الناس الذين مسخهم الفقر، لروحاً خفية تبعث من خلال هذه الأغشية الكثيفة هذا الشعاع اللطيف الذى يشرق فى هذه الوجوه الشقية المحرومة فيبددعنها كُرَب العيش

هذه هى روح الشرق الإلٰهية المجهولة، فمن زعم أنه يحكم عليها من وراء هذه الأخلاق المنحلة، والنظم المعتلة، والمشاهد الزرية، كان كالذي لم ير الشمس ثم يحكم عليها من وراء الغمام والقتام والبعد! اجلوا عن هذا الروح المظلم هذه الغشاوة، واكشفوا عن هذا الجوهر الكريم هذا الرغام، ثم اجلوه إلى جانب الغرب الخلاق بالعلم، البراق بالصنعة، واحكموا بينهما فلعلكم بذلك تكونون أدنى إلى السداد

احمد حسن الزيات

بين الشرق والغرب

رد على رد

للأستاذ فليكس فارس

كتبت مقالى فى العددين (٢٥٧ و ٢٥٨) من الرسالة تحت عنوان الشرق والغرب فأوردت فيه بعض مباحث دارت بينى وبين الدكتور اسماعيل أدهم ، فإذا به يأتى فى عددى (٢٥٩ و ٢٦٠) بما يعتقده مؤيداً لرأيه ، وهو المبدأ الذى حاول تعزيزه فى مناظرة (٢٠ مارس سنة ١٩٣٨)[1] يثبت أن من الخير لمصر أن تأخذ بالحضارة الغربية . وقد أحسن الدكتور أدهم بإيراده ملخص أقواله إذ عرض بذلك على المفكرين ما يتمم البحث بإيضاح النظرية الإيجابيـة فى قضية تشغل كل محب لأوطانه فى هذا الشرق العربى الذى آن له أن يعين اتجاهه ويتطلع إلى مصير أبنائه وأحفاده

هذا ولا بد لى فى هـذا المقام أن أكرر على قراء الرسالة ما قلته لمن غص بهم رحب قاعة المناظرة حين دافع الدكتور عن نظريته، ولمحت شيئاً من الأشياء لموقفه على وجوه الشبيبة العربية . قلت : إن صديقى الدكتور أدهم فيلسوف غربى لا يسلم تفكيره فى الاجتماع من نزعات فطرته، كما لا يسلم تفكيرنا نحن من نزعات فطرتنا. فالمسألة مسألة اجتماعية يدور بها الشئ الكثير من حوافز الذوق الموروث ، لذلك أرى موقف صديق مهاجماً أحرج من موقفى مجارياً ، فأشكره على صراحته معتقداً بحسن نيته وبأن حبه للشرق ولمصر هو ما يحفزه إلى محاولة إقناعنا بأفضليـة الحضارة الغربية ؛ ليس عدواً من ناقشك ودعاك إلى الأخذ بما يعتقده حقـاً لأنه يتمنى لك ما ارتضاه لنفسه

والآن لأرسلن نظرة عجلى فى ما كتبه الدكتور أدهم فى الرسالة متناولا ما يستوقفنى فيه مما لم أتناوله فى مقالى السابق متجنباً التكرار متوخياً حصر الموضوع فى دائرة محدودة نصل منها إلى نتيجة ، لأن اقتحام الجدل من أجل الجدل لا يؤدى فى الغالب إلا إلى الانتقال لفروع القضية بالتناضى عن أصلها

١ — إن مناظرى يعترف بأن لمصر ثقافة تقليدية لا يمكنها أن تخرج عنها مالم يهتز المجتمع فى صميمه ، ولـكنه يعود بهذه الثقافة إلى أصل فرعونى راسخ سواء فى طرق المعيشة أو فى الدين؛ ودليله على استقرار مصر على حضارة فرعونية جلباب الريفى الأزرق وطرق الرى ، وبرهانه على استقرارها على دين الفراعنة تطرق تقاليده إلى الدين الاسلامى، وبتعبير أصح إلى حياة المسلمين

أما أن يعد المناظر طريقة استغلال الأرض فطرة فذلك مما لا يوافقه أحد عليه، لأن المسألة هنا تتعلق بتطور فى أساليب الصناعة ، ولا شأن للفطرة فيها . ولو كان الأمر كما يقول المناظر لـكان كل مرتدٍ لغير القميص الأزرق، وكل حارث بآلة حديثة، وكل مستبدل « شادوفاً » « بطلمبة » ، فاقداً للفرعونية التى يريد المناظر بعثها أساساً لحضارة مصر ...

أما أن تكون التقاليد التى احتفظ بها السكان من الحضارة المنقرضة دليلاً على بقاء الدين فرعونيـاً فى مصر فذلك ما لا يقره عليه أحد ، لأن ماتبقى من العادات يعد بدعاً لا يزال الدين يعمل على اقتلاعها من المجتمع لخيره وسلامة إيمانه

إن مصر لن تكون فرعونية فى القرن العشرين إلا إذا تراجع الزمان القهقرى طاوياً معه كلمة الله التى جعلت قوم فرعون حديثاً فى تاريخ الشعوب

٢ — إن مناظرى يستبعد سائر البلاد العربية عن البحث مدعياً أن ثقافة مصر مستقلة تجاه الحضارة العربية، لأن لها طابعاً خاصاً ، ولأن لغتها العربية استمدت من الثقافة الفرعونية قدرتها على صوغ المعانى بما يتكافأ ومحيط مصر ، فاللغة العامية فى هذا الوادى إنما هى — بحسب رأى الدكتور أدهم — فرعونية آخذة بأسباب التعرب ...

أما أن تـكون مصر ذات ثقافة خاصة تتميز بها عن سائر

---

(١) على ذكر هذه المحاضرة لا بد لى من أن أصحح ما ورد على هامش الرد من أن آراء الحاضرين فى المناظرة انقسمت متساوية على الايجاب والسلب فى الموضوع ، لأن ما أعلمه ويشهد به الدكتور أدهم نفسه هو أن الوجه الايجابى لم ينل إلا ثلاثة أو خمسة أصوات فى حين أن الحشد كله كان فى جانب النظرية الشرقية التى أيدتها

الأقطار العربية فذلك ما ننكره على المناظر، لأن لشعوب سائر الأقطار العربية كلها جدوداً عاصروا الفرعونيين وتركوا فى التاريخ ذكرى حضارات لم يبق منها سوى أعمدة محطمة وهيا كل متداعية

إن فى كل من الأقطار العربية من الميزات الاقليمية ما لا ينكره أحد؛ وقد تجد مثل هذه الميزات فى أحياء مدينة واحدة، ولكنها أضعف من أن تسلخ هذه الشعوب عن ثقافة عامة شاملة لها فى اللغة والموسيقى ونظام الأسرة وروح التشريع . وهذه الميزات العامة هى ما تقوم الحضارة الأدبية عليه فى كل الأمم

أما أن تكون اللغة العامية فى مصر عبارة عن لغة فرعونية فى أصلها فذلك مما نقف عنده متسائلين عما إذا كان الدكتور أدهم لا يقصد هزلاً به . . .

ليست اللغة العامية فى مصر إلا كسائر اللغات العامية فى الأقطار العربية، لغة أفسدتها عصور الانحطاط ، فانك لو أغضيت عن اللهجات فى كيفية الالقاء، وهذا مما يصعب توحيده فى أقاليم أية أمة، فانك لا تجد إلا كلمات معدودات يختلف النطق بها بين مصر وسوريا وبغداد مثلا؛ غير أنها كلمات عربية شوهها الاختصار، ولكنه استبقى على أصلها . فأين « دلوقتى » « وازيك » من لغة الفراعنة ؟ وأين «شوبدك» من لغة أبناء فينيقيه ؟

٣ — أراد مناظرى أن يجمل العلم والثقافة شيئاً واحداً ، فهو يقول بانبثاق الثقافة من العلوم الأصلية، ونحن لا نعلم ما هى العلاقة بين علم طبقات الأرض مثلاً والمبادئ الأدبية التى يقوم المجتمع عليها . وقد أوردنا فى مقالنا السابق ما يغنينا عن التكرار في هذا الموضوع

يرى المناظر أن اليابان أصبحت عالة على أوربا لأنها أخذت العلم الوضعى عنها ولم تأخذ بحضارتها في آن واحد . فحضرته يميز إذن بين العلم والحضارة ... فى حين أنه يقول بصدور الحضارة عن العلم

ثم هو يقول إن أوربا تعمل بحضارتها للتحرر من استعباد الآلة . ونحن نرى أن أوربا لن تخلص من هذا الاستعباد إذا هى لم تخرج على مبادئ حضارتها

٤ — يعود المناظر إلى التمسك بقوله إن الشرق يقيم الحياة على أساس غيبى لتنظيم الصلات بين البشر ؛ ونحن لا ننكر على الشرق هذه الفضيلة، ونود لو اتخذها الغرب أساساً لحضارته؛ لأن كل تنظيم لعلاقات البشر فى المجتمع لا يرسو على الايمان باستمرار الحياة بعد الموت ، لا يجد مرتكزاً له فى غير مبدأ الحق للقوة سواء أكان ذلك بين الأفراد أم بين الأمم

٥ — ننكر للمناظر اعترافه بأن المنطق مشاع بين الأمم ، بعد أن كان فى مناظرته ينكره على الشرق . ولعله يذكر كما يذكر من حضر المناظرة إصراره على القول بأن الاقليم والبيئة فى الشرق يجنحان بأهله إلى الخيال دون التفكير والاستقراء مما دعانا إلى الرد عليه بقولنا :

٦ — إذن ، لماذا تدعونا إلى ما لا قبل لنا به ولا إمكان لاقتباسه ما لم نهجر أوطاننا ونذهب إلى الغرب نتوطن فيه أجيالا نستبدل بأدمغتنا الشرقية أدمغة غربية. إذا كان لا يسمنا أن نملك المنطق إلا بهذه التضحية فعلى المنطق العفاء ... غير أننا كنا عند ما أنشأنا حضارتنا على أرض هذا الشرق وتحت سمائه أسياد المنطق فى العالم

أما وقد أعلن المناظر أخيراً اعتقاده بأن المنطق مشاع بين الأمم وأنه يضعف إذا أهمل ، فقد أصبحت دعوته للشرق للأخذ بمنطق الغرب دعوة لا مبرر لها ، بل قد أصبحت ولها معنى واحد وهو الاهابة بالشرق للنهوض وللعمل على استعادة مجده بالرجوع إلى تفكيره وشعوره

٦ — يقول المناظر إن الفلسفة الاسلامية روحها يونانية ومنطقها يونانى ، لأن الفارابي وابن سينا وسواهما علقوا إرادة الخالق بقوانين الكون . ولا نعلم ماذا يقصد الدكتور بهذا . إن فلسفة المفكرين ليست إسلامية ولا مسيحية؛ إن هى إلا آراء فى الخلق لا تمتُّ إلى الدين بسبب . إن الايمان لا يقبل جعل الخالق أسيراً لما خلق . فان كان الله جل جلاله قد وضع لهذا الكون نظاماً أفيعجز عن تبديله حين يشاء ؟ إنها لفلسفة غريبة هذه الفلسفة التى تذهب متحرشة بإرادة المبدع قاصدة تحليلها لتعلم ما إذا كان بوسعه أن يحكّم إرادته فيما أبدع

إننا نسلّم للدكتور بل نرجوه أن يقتنع بأن هذه الفلسفة

متحدرة من ذهنية يونانية تمودت خلق سيئات الآلهة واختراع الأساطيرعنهم وتحليل إرادتهم وغضبهم وغشهم وجنونهم وسكرهم

٧ – يقول المناظر فى ردّه على الأستاذ توفيق الحكيم إن علينا أن نعمل لدنيانا كأننا نعيش أبداً ، ثم يقف فلا يورد الشق الثانى من هذه الآية العربية وهو « واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً» غير أنه علىّ أن ألفت مناظري إلى أن الملحد لا يمكنه دون أن ينقض مبدأه أن يعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً لأنه يعلم أنه صائر إلى العدم وأن أبناءه مولودون لدود القبور فهو مطالب بالتنعم فى يومه ما استطاع . إن من لا أبدية له لا غد له ...

٨ – إن المناظر يجد قصوراً فى عدم مجاراة العرب لليونان فى آدابهم التى جالت على قوله فى رحاب الموضوعية خارجة من رحاب الذات ، ويذهب بهذا إلى القول بأن التحليل ليس من مكنة الذهنية العربية

لا يامناظرى، إن الأديب العربى قد استوعب فى ذهنيته كل ما جال فى خاطره وفى الآفاق حوله ، فما كان عليه أن يصوّر حياة اليونان أو يتذوق أساطيرهم وخرافاتهم فيحذو حذوهم ، لأن فطرته لم تكن تستنيم لثقافة غريبة عنه . وهل لنا أن نلوم الألماني مثلاً لأنه لا يأتينا بما أتى به موسيه ، أو نلوم هوجو لأنه لم يكتب كنيتشه ؟...

إن الآداب صورة لثقافة الشعب وحياته ، وقد أخذ أجدادنا العلوم عن اليونان لأن العلم مشاع كما سلف. فهل كانت حضارتنا الأدبية يونانية لتكون آدابنا يونانية ؟

٩ – إن المناظر يرى فى انتصار شارل مارتل إنقاذاً للعقلية الغربية من طغيان روح النسك الآسيوية . وهو يعترف فى الوقت نفسه بأن العقلية الغربيـة كانت رازحة تحت كاهل اللاهوت الـكنسى الذى قام فى روما رقيباً على النفوس والعقول محملا بكل سيئات النسك الآسيوية

أفليس من الغريب أن يرى الدكتور أدهم في انتصار مارتل إنقاذاً للغرب من روح النسك الآسيوية فى حين أن الاسـلام لم يكن فيه شىء من هذه الروح التى سادت بهاروما باسم المسيحية؟ فاذا كان مارتل أراد إنقاذ الغرب من النسك ، أفما كان عليه أن يتحول من نهر اللوار إلى روما بخيله ورجله ؟

***

بقى على أن ألتي نظرتى الأخيرة على أول كلمة توّج بها مناظرى ردّه . وهى كلمة « هابل آدم » التى أوردها آية يدعونا بها إلى الأخذ بعقلية الغرب لنصالح حياتنا حتى إذا انتقلنا إلى الحياة الأخرى فهنالك نتبع العقلية الشرقية اللاغة للحياة الباقية « كذا ... »

مرحى لهابل آدم ... أفيلسوف اجتماعى من يقول بمثل هذا ؟ ليذهب أشباه «هابل» فى هذه الحياة بعقليتهم المنكرة لـكل عذاب وثواب . ليسحق الأقوياء الضعفاء سحقاً سواء أ كانوا أفراداً أم شعوباً،وليدوسوا على الحق بالقوة الغاشمة وبالقوة المتحيلة، حتى إذا اجتاز الـكافرون معبر الموت حقّ لهم أن يعملوا بذهنية الشرق وأن يقفوا أمام الديان هاتفين: ربنا إننا نتوب إليك فاحشرنا مع المؤمنين الصالحين .

(البقية فى العدد القادم)

فليكس فارس

شـــوقي

توارد الخواطر

لأستاذ جليل

قصد شاعرنا (أحمد شوقي) وهو تلميذ باريس يطلب (علم الفقه) فيها على علمائها ليرجع إلى مصر قاضياً أو مدرّها (محامياً) وقد فطره الله شجاع الجنان جبان اللسان مثل الرضيّ الموسوي (محمد بن الطاهر) القائل:

جناني شجاع إن (شعرت) وإنما لساني إن سيم النشيدَ جبان
وفخر الفتى بالقول لا بنشيده ويروى فلان مرة وفلان

وفي باريس الفاتنة الساحرة عمله قال شوقي قصيدة (خدعوها) وفيها هذان البيتان:

يوم كنا (ولا تسل كيف كنا) نتهادى من الهوى ما نشاء
وعلينا من العفاف رقيب تعبت في مراســـه الأهواء

وقد قال شاعر قديم الأبيات الآتية وهي في الجزء الرابع من (طبقات الشافعية الكبرى) غير منسوبة إلى أحد:

ما على عاشق رأى الحِبّ مختا لا كغصن الأراك يحمل بدرا[1]
فدنا نحوه يقبـــل خديـ ه غراماً به ويلثم ثغرا
وعليه من العفاف رقيب لا يُداني في سنة الحب غدرا

وهذه الأبيات لم تُر في ذاك الوقت في غير (الطبقات) ولم تكن المطبعة - وشوقي ناشئ أوشاب - قد أظهرت ذلك الكتاب. فهل قرأها شوقي في الطبقات المخطوطة؟ وهل كان يطالع مثل هذه المصنفات في حداثة سنه أو رآها في كتاب مطبوع غير الطبقات أم هذا من توارد الخواطر؟

أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري يقول في كتاب الصناعتين: «قد يقع للمتأخر معنى سبقه إليـه المتقدم من غير أن يُلم به[2]، ولكن كما وقع للأول وقع للآخر. وهذا أمر عرفته من نفسي فلست أمترى فيه، وذلك أني عملت شيئاً في صفة النساء: سفرن بدوراً وانتقبن أهلة، وظننت أني سبقت إلى جمع هذين التشبيهين في نصف بيت إلى أن وجدته بعينه لبعض البغداديين فكثر تعجبي، وعزمت على ألا أحكم على المتأخر بالسرق من المتقدم حكماً حتماً»

قلت: والبغدادي هذا هو أبو القاسم الزاهي وقد روى الثعالبي له في (خاص الخاص) و (الايجاز والاعجاز) هذين البيتين[1]، وقال: «أمير طرائفه وأحسن شعره قوله في النسيب:

سفرن بدورا، وانتقبن أهلة ومسن غصونا، والتفتن جآذرا[2]
وأطلعن في الأجياد بالدر أنجما جُعلن لحبات القلوب ضرائرا»

وفي شرح المقامات للشريشي: «سئل المتنبي عن اتفاقات الخواطر، فقال: الشعر ميدان، والشعراء فرسان، فربما اتفق توارد الخواطر، كما قد يقع الحافر على الحافر»

ولقد صدق المتنبي وما كذب، فهنالك حقاً توارد الخواطر وهناك - وعلم هذا عند أبي الطيب - غارات الشاعر ... وقد قال الامام المرزباني في (الموشح): «كان الأخطل[3] يقول: نحن معاشر الشعراء أسرق من الصاغة ...»

* * *

الياء في مثل هـذا الاسم (شوقيّ) هي للنسبة أو الاضافة - كما يسميها صاحب (الكتاب) - وهي هدية أو بلية تركية. ومثل شوقيّ، عدليّ، رشديّ، صدقيّ، حلميّ، حقيّ، حمديّ، حسنيّ، سريّ، سعديّ، فتحيّ، شكريّ، فهميّ، فوزيّ، فخريّ، فكريّ، وصفيّ

والترك الذين أتحفوا العربية بمثل هذه البلية هم «جيل من الناس» كما قال الصحاح[4] والجمع أتراك، قال الامام محمود جار الله

---

(١) الحِب: المحبوب

(٢) ألم به: عرفه

---

(١) وروى الثعالبي البيت الأول في كتابه (أسرار العربية) منسوبا إلى الزاهي. وروى النويري البيتين في (نهاية الارب) ونسبهما إلى أبي فراس الحمداني. وإنما هما لصاحبهما (الزاهي)

(٢) وللمتنبي من هذا الجنس:

بدت قمراً، ومالت خوط بان وفاحت عنبراً، ورنت غزالا

وللثعالبي:

رنا ظبياً، وغنى عنـدليبا ولاح شقائقاً، ومشى قضيبا

(٣) اسمه غوث بن غياث

(٤) وفي (اللسان): «الترك الجيل المعروف الذي يقال له الديلم»

الزمخشرى فى كتابه (أساس البلاغة) : « وتقول : تراكِ[1] تراكِ صحبة الأتراك »

ومن مشهورى الترك وأبطالهم ورجال القتال فيهم : جنكزخان ، هولاكو ، تمرلنك ، أتاتورك

فيحق على كل ناطق بـ (الضاد) فى كل إقليم أن يرفض هاتيك (الياء) ، وإن الأسماء الجميلة الكيّسة[2] فى اللسان المبين لسان القرآن لأكثر عدداً من رمال الدهناء ومن نجوم السماء

(الاسكندرية) (***)

---

(١) تراكِ اسم لفعل الامر ، قال طفيل بن يزيد الحارثى :

تراكها من إبل تراكها أما ترى الموت لدى أوراكها

والاول من أبيات (الكتاب)

(٢) عامتنا فى مصر تقول : كويسة ، كويس

جورجياس
او البيان

لافلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ٤ —

(تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجل محاوراته وأكلها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة !)

« رينوفييه »

«إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائما وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين !»

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »

٢ — شيروفون : صديق سقراط : « سه »

٣ — جورجياس : السفسطانى : « ج »

٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »

٥ — كاليكلس : أثينى : « ك »[1]

ط — (تابع ما قبله) وإذا قال لى بعد ذلك مدرب الألعاب الرياضية : « إنى لجد دهش يا سقراط لأن جورجياس يريد أن يريك أن الخير الذى ينتج عن فنه أعظم من الخير الذى ينتج عن فنى » : فإنى سأقول له : ومن أنت وما مهنتك يا صديقى ؟ وطبعاً سيجيب بأنه مدرب ألعاب ، وبأن مهنته هى تجميل الجسم وتقويته ! ثم إذا أتى رجل الأعمال بدوره واحتقر جميع المهن الأخرى وقال فيما أظن : « أحكم بنفسك يا سقراط إذا كان جورجياس أو غيره يستطيع أن يأتى بخير أعظم من الثروة ؟ » فانا سنقول له : ماذا ؟ وأى شىء تمتهن ؟ ؟ وسيجيب مؤكداً ما قال ! ! وهنا سنسأل : ومن أنت إذاً ؟ وسيقول : إنه رجل أعمال ! ومن ثم سنقول له : عجباً ! أتعتبر الثروة أعظم الخيرات جميعاً ؟ وسيكون جوابه : نعم بكل تأكيد ! »

فترى هل أتبع يا جورجياس من يدعى أن فنه ينتج خيراً أعظم من الخير الذى ينتجه فنك ؟ واضح أنه سيسأل بعد ذلك عن هذا الخير الأكبر الذى تقول به يا جورجياس ! فتصور إذاً أن نفس السؤال قد وجه إليك منهم ومنى ، وأخبرنى من أى شىء يتركب ذلك الذى تسميه أعظم خيرات الانسان ، والذى تفخر بأنك مجلبه للناس ؟

ج — إنه فى الحقيقة يا سقراط أكبر الخيرات وأعظمها ! بل إنه ما ينسب إليه الناس دفعة واحدة استقلالهم ، وما يعد كل فرد فى مدينته بالوسيلة التى يسود بها على الآخرين !

ط — ولكنى ما زلت أسأل ما هو ؟

ج — إنه — فيما أرى — أن يكون المرء قادراً على أن يقنع بالخطاب القضاة فى محاكمهم ، والشيوخ فى مجالسهم ، والجماهير فى جمعياتهم ، أو هو — فى كلمة — إقناع من يكونون كل نوع من أنواع الاجتماع السياسى ؛ وبهذه القدرة يترامى

---

(١) انتهى المقال السابق عند ادعاء « جورجياس » أن موضوع فنه أعظم أعمال الانسانية أهمية وقدراً . وقد رأينا كيف بدأ سقراط يطعن ذلك الادعاء بما عسى أن يقوله الطبيب وغير الطبيب فى تلك الدعوى . وسنرى اليوم كيف يمضى سقراط فى طعنه ، وكيف يضطر أستاذ البيان إلى التراجع والقهقرى ، ثم كيف يذهب به إلى تحديد أقواله تحديداً سليما « المعرب »

الطبيب ومدرب الألعاب على قدميك ، بل وبها ترى أن رجل الأعمال لا يثرى من أجل نفسه ، بل من أجل شخص آخر هو أنت يا من تملك فن الكلام وكسب روح الجماعات !

ط — يلوح أخيراً ياجورجياس أنك قد أريتني بكل ما تستطيع من تقريب أى فن هو البيان فى رأيك . وإذا كنت قد فهمت حسنا فإنك تقول إنه « عامل الاقناع » ، وإن الاقناع غاية كل عملياته ، وإنه — بالاختصار — ينتهى إليه . فهل تستطيع حقيقة أن تبرهن لى على أن قدرة البيان تذهب إلى أبعد من توليد الإقناع فى نفوس المستمعين ؟؟

ج — أبدا ياسقراط ! وأرى أنك قد عرفته تعريفا حسنا لأنه إنما يرد إلى ذلك حقا .

ط — أصغ إلىّ ياجورجياس ! إذا كان هناك من يتحدث إلى غيره ورغب فى نهم أن يعرف تماما موضوع الحديث ، فكن واثقا أنى أماق نفسى بأنى من هـذا النوع ، بل وأحسب أنك منه أيضا .

ج — وإلى أى شئ يتجه ياسقراط ؟

ط — يتجه إلى هذا . سأقول لك إني لا أتبين بوضوح طبيعة ذلك الاقناع الذى تنسبه إلى البيان ، ولا من ناحية أى الأعمال يأخذ ذلك الاقناع مكانه ! ، وليس هـذا لأنى لا أشك فيما تريد أن تقول فحسب ، بل لأنى سأطلب منك أيضا أى إقناع يولده البيان ، وحول أى المواضيع يدور ذلك الاقناع . ولتعلم أني إذا سألتك بدلا من أن أشركك معى فى أوهامى وظنونى ، فإنى لا أبغى بسؤالى شخصك ، وإنما أبغى به أن يتقدم بنا الحديث على نحو يحدد لنا موضوع السؤال بالوضوح المستطاع .[1] فاحكم بنفسك هل أنا مصيب فى سؤالى إذا سألتك : من أى أنواع المصورين Zeuxis[2] ؟ وإذا اجبتنى بأنه مصور حيوان ، ألا يكون لى الحق فى أن أطلب منك فضلا عن ذلك : أى الحيوانات يصورها ؟ ومن أية ناحية ؟؟

ج — بلا شك .

ط — أوليس الأمر كذلك لأن هناك مصورين كثيرين يصورون حيوانات أخرى كثيرة ؟

ج — بلى .

ط — بينما لو كان Zeuxis هو المصور الوحيد للحيوانات فعندئذ تكون إجابتك حسنة .

ج — بالتأكيد .

ط — فأخبرنى إذا فيما يتعلق بالبيان ، أيلوح لك أنه الوحيد الذي ينتج الاقناع ، أو أن هناك فنونا أخرى تستعمل الاقناع بمقدار ما ؟ أريد أن أقول أيقنع كل من يُعلمُ شيئا ما ذلك الذي يعلمه أم لا يقنعه !

ج — إنه يقنعه تماما من غير ما تناقض ياسقراط .

ط — ولكنا نعود إلى نفس الفنون التى أشرنا إليها من قبل ، ألا يعلمنا الحساب ورجاله كل ما يتعلق بالأعداد ؟

ج — بلى .

ط — أولا يُقنعون بها فى نفس الوقت؟

ج — نعم .

ط — فالحساب إذا عامل إقناع كذلك ![3]

ج — يلوح هذا .

ط — فاذا سأل سائل : أى إقناع ومن أية ناحية ؟ ، فالجواب هو الاقناع الذى موضوعه كمية العدد فردا كانت أم زوجا وكذلك نستطيع أن نبين إزاء الفنون الأخرى التى نتكلم عنها أنها تنتج الاقناع وأن نميز فيها النوع والموضوع . أليس ذلك صحيحا ؟

ج — بلى .

ط — إذا ليس البيان وحده هو الفن الذى موضوعه الاقناع !؟

ج — إنك تقول حقا .[4]

« يتبع » محمد حسن ظاظا

(١) يشرح هنا أفلاطون طريقته فى الحوار ومقاصده منها

(٢) عاش هذا المصورمن (٤٧٠ إلى ٤٠٠ ق . م) وكان مشهورا . وأهم صوره صورة الحب المكلل بالأزهار ، وصورة « هيلين » لأنه لم يك مصور حيوان فقط

(٣) يلاحظ أن جورجياس كان قد قرر من قبل أن البيان وحده هو عامل الاقناع .

(٤) وسنرى فى العدد القادم كيف تضيق الدائرة فتشمل الاقناع من ناحية الظلم والعدل والباطل والحق

دراسات للمستشرقين

قيمة التراجم الأعجمية الموجودة للقرآن

للعلامة الأستاذ الدكتور أ. فيشر

حين أبدأ بنشر تعريب بعض آثار المستشرقين أرى أن أذكر أنى طالما ترددت فى أن أنقل إلى العربية دراسة من دراسات هؤلاء العلماء لتكون ضمن مواد « الرسالة » ، وما ذلك إلا لأنه (أولاً) ليس من السهل أن يقع الاختيار على بحث قائم بذاته ليس له ارتباط بدراسة أخرى سابقة له أو لاحقة تستكمله أو تنقض شيئاً منه ، ثم هو إلى ذلك مما يستهوى قراء الرسالة . و (ثانياً) لأن أبحاث المستشرقين النابهين هى دراسات علمية أجمع على صحتها ، ويستسيغ من تابع دراسة الاستشراق دراسة منظمة فهم تلك الأبحاث وإدراك كنهها . وكنت أخشى أن يصطدم بعض حضرات القراء بهذه العقبة ، ولكنى وجدت فى دراسة العلامة الأستاذ الدكتور أ. فيشر لقيمة التراجم الأعجمية الموجودة للقرآن ما يغنينى عن الأخذ بهذه التقديرات . وأرى قبل أن أسوق إلى إخوانى فى اللغة بحثه معرباً — وكان قد نشره باللغة الألمانية فى أواخر سنة ١٩٣٧ — أن آتى بشىء من سيرته ؛ أما التبسط فيها فله مجال آخر . وهأنذا أستعير كلمات المغفور له ج. برجستراسر G. Bergstrasser الأستاذ السابق بالجامعة المصرية لنتعرف منها على مكانة الأستاذ العلامة أ. فيشر ، فقد وصفه « بالعلم الأكبر » فى الحفلة التكريمية التى أقامها له العلماء المستشرقون من ألمان وانجليز وفرنسيين وروسيين وغيرهم فى جامعة ليبزج بمناسبة بلوغه الستين من عمره ، وكان ذلك فى اليوم الرابع عشر من شهر فبراير سنة ١٩٢٥ . وقد أسس معهد اللغات السامية فى ليبزج منذ سبع وثلاثين سنة . وتفرغ للغة العربية الفصحى لمصرها الذهبى « حتى صار حجتها ومرجعها » ، « جامعاً بين علوم اللغة وآدابها ، متفرداً فى دراسة الشعر » ، « محيطاً بتاريخ الشعوب الاسلامية والعربية والسامية » « واقفاً على دقائق الحياة الفكرية فيها » . ثم هو إلى ذلك « يسيطر على كل اللغات السامية التى لها بالعربية صلة قريبة أو بعيدة » . وهو فى كل بحث له يتعقب مسائله مسألة مسألة إلى أقصى حدودها » لذلك كانت « دراساته التى ينشرها قطعاً من ذهب جاء بها من كنزه الذى لا يفنى » . أما معجمه اللغوى التاريخى الذى أخذ منذ سنين يضحى من أجله جل وقته وجهده ، ثم أهداه إلى مجمع اللغة العربية الملكى الذى يسّر له متابعة العمل فيه لنشره فسيكون كما قال برجستراسر « ذخيرة للأجيال المقبلة يستفيد منه أبناء العربية وعلماؤها » .

وإنى أكتفى بهذا القدر من التوطئة والتعريف بمكانة أستاذى العلامة أ. فيشر ليطلع القارئ الكريم على بحثه فيما يلى :

توجد للقرآن عدة تراجم إلى اللغات الأعجمية[1] . ولقد تعرفت البلاد الغربية القرآن لأول مرة عن طريق الترجمة اللاتينية التى أوصى بيترفون كلوجنى (Peter Von Clugny) المعروف باسم بطرس فنرابيليس (Petrus Venerabilis) ذى النظر الثاقب ، كلا الراهبين روبرتس رتننسيس (Robertus Retenesis) والأرجح أنه

(١) أوفى الفهارس لتراجم القرآن موجودة فى :—

Chauvin: Bibliographie des ouvrages arabes, Teil X. 67 ff.

(فهرست مصنفات العرب . جمع شوفى . القسم العاشر صحيفة ٦٧ وما يليها) و

Ellis : Catalogue of Arabic printed Books in the British Museum, vel. I, SP. 876 ff.

(فهرست الكتب العربية المطبوعة الموجودة فى المتحف البريطانى . الجزء الأول والذيل صحيفة ٨٧٦ وما يليها) و

Fulton and Ellis: Suplementary Catalogue of Arabic printed Books in the British Museum. S P. 527 ff.

(ذيل لفهرست الكتب العربية المطبوعة الموجودة فى المتحف البريطانى صحيفة ٦٢٥ وما يليها) و

Lambrecht: Catalogue de Bibliotèque de l'École des Langues Orienta les Vivantes, t. I, S. 341 ff.

(فهرست مكتبة الالسن الشرقية الحية . الجزء الاول . الصحيفة ٣٤١ وما يليها)

كاسترنسيس (١) (Castrensis) أى المنسوب إلى شستر (Chester) والراهب هرمانوس والماتا (Hermanus Delmata) بوضعها ، وكان ذلك حول منتصف القرن الثاني عشر . غير أن هذه الترجمة لم تظهر إلا عام ١٥٤٣ ميلادية عن تيودور بيلياندر (Theodor Bibliander) من مدينة بال (Basel) ثم اتخذت هذه الترجمة تكأة لأقدم التراجم التى نعرفها في اللغات الايطالية والألمانية والهولاندية . وتعد ترجمة لدفيكو مراتشى (Ludvico Marracci) التى تم طبعها فى مدينة بادوا (Padua) عام ١٦٩٨ ميلادية ، وقد حوت الأصل العربى والترجمة اللاتينية والتخطئة (٢) أحسن ترجمة للقرآن ظهرت فى ذلك العصر . ومن ذلك العهد لم تنقطع قط سلسلة تراجم القرآن إلى اللغات الغربية . ويجدر بنا أن نذكر أن المسلمين من غير العرب ممن لا يفقهون العربية شعروا منذ أمد بعيد بحاجتهم هم كذلك إلى ترجمة القرآن للغاتهم القومية ، فكان أن ظهرت تراجم للقرآن إلى اللغات الفارسية والتركية والهندستانية والجودشراتية والبنجانية والسندية والبنغالية والتأميلية ولغة الباشتو ولغة أهل الملايا (وكذلك أيضاً اللغة الصينية ؟) ، كما أنه ظهرت تراجم ببعض اللغات الأفريقية .

وبعد قيام المسلمين فى العصر الحالى بترجمة القرآن إلى مختلف اللغات الأوربية أمر له خطورته العظمى . والمرجو عندئذ أن تتوارى التراجم التى قام بها غير المسلمين والتى قد تحمل فى طياتها نزعات معادية للإسلام . كذلك يرجى لهذه التراجم المتنظرة أن تكون بمثابة دعاية حسنة للإسلام بين المسيحيين . وهذا الدافع الأخير له أثر كبير فى نشاط الأحمدية فى هذا الميدان . والأحمدية

(١) أنظر :

M. Steinschneider : Polemisch und opologetische Literatur in arab. Sprache (Abhandl. f.d. Kunde d. Morgen Candes Bd. VI. No. 3), S. 229, Anm. 3.

(٢) راجع فى ذلك :

E. Denison Ross : Ludovico Marracci (Bull. School of Orient. Stud., Lond. Institute, vol. II, 192 i, S. 117 ff.), Gius. Gabrieli, Glistudi orientali egli Ordinire ligiosi in italia (Il Pensiero missionario, Virteljahrss chrift, vol, III, fasc. 3, S. 297 ff) und bersonder G. A. Nallino, Lefonti Arabe manoscritte dell'opera di Ludovico Marracci sul Carano (Estr. dai Rendic. della Classe di Scienza mor., stor. efiol. dell'Accad. dei Lincei, ser. VI. vol. VII. fasc. 11-12, 1932).

هى فئة ظهرت حديثاً فى لاهور بالهند ابتدعت مذهباً جديداً فى الاسلام (١) ونزولا على اقتراح بهذا الشأن لشيخ الجامع الأزهر حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى المعروف بنزعته المصرية (٢) ، ذلك الاقتراح الذى عضده فيه جماعة كبار علماء الأزهر الشريف بفتوى منهم ، أخذت الآن وزارة المعارف العمومية المصرية فى درس الموضوع وتألفت لذلك عدة هيئات من العلماء ليروا هل يحسن أن يترجم القرآن ترجمة أمينة يعتمد عليها ، أم يكتفى بترجمة معانى القرآن إلى اللغات الحديثة

(١) راجع :

Muhammed Ali : Dottorinee e attività dei Musulmani Ahmadiyya di Lahore, in Oriente Moderno, Anno VI. 1926, S. 108 ff.

(٢) هذا الاقتراح أثار في مصر جدلا شديداً موضوعه : أمن الجائز والممكن ترجمة القرآن الكريم ؟ فلقد اشترك فى هذا الجدل عدد من العلماء فأصدروا كتباً ونشروا مقالات فى الصحف والمجلات . وإنى أكتفى هنا بذكر ما نشره فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى تحت عنوان « بحث فى ترجمة القرآن الكريم وأحكامها » فى مجلة الازهر من الجزء السابع سنة ١٣٥٥ هـ ١٩٣٦ م — وظهر هذا البحث أولا سنة ١٩٣٢ م ؛ وما نشره الاستاذ محمد فريد وجدى (الرئيس الحالى لتحرير مجلة الازهر) تحت عنوان « الادلة العلمية على جواز ترجمة معانى القرآن إلى اللغات الاجنبية » مصر ١٣٥٥ هـ ١٩٣٦ م ؛ والكتاب الذى أصدره الشيخ محمد سليمان القاضى بالمحكمة الشرعية العليا باسم « حادث الاحداث فى الاسلام ، الاقدام على ترجمة القرآن . مصر ١٣٥٥ والكتاب الذى أصدره الاستاذ الشيخ محمد مصطفى الشاطر القاضى بالمحكمة الشرعية بشبين الكوم ، باسم القول السديد فى حكم ترجمة القرآن المجيد . مصر ١٣٥٥ هـ ١٩٣٦ م ؛ ومقالتين أخريين فى مجلة الازهر إحداهما من قلم الشيخ محمد شلتوت بعنوان « ترجمة القرآن ونصوص العلماء فيه » الجزء السابع ١٣٥٥ هـ ، صحيفة ١٢٣ وما يليها . والاخرى من قلم الاستاذ محمد حسن بن الحسن الحجوى بعنوان « ترجمة القرآن » فى نفس العدد صحيفة ١٩٠ وما يليها

أما المقالات التى عولجت فيها مسألة ترجمة القرآن الكريم وسبقت هذه فى النشر فهى :

M. M. Moreno, È lecito ai Muslmani tradurre il Corano ? Oriente Modero, anno V. 1925, S. 532 ff.

ومقال للأستاذ الشيخ محمد الخضر حسين فى « نقل معانى القرآن إلى اللغات الأجنبية » فى مجلة نور الاسلام (الاسم السابق لمجلة الازهر) الجزء الثانى ١٣٥٠ هـ الصحيفة ١٢٢ وما يليها ؛ ومقال للأستاذ الشيخ محمود أبو دقيقة بعنوان « كلمة فى ترجمة القرآن الكريم » نفس المجلة الجزء الثالث ١٣١٥ هـ صحيفة ٢٩ وما يليها وصحيفة ٦٦ وما يليها ومقال للأستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى بعنوان « فى ترجمة القرآن » فى نفس العدد صحيفة ٥٧ وما يليها

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ – ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

– ٣١ –

مقالاته للرسالة (٢)

كان أكثر جلساء الرافعي في هذه الفترة هم الأصدقاء (س . ا . ع) ، فكان لهم سره ونجواه ، وإلى موعدهم منداه ومراحه ؛ وكان حديثهم إليه وحديثه إليهم هو عنده مادة الفكر وموضوع الكتابة ؛ وكان لكل واحد من الثلاثة الأصدقاء في هذه الفترة مشكلة تملأ فراغ رأسه ، فهي له في الليل مشغلة وفي النهار مشغلة ...

أما (س) فكان على نية الزواج ، وقد ترامت أمانيه إلى واحدة من أهله ، ولكن (التقاليد) وقفت بينها وبينه موقفاً ما ، أورثه ضجراً وملالة وسخطاً على الناس وتبرُّماً بالحياة وخروجاً على ما تواضع الناس عليه من التقاليد في شئون الزواج ...

وأما (ا) فكان في عهد بين عهدين من حياته : قد ودَّع ماضيه بما فيه من عبث ومَجانة ، وطلَّق شهواته ونزواته إلى عهد يستشرف إلى ما فيه من المتاع الحلال في ظل الزوجة المحبوبة المحبَّة ؛ فسمَّى زوجته وعقد عَقْدَه ، ثم وقف ينتظر اليوم الذي يبني فيه بأهله قلقاً عجلان ، واليوم الموعود لايجئ لأن التقاليد تبعد به كلما دنا موعده ...

وأما (ع) فشاب قد انفرد في الحياة من أهله : فقد أمه وهو غلام ، فما كاد يستوي شبابه حتى مضى يلتمس ما فقد منذ طفولته من حنان الأنثى ، فتزوج ، ثم فقد زوجه ؛ ثم تزوج ، فما بقيت الثانية إلا بمقدار ما بقيت الأولى ، ولكنها خلَّفت بضعة منها بين يديه مصوَّرة في طفلة سلبتها القدرة أمَّها يوم منحتها الحياة !

... هو أب ولازوج له ، وهو عزَب وكانت له زوجتان ، وهو فتى يؤمن بالله ويلحد في القدر ، وهو شخصيتان منفصلتان تعرف إحداهما في المسجد وتعرف الثانية في الشارع ، وله عين عفة وعين فاجرة ؛ وله في الحياة تجربة ورأي ، وله إلى الهوى واللذات مثل اندفاع الشاب الذي لم يذق ولم يجرب بعد!

ثلاثة نفر لكل منهم رأيه في الحياة ومذهبه ، ولكنهم قد التقوا في مجلس الرافعي على هوى واحد ، فأحلوه من أنفسهم وأحلهم من نفسه ؛ فكان له من أحاديثهم شعور الشباب ولهم من حديثه حكمة الشيخ ، وللأدب من كل مجلس يجمعهم وإياه موضوع حي مما كتب الرافعي لقراء الرسالة ...

ومن هذه الموضوعات « قصة أب »

ذلك هو الصديق (ع) كان الله له ... !

جلس مجلسه يوماً إلى الرافعي يشكو بثه وهمه والدموع تترقرق في عينيه ؛ واستمع الرافعي إلى شكاته متألماً حزيناً ؛ فما فرغ (الأب) من قصته حتى جمع الرافعي (قصاصات) الحديث فجعلها في جيبه وجلس يتفكر ... ثم كانت « قصة أب »

وفي الأسبوع التالي كان زفاف ابنته إلى ابن أخيه [1] في حفل أهلي خاص وصفه الرافعي في مقاله « عرش الورد » ؛ وهو العرش الذي نظمه بيده الأستاذ سامي الرافعي لمجلس العروسين ، وجمل فيه فنه وعاطفته نحو أخته وابن عمه وقدمه إليهما هدية عرس

(١) هو الأستاذ محمد سعيد الرافعي مبعوث كلية الزراعة في أمريكا ، وزميل الأستاذ سامي الرافعي ابن المترجم

الحية ، فيترجم أولاً إلى اللغات الانجليزية والفرنسية [1] ، وما ذلك إلا لأن ترجمة كلام الله الكريم في كتابه العزيز أمر مستحيل . كذلك تألفت في حيدر آباد (الدكن) هيئة جمعت عدداً من أجلاء الهند بغيتها نشر ترجمة للقرآن الكريم بمختلف اللغات الحية مبتدئة باللغة الانكليزية تتفق ومذهب أهل السنة . [2]

وإذاً ما هي قيمة جميع التراجم الموجودة للقرآن ؟

(للبحث بقية) ابراهيم ابراهيم يوسف

(١) راجع :
Oriente Modeno, XVI, 1936, S. 292 f. 560, 710 f, und XVII 1937, S, 114

(٢) راجع :
Oriente Moderno, XVI, 1936, S. 311 f

ولما جلس العروسان ذراعاً إلى ذراع فى عرش الورد ، بارك لهما الرافعى ودعا ؛ ثم خرج ليقضى ساعات فى القهوة . ولقينى هناك وحدى ، فانتحينا ناحية على حيد الشارع لا يتراءى إليها من أضواء القمر إلا شعاع حائل ؛ وكان الرافعى يؤثر دائماً أن يجعل مجلسه على ذلك الرصيف فى جانب من القهوة ، ويسميه « بلاج طنطا » إذ كان انفساح الشارع أمامه ، وما يتعاقب عليه فى الليل والنهار من ألوان الجمال فى الطبيعة والناس — مما يحبّب إلى العين أن تنظر ، وإلى النفس أن تنبسط ، وإلى الفكر أن يبدع فيما يخلق من ألوان الجمال ...

وكان الليل نائماً يحلم ، والطبيعة ساجية لا يُسمع من صوتها إلا همسٌ خافت ، وفى الجوشمر يهزج فى إسرار النسيم وفى حفيف الشجر ، وعرائس الخيال تُطيف راقصة تنفح بالعطر وترفٌّ بالنور .. ولكن الرافعى جلس مجلسه صامتاً لا يتحدث ، إلا كلمات إلى النادل يطلب كوب ماء ليشرب أو جرات للكركرة ... واحترمتُ صمته فسكتُّ عنه ...

ومضت ساعة ، ثم رفع عينيه إلىّ وهو يقول : « الليلة عُرس ابنتى ... ! »

ولم يسمع جوابى ، لأن دمعة كانت تترقرق فى عينيه وهو يتحدث حبستنى عن الجواب ... !

دمعة لم أترجم معناها إلا بعد سنتين ، يوم جاءني يقول والدمع يلمع تحت أهدابه : « إن وهيبة مسافرة إلى زوجها في أمريكا ؛ ليس من الحق أن تبقى هنا وهو هناك ! »

ثم يومَ جاءنى بعدها يقول وفى يده صحيفة أمريكية . « انظر هذه الصورة ، إنهم يسمونه هناك : أصغر سائح مصرى فى أمريكا .. إنه حفيدى الصغير ... ! »

لقد كان الرافعى يحب أولاده حباً لا أعرف مثله فيمن أعرف ؛ ووهيبة كبرى أولاده ، ذكرها فى « الديوان » ، وغنى لها فى « النظرات » وأرّخ زواجها فى « عرش الورد »

***

وكانت المقالة التالية هى « الانسانية العليا »

وهى باب من القول فى الأدب الدينى تنتظم مع « وحى الهجرة » و « الاشراق الالهى » و « سموّ الفقر » تحت باب واحد ...

... كان يعتاد الرافعى كما يعتاد كلَّ إنسانٍ ، نوباتٌ من الضيق والهم تقعد به وتصرفه عما يحاول من عمل ؛ ولم يكن له علاج من هذا الضيق الذى يعتاده إلا أن يقرأ قرآناً أو ينظر فى كتاب من كتب السيرة النبوية ، فينفرج همه ويزول ما به ، ويهون عليه ما يلقى من دنياه ...

فى نوبة من هذه النوبات التى تضيق بها الدنيا على إنسان ، تناول الرافعى كتاباً من كتب الشمائل يسرّى به عن نفسه ، فاتفق له رأى ... وخرج من مطالعته بمقالة « الانسانية العليا »

***

... وكان للرسائل التى ترد للرافعى فى البريد من قراء الرسالة أثر يوحى إليه فى أحيان كثيرة بما يكتب لقرائه ، فهى منهم وإليهم ؛ فمنذ بدأ الرافعى يكتب فى الرسالة أخذت رسائل القراء ترد إليه كثيرة متتابعة فى موضوعات شتى ولمناسبات متعددة ، حتى كان يبلغ ما يصل إليه أحياناً فى اليوم الواحد ثلاثين رسالة ؛ وكان يقرؤها جميعاً ويحفظها فى درج خاص من مكتبه ؛ وسأتحدث عن هذه الرسائل فى باب خاص له موعده ، إنما يعنينى اليوم أن أتحدث عن الموضوعات التى استملاها من رسائله . ومن هذه الموضوعات مقالة « تربية لؤلؤية »

كانت تصدر فى القاهرة فى ذلك الوقت مجلة (الأسبوع) وقد فتحت صدرها لطائفة من شباب الجنسين يكتبون فيها وحى عقولهم وقلوبهم و ... وغرائزهم ، وكانت صفحاتها لهؤلاء الشبان والشابات أوسع من صدر الحليم ، فلم تلبث بهذه السماحة أن صارت — كما يقول العامة — بطن حمار ! وأصبحت ميداناً للغزل البريء وغير البريء ، وموعداً من مواعد التلاقي والوداع

وفى صبيحة يوم ، حمل البريد إلى الرافعى رسالة من سيدة كريمة ، تلفته إلى محاورة داعرة تعترك فيها أقلام طائفة من الشبان فى مجلة الأسبوع . وبعث الرافعى فى طلب أعداد المجلة فجيء بها ؛ فما قرأها حتى تناول القلم وأملى على مقالة « تربية لؤلؤية »

فى هذه المقالة ، خلاصة رأى الرافعى فى حرية المرأة وحقها فى المساواة ؛ وترى لهذا الرأى بقية فيما نشر من مقالات الزواج والطائشة ، والجمال البائس ، وغيرها ؛ وهو يزعم أنه بهذا الرأي من أنصار المرأة عند من يعرف أين يكون انتصار المرأة . وللرافعى حين يتحدث فى هذا الموضوع حجة قوية وبرهان ماض ، إلى

روح رفافة وشعر ساحر . ولست واجداً أحداً يرد عليه في ذلك على قلة من تجد من أنصاره ، وقد جلست مرة إلى المربى الكبير الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف نداول الرأي في أدب الرافعي ومذهبه الاجتماعي لمناسبةٍ ما فيما كتب الرافعي للرسالة ، فقال لي : « إنك لن تجد أحداً من أنصار الجديد يرضى هذا المذهب ، ولكنك لن تجد أحداً — أيضاً — يستطيع أن يصاول الرافعي في هذا الميدان بمثل حجته وقوة إقناعه ... ! »

... وأرضى الرافعي بهذا المقال السيدةَ الكريمة التي كتبت إليه ، ولكنه أغضب مئات من القارئات وعشرات من القارئين ؛ فانثالت عليه الرسائل من هؤلاء وهؤلاء غاضبة مستنكرة ، إلا بضع رسائل . . .

ولما كتب مقالة « تربية لؤلؤة » وأرسل بها ، ركب قطار البحر إلى الإسكندرية ليستريح يوماً هناك ، يتزوّد فيه لفنه وأدبه من عرائس الشاطئ ... كان قد كتب مقاله السالف وأرسل به ، ولكن معانيه بقيت في نفسه ؛ فلما ذهب إلى الشاطئ وجد تمام موضوعه ، فعاد ليملي عليّ مقالة « لحوم البحر » وهي قصيدة مترجمة عن الشيطان على نسق من النثر الشعري فاق فيه الرافعيُّ وغلَب . . .

***

كان للرافعي عادةٌ حين يعجبه موضوع مما كَتب أن يسأل عنه كلّ من يلقى من أصحابه . . . « هل قرأت مقالتي الأخيرة . . . ؟ وما رأيك فيها . . . ؟ هل يملك أحد أن يعرض لرأيٍ فيها بالنقد . . . ؟ »

وكان يعتدّ كثيراً بمقالة « تربية لؤلؤة » ، وفي ذات مساء بعد نشر تلك المقالة ، قصد إلى القهوة ليريح أعصابه ؛ فصادف الأصدقاء (س . ا . ع)[1] ؛ فما كاد يستقر به المجلس بينهم حتى أخذ يسأل كل واحد : « هل قرأت . . . ؟ ما رأيك . . . ؟ هل يملك أحد . . . ؟ »

كان للرافعي في كل واحد من أصدقائه الثلاثة رأي ، وكان لكل واحد في نفسه حقيقة ، ولهم في الحياة نظرات تقترب وتفترق ؛ وكلهم قد حُـرِموا المرأةَ لوناً من ألوان الحرمان ؛ ولكل منهم في المرأة رأي ؛ مما تخيَّلها ، أو مما كابدها ، أو مما شقي بها . . .

والرافعي رجل قد فارق الشباب وخلمه فيما خلع من ماضيه ؛ وإنه لزوج وأب ويوشك أن يكون جَداً ؛ فلا قدرة له على أن يعود القهقرى إلى ماضي شبابه يستوحيه خواطر الفتيان وأحلام الشباب في المرأة والحب والزواج ؛ وهؤلاء الأصدقاء — على ما قدّمتُ من نعوتهم في أول هـذا الفصل — يجمعهم صفة العزوبة على اختلاف ألوانها ؛ وما يزالون في باكر الشباب وفي يقظات الحُلم ؛ وكلهم قد مارس المرأة نوعاً من المراس : في وهمه أو في حياته ...

فما كاد الحديث يبدأ بين الرافعي وأصدقائه حتى أخذ يتشعب فنوناً ، وساقهم الرافعي بحسن احتياله إلى هدف يرمي إليه ... فما انفض المجلس حتى كان ثلاثتهم على ميعاد مع الرافعي ليجيبوه كتابةً عن أسئلة ثلاثة وجهها إلى كل منهم ، على أن يلتزم الصدق ، ويجانب الحياء ، ويخلص في الاجابة ؛ وكانت الأسئلة هي :

(ا) كيف ترى المرأة في وهمك ؟ وأين مكانها من حياتك ؟ وماذا مارست من شأنها وعرفت من خبرها ؟

(ب) لماذا لم تتزوج ؟

(ح) صف ما تحب من أخلاق زوجتك المستقبلة ؟

وجاء الميعاد المضروب ، وسعى الأصدقاء الثلاثة إلى الرافعي بأجوبتهم ؛ فمنها كانت مقالة الرافعي (س . ا . ع) وهي أولى مقالاته في الزواج ؛ ثم تتابعت مقالاته في هذا الموضوع ، فخطا بها إلى قلوب الشباب خطوات ، وكان بينهم وبينه من قبلُ سد منيع

قبل أن يكتب الرافعي هذه المقالة بأيام ، جاءه رسالة من بعض الأدباء يسأله أن يكتب إليه في أسباب أزمة الزواج ؛ استيفاء لبحث يهم أن يصدره في كتاب ... وأحسب أن هذا السؤال كان الحافز الأول للرافعي إلى الكتابة في هذا الموضوع . وقد بعث الرافعي إلى السائل بجواب سؤاله ؛ وكان جواباً فيه كثير من الدقة والتحديد والعمق ، ولم أقرأه منشوراً منذ أرسله إلى طالبه

بدأ كثير من الشبان يهتمون بما يكتب الرافعي ؛ إذ كان بهذا الموضوع يعالج مشكلة كل شاب عَزَب ، وتضاعفتْ رسائل القراء إليه ، وطال الجدل في موضوعه بين طوائف من الشباب في مجالسهم الخاصة ...

---

[1] ا و ع : هما الصديقان أمين حافظ شرف ، وعبد الله عمار ؛ وكانا زميلي الرافعي في محكمة طنطا

فلما كانت أيام بعد مقالة (س . ا . ع) جاء إلى مجلسنا فى القهوة شاب من أصدقائنا المتأدبين ، هو الأستاذ اسماعيل خ ، وهو محام ناشئ له ولوع بالأدب وشهوة فى الجدل ، وفيه إلى ذلك لين فى الخلق وشذوذ فى الطبع ؛ وكان الرافعى يعرفه عرفاننا فما رآه حتى وجد فيه عنوان مقالة ... قال عليه يسأله ضاحكا ...

وأجاب الأستاذ إسماعيل : « الزواج ! وما يحملنى على هذا العنت ؟ أتريدنى على أن أبيع حريتى من أجل امرأة ؟ ... » ومضى يؤيد دعواه بالبراهين والأمثال ...

وتم للرافعى موضوعه ، فأملى علىّ فى اليوم التالى مقالة « استنوق الجمل »

فى هذه المقالة يجد القراء سبباً آخر لانصراف الشباب عن الزواج غير ما قدّم س . ا . ع فى المقالة السابقة ؛ فهى الحلقة الثانية من هذه السلسلة ...

وأحس الرافعى بالتعب ، فانصرف عن الكتابة أسبوعاً ليستجم ، ولمّ من هنا ومن هناك طائفة من منثور القول فأرسله إلى الرسالة بعنوان كلمة وكليمة . وهي عبارات قصيرة من جوامع الكلم ، ليس بينها رابطة فى الفكر ولا فى الموضوع ، وكل كلمة منها موضوع بتمامه

وقد قدّمت القول عن هذه الكلمات القصار التى كان الرافعى ينشرها بعنوان « كلمة وكليمة » ؛ فحسبى هنا أن أشير إلى موضوع هذه الكلمات ودوافعها :

فى هذه الكلمات التى نشرها بالعدد ٦٥ سنة ١٩٣٤ كلمات عن المرأة والحب ؛ وهذه من فضلات المعانى التى اجتمعت له فى مقالات المرأة والزواج ولم يجد لها موضعاً مما كتب . . .

وفى هذه الكلمات رسائل إلى (فلانة) من تلك الرسائل التى قدّمت الإشارة إليها عند الحديث عن حب الرافعى . وفيها كلمات عن السياسة المصرية يعرف دوافعها من يذكر الحال السياسة التى كانت فى مصر لذلك العهد وحكومة صدقى باشا تحتضر . . .

فمن هذه العناصر الثلاثة اجتمع له هذا القدر من كلمة وكليمة

« طنطا » محمد سعيد العريان

* * *

رجاء إلى الاخوان الذين يشرفوننى برسائلهم أن يجعلوا عنوانى (مؤقتاً) على دار الرسالة حتى تستقر بى الرحلة

تعليم أبنــــاء الفقراء فى انجلترا

للآنسة الفاضلة أسماء فهمى
درجة شرف فى التاريخ ودرجة الأستاذية من انجلترا
وأستاذة بمعهد التربية

استأثرت الطبقات الغنية فى انجلترا بما كان يعد أرقى أنواع التعليم والثقافة إلى ما بعد منتصف القرن التاسع عشر . وكان يتلقى أبناء تلك الطبقات العلم فى المدارس الخصوصية وفى جامعتى اكسفورد وكمبردج، ذات النفقات الباهظة والنزعة الأرستقراطية البحتة، تلك المعاهد التى استحالت بالتدرج إلى معاهد خاصة بذوى اليسر والجاه وأن لم تنشأ فى أول الأمر من أجل هذه الطبقة بالذات

أما أبنــاء الطبقات الفقيرة فكانوا يتلقون قشور العلم فى مدارس أولية متواضعة تشبه الكتاتيب فى مصر فى أكثر نظمها وأساليبها . وكان يقوم بتأسيس هذه المدارس الجمعيات الخيرية وأهل البر والإحسان ؛ أما الحكومة فلم تتدخل فى أول الأمر تدخلاً مباشراً فى شئون التعليم بل اكتفت بتقديم الأعانات المالية للجمعيات ابتداء من سنة ١٨٣٣ ، وبتكوين اللجان من حين إلى حين لدرس حالة التعليم وتقديم الاقتراحات والتقارير للقائمين بشأنه، مما كان له أثر يذكر فى النهوض بالتعليم وتوجيهه التوجيه الصالح

ولقد كانت نظرة الحكومة والمتطوعين لنشر التعليم بين الفقراء قاصرة مبتورة ، إذ كان الغرض مجرد القضاء على الأمية وتعليم الأطفال بعض الأعمال اليدوية التى قد تساعدهم على كسب الرزق . وعلى ذلك كان منهج الدراسة الأولية عبارة عن مبادئ القراءة والكتابة والحساب والدين ذلك الذى كان يعزج بتلقين الطاعة للرئيس والقناعة بنصيب المرء فى هذه الحياة الدنيا . والواقع أن التعليم كان مبنياً على أساس الاحتفاظ بنظام الطبقات المتبق وخضوع الفقراء للأغنياء ، فكان يخشى أن يؤدى التوسع فى تعليم الفقراء إلى عدم رضائهم بحظهم من الحياة . ولقد تجلت تلك النظرة المحدودة فى تقرير اللجنة المعروفة بلجنة نيوكاسل Newcastle Commission التى عهد إليها بدراسة حالة تعليم أبناء الشعب فأصدرت تقريراً وافياً عام ١٨٦٠ أعلنت فيه رضاءها عن حالة

تعليم أبناء الفقراء إذ ذكرت بشيء من الدهشة أن فى مكنة ثلاثة أخماس التلاميذ المدونة أسماؤهم فى سجلات المدارس الأولية أن يتعلموا القراءة والكتابة دون صعوبة ظاهرة ، وأن يقوموا باجراء العمليات الحسابية البسيطة التى تتصل بحياتهم اليومية كما يتلقون مبادئ الدين الأساسية وما يتصل بها من التعاليم الخلقية ... أما مواد الثقافة العامة كالتاريخ والجغرافيا التى كانت قد بدأت تشق لنفسها طريقاً فى المنهج فلم تعرها اللجنة التفاتاً إذ لم تكن معتبرة من المواد الأساسية

على أن تلك النظرة الضيقة إلى تعليم أبناء الفقراء أخذت تتغير تغيراً كبيراً فى الثلاثين سنة الأخيرة من القرن التاسع عشر تحت تأثير عوامل مختلفة أهمها انتشار الأفكار الحرة ونمو حركة العمال واتساع نطاق الحقوق الانتخابية التى شملت طبقة العمال سنة ١٨٦٧ ، فأصبحت تلك الطبقة تلعب دوراً هاماً فى مصير الأمة وتكييف شئونها . وسرعان ما شعرت الطبقة الحاكمة بأهمية هذا الانتقال الذى أوجب تعليم الطبقات الفقيرة بعد أنها ضمت إلى زمرة السادة والحكام نتيجة تعديل نظام الانتخاب . وعلى ذلك نجد الحكومة الانجليزية تتدخل تدخلا جدياً فى شئون التعليم وتسن القوانين لتعميم التعليم الأولى (Elementary education) . ففى سنة ١٨٧٠ صدر قانون بتكوين مجالس للتعليم الأولى (School Boords) فى المناطق المختلفة التى تقل فيها أو تنعدم المدارس التى كان يقوم بانشائها الجميات الخيرية للقيام بسد النقص وتوفير التعليم لجميع أبناء الشعب ، كما جعل من اختصاصها الاشراف على التعليم فى المدارس الأولية المختلفة بينما جعلت مدة الدراسة الأولية خمس سنوات من سن الخامسة إلى العاشرة . على أن التعليم لم يصبح إجبارياً يعاقب القانون على تركه إلا فى سنة ١٨٨٠ . ومنذ ذلك الانتقال الهام أدخلت مواد جديدة فى برامج التعليم الأولى فى حين منحت إعانات مالية لكثير من التلاميذ الفقراء النجباء لمساعدتهم على دخول المدارس الثانوية والفنية والجامعات . وهكذا نجد أن اتساع دائرة الحقوق النيابية فى انجلترا يقابلها اتساع وإصلاح فى دائرة تعليم الفقراء ، وفى ذلك بلا نزاع لب الحكمة ، إذ أن الخطر كل الخطر فى وضع القوة السياسية أو الحقوق الانتخابية فى يد قوم جهلاء يقضون على الديمقراطية باسم الديمقراطية

وفى القرن العشرين خطا تعليم أبناء الفقراء خطوات واسعة حوالى سنة ١٩٠٠ ، فمدت مدة الدراسة الأولية إلى سن الرابعة عشرة ، وأنشئت الخدمة الطبية للمدارس سنة ١٩٠٧ للاهتمام بصحة فقراء التلاميذ . وكان للحرب الأوربية الكبرى أعظم الأثر فى تدعيم مبادئ الديمقراطية والمساواة ظهر أثره بجلاء فى ميدان التعليم والعناية بأمر الأطفال دون تمييز بين الطبقات . ويشير الأرل بلدوين رئيس الوزارة الانجليزية السابقة إلى تلك النزعة الحديثة عند ما يقول : « إن وجود نوع واحد من الثقافة من أقوى عوامل الوحدة والائتلاف بين أفراد الشعب ، وإن انجلترا لم تربح فى الماضى بسبب عدم اهتمامها بتكوين التفاهم والارتباط العقلى بين طبقات الأمة . فلقد كانت مدارسنا مقسمة بحسب الطبقات لا بحسب الفروق العلمية ... ولكن قد بزغ فجر عهد جديد الآن ، فان بناء المدرسة الأولية الهرم قد أقيم أخيراً على أنقاضه بناء جديد ... »

والواقع أن هذا القرن يمتاز بالرغبة والعمل على القضاء على آثار الفروق المادية والاجتماعية من ميدان التعليم ، تلك الفروق التى لم تكن تؤدى إلى الاختلاف فى أنواع الثقافة والتربية بين أبناء الشعب فحسب ، وإنما كانت تحول فى أغلب الأحايين دون ظهور نبوغ أبناء الفقراء لسبب إهمال تنمية مواهبهم مما ينتج عنه بطبيعة الحال إقلال عدد النابغين فى الأمة خصوصاً إذا راعينا أن الطبقة الفقيرة لا يقل عدد أفرادها عن أربعة أمثال عدد أفراد الطبقة الغنية والمتوسطة معاً ، وأن عدد النابغين فيها إن لم يزد على عدد الموهوبين فى الطبقتين المذكورتين لا يمكن أن يقل ؛ وهكذا يضيع نصف نبوغ الأمة سدى إذ يقصر على تأدية الأعمال الوضيعة التى لا تستغل ولا تنمى المواهب العالية.

ولتحقيق أغراض التربية الحديثة يبدأ الاهتمام بأمر الأطفال الفقراء فى سن مبكرة ؛ فمن سن الثانية إلى الخامسة يرسل الأطفال — إذا أرادت الأم — إلى مدارس الحضانة Nursery Shcools التى توجد عادة فى الأحياء الصناعية الفقيرة المكتظة بالسكان حيث تضطر الأمهات فى أغلب الأحيان إلى مغادرة منازلهن فى الصباح الباكر للعمل مع أزواجهن فى المصانع ؛ فتقوم هذه

المدارس بتمهد الأطفال للعب فى أمكنة معرضة لأشعة الشمس والهواء، وتزود بكل أنواع اللعب المعدة للتسلية والحركة والابتكار؛ ويقضى الأطفال اليوم فى اللعب والغناء والحركات التوقيعية وسماع القصص المصورة كما يعودون على القيام ببعض الأعمال التعاونية كالاشتراك فى إعداد مائدة الطعام وتنسيق الأزهار وترتيب الحجرة، كما يعودون على آداب المائدة والترتيب والنظافة واحترام رغبات الغير

ويبدأ التعليم الالزامى من سن الخامسة إلى الرابعة أو الخامسة عشرة. وتقسم مرحلة التعليم الالزامي الآن إلى ثلاث مراحل؛ فالمرحلة الأولى من سن ٥ — ٧، وفى هذه المرحلة تسير الدراسة وفق برنامج رياض الأطفال فى مصر فيهتم بالألعاب والقصص والرسم والأناشيد والرقص، ويبدأ تعليم القراءة والكتابة عن طريق اللعب. والمرحلة الثانية من سن ٧ — ١١. وفى هذه المرحلة يدرس الأطفال مايدرسه تلاميذ المدرسة الابتدائية المصرية ماعدا اللغات الأجنبية فى أكثر المدارس. ويهتم فى هذه المدارس اهتماما كبيرا بالأعمال اليدوية والموسيقى. أما المرحلة الثالثة فتبدأ من سن ١١ — ١٤ أو ١٥ وهذه المرحلة تعرف بمرحلة التعليم الثانوى. وعند بدء هذا الدور يعقد امتحان عام للتلاميذ الذين يبلغون الحادية عشرة، وبمقتضى نتيجة هذا الامتحان يقسم التلاميذ إلى ثلاثة أقسام، فالتلاميذ المتفوقون يرسلون إلى المدارس الثانوية التى تمد للجامعات والوظائف الفنية؛ والذين يكونون فى المرتبة الثانية يذهبون إلى نوع آخر من المدارس الثانوية تسمى المدارس المركزية (Central Schools) تختلف عن المدارس الثانوية العادية فى كونها تتجه فى السنتين الأخيرتين اتجاها عمليا، فترتبط مواد الدراسة بالبيئة كأن تشمل مادة الجغرافيا دراسة حالة البلد الاقتصادية وأسواقها التجارية وصناعاتها وعلاقاتها بالأمم الأخرى الخ، وكأن تكون اللغة الأجنبية التى تدرس لغة حية يكون الغرض من دراستها التفاهم بخصوص الشئون التى تتصل بحياة الطالب وعمله ودائرة تفكيره لا أن تكون أكاديمية بمعنى أنها تهتم بخواص الأجرومية أو المعانى والمصطلحات التى قلما يحتاج إليها فى الحياة العملية. أما تلاميذ المرتبة الثالثة فيرسلون إلى مدارس ابتدائية راقية (Senior School) تتمشى برامجها إلى حد ما مع برامج المدارس الثانوية من ناحية الاهتمام بالثقافة العامة بينما توجه عناية كبيرة إلى إعداد الطالب لبيئته الخاصة فتهتم مثلا بالعلوم الزراعية إذا كان الطالب يعيش فى بيئة زراعية، أو بالمواد التجارية إذا كان الطالب يعيش فى منطقة تجارية. وبالجملة يراعى فى هذا التقسيم التمشى مع مقدرة الطالب العقلية ثم الاهتمام بالناحية الثقافية وتوسيع دائرة اهتمام الطالب بالروابط الانسانية ونواحى الحضارة المختلفة. ولا يقصد بهذا التقسيم التوجيه المهنى بالذات أو إعداد الطالب لكسب العيش بطريقة مباشرة، وإنما الغرض الأول من الدراسة الالزامية فى مراحلها الثلاث أى من سن الخامسة إلى الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة هو إعداد الطفل لأن يكون إنساناً مهذب الخلق والاحساس ذا قسط من الثقافة قبل أن يعد لأن يكون تاجراً أو صانعاً

ولا يقصر الاهتمام فى هذا الدور من التعليم على التربية العقلية والخلقية، وإنما يولى أولو الشأن عناية كبرى إلى صحة التلاميذ الفقراء. فلقد جعل لهم عيادات طبية يشرف عليها أطباء وممرضات تعطى العلاج والدواء مجاناً للتلاميذ، وتقوم الممرضات بعيادة منازل الأطفال لتوجيه النصح والارشاد للأمهات كما توجد مستشفيات ودور نقاهة خاصة بهؤلاء الأطفال. كذلك تعمل المدارس على علاج ضعاف الأجسام من فقراء التلاميذ بتقديم اللبن لهم مجاناً حتى فى أيام المساحات لمن تظهر عليهم علامات الضعف بسبب رداءة التغذية. ومما يستحق الذكر فى هذا المقام أن الأموال التى جمعت لعمل تذكار للملك جورج الخامس خصصت لشراء أراض واسعة تستعمل ملاعب للأطفال الفقراء

ولقد كان من نتائج زيادة الاهتمام بالتعليم الالزامى وتعديل مناهجه مضاعفة الاهتمام بالمدرسين وإعدادهم إعداداً يتمشى مع تلك النزعة الديمقراطية الحرة؛ وعلى ذلك نجد الاتجاه الآن أن يكون المدرسون ممن حصلوا على تعليم جامعى أو ما يعادله حتى تتوفر لديهم الثقافة الواسعة والتهذيب العقلى والعاطفى الذى يحتاج إليه مربي النشء من بيئة ديمقراطية

ولا تقف مطامع المشتغلين بالتربية فى انجلترا وأنصار مبادئ الديمقراطية والمساواة عند هذا الحد إذ هم لا يكتفون بتعليم أبناء الفقراء حتى سن الخامسة عشرة بل يطالبون باطالة مدة تعليمهم

ذكرى مدام كورى

للكاتب العظيم اميل لودفيج

لا أظن سيدة ذات عبقرية كانت أقل هيمنة على أفئدة الرجال ، وفى الوقت نفسه لها من السلطان فى نفوسهم ما ليس لغانية من غواني باريس ، كمدام كورى

من وقت لآخر كان يفد إلى العالم الفرنسى الكبير بول بانلفيه بعض ذوى العبقريات الفرنسيين ويجلسون للسمر لديه فى بهوه المتواضع الذى تراه أشبه بالأماكن العامة منه بمجلس عظيم من عظماء فرنسا وكبير من وزرائها ، شأن العجوز الأرمل ، بل شأن العالم الكبير الذى نفذت بصيرته إلى جمال الحقيقة والعلم فتسلى به عن زخرف الأرائك والطنافس

قصدت ذات يوم هذا البهو وقد سبقنى إليه نفر من رجال العلم والسياسة . وكان رب الدار ملازماً لفراشه لانحراف ألمّ به ، فصافحه كل منا على حدة فى مرقده ، بينما كانت شقيقته تسبغ علينا التحية فى مجلس الضيافة . وكنت أشعر بأن عدم وجود بانلفيه بيننا قد جعل رابطة الجماعة مفقودة ومعين سمرها ناضباً

وكذلك كان المجلس فاتراً كأن برودة الطقس قد شابته وأثرت عليه ، وبدلاً من إذكاء الحماسة فيه بفنجان من الشاي فقد أعدت مائدة طعام على الطراز القديم المنمق ثم دعينا إليها بعبارات ملؤها التبجيل والاحترام

وقد أعجب بانلفيه أن يقدمنى إلى ثلاثة من ضيوفه وأهل طبقته من رجالات العلم والسياسة ، وهم بيران ولانجفان وأميل بوريل ، فأخذتنى الرهبة أمام هذه الرؤوس الكبيرة والجباه العريضة لرجال عظماء فى أبسط ما يكون من المظاهر ، تلك البساطة التى هى زينة العلماء الفرنسيين والتى كانت فى العصر الغابر شيمة العلماء الألمان . نعم أخذتنى الرهبة أمام هؤلاء الرجال الذين يتعذر على مثلى أن يقدر أعمالهم من تلقاء نفسه وبطريق مباشر . ولما كان من العسير علىّ فهم ما يتخلل أحاديثهم من المباحث العلمية جعلت أتفرس فى أدمغتهم الكبيرة وقوالبها المختلفة وما تحمل من علم وثقافة

وبينما نحن كذلك نقطع الوقت بين حديث متكلف تارة وسكوت عميق تارة أخرى ، إذ دخلت علينا سيدة عجوز لا تمت إلى الجمال بصلة . كانت ترتدى معطفاً أزرق وعلى عينيها نظارة كبيرة تزيد وجهها عبوساً ، وكان من الطبيعى قيام المجتمعين لتحيتها ، ولكن هيئة قيامهم ، وهيئة انتظارهم مصافحتها إياهم جعلتنى أعتقد أنها سيدة المجلس وأميرة المجتمعين ، تلك هى مدام كوري التى وقف الجميع لها وقفة الجنود أمام القائد ، كما وقفت متعزلاً أفكر فى هذه الجماعة المنسجمة من العلماء

ثم انتهت هذه الضيافة وانصرف كل إلى سبيله . وما أصبح اليوم التالى حتى كنت عند مدام كورى فى معملها الخاص ومعهد أبحاثها ، فوجدتها بين الأجهزة والمعدات المختلفة أهدأ بالاً مما

على نفقة الدولة حتى سن الثامنة عشرة ، إذ يرون أن الولد الذى يبدأ حياته العملية فى سن الخامسة عشرة لا يكون مزوداً بالمعرفة الكافية ، ولا بالاعداد الذى يعينه على اقتحام معركة الحياة بنجاح . وإن الدلائل كلها لتدل على احتمال تحقيق هذا الرأى إما عاجلاً وإما آجلاً

مما ذكر يتبين لنا التغيير الهام الذى طرأ على الأفكار بخصوص تعليم أبناء الفقراء فى بحر قرن تقريباً . ففى أوائل القرن الماضى كان يتساءل أعضاء البرلمان الانجليزى عما إذا كان تعليم الطبقات الفقيرة أمراً مرغوباً فيه؛ واليوم يقولون جميعاً فى إيمان إن التعليم الشامل الصحيح الذى يعم جميع الطبقات والذى يبرز النبوغ وينمى الاستعداد ويكون الخلق ويهذب العقل والقلب ويبين السمين من الغث هو حق ضرورى لكل طفل بغض النظر عن العوامل المادية . وعلى ذلك لا يكتفى الآن بتعليم القراءة والكتابة ومبادئ الدين والحساب لأن هذا التعليم المحدود لم يعد يلائم حاجات الديمقراطية ولا المبادئ الانسانية التى لحسن الحظ قد أثمرت أينع الثمر فى ميدان التعليم .

أسماء فهمى
درجة شرف فن التاريخ
ودرجة الأستاذية فى التربية فى انجلترا

كانت بالأمس حيث لا يرهقها التكلف الذى تضطر إليه بحضرة الرجال . ثم حادثتنى قليلاً وقضينا الوقت فى التفرج على ما فى المعمل من أجهزة وأدوات

كانت تلك السيدة البولونية ذات عيون سوداء قلقة ، لامعة كالنجوم ، وجميع ملامح وجهها مشربة بالحدة التى فى عينيها ، وعلى الرغم من خشونة مظاهرها ، تلك الخشونة التى هى سمة العلماء ، فقد ظهرت شيئاً فشيئاً بلين الجانب ووداعة النفس حتى لقد لاحظت ابتسامة خاطفة تشرق من شفتيها فى بعض الأحايين ...

وكانت صورة زوجها التى تعلو رأسها رمزاً ناطقاً لما كان بين هذين الزوجين من تعاون وتعاضد فى العمل ، فقد كان يجمع إلى صفات الرجل الواسع الخيال ، ذى القريحة الوقادة ، ما تمتاز به المرأة من تطلع للخلق والابتداع ، بينما كانت هى على الضد من ذلك أقرب إلى صفات الرجولة منها إلى الأنوثة، أو بعبارة أخرى كانت تتمثل فيها العلوم الطبيعية بأسرها

وسواء هى فى حياة زوجها أم بعد موته فقد كانت تحكم عواطفها وتسيطر على إحساساتها بحيث لا ينم حديثها الحازم الدقيق عما يعتلج فى صدرها من عواطف وإحساسات

ولم يكن المجتمع مديناً لهذين الزوجين باختراعهما السحرى الذى أنقذ الملايين من الهلاك ، وبصغيرتهما الأنيقة فى حسن الذوق فحسب ، بل إنه مدين لهما أيضاً بفتاة أخرى هى أولى ثمار حياتهما الزوجية التى ترسمت خطاهما فى العمل

وبينما كنت أتحدث مع والدتها فى المعمل إذ دخلت علينا بخطى الشباب وألقت نحوى نظرة استفسار وتفحص . وعلى الرغم من أنها رشيقة القوام لدنة الغصن فقد كان يبدو عليها الامتعاض من أن أجنبيا يزور المعمل فيعكر عليهما صفاءه التام

وقد رأيتها على جانب عظيم من طهارة الملائكة الذين أجاد سكان فلورانس الأقدمون تصويرهم على شاكلة الشباب ، ووجدتها سالكة نهج أبويها لا من ناحية العلم فقط بل كذلك من جانب نوع الحياة الذى اختارته لنفسها حيث لم ترض زوجا لها إلا أحد الطلاب المنتسبين إلى « معهد أبيها بيير كورى »

هكذا رأيت تلك الشجرة المباركة والعائلة الجميلة ، سلالة بيير كورى ، ولمست بنفسى أساليبها فى المحافظة على أصلها والعناية بموهبتها وعنوان فخارها ، مما جعلنى أتساءل عما لو كان مبدأ المحافظة على السلالة مرعيا لدى الملوك رعايته عند عائلة بيير كورى !

ثم أخذت مدام كوري تذكر لى شيئا عن ابنتها قائلة :

— ان لها بنتا صغيرة !

وكأنها بذلك تريد أن تذكر لى أن فى هذا البيت شيئاً آخر غير الراديوم ، ثم قالت :

— وانها أيضا تشتغل جيدا ، ومما يؤسف له جد الأسف أن والدها لم يكن بين الأحياء فينعم خاطره بعمل ابنته !

وبينما نحن عند السلم نريد اجتيازه إلى معمل آخر رأيتها تلقى نظرة كلها عطف وحنان على ابنتها هذه التى سلخت ثلاثين ربيعا والتى أخذت ترشدنى إلى مادة لامعة فى ضوء حجرتها الضئيل ، ولكنى بدلا من الإصغاء جعلت أتأمل بريق شعرها المجعد . وبعد هنيهة عادت مدام كورى للحديث :

— عجب كلها الحياة ! معلمة بولونية فقيرة ، تجذب طبيبا فرنسيا ، فقيرا أيضا ، فيميل إليها قلبه ثم يفهمها وتفهمه !!!

ثم قالت بعد ذلك بصوت الفرح الظافر السعيد بمحاضره :

— لم يكن لنا سوى حجرتين فى سطح البيت مما يعد لسكنى الخدم !

هكذا يتحدث كل ظافر فى معركة الحياة فيذكر أيام بؤسه وشقائه وقد تمكنت فكرة السعادة فى نفسه فظل ينشدها حتى اقتنصها وظفر بها . وهكذا بيير كورى وزوجه ، فبينما هما فى العزلة بغرفتيهما المتواضعتين إذ طلع نجم سعدهما فاهتديا إلى الراديوم وعرفا خواصه الخارقة العجيبة ، وسرعان ما تمت الشهرة وذاع الصيت فى أنحاء المعمورة ثم نما بالخير والسعادة ، بالسرور والابتهاج ، بالنصر والظفر

علمت الدولة بأمرهما فانتشلتهما من وكرهما بسطح البيت وشيدت لهما معهداً فخماً وأغدقت عليهما الأموال ليتيسر لهما العبء ويسهل عليهما البحث

على أن هذه السعادة لم تغيرهما ولم تبدل شيئاً من حياة البحث التى اعتاداها ، بل واصلا العمل فى ظل معيشتهما الهادئة ، وربيا طفليهما على حب المثل الأعلى الذى رسماه لأنفسهما . وهكذا كان عماد حياتهما وقوام سعادتهما حجراً ذا سر خفى اهتديا إليه فأرسل عليهما ضياءه ، وأسبغ عليهما نماءه ، إلى ما تلا ذلك

بين العقـــاد والرافعى

١ — الدين والأدب

٢ — سارة وغزل العقاد

للأستاذ سيد قطب

— ١٢ —

... وهذا أيضاً واحد !

وقد عرفت الآن نظام فريق الرافعى ! ففى كل أسبوعين أو ثلاثة ، يتقدم « عضو منتدب » فيقول كلاماً ؛ ثم يدركه الاعياء ، وتفرغ جعبة الكلام عن « سيد قطب » بالذات ، فيجلس « ليأخذ نفسه ويبلع ريقه » كما يقولون ؛ ويتبعه آخر فيعيد الكلام الأول فى صورة جديدة أو فى الصورة الأولى نفسها مع لف وتطويل شديد !

هكذا قال الأستاذ « شاكر » ، وهكذا قال الأستاذ « الطنطاوى » ، وهكذا قال الأستاذ « سعيد العريان » ، وهكذا أخيراً قام يقول « النمراوى »

ولست أدرى لم يطيل هؤلاء الناس هكذا فى الحديث ، ولم يمطون الأساليب مطاً ، وكل ما قالوه حتى اليوم يمكن تلخيصه فى صفحة واحدة من هذه الصفحات الكثيرة التى شغلوها من « الرسالة » ، ولا سيما « المنتدب » الأخير ، وإنى لأشفق والله عليهم من هذا الكد الطويل !

ولكن من الانصاف أن نعترف لهذا الأخير ، أنه أتى بما لم يستطعه الأوائل ، فقد — والله — أخافنا وأفزعنا ، وهو يجمل المسألة « ديناً أو لا دين » ويلخص المعركة بين المدرستين القديمة والجديدة ، فى أنها المعركة بين أهل الجنة وأهل النار !

نعم هكذا مرة واحدة ؟ ومن لم يكن قد عرف الخوف فليعرفه الآن . فها هو ذا رجل يمسك بيده ميزان الحسنات والسيئات : فأما من كان مع الرافعى فقد أزلفت له الجنة ، وأما من كان مع العقاد فقد فغرت له جهنم أفواهها . وليكن من شاء كيف شاء ، فهو وحده الملوم !

فما قولكم . دام فضلكم !

الدين . الدين ... هذه صيحة الواهن الضعيف ، يحتمى بها كلما جرفه التيار ، وهو لا يملك من أدوات السباحة ولا وسائلها شيئاً

وأشد الجناة على الدين ، وأشد المشوهين له والمشككين فيه أولئك الذين يضمونه مقابلا للعلم تارة ، وللفن تارة ، ثم يحكمون أيهما أصح وأولى بالاتباع !

وللدين مهمة قام بها وأداها خير أداء فى إصلاح نفس الفرد للمجتمع ، وفى تهيئة هذا المجتمع لحياة الفرد ، بالنصح تارة وبالتخويف تارة ، وبالتشريع تارة ، وبكل الوسائل التى تكفل هذه الغاية الكبيرة ، على مدى الأجيال

من نفع عام إذ سلحت به الانسانية من العطب ونجت به من الهلاك

وما زال بيير كورى وزوجه جادين فى عملهما النافع حتى دهمهما القضاء بغتة ، على نمط مفاجآته لها بالثروة ، فقضى على الرجل العظيم واختطفه من أحضان زوجه وكريمتيه ، ولكن هذا القضاء لم يفل من عزيمة مدام كورى فقامت وحدها تفكر فى عملهما وفى بنتيهما ، ثم شمرت عن ساعدها ، وما زالت تخطو إلى الأمام حتى اهتدت إلى خاصة أخرى كانت لها مجداً ثانياً وفخراً أبدياً فى العالم أجمع

وهاهو ذا رئيس جمهورية الولايات المتحدة قد أهدى إليها قطعة عظيمة من الراديوم تقدر بالملايين ، بينما كان الملوك السابقون يهدون إلى العالم مسعطا (علبة نشوق) مزخرفاً بالجواهر . وكم من فرق بين مسعط لا خطر له وقطعة من الراديوم تعتبر تحفة نادرة وتجلب السعادة للملايين من الناس !

والحق يقال إن مدام كورى قد عانت آلاماً كثيرة وقاست هموماً عديدة ، ولم تكن مسرات الحياة لتسرى عنها إلا فى النادر من الأيام ، ولكنها مع ذلك إذا دخلت مجلساً فان عظماء الفرنسيين وكبار علمائهم يقومون لتحيتها وإجلالها ، ذلك أن القدر قد رفع هذه العلمة البولونية الفقيرة ، ووضعها فوق رؤوس الملكات والأميرات فى العالم كله

ترجمة سيد سليم درويش

ولم يأت الدين ليخوض فى المسائل العلمية البحتة ، ولم يأت ليكون منهاجاً فنياً . فكل زج به إلى الميادين التى لم يأت لها ، ظلم له ، وتعريض به ، وعمل كعمل الدبة التى تحدث عنها صاحبنا الحديث المحفوظ

يقوم الدين على الاقناع الوجدانى ، وعلى البحث العقلى ، بينما يقوم العلم — معظم العلم — على المشاهدات والملموسات ، والتجارب المحسوسة ، فليس من الحكمة وضع هذا مقابلا لذاك جهلا باتجاه الدين وغايته ، لأن كثيرا من النفوس يضطر لتصديق المحسوس المشاهد ، متى أرغم على الاختيار بين الطريقين !

وليس من الحكمة كذلك وضع الدين مقابلا للفنون ، فهذه خاصة بالترجمة عن النفس الانسانية وأحاسيسها وآمالها ، وليس هذا من اتجاهات الدين ، إلا فى الدائرة التى تهمه لاصلاح نفس الفرد للمجتمع ، والمجتمع للفرد ، على طريقته الخاصة . ومن الناس من يستمز بالخوالج والخواطر والآمال التى تجلوها الفنون ، لأنها تلمس كل عنصر حى فيه ، وليس من الحكمة أن نسوم هذا الفريق الاختيار بين طريق الفن وطريق الدين ، فى حين لا يعنى الدين ذلك ، ولا يرصد نفسه له ، وإنما هى الدبة التى تلقى الأحجار على وجوه الأصدقاء !

الدين . الدين . . . قولوها مئة مرة ، فلسنا والحمد لله ممن تخيفهم هذه الصيحات الفارغة ، ونحن أكثر منكم دراسة وفهماً للدين

ثم ما هذا الرجل « الغمراوى » الذى يفهم أن « السن » هى الحكم فى المبادئ والآراء ، فما دام « سيد قطب » لم يولد إلا بعد أن كان للرافعى أدب ، فلا يحق له أن يكون له رأى فى هذا الأدب ، ولا يجوز أن يسقطه إن كان يستحق السقوط

ما هـذا الفيض النزير فى « القواعد العلمية للنقد » ؟ وما يكون الشأن مع أدباء الجيل الماضى الذين ماتوا قبل أن نولد ، وما يكون الشأن مع شعراء الجاهلية ؟ لنتناولهم بالتقديس ، أو لنعبدهم كالآلهة ! أليسوا قد سبق بهم التاريخ ؟ !

***

والآن فلندع ذلك « اللت والعجن » الذى ليس معه إلا إرخاص الوقت ، واحتقار المناقشة الأدبية ، وامتهان المعارف الانسانية

لندع هذا إلى عالم آخر . لنتحدث عن « سارة » قصة العقاد قصة الحب ، ترجمة لحياة قلب ، فإذا كان هذا القلب قلب العقاد أو قلباً صاغه العقاد ، فهي إذن ترجمة حيـاة ممتازة . وهذه هى « سارة » ، التى كان نصيبها من الصحافة المصرية (الصحافة التى تحابى العقاد) ! بضع كلمات ، لم تصل واحدة منها أن تكون فهماً كاملا لهذه الترجمة الممتازة ، ولم تصل الحياة الأدبية فى مصر أن تكون لهذه القصة شروح وفقرات تربى على حجمها الأصلى مرات . وهو الذى كان يجب أن يكون !

حين نقول عن هـذه القصة : إنها تصوير صادق للحب فى النفس الانسانية ، لا نكون قد فهمنا شيئاً كثيراً منها ، ولكنا حين نقول : إنهـا « فيلم » فنى يستعرض قلباً وعقلا ممتازين أو « طبيعة فنية ممتازة » فى حب امرأة خاصة بكل معانى الخصوص نكون قد وضعنا شيئاً من الرموز لهذه القصة الفريدة

ليس فى القصـة حوادث « فى الخارج » ولكنها حافلة بالصور النفسية الباطنة ، والخلجات القلبية المضمرة . وليست مصوغة على مثال من أنواع القصص ، ولكنها مصبوبة فى القالب الوحيد الذى يناسبها ، ويناسب طبيعة العقاد فى آن

ما الحب ؟

سؤال له عشرات الأجوبة ؛ ولكن أى نوع من أنواع الحب هو المراد بالسؤال ؟

إن للحب « أنواعا » شتى ، فلكل نفس حب ، وللنفس الواحدة صنوف منه شتى . فأى « صنف » منه كان حب « همام لسارة » فى قصة العقاد ؟

إنه حب الرجل الفنان الناضج ذى الطبيعة الممتازة ، للمرأة الممتازة فى نفسها وجسمها وطبيعتها

وإذا قلنا « الرجل » فقد عنينا الصحة والسلامة فى هـذا الحب ؛ وعلمنا أنه قائم على أسسه الطبيعية الخالدة ، التى رسمتها الطبيعة للحياة يوم خلقتها ، وبهدت لها وسائل الدوام والخلود

وإذ قلنا « الفنان » فقد عنينا الاشراق والجمال فى هذا الحب

وعلمنا أنه متطلع إلى غاية من غايات الحياة الكبرى ، وأمل من آمالها المذخورة لكل قلبين تلمح فيهما فسحة التطلع والرجاء

وإذا قلنا « الناضج » فقد عنينا الفهم والمعرفة فى هذا الحب ، وعلمنا أنه يعلم منشأه وغايته ، ويعرف ما يأخذ وما يدع ، ويحسن الانتفاع بكل قوة مذخورة فيه فى أقصر مدى ، وبأيسر المجهود

وإذا قلنا « الطبيعة الممتازة » فقد عنينا الامتياز فى نوع هذا الحب ، وعرفنا أنه ليس حب كل يوم وكل ساعة ، ولكنه المثال الذى تبدعه الطبيعة بعد مجهود لتقيس عليه وتبرز خصائصه وبهمها من أمره مالا يهمها من آلاف الأنواع الرخيصة المألوفة

فاذا تقابلت هذه المميزات مع امرأة « خاصة » فى طبيعتها ، فقد تم لهذا الحب كل عناصر الامتياز والتفرد ، وكان جديراً بعرضه فى سجل الحياة الممتاز ، الذى لا يحوى إلا بضع صور منتقاة فى عمر الحياة الطويل

وهكذا كانت « سارة » بقلم العقاد

***

وحين نريد أن نقوم بالشرح الفنى لقصة « سارة » نحتاج إلى مؤلف فى حجمها عشر مرات ، كما تخفف الشراب المركز باضافة أضعاف حجمه إليه من الماء ليصبح فى متناول الجميع ، شراباً تهضمه المعدات. وإذا كان هذا ليس مستطاعاً فاننا سنحاول استعراض شيء من نواحى الامتياز فى القصة ، بقدر المستطاع

يبدو فى بطل القصة ، الالتفات إلى كل ذرة فى نفس حبيبته ، وكل لحظة من لحظات حبه ، وكل مظهر وكل لفتة وحركة فى الواقع أو الخيال ، ومن شأن هذا الالتفات أن يضاعف الشعور بالحب ، وأن يجعل منه عالما كاملا يموج بشتى الأطياف ، وشتى « الحيوات » ويخلق من هذه المرأة الواحدة ، عشرات « المرآت » الخواص الممتازات . وليس الرجل الذى يحب المرأة حبا مبهما ، مندفعا فى تيار الغريزة أو تيار الخيال الجامح ، كالرجل يحبها وهو متيقظ لكل ما يحب فيها وكل ما يجتنب ، وكل ما يرجى فيها وكل ما يخاف . وهو متنبه لخوالجها وحركاتها ، متحفز لتلقى معانيها وإشاراتها ، ملاحظ لأدق خصائصها ، وأدق خصائص نفسه معها ؛ فكل هذا معمق للحب ، مضاعف لما فيه من لذة واستمتاع .

وأنه ليبلغ فى ذلك ألا تفوته منها دلالة الملابس التى ترتديها ، ودلالة الزينة التى تبدو فيها ، وإنه ليتعمق فى دراسة طبيعة جسمها والزمن الكافى لشفاء جروحها ، ويجرى كل هذه الملاحظات حيث يجرى فى تيار حبه ، ومتعته بهذا الحب ، فى كل لحظة وكل حالة !

والقصة مليئة بمثل هذه الالتفاتات نختار واحدة منها :

« وسارة كانت من ذوات الملامح والوجوه اللواتى لا يطالعنك بمنظر واحد فى محضرين متواليين : تراها مرة فأنت مع طفلة لاهية ، تفتح عينيها البريئتين فى دهشة الطفولة وسذاجة الفطرة بغير كلفة ولا رياء ؛ وتراها بعد حين — وقد تراها فى يومها — فأنت مع عجوز ماكرة أفنت حياتها فى مراس كيد النساء ودهاء الرجال . وتضحك ضحكة فتعرض لك وجها لا يصلح لغير الشهوات ، وضحكة أخرى — وقد تكون على إثر الأولى — فذاك عقل يضحك ولب يسخر ، كما تسخر عقول الفلاسفة وألباب الشيوخ المحنكين .

« هي تارة أم رؤوم تفيض بحنان الأمهات حتى ليوشك أن تسع به أطفال العالمين . وحسبك أن ترمقها هكذا ولا تضع فى أحضانها طفلا يرضع ولا إلى جانبها طفلا يدرج ، لتستحق الصورة عنوان الأمومة

« وهى تارة أخرى شريدة بوهيمية لم تستقر قط فى دار ولا وطن ، وما استقرت قط مع عشيق

« لها صورة إلى جانب سرير ، لو نحيت عنها السرير جانباً لمثلت لك راهبة خاشعة تهم بالصلاة ، أو ضحية من ضحايا الآلهة تساق إلى محراب القربان

« ولها صورة على سفح الهرم لو أخفيت منها الهرم لخلتها حورية مخمورة فى أرض يونان القديمة تهم بالرقص فى كروم باخوس .

« وكان همام يراقب هذه الشخوص ويتصفح هذه الوجوه وهو مغتبط تارة ، ومشفق تارة أخرى ، ويعزو تقلبها واطرادها إلى الفتوة الحية التى لم تحبس فى محابس الأفكار والعادات والتقاليد ، فهى أبداً فى أيدى العواطف والنوازع ، كعجينة الخلق المهيأة للصوغ والتركيب فى كل ساعة »

ونقول نحن بعد قول العقاد : « وكان همام يتمتع بكل هذه الشخوص فى حب واحد ، كما قالت سارة له فى فكاهة بارعة

صادقة : « احمد ربك . عندك من سارة المظلومة حريم كامل ، فلا تشكر نفسك كثيراً على الوفاء »

وصحيح أن سارة صاحبة الفضل لأنها صاحبة هذه الشخوص ، ولكن « هماما » صاحب الفضل الأول فى الفطنة لها ، والاستمتاع بها . أو قل : هو العقاد صاحب الفضل ومنشئ سارة وهمام !

ويكمل هذا ذلك الحوار البارع الطريف ، الذى عقده العقاد ، بين شخوص سارة المختلفات ما بين صفحة (١١٦) وصفحة (١١٩) من الكتاب

***

ويلفت النظر في هذه القصة ، ذلك المزج الغريب بين متعة الروح ومتعة الجسد ، بحيث لا تفترقان ولا تتميزان ، فأنت تجد « هماماً » يحب فى « سارة » روحها وعقلها وجسمها ، ولكن هذه كلها مزاج واحد ، وقد ارتفع بلذة الحس فيها إلى الروحانية الصافية ، ولكنها ليست روحانية الخيال الغرير ، بل روحانية البحر الذى يطهر كل ما فيه ويجلوه ويحييه

وإنك لتقرأ رسالة همام إليها فتدرك منها كل شىء . وإليك بعضها وهو يحاول استنقاذها من السقوط الجسدى الرخيص

« أذكرى نوبات الحيرة وتبكيت الضمير التى كانت تساورك حين تحضرين إلى ، واذكرى كيف كنا نفترق وقد هدأت نفسك بعض الهدوء واستراح ضميرك بعض الراحة ... كان اهتمامى بك حتى بالغضب عليك يفرج شيئاً من الضيق الذى يسد عليك منافذ الأمل لأنه يعطيك فكرة عالية فى نفسك ، فيعزيك ويقويك ويرفع عنك ذلك الصغار الذى يسم كل شعور وينغص كل نعيم

« أذكرى كيف كان وجهك يشرق بالبشاشة من عهد قريب ، وكيف ظهر ذلك على صحتك وملامحك ، فسألتنى فى يوم من الأيام بين الجد والمزاح : أصحيح : أصحيح أن وجهى يمتلئ ويحلو ؟ كان ذلك وأنت تشعرين إلى جانبك بنفس إنسانية تحنو عليك وتفكر فيك ، وتجتهد فى عذرك ما استطاعت ، وترعاك فى الغيبة والحضور . وهذا أحوج ما تحتاج إليه المرأة خاصة فى هذه الحياة

« فكل امرأة — بلا استثناء — فى وسعها أن تجد رجلا يأخذها جسداً ، ويطرحها سائغاً بعد حين ، بلا أسف ولا شكر ولا احترام

« ولكن ليست كل امرأة واجدة تلك النفس العطوف التى تفهم الدنيا وتفهمها ، وتحب لها الخير لغير غاية ، وتهتم بها وحدها بين جميع الناس وتراها أهلاً للرضى والغضب والشكر والملام »

وأنت خليق أن تدرك أكثر مما تشير إليه هذه الرسالة متى علمت أن « سارة » أو شبيهتها فى موقفها هى المعنية بهذه الأبيات :

تريدين أن أرضى بك اليوم للهوى ... وأرتاد فيك اللهو بعد التعبد
وألقاك جسماً مستباحاً وطالما ... لقيتك جم الخوف جم التردد
رويدك إنى لا أراك مليئة ... بلذة جثمان ولا طيب مشهد
جمالك سم فى الضلوع وعثرة ... ترد مهاد الصفو غير ممهد
إذا لم يكن بد من الحان والطلا
فنى غير بيت كان بالأمس مسجدى

فتدهش حين ترى التاع الحسى بامرأة ، لا يخلع عنها روعة المسجد ، ولا يجعل صاحبها يرتاد فيها اللهو بين الحان والطلا ، بعد التعبد والتردد

وما من شك أن هذا إحساس فريد جدير بالتسجيل والبروز لأنه من النماذج التى لا تجود بها الطبيعة إلا وهى شحيحة ضنينة ، وما تختص بها إلا نفس فنان عظيم ، تتطهر فيها الأرجاس وتشرق وتشع الواد المتكتلة ، فاذا هى أشمة وظلال

***

ومن الأحاسيس الفريدة فى « سارة » موقف « همام » مع حبيبته يوم جاءت تعترف له بأنها خانته فعلا ، فلم يجد فى هذا الاعتراف ما يستوجب قطع صلاته بها ، لأنه كان يحس أن هناك ذخيرة موفورة له فى نفسها ، وفيضاً غزيراً لها فى نفسه . وهو يقول فى هذا :

« لم يشعر ذلك اليوم وهو ينتظرها بخداع ولا استغفال ولا احتقار . ولكنه شعر بخسارة وأسف ، وانتظرها كما ينتظر الطبيب مريضاً يلجأ إليه ، واستقبلها عاطفاً عليها متطلعاً إلى ما وراء حديثها ، مستعداً للتسامح فى الاصغاء إليها »

وبينما يتلقى اعترافها هذا بالقبول ، ويستأنف بعده صلاته بها ، وإذا به يقاطعها بعد ذلك لمجرد الوساوس والظنون ، لماذا ؟ لأن الذخيرة النفسية بينهما قد نضبت ، فلم يكونا فى حاجة بعد ذلك إلى دليل حاسم ، ولا اعتراف مكشوف

وهو يصف الفرق بين الحالتين ، ذلك الوصف الفريد :

« فى تلك الأيام كانت كل هنيهة لها شمورها المحبوب المتجدد البهيج . إذا انفتح الباب للقاء ، فذلك شعور القائد الذى يفتح باب حصنه ، ليتلقى نجدة الأمان والاطمئنان إلى زمن طويل ، وليطرد المخاوف من وراء ذلك الباب إلى مهرب سحيق ؛ وإذا انفتح الباب للوداع ، فذلك شعور الشارب الذى استوفى نصيبه من العقار ، وبقى له نصيبه من النشوة والتذكار ، ونصيبه من الشوق فى الغد إلى مثل هذا اللقاء ، ومثل هذا الوداع ، ومثل هذا الانتظار ؛ وبين لقاء كل يوم ووداعه ألف لقاء وألف انتقال من حال إلى حال ، وألف سكينة وألف ابتدار

« تلك أيام !

« ثم جاءت بعدها أيام

« وشتان أيام وأيام

« نعم شتان حقيقة وتمثيل ... وأي تمثيل ؟ ! تمثيل اللاعب الذى يساق إلى دوره سوقاً لأنه يخشى الفشل ، لا لأنه يأمل النجاح

« واستمرت المواعيد ، واستمر اللقاء ، واستمرت السآمة واستمر الشقاق ، واستمرت مع كل ذلك محاولات عقيمة مستميتة أن يعود ما لا سبيل إلى أن يعود

« وكانت هى تقلد نفسها فى أيام الصفاء ، فتمد يدها إلى جيبه بعد عاصفة من اللوم الجارح ، والملاحاة الموجعة ، كما كانت تمد يدها إلى جيبه بعد ساعات الرضا والدلال ، لتخرج منه الفكرة المعهودة ، وتكتب فيها أسطراً أو كلمات تسجل بها ما كان فى ذلك اليوم ، فكتبت يوماً بعد مقابلة لم يسمع فيها إلا جدال ومحال ، أو سكوت هو أثقل من الجدال والمحال : « نزهة رسمية فى عربة ، ثم مناقشه جدية ، ثم مصالحة وتقبيل ، ولا عجب فى ذلك ... فان الحب يسهر ! »

« نعم يسهر من الأرق لا من العناية !

« وسهر الحب إلى اليوم التالى فالتقيا وتراضيا ، وتناولت هى الفكرة وكتبت فيها خمس كلمات : « سامحت من غير سبب . أحبك »

ولكنها كانت آخر ما كتبت فى مفكرة ذلك العام . وفيما بعده من أعوام »

بهذا التصوير البارع يسجل الفرق بين الحالتين : فليس بدعا أن يعفو فى الأولى مع الاعتراف ، وأن يجفو فى الثانية لمجرد الشكوك ولو كان ـ غير العقاد ـ واحد من السطحيين ، أو الذهنيين لجمل القطيعة فى الأولى أمراً مقضيا بعد الاعتراف ، أو لجمل القطيعة فى الثانية أبعد الاحتمالات !

أليس هذا هومنطق الذهن ؟ قد يكون ذلك ! ولكن للنفس وللفطرة الصادقة منطقا آخر ، هو الذي صوره العقاد فى نفس « همام »

وهذا ما نمنيه بأدب الطبع ، وما نمنيه بفسحة النفس ، وما نمنيه بامتياز الإحساس

***

وبعد فنى « سارة » حديث آخر ، وفى غزل العقاد حديث أبقيهما إلى الأسبوع القادم . فإلى اللقاء

الاسكندرية — سيد قطب

حول أدب الرافعي

بين القديم والجديد

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

— ٣ —

لو كان الرافعي حياً وعدا عليه عاد فى نفسه وأدبه كما عدا سيد قطب ما تحرك بالدفاع قلم غير قلم الرافعى . وما أظن سيد قطب كان يتحرك إذ ذاك بثلب للرافعي أو تنقص لأدبه . أما وقد مات الرافعى فقد ظن سيد قطب أنه يستطيع أن يعدو على الرافعى ويسخر من أدبه باسم النقد ، وهو آمن أن يوقعه ذلك فى ورطة مهلكة كالتى كان يقع فيها لو أنه تناول أدب الرافعى فى حياته ، بمثل القلم الذى تناوله به بعد مماته ، لكن الأدب الكبير الحق ، ككل شىء حق كبير فى الحياة ، يدفع عن نفسه بنفسه عدوان العادين حتى بعد موت صاحبه. ودفاع الحق عن نفسه له مظهران: مظهر إيجابى تقف فيه عناصر الصواب والصدق والخير تجادل عن نفسها عند كل ذى عقل وقلب، وتجعل منه حكماً يحكم لصاحبها ولو بين نفسه ونفسه ؛ ومظهر سلبي لعله أعجب المظهرين وأخصهما بطبيعة الحق ، يتجلى فى تورط مخاصم الحق فى أغلاط ومزالق ومهاو يتردى فيها من حيث يحذر ومن حيث لا يحذر ، فيكون مخاصم الحق بذلك هو نفسه الذى ينتقم للحق من نفسه بما يكشف من عوارها ويبدى من مقاتلها

والأغلاط التى تورط فيها سيد قطب بالعدوان على الرافعى فى نفسه وأدبه كثيرة لم يكن ما بيناه فى المقال السابق إلا أقلها . ويؤذن النقدَ بها فى أول ما يطالع من تلك الكلمات تطرف صاحبها البالغ فى الرأى . والتطرف هو دائماً دليل الهوى وفقدان الاتزان فى الحكم إن اغتفر للعامة فلا يعذر فيه الخاصة . فالعقاد عند الكاتب أديب الطبع القوى والقلب، ولا طبع ولا قلب للرافعي . والعقاد عنده لا يليق به لقب أمير الشعراء لأن المسافة بينه وبين شعراء عصره أكبر من المسافة بين الأمراء والسوقة ؛ ومعنى هذا أن الرافعى الشاعر لا يبلغ أن يكون فى السوقة حين يكون العقاد فى الأمراء

ويزداد شطط الكاتب كلما تقدم به الشوط . فالعقاد يكتب عن عقيدة فى الأدب والرافعى يكتب عن غير عقيدة . والعقاد يخلق حتى المبادئ الخلقية، والرافعي لا يستطيع أن يخلق شيئاً . ونحن نظن أن الرافعى رحمه الله لم يكن يسره أن تبلغ به القدرة حد خلق المبادئ الخلقية ، لكن كان يسره من غير شك أن يكون له على خلق غير المبادئ الخلقية شىء من القدرة

والعقاد بعد ذلك هو أديب الذهن المشرق (مقال ٦) والطبيعة الممتازة والنفس الرحبة والمواهب التى تنتفع بالثقافة وتعلو على حدود الثقافات ؛ أما الرافعى فهو أديب الذهن المريض الخابى المغلق غير ذى النفس ولا الثقافة . ثم العقاد فوق ذلك وقبل ذلك هو الكاتب الجبار الذى بقى « وتضعضع خصومه ووراءهم قوة العدد وقوة الحكم وقوة المال وقوة الماضى الوطنى وكل قوة مأمولة فى الوجود » ؛ أما الرافعى فهو أحد خصوم العقاد الذين لم يغن عنهم حيال جبروته التجاؤهم إلى الدين وهو أقوى أثراً من السياسة وأكثر اتباعاً ، فكانوا رغم استمانتهم بالدين فى محاربة العقاد من المغلوبين . فصاحبنا كما ترى لا يتشكك فى أن العقاد هو هزم الوفد وهو هزم غير الوفد ممن استعان فى خصومته بسلطان السياسة أو الدين . وتقوم غاشية الهوى دون عقل صاحبنا فلا يبصر العوامل المتعددة القوية التى كان مجموعها أقوى من سلطان الوفد فانهزم ، ولا يذكر أن المعركة التى انهزم الوفد فيها كان أمضى سلاحها سلاحاً دينياً ، وكان من أكثر الناس استعمالا له حين جد الجد العقاد

إلى هذا الحد من الاسراف والغفلة بلغ بصاحبنا هواه . وجدير لمن يتصدى للحكم بين اثنين هذا مبلغ إسرافه فيهما على نفسه أن يغفل حسنات أحدهما ولا يبصر سيئات الآخر ، وأن يخرج النقد من قلمه شيئاً آخر أو أقل خلقاً آخر ينكره الحق ولا ينكره الباطل لغلبة الهوى عليه وقلة أثر العقل فيه

لكن صاحبنا لا يعجبه أن ينبهه منبه إلى ما فى إسرافه ذلك من خطر عليه هو : على نزاهة حكمه وحرية رأيه واستقلال فكره وحيوية نفسه وسلامة طبعه ، فيرد على من نبهه رد المغيظ المحنق [١] رامياً إياه بتكلف التورع والتنطس تارة ، وبعدم

(١) مقال ٧ ، رسالة ٢٥٨

التفريق بين الـكيف والـكم ولا بين الصدق و « النخع » تارة أخرى ، زاعماً أنه فيما قال إنما يتبع البرهان والدليل ! وإلى الخطر الذى يحيط ببرهانه هذا ودليله أريد تنبيهه ، فلم يزد على أن جاء بدليل آخر على إسرافه فى التشيع حين لم يتنبه إلى احتمال وقوع الخلل فى رأيه ومنطقه من جراء غلوه ، وحين زعم لنفسه وللناس أن رأيه ذلك إنما بناه على البرهان والدليل

إن الناقد الحق كالقاضى العدل ، من أظهر صفاته وأوضح أماراته أن يطبق قانونه تطبيقاً واحداً على المتخاصمين . قد يكون القانون الذى يطبقه القاضى معيباً فى ذاته ، لـكن القاضى لا يسأل فى العادة عن ذلك وإنما يسأل عن التطبيق . وقد يخطئ القاضى فى التطبيق لـكنه على أى حال يجب ألا يخطئ الروح روح الانصاف والتسوية بين الناس عنـد تطبيق القانون . والناقد كالقاضى فى هذا الشرط شرط وجوب التزام روح الانصاف والتسوية بين الخصوم عند تطبيق معايير النقد ، إلا أن الناقد له على القاضى مزية التمتع بقسط غير قليل من الحرية فى اختيار معاييره ومقاييسه فى حين أن القاضى لا يملك شيئاً من الحرية فى اختيار القانون الذي يحكم به بين الناس . فالناقد والقاضي متساويان فى تبعة الروح الذى به يطبقان ما بيـدهما من أصول وقواعد ، لـكن تبعة اختيار هذه الأصول والقواعد إذا أعفي منها القاضى فلا يمكن أن يعفى منها الناقد كل الاعفاء، بل ولا بعض الاعفاء عند التحقيق

والقواعد التى جرى عليها الـكاتب فى المفاضلة بين الرافعى والعقاد وفى محاجة المنتصرين للرافعى ممكن استنباطها فى سهولة من تضاعيف كلامه ، لـكننا لا نريد الآن أن نحاسبه على قواعده ومعاييره ومبلغها من الصحة والدقة ، ولـكن نحاسبه الآن على الحد الأدنى من تبعة الناقد وهو القدر المشترك بين الناقد والقاضى من تبعة التسوية بين الخصوم فى تطبيق الأصول والقواعد مهما تكن تلك القواعد والأصول

لـكننا لا نكاد نشرع في قياس كفايته فى النقد ونزاهته فى الحـكم بهذا الحد الأدنى الضرورى حتى يتضاءل وينزوى عنه سجل النقاد كما يتضاءل القاضى وينزوى إذا حاكم الخصمين فى المسألة الواحدة إلى غير قاعدة أو مادة واحدة وغلب ذلك عليه فى قضائه بين الخصوم

فناقدنا لم يقترف فى نقده جرماً أقل من كيله بمكيالين وتفكيره بمنطقين فى حكومته بين الطرفين فى الموضوع الواحد والنقطة الواحدة ، فله ولصاحبه منطق ومكيال ، ولخصومهما فى نفس الموقف ونفس الموضوع منطق آخر ومكيال آخر . والقاعدة فى ذلك — على ما يظهر — أن يكون الحـكم دائماً لمن يحب على من يبغض . وإليك من ذلك أمثلة فى غير إطالة ولا استقصاء

يرى الـكاتب[1] أن العريان أساء تقدير العقاد لأنه لم يختلط بالعقاد أولاً ولم تنفتح نفسه لأدب العقاد فيفهمه ثانياً . والـكاتب يقر بأنه لم يختلط بالرافعى وبأنه يكره أدبه . ولا يخطر بباله مع ذلك أنه أساء تقدير الرافعى لنفس السبب الذى من أجله رأى أن العريان أساء تقدير العقاد

ويرى[2] الـكاتب أنه ينبغى فى تحديد معنى السب والشتم أن يطبق علم النفس وعلم الأخلاق على العالم الأدبي فلاينظر إلى الألفاظ ولـكن إلى أسبابها وملابساتها . ولا يلتمس للرافعى عذرا من هذا الباب الذى فتحه لالتماس العذر للعقاد

ويعذر[3] العقاد فى قسوته على الرافعى لأنه يصور على الأقل ما يعتقد هو أنه حقيقة ، ولا يعذر الرافعى بمثل هذا العذر فى قسوته على العقاد

ويعتذر[4] عن العقاد فيما أتى إلى مخلوف باعتقاد العقاد عظم الفرق بين نفسه وبين مخلوف ، وحنقه أن يجترئ مثل مخلوف على نقده . وقطب نفسه مستعد للثورة والحنق إذا تناول أدبه متناول بمثل ضيق الفهم واستغلاق الشعور اللذين تناول بهما مخلوف أدب العقاد . أى يعتذر عن نفسه وصاحبه فى غضبهما لأدبهما بحسن رأيهما فى نفسهما وسوئه فى غيرهما، وهو باب من العذر يسع كل الناس لـكنه لا يتسع للرافعى ومن معه وإن كان الرافعى أجدر أن يثور لإنكار العقاد اعجاز القرآن كما حكاه العريان

ويعتب[5] على العريان فى صدد ما كتب عن تلقيب العقاد بأمير الشعراء أنه سمح لصداقته للرافعى أن تعدو على التقدير الصحيح للعقاد، ولا يعتب على نفسه هو أن سمح لصداقته أو محبته للعقاد أن تعدو على التقدير الصحيح للرافعى. وبعبارة أخصر ، يتهم العريان فى تقديره العقاد لصداقته للرافعى ، ولا يتهم نفسه فى تقـديره

(1 ، 2 ، 3 ، 4 ، 5) مقال 1 ، رسالة 251

الرافعي مع ما يعلم من بغضه الرافعي ومحبته العقاد

ويعيب[١] على الرافعي إتيانه في شعره بالمعاني المألوفة المأنوسة التي سبق إليها الشعراء مثل :

إن يقض دين ذوى الهوى فأنا الذى بقيت ديونه

ومثل :

تضنى المحب كأنما أجفانها ألقت عليه فتورها وملالها

يرى ذلك من ناحيته تقليداً من الرافعي لشعراء الدول المتتابعة والمماليك في مصر وشعراء أواخر العهد العباسي ! ويراها من ناحية أخرى معاني مطروقة « يباع كل عشرة منها بقرش في هذه الأيام » . حتى إذا قال الرافعي :

يا من على الحب ينسانا ونذكره لسوف تذكرنا يوماً وننساكا

وهو كما ترى معنى على أفواه الناس سبق إليه القصص القديم ولا بد أن يكون سبق إليه كثيرون من شعراء الدول المتتابعة أو شعراء غير الدول المتتابعة — حتى إذا قال الرافعي هذا لم يعبه عليه ولم يتنقصه من هذه الناحية ! وهل تدرى لماذا ؟ لأنه يعتقد أن الرافعي أخذ البيت عن العقاد[٢]

ويعيب[٣] على محمود شاكر توسعه في تبيين مذهب المقتدرين من شعراء العربية في العصور المختلفة في الغرض الذى كان بصدده، يعد ذلك منه جرياً « على النسق الخالي من كتب النقد لقدامة وأبي هلال العسكري ومن ينقلان عنهما من تتبع المعنى تتبعاً زمنياً ، وحسبان كل شاعر متأخر أخذ هذا المعنى عن شاعر متقدم ... » وهو مذهب يظن الكاتب به « القصور والجمود » ومع ذلك فطنه هذا لم يمنعه من حسبان الرافعي قد أخذ بيته المذكور آنفاً عن العقاد كما رأيت . ولعل عذره في ذلك أن الرافعي والعقاد كانا متعاصرين حين قيل ذلك البيت فلا سابق منهما ظاهراً في الزمن ولا مسبوق

ثم يرى ناقدنا أن « الحكم على النيات عمل عسير لا يصح الاستخفاف به » إذا كان الأمر متصلاً بالعقاد ونية طه حسين في تلقيبه إياه بأمير الشعراء ، أما إذا كان الأمر متصلا بنية الرافعي في خصومته للعقاد فعندئذ يزول العسر ويجوز الاستخفاف

(١) مقال ٣ ، رسالة ٢٥٤
(٢) مقال ٤ (٣) مقال ٥

وتتدخل نظرية فرويد والتحليل النفسي في الموضوع فتجعل كوامن الانسان تظهر من فلتات اللسان ، وتكشف قلم الرافعي في رسائل الأحزان عن الرافعي في أعماقه، وتنبئ ناقدنا ذا التعليل والتحليل أن « أهم أسباب الحقد في نظر الرافعي وأظهر دوافعه » هو « فوقان ؟ إنسان على إنسان في النتاج الأدبي » ، وتجعله يصيح : « وهكذا كان الرافعي مع العقاد » !

هذه ثمانية مواقف في الخصومة القائمة حول أدب الرافعي والتي أثار غبارها سيد قطب وجعل نفسه فيها ناقداً وحكما ليس لأحد الطرفين في موقف منها كلام إلا ويصح أن يقوله الطرف الآخر ، ولا يمكن أن يستند في الحكم لأحدهما على مبدأ أو أصل أو قاعدة إلا ويمكن الاستناد على نفس هذا المبدأ أو الأصل أو القاعدة في الحكم للآخر لما بين الطرفين في كل موقف من تمام التشابه . لكن صاحبنا واسع الحيلة في النقد ، يستطيع أن يفرق بين المتشابهات في الخصومة وأن يطبق المبادئ والأصول والقواعد بحيث تأتى الأحكام كما يريد ، فيخرج أحد الخصمين دائماً ظافراً والآخر خاسراً وليس بيد أحدهما من الحجة ما ليس بيد الآخر إلا أن الظافر محبوب والخاسر مكروه لدى ناقدنا المجدد الذى لا يعجبه في النقد مذاهب القدماء

ترى كيف أمكن لهذا الناقد أن يخطئ في تطبيق مبادئه هذا الخطأ ويفرق بين الخصمين في المواقف المتشابهة هذا التفريق إن لم تكن عاطفته قد جمحت به وجعلته يجنح عن صراط النقد السوى والتفكير الحر المتزن ذلك الجنوح الكبير ؟

إننا قد بدأنا نشفق على هذا الناقد الناشئ من هول ما جنى على نفسه بتسخيره عقله لهواه في أمر كبير كالذى تصدى له . ولو علمنا أن هذا القدر يكفيه ليفيء إلى أمر الله لوقفنا عند هذا الحد رفقا به وإبقاء عليه فإن فيه عناصر ذات قوة لا يحول بينها وبين النفع والخير إلا أنها تحاول أن تشق لنفسها مجرى غريبا آخر تضيع به حتما بدلا من أن تنضم إلى النهر نهر العربية الكريم الواسع الذى أجراه الله لها بالقرآن .

إن هناك في تاريخ العربية ، جداول ضلت الطريق إلى هذا النهر فضاع ضعيفها وكوّن قويها مناقع الأدب العربي ومآسنه ودمنه الخضراء الوخيمة . وأدب الرافعي رحمة الله عليه لم يخطئ

من كتاب البحث عن الغد

لروم لاندو

للأستاذ على حيدر الركابي

« أحببت أن أعقب على بحث الأستاذ العقاد بترجمة بعض المقاطع التى تناول فيها المؤلف لبنان وسورية والعراق وفلسطين وشرق الأردن لما تضمنته من تحليل دقيق وآراء صريحة ومعلومات قيمة »

١ — الجمهورية اللبنانية

لبنان

إن الصلة بين لبنان (وهو قطر يسود فيه النصارى) وفرنسا قديمة ترجع إلى عهد الحروب الصليبية ولكنها ازدادت توثقاً سنة ١٨٦٠ عند ما تدخلت الدول الغربية وأجبرت الحكومة العثمانية على منح لبنان شيئاً من الاستقلال المحلى . ومنذ ذلك العهد توسعت المصالح الفرنسية في البلاد وتهيأت نفسية الشعب للحكم الفرنسى بفضل المدارس الفرنسية والكلية اليسوعية فى بيروت والرهبان اللبنانيين الذين تلقوا علومهم فى فرنسا والكهنة اليسوعيين Jesnites الفرنسيين . ومع أن دمشق هى عاصمة سوريا الحقيقية إلا أن المندوب السامى يقيم دائماً فى بيروت لأن لبنان بسواحله الممتدة يهم فرنسا أكثر من سورية ذات الحدود الواسعة التى يصعب الدفاع عنها وذات الصحراء المترامية الأطراف

ومع أن فرنسا قد خلقت فى سورية عدداً من الدويلات المستقلة كاللاذقية وجبل الدروز وسنجق الاسكندرونة إلا أن سورية ولبنان هما الدولتان الرئيسيتان من الناحيتين السياسية والقومية . وأهمية هاتين الجمهوريتين أعظم بكثير من حجمهما، فساحتهما لا تزيد على (٦٠٫٠٠٠ م . م .) وسكانهما لا يزيدون على (٣٫٥٠٠٫٠٠٠ نسمة) . والفضل فى هذه الأهمية عائد إلى الوضع الجغرافى والنهضة الفكرية والاتصال الدائم بالغرب . وقد اتحدت كل هذه العوامل مع التنبه القومي العظيم فجعلت للدولتين أهمية روحية فى العالم العربى تكاد تضاهى أهمية مصر . وقد لعب السوريون دوراً رئيسياً فى أكثر الثورات والحركات الفكرية والسياسية التى حدثت فى الشرق الأدنى منذ عام ١٩١٩

يمتاز لبنان على سائر الأقطار العربية بأن الأحزاب السياسية المتناقضة فيه هى المسيطرة على سير الحوادث . والحزبان الرئيسيان هما: أولاً حزب الحكومة المستند بالدرجة الأولى على تأييد النصارى أكثر من غيرهم والذى يرمى إلى أتباع سياسة إفرنسية. وثانياً : الحزب الذى يعارض الأول كل المعارضة ويؤيده أكثر المسلمين وبعض النصارى. وهناك فئة ثالثة ذات رأى معتدل تسعى إلى الابتعاد عن المنازعات الطائفية ، أعضاؤها من اللبنانيين المتعلمين والأجانب الذين تمكنوا — بشكل من الأشكال — من أن يلعبوا دوراً هاماً فى حياة البلاد

رئيس الجمهورية

لقد دعانى المسيو أميل اده رئيس جمهورية لبنان لتناول طعام الغداء فى بيته ، وبهذا أتاح لى الفرصة للوقوف على وجهة نظر الحكومة من مصدر عال

يقعُ مكتب المسيو إده الرسمى فى السراى الصغيرة فى ميدان بيروت الرئيسى ، وهى دار الحكومة؛ أما بيته الخاص فهو فى الطابق الثانى من عمارة حديثة ذات طوابق متعددة وعلى مدخلها ألواح تشير إلى وجود طبيب وأشخاص من مهن مختلفة بين سكانها . ومع ذلك فان (الدركىّ) الواقف على الباب والعلم الفرنسى ذا الأرزة فى زاويته المرفوع على السطح والعلم الآخر الصغير الموضوع فى مكان بارز على السيارة الفخمة الواقفة خارج البناء،

منه مجرى هذا النهر القرآنى إلا القليل ، وإلى هذا القليل نبه الأستاذ العريان فيما أرخ للرافعى وإنْ بأسلوب آخر . وعيب الأديب قطب أنه لم يعرف هذا القليل ولا ذلك الكثير على وجهه، ويحاول أن يتوصل بكل سبيل إلى هدم الرافعي الشاعر الكاتب المجاهد فى سبيل الله والعربية والقرآن ؛ لكن الذى يحاول هدم الحق ينهدم به وإن تحفظ ، ونحن نشفق على أخينا سيد قطب من عاقبة معاداة الحق ومجافاة طريق القرآن . فهل له فى أن يفىء إلى الحق وإلى أمر الله ؟ إننا نكون أول المغتبطين له وبه إن فعل ونستغفر الله إليه مما يسوءه فى هذه الكلمات

« بورسعيد » محمد أحمد الغمراوى

كلها دلائل على مكانة أحد سكان العمارة الرفيعة . أما البيت نفسه فهو كبير ومؤثث بفرش حديثة عادية وعلى جدرانه رسوم ليست حديثة تماماً .

ان المسيو اده نصرانى لبنانى ، ولا بد فى لبنان من ذكر دين الشخص لمعرفة مكانته الرسمية . وقد استقبلنى بصحبة زوجه وولدها . أما منظره فيدل على ذكاء ، وهو قصير القامة ويرتدى الملابس الضيقة وقد وضع فى صدره شارة جوقة الشرف لجيون دونير . وكانت كل كلمة أوحركة منه تدل على حيوية لم يسع صاحبها إلى كتمها أو ضبطها . ولو قيل لمن ينظر إليه إنه نائب فى مجلس النواب الفرنسى عن مقاطعة فى جنوبى فرنسا لما تعجب من ذلك . وهو محام لعب دوراً خطيراً في السياسة اللبنانية منذ الحرب العظمى . وقد تدرج فى النيابة إلى رياسة مجلس النواب ، إلى عضوية مجلس الشيوخ ، إلى رئاسة الوزارة حتى تبوأ أخيراً أعظم مقام رسمى فى البلاد .

وكان طعام الغداء لذيذاً جداً قدمه لنا خادمان يرتدى كل منهما سترة بيضاء وقفازاً أبيض من القطن . وكان الحديث مثيراً شأن كل حديث يتبادل أثناء تناول الطعام فى صحبة أشخاص فرنسيين مثقفين ، وكان كرم المائدة أعظم ما يواجه الانسان عادة فى بيت مماثل فى فرنسا ، ولكنى مع ذلك كنت أشعر كل الوقت بأنى بين جماعة من الفرنسيين حتى أن مظهر زوج الرئيس الجذابة (هى مصرية المولد) وابنته الجميلة وابنه الشاب (الذى يمتهن المحاماة وينظر إلى نفسه والحياة عامة نظرة جدية) كان فرنسياً إلى درجة شعرت معها بأنى فى باريس نفسها لا فى وسط الأسرة الأولى فى شعب يفتخر بأنه من نسل الفينقيين .

وبعد الغداء أخذنى المسيو إده إلى غرفة صغيرة حيث جلسنا نتحدث، وقد سرنى منه أنه كان يستمتع ببسط وجهة نظره أمامى بدرجة استمتاعى بسماعها . قال :

— « إن الفكرة القومية هى الأساس الطبيعى الذي تبنى عليه حياة بلاد فتية ، ومعنى هذه القومية فى نظرنا هو استقلال لبنان التام باعتبار أنه يشكل وحدة جغرافية وسياسية ، وتحالفه المؤبد مع فرنسا . إن بعض المسلمين يتكلمون عن الاتحاد مع سورية إلا أن هذا الاتحاد مخالف لجميع مصالحنا . إننا كنصارى نشكل أكثرية فى لبنان، فاذا اتحدنا مع سورية ابتلعتنا الأكثرية الاسلامية . وهناك أسباب أخرى تجعلنا معارضين لهذا الاتحاد :

« إن شعبنا — من جهة — يختلف اختلافاً كلياً عن الشعب السورى، إذ أن تقاليدهم غير تقاليدنا وطرز معيشتهم غير طرزنا. أنظر إلى بيروت، هل هي مدينة شرقية ؟ إن دمشق شرقية تماما، ولكن مدينتنا لا تختلف عن أية مدينة في جنوبي فرنسا . أنظر إلى بيوتنا وملابسنا وسياراتنا التى تكاد تبعدنا مئات الأميال عن دمشق . تذكر ليس فقط أن أولادنا قد تعلموا فى جامعات أوربية بل أيضاً أن آباءنا قد تربوا تربية غربية، وأن الكثيرين منهم قد تثقفوا فى الخارج . أما السوريون فهم ليسوا سوى عرب مسلمين ليس فيهم شئ غربى ألبتة .

« ثم لنبحث فى الناحية الاقتصادية : إن السوريين منشوقون كثيراً إلى مشاركتنا فى واردات الكمارك مع أن أكثر هذه الواردات تستوفى من ضريبة مفروضة على بضائع نشتريها نحن لا هم، إذ أن احتياجاتنا أكثر من احتياجاتهم ووسائل الراحة التى نتطلبها أكثر من وسائلهم . نريد أن نكون أصدقاءهم ولكن (وهنا أشار المسيو إدّه بيديه إشارة قوية تدل على التأكيد) يجب أن نعارض دائماً فكرة الاتحاد معهم »

فقلت : « إذاً فانكم تفضلون يا حضرة الرئيس التحالف مع فرنسا على التحالف مع سورية ؟ »

فأجاب : « إن هذا التحالف (أى مع فرنسا) هو نتيجة طبيعية للوضع الذي وجدنا أنفسنا فيه . فان فرنسا قد ساعدتنا فى الماضى وأكثرنا يتكلم لغتها . خذنى مثالاً لذلك : إنى فرنسى أكثر من أن أكون عربياً ؛ وقد تربيت تربية نصرانية وجميع تصرفاتى مشابهة تماماً لتصرفات الفرنسيين » . وقد شعرت برنة فخر فى صوته عند ما تفوه بهذه العبارة

وسألته « ولكن ما الحكمة فى تحالف أبدى مع فرنسا ؟ »

فأجاب « لأننا إذا لم تحمنا دولة أجنبية قوية ابتلعنا جيراننا. وأضيف إلى ذلك أننا نحمل رسالة مقدسة يجب تأديتها فى الشرق الأدنى : ذلك لأننا الجزيرة النصرانية الوحيدة فى بحر من البلاد الاسلامية »

— « إذاً فأنتم معارضون للوحدة العربية ؟ »

— « إن الوحدة العربية هى ضد مصلحتنا . فاذا اعتنق هذه الفكرة بعض المسلمين عندنا فإن كل النصارى يكرهونها »

— « لقد أشرتم قبل لحظة إلى رسالتكم المسيحية مع أن النصرانية ليست دين الدولة الرسمى فى لبنان »

— كلا ! فلعل جمهورية لبنان هى الدولة الوحيدة في الشرق الأدنى التى ليس لها دين رسمي . والسبب يعود إلى وجود عدد كبير من الطوائف الدينية عندنا . ومن سوء الحظ أن الدور الفعال الذى يلعبه دائماً رجال الدين التابعون إلى هـذه الطوائف المختلفة قد تجاوز الحد وأصبح مضراً بمصلحة البلاد . ولما كانوا يخلطون بين الدين والسياسة فلا نريد أن نعقد الأمور بإدخال الدين رسمياً فى المعمعة بشكل من الأشكال ، إذ لو فعلنا ذلك لوقعنا فى ورطة عظيمة ولضعنا بين الأكثرية المارونية والروم الأرثوذكس والروم الكاثوليك واللاتين والسنة والشيعة والدروز والأرمن والبروتستانت واليهود ! » وهنا ظهرت على وجهه لأول مرة أمارات القلق الشديد وتوقف عن الحديث هنيهة ثم استرسل قائلاً :

— « إن للطوائف المسيحية المختلفة نفوذاً سياسياً قوياً بفضل رجال الدين . ولو أردنا أن نحول دون نشاطهم السياسى لعجزنا عن ذلك ؛ ولهذا رأينا المصلحة تقضى بترك هذه المسألة . ومع ذلك فان كل تعيين جديد فى الحكومة يسبب تذمراً لدى طائفة من الطوائف الدينية . آه لو كنا أحراراً — أحراراً نعمل كما يجب أن نعمل — أحراراً نعين الناس بالنظر إلى مؤهلاتهم لا بالنظر إلى أديانهم ... »

— « لعل دكتاتوراً يستطيع تسهيل أمر الحكم في لبنان؟ » فرفع يديه وكأنه مشمئز وقال :

« أنا ضد كل دكتاتورية ، أنا أؤيد الديمقراطية » وهنا توقف قليلا ثم عاد إلى الكلام بلهجة مختلفة :

« حبذا لو كان بامكاننا تطبيق النظام الديمقراطى كما تعرفونه فى انكلترا حيث لم يفرض فرضاً غير طبيعى على شعب غير مهيأ له بل كان نتيجة طبيعية للتربية السياسية وفكرة راسخة عند المواطنين الانكليز . آه ما أسعدكم فى إنكلترا وأعظم بها من بلاد ! »

وقد رافقت هـذه الكلمات أنة شديدة دلت بجلاء على صدق عاطفته

(بغداد — دار المعلمين الريفية) على حيدر الركابى

حـــواء

... ديوان شعر طريف فى الغزل العرفانى يصدره الأستاذ الحومانى تحت هذا الاسم وستقدم الرسالة لقرائها نماذج منه فى أعدادها التالية ريثما ينتهى طبع الديوان

كيف أشقى ؟؟

خبِّريني كيف أشقى وعلى ... فيكِ من روحي هذى البَسَماتُ؟
كيف أشقى، وعلى خديكِ من ... كبدى لونٌ ، ومن لثمى شِياتُ ؟
وعلى عينيكِ من لون الضحى ... حَوَرٌ تطفو عليه القُبَلات
أوَأشقى ، والهوى ملء فمى ... عَسَلاً تَنْهلُ منه الوجناتُ ؟؟
وبكفيَّ ثمارٌ أنضجتْ ... طَلعها منى شفاهٌ قَلِقات
ما السعاداتُ التى يَنشدها ... شاعرٌ حصّتْ جناحَيْه الحياة ؟
أهيَ غيرُ الحبِ ، ترعى روضَه ... من قوافيهِ مهاةٌ فمهاة ؟؟
خفقتْ روحُكِ فى آفاقهِ ... فبدا صبحٌ وهبتْ نَسَمات
وطغت فى الكون أمواج السنا ... فسرت روحٌ وخفت حركات

انت لحنى

سلبتْ عيناكِ لى ، إنهما ... كانتا رمزَ حياتى وخلودى
أستشِفُ الروحَ فى ظلهما ... فأرى بينهما سرَّ وجودي
كلما اهتزَّ على سلكهما ... ناظرى مارستُ فنى من جديد
وتولّتْ شفتى تدوينـــه ... بدمى فوق شفاهٍ ونهود
وإذا الفن طغى خفَّتْ إلى ... رسمِهِ بين عيون وخدود
كلما مرّت بها أنشودةٌ ... كنتِ من أبياتها بيتَ القصيد
كنتِ فى مطلعها زهرَ فمٍ ... وعلى مقطعها لفتة جيـد
أنتِ لحنى كلما أنشدتُها ... وإذا لحنتُها كنتِ نشيدى

الحومانى

التاريخ فى سير أبطاله

ابراهام لنــكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للاستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادى ! خـذوا معانى العظمة فى نـتها الأعلى من سيرة هذا العصامي العظيم ... ...

— ١٨ —



وكان ابراهام فى الحادية والخمسين من سنى عمره بينما كانت تتأهب البلاد لانتخاب رئيس جديد للولايات إذ كان عام ستين وثمانمائة وألف هو نهاية مدة الرئيس القائم ؛ وكان انتخاب رئيس الولايات أهم الحوادث السياسية التى تشهدها البلاد ، وإنه لأعظم خطرا اليوم وأبعد فى مصير البلاد أثرا ؛ ذلك أن الانتخاب إنما يقوم هـذه المرة على ما يشغل الناس فى أمر العبيد وفي أمر الوحدة، لهذا كان ذلك العام نقطة يبدأ منها تاريخ البلاد عهدا جديدا ويتدرج فى مسلك جديد ...

وكان الحزب الجمهوري وهو الذى ينتمى إليه ابراهام ويعد من أبرز رجاله ، أقوى الأحزاب نفوذا وأعزها نفرا ، إذ كانت مبادئه أقرب من غيرها إلى قلوب الناس فى الشمال فهو يعمل على أن يحول دون انتشار العبيد وهو يكره نظام الاستعباد ولكنه يرعى جانب الدستور فى كل ما يقول أو يعمل

أما الحزب الديمقراطى فقد هان على الناس أمره بانقسامه وتنازع رجاله ؛ ففريق من أهل الجنوب يكرهون اليوم دوجلاس لما كان منه أيام مجادلاته مع لنكولن ... أو لم يصرح إن لكل ولاية الحق كل الحق أن تقضى على نظام العبيد فيها متى شاءت ذلك ، فوقع بتصريحه هذا فى حبائل خصمه ؟ ثم إن فريقا من الديمقراطيين فى الشمال قد كرهوا منه معارضته الرئيس بيوكانون فى دستور كنساس حتى لقد فكر بعض الجمهوريين فى ضمه إلى حزبهم ! وإنه اليوم ليجنى ثمار غرسه. وهل كان له أن يجنى من الشوك العنب ؟ ... لذلك فشل الديمقراطيون حينما عقدوا مؤتمراً لهم ليجمعوا أمرهم على رجل يعدونه للرياسة وانفض مؤتمرهم وقلوبهم شتى .

وأخذ الجمهوريون يستعدون للمعركة القادمة فامتلأت صحفهم بفيض أقلامهم ، وماجت كبريات البلاد فى الشمال بمظاهر نشاطهم ومعالم استعدادهم .

فنى ربيع ذلك العام الفذ عقد الجمهوريون فى ألينواس مقاطعة لنكولن ، مؤتمراً لينظروا فى نشر الدعوة له فى الولايات ليحظى أبراهام بترشيح الحزب إياه فى مؤتمره العام ليكون رجله فى انتخاب الرياسة ! وفى ذلك المؤتمر التمهيدى الذى عقد فى مدينة ديكاتور اشتدت حماسة المؤتمرين لابراهام فما تهتف الألسن إلا به وما تحنو الجوانح إلا عليـه ؛ ولا يقتصر الأمر على المؤتمرين فها هو ذا جمع حاشد من الناس يهتف به فى شوارع المدينة ، وعلى رأس هذا الجمع ابن عم له كان يعمل معه فى شق الأخشاب قبل ذلك بثلاثين سنة ... أنظر إلى ابن عمه هذا يحمل العلم على قطعتين شوهاوين من الخشب ، وهو ينبئ الناس فى زهو أنهما من صنع أبراهام قطعهما فأسه يوم كان يعمل فى الغابة، فهو من الناس وللناس ! ثم انظر إلى وجوه القوم كيف تتهلل بشراً ، واستمع إلى ألسنتهم كيف تضيف إلى ألقاب أبراهام التى ألفوها لقباً جديداً ، فهو أبب الأمين وهو أبب العجوز وهو أبب فالق الأشجار ...

وانعقد فى الصيف المؤتمر الجمهورى العام فى شيكاغو ، وتدارس المؤتمرون طويلاً ثم أعلنوا ما اتفقت عليهم كلهم من المبادئ ، فلم تخرج عما أوضحه أبراهام فى خطبه وأحاديثه ، وقد احتشد فى تلك المدينة عـدد عظيم من أهلها ومن غير أهلها بلغ أربعين ألفا ليشهدوا هذا المؤتمر العظيم والتفت تلك الجموع حول مكان الاجتماع ...

وجاء دور الانتخاب واجتمع ممثلو الولايات لاختيار رجل يمثل الحزب جميعا ، وجرت فى القاعة أسماء خمسة أشخاص يختار منهم واحـد ، من هؤلاء لنـكولن من سبرنجفيلد وسيوارد من نيويورك ... وكان سيوارد فى نظر أهل الشمال الزعيم الحقيقى للحزب الجمهورى فهو رجل واسع الثقافة عظيم الخلق يحب بلاده ويكبرها وهو كأبراهام يمقت نظام العبيد وقد ظل يحاربه زهاء ربع قرن فى غير هوادة .

وظن الناس وشاع فيهم بادئ الأمر أن الأمر سيتم لسيوارد فى هذا المؤتمر ! وكذلك ظن سيوارد فلم يكن يحس منافسة ابراهام إياه ؛ أما ابراهام فكان فؤاده يحدثه أن النصر له هذه المرة فهو يحس فى أعماق نفسه دون أن يدرى لما يحس سببا أنه عند الناس أرجح كفة من صاحبه وأن شبه لهم غير ذلك

ولـكن القلق يساوره أحياناً وهو جالس فى سبرنجفيلد فى قاعة أحد أصدقائه من رجال الصحافة أثناء انعقاد المؤتمر فهو يقول لهذا الصديق « إنى أعتقد يا صديقى أنى سأعود ثانية إلى مكتب المحاماة وأعمل عملى فى القانون ... » ثم يعاوده الأمن برهة ويخالجه الشك برهة كما يحدث عادة فى مثل هذه الأحوال حينما ينتظر المرء عاقبة أمر يهمه ؛ وأى أمر هـذا الذى كان يتوقع إبراهام عاقبته ؟ إنه اليوم فى مفرق الطرق من حياته ، فإما إلى رسالته وإما إلى حرفته ...

لقد طال به الانتظار حتى كاد أن يسأم، ولم يأته نبأ عن المؤتمر فلينصرف إلى القراءة حيناً ، وإنه لـكتاب شمر لبيرنز ، هذا الذى يقلب صفحاته ، ويقرأ كما يقرأ المرء فى مثل تلك اللحظات بعينيه أكثر منه بعقله ؛ ولـكنه يدع الـكتاب ليفكر وليتنازع فؤاده الشك واليقين ...

والمؤتمر منصرف إلى عمله فى شيكاغو يفتتح فى رواية البلاد فصلاً جديداً سوف يترتب عليه كل ما يليه من فصول ...

والناس من حوله يموج بعضهم فى بعض ، وهم يتساءلون لمن يكون النصر ؟ فيؤكد هذا بأن النصر لسيوارد فى إشارة حازمة ولهجة جازمة، فيقبل عليه جماعة منهم فرحين؛ ويصيح ذاك : كلا بل النصر لفالق الأخشاب . فيتهافت عليه كثيرون ...

وتعلن نتيجة الدفعة الأولى للولايات فإذا سيوارد يزيد على إبراهام بسبعين صوتاً وصوت ، فيهتف أنصار سيوارد ويكتئب أصحاب ابراهام ... وتعلن الدفعة الثانية فاذا ابراهام لم يبق بينه وبين سيوارد سوى ثلاثة أصوات ... ويسود الصمت فى جنبات المؤتمر وقد علقت الأنفاس وشخصت الأبصار وخفقت القلوب وتأهب رجال الصحافة لتلقى النبأ الأخير . وما هى إلا لحظة حتى يرتفع صوت باسم لنـكولن، فهبت فى المكان عاصفة هائلة من الهتاف والتصفيق تجاوبها خارجه عاصفة أشد منهـا قوة وأطول أمدا إذ يظل الناس يتعانقون ويتصايحون ويقذفون بقبعاتهم فى الهواء ويتواثبون ويرقصون زهاء ربع الساعة كأنما مسهم طائف من الجنون ...

وابراهام فى غرفة صاحبه فى سبرنجفيلد يوجس خيفة فى نفسه طوراً ، ويثق فى النصر طوراً ، وحوله جماعة من أنصاره ينتظرون كما ينتظر ، وإنهم كذلك إذ يقبل شاب من مكتب البرق يحمل رسالة ويطفر بها كما يطفر العصفور من المرح ويقبل على ابراهام فيحمل إليه النبأ السار، ثم يهيب بالحاضرين أن يهتفوا ثلاث مرات لأيب الأمين رئيس الولايات المقبل ...

ويقبل على ابراهام صحابته وفى مآقيهم دموع الفرح وعلى ألسنتهم ما لا يفى بالتعبير عما فى قلوبهم من معانى الابتهاج ، وهو منشرح الصدر مثلج الفؤاد ولـكنه واقف بينهم معقود اللسان لايجد من الـكلام مايفصح عما فى نفسه، وبعد برهة يقول لهم : « إن امرأة صغيرة قصيرة هنالك فى بيتنا يسرها أن تعلم هذا النبأ. يقول ذلك ويمضى مسرعاً إلى مارى فيفضى إليها بأجل وأبهج ما انفرجت عنه أمامها شفتاه ...

ويأتى بعد ذلك وفد من قبل الحزب يعلن إليه رسمياً نتيجة الانتخاب فيلقاهم ابراهام فى داره ، فما يبرحونها إلا وقد ارتبطت قلوبهم بقلب ذلك الرجل العظيم ... وهكذا يظفر ابراهام لنكولن

فالق الأخشاب بتأييد أكبر حزب في البلاد ... هكذا يظفر النجار ابن النجار فيصبح رجل الساعة ومناط الرجاء في قومه

ولبث ابراهام نحو أربعة أشهر في سبرنجفيلد حتى حان موعد الانتخاب للرياسة ، لبث في المدينة هذه المدة فما عهد عليه أحد من أهلها أدنى تغير عما كان عليه ، فهو في الناس فرد منهم وإن كان بسبيل أن يذهب عما قريب إلى البيت الأبيض ... وهل كان مثله يتغير حتى بالذهاب إلى هذا البيت العتيد ؟ وهل كانت عظمته إلا منبعثة من نفسه حتى يتكبر أو يطغى ؟ إنما هو من الناس وللنـاس ولسوف يظل أول خادم لهم حتى تزهق روحه في سبيل مبدئه ...

وظلت سبرنجفيلد أياما في ابتهاج ومرح وابراهام يلقى الوفود في داره خافضا لهم جناحه باذلا لهم من وده وحبه أكثر ممـا يبذلون وهم معجبون برجلهم الذى استحق محبتهم وظفر بتأييد كبارهم وتعظيم صغارهم ... يعجبون منه بكل شيء وخاصة ذلك التواضع الذى يبدو رائع الجلال باهر الجمال ... لقد أحاطوا بداره ليلة مجيء الوفد وطلبوا إليه أن يخطبهم فأطل عليهم قائلا « أى مواطنى ! توجد لحظات فى حياة كل سياسى حينما يكون خير ما يفعل أن يحتفظ بشفتيه مضمومتين؛ وإنى أحسب أن مثل تلك اللحظات قد حانت الآن بالنسبة إلى »

ولـما ضاقت بالوفود داره جعل لقاء الناس فى قاعة من مقر الحكم للمدينة ، ولا يرد عن مجلسه أحداً ، ولا يأخذ الحيطة من أحد ، فإذا سأله شخص عن أمر فى السياسة ناقشه فى هدوء أو أعطاه نسخة من مجموعة خطبه ؛ وهو يذهب بنفسه إلى مكتب البريد فيحضر رسائله المتعددة التى تأتيه من كل فج فيفضها ويقرؤها ويرد على ما يتطلب الرد منها إما بيده أو بيد كاتب قد اتخذه له منذ قريب ...

ولقد سخط الناس فى الجنوب على اختيار رجال حزبه له ؛ وأصابهم من ذلك كرب شديد وضيق ، وراحت صحفهم تناله بفاحش الهجاء، فهو تارة الجمهورى الأسود، وآونة فالق الأخشاب الجاهل ، وأحياناً الرجل الذى لا يحسن إلا النكات الخشنة السفة ، وطوراً الشبيه بالنورلا ؛ وهو يقابل ذلك كله بالصبر الجميل مترفعا ترفع الكرام عن جهل اللئام ... ولم يحدث منذ تألف الاتحاد أن قامت العداوة والبغضاء بين أهل الجنوب وأهل الشمال مثلما قامت بينهم عقب اختيار الجمهوريين لنكولن

أما أنصاره فما فتئوا يثنون عليه فى صحفهم وأحاديثهم ويدفعون عنه مكر أعدائه ويدحضون أباطيلهم ؛ وضرب سيوارد للناس مثلا طيبا فكتب فى إحدي صحف نيويورك يثنى على ابراهام ويهنئ البلاد باختياره هذا ويتمنى له الفوز فى المعركة الأخيرة ...

وظل هو فى سبرنجفيلد لا يتكلم عن نفسه ولا يأبه لـما يتقول عليه أعداؤه ؛ أما عن أنصاره فكان يرتاح إلى دفاعهم وإن كان ليتبرم بينه وبين نفسه بما يزجونه إليه من عبارات المديح والإطراء . وما فتئت الكتب تأتى إليه من انحاء البلاد وهو يجيب عنها غير متخلف ولا مبطئ ؛ ومن أجمل تلك الكتب وأغربها كتاب جاءه من بنت صغيرة تستفهمه فيه عن أسرته وتطلب إليه أن يطلق لحيته. ولقد ردعليها بهذا الكتاب قال : «أى فتاتى الصغيرة العزيزة : تلقيت كتابك الجدير جدا بالقبول ، المؤرخ فى ١٥ من اكتوبر عام ١٨٦٠ ، وإنى آسف أن أرانى مضطرا إلى إخبارك أنه ليس لى ابنة ... إن لى ثلاثة بنين عمر الأول سبعة عشر عاما والثانى تسعة والثالث سبعة ، ومن هؤلاء ، وأمهم معهم تتألف أسرتى كلها .. أما عن إطلاق لحيتى ، أفلا ترين ، ولم تكن لى من قبل لحية ، أنى إذا أطلقتها الآن إنما آتى بذلك ما يعـد ضربا من التكلف السخيف ؟ ... هذا وإنى لك الصديق الوفى المخلص. ا . لنكولن » ...

وهبت من الجنوب الشائعات بالنذر ، فلقد ازدادت الدعوة إلى الانسحاب من الاتحاد ، وإلى إعلان التمرد والعصيان إذا قدر أن ينتخب لنكولن رئيسا للولايات؛ ونمى إليه فيما نمى من الأنباء أن أهل الجنوب يطاردون بالقوة كل من يدعو إلى تحرير العبيد فى ولاياتهم . على أن أعظم ما أزعجه يومئذ ما أفضى به إليه قائد من القواد من أنهم فى الجنوب يعدون معدات القتال ! ... لقد ارتاع ابراهام لذلك وأحس بميل شديد إلى معرفة كل شيء ولكنه يشعر ، ولم ينتخب للرياسة بعد ، أن ليس له حق فيما هو فيه من الاستطلاع فيطلب إلى ذلك القائد أن يتبين قبل أن يزيده علمـا بما يجرى فاذا لم يكن فى الإفضاء بما يعلم خيانة فليفض به وهو يترك الحكم فى ذلك له ...

(يتبع) الخفيف

الفروسية العربية

للميجر كلوب

ترجمة الأستاذ جميل قبعين

— ٣ —

ومن أشهر الحكايات ما جاء في التوراة عن سيدنا ابراهيم الخليل (بينما هو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار — رفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه ، فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد على الأرض وقال يا سيد إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك . خذوا قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة ، وخذوا كسرة خبز لأنكم قد مررتم على عبدكم. فقالوا هكذا نفعل كما تكلمت . فأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة وقال اسرعي بثلاث كيلات دقيق سميد اعجني واصنعي خبز ملة ثم ركض إبراهيم إلى البقر ثم أخذ عجلاً رخصاً وجيداً وأعطاه إلى الغلام فأسرع ليعمله . ثم أخذ زبداً ولبناً والعجل الذي عمله ووضعها قدامهم وإذ كان واقفاً لديهم تحت الشجرة أكلوا) وأرجو أن ألفت نظركم إلى أن سيدنا إبراهيم عند ما دعا هؤلاء الجماعة لم يكن يعرف من هم وقد طلب منهم أن يتناولوا شيئاً من الخبز والماء قائلاً « إن وجدت نعمة في أعينكم » وهذا دليل على أنهم يرفعون من شأنه بتناولهم الطعام عنده ، ونراهم جلوساً بانتظار الخبز والماء ولكن نراه يقدم لهم عجلا وزبداً ولبناً بدل الذي دعاهم إليه . ثم يقف بين أيديهم لخدمتهم . فالبدوي يقدم آخر شاة عنده طعاماً لضيف غريب، وهذه هي عادتهم التي ساروا عليها من قرون طويلة. وأظن أن أخبار حاتم الطائي معروفة لديكم إذ أنه بعد أن ذبح جميع ما يملك من ماشية وإبل لإطعام الفقراء من قبيلته في سنة محل ذبح لهم فرسه وهي آخر ما يملك . ومن التتبع أن يقف عبيد الشيوخ على باب الخيمة منادين على الطعام . وقد لقب الناس ابن مهيد أحد شيوخ عنزة « بالمنادي على الطعام » لأن عبيده كانت تنادي الناس يومياً إلى الطعام في سنة قحط

إن العيب كل العيب في نظر البدوي أن تطعي طعاماً يكفي لضيوفك فقط ، وحتى في رمضان عندما تكون القبيلة بأجمعها صائمة ترى أنهم ينحرون ثلاثة أو أربعة خراف لإطعام بضعة أشخاص مع علمهم بأن بقية الطعام ستذهب سدى . ولقد تعدى كرم البدوي الانسان إلى الحيوان . ويروى أن عنترة نحر في يوم زفافه مئات الإبل ورماها في البراري لتشاركه الوحوش في فرحه . والبطل السوري مقري الوحوش كان يطلق في البرية كل ما يربحه من غزواته لأنه كان يطلب المجد لا الكسب . وأنا شخصياً أعرف شخصاً اسمه « ممشى الديب » كان يربط جدياً في البرية عندما يسمع ذئباً يعوي قائلا : « لا ينادبني ضيف في المساء دون أن يتناول الطعام » . لقد دعوت أنا شخصياً منذ مدة سمو الأمير عبدالله أمير شرق الأردن إلى وليمة بقرب وادي موسى — بتراء، وقد حضر ما يقرب من ٥٠٠ شخص من الفلاحين للسلام على سموه ، ولم أكن أتوقع حضور مثل هذا العدد، ولكن رجالي وكلهم من البدو لم يكونوا مستعدين أن يعرضوا أنفسهم لألسنة الفلاحين الجارحة ، ولذلك فان الطعام الذي طهي كان فضلا عن كفايته لاطعام الخمسمائة شخص فقد قدموا رزاً مسلوقاً وزبدة إلى مطايا الزائرين

حماية الضعيف

وبالاضافة إلى الثلاث الخصال التي تتصف الفروسية بها يوجد طبع آخر في البدو يحمل نفس الطابع الخيالي الذي اتصفت به عاداتهم الثلاث (المجد في الحرب . احترام المرأة . الكرم) التي سبق أن ذكرناها — وهو حماية الضعيف . فعند ما يلتجئ غريب أو أرملة أو يتيم إلى بدوي تراه يدافع عنه حتى ليقاتل أقاربه لأجله. فمثلاً حرب البسوس التي وقعت منذ ألف وثلاثمائة سنة عند ما أطلق كليب وائل — كبير شيوخ معد — سهماً على ناقة لخالة جساس أخي جليلة زوجة كليب فقد ذهبت تلك العجوز إلى جساس وروت له الحادث ، فما تمت رواية قصتها حتى قام ولبس ملابس الحرب وذهب وقتل كليباً . ويقال إن حرباً دامت أربعين سنة بين الفريقين المتحاربين كانت نتيجة لهذا الحادث . وقد وقع مثل هذا الحادث في قبيلة الرولا — إذ طلب شيخ من عجوز من قبيلة الشرارات وهي قبيلة تحتقرها بقية القبائل بتخذ رجالها صناعة النحاس مهنة لهم ، فاستجارت العجوز بابن مشهور الشعلان الذي أنجدها حتى أطلق على نفسه في الحرب

« أخو ربدة » اسم المرأة التي استجارت به زيادة في تمجيد عمله العظيم . ومن عادات البدوى نجدة من يلتجئ إلى الخيمة. وبهذه المناسبة أود أن أذكر حادثاً وقع معى شخصياً عند ما ثار فيصل الدويش مع قبائل مطير على ابن سعود لحاربهم وانتصر عليهم وقد أرادوا الالتجاء إلى العراق عند ماطاردتهم الجيوش السعودية، ولكن أوامر مشددة صدرت إلى بمنعهم من الالتجاء إلى العراق . وقد تمكنت من إيقافهم فى موقع وبقيت فى انتظار وصول الجيوش السعودية لسوقهم. وفى ذات يوم بينما أنا فى خيمتى إذا برجل — وهو أحد زعماء العجمان — يدخل الخيمة ويصيح: أنا أطلب الحماية — وكان هذا الزعيم من المكروهين والمغضوب عليهم من ابن سعود — لقد كان موقفاً حرجاً ومحيراً إذ أن عادات البدوى تقضى بحماية الرجل، وأوامر حكومتى تقضى بعدم السماح لأحد من المرور إلى العراق . ولكننى فى النهاية قررت أن أتبع تقاليد البدو فأركبته جملا وأفهمته أن يتوجه إلى قبيلة عراقية ساكنة بالقرب منا . لقد كنت أظن أن هذا الحادث قد انتهى وأن ابن سعود لن يسمع به . ولكن راعنى أن قدمت فى صباح اليوم التالى أربع سيارات سعودية تحمل وفداً برياسة سكرتير ابن سعود الخاص للاحتجاج على عملى بتهريب الرجل . ولكنى بلطف صرفت ذلك الوفد . وبعد فترة عاد الوفد يحمل كتاباً شديد اللهجة حول تصرفي — لقد تحرج موقفى إذ أن أوامر حكومتى كانت صريحة ولكنى صممت على أن أبقى أميناً على عهدي مع الرجل . لم أجد لى مخرجا من هذا الأمر إلا بأن أفهمهم الحقيقة . وقد فعلت . طلب ابن سعود من الحكومة العراقية بعدئذ تسليم جميع اللاجئين ولكنه لم يشر بحرف إلى رجلى . إن العرب صلاب أشد الصلابة فى المطالبة والمدافعة عن حقوقهم ، ولكنك إذا التجأت إلى كرمهم فلن يخيبوا ظنك . وهذه قصة سمعتها من شاب ساكن مع بنى صخر فى شرق الأردن أصله من البلاد الواقعة قرب الخليج الفارسى — قال : قام الوهابيون وكنت معهم بهجوم على بنى صخر فقتلنا منهم وقتل منا خلق كثير. وفى تلك الموقعة أصبت بجراح وأغمى على حتى لم أفق إلا فى صباح اليوم التالى أمام خيام بنى صخر . قمت أتحامل على نفسى حتى قربت من بيت شعر وإذ برجل ما كاد يرانى حتى أطلق على عيارين ناريين — وكان قد فقد أخاه فى معركة الأمس — ولكن الغضب والحقد أعمياه فأخطأنى . حينئذ أسرعت حتى دخلت الخيمة فما كان منه إلا أن رمى بندقيته وأقبل يغسل جراحى .

ومن عادات البدوى التمسك بالصداقة والاعتراف بالجميل. فى يوم من الأيام اقتتل ابن على وابن رشيد من شيوخ قبيلة شمر فطرد ابن على ابن رشيد مع أخيه من القبيلة ، ترك الاخوان القبيلة ومعهما جمل واحد قاصدين البلد المعروف اليوم بشرق الأردن وفى طريقهما نزلا ضيفين على الخريشة فأكرم العبيد وفادتهما إذ كان الشيخ غائباً . وفي صباح اليوم التالى تهيآ للسفر فوجدا أن جملهما قد نفق . فسارا على الأقدام ، وفى الطريق قابلهما بدوى فسألهما عن حالهما فأخبراه بواقعة الحال ، فنزل عن جمله وقدمه إليهما قائلا : أنا الشيخ ولن يضيفني إنسان راكباً ويترك منزلى راجلا . وعند ما عاد ابن رشيد إلى الحكم بقيت الخريشة صديقة معززة مكرمة . ومن الصفات التى يفتخر العرب بها الأمانة ، وقصتنا هى حادثة السموأل الذى ضحى بولده على أن يسلم الدروع التى ائتمنه عليها امرؤ القيس . منذ سنين قليلة مضت أغار عودة أبو تاية حليف لورنس على عنزة وكانت الغلبة لعودة، وفى أثناء المعركة رمى شخص نفسه على عوده يطلب الأمان ، فأمنه ، ولكن الرجل طلب علامة يدرأ بها الخطر عن نفسه فأعطاه عوده كوفيته ونزل إلى المعركة حاسر الرأس. ومرت السنون وإذا برجل غريب يقدم نفسه إلى عودة قائلا : إن لك عندى قطيعا من الماشية . فسأله عودة عن ذلك فقال : إنني الرجل الذى أعطيته كوفيتك فى الموقعة الفلانية وقد بعتها واشتريت بها ماشية وتكاثرت وهأنذا أقدمها لك . إن عودة كان قد نسى ذلك الرجل وكان العداء لا يزال على أشده بين القبيلتين

(يتبع)

جميل قبعين





رسالة الشعر

وحي الشاعرية

نفســـية

للأستاذ حسن القاياتى

ظمآنُ لو شئتَ وردْ … لولاك يا نيـــل اتقَدْ
بَرْدُ الحنايا (1) رشفةٌ … للنيـــل تستلُّ الكمدْ
للنيلِ من حيث اغتديَ … قلبى ومن حيث اعتمدْ (2)
كم صفَّدُوه (3) فاصطفَوْا … للنيل مُفْتَنَّ الصَّفَدْ (4)
جنَّاتُ علمٍ روَّضتْ … فى مصر جنَّاتِ الرَّغَدْ
لَهفى لمصرِ جنّةً … ليستْ تُناغَى بالرَّشَدْ ! (5)
البرُّ فينا لمحةٌ … والغيُّ جيَّاشُ المَدَدْ
غرَّدتُ حتى شفنيَ … مَنْ يرتمى طيرَ الفَرَدْ (6)
عصرُ المُرَجَّى شدَّما … يمشى إليه فى الزَّرَدْ (7)

***

شكوايَ وثّابُ الهوى … فى النيلِ خوّارُ الجلَدْ
نَذْلُ التبارى (8) يعتلى … بالغىّ طمّاحَ الأمَدْ !
غَنَّيْتُ بالعلم احتفَى (9) … والتعْتُ للجهلِ (10) احتشَدْ
إن يهذِ غِرٌّ بالعُلَى … فالهزلُ رُؤيا من رَقَدْ
بدعان مِنْ حَلْيِ النُّهى … تفويفُ شعرى والغَيَدْ (11)
نمَّقتُ جنَّاتِ النَّدى … فاختالَ فيها من جَحَدْ

كم جَفَّ (1) رِفْدٌ بذْلُهُ … كاللئم لم يُنْقِلْ أحَدْ
إنْ تَعْلُ دُونى رَغوةٌ … فالنيل فيَّاضُ الزَّبَدْ
صَلَّيتِ (2) حلوَ المجتنَى … يا مصرُ حرَّ المُجْتَلَدْ (3)

***

مَن لابن علياء ابتنَى … للوغد مجداً فاقتعَدْ ؟؟ (4)
لم يَحْنِ فيما يشتهى … من رأس أوّابٍ سجدْ
إن لم تَسُدْ بى عِزَّةٌ … فالدُّرُّ يخزى من زهَدْ
النَّدْب يخفى حِليةً … كالروح يخفيه الجسدْ
عصرٌ تغنَّى فازدهيَ … بالجهل أزرى إذ خلَدْ
يَبْنون لَغْواً كم (5) علاَ … كالنعش فاستلَّ الحسَدْ
النُّبْلُ هَلاَّ يُفتَدَى … والهون أنَّى يُفتقَدْ ؟؟ (6)

***

حَسْبُ التحدِّى يرتقى … للسيِّدِ البرِّ السَّنَدْ
ذَمَّ التجنِّى فانثنَى … برَّ التمنِّى وانفرَدْ
أسْوانُ (7) لو كان اشتفَى … حرَّانُ لو كان ابتردْ
لم يَحْلُ ظبىٌ أو مُنىً … إلاَّ تهاوتْ أو شرَدْ
الذُّلُّ يغريه الهوَى … والعونُ يأباه الصَّيَدْ (8)

(1) الحنايا : هى حنايا الضلوع (2) اعتمد : ذهب ، وقصد
(3) تصفيد النيل : يكنى به عن إقامة القناطر والجسور فى سبيله
(4) الصفد محركة العطاء والرفد (5) المناغاة : كناية عن الفوز بالجنة وتطلبها (6) الفرد محركة : التفريد (7) الزرد : يراد به مشى العصر فى آلة القتال (8) التبارى : التسابق والمساماة
(9) الاحتفاء : الاجلال والتكريم (10) التعت : من اللوعة وهى الأسى
(11) الغيد محركة نعومة الحسن ورقة الجمال، والغيد كذلك سمة العيون

(1) جف الرفد : ذهب المعروف والعطاء ، وغاض ماء الخير والبذل
(2) صلى النار: لقى حرها وذاق حرارتها (3) المجتلد : الجلاد والقتال
(4) اقتعد : جلس وامتلك (5) اللغو الباطل الذى لا قيمة له
(6) يفتقد : يطلب ، ويعنى به (7) أسوان : هو الحزين مثل الآسى
(8) الصيد محركة : الأباء والأنفة

الجورُ إمّا ناهِــدٌ(١)   فى الجيش أو صـدر نَهَدْ

***

مَلَّ التَّشكيِّ ســيداً   مَلَّ التشكىِّ فاقتَصَدْ

كالحسن لو شاء استبَى   كالعلم لو شـاء انتقدْ

سُنَّ التسامى فانبرى(٢)   وانهـلَّ رِفدٌ فابتعدْ

ليت المزايا طَلْقَةٌ(٣)   من وَدَّ فتَّاناً وجَدْ

الحسن من شـاء انتقَى   والرأى من شاء اعتقدْ

لو رق حسنٌ لم يَذُدْ   عن كل ظبى بأسدْ !!

الحرُّ سَـلْهُ ما ارتأى   والغِرُّ سَلْهُ ما عَبَدْ ؟؟

***

أهلاً بشورى لا الهوَى   أحيت ولا الشَّغْبُ اتّحَدْ(٤)

الشعبُ طفلاً قلما   تهاه شورى عن لَدَدْ(٥)

للرأى فانْهَدْ وحدَهُ   العـزمُ عنـد المُعتقَدْ

لا حُرَّ فى أرض الفتى   سموه بالفرد الصَّمد !!

حُرُّ المساعى سـيدٌ   حُرُّ المنى حُرُّ البَـلَدْ

السكرية — دار القاياتى   حسن القاياتى

---

(١) الناهد: البارز سمى النهد لبروزه ونهوده (٢) انبرى: تعرض وأقبل
(٣) طلقة: طليقة يراد بها أن تكون مباحة لمن يريد
(٤) الشغب بالسكون ، الفتنة وإثارة الشر ، أما اتحد فهو من الاتحاد والتواعد للشر خاصة وقيل: للخير كذلك (٥) اللدد: الخصومة والعداء

قصيدة القاياتى

وقع تحريف مطبعى فى أبيات قليلة من قصيدة السيد حسن القاياتى «مصريات» المنشورة فى العدد الماضى ، تثبت صوابه فيما يأتى :

باسم الولاية كم شيخ مراشفه   على يَدَيْ كل «سبّاك وسبكى»

أعمل حجاك فما أحرى بنيّره   أن يُجلِسَ الله فى العرش الإلهى

ذم القديم فما أصفى بتكرمة   سوي عقيد العُلى من كل عاديّ

فى معهد العصر أبناء أبوّتُهم   فى معهد الدين ألغَوْا كل عصرى

تلك الكئوس عُقاراً كيف يجرعها
من يرهن النيلَ فى الدَّين العقاريّ

الأمر يبرم مِبريًّا فتلهمه   منابتُ الغىِّ من بادٍ وسرّيّ

نجوى القمر

للأستاذ فريد عين شوكه

لَمْلِمِ الضـوءَ يا قمرْ   وامْضِ عن مصر فى خفر

قلَّ فى مصر من سعى   لك فى الليل أو سهر !

إنما أنت فى القرى   باعث الأنس والسمر

تضحك الدور إن بدا   نور عينيك وازدهر

وتُجلى بك الحقو   لُ ويزهو بها الزهر

وبنو الريف ساهرو   ن وما أطيب السهر

تخـذوا ضوءك الأبا   ريق والكأس والوتر

فانتشوا منك بعدما   شربوا الضوء بالنظر

تسكر العين بالجما   لِ ويا ويل من سكر

***

هيه يا باعث الجوى   هل عن الريف من خبر ؟

هل ترى مجلس الهوى   باقياً فيـه أم دَثَرْ ؟

وحبيبى ! أما يزا   لُ على العهد ؟ أم غدر ؟

هدِّئ القلب بعدما   لُحتَ للقلب فاستعر

ضوءك الساحر الرُّؤى   بين جفنىَّ كالشرر

حرّك الماضىَ الدفيـ   ـن وأغرى بىَ الفِكَرْ

يوم كنا ويوم كا   نَ بك الريف يزدهر

أمسيات تناثرت   والصبا بعدها انتثر

وطفت موجة النوى   ودنت ساعة الخطر

فافترقنا وباعدت   بيننا ضربة القَـدَر

فريد عين شوكه



النهوض باللغة العربية

اجتمعت اللجنة التي ألفت للنظر في النهوض باللغة العربية بديوان الوزارة برياسة الأستاذ محمد عوض ابراهيم بك الوكيل المساعد وعضوية الأساتذة محمد أحمد جاد المولى بك وعلى الجارم بك ومحمد قاسم بك ومحمد عطية الابراشي أفندي ومحمود عبد اللطيف أفندي والشيخ عبد المجيد الشافعي

وبعد أن اطلعت اللجنة على التقارير التي كتبت في هذا الصدد وتبادلت الأفكار وناقشت المقترحات وافقت على ما يأتي :

أولا — إن الطلبة ليسوا ضعافاً في اللغة العربية إلا بمقدار ما يراد أن يكونوا عليه من تقدم يناسب ما عليه أبناء الأمم الأخرى ذات اللغات الحية، وإن الطلبة قد تقدموا تقدماً ظاهراً في الكتابة والخطابة لا يفضلهم فيه أسلافهم من الطلبة

ثانياً — لتنمية هذا التقدم ومجاراة روح العصر الحديث والنهضة باللغة العربية لتؤدي واجبها في هذا العصر ينبغي أن توجه إليها العناية من الطفولة في أوساط التربية والتعليم المختلفة لتكون لغة النطق والكتابة والتعليم ولهذا نظرت اللجنة في وضع قواعد عامة تتناول مراحل التعليم كلها وفي وضع قواعد خاصة لكل مرحلة من مراحل التعليم الأولى والابتدائي والثانوي . وتجمل اللجنة ذلك في ما يأتي :

القواعد العامة

ترى اللجنة أن نشر اللغة العربية وجعلها لغة التخاطب والتعليم بين الطبقات جميعاً لا يكون حقيقة واقعة إلا إذا تمت الواجبات الآتية:

١ — محو الأمية بنشر التعليم الأولى بين الأميين الذين يبلغون أكثر من ٨٠ ٪ من أبناء الأمة لأن المشاهد أن التعليم كلما نهض نهضت معه اللغة الصحيحة وأقبل الناس على القراءة والاطلاع وهذا مما يقوم الألسنة

٢ — أن تكون كتب القراءة العربية مما يشوق التلاميذ ويحبب إليهم الاطلاع ومداومة النظر وأن تكون من الكثرة وحسن الاختيار بحيث تغذى التلاميذ وتصرفهم عن غيرها مما يحسن ألا يتناولوه إلا في ظروف خاصة

٣ — أن يكلف المدرسون النطق باللغة الصحيحة سواء في هذا مدرسو اللغة العربية ومدرسو المواد الأخرى التي تدرس بها وأن يحاسب هؤلاء جميعاً على كل تقصير حتى يشب التلاميذ في بيئة مدرسية صالحة تعوضهم مما يفقدونه في البيئات الخارجية

٤ — أن تزاد حصص اللغة العربية في مراحل التعليم

٥ — أن يؤخر تعلم اللغات الأجنبية إلى ما بعد السنة الثانية من التعليم الابتدائي ليكون للأطفال وقت كاف لدراسة اللغة العربية واستعداد لتلقي غيرها معها. وقد أجمع علماء التربية على أن دراسة لغتين في وقت واحد وفي سن مبكرة مما ينتهي بالضعف فيهما جميعاً. ويجب أن يكون بين دراسة لغة وأخرى فترة كافية من الوقت وأن يبدأ الأولاد دراسة لغتهم الوطنية وإجادتها أولاً وقبل كل شيء

٦ — ألا يقبل بالرياض من كانت سنه أقل من خمس سنوات ولا يقبل بالتعليم الابتدائي إلا من كانت سنه ثماني سنوات ليكون الأطفال أقدر على التعلم والانتفاع بالدراسة والاستعداد لها مع صحة أجسادهم ونمو أفكارهم

٧ — أن يعرض ما يقرر من الكتب قبل طبعه على لجان من أساتذة اللغة العربية لإقراره ونفي ما تراه من الألفاظ العامية والأعجمية التي تشوه اللغة وتفسد النطق وتنشر الخطأ

٨ — ومما يدعو إلى مضاعفة العناية ما تشعر به اللجنة من أن مكتبة التلميذ العربية فقيرة أشد الفقر ليس فيها ما يحبب إليه المطالعة والأدب وأنها إذا قيست بمكتبة الأطفال في الأمم الحية لم تكن شيئاً مذكوراً . ومن الواجب المبادرة من الآن بامداد المكتبات المدرسية حتى تنهض وتقوم بقسطها في الحياة المدرسية

مشروع وزارة المعارف العراقية لتعزيز تعليم العربية

رأت وزارة المعارف العراقية أن تأخذ بمشروع مهم لتعزيز تعليم اللغة العربية في المدارس . ولما كان أساس الموضوع يتصل

بالمعلمين فقد اختطت الخطة الآتية :

١ — ستختار أكابر الأساتذة الاختصاصيين فى تعليم اللغة العربية وآدابها للتعليم فى دار المعلمين العليا فى بغداد ، وهؤلاء الأساتذة يستخدمون من خارج العراق

٢ — ستختار أساتذة ضليعين فى اللغة وآدابها وتعليمها لدار المعلمين من الخارج أيضاً

٣ — ستستخدم جماعة من الأساتذة القديرين لتعليم العربية وآدابها فى المدارس الثانوية الكاملة فى أنحاء القطر العراقى بالاستعانة بأساتذة الأقطار الأخرى

٤ — سيؤسس فرع خاص فى دور المعلمين الابتدائية للغة العربية وآدابها يختار لها الطلاب ذوو المواهب الأدبية ويدرسون اللغة وآدابها بمنهج خاص (بجانب دراساتهم مواد دور المعلمين) ويرسم لهم اختصاصات معينة ليصبحوا بعد تخرجهم أساتذة مختصين لتدريس العربية وآدابها .

وبمقتضى هذا المشروع ستحتاج وزارة المعارف العراقية هذه السنة لاستخدام جماعة من أساتذة العربية وآدابها من الأقطار الأخرى ولاسيما مصر حيث يتوفر فيها وجود مثل هؤلاء المدرسين المطلوبين

محاضرة عن مصر القديمة فى لندن

ألقى المستر امرى العالم الأثرى الذى اكتشف ضريح السلالة الفرعونية الأولى فى سقارة محاضرة أمام الجمعية الآسيوية فى لندن قال فيها : « من المحتمل أن تنقضى أعوام عديدة فى الدرس والتحليل والمقارنة قبل أن نصل إلى إدراك نهائى لمعانى الرسوم الهيرغليفية المنقوشة على سبعمائة إناء صغير وجدت فى هذا الضريح . فاذا أمكننا قراءتها وإيضاحها أرسلت شعاعاً نيراً مهماً على أحوال السلالة الأولى التى قل ما نعرفه عنها . أما حفر مقبرة سقارة فتم فى أقل من عشر سنوات

ثم أشار المحاضر إلى احتمال العثور على اكتشافات أهم من هذه فى المكان عينه . وقال : « أكاد أكون على ثقة بأننا سنجد ضريحاً ملكياً كبيراً . ونحن لم نكشف حتى الآن إلا جزءاً صغيراً من تلك المنطقة »

الإمام الإسفرايني وأبو حيان التوحيدي

ذكر فى الجزء السابق من (الرسالة) الفراء أبو حامد أحمد ابن أبى طاهر الأسفرايني [١] ، ورُوِي له قول فى الجدل . وفى الرواية شيء رأيت التنبيه عليه :

راوى المقالة هو أبو نصر عبد الوهاب السبكى صاحب (طبقات الشافعية الكبرى) وقد قال فيها فى سيرة الامام الأسفرايني « قال أبو حيان التوحيدى سمعت أبا حامد يقول الخ » فإن كان السبكى يقصد أبا حيان التوحيدى صاحب المقابسات والصداقة والصديق والامتاع والمؤانسة فقد وهم فيما حكى ؛ واليقين أن صاحب أبي حيان هو أبو حامد أحمد بن عامر المرْوَرُّوذى [٢] وقد ذكر السبكى نفسه فى طبقاته أن « أبا حيان تفقه على القاضى أبى حامد المروروذى » وفي (بغية الوعاة) للأسيوطى : « قرأ أبو حيان على أبى حامد المروزوذى » وقال ابن خلكان فى « الوفيات » فى سيرة أبى حامد هذا : « قال أبو حيان التوحيدى سمعت أبا حامد المروروذى يقول : ليس ينبغى أن يحمد الانسان على شرف الأب ولا يذم عليه كما لا يحمد الطويل على طوله ولا يذم القبيح على قبحه » وإنما ورّط السبكى فى روايته التقاء الكنيتين والاسمين واتحاد المذهبين فكلاهما فقيه شافعى ، وكلاهما إمام وهما فى عصر واحد وإن سبق أحدهما إلى الدار الأخرى صاحبه ، فوفاة المروروذى سنة (٣٦٢) ووفاة الاسفرايني سنة (٤٠٦)

وإذا ثبت أن مقالة الجدل للاسفرايني كان أبو حيان التوحيدى غيرَ ذاك الخبيث الشيطان صاحب (مثالب الوزيرين) : ابن العميد والصاحب « وقد تلتقى الأسماء فى الناس والكنى كثيراً » كما قال الفرزدق

وأقول ما دمت فى التنبيه والاصلاح : جاء فى (قصة الكلمة المترجمة) فى الجزء (٢٦٠) : « وقد ذكر ابن الططقطى فى كتابه الآداب السلطانية والدول الاسلامية » صوابه ابن الطقطقى ، الطاء قبل القاف

(**)

كتاب جديد عن فلسطين

ظهر كتاب جديد عن فلسطين بعنوان « سرج فارس فقير » لمؤلفه دوجلاس دف وقد نشرته دار هربرت جنكنز

ولعل أهم ما يستوقف الأنظار فيه الاقتراح الذى يقترحه

(١) نسبة إلى أسفراين بلدة بخراسان وهي بكسر الهمزة وسكون السين وفتح الفاء والراء وكسر الياء (ابن خلكان)

(٢) نسبة إلى مروروذ — بفتح الميم وسكون الراء وفتح الواو وتشديد الراء المضمومة وهى مدينة مبنية على نهر والنهر بالعجمية الرون وهى أشهر مدن خراسان (ابن خلكان)



المعجم القضائى

تأليف الأستاذ خليل شيبوب

هذا سفر آخر ينضاف إلى « معجم النبات » للدكتور أحمد عيسى و « معجم العلوم الطبيعية » للدكتور شرف و « معجم الحيوان » للدكتور الفريق أمين المعلوف ليهيئ اللغة العربية إلى مجاراة الحضارة الثقافية لهذا العهد

إن اضطراب شأن المصطلحات فى لغتنا أمر معروف . ولو أخذنا نرقب أعمال مجمع اللغة العربية فى سبيل تقويمه لنفد الصبر قبل أن تنقع الغلّة . فنهوض أفراد من العلماء والأدباء إلى تصنيف المعجمات المختلفة — وإن انطوت هنا وهناك على مغامز — أمر واجب وحقيق بالتنويه

فهذا الجزء الأول من « المعجم القضائى » لصاحبه الأستاذ خليل شيبوب الأديب الأسكندرى والشاعر الابتداعى المعروف . وميزة هذا المعجم أنه يترسم النهج العلمى للمصادر والراجع القديمة والحديثة التى يقوم عليها ، نحو « أحكام القرآن » للجصاص و « رد المحتار » لابن عابدين و « بدائع الصنائع » للكاسانى و « تنوير الحوالك » للسيوطى و « كتاب الموافقات » للشاطبى ثم « كتاب الفقه على المذاهب الأربعة » لعبد الرحمن الجزيرى

المؤلف لحل مشكلات الأرض المقدسة . فهو يقترح أن يتخلى اليهود عما يملكونه فى الشمال من بئر سبع وأن ينتقلوا كتلة واحدة إلى « النجب » ، ففى هذه المنطقة أربعة آلاف وخمسمائة ميل مربع من الأرض الصالحة للحرث حتى تسترد خصبها القديم المشهور . واليهود بما عرف عنهم من القدرة على استصلاح الأراضى ونشاطهم فى تحويل القفر عامراً خير من يقوم بهذا العمل

ويشترط فى هذا طبعاً أن يكونوا مستعدين لتحمل المشاق والمصاعب التى تعرضوا لها فى بدء استعمارهم الحديث لفلسطين وأن يكون العرب الذين يقطنون فى منطقة النجب مستعدين أن يغادروها لينزلوا الأراضى التى أصلحها اليهود فى الشمال

وعند المؤلف أنه إذا صح هذا كان فاتحة عهد جديد فى فلسطين. ومما يتصوره ويتوقعه إنشاء ميناء من الدرجة الأولى فى العقبة فى حالة نجاح هذا المشروع وشق طرق صالحة للمواصلات تؤدى إلى الأسواق المصرية وإنشاء مطارات كثيرة

ومؤلف الكتاب كان من رجال البوليس بفلسطين ويعرف البلاد وسكانها معرفة دقيقة ، ولكن بعده عن فلسطين قطع ما بينه وبين تحول شؤونها فى السنوات الأخيرة على أن ذلك لم يحل دون نقده لليهود وانقسامهم ونقده للعرب وانقسامهم كذلك

وقد كتب السر متاجيو برتون توطئة للكتاب أشار فيها إلى خطة له من شأنها فى رأيه أن تحل بعض مشكلات فلسطين، وقاعدة هذه الخطة منح العرب جميع الأراضى التى قررتها لهم لجنة بيل ما عدا يافا والنجب وتحويل الباقى إلى مستعمرة من مستعمرات التاج . ويكون هذا النظام تجربة . فاذا رؤى فى سنة ١٩٥٠ أن فى الوسع استئناف الشركة العربية اليهودية فعندئذ تمنح البلاد كلها مقام دومنيون . وإذا تعذر استئناف الشركة بين العرب واليهود وظهر أن تجربة المستعمرة أصابت نجاحاً فعندئذ تمنح البلاد ما عدا الأراضى التى استولى عليها العرب مقام دومنيون وتستبقى بريطانيا فى الحالتين حقوقاً دائمة فى مرفأ حيفا وأنابيب النفط والمطارات

والكتاب فى ما عدا ما تقدم تلذ مطالعته وإن غلبت عليه مسحة التشاؤم، لأن الكاتب وقد رأى بعينه حدة النضال بين فريقى العرب واليهود ، قلما تلوح له بارقة أمل فى إمكان الصلح بينهما

و « القانون الدولى العام » لسامي جنينة ومؤلفات أخرى لأمثال نجيب الهلالى والسنهورى وعبد السلام ذهنى

وقد استعان المؤلف — فوق هذا — بكتب أدبية ، نحو « المخصص » لابن سيدة و « صبح الأعشى » و « نهاية الأرب » فأحسن ، وهنا فات المؤلف أن يرجع إلى « مقدمة » ابن خلدون و « الأحكام السلطانيـة » ثم إلى المعجمات المقصورة على الاصطلاحات ، مثل « التعريفات » للجرجانى و « الـكليات » لأبى البقاء و « كشاف اصطلاحات الفنون » للتهانوى ، فضلا عن أنه أهمل تصانيف المستشرقين ولا سيما مباحثهم المنشورة فى دائرة المعارف الاسلامية

ومن ينظر فى هذا المعجم يطمئن إلى الطريقة التى أجرى عليها لما يلازم الفصول والفقر من البحث المطرد والتقصى والتفصيل . غير أن المؤلف قليلا ما يثبت المظانّ ، فيجهل القارئ آللفظة مما استعمله القدماء أم هى من وضع المحدثين

هذا ومما يحسن التنبيه إليه ، على سبيل الاشارة ، أن المؤلف — فى تضاعيف معجمه — يقول :

(ا) ص ٨٨ — « جيش الاستعمار » . والمراد « جيش المستعمرات » Armée colonial (لأن « جيش الاستعمار » هو الذى يُجهَّز لفتح البلد المطلوب استعماره . وأما « جيش المستعمرات » فهو الذى يُعبأ من أهل البلاد المستعمرة . والعبارة الفرنسية تنظر إلى المعنى الأخير

(ب) ص ٢٣١ — « طائفة » والمراد « ملّة » Communauté (religieuse) بمعنى جماعة دينية (ودليل ذلك « كتاب الملل والنحل » للشهرستانى و « المجلس الملى » عندنا فى مصر . وأما لفظة « طائفة » بهذا المعنى فمستحدثة على ما أظن)

(ج) ص ٣٠١ — « العرف . العادة » للمبادئ القانونية « المستمدة من التقاليد والعادات » Coutume . والوجه أن لفظة « العرف » وحدها تفيد المعنى المقصود . وأما لفظة « العادة » فلها مدلول آخر معروف Habitude ، وإن جاور مدلول لفظة « العرف »

وبعد ، فالمعجم فى جملته نفيس لا سبيل عنه لمن يشتغل بالقضاء والمحاماة واللغة

ب . ف

علم النفس فى الحياة

تأليف ماندر

ترجمة الأديب نظمى خليل

طبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

يعتبر علم النفس من العلوم الحديثة التى أخذت تهم جمهور الباحثين ولا سيما بعد أن انفصل من الفلسفة وأصبح له طابع العلم الصحيح . فبعد أن كان الباحث القديم يحاول أن يقف على خصائص الروح ومواطن العقل وعلاقته بالجسم وغيرهما من المسائل الدقيقة الفهم ، البعيدة المنال ، أصبح الآن يفسّر جميع مظاهر سلوك الانسان ويعالج مشاكله النفسية والاجتماعية بالطرق العلمية المعروفة وهى الملاحظة والتجربة

ولقد تقدم البحث فى علم النفس فى الخمسين سنة الأخيرة تقدماً كبيراً حتى تغلغل فى سائر العلوم الأخرى كالطب والتربية والاقتصاد والقانون ، كما نشطت حركة التأليف فى علم النفس الاجتماعى ومحاولة تفسير جميع علاقات الانسان فى ضوء النظريات السيكولوجية الحديثة مما كان له أكبر الأثر فى رقي المجتمع وسعادة الأسرة

ومن بين الـكتب الحديثة التى عالجت هذا الموضوع ، هذا الـكتاب الذي عنيت بنشره لجنة « التأليف والترجمة والنشر » والذي ترجمه إلى اللغة العربية الأستاذ نظمى خليل ترجمة صحيحة تتوافر فيها دقة التركيب وجودة اللفظ وسلاسة الأسلوب

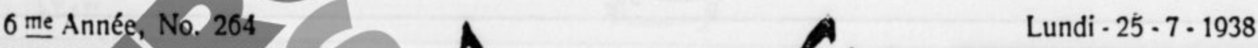
أما موضوع الـكتاب فقد شرحه الدكتور « عبد العزيز القوصى » فى مقدمته إذ قال : « يبدأ الـكتاب بالتحدث عن الأسس الأولية التى تتكون منها الشخصية ثم طريقة هذا التكوين ثم يعرض إلى وسائل تنمية العادات الطيبة واستئصال العادات الضارة ، ويتخلل هذا الـكثير من التفسيرات الصحيحة لغرائب السلوك عند الـكبار والصغار ، فهو يفسر لنا سلوك من نقابل من إخوتنا وأطفالنا وأصدقائنا وتلاميذنا وأزواجنا ورؤسائنا ومرءوسينا كما يفسر لنا الـكثير من سلوكنا الخاص ، وما يدخل فى هذا السلوك من القوى والدوافع شعورية كانت أو لا شعورية ، فطرية أو مكتسبة . ولا ريب أن هذا النوع من المعرفة يجعلنا أقدر على التعامل مع غيرنا ويجعل حياتنا أكثر احتمالا ، وسعادتنا أقرب منالا »

فنحن نرحب بهذا النوع من التأليف العلمى الذى سيتيح لقراء العربية الوقوف على بعض تلك الموضوعات الشائقة والمسائل الدقيقة

(***)

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المهدى . رقم ٧ ﴾





6 me Année, No. 264

Lundi - 25 - 7 - 1938

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع عبد العزيز رقم ٣٦

العتبة الخضراء — القاهرة

ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

بدل الاشتراك عن سنة

ص

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٢٦٤ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣٥٧ — ٢٥ يولية سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

قنطـــار ثمين

للأستاذ عباس محمود العقاد

رأيي في الجسم الجميل أنه الجسم الذي لا فضول فيه ، وأنه الجسم الذي تراه فيخيل إليك أن كل عضو فيه يحمل نفسه ، غير محمول على سواه

من هنا جمال الرأس الطامح ، والجيد المشرئب ، والصدر البارز ، والخصر المرهف الممشوق ، والردف المائل ، والساق التي يبدو لك من خفتها وانطلاقها واستوائها أنها لا تحمل شيئاً من الأشياء ، ولا تنهض بعبء من الأعباء

بل من هنا جمال الحيوان الأعجم ، وجمال المهر الكريم وقد اختال بعنقه وشال بذنبه ، وضمر بدنه وأصبح في جملته كالكلام المختصر المفيد ، أو الكلام المختصر البليغ ، لأنه يبلغ حيث شاء

***

كان هذا هو الرأي المصري في الجمال قبل بضعة آلاف من السنين ، أيام كان المصريون سادة في الحياة وكان المثال الفائق عندهم لجمال الرجولة والأنوثة ما نراه على الهياكل من صور الرجال والنساء

ولم يكن هذا هو الرأي المصري في الجمال قبل بضعة أجيال ،

يوم ركد المصريون ركود البطء والكسل فأصبحت الكثافة الواهنة عندهم مقياس الملاحة والقسامة ، وأصبح جمل المحمل و « التختروان » مثال الحسن المطلوب فى النساء : تعلو المرأة السمينة وتهبط فى مشيتها وما تنتقل شبراً فى أقل من خطوتين، والمقرظون من حولها يهللون ويكبرون ويباركون الخلاق العظيم ويعوذون هذا الجرم الذى لا تمضى فيه السيوف من لحظات العيون ، ومن حسد الحاسدين !

العالم كله يثوب إلى مذهب المصريين الأقدمين فى جمال النحافة والرشاقة والنسج الدقيق ، ومن العالم كله المصريون المحدثون وشاع هذا المذهب بعد الحرب العظمى أشد من شيوعه فى زمن من الأزمان ، حتى غلا بعضهم فأوشك أن يلتمس الجمال فى الهياكل العظيمة ، وهى على أية حال أجمل من هياكل الشحوم واللحوم !

أهى نفحة من نفحات الفن العلوى هبت فجاءة على أذواق الناس فى العالم كله فأصبحوا جميعاً من صاغة التماثيل الملهمين ؟

مثل هذه النفحات — فيما أحسب — أغلى وأرفع من أن تكال جزافاً للملايين فى المغارب والمشارق ، وبين الأذكياء والأغبياء ، وعند من يحسون ولا يحسون

إنما هى « الطيارة » جزاها الله خيراً بما هذبت من أذواق وأصلحت من أخلاق

إنما هى « الطيارة » قد أتمت مذهب السرعة فى كل شىء، والسرعة والخفة لا تفترقان ، والخفة والسمنة لا تتفقان

فالرجل الذى يقفز من القاهرة إلى الاسكندرية فى ساعة واحدة لا يلتفت بعد ذلك إلى امرأة تزن القناطير المقنطرة من الشحم واللحم ، ليعجب منها فى مشيتها بجمل المحمل والتختروان

والرجل الذى يصعد إلى السماء لا يصبر على حمل الجبال ، فالملائكة وحدها هى التى تحسن الصعود إلى تلك الآفاق

وهكذا تعلمنا الآلات أحياناً كيف نشعر وكيف نتذوق الجمال وكيف نصحح الأذواق

***

على شاطئ الاسكندرية — والمصادفة من أجمل المصادفات — طيارة فى الهواء ، وفتاة على الأرض هى أولى بالطيران من تلك الحديدة الصاعدة ؛ بل هى تطير ولا يتخيلها الناظر إلا طائرة تفلت من لحظات العيون وخطرات الأرواح

لا تحس العين أنها أدركتها ، لأنها إذا أدركتها تأملت فيها وسرحت فى معانيها ، فاذا هى بعيد بعيد، أبعد من الفراش الذى يقع عليه الطفل فإذا هو على الغصن ، ويثب إليه فى غصنه فإذا هو فى الهواء

تلك هى القنطار الثمين !

لأنها لا تزيد فى الوزن على قنطار ، ولم يخلق فى الدنيا قنطار أثمن وأولى بالاقتناء منها ، أياً كان معدنه ومبناه

جمالها يزيدك عجباً من دقتها ، ودقتها تغريك بوزنها وتقويمها. فأما الوزن فهو ما علمت ؛ وأما التقويم فهو مالا تعلم ومالا يدخل فى حساب ، لأن هزة من الشعور قد تسومها بكنوز الأرضين والبحار ، وهزة من الشعور قد تبذلها رخيصة لمن تهواه

قل إنها تساوى وزنها من ذهب

وقل إنها تساوى وزنها من كريم الجوهر

فإنما الحياة هنا هى مقياس التقويم والتقدير ، وما أحسب شيئاً فى هذا العالم إلا ومرجع تقويمه إلى حظه من الحياة

وإلا فكم يساوى القصر المشيد إذا لم يشعر به الساكن فخامة وزهواً وجمالا وطمأنينة وراحة ، ولم يشعر به الناظر هيبة واستحساناً ورغبة ؟

وكم تساوى السيارة إذا لم يشعر بها راكبها ولم يسعر بها ناظرها ولم يشعر بها من يملكها ومن يتمناها ؟

إنما « الاقتصاد » الصحيح هو اقتصاد « الفنان » لا اقتصاد السماسرة وحملة السهوم ومديري المصارف والشركات

إنما الاقتصاد الصحيح هو الذى يقوّم هذا القنطار الثمين فإذا هو أثمن من كل قنطار فى معادن هذه الدنيا ، لأن ما يحويه من ذخائر الشعور أكبر وأنفس من كل مملوك ومذخور

وإنه ليرخص بالشعور كما يغلو بالشعور . فدع قنطارنا هذا الثمين يهيم حباً بمن شغل عنه، ثم أنظر كم يكون له من ثمن، وكم يكون له من وزن، وكم يكون له فى رأي نفسه من حساب وتقويم !

وما ندرى أمن حسن الحظ أم من سوئه كما يقولون أننا نشعر بالقصور ولا تشعر بنا القصور !!

والا فلو وهبت كل قنية ثمينة نفسا تريد هذا المالك ولا تريد ذاك فماذا يبقى من الأثمان؟ وماذا يبقى من البيع والشراء؟

هذا القصر يبذل نفسه لمن يريده بغير ثمن، ويأبى أن يأوى إليه شارٍ غيره ولو بذل فيه ألوف الألوف؛ فهو تارة بدرهم وتارة بالألوف المؤلفة من الدنانير، وهو تارة أخرى بالمجان لمن لا يسومه حتى بهذا الثمن الرخيص

إن دل هذا على شيء فانما يدل على أن الشعور هو «وحدة» التقويم والتسويم فى كل ما نملك وما نريد، وأن الذين يشبعون من الحياة هم أغنى الناس وأعظم أصحاب الثراء، وان لم يعرف لهم اسم فى خزانات المصارف ودفاتر الشركات

أنت يابنية ذخيرة في الحياة

أنت يابنية كنز من الفتنة والحب والمتعة واللذائذ والآمال والأشجان والأحلام

أنت يابنية قنطار ترخص عنده قناطير الذهب والفضة وقناطير الجواهر والفصوص

أنت كل هذا حتى يأخذ منك الشعور ما اعطاك الشعور. وسألت من خلقك هذا الخلق السوى الا يأخذ منك إلا بمقدار ما يعطيك، وألا يرغّبك إلا بمقدار ما يرغب فيك، فليس آلم من هوان النفيس عند الصيرفى العليم بالحياة إلا نفاسة الهين الزهيد

أنت يابنية هكذا فى لغة الزمان الذى لا نسمع فيه إلا «كم نقصت فلانة» وكم زاد فلان؟ وكم يساوى هـذا وتلك فى أسعار الأوان؟

وعلى مقربة من «مثابة» الأسكندرية ما أشبه هـذه اللغة بأسلوب المكان!

***

على شاطئ الأسكندرية ثروة لمن أحب الغنى

ثروة لم يملكها قارون عند من يحسب موارده بحساب الحياة

وكل ما تتقاضاك من جهد بضع نظرات

عباس محمود العقاد

بين الشرق والغرب

رد على رد

للأستاذ فليكس فارس

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

أى صديقى أدهم إن الغرب لا يرتقص على براكين من النار إلا لحفره مثل هذه الآيات القاتلات على ألواحه ...

إن صاحبك هابل الكاتب الذكى الذى قام بدور له شأنه فى عالم الأدب لا يقصد الجدّ فيما يقول ، بل هو يتهكم تهكماً ويقول للناس : إن العقلية الشرقية تلائم الحياة الباقية ، « فاذا » انتقلتم إلى الأخرى فهنالك اتبعوا وحى هذه العقلية !

إن « إذا » لا تفيد الظرفية هنا بل تفيد شرطاً ممتنعاً وما هى إلاَّ أداة تحدّ صريح وإنكار مطلق لكل ما لا يقع تحت الحواس الخمس ، فكأنك أيها الناظر الكريم وأنت تدعونا إلى اقتباس العقلية الغربية ، تهيب بنا مع صديقك هابل آدم إلى الاعتقاد بالعدم قبل الحياة وبعد الحياة . فهل يجاريك علماء الغرب الذى نباهى بحضارته ؟ هل يوافقك من يدعون أهل الشرق معك إلى الاتجاه نحو الحضارة الغربية فى القول بأن هذه الحضارة الآرية لم تصل إلى ما وصلت إليه إلاَّ عن طريق الإلحاد ؟

إن حضارة الأقوام التى ترغب إلينا أن نقتبسها إنما بُنيت فى تاريخها القديم كما بنيت فى تاريخها الحديث على الاعتقاد بحياة أخرى . وما تدعوه « منطق الغرب الإثباتى » الذى ورثه الرومان عن الإغريق هذا المنطق الذى تنكره على العرب لأنهم ذوو استلهام ولأنهم يؤمنون بالغيب ويوحّدون علة الوجود ، إنما هو منطق نشأ فى ذهنية فلاسفة كانوا يؤمنون « بأولب » يغصّ بالآلهة ذكوراً وإناثاً ؛ تلك كانت حضارة الغرب القديمة لم تقتل المنطقَ فيها حتى عبادة الأوثان ولكنها لم تكن إلاَّ حضارة غاشمة شُطرت فيها الانسانية إلى شطرين : الانسانية المتنعّمة . والانسانية التى تعرق دماً تحت لسعات السياط

أما حضارة أوروبا الحديثة فقد قامت على ما نعلم بتعاليم عيسى،

وإذا كان قد بقى فيها شىء من الرحمة فهى من آثار موعظة هذا الناصرى على جبل من جبال الشرق . وإذا كان قد هبَّ فيها بعد انتصار شارل مارتل من دعوا إلى إصلاح المسيحية فما كان صوت هؤلاء المصلحين إلاَّ صدىً للصوت الذى دوى فى صحراء العرب منذ ثلاثة عشر قرناً . . .

إن الإيمان الشرقى الذى يدعوه الناظر نسكاً أسيوياً لم يحُل إذاً دون سير الغرب على سبيل الاكتشاف والاختراع، وما منع باستور إيمانه وتدينه من اكتشاف الجراثيم وإيجاد أمصالها لانقاذ الانسانية من أفظع أدوائها . وما كان أديسون وماركونى ومن تقدمهما من المخترعين إلاَّ من المؤمنين بالله وباليوم الأخير

إن الدكتور أدهم يريد أن يميز بين عقلية الشرقي وعقلية الغربى فيقول إن الأولى مستسلمة « محضاً » للقضاء والقدر تخضع للغيب، والثانية تناضل نضالاً « محضاً » ضد الغيب.

أما أن يكون الشرق هذا المستسلم الضعيف فما يكذبه التاريخ ، تاريخ المسيحية وتاريخ الاسلام على السواء ، فما كان المسيحيون الأولون ليجبنوا حتى بين أشداق الأسود ، وما كان المسلمون إلا مجاهدين بالجهادين، توكلوا فما تواكلوا وسلموا أمرهم لله فما استسلموا لزعازع الحياة بل أرغموها إرغاما ليسيطروا عليها بمكارم الأخلاق .

أما قول الناظر بأن العقلية الغربية تناضل ضد الغيب فقول فيه جنوح فى التعبير ، ولا نعتقد أن الدكتور أدهم يقصد الغيب بل أسرار المادة وما يكمن فيها من تفاعل، لأن الغرب إنما هو من هذه الانسانية التى حُدت قواها فوقفت واجمة أمام نظام الكون وسرّ الحياة والموت ، وما نعلم أن العمل على درس خفايا المادة كان وقفاً على الغرب دون سواه، وقد رأينا العرب يذهبون إلى أبعد الأشواط فى هذا السبيل .

هذا وان الحضارات قد توالت على هذه الغبراء فكان لكل أمة دورها فى الاعتلاء والانحطاط ، فما تراث الذهنية العلمية إلا مشاع لكل رأس فيه دماغ يفكر لاستخدام عناصر الطبيعة لمنفعته.

ليس هنالك إذاً عقلان عقلٌ للغرب وعقلٌ للشرق فى ميادين الاستقراء؛ غير أن هنالك فطرة أو ثقافة تختلف بين شعب وشعب. وقد أراد الناظر أن ينكر استقلال الثقافة الأدبية عن العلم الوضعى فاسماها روحاً كأنه يمحو أثرها باستبدال اسمها .

لتكن الثقافة روحاً كما يريد الدكتور أدهم ، فلماذا يطلب حضرته أن يلفظ أبناءُ الشرق روحهم لتتقمص روح الغرب حضارتهم ؟

ثم أليس من غرائب المنطق أن يقول الناظر بفرعونية مصر وبتمردها على العروبة نيفاً وثلاثة عشر قرنا ثم يطلب منها أن تتفرنج بين عشية وضحاها ؟

إذا كان ما يرمى إليه الدكتور أدهم من تفرنج مصر دفعها إلى طريق الرقى العمرانى فقد أثبتنا له أن مصر كسائر البلاد العربية تأخذ بالحكمة السامية: « أطلبوا العلم ولو فى الصين » فلا تأنف من الأخذ بعلوم أوروبا الوضعية كما أخذ أجدادنا بعلوم الاغريق من قبل دون أن « يستغرقوا » فعلام يراد منا أن «نستغرب» نحن ؟ ...

ما هى الفائدة التى يرجوها الناظر لمصر إذا هى أنكرت إيمانها وأفسدت لغتها وتغنت على الأنغام الافرنجية التى تتنافر مع ذوقها وحتى مع مخارج ألفاظها ، ورقَّصت أبناءها وبناتها متفاخذين متباطنين متناهدين ؟ ...

أية فائدة نرجوها لمجتمعنا إذا نحن أعرضنا عن الأخذ بحضارة تموت مبادئها العليا فى سرائرنا لنصبح كالقردة مقلدين نتحرك تبعاً لحوافز غيرنا ؟

وأخيراً لا يظنن مفكرٌ أننا نقصد بالحضارة العربية هذه الحالة الراهنة التى أوصلتنا إليها قرون من الويلات والعبودية أرهقتنا حتى تنكرت لنا أنفسنا

لقد طغت على مجتمعنا فى معتقداته وفى نظم أسرته وفى آدابه وفى حكوماته دخيلات من متخلفات جميع العصور وجميع الأمم ، فنحن اليوم أشبه بنبيل أخنى عليه الدهر فأجاعه ، فهو يأكل من فضلات موائد الأمم ، ومزّق ثوبه فهو يستر عورته بترقيعه ملتقطاً له الخرق أمام كل بيت غريب ، ومن كل مزبلة تعترض طريقه .

أما والله ما يُهيب بنا إلى الدعوة لإقامة حضارة عربية شرقية بهذه الأوطان إلاَّ الاشمئزاز يستذرف الدمع لما يصدم سريرتنا كل يوم من هذه المساخر تتمشى وهى لا تبالى على قبور الأجداد وعلى مهود الأطفال

وقد يكون هذا النفور نفسه مايدفع بالمفكرين الأجانب حتى وبعدد من مفكرى العرب أنفسهم إلى الإهابة بالشرق للنهوض من كبوته ليستبدل بروحه الراقدة روحاً غربية ناهضة

إنها لعاطفة قد يكون الألم والاشفاق مصدريها ، ولكن العربى الأصيل بما يسمع فى أجواء نفسه من هتاف القبور لا يقطع الرجاء من حقه فى الحياة

لقد ذهبت الطوائف الدينية كل من جهتها مذاهب جد غريبة عن روح الدين الذي أنار الدنيا من مشارقها حتى أصبح من الأسهل عليها أن تمتنق الإلحاد من أن تقضى على تعصبها وتطرح التآويل التى تقضى على اتحادها على الأقل فى إقامة حضارة تكفل حياتها

لقد تبلبلت النظم الاجتماعية بيننا إلى درجة يسهل على شعوبنا فيها أن تُغرق فطرتها الأصلية المريضة فى تيارات مدنية الغرب من أن تستفيد منها قوتها وتعمل على شفائها

إن الاندفاع إلى الأغوار أسهل على المتعب من العودة إلى تسلق الذرى التى انزلق عنها

ولكن أرضى النفوس العربية النابهة التى لا تجهل ما يكمن فى هذه البلاد من قوى أن تتخير الجمود فلا تقوم بواجبها لتحول دون انتحار شعب بزغت أنوار الهداية من آفاقه وبقيت حضارته مدى أربعين قرناً محوراً لتيارات التفكير فى العالم ؟

لتكتب الأقلام العربية فى هذا المطلب ، لتملأ الصحف السيارة بالآراء، وليتناقش المفكرون

إن كل أمة قد مرّت على مفرق الطرق قبلنا لم يتأخر مفكروها عن وضع الكتب الضخمة فالتهمها الشعب الحائر التهاماً ، أما هنا فن العبث أن نعقد الفصول الطوال فى كتب عناوينها نفسها تنفر جمهور القراء منها

لقد نشرت فى العام المنصرم كتاباً بعنوان « رسالة المنبر إلى الشرق العربى » فاستنفد نصف نسخه فى بلاد المهاجر حيث يعرف النازحون قيمة الوطن، وحيث يشعرون بغربتهم فى حضارات ليسوا منها وليست منهم . أما هنا فى الأقطار العربية فلم يقرأ كتابى إلا أربعمائة قارئ أهديتهم إياه وثلثهم أو أكثر لم يتفضل بإرسال بطاقة أعرف منها وصول الكتاب إليه

إن معظم القراء يهتمون للمشاكل الراهنة الجوالة من الأمور السياسية والادارية التى تؤثر فى حياتهم فى يومهم ، فنحن نعيش لمصرنا كأننا لا نترك على أرض الشرق أبناءنا وأحفادنا

لقد تناولت فى رسالة المنبر بحث ما نحن عليه الآن وما يجب أن نأخذ به من حضارة تتوافق وسرائرنا وأحوالنا ، فان أنا أردت استيفاء موضوعى الآن حقه اضطررت أن أنشر كتابى برمته على صفحات الرسالة . فلأكتفين الآن بإيراد فقرة من مقدمته أجعلها ختاماً لهذا الرد [1]

« إننى ما زلت معتقداً منذ قدر لى أن اعتلى المنابر أن هذه البلاد العربية مستودع لأشرف الثقافات ومكمن لأسمى المواهب، وإن من واجب أجناد المنابر والأقلام فيها إظهار هذه القوات لأبنائها نزوعاً بهم عن الانقياد لدخيلات العادات والأخلاق التى تغلبت عليهم بما أوجدوه من التوهم فى أنفسهم فاستصغروها .

إن كلاً من سلالات العالم تنتفض الآن لتنبه ما يكمن فى قومياتها من حوافز وهى تناوئ قوميتنا السامية منزلتها منزلة تنحط عن مراتب الشعوب الآرية . فالأقوام المنتشرة فى جزيرة العرب وفلسطين وسوريا ولبنان ووادى الفرات ووادى النيل وعلى الشواطئ الشرقية للبحر المتوسط وشواطئ البحر الأحمر تدمغها حضارات الغرب والعالم الجديد بطابع التواكل والخمول، فى حين أن القومية فى الشرق العربى لا تقف تجاه السلالات المتكمشة على ذاتها فى العالم موقف كتلة تبنى وحدتها على الميزات الجسمية مفتشة عن الوحدة فى الأنساب والعروق بل هى تبنيها على الميزات الروحية فى حوافز أصبحت فطرة لكل سلالة قديمة توطنت هذه البلاد التى خشع عظماء العالم تحت سمائها الصافية وفوق أرضها المطهرة بدماء الشهداء من أجل الأخاء الانسانى والحق المطلق . فاذا ما افتخرت قوميات الدنيا بالعرق ، فانما نحن نباهى بالفكرة الحية السماوية التى أقامت من شتاتنا أسرة واحدة كلمة التعارف بينها اسم الواحد الأحد رب العالمين »

فليكس فارس

---

(١) أرجو سيدى الأستاذ الكبير صاحب الرسالة أن يتفضل باستيداع مائة نسخة من رسالة المنبر توزع بمعرفته مجاناً لمن يهمهم من قراء رسالته الاطلاع على ما دونته فى كتابى عن قضية الشرق والغرب .

حظى بالشيء ...

الرافعي ، المجمع اللغوى ، أزهرى
المنصورة ، اليازجي ... ...

لأستاذ جليل

— ١ —

روى الكاتب الألمعيّ الأستاذ محمد سعيد العريان في مقالاته الرشيقة الرافعية شيئاً من حكاية هذا الفعل : (حظى بكذا) وأعلن — وهو صديق أبي السامي[(١)] الصادق المصدق — أن صاحب هذا الاسم : (أديب صغير) في (البلاغ) هو الأديب الكبير الأستاذ مصطفى صادق الرافعي (رحمه الله) وإنه ليؤيد إعلانَ الأستاذ (العريان) بلاغةٌ في القول المعزو إلى فقيد العربية وبراعة ولباقة بتصريفه وتوجيهه حيث يشاء . وهل يقدر على مثل ذلك إلا الأديب المقتدر ، إلا الأديب الرافعي

ومما ينفع الأدباء ويخدم به هذا اللسان أن يروى في (الرسالة) مجلة العرب، وسجلّ اللغة والبلاغة والأدب — ما قيل في تغليط من قال : (حظى بالشيء) وتصويبه

وحظى بكذا، وفاز به، وحصّله، وأدركه — من الترادف[(٢)] والفعل الأول هو في الكلام العربي وفي أقوال كبار، ولم يُخطَّأ إلا في هذا الزمان ، خطأه الشيخ ابرهيم اليازجي اللغوى الكبير في مجلته (الضياء) في ثلاثة مواضع ، وخطأه الأديب الكبير الأستاذ الرافعي (رحمه الله) في (البلاغ) وصوّب قائليه المرحوم العالم الفقيه الشيخ حسين والى : (المجمع اللغوى) والأستاذ (أزهرى المنصورة)

وسأورد في هذه الفصول من أقوال المغلّطين والمصوّبين ما يستوجبه البحث وما يفيد ثم أتبعه طائفة من شعر القوم وكلام الأئمة تحقّ صحة ذاك الفعل . وهناك الشرح والتعليق إذا اقتضتهما حال

وإني لأجهر اليوم بجهري أمس بأن هذا الذي أمليه — وهل كاتب غيري في أدب الرافعي في (الرسالة) أو غيرها إلا مثلي — هو من إحسان الأستاذ (العريان) ومن معروف الأستاذ (الرافعي) المفضل الجاري على العربية في الحياة وفي الممات

فتًى عيش في معروفه بعد موته
كما كان بعد السيل مجراه مرتعاً[(١)]

والرافعي في أدبه أعظم ممن قيل فيه هذا البيت في كرمه أديب كبير شعر فجوّد ، ثم نثر فبهر ، وكان (وحيُه) في (الرسالة) فكان ختام كلامه في حياته مسكا

وفي هذا المقام أقول : إن أخطأ كبير في لفظة أو مقالة فهذا دليل الانسانية ، برهان أنه إنسان ، وأيّ أديب لا يخطئ ؟ وأي عالم لا يهفو ؟ وأي عظيم مازل ؟ « ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها » كما قال بشار

ولن يضع من فاضل باحث خفيت عليه في مباحثه خافية أو خافيات ثم بُيِّنت له — أن يتقبل هذا التبيين أو التذكير بقبول حسن ، فان كان ثمة نقص تم ، أو كان خطأ أصلح ، أو كان لبْس وضح ؛ إنه العلم يتوره وتزينه التحقيق ، وانه العالم يجله ويعليه الاذعان للحق

ومن مزايا الأدباء المهذبين ، والفضلاء الكاملين ، والعلماء المسلمين — العملُ بقول الله : « ولا تبخسوا الناس أشياءهم » .

***

كان (مجمع اللغة العربية الملكى) — وقد قيلت في تكوينه أقوال ، وأي شيء أو أي شخص في هذه الدنيا يخلص من القيل والقال — واجتمعت رجاله من العرب والمَرْبانيين[(٢)] في داره

---

(١) كنية فقيد العربية

(٢) الترادف أن تكون أسماء لشيء واحد وهي مولدة ، ومشتقة من تراكب الأشياء ، نقله الصاغاني (التاج) وفي (المزهر) : الألفاظ التي بمعنى واحد تنقسم إلى ألفاظ متواردة وألفاظ مترادفة ، فالمتواردة كما تسمى الخمر عقاراً وصهباء وقهوة ، والمترادفة هي التي يقام لفظ مقام لفظ لمعان متقاربة يجمعها معنى واحد كما يقال : أصلح الفاسد ، ولم الشعث وشعب الصدع

---

(١) من مقطعة محكمة مشهورة في (حماسة أبي تمام) للحسين بن مطير في رثاء معن بن زائدة الشيباني . قال الامام التبريزي : « ارتفع مجراه بكان ، وكان الحكم أن يليه فلم ينغ لأن الضمير يرجع إلى السيل ، وقد تقدم عليه ، والاضمار قبل الذكر فيما يجرى مجراه لا يجوز ، وتلخيص الكلام كما كان مجري السيل مرتعاً بعده » ومعن بن زائدة هو من أجواد الاسلام المشهورين . وفي (العقد) « كان يقال في معن : حدث عن البحر ولا حرج ، وحدث عن معن ولا حرج »

(٢) في (شرح أدب الكتاب) لموهوب بن احمد الجواليقي : « إذا نسبت رجلا إلى أنه من اعراب البادية قلت : اعرابي . ولايقال : عربي لئلا يشتبه بالنسبة إلى أهل الامصار . قال الفراء : إذا نسبت رجلا إلى أنه يتكلم بالعربية وهو من العجم قلت : « رجل عرباني » ومثل ذلك في (الف با) لأبي الحجاج البلوى

فى شارع (ابن ارحب) في (الجزيرة) فى ١٤ من شوال سنة ١٣٥٢ ولم ينشد النشد فى ذاك الجم بيت التنبي :

تجمع فيه كل لِسْن وأمة فاتفهم الحُداث الاالتراجم [1]

بل انشد بيت البحتري :

إذا تقاربت الآداب والتأمت دنت مسافة بين العجم والعرب

وقال رئيسه (كلة الافتتاح) وفيها تحية الأعضاء، والترحيب بهم وتهنئتهم ، ثم تلفظ عضو بـ (كلة الشكر) شكر فيها للرئيس تحيته ، ودعا لحضرة صاحب الجلالة الملك الذي « رفع شأن مصر بين الأمم وشأن الدين الاسلامى واللغة العربية بهذا المجمع » ثم أرسلت الجماعة إلى « حضرة صاحب المعالى كبير الأمناء » بهذه البرقية :

« قصر عابدين

حضرة صاحب المعالى كبير الأمناء

أرجو أن ترفعوا إلى السُّدة الملكية السامية ، أن أعضاء مجمع اللغة العربية الملكى ، المجتمعين من مصر والبلاد العربية والغربية ، فى عهد حضرة صاحب الجلالة المليك المعظم — ذلك العهد الناهض باللغة العربية وآدابها المزدهر بالعلوم والفنون — يتضرعون إلى الله تعالى أن يمن على جلالته بالشفاء التام ، والصحة الكاملة ، ليحظى المجمع بتشريف جلالته لافتتاحه قريبا ان شاء الله تعالى ، وينتهزون هذه الفرصة لرفع ولائهم وإخلاصهم إلى صاحب العرش المُفَدَّى

٣٠ من يناير سنة ١٩٣٤ عن أعضاء المجمع

محمد توفيق رفعت »

قلت : ياليت ، ياليت أن القوم استبدلوا التاريخ الاسلامي فى برقيتهم بهذا التاريخ الفرنجى

فلّتنا أننا مسلمون على دين صدّيقنا والنبى [2]

***

حدّثت الجرائد فى اليوم الثانى (١٥ شوال ١٣٥٢) أخبارَ المجمع ، وأوردت فيها تلك البرقية ، فظهرت فى جريدة (البلاغ) المشهورة فى ١٦ شوال ١٣٥٢ كلة عنوانها (أول الغلط من المجمع اللغوى) للأستاذ (أديب صغير) وهو الأديب الكبير الأستاذ الرافعى (رحمه الله) قال فيها :

« قالت إحدى الصحف إن حضرات أعضاء المجمع اللغوى اجتمعوا : إلى أن قالت : واتفقوا على إرسال البرقية التالية ورفعها إلى الأعتاب الملكية وهذا نصها » ثم ذكر البرقية ونقد اضطرابا فى أسلوبها العربى رآه ثم قال : « وما لهذا كتبنا هذه الكلمة وإنما كتبناها لنسأل حضرات أعضاء المجمع اللغوى فى أى كلام فصيح جاء مثل هذا التعبير (ليحظي المجمع بتشريف جلالته) وهل يجوز استعمال الباء مع حظى ثم هل يعرف حضراتهم كيف دار هذا الفعل (يحظى) فى كلام المتأخرين ، ومن أى معنى أخذوه ، وكيف مكنوا له فى استعمالهم هذا التمكين ؟ فانهم إن عرفوا هذا كان ذلك نقداً آخر. ويقولون (تشريف جلالته لافتتاحه) ففى أى كلام عربى يستعمل التشريف بمعنى الحضور ؟ إنما نسمع العامة بمظمون الضيف فيقولون (شرفت) وهم بالطبع لا يريدون معني حضرت إذ يكون هذا عبثا من الكلام . غير أن المجمع اللغوى استعمل التشريف بمعنى الحضور ، وهو خطأ شائع »

***

اطلع المجمع اللغوي على هذا النقد فنشر المرحوم الشيخ حسين والى فى (البلاغ ١٧ شوال ١٣٥٢) كلة عنوانها (نقد فى غير محله) قال فيها :

« نشر البلاغ (لأديب صغير) مقالة بعنوان (أول الغلط من المجمع اللغوى) ينقد فيها كما زعم كلاما هو فى الحقيقة رفيع وَفْق أصول البلاغة والحال التى اقتضته ، ولم تنحرف كلة منه عن جادة العربية » ثم أشار إلى سداد الكلام واطراده ثم قال : « وقال الناقد (وهل يجوز استعمال الباء مع حظى) نعم يجوز فقد قال الزمخشرى فى أساس البلاغة (وحظى بالمال وتقول ما حلى بطائل ولاحظى بنائل وأحظاه الله بالمال والبنين) وقال الناقد (ويقولون تشريف جلالته لافتتاحه وفى أي كلام عربى يستعمل التشريف بمعنى الحضور) لم يستعمل التشريف بمعنى الحضور ، وإنما استعمل بمعناه الأصلى ومعموله مفهوم أى تشريف جلالته إياه ، فليرجع الناقد إلى علم البلاغة »

الاسكندرية (***)

---

[1] فى شرح العكبرى : « اللسن : اللغة واللسان أيضا ، وقرأ أبوالسمال العدوى : وما أرسلنا من رسول إلا بلسن قومه أي بلغتهم ، والحداث جمع حادث وهو بمعنى متحدث » قلت : الحداث جمع على غير قياس حملا على نظيره نحو سامر وسمار فان السمار المحدثون كما فى (النهاية) وقلت : جاءت (تفهم) فى النسخ المطبوعة من الديوان ، وهنا (الا) وهذا فى شعرهم وقد قرئ (ان كانت إلا صيحة واحدة) برفع صيحة كما قال ابن هشام

[2] للصلتان العبدى وقد أورده الامام الثعالبى فى (أسرار العربية) وقال قبله « العرب تبتدئ بذكر الشيء والمقدم غيره

جورجياس او البيان

لافلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ٥ —

(تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجل محاوراته وأكملها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة !)

« رينوفييه »

«إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائما وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »

٢ — جورجياس : السفسطائي : « ج »

٣ — شيريفين : تلميذ سقراط : « سه »

٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »

٥ — كاليكليس : الأثيني : « ك »[1]

ط — (رداً على جورجياس) وإذاً فما دام البيان ليس هو الفن الوحيد الذي ينتج الاقناع ، وما دامت هناك فنون أخرى تنتج من الاقناع بقدر ما ينتج البيان ، فمن حقنا أن نسأل زيادة على ما تقدم (كما سألنا في موضوع المصور) : بأي إقناع يختص البيان ؟ وما موضوع ذلك الاقناع ؟ ألست ترى أن هذا السؤال الثاني مناسباً ؟

ج — إنه لكذلك

(١) قال جورجياس في العدد الماضي إن البيان هو فن الاقناع ، فأثبت له سقراط أن علماً كالحساب أو غيره يستعين بالاقناع كما يستعين البيان . وسنرى اليوم كيف يتقدم الحوار حول الموضوع الحقيقي للبيان ، وكيف يصل إلى ناحية العدل والظلم . « المعرب »

ط — فأجب إذاً ما دمت تراه مناسباً

ج — حسن يا سقراط . إنني أعني الاقناع الذي يُؤخذ به في المحاكم والجمعيات الأخرى العمومية كما قلت منذ هنيهة ، والذي يتعلق بالأشياء الظالمة والعادلة

ط — لقد كنت أشك في أنك تعني حقيقة هذه الأشياء وذلك الاقناع ، ولكنني أسألك مع ذلك من جديد ، وأرجو ألا تعجب إذا طلبت منك في مجرى الحديث أن تشرح ما يبدو واضحاً من الأشياء ، إذ لست أفعل ذلك من أجلك كما قلت قبلاً وإنما أفعله من أجل البحث كيما يتتابع منتظما ، وكيما لا تتذبذب أفكارنا إزاء الأوهام البسيطة يمنة ويسرة ، وكيما تستطيع أنت أخيراً أن تكمل القول حسبما تشاء ، ووفقاً لما تضع من أصول .

ج — أرى أن ليس هناك أحصف من ذلك السلوك ياسقراط

ط — فلنتقدم إذاً ولنبحث ذلك أيضاً : أتسلم بما يُدعى « معرفة ؟ »

ج — نعم

ط — وبما يدعى « عقيدة ؟ »

ج — نعم

ط — وهل ترى أن المعرفة والعقيدة — أي العلم والاعتقاد شيء واحد أو شيئان مختلفان ؟

ج — أرى يا سقراط أنهما شيئان مختلفان

ط — إنك تقول حقاً ، وتستطيع أن تحكم على هذا النحو إذا سألك سائل قائلاً : هناك يا جورجياس اعتقاد باطل وآخر حق ؟ ألست ستوافقه على ذلك دون ريب ؟

ج — بلى

ط — ولكن ماذا ؟ أهناك بالمثل علم باطل وآخر حق ؟

ج — كلا بالتأكيد

ط — فواضح إذاً أن الأمر ليس واحداً ؟

ج — ذلك صحيح

ط — ومع ذلك فأولئك الذين « يعرفون » يقتنعون كما يقتنع أولئك الذين « يعتقدون »

ج — أوافقك على ذلك

ط — وإذاً أنستطيع أن نضع نتيجة لذلك نوعين من

الاقناع ، أحدهما ينتج الاعتقاد من غير علم ، والآخر ينتج العلم فحسب ؟

ج — حسن جداً

ط — وأى هذين النوعين يستعمله البيان بالمحاكم وبالجمعيات الأخرى فى موضوع العدل والظلم ؟ أهو الذى ينتج العقيدة بلا علم ؟ ، أم هو الذى ينتج العلم فحسب ؟

ج — واضح يا سقراط أنه هو الذى ينتج العقيدة

ط — فالبيان إذا ـ كما يلوح ـ عامل الاقناع المولد « للاعتقاد » فى موضوع العدل والظلم ، لا المولد « للمعرفة » فى ذلك الموضوع ؟

ج — نعم .

ط — ولا يعنى الخطيب فى المحاكم وغيرها من الجمعيات بتعليم العدل والظلم ، ولكنه يسعى فقط لحمل الناس على « الاعتقاد » بهما . ثم هو لن يستطيع أن « يعلم » أفراداً كثيرين دفعة واحدة مثل تلك الموضوعات الخطيرة فى وقت قليل كهذا [١]

ج — كلا بلا شك .

ط — وإذ قد قررنا ذلك أرجو أن نبحث عما ينبغى أن نقوله فى البيان لأنى لم أكون بعد فكرة دقيقة عما يجب أن أقوله فيه . عند ما يجتمع أهل المدينة ليختاروا الأطباء وبناة السفن ومن عداهم من أنواع الصناع ، أليس صحيحا أنه سوف لا يكون للخطيب أو « رجل البيان » هنا نصيحة يقدمها ، ما دام واضحا أنه يجب أن نختار الأكفأ والأمهر فى كل من هذه المهن ؟ ؟ وبالمثل فى بناء الأسوار والموانى ومصانع الأسلحة : ألا نأخذ بآراء المهندسين ؟ ؟ بل وعند ما نتناقش فى اختيار أحد القواد أو فى النظام الذى نتقدم به نحو العدو أو فى الموانى التى يجب أن نستولى عليها : ألا يبدى هنا رجال الحرب رأيهم من دون الخطباء ؟ ؟ ما رأيك فى هذا ياجورجياس ؟ إنك رجل بيان ، وإنك لقادر على تأليف الخطب ، فأنت خير من يتوجه إليه المرء لمعرفة أساس فنك . ، وتستطيع أن تصور لنفسك فضلاعن ذلك أننى أعمل هنا من أجل مصلحتك . وأنه قد يوجد بين المساعدين من يرغبون فى أن يكونوا تلاميذ لك كما ألاحظ فى الواقع ، ومن هم كثيرون فى عددهم إلى حد كبير ، ولكنهم قد لا يجرؤون مع ذلك على توجيه الأسئلة إليك . . ؛ وإذا فاقنع نفسك بأننى عند ما أسألك فانما أفعل كما لو كانوا هم أنفسهم يسألونك قائلين : ماذا عساه يحدث لنا لو قد أخذنا بدروسك ياجورجياس ؟؟ وعلى أى أساس نعتمد عند ما نسدي النصح إلى مواطنينا ؟ ؟ أنعتمد على العدل والظلم فحسب ؟ أم أيضا على تلك الموضوعات الأخرى التى تكلم عنها سقراط توا ؟؟ . فحاول إذا أن تجيبهم ! ؟

ج — أريد فى الواقع يا سقراط أن أوضح بالتدريج كل خصائص البيان لأنك قد وضعتنى تماماً فى الطريق حقاً وأحسب أنك تعلم يقيناً أن مصانع أسلحة الأثينيين وأسوارهم وموانيهم إنما أنشئت برأي « تمستوكل » من ناحية ، وبرأى « بركليس » من ناحية أخرى دون أن يؤخذ رأى واحد من الصناع ! [١]

ط — اعلم يا جورجياس ما يقولون عن « تمستوكل » . أما « بركليس » فقد سمعته بنفسى عندما كان ينصح الأثينيين باقامة سور « مينشى [٢] »

ج — وهكذا ترى يا سقراط أنه عندما نحتاج إلى بحث الموضوعات التى تتحدث عنها فهم الخطباء الذين يتصحون والذين يعلو رأيهم !

ط — وهذا ما يثير العجب فى نفسى أيضاً يا جورجياس ، وما قد دفعنى إلى توجيه السؤال إليك عن خواص البيان طوال ذلك الوقت . ويلوح لى أن دراسة تلك الخواص على ذلك النحو عظيمة للغاية

ج — إذا عرفت كل شىء ياسقراط فسترى أن البيان يحوى على ذلك الرأى جميع خصائص الفنون الأخرى . وبرهانى على ذلك قاطع ومؤثر . إذ كثيرا ما دخلت مع أخى وأطباء كثيرين على مرضى معينين ممن كانوا لا يتناولون جرعة الدواء ولا يقاسون الحديد والنار بسبب عجز الطبيب عن كسب نفوسهم ؛ وممن نجحت أنا أخيرا معهم دون مساعد غير فن البيان ...

« يتبع » محمد حسن ظاظا

(١) يقصد وقت وقوفه أمام الجماهير الكثيرة فى الجمعيات والمحاكم . إذ واضح أن هذا الوقت لا يصلح لغير التهويش

(١) فكأن تلك الاستعدادات لم تتم على ما أقيمت عليه من قوة ومنعة إلا بفضل رجال البيان فى عرف جورجياس

(٢) أحد أسوار المدينة « المعرب »

دراسات للمستشرقين

قيمة التراجم الأعجمية الموجودة للقرآن

للعلامة الأستاذ الدكتور أ. فيشر

— ٢ —

ذكر الأستاذ ى. شاخت J. Schacht فى بدء مقدمته لكتاب للمطالعة فى تاريخ الأديان عنوانه :

("Der Islam. Mit Ausschluss des Qor'âns," Tübingen 1931.) « الإسلام ، باستثناء القرآن » أنه استبعد القرآن من كتابه لأنه كما قال « توجد للقرآن تراجم وافية بالحاجة وبعض التراجم الألمانية كاملة وافية ، وعلى المرء أن يختار منها ما يشاء » ويصح أن يشمل حكمه هذا التراجم الانجليزية أيضاً ، التى يعتبرها الكثيرون أحسن التراجم (وإنى أضع اعتبارهم هـذا موضع التساؤل، كذلك يصح أن يشمل حكمه هذا الترجتين الفرنسيتين الأولى لكازيمرسكى Kasimirski والثانية لمونتيت Montets ، كما يشمل الترجمة السويدية لزترستين Zetterstéen والترجمة الايطالية لبونللى Bonelli وبعض تراجم أخرى

سبق لى أن كتبت ما يلى سنة ١٩٠٦ : — « لا يداخل الذى تعمق فى أسرار العربية شـك فى أنه لا يوجد بين تراجم القرآن — سواء كانت ترجمة كاملة له أو هى قاصرة على بعض آيات منه — ترجمة تفى بالمطالب اللغوية الدقيقة » راجع Orient. Studien, Nöldeke-Festschrift, Bd. I, S. 34, Anm. 1

وذكر شوالى Schwally رأياً قريباً من هذا فى :

(2. Aufl. von Nöldke's Geschichte d. Qoràns Teil II, S. 219)

إذ قال : «رغم الخطوات الكبيرة التى اجتازها فى البحث فى القرآن منـذ سال Sale لا توجد حتى اليوم ترجمة له تثبت أمام هذا العلم أو أمام التفسير » وذكر باريه Paret فى :

"Der Plan einer neuer, leicht kommentierten wissenschaft lichen Koràn ueberstzung, E. Lihmann-Festschrift, Leiden 1935, S. 122":

« لابد من إيجاد ترجمة للقرآن صالحة للاستعمال يصح الاعتماد عليها » وراجع أيضاً اقتراح صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشريف والمقدمات المنطقية للفتوى التى أصدرها علماء الأزهر فى شأن ذلك الاقتراح، وفيها يعربون عن رأيهم فى أن التراجم الموجودة للقرآن فيها « أغلاط كثيرة »[1]

وعلى أى حال فانى لازلت إلى اليوم أعزز رأيى الذى صارحت به عام ١٩٠٦

وليست ترجمة القرآن بالأمر الهين ، فقد تنحى عنها أشهر المستعربين من العلماء المستشرقين أمثـال (Reiskė) رايسكه و (Sacy) سامى و (Fleicher) فليشر[2] و (De Goeje) ده غويه و (Nöldeke) نولدكه و (Goldziher) جولدزهر وغيرهم لأسباب منها على الأقل إدراكهم كبير صعوباتها . ولقد كان أغلب مترجمى القرآن مستعربين من الطبقة الثانيـة ، بل ومنهم من هم دونهم من الطبقة الثالثة والرابعة

على أن أهم الصعوبات التى تعترض مترجم القرآن ويتحتم عليه التغلب عليها هى :

١ — كلمات وجمل غير قليلة وردت فى القرآن لها معنى مبهم أولها أكثر من معنى . وقد تأيد ذلك فى موضع جدير بالاهتمام (السورة الثالثة الآية السابعة — مصحف ميرى) .

---

(١) أنظر صحيفة « الأهرام » بتاريخ ١٧ أبريل سنة ١٩٣٦ الصحيفة السادسة وفيها : « اشتغل الناس قديماً وحديثاً بترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغات المختلفة وتولى ترجمته أفراد يجيدون لغاتهم ولـكنهم لا يجيدون اللغة العربية ولا يفهمون الاصطلاحات الاسلامية الفهم الذي يمكنهم من أداء معاني القرآن على وجه صحيح لذلك وجدت فى التراجم أخطاء وضع الناس (اقرأ) كثيرة وانتشرت تلك التراجم ولم يجـد الناس غيرها الخ ؛ تراجم للقرآن الـكريم بلغات مختلفة اشتملت على أخطاء كثيرة الخ . راجع (Oriente Moderno XVI, S. 292 b.) ومن حاشية من قلم رياسة التحرير وردت فى مجلة (Oriente Mod.) الجزء الثانى صحيفة ١١٣ يتضح أن علماء الأزهر الشريف كان لهم نفس هذا الرأى سابقاً

كذلك راجع نقد (Sarwar) ساروار (وسيأتى ذكر — وهو على حق فى بعض منه — وجاء نقده هذا ضمن مقدمة ترجمته للقرآن موجهة إلى (Sale) سال و (Rodwell) ردول و (Palmer) بالمر ومحمد على

ولا شك عندى أن الأستاذ (Schacht) شاخت أيضا سوف يجـد أن حكمه السابق فى حاجة إلى التعديل

(٢) أشك الآن فى أنه كان هنالك مخطوط بقلم فليشر لترجمة القرآن . راجع فى ذلك ملاحظاتى فى : (Nöldeke-Festschrift, a. a. O.)

وَهُوَ الذى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ، فَأَمَّا الذينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ »

وفيما يلى نص ترجمة هـذه الآية بالألمانية من قلم الأستاذ الدكتور أ . فيشر :

"Er (Gott) ist es, der Dir das Buch offenbart hat. Es enhält gesicherte (zweifelfrie) Verse, die die Mutter (d. h. den massge benden Kern) des Buches bilden, und andere, die mehrdeutig sind. Diejenigen, deren Herzen zum Zweifel neigen, halten sich an das mehrdeutige in ihm, in der Sucht Zwietracht zu säen und in der Sucht es (eigenwillig) zu deuten. Seine Deutung kennt aber nur Gott. Und die, die fest im Wissen sind, sprechen: 'Wir glauben daran. Alles stammt vo unserm Herrn'. Aber nur die Verstän digen beherzigen es."

ونزلت هذه الآية على النبى صلعم حين حاول أعداؤه (وكانوا يهودا وأعرابا أذكياء واسعى المعرفة) إثبات وجود غموض ومتناقضات في الذى أنزل عليه ، وكانت محاولاتهم هذه لا تنقطع

٢ — يحوى القرآن عدداً وفيراً من التوريات عن أشخاص بالذات وعن أعداء عاديين وعن حوادث تاريخية وعن أحوال عامة وأخرى خاصة . وكثير ما يكون إيضاح وتفسير هذه التوريات صعباً غاية الصعوبة ، ذلك لأن هـذه التوريات وردت عادة بأسلوب سهل ممتنع لم يرد فيها أى اسم . وفى الروايات العربية القديمة عنها تناقض كثيراً كشف عن عدم كفايتها ، ويوجد هذا التناقض فى تفاسير القرآن وفى كتب الحديث وفى أقدم السير للرسول ، إلا أن التمحيص قد يساعدنا على استقراء حالات كثيرة منها

٣ — جمع القرآن وترتيبه ينقصه الوحدة أو الترتيب التنسيق أو الترتيب التاريخى للسور ، وقد تتألف السور الطويلة من وحى نزل مرات عديدة لأسباب متباينة وفى أوقات مختلفة ، ولهذا كان غالباً من الصعب تبينها وإدراك كنهها

٤ — توجد للقرآن عدة قراءات ، وغالباً ما يُعلل وجودها إلى عاملين أحدهما أن الوحى لم يدون فى حينه ومنذ بدايته بطريقة منتظمة ، بل بقى إلى أمد بعيد يتناقل أغلبه بالرواية . والعامل الثانى أن الخط العربى الذى كتبت به الآيات القرآنية بادئ ذى بدء لم يكن وافياً ، إذ كان ينقصه الحروف المتحركة وغيرها من علامات الشكل ، كذلك كان ينقصه التفرقة الصحيحة بين الحروف الساكنة . ولهذا كان اختيار واحدة من القراءات المحتملة لتلك المخطوطات ليس بالأمر الهين . وقد قام المسلمون فى العصر الحديث بأداء أهم جزء من ذاك العمل [1]

وكان من جراء تلك الصعوبات أن اختلفت التفاسير العربية للقرآن الكريم منـذ العصور الأولى للاسلام فقد تباينت تبايناً كلياً فى تفاسير مواضع كثيرة من القرآن . وليس بالأمر النادر أن يورد بعض المفسرين ستة معانٍ أو أكثر لموضع من المواضع المويصة في القرآن ليتخير منها ما يشاء . ومع ذلك لا يمكن بحال من الأحوال أن نستغنى عن هذه التفاسير ، وفى الغالب لم يَعْنِ المترجمون الغربيون العناية الكافية بهـذه التفاسير حين قيامهم بترجمة القرآن . ومن المحقق أن البعض أهملها لأن فهمها كان عليهم عسيرا . أما الذين عنوا فلم يكن لدى الأولين منهم خاصة سوى التفاسير المتأخرة فقط ، تلك التفاسير التى جاوز فيها الشرح المذهبى التأملى لكتاب الله التفاسير التقليدية القديمة التى لازالت تعتبر إلى حد ما تاريخية لغوية (وأهم هذه التفاسير تفسير الطبرى)

ومن هذا البيان يتضح أن الانسان لن يكون فى وسعه أن يدرك كل دقائق القرآن . ولذلك فالمترجم الأمين يضطر دائما إلى التشكك فى صحة عمله ، كما يضطر إلى تدوين مختلف المعانى المحتملة .

« للبحث بقية » — ابراهيم ابراهيم يوسف

---

(١) انظر

Noeldeke's Geschichte d. Qorâns, 2 Aufl. Teil III. (Von G. Bergstrasser U. O. Pretzel), S. 205 ff. und Pretzel, Die Wissenschaft d. Korân lesung, in Islamica VI, S. iff. 230 ff., 290 ff.

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ – ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ٣٢ —

« منذ عام دعانى الأستاذ الزيات لأنشر هذا الحديث على قراء الرسالة ، فصدعت بأمره عرفانا بحق الداعى والمدعو له. واليوم وقد بلغت هذا المبلغ فلم يبق إلا بضعة فصول ، فانى أتقدم بالرجاء إلى قراء هذه المقالات أن يعينونى على تمام هذا التاريخ ؛ فأيما أحد كان عنده من خبر الرافعى شىء أغفلته ، أو سهوت عنه ، أو تصرفت فيه بنقص أو زيادة ، أو لم يبلغني نبؤه – فليتفضل بالكتابة إلى فى البريد أو على صفحات الرسالة ؛ وفاء بحق الأدب على أهله . وإنى لأعني بهذه الدعوة أصدقاءه وخاصته ، ومن كتبوا إليه وكتب إليهم ، ومن كان عندهم من رسائله ومن أوراقه ؛ ولا أستثنى هؤلاء الذين عرفوه على بعد أو سمعوا من أنبائه ؛ على أنى لا أسأل أحداً رأيه ، فما يعنينى فى هذه الفصول إلا الرواية والخبر والحادثة ، والرأى كتاب ثان بعد الفراغ من تدوين التاريخ »
سعيد العريان

مقالاته للرسالة (٣)

كان بين الرافعى والابراشى باشا ما قدمت الحديث عنه فى بعض الفصول السابقة ، وكان منه أن انقطعت صلة الرافعى بصاحب العرش ليحل محله الأستاذ عبد الله عفيفى ... وسارت الخصومة بين الرافعي والابراشى إلى مدى ، حتى انتهت إلى قطع المعونة الملكية عن (الدكتور) محمد الرافعى مبعوث الخاصة الملكية لدراسة الطب فى جامعة ليون !

وضاقت نفس الرافعى بهذا اللون من ألوان الكيد، ولكنه صبر له واحتمل مشقاته وتكاليفه ؛ وألزمته الضرورة أن يقوم بالانفاق على ولده حتى يبلغ مأمله ، على قلة إيراده وضيق ذات يده ؛ فاستمر يرسل إليه أول كل شهر ما يقدر عليه وفى نفسه أن يأتى يوم يرفع فيه أمره إلى الملك فيحط هذا العبء عن كاهله! ووجد الفرصة سانحة لذلك فى عيد الجلوس الملكى سنة ١٩٣٤ ، فأنشأ كلمة بليغة فى تحيته بعنوان « آية الأدب فى آية الملك » وأرسل بها إلى الرسالة لتنشر فى العدد ٦٦ سنة ١٩٣٤ [١] ، فلم تنشر به وإنما نشرتها الأهرام فى صبيحة عيد الجلوس ، وقرأها من قرأها . ثم كانت آخرة العهد الابراشى بعد ذلك بشهر واحد ، فكتب من كتب من خصوم الرافعى يعدد فيما يعدد من « جناية الابراشى باشا على الأدب » أنه كان يصطنع الأدباء ليحارب بهم سلطة الأمة ، ويسخرهم للاشادة بحكم الفرد ؛ وكان الرافعي عنده من صنائعه ، وآيته هذا المقال وآيات أخرى من تلفيق الخيال !

* * *

وأرسل الرافعى إلى الرسالة بدل هذا المقال مقال « أرملة حكومة » وكان يعنى به صديقنا الأديب المهندس محمداً ، وهو شاب من « أدباء القراء » أبيقورى المذهب صريح الرأى ؛ سلخ من عمره ثلاثين سنة ولم يتزوج ، وبينه وبين الأستاذ اسماعيل خ صاحب « اسنتنوق الجمل » [٢] صلة من الود ، وشركة فى الرأى ، وصحبة فى البيت والندى والشارع ...

لقينا مجتمعين فى القهوة اجتماعنا كل مساء ، فماج يسلم ثم جلس ، وسأله الرافعى : « ... وأنت فلماذا لم تتزوج ؟ »

قال المهندس : « لست والله من رأى صاحبى فيما حدثكم به أمس ، إنى لأريد الزواج وأسعى إليه ؛ ولكن من أين لى ... من أين لى المهر ، وهدايا العروس ، وأ كلاف الفرح ؟ إن الزواج عندى ليشبه أن يكون معجزة مالية لا قبل لى بها ! ... ولو قد عرفت أن هذه المعجزة تتهيأ لى بالبخل على نفسى والقصد فى نفقاتي وباحتمال العسر والشقة على نفسى وعلى من حولى — لما وجدت ما يشجعنى على هذا الاحتمال . إنى لأعرف من بنات اليوم ما لا يعرف غيرى ، أفتريدنى على أن أحتمل هذا العنت سنتين أو ثلاثاً حتى يجتمع لى من المال ما يجتمع ، من أجل الوصول إلى زوجة قد يكون لى منها شقاء النفس وعدو العمر ... ؟ »

وقال الرافعي ... وقال الشاب ... وطوى الرافعى ورقاته

---

(١) كان عيد جلوس الملك فؤاد الأول — رحمه الله — فى ١٩ اكتوبر وكان موعد صدور هذا العدد يوم ٨ اكتوبر سنة ١٩٣٤

(٢) أنظر العدد السابق من الرسالة

وقد اجتمع له موضوع جديد . وتهيأت له الفكرة تامة ناضجة فأملى عليّ مقالة « أرملة حكومة » وبعث بها إلى الرسالة فى البريد المستعجل لتدرك موضعها في عدد الأسبوع

وقلت للرافعى وقد فرغ من إملاء هذا المقال : « أراك لم تنصف صاحبنا المهندس فيما كتبت عنه وما نقلت من رأيه وما رددت به ، إنه ليعتذر إليك بعذر لم أجد جوابه فيما أمليتَ عليّ ، لقد صدق ؛ فمن أين له ... من أين له هو ؟ ... إنه لحرى بك أن توجه العتب والملامة إلى آباء الفتيات وإلى هذه التقاليد التى تفرض على الشاب الذي يريد الزواج ما لا طاقة له به إلا أن تكون له معجزة مالية ! »

فضحك الرافعى وقال : « أتراه كان يتحدث بلسانك ؟ .. لقد أخفيتها عنى يوم سألتُك ؛ وليس ثمة ما يمنعنى أن أصحبك غداً إلى ع ... لأطلب إليه أن يعفيك من هذه المعجزة المالية ! »

... ومضت أيام ، ثم دعانى ليملى عليّ « قصة زواج » : قصة سعيد بن المسيَّب إمام المدينة وعالمها الذى ردَّ رسولَ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان وقد جاءه فى خطبة ابنته لوليّ عهده الوليد بن عبد الملك ، وزوَّجها من طالب العلم الفقير أبى وداعة على مهر ثلاثة دراهم !

كانت هذه القصة هى جوابَ ما سألتُه تأخر إلى ميعاد . وكانت هى أول ما أنشأ من القصص لقراء الرسالة

***

وإنى لأرانى وقد بلغت هذا الحد ، مسئولا أن أتحدث عن قصص الرافعى ، وكيف كان يؤلفها ، وأول ما عالج منها ، وطريقته فيها :

لم يعالج الرافعى القصة — فيما أعلم — قبل قصة سعيد ابن المسيَّب إلا مرتين : أما أولاهما فى سنة ١٩٠٥ ، وكانت مجلة المقتطف قد سبَّقت بين الأدباء جائزة لمن ينشئ أحسن قصة مصرية ، فأنشأ الرافعى قصته الأولى وكان عنوانها « الدرس الأول فى علبة كبريت » ولم يحصل بها على جائزة ، ولكن المقتطف كافأه بنشرها اعترافاً بما بذل فيها من جهد . وقد أعاد الرافعى نشرها بعد ذلك بثلاثين سنة ، بعنوان « السطر الأخير من القصة »[1] وسأتحدث عنها فى موضعها

أما القصة الثانية فأنشأها فى سنة ١٩٢٥ بعنوان « عاصفة القدر » ونشرتها المقتطف أيضاً[2] . ثم كانت قصة سعيد ابن المسيب فى سنة ١٩٣٤

على أن ثمة فرقاً بين هذه القصة والقصتين الأوليين ؛ ذلك أن هاتين القصتين هو أنشأهما إنشاء فلم يعتمد فيهما على حادثة فى التاريخ أو حديث فى كتاب ؛ أما قصة سعيد بن المسيب فلها أصل معتمد فى التاريخ فلم يكن له فى إنشائها إلا بيان الأديب وفن القاصّ ، وكانت نواةً فهد لها واستنبتها فنمت وازدهرت . وفى الأدب القديم نويَات كثيرة من مثل هذه النواة لم يتنبه لها الذين يدعون إلى العناية بأدب القصة فى العربية ، ولو قد تنبهوا لها لوجدوا معيناً لا ينضب كان حريًّا بأن يمدهم بالمدد بعد المدد لينشئوا فى العربية فناً جديداً من غير أن يقطعوا بين ماضينا وحاضرنا فى التاريخ الأدبي ؛ وبمثل هذا تحيا الآداب العربية وتتجدد ، وإلى مثل هذا ينبغى أن تكون دعوة المجددين ، لا إلى الاستعارة والاستجداء من أدب الغرب والجرى فى غبار كتابه وشعرائه

... أعترف بأن الرافعى لم يكن يعرف عن فن القصة شيئا يحمله على معالجتها ويغريه على العناية بها ؛ وقد قدَّمتُ القول بأنه كان يسخر ممن يقصر جهده من الأدباء على معالجة القصة ولا يراه أهلاً لأن يكون من أصحاب امتياز فى الأدب ؛ إذ لم تكن القصة عنده إلا ضرباً من العبث ولوناً من ألوان الأدب الرخيص لا ينبغى أن تكون هى كلّ أدب الأديب وفن الكاتب . وقد كان يعيب عليّ لأول عهدى بالكتابة أننى لا أكاد أكتب فى غير القصة ، وأننى أجمل بعض همى فى دراسة الأدب أن أقرأ كل ما أستطيع أن أقرأ عن فن القصة وأسلوبها وطرائقها ومذاهب الكتاب فيها ، وكان يرى منى ذلك تخلُّفا وعجزا ونزولا بنفسى غير منزلتها بين أهل الأدب !

على أنه إلى ذلك كان يجد لذة فى قراءة القصة على أمثالها من

(١) الرسالة : العدد ٧٨ سنة ١٩٣٤
(٢) المقتطف : ديسمبر سنة ١٩٢٥

ألوان الرياضة العقلية لا باب من الأدب ؛ كما يشاهد رواية فى السينما أو يقرأ حادثة فى جريدة . وأحسب أنه كان يعتقد — على أنه كان لا يعرف التواضع فى الأدب — بأنه لا يُحسن أن ينشئ قصة ولا ينبغى له . وأحسبه أيضا حين أنشأ قصة سعيد بن المسيب لم يقصد إلى أن تكون قصة ، ولكنها هكذا جاءت على غير إرادته فكأنما اكتشف بها نفسه ...

والحقيقة أن الرافعى كان يملك طبيعة فنية خصبة فى القصة ، يعرفها من يعرفه فى أحاديثه الخاصة بينه وبين أصحابه ، حين كان يتعمد العبث والتسلية ، فيطوى من الحديث وينشره ، ويكتم ويورى ، ويورد الخبر إلى موزده ، ويهزل ولا يقول إلا الجد ؛ ويطوى النادرة إلا آخر الحديث ، ويقول فى آخر المقال ما كان ينبغى أن يكون فى أوله .

وكان له إلى ذلك تعبير رشيق وفكاهة رائقة يخترعها لوقتها لاتملك معها إلا أن تضحك وتدع التوقُّر المصنوع ؛ وإن له فى هذه الفكاهة لمذاهب عقلية بديعة تحس فيها روحه الشاعرة وحكمته التزنة وسخريته اللاذعة . ويكاد كثير من مقالاته يكون برهانا على ذلك ؛ فقلما تخلو إحداها من دعابة طريفة أو نكتة مبتكرة .

... وهذه هي كل أدوات القاص الموفق ؛ فما ينقصه إلا أن يدرس فنّ القصة ومذاهبها ليكون فيها من السابقين المبرّزين. ولكن الرافعى كان يجهل طبيعة نفسه ، وكان له فى كتّاب القصة ما قدمت من الرأى ، فكان تخلفه من هذين !

وحتى فيما أنشأ من القصص بعد ذلك ، لم يكن له مذهب فنى خاص يحتذيه ويسير على نهجه ؛ ولكنه كان يقص كما تلهمه فطرته غير ملقٍ باله إلى ما رسم أهل الفن من حدود القصة وقواعدها ؛ فإننا بذلك لنستطيع أن ندرس طبيعته وطريقته القصصية خالصةً له وحده ، غير متأثر فيها بمذهب من مذاهب المتقدمين أو المتأخرين من كتاب القصص ؛ على ما قد يكون فيها من نقص وتخلُّف ، أو ابتكار وتجديد .

وطريقة الرافعى فى كتابة قصصه غريبة ، وغايته منها غير غاية القُصاص ، فالقصة عنده لا تعدو أن تكون مقالة من مقالاته فى أسلوب جديد ؛ فهو لا يفكر فى الحادثة أول ما يفكر ، ولكن فى الحكمة والمغزى والحديث والمذهب الأدبى ، ثم تأتى الحادثة من بعد ؛ فهو إذا هم أن ينشئ قصة من القصص ، كان همه الأول أن يفكر فى الحكمة التى يريد أن يلقيها على ألسنة التاريخ — على طريقته فى إنشاء المقالات — فإذا اجتمعت له عناصر الموضوع وانتهى فى تحديد الفكرة إلى ما يريد ، يكون بذلك قد انتهى إلى موضوعه فليس له إلا أن يفكر في أسلوب الأداء ، وسواءٌ عليه بعد ذلك أن يؤدى موضوعه على طريقة المقالة أو على طريقة القصة فكلاهما ينتهيان به إلى هدف واحد ؛ فاذا اختار أن تكون قصة تناول كتاباً من كتب التراجم الكثيرة بين يديه ، فيقرأ منها ما يتفق ، حتى يعثر باسم من أعلام التاريخ ، فيدرس تاريخه ، وبيئته ، وخلانه ، ومجالسه ؛ ثم يصطنع من ذلك قصة صغيرة يجعلها كالبدء والختام لموضوعه الذى أعده من قبل ؛ وإنه ليلهَم أحيانا ويوفق فى ذلك توفيقا عجيبا ، حتى تأتى القصة وكأنما بنت التاريخ وما للتاريخ فيها إلا نادرة يرويها فى سطور ، أو إلا أسماء الرجال ... ...

على أن الابداع فى ذلك هو قدرة الرافعى — يرحمه الله — على أنه يعيش بخياله فى كل عصر من عصور التاريخ ، فيحس إحساسه ويتكلم بلسان أهله ، حتى لا يشك كثير ممن يقرأ قصة من قصص الرافعى فى أنها كلها صحيحة من الألف إلى الياء ...

وأحسب أن الرافعى لم يتخذ هذه الطريقة في تأليف القصص عن عمد واختيار ؛ فلم يكن ثمة مايدفعه إلى معالجة القصة واختيار طريقة فيها — ورأيه فى القصة رأيه — ولكنه مذهب اتفق له اتفاقاً بلا قصد ولا معاناة ؛ وإنما تأتى له ذلك من طريقته التى أشرتُ إليها فى الحديث عنه عند ما يهم بالكتابة ؛ فقد أسلفتُ القول أنه كان يحرص على أن يعيش وقتاً ما قبل الكتابة فى جو عربى ، فيتناول كتاباً من كتب الأدب القديم يقرأ منه فصلاً ما قبل أن يشرع فى إملاء مقاله ؛ فن هنا كان أول الطريق إلى مذهبه فى القصة . ولكل شيء سبب . وأحسبه لما همّ أن يكتب عن « المعجزة المالية » فى تقاليد الزواج وعن فلسفة المهر ، وقد اجتمعت له الفكرة فى ذلك ، تناول — كعادته — كتاباً من كتب العربية يقرأ فيه ما تيسر ، فاتفق له فى مطالعته أن يقرأ قصة سعيد بن المسيب والوليد بن عبد الملك وأبي وداعة فرآها

أشبه بموضوعه وفيهـا تمامه ، فبدا له أن يؤدى موضوعه هذا الأداء فكانت قصة . وأذكر أنه لما دعانى ليملى علىّ هذه القصة قال لى فى لهجة الظافر : « ... لقد وقعت على نادرة مدهشة من التاريخ تتحدث عن فلسفة المهر حديثاً لا أعرف أبلغ منه فى موضوعه ...! » ؛ فمن ذلك أعتقد أن أول هذا المذهب فى القصة كان اتفاقاً غير مقصود ، صادف طبيعة خصبة ونفساً شاعرة فكان فناً جديداً

وأكثر قصص الرافعى من بعدُ على هذا المذهب . على أن لكل قصة من هذه القصص — أو لأكثرها — أصلاً يستند إليه من رواية فى التاريخ أو خبر مهمل فى زاوية لا يتنبه له إلا من كان له مثل طبيعة الرافعى الفنية وإحساسه ويقظته ؛ على أن أهمّ ما أعانه على ذلك هو عنـدى صلتُه الروحية بهذا الماضى وشعوره بالحياة فيه كأنه من أهله ومن ناسه ؛ فان له بجانب كل حادثة وكل خبر من أخبار ذلك الماضى قلباً ينبض كأن له فيه ذكرى حيةً من ذكرياته تصل بين ماضيه وحاضره ، فما يقرؤه تاريخاً كان وانطوت أيامه ولكنه يقرأ صفحة من ماضيه ما يزال يحس فيها إحساس الحىّ بين أهله فما أهون عليه أن يترجمها من لغة التاريخ إلى لغة الأحياء !

وتماماً لهذا البحث سأحرص فى فصل قادم على أن أرد كل قصة من قصص الرافعى إلى أصلها من التاريخ وأنسبها إلى راويها الأول ، ليكون النموذج واضحاً لمن يريد أن يحتذى ليتم ما بدأ الرافعى على مذهبه فى تجديد الأدب العربى .

(سيدى بشر) محمد سعيد العريان

حـــواء

... عَلَم على ديوان شعر طريف فى الغزل العرفانى من نظم الأستاذ الحومانى تحت الطبع تحمل الرسالة نماذج منه إلى قرائها فى عالم الفن

حكمة المجنون

أمِنَ الفن كنتِ إذ كنتِ فى العا ... لَم ، أم كنتِ عالمَاً للفنون ؟
جُنَّ فيكِ الحكيم فافتَنَّ حتى ... كنتِ فى فيهِ حكمةَ المجنون
أتناساكِ ، والعوالم فوقى ... وأُناجيكِ ، والعوالم دونى
أفَكالناسِ كنتِ فيهم وسوا ... كِ أبوهم من صَلْصَلٍ مسنون ؟
سَفَهٌ فى اكتناهِ ذاتك أن نخلصَ منه إلى اكتناهِ الطين
إنما كنتِ كيفما شئتِ إذ قا ... ل لكِ الله كيفما شئتِ كونى

فم فى فم

أَسلِمينى واستسلمى لى فالحـبُ فمٌ فى فم وخدٌّ لخـدِّ
واكشفى لى نهديكِ أُشرفْ على ... غُرٍّ ليالىَّ فى قرارة مهـدى
هل ترَيْنَ الحياة ثَمّةَ إلا ... قطرةً من دمى على كل نهد ؟
عند عينيكِ لى من الأمل البا ... سم فى الحب ما لعينيكِ عندى
فأعِلّى خديكِ من دم عينىَّ ... وزيدى بما يعلانِ وجدى
ودعينى أشمُّ منكِ شذا الحـبِّ فما يستفزُّنى عطر وردِ

الحومانى

أثر المرأة فى النهضة القومية

للآنسة فلك طرزى

فى هذه الآونة العصيبة التى تجتاز فيها الدول الأوربية أزمة سياسية خطرة قد تؤدي إلى حرب طاحنة تقضى على ما بذلته الأمم المتمدنة من جهود فى سبيل رفع المستوى الانسانى وإيصاله إلى المثل الأعلى المنشود — يجدر بنا نحن الذين تضمنا حالنا الحاضرة إزاء مشا كل دولية دقيقة ، أن نلقى نظرة على أحوالنا الشخصية منها والعامة ، نظرة نافذة ثاقبة نسبر بها أغوارنا ، لنفحص على بينة ووضوح كل ناحية من نواحى هذه الأمة ، فان اهتدينا إلى تشخيص العلة الأساسية التى تسبب لنا أنواعاً من الآلام والأسقام ، استطعنا بعد دقيق الفحص وبُعْدِ التأمل ، إيجاد العلاج الذى يبرئنا شيئاً فشيئاً من هاتيك الآلام والأسقام

ولقد جرينا على عادة لست أدرى أأنسب ما نحن فيه من قلق وفوضى إليها ، أم أنسبه إلى الظروف الطارئة التى كانت الحائل بيننا وبين ما نصبو إليه جميعاً من واسع الآمال والأماني التى نبتغيها كاملة صحيحة ؟

جرينا على أن نبذل فى مجتمعنا الكثير من بضاعة الكلام ، ونعرض على الأنظار أشكالا مختلفة من أجناسها وألوانها ثم نهمل العناية بتحويل هذه البضاعة إلى صنوف من العمل المثمر ، لنبصر بالعين ما سمعناه بالأذن ، ونلمس باليد ما صورناه بالكلام

وتأصلت هذه العادة فى أنفسنا بحكم ما أوليناها من شديد الرعاية والعناية ، وأخذت تضغط بقوة أثرها الذى تغلغل في كل خفية من خفايا نفوسنا على بقية القوى الكامنة فينا التى فى استطاعتنا إذا تعرفنا الوسائل الممهدة لسبيل إبرازها — أن نستغلها أحسن استغلال فنستمين بما تمنحنا من رغبة فى العمل وصبر على الجهاد ، على تذليل العثرات التى قد تعترض سبيلنا أثناء قيامنا بتحقيق أقدس الأهداف وأنبلها

فأى كلام يبشرنا بنهضة اجتماعية مباركة تضاهى النهضات الأوربية الحديثة لم نسمعه ؟

وأى كلام ينبئنا بخواء بمستقبل نير وضاح يبدد سطوع شموسه ما تراكم من سحب وغيوم على سماء حياتنا فحجب رونقها وصفاءها ، لم نصغ إليه ؟

بل أية آمال وضاءة لألاءة لم نبصرها شذرات متفرقات فى هبوب الريح بعد أن أصغينا إلى رنين ضحكاتها يتردد بين قيم الألفاظ وجميل العبارات ؟

لقد سمعنا كلمة «البشرى» تتردد على الأفواه حلوة فحسبناها لفظاً مبطناً بحقيقة تحمل إلينا ما فى الحياة من معانى الكمال والحق وسمعنا كلمة « المستقبل » ترتل أناشيدها الشفاه ، فحسبناها لحناً مستمداً من القلب تكمن وراءه الحيوية المبدعة الخالقة

ثم أصغينا إلى صوت الأمل تتجاوب نبراته بين السطور ، فحسبناه أغنية تهدهد أنفسنا الظامئة المكدودة على نغماتها وتدعونا إلى سنة من عميق النوم ولذيذه ، فلبينا ما حسبناه صواباً ورحنا فى سبات عميق استغرق سنين طوالاً فقدنا خلالها الكثير من الصفات الشخصية والشعبية ، فخملت حيويتنا ، وبلد تفكيرنا ، وانحصرت عقليتنا ضمن ذاكرة تحدها الأوهام وأشباح التقاليد البالية التى قضت عليها وبددت ظلماتها أنوار العلم والثقافة

ولما استيقظنا من نومنا ، واستفقنا من سباتنا ، تلفتنا يمنة ويَسرة ، وأدرنا رؤوسنا ناحية الغرب وناحية الشرق ، فإذا بكل من هذه اللفتات تضع أنظارنا المشدوهة إزاء تطورات قومية وشعبية ، وتنبه حواسنا المخدرة على انقلابات فكرية وعقلية ، فمن أقاصى الشرق إلى أقاصى الغرب ، تحفز نحو المجد والتقدم ، كل أمة تجاهد وتستميت فى سبيل التفوق وفرض السيادة على العالم سواء من الناحية العلمية أم الفكرية ، أم التجارية . وقد رأينا كيف أخذت اليابان تكتسح الأسواق العالمية ببضائعها وتجارتها . وعمدت بعض الأمم إلى التمسك بنظرية تفوق جنسها على بقية الأجناس البشرية لبلوغ ما تصبو إليه من عزة وقوة وفخار . كل هذه القوى الفعالة التى مهدت لها سبيل البروز والظهور الحرب العالمية الكبري وما نتج عنها من التطورات والانقلابات تجرى حوادثها أمام أنظارنا ، فنسمع بالخيال قرقعة الأسلحة والمدافع تدوى وتنذر بالويل والتهديم ، وهى ما زالت آلات مفككة تحت آلات المصانع ، وندرك بالعقل

مبلغ الرقي الذى توصلت إليه فى الغرب الآداب على تنوع بحوثها والعلوم على مختلف أنواعها ، والفنون على تعدد فروعها ، تلك القواعد الثلاث التى لا تقام حضارة أمة بغير أسسها ، ونتعرف بالاختبار أى أثر بليغ تتركه التربية العائلية فى نفوس الناشئة ، وأية توجيهات مختلفة توجهها المبادئ التى تتلقاها فى محيط الأسرة حين الصغر ، فالناشئة التى تزدهر سنو طفولتها فى وسط يدرك الحياة على حقيقتها ويتعمق فى معانيها ويسبر غاياتها ، هى غير تلك التى تنمو وتشب فى آخر لا يدرك من الحياة إلا سطحها ، ولا يفقه من معانيها وغاياتها إلا قشورها دون لبابها

ثم نلقى نظرة إجمالية إلى تلك القوى التى تسير العالم المتمدن فنراها منهزمة مرة ، منتصرة أخرى ، ناهضة تارة، منحطة تارة أخرى، مجسمة فى حال نهضتها وانحطاطها، وانتصارها وانهزامها ، صورة الانسان فى آلامه وآماله وجبروته وعجزه، وبطشه وضعفه، وطموحه ومطامعه ، صورة الانسان الذى كلما اكتمل تكوينه العقلى والجسدى ، اكتشف نقائص جديدة تخل من توازنهما فيعمد إلى مختلف الوسائل يتوسل بها لتقويتها وضبط هذا التوازن بينهما

وكثيراً ما يتعثر بالصدمات فينهزم حيناً تعود بعده نغمة الأمل تتنفس فى صدره حارة تمنحه قوة أشد بأساً من كل قوة تنسيه فشله وهزيمته ، فيعاود الكفاح والمناضلة من جديد ، وكلما عراه ضعف يقاومه بالارادة والطموح النفسي إلى أن يتغلب عليه

فأي شعور يعترينا يا ترى ساعة يتجسم فى مخيلاتنا بعض من صور هذه القوى التى عرضتها الآن ؟

بل أى إحساس نحسسه عند ما نأخذ بتقييد كل صنف من صنوف الرق الذى أمدته الأمم كل من هذه القوى ومهدت له السبيل لتحقيق غاية من الغايات ؟

لاشك أننا نتحسر وتنقبض صدورنا ألما كلما تنازعتنا فكرة نهضتنا القومية الفنية وإلى جانبها النهضات القومية الأخرى التى قطعت شوطاً بعيداً فى مضمار التقدم والحضارة

وثقن أيتها السيدات أننى لا أبغى من تساؤلي هذا إضافة حسرة جديدة إلى ما نشعر به من حسرات تتمشى بين جنباتنا كلما شاعت فى نفوسنا مرارة هذا التساؤل

وإنى ما تساءلته قط إلا ليقيني بأنه يدور فى خلد كل منا ، وإننا جميعاً مذ أخذت أنفاس اليقظة تنفح على وجوهنا نفحات الجد والتوثب ، لا نفتأ نولى أنظارنا ناحية الغرب نتتبع حركاته وخطواته ونرقب تطوراته ، نستعين بما يسن من قوانين ودساتير على تنظيم هيئاتنا الحكومية والادارية ، ثم نقبس عن مدنيته قبسات تجعل حياتنا شبيهة بالحياة الغربية من بعض نواحيها

ولِمَ لا نتساءل ، وبالتساؤل نتعرف مدى شعورنا ومبلغ قوته وغزارته ؟

ولم لا نتساءل وبالتساؤل نزداد إحساساً بنقائصنا؛ وكلما ازددنا إحساساً بها ازددنا رغبة فى التبرؤ منها ؛ وليس الشعور بها شعوراً دقيقاً صحيحاً إلا بشيراً بزوالها

فنحن إذن المرضى ، ونحن إذن الأطباء ، نسمع أنات الألم تزفرها صدورنا المكلومة فنعكف على هذه الصدور نشخص داءها ونتبين علتها ، فاذا ما انكشفت العلة والداء سهل علينا وصف الدواء الذى يجدد قوى أمتنا ويشفيها من آلامها

إن أمتنا مريضة فى هذه الآونة أيتها السيدات ؛ ومرضها لا تشكو منه ناحية من جسمها دون بقية النواحى ، إنما هو مرض يشمل جميع أطرافها ويخشى عليها من فتكه ، إذا لم نسارع إلى إنقاذها من براثنه هى مريضة فى تفكيرها، مريضة فى ثقافتها ، مريضة في عقليتها ، مريضة فى أخلاقها ، ثم هى مريضة بسبب العلة المزمنة التى أصابت موضع القلب منها

فأى شأن من هذه الشئون يعالج قبل الآخر يا ترى ، ليتم لنا ما نريد ونبلغ ما نصبو إليه جميعاً من صميم أنفسنا ؟

أنعالج ثقافتها ، والعقلية التى تهضم هذه الثقافة وتستسيغها ما زالت قلقة مقيدة ؟

أم نعالج أخلاقها ، والأداة التى تعالج بها هذه الأخلاق — وأعنى بها الارادة — ما برحت ضعيفة واهنة ؟

أم نعالج الفكر ، والصلة الوثقى التى تربط الفكر بكل ما فى هذا الكون من خفايا الأمور وأسرارها مفككة الأجزاء ؟

أنا أري أن أول شأن يجب معالجته قبل بقية الشؤون هذا القلب، أيتها السيدات، لأنه ميزان الحياة الدقيق، والصلة التى تربط الانسان بها ، ومتى قامت بين الانسان والحياة رابطة متينة تغلغل

فكره فى زواياها وخلاياها وأدرك كل معنى من دقيق معانيها ، وشعر بها تتفجر فى أعماقه قوة وحيوية

فان كان القلب سليما خفاقاً ، جرت الحياة فى شرايين الجسم حارة متدفقة

وإن كان سقيماً عليلاً بلدت حركتها واعتراها كثير من الضعف والخمول

فاذا نحن عالجنا القلب ودققنا فى تشخيص دائه ، فمعنى ذلك أن كل واحدة منا انعكفت على ذاتها ، وأخذت تفحص هذه الذات على نور من البينة ، فان بدا لها ضيق فى ناحية من نواحيها وسمته ، وإن اتضح لها نقص قومته ، لأن المرأة من هيكل الأمة بمثابة القلب من جسم الانسان يضبط توازنه ، وينظم الحركة الحيوية فيه

وقد يعترض على قولى هذا معترض ، ويخالفنى مخالف ، مبيناً ما يزعمه من خطأ هذا القول . غير أن فى نفسى من العقيدة المبنية على عديد التجارب ، ما يجعلنى أومن بهذه الحقيقة إيماناً صحيحاً لا يخامره شك ولا يزعزعه ريب .

ولم لا نقر بهـا وكلنا يعلم أن المرأة مربية الرجل ومهذبته ، ومعلمته الأولى فى مدرسة الحياة ؟

ولِمَ نرتاب فى صحتها وقد علمنا الماضى من تاريخ الانسانية وحاضره أن نصف الأمة لا يصلح إذا بقى نصفه الآخر مشلولا ؟

بل لم لا نأخذ هـذه الحقيقة بعين الاعتبار ، وقد لمسنا أثر المرأة البعيد واضحاً في تكوين نفسية الطفل ، وعرفنا مدى تأثيرها فى حضارة الأمم ؟

فنحن إذا نفذنا إلى دخيلة أمتنا وتغلغلنا فى كل مناحيها ، مرهفين السمع إلى دقات الحياة ينبض بها قلبها ، فـاذا نسمع أيتها السيدات ؟

أنسمع دقات يؤلف مجموعها وحدة موسيقية جميلة اللحن ، منسجمة النغم ، تطرب لسماعها القلوب وتُسَر ؟

كلا ! إننا لا نسمع إلا دقات متفرقات ، تنبض مضطربة حائرة ، لا تكاد دقة منها تنبعث من بين الضلوع متزنة قوية ، حتى تتبعها أخرى وأخرى ، تعيد القلب إلى مجرى الفتور والخمول الذى كان عليه .

فالمريض إذن من جسم أمتنا هو القلب ، وأول الأدواء التى تجب مداواته هو داؤه لأن عقـل الأمة المفكر الذى هو الرجل لا يصبح دقيقاً صحيحاً إلا إذا شفى هذا القلب وعاد ملاذاً أميناً يأوى إليه العقل ليجدد بقربه قواه الفكرية ، ويستعين ببصيرته النافذة على استكشاف ما غمض عليه من أمور .

منذ أيام كنت أتحدث إلى عالم جليل وزعيم فى طليعة الزعماء الذين أحيوا الحركة القومية فى هذه البلاد وبثوها حية من تحت أردية الموت . ومما قال لى هـذه الجملة التى ينطوى معناها الدقيق على حقيقة بليغة :

« إذا أبصرت عبقرية تشع أنوارها وتتلألأ في سماء المجـد ساطعة ، فأيقن أن وراءها امرأة توقد جذوتها وتبعثها من مكمنها . »

عبقرية تبعث فيهـا الحياة امرأة ؛ وتوقد شعلتها المقدسة فتحولها نوراً ينشر ضياءه اللامع على مشارق الأرض ومغاربها ، مخترقاً النفس البشرية موضحاً ما غمض من أمورها ، كاشفاً ماخفى من ألغازها ؟

إنهـا نغمة انبعثت أول ما انبعثت من أرض عربية ، ثم انتشرت على بقية الآفاق فغناها أبناء الغرب وما زالوا يتغنون بها بينما نحن نسينا لحنها

إنها نغمة انبعثت إلى الوجود يوم انبثق فجر الرسالة العربية من آفاق غار حراء ، وأخذت أشعته المنيرة تخترق قلب كل عربى فتبدل كفره إيماناً ، وشكوكه ثقة وعقيدة ، ويوم كانت إلى جانب الرسول العربى الكريم امرأة تحيي عبقرية النبوة فى قلبه كلما أصابتها فرية من سهام المفترين

غير أننى لا أحمل المرأة وحدها تبعات هـذا النسيان ؛ فلشريكها الرجل نصيب غير ضئيل منها ، لأنه أهمل شأنها زمناً طويلاً وأسرف فى هـذا الاهمال ؛ فكان من جرائه أنها بقيت قابعة في زاوية مظلمة من زوايا الحياة لاتشترك فى أمر من أمورها حتى تكوَّن لدى الكثير من الرجال اليقين بأنها مخلوق وجد ليحيا على هامش الحيـاة ، وأن جميع حقوقهـا وامتيازاتها محفوظة للرجل فى كل زمان وفى كل مكان

لست فى حاجة ، أيتها السيدات ، إلى إثبات خطأ هذا الادعاء ،

لأن جسامة خطئه واضحة فيه . بل ما أريده هو كشف اللثام عن ادعاء لست أدرى أيسر التصريح به أسيادنا الرجال أم يغضبهم

إن إسراف الرجل فى أنانيته قد حمله على إبعاد المرأة عن جدّ الأمور وخطيرها معللاً ذلك بسبب تجردها من الصفات العقلية والفكرية التى تمكنها من إدراك دقائق هـذه الأمور وتقدير خطورتها

وكأنى بهذه الدعوى بل هـذه النظرية المبنية على غير الواقع قد سرت بالعدوى إلى المرأة فأخذ وهمها يستولى عليها مع مرور الزمن شيئاً فشيئاً حتى أضحت لديها حقيقة واقعة يخيل إليها أنها تبصر وميضها يشرق من نوافذ عقل الرجل ناسية أنها الأم التى أنشأته طفلاً وكونته رجلاً ، وأنهـا الزوج التى قاسمته الحياة على السراء والضراء . فنشأ فيها من جراء هذه الخاطئة ضعف أضاف إلى ضعفها الطبيعى ضعفاً آخر ، وجعل منها برهاناً يدعم به الرجل صحة دعواه ، ودليلاً يثبت خطأ هذه الدعوى

وقد انطبعت فى المرأة السورية هـذه العقيدة المغلوطة ، وتمكنت من عقلها إلى حد حملها على اليقين بصحة النقص القائم بينها وبين الرجل ، وأنها حقاً دونه عقلاً وفكراً وإدراكاً ، وتناست أن مستواها العقلى والفكرى كان قد يساوى المستوي العقلى والفكرى عند الرجل ، لو أن أنانية هذا لم توح إليه باهمال شأنها وإهمال رفع مستواها إلى أوج الكمال النسبى

فأخذت نظرته إليهـا — أى الرجل — تنحط مع الزمن وتنحصر ضمن نطاق محدود ، وأخذ اعتباره إياها يتضاءل يوماً بعد يوم ، حتى أصبح ذات يوم وفى نفسه نحوها احتقار يبيح لذاته الحط من قيمتها واعتبارها وسيلة من وسائل اللهو والتسخير

فليس عجباً أن نفيق بعـد هجعتنا الطويلة فنبصر حال المرأة فى أوساطنا متقهقرة ، وقد أدركنا سر هذا التقهقر . وليس بمستغرب أن نرى الرجل فى هذه الأوساط ناقص التربية ناقص التهذيب وقد وقفنا على سبب ذلك النقص . إنما المستغرب فى كل هذه الأمور أن ندرك سرها وأسبابها ثم نقف عند حدود الادراك دون أن نتجاوزه إلى حيز العمل ، حيث تظهر حقيقـة المرأة ويسطع جوهرها

وفى المرأة أيتها السيدات صفات فطرية مفقودة عند الرجل فهى حساسة بغريزتها رقيقة بطبيعتها ، والحس والرقة صفات إذا توصلت المرأة إلي صقلها وتهذيبها استحالت من مخلوق بشرى إلى ملاك سماوى يحمل بين جوانحه معانى الرأفة والحب والسلام

والمرأة شاعرة بطبعها وفطرتها ، فإن هى عرفت كيف تنمى هذه الشاعرية فيها ، وعرفت كيف تغذيها ، تحولت كوكباً ينبعث من صميم الحياة نوراً ينشر علي هـذه الحياة أشعة من الود والصفاء

فأثر المرأة لا يظهر جلياً واضحاً فى النهضات القومية ولا يخلف بعـده أفضالا وحسنات ترفع الأمة من الحضيض إلى العلاء ، إلا حين يستيقظ فيها الحس العميق بوجوب تهذيب الصفات الطبيعية التى فطرت عليها ، وتحويلها من غريزة إلى شعور سام رفيع ، يجعل من رسالتها إلى الأمة ، رسالة الحياة وكل ما تحوى هذه الحياة من معانى المجد والحضارة والازدهار .

فلنستمن سيداتى بما ترك لنا أولئك الذين أدركوا النفس البشرية على حقيقتها ، واستطاعوا بقوة بصيرتهم اختراق لفائفها والنفاذ إلى أعمق موضع فيها ، لنستمين بأنوار نفوسهم على إنارة نفوسنا ، فإذا ما نفذت هذه إلى أعماقنا واستقرت فتحت أعيننا على عوالم من مختلف المشاعر والعواطف تحيا فى هذه الأعماق فتهدينا إلى كل موضع من مواضع السحر والجمال التى يحويها العالم الخارجى لنتأمل مفاتنه ونصغى إلى موسيقاه ، فمن كان له قوة التأمل وقدرة الاصغاء أدرك كبائر الحياة وصغائرها. ويخيل إلى أن نجاح أمتنا وحضارتهـا متوقفان على دقة البصر وإرهاف السمع . ومن غير المرأة التى فطرت على الاحساس يدرك هذه الدقائق ؟ .

« دمشق » فلك طرزى

إلى رؤساء المدارس

أستاذ ماهر فى اللغة الإنجليزية . ماجستير فى العلوم والآداب . متخرج من جامعة شهيرة . مارس فن التدريس مدة طويلة : يدرس حالياً فى إحدى الكليات الإنجليزية بمصر . لديه من الوقت للتدريس فى مدرسة أو كلية أخرى

المخابرة مع الأستاذ جاربد

صندوق البوستة رقم ٢ بمصر

الثقافة الإسلامية

١ – مصادرها

لمناسبة اهتمام معالي وزير المعارف بأمر الثقافة الاسلامية ... ...

للأستاذ ابراهيم جمعة

تقافة العرب الجاهليين – العرب يستقبلون الاسلام أبعد ما يكونون عن علم أو فلسفة – أثر اليهود والنصارى فيهم – أثر النساطرة من أتباع الكنيسة الشرقية – فضل الأسكندرية على الثقافة الاسلامية – مراكز العلم فى حران ونصيبين وجنديسابور – مهمة النساطرة والسريان فى النقل عن الأسكندرية إلى الشرق الأدنى – إشتغال العرب بالعلم والفلسفة متأثرين بالنساطرة وبالصابئة فى حران – حركة النقل وما نقل العرب عن الأمم الأخرى

الثقافة الإسلامية كما يؤخذ من اسمها وليدة الإسلام ، فالإسلام ، هو العامل الوحيد فى نشوئها ، والعرب هم حملة لواء الاسلام فهم إذن الكواهل التى نهضت بهذه الثقافة وأقامت على الزمن بنيانها المكين . ولم يكن العرب ليؤدوا هذه الرسالة الكبيرة وهى رسالة علم جامع شامل ، لو لم يكن فى طبيعتهم لذلك استعداد وقبول

والعرب الجاهليون أميون ، أبعدتهم تضاعيف شبه الجزيرة العربية عن الأمم ذات الحضارة ، وعزلتهم عنها انعزالاً لم يخفف من حدته سوى خروج بعض الاعراب وبخاصة من قريش فى التجارة إلى الشام ومصر . وقد دقت أخفاف الإبل على وجه شبه الجزيرة العربية طريقين هامين : الأول طريق حضرموت والبحرين والخليج الفارسى ، والثانى طريق اليمن والعسير ومكة والبطراء ، فإذا ما انتهت المتاجر إلى خليج فارس وتخوم الشام كان اختلاط بين العرب وسكان الحضر ، وكان تبادل فى التجارة ، وكان امتزاج فيه مصلحة مادية ، وفيه تبادل أفكار ، وفيه أخذ وعطاء فكريان إلى جانب الأخذ والعطاء المعروفين فى التجارة

وقد حل عرب الحجاز محل اليمنيين فى السيطرة على الحركة التجارية وعلى مسالك التجارة قبل انبثاق فجر الاسلام بقليل، وكاد عرب الحيرة بسبب شدة ولائهم لفارس ، ورغبتهم فى تنحية ما عداهم من الاعراب عن خدمة الفرس يستأثرون بتجارة إيران . وظلت متاجر الهند والحبشة والبقاع الخصبة فى جنوب شبه الجزيرة العربية تنقل إلى تلك البلاد حتى جاء الاسلام فشغل العرب بالجهاد فى سبيله ، وانصرفوا إلى الفتح ، وما يصحبه من شواغل ، واستوطنوا أرضاً جديدة أو قل استوطن كثير منهم البلاد المفتوحة فوجدوا فيها غناء صرفهم عن الكدح فى سبيل العيش على النحو الذى عرفوه فى جاهليتهم ، وكفاهم سواد العراق أول الأمر مشقة السعى المضنى وراء الرزق فى هجير البادية – ثم استقبلتهم وديان الشام بما خصها الله من خير ، وانفتحت لهم أبواب مصر فأبدلتهم بقتاد الصحراء جنة فيحاء ، فكان استقرارهم وامتزاجهم بالعناصر الأجنبية سبباً فى التحضر وترك عيشة البداوة ، والاقتباس الذى زاد على الزمن وانفرجت دائرته ، فأحاطت بالشيء الكثير مما عرفت أمم إيران والجزيرة والشام ومصر من مظاهر التمدن . وعلى هذا كان اختلاط العرب بالأمم المجاورة قبل الاسلام بسبب التجارة وامتزاجها بها بعد الاسلام بسبب الفتوح أول خطوة فى سبيل تكون ثقافة جديدة لم يكن يعرفها العالم من قبل

هؤلاء العرب الذين شهدوا الحضر شهوداً موقوتاً وهم يقومون على أمر قوافل التجارة أو الذين نزلوه واستقر بهم المقام فيه جنوداً أو بطوناً مهاجرة لم يكن لهم من مظاهر الثقافة إلا ما كان للعرب الجاهليين عامة من لغة وشعر وقصص وأمثال . وينسب إليهم بعض المؤرخين دراية بالطب والتنجيم والانساب والأنواء . وليس من العدل فى شيء أن ننسب إلى جماعة هبط مستواهم الاجتماعى إلى مثل ما هبط مستوى عرب الجاهلية علماً منظماً . بل إن كل ما عرفه العرب من هذا القبيل معلومات تقوم على الخبرة التقليدية التى كثيراً ما تخطئ وقليلاً ما تصيب . يقول الأستاذ أحمد أمين فى كتابه فجر الاسلام : « ومن الخطأ أن تسمى هذه الأشياء علماً كما يفعل الألوسى وغيره فيقول – ومن علومهم علم الطب وعلم الأنواء وعلم السماء ، ثم يشيدون بذكر ذلك حتى يوهموك أنه كان عندهم علم منظم بأصول وقواعد ، فإن ما كان عندهم من هذا القبيل لا يتعدي معلومات أولية وملاحظات بسيطة لا يصح أن تسمى علماً ولا شبه علم »

وقد جهل العرب الجاهليون الفلسفة جهلا تاماً وكل ماعرف عنهم خطرات فلسفية يقول عنها الأستاذ أحمد أمين أيضاً :

« ... هناك فرق كبير بين مذهب فلسفي وخطرة فلسفية ؛ فالمذهب الفلسفي نتيجة البحث المنظم ، وهو يتطلب توضيحاً للرأي ، وبرهنة عليه ، ونقضاً للمخالفين وهكذا ... وهذه منزلة لم يصل إليها العرب في الجاهلية . أما الخطرة الفلسفية فدون ذلك لأنها لا تتطلب إلا التفات الذهن إلى معنى يتعلق بأصول الكون من غير بحث منظم وتدليل وتفنيد، وهذه الدرجة وصل إليها العرب »

إذن استقبل العرب الاسلام وهم خلو من كل علم صحيح أو فلسفة حقة . ويجدر بنا قبل أن نتعرض إلى الموارد التي تطرق إليها العرب ونهلوا منها علماً وفلسفة خارج ديارهم — أن نذكر شيئاً عن أثر الديانتين اليهودية والنصرانية . أما اليهود فالمعروف أنه كانت لهم جاليات في يثرب وتيماء وفدك وخيبر ووادي القرى . وللثقافة اليهودية ناحيتان: الأولى مادية، فقد نشروا بين الأعراب معرفة بضاعة المعادن ولا سيما الأسلحة ، كما عرفوا الزراعة . والأخرى معنوية، فقد بثوا بين الأعراب كثيراً من تعاليم التوراة قبل الاسلام ، فعرف هؤلاء شيئاً عن البعث والحساب والعقاب ، وظل تأثير اليهود باقياً على شكل أساطير وخرافات ، ومن ذلك ما بثه في الاسلام كبار من أسلموا من اليهود مثل كعب الأحبار الذي نقل إلى الاسلام فكرة « تحريم التصوير » وهو في ذلك ناقل عن تعاليم اليهود ومتأثر بطبيعة الجنس اليهودي ، تلك الطبيعة التي تكره التصوير لأنها تعجز عنه وتقصر دونه

ومن أهم المصادر الثقافية التي أخذ عنها العرب أيضاً المسيحيون في شبه الجزيرة قساوستهم ورهبانهم ومنهم الشعراء والبلغاء أمثال أمية بن أبي الصلت وقس بن ساعدة

واليهود والمسيحيون متأثرون بالثقافة اليونانية التي ازدهرت على شواطئ البحر الأبيض المتوسط وغزت بلاد الشرق الأدنى وامتزجت بنفوس سكانه ، واتخذت لها مواطن تركزت فيها أشهرها حران وأنطاكية والاسكندرية ؛ فكأن شيئاً من الثقافة اليونانية كان قد وصل العرب عن طريق انتشار اليهودية والمسيحية في بلاد شبه الجزيرة قبل الاسلام ، ولكن الأثر البالغ لهذه الثقافة الاغريقية وصل إلى العرب عند ما انطلقوا من عقالهم والتقوا خارج بلادهم بممثلي هذه الثقافة في مراكزها أو بعبارة أخرى في البؤرات التي تركزت فيها

وأشهر الأوساط الثقافية التي كان لها على العرب فضل لا يعدله فضل «الاسكندرية» مدينتنا العظيمة، ففيها اختلط ما كان للاغريق من علم وفلسفة ، وهناك امتزجت الفلسفة بالدين امتزاجاً جعل منها ضرباً من ضروب التصوف الفلسفي . ولا غرابة في ذلك فقد كان معظم المشتغلين بالعلم في العصور الوسطى من رجال الدين وقد لجأ هؤلاء إلى الفلسفة والمنطق يؤيدون بهما تعاليم المسيحية

واشتهر النساطرة واليعاقبة من أتباع الكنيسة الشرقية باحتفاظهما بعلوم الأقدمين وفلسفتهم ، وهم في واقع الأمر حلقة الاتصال بين التراث العلمي اليوناني وبين العرب . وكان النساطرة مترجمين لكثير من كتب الفلسفة واللاهوت عن اليونانية إلى اللغة السريانية كما حذقوا الطب والكيمياء وعرفوا بهما في فارس وفي البلاط العباسي . والعلاقة وثيقة — كما يقول الأستاذ الدكتور بطلر في كتابه (فتح العرب لمصر) — بين لغة السريان وبين العلم . والظاهر أنه كان لا بد لكل من يريد أن يحذق علوم الأقدمين من الالمام باللغة السريانية أولا ، وأن يتتلمذ على أساتذة من النساطرة ثانياً

ويهمنا بنوع خاص كمصريين أن نتعرف مقدار ما أفاد العرب من علوم الاسكندرية . والمؤرخون العرب والسوريون يعتبرون الكاتب والمؤرخ « حنا الأجرومي » أصدق ممثل للحركة العلمية الاسكندرية وآخر رجالها، وإليه وإلى الفيلسوف السفسطائي « اسطفان الاسكندري » وإلى اسطفان الأثيني وهو طبيب مؤلف ومعلق على بعض تصانيف « جالين » الطبيب الأسكندري يرجع الفضل فيما نقل العرب من علوم الأسكندريين

وحنين بن إسحق من أكبر الناقلين لعلوم الأسكندرية يذكر لمناسبة نقله لمقالات جالينوس إلى السريانية والعربية أنه قبل الفتح العربي بقليل تضافرت جهود أطباء الأسكندرية على جمع سبعة من مصنفات جالينوس الطبية ، أصبحت أساساً للدراسات الطبية في وقت كاد لواء العلم فيه يسقط أو قل سقط بالفعل في مدينة الأسكندرية ، اللهم إلا إذا اعتبرنا تلك الاجتماعات التي كانت تعقد ليتذاكر فيها المجتمعون من محبي العلم عامة والطب

خاصة بمضاً مما وضع جالينوس، أو ليقوموا بنقلها إلى لغة أخرى من غير كبير تقيد بتعاليم جالينوس نفسه

وممن يذكر المؤرخون العرب أنهم اشتركوا في هذا العمل الطبي الكبير في أخريات أيام العلم الاسكندرى : حنا فليوتس واسطفان الاسكندرى وجسيوس وبلاديوس ومارينوس ، الذين علقوا على مؤلفات أبقراط وجالين

ومما شهد العرب في الاسكندرية مدرسة فلسفية مسيحية أعقبت المدرسة « الأفلاطونية الحديثة » التي كان يتزعمها « الشيخ اليوناني » أفلوطين الاسكندرى كما يصفه الشهرستاني

ومن أشهر فلاسفة هذه المدرسة الفلسفية المسيحية الفيلسوف المسيحى السريانى « حنا الأفامى » نسبة إلى أفامية إحدى مدن سوريا الشمالية ، والطبيب « مرجيوس الرسمنى » المعروف باسم تيودوسيوليس الذى نقل عدداً لا بأس به من مقالات جالينوس إلى اللغة السريانية . وقد أنتجت هذه المدرسة نفسها الطبيبين المصنفين « بولس الأجانيطى » و « أهرون » وقد أثر عن هذا الأخير كتابه « الفتاوى الطبية » الذى نقل من السريانية إلى العربية وكان له أثره المحسوس فى الطب الاسلامى فى أوائل عهد العرب بالاشتغال بالعلوم الطبية

ومن الطريف أن نعرف كما يقول الأستاذ الدكتور ماكس مايرهوف أن الحجة الذى يحدثنا عن مدرسة الاسكندرية فى عصر من عصور اضطراب الاسكندرية وركود حركتها العلمية إنما هو « الفارابي » الفيلسوف العربى الذى عاش فى القرن العاشر الميلادى، يقول فى كتابه عند ذكر الفلسفة اليونانية وهو كتاب مفقود الآن إلا فقرات منه وعاها كتاب « عيون الأنباء » لابن أبى أصيبعة تفيد أن امبراطور المسيحيين كان يتدخل فى حرية البحث والدراسة ويقصر ما يدرس من علم المنطق فى كتب أرسطو على نقط لا تتعدى باب « الأشكال الوجودية » وكان يحرم دراسة ما عدا ذلك لتعارضه مع التعاليم الدينية المسيحية .
ولا يهمنا ذلك إلا للدلالة على أن الاسكندرية لم تصبح قبيل الفتح الإسلامى وسطاً صالحاً للدراسة الحرة كما كانت من قبل ، بل أصبحت الحركة العلمية فيها وقفاً على رجال الدين؛ ولم يكن من خير العلم أن يتناوله رجال الدين ؛ فيخضعونه للدين وسلطانه

ويذكر الفارابى أيضاً أن أستاذه المسيحى « يوحنا بن حيلان » رفض أن يعلمه فصولاً بذاتها من علم المنطق لأرسطو كان محظوراً على فلاسفة الاسكندرية فى ختام القرن التاسع الميلادى تعليمها إلا حين أبيح ذلك فى وقت ما للمسلمين دون سواهم

ولا يعزب عن البال أن الحركة العلمية وإن تكن قد فقدت فى الاسكندرية مرتعها الخصب فقد وجدت فى النسطورية المنتشرة فى الشرق الأدنى وتطرقها إلى جوف الامبراطورية الساسانية ما أيقظ فى الناس هناك رغبة صادقة فى العلم فى شكله الهلينى السريانى

ويعرف التاريخ أن الامبراطور (زينو) كان قد أمر بتحطيم مدرسة علمية نسطورية عام ٤٨٩ م كانت مزدهرة فى « أودسا » فأعقبتها على الأثر مدرسة قامت فى « نصيبين » ببلاد الفرس . ونرى أنه قامت بجند يسابور باقليم خوزستان بفارس أيضاً مدرسة طبية ذات بال ظلت حتى القرن التاسع الميلادي ، وفيها تخرج كثير من الأطباء الذين خدموا بلاط الخليفة العباسي ببغداد وجلهم من المسيحيين . ويهمنا ذلك للدلالة على أن النساطرة كانوا على أقل تقدير منذ القرن الخامس الميلادى يشتغلون بالعلم وبالطب خاصة فى أودسا ونصيبين وجنديسابور من أعمال فارس، فلم يكن غريباً أن يكونوا حلقة الاتصال بين علم الاسكندرية والعرب فيكون منهم نقلة هذا العلم والحفظة عليه فى عصر عصفت فيه أنواء الاضطراب فهددت الثروة العلمية الهلينية بالزوال

ويحدثنا الأستاذ ماكس مايرهوف عن وثائق قيمة يتضمنها كتاب تاريخ الحكماء لابن أبى أصيبعة وأصلها عن كتاب لأبى نصر محمد الفارابى مفقود تتضمن « أنه بعد خضوع الاسكندرية للاسلام انتقل مركز الثقافة منها إلى « انطاكية » وهناك استقر طويلا حتى قضى معظم أساتذة العلم نحبهم غير رجلين هجرا انطاكية يحملان ما اقتنياه من كتب، أحدهما من « حران » فى أعالى أرض الجزيرة ، والثانى من «مرو» فى بلاد العجم . وكان من تلاميذ « المروزي» هذا ابراهيم المروزى ويوحنا بن حيلان. أما تلاميذ « الحرانى » فكان منهم القس « إسرائيل » و « الكويرى » وهذا الاسم الأخير تحريف للاسم السرياني كيوريه أو قيرس

وقد أفادت بغداد من علم الكويرى والقس إسرائيل وحنا بن حيلان ما أفادت وانتفع بلاط العباسيين بطب هؤلاء، وأخذت عن هذا وذاك الثقافة الإسلامية ما أخذت عن طب القدماء وفلسفتهم .

وكان انتقال مركز العلم من الاسكندرية مستقر العلم الهليني اليوناني إلى أنطاكية فى خلافة عمر بن عبدالعزيز ومن أنطاكية إلى حران فى خلافة المتوكل العباسى . وانتهى العلم فى زمن المعتضد إلى عالمين هما « الكويري » و « يوحنا بن حيلان » الذى مات ببغداد فى خلافة المقتدر ، وعن هؤلاء انتقل إلى « ابراهيم المروزى » و « محمد بن كرنيب » وأبى بشر متى بن يونس وهما تلميذان لابراهيم المروزي . وينسب إلي متى هذا أنه علق على كتب أرسطو فى علم المنطق . وبوفاة متى هذا ببغداد فى خلافة « الراضى » انتقلت الفلسفة العربية إلى أبى نصر محمد بن محمد الفارابى أحد تلاميذ حنا بن حيلان وهو أشهر من يرجع إليهم فى المسائل الفلسفية من العرب والذي لم يكن ينافسه غير مسيحى واحد هو « أبو زكريا يحيى بن عدى »

ولقد سبق أن عرفنا أن دراسة الفلسفة اليونانية على الشكل الذى انتهت إليه فى الاسكندرية هاجرت إلى « حران » مغادرة أنطاكية ؛ وغدت حران بذلك وسطا لدراسة الفلسفة اليونانية ، وعلم النجوم كما عرفه اليونانيون ولاسيما وقد صادفت هذه الناحية من نواحى الدراسة فى حران فئة « الصائبة » من عبدة النجوم فوجدوا فيها مرتعاً ووجدت فيهم تلاميذ مخلصين . وهنا فى حران نشأ بعض أعاظم فلكيي العرب أمثال « ثابت بن قرة » والبتانى وغيرهما

وقد تجلت العقلية العربية الهاضمة بكل مزاياها ومميزاتها فى حركة النقل الكبرى فى عصر المأمون فترجمت إلى العربية أشهر الكتب فى كل ناحية من نواحى الثقافة . ويمكننا أن نعتبر هذه الثروة الفكرية الهائلة التى نجمت عن هذه الحركة أساس الثقافة الاسلامية كلها ، وهى ثقافة متشعبة الأصول واسعة الأطراف يحتاج الالمام بفكرة إجمالية عنها إلى مقال خاص

ولا غنى لطالب الثقافة الاسلامية عن الالمام بالنواحى المختلفة التى شملتها هذه الثقافة وبعضها فكرى بحت والبعض مادى له اتصال وثيق بالحضارة . وهذا الجانب المادى فى اعتبارنا هو الطابع الجديد الذى طبعه العرب على وجه العالم منذ القرن السابع الميلادى حتى العصر الذى فشت فيه المدنية الأوربية بما استصحبت من ذوق جديد شغف العالم به فكان قاضياً على كثير من نواحى الحضارة الاسلامية ، فحب الايرانيين وشغفهم بتقليد الأوربيين فى زمن الدولة الصفوية فى القرن السادس عشر طبع التصوير الفارسى وهو مظهر من مظاهر الحضارة الاسلامية بطابع أوربى أفقده مميزاته الأساسية التى هى سر جماله وسحره ، وانتشار الطراز الأوربى فى البناء قضى فى مصر مثلاً على الطراز التركى العثمانى وهو آخر مدرسة من مدارس العمارة الاسلامية

ولعل هذه العناية التى بدت من جانب وزارة المعارف لاحياء الثقافة الاسلامية لا تكون قاصرة على إحياء الجانب الفكرى منها ، بل لعلها تتناول الجانب المادى أيضاً فيعود إلى الحياة طراز إسلامى فى البناء تتسم به مصر الاسلامية وينبعث منها إلى البلاد الاسلامية المجاورة ، وتعنى مصانع النسج باخراج أقمشة ذات أنماط فارسية بارعة الجمال كالتى عرفناها فى دراساتنا . وتتمتع بلادنا بمركزها الجغرافى بمكانة طالما أدت بها أجل الخدمات كوسيط بين الشرق والغرب . وقد أغرم الغرب يوماً ما بفنون الشرق وحضارته وكان ناقلاً عنه باعجاب شديد. وبين تاريخ الفنون كثيراً من المعلومات عما كان بالبندقية فى القرن السادس عشر من مدارس فنية مهمتها تقليد التحف النحاسية الشرقية والخزف الشرق وما كان لصقلية من (طراز) أو مصانع النسج التى كانت تخرج منتجاتها محاكية الأنماط المصرية والفارسية محاكاة تدعو إلى كثير من الاغتباط والاعجاب

ولنا فى موضوع الثقافة الاسلامية جولات مستقبلة إن شاء الله نتناول فى إيجاز حركة النقل ونشوء المدارس والجمعيات العلمية الاسلامية فى مقالنا التالى

(دار الآثار العربية) ابراهيم جمعة
خريج معهد الدراسات العليا للآثار الاسلامية بدرجة الشرف

بين العقاد والرافعي

« سارة » وغزل العقاد

للأستاذ سيد قطب

— ١٣ —

حدثني اليوم عن « سارة » وعن غزل العقاد ، فما يصح — في الحقيقة — أن يكون إلى جانب الفن الممتاز ، والحياة الدافقة ، والعبقرية المرموقة ، مجال للأحاديث التافهة ، والجدال المقيم ، والطبائع المثلقة . نحن هنا في حرم مقدس ، فلا يليق تدنيسه بالأهاذير !

ولقد كنت أخذت بعد إجمال الرأي في مكانة سارة من الأدب ، أشخص بعض خصائصها . وسأتم اليوم ما بدأت ؛ إلا أن هناك ملاحظة أحب أن أعرضها . فالقارئ لسارة ، المتتبع لمواقفها وحالاتها النفسية، التي تُجسَّم حتى تصبح شخوصاً ملموسة ، يجد كثيراً من الحالات والشخوص التي تشابهها في قصائد العقاد الغزلية ؛ وقد مثلت لهذا في الكلمة الماضية بقطعة « الحان والمسجد » . وليس هذا عجيباً ، فالعقاد هو خالق هذه الشخوص هنا وهناك ، ولكنه جدير أن يلفت النظر بدلالته على أن شخصيتي « همام وسارة » عميقتان في نفس المؤلف ، وأنه استوعبهما في نفسه وحسه قبل أن يبرزهما على الورق « قصة » ومن هنا كانت حياتها ، وكان امتيازها . وسيرى القارئ أمثلة أخرى للتوافق أو التشابه بين كثير من الشخوص النفسية في القصة وفي الديوان

***

من الخصائص الفريدة في « سارة » تلك الملاحظة الدائبة على تسجيل الحالات النفسية وإبرازها وتحليلها . فما من خطرة خاطرة ، أو خلجة عابرة ، إلا وهي واضحة مرسومة ، تبلغ في وضوحها حد التشخيص . وفي هذا القول ما يشمل الخاصية الأولى التي أشرت إليها في الكلمة الفائتة من التفات همام إلى « كل ذرة في نفس حبيبته وكل لحظة من لحظات حبه » ولكنني أعني هنا أكثر مما عنيت هناك، أعني الحالات النفسية التي أحس بها همام، أو أحستها سارة، أو أحساها معاً في مدى حبهما كله. فمن هذه الحالات تبرز شخوص شتى ، تساوي أحفل القصص بالشخوص الحقيقية التي تعيش في الحياة . والواقع أن « الشخوص النفسية » كما أسميها في « سارة » أعمق ، والالتفات إليها أصعب ، لأنها تعيش في نفس من يرصد نفسه لملاحظتها وتسجيلها ! فهي في حاجة إلى طاقة فنية كبيرة ، وإلى ترتيب عقلي محكم ، لكشفها وإبرازها

وكل شخص من تلك الشخوص لا يقل أصالة وفنية عن سواه ، ولكنا نختار :

بعد قطيعة همام لسارة لقيته مصادفة ، ودار بينهما حوار ، واتفقا على أن تزوره في الساعة الخامسة موعدها القديم للقاء . ولكن هماماً كان قد ذاق قبل القطيعة ماذاق ، ثم آوى إلى ركن شديد واعتصم بالفراق والسلوان الكظيم . فلما كان هذا اللقاء المفاجئ ، عادت إليه عقابيل الداء ، ولم يعد مصمماً على انتظارها ولا مصمماً على لقائها ، و « العقاد » يصفه في يوم الموعد :

« ثم استيقظ في الصباح وهو يسأل نفسه كأنما يسأل مخلوقاً غريباً يجهل ما عنده من نية وشعور ؟

« أتنوي أن تنتظرها في الموعد »

« فما هو إلا أن وضح السؤال في خاطره ، حتى شعر بأنه سؤال غريب ، يدل على ما وراءه ، وحتى بدت له الدهشة من أن تكون هناك نية معقولة غير الانتظار !

« وهنا دارت في سريرة هذا الرجل — هذا الرجل الواحد — مناقشة عنيفة طويلة كأعنف ما تدور المناقشة بين رجلين مختلفين كلاهما مصر على عزمه ، وكلاهما يحاول جهده أن يخدع الآخر ويستميله إلى رأيه ، وكلاهما يبذل كل ما هو قادر عليه في هذا الحوار من أساليب الاقناع والاغراء والرياء والتصرع

— كيف لا تنتظرها ؟ أتعطي سيدة موعداً ولا تنتظرها فيه ؟ أهذا يليق برجل ؟

— ولكنها ليست سيدة كسائر السيدات ، ولا زائرة من زائرات المجالس العامة اللواتي تقع بيننا وبينهن هذه التكاليف

إن هذه المجاملات أو هذه القيود لا حساب لها فى العلاقات التى انطلقت من جميع القيود

— ولكن مم عساك أن تخاف ؟ انتظرها وقل لها : إنك لا تريد أن تراها بعد هذا الموعد !

— عجباً ... أتجهل ما أخافه ؟ أتجهل تلك الآلام التى لا حيلة فيها لمخلوق ، ولا تزال تبتدئ من حيث تنتهى ، وتنتهى من حيث تبتدئ ، لأنها تبتدئ وتنتهى من الشكوك ، وليس للشكوك قرار حاسم ولا مقطع بيقين ؟ أتجهل تلك الأشباح اللئيمة التى تطل عليك فى أطيب أوقاتك فتنغص عليك كل لذة ، وتكدر عليك كل صفاء ؟

— لكن علام كل هذه الشكوك التى ليس لها أول ولا آخر ... اصرفها عنك مرة واحدة ، وافرض أسوأ الفروض ، وقدر أنها تخونك ، وأنك تلهو بها فى ساعات فراغك ، ولا يعنيك من شأنها بعد ذلك إخلاص ولا خداع

— أأنت مخلص فيما تقول ؟ وكيف تنقلب هذه المرأة التى كانت كل نساء الأرض عندي ، وكل ما يخفق له قلبي ، فتصبح بين مساء وصباح ، وهى لهو ساعة ، ومتعة فراغ ؟ أهذا خداع يجوز على إنسان ؟ أو تضمن إذا أنا اتخذتها لهواً ومتاعاً ألا يتمكن اللهو وبطيب المتاع ، وأننا لا ننكفئ بعد أيام أو بعد أسابيع إلى استغراقنا القديم ، وشكوكنا القديمة ، وعذابنا الأليم ؟ لا ، لا هذا مجال باطل ، واستدراج لا يستر ما وراءه ، وتزوير لا أرضاه

— « لكن الفتاة مليحة مع ذاك .. تصور بضاضتها وهى جالسة إلى جانبك فى المركبة ، وأنفاسها وهى تهب على خدك فتسرى فى جميع أوصالك ، وقبلتها وهى ترتعش على شفتيك ، وحلاوتها وقد زادها النحول فى هذه الأشهر حلاوة على حلاوة ، ونحولها نفسه وما ينبيء عنه ويكشفه لك من المودة والحنين ، وتصور ذلك كله بين يديك فى مدى بضع ساعات ، وأنت مع هذا تفكر .. تفكر فى ماذا ؟ فى نبذ هذه النعمة التى تسعى إليك ، وفى الخوف والجبن والفرار !

— « هذا حق كله . إن الفتاة لمليحة ولا نكران .. ولكن !

— « ولكن ماذا يا أخى .. ! انتظرها واله بها ، ولا تدعها لغيرك ينال منها ما لا تنال ... ولا تستضعف عزيمتك هذا الاستضعاف المهين ، وأنت رجل ذو عزيمة ومضاء ، فاذا عاودتك الشكوك فأنت قادر على قطع العلاقة بينك وبينها كما قطعتها من قبل ، وإلا فأنت رابح ما استرجعت من متعة وسرور .

— « عزيمتى ؟ وأين هى عزيمتى إن كانت لا تنجدنى فى هذا النزاع العنيف ؟

— « إنها تنجدك فى كل حين ، ولكنك أنت لا تريدها الآن ... لا تريد عزيمة الجفاء والقطيعة ، ومتى أردتها غداً فهى حاضرة لديك ، وهي فى كل ساعة طوع يديك .. ومع هذا ألا يشوقك أن تستمع إلى حديثها عن أيام القطيعة بينكما ؟ ألا يجوز أن تفسر لك بعض النوامض ، وتريك من البواطن ما ينقض الظواهر ، وتصف لك من حالها فى غيابها عنك ما يهمك ولو من باب الدراسة والاستقصاء ؟ .

« وتعاقبت الساعات ساعة بعد ساعة فى هذا الحوار الحثيث ولا قرار

« وتناول صاحبنا غداءه ولا قرار

« وجاءت الساعة الرابعة ولا قرار

« نعم لا قرار فيما يشعر به صاحبنا ، أو صاحبانا المتحاوران ، على أصح التعبيرين . غير أن الذى حدث بعد ذلك يدل دلالة لا شك فيها على أن الانسان يقرر ما ينوبه وهو لا يشعر ولا يعترف بشعوره ، بل يدل على أن صاحبينا المتحاورين لم ينفردا بالميدان فيما شجر بينهما من عراك عنيف ، وإنما كان معهما ثالث لا يدريان به ، وهما ماضيان فى الاقناع والانكار .

« ففى الساعة الرابعة وبضع دقائق — والحوار على أشده بغير قرار — وجد صاحبنا أنه يلبس ملابس الخروج ، ويفتح باب حجرته ، وينحدر على الدرج ، إلى حيث لا يعلم إلا أنه خارج من المنزل وكفى . ومضي فى طريقه مهرولا كمن يمضى إلى غاية معلومة يخشى أن يفوته لحاقها ، وركب سيارة لم يعرف إلى أين تحمله إلا بعد أن استقر فيها ، واستطاع أن يمكث حيث ذهب ساعات ثلاثاً لا ساعة واحدة ولا نصف ساعة كما كان يتمنى وهو يعالج أن ينجو من الموعد المحدود !

« ثم ساوره القلق ، ودلف إلى منزله بالسرعة التى فارقه بها ، واستحالت كل حيرته قبل الخروج إلى حيرة أخرى ، أوشوق

آخر : وهو أن يعرف ما حدث فى غيابه بجميع تفصيلاته : هل حضرت في الساعة الخامسة أو حضرت قبلها أو بعدها ؟ وماذا قالت حين علمت بخروجه ؟ وما بدا على وجهها وهى تصدم بهذه « المقابلة » ؟ وإذا كانت لم تحضر فما الذى عاقها عن موعدها ؟ ولماذا ضربت ذلك الموعد باختيارها ؟ هل ضربته وهى تنوى أن تخلفه من اللحظة الأولى ، أوطرأ الحائل بعد ذلك على الرغم منها ؟ »

أما الذى حدث بعد هذا ، فى القصة نبؤه . وإلى هنا يستطيع القارىء أن يدرك الصدق والبراعة والامتياز فى تصوير هذه الشخوص النفسية . ومتى علمنا أن القصة حافلة بها ، أدركنا قيمتها الفنية ، وقيمتها كذلك فى الدراسات النفسية العالية .

ولعل مما تزيده هذه الحالة وضوحا قراءة هذه الأبيات بعنوان « النعيم المفقود »

فيم اجتنابك ظلها الممدودا ؟ ... ولم اتقاؤك يومها الموعودا ؟
ولأى طارقة كرهت مزارها ... وذممت طالعه ، وكان حميدا ؟
تلك المآلف كنت تهتف باسمها ... كيف اجتويت جنابها الممهودا ؟
تخشى اللمام بها وتفزع أن ترى ... شفة تردد ذكرها ترديدا
كانت سماء كا فأصبح وردها ... كالقبر يغشاه النزيل وحيدا
وغدت كأنك حيث تقبل واجد ... شبحاً هنالك للنعيم شريدا
الآن فاستقبل بكل محلة ... رصداً يردك هائماً مزءودا
وأقم لنفسك فى منازل لهوها ... منفى على قرب الديار بعيدا
لا النيل مطروق الرياض ولاحمى ... خوفو على تلك الدرا مقصودا
وترى دواعى « عين شمس » بُدّلت ... لمنات شؤم ينتحين طريدا
يجنى عليه بشوشها ويذوده ... ما كان يجذبه إليه سعيدا
وجد الجحيم بكل أرض من رأى ... فى حيث سار نعيمه المفقودا

وإذا كنت لا أستطيع أن أستقصى الحالات النفسية فى القصة ، فلابد أن أشير إلى حالة الشك من ص ٢٤ إلى ص ٢٧ فى القصة ، وأن أنصح طلاب الأدب النفسى الرفيع بمراجعتها وقراءة قصائد : « يوم الظنون ص ٣٢٧ والحب المريب ص ٣٢٨ من الديوان . وكذلك فصل « القطيعة » والوحى الفنى لحالة همام وسارة قبلها ، وهما يندفعان فى القرب واللقاء ، ويندفعان فى الوقت ذاته إلى القطيعة من حيث يشعران أو لا يشعران ! ، ولا يكون للحب من غذاء فى هذه الفترة إلا قوة الاستمرار من الماضى ، وخوف المستقبل ، لا الرغبة فى البقاء والدوام وذلك من ص ٨٦ إلى ص ٩٠ من القصة . ومثلهما حالة « همام » بعد اليقين وسفر أمين فى ص ١٩١ من القصة ومعها قصيدة اليقين ص ٣٣٩ وقصيدة السلو ص ٣٣٥ من الديوان

* * *

وفى قصة « سارة » عقد المؤلف فصلا بعنوان « لماذا هام بها ؟ » تقرأ هذا الفصل فترى فيه التفسير الكافى لا لحب « همام » بل كذلك لنزل « العقاد » كله فى دواوينه ، وتلمح فيه ذلك النضوج الفنى والنفسى الذى ألمنا إليه فى خصائص « سارة » الأولى .

فقد « هام بها » أولاً : لأنها تعمقت فى حياته ، وتعمق فى حياتها رويداً رويداً ، وكانت الطبيعة من ورائهما تدفعهما إلى هذا التعمق ، وتوغل بهما فى دروبها ومنحنياتها ، وهما يلتذان هذا الايغال ، لأن الالتذاذ به وديعة مذخورة فى نفسيهما من ودائع الطبيعة الأريبة

« وهام بها » ثانياً : كما يقول لأنه وجد « لذة الاستكشاف الدائم المصحوب بالتجديد والتنويع ، فإن الرجل ليسره أن يستكشف المرأة ، ويسره ألا يزال واجداً فيها كل حين ميداناً جديداً للاستكشاف ، ويسره أن يراقب المرأة وهى تستكشفه وتتخذ لها منسرباً إلى عواطفه ، وترفع من دخائله حجاباً وراء حجاب ، ويسره أن يستكشفا الدنيا معاً ، والناس معاً والطبيعة معاً ، بروح مركبة من روحين وجسد مؤلف من جسدين ، وضياء كله شفوف وتجديد ، وآفاق تنساح إلى آفاق

« فان وقف الاستكشاف ولم يتجدد من جانب الرجل ومن جانب المرأة فقد يكون سبباً للسآمة والعزوف لاسبباً للشغف والهيام

« إن المرأة فى استكشافها الرجل لكن يجوس خلال الغابة المرهوبة ليهتدى أولاً وآخراً إلى موطن الرهبة منها ووسيلة الطمأنينة إلى تلك الرهبة ، ثم يرتع فى صيدها وغمرها ويشبع من مظاهر العظمة والفخامة فيها

« وإن الرجل فى استكشافه المرأة لكن يجوس خلال الروضة الأريضة ليهتدى إلى مجتمع الظل والراحة والمتعة والحلاوة بين ألفافها وثناياها . فهو يستكشفها ليعرف أحلى ما فيها ، وهى

تستكشفه لتعرف أرهب ما فيه ، ثم تصبح الروضة روضة وغابة ، وتصبح الغابة غابة وروضة ، ويقوم حواليهما سور واحد يشمران به إذا خرجا إلى الدنيا ، ولا يشمران به وهما بنجوة منها

« وكان همام وسارة يتكاشفان كل يوم ولا يخفيان أنهما يتكاشفان ، بل يتحدثان بما يعن لهما من شأنها وشأنه ، كأنهما رحالتان فى نزهة طويلة ، يشتركان في مراجعة عمل النهار كلما سكنا إلى ظلال الخيمة فى المساء

« كان يراقبها فى نفسها ويراقبها فى نفسه ؛ كان يرى المرأة المرحة الطروب وهى تلهو وتعبث ، ويرى المرأة الكسيرة المطواع وهى تلتمس الأمان والعزاء ، ويرى الانسانة الفطرية وهى تطيع الغريزة وتلبس « دورها » على مسرح الطبيعة بين نباتها وحيوانها ومكانها وأهوائها ، ويرى المرأة الذكية وهى تقرأ النثر والشعر ، وتنتقد الصور المتحركة ، ويرى المرأة العصرية وهى تتغلب على امرأة الجيل الغابر فى ميدان ، وتخضع لها وتنهزم أمامها فى ميدان ، ويرى من وراء ذلك جميعه ، وفى كل ذلك جميعه ، المرأة الخالدة التى لا تتحول ولا تتبدل ، و « الأنثى » السرمدية التى يهمها من « الذكر » الحماية والجاه قبل كل شىء وبعد كل شىء ، ولا يهمها العقل والرجحان والفضائل والمناقب إلا لأنها وجه من وجوه الحماية والجاه »

و « هام بها » ثالثاً : لأنهما « مازالا يتكاشفان ويتكاشفان حتى علما أنهما مكشوفان لا يتواريان فى جنة لا ينبت فيها ورق التين ، فكان هذا التكاشف سبباً ثانياً من أسباب هيام همام

« ومن أسباب هيامه بها ألفة متغلغلة فى أنحاء النفس والجسد كألفة المدمن للعقار المخدر : من شاء أن يسميها حباً فهو صادق ومن شاء أن يسميها بغضاً فهو صادق ، ولمن شاء أن يزعم أن المدمن يتعاطى عقاره وهو راغب فيه ، ولمن شاء أن يزعم أنه يتعاطاه وهو ساخط عليه . فقصارى القول أنه يتعاطاه ، وأن الاقلاع عنه يكلفه جهد الطاقة وغاية المشقة »

و « هام بها » لغير هذا وذاك من الأسباب ، والقارئ خليق أن يقولها فى نفس واحد ، لقد هام بها لأنه رجل كامل الرجولة ، ولأنها امرأة كاملة الأنوثة مع ما فيهما بعد ذلك من امتياز واختصاص

والناس يحبون ، ولا يسألون أنفسهم لماذا أحبوا ، ولا يكلفون أبطال قصصهم هذا السؤال . ولكن العقاد هو الذى يصنع ما يقول همام :

« أنا أستمتع بالشىء ثم أبحث عن فلسفته ، وإننى لأبحث عن فلسفته كما يجيل الشارب الكأس فى جميع جوانب فمه ولهواته ، كما لا يبقى جانب من النفس لا يأخذ نصيبه من متاعه ، فأحسه ، وأعمله ، وأذكره ، وأفكر فيه ، وأستقصى ممناه ! »

وهذه الجملة مفتاح من مفاتيح أدب العقاد ، ولا سيما غزله الذى يقف أمامه المتلقون ، فيقولون هو غزل عقلى ، تملؤه الفلسفة ، وتقل فيه العاطفة . ولعلهم يعرفون الآن لماذا يتفلسف العقاد بعد الاستمتاع ، ولعلهم يدركون أن هذه إحدى وسائله لتعميق الاحساس بالحياة ، وإفساح جوانبها لمتعة العاطفة ، وكل جوانب النفس الانسانية

***

وأنت واجد بعد كل أولئك فى « سارة » مظاهر واضحة لنضوج الحب فى نفس « همام » وفسحة النفس لتلقى أطيافه المختلفة ، وفسحة أخرى لتلقى أنواع الجمال ، وأنواع المرأة ، وإعطاء كل منهن ما تستحقه طبيعتها من الاهتمام والاتجاه . وخبرة تامة بنفسية المرأة الخالدة وغرائزها وخصائصها الأنثوية ، وخبرة مثلها بنفس « سارة » ممثلة هذه المرأة الخالدة ، وتصوير بارع لخصائصها ومميزاتها ، تدرك منه مقدار امتيازها واستحقاقها لحب « همام » وقد عقد عنها فصلا بعنوان « من هى ؟ » ولكنك خليق أن تطلبها كذلك فى غير هذا الفصل من مبدأ القصة إلى نهايتها ، فأنت واجد فى كل صفحة ، وكل موقف جزءاً من « ماهيتها » التى حللها فى الفصل المنوى المحدود

وإنما أجمل هذا الاجمال السريع حيث يحلو التفصيل ويجمل لأننى استغرقت الفراغ المحدد لى من « الرسالة » ولم أتحدث عن « غزل العقاد » وإن كنت قد وضعت بعض الأسس للحديث عنه

فإلى اللقاء .

« حلوان » سيد قطب

حول أدب الرافعي

بين القديم والجديد

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

— ٤ —

أشفقنا على كاتب مقالات « بين العقاد والرافعي » من هول ما جنى على نفسه بتسخيره عقله لهواه فيما تصدى له ، فدعوناه إلى أن يفىء إلى الحق ويسلك في أدبه سبيل القرآن قبل أن يحق عليه ما حق على كل مجانب لطريق القرآن من قبله . لكننا لم نكد نتم قراءة مناقشاته وشروحه التي بسط في العدد ٢٦٢ من الرسالة حتى أيقنا أننا أمام مغرور لن يدع له غروره مرجعاً إلى حق ، ولا رجوعاً عما هو بسبيله من مكابرة ومماراة

وكان أكبر ما أيأسنا وآسفنا منه في كلمته تلك جوابه على ملاحظة الفاضل الفلسطيني الذي نبهه بجلاء ووضوح إلى خطئه فيما اعتبره تناقضاً بين تلخيص الرافعي لرأي شوبنهور في الجمال وبين حقيقة ذلك الرأي . في ذلك الجواب بعد أن ذكر أن نصف تلك الملاحظة في موضعه قال : « (وقد نشأ هذا عن اضطراب في ترتيب بعض الجمل ! وكثيراً ما يقع مثل هذا فنكتفي بفطنة القارئ) ولكن مع هذا بقي التناقض بين قول شوبنهور وتلخيص الرافعي واضحاً » . وأكبر المآخذ على هذا الكلام خالق لا عقلي ، وموضع المؤاخذة هو ما بين قوسين — والقوسان من عندنا — فقد كبر عليه أن يعترف بالخطأ صراحة فجمل يخادع عن خطئه بالتماس تعليل لا ينطبق على الواقع كما فعل بالضبط في مقاله الثالث حين أراد أن يخرج من رأي ارتآه في الرافعي إلى رأي . ومخالفة تعليله هذا للواقع يتضح من كلامه الذي انتقده الفاضل الفلسطيني من مقاله التاسع في العدد ٢٦٠ من الرسالة . ونحن موردون الآن ذلك الكلام بنصه ؛ قال :

« ثم هذا الخلط بين الرأي الذي جاء به الرافعي وبين رأي شوبنهور ، ونسبة كلام إلى رجل يقول ضده تماماً . الفيلسوف يقول : إن الأشياء « تسرنا » كلما قربت من عالم الفكرة وابتعدت عن عالم الإرادة . فيقول الرافعي عنه : إن الأشياء « تحزننا » كلما ابتعدت من عالم الفكرة واقتربت من عالم الإرادة . وهو عكس قول شوبنهور . ثم يعود فيقول : « وإنها تفرحنا كلما ابتمدت من عالم الارادة واقتربت من عالم الفكرة . وهو عكس كلام الرافعي الأول ! ! فأيهما يريد ؟ أغيثونا بالله يا أصحاب الفهم وقولوا لنا متى تفرحنا الأشياء ومتى تحزننا ؟ وأي القولين ينسبه الرافعي لشوبنهور وأيهما ينفيه عنه ؟ »

هذا نص كلام سيد قطب الذي يزعم أن في ترتيب بعض جمله اضطراباً هو علة الخطأ الذي نبهه الفاضل الفلسطيني إليه ، ويزعم وراء ذلك أن هذا الاضطراب الموهوم في ترتيب الجمل كثيراً ما يقع فيكتفي بفطنة القارئ ! والقارئ يرى في الكلام اضطراباً ولكن في الفهم والحكم لا في ترتيب الجمل ، فإن الجمل ترتيبها مستقيم كما يتضح لسيد قطب نفسه فإنه مدرس لغة عربية؛ وليس هناك شك في أن الجمل كانت مرادة كما هي بترتيبها ومعناها حين خرجت من قلمه أول مرة . لكن العزة تأخذه بالإثم فيحاول أن يفر من تبعة خطأ في الفهم قد يغتفر فيقع في تبعة ادعاء مخالف للواقع لا يمكن أن يغتفر بحال . ويزعم مع ذلك أنه يمثل مدرسة « جديدة تعنى بتصحيح المقاييس الأدبية عنايتها بتصحيح المقاييس النفسية » !

مثل هذه المكابرة في الواضح المحسوس هو الذي يئسنا من هذا الكاتب أن يقر بخطأ أو يرجع إلى حق إذا وضح مادام هذا الحق عليه لا له

وقد ارتكب سيد قطب ذلك الخطأ الخلقي ليفر من خطأ عقلي فوقع في خطأ جديد من غير أن ينجو من خطئه القديم . إن كلام الرافعي في تلخيصه شوبنهور كلام متسق لا ينقض أول منه آخراً ولا آخر أولا . وإذا كان آخره يوافق رأي شوبنهور باقرار قطب فأوله يوافقه أيضاً . إنما أراد الرافعي أن يفسر رأي شوبنهور ويقربه للذهن بتعليل معقول يزيل عنه غموضه وتجرده فلم يفهم قطب تفسير الرافعي واستمسك بجملة فيه قطعها عن أخواتها فبدت له كأنها تثبت ما يريد من تناقض الرافعي

شوبنهور يقول — فيما لخصوا له — إن الجمال يكون في عالم الفكرة المنقطع عن الأغراض والشهوات ، ولا يكون في عالم

الارادة المتصل بالأغراض والشهوات . وهو كلام غامض ليس يسهل فهمه وتصوره ، فالتمس الرافعي له توجيها وتعليلا حسنا بقوله إن الجمال المتصل بغرضك وشهوتك ليس بجمال ، لأن غرضك وشهوتك هما زينا الشيء لك فبدا جميلا وإن لم يكن جميلا في الحقيقة . فهو باعتبار الارادة أي الغرض والشهوة جميل ، وباعتبار الفكرة المجردة عن الغرض والشهوة لا جمال فيه . فتعلق قطب بالكلمات « باعتبار الفكرة المجردة لا جمال فيه » كما يتعلق الغريق وقال إن الرافعي يناقض بها رأى شوبنهور ! ولو لم يكن يفكر بهواه لا بعقله لرأى أن هذه الكلمات في كلام الرافعي راجعة إلى شيء في عالم الارادة تعلق به الغرض والشهوة ، وهذا الشيء في رأى شوبنهور غير جميل باعتراف سيد قطب نفسه . فقطب هو الذي لم يفهم عن الرافعي ، ورمى الرافعي بأنه لم يفهم عن شوبنهور في كلام طويل جمل يشير فيه ويصيح ويستغيث .

هذا المقال يمثل من الناحية العقلية ضربا آخر من أغلاط قطب ويبرز علة أساسية في سوء تقديره الرافعي . إنه في كثير من الأحوال يخطئ غرض الرافعي ويفهم من كلامه غير ما أراد ثم يحكم عليه بما لم يرد وما لا يدل عليه كلامه : يسرف على نفسه وعلى الرافعي في الحكم وهو في الحقيقة قد أخطأ جوهر الموضوع.

خذ مثلا لذلك رميه الرافعي بأنه ينظر إلى الأمور نظرة مادية ويذكر نفسه وقلبه في سوق « الجوهرات » معتقدا أنها أغلى من القلوب إلى آخر ما تشدق به وافترى على الرافعي .

وسيد قطب يلقى الدعاوى ثم يثبتها بأمثلة ، وهو طريق في إثبات الدعاوى غريب لا يثبت منها شيئاً ولو صحت الأمثلة كلها . ومع ذلك فان كل مثال جاء به سيد قطب ليثبت به دعواه تلك هو مثال أخطأ فيه غرض الرافعي وأخطأ لب الموضوع

إن أول ما هاج قطب إلى تلك الدعوى قول الرافعي من قصيدة له في الحب معجبة :

قلبي هو الذهب الكريـ م فلا يفارقه رنينه

قلبي هو الألماس يعـ رف من أشعته ثمينه

وواضح أن هذا كأبيات العقاد التي ذكرها اللبابيدي ، من باب التشبيه ومن التشبيه في ناحية مخصوصة واضحة في كل من البيتين . فالرافعي يشبه قلب نفسه بالذهب الكريم لا من ناحية سعره وقيمته — ولو قال الرافعي هذا ما كان فيه عليه من بأس إذ يكون واضحاً عندئذ أن قلبه في القلوب كريم كالذهب في المعادن — ولكن من ناحية أن عاطفته النبيلة لا تفارقه كما لا يفارق الذهب رنينه . والذهب في لغة العلم فلز نبيل لا يصدأ في الجو ولا تؤثر فيه الأحماض ولا القلويات وإن أثر فيه الكلور المتولد .

فكأن الرافعي يقول إن قلبه يحتفظ بنبله وطهارته رغم المغريات والفتن كما يحتفظ الذهب برنينه رغم المصدئات والمغيرات . واختيار الرافعي خاصة الرنين من بين خواص الذهب رمزا لتلك الخواص ينطق بلطف شاعرية الرافعي وسلامة طبعه ، فان خاصة الرنين أشبه خواص الذهب بعواطف القلب : هذه يثيرها ويحركها وقع الحوادث والمناظر، وذاك يثير موجاته نقر القضبان والأنامل. فليست القافية هي التي ألجأت الرافعي إلى اختيار كلمة الرنين ، ولو فعلت لكان ذلك أوثق لشاعريته ، لأن من أصدق الدلائل على شاعرية الشاعر ألا تصرفه قافية عن غرضه ، ولا تستنزله عن بعضه ، بل تخدم قافيته غرضه فيجتمعان له كلاهما في سهولة ويسر . وهذا من أصدق مظاهر الطبع في الشعراء

والمهم في بيت الرافعي أنه لم يشبه قلبه بالذهب من حيث قيمته ولا من حيث نوع رنينه ، بل في الخاصة الواحدة التي يمتاز بها الذهب من سائر الفلزات غير النبيلة : أنه لا يفارقه رنينه ، وإن اختلفت عليه المؤثرات والظروف . هناك فلزات أخرى كالنحاس والفضة لها رنين قد يكون في الأذن أوقع من رنين الذهب لكن هذا خارج عن مقصد الرافعي . إنما الذي يريد الرافعي توضيحه بالتشبيه هو ثبوت قلبه للحوادث وعدم ذهاب المغريات والأهواء بلبه كما تذهب بأكثر القلوب والألباب . فهدته شاعريته إلى تشبيه قلبه في هذه الخاصة التي تميزه في القلوب بالذهب الكريم الذي يمتاز من غير النبيل من أفراد جنسه باحتفاظه بخواصه ورنينه، على رغم المؤثرات المغيرة، لا يشركه في ذلك فضة ولا حديد ولا نحاس

أما نوع العاطفة التي يستجيب بها قلبه للحوادث فقد أشار اليها ألطف إشارة في البيت الأول حين وصف الذهب بأنه الذهب الكريم . ويشهد للطف حس الرافعي في الشعر أنه اختار هذا

الوصف دون كل الأوصاف التي يستقيم بهـا الوزن . فلم يقل مثلا قلبي هو الذهب الثمين فيدع لـكل متجن مترصد متكأ يتكئ عليه في تهمته التي يتهم بها . والرافعي طبعاً لم يكن يعرف الغيب لـكن الشاعر المطبوع يتجنب المزالق بلطف حسه وقوة طبعه . وهذا مظهر آخر من أصدق مظاهر الشاعرية والطبع في الشاعر المطبوع

لـكن الرافعي أراد أن يتبع تلك الاشارة اللطيفة إلي نبل قلبه بما يظهرها ويوضحها فلا يكون هناك شك في نبل ما يتحرك به قلبه من عاطفة ، كما لم يكن هناك شك بعد بيته الأول في ثبوت قلبه على تلك العاطفة برغم الفتن والأحداث . أراد ذلك فأتبع بيته الأول بيته الثاني :

قلبي هـــو الألماس يعـ رف من أشعته ثمينه

والألـماس يعرف بعدة خواص : يعرف بكثافته النوعية ، ويعرف بصلابته، فهو يخدش ولا يخدش . لـكن هاتين الخاصتين لا تصلحان مطلقا لأن تكونا وجه شبـه بين الألماس وبين قلب الرافعي ، لأنهما إلى وصف القلب بالغلظة والقسوة أقرب . فهدى الرافعي لطف حسه وصدق طبعه مرة أخرى إلى اختيار الخاصة الواحـدة من خواص الألماس التي تليق أن تكون جامعة بين الألماس وبين قلب مثل قلب الرافعي : خاصة أخذ الألماس للنور والتأثير فيه بتفريقه إلى أضوائه المتعددة بألوانها الزاهية الجميلة، ثم إرسال تلك الأضواء كلها مجتمعة غير مشتتة فتخرج منه باهرة يكاد بريقها يذهب بالبصر . وهي خاصة يشرك الألماس فيها الزجاج والبلور إلى حد ما، ولـكن لا يبلغك الدرجة التي اختص بها الألماس والتي هي أساس تقدير الناس له . فالألماس بهذه الخاصة الفريدة أشبه قلب الرافعي، وأشبهه قلب الرافعي فيما يتناول ويجمع من مختلف الأحاسيس الـكريمة والعواطف النبيلة فيهذبها وينظمها ويرسلها أشعة قلبية كريمة طاهرة باهرة تعرفها في مقالاته رحمه الله في الرسالة، وتعرف قلبه بها في القلوب كما يعرف ثمين الألماس بأشعته من مزور الألماس .

أرأيت دقة هـذين التشبيهين وحسن التمثيل فيهما وشموله وكرم المعنى مع كرم اللفظ ؟ هذا هو الذي أخطأه سيد قطب فلم يفهم من ذلك اللفظ الواضح إلا ما تبـادر إلى ذهنه من المعاني السطحية السوقية المتعلقة بالماديات وسوق «المجوهرات» ، فيزعم أن هـذا هو مراد الرافعي ، ويحكم على الرافعي به وما حكم إلا على نفسه . ولو كان العقاد هو قائل هذين البيتين لأدرك قطب منهما هذا المعنى الذي وضحنا مع تمام التطابق في أوجه الشبه بين طرفي التشبيه ، ولاتخذهما دليلا لا على نبل العقاد وسموقه وتفرده فقط كما يحب أن يقول ، لـكن أيضا على اتساع ثقافته وعلمية تفكيره . لـكن اصطناع المعاني العلمية في الأدب يحتاج فيما يظهر إلى شرط آخر حتى يعجب سيد قطب ، يحتاج بعد الفهم إلى أن يكون مصطنع ذلك في الأدب هو العقاد .

على أن الرافعي رحمة الله عليه لم يكتف بما في بيتي التشبيه من دلالة على ما يريد مما فصلناه ، بل أراد ألا يدع الأمر في ذلك للفهم وقد يخطئ ، ولا للتأويل وقد يختلف ، إذ قد يكون القلب ما يكون ويزعم صاحبه أنه نبيـل يخفق بكل نبيل من العاطفة والشعور . أراد الرافعي أن يرفع الشك من هذه الناحية بالتصريح عما يريد فيكون ذلك تلخيصاً لمراد البيتين وتفسيراً لهما وقطعاً للشك في معناهما فأردفهما رحمة الله عليه بقوله :

قلبي يحب وإنمـا أخلاقه فيه ودينه

فهو يتأثر بالجمال في شتى مظاهره ومواطنه، لـكن تأثره بالجمال وإن عظم لا يخرجه عما يرضى الخلق الـكريم والدين القويم كما تخرج أكثر القلوب خصوصاً في هذا الزمن الغريب الـكنود الذي كأنما طابع أهله الجحود فيأبون إلا أن يجعلوا شكر الله على نعمة الجمال معصيتهم لله فيه . ولا كذلك الرافعي ، فقلبه رحمه الله كان يستجيب لدواعي الجمال فيخفق له خفقاً ويهتز به اهتزازاً لـكن من غير أن يخرج في ذلك عما يعلم أن لله فيه رضا. قلبه يحب وإنمـا أخلاقه فيه ودينه . وهذا عندنا من الفروق الأساسية بين المدرسة القرآنية التي ينتسب إليها الرافعي وبين المدرسة التي تتلقب بالجديدة وهي قديمة قدم الشهوة على وجه الأرض . وقد أشرنا إلي ذلك في كلمتنا الأولى ونرجو أن تكون لنا إليه عودة قريبة إن شاء الله

هذان موضعان أخطأ فيهما ناقد الرافعي غرض الرافعي برغم وضوح كلامه ، فأخطأ لب الموضوع واتخذ ذلك دليلا على ما الرافعي منه بريء

وموضع ثالث أخطأ فيه جوهر الموضوع مرة أخرى واتهم الرافعي ، قول الرافعي فيما نقل الكاتب من رسائل الأحزان حين أراد أن يقص على صاحبه قصة حبه بغير ترتيب : « فان هذا مما يحسن في تاريخ صخرة تتدحرج، أما أنا فسأقدم لك تاريخ لؤلؤة فريدة » هذا قول الرافعي الذى جعله سيد قطب مثالا لمادية الرافعي ومقالاته « بالجوهرات » إذ لا فرق لدى الفنان الحي بين أن يقص تاريخ صخرة وتاريخ لؤلؤة إلا أن يكون « الثمن » هو الفارق بينهما . والفنان الحى الذى يستشعر الحياة فى أعماقها فى رأى قطب كان يقول فى هذا الموضوع إنه سيقص قصة بنية حية يدخل فى تأليفها الحس والشعور « أو تاريخ نبتة تنمو من داخلها أكثر مما تنمو من خارجها » إلى آخر ما ظن أنه يدل على حياة الفنان . ولو جاء الرافعي بمثل ما قال صاحبنا ما سلم من قوارص كلمه وباطل تهمه . وإذا كان كتاب يضطرم بالحب ويتضرم بآثاره لا يدل عند مثل سيد قطب على حياة القلب الذى زاد به العذاب حتى فاض بالكتاب تنفيسا عن نفسه، فهل كان يدل على حياة ذلك القلب عنده أن يمثل فى جملة عارضة بنبتة حية أو بنية حية ، أو ما شاء أن يختارها من عالم الأحياء ؟

على أن النبتة الحية أو البنية الحية التي يدخل أو لا يدخل فى تكوينها الشعور لا تغنى شيئا فى التمثيل لما أراد الرافعى أن يمثل له . إن الرافعى أراد أن يقول إنه سيقص قصة حب قليل الشبيه عزيز النظير : حب نادر كاللؤلؤة الفريدة لا حب عادي كالصخرة المتدحرجة . فالنبتة الحية أو أى بنية حية يقترحها قطب مما قرأ فى علم الأحياء هي والصخرة المتدحرجة سواء فى العادية والشيوع، من شاء يضع يده على مثلها وضع . ولو مثل الرافعى بهما للحب القادر الذى يريد أن يقص قصته لما كان هو الرافعى فى لطف حسه وسلامة طبعه ونفوذ بصره وصدق تمثيله ، ولوقع فيما يصح أن يتهم من أجله بأنه شكلى ينظر إلى ظواهر الأشياء ولا يفقه بواطن الأمور . لا ! ما كان الرافعى فى مقام التمثيل للشئ الفريد النادر ليقع فيما كان يقع فيه صاحبنا الفنان الحى من التمثيل بنبتة حية أو بنية حية ، دخل فى تأليفها شيء غير الزمان والمكان أو لم يدخل . لـكن الرافعى اختار للتمثيل شيئا نادرا قابله بشيء عادى هو الصخرة المتدحرجة من السهل أن يراه الانسان فى مكانه المناسب ومن الغريب أن الرافعى اختار للتمثيل لحبه النادر الذى كان ، شيئاً فريداً لا ينتج إلا من الحياة ، ومن الحياة عند ملتقى بحرين ، وإن كان هو فى ذاته غير حى . وكاما أوجه شبه بين اللؤلؤة الفريدة وبين حب الرافعى الذى كان . فهو حب فريد أنتجته الحياة عندملتقى قلبين أو نفسين مختلفتين فى النوع اختلاف البحر والنهر وبينهما مع ذلك من الصلات الفطرية الوثيقة ما بين البحر والنهر . ثم هو حب كان وانقضى فهو كاللؤلؤة لا فى الانفراد فقط ولـكن فى انقضاء النمو وفى عدم الحياة . ترى هل كان الرافعى رحمه الله ينظر إلى كل ذلك حينما مثل لحبه باللؤلؤة الفريدة ولم يمثل بالماسة الفريدة مثلا ، وهى والصخرة من قبيل واحد ؟ أكبر الظن أنه كان ينظر إلى كل ذلك فى مثله الذى اختار . ولئن لم يكن واختار بفطرته المثال الواحد الذى يشبه حبه من كل تلك الوجوه فلقد أقام من حيث لا يقصد الدليل الحسى الذى لا ينقض على أنه رجل الفطرة السليمة والطبع الذى لا يضل . ولا يضره بعد ذلك ألا يسمو إلى فهمه أناس يتهمونه أتهام البغضاء ، وهو مما يتهمونه براء

وهناك أمثلة أخرى كثيرة أخطأ فيها سيد قطب جوهر الموضوع، لـكنا نقتصر الآن على ما هو من قبيل الأمثلة السابقة فى غير تفصيل إذ لا نرى الآن إلى التفصيل من حاجة .

هناك قول الرافعي عن الأعرابى الذى كانت الشمس تلوح له على حائط حبيبته أحسن منها على حيطان جيرانها : « قد والله صدق وبرت يمينه فان فى كلماته الشعرية لأثرا من عينيه ، إذ يرى الشمس على حائطها كالشمس على البلور الصافى لا على الحجر والمدر » فظن سيد قطب أن الرافعى اختار البلور لأنه أثمن من الحجر والمدر، وليس كذلك ؛ إنما اختاره لفعله فى أشعة الشمس وتفريقها إلى الألوان المحببة التى يفرح بها الصغار إذا نظروا إلى الأشياء من خلال منشور من زجاج الثريات والتى تبـدو للـكبار إذا ترقرق الندى فى ضوء الشمس فى الصباح ، وتبدو للـكبار والصغار إذا انعكس الضوء المائل عن مرآة سميكة من البلور . ولا شك أن الأعرابى فى سذاجته لو رأى الشمس ساطعة على « حائط » من البلور لراقته تلك الألوان ولفضلها على الشمس على بقية الحيطان . لـكن سيد قطب برغم قراءته فى علم الضوء فى الطبيعة لم يفهم عن الرافعى ما أراد فاتهمه مما هو منه براء

وهناك قول الرافعى فى رسائل الأحزان : « ثم يجرى كلامه فيها شعراً خالداً مطرداً كنهر الـكوثر فى رياض الجنة حافتاه

من ذهب ومجراه على الدر والياقوت » . قال الرافعى هذا فزعم صاحبنا أن الرافعى لا يتشكك فى أن النهر الذى حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت « أجل » من النهر الذى حافتاه من المشب الأخضر ومجراه على الرمل والطين . ولا ندرى كيف استباح أن ينسب إلى الرافعى كلاماً لم يقله ومعنى لم يقصده ، وهو على أي حال فيه بعد حتى عن الواقع . فالنهر لا تكون حافتاه دائماً من المشب الأخضر ، ولو كانتا فالرافعى لم يذكرها بمشبهما ، ولو ذكرهما ما كان ذلك حكماً منه للذهب بأنه أجل من المشب لأن المقام ليس مقام تمثيل للجمال ولكن مقام تمثيل الخلود والاطراد . وليس هناك من شك ، حتى عند مثل سيد قطب فيما نظن ، فى أن الذهب أمكن في الخلود والاطراد من المشب ، بل ولا فى أن المشب إنما يضرب به المثل فى التغير والزوال لا فى الاطراد والخلود ، مهما كان حظه من الجمال . فماذا يقول الانسان فيمن يتصدي لنقد أديب أيا كان ، بله مثل الرافعى فى أدبه ، فيقرأ له ولا يفهم عنه ، أو يفهم ولكن غير مايريد أو عكس ما يريد مع وضوح اللفظ ووجود النص ، ويتقول على الأديب غير ما قال ، ويتجنى عليه غير مايقصد ، ثم يسرف عليه ويطيل فيه القلم واللسان ، فاذا ما نبه إلى غلطه مضى فى التجنى والتجرم وزعم أن زلة الأديب المنقود زلة بألف ، كـكذبة الذى يقول إنه رأى أسدا يسير فى شوارع القاهرة ؟ ماذا يقول الانسان فى ناقد كهذا جديد أو قديم ؟ وما ذا يظن فى إنسان كهذا ؟

إن الرافعى هو السكين لا شوبنهور !

محمد احمد الغمراوى

تيسير قواعد الاعراب

لأستاذ فاضل

— ٢ —

ولا بد من تقدير الاعراب فى الجمل أيضاً ، لأنه قد يعطف على الجملة اسم مفرد يراعى فيه تقدير إعرابها ، فيجب من أجل هذا تقدير الاعراب فيها ، ومن ذلك قول الشاعر :

يا رُبَّ بيضاءَ من الـعواهجِ أمِّ صبيٍّ قد حَبَا أودارجِ

ومنه قوله تعالى : (يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى)

فاذا قلنا — زيد يحسن — فزيد مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة ، وجملة يحسن خبر المبتدأ مرفوعة بضمة مقدرة. وهكذا كل الجمل التى تقع خبراً عن مبتدإ أو حالا أو صفة أو نحو ذلك؛ أما الجمل التى لا تقع هذا الموقع فلا يقدر إعراب فيها

وقد ثبت من هذا كله أن ألفاظ العربية كلها معربة ، ومن الواجب أن ينقل الاعراب بعد هذا إلى اصطلاح غير الاصطلاح المعروف له ، لأن إصطلاحهم فى الاعراب أنه عبارة عن تغير أحوال أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليها لفظاً أو تقديراً ، والاعراب على هذا لا بد له من عامل يقتضيه ، فاذا لم يكن هناك عامل لم يكن هناك إعراب ، ولهذا كانت الحروف وبعض الأفعال عندهم غير معربة . وقد ذهب بعض من النحويين إلى إعراب فعل الأمر فلم يكن له بد من تكلف عامل فى إعرابه لأنه لا يوجد إعراب لا عامل له ، والكوفيون هم الذين ذهبوا إلى إعراب فعل الأمر ، وهو عندهم مجزوم بلام أمر مقدرة ، لأنه فى رأيهم مقتطع من المضارع ، فأصل — قُمْ — مثلا — لِتَـقُم — حذفت اللام للتخفيف ، وتبعها حرف المضارعة وهو التاء ، وقد قال صاحب المغنى : وبقولهم أقول ، لأن الأمر معنى حقه أن يؤدى بالحرف ، ولأنه أخو النهى وقد دل عليه بالحرف

أما الاعراب فى الاصطلاح الذى ننقله إليه فهو عبارة عن تغير أواخر أجزاء الكلام على حسب ما جاء عن أهل اللغة ، فلا يلزم في الاعراب على هذا الاصطلاح أن يكون معه عامل مقتض

له ، ولهذا يجىء عندنا فى الحروف والأفعال التى يرى القوم أنها مبنية لا معربة ، وهذا الاصطلاح يغنينا عما تكلفوه من العوامل فى بعض المواضع التى جاء الاعراب فيها بدون عامل ، كالمبتدأ الذى يتكلفون له عاملاً يسمونه الابتداء ، وكالمضارع الذى يتكلفون فى رفعه عاملا يسمونه التجرد من الناصب والجازم

على أن هناك ما هو أهم من هذا فى ترجيح اصطلاحنا فى الاعراب على اصطلاحهم وما يثبت به أن هذا هو معنى الاعراب فى اللغات المعربة ، لأن اللغات غير المعربة هى التى تنتهى أواخر كلماتها بالسكون دائماً ولا فرق فى ذلك بين أسمائها وأفعالها وحروفها ، وهذا كما نراه فى لغاتنا العامية وغيرها من اللغات التى لا إعراب فيها ، أما اللغات المعربة فهي التى لا تلزم أواخر كلماتها هذه الحالة من السكون ، بل يتغير آخرها من ضم إلى فتح إلى كسر إلى سكون على حسب ما جاء عن أهلها ، فيجب أن يكون الاعراب فيها بهذا المعنى فلا يختص به نوع من ألفاظها ، ويكون عاماً في كلماتها كلها ، ويشمل في ذلك أسماءها وأفعالها وحروفها

وقد ذكرنا أن الكوفيين يذهبون فى فعل الأمر إلى أنه معرب لا مبنى ، وهذا يدل على أن مسألة الاعراب والبناء مسألة تقديرية ، وأنه لا شىء فى أن نذهب فيها ذلك المذهب الذى يتفق مع تلك الغاية التى تريدها وزارة المعارف من تسهيل قواعد الاعراب ، وقد جاء عملنا فيها أتم من عمل جماعتها وأعم إصلاحاً منه ، وأقرب إلى الغاية التى تريدها ، كما جاء دليلا على أنها كانت مخطئة حينما تناست رجال الأزهر فى هذا العمل الذى ألفت من أجله هذه الجماعة ولم تضم إليها من الشيوخ الأزهريين من يهمه أمر هذه اللغة كما تهمها

العلامات الأصلية والفرعية للإعراب

ترى الجماعة فى هذا أن تجعل كلا من هذه العلامات أصلاً فى بابه ، وأن يقسم الاسم المعرب إلى الأقسام الآتية :

١ — اسم تظهر فيه الحركات الثلاث وهو أكثر الأسماء

٢ — اسم تظهر فيه الحركات الثلاث مع مدها وهو الأسماء الخمسة

٣ — اسم تظهر فيه حركتا الضم والفتح وهو الممنوع من التنوين

٤ — اسم تظهر فيه حركتا الضم والكسر وهو الجمع بالألف والتاء

٥ — اسم تظهر فيه حركة الفتح وحدها وهو الاسم المنقوص

٦ — اسم تظهر فيه ألف ونون أو ياء ونون وهو المثنى

٧ — اسم تظهر فيه واو ونون أو ياء ونون وهو المجموع بهما

ويستغنى بهذا عند الجماعة عن الاعراب التقديرى ، وعن القول بنيابة علامة عن علامة

وقد عرفت أنه لا يمكن الاستغناء عن الاعراب التقديرى ، فلا نعيد ذلك هنا ، وكذلك لا يمكن الاستغناء عن القول بنيابة علامة عن علامة ، لأن اسم الضم كالمرادف لاسم الرفع وكذلك الفتح مع النصب ، والكسر مع الخفض أو الجر ؛ فإذا حصل رفع بغير الضم أو نصب بغير الفتح أو خفض بغير الكسر كان الأقرب إلى الفهم فى ذلك أن يجعل بطريق النيابة ، فيكون ما ذهبت إليه الجماعة فيه تعسيراً لا تيسيراً ، وليس هناك ما يدعو إلى ارتكابه من اختصار فى الاعراب أو نحوه ، بل الأبواب هى الأبواب بحالها ، والعلامات هى العلامات بدون تغيير فيها ، اللهم إلا ذلك التغيير الذى لا طائل تحته

فيجب أن تبقى علامات الاعراب على حالها ، وأن تكون علاماتها الأصلية هى الضم فى الرفع ، والفتح في النصب ، والكسر فى الخفض ، والسكون فى الجزم ، وأن تكون علاماتها الفرعية كما هى بدون زيادة أو نقص فيها إلا علامة واحدة نرى زيادتها فى باب النداء ، لأن المنادى فيه إذا كان مفرداً ينصب بالضم وما ينوب عنه من الألف والنون أو الواو والنون ، فتكون الضمة فى ذلك نيابة عن الفتحة ، وقد نابت الكسرة عن الفتحة فى جمع المؤنث السالم ، ونابت الفتحة عن الكسرة فى الاسم الذى لا ينصرف ، فلا شىء فى أن تجعل الضمة وما ينوب عنها نائبة عن الفتحة فى المنادى إذا كان مفرداً

فيقال في إعراب — يا أحمد — أحمد منادى منصوب بالضمة نيابة عن الفتحة ، وفى إعراب — يا زيدان — زيدان منادى منصوب بالألف النائبة عن الضمة نيابة عن الفتحة ، وفى إعراب — يا زيدون — زيدون منادى منصوب بالواو النائبة عن الضمة نيابة عن الفتحة ، وفى إعراب — يا سيبويه —





الشاعر في مصر

شكوى

للأستاذ محمود عماد

جبالٌ ووديانٌ جِهامٌ وآجامُ   أذلّلها بالصبر أم تلك أيامُ ؟
وماجهدُ هذا الصبر حتى أسومه   صعاباً بها ناءت نجومٌ وأجرام؟
لعلى نجم ضلّ فيها مدارَه   فأسقطه نحسٌ إلى الأرض جشّام
و إلا فكيف اندك فى الأرض جِرمُه
    ولاح دخان يحتويه و إظلام ؟
أذلك شِعرى أكتوى بلهيبه   وفى الشعر ترويحٌ إذا اشتدّ إيلام
وذلك فضلى أبهمتنى غيومه   وهل آية الفضل المؤثّل إبهام ؟
وهل هذه الدنيا التى فى نعيمها   تحجبت الأخرى فلم يُهدَ أقوام؟
لئن يَهنِهم فيها طعامٌ ومتعةٌ   فإنى ليهنيني صيام وأسقام !
أما قيل إن الصوم يسمو بحسِّنا
    إلى حيث لم تبلغ على الأرض أحلام ؟
بلغتُ إذن بالشعر ما فات وهمهم
    و إن خيل أنّ الشعر فى الكون إيهام
نعمتُ به فى شقوتى فهو دوحة   وعيشى صحارى لم تطأهن أقدام
إذا اشتدّ بى حرٌّ أرحتُ بظلّه   فراوحنى منـه نسيمٌ وأنغامَ
وطاف بصحرائى من الوحى طائف
    وهل فى سوى الصحراء وحى و إلهام ؟
فيالكَ مِن شعر بدنياى كلها   شريتُ .ألا غبنٌ هناك و إلزام؟
ويا أمّةً أعلنتُ فيها رسالتى   أكلّكِ فرعونٌ لموساه ظلاّم ؟
ألفتِ خوارَ العجلِ حيناً فإن شدا   هزارٌ نولّى سمعَكِ اليوم إبهام!
إذا كان لغوُ السامرىِّ حقيقةً   فتوراةُ موسى فى بنى مصر أوهام
و إن كان حبوُ العاجزين تقدما   فإن بحسبى أن عَدْوِىَ إحجام
سيلبث شعرى رمزَ ظلمٍ وعزةٍ   بمصر كما فى الدهر ترمز أهرام
يقولون لا تجزع ستظفر فى غدٍ   بذكر وللتاريخ فى الناس أحكام
فأهونْ به ذكراً ، لكى ما أناله   أموت ابتداء ثم تمحق أعوام!
متى كانت الأموات تهتزُّ غبطةً   بذكر ويشفيها من الموت إعظام؟
تعلاتُ إفلاس ومَن فاته الغنى   يقلْ إن فقرَ المرء صونٌ و إكرام

سيبويه منادى منصوب بالضمة المقدرة نيابة عن الفتحة ، ولا بد من تقدير الضمة فى المثال الأخير كما قدرت فيه عند الجمهور ، لأن ظهورها فى تابعه دليل على تقديرها فيه

ولا شك أن تقدير الجمهور للضمة فى نحو — يا سيبويه — فيه تقريب لما ذهبنا إليه من تقديرها فى نحو — جاء سيبويه — لأن الذى منع من ظهور الضمة عند الجمهور فى نحو — يا سيبويه — إنما هو حركة البناء الأصلى ، وهذا هو عين ما ذهبنا إليه من جعل هذه الحركة موجبة لتقدير الاعراب ، وجعلها فى ذلك كألف المقصور وياء المنقوص سواء بسواء

« يتبع »   أزهرى

عــــودى إلي ...

« إلى التى أنتظر صوتها ... لأحس بالحياة ! »

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

لا زلتُ أنتظرُ اللقاء .. وإنَّه | عَهْدٌ لِمنْ صانَ العهودَ قَسَمْتِهِ
عَهْدٌ تَرَكْتِ بِهِ الحبيبَ مُضيَّعاً | ماضرَّ يادُنيا المُنى لوْ صُنْتِه ؟!
خَلَّفْتِنِي .. وعلى « المَسَرَّةِ » خاطِرى
أمَلٌ عَلَى أسْــلاكِهَا ضَيَّعْتِــهِ
تَهْفُو لها أُذُنى كأنَّ بِقَلْبِهَا | لحناً عن الوَتَرِ الحَزِينِ حَبَسْتِهِ
وكأنَّ صَمْتَ حَدِيدِها تَغْرِيدَةٌ | سَوْداء فى نابِي الّذى يتَّمْتِه
خرْساء يَصْخَبُ فى ظِلالِ سُكونِها
لَهَبٌ بكفِّكِ لِلمُنى أشْعَلْتِه . . .
عُودِى إلَيَّ .. وأَسْرِعى لِمُدَلَّهٍ | طَلَبَ الخُلودَ من السَّماءِ فجِئْتِهِ
وَذَهَبْتِ ما تركتْ عُيونُكِ فى دَمى
إلاَّ عــــذاباً لَوْ عَلِمْتِ رَحِمْتِــهِ
وَأَتَيْتِنِي مِنْ قَبْلُ يُطفأُ مِشْعَلِى ! | وتَذُوبُ أيَّامِى عَلَيْكِ وأنتهي

محمود حسن اسماعيل

ولـكنْ رويدَ المترفين فربما | نعمنا بما نالوا وهم عنه نوّام
نرى الزهرَ فى جناتهم فيروقنا | ويا ربما هم ما رأوه وما شاموا
لقد جهلوا فيه الجمال وما دروا | بأن فريقاً بالذى جهلوا هاموا
ولو قيل فيه من طعامٍ لأقبلوا | أما تأكل الزهرَ المقدسَ أنعام؟
يزينون بالأصنام أبهاء دورهم | وماعزّت الأبهاءُ مِن قبل أصنام
لقد جلبوها لا لفنٍّ وإنما | بها من سجاياهم جمودٌ وإعجام
وهذا قضاءٌ ما خلا من عدالةٍ | جمودٌ ومالٌ . أوشعورٌ وإعدام!
إذا أنت لم تفقد لدى الكون مطلبا
فما أنت بحاثٌ ولا أنت مقدام

محمود حماد

الرسم المحـــترق!

للأستاذ أحمد فتحى

أهْدَيْتَ لى رَسْمَكَ فى نَشْوَةٍ | من صَبْوَةِ الحبِّ وسِحْرِ الغَرَامْ
وقــد تفضَّلْتَ ، فطرَّزْتَهُ | باسْمِكَ توقيعاً بديعَ النِّظَامْ
مُؤكّداً لي ، أن قَلْبي لَهُ | فيكَ نظيراً عاشقاً مُسْتهامْ
حَفِظْتُ للرَّسمِ حُقوقَ الهوَى | وصُنْتُهُ فى مأمَن لا يُرَامْ
وكنتُ إن جَدَّتْ بنا فُرْقَةٌ | وَعزَّ مَرْآكَ وضجَّ الهيامْ ...
أخْرجْتُهُ ، أَمْلأُ من حُسْنِهِ | عيناً جفاها ـ في نَوَاكَ ـ المنامْ
أراكَ فيه حاضراً واصِلاً | يُؤْنِسُنِي من شَفَتَيْكَ ابْتِسامْ
أظَلُّ أدعوكَ بِنَجْوَى لها | فى خاطري لُطْفُ صَفَاءِ المُدَامْ
كأنما رَسْمُكَ فى راحتِي | تميمَةٌ ـ بالوهمِ ـ تَشْفِي السَّقَامْ
وكم أطالَ الناسُ لى عَذْلَهُمْ | فيكَ وكم ذا أسْرَفُوا فى المَلَامْ
عاصَيْتُهُمْ فيكَ جميعاً ، ولم | يَرْعَ لهم عند غرامِي ذِمَامْ!
شُبِّهَ لي ناصِحُهُمْ بُومَةً | وَصَوْتُ حُبِّي لك شَدْوُ الحَمَامْ
وقـد ظَلَلْنا زَمَناً لا نَرَى | لنامثيلاً ـ فى الهوى ـ فى الأنامْ!
نَسْمُو بِهِ عن سانِحاتِ المُنى | فَهْيَ علينا إن عَدَتْهُ حَرَامْ!
وما الأمانِيُّ ؟ إذا لم تكنْ | وَصْلَ حبيب فى ليالى وئامْ ؟!
يا رَحِمَ اللهُ عهوداً طَوَتْ | في صَفْحَتَيْها الدهر ،عاماً فعامْ!
قد لَقِيَ الحبُّ بأكنافِها | فَيْئاً وَرِيفاً من ظِلالِ السَّلامْ
ظَنَنْتُها تَخْلُدُ ، إذ لم أكنْ | أحسبُ دُنْياها لِغَيْرِ الدَّوامْ!
حتى تنكَّرْتَ لعهد الهوى | وسُمْتَهُ ـ بالغدرِ ـ سُوءَ الخِتَامْ
سَمِعْتُ هَمْساً دار حوْلِي بما | أَثِمْتَ ، وانسابَ إليَّ الكلامْ
فكَذَّبَتْ أُذْنِيَ ما أُسْمِعَتْ | عنك وقالتْ من هراءِ الطغامْ
لكننى اسْتَوْثَقْتُ من أنَّنى | خدِعتُ فى وِدِّكَ خَدْعَ الكِرامْ



حكومة التشيك ووضع قاموس للغة العربية

وفد على مصر، منذ أيام، أحد كبار المستشرقين هو وزوجه مندوبين عن حكومة تشيكوسلوفاكيا

وقد قصدا إلى وزارة المعارف وقابلا صاحب العزة الأستاذ محمد العشماوى بك وكيل الوزارة، وذكرا له أنهما قدما إلى مصر رغبة فى وضع قاموس باللغة العربية واللغة الانجليزية واللغة الوطنية فى بلادهما « تشكوسلوفاكيا » وطلبا إلى سعادته معاونتهما فيما قدما من أجله . وقد رحب وكيل الوزارة بالضيفين

وقد صدر بناء على ذلك قرار بتأليف لجنة من الأستاذ على الجارم بك مفتش أول اللغة العربية بالوزارة والأستاذ محمد أبي بكر ابراهيم عضو مكتب تفتيش اللغة العربية للقيام بهذه المهمة على أن تعرض الأعمال التى تفرغ اللجنة من إنجازها على سعادة وكيل الوزارة .

وسيبقى المستشرق والسيدة زوجه فى مصر إلى أن ينجزا وضع هذا القاموس وسيغادران مصر ثلاثة أشهر فى كل سنة يزوران فى غضونها السودان للوقوف على حالة اللغة العربية فيه، ومقدار الاختلاف بين اللهجات فى القطرين الشقيقين .

هبة الماجور اندرسون

بدأت وزارة المعارف فى اتخاذ التدابير لتنفيذ القرار الذى أصدره مجلس الوزراء فى يوم ٤ يوليو الحاضر خاصاً بقبول هبة الماجور جاير أندرسون بك إلى الأمة المصرية

وتقوم تلك الهبة على تنازل الماجور اندرسون عن مجموعاته الأثرية العربية والأوربية وتقدر قيمتها المادية بنحو خمسة آلاف جنيه للأمة المصرية مضافاً إلى ذلك هبة قيمتها خمسمائة جنيه تستثمر ويستخدم ريعها فى حفظ المجموعات وصيانتها

وقد منحته الحكومة حق استعمال الدارين (المعروفتين ببيت الكريدلية) والبيت الملحق به المعروف بدار « آمنة بنت سالم » وهما متصلتان وقائمتان على جانبي عطفة المتولى وهى حارة تؤدى إلى جامع ابن طولون ، وأن يستعملهما دون أن يشاركه فيهما أحد إلى حين وفاته أو مغادرته بلاد المملكة المصرية نهائياً، وذلك بدون إيجار أو مقابل من أى نوع كان فيما عدا نفقات المياه والنور ، وأن يقوم الماجور بتبويب هذه المجموعات وأن يحتفظ بحق استعمالها وحيازتها هى والقطع التى تضم إليها فى المستقبل إلى حين وفاته أو مغادرته البلاد

وتقوم الحكومة بصيانة هذين المنزلين وإبقائهما على حالتهما الراهنة

سلامة الاسلوب العربي فى تدوين المقررات المدرسية

لاحظت وزارة المعارف أن كثيراً من الكتب والمؤلفات التى توضع باللغة العربية فى مختلف المواد وفروع العلم المقررة فى درجات التعليم المتباينة ، تبعد فى بعض أجزائها عن الأسلوب الذى يجب أن يعنى بها المؤلفون

وقد أعدت الوزارة منشوراً لتلافى هذا النقص ، طلبت فيه أن يلاحظ دائماً فى الكتب التى توضع باللغة العربية فى مختلف المواد وتكون لجان الفحص قد قررت صلاحيتها للدراسة أو تداولها بين الطلاب المترددين على المكتبات المدرسية أو الكتب

وأسفرَ الحقُّ مُبينَ السَّنَى … وانماطَ عن وَجهِكَ ذاكَ اللثامْ

فعُدتُ للرَّسم الذى صُنتُهُ … من غَضَبي عفَّرتُهُ فى الرَّغامْ!

وجئتُ للنار فألقيتُهُ … كيما أرى حُسنَكَ بينَ الضِّرامْ!

حتى احتوَتهُ فى لظَى قلبِها … فاضَ عليهِ من دُموعِى سِجامْ!

(بنى عياض) … أحمد فتحى

التي تضعها لجان تؤلفها الوزارة ، أن تعرض على أحد حضرتى مفتشى اللغة العربيـة الأولين لمراجعتها بنفسه أو من يندبه من حضرات مفتشى تلك اللغة وذلك للتحقيق من سلامة الأسلوب وملاءمته من وجهة اللغة لمستوى التلاميذ الذين يقرأ لهم

آلة لتصوير المخطوطات فى مكتبة الأزهر

كانت مشيخة الأزهر ، قداشترت فى العام الماضى آلة لتصوير المخطوطات من طراز ألمانى حديث ، وقد ركبت هـذه الآلة فى مكتبة الأزهر ورئى أن يقوم باستعمالها أخصائيون متمرنون على التصوير . ولهذا دربت المشيخة بعض موظفيها فى أحد المعامل، ولما أتم تدريبه نقلت آلة التصوير ، إلى غرفة خاصة بالادارة العامة ، وسيشرع ، بواسطتها ، فى نقل المخطوطات النادرة فى مكتبة الأزهر ، وإرسال نسخ منها إلى الآثار والمكتبات الكبرى

ومن بين الآثار التى غنى بالتقاط صور لها ، كتب نقشت على جلود الغزلان ، ويرجع تاريخ تأليفها إلى أكثر من ألف سنة .

الى السادة الكتاب

يحمل إلينا البريد فيما يحمل مقالات ورسائل غفلاً من الامضاء، وقد أعلنا من قبل أننا لا ننشر مقالا لا يمضيه كاتبه. وللكاتب الحق فى أن يرمز لاسمه مايشاء على شرط أن يكون اسمه معلوما لرآسة التحرير. فنرجو من حضرات الكتاب أن يراعوا ذلك حتى لا نضطر إلى إغفال مقالاتهم وهى قيمة

الفروسية العربية

ورد فى القسم الثاني من المقال المنشور تحت هذا العنوان فى العدد ٢٦٢ من الرسالة الغراء ما يلى :

« والمرأة هى التى تثير حماس الرجال فى الحرب . وكما قلت تحكم فى بطولتهم . وقد جرت العادة أن تحضر النساء الموقعة داكية فوق كتبان مزينة » وقد شرح المعرب كلمة كتبان فى نهاية الصفحة بقوله :

« الكتب أو النبيط نوع من الهوادج » والصواب كما اعتقد أن كلمة (الكتب) — إذا لم يكن فيها تطبيع — غير صحيحة ولا تؤدى هذا المعنى . وإنما التى تؤديه (القتب) وتجمع على أقتاب لا (قتبان) كما جمع المعرب كلة (كتب) :

وجاء أيضاً فى المقال عينه : « إن هتاف فرسان البدو فى الحرب ينحصر فى اسم حبيبة الفارس أو اسم أخته أو اسم قطيع جماله ، فيهتف مثلاً (أنا أخو جوزا ، أو لعيون حميدة ، أو خيال العليا) والعليا قطيع من الابل »

وأقول إن البدوى إذا هتف بقطيع جماله لا يقول (خيال العليا وإنما يقول (راعى العليا) وكلة (خيال) يرددها عادة إذا هتف بجواده . فيقول (خيال الشقرا) أو (خيال الشهبا) مثلاً كما سمعت ذلك بنفسى من البدو النازلين في أطراف بادية الشام أثناء قيامى برحلتى الطويلة فى سوريا .

وأضيف إلى ما تقـدم أن البدوى يستهل هتافه دائما بكلمة (لحـّد) فيقول مثلاً (لحـّدونا أخو فلانه) وأظنه يقصد بها (لاحد احد) أى لا أحد يجـوس الحي وأنا أخـو فلانه حيٌّ ارزق .

هذا وما أبديته لا يمنعنى أن اعترف لصاحب الموضوع (الميجر كلوب) بما تحمل من جهد فى جمع مواده . وبتحريته الصدق فى نقله إلى أبناء جلدته

يافا — فلسطين محمد سليم رشدان

وقائع لغوية فى حاجة الى الجلاء عنها

جاء فى الصحاح : (ويقال جمة عظيمة ، وجمة عظيمة أى جماعة يسألون الدية) . قال الشاعر « وجمة تسألنى أعطيت » . وفى القاموس وشرحه تاج العروس : « ويقال جاء فى جمة ويضم (الأول) أى جماعة يسألون الدية . قال ابن الاعرابى : الجمة البركة (بالضم فالسكون) والجميع جمم ولم يضبط حركة الجيم

وفى النهاية لابن الأثير . « الجم (ولم يضبط الأول) جمع جمة وهم القوم يسألون فى الدية » وفى القاموس وشرحه : « اللجنة (بالفتح) الجماعة يجتمعون فى الأمر ويرضونه » وفى البستان أن هذا الحرف ضبطته التكملة بالضم أى لجنة . ففى هذه النصوص ما يأتى :

(١) كل من الجمة (بالفتح) والجمة (بالضم) بناء مستقل

عن الآخر أوهما أصل وفرعه . فأيهما الأصل ، وما الدليل على أن كليهما أصيل أو على أن أحدهما فرع عن الآخر ؟

(٢) كيف يضبط جم بناء الجمع أبضم ففتح أو بفتحتين ؟ وإذا كان الوجهان صحيحين فعلام لم يرد ذلك فى التاج نصا

(٣) لم يضبط صاحب النهاية بناء جم ، فهل هو بالضم وما الدليل أو بالفتح وما الدليل ؟

(٤) الجمة بالضم تقع على الجماعة كما مر وعلى مجتمع شعر الرأس ، فهل ورد المعنيان لبناء واحد أو كل معنى له بناء خاص؟ فاذا كان لكل منهما بناء خاص فما بناء كل منهما؟ وما الجمع ؟ لأن الخال بمعنى شقيق الأم له جموع ليست للخال (الشمة) والتليل بمعنى العنق ليست للتليل بمعنى القتيل

(٥) الجمة (بالفتح) الجماعة كما مر والبئر ، فهل هما معنيان لبناء واحد أو كل بناء منهما مستقل عن الآخر وله معناه الخاص، وما جمع البناء الأول وما جمع البناء الثانى ؟

(٦) ما الفرق بين اللجنة والجمة — وعلام فى القاموس وشرحه ذكر اللجنة بالفتح دون الضم وبغير صيغة جمع لها؟ وهل استدراك التكملة صحيح ؟ وما وجه صحته ؟ وعلام اللجنة بالفتح جمع على لجان كسخلة وسخال ، ومرة ومرار وخطوة وخطا ؛ وليس لجمة جمع على جمام

(٧) ماذا تعد الجمة واللجنة ، أمن أسماء الجنس أو من أسماء الجموع أو من الجموع ؟ وما الدليل الذى يعين الحقيقة ؟

ألتمس ممن ندبوا لاستخراج المعجم الوسيط من أعضاء مجمع اللغة العربية الملكى الجلاء عن هذه الدقائق ، لأنها من المشاكل التى تعترض عملهم أثابهم الله مشكورين

(دمشق) أمين ظاهر خير الله



ديوان الجارم

للأستاذ حسنين حسن مخلوف

عهد إلى الأستاذ صاحب (الرسالة) أن أكتب عن ديوان صاحب العزة الأستاذ على الجارم بك إذ كنت عن كثب من الديوان عند طبعه، وكان بيني وبين نغمات هذه القصائد والخيال الخصب الذي ملك علىّ سمعي وبصري في نسمات الأسحار، حديث ومجاوبة؟ وربما قرأت القصيدة ورددتها مراراً، وظللت مدة طويلة مأخوذاً بسحر البيان حتى أنسى الغرض الذي شرفني الشاعر بالقيام به. فأما إن كتبت عن الديوان فانما أكتب عن مبلغ علمي، جاهداً أن أصور للقراء شخصية شاعرنا ممثلة في شعره، وأن أرسم ما أحسست به عند قراءتي شعره

إذا جلست إلى الأستاذ الجارم بك رأيت رجلا تمثلت فيه أعصار الآداب العربية وفنونها من عصر امرئ القيس إلى اليوم؛ فهو قد قرأ الآداب العربية منذ نشأته، ووقف وقفة طويلة عند كل شاعر وكاتب، وحفظ ما استطاع أن يحفظ، فامتزج ذلك كله، وجاوبته نفس نزاعة إلى الأدب فكان الأستاذ الجارم بك.

إن شئت أن ترى التنبي وعمقه وغزارة مادته وجبروته الشعرى فاجلس إلى الجارم بك أو اقرأ شعره. وإن أردت أن ترى حضور البديهة ورقة الشعور ولباقة التعبير والروح الشعرية الوثابة التي تتمثل في الحديث والظرف والسلام والكلام، فاجلس إلى الجارم بك. فهو شاعر بطبعه، شاعر ببديهته، شاعر بكل معنى من المعاني التي تلمحها في روح الشعراء

إن قرأت أدباً عباسيًا أو أندلسيًا فرأيتهم يقولون: إن الشاعر لا يكون شاعراً حقًا إلا إذا تمكن من أدوات الأدب، ومارس شعر العرب، وملك ناصية الأدب، ثم أعانه على ذلك قريحة وقادة وبديهة مسعفة وخيال قوى، فان ذلك كله موفور لشاعرنا الكبير

كان أستاذنا مصطفى صادق الرافعي — طيب الله ثراه — ينكر على الشعراء الذين أنبتهم طبيعة مصر عمق الخيال وامتداد النفس الشعرى؛ وكان يرى أن الشعراء المصريين صغار الدواوين لا يقف الواحد منهم على شاطئ بحر الخيال حتى ينزوى عن ذلك البحر. فلما حدثني بذلك الرأى، وكتب عنه في الصحف عزّ علىّ ذلك؛ فجئته في اليوم التالي بعدد من مجلة (المعرفة) وقد نشرت فيها قصيدة للجارم بك، ونسى محررها أن ينسب القصيدة إلى قائلها، وأطلعته عليها فطرب لها وبخاصة الأبيات الآتية منها:

لعبت بك الحسناء تدنو ساعة ... فتثير ما بك ثم تهجُرُ عاما
والحبُّ ما لم تكتنفه شمائلٌ ... غرٌّ يعود معرّةً وأثاما
والحبُّ أحلام الشباب هنيئة ... ما أطيب الأيامَ والأحلاما
والحبُّ نيران المجوس لهيبها ... يحيي النفوس ويقتل الأجساما
والحبُّ من سرِّ السماء نسمه ... وحياً إذا ما شئت أو إلهاما
يا جنةً لو كان ينفع عندها ... نُسْك ابتدنا سجّداً وقياما

وسألني: لمن هذا الشعر؟ فلم أجب. وقلت: إن كان هذا شاعراً مصريًا فقد اعترفت لهم بالقوة وعمق الخيال. إنك شاعر وكاتب ومطلع اطلاعاً وثيقاً، وعليك أن تنسب الشعر إلى صاحبه من غير أن أدلك على اسمه؛ فأجاب فوراً: إنه الأستاذ الجارم. فقلت: أتراني كسبت القضية؟ قال: إنني عند ما أستحضر صورة وجه الجارم وهو من رشيد، ورشيد على ساحل البحر أحكم أن دمه ليس خالصاً لمصر؛ فليست كل شاعريته مصرية؛ كشوقي مثلاً فهو مجموعة من عقليات أمم كثيرة تعاقبت على الزمان بالمصاهرة كما قال هو عن نفسه

ولقد كان أستاذنا الرافعي قاسياً على الشعراء المصريين؛

وقسوته فى ظنى كانت تعود إلى عوامل محلية فى علاقته بأدباء مصر وعلاقتهم به ، فقد كانوا أثرين يتعصبون الشهرة اغتصاباً ، ويتخذ كل شاعر شيعة تسبح بحمده ، وكانت الشهرة الأدبية ميداناً للتزاحم ليقول كل واحد : أنا !! فيقول له الآخر : لست ذاك ! . وأنا أرجو أن يطهر النقد الأدبى فى العصر الحديث من هذه الضغائن والحزبيات ، وأن تتجه الجهود إلى البناء لا إلى الهدم ، فالعصر عصر السرعة ونسيان النفس إن أرادت مصر نهوضاً حقاً ، وغسلت نفسها فى كل نواحيها السياسية والأدبية من قولة أنا ! وبعدى الطوفان !

لكل أمة من الأمم بيئة خاصة ، وعقلية خاصة ، وتيارات فى الحياة خاصة توجه أدبها ، وهذا الاتجاه يتوارث على توالى القرون؛ فالمدح أو الرثاء فى الشعر العربى من طبيعته ، وتصوير الأشخاص ورسم صورة فنية لأعمال العظماء كانت ولا تزال مجال الشعراء العرب قديماً وحديثاً ، والأسلوب كذلك تراث نقلته إلينا الأجيال ؛ فالأستاذ الجارم بك تمثلت فيه العقلية العربية وجزالة اللفظ وقوة الأسلوب وضخامة التعبير فى كثير من الأحيان . ويظهر أن رأيه أن يخدم الأدب العربى العالى بانتقال القراء إليه لا أن ينزل هو إلى القراء ويتملقهم ، ويفنى شخصيته فيهم ، لذلك عهد إلى بعض تلاميذه بشرح الديوان

وأروع ما ترى فى شعره تصويره لشخصية مليكنا الشاب فاروق الأول . وقد تغلغل شعره فى نهضة هذه الأمة الكريمة وفضل الأسرة العلوية عليها كقوله فى (التاجية الكبرى) التى أنشدها فى تتويج مولانا الفاروق :

لله يومك والضياء يعمه ... فمشيبه رِسْيان والإبكارُ
يومٌ تمناه الزمانُ وطالما ... مدت إليه رءوسها الأعصارُ
حامت نسور النصر حول جيوشهم ... حتى كأنّ غبارها أوكارُ

وقوله فى العيد المئوى لوزارة المعارف

فأتاها (محمدٌ) جدٌ (إسماعيل) بالخصب مورقاً والحياةِ
هل رأيت النجم الذى يبهرُ العيشَ ويمحو دياجر الظلماتِ
هل رأيت الآمال بعدَ نفار ... واقتبال الشبابِ بعد فواتِ

شاعران فى مصر سجلا عزها القديم والحديث ، ونثرا على صفحات الأوراق أمجاد العرب والفراعنة فى صورة جميلة جذابة ومنطق قوىٌ خلاب هما شوقى والجارم ؛ كلاهما أحس بأمجاد الآباء ، وامتزاج روحهم بعصر الحديثة ، واتخذ من ذلك سبيلاً إلى إنهاض الشباب وحفز الروح الوطنية والعزة القومية

ولكن شوقى شغف بمصر القديمة بقدر شغف الجارم بمصر العربية والحضارة الاسلامية ؛ هما نشأتان فى طريقين مختلفين إحداهما فى طريق مختلطة اتصلت ببيت الملك والعرش أيما اتصال ، وعرش مصر تراث عربى فرعونى . ذلك مجال شوقى .

والأخرى فى طريق خالصة للعروبة تمت إلى الدين واللسان العربى بأقوى الأسباب منذ الصبا إلى يوم الناس هذا . ذلك مجال الجارم . وكلاهما يغرف من بحر العربية الأكبر ، وتطاوعه ثقافته العربية الواسعة فيلعب بالألفاظ لعب الرياح بالأعواد

إقرأ قصيدته بمناسبة انقضاء خمسين سنة على دار العلوم وأنا ضمين لك أن أعطافك ستثب مع أعطاف الشاعر حين كان يلقيها . ومنها مخاطبا دار العلوم : —

بسمةٌ للزمان أنت تلتها ... كشرة للزمان عن أنياب
كلما رمتُ خدعَ نفسى بنفسى ... كشفت لى المرآة وجه الصواب
أين تلك الأيام بانت وبنّا ... وتولت بشاشة الأحباب
إيه دارَ العلوم كنت بعصر ... في ظلام الدُّجى ضياء الشباب
فى زمانٍ من كان يُمسك فيه ... قلما عُدَّ أكتب الكُتّاب
تخذت فيك بنت عدنانَ داراً ... ذكرتْها بداوةَ الأعراب

فاذا بكى الجارم واستبكى أحسست زفير الحزن يضطرم فى قلبك ، ودوىّ صوته يعتصر عينيك . وبخاصة قصيدته فى رثاء المرحوم أبي الفتح الفقى الذى كان وكيل دار العلوم ورئيس جماعتها

أما الحكم البالغة والأمثال السائرة فهى منثورة فى جنبات قصائده كقوله :

الدِّين طبُّ النفس من آلامها ... وهداية الحيران فى بيدائه
يكره الظلمُ كلّ شىء من الضو ... ء ولو كان فى ابتسام الفتاة

وفى عزم شاعرنا بعد فترة وجيزة أن يخرج للناس الجزء الثانى من الديوان وفقه الله إلى خدمة العروبة ، وأعلى به منار الأدب .

حسنين حسن مخلوف



6 me Année, No. 265

Lundi - 1 - 8 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

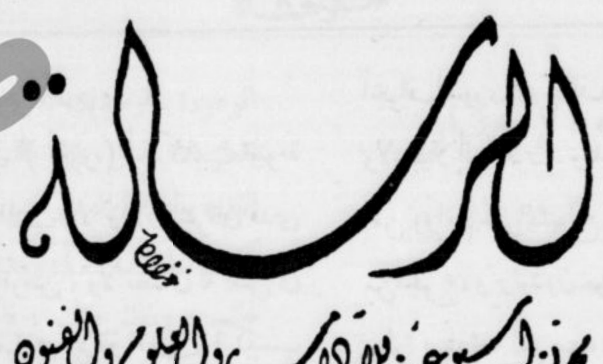
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الادارة



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع عبد العزيز رقم ٣٦

العتبة الخضراء — القاهرة

ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العـــدد ٢٦٥ «القاهرة فى يوم الاثنين ٥ جادى الآخرة سنة ١٣٥٧ — أول أغسطس سنة ١٩٣٨» السنة السادسة

الفهـــرس

يالله لفلســـطين !

يا لله لفلسطين مشرق الهدى والسلام، ومهبط الوحى والإلهام، ومجتلَى عين موسى، ومسرح قلب عيسى، ومسرى روح محمد، وقدس الأديان الثلاثة، وقبلة الإسلام الأولى، ومهد الأنبياء، ومقبرة الرسل، ومعبد الشرق والغرب، ومجرى العسل واللبن !!

يا لله لفلسطين ! ماذا فعلت بها الأحداث وجرّت عليها المطامع ؟ أبعد أن رفع الإسلام عنها آصار العبودية وأوزار اليهودية تعود بها المقادير السود إلى استعمار (طيطوس) القاهر، واستثمار (يهوذا) الجشع، فيعود إليها الفساد والفوضى والقهر والفقر والموت ؟!

أبعد أن استخلصها للعروبة (عمرو الداهية) من (أرطبون)، وسجل استقلالها العالمى (صلاح الدين) على ناصية (جودفروا) يستبيح ذمارها طرائد البشرية وفى صدورهم تِرات الأمم وحزازات القرون، فينزلونها نزول الوباء، ويحلونها حلول الفتنة، ويمتصونها امتصاص العلق ؟!

لقد قال المسيح لذلك اليهودي الذى منعه ظل جداره وهو مجهود، وقرى داره وهو جائع :

« ستظل تائهاً فى الأرض حتى أعود ... »

فهل عاد المسيح فى ثوب (بلفور) أم كذبت نبوءة « السيد » ؟ إن لعنة الله ودعوة المسيح لا تزالان تحرقان قدمى إسرائيل، فهو لا يثبت له قدم فى أرض ، ولا تطمئن له نفس فى وطن ؛ وكان من أثر ضلاله البعيد فى الآفاق أن اكتسب خلائق النَّوَر : فهو يلصُّ ليعيش ، ويخدع ليغلب ، ويستوحش ليأمن ، ويتعصب ليدافع ، حتى انقطعت بينه وبين الناس وشائج النوع ، فأصبح خَلْقاً آخر لا يألف ولا يؤلف . فمحاولة إسكانه مع غير أهله وفى غير أرضه تكذيب لكلمة الله وتزوير على قانون الطبيعة !

***

ليس بصددى اليوم أن أفند هذه السياسة المريضة فحسبها منطق الحوادث وأدلة الواقع ؛ إنما أريد بهذه الكلمة أن أصور فلسطين العربية بين بحر يرشُّها باليهود والحرب ، وقفر يحصبُها بالمرض والجدب ، وأخواتها فى العروبة وفى الاسلام مطمئنات على ضفاف الأنهر النضاحة بالنعيم ، وعلى رياض السهول الفواحة بالنعمة، ينظرن إليها نظر الغرير الأبله وهى تمشى فى النار، وتخوض فى الدم ، وتطلب القوت فلا تجده، وتنشد الأمن فلا تناله . أريد أن أصور حال هؤلاء الكماة الأُباة الذين يغاديهم الفزع ، ويراوحهم الموت، وهم يدافعون عن حقهم فى الحياة، وينافحون عن مرقدهم من الأرض ، ويقولون للواغل الثقيل والحامي الدخيل : إنها موتة لا مناص منها . ولأنْ تُنثر أشلاؤنا على أديم الوطن ، وتقبر أجسادنا فى ثرى الأجداد ، أحب إلينا من أن نعيش عيش اليهود شرداء فى كل طريق ، طرداء فى كل بلد !

لقد شن يهود الأرض على عرب فلسطين الحربَ فى صراحة ووقاحة ؛ وأعلنوا الجهاد الدينى والقومي بالتطوع والتبرع ، وسلحوا ذؤبانهم بالمنايا والمنى ، ودفعوهم فى وجه الحق والعدل والشرف ومن ورائهم مصارف اليهود تمدهم بالذهب ، ومصانع الانكليز تمدهم بالحديد ؛ فانطلقوا يخرّبون المدن ، ويحرّقون الحقول ، ويقطعون السبل ، ويحصرون المؤمنين الآمنين فى أجواف الدور، وفى شعاف الجبال، لا يجدون منصرَفاً إلى الزرع ، ولا سبيلا إلى القوت. وقد شغلهم الدفاع المقدس عن الحمى والنفس عمن وراءهم من الشيوخ والأطفال والنسوة ، فتركوهم يتضاغون من الجوع، ويرتعدون من الخوف، ويكابدون بُرَحاء الهموم على وطن يستبيحه الغريب، وشعب يتخطفه الموت ، وحق يتحيفه الباطل،ومستقبل يتكنفه الظلام ، وحال من البؤس تقطع الرجاء وتوهى الجَلَد لولا إيمان المسلم وبسالة العربى واستماتة المظلوم

فلسطين العربية كلها اليوم بين منفى يلوذ بكنف الأعداء، وضعيف يتلهى بالدعاء والبكاء ، ومدافع يقتات بالعشب ويعتصم بالصحراء؛ وليس للمنفى شفيع إلا الأمل، ولا للضعيف عائل إلا الصبر ، ولا للمدافع منجد إلا الايمان .

أما إخوان النسب وإخوان العقيدة فكأنهم لا يملكون لمأساة فلسطين الدامية إلا عزاء المجامل ، ورثاء الشاعر ، ودعاء العاجز ، وبكاء المرأة .

أيها المسلمون ! إذا ذهبت عصبية الجنس فهل تذهب نخوة الرجولة ؟ وإذا ضعفت حمية الدين فهل تضعف مروءة الانسان؟ إنا لا نقول لكم تطوعوا، ولكنا نقول تبرعوا . وليس فى التبرع للجريح بالدواء ، وللجائع بالغذاء، نقض لمعاهدة ولا غدر بصداقة. وأقل ما يجب للقريب على القريب ، وللجار على الجار، يدٌ توامى فى الشدة ، وقلب يخفق فى المصيبة ، ولسان يحتج فى المظلمة . فهل يزكو بعربيتكم والجود غريزة فى كيانها ، وبإسلاميتكم والمواساة ركن من أركانها ، أن تقفوا من فلسطين موقف الخلى المتفرج ، يسمع الأنين فلا يعوج ، ويبصر الدمع فلا يكترث ؟

إن فلسطين تقاتل للحياة لا للمجد ، وتناضل عن القوت لا عن العزة ؛ وخليق بمن يدفع عن نفسه أن يُعان ، وبمن يذود عن رزقه أن يُعذر

إن فلسطين من البلاد العربية بمكان القلب ، ومن الأمم الإسلامية بموضع الإحساس ؛ وسيعلم الغافلون أن محنتها سبيل المسلمين إلى التعاطف، وصرختها نداء العرب إلى الوحدة ...

احمد حسن الزيات

ســـــخرية الأقدار

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

كنت فى يوم من الأيام جالساً إلى مكتبي أرقب أن يحمل إلىّ ساعى البريد « حوالة » مالية . وكنت عاكفاً على الكتابة ولكنى كنت أحصى الأبواب والوجوه التى أنفق فيها المبلغ المرقوب . وللذهن قدرة على الاشتغال بأكثر من موضوع واحد فى لحظة واحدة . فبينما كنت أجرى القلم بوصف ما تعانى فلسطين ، وأعرب عما جاشت به نفسى من العواطف من جراء هـذه القنابل التى تلقى على باب المسجد الأقصى وفى الأسواق العامرة الناصـة ، فتقتل النساء والأطفال والرجال، وتطير أشلاء الانسان والحيوان وتخلطها بالخضر والفاكهة ، واللحم والسمن والعسل ، والأنقاض التى تهاوت ، والقُـفَف التى تبعثر ما فيها؛ وأقول إنى أعرف حكومة فلسطين نسفت بيوتاً عدة للعرب ، وفرضت غرامات متفاوتة على قرائهم الفقيرة ، ولا أعرفها هدمت بيت يهودى واحد ، أو غرّمت حياً من أحيائهم أو مستعمرة من مستعمراتهم — أقول بينما كان القلم يسحّ بهذا كنت أتخيل الثياب الجديدة التى سأشتريها ، والأثاث الحديث الذى أحب أن يحل محل القديم فى بيتى ، والسيارة الجديدة التى سأستبدلها بسيارتى وإن كان عمرها عاماً ، وأسأل نفسى هل أستشير المرأة الصالحة التى لا تعترض لى طريقاً ، ولا تأخذ علىّ مُتوجَّهاً، ولا تنكر من فعلى أو قولى شيئاً ، ولا أراها فى أى حال إلا راضية ، ولا أعرف أن غيرها فى هذه الدنيا يمكن أن يطيقنى ويحتمل عبثي وسخافاتى وحماقاتى ؟

فى هذا كله أيضاً كان تفكيرى . وكنت أتصور الألوان والشيات والأشكال ، وأحاور نفسى وأجادلها، وأتلق الاعتراضات وأردها ، والقلم مع ذلك لا يتوقف ولا يكف عن المضى ، وجاءنى الخادم بإيصال رسالة بريدية مسجلة لأوقعها ، فاستبشرت وقلت : « الحمد لله جاءنا الخير المرتقب ... خذ يا شاطر فتح الله عليك ، ولك ... (ومددت له يدى بالايصال) وأسرع ... عجل ، ولك الحلاوة »

وخرج الخادم ، وهو يبتسم ، وراح هو أيضاً ولا شك بتخيل ما سينعم به فى يومه السعيد « بعد أن أعطيته الحلاوة » الموعودة . ومضيت أنا فى الكتابة ، مغتبطاً ، وإن كان القلم يقطر بالنقمة على رءوس المستعمرين ، ورأيتنى أدندن ، وأنا أجرى القلم ، ولم لا ؟ ألست مسروراً منشرح الصدر ، ولا نكران أنى كنت ساخطاً ناقماً ، ومغيظاً محنقاً ، ونائراً فائراً ، ولكن هذا جانب ، وذاك جانب ، فانا — فى الجانب المشرق الوضاء من نفسى — أشعر بالاغتباط والمرح ، فأدندن ، ولكن هناك جانباً آخر حالك السواد لا يضيئه إلا ما يتهاوى فيه من صواعق الغضب، والجانبان لا يختلطان ، ولا يتداخلان ، ولا يعدو واحد منهما على صاحبه ؛ فالسواد هنا لا يعصف بالبشر المتألق ، والسرور هناك لا يمتد نوره إلى الظلمة الطاخية ...

وعاد الغلام الخفيف الحالم بالحلاوة ، ودفع إلىّ الرسالة المسجلة فنظرت إليها وأنا أتناولها منه ، وعرفت ممن جاءتنى قبل أن أفض غلافها . ولم يكن هذا لأنى ذكي ألمعى أرى بأول الظن آخر الأمر من وراء الغيب ، بل لأن الاسم مطبوع على الظرف وابتسمت وأنا آخذ الرسالة ، وأضعها على المكتب كما هى ، وأنقدت الغلام المسكين قرشين ، وأكببت على الورق أكتب .. وماذا عسى أن أصنع غير ذلك ؟ لم تجىء الحوالة المالية المرتقبة ، ولا ضير من هذا ، فما كانت بى حاجة ملحة إليها ، وهى خير إذا جاء فأنعم به وأكرم ، وإذا لم يجىء فلا بأس ، وستجىء على كل حال غداً إذا لم تجىء اليوم أو بعـد شهر أو أكثر ، ولو اقتصر الأمر على حرمان ما نممت نصف ساعة بتخيله لهان ، ولـكن الضحك ....نعم الضحك ... أن يجيئنى بالبريد المسجل فى هذه اللحظة على الخصوص إنذار من محام بتنفيذ حكم صـدر خطأ فى غيابى ، وعندى المستندات التى تثبت أني أبرأت ذمتى ، ولكنى لسوء حظى مهمل وشديد النسيان، فلست أذكر أين وضعت هـذه الأوراق ، وقد كلفنى هذا النسيان مالا يعلمه إلا الله ، وبدا لى — لسذاجتى — أن من السهل أن أقنع الخصم بمراجعة أوراقه وحسابه ليتبين أني أديت إليه حقه . وخطر لى أن هـذا أسهل من عثورى أنا على مستنداتى التى لا أدري ماذا صنع بها الاهمال ، وكان الخصم يضحك منى ويقول للحاضرين « اسمعوا ... هذا جديد ... يريد منى أن أقدم أنا له ما يثبت براءة ذمته ! ! فلماذا لا يعد هو مستنداته ؟ » فأقول له محتجاً « يا أخى إن المسألة ليست مسألة خصومة وعناد ، وإنما هى مسألة ذمة وحق ، وعندك دفاتر مسجلة تقيد فيها مالك وما عليك

وأوراق لا أدرى أين هى ، والبحث عنها يضيع وقتى ، ويطير عقلى ، ولا صبر لى على هذا على كل حال ؛ ولأهون على أن أؤدى إليك المال مرة أخرى من أن أنفق عمرى وأطير صوابى فى البحث عن هذه الأوراق ، فلماذا لا تؤثر العدل والحق فتعاوننى ؟ إنك ناس، والموكل بهذا الحساب قد ترك عمله عندك، والمراجعة لا تجشمك عناء، فر واحداً من عمالك أن يقوم بها »

وقد ضاعت سنتان من عمرى وعمره فى هذه المراجعة التى لم تخل من بعض الفائدة ، فقد اهتدينا إلى مبالغ ثبت أنى أديتها فتزعزعت ثقته بعامله الذى أكد له أني ما زلت مديناً ، ولكن دفاتره كانت على حال من الفوضى كالتى عليها أوراقى في بيتى . ويظهر أنه سئم أو تبلد فلم يعد وخز الضمير يؤلمه أو يزعجه ، فقال أنفذ الحكم عليه بعالم يجد دليلاً على أدائه وأريح نفسى ، وعليه هو — لا علىّ أنا — أن يبرىء نفسه بابراز ما عنده !

وهكذا تلقيت إنذاره

وأتممت المقال ثم فضضت الظرف وقرأت ما فى الكتاب وضحكت . لقد كنت أنتظر فرجاً أوسع به على نفسى ، فإذا بى أطالب بأداء دين مرة ثانية !! فاذا أصنع ؟ قلت لنفسى — وكان اليوم الخميس — هذا موقف ممتع . وخير ما أصنع هو أن أركب سيارتى وأستصحب بعض الرفاق ، ونمضى جميعاً إلى الاسكندرية فنقضى على ساحل البحر أياماً وليالى ننسى فيها سخرية الأقدار وتهكم الأيام ...

وقد كان . قمنا إلى الأسكندرية قبل الغروب بساعة ، فلقينا فى رحلتنا ما هو أعجب وأغرب مما سأقصه على القراء فى المقال التالى

ابرهيم عبد القادر المازنى

صحيفة وصف وأطلال

النادى

للأستاذ حسن القاياتى

بكرتُ إلى ضاحية نضرة مونقة ألفت أن أزور نادياً فيها يتألفنى بشفوف حسنه الصامت ، ويقر بعينى أن أبادله أنفاسى الحرار ببرد نسيمه الذى يأذن له فيتلعب بغلائل زائراته من الثانيات بأرفق من تلعب العيون بالقلوب ، ويطيب لى أن أشهد سكونه المعجب لا يحس فيه غير نبض الجوانح بالحب ، أو مسرى العيون بنظرة مدلهة

كم خلوت في هذا النادى بنجوى الأمانىّ الحسان كأنما أتناولها من رقعته النضرة الغضة ، وللأمانىّ فى الجو الطلق رفيف كرفيف نسمته يَنْدَى على الكبد

أمانىٌّ من ليلى حسان كأنما سقتنابها ليلى على ظمأ بَرْدا
مُنًى إن تكن حقاً تكن أحسن المُنَى وإلاّ فقد عشنا بها زمناً رغداً

المتنزه أو النادى جنة معطار بالنسيم ، يتيامن قليلا عن الطريق الشارع حيث المدينة ، ويتياسر شيئاً عن المزرعة حيث الريف ، فهو بينهما قائم يشرف على رقعة نضرة ، كأنه الحد بين مصنوع الحسن ومطبوعه ، وتلك من أكبر ما يغرينى به ، فقد طبعت على خلال من حب الوحدة إلى غاية من التبرُّم

أما النادى فى صورته فبناء مؤلف من طبقتيه السفلى والعليا، بيد أن عليا الطبقتين خلاء من كل ناحية ، سقف على عمد، هل رأيت مظلة فى يد ؟

تشافهه ذكاء شارقة غاربة ، فتطالعه فى مشرقها بوجه وضاح متهلل يميره فى الشتى أنفاساً حِرارا كأنفاس الصبابة ، وصفرة فى أصائل الصيف كصفرة المحب ، فاترة اللمح والحرارة ، فناهيك من مصيف ومشتى

الخضرة حول المتنزه سائدة ، ربما أريق عليها عسجد الشمس فهى بساط رائع ، كأنما التفت عليه الخضرة والصفرة فى سدى ولُحمة ، تؤلف نقوشه من زهرات ترفات لم أر أملح من الفراش

يتنقل عليهن تنقل النظر فى خدود الأوانس المتوردات

وقد استدارت حوله شجرات قديمات قامت هنا لك عطلاً من التمر والنَّور ، كأنها نصفات(١) من الغيد ودعن عهد الشبيبة والدّل ، فهن سليبات من الحلى وإن كن لا يعدمن مسحة من الحسن. على أن تلك الشجرات ربما أجنت عصفورا لبقا بالصفير يخرج رأسه فى الفينات من حفافي ورق نضر كما تطل مغنية من شباك فيضرب الفنن مرات بجانبي منقاره كما تمسح القلم مرات يمنة ويسرة ، أو كما يصلح المغنى عوده ، ثم يتكلم العصفور بصوت ساحر

وقد يشرف الجالس فيه على ضروب من الغراس حديثة العهد بماء ضحضاح إذا تمايلت فيه وصفها مترجحة كالراقصات أمام المرآة ، ذلك حسن منثور فيه ، أينما تلفت رأيته كالمحيا الفاتن تجيل طرفك فيه بين فنون من الروعة ، فتنقله من خد إلى جيد ، ومن طرف إلى خد

تلك حلية النادى فى يومه الساحر الوضاح ، أما هو فى ليله فذلك الحسن كله والسحر ، يقبل عليه الليل بقطعانه الجهمات فتتشابه سماؤه وأرضه : السماء روض زهراته الكواكب ، والروض سماء كواكبه الزهرات ، وتأخذ لألأة الكواكب بالبصر حتى يحسبها الناظر شقوقاً فى ثوب الليل ، فيرده عن وهمه أن ثوب الليل قشيب ، وأنه بعدُ فى مقتبل. أما القمر فى ليالى القمر ، فإن له على تلك الساحة طغياناً ساحراً كما تدفق النهر فى الحديقة ؛ وطالما رف بلبل فى جوه فرجع ترجيعات مليحات آنقت الأسماع حتى ما يمارى أحد فى أن تغريد الطيور من ألحان الطبيعة ، وإن كان لا يحسن أن يقول : من أية نغمة هو ، وإن تعرّف حسنه بما أودعه النفس من حرارة الشغف

إن الناظر ليجيل طرفه فيرى على مدى بصره القطار الأبيض فى جيئته وذهوبه يتدفع بين تلك الأنحاء السندسية ، فيحسبه قناة ماء مسجور يتدفق بين الرياض ، ويخيل إليه أن زمجرته هدير القناة ، أو يحسبه وهو يعرق ليلاً فى غشاء من ضوئه نيزكاً سابحاً يجرر ذيلاً من النور

أجل ؛ إن الحياة المريرة النكداء أبخل من أن تخلى منظراً طريفاً كمنظر هذا النادى من منظر قاس مرّ يشق على النفس والبصر . هذه مقبرة قديمة جثمت على قيد خطوات من النادى البديع إذا تلفت الجالس تعثر بها طرفه وشجته كما يشرق الشارب بالماء العذب ، هذه المأساة بذلك الجذل سنة الحياة

ألف غشيان هذا النادى فى الأصايل وليلات القمر أسراب من غانيات الأسر فيهن المصرية والغربية ، تغرب الشمس فيشرقن فيه يتفرجن من يوميات البيت الجاهدة، ويستسلمن إلى سمر حار ممتع يرسل نفوسهن على السجية ؛ وتارة هو ملتقى صفيين يخلوان إلى نجوى الشوق فى غفلة من الوشاة

إن الوجوه لتتقابل هناك متعارفة مؤتلفة لكثرة ما تلتقى لديه ، حتى لقد ترعى بين زائريه حدود الآداب فيعرف أحدهم لجليسه كرسيه ومجلسه ، وكأنما أجد لهم طول الإلف ضرباً من التفاهم يلفهم فيه أسرة واحدة يرمون المحدث فيهم بالنظر الشزر. أنا جالس فى ندينا الساعة حيث أكتب هذا ، والدولة لليل ، وقد نبض سلك الثريات بالنور فأضاءت ، وحوالى خفرات من الأوانس محجبات وسوافر يبسمن لذويهن فيذبن الأسى ، تحلل الظلمة تحت الثريات ، ويفاوحن الروض بعرف زكي كأنما يرود لهن القلوب ، والعَرف من بَريد الحب

شدّ ما يسترسل الأوانس هناك فى تبذلٍ ومجانة يتجاوزن بهما حد الرشاقة والدل إلى الخلاعة ، كأنهن حين شهدن تبرج الطبيعة تشهّين أن يسارن حسنها السافر فساقطن عن حر الوجوه براقع شفافة كأنها أغشية البلور ، وأخذن فى مرح بحت يمثلن فيه الرشاقة والدل

تلك التى انتبذت ناحية طفلة ناهدٌ فى سنّ البدر وحسنه ، أحسبها تفلتت الساعة من المدرسة لما يلوح عليها من غرة بالتلفف

جلست الفتاة تنتظر خديناً لها فهى تتلفت متململة تلفُّت الطائر على الغدير ، حتى أقبل طلقاً وضاح الأسارير فسلم ثم عدل بها إلى مكان يجور عن مساقط النور ومواقع النظرات ، ألف العشاق أن ينزلوه، يسرهم أن يجمعوا بين كحل ظلمته وبين العيون فما ينيره غير جبين وضاح

جلسا معاً هناك ، وجه إلى وجه ، وساق على ساق ، فى أمن من سرى الأبصار والظنون :

أقول وجنح الدجى مُلْبِدُ   وللّيل فى كل فج يدُ !!

---

(١) المرأة النصف المتوسطة فى السن

ونحن ضجيعان في مَجْسَدٍ فلله ما ضمن المجسدُ !

أيا ليلة الوصل لا تنفدي كما ليلة الهجر لا تنفدُ

ويا غدُ إن كنت بي راحماً فلا تدْنُ من ليلتي يا غدُ

يتناجيان حيناً بحرّ الصبابة فيضرّج الحياء خدها الرقيق :

راضِ بحكمك فاعدلي أو جوري ولك المكانة فاهجري أو زوري

ناجيت فاتنني فأشرق خدُّها بالحسن وقعَ النور في البلور !

وربما سكتا عن حديث البشاشة فتكلمت العيون !

متحابان غاب عن يومهما العذّل فدعهما حيث شاء لهما الحب ونجواه

وتلك عقيلة نَصَفٌ على أنها مستتمة الملاحة لبقة بالغزل والتصبي ، ذات وليد مرضع تحمله وصيفة زنجية متلفعة . أقبلت العقيلة تمشي إلى رجل رزين الجلسة هو قرينها فيما يخيل إلى ناظره ، أفنى هزيعاً من الليل في توقعها ، فالآن حيث أقبلت تخطر حتى جلست إليه في غير تحية ولا كلفة . وإني لأشهدها الساعة تتململ حائرة النفس ، وتتخبط برجلها تخبط الظبي في حبالته لترى الجلوس ساقها الضخمة الملتفة كأنها لفائف البلور، وتسارق جاراً لهم النظرات تنتحل لها العلات حذراً من يتفظ الريبة في نفس القرين ، وتكثر أن تكشف جيب الثوب عن ناهد رخص مستدير تعلل به الوليد ، وجل ما تعتمده أن ترى النظارة وبخاصة ذلك الجار أنها تحمل غض الرمان :

بنفسي من لو مرّ بُرْدُ بنانه على كبدي كانت شفاء أنامله

ومن هابني في كلّ أمرٍ وهبته فلا هو يعطيني ولا أنا سائله

وهذه فتاة أخرى تتردد بين الصبيحة والدميمة ، على نصيب من رشاقة الدلّ واللباقة، ولكنها طياشة لا يحتويها مكان، تغرق في هذر وضحكات خليعة تستثير بهما هوى الجالسين كما يطارد الصائد الظبي إلى الحبالة فإذا هو أخيذ :

فرقت إلى رجلٍ فروق من ضحكة آخرها شهيق

تجربات عدة صادقة أفدت منها أن العفاف لون من ألوان المرأة لا جوهر ، وأن المرأة لا يسلم لها شرفها الرفيع كائنة من كانت إلا محرزة مكنونة ، أو يراق على جوانبه الدم ، وأنها إذا استشرفت الريبة استبيحت فلم تعتصم

ذلك رأيي في المرأة جد سديد ، وإلا فما هذه النظرات الخائنة التي تخترق الصدور إلى الأفئدة ؟ والنفلت من كل عقد اجتماعي أدبي ؟

إن المرأة لتحسب أن من وحي الفطرة الزهادة في الأليف الفرد ، وذهاب الحسن طلقاً مع الهوى كأنما تخشى عطلة الغزل ، وتنفس بالحسن على التملك فيما يقول الاعرابي النزق :

يقولون: تزوج وأشهد أنما هو البيع إلا أنّ من شاء يكذب

وكأنما تقول :

إن المرأة مخلوقة من جو هذا الكون ونسيمه ، فأخلق بها أن تروح في حرية ذلك الجو الطّلق

يعز على أن يكون رأيي في المرأة هذا الحكم الجافي ؛ ولو آثرت العاطفة دون العدل لم يكن أحد آثر من المرأة بالترفق

إن اليد التي تصرف القلم بالعاطفة لا تحسن إلا حمل الدف أو العود

هذا كله وأكثر منه في طبقة النادي العليا ، أما طبقته السفلى فإن لها شأناً غير تلك نصفه على أنه أعف وأنزه . هذا قس رزين مثر من القساوسة خلفاء المسيح صلوات الله عليه ، يحمله إلى النادي مركب سريّ ، وله ضيعة فخمة، كلّ مايلوح عليه من سمات الدين لحيته وطيلسانه ، ومسبحة يديرها آونة ، لا يكاد يساجل جليسه إلا حديث الضيعة وقصر يبتنيه ؛ ولكنه غر كريم بكل ما يشهده حوله من هذه الحياة الماجنة ، يصف الهداية كما تصفك المرآة ، وكأنه في هذا النادي المستهتر بقية الهدى في فؤاد المفتون!

حبيب إلى نفوسنا أن يتنزل رجال الدين من علياء مجدهم وتدينهم إلى حيث الطبقة المتحضرة اغتباطاً بدنوّ الدين المصلح الرشيد من الدنية الفاتنة المسترسلة ، وأنى يكون ذلك ؟

تريدين كيما تجمعيني ومالكاً

وهل يجمع السيفان ويحك في غمد ؟؟

وذلك رومي يجلس على مقربة مني لا ينفك فه يختلج بهمس تتحرك له شفتاه كأنه ممرور أو موسوس ، وكأنما يعد شيئاً يعقد له أنامله . وماذا عسى يعد هذا النكود إلا أيام عشيق هاجر كأنه يتبرم بالحب ؟ وهل لأحد على حبه خيار ؟ ذلك طاح شديد

دعي عد الذنوب إذا التقينا تعالى لا أعُدُّ ولا تعدّي

أما تلك الفتاة اللعوب الشرهة النظرات التي تتصدر في حفل لما فيه عشيق ، فقد ألبس علينا أمرها ، أمستباحة هي أم حصان

مخبأة ؟ فإنا انى هدأة من ليل ساج يكاد أحدنا يحبس فيه نبضه خشية أن يقطع سكونه ، ويترفق بالنفس خيفة أن يضرمه بحرقته، إذ خلصت إلينا مع النسيم نغمة فاتنة ساحرة ، يحملها حمل النفحة مجهولة المهب ، على أنها حلوة الخطرة تمس الحشاشة :

يا ساقيّ أخمر فى كؤوسكما أم فى كؤوسكما هم وتسهيدُ ؟
أصخرة أنا؟ ما لى لا تحركنى هذى المدام ولا تلك الأغاريد ؟
ماذا لقيت من الدنيا وأعجبُـهُ أنى بمـا أنا باكٍ منه محسود

واطربا لك أيها الشادى ! وحر قلبي عليك ! لقد أحسنت وأربيت . من أنت جعلت فداك ؟ ومن أية النواحى مَسْرَى الصوت ؟

تلفتت العيون بعد أن تلفتت القلوب تطلب مندي الصوت فاذا فتاتنا اللعوب هى التى ترسله حارًّا كزفرة المحب ، وإذا هى مطربة نابهة من المعروفات كأنما تناست مجلسها من الحفل وخيل إليها المرح أنها جالسة بين زملائها على « التخت » فانفرجت شفتاها بتلك الأغنية ثم بدا لها أن تفئ الحياء فأمسكت ولم تبرح إلا مكرمة مفداة

بينما نصغى بأسماعنا إلى غناء الآنسة الأخاذ دخل إلى النادى رجل عسكرى عظيم فى « رتبة اللواء » ألف طروقه يتحدث فيه إلى أستاذ مدرس من المعممين فيزأران بالحديث حتى يستحيل النادى بصوتهما كلية للفنون أو معترك حرب ، يزخر مرة بالبحث والتحليل ، ويفهق أخرى بالصليل

يلقى المنيـة فى أمثال عدتها كالسيل يقذف جلموداً بجلمود !

ولعهدى لهذا الصوت الصاخب ينشد شعراً مرة ، فليت شعرى من راض ذلك الطبع العصىّ على رقة الأدب ، وتناشد الأشعار ؟ أجل ، إن الراضة يأخذون الليث المصور بالرياضة والتأنيس حتى يصبح أنيساً طيعاً . هذا كلب صاحب النادى قد شهدت من يلقي له قطعات السكر فيأ كلها التهاماً ، فلما سمعت الشعر يتضمنه العسكرى العظيم ، قلت : ما أشبه الشعر فى فم الرجل الجاف الخشن بالسكر فى فم الـكلب الشره ! وإن من الشعر لحكمة :

وهـذا الرومي صاحب النادى يأبي كل الأباء أن يعد النرد للاعبين فى الطبقة العليامن ناديه إغلاء بهدوء الزائرين، أفلا نكون

للضابط العظيم شمائل ذلك الرومى الجافى فيعفينا بل يعفى زائراته الرقيقات من الصخب ، كما أعفانا صاحبه من « النرد » بل ليت لنا من يقول له : رفقاً أيها الأسد بالظبيات أو القوارير

ليس فيما يقطع السكوت فى الخلوات أشهى إلى المستريض المبعد مسه السغب من نداء الباعة على الطعام الشهى اللذّ ، والطعام كله على تلك الحالة لذ شهى ، بل هو أهنأ الطعام وأمرؤه ، وإن فيمن يضمه نادينا الحفيل رجالا لهم شارة تشهد بنضارة ونعمة . ذلك السيد السرى المتصدر واحد منهم ، لا تبرح تحت طاعته سيارة وسائق فاره ، وهو إذا عاد إلى مثواه عائد لا محالة إلى قصر مشيد وخدم ، وبَدِيه إن له طاهياً محسناً لا يصنع طعامه المعجب فحسب ، بل يصنع معه الشهية لآكله . وها هو بحيث أراه مكب على قطعتى جبن وخبز ينحى عليهما بأنيابه إنحاء الجائع القرور !

لقد سوت المسغبة وتزوح ساعة عن المدينـة بين السيد الشريف والبائس الذى يتبلغ بالخبز القفار . و تلك حسنة للخلوات تقرّب بين الطبقات بالتسوية فتتركهم سواسية كما هم فى رأي الفطرة ، سيان الشريف والدون . معدلة من الطبيعة ونصفة ؛ على حين تقضى سنة المجتمع ونظمه بتفرقة جارمة

تخلسنا فى النادى تحت كرمة عنب فينانة تظل ناحية منه ، وتتدلى علينا بأوعية المدام أو المناقيد كأنها ثريات النور

تحملى أوعية المدام كأنمـا يحملنها بأكارع النغران (٢)

أذكرتنى الكرمة بالراح ، وإن كنت لا أشربها والحمد لله الذى يحمد على المحبوب والمكروه ، كما تذكر النتيجة بالمقدمات ، فذكرت كذلك أن النادى معطش منها ، تعطل فيه الأكواب، وأن صاحبه الخبيث يتحرق لهفة لأنه استجدى الاذن ممن علكه بأن يديرها فيه فلم ينم له بحمد الله . وخيل إلى أننى تعرفت من وقوع الطير على المناقيـد ونقره حبات العنب ، لأية علة كانت عربدة العصافير والتغريد . ولو أتيح للخمار الداهية أن تحتث عنده كؤوس الشراب لروعنا بعربدة العيون الساحرة النشوى ، فصرنا إلى ناد طروب تعربد سماؤه وأرضه وتُغرد طيوره وغيده !

لا تسقنيه فانى أيهـا الساقى أخاف يوم التفاف الساق بالساق
إن الشراب تهيج الشر نشوتُه فيز الشر منه واسقنى الباقى

(٢) النغران . جمع نغر ، طائر صغير من فصيلة البلابل

قضيت من الرياضة كل حاجة ، وتزودت لرئتيَّ من النسيم العليل ، فتشهيت العودة وأخذت سمتي إلى بيتنا الصغير ، فإني لجالس فيه صبيحة تلك الليلة جلسة المتعب المكدود أتمثل ما مر بي بالأمس، إذ دخل علينا آنستان فاتنتان كأنهما صورة الحسن ، فلما سمعتهما تسألان عني قلت : لبيكما ، أنا ذاك . فأقبلتا فجلستا في تخفر واستحياء متصنعين ؛ يبدأنهما تخبآن السحر في العيون ثم تحدثتا إلى بأنهما أقبلتا من مدرسة فلان في طلب المسعدة ليتامى قسمها المجاني ويتيماته — فيما زعمتا — ودفعتا إلى بصحيفة أعدتاها للمتبرعين يثبتون فيها الأعطيات ، ثم التوقيمات ، فتسمحت نفسي بقليل نذر يتذمم الجواد المفضل منه ، ثم وقعت في الصحيفة « صانع خير ! » ومن يبخل عند الأوانس؟ فانصرفتا في امتنان وحمد . ويمين لاعاهر ولاحانث ، ما أعرف أصانع خير أنا أم صانع شر ؟ ولكنى أعرف أن هذه أساليب هذا العصر ، أو هذا البلد ، وطرازه الطريف في الاستجداء الكاذب المخزى لمعونة العلم والبر ، وأين العلم والبر؟

في النـاس من يقتنى نفعاً بمُندبةٍ

كما جرت قبلة « في سوق إحسان »

واحر قلباه ! حتى البيوت فيها أوانس المجتمعات العابثات؟

لمحة دالة من صفة نادينا الذى يتألفنا بجماله ، وهو على ما فيه من هنات إنما يصف المجتمع ونفسياته ، كما تصفه كل منتدياتنا ، وخلف ما ذكر ما لم يذكر استحياء من الأدب والفضيلة

إن الأندية مرآة صقيلة للشعب تصفه على ما هو عليه من دمامة في صورته الخلقية أو وسامة

« السكرية — دار القاياتي » حسن القاياتي

حــــواء

... عَلَم على ديوان شعر طريف في الغزل العرفاني من نظم الأستاذ الحوماني تحت الطبع تحمل الرسالة نماذج منه إلى قرائها في عالم الفن

وحي القمر

قرأتكِ في الأفق حتى جرت — سبائكه في جيوب السحرْ
وحتى تدفقَ من جانبيه — ضبابٌ على الأرض غطى الشجر
وأوقدَ في ذروات الغصون — قناديلَ يزلق عنها البصر
تنوعَ فيهن لونُ الحياة — أفانينَ تحمل شتى الصور
تلمستُ روحكِ في أفقها — وروحُكِ في الأفق وحى القمر
فكانت من الزهر هذا العبير — ومن ذِروة الغصن ذاك الثمر

في فم الشاعر

لروحكِ في مُلتقى خافقيّ — خيالٌ يُرفّهُ عن ناظرى
أراه بعينيّ في يقظتي — وإن نمتُ أشرق في خاطرى
تمرّ به نسمات العشيّ — على صفحة القمر الحائر
وتندى به نسمات الصباح — فتلفظه في فم الشاعر
وكم صفّقت جنبات الغدير — على رقصه في فم الطائر
خيالكِ مرآة قلبي ، يُطلّ — على الكون من فمها الساخر
تدور بها في سماء الخلو — دِ أرحيةُ الفلكِ الدائر

الحوماني

في مصر الإسلامية

السيادة المصرية في صدر الاسلام

للدكتور حسن ابراهيم حسن
أستاذ التاريخ الاسلامي بكلية الآداب

كان الخراج في الدولة الاسلامية من أهم موارد بيت المال ، فلما فتح العرب مصر وجبا عمرو بن العاص خراجها لم يرض عمر بمقدار الخراج ، وظن في عمرو الظنون ، فأرسل إليه ابن مَسلمة ليقاسمه ماله ، ثم عزله سنة ٢٣ هـ قبيل وفاته بقليل عن ولاية الصعيد وأسندها إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح . فلما ولي عثمان الخلافة عزل عمراً وولى ابن أبي سرح مصر كلها ، فكان ذلك سبب الجفاء والمداوة بين عمرو وعثمان حتى قيل إن عمراً أخذ يؤلب الناس على عثمان وعلى سياسته وإن له ضلعاً في مقتله

على أن ابن أبي سرح لم يكد يستقر في ولاية مصر حتى انتقض الرومان وكتب أهل الاسكندرية إلى قسطنطين بن هرقل امبراطور الروم يصفون له ما هم عليه من الذلة والهوان ويهونون عليه فتح الاسكندرية لقلة من بها من حامية المسلمين ، فأنفذ قسطنطين قائده الأرمني مانويل Manuel إلى الاسكندرية على رأس جيش كثيف فاستولى عليها وأخذ جنده يعيثون في الأرض فساداً حتى وصلوا إلى مدينة نقيوس

ولم يكن قبط مصر يرحبون برجوع بلادهم إلى حوزة الرومان خوف أن يسوموهم الخسف والهوان لما قاموا به من مظاهرة العرب ورضائهم بحكمهم من جهة ، ولما كان بينهم وبين الرومان من الخلاف المذهبي الذي كان مصدر شقائهم ومصائبهم في عهد الرومان من جهة أخرى . فكأن عودة مصر إلى حوزة الروم معناه زوال تلك الراحة والطمأنينة اللتين تمتع بهما المصريون في ظل الحكم الاسلامي

لهذا كتب قبط مصر إلى عثمان يلحون في إسناد حرب الرومان إلى عمرو بن العاص لما أحرزه في حروبه معهم من الخبرة الناشئة عن طول المراس ، ولأنهم أنسوا فيه الدراية والكفاية على رد غارات الأعداء بخلاف ما كانوا يعرفون عن واليهم الجديد ، فولى عثمان عمرا الاسكندرية على أن يتولى حرب الرومان وإخراجهم من مصر

وفي مدينة « نقيوس » دار القتال بين جند عمرو وجند مانويل في البر وفي النهر ، وكثر الترامي بالنشاب حتى وقع فرس عمرو من تحته . ثم طلب المسلمون المبارزة بين فارس منهم وفارس من الرومان فكانت الغلبة لفارس المسلمين فثارت حميتهم وشدوا على العدو وانتصروا عليه وقتلوا قائده ، ثم تعقبوه إلى الاسكندرية وأعملوا السيف في رقابهم . وهنا أمر عمرو بإيقاف رحى الحرب ، وأن يبنى في الموضع الذي رفع فيه السيف مسجد أطلق عليه فيما بعد « مسجد الرحمة » وهدم عمرو سور الاسكندرية ، وبهذا ثبتت أقدام العرب[1] في مصر سنة ٢٥ هـ

أقام والي مصر الجديد في الفسطاط يراقب الأمور عن كثب وينتظر ما تلده تلك الحرب الناشبة بين العرب والروم في مصر . ولا شك أن انتصار عمرو ثبّت قدم ابن أبي سرح في ولايته[2] . فخذا حذو سلفه في الاصلاح الداخلي وفي الفتوح الخارجية، أما الاصلاح الداخلي فلم يترك له عمرو شيئاً جديداً اللهم إلا ما كان في زيادة الخراج في ولايته حتى بلغ أربعة عشر مليوناً (إن صح أن يسمى هذا إصلاحاً)

أما من ناحية الفتوح الخارجية فإن ابن العاص كان قد أمّن حدود مصر من جهة الغرب بفتح برقة عام ٢١هـ صلحاً ، وبفتح طرابلس سنة ٢٤هـ عنوة . ثم بعث نافع بن القيس الفهري (وكان أخا العاص بن وائل لأمه) إلى بلاد النوبة فقاتله أهلها قتالاً شديداً فانصرفوا ، فلما ولي مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح غزا إفريقية سنة ٢٧هـ وقتل ملكها وغنم المسلمون الغنائم الوفيرة

---

(١) ممن اتفق على هذه السنة اليعقوبي (ج ١ ص ١٨٩) والبلاذري ص ٢٢٨ وفي قول آخر له سنة ٢٣ هـ . والكندي ص ١١ من كتاب الولاة ، وابن الأثير (الكامل) ج ٣ ص ٣٩ ، والمقريزي الخطط ج ١ ص ١٦٨ والسيوطي : حسن المحاضرة ج١ص ٧٠ وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٨٨

(٢) أراد عثمان أن يجعل عمراً على الحرب وعبد الله بن سعد بن أبي سرح على الخراج فأبى عمرو وقال : أنا إذن كماسك البقرة بقرنيها وآخر يحلبها

حتى قيل إن سهم الفارس بلغ ثلاثة آلاف دينار والراجل ألف دينار[١]

ثم وجه ابن أبي سرح همه إلى الجنوب فغزا بلاد النوبة من جديد، وبلغ دنقلة في سنة ٣١ هـ وقاتل أهلها قتالا شديدا[٢]، ومع ذلك فإن النصر لم يتم لابن أبي سرح، فلجأ إلى مهادنة النوبيين وعقد معهم صلحاً رواه من المؤرخين البلاذري والكندي والمقريزي وترجمه لين بول في «تاريخ مصر في العصور الوسطى» (ص ٢٠ — ٢١) وهو أشبه بمعاهدة اقتصادية بين مصر والنوبة: هذه تمدهم بشيء من الحبوب والعدس، وتلك ترسل إليهم الرقيق[٣]

كذلك تولى ابن أبي سرح قيادة معركة بحرية نشبت سنة ٣١ هـ[٤] بين العرب والبيزنطيين تحت قيادة ملكهم قسطنطين بن هرقل، وكان النصر للعرب على الروم في هذه الموقعة التي عرفت باسم موقعة «السواري» أو «ذات السواري» لكثرة سواري المراكب التي اشتركت في القتال[٥]

أما مثير هذه الحرب فهو قسطنطين بن هرقل فلقد دبّ في نفسه دبيب السخط فعمل على الأخذ بالثأر لما أصاب المسلمون من أملاكه في غرب مصر، فخرج في عدد من المراكب يتراوح بين خمسمائة وألف على ما ذهب إليه المؤرخون على اختلافهم، وخرج ابن أبي سرح بمائة مركب، واشتبك القتال بالغرب من الساحل الافريقي في الفرضة المسماة بفرضة زيواره[٦]

حسن ابراهيم حسن

(١) البلاذري ص ٢٣٤، والكندي ص ١٢ (ذكر البلاذري ان الغزو تم في سنة ٢٧ أ: ٢٨ أ، ٢٩ هـ)

(٢) يدلك على شدة القتال بين العرب وأهل النوبة (أو الأساود) هذا البيت الذي رواه الكندي:

لم ترعيني مثل يوم دمقله والخيل تعدو بالدروع مثقله

(٣) البلاذري ص ٢٤٥ — ٢٤٦ والكندي ص ١٢ — ١٣

(٤) يؤكد الطبري أن هذه المركة حدثت سنة ٣١ هـ لا ٣٤ هـ كما ذكر بعض المؤرخين.

(٥) روى الطبري أن عدد المراكب بلغ خمسمائة (وقيل ستمائة) وقال الكندي ص ١٣ أن عدد مراكب الروم بلغ ألفاً (وقيل سبعمائة) وبلغ عدد مراكب المسلمين مائتين

(٦) الطبري (طبعة القاهرة) ج ٥ ص ٦٩، ٧٠

حظي بالشيء...

لأستاذ جليل

الرافعي، المجمع اللغوي، أزهري
المنصورة، اليازجي ... ...

— ٢ —

طالع الأستاذ الرافعي (رحمه الله) كلمة المجمع اللغوي (البلاغ ١٧ شوال ١٣٥٢) فنشر مقالة عنوانها (أول الغلط من المجمع اللغوي، رد على رد) — البلاغ ١٨ شوال ١٣٥٢ — أطنب[١] فيها في أمر البرقية ثم قال: «وانتهى الأستاذ (أي مدره[٢] المجمع الشيخ حسين والي) إلى مادة اللغة فلم يأتنا بكلام من الفصيح جاء فيه مثل استعمال (يحظى بتشريف) بل سكت عن هذا مع أنه هو كل ما نريد. ثم قال: إنه يجوز استعمال الباء مع حظي واستدل بقول الزمخشري في الأساس (حظي بالمال وأحظاه الله بالبنين) وهاهنا أردنا أن يبحث أعضاء المجمع في وجه استعمال حظي بالمال وحظي بالبنين، فإنهم إن اهتدوا إليه فسيرونه رداً عليهم. ولا نزال نطلب منهم أن يأتونا بالتاريخ الاجتماعي لهذا الفعل (حظي) لينكشف لهم الخطأ في استعماله. ثم قال فضيلته: (إنهم استعملوا التشريف بمعناها الأصلي لا بمعنى الحضور، ومعموله مفهوم أي تشريف جلالته إياه) قال هذا وسكت عن الباقي، والباقي هو قولهم (تشريف جلالته إياه لافتتاحه) فاذا لم تكن هذه اللام في (افتتاحه) نصاً في تقييد معنى التشريف بالحضور فما موضعها هنا؟ إن المجمع على كل حال قد حظي بتشريف جلالته إياه) إذا أريد من التشريف معناه الأصلي، فان هذا المجمع إنما هو عناية سامية من جلالة مولانا الملك وأثر من آثار فضله وبركة من بركات يمنه وكل هذا تشريف، فعلى تأويل حضرة العضو يكون كلامهم لغواً لا محل له، وإلا فرده هو لغو لا محل له»

* * *

(١) الاطناب البلاغة في المنطق والوصف مدحاً كان أو ذماً، وأطنب في الكلام بالغ فيه (اللسان)

(٢) قال أبو زيد: المدره لسان القوم والمتكلم عنهم (اللسان)

الأستاذ الرافعي وأزهري المنصورة

في ١٩ من شوال سنة ١٣٥٢ ظهرت في (البلاغ) كلمة عنوانها «حظى بالشي والأديب الصغير» للأستاذ أزهري المنصورة . ومما قاله : «قال (ديوان الحماسة) :

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته

ومدمن القرع للابواب أن يلجا

وقال (الأساس) : «وحظى بالمال ، وتقول : ما حليَ بطائل [١] ، ولا حظى بنائل»

وديوان الحماسة هو الذي اختاره أبو تمام ، قالوا : «لم يجمع في المقطعات مثل ما جمع أبو تمام [٢]» وأبو تمام حجة ، فما قولك فيما رواه من شعر العرب . قال (الكشاف) : «وهو وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره في اللغة فهو [٣] من علماء العربية ، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه . ألا ترى إلى قول العلماء : (الدليل عليه بيت الحماسة) فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه»

والأساس هو (أساس البلاغة) لأستاذ الدنيا جار الله «ومن خصائصه — كما قال أبو القاسم — تخيّرُ ما وقع في عبارات المبدعين ، وانطوى تحت استعمالات المفلقين»

فالأديب الصغير لم يحظ بالصواب حين خطّأ (حظى بالشيء) في قول حضرة أعضاء المجمع اللغوي لا (حضرات أعضاء المجمع) كما قالت حضرته ، لأن الأعضاء كلهم أجمعين حضرة واحدة ، ومن المستحيل أن يكونوا حضرتين أو ثلاث حضرات أو أكثر من ذلك

أجلْ ، إن أعضاء المجمع اللغوي محظوظون [٤] كل المحظوظين لكنهم ما أخطأوا في فعل (الحظوة) كما قال (الأديب الصغير) اليوم ، وأديب كبير من قبل

* * *

رد الأستاذ الرافعي (رحمه الله) في (البلاغ ٢١ شوال ١٣٥٢) على الأستاذ أزهري المنصورة بمقالة عنوانها (حظى بالشيء) ومن هذا الردّ :

جاءنا حضرة أزهري المنصورة بالحجة القاطعة والشهادة القاطعة على أن (حظى بالشي) هي من كلام العرب ، فكان كل ما قاله في هذا هو هذا : (قال ديوان الحماسة (وأورد البيت) وقال الأساس (وذكر قوله)

نحن نشير في كلامنا في انتقاد (العشرين حضرة) إلى مغامز دقيقة لا نستطيع أن نكشفها ، وقد طالبناهم أن يأتونا بالتاريخ الاجتماعي لفعل (حظى) إن كانوا علماء لغة وفلاسفة لغة ، وسألناهم عن الكلام الفصيح الذي جاء فيه مثل قولهم (حظى بتشريف) وما نجهل ما قاله الأساس ولا بيت الحماسة ، ولو سأل (أزهري) حضرة الأستاذ صاحب البلاغ لبيّن له أنا كتبنا هذا البيت في كلمتنا الثانية في الرد على فضيلة الأستاذ الشيخ والى ثم ضربنا عليه وأسقطناه من الكلام إذ ليس من عملنا نحن أن نأتي بالأدلة الفاسدة ثم نزيفها ، ونبين فسادها

البيت لمحمد بن بشير الخارجي وهو من شواهد النحاة المشهورة ولا مطعن عليه . لكن الشاعر لا يريد الحظوة بل أراد معنى آخر فضاق باللفظ ، ولم يوفق إلي غرضه فاضطر أن يضمن (حظى) معنى (ظفر) ونقل الفعل عن أصله ، وحوله عن دلالته فلم تبق الكلمة حظى بل ظفر وسقطت حجة أزهري

وقد نص النحاة في شرح البيت على ما ذكرناه من معنى التضمين ، ويدل عليه أن بشار بن برد لما أراد هذا المعنى وأطلق العبارة لم يستعمل حظى بل قال :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

أما قول صاحب أساس البلاغة فلا دليل فيه لأعضاء المجمع بل هو من دليلنا نحن ، لأننا ننكر الاستعمال ونستهجنه مقيداً باعتبارين : الأول أنه من أعضاء مجمع اللغة ، والثاني أنه في كلمتهم المرفوعة إلى جلالة الملك

(١) قلت : في (الفائق) : حلوته كذا إذا حبوته به ، ‌‌خلي به إذا ظفر به : وفي (الصحاح) : لم يحل منه بطائل : لم يستفد منه كبير فائدة ، ولا يتكلم به إلا مع الجحد

(٢) قلت : القول للزمخشري وبعده : «ولا في المقصدات مثل ما جمع المفضل» وفي شرح الحماسة للتبريزي : «من أجود ما اختاروه من القصائد المفضليات ومن المقطعات الحماسة»

(٣) قلت : في (الكليات) : الفاء في خبر المبتدأ المقرون بإن الوصلية شائع في عبارات المصنفين ، ووجهه على أن يجعل الشرط عطفاً على محذوف والفاء جوابه والشرطية خبر المبتدأ ، وإن جعل الواو للحال والشرط غير محتاج إلى الجزاء فاشبه الخبر بالجزاء حيث قرن بالمبتدأ الشرط

(٤) في اللسان : «لم أسمع لمحظوظ بفعل أي أنهم لم يقولوا حظ» أي بالبناء لما لم يسم فاعله ، والقائل هو الأزهري وإن لم يذكره اللسان

وبعد هذا نقول (لأزهرى) : إن سجعة الزمخشرى التى استدل بها هي كأكثر سجع الرجل فى كتابه من الكلام الغث البارد الذى لا وزن له ، وقد سمّي الرجل كتابه أساس البلاغة ولم يسمه أساس اللغة »

قلت : قال الأستاذ الرافعى (رحمه الله) : وهو (أى بيت محمد بن بشير) من شواهد النحاة المشهورة

والشاهد فيه حذفه حرف الجر من (مدمن) ومثل ذلك جائز . ويحذف هذا الحرف فى المعطوف على ما تضمن مثل المحذوف وإن انفصل عنه بلا كقوله — وهو من شواهدهم —

ما لمحب جَلَدٌ أن يهجرا ولا حبيب رأفة فيجبرا

ولبيت بشار المذكور فى (الرد) حكاية لطيفة رواها أبو الفرج وابن الخطيب :

غضب بشار على سَلْم الخاسر[1]، وكان من تلامذته ورواته فاستشفع عليه بجماعة من أخوانه ، فجاءوه فى أمره ، فقالوا : جئناك فى حاجة ، فقال : كل حاجة لكم مقضية إلا سلماً . قالوا : ما جئناك إلا فى سلم ، ولا بد من أن ترضي عنه لنا ، فقال : أين هو الخبيث؟ قالوا : ها هو ذا . فقام إليه سلم فقبّل رأسه، ومثل بين يديه وقال : يا أبا معاذ ، خريجك وأديبك . فقال : يا سلم من الذى يقول :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

فقال : أنت يا أبا معاذ ، جعلنى الله فداءك ! قال : فمن الذى يقول:

من راقب الناس مات غمّا وفاز باللـــذة الجسور

قال : خريجك يقول ذلك . قال : أفتأخذ معانيّ التى قد عنيت بها وتعبت فى استنباطها فتكسوها ألفاظاً أخف من ألفاظى حتى يروى ما تقول ويذهب شعرى ؟ لا أرضى عنك أبداً . فما زال يتضرع إليه ويشفع له القوم حتى رضى عنه »

ولقد تجرأت فذكرت قول الأستاذ الرافعى (رحمه الله) : « إن سجعة الزمخشرى التى ... » أجل أن أبين أن الكبير قد يحل على شيء غضبه فى بعض الأحايين فيقول . والشاهد فى (الأساس) هو (وحظى بالمال) والسجعة إنما هى مثال

وإنى لموقن حق موقن أن ليس فى هذا العصر من يسبق الأستاذ الرافعى فى إجلال إمام الأئمة وعرفان مقداره

وإذا استنزل بعض سجعات فى (الأساس) مستنزل ففى (الكشاف) ما « تنقطع عليه أعناق العتاق السبّق ، وتنى عنه خطا الجياد القرح » وتمت عنده أقول بليغة ، قالوها بلغاء من الطراز الأول

***

أجاب الأستاذ أزهرى المنصورة فى (البلاغ ٢٦ شوال ١٣٥٢) الأستاذ الرافعى (رحمه الله) وعنوان الجواب (أئمة اللغة ، حظى بالشيء ، الشيخ ابراهيم اليازجى) ومما قال :

« ١ — أوردنا بيت (الحماسة) وفيه أن (يحظى بحاجته) ، وقد شرح هذا الديوان أئمة كثيرون ، وجمع الإمام التبريزى شروحهم ، ولم يعترض على قائل ذلك البيت معترض

٢ — وجئنا بكلام (الأساس) والزمخشرى هو صاحب الكشاف عن حقائق التنزيل

٣ — وجاء فى (نهج البلاغة) : (وحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون ، وأخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبرون)

وقد فسر العلامة (ابن أبى الحديد) المهد الذى فيه هذه اللفظة ولم ينقدها ، وشارح النهج من أئمة العلم والأدب

وإذا قيل : هو النهج ، وقد قالوا فيه ما قالوه — قلنا : حال (النهج) كحال الأقوال لوفود العرب على كسرى ووفود قريش على سيف بن ذى يزن وأمثالها ، وقد اطمأنت الأئمة إلى عربيتها والنهج معظمه ظهر حين افتعال تلك الأقوال . والقرن الثانى والثالث أوله ومنتصفه أقرب إلى العربية الأولى من آخره ومن جميع الرابع . وقد أملى ابن دريد فى زمانه (ووفاته سنة ٣٢١) تلك الروايات والأساطير ، وأصبحت لنا فى كتاب (الأمالى) حجة المحتج[1]

٤ — وجاء فى المقامات لابن الحريرى (وهو من أئمة اللغة) فى المقامة الأربعين : (نهضا وقد حظيا بدينارين) والعلامة ابن الخشاب البغدادى رسالة فى تخطئة الحريرى ، وقد غلطه فى ألفاظ كثيرة فى مقاماته ولم يخطئه فى (حظيا بدينارين)

قد يكون هذا الفعل (حظي بكذا) نشأ فى الزمن الاسلامي

---

(١) سمى الخاسر لكونه باع مصحفا واشترى به طنبوراً (الوفيات)

(١) قلت: وكلها — لا بعضها — مصوغة مصنوعة

أو الأموى نشوء ألوف مثله لا قبل ذلك ، لكن هذا لا يضير ، وقد نجمت ألفاظ فى القرن الخامس فى (الجزيرة) ولما جاء الامام الزمخشرى [1] وسمعها استجادها وأودعها كتبه

كيف كانت الحال لو لم يجيء الاسلامى والمولد والمعرب ؟ وهل كانت ألفاظ (الجزيرة) فى الجاهلية تجزئ فى تلك المدنية الزاخرة ؟ »

قلت : أشار الأستاذ (أزهرى المنصورة) إلى ناشئات القرن الخامس أو (نواشئه) وإيداع الزمخشرى بعضها كتبه . وهذه نتفة منها فى (أساسه) :

« أهل الحجاز يسمون الزرع والطعام (عيشاً)

سماعى من فتيات مكة : الصوفية [2] (اللوفية) : لاف الطعام لوفاً وهو اللوك والمضغ الشديد

سمعتهم يقولون فى كل شيء لا يحسن الانسان عمله : قد (محقه) !

اكتريت من أعرابى فقال لى أعطنى من (سطانهن) أراد من خيار الدنانير

سمعت خادماً من اليمامة يقول — وقد وكف السق — : يا سيدى هل (أهب) عليه التراب بمعنى هل أجمله عليه ، وهو من الهبة لأن معنى وهب له الشيء جمله له

رأيت العرب يسمون الكزبرة (الدقة) وسمعت باعة مكة ينادون عليها بهذا الاسم

سمعت بمكة من يقول لحامل الجُوالق [3] (استنشق به) أى حرفه على أحد شقيه حتى ينفذ الباب

سمعت بعضهم يقول : (عكشتك) بمعنى سبقتك من قوله (عليه السلام) : « سبقك إليها عُكّاشة » وهو عكاشة بن محصن الأنصارى »

ومما أورده الامام الزمخشرى فى (كشافه) : « مما طنّ على أذنى من ملح العرب أنهم يسمون مركباً من مراكبهم بالشُّقدف وهو مركب خفيف ليس فى ثقل محامل العراق ، فقلت فى طريق الطائف لرجل منهم : ما اسم هذا المحمل ، أردت المحمل العراقى ، فقال : أليس ذاك اسمه الشقدف ؟ قلت : بلى ، فقال : هذا اسمه (الشقنداف) فزاد فى بناء الاسم لزيادة المسمى »

ومن كلمة الأستاذ أزهرى المنصورة « لم يقل أحد شيئاً فى الفعل (حظى بالشيء) إلا العلامة الشيخ ابراهيم اليازجى وكان هذا الرجل قد جاء مصر وأنشأ فيها مجلة (البيان) ثم مجلة (الضياء) وعلق ينقد ويغلّط . وكان يغلط كثيراً فى تغليطه ونقده . ومن هفواته التى أذكرها زمن الطلب فى الأزهر تخطئته الأديب الكبير (حافظاً) فى قول فى كتاب (البائسين) وقد لاقاه بعد هذا النقد حجة الاسلام (السيد محمد رشيد رضا) فقال له — وقد سمعنا قوله — : (يا شيخ ، يا شيخ ، إن الذى خطأته فى كلام حافظ ابراهيم هو فى أول صحيح البخارى) فبهت الشيخ ابرهيم ، وترك السيد وهو كاسف البال . وكان وقوف الشيخ اليازجى على المعجمات وكتب الآلات أكثر من اطلاعه على كلام العرب ، ومن هنا ومن فرط ميله إلى القياس هوى فيما هوى فيه »

الاسكندرية (* * *)

---

(١) قلت : ولادة الزمخشرى سنة ٤٦٧ وتوفى سنة ٥٣٨ كما ذكر ابن خلكان

(٢) فى الأساس : الصوفية زفانة حفانة ، يرقصون ويجرفون الطعام بحفناتهم ، والزمخشرى حرب الجماعة ، وتهجينه إياها فى كشافه كثير

(٣) الجوالق وعاء معروف معرب كواله كما فى الفتح والصواب أنه معرب جوالة بالجيم الفارسية المنقوطة بثلاث من تحت ج جوالق بالفتح (التاج) أى فتح الجيم

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ – ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ٣٣ —

« سقط من المقالة الثانية والثلاثين المنشورة بالعدد الماضي من الرسالة ، بعض عبارات خفي فيها بعض المعنى ؛ كما وقع بها بضعة أغلاط مطبعية ابتعدت بها قليلا عن النهج ؛ فنعتذر من هذا وذاك إلى قرائنا ، راجين ألا تلزمنا الضرورة مرة أخرى أن نعود إلى مثل هذا الاعتذار »

سعيد العريان

مقالاته للرسالة (٤)

كان فيما تحدث به صديقنا المهندس الأديب محمد ؟ إلى الرافعي من أسباب عزوبته أن الزواج عنده حظ مخبوء ، فإنه ليخشى أن يحمل نفسه على مالا تحتمل من العنت والمشقة في سبيل إعداد ما يلزم للزواج ، ثم تكون آخرة ذلك أن يجلوا عليه فتاة دميمة لا يجد في نفسه طاقة على معايشتها ما بقي من حياته ، أو فتاة فاسدة التربية لا يدخل بها على زوجته ولكن على معركة ...

وقد ظل هـذا القول عالقاً بذهن الرافعي يلتمس الوسيلة إلى تفنيده والرد عليه ، حتى وقع على قصة احمد بن أيمن (كاتب ابن طولون) ، فأنشأ مقالة « قبحٌ جميل » ، وهي القصة الثانية مما أنشأ الرافعي لقراء الرسالة ؛ وهي الحلقة الخامسة من سلسلة مقالاته في الزواج ، وفيهـا توجيه معتبر للحديث الشريف : « سوداءُ ولودٌ خيرٌ من حسناء لا تلد ! » يسلك هذه المقالة في باب « الأدب الديني » الذي أشرتُ إليه في بعض ما سبق من الحديث .

ثم كانت الحلقة السادسة هي قصـة « رؤيا في السماء » ، وتتصل بمـا سبق من المقالات بأسباب ، على أنها تتحدث عن الزواج بمعناه الأسمى ، وتدعو إليه الدعوةَ الانسانية التي تعتبر الزواج باباً من الجهاد لسعادة البشرية كلها ...

في هذه المقالة ؛ لا أعرف سببا خاصا من مثل ما قدمتُ دعاه إلى إنشائها ، ولـكنها جملة الرأي وخلاصـة الفكر وأثر اشتغال الواعية الباطنة قرابة شهرين بموضوع الزواج ؛ فهي من الموضوع كالهامش والتعليق ، أو الحكم بعـد المداولة ، أو هي الصفوةُ الصريحة بعد ما يذهب الزَّبد وتنطفىء الرغوة ...

وقد ترجم هذه القصة إلى الفرنسية الأديب الباحث الأستاذ فليكس فارس ؛ وكانت هي أول الصلة بينه وبين المرحوم الرافعي ثم اتصل بينهما الود .

***

لما أنشأ الرافعي « قصة زواج » تحدث بها الأدباء في مجالسهم وتضاعفت رسائلهم إليه معجبين مستزيدين ؛ وتضاعف إعجابه هو أيضاً بنفسه .. فاستزاد واستماد ، والتزم الكتابة على أسلوب القصة ، فكان على هذا النهج أكثر رسائله من بعد

وجلست إليه ذات مساء نتحدث حديثنا ، فقال وهو يدفع إلى طائفة من رسائل القراء : « اقرأ يا شيخ سعيد ... أرأيت مثل هذا ؟ أيحق لأحد أن يزعم لنفسه القدرة على خير مما أكتب في موضوعه ؟ أيملك كاتب أن يردَّ عليَّ رأياً من الرأي ؟ ... »

ومضى في طرائف من مثل هذا القول عن نفسه وعن طائفة من خصومه ؛ فعرفت أنه في لحظة من تلك اللحظات التي تتنبه فيها النفس البشرية إلى طبيعتها ، فتؤمن بنفسها من دون كل شيء مما خلق الله ، إيماناً هو بعض الضعف الانساني في طبيعتنا البشرية وهو بعض أسباب القوة في النابغين من أهل الآداب والفنون ! ذلك الايمان الذي نسميه أحياناً صلفاً وعنجهية وكبرياء ؛ ونسميه في النابهين والعظماء ثقة بالنفس وشعوراً بالقوة !

وكان يلذني في أحيان كثيرة أن أشهد الرافعي في مثل هذه الساعة من ساعات الزَّهو والاعجاب بالنفس ، وأجد في ذلك متاعاً لنفسي وغذاء لروحي ؛ لأن الرافعي بما كان فيه من طبيعة الرضا والاستسلام للواقع كان رفيقاً متواضعاً ؛ فلا تشهده في مثل هذه الحال إلا نادرة بعد نادرة ؛ فاذا شهدته كذلك مرة فقد شهدت لوناً طريفاً من ألوانه ، يوحي إلى النفس بفيض من المعاني وكأنما هو يعدي سامعه من حالته ، فيحس في نفسه قوة فوق قوته ، وكأنَّ شخصاً جديداً حلَّ فيه ...

... وسرنى أن أجد الرافعى كذلك فى تلك الليلة ، فأصغيت إليه ومضى فى حديثه ؛ فلما انفض المجلس ومضيت إلى دارى ، وسوس إلى الشيطان أن أعابثه بشىء ... فكتبت إليه رسالة بإمضاء (آنسة س) أرد عليه رأيه فى قصة سعيد بن المسيب وأعيب ما صنع الرجل بابنته ، وعمدت فى كتابة هذه الرسالة إلى تقليد أسلوب من أسلوب الدكتور طه ، يعرفه قراء الرسالة ويعرفه الرافعى ...

وبلغته الرسالة فقرأها ، فنبهته إلى ما كان فيه من أمسه ؛ ووقع فى نفسه أن مرسلها إليه هو تلميذ أو تلميذة من تلاميذ طه موحًى إليه بما كتب فتحمس للرّد، وأنشأ « ذيل القصة وفلسفة المهر » وجعل أول مقاله رسالة (الآنسة س) وراح يسخر منها ومن صاحب رأيها سخرية لاذعة ؛ ثم عاد إلى موضوع فلسفة المهر ...

وقرأ الزيات المقالة فرأى فيها تعريضاً بصاحبه لم يرض عنه ، فكتب إلى الرافعى يطلب إليه أن يوافق على حذف مقدمة المقالة ، حرصاً على ما بين الرسالة وصاحبه من صلات الود ... وكان له ما طلب ، فنشرت المقالة فى موعدها خالية من هذا الجزء ولكنها لم تخل من إشارات مبهمة إلى أشياء غير واضحة الدلالة وكذلك نشرت من بعد فى وحى القلم ...

***

ثم كانت قصة « بنت الباشا » وهى السابعة من مقالاته فى الزواج ، وقد ألهمه موضوعها صديقه (الزبال الفيلسوف) الذى تحدث عنه فى هامش هذه المقالة . وهذه المقالة فيما ترى إليه تعتبر متممة لموضوع « قصة زواج » فهى دعوة اجتماعية لآباء الفتيات إلى الانطلاق من أسر التقاليد فى شئون الزواج ، وفيها إلى ذلك شىء من الحديث عن « فلسفة الرضا » التى أسلفت القول عنها فى « حديث قطين »

أما هذا الزبال الذى نوه به الرافعى فى أكثر من مقالة ، فهو من عمال قسم النظافة فى « بلدية طنطا » ، وكان عمله قريباً من دار الرافعى فى الشارعين اللذين يكتنفانها ، وكان إذا فرغ من عمله فى الكنس والتنظيف اتخذ له مستراحاً على حيد الشارع تجاه مكتب الوجيه محمد سعيد الرافعى (المقاول) ، فيقضى هناك أكثر أوقات فراغه ، نائماً أومحتبياً ينظر الرائحين والغادين من أهل الثراء والنعمة ، أو شادياً يصدح بأغانيه ؛ فاذا جاع بسط منديله على الأرض فيأكل مما فيه ، ثم يشعل دخينة ويعود إلى حبوته يتأمل ..

كان هذا الزبال صديق الرافعى ، بينهما من علائق الود وصفاء المحبة ما بين الصديقين ؛ وكان الرافعى يسميه « أرسطو الجديد » . وأول هذه الصلة التى بينهما أن الرافعى كان يلذه أحياناً أن يجلس على كرسى فى الشارع أمام مكتب أخيه ، حيث اتخذ الزبال « محله المختار » فكان يوافقه فى مجلسه ذلك على ماقدمت من وصفه ، فيرفع يده إلى رأسه بالتحية وهو يبتسم ، ثم يجلس ؛ فكان يحادثه أحياناً فى بعض شئونه يلتمس بعض أنواع المعرفة ... ويكرمه ويبره . وأنس إليه الزبال ، فكان يسأل عنه إذا غاب ، وينهض لتحيته إذا حضر ؛ وصار من بعض عادات الرافعى من بعد ، أن يسأل عن الزبال حين يغيب ، وأن يشترى له كلما لقيه دخائن بنصف قرش ، مبالغة فى إكرامه ...

وكان الرجل أميا ولكن الرافعى كان يفهم عنه من حركات شفتيه ، وأحياناً يستدعى بينهما من يترجم له حديث الزبال مكتوباً فى ورقة ، وقد كنت الترجمان بينهما مرة . وكان الرافعى يحرص على هذه الورقات بعد نهاية الحديث كما يحرص الباحث على مطالعة أفكار من غير عالمه !

ومما كان يدور بين الرافعى وصديقه هذا من الحديث ، عرف الرافعى طائفة من ألفاظ اللغة العامية كان يجهلها ، وطائفةً من الأمثال ونبهه ذلك من بعدُ إلى العناية بجمع أمثال العامة ، فاجتمع له منها بضع مئات بمصادرها ومواردها ، وأحسبها ما تزال محفوظة بين أوراقه . كما أفاد الرافعى من صداقة هذا « الفيلسوف الطبيعى » معانى وأفكاراً جديدة فى فلسفة الرضا لم تلهمه بها طبيعته .

ولهذا الزبال صنع الرافعى أكثر من أغنية ، أعرف منها الأغنية التى نشرها لقراء الرسالة فى العدد ٧١ سنة ١٩٣٤ وأغنية أخرى دفعها إلى الآنسة مارى قدسى معلمة الموسيقى بوزارة المعارف لتضع لها لحنا يناسبها .

وقد كان فى نفس الرافعى أن يكتب مقالة عن هذا الزبال يتحدث فيها عن فلسفته الطبيعية العملية ، وكان محتفلا بهذه المقالة احتفالا كبيراً ، حتى إنه همّ بموضوعها أكثر من مرة ثم عداها إلى غيرها حتى تنضج ؛ وقد هيأ لها ورقة خاصة كان يجمع فيها كل ما يتهيأ له من الخواطر فى موضوعها ليستعين به عند كتابتها ، ولكن الموت أعجله عن تمامها ، وأحسب أن هذه الورقة ما تزال بين ما خلّف من الأوراق .

سيدى بشر

محمد سعيد العريان

دراسات للمستشرقين

قيمة التراجم الأعجمية الموجودة للقرآن

للعلامة الأستاذ الدكتور أ . فيشر

— ٣ —

وإذا كان الأمر كذلك فليس للانسان بالطبع أن يطلب اعتبار كل ما حوته تراجم المترجمين الغربيين منزّهاً عن كل شك . ولكن يمكن مؤاخذة هؤلاء المترجمين — إن قليلاً أو كثيراً كل حسب عمله — على الأمور الآتية :—

(١) أنهم لم يحاولوا فهم القرآن قبل كل شيء من نصه أولاً ، كما يقضى بذلك قانون علم التفسير ، بل إنهم انزلقوا دون تريث في البحث وتثبت في الاستقصاء إلى الخرافات القصصية التي ذكرها العرب ، وإلى شروح المفسرين المتأخرين التي جارت الافتراض المذهبي التأملي ، والتي مرّ ذكرها

(٢) وأنهم كانوا على العكس من ذلك ، قليلي الاهتمام بالبيانات اللغوية التي أوردها المفسرون العرب

(٣) وأنهم لم يعنوا إلا قليلاً بمختلف قراءات القرآن التي عرفت لعهدهم

(٤) وأنهم كانوا يبحثون دائماً عن عناصر يهودية ونصرانية في القرآن ، ناسين أن الرسول (صلعم) نشأ في أيام الجاهلية وأنه لذلك تأثر بادئ ذى بدء بعادات ذلك العصر وبالاتجاهات والأساليب واللغة لشعر ذلك العهد ، إذ كان للشعر أهمية عظمى في الحياة الثقافية للعرب الجاهليين

(٥) وأنهم لم يكونوا من المسيطرين على دقائق علم النحو القديم ولا هم من المتمكنين من المجاز والاستعارة والمعاني الاصطلاحية في اللغة العربية الفصحى لعهدها المتقدم

(٦) أن تراجمهم كانت حرة أكثر مما يجب ، وأنهم لم يفقهوا الكثير من المواضع العويصة المبهمة الواردة في القرآن ، ولذلك كثيراً ما يحصل القارئ على معنى لا ينطبق بحال على ما حواه النص الصحيح

ولأبرهن على أن حججي التي أوردتها مسبّبة ومدعّمة آتي بمثل مجسم هو معالجة ما صارت إليه ترجمة السورة الحادية عشرة بعد المئة في مختلف التراجم الموجودة[1]

ونص هذه السورة الصغيرة الشهيرة هي :

(١) تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ

(٢) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ

(٣) سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ

(٤) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ

(٥) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ

كذا في المصحف الشريف طبع المطبعة الأميرية وكذلك في المصحف طبع (Flügel) فلوغل . وسيأتي الكلام عن بعض الرسوم الهامة التي وردت بها هذه السورة . وإلى جانب هذا نذكر ما يلي :

في الآية الأولى : وردت أبُو بدل أبي ؛ أنظر الشواذ لابن خالويه صحيفة ١٨٢ ، والكشاف للبيضاوي ، وغيرهما . ووردت لَهْبٍ بدلاً من لَهَبٍ ؛ أنظر التيسير للداني صحيفة ٢٢٥ ، والكشاف ، والإملاء للمكبرى ، وتفسير غريب القرآن للنيسابورى (حاشية تفسير الطبري ، الطبعة الأولى) الجزء الثلاثين وأورد أُبي بن كعب بين الآية الأولى والثانية الآية التالية :

حَالَفَ الْبَيْتَ الْوَضِيعَ عَلَى الْبَيْتِ الرَّفِيعِ فَشُغِلَ بِنَفْسِهِ ثُمَّ شُغِلَ

راجع :

Jeffery, Materials for the History of the text of the Qur'àn (Leiden 1937), 180.

وفي الآية الثانية : وردت اكْتَسَبَ بدلاً من كَسَبَ

(١) راجع :

ZDMG, N. F., XI, S. jo* ff.— Paret's "neve Deutung" von
حافظات للغيب و ما كنا للغيب حافظين
Sure 4, 38 (34) bezw. 12, 18 sowie
أهل البيت
Sure 11, 76 (73) und 33, 33 (Littmann=Festschrift S. 125 ff.)
أعتبرها غير موفقة

(ابن مسعود) ، أنظر Jeffery a. a. O. 112, وابن خالويه صحيفة ١٨٢

والرأى عندى أن الذين ترجموا القرآن حتى الآن لم يترجموا من هذه الآيات الخمس الصغيرة سوى الآية الثالثة ترجمة صادقة ، أما الآيات الأربع الأخر فقد أساء الجميع دون استثناء فهمها الآية الأولى والثانية : الفعل الماضى تبّتْ وتبّ الوارد فى الآية الأولى من السورة ، وكذلك الفعل ما أغنَى الدال على نفى أو على استفهام فى معنى الانكار الوارد فى الآية الثانيـة ترجمها أغلب المترجمين بما يدل على تَمَنٍّ — أى دعاء بالشر ؛ أو أنهم ترجموها — بما لا يختلف عن ذلك كثيراً — بما يدل على معنى الاستقبال ؛ ويندر من ترجمها بما يدل على معنى الحال . والتمنى سواء كان للخير أو للشر يكون فى اللغة العربية الفصحى ، كما هو معروف ، بواسطة المفعول المطلق — انظر من تراجم القرآن مثلا : (Sale) سال (غالباً لندن طبعة سنة ١٧٣٤ ، والنسخة التى لدى طبعة لندن سنة ١٨٥٠ ؛ (Wherry) ورى

A Comprehensive Commentry on the Quràn : (Sale's Translation, London 1882-86, vol. IV, 293)

ثم أورد الأستاذ أ . فيشر نص ترجمة (Sale) سـال الانجليزية . وكذلك انظر (Kasimirski) كازيمرسكى (ترجمة القرآن طبعة (Paris) باريس سنة ١٨٤٠ غالباً ، والنسخة التى طبعت سنة ١٨٦٥) — ثم أورد الأستاذ أ . فيشر نص ترجمة (Kasimirski) كازيمرسكى الفرنسية وكذلك انظر (Ullmann) ألمـان (ترجمة القرآن طبع Crefeld) كريفلد سنة ١٨٤٠ ، الطبعة التاسعة سنة ١٨٩٦ ؛ والنسخة التى لدى الطبعة الثالثة سنة ١٨٤٤) — ثم أورد الأستاذ أ . فيشر نص ترجمة (Ullmann) ألمان الألمانية . وانظر كذلك (Sprenger) شبرنجر فى كتابه

(Das Leben u. die Lehre des Mohammad, I, 484)

ثم أورد الأستاذ أ. فيشر نص ترجمة (Sprenger) سبرنجر الألمانية . وانظر كذلك (Chenery) شنيرى فى كتابه :

(The Assemblies of al Hariri, translated, I, S. 439)

ثم أورد الأستاذ أ . فيشر نص ترجمة (Chenery) شنيري الانجليزية . وعاثلهم (Rodwell) رودول[1] و (Palmer) بالمر و (Klamroth) كلامروت و (Grigull) جريجل و (Henning) هننج و (Pedersen) بدرسن فى :

(Lehmann's Religionsgeschichtliche leseb uch)

كتاب للمطالعة فى تاريخ الأديان لواضعه ليمـان ، الطبعة الأولى ، صحيفة ١٣٨ و (Gustav Weil) غوستاف ڤيل (فى ترجمته للسيرة الجزء الأول صحيفة ١٧٤) وغيرهم . وكذلك عدد من المترجمين الحديثين أمثال : محمد على (أحمدية إينومانى أشاعانى إسلام ، لاهور الطبعة الثانية سنة ١٩٢٠) — ثم أورد الأستاذ أ . فيشر نص ترجمة محمد على الانكليزية وكذلك :

Grimme, Paderborn, 1923, S. 25

جريمة ، — وأورد الأستاذ أ . فيشر نص ترجمة جريمة الألمانية ؛ وكذلك Mardrus ما ورد فى :

Le Koran . . . Trad. littérale et complète des Sourates Essentielle [1] , Paris 1926

— ثم أورد الأستاذ أ . فيشر نص ترجمة (Mardrus) ماردرو الفرنسية ؛ وكذلك (Bonelli) بونللى (Milano 1929) — ثم أورد الأستاذ أ . نص ترجمة (Bonelli) بونللى الايطالية . وكذلك (Buhl) بوول فى (Das Leben Mohammeds) H. H. Schaeder هـ . هـ شيدر ، طبع ليبزج سنة ١٩٣٠ صحيفة ١٦٨ ، — ثم أورد الأستاذ أ . فيشر نص ترجمته الألمـانية . وكذلك (Pickthall) بكتهول . طبع لندن سنة ١٩٣٠ ، — ثم أورد الأستاذ أ فيشر نص ترجمته الانجليزية . وكذلك :

(Laï-Mèche et Ben Daoud,) (Oran s. a.)

لاى — ميش وابن داود ، — ثم أورد الأستاذ أ فيشر نص ترجمتها للفرنسية . وكذلك (Gemîl Saïd) جميل سعيد استانبول سنة ١٩٢٤

ثم أورد الأستاذ أ . فيشر نص الترجمة التركية . ولا تختلف كثيراً عن هذه ترجمة Ismail Hakki إسماعيل حق ، الطبعـة الثانية استانبول سنة ١٩٣٢

ثم أورد الأستاذ أ . فيشر نصها التركى . وكذلك Nykl نيكل (أنظر فيما يلى) وغير هؤلاء

(البحث بقية) ابراهيم ابراهيم يوسف

(١) لى أن أعتبر هذه الكتب معروفة إجمالا . ولذلك لا أرى وجوب استنساخ ما بها .

(١) "Faite sur la demande des Ministères de l'Instruction Publique et des Affaires Étrangères"

١٢ ـ ١١

جورجياس

او البيان

لأفلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ٦ —

(تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجل محاوراته وأكملها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة !)

« رينوفييه »

«إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائما وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »

٢ — جورجياس : السفسطائي : « ج »

٣ — شيريفين : صديق سقراط : « س »

٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »

٥ — كاليكليس : الأثيني : « ك »(١)

(تابع ما قبله)

ج — وأضيف إلى هذا أنه إذا دخل طبيب وخطيب مدينة ما، ثم احتاج الأمر إلى المفاضلة بينهما أمام الجمهور المجتمع أو أمام أية هيئة أخرى ، فانه لن ينتبه أحد إلى الطبيب : وسنفضل من هو قادر على الكلام إذا كان بالفعل كذلك . وقل بالمثل إذا نافس الخطيب أى رجل من رجال المهن الأخرى ، : إذ دائما ما يفضل الخطيب غيره مهما كان ذلك الغير . لأنه ليست هناك مادة ما إلا ويستطيع أن يتكلم فيها أمام الناس بطريقة أكثر إقناعا من طريقة أى صاحب مهنة أخرى مهما كان شأنه ! ، والحق أن للبيان ذلك المرمى وتلك الخاصة ! ولكن يجب ألا نستعمله مع ذلك ياسقراط إلا كما نستعمل التدريبات الأخرى ، ذلك أنه ولو أن الانسان يستطيع أن يتعلم بتلك التدريبات الملاكمة وطرق استعمال أسلحة الحرب الأخرى بطريقة تكفل له قهر الأصدقاء والأعداء على السواء ، فانه لا يجوز له أن يستعملها من أجل ذلك ضد الجميع ، أوأن يضرب بها أصدقاءه ويطعنهم ويقتلهم ! ولا يجوز لذلك الذي أكثر من التدريب فى الملاعب ، وكوّن فيها جسما قويا ، وأصبح بين جدرانها مصارعا مجيدا ، لا يجوز له أن يضرب أمه أو أباه أو أحدا من أقرباء والديه وأصدقائه ، وأن يعادى ويكره مدربى الرياضة والسيف فيطردهم من المدن ! إذ الحق أن هؤلاء المدربين لم يروضوا تلاميذهم بهذه التدريبات إلابقصد أن يحسنوا استعمالها ضد الأعداء والأشرار ، وفى الدفاع لا الهجوم ! فاذا وجه التلاميذ بعد ذلك قوتهم وحيلتهم إلى الشر على غير قصد أساتذتهم ، فلا ينتج عن هذا أن أساتذتهم أشرار وأن فنهم شرير ، لأن الخطأ قائم فقط — كما أرى — فيمن يسيئون استعمال الفن ؟ .

وهكذا نستطيع ياسقراط أن نصدر نفس الحكم على البيان: إذ الحق أن الخطيب يستطيع أن يتكلم ضد الجميع وعن كل شىء لأنه أجدر الناس باقناع الجماهير بما يريد ، ولكن ما كان هذا ليساعده قط على تشويه اسم الأطباء وغيرهم من رجال المهن الأخرى لأن الأمر على نقيض ذلك تماما ؛ وإذا فلا يجب أن نستعمل « البيان » إلا وفقا لقوانين العدالة كما هو الحال فى التدريبات الأخرى . فلئن أساء أحدهم — ممن قد أعدوا له — استعماله كقوة وفن بقصد ارتكاب عمل ظالم ، فلن يكون لنا الحق — فيما أظن — أن نعتمد على العمل وحده ونكره الأساتذة الذين لقنوا الفاعل ذلك الفن ونتفيهم من المدن ، لأنهم لم يلقوا بفنهم بين يديه إلا بقصد أن يستعمله فى أغراض ولأسباب عادلة ، فراح هو يستعمله استعمالاً يناقض قصدهم تمام التناقض ؛ وإذا فالعدل هنا أن نكره التلميذ المسىء وأن نطارده ونقتله ، وليس العدل أن نفعل ذلك مع الأساتذة !!

ط — أظن ياجورجياس أنك قد اشتركت مثلى فى مناقشات

(١) انتهى جورجياس فى العدد الماضى إلى قول عجيب فحواه أن الخطباء هم أصلح الناس للكلام فى شئون الحرب من حصار وهجوم وتحصين ، وأن الأطباء كثيرا ما فشلوا فيما قد نجح فيه أهل البيان ! وسنرى اليوم كيف يعلن سقراط آراء أفلاطون الخالدة فى ضرورة الترحيب بالنقد ما دام هو الأداة التى تحرر العقل من ظنونه وأخطائه ، وكيف ينثنى بعد ذلك على صاحبنا جورجياس فيوقعه فى التناقض المضحك . « المعرب »

كثيرة ، وأنك قد لاحظت فيها شيئاً : هو أن الناس عندما يشرعون فى المناقشة يجدون مشقة كبيرة فى تحديد أفكارهم من سائر النواحى ، وفى الوصول إلى موضوع المناقشة بتوضيحه لأنفسهم وتحقيقه على التبادل ، وإذا ما نشأ بينهم بعض التناقض وادعى أحدهم أن الآخر لا يتكلم إلا بقليل من الوضوح والحق ، فإنهم يغضبون ويظنون أن المقاطعة إنما توجه إليهم بباعث الحسد وأن المرء إنما يتكلم بعامل الخصومة دون أن يبتغى توضيحاً للقضية المعروضة . ولذلك ينتهى الأمر بمضهم إلى تبادل الشتائم القذعة ثم الانفصال بعد الاحتكاك بشخصيات بغيضة ممقوتة ، كما ينتهى بالمشتركين إلى (المساعدين) فى المناقشة إلى أن يستنكفوا من وجودهم فى مثل تلك الأحوال [١]

فهل تدرى لم أخبرك بذلك ؟ إنما أخبرك به لأنه يلوح لى أنك لا تتكلم الآن بنحو مجد وبطريق يلتئم تماما مع ما قررت من قبل عن البيان ! ؛ وأفهم أنى إذا ما ناقضتك فسوف لا تقول إن قصدى هو أن أناقضك وأن أقوم فى وجهك ، وإنما ستقول إن قصدي هو أن يتضح لنا فقط موضوع الحديث ! ؛ فإذا كنت تنظر للأمر كما أنظر إليه فسأسائلك باغتباط ؛ وإلا فلن أذهب معك إلى أكثر من ذلك . وهاك نظرتى : إننى من أولئك الذين يحبون أن يُناقَضوا عند ما لا يقولون الحق ، ولكنهم يحبون أيضاً أن يُناقِضوا غيرهم عندما يرونهم حائدين عنه ، وليس سرورهم بعد هذا من مناقضة غيرهم لهم بأقل من سرورهم عند ما يناقضون هم غيرهم ! إذ الحق أنى أعتبر المناقضة يا جورجياس خيراً عظيما ، وأرى أن الأفضل لنا هو أن نخلص أنفسنا أولا من أسوأ الشرور بدلا من أن نخلص غيرنا منها ؛ كما أنى لم أعرف بعد وزراً يعدل وزر أن يكون لدينا أفكار خاطئة عن الموضوع الذى نعالجه [٢] ؛ فإذا كان حقاً ما تدعى من أنك مثلى فى النظر والاستعداد فلنعد للمناقشة ، وإذا كنت ترى أنه يجب أن نتركها حيث وقفنا فليكن ما تريد ولينته الحديث

ج — إنى لأنخر يا سقراط بأنى من أولئك الذين صورتهم تصويراً ، ومع هذا فأحسب أنه يجب أن نعنى كذلك بأولئك الذين يشتركون معنا فى الحديث لأنى قد شرحت لهم أشياء

(١) أليس ذلك ما يحدث اليوم تماماً ؟ فلنحن الرأس إذن لأفلاطون !

(٢) أحسب عظمة هذا القول الخالد واضحة

كثيرة قبل مجيئك بزمن طويل ، وإذا نحن عدنا إلى المناقشة فيها ثانياً فسيذهب بنا القول بعيداً جداً . ولهذا يحسن أن نفكر فيهم حتى لا يبقى منهم من يكون له عمل آخر يشتغل به أثناء الحديث [١]

س — إنكما لتسمعان بنفسكما يا جورجياس وسقراط ذلك الصوت الذى يحدثه الحاضرون ليكون شاهداً على رغبتهم فى الانصات إليكما إذا واصلتما الحديث وأرى من ناحيتى أنه لا يرضى الآلهة أن يكون لدى من الأعمال الكثيرة الهامة ما يضطرنى إلى ترك مناقشة كلها الفطنة والمنطق كيما أشتغل بما هو أكثر ضرورة منها !

ك — لقد أصبت وحق الآلهة جميعاً يا شيريفين ! فأنا الآخر أشتغل بأعمال كثيرة ولكنى لا أعرف منها أبداً عملا واحداً يسبب لى من اللذة بقدر ما تسبب لى هذه المناقشة . ولعل هذا هو السر فى أنكما تطوقان جيدنا بالفضل (يا جورجياس وسقراط) إذا شئتما وتناقشتما هكذا طوال اليوم !

ط — لن تجد يا كاليكس أية عقبة من ناحيتى إذا وافق جورجياس على المناقشة .

ج — ليكونن عاراً على ألا أوافق بعد اليوم يا سقراط ، خصوصاً وقد ادعيت لنفسى القدرة على إجابة جميع ما يوجه إلى من الأسئلة ، فلنعد إلى الحديث ما دام فى ذلك سرور للحاضرين واعرض على ما تراه جديراً بالعرض [٢]

ط — فلتعرف إذاً مايدهشنى من حديثك ! — وقد يكون أنك لم تقل غير الحق وأننى قد أسأت الفهم ! — إنك تدعى أنك تستطيع أن تجعل ممن يرغب فى دروسك خطيباً !؟

ج — نعم

ط — ومعنى ذلك أنك تجعله قادراً على الكلام فى كل موضوع بطريقة ساحرة أمام الجماهير بحيث يقنعهم دون أن يعلمهم !؟

ج — تماماً [٣]

(يتبع) محمد حسن ظاظا

(١) يلاحظ هنا تهرب جورجياس وخوفه من أن يكشف سقراط عن أخطائه فيما سلف له من قول فى منزل كاليكس ، وهو لذلك يبغى الكلام فى أشياء جديدة بحجة أن تناول القديم يصرف المستمعين عن المناقشة

(٢) إنها الحيرة المتكبرة التى تحمل الأستاذ المغرور على هذا الرد الماكر

(٣) هكذا تدخل المحاورة فى موضوعها الأساسى شيئاً فشيئاً وأحسب القارئ الكريم قد بدأ يلمس معنا طرافتها وإحكامها وجمال أسلوبها ودقة نقدها وتهكمها « المعرب »

التاريخ فى سير أبطاله

ابراهام لنكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للاستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادى ! خذوا معانى العظمة فى نسقها الأعلى من سيرة هذا العصامى العظيم ....

— ١٩ —



وجاء يوم الانتخاب ففاز لنكولن وأصبح رئيس الولايات المتحدة ، أصبح فالق الأحشاب الخليفة الخامس عشر لوشنجطون العظيم بطل الاستقلال . فكأنما كان مجيئه يومئذ من تدبير الأقدار لقرن اسمه فى تاريخ أمريكا باسم محررها الأول فعليه اليوم أن يمسك بنيانها أن يخر من القواعد

وكان نجاح ابراهام محققاً قبل يوم الفصل بما كان لحزبه من جاه ونفوذ فى أهل الشمال وهم أكثر عدداً وأحكم سياسة من أهل الجنوب ، وذلك فضلا عن اتحاد كلمة ذلك الحزب ونشاط أعضائه بينما كان يتنازع الديمقراطيون ويتنابذون كأن بينهم عداوة على أن خصوم ابراهام يعيرونه بهذا الفوز إذ كانوا لا يعدونه فوزاً ، فهم يقولون إن ما ناله منافسوه من الأصوات يربو كثيراً على ماظفر به ، هذا إلى أن عدداً من الولايات الجنوبية لم يجد عليه أهلها بصوت واحد ... ولكن أصحابه يعلنون أنه الغالب فانه لينْدر أن فاز قبله أحد بمثل ما فاز به من الأصوات وإن بينه وبين دوجلاس أقوى منافسيه وأقدرهم لفرقاً كبيراً يشهد بغلبته وعظم مكانته ...

وكان على ابراهام أن يقضى أربعة أشهر أخر قبل أن يحتفل بتسلمه أزمة الحكم فقضاها فى سبرنجفيلد بينما كان الرئيس بيوكانون يكمل مدته بقضاء تلك الأشهر فى البيت الأبيض فى وشنجطون

ولبث ابراهام فى سبرنجفيلد يلقى زائريه كل يوم ويمشى فى الطرقات بين الناس لا يجعل بينه وبينهم كلفة ولا يتخذ من دونهم حجابا، يحييهم فيدعوهم بأسمائهم ويردون فيدعونه بأحب أسمائه إليه، فمنهم من يناديه أيب الأمين ومنهم من يناديه أيب العجوز ومنهم من يقولها مجردة من النعوت

وتبدو « أيب العجوز » يومئذ أقرب النعوت منه وأعلقها به ، فإن على محياه لكآبة هى من أثر ما يهجس فى نفسه ، وإنه اليوم لكثير التأمل والاطراق لا يسمع الناس من أقاصيصه ما كانوا قبل يسمعون ، ولا يشهدون من عذوبة روحه ما كانوا يشهدون

أما امرأته فرحة طروب ، لا تملك نفسها من الزهو حينما تقف إلى جانب بعلها فى شرفة الدار وهما يطلان على الجماهير الهاتفة وإن كانت لتكره وتتبرم منه بهذا الوجوم وهذا الصمت ، وإن كانت لتنكر عليه مايظهر فيه من ملابس وخاصة قبعته التى ألحت عليه وما تفتأ تلح عليه أن يستبدل بها أخرى جديدة فلا يطيع !

وحق له أن يبتئس وأن يرتاع فما تزال تترامى إليه الشائعات والأنباء المزعجات ، فهذه صحيفة من صحف الجنوب تعلن نبأ اختياره للرياسة تحت عنوان أخبار خارجية ، وهذا حاكم كارولينا الجنوبية يتناول المعول فيهدم أول حجر من بناء الاتحاد ... لقد استقال أعضاء الشيوخ لهذه الولاية وانسحبوا من وشنجطون ، بينما أخذ الحاكم بعد ما استطاع من معدات الحرب وصحفه تذيع فى صراحة أن قد صار الاتحاد أثراً بعد عين ؛ وهو يشى بالتفرقة ويحرض الولايات الجنوبية على الانسحاب بعد أن أعلن على

لسان المجلس التشريعى فى ولايته أن لا صلة لهذه الولاية بالاتحاد وما كان ارتياعه عن خور حين آذنت العاصفة بالهبوب ؛ ولعمرى مايكون الخوف كل آونة جبناً ولاالدم كل يوم حلالاً. ثم لعمرى مايكون الاقدام فى كل موقف شجاعة، ولاالوثوب فى كل مأزق بطولة ؛ وإلا فما أضيع الحكمة ، وما أتفه البصيرة ، وما أسخف الأناة ... وما كان يخاف أبراهام إلا أن تصيب بلاده فتنة تذهب بكل شيء

وإنه ليدور بعينيه فى هذه المحنة يبحث عن الرجال الذين يشدون أزره فيرى — والأسى يرمض فؤاده — أن رجال حزبه أنفسهم لا يرون رأيه فهم يميلون إلى مصالحة أهل الجنوب وعلى رأس القائلين بذلك سيوارد ... ولكن أبراهام يعلن إليهم فى ثبات عجيب أن مصالحة أهل الجنوب معناها التهاون في المبادئ والتسليم بانتشار العبيد والاعتراف بحقهم فى اتباع القوة وفى الانسحاب من الاتحاد وهو لن يأمن أن يعودوا إلى ذلك فى أى وقت ؛ فيسمعون ذلك ولكنهم لا يعقلونه ويحملونه كل ما عساه أن يترتب على موقفه من مصائب

والنذر لا تنى تأتى من الجنوب بما يقلق المضاجع ويزعج النفوس ، فها هى ذى ست ولايات أخرى تنسحب من الاتحاد وتنضم إلى كارولينا الجنوبية فتؤلف من بينها اتحاداً جديداً تختار لرياسته جفرسون دافيس ... وهكذا يصبح فى البلاد حكومتان ! وهكذا ينهار البناء حجراً بعد حجر والرئيس الجديد ما يزال فى سبرنجفيلد يشهد ما تفعل العاصفة

ويحمل البريد إلى ابراهام كل يوم آلافا من الرسائل بينها نوع جديد تنفر منه نفسه ، بينها نوع ملؤه الوعيد والسباب وتفصيل صور الموت التى تنتظره إن هو مضى فيما هو فيه وأصر على عناده ؛ وهو يطوى تلك الرسائل ليلقى بها فى النار مخافة أن تقع عين امرأته على صور الخناجر التى تتوج الكثير منها ...

ويتطلع ابراهام فى هذا المأزق الشديد إلى وشنجطون ليرى ما عسى أن يفعله بيوكانون الرئيس القائم ؛ ولكن بيوكانون لا يتحرك فيزيد بتهاونه النار اشتعالا ثم يصرح بأنه إذا لم يكن للولاية حق الانسحاب من الاتحاد فليس لحكومة الاتحاد حق ردها إليه بالقوة إذا هى انسحبت فيكون بتصريحه هذا كمن يلقى الحطب على النار حين يجدر به أن يلقى عليها الماء ... وتشيع الخيانة فى وزرائه فيرسلون الرجال والمال إلى الولايات الجنوبية ويستقيلون ...

ويشتد عدوان أهل الجنوب وقد اتخذ الاتحاد الجديد هناك دستورا جديدا يقر نظام الاستعباد ويعلن أنه أمر مشروع من ناحيتى الدين والخلق ونظام الاجتماع ... ويعظم هياج العاصفة ويشتد دويها ...

وإبراهام فى سبرنجفيلد كالسنديانة العظيمة لا تهز العاصفة إلا فروعها ، ولن يصيب الجذر مصيبة إلا أن تزلزل من تحته الأرض فتنشق فتميد ... يخوفه سيوارد عاقبة الأمر فلا يحجم ولا يلين ؛ ويسخط أهل الشمال أنفسهم على إبراهام ويظنون به الظنون ، ولكنه يقول ذات مرة لرجل ممن يحاورونه « اذهب إلى شاطىء النهر وخذ معك غربالا متينا فاملأه بالحصى ؛ فسترى بعد هزات قوية أن الرمل وصغيرات الحصى تنفذ من الثقوب وتتوارى عن الأعين إذ تضيع على الأرض ، وتبقى فى الغربال الحبيبات التى تزيد عنها حجما إذ أنها لا تنفذ من بين الخيوط ... وبعد هزات أخرى متكررة يتبين لك أنه من بين القطع الباقية فى الغربال تصل كبرياتها إلى القمة ، وهكذا فإنه إذا لم يكن من الحرب بد وأن هذه الحرب سوف تهز البلاد من وسطها إلى جوانبها فانك ستجد صغار الرجال يتوارون عن الأنظار فى هزاتها، وبينما ترتكز الكتل على قواعد ثابتة ويرتقى أكابر الرجال إلى القمة ؛ ومن هؤلاء يبرز أعظمهم فيكون منه قائد القوم فى الصراع القائم ... »

هذا هو العزم الذى لا يعرف التردد ، ولكن من وراء هذا العزم نفساً شاعرة وقلباً يحب الخير وينأى بجانبه عن الشر وينفر بطبعه منه ؛ وما كانت هموم نفسه إلا مما يريد أن يدفعه عن بلاده من شر وبيل فهو لا يهمه أن يذوق الموت بعد أن وطد على الجهاد عزمه ووهب إلى بلاده نفسه ...

ها هو ذا قد وصل فى بلاده إلى القمة فهل ابتغى من وراء ذلك جاهاً أو تلهى بالعرض عن الجوهر ؟ هل تنفس الصعداء واستكان إلى الدعة وجعل من المنصب متعة وغرورا ؟ كلا فها هو ذا يجعل من وصوله إلى هذه المرتبة مبدأ مرحلة جديدة

في جهاده المرير ... وإنه ليحس أنه هالك في هذا الجهاد ولا محالة ففي نفسه من المعاني ما يشير إلى ما سوف يلقاه من خطوب وويلات ... تحدث هذا الصنديد الجلد إلى صديق له بعد فوزه بالرياسة بسنوات يصف ما كان يهجس في خاطره عقب ذلك الفوز فذكر أنه نظر يومئذ ذات مرة ، وقد جلس متعباً على مقعد، إلى مرآة أمامه فرأى فيها لوجهه صورتين فهب من مكانه يستوثق من ذلك فامحت الرؤيا ولكنها عادت كما كانت حين عاد فجلس ؛ وكانت إحدى الصورتين تخالف الأخرى في أنها تبدو مصفارة مخيفة . ولقد أوجس إبراهام خيفة في نفسه ؛ ولم يكن خوفه مما رأى في ذاته بل لما انبعث منه في نفسه من المعاني . ولقد تكرر ذلك المنظر بعد أيام ثم انقطع على رغم محاولاته أمام المرآة ... أما امرأته ففسرت ذلك بأنه سيختار للرياسة مرة أخرى ثم يموت في تلك المرة ! يالله ما أعجب نبوءات هذه المرأة !

وكأنما كان صاحبنا يحس ما يخبئه له الغد من مكروه فهو يقدم في عمله على علم بما وراءه ولذلك لا يتهيب ولا ينكص ، يحذر ويتدبر أن تصيب بلاده دائرة ...

وظل يمني نفسه أن يثوب أهل الجنوب إلى رشدهم فتخشع للحق قلوبهم ، ولكنهم في شطط من عنفهم وغرورهم . فها هي ذي الأنباء تأتي بجديد من كيدهم ، وبيان ذلك أنه كانت لحكومة الاتحاد حصون في الولايات الساحلية بها جند تحميها وكان من تلك الحصون في كارولينا حصنان أهمهما حصن سمتر ، فأرادت كارولينا أن تستولي على الحصنين لتتم سيادتها فلم تفلح إلا في أحدهما ، وكان ذلك عقب إعلان انفصالها

واحتمى الجند في حصن سمتر وأرسلوا إلى الرئيس بيوكانون أن يمدهم بالمؤن والذخيرة ، فلم يستطع بيوكانون أن يصم أذنيه عن هذا الطلب وأرسل سفينة تحمل المؤونة والرجال ولكن أهل كارولينا أطلقوا عليها النار في ميناء شارلستون وأجبروها على الرحيل ... وطلبت حكومة الاتحاد الجنوبي تسليم حصن سمتر فرفضت الحامية بقيادة القائد اندرسون أن تسلم ، فضرب عليها الحصار ... وبات في الواقع أهل الشمال وأهل الجنوب في حرب وعاد سيوارد يلح على ابراهام أن يتفق أهل الشمال مع أهل الجنوب على شروط تخفف من غضبهم ، فرفض ابراهام ذلك وأعلن أنه مصر على الرفض مهما يكن من الأمر ... ولما يئس سيوارد من إقناعه عرض عليه أن يزحف على العاصمة في جيش من المتطوعين ويأخذ بيده زمام الأمور من بيوكانون قبل أن يستفحل الشر فرفض ابراهام أن يفعل ذلك لما فيه من خروج على الدستور ...

وازداد الموقف خطورة حين ترامى إلى سمع لنكولن أن كثيراً من الناس يودون لو ينسحب ويدع تقرير الأمور إلى رئيس غيره من جديد ... ولو أن رجلا غيره في موقف مثل موقفه هذا لخارت عزيمته ، وانكسرت نفسه ، ولكنه ما وهن ولا استكان وما زادته الشدائد إلا صبراً وعزماً ولا المحن إلا رغبة في الجلاد والنضال ...

وجلس يختار مجلس وزرائه فعظمت حيرته ووقع اختياره أول ما وقع على سيوارد وقد وقف إلى جانب إبراهام بعد أن رأى من ثباته ما لم يتعلق به من قبل وهمه ، ورضي سيوارد بادئ الرأي أن يعمل معه في مركز يعادل مركز وزير الشؤون الخارجية في الحكومات الحالية مضافاً إلى ذلك أنه كاتم سره ومستشاره وحامل أختامه .. وأخذ إبراهام يبحث عن غيره ممن يأنس فيهم الكفاية في مثل هاتيك الشدة ...

وجال إبراهام جولة في البلاد التي قضى فيها صدر شبابه ، وزار من لا يزال على قيد الحياة من أهلها ، وحج إلى قبر والده وأوصى أن يعنى به ، وبعد أن قضى أرب مشاعره ولبانة قلبه عاد إلى سبرنجفيلد ليودع أهلها قبل رحيله إلى وشنجطون ...

ولما أزف يوم الرحيل لاحظ على وجوه أهل المدينة شيئاً مثل ذلك الذي يبدو على وجه من يوشك أن يرحل عن وطن اشتد حبه له وعظم تعلقه به ، ولقد زاده هذا تحولا على تحوله وهماً على همه ، وكذلك اشتد أسف الناس فهم لا يدرون كيف يصبرون على رحيله عن مدينتهم ولقد كان لصغارهم الأب العطوف الرؤوف ولكبارهم الصديق الوفي ، والناصح الأمين . ولكنهم يتأسون عن فراقه بما باتوا يأملونه من خير للبلاد جميعاً على يديه

« يتبع » محمود الخفيف

بين العقاد والرافعي

غزل العقـــاد

للأستاذ سيد قطب

— ١٤ —

لا يزال صاحبنا « الغمراوى » ماضياً فى طريقه ، عند السفح من مدارج الاحساس والفن والحياة . وما يزال يطن المسألة ردوداً ومحالا . بينما نحن لم نرد إلا أن ينتفع هو وأمثاله ومن هم خير منهم كذلك بما نكتب ، وأن يخرجوا قليلا من ذلك الطابق المغلق الذى ينزوون فيه ، إلى عالم النور والطلاقة والفن الجميل ، المتحرر من القيود والقشور ، فيحسوا — ولو مرة — دفعة الحياة ، وطلاقة الفن ، وفسحة الشعور. ومن حسن الحظ أن يكون الحديث اليوم عن « غزل العقاد » فليحاولوا أن يثبوا ونحن نأخذ بيدهم إلى هذا « العالم » العبقرى الفسيح . وإلا فليعذرونا إن نحن جاوزنا الجحور والمغاور ، إلى المرج الواسع ، أو العيلم المسجور !

الاحساس الساذج الفطرى بالحب قريب فى منبته من إحساس الجوع والظمأ ، ومطلب قريب لا يعلو كثيراً على مطالب الجسد ؛ والمتعة فيه غذاء من أغذية الدم واللحم ، والحرمان نوع من المخمص والطوي ، والآلام لون من وخز الجلد أو لذع النار ، أو لفحة السموم. والتعبير عن كل ذلك شبيه بالضحكة والصرخة والآهة والأنين ، من أنواع التعبير الفطرى عن اللذة والألم

والشاعر حين يقف فى إحساسه بالحب ، أو التعبير عنه ، عند هـذا الحد لا يستحق منا لقب الشاعر — بله الشاعر الكبير — وهو لا يستحق هذا اللقب ، حتى يكون له فى حبه منحى خاص (ليكون شاعراً) وفلسفة شاملة تجعل من هذا الحب مجتمعاً للأحاسيس الفريدة بأعماق الحياة وأصولها وتتصل بوشائج الطبيعة الكبرى ، وغاياتها البعيدة ، وأغاطها الأصيلة (ليكون شاعراً كبيراً)

فليس الحب الفني ، ولا التعبير عنه من السهولة كما يتصورها الكثيرون من ناشئة الشعراء ، ومقلدي النقاد، إنما هما عمل عسير فى الاستيعاب والتصور ، وما نقرأ لتسعين فى المئة من الشعراء ، إلا ضحكات وابتسامات أو صرخات وآهات ، يحسبونها غاية الحب وغاية التعبير !

لا تقل : إننى أحب ؛ وإننى أستمتع بالحب ، أو أتعذب وأتألم ثم تحسب نفسك شاعراً ، حتى تقول لنا : إننى أحب على لون خاص ، وأستمتع بالحب بطريقة خاصة ، أو أتعذب وأتألم على لون من ألوان العذاب والآلام . ولا تقل : « أنا أطلب الجمال » وتسكت فلا بد أن تبين لنا ما نوع الجمال أو أنواعه التى تستهويك، وما المعانى التى يشمها فيك هذا الجمال ، وما ذا تفهم من الصلات بينه وبين غايات الحياة الكبرى ، وما ذا بينه من الوشائج وبين الطبيعة فى كيانها ومراميها

والعقاد وحده فى الشعر العربى كله هو الذى يقول لنا هذا فى عمق ودقةوقصد، ويصوره بأوضح وأصح ما يستطاع. وأقول « فى الشعر العربى كله » وأنا أعنى ما أقول ، فما يوجد شاعر واحد يجتمع له فى شعره العربى ما اجتمع للعقاد ، وتتوفر فى نفسه هذه الأوتار المتعددة ، التى يوقع عليها الحب هذه النغمات كلها ، ويخرجها هكذا واضحة سليمة

نعم ، يوجد بعض هذه الأوتار ، متفرقاً فى نفوس الشعراء ولكنها لا تجتمع هذا الاجتماع ، ولا تلتئم هذا الالتئام فى نفس واحدة ، وما يوجد منها متفرقاً لا يبلغ فى تفرده وخصوصه وطرافته هذا المبلغ عند أولئك الشعراء

فاذا خطر لأحد أولئك الذين يفغرون أفواههم لسماع هذا الكلام ، ويستنكرون تقرير الحقائق وليس لهم من البرهان على إنكارهم إلا إشارات الصم البكم ، فليأتوا ابنظائر لكل هذه الأوتار والنغمات لشاعر عربى واحد حتى الآن ، أو لعشرة مجتمعين فى جميع العصور

* * *

وقبل أن نعرف « ما الحب » عند العقاد ، لا بد أن نعرف « ما الجمال » الذى يثير هذا الحب ، ويدفعه إلى الغزل والتعبير عرف القراء مما نقلناه عن رأى « شوبنهور » فى الجمال ، وتعليق « العقاد » عليه ، أنه يرى الجمال فى « الحرية » وفى العدد الفائت من الرسالة توضيح لهذا الرأى حين يقول :

« رأيى فى الجسم الجميل أنه الجسم الذى لا فضول فيه ، وأنه

الجسم الذي تراه فيخيل إليك أن كل عضو فيه يحمل نفسه غير محمول على سواه

« من هنا جمال الرأس الطامح والجيد الشرئب ، والصدر البارز ، والخصر الرهف المشوق ، والردف المائل ، والساق التى يبدو لك من خفتها وانطلاقها واستوائها ، أنها لا تحمل شيئاً من الأشياء ولا تنهض بعبء من الأعباء »

ويقول من الكلمة نفسها فى وصف فتاة :

« على شاطئ الاسكندرية ـ والمصادفة من أجمل المصادفات ـ طيارة فى الهواء ، وفتاة على الأرض هى أولى بالطيران من تلك الحديدة الصاعدة ، بل هى تطير ولا يتخيلها الناظر إلا طائرة ، تفلت من لحظات العيون ، وخطرات الأرواح

« لا تحس العين أنها أدركتها ، لأنها إذا أدركتها تأملت فيها ، وسرحت في معانيها ، فاذا هى بعيد بعيد ، أبعد من الفراش الذى يقع عليه الطفل ، فاذا هو على الغصن ، ويثب إليه فى غصنه فاذا هو في الهواء »

وقد عثرت أخيراً فى الديوان على امتداد لهذا الرأى ، يريد أن تبلغ الحرية بالجمال ألا يشعرنا حين ننظره بتعلقنا وتقييدنا به ، بل يطلقنا نسبح فى الآفاق ، ونسمو على الحدود والقيود

والجميل الحق ما يذهلنا عنه ، لا مافيه للحس إسار

والجمال عوض عن شين كثير من النفوس فى هذه الحياة ، وتكفير منها عن هذا الشين ، كما أنه رمز لآمال الحياة فى مستقبلها الموموق ، تشير به إلى ما يختلج فى صدرها من الشوق للكمال :

أغلى جمالك فى النواظر أنه عوض لشين في النفوس كثير
وأمالهُ منّا القيادةَ أنه فى الأرض رمز كمالها المحظور

وفى الجمال غناء عن الدنيا كلها ، وهو نعيم قريب كالنعيم المتخيل فى الآخرة كذلك ، فهو نعيم الدنيا حين يقول :

إن نفونى اليوم من دنياهمو وأباحوا لى من الزاد المرام
ثم قالوا ما تشأ منها تخذ قلت : هذا . وعلى الدنيا السلام
قلت : هــذا ، وتطلعت إلى هوة الغيب وفى الثغر ابتسام
كيف لا يبسم من قبلته تنظم الأوطار طرا فى نظام ؟
وإذا قبلتــه مستضحكا في تخوم الكون والكون سدام
فهو سخرى بالذى ودعتــه واغتباطي بعقبى حيث قام

وهو نعيم قريب كنعيم الآخرة البعيد حين يقول :

أيها الباحث عن كوثره فى السموات ، لقد شط المزار
إنما الكوثر تفتر بإسم من حبيب لك مأمون النفار

والوجه الجميل ، هو « الصدق » فى هذه الحياة ، الذى ينفى عن النفس الريب والشكوك فيها

لك وجه كأنه طابع الصد ق على صفحة الزمان المنوف
إن يوماً يمر بى لا أراه هو يوم أعده فى الزيوف

وهو كذلك داعية الرجاء فى هذه الدنيا ، ومنبع التفاؤل والقبول :

أرى لك أنت فلسفة صراحا بلمح العين أقرؤها جميعا
أذم العيش فى ألفى كتاب وتَمرضُ لى فأمدحه سريعا !

والجمال هو الفضيلة ، أو الفضيلة هى الجمال :

شرعك الحسن . فما لا يحسن فهو لا يحلو وإن حل الحرام
ليس فى الحق أثام بيّن غير مسخ الحسن أو نقص التمام
ما عدا هذين مما يمكن فاستبحه وعلى الدنيا السلام

ولهذا يحلل الجمال كل شئ ، ويمنحه الفضيلة والعفة والثناء :

كل الثيــاب لمن يزيـــنُ ثيابَه عفٌّ حميد !

والجمال حرم مقدس يحترمه الخصوم والأصدقاء ويلقون لديه السلاح حيث لا تصنع ذلك المعاهدات و « عصبة الأمم » والشرائع والقوانين :

حرم بميــدان الحيا ة وملجأ لا يمتسف

والجمال الانسانى يرقق جمال الكون ويصفيه ، ويظهره خلاصة نقية :

لا أرى الدنيا على نور الضحى حبـذا الدنيا على نور العيون
هي كالراووق للنور فلا نور إلا صفوها العذب المصون

وهذا الجمال خلاصة جمال الدنيا ، وخلاصـة تجارب الحياة فى مثل الكمال . وله فى هـذا قطعتان بارعتان : الأولى بعنوان « نشوء وارتقاء » ، يتحدث فيها عن جميل كان مولده فى الشتاء :

زانك الله بصـــفو وسلام يا شـتاء
طال بى فكر الليالى أو ما فيك عزاء ؟

***

قال لى : هاك تخذها زهرة منى إليـــك

ذات حسن وحياء ولها فضل لديك
وسمت بالفكر فاقبس[1] فكرة فى راحتيك
قلت : حقًا يا شتاء هى حسن وحياء
غير أنى وهى صمت ليس لى فيها عزاء

***

قال : يرضيك إذن شا دٍ من الطير مجيد
هو للجنة يدعى وله منها نشيد
يعشق الليل وإن لم يك فيه بوليد
قلت : حقًا يا شتاء هو حسن وغناء
غير أنى وهو صوت ليس لى فيه عزاء

***

قال : يرضيك إذن سا رٍ من البرق بشير
يصدع الظلماء ، يزجى عارض الغيث ، ينير
فيه من قلبك نبض ومن اللمح سمير
قلت : دعنى يا شتاء من شعاع فى فضاء
أنذا جاد بغيث كان لى فيه عزاء ؟

***

قال : والشمس فما ظنك بالشمس ذكاء ؟
كلما عدت بها سبّح عشاق السماء
قلت : حقًا يا شتاء هى نور ورجاء
غير أنى وهى صبح ما عزائى فى المساء ؟

***

قال لى : أنفدت كنزى كله بين يديك
غير ذخر من بنى الانسان أبقيه عليك
فيه من صبح ومن ليل قصارى غايتيك
أتراه ؟ قلت : حقًا هو فى الدنيا العزاء
هو حب وحياة وربيع يا شتاء !

***

من بنى الانسان فى ذا ت شتاء ولها
زينة للعين واللـ ب وللقلب بدا
طاهر كالمزنة البيضا ء صاف كالندى
كنبات الروض مفتـ ن الحلى جم الحياء
وارف كالظل يُحْمَى فى شذاه كالهواء

***

يا شتائى فيم إخفا ؤك هذا السر عنى
أى روض أى برق أى شمس فيك أعنى
أنا مستغن به عنـ ها فماذا عنه يغنى ؟
قد تملت وأبقنـ ت أفانين السخاء
منذ عشرين وخمس من سنى الدهر سواء

***

تم عندى كل ما تهـ طي إذا تم العطاء
وجميل كل بدء ينتهى خير انتهاء
وجميل زهرك النا مى على هذا النماء
صدق العلم وقال الـ حب حقًا يا شتاء
سنة الزهر نشوء فى المعانى وارتقاء

هذه قطعة لا أجدنى مضطراً لشرح ما فيها من الجدة والطرافة ، فوق الدلالة على فكرتها المقصودة ، وفوق تناسقها الفنى مع طبيعة الشتاء التى لا تمنح ذخرها إلا ذرة ذرة على ضن وبخل . فمن لم يحس هذا كله بمجرد قراءتها ، فخسارة ألف خسارة أن نضيع الوقت فى أن نخلق له إحساساً وما نحن بقادرين . وأما الثانية فبعنوان « الثوب الأزرق » وهى كزميلتها فى الطرافة البارعة :

الأزرق الساحر بالصفاء تجربة فى البحر والسماء
جرّبها « مُفصّل » الأشياء لتلبسيه بعد فى الأزياء
مجوّد الاتقان والرواء ما ازدان بالأنجم والضياء
ولا بمحض الزبد الوضاء زينته بالطلعة الغراء
ونضرة الخدّين والسماء ولمعة العينين فى استحياء
إن فاتنى تقبيله فى الماء وفى جمال القبة الزرقاء
فلى من الأزرق ذى البهاء يخطر فيه زينة الأحياء
مُقَبّلٌ مبتسم الأضواء مردّد الأنغام فالأصداء
وقبلة منه على رضاء غنى عن الأجواء والأرجاء
وعن شآبيب من الدأماء وعنك يا دنيا بلا استثناء

---

(١) زهرة « البنسيه » أي الفكر.

وغير هاتين القصيدتين كثير من الحديث عن هذه الفكرة الصحيحة الطريفة مثل :

وكل ما فى الكون من روعة ... لما نظير فيك حيٌّ جديد
بل أنت دنيا غير هذى الدنى ... وكل حب فيك كون وليد

ويقول عن القماريّ :

وللأناسى حسن لا أبوح به ... هل تعرف الطير ما حسن الأناسى
غنت لزهر وسلسال ولو رشفت ... ثغر الباسم جنت بالأغانى

لذلك فالكون حقى بهذا الجمال الانسانى فخور به :

فلو لم نول القلب شطرك لامنا ... على الجهل كون بالجمال فخور

ويتضح هذا فى قصيدة « عيد ميلاد »

تهيأ الكون من قديم ... ليوم ميلادك السعيد
فعابد الكوكب المظيم ... أحيي ببشراك يوم عيد
ومولد « السيد » الرحيم ... وافقه المولد الجديد
يوم تهدّى على المديح ... وزفه الخلد بالثناء
فالدهر فى عمره الفسيح ... عوّده البشر والدعاء

والإله حقٌّ كذلك بهذا الجمال ، فقد تبارت الشفاه فى مزاياها ، وتقدم جبابرة العالمين يُدلون بقوتهم ونادى العبقريون الملهمون بمزاياهم :

وأقبل سرب الظباء الملا ... ح رخيم البغام مليح الكحل
فقال وفى قوله لثغة ... كأنك ترشف منها العسل
لنا القول فيكم رجال الكلا ... م لنا القول فيكم رجال العمل
لسنا شفاها ففاضت سنى ... وجرنا على جائر فاعتدل
ومنا تذوقون طعم الحيا ... ة وهل طعمها غير طعم القبل
تسمونها قبلة واسمها ... رحيق الخلود وريا الأمل

فماذا تظنه كان رأى الاله الذى جلس ليحكم فى المباراة ؟

فأطرق ربهمو لحظة ... ونادى بأقربهم فامتثل
وقبّل مبسمه قبلة ... تضرم منها مكان الخجل
وقال : أجل ! تلك أغلى الشفا ... ه فأمنوا جميعاً وقالوا : أجل !

ومتى برز هذا الجمال الانسانى ، فقد بطل كل جمال ، حتى نظم الشعر الذى يستمتع به العقاد ، فهو يخاطب « جيرة البحر » بعد أن سماهن « المعانى الحية » وبعد أن قال لهن : إن الاله والبحر والشمس وهبوا لهن هبات وافرة :

ورأيت رفرفة النسيـ ... ـم على الجسوم الطائرة
فالآن ماذا تنظرون ... من النفوس الشاعرة
لم يبق فى كنز الخيال ... بقية من نادرة
برزت معانى الشعر فى ... ثوب الحياة الظاهرة
أنتم معانيه فما ... تغنى النفوس الحائرة
أنتم عرائسه وها ... تيك المسارح عامرة
هيهات ما لمثل ... أو شاعر من خاطرة
ما الترجمان وتلك أسـ ... ـرار التراجم سافرة
فإذا بخلنا بالقصيـ ... ـد فعاذر أو عاذره

ومتى كان ذلك شأن الجمال الإنسانى البارع ، فهو يخاطب جيلا :

يهنيك حسن أنت لابس تاجه ... عن دولة السفاح والاسكندر

وما على الفنان إذن إلا أن يسمع نصيحته الشاعرة :

قسم حياتك بين حسن بارع ... يذكي الحياة وحكمة تنميها
مافى سوى الحظين من أمنية ... للمرء ينشدها ويستبقيها

وإنه ليعيش هكذا ؛ وقد فهم الجمال ، وعرف صنوفه ، ولاحظه فى كل جبيل ، وانتهى فيه إلى رأى ، وعلم غاية الحياة منه وقصد الطبيعة فيه ، على هدى وبصيرة

***

هذه أبيات متفرقة أو قصائد كاملة عرضناها عرضاً سريعاً وهى ليست كل شىء فى ديوان العقاد عن مجرد « تعريف الجمال » عنده ، وهى وحدها ذخيرة نفسية وغزلية ، لو قالها شاعر وسكت ، لكان شاعراً كبيراً ممتازاً ، وهى مع ذلك نصف « القدمة » . الكلام عن « غزل العقاد » !

وما من شك أن الإحساس بالجمال هكذا ، عمل متعب عسير ، غير ميسور لكل الطبائع ، وهو فى حاجة إلى طبيعة عميقة ، ونفس فسيحة ، وشعور واغل فى قلب الحياة ، يسمع نبضاته ، ويحس آماله ، ويستشمر أشواقه ، ويشاركه خفقه وهو ينبض بالجمال

وقد استغرق هذا حديث اليوم كله ، فأما رأى العقاد فى « الحب » فسأتناوله فى حديث آخر ، وحينئذ نخلص إلى « غزل العقاد » فى هينة واطمئنان

(حلوان) سيد قطب

حول أدب الرافعي

بين القديم والجديد

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

— ٥ —

لقد أخذنا على كاتب مقالات « بين العقاد والرافعي » أنواعاً من الأغلاط ذكرنا لكل منها أمثلة عدة دون استقصاء . فهناك أغلاط اضطراب في التفكير كالتي ذكرنا في كلمتنا الثانية؛ وهناك أغلاط جور ومحاباة كالتي عددنا في كلمتنا الثالثة ؛ ثم هناك أغلاط ضعف في الفهم أخطأ بها الكاتب لب الموضوع كالتي فصلنا في الكلمة الرابعة . وكلها تدل دلالة واضحة على أن كاتب تلك المقالات لم يكن فيها يفكر بعقله وإنما كان يفكر بهواه

إلا أن أغلاط التفكير بالهوى ليست كلها في الدلالة أو في التبعة سواء . فان ذا الهوى المتعصب لمذهب أو لكاتب قد يتأثر عقله بعصبيته وهواه من حيث لا يدري، فيقع في الخطأ من حيث لا يقصد، وتكون آثار الهوى والعصبية ظاهرة في كتاباته وأحكامه لكل إنسان سواه هو ومن لف لفه . مثل هذا لا يزيد الهوى والعصبية على أن يفسد عليه تفكيره فتصبح أفكاره وآراؤه وأحكامه غير ذات قيمة، ولكن من غير أن يحمل في ذلك تبعة خلقية تذكر

أما إذا تأثر ذو العصبية والهوى بعصبيته وهواه إلى الحد الذي يشعر بأثرهما في رأيه وحكمه ثم لا يقاومهما مقاومة مجدية ولكن يتابعهما ويطاوعهما فيما يوحيان إليه من إخفاء ما لا يوافقهما من الحق ، وتحريف ما يخالفهما من الواقع ، فانه عندئذ يكون قد جمع على نفسه ضعفين : ضعف العقل وضعف الخلق ؛ وتحمل في سبيل هواه تبعتين : تبعة الخطأ وتبعة سوء النية فيه .

وقد كان فيما نبهنا إليه بالفعل من أغلاط ذلك الكاتب غلطتان لا يمكن حملهما على مجرد الخطأ العقلي . وقع في أولاهما حين أراد أن يعتذر عن تغيير رأى كان ارتآه ، فيه بعض مدح للرافعي ، ووقع في أخراهما حين أراد أن يعتذر عن سوء فهم لبعض ما قال الرافعي نبهه إليه الفاضل الفلسطيني على كمال . وقد اعتذر في كلا الموقفين بما يخالف الواقع : إعتذر في الموقف الأول بأنه لم يكن حدد نوع الذهن حين قال إن الرافعي أديب الذهن ، والواقع أنه كان حدده تحديداً واضحاً ، وحدده بنفي بعض الأقسام التي قسم إليها الذهن عند اعتذاره ذلك . واعتذر في الموقف الثاني باضطراب وقع خطأ في ترتيب الجمل التي عبر بها عن رأيه ، والواقع أنه لم يكن في ترتيب جمله تلك أي اضطراب ، ولم يكن له عذر في مخالفته الواقع في ذينك الموقفين ، لأنه كان يستطيع الاستيثاق مما قال أو كتب بالرجوع إلى ما كان قد خطه قلمه في موضعه من كلامه إن كان ضعف الذاكرة هو الذي جعله ينسى حقيقة ما كان قد كتب ولم يكن قد مضى عليه أكثر من أسبوعين . لكن الذي به ليس هو ضعف الذاكرة ولكن صعوبة أو استحالة يجدها في الاعتراف بحق إذا كان عليه ، فاعتذر بما اعتذر به رغم مخالفة الواقع اعتماداً فيما نظن على أن القراء يقل فيهم من يكلف نفسه عناء مضاهاة ما زعم بما وقع منه بالفعل

لكن هاتين السقطتين ليس لهما فوق دلالتهما النفسية أية أهمية ذاتية إذ هما منه وإليه . هو أخطأ وهو يجتهد في ستر خطئه عن الناس ولو بشيء من التوسع في تحديد الصدق . فاذا كان قد فارق الصدق بهذا فالضرر لاحق به هو لا بغيره . أما إذا كان ضرر ذلك يعود على غيره من قريب أو من بعيد فان وجه المسألة يتغير بقدر ذلك . ويصبح وجه المسألة أشد تغيراً إذا كان الذي يتناوله بالتحريف والتلفيق كلام غيره لا كلامه هو . أما إذا كان الكلام المحرف أو الملفق هو كلام شخص يكرهه قد تصدى هو لنقده وكان التحريف والتلفيق من شأنه أن يؤذي الشخص المنقود كما وقع للرافعي ، فإننا عندئذ نصبح أمام مسألة جديدة تتعدى الإنصاف في النقد إلى الأمانة في النقل ، وتتجاوز الخطأ في الرأي إلى التدليس العمد وإلى محاولة النيل من الخصم في النقد الأدبي عن طريق غير شريف

ومقالات « بين العقاد والرافعي » لم تبرأ من هذا العيب . ولعلنا كنا نعفو فلا ننتبه إليه لولا غرور ومكابرة يبدوان فيما يكتب صاحبها ، ولولا أن صاحبها جعل من الفروق الأساسية بين مدرستي « الرافعي والعقاد » امتياز الثانية على الأولى بما سماه

« الصدق الجيل » من ناحية ، وتصحيح الأمزجة والنفوس بالأدب وللأدب من ناحية أخرى . فنحن مضطرون إلى تبيين ظاهرة كالتي أشرنا إليها ، لا لأنها من الواقع فحسب ، ولكن وفاء بحق النقد واختباراً لتينك الميزتين أمتحققتان هما في الكاتب كنموذج للمدرسة التي ينتسب إليها أم غير متحققتين

والزلات التي سقط بها الكاتب وجانب فيها الصدق يصح تقسيمها إلي قسمين : قسم يتعلق بتحريف ما كتب إخوان الرافعي عن الرافعي ، وقسم يتعلق بما كتب الرافعي عن نفسه ، وهو أهم الاثنين

ونحن إذ نتعرض لتحريف الكاتب بعض ما قال الأستاذان سعيد العريان ومحمود شاكر لا نريد بذلك أن ننصفهما ، فهما قادران على الانتصاف حين يريدان ، ولكن نريد أن ننصف الرافعي الذي استهان الكاتب على الاساءة إليه بتحريفه قول صديقيه ، متخذاً من قولهما المحرف شاهداً عليه

وأول مايلقى الناقد من هذا النوع من سقطات ذلك الكاتب تزيده فيما قال العريان في موضعين على الأقل في مقاله الأول : أولهما يتعلق برغبة الرافعي عن شراء « وحي الأربعين » وهي نقطة تافهة لو لا أن صاحبنا المحلل النفسي مولع باستخراج الخطير من التافه . وثانيهما يتعلق بالبواعث التي دعت الرافعي لنقد « وحي الأربعين »

وقد قدم الكاتب بين يدي ما اقترف قوله : « إنما يعنيني اليوم ما كتبه الأستاذ سعيد العريان ! ففيما كتبه وهو أخص أصدقاء الرافعي مصداق لكثير مما تخيلته فيه » . ثم انتقل إلى تفصيل ما أجمل في هذه العبارة فقال :

« في إباء الرافعي أن يشتري كتاب وحي الأربعين مع حاجته لنقده ما يشير إلى ضيق الأفق النفسي الذي كان يعيش فيه ، وتصوير للون من الحقد الصغير قلما يعيش في « نفس » رحبة الجوانب الخ »

فأنت ترى كيف أجدت مطالعاته في مباحث علم النفس الحديثة هذه المقدرة على استنتاج الخطير من التافه . وسنسلم له أن كل ما استنتج من ضيق الأفق النفسي والحقد الصغير أو الكبير ينتج من إباء الرافعي شراء كتاب وحي الأربعين مع حاجته لنقده . سنسلم له تلك النتيجة من هذه المقدمة ! لكن بقي أن تثبت المقدمة حتى تصح النتيجة وإلا كان هذا الرجل يفتري على الناس مرتين : يفتري الشتم ويفتري الأسباب إليه . وقد اعتمد كما ترى في ثبوت هذه المقدمة على ما كتب أخص أصدقاء الرافعي ، سعيد العريان . فاذا صح هذا فله بعد ذلك أن يستنتج منها ما شاء طبق وحي قراءاته الحديثة في علم النفس . وواضح أن مدار الاستشهاد في تلك المقدمة ليس هو إباء الرافعي أن يشترى كتاب العقاد — فما نحسب العقاد ولا قطباً يشتريان شيئاً من كتب الرافعي — ولكن موضع الاستشهاد هو إباء الرافعي شراء الكتاب « مع حاجته لنقده » . فعبارة « مع حاجته لنقده » هي مدار الاستشهاد في الواقع . وعمدة قطب في إثبات هذه الحاجة عند الرافعي هو سعيد العريان

لكن سعيد العريان لم يقل شيئاً من هذا بل أخبر بعكس هذا ، أخبر في مقاله الخامس والعشرين (رسالة ٢٤٠) أنه هو حرض الرافعي على نقده « وحي الأربعين » انتصافاً لمخلوف ولدار العلوم ، وأن الرافعي أبى أولا ثم أجاب على شرط ألا يكون هو مشترى الكتاب « لأن عليه قسما من قبل ألا يدفع قرشاً من جيبه في كتاب من كتب العقاد ... ! »

ولسنا ندرى متى أقسم الرافعي ذلك القسم ، وليس هذا يهم الآن ، إنما المهم أولا أن الرافعي لم ير حتى في رغبته في إرضاء صديق ما يبرر نكثه بذلك القسم ، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على أن الرافعي أقسم حين أقسم عن عقيدة ، واستمسك بذلك القسم حين استمسك عن عقيدة ، وهذا ضد ما ذهب إليه قطب في أن الرافعي كان يصدر في أدبه عن غير عقيدة . ثم المهم ثانياً أن الحاجة إلى نقد « وحي الأربعين » لم تكن بالرافعي ، ولكن بسعيد العريان . العريان حرض الرافعي على النقد كما ذكرنا ولرغبته في رؤية الأديبين الكبيرين يتصاولان . لكن المسألة على هذا الوضع المتفق مع ما أخبر به صديق الرافعي ، ليس فيها شيء يشهد لقطب في شيء مما يريد . فماذا يفعل سيد قطب وهو يريد أن يستشهد لنفسه بصديق الرافعي على الرافعي ؟ ينقل حاجة العريان إلى نقد « وحي الأربعين » فينسبها إلى الرافعي ، ويترك الخبر بعد تحريفه منسوباً إلى العريان كما كان ، فيكون العريان بذلك هو الذي شهد على الرافعي ، ويتم لقطب ما يريده من الاستشهاد.

ولا بأس فى ذلك على ما يظهر عند المدرسة الجديدة التى يمثلها سيد قطب ، والتى يميزها عن المدرسة القديمة مذهب « الصدق الجميل »

أما الموضع الثانى الذى تزيد فيه قطب ليستشهد بالعريان على الرافعي فقوله من نفس المقال :

«وفي البواعث التى تدعوه لنقد «وحى الأربعين» كما صورها صديقه ما يصور نظرة الرجل إلى النقد والأدب والغاية منهما ومدى نظرته العامة للحياة واتساع مداها فى نفسه ، وهو لا يبعد كثيراً عن المدى الذى تصورته له » وليس فى هـذه العبارة شيء حتى تأتى إلى آخرها فتنقلب دلالتها عندك ويصبح الرافعى المسكين بين صديقه وعدوه قد اجتمعا فى الجملة على تجريحه وذمه وكأنها لا يكلف نفسه بها شيئاً ، فهو يلقيها دعوى عريضة ثم يتحقق بعـد ذلك من صحتها من شاء أو لينقضها من شاء ! أما هو فلا يكلف نفسه من إثباتها شيئاً، ويكفيه أن ينتفع فيها بالايحاء النفسي معتمداً على تصديق القارىء إياه فيما يأتى فى روعه عن تصوير صديق الرافعى لبواعث الرافعى على نقد وحى الأربعين . وأكثر القراء حتى من أنصار الرافعى لا يجشمون أنفسهم اختبار صدق دعوى سيد قطب هذه بعرضها على ما قال العريان فى موضعه من فصوله في تاريخ الرافعى ، فيمر أكثرهم وقد وقر فى نفوسهم شيء من هـذا الاتفاق ولو فى الجملة بين صديق الرافعى وعدوه على تجريح الرافعى

إنك تقرأ تاريخ نقد الرافعى وحى الأربعين فيما قصه العريان فى فصليه الخامس والعشرين والسادس والعشرين فلا ترى أساساً لهذا الذي يدعيه قطب ، بل ترى شيئاً ينقض فى صميمه دعواه هذه وينقض غيرها مما ادعاه . يعرض الرافعى على العريان ومخلوف أن يختارا أجود ماقى الديوان لينظر فيه ثلاثتهم فما اتفقوا عليه فيه جعلوه حكمهم على الديوان كله . وليس وراء هذا فى إنصاف خصم لخصمه فى الأدب مذهب . فلما استبطأهما فيما انتدبهما له قال « أحسبكما لم تجدا ما تطلبان ولن تجدا ... إذن فلنقرأ الديوان معاً من فاتحته فـما أحسب الشاعر يختار فاتحة الديوان إلا من أجود شعره ...! » وآخر قوله هـذا مظهر آخر لنفس الرغبة فى إنصاف العقاد وإن كان أولها يدل على عقيدته فى أدبه

ويستشهد لها ضمناً بإبطاء أديبين فى اتفاقهما على جيد فى الديوان ينتقيانه ، كأن الجيد الذى يتفق على جودته قليل فى ذلك الديوان. سيقال طبعاً إن هذا ليس بحكم يعتد به على الديوان ، فلو كان الأديبان الناظران فيه من المدرسة الجديدة لأسرع إليهما الاتفاق على جيد كثير . حسن . ولسنا نريد بما قلنا حكماً على الديوان ولـكن نريد حكما على الروح التى نظر بها الرافعى وأخواه فيه ، وهى روح إنصاف ورغبـة فى إنصاف من غير شك على نقيض الروح الذى نظر وينظر به سيد قطب ممثل المدرسة الحديثة فى أدب عميد المدرسة التى يلقبها بالقديمة ولا يعجبه من أدبها ولا من روحها شيء

نظر الرافعى وأخواه فى ديوان العقاد ساعات طوه بعدها، وأشار الرافعى على مخلوف فكتب ، وهاج به العقاد ساخراً منه ومن دار العلوم، ولام مخلوفاً إخوانه على تهييج العقاد بدار العلوم، وألقى العريان تبعة ذلك اللوم على الرافعى يريد تحريكه لنقد الديوان؛ وتحرك الرافعى للنقد بعد تردد، ولـكنه بعد إذ عزم مضى لا يبالى بما كان للعقاد يومئذ من سلطان مكنه له الأدب السياسى لدى القراء ، ولا يعتبر إلا مذهبه فى الأدب وطريقته ، وسواء عنده أ كان رأيه هو رأى الجماعة أم لا يكون ما دام ماضياً على طريقته ونهجه كما يصف العريان

أى شيء فى هذا يا ترى مما يمكن أن يؤخذ على الرافعى من قريب أو من بعيد ؟ لا شيء ! لا شيء يمكن أن يراه الناقد إلا ناقداً ينظر فى أعمال الرافعى بمجهر البغضاء ثم لا يرى إلا ما يصوره الخيال . إنها حكاية واقعية غير عادية تصور الرافعى أستاذاً فى مدرسته يلقى على تلميذين وزميلين له درساً عملياً فى النقد وفى ما ينبغى للناقد من نزاهة فى الحكم ، وتحرز من الهوى عنـد الخصومة ، وشجاعة فى النازلة إذا لم يكن من النازلة بد، وتضحية فى سبيل الغاية ، واستمساك بما يعرف أنه الحق . أما ما ارتآه العريان من تحفز كان بالرافعى لعراك العقاد فالعبرة فيه بأن ذلك لم يسرع بالرافعى إلى تحيف العقاد وظلمه فى ديوانه أو هضمه . وفى رأينا أن هذا مظهر لفارق أساسى آخر بين المدرستين : مدرسة الأدب الأخلاق، ومدرسة الأدب غير الأخلاق اللتين تتنازعان توجيه الأدب الآن ، وهو فارق نعرف أثره فى كتابة

المنتسبين إلى كل من المدرستين ، نعرفه فى نزوع شاكر والعريان إلى الانصاف حتى من أنفسهما وصاحبهما ، وقد يغلوان فى ذلك أحياناً كما يشتد المدرس على ابنه التلميذ فى فصله مبالغة فى العدل بين طلبته ، وتعرفه فى نزوع سيد قطب إلى التزيد والتحريف والاسراف

أما شاكر فانه أيضاً لم يسلم مما أصاب العريان من تحريف لقوله فى الرافعي . وقد مثل معه سيد قطب حكاية عمرو مع أبى موسى من جديد . لكن يكفينا الآن ما كتبنا فى تبيين القسم الأول من مغالطات قطب وتحريفاتها لننتقل إلى تحريفه أقوال الرافعى وهو أهم القسمين

إن آخر مثال ضربناه فى المقال الماضي لسوء فهم قطب هو فى الواقع أول مثال لتحريفه كلام الرافعى ليستقيم له وجه الاستهزاء به والزراية عليه . فقد ضرب الرافعى بنهر الكوثر يجرى بين شاطئين من ذهب على أرض من الدر والياقوت مثالا للشعر الخالد المطرد بقوله المحب فى حبيبته ، فجاء قطب وقال إن الرافعى لا يتشكك فى أن نهراً يجرى بين شاطئين من ذهب على الدر والياقوت « أجمل » من نهر يجرى بين شاطئين من العشب الأخضر على أرض من الرمل والطين . ومهما تكن نتيجة المفاضلة بين النهرين عند المدرسة الجديدة من ناحية الجمال ، فان نتيجة المفاضلة بينهما من ناحية الخلود والاطراد ليست موضع شك عند أحد . ولو أخذ قطب الكلام على ظاهره لم يكن فيه مغمز يغمز الرافعى به ، فلم يجد بأساً فى أن يضع الجمال بدلا من الخلود والاطراد فى كلام الرافعى ليصل إلى ما يريد . ولو غير مدرس للغة العربية فعل هذا لالتمسنا له العذر عن طريق جهله بمعانى الكلمات على وضوحها وبساطتها فى هـذه الحالة ، لكن سيد قطب إخصائى فى اللغة العربية وأديب وشاعر فلا يمكن أن يلتمس له العذر من هذه الناحية ، ولم يبق إلا أن يكون تعمد التحريف فى كلام الرافعى ليصل إلى ما يريد . فاذا ما أصر على ما فعل ، وعدها على الرافعى غلطة بغلطات تكبر « الأسد الذى يخترق شوارع القاهرة » فى مثل زائر القاهرة الذى ضربه ليخلص إلى أن الرافعى « لم يحس الاحساس بجمال « الطبيعة بل... لم يوهب الطبيعة التى تحس هذا الجمال » — إذا أصر قطب على زلته إمعاناً فى تشويه الرافعى عند القراء كما فعل فى مقاله الحادى عشر زاد ذلك فى شناعتها وسقط بها فى هاوية مالها من قرار

وإلى مثل هذا عمد قطب حين أراد أن يتكلم عن حب الرافعى ليثبت أنه لا يعرف ما الحب وأن ليس له قلب يقول الرافعى :

« نصيحتى لكل من أبغض من أحب ألا يحتفل بأن صاحبته « غاظته » وأن يكبر نفسه عن أن يغيظ امرأة . إنه متى أرخى هذه الطرفين سقطت هى بعيداً عن قلبه ، فإنها معلقة إلى قلبه فى هذين الخيطين من نفسه » . وهى قطعة مقتبسة من كتاب « رسائل الأحزان » وهو تاريخ حب للرافعى انقلب إلى بغض كما بين ذلك سعيد العريان فى فصوله لمن لم يكن قرأ ذلك الكتاب، فالقطعة تدور كلها وتتوقف استقامة معناها على كلمة « أبغض » الواردة فى أولها . لكن سيد قطب لما لم يجد فيها كما هي موضعاً لتهكمه ولا دليلاً على مزاعمه عمد إليها فحرف معناها بأن أسقط منها ما يؤدى معنى البغض وراح يصيح : « أرأيت ؟ — إن الحبيبة (بعد انقطاع الحب)[1] لا تتعلق بنفس من كان يحبها إلا بخيطين اثنين : غيظها له وغيظه لها ! ولا شيء وراء ذلك ! » ثم طفق يعلق على ذلك ماشاء له الحنق والبغض، وانتهى به الأمر فى مقاله الحادى عشر إلى أن يقرر فى غرور وتوكيد وإصرار : « فحين يقول الرافعى إن الحبيبة لاتتعلق بقلب حبيبها (بعد انتهاء الحب)[1] إلا بخيطين اثنين هما غيظها له وغيظه لها ... يدل على أنه لم يحس الحب يوماً ما ولم يحسن ملاحظته فى غيره ، بل لم يكن ذا طبيعة قابلة للحب ، ولا مستمدة لتاقى دفعاته وانفساحه ولو كتب بعد ذلك عن الحب ألف كتاب » . وتستطيع أن تتبين مبلغ إسرافه بهذا الكلام على الرافعى إذا وضعت فيه بدلا من « بعد انتهاء الحب » كلمات تؤدى معنى الرافعى مثل « بعد انقلاب الحب إلى بغض » . هنالك يتضح مبلغ جناية هذا الرجل على الرافعى وعلى الحقيقة وعلى النقد بذلك التغيير الطفيف الذى أدخله على كلام الرافعى جرياً فيما يظهر على قاعدة « الصدق الجميل » الذى يفرق عند هذا الناقد الجديد بين مدرسة الرافعى ومدرسة العقاد ...

بقى مثال واحد ثم نغلق هذا الباب . انتقد الرافعى بيت العقاد :

فيك منى ومن الناس ومن كل موجود وموعود تؤام

---

(١) الأقواس من عندنا

بما انتقده به وأخذ على العقاد، وإن فى لفظ شديد، أنه لم يحترس مما يدخل فى عموم « كل موجود » مما لا يليق أن يكون فى حبيبة محب ذى ذوق . وأراد قطب أن يسخف نقد الرافعى فزعم أن الرافعى قال إن « كل موجود هو البق والقمل والنمل ... الخ » ولو نسب إليه أنه قال : « إن من كل موجود كذا وكذا ... الخ » لكان كلاماً ظاهر الصدق ليس فيه موضع للتسخيف الذى يريده صاحبنا والذى لا يتأتى إلا إذا سقطت « من » الدالة على البعضية . فلم ير صاحبنا مانعاً من إسقاطها ! وهل هى إلا حرف ذو حرفين يتحقق باسقاطه شىء من تصحيح الأمزجة والنفوس؟

وقد رد أخونا محمود شاكر هذه الغلطة من سيد قطب إلى أنه لم يفهم الفرق بين « من » فى كلام الرافعى و « من » فى كلام العقاد . ووددنا لو أن الأمر كان كذلك فان عدم فهم الحرف أخف من تعمد إسقاطه ، لكن سيد قطب خريج دار العلوم وإخصائى فى اللغة العربية يعلم منها تلاميذه كل يوم مثل هذا الذى يعتذر عنه محمود شاكر بأنه يجهله . فلم يبق إلا الاحتمال الآخر على ما فيه

تلك ثلاثة أمثلة حرف فيها صاحبنا كلام الرافعى تحريف الحاذق الماهر : تحريفاً طفيفاً من حيث اللفظ عميقاً من حيث المعنى ، ورتب على ذلك من النتائج الخطيرة ما لا ينتج من كلام الرافعى ، فهو قد يجنى على الرافعى مرتين : مرة بذمه ذماً بالغاً باطلا ، ومرة بتحريف كلامه لتبرير ذلك الذم . فصدّق بذلك وبأغلاطه الأخرى ما نبهنا إليه من قبل من انزلاق مخاصم الحق وتورطه فى أغلاط ومهاو ما كان لولا معاداته الحق ليتردى فيها وينتقم بذلك من نفسه للحق أبلغ انتقام

محمد أحمد الغمراوى

الفروسية العربية

للميجر كلوب

ترجمة الأستاذ جميل قبعين

(تتمة)

وقد روى لى سمو الأمير عبد الله الحادث التالى : عندما كان الملك الراحل الحسين شريفاً على مكة : كانت السلطة على البدو بيده برغم حكم الأتراك ؛ وفى يوم من الأيام بينما كان الشريف مع ولده الشريف عبد الله سائرين وقافلة فى الصحراء أراد الشريف أن يسبق القافلة ليختار محلا لاقامة الخيام — فذهب مع ولده حتى وجدا محلا مناسبا تحت شجيرات، وكانت بجانبهم إبل ترعى بحماية ولد وأخته الصغيرة ، وكعادة العرب سأل الشريف الولد إلى أى قبيلة ينتمون، فأجاب الصبى من البقوم، فقال له الشريف « ألا تخاف أن ترعى على حدود بني عتيبة الذين قد يأخذون إبلكم » وكان الصبى منبطحا على ظهره يلوح بقدميه فى الفضاء فأجاب « أيها الشيخ المجنون البارد، أنت لا تفهم » فأجاب الشريف: قد أكون مجنونا ولكنى لم أعرف السبب بعد . فأجاب الولد قائلا « ألا تعلم أنه ما دام الحسين على السرج فنحن لا نخاف الغارات » وعند هذا الحد أقبلت القافلة فعرف الولد أن الذى كان يكلمه هو الشريف حسين ، فخاف كثيراً ولكن الملك الراحل طمأنه وسر من هذه الشهادة غير المقصودة . وبقى كل سنة يطلب الولد وأخته إلى مكة ويعيدهما إلى أهلهما مع النقود والملابس .

لقد قلت إن إحدى صفات البدوى القيام بأعمال غريبة لأثارة الأعجاب ـ ومن ذلك عادة الجاهلية . يحدث أن يعتدى على شرف بدوى أو غير ذلك من الأمور التى تستلزم الترضية، يرفض البدوى الترضية التى يقدمها المعتدى ويصر على الأخذ بالثأر ـ وعندها يجتمع شيوخ القبيلة فى شبه وفد يذهب إلى بيت المعتدى عليه، وبطبيعة الحال يقدم لهم طعاماً يرفضون تناوله قبل أن يعد باجابة سؤلهم فيعد بذلك

وبعد انتهاء الطعام يشرحون فوائد الصلح إلى آخر ذلك فيتنازل البدوى عن حقه كاملا . فاتهام العرب بالطمع والجشع أمر تنقضه الحقائق، والقصص التى رويتها لكم قمينة باعطائكم فكرة صحيحة عن العرب والبدوى من هذه الناحية . إن إلحاح البدوى فى طلب حقه غريب، ولكنك إذا ما التجأت إلى كرمه كقولك إعفنى يا أخا فلانة — فانه يتنازل عن دَينه . ولعلنا لم ننس قصة هيرودس[1] مع ابنة شالوم التى طلبت أمنية أجابها إليها قبل أن يعرف ما هى تلك الأمنية ، وقد كانت رأس يوحنا المعمدان وقد كان هيرودس فى شرق الأردن

الخلاصة

ولكى نجمع ما سبق نقول بأن الفروسية هى نظام حياة البدوي اليومى وأهم مميزاته :

١ — تمجيد الحرب المبنى على أساس طلب العلى والقيام بأعمال البطولة لا بكسب المعركة والحرب

٢ — احترام يشوبه النزل للمرأة المفروض فيها الأنوثة الكاملة والتممة للرجل مع عدم مساواتها له . والنظر إليها كتسلية للرجل والحكم على أعماله

٣ — الكرم ومساعدة الضعيف لأن هذه الصفات فرصة للقيام بأعمال غريبة تثير الاعجاب وتقرب من الخيال

٤ — وكنتيجة لهذه الصفات نشأت عادة التنافس بين الفرسان حتى أدى ذلك إلى نزاع داخلى فى القبيلة

٥ — عدم الاهتمام بالمجتمع لتطلبهم المجد الشخصى

٦ — الفقر الدائم مع احتقار حياة العمل الشاق والبخل

وبعكس هذا نجد أن الصفات المميزة للحضر هي :

١ — كره الحرب والدفاع بشدة إذا ما هوجم . همه الأول ربح المعركة دون الاهتمام بالطريقة ، شريفة كانت أو غير شريفة

٢ — تطبيق النظرية القائلة بعمل الكل لأجل المجتمع

٣ — عدم الاهتمام بالمرأة وتكليفها بالأعمال الشاقة والنظر إليها كمصنع للأولاد ووسيلة للربح . وقد ترتفع منزلتها عند الحضر فتصبح مساوية للرجل ولكن ليست المتممة له

٤ — نظرة الاعجاب إلى العمل الشاق المتواصل والمعاش الشديد إلى جمع الثروة . ولهذا أرى أن نبعد عن أذهاننا نحن الأوربيين المعنى الخيالى المرامى الذى يصوره لنا خيالنا عن كلمة الفروسية ، لأن الفروسية هي النظام الخاص لحياة البداوة الذى يميزها عن حياة الحضر

نظرية

إن كل بحث عن الشعوب القديمة يكون ناقصاً مملاً مدرسيا ما لم تحاول أن نربطه بحياتنا اليومية الحاضرة . لا مراء فى أن الحضارة الرومانية هى أولى الحضارات التى غزت أوربا وقد كانت حضارة زراعية ، وتتكون نظريتهم عن الحرب فى أن الفرد يجب أن يفنى فى سبيل المجموع وأن الحرب خدعة . وفى القرن السابع ظهر الفتح الاسلامي حاملا معه روح الفروسية ـ روح الشرق ـ الروح التى تثير الاعجاب وتهيج النفوس. فغزت هذه الروح جميع البلدان التى اتصل العرب بها ، وانتشرت بين سكانها . ولكن إذا نظرنا إلى الفاشستية اليوم نرى أنها احتفظت بالروح الرومانية القديمة بل تطرفت بها وهذه الروح تتنافى مع الروح العربية — روح الفروسية

غزا العرب اسبانيا وفرنسا حتى تور فانتشرت بالبلدين روح الفروسية ، ومن فرنسا تسربت هذه الروح إلى انكلترا ولكنها لم تتعداها — وقد يكون هذا هو السبب فى مقاومتنا لروح الدولة الكلية المتطرفة والتى هى عماد الدولة فى كل من روسيا وإيطاليا وألمانيا وهى البلدان التى لم تتصل بها ولم تنتشر فيها روح الفروسية. فان صح هذا ألا يكون مبدأ الحرية الفردية الذى نتمسك به وندافع عنه هو تراثنا من العرب ؟ بالرغم عن التطورات الحديثة واتباعنا نظرية أن الحرب خدعة — فاننا ما زلنا نحافظ على روح الفروسية فيما نسميه اليوم « الألعاب الرياضية »

إننا نخطئ خطأً فاحشاً إذا ما ظننا أن العرب كلهم بدو ، فأكثر العرب اليوم مقبلون إقبالا عظيما على درس الحضارة

(١) إن هيرودس كان عربياً وليس يهودياً — بل كانت أمه يهودية « المعرب »

والمدنية الأوربية برغم نظام الفردية بينهم — وقد لا تمضى فترة قصيرة حتى نراهم يسيرون والأوربيين جنباً إلى جنب فى ميدان الحضارة . إن تجاربى السياسية قليلة ، ولكنى قمت ببعض المهام الصغيرة مع الحكومة السعودية . ولقد كنت أظن أن التفاهم معهم صعب عسير ولكنى سرعان ما غيرت هذا الظن إذ وجدت أننى أنا نفسى صرت أحسدهم . إذا صارحتهم — صارحوك . جرب دائماً أن تكون معاملاتك مع العرب مبنية على الشرف والأمانة . ويجب ألا يعزب عن بالنا أننا ورثنا عنهم النظرية التى تهمنا نحن الانكليز بنوع خاص وهى « إن لعب اللعبة أحسن من ربحها »

أسئلة بعد المحاضرة

سير رونالد ستروس — هل يتغنى البدو بالشعر الرمزى ؟ وهل هناك قصائد جديدة ؟

المحاضر — البدو يجهلون الشعر الرمزى ولكن القصائد تتلى فى كل خيمة ؟

سير برسى كوكس — ما الذى يمكن الانسان عمله إذا أراد بدوي معدم أن يذبح شاة لإطعام ضيف ؟

المحاضر — من الصعب معرفة ما يمكن عمله ، ولكنى أرى أنه يكون مضطراً إلى محاولة إقناعه بأن يتحول إلى فلاح (ضحك)

مستر ى رانكن — هل تجدون صعوبة فى حفظ النظام مع الجنود الأغرار من البدو

المحاضر — ليت الوقت يسمح لى ببحث هذا السؤال . ولكنى أقول إننا نجد صعوبات جمة فى بادئ الأمر

والنظام مع البدوى يختلف طبعاً عما هو عليه مع الفلاح . لأن البدوى ديمقراطى بطبعه، فالضابط والجنود يأكلون من صحن واحد ويشربون القهوة معاً . والبدوى يفخر بانتمائه إلى القوة التى توافق هواه . وإرهابه بأخذ سلاحه أو باخراجه من القوة يؤثر فيه أكثر من أى عقاب آخر . ولكن طلبهم المجد الشخصى يولد الحسد فيهم ويسبب بعض المتاعب

لورد ونترتون — أظن، سيداتى وسادتى ، أنه لم يبق لى إلا أن أشكر المحاضر بلسان كل فرد منا على محاضرته القيمة النفيسة

وأحب أن أقول إن نظريته حول الارتباط بين العرب والانكليز توافق نظريتى تماماً . إذ أننى أرى أن هنالك مكانين يمكن الانسان أن يعيش بهما سعيداً وهما البادية وهذه البلاد . ولكن للأسف يوجد فرق واحد : أن البدوى إذا هوجم يستطيع التقهقر إلى صحرائه حيث لا مطمع لأحد هناك ، ولكننا إذا هوجمنا فقد يحتل العدو بلادنا . وفى هذا درس علينا أن نحفظه . هذه نظرية قد تشرح قول بعض الأوربيين عنا : إننا مجانين . ولماذا وكيف نصادق كثيراً من الشعوب الآسيوية

المترجم

جميل قبعين

أنشـــودة

« ليتها تعيها إلى الربيع المقبل ! »

للأستاذ صالح جودت

كان ميعادُكِ في هذا الربيعْ ... ثم أخلفتِ ، فكان الموتُ لي
ضاع عمري في غرام لن يضيعْ ... فاذكريه في الربيع المقبلِ

***

الربيعُ الآنَ؟ مالي لا أرى ... بعدإخلافكِ ، ما كنتُ أراهْ؟
هاهو الرَّوضُ ، أراه مُقفِرا ... ما به من رَونق ... إلا ثَراهْ !
هاهي الدَّوحاتُ صفراءَ الذُّرَى ... تتلوَّى بين أغصانٍ عُراهْ
ها هو الينبوعُ .. لكن.. ماجرى ؟
خبريني ياغرامي ، مااعتراه ؟
أهُو اليومَ كما نعهدُهُ ؟ ... ربما كان لغيري ينجلي
أنا مَنْ قد فاته موعدُهُ ... فاذكريه في الربيع المقبل

***

كانت الزرقةُ ثوباً للسماءْ ... كانت الخضرةُ ثوباً للأديمْ
كان في الروض أزاهيرٌ وماءْ ... كان في الدَّوح رجيعٌ ونسيمْ
كان في الدنيا غرامٌ ووفاءْ ... كان في قلبكِ لي حُبٌّ مقيمْ
كل هـذا شِمْتُهُ قبل المساءْ ... كل هـذا ذقتُهُ قبل الجحيمْ
أهُوَ باقٍ مثلما كان لنا ... في لذاذات اللقاء الأول ؟
إن يكن ما مات ، فالميْتُ أنا ... فاذكريني في الربيع المقبل

إلى « القصر » الغاشم ...!

« نفثة جريحة اهتز بها قلبي حيال قصر الملهمة ! »

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

لَوْ كُنْتَ تَسْمَعُ صَرْخَتي وشَكاتي
يا «قَصْرُ» ! ما قَيَّدْتَ سِحْرَ حَياتي..
جَجَّبْتَها عَذْراءَ كادَ غَرامُها ... يُذْكِي سَعيرَ الحُبِّ في الغُرُفاتِ
وَلَو انَّها مَلَكَتْ جَناح حمامَةٍ ... طارَتْ لعابِدِها من الشُّرُفاتِ!
لَمَحَتْهُ مِنْ خَلَل السُّتور مُشَرَّداً ... حَيْرانَ مُرْتَجِفاً على الطُّرُقاتِ
في جَفْنِه صَخَبٌ ! وفي أنفاسِهِ ... لَهَبٌ ! وسِرُّ المَوْتِ في النَّظَراتِ!
وعَلَى الشِّفاهِ قَصِيدَةٌ غَزَلِيَّةٌ ... مَخْنُوقَةُ الأَلْحانِ والنَّبَراتِ
صَرَخَتْ تُذيعُ غرامَهُ ... فَأَذابَها
هَوْلُ الأَسَى في جاحِمِ الزَّفَراتِ
يَبْكي ويَضْرِبُ في الفَضاءِ مُضَيَّماً
كالتَّائِهِ المأخُوذِ في الفَلَواتِ ...
قَلْبٌ عَلَى عَتَباتِكَ انْتَحَرَتْ به ... أَحْلامُهُ يَوْمَ الفِراقِ العاتي
وأتاكَ مُنْتَفِضَ الحَنين ، كأنَّهُ ... ذِكْرَى مُجَرَّحَةٌ تَعودُ «فَتاتي»
يا «قَصْرُ» أَبْلِغْهُ الضِّفافَ ... فَعِنْدَها
أَمَلي ، وصَفْوُ مَزاهِري ، وَحَياتي !

الدمية الحسـناء !

للأستاذ أحمد فتحى

فيكَ من رَوْعَة الجمال نَصيبٌ ... شاهـدٌ أن للدُّمَى إغراء !
وقديماً أُضِلَّ قومٌ من الخلْـ ... ـقِ ، فَضَلّوا ضلالةً عَمياء !
عبدوا الوَهْمَ والأساطيرَ حتى ... قدّسُوها حجارةً صَمّاء !
وإذا شاءتِ المقاديرُ تلْهُو ... سَخَّرَتْ للجهالة الفهماء !
لستُ أنسَى يوم التقَيْنا وكانت ... صفحةُ الرَّوْض ، فتنة تتراءى
الأزاهيرُ رانحاتٌ غوادٍ ... تَتَثَنَّى مع الصَّبا كيف شاء
والأماني باسماتٌ لِعَيْني ... يتضاحَكْنَ غِبطةً وصفاء !
والأغاريدُ هاتفاتٌ على الدَّوْ ... حِ نشيداً يُداعِبُ الأفياء
ولقـد كنتَ في الخميلة تمثا ... لاً من الحُسنِ رائعاً وَضّاء
لاح لي من لحاظِ عينَيْكَ سِحْرٌ ... بابليٌّ ، يستضعفُ الأقوياء
ودعاني هواكَ فانطلَقَ القا ... بُ على وجهِهِ يُلَبِّي النداء

فرَّ من بين أضلعي ينشدُ الحُبْ ... بَ ، كما ينشدُ الظِّماء رَوَاء
وأتاك المسكينُ حالاً من اللوْ ... عةِ تشكو فصيحةً خرساء !
ظنَّ في ضَمْتِكَ الرِّضى عن غرامٍ ... كان فيه ، غِوايةً شنعاء
عادَ لى ضاحكاً ، قريراً يغنِّى ... يملأ الأرض شَدْوُهُ والسَّماء
فتوَهَّمتُ أنه رُزِقَ الخيْـ ... ـرَ ، وأضحى يُساجِلُ السُّعداء
ثم بارَكْتُهُ غراماً عزيزاً ... قد كفانى الهمومَ وَالبُرَحاء
ماسلاَ القلبُ عنك إذ جدَّ بينٌ ... صَيَّرَ الصُّبْحَ وَحْشَةً ظَلْماء
شَفَّنِي الوَجْدُ والنحولُ وكابَدْ ... تُ غرامى داءً دَوِيًّا عَياء
وَعَفَا الصبرُ عن لِقائكَ حتى ... عَلَّمَ العينَ أن تذوبَ بُكاءَ
سلك الدَّمعُ من ما قِيَّ سُبْلاً ... كُنَّ من مَسْلكِ الدُّموعِ خلاء
زهدَتْ نفسي الصواحبَ طُرًّا ... وَمَلَّتْ الحياةَ وَالأحياء !
وَتَمَنَّيْتُ لو لقيتُكَ يوماً ... وافتقدتُ المعاشرَ الخُلَصاء
عَلِمَ اللهُ كم سَهِدْتُ الليالي ... أتشهَّى الرُّقادَ والإغفاء
يَقِظاً للخيالِ؛ إن طرقَ الطيْـ ... ـفُ رآنى بَقِيَّةً وَذِماء !
ولقد طالما تعلَّلتُ بالقرْ ... بِ ، فكانت عُلالةً حمقاء
كيف أنساكَ يومَ قيلَ مُوافٍ ... يحملُ البُرْءَ قُرْبُهُ والشِّفاء ؟!
قلتُ للنفسِ هاا نعمي بعد بُؤْسَى ... جرَّعَتْكِ النَّوى صباحَ مساء
والتقينا أشكو الذى صنعَ الشوْ ... قُ بقلبٍ تنفَّسَ الصُّعَدَاء
وترامَتْ على يدَيْكَ دُموعى.. ... قَطَرَاتٍ كبيرةً حمراء !
وتوسَّلتُ أن تُهَنِّهَ منها ... فإذا أنتَ لا تجيبُ الرَّجاء !
فتهاوَتْ مع المدامع آما ... لٌ تُسامِي صُرُوحُها الجوزاء !
وتناثَرْنَ ، فى الأعاصير نَقْعاً ... حَمَلَتْهُ ، قويَّةً ، هَوْجاء !!
عاتَبَتْ نَفْسِيَ الحزينةُ قلبي ... فى هواكَ الذى أضرَّ وساء
هتفَتْ ، أيُّها المعذَّبُ بالخفقِ ، ... تَجَشَّمْ هزيمةً نكراء
قد حَمَلْتَ الغرامَ زيفاً من الوهْـ ... ـم أضاعَ الشبابَ عُمْراً هَباء
خَدَعَتْكَ المُنَى اللَّعُوبُ، وكانت ... قصَّةُ الحبِّ ، كِذْبَةً بيضاء
شَغَفَتْكَ الحياةُ بالحُسْن ، حُبًّا ... فتعشَّقْتَ دُمْيَةً حسناءَ !!

فرحة

للأديب محمد قطب

أحلى الأماني والمراحِ مراحُ حُب
قد فاض قلبي بالسعادة بعد جدب
وطفرت كالمرح اللعوبِ وأي لِعْب !
عاد الشبابُ إليَّ بعد طويل شيب !
ياحب ليس سواك فكَّ عِقال قلبي
أطلقتني حراً أشارف كل صوب
لا مَنْ يعوق خطاى عن جَرْى ووثب
هى ذى معى ، وأنا أبوح بسر حُبي
ما أجمل الحب السعيد وأنتِ قربي
وجمال همس كالطيور أوانَ أوْب
همس الحياة تحيطنى من كل جنب
وتحيطنى وتحيط بالإعجاب حبي
فرحانة هى[1] بالغرام يضيء قلبي
إني أحبك ياسعاد وأى حب !
حب تسامى فوق كل هوى محب
حب يرفرف كالحنان المستحَب
حب فريد لن تريه بغير قلبي
إني أتيه على الغرام «بنوعِ» حبي !
وأنا سعيد أن أحب وأن تحبي
ستَرين إعجابي بمن أهوى وعجبي
وسترشفين خلاصة من كل ذوب
ذوب الغرام وذوب تفكيرى وقلبي
ذوب الحياة ممحضاً من كل شوب
ذوب السعادة خالصاً من كل ريب
أعطيكِ ماقد شئت عذباً أى عذب

(١) أى الحياة



باريس ، أحمد حافظ عوض ، أبو تمام

الأستاذ الكبير أحمد حافظ عوض بك اليوم في باريس . وهو يبعث منها برسائل أحمدية : ذات بساط أحمدى ... وقد أخبر في الأولى التى عنوانها (ما بال باريس اليوم ليست باريس ؟) أنه يمم حاضرة الفرنسيس من قبل وهو في الثلاثين ويجىء إليها اليوم أخا ستين —أخو ستين يا أبا الحفّاظ ، الله أدرى بالحقيقة— وأنه ما رآها وهو شيخ كما آنسها في الشباب في شبابه :

لا يبعدنْ عصرُ الشبا ب الناعم الغض الرطيب[1] !

كان الشباب حبيبنا كيف السبيل إلى الحبيب !؟

ومما سطره : « فماذا جرى يا ترى ، أترى باريس تغيرتْ كما تغيرت ، أم كبرتْ كما كبرت؟ » ثم أفاض الأستاذ في المقال ثم قال في آخره : « فباريس ليست باريس لأنك أنت لست أنت » ولو تذكر صاحب (الكوكب) بعد هذا الكلام (حبيباً) لأعطاه هذه الأبيات المبقريات فجاءت في الختام من آيات التمثيل الباهرات . وهأنذا أرسل بها إليه في (الرسالة) لينشدها الأستاذ في كل صبح ومساء ، ما أقام في باريس :

لا أنتَ أنتَ ، ولا الديار ديارُ خفّ الهوى ، وتولت الأوطار !

كانت مجاورة (الربوع) وأهلها زمناً عِذاب الورد ، فهى بحار !

أيامَ تدعى عينتَه تلك الدُّمى فيها ، وتقمر لُبه الأقمار ![1]

إذ لا (صدوف) ولا (كنودُ) اسماهما كالمنبين ، ولا (نَوارُ) نوارُ ![2]

بيض فهن إذا رُمقن سوافراً صور ، وهن إذا رَمَقن صُوار ![3]

في حيث يُمتهن الحديثُ لذي الصِّبا وتحصّن الأسرار والأسرار ![4]

وصدر هذا البيت ، فحواه أن هناك (اللقاء والحديث) فقط والشطر الثانى ظاهر ، وأنا ما ذهبت إلى باريس فلست أعرف حالها ، فهل يصدق (العجز) فيها ؟ العلم عند الأحدين العارفين : أحمد شوقى ، أحمد حافظ عوض ، أحمد حسن الزيات ، العلم عند العارفين ...

(القارئ)

---

(١) أبو قطينة القرشى ؛ والبيتان في حماسة البحترى ، ولمنصور النمرى :
ما كنت أوفى شبابى كنه غرته حتى انقضى فإذا الدنيا له تبع
يحكى أن الرشيد لما سمع هذا البيت بكى وقال : يا نمرى ، ما خير دنيا لا يخطر فيها برد الشباب ؟!

(١) في (الأساس) : قرته لبه وقلبه . قال عمر بن أبي ربيعة :
قـرته فؤاده أخت رئم ذات دل خريدة معطار

(٢) أى لم تكن في ذاك الوقت الآنسة صدوف تصدف عنك (أي تعرض ، وامرأة صدوف : تصد عن الزينة كما في الأساس) ولا الآنسة كنود تكندك (أى تقطعك أو كنود كفور بالنعمة ، أو كنود كفور للمودة كما في اللسان) ولا الآنسة نوار تنور (أى تنفر ونارت المرأة من الريبة نورا ونوار بالكسر ، وهى نوار ، وهن نور كما في الأساس)

(٣) الصوار الجماعة المعروفة المشهورة بالعيون النجل الجميلة ، والصوار النافجة : وعاء المسك قال :
إذا لاح الصوار ذكرت ليلى وأذكرها إذا نفخ الصوار

(٤) الأسرار الثانية جمع السر ، ورجل سرى يصنع الأشياء سراً . والأسرار الأولى جمع السر وهو معروف . وفي (الأساس) : قالت :
لا يبعدن إلى سرى يدا وإلى ما شاء منى فليمد

أعطيكِ حتى ترتوى حتى تعبى

أعطيكِ . لست بآخذ أبداً . وحبى !

إلا الجمال فإنه هو وحى قلبى

هاتيه كيف أردت من دل وعجب

إنى رضيت بما سآخذ دون غصب !

أفأنت راضية وحظك سوف يُربى ؟

تكريم الدكتور زكي مبارك

أقام الفنان الأديب الأستاذ مدحت عاصم وكيل محطة الاذاعة المصرية شاياً موسيقياً للترحيب بمقدم الدكتور زكي مبارك من العراق دعا إليه نخبة من رجال الأدب والعلم والتعليم والصحافة وعلى رأسهم الأستاذ الجليل محمد بك العشماوي وكيل وزارة المعارف

وقد انتثر المدعوون في جوانب حديقة الدار يستمعون إلى نغمات الموسيقى، ثم انتقلوا إلى موائد الشاي فتناولوا الحلوى والمرطبات، ثم وقف الأستاذ مدحت عاصم وألقى كلمة حيا بها الدكتور مبارك وشكر فيها المدعوين على تلبيتهم الدعوة، وقال إنه ليس بعجيب أن يكرم الفنان أديباً، فالفن والأدب توأمان لا ينفصلان، والدكتور زكي مبارك أديب يقوم أسلوبه على قواعد موسيقية ...

وبعد ذلك وقف صاحب العزة الأستاذ محمد العشماوي بك فارتجل كلمة رقيقة داعب فيها المحتفل به. وقال إنه لا يتكلم الآن باسم الوزير، ولا باسم الوزارة. ولكنه يتكلم معبراً عن رأيه الشخصي. واستطرد فقال:

أعرف الدكتور مبارك رجلاً مشاغباً! وكنت قرأت له حملات على الأدباء والشعراء، فأرى فيه معولا يحتاج إليه البلد في هدم القديم على أن ينشيء مكانه جديداً نافعاً

ولما عرضت فكرة إيفاد معلمين إلى العراق قلت إنها فرصة طيبة للتخلص من شغب الدكتور زكي!

لم يكن الدكتور زكي مبارك قبل سفره، قد عمل شيئاً في وزارة المعارف، فلما سافر إلى العراق عمل هناك أشياء كثيرة. وخلال زيارتي للعراق تحدثت إلى وزير معارفه عن عيوب الدكتور زكي مبارك فقال الوزير — وهو من رجال الأدب المعدودين — إننا راضون بالدكتور على عيبه!...

ثم وقف الدكتور مبارك فألقى كلمة بليغة سننشرها في العدد القادم

وفاة الأستاذ نللينو

نعت أخبار روما أستاذنا الجليل الدكتور نللينو الأستاذ بالجامعة المصرية والعضو في مجمع اللغة العربية، وإمام المستشرقين في تاريخ الآداب العربية وأصول اللغة الحميرية وأسرار الحضارة الاسلامية. اتصلت أسبابه بمصر زهاء ثلاثين سنة منذ اختاره المغفور له الملك فؤاد لتدريس الأدب العربي في الجامعة المصرية القديمة يوم كان رئيسها وهو أمير فألقى الأستاذ بها أربعين محاضرة في الأصول المقررة في الأدب والنقد عند العرب فكانت الأساس الوطيد والمنهج السديد لدراسة الأدب العربي في مصر. ثم انقطع ما بينه وبين مصر حينا من الدهر حتى انتدب مرة ثانية للتدريس في الجامعة المصرية الجديدة وانتخب عضواً في مجمع اللغة العربية الملكي فغذى الجامعة والمجمع بأبحاثه القيمة وآرائه السديدة وخبرته الطويلة. وقد بلغ من حبه للغة العرب أن حبب إلى ابنته دراسة الآداب العربية، فهي اليوم من الفتيات الايطاليات اللاتي يعرفن الشرق العربي معرفة صحيحة ويكتبن عن أدبه كتابة المطلع الفاهم؛ وقد أعانها على ذلك أنها زارت مصر معه مرارا، فلا جرم أن فقد الدكتور نللينو خسارة للأدب العربي وللاستشراق لا يسهل العوض منها، فان الرغبة في دراسة الشرق القديم قد ضعفت في نفوس الأوربيين بعد أن استبانت معالم الشرق واتضحت السبل إلى استعماره

كتاب رسالة المنبر

تفضل صديقنا الأستاذ فليكس فارس فأهدى إلى مشتركي الرسالة مائة نسخة من كتابه رسالة المنبر. ومتى تسلمتها إدارة الرسالة فسترسلها إلى من يطلبها على شرط أن يكون من مشتركي الرسالة وأن يرسل أربعة قروش نفقة الارسال

تنظيم دار العلوم

أصدر صاحب المعالي وزير المعارف قراراً باعتماد اللائحة الجديدة لتنظيم «دار العلوم» على منوال يكفل لها استقلالا شبيهاً بالاستقلال المكفول لكليات الجامعة، ويجعل الدراسة فيها تجري طبقاً للمبادئ الجامعية من حيث المحاضرات والبحوث

وتقضي هذه اللائحة بانشاء قسم إعدادي مدة الدراسة فيه سنتان. ويلتحق به الطلبة الذين أتموا دراسة السنة الثالثة للمعاهد الدينية الثانوية على أن يكون ذلك بامتحان مسابقة بين المتقدمين مع اختبارهم شخصياً

وسيلحق هؤلاء الطلبة بالقسم الداخلي لتهيئة جو صالح لتكوينهم

وسيدرسون إلى جانب العلوم العربية والشرعية طائفة من مواد الثقافة المدنية وهي الرياضة، وعلم الأحياء والعلوم، وإحدى

اللغات الأجنبية، والتاريخ ، والجغرافيا . فاذا انتهت مدة السنتين انتقلوا إلى «دار العلوم» فيقضون فيها خمس سنوات بدلا من أربع على أن تخصص السنة الخامسة لدراسة علوم التربية ومايتصل بها وقد نظمت هيئة التدريس على مثال هيئة التدريس بالجامعة تماماً

وقضت اللائحة بانشاء مجلس أساتذة له ما لمجالس الجامعة المصرية من اختصاصات

وكذلك أنشئ مجلس أعلى برياسة وكيل وزارة المعارف، وعضوية وكيل الوزارة المساعد ، وأقدم مراقبي التعليم العام ، وأحد أساتذة الأدب العربي بالجامعة ، وعضو من أعضاء المجمع الملكي للغة العربية ، وأستاذين من دار العلوم ، واثنين من خارج الوزارة والجامعة من المشتغلين بالأدب العربي، وقد منح هذا المجلس اختصاصات مماثلة لاختصاصات مجلس الجامعة ، وتعرض قراراته على وزير المعارف مباشرة ، وقد أطلق على ناظر الدار اسم « عميد دار العلوم » وأطلق على دبلومها اسم « اجازة دار العلوم » وستتخذ الوزارة الاجراءات لاذاعة نص اللائحة الجديدة وسيعمل بها ابتداء من العام الدراسي الجديد

كتاب حياة الرافعي

جاء في جريدة الأخبار البغدادية هذه الكلمة : جاءنا بتوقيع « أديب » ما يلي :

نظراً إلى أن الكثيرين من المراقبين يرغبون في اقتناء كتاب الرافعي تأليف الأستاذ محمد سعيد العريان ، ولما كان ثمنه قبل الطبع مائة فلس في مصر فاني رجاء إلى الأستاذ صاحب مجلة (الرسالة) الغراء أن يوعز إلى وكيل المجلة ببغداد بقبول الاشتراك في هذا الكتاب بزيادة عشرين فلساً أجرة البريد ، وحبذا لو أجابت الرسالة الغراء هذا الطلب

(الرسالة) : والرسالة تجيب عن رجاء الأديب بأن الاشتراك المخفض في هذا الكتاب يقبل من جميع أقطار العربية ولا يزيد على الاشتراك بمصر إلا أجرة البريد .



معلومات مدنيـــة

تأليف الأستاذ محمود العابدى

للسيد عبد اللطيف الصالح

مؤلف هذا الكتاب ناظر لإحدى المدارس الحكومية بفلسطين قد اتجه فى دراساته الخاصة نحو التاريخ العام فغدا مؤرخاً معروفاً فى فلسطين يقدم للنشء والمكتبة العربية ثمار بحوثه وغرس ثقافته، والأستاذ العابدي بمؤلفه « معلومات مدنية » أسدى لا للنشء فحسب بل للمعلم أيضاً خدمة جليلة، وقد قسم مؤلفه إلى ثلاثة أقسام، فجعل الأول لتاريخ المجتمع الانسانى وتنظيماته من العصور الحجرية إلى نشوء نظام السوفيت فى روسيا ويدخل فيه تنظيمات اليونان والرومان والعرب والقرون الوسطى والحكومات الأوروبية الحديثة . كل ذلك بتفصيل كاف عن حركة العمال فى العالم

والقسم الثانى منه جعله الأستاذ العابدي للمقابلة بين الحكومات فى انكلترا والولايات المتحدة وفرنسا وسويسرا والستعمرات وجمية الأمم ودوائرها ، وألم بهذه المواضع إلماماً مناسباً بحيث يخرج القاريُ من هذه الموضوعات ولديه فكرة تاريخية واضحة عن الاصطلاحات السياسية ، فقد وفى ذلك . قال المؤلف فى مقدمة الكتاب « وفى كل يوم ترد الصحافة تعابير وكلمات كاجنة الانتدابات الدائمة ، ومجلس عصبة الأمم والحماية والانتداب وتقرير المصير والدستور والنقابات والسوفيت والبرلمان وحكومة الاتحاد والسكرتير العام والنائب العام، لا يعرف حقيقتها معرفة متوسطة . ومن النقص على شعب يعد نفسه للتقدم والنهوض أن تجهل أكثريته مثل هذه المعلومات الأساسية ، وهذا أول دافع دفعنى لوضع هذا الكتاب » وفى هذا القسم بحث مستفيض عن أهم إدارات الحكومة النافعة للشعب كالتعليم والصحة والبوليس وواجبات الفرد وحقوقه

والقسم الثالث من هذا الكتاب جعله الأستاذ العابدى لحكومة فلسطين فهو ضرورى لكل فلسطينى يريد أن يعرف كيف تدار بلاده، بل إن الاطلاع عليه ضرورة لكل عربى يؤمن بفكرة العروبة ولكل مسلم تهمه شئون الاسلام حتى يقف على حالة هذه البلاد التعسة التى هى الآن فى فورة دموية قد تجاهل صوتها قادة الرأى في الأقطار الاسلامية ، واكتفى بعضهم بقوله : « إنا نعطف على عرب فلسطين ونتمنى لهم الخير » كأن مثل هذه الجملة كافية لردع الانجليز عن هذه الذابح التى تغرق فيها بلاد هى مهبط الوحى الأمين ومهد الرسالة الربانية . نعم تناول المؤلف فى هذا القسم حكومة فلسطين بحيث يخرج منه القارئ وعنده فكرة صادقة عن كيفية الادارة فى هذا الشعب الدافع .

ولقد ظهر لي أثر مجلة « الرسالة » الغراء واضحاً فى هذا الكتاب فأستطيع أن أعده من ثمار غرس هذه المجلة العربية التى عم تناولها أبناء العروبة وانتشرت بين أبناء الضاد انتشاراً لا يدانيها فى ذلك مجلة أخرى ، ولقد أحسن المؤلف فى اقتباسه عن أساتذة هم أعلام ثقافات وعلوم كالأساتذة أحمد أمين ، وحافظ عفيفى باشا وساطع الحصري وأحمد سالم الخالدى وغيرهم، حتى جاء مؤلفه عصارة مركزة لأبحاثهم المتعلقة بموضوع كتابه

والذى يطالع كتاب « معلومات مدنية » يرى أنه يغلب على أسلوب الأستاذ العابدى الدقة فى التعبير مع وضوح وإبانة للغرض الذى يريده ، وقد يقرأ القارى فيه صفحة واحدة فيخرج منها بعلم قد لا تستوعبه صفحات كبيرة، وهذا آت من تمكن الأستاذ العابدى من مادة التاريخ ومن سعة اطلاعه فى نواحيها المختلفة .

ولا شك أن اتجاه المؤلف نحو الناحية التاريخية فى دراساته كان له أثر كبير فى قيمة هذا المؤلف فهو دائرة معارف نافعة تغنى به المكتبة العربية كما تغنى بغيره من مؤلفات عربية ثقافية أو اجتماعية

عبد اللطيف الصالح

مقاييس الكفاءة للاستقلال

تأليف الدكتور ولتر هولز رتشر

للأديب محمد فهمى عبد اللطيف

نشرت جامعة بيروت الأميركية هذا الكتاب القيم لمؤلفه الدكتور ولترهولز رتشر أستاذ العلوم السياسية فى تلك الجامعة ولاشك أن هذا الكتاب مما يهم العالم العربى الاطلاع عليه، لأنه يبسط قضية سياسية هى قضية العالم العربى بأسره، فقد تكلم فيه مؤلفه الفاضل عن مقاييس الكفاءة للاستقلال فى العراق وفى جزر الفليبين وفى الهند، ثم تكلم عن مقاييس الاعتراف بالدول الجديدة، ومقاييس الدخول فى عصبة الأمم، ثم ختم البحث بخاتمة حافلة بالاستنتاجات والمقارنات، جمع فيها أطراف الموضوع جمعاً يحصره في ذهن القارئ، ويقربه من نفسه وإدراكه

ولقد قدم المؤلف كتابه بمقدمة ضافية، أشار فيها إلى مقاييس الكفاءة للاستقلال كما كانت معتبرة فى الماضى، ثم تكلم عن المادة الثانية والعشرين من ميثاق عصبة الأمم فقال بأنها لم تشر بتاتاً إلى المقاييس أو إلى الطرق التى يمكن أن تقدر بها كفاءة الأمم للاستقلال بشؤونها ثم خلص من ذلك إلى توضيح النهج الذى انتهجه

ولقد جرى المؤلف فى حدود المعالم التى رسمها لنفسه فأجاد وأفاد، وأحسن كثيراً فى اختيار الأدلة التاريخية المتعلقة بالمقاييس الضرورية لاثبات الكفاءة للاستقلال، كما أحسن فى اقتباس الشواهد من التقريرات التى وضعتها اللجان التى قامت بعد الحرب للبحث فى حالة الامم التى هى تحت الانتداب أو التى تطمع فى الانتظام فى عصبة الأمم.

أما المقاييس التى لاقت القبول العام، والتى يمكن اعتبارها مقاييس صحيحة لكفاءة الاستقلال في نظر المؤلف فهى ترجع أولاً إلى وجود حكومة مستقرة يبرهن على استقرارها بمقدرتها على تسيير الشؤون الجوهرية فى الحكومة بصورة منظمة، وأن تكون قادرة على المحافظة على سلامة أراضيها وعلى الأمن العام فى البلاد كلها، وأن تكون لديها موارد مالية تسد حاجاتها الاعتيادية، كما يجب أن تكون لها القوانين والأنظمة القضائية التى تضمن العدل المطرد للجميع، ثم لا بد من رأى عام متحد يؤيد طلب الاستقلال.

ثانيا النية الصريحة على إتمام المسؤوليات والواجبات التى تفرضها العضوية فى عصبة الأمم، وهذه الواجبات تشمل صيانة الأقليات العنصرية واللغوية والدينية، وحماية مصالح الأجانب القضائية والمدنية والجنائية، ومنح حرية الضمير والعبادة وممارسة الأعمال ضمن نطاق المحافظة على الأمن العام والاخلاق والادارة ثم القيام بالعهود المالية المقطوعة باسمها ولمنفعتها بواسطة الدولة المنتدبة سابقاً واحترام كل نوع من الحقوق المكتسبة شرعياً فى ظل الانتداب

هذه هى المقاييس التى ارتضاها المؤلف والتى يجدها القارئ فى كتابه مشروحة شرحاً وافياً في أسلوب سهل مرسل قد يقع فيه بعض الأخطاء اللغوية والنحوية، ولكنها لا تنقص من قيمة الكتاب.

محمد فهمى عبد اللطيف



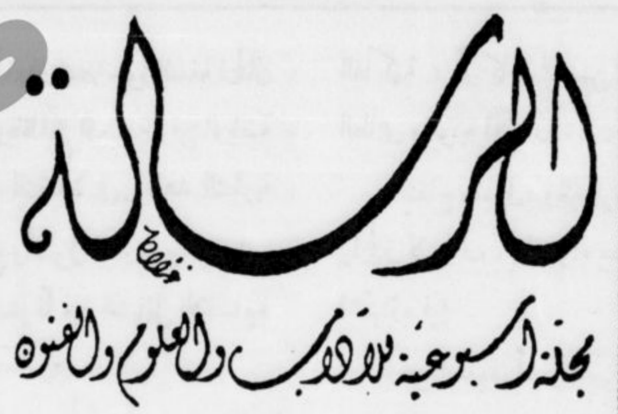
الرسالة
مجلة اسبوعية
والعلوم والفنون
العدد ٣٦٦
السنة السادس

6 me Année, No. 266

Lundi - 8 - 8 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الادارة



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العـــدد ٢٦٦ «القاهرة فى يوم الاثنين ١٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٧ — ٨ أغسطس سنة ١٩٣٨» السنة السادسة

الفهـــرس

بقيـــــة المذهب

للأستاذ عباس محمود العقاد

فى مقالى السابق «قنطار ثمين» قلت رأيي فى الجسم الجميل وهو «الجسم الذى لا فضول فيه، والجسم الذى تراه فيخيل إليك أن كل عضو فيه يحمل نفسه، غير محمول على سواه»

ومن الواجب فى هذا المقال أن أذكر أن الجسم الجميل غير الجسم اللذيذ وغير الجسم الصحيح وغير الجسم القوى وغير الجسم النافع، لأن الجسم قد يكون نافعاً أو قوياً أو صحيحاً أو لذيذاً، وهو فى كل ذلك غير جميل

قيل لبعض الحكماء: إن فلانة كبيرة البطن ضخمة الثدى فقال: «نعم، حتى تدفئ الضجيع وتروى الرضيع» ... فهذا وصف صادق للجسم النافع ولكنه لا يستلزم جمال الجسم الموصوف، كما يقال إن هذا الكساء يدفىء صاحبه و «يعيش» سنوات ولا يستلزم ذلك جماله فيما يكون به جمال الكساء

نعم ويجب أن نذكر للذين يخرجون من «درس الألفية» ليفصلوا فى مذاهب الجمال أن المرجع فى هذه الآراء لن يكون إلى أعرابى قضى حياته فى بادية جرداء وفى جاهلية عمياء، وإنما

يكون إلى أناس سلمت لهم محاسن الأذواق ودرسوا فلسفة الجمال وأصلحوا مثات من الأجسام الجميلة وفاقا لعلم الصحة وفن الرياضة البدنية وأساليب التحسين والتقويم المتخذة فى معاهد التطرية والتنسيق ، واستعانة بأصول التشريح وأصول التلوين والتظليل ، وتجارب التاريخ التى عرضت عليهم صنوفاً من الشمائل الانسانية فى كل أمة خلقها الله

***

لقد وصف بعض الأعراب نساء « محبوبات » فاستملحوا الضخامة ومدحوا الكسل وبطء الحراك، وافتتن أميرهم بمذارى قال فى وصفهن ما يقال فى وصف النيلان :

وظل المذارى يرتمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المفتل

نعوذ بالله !

فإن كان هـذا وأشباهه وصفاً لشئ فهو وصف للجسم الشهى أو الجسم اللذيذ ، وليس بوصف للجسم الجميل على اعتبار الجمال معنى من المعانى التى تقاس بالادراك ، كما يقاس معنى البيت البليغ ، ومعنى الصورة البارعة، ومعنى التمثال المتقن، ومعنى الخيال المجرد ، ومعنى الحلم البعيد

والرجال فى تفضيل الجسم الشهى أو الجسم اللذيذ مذهبان مختلفان:

رجل عنده عادة الاستحسان كمادة التدخين ، فهو يألف طرازاً واحداً من « المرأة » كما يألف المدخن لفيفته المعهودة ، فلا يغيرها ولو كان الخلاف بينها وبين غيرها كالخلاف بين علامة « الجمل » فى التبغ الأمريكى وعلامة « الخلطة السعيدة » وهما من أصل واحد

هذا الرجل إذا استحسن المرأة الطويلة لم تعجبه القصيرة ولو كانت لها ملاحة ونضارة ومتعة وحلاوة

وإذا استحسن السمراء لم تعجبه البيضاء ، أو استحسن بنت العشرين لم تعجبه بنت الثلاثين ، أو استحسن المصرية لم تعجبه الانجليزية أو الروسية ، وهما معجبتان

هذا مذهب

والمذهب الآخر مذهب رجل يستحسن النساء كما يستحسن الفاكهة ، أو كما يستحسن صحاف الطعام ، والمعول على صناعة الطاهى وغواية الألوان !

فالتفاح مقبول، والبرقوق كذلك مقبول ، والتين لا يرفض، والجبن لا يعاف ، والشواء مستطاب، والسمك المملح له وقت يجوز اشتهاؤه فيه

ومن المعقول أن يشتهى أعرابى من الأعراب امرأة سمينة موفورة الشحم واللحم قليلة الحركة نؤوم الضحى كما يقولون ، فإنما عاش الأعراب فى صحراء يسوّمون فيها الناقة بمقدار ما عليها من لحوم وشحوم ، ويكبرون فيهـا الأغنياء بمقدار ما يأكلون من سمن ولبن ودهون ، ويقال فيها إن فلاناً يملأ جوف امرأته بما يسمنها ويقعدها عن الحركة فيحسبون ذلك غاية العزة والفخار، وذروة النعمة واليسار

أما نحن فى عصرنا هـذا الذى تتحرك فيه المرأة لتلعب فى ميدان الكرة والصولجان إن لم تتحرك لتخدم نفسها وذويها فى بيتها ، والذى تعددت فيه مظاهر الغنى فلا يحسب فيه امتلاء الجوف بالطعام عنوان وفر وثراء ، ولا تحسب فيه الناقة ولا ألبانها « وحدة المعاملة » فى الأسواق . . .

أما نحن فى هذا العصر فما حاجتنا إلى اقتداء بذلك الأعرابى فيما استملح واستطاب ، ومالنا ولغيلانه وعذاراه ، أصلحه الله وأشبعه ورواه !

وما بالنا نقتدى به ولا نقتدى باخوانه الذين عرفوا ملاحة الهيف والرشاقة وتجملوا تارة بجمال الفطرة ، وتارة أخرى بجمال الحضارة ؟

أذكر أننى نظمت قصيدة فى شتاء أسوان يوم كانت تزدحم بالوافدين والوافدات من آفاق المغرب والمشرق ، فشببت فيها بالعين الزرقاء والشعر الأصفر والوجه الأزهر . . . فعابها ناقدون يقرأون الألفية ويحكمون على الآداب والفنون ومذاهب الجمال ، وقالوا : يارعاك الله ! متى كان الشعر الأصفر مما يستملح فى القصائد العربية ؟ ومتى كانت زرقة العينين مما يحمد فيه الغزل والتشبيه ؟

وكنت أقول لهم يومئذ : إننى إن زعمت أن حسان أوربا سود العيون والشعور كذبت على الحقيقة

وإن زعمت أنهن زرق العيون مذهبات الشعور ولكنهن

مائة صورة من الحياة

للأستاذ على الطنطاوى

١ — *مجرد*

لقيته فى مكتبة كان من عادتي أنى أرتادها كل يوم فألبث فيهـا ساعة أو نحوها كما يرتادها غيرى من المشتغلين بالأدب والواغلين عليه، ومن أهل العلم والأدعياء فيه، فيقلبون المكتبة إلى ناد أدبى، أو قاعة للجدل والمناظرة، فلا يكون حظ صاحبها المسكين من تجارته إلا الكلام، تمتلئ به أذناه، وجيبه من المال خال ... وهل عاش قط وراق على أديب؟ ومتى كان عند الأدباء مال حتى يشتروا؟ إن النـاس بين رجلين: رجل يحب الكتب ولكنه لا يجد ما يشتريها به، ورجل عنده مال ولكنه لا يحب الكتب. فيابؤس الوراقين بين هذين الرجلين!

لقيته ولم يكن لى شرف معرفته، فنسبوه إلىّ وعرفونى به:

دميات مجتويات كذبت على نفسى وعلى الله . . . فكيف تريدوننى أن أقول؟

صفعة على القفا، علمت الآن، أجدى فى مناقضة أولئك « الآدميين » من كل ذلك النقاش والحوار

***

قال ابن أبى ربيعة:

ولما تفاوضنا الحديث وأسفرت   وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا

وقال المثل المصرى: « من أعجبه جسمه عرّاه، ومن أعجبه صوته علاّه »

ورأينا نحن مصداق هذا وذاك على شاطئ الاسكندرية، ولا نزال نراه فى كل معرض جمال

فهنا لا تلبس المرأة شيئاً ولا تخلع شيئاً إلا لتبدى حسناً وتستر عيباً. وهنا بحر زاخر لمن ينظرون على مذهب التدخين، ومن ينظرون على مذهب الفاكهة والطعام، ومن ينظرون على مذهب الجسم الجميل كما بيناه، رفيعاً جداً فوق مذهب المدخنين ومذهب الآكلين، ورفيعاً جداً فوق مذهب الجسم النافع والجسم اللذيذ.

عباس محمود العقاد

(الأستاذ فلان) فقلت الكلمة التى يضطر فى النفاق الاجتماعى إليهـا: « تشرفنا » كأننا كنا قبل لقائه على غير شرف ... وانتظرت منه أن يتكلم لأضعه فى منزلته؛ وقديماً قال من لست أدرى من هو: « إنك لا تعرف منزلة الرجل حتى يتكلم، فإذا تكلم رفعته أو وضعته » أو ما هذا معناه فما أحفظ الكلمة على أصلها ... ولم يطل الرجل بحمد الله انتظارى، وراح يلقى كلاماً أقرّ على نفسى بأنى لم أفهم منه حرفاً، اللهم إلا كلمات تتردد فيه لها في أفرادها معان، وليس لهـا فى جملتها معنى، من أمثال: « الوعى الطبقى » و « التقدمية واللاتقدمية »، وطفق يسرد أسماء أفرنجية لها أول وليس لها آخر، ثم قفز قفزة إلى التاريخ، فعاب علينا أننا نكتب فى التاريخ، ونؤلف الكتب عن أبى بكر وعمر، وساق فى ذلك كلاماً على نحو كلامه الأول، ثم جاء بالطامة فقال بأن سورة (الناس) ليس فيها من بلاغة القول شىء، وزعم أن كاتباً من أبلغ كتاب العربية فى هذا العصر (ذهب مغفوراً له) قال: لو أن تلميذاً كتبها لى فى امتحانه لأعطيته الصفر[1] ...

فلم أعد أطيق على وقاحته وجهالته صبراً. وللمرء أن يتكلم فى الأدب أو فى النقد، ويطيل أو يقصر، ويعرض جهله أوعلمه، وسفاهته أو تهذيبه، فالناس يميزون الخبيث من الطيب ويعرفون الحق من المبطل؛ وما كل من قال كلاماً كان بليغاً، ولا كل من أمسك بقلم ونشر كلاماً فى مجلة، كان ناقداً أو كاتباً ... أما أن يتكلم امرؤ فى الدين بلا علم ولا هدى، وبغير بينة ولا دليل فلا ... ثم لا!

تركته يوقد نار حماسته فى كذبه، حتى إذا ظنها استحالت جمرة متقدة ألقيت عليها دلو ماء فقلت له:

— هل تسمح يا سيدى بسؤال: كيف عرفت أن سورة (الناس) ليس فيها من البلاغة شىء، مع أن علماء هذا الفن ومن هم المرجع فيه والحجة قالوا غير ما تقول؟

قال: لأن للبحترى شعراً لا شك (عندى) أنه أبلغ منها

قلت: أئن كان للبحترى شعر أبلغ من شعر المعرى مثلا كان شعر المعرى خالياً من البلاغة؟ ثم من قال لك إن شعر البحترى أبلغ من سورة الناس؟

---

(١) وذلك كذب على الكاتب رحمه الله، لأن من يقول هذه الكلمة لا يكون كاتبا ولا أديبا ولا شم رائحة الأدب ...

قال : لأن البلاغة فيه أظهر !

قلت : ما هي البلاغة (عندك) ؟

قال : هي أن يكون الكلام بليغاً ...

فكان الضحك عاماً مجلجلا !

***

ولقيت هذا المجدد كرة اخرى فلم يقل شيئاً ، لأنه قال كل ما يحفظ فى المرة الأولى ، ثم لم ألقه بعد أبداً !

٢ — أوربي

فلان ... من أسرة دمشقية أصيلة ، ولكنه أقام فى أوربة سنين عايش فيها القوم ، فظن أنه حين أساغ فى حلقه طعامهم ، وأدار فى فه لسانهم ، قد صب فى عروقه دماً من دمائهم ، ووضع فى رأسه دماغاً من أدمغتهم ، فاستقر فى رأسه أنه أوربي ولكن النطفة أخطأت طريقها فكانت شرقية فلما عاد من أوربة ودخل علينا — وكنا يومئذ تلاميذ وكان هو أستاذنا — استقبلناه استقبال التلاميذ المخلصين أستاذهم الذى غاب عنهم سنين بعد ما اتصل حبله بحبالهم وأحبوه وأحبهم ورحبنا به فنظر إلينا نظر المنكر ، وقلب شفتيه اشمئزازاً [1] ولوح بيديه على طريقة أهل باريس ، وقال لنا بالفرنسية (ما ترجمته بالحرف) :

— ما هذا ؟ أهكذا يكون الاستقبال ؟ إنكم يا أهل الشرق لا تتمدنون أبداً . ولقد رأيت اليوم ما كنت أسمعه ... فياليتنى لم أسافر إلى الشرق !

« دمشق » علي الطنطاوي

(١) وفى العربية كلمة (أدلم) إن اصطلح عليها دلت على هذا المعنى

في مصر الإسلامية

ســـــياسة العرب المالية في مصر

للدكتور حسن ابراهيم حسن

أستاذ التاريخ الاسلامى بكلية الآداب

كان الوالى يُعَيَّن من قبل الخليفة لينوب عنه فى حكم البلاد ، وهو الرئيس الأعلى للقضاء والصلاة والخراج والجند والشرطة وما إليها من مهام الدولة . وكان يستعين فى إدارة البلاد بطائفة من كبار الموظفين وأهمهم ثلاثة : عامل الخراج أو صاحب بيت المال ، والقاضى ، والقائد أو صاحب الشرطة . وكانت وظيفة الخراج أهم هذه الوظائف الثلاث

وكان الوالى يحتفظ بها لنفسه ؛ وربّما أسندها الخليفة إلى رجل من قبله فيعمل هذا مع الوالى جنباً إلى جنب : هذا يدير دفة السياسة. وذاك يتولى أعمال الدولة المالية . فكان بمثابة الرقيب على أعمال الوالي ، فكأنّ مصر إذ ذاك كان يحكمها واليان من قبل الخليفة مما أدى إلى تنازع السلطة والمنافسة بين الرجلين : وذلك مما يطلل قصر عهد الولاة وعمال الخراج ، وبهذا خسرت مصر تحت حكمهما أكثر مما كانت ترجوه من التقدم فى سبيل الاصلاح .

كان القضاء والصلاة من الأمور الجوهرية التى تناولها هذا التغيير فى النظم الادارية فى عهد الاسلام لارتباطهما ارتباطاً وثيقاً بالدين ، وهو مصدر الحكم فى الاسلام .

أما عن الخراج فقد سار عمرو بن العاص مع المصريين بمقتضى شروط الصلح من حيث تقسيم الجباية ومراعاة حال النيل فى النقصان والزيادة مما اضطره أحياناً إلى تأخير الخراج على الرغم مما اشتهر عن عمر بن الخطاب من التشدد فى دفعه . ذلك أن عمرا حين جبى خراج مصر فى السنة الأولى من ولايته عشرة ملايين دينار لم يعجب ذلك عُمر ، بل ولم يعجبه أيضاً ما كان من نقصان الخراج إلى اثني عشر مليوناً فى السنة التالية ، وذلك

لما بلغ الخليفة من أن الخراج وصل فى عهد المقوقس إلى عشرين مليوناً وأكثر ، وجعله بعض المؤرخين ٢٤٫٤٠٠٫٠٠٠ دينار فى عهد الفراعنة ، وبالغ بعضهم فجعله فى زمن الريان بن الوليد (وهو فرعون يوسف) ٩٠٫٠٠٠٫٠٠٠ دينار [١] ، فلا غرابة إذا عجب عمر من أن البلاد لا تؤدى نصف ما كانت تؤديه إن صح أن مصر كانت تؤدى هذا المقدار قبل الاسلام . على أن عُمر إنما أراد بتشدده وتمسكه أن يحلب البلاد حلباً ويقطع درها بخلاف ما كان يتوخاه عمرو بن العاص من مراعاة حال البلاد من شدة ورخاء [٢]

وقد لغط المؤرخون فى مقدار الخراج ، وقصره بعضهم على جزية الرءوس التى كان مفروضاً أداؤها على أهل الذمة من القبط وغيرهم لأن الخراج فى عهد الاسلام كان من ناحيتين (الأولى) الضرائب الشخصية المعروفة بالجزية أو جزية الرءوس (والثانية) ضرائب الأطيان ، ومجموع هذين يعرف بالخراج [٣]

على أن قصر بعض المؤرخين الخراج على جزية الرءوس مع خلطه يجعل الاهتداء إلى معرفة عدد سكان مصر وقت الفتح أمراً مستحيلاً ، ناهيك بما هنالك من الاختلاف الكبير بين روايتى ابن عبد الحكم (٢٧٦ هـ = ٨٧١ م) وهو أقدم مؤرخى مصر الاسلامية والبلاذرى (٢٩٠ هـ = ٨٩٢ م) وهو من معاصرى ابن عبد الحكم

وقد ذكر ابن عبد الحكم [٤] أن عدد من ضربت عليهم الجزية من المصريين فى عهد عمرو ثمانية ملايين [١] عدا الصبيان والنساء والشيوخ ، ولو بلغ عدد من ضربت عليهم الجزية رُبع سكان البلاد لكان أهل مصر طبقاً لهذا التقدير اثنين وثلاثين مليوناً من النفوس . وهذا بعيد التصديق ، إذ لو كان هذا العدد صحيحاً لبلغت جزية الرءوس وحدها ستة عشر مليون دينار وهو يخالف ما أجمع عليه المؤرخون من أن خراج مصر بنوعيه لم يزد فى السنة الأولى من ولاية عمرو على عشرة ملايين ، ولم يزد فى السنة التالية على اثنى عشر مليوناً . كذلك روى البلاذرى أن عمراً فرض على كل مصرى عدا النساء والصبيان والشيوخ دينارين فبلغ خراج مصر (بما فيه جزية الرءوس) مليونى دينار ، فاذا خصصنا لجزية الرءوس مليوناً اقتضى أن يكون عدد من فرضت عليهم الجزية خمسمائة ألف نسمة ، وعلى هذا القياس لا يزيد سكان مصر على مليونى نسمة

هذا ولم يكن للخراج نظام ثابت ، فكانت ضريبة الأطيان تقل وتكثر حسب الاهتمام بالتعمير وإصلاح الجسور والخلجان [٢] ونحوها ، كما أن جزية الرءوس كانت تتناقص بالتوالى لدخول أهل مصر فى الاسلام ، إما رغبة فى اعتناق هذا الدين ، أو فراراً من دفع الجزية . وقد رأى بعض العمال عدم دفع الجزية عمن أسلم . يدلك على ذلك كتاب والى مصر إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز يشكو إليه من أن الاسلام أضرّ بالجزية ويسأله أن يأمر بفرضها على من أسلم ، فما كان من عمر إلا أن كتب إليه كتابه المأثور ، وفيه يقول « ... فضع الجزية عمن أسلم — قبح الله رأيك — فان الله إنما بعث محمداً صلى الله عليه وسلم هادياً ، ولم يبعثه جابياً . ولعمرى لعمر أشقى من أن يدخل الناس كلهم فى الاسلام على يديه » ، وعلى الجملة فقد كانت سياسة الخلفاء ترمى إلى الاكثار من الخراج حتى إن بعضهم لم يأبه بما حلّ بالأهلين من شراهة العمال الذين عملوا على إرضاء الخليفة ، الذى كان رضاؤه متوقفاً

---

(١) نقل المقريزى (خطط ج ١ ص ٧٥) عن الشريف الحرانى أنه وجد فى بعض البرابى فى الصعيد عبارة باللغة القبطية نقلت إلى العربية ومنها يتضح أن الخراج بلغ فى عهد الريان بن الوليد ٢٤٫٤٠٠٫٠٠٠ دينار ، وهو أقرب إلى المعقول

(٢) أنظر المكاتبات التى دارت بين عمرو وعمر بشأن الخراج فى خطط المقريزى (ج ١ ص ٧٨ — ٧٩) على أن غضب عمر كان راجعاً أكثره إلى تأجيل عمرو إرسال الخراج إلى المدينة كما يظهر من قول عمرو « ولكن أهل الأرض استنظرونى إلى أن تدرك غلتهم »

(٣) شرح هذا يحيى بن سعيد الأنطاكى (٤٥٨ هـ ، ١٠٦٦ م) فى كتابه « ذيل التاريخ ، المجموع على التحقيق والتصديق » لمؤلفه أو شيخنا أو سعيد بن البطريق (٣٢٨ هـ = ٩٤٠ م) وزاد ابن سعيد فشرح النوع الثانى بأنه جزية جلة تكون على أهل القرية وهذا يعلل ما ذكره المقريزى (خطط ج ١ ص ٧٧) أن جزية الجلة كانت تؤخذ على أهل القرية من مزارعين وأرباب الحرف والصنائع

(٤) كتاب فتوح مصر ص ٧٨

---

(١) ذكر المؤرخ ستانلى لين بول أن هذا العدد هو ثمانية ملايين دينار واستدل منه على أن عدد من ضربت عليه جزية الرءوس بلغ أربعة ملايين (بفريضة دينار عن كل شخص) واستنبط أن سكان مصر فى ذلك الوقت كانوا ستة عشر مليون نسمة ، وهذا يخالف ما يقصده ابن عبد الحكم فى (فتوح البلدان ص ٢٢٣) الذي استقى منه لين بول هذه العبارة كما يظهر

(٢) كان إصلاح الجسور والخلجان مفروضاً على الأهالى ، وكان يقوم بذلك ١٢٠٫٠٠٠ نسمة لا يفترون عن العمل صيفاً ولا شتاء

حظى بالشيء ...

لأستاذ جليل

الرافعي ، المجمع اللغوى ، أزهرى المنصورة ، اليازجي ... ...

— ٣ —

ردّ الأستاذ الرافعي (رحمه الله) في (البلاغ ٢٨ شوال ١٣٥٢) على الأستاذ أزهرى المنصورة (البلاغ ٢٦ شوال ١٣٥٢) فقال :

« عاد الفاضل أزهرى المنصورة إلى هذا الفعل وجاءنا بدليلين آخرين من استعماله فتمت حججه أربعاً أحصاها هو بقوله : (١) — أوردنا بيت الحماسة .. (٢) — وجئنا بكلام الأساس .. (٣) — وجاء في نهج البلاغة : (وحظوا من الدنيا بما حظى به المترفون)

(٤) — وجاء في مقامات الحريري : (نهضا وقد حظيا بدينارين)

وعجيب جداً أننا لم نجد أحداً يتنبه إلى مدار الحجة أو يفطن إلى وجه النقد . على أننا أومأنا إلى شيء ، وعرضنا بشيء ، وقلنا : إن لهذا الفعل (حظى) تاريخاً اجتماعياً وأن هذا التاريخ هو الذي يمين للكلمة ظاهرها الظاهر وباطنها الباطن . وكان في هذا كاف أن يدرك من يدرك أن في اللغة ألفاظاً أخذت من معنى بعينه ، ولا يستعمل إلا فيما هو بسبب من هذا المعنى

أما بيت الحماسة فقد قلنا إن حظي فيه مضمنة معنى (ظفر) فهي هذه لا تلك وبطل الاستدلال بالبيت . ونقول مثل هذا في كلمة الحريري وإن كان الشريشي قد فسرها بمعنى (سعد) وهو المعنى العامي الذي شاع به الكلام في العصور المتأخرة . فيقولون : حظينا بلقاء فلان ، وحظينا بتشريف فلان . وأكثر ما كان هذا الاستعمال في البلاد التي يعسفها الحكم التركي ، ولهذا كانت فاشية في سوريا[1] حتى لا عامى ولا خاص، هناك إلا وهي في لسانه وبمخامة الجرائد

وأما كلام صاحب الأساس فقد قلنا إنه من دليلنا لا من دليل المجمع ونحن على هذا الرأي

وأما عبارة نهج البلاغة فهي الآن محل القول ، وسنرفع عليها مصباحاً من مصابيح علاء الدين ليتبين الأزهري والمجمع بنوره الساطع كيف وقعت (حظى) من العبارة في أحسن مواقعها ، وقامت في الكلام على رجليها لا على أصابعها !

يقول الامام : (وحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون) فالجملة الأولى مقيسة على الثانية في الاستعمال إذ الأصل هو ماحظى المترفون به ثم أخذت منه حظوة الآخرين الذين أشبهوهم : فباذا يحظى المترفون ومن هم ؟ جواب هذا في قوله تعالى : (واتّبع الذين ظلموا ما أُترِفوا فيه[2]) وقوله : (وأخذنا مُترفيهم

(١) قلت : جاءت (سـورية) في المطبوع في الجريدة بالالف وفي (القاموس) : « سورية مضمومة مخففة اسم للشام » وفي الطبرى ومعجم البلدان وتاريخ آداب العرب الصفحة ٣٥ للأستاذ الرافعي (رحمه الله) مثل ذلك

(٢) قلت : وبقية القول الكريم : (وكانوا مجرمين) وفي (الكشاف) : قرأ أبو عمرو : (واتبع الذين ظلموا) يعني واتبعوا جزاء ما أترفوا فيه — اتبع : على وزن افعل ، وبالبناء لما لم يسم فاعله — ويجوز أن يكون المعنى في القراءة المشهورة أنهم اتبعوا جزاء اترافهم ، وهـنا معنى قوى لتقدم الانجاء

على تأدية الخراج ، وعلى سدّ جشعهم في جمع الثروة الضخمة حتى لا تعوزهم الحاجة بعد عزلهم ، الذى كانوا يترقبونه في كل وقت ؛ مما أدى في كثير من الأحيان إلى انتقاض الأمة ، وقيام الثورات في عهد بني أمية وبني العباس . وليس أدلّ على عناية الخلفاء باكثار الخراج من أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح لما جبى خراج مصر وبلغ ١٤٫٠٠٠٫٠٠٠ دينار بعد أن جباه عمرو ١٢٫٠٠٠٫٠٠٠ دينار ، عيّر عثمان بن عفان عمرا بقوله : « إن اللقاح بعدك درّت ألبانها » فأجابه عمرو « .. لأنكم أعجفتموها » مما يدلّ على أن سياسة الخلفاء نحو جباية الخراج كانت تميل إلى الشدّة ، وعلى الأخص في عهد بني أمية وبني العباس ، على أن خراج هذه البلاد أخذ يقلّ بعد عمرو وابن أبي سرح حتى إنه لم يبلغ زمن الأمويين والعباسيين ثلاثة ملايين[1] إلا مرات معدودات حتى اضطر بعض الولاة إلى وضع الجزية على من أسلم

حسن ابراهيم حسن

(١) يظهر من أقوال المقريزى (خطط : ج ١ ص ٩٩ — ١٠٠) أن الخراج في هذه المدة كان جله — إن لم يكن كله — عبارة عن ضرائب الأطيان ، فقد بلغ في عهد هشام بن عبد الملك أربعة ملايين ، وفي خلافة سليمان بن عبد الملك اثنى عشر مليوناً ، وفي عهد ابن طولون أربعة ملايين و٣٠٠ ألف دينار، وبلغ في عهد خمارويه بن أحمد بن طولون أربعة ملايين

بالعذاب[1]) وقوله: (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا[2] مترفيها ففسقوا فيها، فحق عليها القول، فدمرناها تدميراً)

والآن فلنطفئ مصباح علاء الدين فان لم يكن المعنى الذى نرمى إليه قد انكشف ففى مقالة أخرى سنستعير مصباحاً كشافاً من الأسطول البريطانى »

قلت: فى هذا التفسير تمحّق، وهذه هي الجمل التى وردت قبل عبارة (الحظوة) وبعدها، وفيها البيان الكشاف:

« إن المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة، فشاركوا أهل الدنيا فى دنياهم، ولم يشاركهم أهل الدنيا فى آخرتهم، سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت، وأكلوها بأفضل ما أُكلت، فحظوا من الدنيا بمـا حظى به المترفون، وأخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبرون، ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ والمتجر الرابح، أصابوا لذة زهد الدنيا فى دنياهم، وتيقنوا أنهم جيران الله غداً فى آخرتهم[3] »

وقال الأستاذ الرافعى (رحمه الله: « ثم قال الأزهري: لم يقل أحد قولا فى (حظى بالشىء) إلا العلامة الشيخ ابراهيم اليازجى فى هذا الزمان، ثم ذكر انتقاد اليازجى استعمال شاعرنا حافظ ابرهيم فى ترجمة البؤساء قال: (فلاقاه بعد أيام حجة الاسلام السيد رشيد رضا فقال له — وقد سمعنا قوله — يا شيخ يا شيخ إن الذى خطأته من كلام حافظ ابرهيم هو فى أول صحيح البخارى قال: فبهت الشيخ وترك السيد وهو كاسف البال)

(١) هذا هو المطبوع في الجريدة والآية الكريمة: « حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذاهم يجأرون »

(٢) (أمرناهم) من الأمر، وقيل: أمر مثل آمر أى كثر أوأكثر، وقرئ: أمرناهم — بتشديد الميم أي جعلناهم امراء وسلطناهم

(٣) قال شارح النهج (ابن أبى الحديد): « ثم ذكر حال الزهاد فقال: أخذوا من الدنيا بنصيب قوى، وجعلت لهم الآخرة. ويروى أن الفضل بن عياض كان هو ورفيق له فى بعض الصحارى فأكلا كسرة يابسة، واغترفا بأيديهما ماء من بعض الغدران، وقام الفضيل فخط رجليه فى الماء، فوجد برده، فالتذبه وبالحال التى هو فيها. فقال لرفيقه: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من العيش واللذة لحسدونا »

ولسيد المصريين وإمام المسلمين (الشيخ محمد عبده) — رضى الله عنه — في شرح قول النهج كلام حسن: « إن المتقى يؤدى حق الله وحقوق العباد، ويتلذذ بما أتاه الله من النعمة، وينفق ما له فيما يرفع شأنه، ويعلى كلمته، فيعيش سعيداً مترفا كما عاش الجبابرة ثم ينقلب بالزاد وهو الأجر الذى يبلغه سعادة الآخرة جزاء على رعاية حق نفسه ومنفعتها الصحيحة فيما أوتي من الدنيا، وهو بهذا يكون زاهدا فى الدنيا وهى مغدقة عليه

وترى ما الذى فهم القراء من هذا؟ وما هو الذى يُعد من كلام حافظ ابراهيم وفى صحيح البخارى فى وقت معا؟

لا بأس أن نفيد قراء (البلاغ) فائدة وأن نصحح لحضرة أزهرى، فان اليازجى لم ينتقد (حظى بالشىء) كما يزعم، وإنما انتقد استعمال المصدر قال: (ويقولون الحظوى وإنما هى الحظوة) بالهاء ولم يزد على ذلك. ومما أخذ به حافظ فى ترجمة البؤساء أنه يتكلف فى الاستعمال وعد من ذلك قوله: (كأنى أسمع صوتا يقطر منه الدم) قال: وقطران الدم من الصوت مما لا تأنس به الأفهام. وهذه هى العبارة الواردة فى البخارى ولكن حافظ (رحمه الله) لم يأخذها من البخارى وإنما سلخها من (الأغاني) وقد سار[1] شيطانه بعد انتقاد اليازجى، فلقى بعض أصدقائه فقال له بالحرف: (اليازجى غير مطلع فى العربية)

قال الصديق: ولماذا؟

قال: انه عاب علىّ: (اسمع صوتا يقطر منه الدم) مع أن العبارة فى الأغانى

قال صديقه: ياحافظ، اتق الله، لأن يقول الشيخ: إن فى العبارة مجازا بعيـدا خير لك من أن يقول: انك سرقتها من الأغانى ...

أما هل أخطأ اليازجى أو حافظ فهذا كلام آخر)

قلت: ومما نقده الشيخ اليازجى في (البؤساء): « فخرجت ربة المنزل بالصمت عن لا ونعم أى لم تقل لا ولا نعم، ومن هذا القبيل: أحمل له ضبّ الضغن. على أن الضب والضغن شىء واحد وكلاهما بمعنى الحقد »

ولم يحك لنا (صديق حافظ) قوله فى نقـد اليازجى هاتين العبارتين فحالهما كحال ذاك (الصوت) والقياس يدل أن هناك ثورة وسورة وقولا ...

وقد غزا حافظ فى الأولى بشارا:

لم يطل ليلى ولكن لم أنم ... ونفى عنى الكرى طيفٌ ألم

وإذا قلت لها: جودى لنـا ... خرجت بالصمت عن لا ونعم

وأغار فى الثانية على ربيعة بن مقروم:

وكم من حامل لى ضبّ ضغن ... بعيد قلبه، حلو اللسان

(١) سار: غضب، السورة:: الحدة (المصباح) ومن المجاز: سار الشراب فى راسه (الأساس)

قال التبريزى فى (شرح الحماسة) : « الضب الحقد . وأضافه إلى الضغن لأن الضغن العسر ، [١] فكأنه حقد عسر » وغزوات حافظ البريطانية الايطالية الفرنسية ... وغاراته التركية ... فى (بؤسائه ولياليه) تخبرنا أنه خليفة سعيد بن حميد فى هذا العصر

قال ابن النديم فى (الفهرست) : « سعيد بن حميد كاتب شاعر مترسل عذب الألفاظ ، مقدم في صناعته ، جيد التناول للسرقة كثير الاغارة . لو قيل لكلام سعيد وشعره : ارجع إلى أهلك لما بقى معه شيء [٢] »

***

ومن نقد (البؤساء) لليازجى : « استعماله (البرهة) للزمن القصير [٣] و (باهت اللون [٤]) بمعنى كمده و (تبقى عليه كذا [٥]) أى تبقي و (ألم تعثر فى طريقك أيها الراهب بغلام [٦]) والمنصوص عليه فى هذا المعنى عثر عليه لا به ، وبقيت (تقضقض) من البرد أى تقفقف [٧] ، ولم يجىء قضقض بهذا المعنى »

قلت : قضقض الشيء فتقضقض كسره فتكسر ، والقضقضة صوت كسر العظام ، وفى شعر أبى تمام :

طلبُ المجد يورث المرء خبلا وهموماً تقضقض الحيزوما

وفى حديث صفية بنت عبد المطلب : (فأطل علينا يهودى ، فقمت إليه فضربت رأسه بالسيف ، ثم رميت به عليهم ، فتقضقضوا) أى انكسروا وتفرقوا كما فى النهاية

وفى ذاك (النقد) : « ولمحتُ بأحد نخذيك (فدعا) والفدع يكون فى القدم لا فى الفخذ ، وهو أن يموج الرسغ حتى تنقلب القدم إلى إنسيها ، [١] وقيل : هو أن يمشى على ظهر القدم »

قلت : أكثر ما يكون الفدع فى الرسغ من اليد والقدم ، وفي (اللسان) : « الفدع عوج وميل فى المفاصل كلها خلقة أو داء كأن المفاصل قد زالت عن مواضعها ، لا يستطاع بسطها معه »

ومن ذاك (النقد : « عولت على مغادرة ابنتى : أى أجمعت وصممت ، وليس هذا معنى اللفظة ، ولكن يقال . عوّل عليه بمعنى اتكل »

قلت : فى (الجمهرة) : عوّل عليّ بما شئت أى حلني ما شئت من ثقلك ، وفى (الصحاح) : عول على بما شئت أى استعن بي ومثل هذا فى (اللسان والاساس) وفى (الأساس) : « ويقال : عول على السفر إذا وطّن نفسه عليه » وقول حافظ يضارعه . وفى الرابعة والثلاثين من المقامات الحريرية : « قال : أتدرى لمَ أعولت ، وعلام عوّلت ؟ » وقد فسر بعض الشراح عول بمعنى عزم واعتمد ، وهو مقصود ابن الحريرى ، ولم ينقد ابن الخشاب هذه اللفظة . وفسر الشريشى عول بمعنى اتكل ، وعبارة المقامة لا تعنى الاتكال

ونقد اليازجى « النجمة للنجم »

قلت : النجمة ضرب من النبت كما فى (الصحاح) والنجمة الكلمة ، ولم أجد النجمة للنجم فى المعجمات المعروفة المطبوعة . غير أنى قرأت فى (التاج) فى مستدركه : « ونجمة الصبح فرس نجيب » ورأيت فى (أقرب الموارد) : « النجمة النجم وهى أخص منه » وقد جاء هذا بعد تفسير : (علم النجوم ، نجوم الأخذ ، فلان ينظر فى النجوم) فغير العارف يظن أن النجمة مثل النجم . والأصل لما فى (أقرب الموارد) هو فى (النهاية) : « ومنه حديث جرير : بين نخلة وضالة ونجمة وأثلة . النجمة أخص من النجم وكأنها واحدته كنبتة ونبت » وروى (اللسان) هذا الكلام ، فنقل صاحب (أقرب الموارد) منقوله ، ورتبه كما رتّب ليضل من يطالع معجمه . والشيخ سعيد الشرتونى فاضل كبير ، وله مصنفات حسنة ، ومقالات متقنة ، لكن معجمه (أقرب الموارد) لا يوثق به ، فقد تكردست فيه الأغلاط تكردسا

الاسكندرية (***)

---

(١) فى (اللسان) : ضغن الدابة عسرها والتواؤها . وفى (الأساس) : وقناة ذات ضغن : فيها اعوجاج والتواء

(٢) وفى (الفهرست) : كان يدعى أنه من أولاد ملوك الفرس ، وله من الكتب كتاب انتصاف العجم من العرب ويعرف بالتسوية ، كتاب ديوان رسائله ، كتاب ديوان شعره

(٣) قلت : فى (الصحاح) : أتت عليه برهة من الدهر أى مدة طويلة من الزمان

(٤) قلت : الباهت من البهتان أو من بهت — كنصر وكرم وعلم — بمعنى دهش وهو غير فصيح . والفصيح بهت — بالبناء لما لم يسم فاعله — فهو مبهوت . ولا يقال باهت ولا بهيت كما فى الصحاح

(٥) قلت : فى (الاساس) تبقاه بمعنى استبقاه

(٦) قلت : فى (اللسان) : عثر على الأمر اطلع وأعثرته عليه أطلعته وفى (الصحاح) : وعثر به فرسه فسقط وعثر عليه أيضاً، وفى (الأساس) وعثر الزمان به ، وعثر فى كلامه وتعثر

(٧) قلت : فى (النهاية) : فى حديث سهل بن حنيف : فأخذته قفقفة أى رعدة ، يقال . تقفقف من البرد إذا انضم وارتعد

---

(١) قلت : فى (الصحاح) : قال الاصمعى : كل اثنين من الانسان مثل الساعدين والزندين والقدمين فما أقبل منهما على الانسان فهو انسى ، وما أدبر عنه فهو وحشى

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ – ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ٣٤ —

مقالاته للرسالة (٥)

لم تكن قصة « بنت الباشا » هي آخر حديثه عن الزواج ، وإن كانت آخرما أنشأ في هذا الموضوع بخصوصه ؛ ثم بقي عنده طائفة من المعاني والخواطر في موضوع الزواج والمرأة جاءت مبعثرة في طائفة من المقالات من بعد ؛ ومنها مقالة (احذري) وهي قصيدة من النثر الشعري مترجمة عن الملك ، تقع منزلتها بازاء القصيدة المترجمة عن الشيطان في مقالة (لحوم البحر)

وكان الرافعي في هذه الفترة قد اصطنع مودة بينه وبين طائفة من الشباب اللاهين ، كانت تجمعهم قهوة (لمنوس) في طنطا للعبث واللهو والمجانة ؛ فتألفهم بالنادرة والفكاهة ليجمعهم إليه فيستمع إلى أحاديثهم في شئون المرأة والزواج ؛ وقد قدَّمت القول في بعض ما سبق من هذه الفصول بأن ذهن الرافعي كان سريع الالتفات إلى معاني المرأة ، وكانت أعصابه قوية الانفعال بحديث النساء ، حتى لتراه وهو يستمع إلى محدِّثه إذ يتحدث عن الحب والمرأة كأنما يخيل إليه أنه يرى قصة ما يسمع ، وأنه يشهد حادثة لاحديثا ؛ ثم يزيِّن له خياله ما يزين فيضيف من وهمه إلى ما سمع مالم يسمع ؛ فتراه كما ترى الفتى المراهق : يجد حديث الغزل والحب حريقا في دمه وثورة في أعصابه لا حديثا في أذنيه . . . فيستزيد مما يسمع وهو صاغٍ ملذوذ ؛ فيحمل محدثه بذلك على الاطناب والاسترسال حتى ينفض جملة ما في نفسه من رواية الواقع أو مبتدعات الخيال ... !

وعلى شدة احساس الرافعي بمعاني (الجنس) إلى هذا الحد ، فانه بإيمانه وخلقه وتديُّنه واعتصامه بالوحدة ، كان قليل الخبرة ضئيل المعارف في هذا الباب : فكان له علم جديد في كل مايسمع من هؤلاء الفتيان من قصص ما بين الشبان والشابات من ناشئة هذا الجيل ؛ وكان هذا العلم الجديد يسرع به إلى سوء الظن بكل فتى وكل فتاة ، وكان من هذا الظن مذهبه الاجتماعي الذي يعرفه القراء .

من أحاديث هؤلاء الفتيان ، كان إليه وحي المعاني في قصيدة « احذري » ؛ كما كانت توحي إليه حوادث بعض الصحف وأحاديث بعض المجلات بكثير من المعاني وكثير من الموضوعات ؛ إذ كان يحرص على أن يقرأ كل ما تنشره الصحف والمجلات من أحاديث الهوى والشباب ومصارع الأخلاق .

***

وكان الرافعي يختلف في طنطا إلى بيوت طائفة من مهاجرة لبنان كان بينه وبينهم صداقة ومودة ؛ فكان يزورهم بين أهليهم ، فيكرمونه ويتسمون له ويحفون به ؛ والرافعي محدِّث لبق ظريف المسامرة ؛ فكانت مجالسه هناك تطول ساعات يتحدث إليهم ويتحدثون إليه . وفي بيوت المتمصرين من أهل لبنان عادات غير ما نعرف في بيوتنا ، فكان الرافعي يجد هنالك جواً يوحي إليه ويمده بعلم جديد ...

وأنا لم أصحب الرافعي في طنطا إلى (زيارة مصرية) إلا فيما ندر ، على أني كثيراً ما كنت أصحبه في تلك الزيارات ... !

وأعترف بأن الرافعي لم يكن يقصد إلى زيارة أصدقائه هؤلاء لغرض مما يتزاور من أجله الأصدقاء ، ولكنها كانت زيارات يقصد بها إلى معنى مما يتصل بفنه وأدبه ؛ وأحسب أن كثيراً ممن كان يزورهم ويزورهن كن يعرفن له ذلك فيهيئن له أسبابه وكثير من نساء لبنان أحفل بالأدب من رجال في مصر

وقد صحبته مرة إلى زيارة أسرة الآنسة ق ، وهي فتاة ذكية من أهل الفن والأدب ؛ وقد ألحَّ عليَّ يومئذ إلحاحاً شديداً أن أصحبه ، ولم أكن أعلم ما يقصد إليه بهذه الزيارة إلا أن تكون

تسلية بريئة ومتاعاً من متاع أهل الفن

وكنت فى ذلك اليوم صانعاً أغنية عامية فى معنى من معانى الشباب تعبر عن حال من حالى فى تلك الفترة ، ودفعتها إلي الرافعى لينظر فيها ؛ فلما قرأها طواها وجعلها فى جيبه ...

... وصحبت الرافعي إلى حيث يريد ، فاستقبلتنا الفتاة وأمها وشاب من قرابتها ، ثم لم يكد يستقر بنا المجلس ، وأهل الدار حافون بنا يبالغون فى إكرامنا ، حتى أخرج الرافعى الورقة من جيبه فدفعها إلى الفتاة ...

وقرأت الفتاة الأغنية ، ثم ردتها إلى الرافعى وهى تقول : « جميل ... شعر عاشق ! »

قال الرافعى وهو يشير إلىّ مبتسما : « إنها أغنيته ! »

قالت : « إيه ... ! أعاشق هو ! »

قال الرافعى : « نعم ! ... ومن أجلك صنع هذه الأغنية ! »

ومضت فترة صمت ، وصبغت حمرة الخجل وجه الفتاة ، وتولتنى الدهشة مما سمعت فما استطعت الكلام ، ونظر الرافعى إلىّ نظرة طويلة لم أفهمها ، وكان بى من الحياء أضعاف ما بالفتاة ... وكانت دعابة غير مألوفة ولا منتظرة ، أوقعتنى فى كثير من الحيرة والارتباك ...

وقطعت الأم هذا الصمت الثقيل قائلة : « أغنية رقيقة ! »

وردد الشاب صدى صوتها يقول : « ... رقيقة ! »

وثبتُّ فى مكانى لا أتحرك ، لا أرى أمامى غير تلك الابتسامة الغامضة على شفتى الرافعى ...

ثم نهضت الفتاة إلي الغرفة الثانية وعادت بطبق الحلوى فقدمته إلىّ ؛ ثم إلى الرافعى ؛ واتخذت مجلسها إلى جانبي ... وعاد الحديث ألواناً وأفانين بين الجماعة وأنا صامت فى مجلسى لا أكاد أفهم ما يدور حولى من الحديث !

وجعلت أسائل نفسى وأكاد أنشق غيظاً : « ترى ما ذا حمل الرافعى على هذا القول ... ؟ »

فلما انفض المجلس وخرجنا إلى الطريق نظرت إلى الرافعى مغضباً أسأله جلاء السر ، فضحك ملء فمه وهو يقول : « قصة طريفة ... » لقد عقدنا العقدة فانظر فى طريقة للحل ... سيكون فصلا أدبياً ممتعاً ياشيخ سعيد ، تكون أنت مؤلفه وعلىّ أن أرويه ؛ لقد سئمنا الخيال فالتمسناك وسيلة إلى الحقيقة ... ! »

وغاظنى حديث الرافعى أكثر مما غاظنى الذى كان منه فتمردت عليه ، ولكن الرافعى عاد يضحك ويقول : « أتراك — إن أبيت — تستطيع أن تمنع نفسك الفكر فيها وأن تمنعها ؟ لقد بدأت القصة فما بدٌّ من أن تكون لها خاتمة ! »

وضقتُ بهذه الدعابة وثارت نفسى فأخشنتُ القول ؛ فزاد به الضحك وهو يقول : « وهذه الثورة أيضاً هى حادثة من فصول هذه الرواية ... ! »

وأعدانى مرح الرافعي وانبساطه فضحكت ، ثم لم أجد للجدال فائدة فسكتُّ على غيظ ضاحك . ولقيتُ الفتاة بعدها مرتين فتناسيت ما كان ولم أسأل نفسى عن شىء من خبرها ...

ومضى زمان ، ثم جاءنى الرافعى يوماً يقول : « إن بينك وبين صديقنا الأديب ج لشيئاً ؟ » قلت : « ماذا ؟ »

قال : « أحسبه يغار منك على خطيبته الآنسة ق ؛ فانه ليعلم أن بينكما عاطفة ... ! »

وقال لى ع الذى صارت ابنته في دارى من بعد : « أتراك كنت مع الرافعى أمس فى زيارة فلانة ؟ » فتوجست من سؤاله شيئاً ...

وكادت تكون قصة كما أراد الرافعى ولكنى حسمت أسبابها فراراً بنفسى !

***

... من مثل هذه الحادثة كان يلتمس الرافعى موضوعاته ويبدع معانيه فى المرأة والحب والزواج ومشا كل الأسرة ؛ ومن هذه المجالس التى كان يصطنعها أو يسعى إليها ويهيئ أسبابها ، كانت تنجلى له الفكرة ويومض الخاطر وتتشقق المعانى ؛ ومن هذا الجوّ زخرت نفسه بالعواطف النابضة التى ألهمته من بعد أن ينشئ ما أنشأ من القصص لقراء الرسالة ، ومنها كانت قصص الأجنبية ، وسمو الحب ، والله أكبر ، واليمامتان ، وغيرها . وما أعنى أن ذلك كان يملى عليه القصة والموضوع ، إنما كان يمده بالمعانى والخواطر حتى يملأ نفسه ويوقظ حسه ؛ فما تزال هذه

الخواطر والأفكار مضمرة فى الواعية تربد وتتوالد وينضم شىء منها إلى شىء حتى يأتى وقتها ؛ فاذا همّ بموضوع مما يتصل بهذه الخواطر المضمرة انثالت عليه المعانى انثيالا حتى يتم الموضوع تمامه على ما يريد

***

ولما قص الرافعى قصة « الأجنبية » وحكى حكايتها على لسان ولده الدكتور محمد ، أحس بالتعب والملل ، وراجع ما كان من عمله فى الأشهر الستة الماضية منذ بدأ يعمل فى الرسالة ، وما عاد عليه ؛ فضاقت نفسه وبرمت به ، وأحس فى نفسه شعوراً جديداً ليس له به عهد ، وقال لنفسه وقالت له ، وثقل جسمه فى الفراش بما يحمل فى صدره من هم وما يضنى جسده من علة ؛ وخفت روحه إلى سماواتهـا ، وتنازعته قوتان ... وهم أن يكتب إلى الأستاذ صاحب الرسالة ليعفيه من الاستمرار فى العمل ... وطال الحديث بينه وبين نفسه فأرّقه ليلة ...

وتركته وروّحت إلى دارى وهو شاك متبرم بنكر موضعه من الحياة ومكانه بين أهل الأدب . فلما كان عصر اليوم التالى دعانى ليملى علىّ « قلت لنفسى ... وقالت لى ... »

من أراد أن يعرف الرافعى العرفان الحق ، فليقرأ هذا الحديث يعرف نفسه الصريحة على فطرتها ؛ ثم يعرف مذهبه فى الأدب وهدفه فى الحياة .

إن غاية ما ينشده الباحث عندما يهم بالبحث فى حياة إنسان له أثر فى تاريخ الحياة أو تاريخ الأدب ، أن يعرف مضمر نفسه من ثنايا أعمـاله أو من حديث معاصريه ؛ وإنه مع ذلك ليخطئ أو يصيب سبيل المعرفة ، ولـكن ها هنا إنسانا يتحدث عن نفسه وتتحدث نفسه إليه ، حديثا كله صدق لا اختراع فيه ولا تزوير ولا سبيل فيه إلى الخطأ

وأشهد أنى رأيته قبل أن يملى علىّ الحـديث وأن فى وجهه لمانيه قبل أن يكون كلاما ؛ فما رأيته ورأيت حديثه من بعـد إلا كما تصور معركة فى حكاية وصف : هذه هى هـذه ، وكانت حركات صامتة فصارت عبارة ناطقة .

وأ كثر معانيه فى هـذا الحديث قديم فى نفسه ؛ وقد نظم شيئا منهـا قبل ذلك بسنتين أو ثلاث فى قصيدة نشرها فى مجلة المقتطف

... وكما تثوب إلى المحزون نفسه إذا صرح بشكاته إلى صاحب سره ، هدأت نفس الرافعى بعد إملاء هذا المقال وثاب إلى الطمأنينة والرضى ، وكأنما نفض همومه وأحزانه فى هذه الكلمات وكانت تثقل رأسه ؛ أو كأنما كان يستمع إلى مداولة الرأى فى محكمة الضميرين نفسه وهواه ، فما هو إلا أن استوعب ما قال وقالت حتى اطمأنت نفسه إلى الحكم الأخير ، وانتصرت الروح السامية على ما كان ينازعها من أهواء البشرية ...

ثم كان هلال رمضان فأنشأ مقالة « شهر للثورة » وهى السابعة مما أنشأ من المقالات الدينية لقراء الرسالة

« سيدى بشر » محمد سعيد العريان

جورجياس

او البيان

لافلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

- ٧ -

(تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجل محاوراته وأ كلها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة !)

« رينوفييه »

«إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائماً وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »
٢ — جورجياس : السفسطائي : « ج »
٣ — شيريفين : تلميذ سقراط : « سه »
٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »
٥ — كاليكليس : الأثيني : « ك »[1]

ط — (مخاطباً جورجياس) وقد قلت زيادة على ذلك أن الخطيب يولد من الاعتقاد فيما ينفع الجسد أ كثر مما يولد الطبيب ! ؟

ج — نعم . قلت هذا ولو أن عمل الخطيب يختص بالجمهور !

ط — وتقصد بالجمهور الجهلة من غير شك لأنه واضح أن الخطيب لا يفضُل الطبيب أمام جمع من المتعلمين ؟ !

ج — إنك تقول حقاً !

ط — وما دام الخطيب أجدر بالإقناع من الطبيب فهو أجدر به أيضاً من العارف ؟ !

ج — بلا شك !

ط — حتى ولو كان هو فى نفسه غير طبيب ، أليس كذلك ؟

ج — بلى

ط — ولكن واضح أن ذلك الذى هو ليس من الطبيب فى شئ يجهل الأشياء التى يحذق علمها الطبيب ؟ !

ج — نعم — هذا واضح —

ط — وهكذا يصبح الجاهل أقدر من العالم على إقناع الجهلة فى اللحظة التى يصبح فيها الخطيب أليق للإقناع من الطبيب ؟ أليس ذلك معقولاً ؟ أم ترى عندك شيء آخر ؟

ج — كلا ، فهذا هو الذى يحدث فى هذه اللحظة

ط — وهذه الخاصة التى يمتاز بها الخطيب وفنه : أليست واحدة بالنسبة للفنون الأخرى ؟ أعنى ليس ضرورياً أن يعنى رجل البيان بطبيعة الأشياء ، وحسبه أن يلتمس طريقة ما للاقناع بحيث يبدو فى عين الجهلة من الناس كما لو كان أ كثر علماً من أولئك الذين يجيدون هذه الفنون ؟

ج — أليس جميلاً يا سقراط ألا نكون محتاجين إلى تعلم فن آخر غير ذلك الفن الذى لا ينبغى أن نتنازل عنه قط لأى محترف آخر ؟

ط — سنبحث حالا فيما إذا كان الخطيب يتنازل عنه من هذه الناحية للغير أو لا يتنازل حسبما يتطلب الموضوع . ولكن لننظر أولاً فيما إذا كان الخطيب يستطيع إزاء الحق والباطل ، والجمال والقبح ، والخير والشر : أن يكون كما يكون بالنسبة لما يجلب الصحة ولموضوعات الفنون الأخرى ، بحيث يجهل ما هو الخير وما هو الشر ، وما هو الجمال ، وما هو القبح ، وما هو الحق ، وما هو الباطل ، ولكنه يتخيل مع ذلك وسيلة للإقناع بهذه الموضوعات ، ويبدو فى عين الجهلة كما لو كان أ كثر علماً من العلماء ، بينما هو نفسه جاهل خاوى الوفاض ! أو فلنزَ بالأحرى إذا كان لازماً وضرورياً لمن يريد أن يدرس البيان أن يبحث عن كل هذا ويمهر فيه قبل أن يتلقى دروسك ؛ أم أنك — وأنت أستاذ البيان — سوف لا تعلم شيئاً من كل هذه الأشياء إذا

(١) رأينا فى العدد الماضى كيف رحب سقراط بالنقد ، وكيف حمل جورجياس على أن يعود للمناقشة فى موضوع البيان على أساس النقد الحر . ثم رأينا كيف انتهت المحاورة هناك بادعاء جورجياس أنه يستطيع أن يجعل من تلاميذه خطباء قادرين على الكلام أمام الناس فى موضوع العدل والظلم ليقنعوهم بآرائهم الخاطئ منها والصائب . وسنرى اليوم كيف يلوك سقراط تلك الدعوى ثم يقذف بها فى وجه صاحبها فاذا هى مجموعة من المتناقضات ! !

« المعرب »

لم يك لديه معرفة بها لأن هذا ليس من شأنك ؛ وأنك فقط ستسلك معه — فى هذه الحال — سلوكاً يجعله يبدو كما لو كان عارفاً بها ، ويخلع عليه الخير دون أن يكون رجل خير بالفعل ! أم « لا هـذا ولا ذاك »[1] لأنك سوف لا تستطيع أن تعلمه البيان مطلقاً قبل أن يعرف الحقيقة المتصلة بهذه الموضوعات على الأقل ؟ فماذا ترى فى هذا يا جورجياس ؟ وهل ترى — وحق جوبتير — أننا نتقدم فى خواص البيان كما وعدت أنت منذ لحظة ؟

ج — أرى يا سقراط أنه عندما لا يكون لديه شىء عن كل هذه الموضوعات فإنه يستطيع أن يتعلمه منى !

ط — أرجو أن تقف هنا فإن إجابتك حسنة للغاية ! ألكيما تستطيع أن تجعل من أحد الناس خطيباً يجب أن يكون (هذا الراغب فى الخطابة) عارفاً بالظلم والعدل ، سواء أنت هذه المعرفة قبل مجيئه إلى مدرستك ، أم منك أنت ؟

ج — لا تناقض فى هذا !

ط — ولـكن ماذا ؟ أيكون هذا الذى تعلم « النجارة » نجاراً أم لا يكون ؟

ج — يكون نجاراً

ط — وعندما يتعلم الإنسان الموسيقى ، ألا يكون موسيقياً ؟

ج — بلى

ط — وعندما يتعلم الطب ، ألا يكون طبيباً ؟ وبالاختصار فيما يتعلق بالفنون الأخرى — ألا يكون الإنسان كما ينبغى أن يكون تلميذ كل فن منها عندما يتعلم كل ما يتعلق بها ؟

ج — أوافق على هذا

ط — ويكون — لنفس السبب — كل من تعلم ما يختص بالعدالة عادلاً ! ؟

ج — دون تناقض

ط — ولـكن هل يؤدى الرجل العادل فى مظهره أعمالاً عادلة ؟

ج — نعم

ط — وإذاً يجب أن يكون الخطيب عادلاً ، وأن يكون الرجل العادل راغباً فى أداء الأفعال العادلة ! ؟

ج — هذا ما يلوح — على الأقل — !

(١) لقد زدنا هذا التعبير من عندنا لانسجام المعنى « المعرب »

ط — ولا يرغب الرجل العادل أبداً فى ارتكاب ظلامة ما ؟ !

ج — هذه نتيجة محتومة !

ط — ويجب بالأحرى أن يكون الخطيب بعد كل ما قيل رجلاً عادلاً ؟ !

ج — نعم

ط — وإذاً فلن يرغب الخطيب فى ارتكاب ظلامة ما ؟ !

ج — يلوح أن لا[1]

ط — وهل تذكر أنك قلت منذ قليل إنه لا يجوز أن تقف فى وجه مدرب الألعاب وتنفيه من المدينة لأن أحد المصارعين أساء استعمال الملاكمة وارتكب بها عملاً ظالماً ، وإنه — لنفس السبب أيضاً — إذا أساء أحد الخطباء استعمال البيان يجب ألا نُرجع الخطأ لأستاذه وننفيه من المملكة ، بل يجب أن نلقى المسئولية على الفاعل الذى لم يستعمل البيان كما ينبغى ؟ أقلت هذا أم لم تقله ؟ ؟

ج — قلتُه

ط — وهل ترى هذا الخطيب نفسه عاجزاً عن ارتكاب ظلامة ما أو سوف لا تراه ؟

ج — ستراه !

ط — وقد قررنا من البدأ يا جورجياس أن موضوع البيان هو الكلام الذي يعالج العدل والظلم لا الزوج والفرد ، أليس هذا حقاً ؟

ج — بلى

ط — عندما تكلمتَ بهذا النحو ظننت أن البيان لا يستطيع أن يكون أبداً شيئاً ظالماً لأن كلامه يدور دائماً حول العدالة . ولـكن عندما سمعت بعد قليل أن الخطيب يستطيع أن يستخدم البيان استخداماً ظالماً عجبت واعتقدت أن قوليك متناقضان . وهذا ما جعلنى أقول إنك إذا كنت ترى مثلى أن المارضة خير فإننا نستطيع أن نواصل المناقشة ، وإلا فلنتركها حيث وقفنا ؛ فلما أن درسنا الموضوع فيما بعد رأيت بنفسك أننا قد اتفقنا على أن الخطيب لا يستطيع أن يستخدم البيان استخداماً ظالماً ولا أن

(١) ويلاحظ أن جورجياس كان قد قرر من قبل أن من الخطباء من يسىء استعمال البيان « المعرب »

غزل العقاد

للأستاذ سيد قطب

— ١٥ —

لقد جهد أخونا الفمراوى أن ينقض ما قلت عن الرافعى فجاء بمغالطات لم يعصمه منها ما يتشح به من دين وخلق محتكرين للرافعيين وأغاليط يعرفها طلاب المدارس الثانوية عن المعادن وخواصها ! ثم لم يبلغ بعد الجهد والعرق المتصبب إلا كما يبلغ من تقول له : إن هذه المسألة ليست من الرياضيات العالية ، فهى مسألة على « القواعد الأربع الأصلية » وحلها هو كذا . فيأتى لك بحل آخر ، ويظن أن ذلك يخرجها من الحيز الضيق ، حيز القواعد الأصلية ، إلى مجال الرياضيات العالية ذلك شأنى وشأنه فى تفسير كلام الرافعى ، وربما كان ختام هذه المقالات ، تفكها بتلك « الفمراويات » والأمر لله !

على حدود تعريفنا للشاعر الكبير ، التقينا البارحة بالعقاد فى حديثه عن الجمال ، ونحن بالطبع لم نستقص ما قال ، ولكنها نماذج تبين الوجهة ، وتكشف عن المدى ، وسيأتى غيرها فى « غزل العقاد »

وها نحن أولاء نلتقى به اليوم كذلك فى حديثه عن « الحب » على هذه الحدود ، بل نلمحه وراءها يميد ، يهضب فى خطواته الجبارة ، وهو ما يكاد يلقى باله إلى الزواحف والفواحص حوله من المتطلين على الطريق !

رغب بنفسه فى ارتكاب ظلامة ما وأرى — وحق الكلب[1] — أن هذه ليست بمادة مناقشة يسيرة يا جورجياس ، وإذاً فلنبحث فى عمق ما يجب أن نراه فى ذلك الشأن[2]

ب — ماذا يا سقراط ؟ أعندك حقيقة الفكرة التى قد ذكرتها عن البيان ؟

« يتبع » محمد حسن ظاظا

(١) كان سقراط يكثر من ترديد هذا القسم . ويرجع البعض هذا « الكلب » للاله المصرى أنوبيس . ويلاحظ هنا النهاية العظيمة التى انتهى سقراط إليها بشأن الخطيب الحق !

(٢) وينتهى هنا القسم الأول من المحاورة ويبدأ القسم الأهم الذى يتناول فيه أفلاطون طبيعة العدالة والظلم ، والذى يقرر فيه أن الخطيب الذى يجعل نفسه فوق القانون ويضلل الجمهور أكثر الناس ظلماً وشراً «المعرب»

فما الحب عند شاعرنا الكبير ؟

إنه لن يقف به عند اللهفة الظامئة ، أو الفورة العارمة ، ولا عند الحنين والدموع ، أو الفرحة والاستمتاع . فللحب بعد هذا وذلك وشائج بالحياة الكبرى ، ومسارب فى الكون والطبيعة ، ومدارج وملاعب فى ساحة الخلود

وليس هو إحساساً فى نفس فرد ، ولكنه فورة وقوة فى نفس كون ، ودفعة ومضطرب فى ضمير دنيا ، وحياة وحركة فى قلب وجود

وليس هو مصادفة عابرة ، ولا فلتة غير مقصودة ، ولكنه نظام وقصد ، تهيئهما الأقدار لبلوغ مآرب وغايات ، ولتحقيق آمال وخيالات

والنفس الكبيرة التى يحملها العقاد ، والقلوب المنفسحة التى وهبت لأمثاله ، إنما هى معارض يبدى فيها هذا الحب فنونه ويلعب أدواره ويقرب فيها من غاياته ، ويحقق أحلامه فى أنسب الظروف والأحوال !

* * *

فالحب تمهيد للخلود ، ومران على حياة الخالدين ، حتى لايفاجأ القانون بهذه الحياة ، على بعد النقلة والشقة بين الحياتين !

هذى الليالى الدنيوية نفحة ... من عالم الملكوت والأعراف
لولا النعيم بها لما خطرت لنا ... مُثُلُ النعيم بجنة ألفاف

ولهذا ينيقظ المحبون ، ويعافون النوم . أليس النوم راحة لأهل الفناء من المتاعب وتجديداً لقوامهم المتخذلة فى كد المعيشة ، فما شأنه فى اللحظات المقبوسة من النعيم الخالد

يقظة الحب من خلود وماذا ... يصنع النوم بين أهل الخلود ؟
وإذا ذقت من موائد هذا الحـ ... ـب فالنوم من فتات العبيد

والحياة والأحياء ، إنما كانوا ينزعون للخلود ، ويبتنون الدوام ، فلما عز عليهم المطلب ، وأبت طبيعتهم ما يطلبون ، عوضوا عنه بالحب ، فكان عوضاً كاملا شائقاً تمناه الخالدون !

ما الحب ، ما الحب؟ إلا أنه بدل ... من الخلود فما أغلاه من بدل
زهى به حين يزهى الخالدون بما ... نالوه من أبد باق ومن أزل
داموا فلما تقاضينا الدوام لنا ... قالوا لنا : « حسبكم بالحب من أمل »

داموا وقد حسدونا فى سعادتهم على السعادة بين الموت والقبل

وفى هذا الاحساس الفريد ، يلتقى الشاعر الكبير ، بالعالم المفكر ، بالفيلسوف العظيم ، وتصح نظرة كل منهم فى الحب ، وغاية الطبيعة منه ، وذلك حد العبقرية فى الفنون

ويصح أن نتبع بما سبق قوله :

أتحلمين بشئ كامل أبداً أتم من عالم فى قلب رجعين ؟

« فالكمال » المنشود فى الحب صنو « الخلود » أو غايته أو وسيلته: فهو صنوه لأنه غرض مثله من أغراض الحياة ؛ وهو غايته، لأن الحياة إنما تريد الدوام لتتهيأ به للكمال؛ وهو وسيلته ، لأن الحياة لن تنال الخلود وهي ناقصة متحيفة الجوانب والأجزاء وهو هذا كله فى حس الشاعر الملهم بما فى ضمير الأكوان والآباد

ويكمل هذه النظرة ويشرحها حديثه فى كتاب « مراجعات فى الآداب والفنون » فى فصل : « الزهر والحب » :

« لقد تعودنا أن نحسب العلاقة بين الذكر والأنثى أصلاً للحب بجميع صنوفه وألوانه ، ولكننا إذا واجهنا الحقيقة من وجهة أعم وأعمق ، تبين لنا أن هذا الحب بين الذكر والأنثى هو فرع طارئ من أصل إلهى قديم شامل للموجودات ، مستقر فى طبيعة الوجود ، هو حب الكمال والدوام ، وليس الحب بين الذكر والأنثى غاية فى ذاته ، وإنما هو واسطة من وسائط هذا الحب الأصيل »

والحب قد احتضن الحياة وهى جنين ، حتى إذا برزت للوجود أخذ بيدها وقادها فى مسالك الطبيعة ، وحاول أن يسمو بها عن منبتها وينزع بها إلى الخلد والسماء :

هى الحياة جنين الحب من قدم

لولا « التجاذب » ما ضمتك أكوان

والتجاذب بين « الالكترون » و « البروتون » يقوم عليه بناء الذرة ، فتبنى على أساسها الأكوان . ولم يكن العقاد فى حاجة للعلم بهذه النظرية التى أثبتها أخيراً « تحطيم الذرة » ليقول إن الحياة جنين الحب ، ولكنها الشاعرية الكبيرة تنساح فى تيارها العلوم والثقافات حتى تعود جزءاً منها لا يماز عن طبيعتها وماهيتها

والحب يقود هذه الأرض ، وينزع بها عن منشئها ، ولهذا ينادى ربان الزورق النائم ، وهو في سبحة من سبحات الحب :

نام رباننا وهمنا بعيدا فامض بالفلك فى يدى « كوبيد »

واتبعه فالكون أجمع يا فلك لقى فى يمين هذا الوليد

هو ربان هذه الأرض فأمنه على ملكك الصغير الزهيد

وتعلم منه عبور السموات فما دون سبحه من بعيد

وإذا كان الجمال كما قدمنا آنفاً هو خلاصة آمال الوجود وأشواقه ، فحب هذا الجمال حب للوجود ، ما كان منه ومن كان . والمعانق للجمال معانق للفضاء بأسره بما فيه من أنواع وأطماع . ومن يعش فى بحبوبة الحب فانما يعيش فى الكون كله ، فهو مدار العالم . يتضح كل ذلك فى قصائد متفرقة :

إنا لمن معشر حب الجمال لهم حب لما كان فى الدنيا ومن كانوا

وأنا المعانق للفضاء بأسره فى جسم أغيد كالندى شفاف

نحن فى بحبوحة الحب وهل غير هذا الحب فى الكون مدار؟

والحب رفعة للنفس ، ونقلة إلى عالم النجوم ، وعمق فى الحيوية تطول به الأعمار ، وإيغال فى المجاهل والآباد والعهود والأزمان

كم علونا من دارة بعد أخرى وطوينا العهود بعد العهود

والحب من يغش ركبه يساير النجم كل حين

لحظة ترفع عمرى حقبا متصلات

رب عمر طال بالرفعة لا بالسنوات

لحظة لا بل خلود لاح بين اللحظات

كالسموات تراها فى شباك الحلقات

رب آباد تجلت من كوى مختلفات

وقطيرات زمان ملأت كأس حياة

وإننى لأكتفى فى هذه النماذج ، بباسقتها من أجله ؛ وإلا فوراء هذا مجال واسع لبيان الطرافة فى الحس والتعبير ، وفى رؤية الخلود من خلال هذه اللحظات ، كالآباد تتجلى من كوي مختلفات أو كالقطيرات التى تمتلىء بهـا الكأس ، وهى قطيرات زمان فاضت بها كأس حياة ...

والحب قدرة قادرة ، تهب أصحابها مشابه من الألوهة ، ومقابس من النبوة ، وتنضح بالمعجزة . لا، بل إنها لتهب فى بعض الأحيان مالا تهبه الأقدار :

ليس مكان فى السماء كلها عن شاعر أو عاشق بناء

بجناحيه من الحب ومن حسنك الخفاق ينجاب الفضاء
داونى داونى فقد كان عيسى يبعث الداثرين بالأسماء
وكلا الحب والعبادة وحى فوق ذرع الحجا وفوق الذكاء
أمسيت أنظر لا أرى أمنية كبرت وما خلق بالاستخفاف
تبسم ألا يرضيك أن ابتسامة بثغرك أمضى من صنوف القادر

والحب بهذه القدرة يجمّل الحياة ويجددها ، ويخلق منها دنيا بعد دنيا ، وكونا وراء كون :

انظر فهل تجد المروج كعهدها من قبل فى الحدقات والآناف
وهى السماء أم ارتقت أجوازها فى النور آلافا على آلاف ؟

ويقول فى أبيات بعنوان « معنى جديد » :

قد شهدتُ الزمان فى كل وجه وبلوتُ الحياة فى كل معنى
وختمت الدنيا ! فما من قديم كان إلا يعاد وصفاً ولونا
فاذا للحياة معنى جديد لم نجده من قبل أو لم يجدنا
ذاك معناك أنت حين وهبت الـ قلب نوراً من طلعة الشمس أسنى
ومنحت الحب الالهى حبًّا وكسوت الحسن السماوى حسناً

وفى قصيدة بعنوان : « جمال يتجدد »

كلما قلت لى الربيع جميل قلت حقاً وزاد عندى جمالا
مجباً لى . بل المجبية عندى صور الكون كم يسمن كمالا
خلتنى قد وعيتهن عيانا وتبينت من وعوها خيالا
شاعراً عاشقاً وقارئ كتب قرأ الكتب دارساً ، فأطالا
فاذا نظرة بلحظك تبدى صوراً ما طرقن عندى بالا
بمداد الأنوار فى أعين الحـب نمد الأكوان والأجيالا

وبعض هذا كان يمكن سوقه فى معرض الحديث عن «الجمال» ولكن التفرقة بين حديث الحب وحديث الجمال فى النفس الشاعرة ليس بمستطاع فى كل الأحوال، وكلاهما مادة واحدة فى الحس والخيال

ويحسن أن نتبع حديث الشعر بحديث النثر، وكلاهما يتساوق ويتكامل فى فن العقاد . يقول فى كتاب المراجعات من فصل بعنوان : « أصل الجمال فى نظر العلم » :

« ومما لا مراء فيه أن الحب يرينا من فتنة الحياة ما لا نراه بغيره وأن جمال المرأة أغلى محاسن هذه الدنيا المشهودة . بيد أن الحب لا يخلق فتنة الحياة؛ وليس جمال المرأة هو كل ما فى الدنيا من المحاسن ، ولكنهما يصبغان الدنيا بهذه الصبغة لأنهما يوقظان القلب ويذكيان الشعور ويبعثان كوامن الوجدان فيفتح لما حوله ، ويرى ما لم يكن يراه ، ويستوعب ما كان يلمحه بطرف العين ، ويستحسن ما كان فى غفلته عن حسنه قبل أن تتراءى الدنيا لخواطره فى ثوبها الجديد . وكذلك تفعل الخمر حين تركض بالشعور وتلهب الدم فانها ترى النشوان من المحاسن ما لم يكن يراه فى صحوه وتضاعف إحساسه وعطفه فيشعر بسرور هذا العطف فى داخل نفسه ويشعر فى الدنيا ببهجة تخفى على من حوله؛ ولذلك قيل إن الحب سكر أو أنه ضرب من الجنون»

والحب ملخص للأحاسيس الإنسانية فى نفس الشاعر

غض عينيك قليلا واستمد خطوات العام فى الأفق الوسيع
كم ترى من خفقة غنت بها ساعة العمر التى بين الضلوع
كم ترى من قبلة رنت بها تلكم الساعة ؟ قل لو تستطيع
كم ترى من نشوة حامت بنا حول عليين والعرش الرفيع
هو « حب » فاذا فرقته فهو ما راع قديماً وبروع

ووراء دلالة هذه الأبيات على ما أوردناها له تلمح ملكة التشخيص والتصوير ، وهى تعمل عملها فى نفس الشاعر وتخلق له من لحظات حبه شخوصاً ماثلة فى ضميره ، يغمض عينيه عن الدنيا الظاهرة ليتملاها ويستمتع بها واحدة واحدة ، ويعمق بهذا متعة الحب ، ويجوف خطراته

ولا ننس وراء ذلك كله هذا الخيال الطريف الذى يصور « العام » وهو يخطو فى الأفق الوسيع ، مرموقاً باللحظ والانتباه والاعجاب !

والحب معلم ، يهب الحس فطانة ، والروح نفاذا ، والفكر يقظة، وفيه مهرب من الحياة إذا ساءت إلى دنيا جديدة :

إذا ساءت الدنيا ففى الحب مهرب وتحسن دنيا من أحاط به الحب
فبالحب تدرى الحسن والقبح عندها
وفى الحب علم لا تعلمه الكتب

والحب هو الذى يعمر القلب ويحييه ، وحين يخلو القلب منه ينتهى إلى عالم خراب ، وجدب كجدب اليباب :

هو الحب الذى يعـ ـمر هذا القلب لا المجد

حبك إن أخل منه يوماً خلوت فى عالم خراب

يمر بى اليوم لا أراك كما يمر بالأرض عامها القاحل

وهو ليس دموعاً ولا آهات ، وليس ابتسامات وتثنيات :

إنما الحب شراب عاصف يسكر الراوين منه والظماء

لهذا كله فالكون والحياة حفيان بالحب ، يستقبلانه بما فيهما من سرور وابتهاج ، ويهيئان له من الطرافة والجدة كل ثمين مذخور ، ويبذلان له من كنوزهما وأسرارهما مالا يباح ، ويعترفان بحقه عليهما وفضله :

وهو يقول من قصيدة عن يوم لقاء :

قال : سيوفى زائراً فى غد يا لغد ! كيف غد يشرق

بالشمس ؟ أم شمس غد وحده مذخورة من أجله تخلق

كما نرى الدنيا ، وما شأنها سربالها المبتذل المخلق

فى حلة لا تتحلى بها إلا لمن يَعشق أو يُعشق

وفى قصيدة بعنوان عروس الليالى :

عروس الليالى تهبط اليوم من عل وتدنو على طول النوى والتدلل

سرت بين شرق من ضياء ومغرب

وبين جنوب من ضياء وشمال

ولما سألته الحياة جواز المرور بها ، لم يجد أحظى لديها من الحب يفتح منها المغاليق والستور :

قالت جوازك قلت هاك حب أنال به رضاك

فدخلت فى حذر الحيا ة وراء ألفاف الشباك

***

هذا هو « الحب » عند العقاد : عالم مترامى الأطراف ، وفن من أعجب فنون الحياة ، ومجال للخيال والحس والتعبير على غير مثال

ونحن نعيدها مرة أخرى : لو أن شاعراً قال هذا وسكت لجاوز حد الشاعر الكبير

وعلى هدى من رأيه فى الجمال ، ورأيه فى الحب ، سنتحدث عن « غزل العقاد » . وإن كان كثيرون سيتساءلون الآن : ماذا سيقول غير ما قال ؟ وسنجيبهم بعد قليل : تلك أوليات المقال

« حلوان » سيد قطب

حول أدب الرافعى

بين القديم والجديد

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

— ٦ —

لعل من الخير أن ننظر نظرة فى الأمور التى تشبه أن تكون أصولا فى النقد عند صاحب مقالات « بين العقاد والرافعى » والتى يمكن استنباطها من كلامه

ولعل من أبرز هذه الأصول مايصح أن يسمى بالعلمية . ولسنا نريد بالعلمية هنا علمية التفكير ، فقد وزناه من ناحية علمية التفكير فلم نجده منها فى شىء ؛ إنما نريد بها هنا علمية الأفكار . فصاحب تلك المقالات معجب جداً فيما يبدو بالعلم وبما يمكن أن يدخله الأديب فى أدبه من النظريات أو الحقائق العلمية . تعرف ذلك من طبيعة أكثر الأمثلة التى ضربها لتفوق العقاد عنده على الرافعى ، وتعرفه من تجشيمه نفسه قراءة ما قرأ من المباحث العلمية المنقولة إلى العربية كي يرق كما يقول إلى محاولة استيعاب العقاد . وهذه النزعة إلى العلم نزعة تشكر فيه لولا ما يفسدها عليه فى الوضوع الذى هو بصدده من تعصب للعقاد يجمله يتلقى كل ما يرد أو يتوهم أنه ورد على قلم العقاد من الأفكار العلمية كما يتلقى الوحى بالتسليم والاكبار المطلقين

والمثال الأول الذى ضربه لاحتياج الناظر فى أدب العقاد إلى ألوان من الثقافة كالتى استمدها هو من قراءاته العلمية قطعة من « وحى الأربعين » عنوانها « سعادة فى قمقم » . وقد تساءل بعد أن ذكر أبياتها التسعة « هل فهم الرافعيون شيئاً من هذه القطعة مع وضوح كل لفظة فيها وكل عبارة ؟ » . وما نظن الرافعيين أو غير الرافعيين يفهمون من مرماها شيئاً حتى يبلغوا البيت السادس منها

بسر على شفتى فاتن يباح إلى شفتى مغرم

وهو بيت رقيق ليس فى القطعة كلها مظهر للشاعرية غيره ، إذا بلغه القارئ ظن أن القطعة كتبت فى قبلة ، لأن السر الذى

يباح إلى شفتين لا يمكن أن يكون غيرها . حتى إذا بلغ القارئ البيت الثامن

وما أنا بالمشتهي قبلة ولا بالحريص على مغنم

زال عنه كل شك فى المراد من القطعة كلها ، وإن بقى حيث كان من صعوبة توجيه القطعة إلى المعنى المراد كما يصعب أحياناً على قارئ اللغز حتى بعد عرفانه الحل أن يطبق لفظه على الشيء المقصود !

ولكى يشاركنا القارئ فى تقدير القطعة نوردها له وإن شغلت مكاناً .

هنا قمقم سابح فى الدم أسائل عنه ولم أعلم
جهلت خباياه حتى أتى عريف الطلاسم بالمعجم
ففيه كما قيل مسجونة سعادة بعض بنى آدم
تجن جنوناً بنور الضحى وتذبل فى حبسها المظلم
وقد زعموا أن إطلاقها رهين بهمة ذاك الفم

إلى هنا لانظن قارئاً مهما بلغت ثقافته من التنوع والعمق ، وبلغ هو من الاستعداد الطبيعى ، يستطيع أن يدرك من هذه الأبيات معنى واضحاً ، أو أن يقول إن المقصود بها هو قبلة حتى يقرأ عقب ذلك :

بسر على شفتى فاتن يباح إلى شفتى مغرم
فهل أنت مطلقها منعماً فديتك أم لست بالمنعم ؟
وما أنا بالمشتهى قبلة ولا بالحريص على مغنم
ولكنما أنا أبكى أسى لتلك الشهيدة فى القمقم

فليس فى القطعة كما ترى ما يدل على المراد منها غير البيتين اللذين ذكرنا . والآن وقد عرفت المراد هل تستطيع ولو بشئ من التعسف أن تطبق القطعة على القبلة المطلوبة ؟ سيد قطب يقول إنك تستطيع بشرط أن تعرف نظرية فرويد فى العقل الباطن ، وأن تكون على استعداد لأن تحس « بأن النوازع والرغبات المكبوتة فى النفس ، والاشجان والبلابل والاضطرابات التى تعتريها إبان ضرام الحب ، تظل تعتلج فى النفس وتقلقها وتهزها هزا كهواد البركان المكتوم حتى ينفس عنها ويتاح لها التعبير فاذا هى سعادة وهدوء وراحة . »

« وكيف يكون التعبير ؟ يكون بقبلة على شفتى فاتن تبيح السر إلى شفتى مغرم ، وعندئذ تنطلق تلك الشهيدة فى القمقم التى يبكى لها أسى » . فهل تستطيع الآن بعد هذا التفسير الطويل المبنى على نظرية فرويد فى العقل الباطن أن تطبق أبيات القصيدة على القبلة المقصودة فتقول مثلا ما هو ذلك القمقم السابح فى الدم المسجونة فيه تلك الشهيدة ؟ أما نحن فلا نحسب أحداً فى حاجة إلى نظرية فرويد أوغير فرويد فى العقل الباطن أو الظاهر ليعرف أن رغبات الحب التى يتلهف إليها تؤلمه قبل تحققها فاذا تحققت هدأ وارتاح وسعد زمنا ما ، ولا نحسب معرفة ذلك تحتاج إلى استعداد خاص فى أحد ، فكل إنسان يدركه فى نفسه ، حتى الطفل لو نطق وأحسن التعبير لقال إن ذلك كذلك، وفى دموعه قبل تحقق كل رغبة شديدة وابتسامه أو ضحكه بعد تحققها ولما تجف دموعه ما يغنى عن كل نطق وتعبير . لكن صاحبنا ذا الثقافات يزعم أنك لا تعرف ذلك إلا إذا كنت ذا استعداد خاص وتثقفت بنظرية فرويد ! . ليكن ذلك . فكيف يمكن فهم تلك الأبيات إذن فى ضوء نظرية فرويد ؟

إن أقل ما يطلب فى الشعر الجيد ذى المعانى العلمية التراكبة أن يحتوى على إشارات واضحة تكون مفتاحاً إلى تلك المعانى لمن يعرفها ، بحيث إذا توجه الذهن إليها بدأ يدرك المعنى العميق المقصود ، ولا يزال ذلك المعنى يزداد وضوحاً وتفصيلا بالاشارة بعد الاشارة ، والقرينة جنب القرينة ، حتى يرتفع كل شك فيه ، ويلبسه الكلام كأنما كان مقدراً عليه . لكن هذه القطعة فيها إشارات تصرف الذهن عن معناها إذا كان معناها هو كل ما ذكر سيد قطب . وأول ما تلقى فيها من هذه الصوارف هو هذا القمقم السابح في الدم ، فانك تحاول جهدك أن تجد له تفسيرا حتى بعد معرفتك مرمى القطعة فلا تستطيع .

ثم ليكن ذلك القمقم ما يكون ، فعند أى طرفى الحب هو ؟ إن كان عند المحب فهو لا شك يعرف رغبة نفسه ويعرف طريق التعبير الذى يريد ، فلا حاجة إلى معجم عريف الطلاسم ليحل له اللغز . وإذا كان القمقم للحبيبة وكانت سعادته هو مسجونة فيه — كما هو الأقرب إلى المعقول — قام تفسير السيد قطب وتطبيقه نظرية فرويد حائلاً دون ذلك ، إذ تصبح النوازع والرغبات المكبوتة هى نوازع الحبيبة ورغباتها ،

فكأنها هى التى تشتهى القبلة لا هو ، والشعر صريح فى أن عكس ذلك هو المقصود

فالقطعة كما ترى متخاذلة متضاربة إن حاولت أن تطبق عليها كل علم سيد قطب ، وأن تفهم منها بالعقل ما فهم هو منها بالوهم . أما إذا تركت النظرية العلمية جانباً وحاولت أن تفهم من القطعة مرادها فى بساطة بدليل البيتين اللذين ذكرنا لك ، أصبح للقطعة معنى مفهوم على غموض فيه وعيوب فيها . فما دام المطلوب هو قبلة من الحبيبة فيها سعادة المحب ، والحبيبة هى التى تملك منحها من فمها الشبيه إلى حد ما بالقمقم ، أمكن توجيه القطعة وتبرير الشاعر إلى حد كبير في تخيله أن سعادته المتمثلة فى قبلة من حبيبته محبوسة فى فم تلك الحبيبة حتى تطلقها هى . أما وصف القمقم بأنه سابح في اليم فيجب حمله على ضرورة الشعر والقافية ، أو على أنه وصف معيب لشدة احمرار الشفتين ، أو على أن الشاعر أراد أن يلغز فى قبلة فجاء بهذا الوصف وبغيره ليعمى على القارئ بعض التعمية

فأنت ترى أن القطعة لا تحتاج إلى علم فرويد أو علم سيد قطب لحلها، بل هى تزداد تعقيداً وبعداً عن المعقول إن أنت حاولت إدخال العلم فيها . لكن العقاد لا يكون هو ماهو عند سيد قطب إلا إذا حشر العلم فى شعره، وإلافبم يمتاز العقاد على الرافعي ويمتاز هو عن مثل شاكر والعريان ؟

هذا عن المثال الأول . أما المثال الثانى فقطعة مأخوذة عن « عابر سبيل » تحت عنوان «ابنا النور ـ الزهر يخاطب الجوهر» وهى فى رأينا قطعة حسنة أوضح كثيراً من القطعة الأولى ، لكنها لا تحتاج من العلم لفهمها أكثر مما يعرف الطالب الثانوى عن انعكاس الضوء وانكساره وامتصاصه ، وعن التمثيل الخضرى فى النبات . وليس هناك بعد ذلك إلا خيال الشاعر فى التصوير يجاريه خيال القارئ فى التصور . وقد أحسن كل الاحسان حين لخص الموقف فى طول عمر الجوهر الجاد وقصر حياة الزهر بقوله على لسان الزهر يخاطب الجوهر :

ومعدن النور فيك حى ... وفيك معنى الحياة فان

فيا زماناً بلا حياة ... إنى حياة بلا زمان

وإن كنت تلمح شيئاً من تقصير اللفظ عن المعنى فى قوله : « وفيك معنى الحياة فان » فان « فانٍ » فى الغالب لا تستعمل إلا للدلالة على الموت الذى سيكون بدلا من الموت الواقع، لكن الشاعر المقيد بالقافية قلما يجتمع له فى الشعر كل ما يريد . على أن المهم فيما نحن بصدده هو ما فى تقدير سيد قطب للثقافة اللازمة لفهم القطعة من الاسراف والتهويل

أما المثال الثالث فهو قول العقاد :

بك خف الجناح يا أيها الطير ... وما كنت بالجناح تخف

لطف روح أعار جنبيك ريشاً ... فمن الروح لامن الريش لطف

وهما بيتان ليس فيهما معنى كبير ، وليس فيهما من الصنعة أكثر من عكس الترتيب الطبيعى وهو كثير فى الأدب العربى؛ لكن سيد قطب الذي لابد أن يجد لكل قول للعقاد معنى علمياً ما أمكن ذلك، يتمثل في هذين البيتين نظرية علمية يحكيها فى قوله « فعلم وظائف الأعضاء يقول إن الوظيفة تخلق العضو » ويطبق النظرية بقوله : « فوظيفة الطيران هى التى خلقت الريش وقبله الجناح ! » ، فجاء قوله هذا دليلاً واضحاً على أن الأديب إذا لم يترب تربية علمية ، وجمع آراءه وأفكاره العلمية من الكتب والمجلات ، يكون أميل إلى تصديق كل ما يساق إليه باسم العلم وإن خالف فى ظاهره المعقول . وإلا فكيف يمكن أن تخلق وظيفة الطيران الريش والجناح قبل أن توجد الوظيفة نفسها ؟ إذ من الواضح أنلا طيران ولاوظيفة طيران فى طائرقبل أن يوجد الريش والجناح . فلو قال قائل مثل هذا الكلام من غير أن ينسبه للعلم لكان موضعا لتهكم صاحبنا واستهزائه . أما وقد نسب هذا الكلام إلى العلم فيما قرأ فهو يقبله من غير نظر ولا تمحيص .

إن المعقول ليس هو خلق الوظيفة العضو ، ولكن تنميتها إياه. فالعضولا بدأن يوجد لأداء الوظيفة، واستعماله فيها بعد ذلك ينميه ويقويه ويرقيه . أما سبب إيجاد العضو فليس العلم يعرفه وإن حاول بعض العلماء أن يفسره بمثل هذا الغرض الذى لا يفسر شيئاً ، والذى لا يعبأ العلم به فى الواقع لأنه لا يمكن أن يختبر صحته لا بالتجربة ولا بالمشاهدة . والفروض العلمية لا حرج على العلماء في فرضها . فليفرض منهم منها ماشاء ما دام ذلك يساعده على التفكير . لكن العلماء يعرفون أن لا قيمة لهذه الفروض مالم

تساعد على إجراء تجارب ومشاهدات لاختبارها ، وما لم تؤيدها هذه التجارب والشاهدات بعد إجرائها؛ لكن غير العلماء يكبرون كل ما ينسب إلى العلم وينزلونه من عقولهم منزلة واحدة ، فلا يفرقون بين حقائقه ونظرياته وفروضه . وعندنا أن مسارعة المشتغل بالأدب إلى قبول مثل هذا الفرض الذى يخالف المعقول تنازل من ذلك الأديب عن حرية التفكير التى يحرص عليها مثلا ويتمالى فيها إذا كان الموضوع لا يتصل بالعلم ولكن يتصل بالدين

والمثال الرابع الذى ضربه سيد قطب لاتساع ثقافة العقاد وتفوقه بها على الرافعى يتصل بنظرية دروين ، وهو مقطوعة « الجيبون » أو « أمام قفص الجيبون » وأحسن ما فى هذه المقطوعة خيالها ؛ أما اتصالها بالواقع وبحقيقة نظرية دروين فليست منه فى شىء كبير . إنها تذكر النظرية كما يفهمها غير العلماء ، فتجعل « الجيبون » أبا العبقرى أى الانسان ، وتجعل الناس أبناء « الجيبون » . والناس فى العادة ينسبون هذا الرأى لدروين ودروين منه برىء ، فان دروين لم يقل إن الانسان أصله قرد كما يقول العقاد ، وإن صح أن يفهم من نظريته فى أصل الأنواع بالانتخاب الطبيعى أن القرد والانسان يرجعان فى سلسلة النشوء إلى أصل واحد بعيد ليس بقرد ولا إنسان ، فترقى فرع عن هذا الأصل فصار إنساناً ، وسار فرع آخر سيرة أخرى فصار قرداً . فقول العقاد للجيبون :

كيف يرضى لك البنون مقاماً مزرياً فى حديقة الحيوان

قول يدل على سوء فهم لنظرية دروين

ثم إن النظرية لا تقول بأن الفرق بين الانسان والقرد فرق زمنى فى صميمه ، ولا أن الانسان أقدم من القرد حتى يصح لأحد أن يظن أن القرد إذا استوفى زمنه ومرت عليه ملايين السنين صار إنساناً . إن القرد أقدم ظهوراً على الأرض من الانسان فى حكم العلم إلى الآن ، فلو كان القرد يستطيع رقياً إلى الانسانية لترقى . إن سنن الترقى قد حكمت حكمها بين الاثنين ، فلن يصير القرد إنساناً مهما عاش ، وإن جاز أن ينحط الانسان فيصير قرداً أو شبه قرد إذا قصر فى استعمال ما وهبه الله على الوجه الذى اختاره الله له حقبة كافية من الزمن ؛ فان هناك سنة انحطاط بالترك والاهمال والمعصية ، كما أن هناك سنة ارتقاء بالاستعمال والاحسان والطاعة

والناس يمطون نظرية دروين فوق ما لها من قوة عند العلماء فيظنون أنها تفسر خلق الأنواع ، ويضل منهم بهذا الظن من يضل إذ لم يبق عنده لوجود الإله من داع . لكن النظرية فى حقيقتها لا تفسر إلا حفظ الأنواع ، أما مجىء الأنواع وخلقها فان النظرية لا تفسره . هى — كما يقول دريتش فى محاضرات جيفورد التذكارية — سلبية الأثر لا إيجابيته: تفسر كيف انعدم المنعدم من الأنواع ، ولا تفسر كيف وجد الموجود

على أن من المهم أن ننبه فى هذا المقام أن سنة التطور لا يشك فيها الآن أحد من العلماء ، لكن طريق التطور وعلله وأسبابه هى موضع الأخذ والرد والبحث بينهم . فأخونا على الطنطاوى كان على حق حين أنكر نظرية دروين كما يصورها العقاد فى مقطوعته ، والذى انتقده فى الرسالة على حق فى قوله : إن التطور يقول به كل العلماء المعتد برأيهم ، وعلى باطل إذا كان قصده بهذا أن هؤلاء العلماء يفهمون من التطور ما فهمه ووصفه العقاد فى مقطوعته

فمقطوعة العقاد إذا أخذت بتفاصيلها العلمية مبنية على خطأ كبير ، وهى من الناحية العلمية لا تساوى أكثر مما يعتقده الناس عادة فى نظرية دروين ؛ وإذا أخذت من الناحية الشعرية الخيالية وحمل خطؤها العلمى على أنه خيال شاعر كان لها شىء من القيمة ، ولكن شتان بين قيمتها هذه وبين ما يدعيه لها سيد قطب بضمفه العلمى وافتتانه بالعقاد

فالعلمية التى يقيس بها سيد قطب تفوق العقاد على الرافعى علمية ضعيفة ناقصة فى بعض الأمثلة ، ومهولة هولها الوهم والافتتان فى بعض الأمثلة الأخرى . وهى فى الحالين لا تزيد شيئا عنها فى الأمثلة التى جاء بها من كلام الرافعى واتخذ منها سببا للزراية عليه ، وإن سلمت أمثلة الرافعى من الخطأ الذى وقع فى بعض أمثلة العقاد .

ومن أول ما تهكم به على الرافعى من هذا النوع قوله فى حبيبته:

سيالة الاعطاف أين ترنحت تطلق لكهربة الهوى سيالها

وقوله فيها أيضا :

يانجمة أنا فى أفلاكها قمر من جذبها لى قد أضلت أفلاكي

ولا يزيد قطب فى نقد هذين البيتين على أن يقول مبالغة فى الايحاء بتهكمه إلى القارىء : « ولا شىء وراء هذا العبث الذى

لا نريد له نقاشا » ! . ويظهر أن عيب هذين البيتين وأمثالهما عنده هو وضوح معناهما ، فان الرافعي عنده « سهل جدا لا يكلف مجهودا ولا عناء » ، مع أننا لا نظنه يفهم كثيرا من « حديث القمر » لو أعاد قراءته الآن . فصعوبة الكلام على فهمه مزية يكبر بها الكلام عنده فيما يظهر ، ويسميها في العقاد سموا وسموقا وإن كان يسميها في الرافعي مداحلة ومماظلة ! هذا هو المقياس عنده في الواقع لا العلمية ، وإلا فأي فرق في العلمية بين المعنى العلمي الواضح والمعنى العلمي الغامض لو كان يقيس قياسا صحيحا ؟ بل الوضوح في المعاني العلمية أحق بالتقدير في الأدب من الغموض

إن السبيل في مثل هذا أن ينظر إلى دقة المعنى العلمي ودقة التطابق في الاستعارة بين الحقيقة وبين المجاز . وليس أصدق في التعبير عما يعترى الحب من هزة ورجفة إذا اقترب منه حبيبه من تشبيه ذلك بالهزة التي تعترى من يسرى فيه سيال كهربائي . ولا يقدح في التعبير وحسنه ولا في البيت وصدقه أن المعنى العلمي المستعار معروف مألوف ، فذلك مما يزيده حسناً عند من يريدون بالكلام الافهام لا الابهام . أما البيت الثاني فهو من باب الاستعارة التمثيلية النادرة . وهو بيت بقصيدة وحده . ثم معناه ليس بالشائع المبتذل ، والقانون العلمي المشار إليه فيه أعم وأهم من نظرية دروين . فذلك البيت الفريد ليس فيه عيب ولكن العيب في ناقده الذي يكيل بمكيالين ويفكر بمنطقين

ومثل هذا البيت الثاني قول الرافعي لحبيبه الناسي له :

يامن على البعد ينسانا ونذكره ... لسوف تذكرنا يوماً وننسا كا
إن الظلام الذي يجلوك يا قمر ... له صباح متى تدركه أخفا كا

وهذا البيت الثاني هو أيضاً من الاستعارة التمثيلية النادرة والمعنى المستعار ظاهرة طبيعية معروفة مألوفة ، لكن المطابقة بين حال الرافعي في شقائه بحبه المنسي ورجائه الفرج بالنسيان ، وبين ظلام الليل يجلو القمر فاذا جاء الصباح أخفاه — هذه المطابقة في الاستعارة مطابقة نادرة لا يكاد الانسان يقضي حقها وحق أمثالها عجباً . لكن صاحبنا الذي يرمي الرافعي ومن معه بأنهم شكليون يخطئ جوهر الموضوع مرة أخرى فلا ترى من البيت إلا تمثيل الحب بالظلام ، والحب عنده لا يكون ظلاماً أبداً فالرافعي لا يمكن أن يكون ذاق الحب أبداً ، وليس يشفع للرافعي أن الحب الذي شبهه بالظلام هو حب شقي به لنسيان حبيبه إياه ، فلا يصح في إنصاف ولا في أدب أن يقاس على حب آخر يسعد به صاحبه لاستجابة حبيبه له فيه . لا ! الحب أيا كان لا يمكن أن يكون ظلاماً عند سيد قطب ؛ فمن رآه ظلاماً فقد زل زلة بألف ، ودل دلالة قاطعة على أنه شكلي لم يذق الحب قط ! ليت شعر النقد — إن صح هذا — ماذا يكون الحكم فيمن شبه الحب بالجحيم وظلمها ؟ ومن هو ؟ سيد قطب ! هو سيد قطب في شعره الذي نشره بالرسالة (عدد ٢٢٠) بعنوان « ريحانتي الأولى أو الحرمان »

وإليك بعضه إن كان لا بد أن نذكر لك منه مثالا :

ريحانتي الأولى وروح شبابي ... أنذا دعوت سمعت رجع جوابي
أنا في الجحيم هنا وأنت بجنة ... من روح إعجاب وريق شباب
أنا في الجحيم وأنت ناعمة المنى ... خضراء ذات تطلع وطلاب
أنا لا أريدك ها هنا في عالمي ... إني أعيذك من لظى وعذاب

ولكيلا تظن أن سيد قطب يتفلسف حين يقول هذا اقرأ له من مقطوعة أخري من نفس الشعر :

عيني رعتك وأنت نابتة فلم ... تتفتح ولم تفتر ولم تتألم
حتى إذا أينعت وانطلق الشذى ... ألفيت نفسي في صميم جهنم
ملقى هنالك لا أحس ولا أري ... إلا الشواظ وكل داج معتم

أفي نور هذا من حبه يأتري أم في جب من جهنم ؟ هذا هو الذي لم يعجبه بيت الرافعي فتجنى عليه ما تجنى وأطال فلمه فيه بما أطال ، وأنساه تجنيه وهواه الواقع وما خطت يمينه قبلها ببضعة أشهر ليكون كلامه حجة عليه يفضحه الله به ، وليعلم الناس أجمعون أن مقالات « بين العقاد والرافعي » كتبها عابث يتجنى لا ناقد يتحقق ، ولا أديب يبتغي وجه الأدب

محمد احمد الغمراوي

***

وقع في المقال السابق بعض غلطات مطبعية هذا تصويب أهمها :

ص ١٢٦٧ عمود ٢ سطر ٤ بنى بعض الاقسام : صوابه بنفس
« ١٢٦٨ « ١ « ٨ الرافعي عن نفسه : صوابه الرافعي نفسه
« ١٢٦٨ « ٢ « ١ تثبت القدمة : صوابه تثبت

٢ - البحث عن غد

للكاتب الانجليزى روم لاندو

للأستاذ على حيدر الركابى

روم لاندو كاتب انجليزى معروف ، زار بلاد الشرق الأدنى زيارة المستطلع الباحث ، ثم دون ما رأى وسمع فى كتاب نشره بعنوان « البحث عن غد » وقد نشرنا ما يتصل بمصر مترجما بقلم الأستاذ العقاد فلم يعترض على قوله أحد ؛ ثم أخذنا ننشر ما كتب عن لبنان وسورية مترجما بقلم الأستاذ على حيدر الركابى فلم يكد ينشر المقال الأول حتى ثارت النفوس فى بيروت لهذا الحديث الغريب الذى نسبه الكاتب إلى رئيس الجمهورية اللبنانية، وعقدت الوزارة مدفوعة بهذه الثورة جلسة خاصة أبرقت على أثرها إلى الرئيس تسأله وهو فى عرض البحر عن هذا الحديث ، فأجاب بأنه لم يعط حديثا كهذا وطلب من الحكومة أن تكذبه فكذبته . إزاء هذا التكذيب الرسمى لم نشأ أن ننشر ما كتبناه وكتبه غيرنا تعليقا على هذا الحديث الطائش، ولكن بقى لنا أن نسأل : من الذى زور هذا الحديث على فخامة الرئيس ؟ لا يمكن أن يكون أحد غير الكاتب الانكليزي نفسه ، لأن الحديث لم ينشر فى صحيفة يجوز عليها الدس والغفلة ، وإنما نشر فى كتاب أصدره الكاتب تحت اسمه وعلى مسؤوليته، وسمى فيه الأشخاص وذكر المكان والزمان والمناسبة، فلا مناص إذن من أن تتخذ الحكومة اللبنانية إجراء قضائياً أو دبلوماسيا نحو الكاتب (الكاذب) ليتسنى له هو أيضا أن يقول كلمته «المحرر»

الجمهورية اللبنانية

وجهة نظر المعارضة

لقد تحدثت إلى أحد الوزراء كما تحدثت إلى بعض الوجهاء فلمست منهم تأييداً لوجهة النظر الرسمية التى بسطها رئيس الجمهورية، حتى إن بعضهم أكد لى بأن الوحدة العربية إنما هي الوحدة الاسلامية بعينها . ومع ذلك فإن زعماء المسلمين الذين زرتهم قد نفوا لى هذه الفكرة . ومما يؤيد صحة نفيهم أن الشعور الدينى لدى مسلمى لبنان سائر نحو الضعف بصورة جلية تجعل المرء يعتقد أن ميلهم إلى الوحدة العربية لابد أن يكون مبنياً على أسس غير الأسس الدينية . وهذا ما قاله لي عربى من كبار رجال التعليم فى بيروت :

« لابد لنا إذا أردنا الحياة من أن نتعاون فى الأمور العسكرية والاقتصادية، ولا يتحقق هذا التعاون إلا بواسطة الوحدة العربية أو — فى بادئ الأمر — الوحدة السورية . إن الناحية العنصرية لا تهمنا كثيراً، ولكن اشتراكنا فى اللغة وتحملنا نفس المصاعب لما يدفعنا للسعى وراء نوع من أنواع الاتحاد . قد تختلف بلاد مصر ونجد والحجاز وشرق الأردن وسورية والعراق الواحدة عن الأخرى، إلا أن أمام كل واحدة منها مشاكل متشابهة يجب حلها، منها تعليم الفلاحين والبدو وسكان الجبال، وتعميم الوسائل الحديثة لحفظ الصحة العامة ، ورفع المستوى العام من الناحيتين الثقافية والاجتماعية . إن التعليم فى مصر نفسها لا يتعدى طبقة محدودة راقية . وهناك رابطة التاريخ المشترك التى تعطينا الحق فى أن نفتخر بماض زاهر، ونسعى لاحياء ذكرى هارون الرشيد . ولعلك تعتبر هذه الرابطة خيالية وعاطفية ، ولكنى أؤكد لك أننا نعتبرها دافعاً حقيقياً وقوياً لنا فى نهضتنا . إن الماضى يمكن أن يصبح حاضراً مرة ثانية إذا اتحدنا مع سورية أولا ، ثم مع الأقطار العربية الأخرى »

قد يظن البعض أن العرب الذين يعتنقون فكرة الوحدة السورية غارقون فى بحر من الأوهام . والواقع أن فكرتهم هذه بالرغم من غموضها لأجدر بالتقدير من فكرة الرجال الرسميين ذوى الخبرة الواسعة وأتباع الحقيقة دون الخيال الذين اتضح لى أن تفكيرهم محصور لا يتجاوز مراميهم القريبة . لقد وجدت أنصار الوحدة السورية من العرب عنيفين وغير منظمين، إلا أنى واثق فى نفس الوقت من أنهم أصحاب بصيرة، وأن نار إيمانهم بمَثَلهم الأعلى لتتأجج تأجج النيران المظيمة فى باطن الأرض

وقد اتضح لى — كما كنت أتوقع — أن كلا الفريقين : الرسمى والعربى كان متطرفاً قد خفى عليه جزء من الحقيقة . وهذا أمر طبيعى فى بلاد أصبحت القومية فيها قوة ذات قيمة بالرغم من حداثة عهدها . والواقع أن ارتفاع مستوى المعيشة وزيادة الثروة قد ولدا في اللبنانيين ميلاً إلى احتراف السياسة [1]

---

(١) أى اتخاذها وسيلة إلى النفع المادى (mercenary)

سواء أكانوا من السياسيين المسيحيين أم المسلمين . وقد سلم بعض العرب فى لبنان بالفكرة القائلة بأن البلاد لا يمكن أن تستغنى عن فرنسا ، وأن الصواب يقضى بالاعتراف بالأمر الواقع ونبذ أحلام الوحدة العربية . وهذا الشعور بالانخذال defeatism قد جعلهم أقل إيماناً بتحقيق المثل العليا فى عرب سورية . ومن نتيجة ذلك — على ما يقال — أن الأغراض الشخصية تلعب فى بيروت دوراً أعظم من الذى تلعبه فى دمشق

النصرانية العملية

إن أعظم مشكلة معقدة يجابهها لبنان هى مشكلة الدين ، فاننا نرى من جهة أن المزج بين السياسة والدين قد حشر الدين فى أمور غريبة عنه فى الأصل . ومن جهة أخرى فان الدين قد أصبح بعيداً كل البعد عن أسسه المشروعة

ليست حكومة لبنان حكومة حزبية ولا هى بالحكومة ذات الاختصاص الفنى البعيدة عن الأحزاب، وإنما هى حكومة تتشكل من ائتلاف دائم يمثل الطوائف المختلفة . فان كلا من الوزير والموظف الادارى والمعلم وطبيب البلدية يعين بالنظر إلى طائفته لا بالنظر إلى مقدرته الفنية . وقد أدى تدخل الكنيسة فى السياسة إلى إساءة الاستعمال كما أدى إلى انحطاط عام فى الدين . وقد كان جميع من تحدثت إليهم (وبينهم أستاذ الجامعة والسياسى والتاجر وصاحب العمل الحر والمسيحى والمسلم) يجمعون على الشكوى من أعمال الكنيسة السياسية، ومع ذلك فلم أجد لدى أحد ما الجرأة الكافية لمعالجة هذا الموضوع

إن الفرنسيين يفتخرون فى بلادهم بفصل الدولة عن الكنيسة، ولكنهم فى لبنان قد استعملوا الاكليروس المارونى منذ البدء لتحقيق غاياتهم السياسية . إن كليات اليسوعيين الفرنسيين ومدارسهم نفسها قد أصبحت مراكز للدعاية الفرنسية، حتى إن أكثر القسيسين الفرنسيين يعتبرون أنفسهم جنوداً يخدمون الراية المثلثة الألوان كما يخدمون الصليب . وقد شعر رجال الاكليروس من غير الموارنة أنهم لا يجوز أن يتأخروا عن إخوانهم فى هذا المضمار فدخلوه بدورهم ، وأخذوا يستعملون نفوذهم الدينى لتحقيق الأغراض السياسية . أما المسلمون فان دينهم فى الأصل لم يفرق بين القوانين الدينية والمدنية ، ومع ذلك فقد كانت سلطة الأئمة والمفتين فى الأمور غير الدينية لا تشمل غير الأفراد التابعين لهم . أما الآن فقد أصبحوا هم أيضاً يلعبون دوراً سياسياً

إن الدولة المنتدبة لم تعمل شيئاً للوقوف فى وجه حركات رجال الدين السياسية، بل هى على العكس قد شجعتهم عليها لأنها أدركت أن أي خلاف ينشب بين فئات متباينة من أهل البلاد من شأنه أن يقوي مركزها . إن روح الاستخفاف التى تنطوى عليها هذه السياسة قد بينتها جريدة الطان بجلاء، إذ أشارت فى مقال لها فى شهر يناير عام ١٩٢٦ إلى مهمة المسيو دو جوفنيل المندوب السامى الجديد بهذه العبارة : « إن وظيفة المسيو دو جوفنيل لواضحة تماماً : فهو يجب أن يفرق لكى يسود » على أن خطر هذه السياسة قد أخذ يتناول الفرنسيين أنفسهم، فالمارونيون شرقيون فى الدرجة الأولى وإن كانوا نصارى ؛ ولا رغبة لديهم فى أن ينقادوا لفرنسا انقياداً أعمى . ومن المحتمل أن يجدوا أنفسهم فى المستقبل فى صف المسلمين

والانصاف يقضى بأن نعترف بأن اشتغال رجال الدين بالسياسة لم يمح كل أثر للشعور الدينى، فاننا نجد بين النصارى طائفة لا تزال شديدة التمسك بالدين ، ألا وهى طائفة الأرمن، وكذلك الفلاحون فى الجبال الذين يختلفون عن باقى فلاحى الشرق الأدنى بسمو أخلاقهم. أما الاسلام فهو منذ الحرب العظمى قد أخذ نفوذه يضعف. وأما الدروز فانهم على الرغم من تمسكهم بدينهم كادوا يفقدون تأثيرهم فى حياة المجتمع الروحية بسبب اعتصامهم وراء طقوس دينهم السرية

إن الكثيرين من مثقفى النصارى والمسلمين لا يفرقون بين الدين كما هو معروف فى بلادهم وما تتطلبه الحزبية من دسائس وفساد . وهذا ما حمل بعضهم على الافتخار بأنه لا دينى ؛ ففى بادئ الأمر كنت أستغرب قول بعض المتمسكين بتعاليم الدين لى بأنهم ضد الدين، ولكنى ما لبثت أن أدركت أنهم يقصدون بذلك أنهم ضد رجال الدين

إن الحكومة اللبنانية تشعر بضعفها وهي لهذا لا تجرؤ على السعى للقضاء على نفوذ رجال الدين السياسى لكيلا تعرض نفسها لغضب قسم من رعاياها عليها

« يتبع » . علي حيدر الركابي

فتاوى شرعية

معضـــــلات العصر

للأستاذ الجليل محمد بن الحسن الحجوى

وزير معارف الحكومة المغربية

— ١ —

إن أهم ما اهتم به النبيون والمرسلون صلوات الله عليهم أجمعين ثم الفلاسفة الأقدمون والمتأخرون ؛ والعلماء المؤلفون ، معضلات عصورهم التي تهم الفكر العام . وعليها يتوقف تحسين حال مجتمعهم وإن كان في غفلة أو إغفاءة عنها في بعض الأوقات

ففي عصر نبينا العربي عليه صلوات الله وسلامه ، كان أهم معضلة هي الوثنية وفساد المعتقد وتنوعه في جانب الله ؛ وعن ذلك ينشأ تشتت الأفكار ، وفداحة الجدل . ثم رداءة حال العرب بل العالم من حيث افتقاره إلى شريعة منظمة تكون رابطة متينة للمجتمع تذهب بها فوضى الحقوق والأخلاق، وتنتظم بها الأحوال وتتناسق الأعمال

وهكذا النبيون قبله ، ما من رسول إلا وقد جاء بحل أهم المعضلات ، وأعقد المشكلات ؛ وكذلك الفلاسفة اليونانيون وغيرهم ما كانت فلسفتهم إلا لحل مشكلات عصورهم ، يعلم ذلك من يتتبع موضوعات مؤلفاتهم المتنوعة

ثم كان علماء هذه الأمة الكريمة على ذلك ، فتجد أكثرهم يؤلف في النوازل التي تنزل أو يتوقع نزولها بسد المعضلات. وبالنظر في كتب الفتاوى والأحكام يتبين ذلك ، بل لا تجد كتاباً في فن إلا والقصد منه سد فراغ وكفاية حاجة من حاجات المجتمع في نظر مؤلفه

بناء على هذه السنة جعلت هذه الأوراق أجوبة على أسئلة ثلاثة وردت عليّ من عالم نبيل من علماء أشقودرة (ألبانيا) يطلب مني الجواب عنها وهي :

١ — لبس البرنيطة ٢ — قبض مرتب بدون عمل ٣ — مفتريات أهل الطريقة التجانية

وهذا نص السؤال ، ويليه الجواب :

«صاحب الفضيلة والسماحة والأيادي الجليلة ، لازالت أعماله مشكورة، وآثاره مبرورة ، الأستاذ الكبير الإمام الشيخ محمد ابن الحسن الحجوى الثعالبي الجعفري وزير معارف الحكومة المغربية . بعد إتحافكم درر التحيات السنية، وغرر التسليمات البهية، أعرض أن كثيراً ما يجول في عقولنا ويخطر ببالنا الترامي إلى أعتابكم الشريفة سائلين منها حل مسائل يكون الناس فيها ما بين كفر وضلال، وكثر فيها القيل والقال ، حتى افترق الناس فريقين في أكثر البلاد خصوصاً في بلادنا الالبانية وأشقودرة ، إلا أن الشواغل التي كثرت لديك من المسائل العلمية التي توجه إليك من جميع الأطراف قد منعتنا من السؤال عنها، لكن عند ما اشتد الخلاف فيها الآن بحيث صار لا يمكن أن يدفعه أحد غيرك في اعتقادنا ما وجدنا مناصاً من أن نطلب ونرجو من فضيلتكم أن تضع هذه المسائل في مقدمة المسائل التي تعنى بها عناية كبيرة لما لها من شأن عظيم وهي :

مسألة البرنيطة أو القبعة [1] كان ملك ألبانيا قد أصدر أمراً لكل رجل موظف له مرتب شهري أن يلبس البرنيطة وإلا يعزل عن الوظيفة والمأمورية؛ فهل يجوز لذاك المأمور الموظف أن يلبس البرنيطة تبعاً لأمر الملك أو يترك الوظيفة والمعاش ويقبل العزل ؟ وكذلك قرر مجلس وزراء ألبانيا أن يلبسن البرنيطة جميع الصبيان الذين يداومون بالتحصيل في المدارس والمكاتب ، فهل يجوز أيضاً لآباء وأولياء هؤلاء الصبيان أن يلبسوا البرنيطة الصبيان أم يقبلوا طردهم وإخراجهم من المدرسة ويتركوهم بدون تحصيل ولا تعليم خصوصاً في هذا الزمان ؟ يعني هل يعد التحصيل والمعاش ضرورة للبس البرنيطة أم لا ؟ وغير الموظفين والمأمورين من العوام قد تركهم الملك مخيرين إن شاءوا لبسوا لباس القوم الأرناءودي مع الطربوش الأبيض كما هي عادة أهالي أشقودرة وألبانيا . وهؤلاء الذين تركهم الملك مخيرين هل يباح أو يكره أو يحرم عليهم لبس البرنيطة أو يكفر لابسها

(١) اشتهر في الشرق إطلاق القبعة بوزن قبرة على ما يطلق عليه لفظ برنيطة وإنما القبعة في اللغة ثوب يخاط كالبرنس يلبسه الصبيان كما في القاموس وفي المنجد البرنيطة عربيتها القلنسوة . اهـ

إن لبسها بالاختيار . ثم إن القلنسوة التي ذكرها الفقهاء في الكتب الفقهية بقولهم : من وضع قلنسوة المجوس على رأسه قيل يكفر وهو الصحيح ، وقيل لا يكفر . ما المراد بهذه القلنسوة؟ أهي التي جعلوها علامة على خدمة دينية أو الدخول في الدين كطيلسان اليهود وجبة القسيس وما يلبسه صبيان النصارى وبناتهم حين الدخول في التكليف الديني ، أم تشمل كذلك القلنسوة التي لم يقصد منها الدلالة على الدين، وإنما هي لباس أمة صادف أن كان كلها أو معظمها غير مسلمين بحيث يلبسها النصراني واليهودي ومن كان يولد من تلك الأمة ، بها و كذا يلبسها المسلمون في هذا الزمان ، يعني ما الفرق بينهما ؟

المسألة الثانية : رجل ألباني أو بغدادي أو شامي مثلاً في دار يأخذ مرتباً شهرياً سياسة من الحكومات المتجاورة مثل إيطاليا أو فرنسا : أو فرّ وخرج من دار سياسة أيضاً إلى دار أخرى ويأخذ من تلك الحكومة التي يقيم فيها هل يحل لذلك الرجل أن يأخذ فرنكات كثيرة من تلك الحكومة المجاورة أم لا

المسألة الثالثة : وهي أن الطريقة التجانية المنتشرة في أكثر البلاد حتى البلاد الأرناؤودية ولا سيما بلدتنا أشقودرة هل المندمج فيها غير مناف للشريعة الغراء ، ومنتسبو تلك الطريقة يدعون أفضلية قراءة (صلاة الفاتح) لما أغلق على تلاوة القرآن ستة آلاف مرة وهو أكبر الأذكار متأولين بأن ذلك بالنسبة لمن لم يتأدب بآداب القرآن كما فصله في (كتاب جواهر المعاني) المنسوب إلى التجانية ، وأن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بتلك الصلاة الخاصة إنما يترتب عليها الثواب إذا اعتقد أنها من كلام الله القديم من قوله عليه السلام : من صلى عليّ مرة صلى الله عليه عشراً . وإن تلك الصلاة مع فضيلتها بتلك الثابة لم يعلمها النبي عليه السلام لأحد إلا لمؤسس تلك الطريقة ، وفي ذلك مالا يخفى من لزوم الكتمان ومنافاته للتبليغ المأمور به عليه السلام ؛ وإن مؤسس تلك الطريقة أفضل الأولياء ، مع أن الإجماع هو أن الأفضل بعد نبينا محمد عليه السلام الخلفاء الأربعة على الترتيب المعلوم ؛ وأن من انتسب إلى تلك الطريقة يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب ويغفر ذنوبه الصغار والكبار ، حتى التبعات وغير ذلك مما هو مبسوط في الكتب التجانية .

فهنا نحن متعطشون لفتوا كم فهي لنا بمثابة نور يسطع وسط الظلمات فيبددها حتى نكون بعد ذلك على طمأنينة ، ولذلك نطلب ونرجو من فضيلتكم توضيح هذه المسائل المهمة بالبراهين القاطعة والأدلة المقنعة موقنين أنكم ممن يعملون بقوله تعالى (وأما السائل فلا تنهر) نسأل الله تعالى أن يفيض عليك من نعمه ، ويمدك بوافر فضله وكرمه ، وأن يقيك من جميع البلايا والآفات ، في جميع الأزمان والأوقات ، وتقبلوا فائق احترامي وجميل شكري

أحد منتمى العلم في بلدة أشقودرة

حافظ ابراهيم ريبشطي

وأن تتفضل بارسال الأجوبة الشافية بكتاب خاص بالعنوان بالحروف اللاتينية :

Hafiz Ibrahim Repishti
Albania Scutari

انتهت الأسئلة بحروفها

(يتبع) محمد بن الحسن الحجوى

مصر والبلاد العربية

للدكتور زكي مبارك

أشكر لأدبكم وكرمكم التفضل بالحضور للتسليم على صديق كان اغترب مدة فى سبيل خدمة العلم فى العراق

وأعتذر عن كلة « اغترب » وأقترح حذفها من المعاجم فهى كلة تفردت بها اللغة العربية ، ولا يكاد يوجد لها نظير فى اللغات الأجنبية، وعن لغة العرب نقلت إلى الفارسية والتركية وهى كلة حزينة يتمثل سوادها فى كلام من يقول :

وكل محب قد سلا غير أننى غريب الهوى ياويح كل غريب

وفى كلام من يقول :

أنا فى الغربة أبكى ما بكت عين غريب

لم أكن يوم خروجى من بلادى بمصيب

عجباً لى ولتركى وطناً فيه حبيبى

ولى مع هذه الكلمة الحزينة تاريخ ، فقد سببت أول معركة أدبية شهدتها فى العراق ، ذلك بأنى كنت نشرت مقالا فى مجلة الرسالة عنوانه « القلب الغريب فى ليلة عيد »

فعز على أدباء العراق أن أقول إنى فى بلدهم غريب ، ودار الجدل أشهراً حول ذلك المقال فى الجرائد والمجلات. والحنين إلى الوطن مرض لا يصيب غير الضعاف فى عالم الانسان والحيوان ، فأرجو أن يكون فينا من القوة مايعصمنا من هذا المرض المضال

أنا ما كنت غريباً فى العراق ، وإنما كنت بين أهلى وقوى. وإذا صح للمصرى أن يشعر بالغربة وهو فى وطن عربى مثل العراق فماذا ترونه يصنع لو هاجر إلى بلد فى استراليا أو فى إحدى الأمريكتين ؟

لقد آن للمصرى أن يبرئ نفسه من ذلك المرض الذى يقضى بأن يتوجع حين تنقله الحكومة من القاهرة إلى حلوان ، آن للمصرى أن يفهم أن فى دمه روحاً عربياً يسوقه إلى الانتقال من أرض إلى أرض فى سبيل المنافع العلمية والأدبية. آن للمصرى أن يفهم أن رجولته لا تكتمل إلا إذا واجه المصاعب واستطاع أن يخلق لنفسه ولوطنه أصدقاء فى مختلف البلاد

وما أقول انى كنت أقوى من سائر الزملاء الذين تشرفوا بخدمة العلم فى العراق ، وإنما أقول إنى رضت نفسى على التخلق بأخلاق أسلافنا من العرب فرأيت الأرض كلها وطناً أصيلا ولم تجر كلة الغربة على لسانى إلا تأثراً بالميراث الحزين الذى قضى بأن تتفرد لغتنا بكلمة « غريب » من بين سائر اللغات

ولما زار سعادة العشماوى بك مدينة بغداد دعا الأساتذة المصريين لسماع ما قد يكون عندهم من مقترحات أو شكايات ، فمضيت أبحث عمن أعرف منهم لأصدهم عن حضور ذلك الاجتماع فقد كنت أحب ألا يكون بيننا وبين حكومة العراق وسيط ولو كان ذلك الوسيط هو العشماوى بك الذى أحب العراق وأحبه العراق .

إن صداقتنا للعراق لاتزال فى أول عهد من عهود التكوين، وهى لا تزال فى حاجة شديدة إلى من يحرسها ويرعاها ، وهى تستحق الحراسة والرعاية لأنها رباط بين أمتين كانت بينهما صلات ودية من أقدم عهود التاريخ

ولا يعرف قيمة هذه الصداقة إلا من زار العراق. فأهل العراق بمودتهم المتينة يبعثون فينا شعور الثقة بالنفس ، ويفرضون علينا أن نؤمن بأن جهادنا فى سبيل العلم والمدنية لن يضيع

أهل العراق منا ونحن منهم . ولو نطقت الأحجار لحدثتكم أن علماء العراق اتصلوا بمصر ونقلوا إليها علومهم ومعارفهم يوم أراد التتار أن يقرضوا حضارة بغداد

ولعل هذا هو السبب فى أن مخارج الحروف لا تتفق بين أمتين عربيتين كما تتفق بين مصر والعراق

أهل العراق منا ونحن منهم؛ فالمؤلفات القديمة فى معاهد مصر هى فى الأغلب عراقية ، والمؤلفات الحديثة فى معاهد العراق هى فى الأكثر مصرية . فأرجو كم بالله أن تكونوا جميعاً أنصارا للاخوة التى تربط بين مصر والعراق

وقد عجب بعض الناس حين رأونى أتصدى لدفع الأذى عن سمعة العراق، فاعرفوا إن شئتم أنى أدفع دينا ثقيلا. فأهل العراق فى

نص الخطاب الذى ألقاه فى حفلة تكريمه

أندبتهم وجرائدهم ومجلاتهم ومدارسهم يدفعون عن مصر قالة السوء ويخاصمون فى سبيلها كثيرا من الناس، ولو عرفتم من ذلك بعض ما عرفت لرأيتم أن من القليل أن ينهض كاتب أو كاتبان للاشادة بفضائل أهل العراق .

إن القاهرة تقوم فى العصر الحديث بالواجب الذى كانت تقوم به بغداد فى عصر بنى العباس، فمن واجب القاهرة أن تحمل من التكاليف ما حملت بغداد، بل من واجب القاهرة أن ترحب بمطلع اليوم السعيد الذى يقضى بأن يكون لها فى الشرق منافس قوى هو بغداد ، فتفرد القاهرة بالزعامة الأدبية قد يضر أكثر مما ينفع ، لأن التفرد بالتفوق قد يخلق عيوبا أيسرها الزهو والخيلاء والاطمئنان إلى أن ليس فى الامكان أبدع مما كان

وقد بدأت هذه العيوب تظهر مع الأسف، فأهل مصر شغلتهم ثقافتهم التى اتسعت وتشعبت عن التطلع إلى ما يبدع أهل العلم والأدب فى العراق وسورية ولبنان وفلسطين والحجاز واليمن والجزائر وتونس ومراكش وما إلى هؤلاء من البلاد العربية ؛ وانصراف أهل مصر عن الأدب فى تلك البلاد يحجبهم عن تطور الحياة فى أقطار حية سيكون لها باذن الله مكان بين الأقطار التى تسود العالم فى المستقبل القريب

* * *

ومن الواجب فى مقامى هذا أن أوجه أنظاركم إلى حقيقة لا يختلف فى صحتها اثنان : تلك الحقيقة هى أن مصر تنفرد اليوم بالسيادة العقلية فى البلاد العربية . فمؤلفات مصر ومجلات مصر ليس لها مزاحم يخشى خطره فى تلك البلاد ؛ وشعراؤنا وكتابنا هم الذين يقدمون الغذاء الأدبى لجمهور المتعلمين فى الأقطار العربية، وبفضل إقبال أولئك الاخوان على مؤلفات مصر ومجلات مصر استطاعت اللغة العربية أن تقف على قدميها بجانب اللغة الفرنسية واللغة الانجليزية . فاللغة العربية هى اليوم لغة حية حقا وصدقاً ، وهى تكافح وتناضل لتسيطر وتسود . وما كان من الغريب أن تسيطر اللغة العربية فى أقطار كتب الله أن تستعرب منذ أجيال طوال ، ولكن فساد الزمن وتوالى الأحداث والخطوب جعل سيادة اللغة العربية فى بلادها من الغرائب ، فلنفهم ذلك ولنواصل الجهاد ، ولنعرف أن من أعظم الشرف أن نكون فى الحياة من المجاهدين، ولنتذكر دائماً أن انتصار اللغة العربية فى أوطانها هو البشير بأن تلك الأوطان تستمد من حيث تشعر أو لا تشعر لحياة مجيدة سترون أعلامها بعد حين

وإخواننا العرب يعجبون من تفرد مصر بالتفوق فى اللغة العربية ، فان أذنوا شرحت لهم بعض أسرار هذا التفوق . فمصر هى الأمة الوحيدة التى استعربت استعراباً تاماً ، وصارت العربية لغتها الرسمية والقومية فى مدة ترجع إلى ثلاثة عشر قرناً . وهذا حظ لم يظفر بمثله المغرب ولا الشام ولا العراق ، فما انقرضت اللغة البربرية فى المغرب، ولا اللغة السريانية فى الشام ، ولا اللغة العبرانية فى فلسطين ، ولا اللغة الكلدانية فى العراق

وإنا لنرجو أن تكون لمصر يد بيضاء فى رجوع اللغة العربية إلى بلاد فارس بفضل المودة الجديدة التى أنشأتها المصاهرة الملكية بين مصر وإيران . فمن المؤكد أن قادة الرأى فى تلك البلاد سيراعون عواطفنا مشكورين فلا يستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ، كما فعل إخواننا الأتراك سامحهم الله حين استبدلوا الحروف اللاتينية بالحروف العربية

وقد وقع بينى وبين سفير إيران فى العراق عتاب حين رأيته أول مرة فى بغداد ، ولم أكن أعرف أن الله سيخلق بيننا وبينهم صلات جديدة تجعل من الحق علينا أن نذكرهم بماضيهم الجميل فى خدمة لغة القرآن يوم كان منهم كبار النحويين وكبار اللغويين

إن فرنسا لها مدرسة فى طهران لنشر اللغة الفرنسية بين أهل إيران ، فمتى يجىء اليوم الذى تقوم فيه مدرسة عربية فى وطن الجرجانى والتوحيدى وابن العميد ؟

لقد ألفت كتابى النثر الفنى أول مرة باللغة الفرنسية وأنا فى باريس ، وكان قلبى يفيض بالحزن الدامى كلما تذكرت أن أكثر من تحدثت عنهم فى كتابى كانوا رجالاً نشأوا فى بلاد فارس ، وأن لغة العرب فى تلك البلاد صارت غريبة الوجه واليد واللسان

وكذلك كان حالى حين ألفت كتاب التصوف الاسلامى فقد رأيت أن أرواح التصوف هبت علينا من الأقطار الفارسية

فيا أصدقائى الأعزاء فى إيران تذكروا ثم تذكروا وأنتم مسلمون أبرار أن اللغة العربية هى لغة القرآن ولغة الرسول ، وتذكروا أن الأمم العربية لها فى العالم السياسى والأدبى

والاقتصادي موازن ، وأنها خليقة بأن تزيدكم قوة إلى قوة حين تراكم ترحبون باللغة العربية التى كان لها فى بلادكم أبناء وأحفاد وأسباط ...

تلكم مكانة مصر بين الأمم العربية والاسلامية ، وذلكم حظها بين الممالك والشعوب ، وهذا التجاوب الأدبي بيننا وبين من نعرف ومن لا نعرف لم يقع من باب المصادفات ، وإنما هو علامة حب صادق يضمره لمصر من عرف فضلها من الرجال

وأخشى ، والحزن يفعم قلبى ، أن يكون ما ظفرنا به من المجد الأدبي ميراثاً تلقيناه عن أجدادنا النبلاء الذين ملأوا الدنيا بالتأليف والتصنيف وجعلوا مصر تاجاً تزدان به هامة اللغة العربية

أخشى ألا تكون لنا سياسة رشيدة تفكر دائماً فى حفظ مكانة مصر بين الأمم العربية . أخشى أن نجهل نعمة الله علينا فننسى أننا أغنى الأمم العربية بالأموال والرجال . أخشى ألا نعرف أن الجهاد فى سبيل اللغة العربية هو مجد أبقى على الزمن من الأهرام ومن قصر الكرنك وقصر أنس الوجود

إن اللغة العربية هى التى ستجعل لنا لسان صدق فى الآخرين ، وهى التى ستسطر محامدنا على جبين الزمان

والذي أدعوكم إليه هو تجارة لا تعرف غير الربح ، فان كنتم فى ريب من ذلك فسيروا فى الأرض وانظروا كيف تذكر مصر بالحمد والثناء

إننى أفرض زيارة الشرق على رجلين : الأول وزير المعارف والثانى وزير الخارجية

أما وزير المعارف فهو اليوم معالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا ، وليته كان فى بغداد كما كنت فى بغداد يوم ظهور كتابه عن منزل الوحى . ليته كان هناك ليري كيف استقبل البغداديون كتابه بموكب لم يعرفه القاهريون . وأما وزير الخارجية فهو اليوم دولة عبد الفتاح يحيي باشا ، وليته يرى كيف يأنس أهل بغداد إلى صوره الكاريكاتورية فى الجرائد والمجلات ، إنه لو رأى ذلك لعرف أن مصر لا تعيش وحدها وإنما تعيش فى أنس بأصدقائها فى الشرق

ولن أنسى اليوم الذى زرت فيه نادى المعارف فى بغداد مع سعادة الأستاذ طه الراوى ، فقد رأيت مكتب رئيس النادى يزدان بصورتين كريمتين : صورة الملك فاروق الأول وصورة الزعيم سعد زغلول

ولما زرت النجف أراد أدباؤه أن يقدموا إلى هدية فكانت تلك الهدية هى صورة الرجل الموفق محمد المشماوى بك ، وكان زار النجف واستقبل فيه أكرم استقبال

ولما زرت الموصل رأيت رئيس نادى الجزيرة أحد تلاميذى القدماء فأحسست أننى فى دارى وبين أهلى

فيا أهل مصر ، متى تعرفون نعمة الله عليكم ؟ ومتى تؤدون للأمم العربية واجب الوفاء ؟

إن الذى كتب أن تكون عاصمتكم عروس الشرق هو وحده القادر على أن يجعلكم أهلا لرعاية العهد وحفظ الجميل

زكى مبارك

تيسير قواعد الاعراب

لأستاذ فاضل

— ٣ —

ألقاب الاعراب والبناء

جعل النحاة للاعراب ألقاباً هى : الرفع والنصب والجر والجزم ، وجعلوا للبناء ألقاباً هى : الضم والفتح والكسر والسكون ، وقد رأت جماعة وزارة المعارف أن هذه التفرقة دعت إليها الدقة فى الاصطلاح بدون حاجة إليها ، ولهذا رأت ألا يكون هناك فرق بين ألقاب الاعراب وألقاب البناء

ولا يخفى أن ما ذهبنا إليه من إنكار البناء فى العربية لا تتأتى معه هذه التفرقة ، ولكن لا بد فيما ذهبنا إليه من أن يبقى الرفع والنصب والجر والجزم ألقاباً للاعراب ، وتبقى الحركات من الضم والفتح والكسر وما ينوب عنها والسكون وما ينوب عنه علامات لهذه الألقاب . ولا شك أن ما تذهب إليه هذه الجماعة من أن يكون لكل حركة لقب واحد غير جدير بالاعتبار ، لأن هذا قد يمكن فى الإعراب بالحركات ، أما الاعراب بالحروف فلا يتأتى فيه ذلك ، لأنا إذا جعلنا الرفع عبارة عن حركة الضم لم يمكن أن نجعله عبارة عن حرف من الحروف التى تدل عليه ، كالواو فى جمع المذكر السالم ، وكالألف فى المثنى . ومن الاعراب بالحركات مالا يتأتى فيه ذلك أيضاً ، وهذا كما فى جمع المؤنث السالم فى حالة النصب ، لأنه ينصب بالكسرة ، فلا بد أن تكون الكسرة فى ذلك علامة لا لقبا ، لبعد ما بين اللقب والعلامة فيه . وإذا كانت جماعة وزارة المعارف قد وجدت من السهل ألا تفرق بين النصب والفتح فى مثل — رأيت إنساناً — فانه يصعب عليها ألا تفرق بين النصب والكسر فى مثل — أكلت تفاحاتٍ

الجملة

رأت الجماعة أن تجرى فى النحو على اصطلاح علماء المنطق فتسمى جزأى الجملة موضوعاً ومحمولاً ، والموضوع هو المحدث عنه فى الجملة ، وحكمه الضم عندها إلا أن يقع بعد إن أو إحدى أخواتها ، والمحمول هو الحديث أو المحدث به

١ — ويكون اسما فيضم إلا إذا وقع مع كان أو إحدى أخواتها

٢ — ويكون ظرفاً فيفتح

٣ — ويكون فعلا أو مع حرف من حروف الاضافة أو جملة ويكتفى فى بيان إعرابه بأنه محمول

وترى الجماعة أنها بهذا كله يسرت إعراب الجملة وقللت اصطلاحاتها وجمعت أبواب الفاعل ونائب الفاعل والمبتدأ واسم كان واسم إن فى باب الموضوع ، وجمعت أبواب خبر المبتدأ وخبر كان وخبر إن فى باب المحمول ، وخففت عن المعلمين والمتعلمين برد باب ظن إلى الفعل المتعدى

ونحن نرى أن كلاً من تقليل الاصطلاحات وتفصيلها قد يكون يسراً فى العلم وتدوينه ، وقد يكون يسراً فيه ، فيجب أن يصار إليهما بقدر ما تدعو إليه الحاجة فيهما ، وإلا كان الاجمال غموضاً فى العلم وكان التفصيل حشواً لا فائدة فيه ، وهذه الأبواب التى جمعت فى باب واحد ذات أحكام كثيرة مختلفة ، فمن الواجب أن يقتصد فى جمعها ، وقد يؤدى الاسراف فى تقليل اصطلاحاتها إلى عكس ما نرجوه منه

والذى نراه فى ذلك أن يلحق باب كان وأخواتها وباب إن وأخواتها بباب المبتدأ والخبر ، فتجمع هذه الأبواب الثلاثة فى باب واحد ، ويعرب اسم كان وخبرها مبتدأً مرفوعاً [1] وخبراً منصوباً ، ويعرب اسم إن وأخواتها مبتدأً منصوباً وخبراً مرفوعاً لأن الاعراب فرع المعنى ودليله ، وهذه الصيغة الاعرابية المشهورة لا يمكن أن تدل على معنى فى جملة كان وأخواتها وجملة إن وأخواتها ، بل هى صيغة لا معنى لها فى ذاتها ، إذ لا يمكنك أن تفهم معنى لكون اسم كان وأخواتها اسماً لها ، ولا لكون خبرها خبراً لها ، وكذلك الأمر فى إن وأخواتها ، فصاحب الخبر فى قولك : كان زيد قائماً — هو زيد لا كان ، وموقعه فى هذه الجملة موقع المبتدأ المخبر عنه ، فأصدق شىء فى إعرابه أن يقال إنه مبتدأ ، وأن يقال فيما بعده إنه خبره لا خبر كان ،

(١) مذهب الكوفيين أن اسم كان باق على رفعه قبل دخولها عليه

وليست كان فى جملتها إلا قيداً فيها ، لأنها تقيد الخبر بمفادها وهو الزمان الماضى ، فكأنك قلت فى ذلك المثال — زيد قائم فى الزمان الماضى [١]

وأمر ذلك فى إن وأخواتها أظهر منه فى كان وأخواتها ، لأن قولك — إن زيداً قائم — لا تفيد إن فيه إلا تأكيد ثبوت الخبر للمبتدأ ، فلا يزال المبتدأ فيها مبتدأ على معناه وإن تغير إعرابه ، ولا يزال الخبر خبراً له باعرابه الذى كان له

وليست منزلة هذه الأدوات من المبتدأ والخبر إلا كمنزلة أدوات الشرط من فعل الشرط وجوابه. وأنت حينما تعرب فعل الشرط لا تقول إلا أنه فعل الشرط ، ولا تقول إنه فعل الأداة ، وكذلك تقول فى الجواب إنه جواب الشرط ، ولا تقول إنه جواب إن وأخواتها ، فاذا أضيف الشرط أو الجواب فى بعض الأحيان إلى هذه الأدوات فان ذلك لا يكون إلا على ضرب من التجوز ، لما لها من علاقة المجاورة والعمل فيهما ، ولا يدل على أمر حقيق فى معنى الجلة

فهذا هو الذى نراه فى اختصار هذه الأبواب ، قد راعينا فيه ما يجب من مطابقة الاعراب للمعنى ، ولم نقصد فيه الاختصار لذاته كما قصدته هذه الجماعة

وعلى ما ذهبنا إليه فى ذلك يكون المبتدأ هو الاسم المحدث عنه فى الجملة الاسمية ، فيشمل ذلك اسم كان واسم إن ، ويكون الخبر هو الاسم المحدث به فى الجملة الاسمية ، فيشمل ذلك خبر كان وخبر إن . وقد ذهب الكوفيون إلى أن المنصوب بعد كان وأخواتها حال لا خبر ؛ ويمكن على هذا أن يكون المرفوع بعدها فاعلا لها ، ويكون حكمها فى ذلك حكم سائر الأفعال ، ولا يكون هنالك داع إلى تقسيم الأفعال إلى تامة وناقصة

ولا نرى بعد هذا كله فى ذلك الوضوع إلا أن يلحق باب النائب عن الفاعل بباب المفعول به وغيره مما ينوب عن الفاعل ، فيكون لنا مفعول به مرفوع فى نحو — قُضِىَ الأمرُ — ومصدر مرفوع فى نحو — فاذا نُفخ فى الصور نفخة واحدة — وظرف مرفوع فى نحو — سهرت الليلة — وهذا الاعراب أولى من الاعراب المشهور فى ذلك ، لأن إعراب ذلك نائب فاعل لا يقوم على أساس قوى ، إذ ليس فى ذلك إلا حذف الفاعل للعلم به أو نحوه مما يحذف لأجله ، والمفعول بعد حذف الفاعل باق على مفعوليته ، ولا معنى لدعوى نيابته عن الفاعل ، بل قد يحذف الفاعل ولا يوجد ما ينوب عنه ، نحو — سُقط فى أيديهم — وهم يذهبون فى هذا إلى نيابة المجرور ، ولكنه تكلف ظاهر ، وليس من اللازم أن ينوب شىء عن الفاعل عند حذفه ، كما لا يلزم هنا فى حذف المبتدأ ونحوه

« يتبع » أزهرى

---

(١) قال الصبان : إن تسمية المرفوع اسم كان والمنصوب خبرها تسمية اصطلاحية خالية عن المناسبة ، لأن زيداً فى — كان زيد قائماً — اسم للذات لا للكان ، والأفعال لا يخبر عنها



موت فرنشيسكو فرنشا

مترجمة عن الايطالية

— ...

يا بنى ! لا جدال فى أن عصر النهضة الايطالية عصر ربيع للحياة الفنية العظيمة ؛ أورق فيه الفن وأزهر ، ونهض الرسم نهضة قوية جبارة ، إذ نفض عن كاهله رماد الموت ، ونفخ فى هيكله روح حياة جديدة ، فجاءنا بكل شهى بهى ، وأسعف ذوقنا بكل رائع خلاب

أوجد من الرجال العظام ومن الرسامين الفطاحل ما يدهش لمده وحصره كل قارئ وكل مؤرخ : رجال أكفاء ، أفذاذ ، فى المناقب والأعمال ، جبابرة في التفكير ، عظماء فى الابداع والخيال

وكلنا مشوق ولا شك إلى دراسة حياة رجالات هذا العصر ، لتفهم طراز درسهم للفن ، وطرق تدرجهم نحو ذروة الكمال والمجد : بعد أن طواهم الردى واحتوتهم الرموس

ومن الغريب العجيب كما قال (أوسيان) أننا حين ذكرانا لهم وتتبعنا لخطواتهم ينهضون معاً ويأتوننا مجتمعين ليذكرونا بقيمة فنهم المتحد المشترك ، وبقوة الدهر الذى عاشوا بين أحضانه حتى أصبحوا خير مثل

هناك حوادث كثيرة ، ومناقب طريفة نقلها إلينا تاريخهم الماسر المجيد ، قد نظنها عند سماعها إنها من خيال الكتاب أو من تزويق الرواة مستحيلة الوقوع خارقة لطبيعة الواقع . ولكن ها هي آثارهم الخالدة لا تزال تستهوى لبنا بعد أن طواها البلى ، فكيف بها وقت أن كانت فى صبح شبابها الرائع ، وفى عصرها الذهبي الذاهب ؟!

هناك قصة يهلع لسماعها القلب ويخشع ، هى قصة الفنان العظيم (فرانشيسكو فرانشا) أستاذ المدرسة البولونية اللومباردية

ولد فرانشيسكو فرانشا فى أسرة متواضعة فقيرة

***

ثم جعله أهله فى صغره عند صائغ فكان الفن الرفيع متجلياً فيما يبدع . ولما شب كان أمراء (لومبارديا) يتقدمون إليه لينقش لهم صورهم على العملة التى كانوا يسكونها . ولم يقتصر الاعجاب به على أمراء بلاده فحسب ، بل تعدّاهم إلى أمراء المقاطعات المجاورة ، فكان هؤلاء إذا زاروا (بولونيا) — موطن الفنان — أوفضوا إليه ليطبع صورهم على اللوحات المدنية ، وينقشها على العملة التى يردونها ، كما كان يصنع لأمراء بلاده وأقيالها

ومع ما بلغه فرانشيسكو من المنزلة السامية والمكانة المرموقة كانت نفسه التواقة تتطلع إلى ذروة أسمي مما وصلت . ولما بلغ الأربعين حولاً ، وجه عزيمته الجبارة لشق طريق جديدة لم يسلكها أحد قبله ... [١] تعتمد على العلم والدراسة والذوق والحس ... وها هوذا يبدأ بدراسة الرسم ، فيدرس توافق وتراكيب الرسوم [٢] ، وتناسب وامتزاج الألوان [٣] ، وأثر وقوى النور ، وأساليب رسم المنظور بالطرق الهندسية [٤] . فاستطاع بعد هذه

(١) المعروف أن الفن الايطالى أخذ بالنهوض منذ القرن الحادى عشر — وأذا لم نغالي فنقول منذ القرن التاسع — على يد « جاكوبو توريتى » ومن ثم على يد « جوتو » إلى أن يأتى القرن الرابع عشر فنهض الرسم على يد نخبة صالحة كالراهب « انجيللو » الذى استطاع أن ينفخ فى رسومه روح الوداعة اللائكية ، أو « شيللو » الذي درس المنظور دراسة واسعة « وأندرا كستانيو » و« مزاجو » وغيرهم ... إلى أن يأتى فرانشيسكو وغيره من العظماء الاساتيذ

(٢) أعنى — La composizione

(٣) أعنى — L'armonia

(٤) أعنى — La prospettiva

الدراسة يخط فى مدة قصيرة لنفسه طريقة جديدة فى عالم التصوير: هى المعروفة فى التاريخ (باسم المدرسة البولونية اللومباردية)

اعترى سكان لومبارديا ضرب من الذهول والتعجب حين طلع عليهم فرانشيسكو بلوحاته الجيلة وجاماته البديعة، وكانوا يعتقدون استحالة الجمع بين النقش والتصوير، وخاصة بهذه السرعة العجيبة. ولكن الأمراء لم يسيروا مع ذهولهم ولم تطل ساعة تعجبهم بل راحوا يختطفون ما أنتج من لوحات وما أبدع من جامات لتزينوا بها دورهم وقصورهم كما كانوا يستبقون قبلاً لشراء آثاره المدنية المنقوشة ...

نال فرانشيسكو فرانشا منزلة سامية فى الرسم لا تقل عن منزلته فى النقش فى وقت كان فيه اسم (رافائيلو سانسيو) العظيم فنان روما وصاحب الحظوة عند البابا، قد سار به الركبان ورودده الخافقان. فنجاح فرانشيسكو إذن لا يفسر بخلو المكان وفقدان المنافس، كما أن شهرته فى النقش لم تكن زريعة للنجاح أو الزلفى إلى الأمراء والكبراء، لأن الكفاية الفنية ليست كضربة لاعب أو رمية رام؛ بل هى ومضة علوية تشع آلاف الأشعة الوهاجة، فتنير من نفسها طريق الفهم وتدلنا على مواقع الاسفاف أو السمو بدون إبهام ولا خداع؛ فنرى بأعيننا آثار هؤلاء الفنانين العظام الذين هم بحق نعمة من نعم السماء

لاشك أن فرانشيسكو كان من ألمع رجال الفن فى عصر النهضة. له كما لهم المنزلة المرموقة فى نفوس رجال النقد والتأليف فى العالم أجمع، لا لشىء إلا لأن هذه الصفوة العجيبة من الفنانين العظام استطاعت أن تشيد على أنقاض الجاهلية الجهلاء صرحاً مكين الدعائم رفيع الأركان فى أفسح ساحات المدينة الفاضلة وفى عالم الفن الرفيع الخلد. وكانت يد فرانشيسكو من أطول الأيدى وأقدرها على رفع الأساطين وتشييد الجدران، فأنتجت وافر الإنتاج وأبدعت غاية الإبداع، وطافت على قصور (لبارديا) فكستها الجمال، وأكسبتها الفتنة والملاحة. وراحت إيطاليا كلها بعد لومبارديا تذكر فرانشيسكو بكل إجلال وإكبار

كان رفائيللو في روما يرهف سمعه للصدى الخلاب الذى تتجاوبه الأفواه المعجبة. وكان يصغى بقلبه للحديث العذب الذى يتحدث به أهل بولونيا عن فنانهم العظيم، وكان يطرب لموسيق اسم الفنان ويتشوق لرؤية آثاره وطلعته، وقد أسعفه الحظ فرأى ما أعجبه فاتصل رفائيللو بفنان لومبارديا فأطرى طريقته إطراء جيلاً وامتدح أسلوبه وقرظ فنه الحسن العجيب

لقد بلغ فرنشيسكو بحق منزلة رفيعة من لطف الحس ورقة الروح وجودة الأسلوب ودقة العمل، وقد أعجب بفنه كثير من الكتاب، وغالى أحدهم فدعاه إله الفن. وقد قال (كافازونى) إن رفائيللو بعد أن رأى (عذراء فرانشيسكو) تحرر من الجمود الذى علق بفنه من اتباعه طريقة (بروچا) وخلص من الجفاف الشاهد اليوم على بعض لوحاته قبل تأثره بفن فرانشيسكو. وروح الفنان كالأسفنجة ما جاورت غديراً إلا تشربت من مائه

لم يكن إطراء رفائيللو لفرانشسكو إلا قوة جديدة دفعته إلى الاستزادة، ورأى أن فنه لم يصل بعد إلى المكانة القصوى، واتخذ من مدح رفائيللو له جناحاً جديداً سيساعده على الطيران فى عالم الخلود

كان فرنشيسكو دون سائر الفنانين يستطيع أن ينافس رفائيللو الحظوة التى كان ينعم بها عند البابا وفى نفوس أهل روما، وكان فى قدوة فرنشيسكو أن يبارى رفائيللو فى حلبة الفن ويطاوله فى سماء المجد، ولكن الحظ لم يواته فلم ير لرفائيللو أثراً ليضرب الطريقة التى يسير عليها ضربة قاتلة[1]. كان مقيما ببولونيا لم يبرحها طيلة حياته، وكان رفائيللو مقيما بروما وروما ضنينة به والبابا من أحرص الناس على ملازمته. وكان فرانشيسكو الشيخ يتشوق لرؤية آثار فنان روما قبل إغماضه النمضة الأخيرة، رغم الفكرة التى استخلصها من وصف الناس لفنه ومن الكتب التى كان يتلقاها منه لماماً، فقدر أنه مثيله فى نواح متعددة، وقد يفوقه فى إحدى النواحى العميقة التى وصل إليها بطول المدة التى مارس فيها الرسم

***

جاء البريد يوماً بكتاب من رفائيللو يقول له فيه: إنه أرسل إليه لوحة (للقديسة سيشيليا) أعدها لكنيسة (سان جوفانى) بمدينة بولونيا نفسها، وأنه يرسل هذه اللوحة إلى صديقه

(١) يقول التاريخ إن رفائيللو أرسل لفرنشيسكو فرانشا صورة عن لوحة رسمها قبل أن يرى لوحة القديسة سيشيليا (المعرب)

(فرانشيسكو) أولا راجياً منه التكرم بمراقبة وضعها بالمكان الذى أعدت له . وقد يكون السفر الطويل قد أضر بها ، أو ربما يرى فيها بعض هفوات فنية ، فهو (أى رفائيللو) يرجو منه إصلاح ما فسد وتصحيح ما أخطأ فيه . على أن لغة التواضع التى اتبعها رفائيللو في كتابه إلى صديقه فرانشيسكو وأذن له بأن يعمل ريشته فى اللوحة التى سيرسلها إليه ليتحقق من سلامتها وصحتها؛ كل هذا أثار فى نفسه ثورة متضاربة شديدة من الأخيلة المضطربة ، ولم تسعفه مخيلته فى تصور ماسوف يري ، أو فى تقدير ماسيشاهد من المقدرة الفنية والبراعة التصويرية

وفى عصر يوم من الأيام التى مرت على وصول رسالة رفائيللو إليه رأى تلاميذه يوفضون إليه فرحين مستبشرين يزفون إلى أستاذهم خبر البشرى بقدوم اللوحة المنتظرة ، وكانوا قد أعدوا لها مكاناً حسناً فى المعمل على ضوء كامل

ها هى الدنيا تدور برأس فرانشيسكو الشيخ ... ولماذا ؟ ..

أنى لنا أن نصف لرجال هذا العصر الشعور الذى غمر نفس ذاك الفنان العظيم حين شاهد لوحة أعجبته وملكت لبه ؟! هو شعور أخ فارق أخاً له منذ الصغر ، وارتقب عودته على نار الغضى ... وفى الوقت الذى فتح ذراعيه لعناقه كان أمام ... أمام ملاك سماوى باهر الضياء

خفق قلب الشيخ المسكين وعنا وجهه وخشع أمام جلال الفن الرهيب ، وانحنت رجلاه ساجدتين كأنه أمام كائن سماوى مهيب ...

سمر فى مكانه وتسارع الطلاب إلى أستاذهم يسرون عنه بعض ما حل به ، ولا يفهمون لكل ما حدث سبباً ... أمطروه بالأسئلة والشيخ فى عالم غير عالمهم ...

صحا الشيخ قليلاً ... ولكنه ما زال شاخصاً نحو اللوحة السمائية (لوحة رفائيللو) ينظر وينظر ... وكيف لنا أن نعرف ماذا كان يفكر في هذه الساعة الرهيبة ؟

لقد تحطم المسكين أمام شعاع العظمة ... وها هو يسائل نفسه بغصة وألم عن السبيل إلى التكفير عن الجريرة التى اقترفها . إنه لكنود كفور . تطاول على رفائيللو العظيم وغمطه فنه . ولقد خيل إليه عن جهل وطمع أنه صنو له وند ... وقد طفق يعمل أصابعه الواجفة بشعره الأشهب الأشيب ويذرف الدمع سخيناً غزيراً على ما فرط فى جانب الفن . لقد كد وجد فى حياته طمعاً فى المجد ، ولكنه فى الساعة الأخيرة من عمره رأى صرح فنه الفخم ينهار أمام عظمة روفائيللو . تطلع إلى حيث كانت تنظر القديسة المصورة ... إلى السماء وكشف عن قلبه المحطم وصلى صلاة قصيرة طلب فيها الصفح والغفران ...

خانته ركبتاه وضعفت رجلاه عن حمله فسارع تلاميذه إليه فحملوه ...

وكان وهو خارج من معمله ينظر إلى بعض لوحاته المعلقة ونفسه تذوب حسرات وألما . وألقى نظرة الوداع على لوحة دفن القديسة سيشلسيا التى كانت لا تزال فى معمله وخرج .

مرض الشيخ ، واصطلحت عليه الأوصاب . وأخذت ذاكرته تخبو ، واستولى عليه هذيان الحمى الأخير ، وراحت تمتاده السكرات والغمرات ... لقد خان العقل الجبار صاحبه فى أواخر ساعاته ، ذالك العقل الذى غبر زمناً طويلاً يبدع الوجوه المشرقة ويسوى الأجسام على الأقمشة بالألوان والأصباغ ... واجتمعت تلك الوجوه التى أبدعتها مخيلته السحرية وخلقتها ريشته الصناع دفعة واحدة مع سعير الحمى المتأججة وراحت ترقص رقصة الشماتة والسخرية . وترفل فى ثياب رثة بهيئات مقلوبة ممسوخة ووجوه مشوهة دميمة ، تدق طبول الهلع وتنفخ فى بوق الفزع ، وتقرب ما بينه وبين الهوة المجهولة ...

وزاره طلابه يستفسرون عن صحته ... فاذا هو قد فارق الحياة ...

حقاً لقد كان هذا الرجل عظيما ، حينما شعر بالضعف أمام عظمة رفائيللو العلوية ، عظيما عند ما أثر فى نفسه فن رفائيللو هذا الأثر الغريب . إن عبقرية فرانشيسكو فى رأى حكم النقاد والمؤرخين هى فى طليعة العبقريات الفذة ، وآثاره تنطق بأنه راح ضحية النشوة والانفعالات الفنية[1]

(١) زار (ميكيل أنجلو) العظيم صحبة البابا جوليو الثانى مدينه (بولونيا) فلقى فى طرقها ابناً لفرانشيسكو ، وكان صبوح الوجه جميل الخلقة ، فربت على ظهره وقال له : (إن أباك يحسن ولادة الوجوه الحية لا الوجوه المرسومة) فرأى (انجلوا) كما يرى القارىء يناقض رأى رفائيللوا الذى كان يرى فى فرانشا الفن والذوق والبراعة العظيمة الكاملة

« المعرب »

من صميم الصحراء

إنســـانة الحي

للأستاذ ابراهيم العريض

استمرت ذُكاء شا خِصَّةً من مغيبها
وعلى البيدِ حولها أثرٌ من شحوبها
صُفرةٌ شابها من الـظلِّ ما يزدهي بها
وكأنَّ الرمالَ في لُجَّةٍ من كثيبها
تارةً تكتمُ الرسو مَ وطوراً تشي بها
وتوارت... فأعلنَ الأ فقُ منعى غروبها
ثم أرخى سُدولَهُ الـليلُ... تندى بطيبها
فتطلُّ النجومُ با سِمةً من ثقوبها
أيُّ طيفٍ أثارَ رحـمتَها في قلوبها
إنَّهـا غادةٌ على موعِدٍ من حبيبها

***

غادة في وُجومِها كالدُمى البيضِ ساحِرَهْ
من خِلالِ الخِيام تحـدِّقُ في الليلِ حائره
تُطرِقُ الرأسَ كي تُسيـخَ إلى النوقِ سادره
ثم تُلقي بطرْفِها حولها كالمحاذِره
لأقلِّ القليل من همساتِ العباقره
وإذا قلبُهُ تر سمُ في الأفقِ دائره
لا ترى في الظلام غيـرَ يدِ الله قاهره
يُثقِلُ النومُ جفنَها ثمَّ تخشى بوادِره
فتناجي بكفِّها أنجُمَ الليلِ حاسره
«جنِّحي يا عرائسَ الـليلِ باليُمنِ طائره»

***

لمحَتْ شخصَهُ على تلَّةٍ من تِلالِها
فتثنَّتْ... كأنَّها بانةٌ في اعتِدالِها
بعدَ أن نفضتْ عبا ءتَها مِن رمالِها
ومشتْ كالقطاةِ نا هِدةً في اختِيالِها
وهْيَ تُوحِي لصدرِها خفقاتِ انتِقالِها
ثم حيَّتْهُ عِندَ نا رٍ قِرًى في اشتِعالِها
لم يكُنْ حولها ولا واحِدٌ من رِجالِها
وعلى ثغرِها ابتِسا مٌ جزًى عن مَقالِها
فرأى ما يزيدُ في حُسنِها من دَلالِها
ظبيةٌ في كِناسِها ملءُ عينَي غزالِها

***

طلَعا فوقَ ربْوَةٍ رفَّ كالليلِ ظِلُّها
وعلى قُلَّةٍ من الـرملِ ضافٍ محلُّها
من وراءِ الخِيام حيـثُ تُرى البيدُ كلُّها
بسطتْ كفُّهُ الردا ءَ إلى مَنْ يُجِلُّها
خشيةً أن يمسَّها من ندى الأرضِ طلُّها
وهُناكَ استمرَّ في حظوةٍ لا يملُّهـا
لم يعِبْ حُسنَها سِوى أنَّهُ يستقِلُّها

زفر الشيخ (فاسري) زفرة عميقة وهو يقص على فاجعة الفن بموت أبي الفن فرانشيكو فرانشا، ثم أردف قائلاً: عجبي من تلك العقول القاصرة التي تدعى النقد والعلم والتي لا تريد أن تفهم أو التي لا يمكنها أن تفهم سر تلك العبقريات التي أودعها الله سبحانه تلك النفوس العظيمة التي هي ولا شك من طينة غير طينة الناس، وتريد هذه العقول أن تقول إن كل ما نقل إليها وما قيل لها عن هؤلاء الأبطال الجبابرة حديث خرافة أو ضرب من خيال الرواة، وليس هذا غريباً من عقول لا تسمو بطبيعتها إلى عقول هؤلاء الرسل والأنبياء: رسل الإلهام والخيال، وأنبياء الفن والجمال

إنني لآسف يا بني أن نسمع من يقول بوقاحة وصفاقة إن فرانشيسكو فرانشا قد مات بالسم

المترجم

محمد غالب سالم
خريج الاكاديمية الملكية
للفنون الجميلة بروما

ظمأٌ في لهاتِهِ   هل لها ما يبلها
غيرَ أنفاسِ ساعةٍ   في الدجى يستغلها
فتعاطى منَ الحديـــثِ   مُداماً يَعُلُّها

***

ناولتْـــهُ يمينُها   فحنا فوقَها الشفاه
هامساً بينَ قُبلتيـــنِ تشفّانِ عن جواه
بلسانٍ مُبلبلٍ   بعضَ ما جاشَ من هواه
واسمُها في حديثِهِ   دائرٌ دورةَ الحياه
ثم ألقتْ بطرفِها   في فتورٍ إلى الفلاه
فترى في شروقِهِ   قمراً مُرسلاً سناه
يملأ البيدَ فضةً   دونها فضةُ الغزاه
فتناجي حبيبَهــا   لو يراه كما تراه
أفيلقي لغيرِها   بالَهُ ... وهيَ في سماه
إنما في سوادِ نا   ظرِها كلُّ مشتهاه

***

ها هُما — والنجومُ تر   عاهما — وهيَ زاهيه
صورةٌ حلوةٌ لقُـــرةِ عينٍ بثانيه
إنها كالرضيع بيـــنَ ذراعيهِ غافيه
والي الشعرِ من غدا   برُها في ترامِيه
أرِجٌ كالنسيمِ ينـــفحُ من كلِّ ناحيه
كلما سرّحتْ أنا   مِلَها فيهِ ساهيه
مالَ من فوقِها ليُنـــشدَها فيهِ قافيه
ثم يغزو بثغرِهِ   ثغرَها من حواشيه
فيمسُّ الشفاهَ وهـــيَ تحاذيهِ راضيه
ربما تُصبحُ الشفا   هُ من الحبِّ داميه
تصهرُ الشمسُ جمرةَ الــقيظِ في البيدِ ثانيه
فتبينُ الرمالُ بيـــنَ يديها كما هيه
وعلى الرملِ حبةٌ   من لآلٍ ثمانيه
هيَ قبلَ الصباحِ كا   نتْ على جيدِ غانيه

«البحرين»   إبراهيم العريض

الباحث عن الهدوء...

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

« .. وإني لأخشى أن يستمرئ القلق حياتي فيحجبني عنك الهدوء الأخير ! »

لقدْ نضبَ العمرُ إلا شعاعاً   يكادُ على أعيُني يحتضرْ
يشقُّ إليكَ ضبابَ الحياةِ   وينفذُ في غيبِها المستترْ
فيختنقُ النورُ في صفحتيهِ   كما اختنقتْ آهةُ المنتحرْ
ويمضي .. عليهِ غبارُ الجنونِ   وتهويمةُ الفارسِ المندحرْ
وذلُّ الندى في شغافِ الهجيرِ   وذلُّ الدجى في ضفافِ القمرْ
وذلُّ السنا في جفونِ الحزينِ   إذا شابَ في مقلتيهِ السهرْ
وذلُّ الأماني بقلبِ الجريحِ   وقدْ مزقتهُ رياحُ الضجرْ
فلا يلمحُ النورَ فوقَ السهولِ   ولا الظلَّ تحتَ غوافي الشجرْ
ولا بسمةَ الجدولِ العبقريِّ   إذا عانقتهُ طيوفُ السحرْ
ولا فرحةَ المرجِ يومَ الربيعِ   تلقَّاهُ في لوعةِ المنتظرْ
فألقى عليهِ الهوى والشبابَ   وأحيا لدنياهُ عيدَ الزهرْ ...
سواءٌ لديهِ مسوحُ الشتاءِ   وأشجانُهُ في الظلامِ العكرْ
وفجرُ الربيعِ وقدْ شاعَ فيهِ   على صفحةِ النورِ فنُّ القدرْ !
سواءٌ لديهِ رأى كونَهُ   أمِ ازورَّ عن كونِهِ وانحسرْ
لقدْ ذابَ فيهِ خيالُ الوجودِ   وشرَّدَهُ القلقُ المستمرْ
فلا تسأليهِ هدوءَ الحياةِ   فقدْ ماتَ في خاطري واندثرْ
سلامٌ عليكِ معَ الهادئينَ   وفي قلقي جذوةٌ تستعرْ
كأني سفاةٌ دهتها الرياحُ   وجُنَّ بها عاصفٌ ذو شررْ
كأني جنونُ الهوى في القلوبِ   إذا عاجلتها ليالي السفرْ
على رعشةِ الشوقِ لا أستريحُ   ولا أستفيقُ ، ولا أستقرْ ..
ألا فارفعي السترَ طالَ العذابُ   وطالتْ ليالي الأسى والفكرْ
وغنيتُ حتى مللتُ الغناءَ   وملتْ عذابي شجونُ الوترْ
ألا أسرعي قبلما يحتويني   هدوءُ البلى في ظلامِ الحفرْ !

محمود حسن اسماعيل



فلسطين وصاحب الرسالة

جاءتنا هذه الكلمة الكريمة من صديقنا الأستاذ الجليل محمد إسعاف النشاشيبي فنشرناها نزولا على إرادته. قال شكر الله له:

بطلٌ من مصر كاتبُ العرب وأديبهم الأستاذ أحمد حسن الزيات صاحب (الرسالة) على إخوته الأشقياء البائسين من العرب والمسلمين في هذا الاقليم الشقيّ المبتلَى بالانكليز وباليهود، ويشاهد ما يشاهد — ولا تسلْ عن هول تلك المشاهد — فتُملى على يراعته إسلاميَّتُه وعربيته وبلاغته مقالته: (يا لله لفلسطين!)

وإنها (والله) لصفحة عربية عبقرية تضاف إلى صفحات له مثلها كثيرات، وحسنةٌ أحمدية حَسَنِيَّة مضمومة عند الله وفي التاريخ إلى مآثر جمة له وحسنات

وإن (أحمد) لَلْمسلم المؤمن يذكِّره (كتابُ الله) فيدعو ويقول، وإنه لَلْبليغ كل البليغ يجول في ميادين الانشاء والابداع ويصول. وما (رسالته) في مصر إلا رسالة الاسلامية تخدم محمداً (صلوات الله عليه) وقرآنه وأمته ولغته وبيانه و «فيها هدًى ونور»

فحيّا الله أخانا في الدين والعربية، وحيّا رَبْعَه، وشكراً له وشكراً لهم، وبارك الله في (مصر) التي وقت حضارة الاسلام والعرب في الأمس، وأعادت ذلك المجد القديم اليوم

محمد اسعاف النشاشيبي

رأى مجلس الشيوخ في الجامعة المصرية

قدمت لجنة المالية في مجلس الشيوخ تقريرها عن ميزانية الجامعة بهذه الكلمة:

ثلاثون سنة انقضت على وضع الأسس الأولى للجامعة قبل أن تتسلمها وزارة المعارف العمومية وتلحق بها تباعاً المدارس العليا فتكون منها كليات تتألف منها «الجامعة المصرية» الآن وهي كليات الآداب والعلوم والحقوق والطب والهندسة والزراعة والتجارة والطب البيطري. وقد نمت الروح الجامعية وترعرعت وكان لها أثر يذكر في بيئاتنا العلمية والاجتماعية على حداثة عهد هذه المؤسسة عندنا

فالجامعة المصرية بفضل عدد الكليات التي تتألف منها، والدرجات العلمية التي تمنحها، وأعلام الأساتذة الذين يشغلون كراسيها، والروح الجديدة التي أشاعتها في أساليب البحث والدرس، قد أصبحت أداة صالحة لنشر الثقافة العليا، وهيئة كاملة التكوين من الهيئات المائلة في البلدان الراقية

على أننا نطمع في أن تسير جامعتنا خطوات واسعة إلى الأمام من حيث رفع مستوى التعليم، وبث روح البحث والتنقيب في صدور الأساتذة والطلبة رغبة في العلم من أجل العلم، حتى تصبح في القريب من الزمن منارة علم وعرفان يشع نورها في أنحاء هذا الشرق فيقصدها طلابه من كل صوب للاستزادة من التثقيف، كما يقصدون الجامعات المعروفة في أوربا وأمريكا، وكما يقصدون الجامعة الأزهرية للاستزادة من العلوم الدينية، ولا شك في أن النهوض بهاتين الجامعتين لمن أهم العوامل الكفيلة بالاحتفاظ للمملكة المصرية بزعامتها الأدبية والفكرية، بل والسياسية أيضاً بين دول الشرق، فتستعيد سالف مجدها وعزها

وليس بنا من حاجة إلى الافاضة في هذا الموضوع، فان كمبردج واكسفورد في انجلترا، والسوربون والكوليج دي فرانس في فرنسا، من أهم دعائم عظمة هاتين الأمتين. ويقال مثل هذا في سائر الجامعات في سائر البلدان. ولعلنا قائلون قريباً مثل هذا القول عن جامعتنا المصرية بالنسبة إلى مصر

المجمع اللغوى وتبسيط قواعد النحو

ذكرنا من قبل أن وزارة المعارف ألفت لجنة من أساتذة الجامعة ودار العلوم ومفتشي اللغة العربية بالوزارة ، وأن هذه اللجنة أتمت مهمتها وهى وضع قواعد لتبسيط اللغة العربية وتدريسها لطلبة المدارس

وقد تلقت رياسة المجمع الملكى للغة العربية كتاباً من وزارة المعارف تطلب فيه من المجمع درس المقترحات التى وضعتها اللجنة خاصة بتبسيط القواعد وموافاتها بملاحظات المجمع على هذه المقترحات . وأرفقت الوزارة بكتابها صورة من قرار اللجنة

وقد أرسلت إدارة المجمع كتاباً خاصاً إلى جميع الأعضاء تبلغهم فيه كتاب الوزارة وصورة مقترحات اللجنة وتطلب إلى كل منهم دراستها وإبلاغ إدارة المجمع ملاحظاته عنها

وقد تلقت الادارة بعض ردود من الأساتذة الأعضاء تضمنت طائفة من هذه الملاحظات ، سترسل إلى وزارة المعارف ، بعد وصول تقارير بقية الأعضاء

مؤتمر تعليمى عربى

فتى العرب الدمشقية :

علمت أن وزارة المعارف السورية تدرس فكرة عقد مؤتمر تعليمى عربى تدعو إليه الأقطار العربية كافة ، وقد وضعت الوزارة النقط اللازمة لدراستها والعمل على تحقيق هذه الفكرة

وقد اتصل بها أن الوزارة تفكر الآن فى إرسال بعثة من الطلاب والأساتذة إلى العراق لزيارة القطر الشقيق وأخرى إلى القطر المصرى لتبادل الزيارات بين الأقطار العربية وتوطيد العلائق والروابط بينهما

تأثير اللاسلكى فى اللهجات

جاء فى نشرة هيئة الاذاعة البريطانية الأسبوعية للاذاعة العربية ما يلى :

بين الأحاديث التى يتناولها برنامجنا لهذا الأسبوع حديث الأستاذ حميدة الذى سيعالج فيه مسألة السينما واللاسلكى وتأثيرهما فى مختلف اللهجات . والموضوع من حيث فكرته ليس بالجديد فى أوربا فقد شغلت هذه المسألة بال علماء اللغة فى انكلترا منذ أن استهدفت اللغة الانكليزية لخطر النطق المبتور والتعبيرات المهلهلة التى بدأت تتسرب إليها عن طريق بعض الأفلام الأمريكية . ولا غضاضة ـ فى عرفنا ـ أن يكون كل من السينما الناطق واللاسلكى أداة لتقريب اللهجات المختلفة ، فمصلحة أبناء اللغة الواحدة تقضى بأن يفهموا جميع لهجاتها . ولكن هل من مصلحة أمة تتفاوت فيها اللهجات كالأمة العربية مثلا أن تتكلم لغة واحدة ؟ وإذا كانت المصلحة تقضى بذلك فأي اللهجات ستختار ؟ هل نختار ياترى اللهجة الحجازية أو العراقية أو لهجة مصر أو الشام؟ أو هل يمكن النهوض بالتعليم إذا تكلم جميع أبناء العربية اللغة الفصحى ؟ هذه هى المعضلة التى تجابه فى انكلترا أنصار توحيد اللهجات فاللغة الانكليزية تشمل عدة شعوب وأقوام كل منها يتكلم لغته الخاصة واذن كان من الصعب التوفيق بين هذه اللهجات المتنافرة ؛ وطبيعى أن تثير هذه المسألة اهتمام هيئة الاذاعة البريطانية فسمت لحلها بطريقة من شأنها الاحتفاظ بكرامة اللغة الصحيحة مع عدم المساس بلهجاتها المحلية فهداها البحث إلى الاستعانة برأى لجنة استشارية مؤلفة من أعلام اللغة الانكليزية أسندت إليهم مهمة توحيد النطق ووضع قواعد له وقيدت مذيعيها باحتذاء هذه القواعد فى إذاعتهم للأخبار والبيانات . واحتفظت فيما عدا ذلك باللهجات المحلية المختلفة وبذلك أمسكت العصا من طرفيها — على حد التعبير الغربى — على أن هذا الحل الوسط إذا أرضى مستمعى هيئة الاذاعة البريطانية فانه لا يعتبر حلا كاملا لهذه المسألة الدولية التى ما زالت مدار بحث جدلى بين العلماء

حول لجنة من لجان الوزارة . .

حدثنا لوزارة المعارف عنايتها باللغة العربية والعمل على إنهاضها وتقوية أركانها ، ووضع ما يضمن للتلميذ حياة أدبية خالصة تقوم على العلم الصحيح والمعرفة الحقة بأساليب الأدب وضروبه ...

وكنا نرقب مع الراقبين ما تطالعنا به اللجنة المؤلفة من أعلام وزارة التربية والتعليم لمعالجة مشكلة لغة الضاد ، وما يجده الطالب من صعوبة فى تفهم ما فى بطون الكتب من معان وأفكار

وقد قامت اللجنة بوضع المبادئ التي رأتها صالحة لتقوية الناحية الأدبية من نفوس النشء ، واعتمدت في عملها هذا على ما لها من خبرة واسعة بالتعليم وشئونه ... بيد أن هناك ملاحظة بخصوص الكتب الحديثة التي اختارتها اللجنة على أنها صورة من أدب العصر ، تدرس في معاهد العلم . وقد وقع اختيارها على الكتب الآتية : « قصص القرآن . ويوميات نائب في الأرياف وديوان الجارم . والنظرات . وزينب . وعلى هامش السيرة . والأيام . وديوان حافظ . والفضيلة . والمختار (الجزء الأول) . وحياة محمد . ومطالعات في الكتب . وديوان شوقي . والمثل الكامل . وقادة الفكر . وعلى هامش السياسة . وحصاد الهشيم وضحى الاسلام . وديوان البارودي . وابن الرومي »

وفي ذلك الاختيار كثير من التجني على الأدب والأدباء معاً؛ فليس من الخير في شيء أن تختار اللجنة كتابين أو ثلاثة لأديب واحد في الوقت الذي أغفلت فيه طائفة من الأدباء الأفذاذ الذين لهم أثر ظاهر في توجيه الحياة الفكرية في الشرق ، ولهم أيضاً أدب يمتاز بقوة العبارة وسمو المعنى وجمال اللفظ ...

وبعد فهذه ملاحظة أردنا أن نسوقها إلى أعضاء اللجنة ، وإليهم يساق الحديث

بني مزار الطهناوي

(الرسالة) جاءنا في هذا الموضوع طائفة من الرسائل وكلها مجمعة على أن اللجنة لم ترع جانب الحق حين قصرت اختيارها على كتب أعضائها ومن ترجوهم أو تخشاهم من الأصدقاء والرؤساء ...

حقيقة جامع طوكيو

كتب العلامة السيد سليمان الندوي في مجلة « المعارف » التي تصدر عن أعظم كره (الهند) في عددها الصادر في شهر يونية حقيقة جامع طوكيو ما يأتي :

« نجم قرن الاسلام في اليابان وأخذت أشعته تنبسط في عواصمها — فأسس أول بيت لله في مدينة كوبي ، وذلك قد تم بفضل التجار الهنود . وكان أولو الأمر بهذا المسجد قد سعوا لدي الحكومة اليابانية راجين منها أن تعترف به معبداً للمسلمين رسمياً ، فذهب سعيهم سُدًى ؛ بيد أنهم أرسلوا هذا العام وفداً من أعضاء لجنة التنظيم للمسجد إلى طوكيو عاصمة اليابان بفضل مساعيهم زال بعض العراقيل من أمامهم

وبعد تشييد الجامع بكوبي شعر المسلمون في طوكيو بحاجة إلى مسجد ، لكنهم جماعة قليلة العدد ولا يتيسر لهم أن يجمعوا مالاً كافياً لبناء هذا المسجد بها ، ففطن بعض رجال الحكومة اليابانية إلى أهمية عمل هكذا في عاصمة اليابان . ثم فجمعوا من ذوي الخير والسراوة نحو مليون وربع مليون (ين) وبنوا بها جامعاً ومدرسة بجانبه . تم بناء الاثنين وافتتحا رسميًّا في شهر مايو الماضي ، وأدى رسم الافتتاح المستر « تویاما » من دهاة اليابان وهو الذي دخل المسجد أولاً ومشى بقدميه قبل الناس فلحقه التتار داخلين مكبّرين ، ثم صلوا ركعتين شاكرين ، وكان بخارج المسجد سرادق نصب للاحتفال خطب فيه دهاة اليابان وأكابر المندوبين من البلاد الاسلامية . وكان الأمر الذي يبدو عجيباً للمسلمين الحاضرين أن مندوبي أفغانستان وتركيا وإيران لم يحضروا الحفلة ؛ ولعل سبب ذلك أن هذا المسجد ذو صبغة سياسية

يقيم في طوكيو زعيم تتاري معروف باسم قربان علي ، له مكانة ممتازة نصفها من لون ديني والنصف آخر من لون سياسي — وله جماعة من الأنصار من التتار عدتها خمسة وعشرون رجلاً ، وغيرهم من التتار المقيمين في طوكيو وغيرها من مدن اليابان وعددهم يصل إلى خمسمائة على التقريب — كانوا يشكون منه مرّ الشكوى — فاعتقل لذلك في وسط مايو وفوضت الزعامة إلى الشيخ عبد الرشيد ابراهيم فزال بعض العراقيل التي كانت تؤدي إلي عدم تعاون التتار مع رجال الحكومة في شأن المسجد. ثم أرسل رجال طوكيو دعوتهم إلى المسلمين بكوبي يرجون اشتراكهم في أمور جامع طوكيو ؛ غير أنهم أجابوا : « نحن مستعدون للاشتراك إذا كان للمسلمين حرية مطلقة في تصريف أموره » . فوعدهم رجال الحكومة اليابانية بذلك وها نحن أولاء ننتظر الوفاء ... »

بدر الدين الصيني

تأديب الناشئة بآداب الدين الاسلامي

أذاعت وزارة المعارف منشوراً على نظار المدارس هذا نصه:

« تحرص وزارة المعارف على أن تكون دراسة الدين الاسلامى مقصوداً بها تأديب الناشئة بآدابه وإحساسها الايمان الصحيح والخلق السليم، وأن المرء لا يكمل إيمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وتهذيب نفس الناشئ وتقوية عقله وقلبه بالمبادئ الاسلامية السامية مبادئ الإباء والأنفة والمحبة والايثار والبر والتقوى ليصل بذلك إلى كمال الخلق وليحصل منه القواعد السليمة لصلاته بغيره ، وهذه قواعد لحضارة إنسانية يقوم النظام الروحى والحيـاة لـكمال الخلق ويكون الخلق فيها أساساً للمعاملات فيها أساساً الاقتصادية .

وتثبيت هذه القواعد فى نفس الناشئة بتفقيهم فى قواعد الاسلام وعباداته وتوجيههم إلى إدراك الحياة على أساسها إدراكا علمياً دقيقاً وتفتح أذهانهم بذلك إلى المثل الأعلى الذى يدعو الاسلام إليه وتقويم أخلاقهم ليكون هذا المثل الأعلى غاية مبتغاهم، هو ما نرجو أن يكون الثمرة للتعليم الدينى فى المدارس حتى يتأتى لمصر بقوة إيمـان أبنائها أن تنهض بحظها من رسالة الحضارة فى العالم »

جامعة عليكرة الاسلامية

جاء من مراسل الشرق العربى فى بمباي أن عظمة نواب رامبور قرر أن يساهم بمبلغ كبير فى توسيع نطاق جمعية الطلبة فى جامعة عليكرة الاسلامية التى يشملها عظمته برعايته

وجامعة عليكرة فريدة فى نوعها فى العالم الاسلامى ؛ وقد أنشأها السير سيد أحمد خان وهو أول مسلم أذاع فوائد الثقافة الغربية فى بلاده، وحاول التوفيق بين هذه الثقافة والثقافة الاسلامية فى الهند . وبفضل مساعيه قررت الحكومة الاشتراك فى جامعة عليكرة ، ولا تزال إلى الآن تدفع لها إعانات مالية تخليداً لذكرى سيد أحمد خان

وكان المرحوم حميد على خان والد عظمة نواب رامبور من الذين شملوا الجامعة برعايتهم ، وكانت الجامعة فى ذلك الوقت تدعى المدرسة الاسلامية الانكليزية الشرقية

ومساهمة عظمة نواب رامبور السخية فى توسيع جمعية الطلبة جاءت الآن برهاناً جديداً على أهمية اتحاد الطلبة وهو أقدم اتحاد فى الهند اشترك فيه عدد كبير من الأشخاص البارزين والطلبة يتمرنون فى هذا الاتحاد على الخطابة وغيرها من العلوم والفنون والاتحاد يتمتع باستقلال خاص والطلبة ينتخبون رؤساء الاتحاد ولجانه . وقد تألفت فى جامعة عليكرة جمعيات عدة تعنى بالدروس الدينية الاسلامية ويلقى فيها كثيرون من الطلبة القدماء محاضرات نفيسة فى الشؤون الاجتماعية والدينية

وقد أنشئ أخيراً فى الجامعة فصلان جديدان لتدريس الشرع عند الشيعة والسنيين ويدير هذين الفصلين فرع الشريعة فى الجامعة

وكانت الصلاة فى الجامعة تفرض على الطلبة بموجب قانون خاص ولـكن هذا القانون لا يعمل به الآن نظراً إلى اهتمام الطلبة بشؤونهم الدينية من تلقاء أنفسهم

اعادة الحياة بعد الموت

لقد دفع حرص الناس على الحياة منذ العصور القديمة بعض العلماء إلى محاولة إعادة الحياة إلى الأجسام بعد أن تفارقها أرواحها. وزعم فريق منهم أنهم قاموا بتجارب رجحت إمكان وصولهم إلى ما يبتغون . ولعل أحدث تجربة من هذا النوع هى التى قام بهـا الدكتور روبرت كورنيش أحد أطباء كلفورنيا ولـكنه لم يجرها على إنسان بل على كلب

وطريقة ذلك أنه خدر الـكلب بالـكلوروفورم ثم قتله به. وبعد أن تأكد أن الـكلب أصبح جثة هامدة انتظر بضع دقائق ثم حقنه فى القلب بمـادة الادرنالين ومدده على مائدة فى الهواء

الطلق . فبعد دقائق لاحظ أن القلب عاد يعمل وأن دقاته بدأت تعود إلى حالتها الطبيعية

وبعد بضع ساعات استطاع الكلب أن ينهض وأن يلعق بعض السوائل؛ وبعد عشرة أيام استطاع أن يتناول طعاماً ، ثم يحرك رجليه بضع خطوات

ولكن الدكتور لاحظ أن الكلب لم يستعد قواه الذهنية وأنه فقد الكثير من حساسيته ، إذ أصيب بالصمم فلم يسمع صفيراً حاداً كما فقد حاسة الشم ؛ وضعف نظره ضعفاً شديداً فكان لا يرى إلا المرئيات القريبة الكبيرة الحجم كما أن صوته ضعف فأصبح لا يقوى على النباح

وظل الكلب يعاني هذه الحالة ثلاثة شهور ثم فاضت روحه من الضعف الشديد الذي أنهك جسمه

على أن الدكتور روبرت كورنيش يزعم أن هذه التجربة التي قام بها تعتبر الأولى من نوعها من حيث نتيجتها ، كما أنها مكنته من ملاحظة حالات سيسترشد بها في التجارب القادمة التي اعتزم القيام بها

وبالرغم من أن بعض العلماء يرجحون إعادة الحياة إلى الأجسام التي تفارقها أرواحها، فهم يشكون في إمكان إعادة الحساسية إلى الأعضاء والقوة إلى الذهن . وأقصى ما يطمعون فيه هو أن يطيلوا خفقان القلب بضع ساعات يتمكنون فيها من القيام ببعض الأبحاث العلمية



6 ème Année, No. 267

Lundi - 15 - 8 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العـــدد ٢٦٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٧ — ١٥ أغسطس سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

هذه داري وهذا وطني

ولكن أين احبابي ؟!

للدكتور زكي مبارك

هذه دارى ، الدار التى أقمتها على أطراف الصحراء بمصر الجديدة لأفتح أمام قلبي آفاق المجهول من عوالم المعانى ، وهـذا وطنى ، الوطن الذى عانيت من أجله ما عانيت ، ولم أخنه فى سر ولا جهر ، ولم ير منى غير الصدق والوفاء

هذه دارى وهذا وطنى ، ولكن أين أحبابي ؟

من كان يظن أنى أقضى الأيام والأسابيع فلا أجد من يسأل عنى بعد غياب الشهور الطوال ؟ من كان يظن أني لا أجد أنيساً غير بريد بغداد على بُعد ما بينى وبين بغداد ؟

من كان يظن أنى أحبس نفسى في دارى ليالىَ وأياماً فلا يُسهـد لعزلتى جفن ، ولا يحزن قلب ، ولا يرتاع وجدان ؟

من كان يظن أنى لم أتلق من الاسكندرية غير خطاب واحد ولم أتلق من دمياط غير خطاب واحد ، ولم أتلق من سنتريس غير خطابين اثنين ، وسكت من أهواهم فى المنصورة وأسيوط ؟ !

من كان يظن أنى لم أعبُر شارع فؤاد غير مرة واحدة منذ رجعت من بغداد ؟

وما فائدتى من عبور ذلك الشارع المتموّج ؟

كان لى فى القاهرة هوًى معبود فتبدد وضاع ، كانت ليلاى فى الزمالك ، فأين ليلاى وأين الزمالك ؟

أنا أطفئ المصباح بعد نصف الليل وأفتح النوافذ لأرى كيف يهيم نور القمر فوق رمال الصحراء ، فماذا تصنع ليلاى بالزمالك أو ليلاى فى العراق ؟

آه ثم آه من حيرة القلب فى غفوات الليل !

* * *

أيها الصحراء

إن حالك مثل حالى مَوَات فى مَوَات

وقد تمرح فوق تُراك الميت هوامٌ وحشرات

وفوق ثرى قلبي الميت تمرح هوام وحشرات هى السخرية من الناس ، واليأس من صلاح القلوب ، وجمال الوجود

وقد تَرِقّ حواشيك بالندى أو الغيث فتنبت فوق تُراك الأعشاب !

أما قلبي فقد أمحل إلى الأبد ولن ينبت فيه شىء

وأشقى الناس من يعيش بقلب أمحل من الصحراء

أيها الليل !

هل رأيت فى دنياك من ينافسك فى ظلامك غير قلبي ؟

هل عرفت منذ أجيال وأجيال شقاء مثل شقائى ؟

أيها الليل

خذ السواد من قلبي إن أعوزك السواد

خذ الظلام من حظى إن أعوزك الظلام

خذ من قلبي ومن حظى ذخيرتك للأحقاب المقبلات

خذ منى ما تشاء ، أيها الليل ، فلن تجد مشتهاك عند إنسان سواى

خذ منى ما تشاء بلا مَنٍّ عليك ، فما أخذت السواد إلا منك ولا ورثت الظلام إلا عنك ، ومثلى يحفظ الجميل

أيها الليل

لا تجزع من العزلة ، فأنا هنالك أسامرك وأناجيك

لا تفزع من الوحدة ، ففى قلبي ظلمات تساير ما تحمل من ظلمات

عندى آلامى ، وعندك آلامك ، والجريح يأنس بالجريح بالبلبل !

* * *

أنا أعرف من أنا فى دنياى ، فمن أنت فى دنياك ، يا ليل ؟

أنت جزء من الزمان هجرته الشمس فأظلمت دنياه

وأنا جزء من الوجود هجرته الشمس فأظلمت دنياه

إن شمسى تغرب فى الزمالك أو فى بغداد ، فأين تغرب شمسك؟

إن شمسك تغرب ثم تعجز عن الصبر على فراقك فترجع وشمسى تغرب فلا ترجع

فليت حظى كان مثل حظك يا ليل !

والمقادير تترفق بك فتسوق القمر والنجوم لإيناسك

وأنا أعانى الظلام المطلق حين تغيب الشمس التى تعرف

فليت حظى كان مثل حظك يا ليل !

وأنت باقٍ على الزمان ، وأنا صائر إلى الفناء

فليت حظى كان مثل حظك يا ليل !

والناس يخافون بأسك فيتقربون إليك بالقناديل والمصابيح

وأنا مأمون الجانب فلا يتقرب أحد إلىّ بشىء

فليت حظي كان مثل حظك يا ليل

من اسمك يا ليل جاء اسم ليلى ، ففيها طغيانك وفيها ظلامك

فلا عفا الحب عنها ولا عفا الله عنك !

* * *

هذه دارى ، وهذا وطني ، ولكن أين أحبابى ؟

إن قلبي يستحق التأديب ، فليلق من الضيم ما هو له أهل

ألم يتلق رسائل الشوق من بغداد فسكت عنها سكوت الغادرين ؟

ألم يتلق رسائل الشوق من باريس فسكت عنها سكوت الجاحدين ؟

ألم تنتقل إليه الغادة النورمندية فاستعفى من صحبتها بالقاهرة محافظة على سمعته بين الناس ؟

إن قلبي يستحق التأديب ، فليتلق من الضيم ما هو له أهل

أيها الليل

قد اقترب صباحك ، فمتى يقترب صباحى ؟

(البقية على صفحة ١٣٤٨)

ذكريات مدرسية

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازني

سأقتصر في هذا الفصل على طائفة من الذكريات تخيرتها من عهدين — عهد كنت فيه تلميذاً وعهد نال كنت فيه مدرساً وسأكتفي بالمعالم الكبرى والخطوط الرئيسية التي تغني عن التفاصيل ، ولست أرمي إلى غاية من هذا التصوير سوى ما يمكن أن يستفاد من مقابلة عهد بعهد ومواجهة ماض بحاضر . فمثلاً يمكن بسهولة أن تتصوروا حال التعليم الابتدائي إذا قلت إن تلميذاً كان معنا في المدرسة نال الشهادة الابتدائية فعين في السنة التالية مدرساً لنا في السنة الرابعة التي تعد لنيل الشهادة الابتدائية. وأبلغ من هذا في الدلالة أنه كان يدرس لنا ما كان يسمى « الأشياء » وهي عبارة عن معارف عامة وكان تدريسها يومئذ باللغة الانجليزيه. وأرسم خطاً آخر تتم به الصورة فأقول إن ناظرنا كان يقول عن نفسه إنه جاهل جاهل ولكنه إداري إداري، وكان حديث عهد برتبة البيكوية فكانت عبارة « يا سعادة البك » تغفر كل ذنب وتمحو كل خطيئة. وليس أقدر من الصغار على التفطن إلى مواطن الضعف في الكبار ، وليس أعرف بالمعلم من تلاميذه . وحسبه كشفاً لستره أن مئات من العيون تفحصه كلما بدا لها، وأن مئات من الألسنة الثرثارة لا تنفك تلغط بما أدركته رؤوس أصحابها الصغيرة . وأذكر أني كنت ألاعب تلميذاً فشتمني فضربته بسلسلة مفاتيح فقطعت جلد وجهه ، فذهب يعدو إلى الناظر والدم يسيل من جرحه وقال له وهو يبكي : « يا أفندي ابن عبد القادر ضربني » فأسرها الناظر وبعث يطلبني وسألني لماذا فعلت ذلك ؟ فقلت : « يا سعادة البك إنه شتم أبي » وأنكر المضروب وقال : « لا والله يا أفندي » وتكرر من المضروب نعت الناظر بالأفندي وتلقيبي له بسعادة البك، فضاق صدر الناظر جداً وأهوى على المضروب بخيزرانته وهو يقول : « أفندي في عينك قليل الحيا » ولا أحتاج أن أقول إني نجوت مما كنت أستحقه من العقاب وإن الفضل في نجاتي إنما كان لكوني لم أنس « يا سعادة البك » وأن خصمي نسيها

وأوفدني إليه التلاميذ يوماً لأرجو منه أن يسمح لنا بزيارة حديقة الحيوانات مجاناً فدخلت عليه وسلمت ومهدت بيا سعادة البك ورفعت إليه رجاء الفرقة فدق صدره بكفه وقال : « حوانات حوانات إيه يا ابني ... أسد فك السلاسل نهش عيل منكم تبق تقول يا مين ؟ »

فلم نزر حديقة الحيوانات كما لم يزرها ناظرنا الذي كان يتوهم أن الأسود فيها تربط بالسلاسل

ودخل علينا مرة ونحن نتلقى درساً في الحساب فوجد الدرس يملي علينا مسألة خلاصتها أن فلاناً أقرض فلاناً مبلغاً من المال بفائدة كذا في المائة ، فاستوقفه الناظر وقال لنا إن المسألة غلط، وطلب منا أن نبين موضع الغلط فيها ، ويظهر أن المعلم كان أعرف منا بالناظر فقد اكتفى بالابتسام ، ورحنا نجيب بما يخطر لنا والناظر يرفض كل جواب . وأخيراً التفت إلى المدرس وقال له : « يا فلان أفندي المسألة كذب في كذب فأرجو ألا تعلم الأولاد الكذب مرة أخرى » وخرج

وكان في كل مدرسة فرقة للعب الكرة ولكن أعضاء هذه الفرقة لم يكونوا جميعاً من التلاميذ ، فاني أذكر أن المدرسة جمعت من كل تلميذ منا خمسة قروش لتدفع للوزارة « المصروفات المدرسية لرجل ضخم عملاق حليق اللحية والشاربين أحمر الوجه ليلعب مع الفرقة في المباريات مع المدارس الحكومية الأخرى ، وكان هذا العملاق المخيف يجيء إلى المدرسة وقت الظهر ويخرج منها بعد الغداء، وكانت مائدته تزدان بأنواع من المخلل يؤتى له بها خاصة . وكان إذا أحب أن يبقى في المدرسة نصف ساعة أو ساعة لا يجلس إلا في غرفة المدرسين وهناك تقدم له القهوة والسجاير فيشكر ذلك بهزة من رأسه، والساق على الساق والسيجارة في فمه انتظاراً لمن ينهض إليه ليشعلها له من المدرسين . وكنا نحن نتزاحم على الباب والنوافذ لنفوز برؤية هذا المنظر

أظن هذه الخطوط كافية لرسم صورة واضحة لمدرستنا الابتدائية الحكومية في ذلك العهد . والآن أنتقل إلى طائفة أخرى من الصور للمدارس الثانوية

كان التعليم الثانوي انتقالا بأدق المعاني فقد صار كل ما في المدرسة إنجليزياً — الناظر والمدرسون والتعليم — ما عدا اللغة

العربية . وأنا إلى هذه اللحظة لا أعرف كيف كنت أنجح في الامتحانات ، وأكبر ظني أنهم كانوا يترفقون بنا ويعطفون علينا ويتساهلون معنا ويتركوننا ننجح على سبيل الاستثناء . وأدع غيري وأقتصر على نفسي فإني أعرف بها، فأقول إني ما استطعت قط أن أفهم علوم الرياضة أو أن أقدر فيها على شيء ، ومع ذلك كنت أنتقل من سنة إلى أخرى بلا عائق . وكان الأساتذة يختلفون فمنهم الفظ ومنهم الرقيق ، وأذكر أن أحدهم كان يذكرني درسه بالكتاب الذي حفظت فيه القرآن الكريم ، فقد كان يملي درس الجغرافية، فإذا كان الدرس التالي طالبنا به محفوظاً عن ظهر قلب ، وكان يقف أمامه التلميذان والثلاثة دفعة واحدة وعلى مكتبه الكراسة والتلاميذ يتلون وهو يسمع ، ثم يضع في كل ركن واحداً من الحافظين ليمتحن زملاءه . وكنت لا أستطيع أن أحفظ شيئاً عن ظهر قلب فكنت أحبس بعد كل درس في الجغرافيا حتى كرهتها وكرهت حياتي كلها بسببها . وكان لنا مدرس آخر من أظرف خلق الله وأرقهم حاشية وأعفهم لفظاً ، فكان إذا ساءه من أحدنا أمر وأراد أن يوبخه قال له : تهجَّ كلمة بليد مثلاً أو مجنون أو غير ذلك كراهة منه لاسناد الوصف إلى التلميذ مباشرة . ولم يكن تدريس اللغة العربية خيراً من تدريسها في الوقت الحاضر ولكنا كنا أقوى فيها من تلاميذ هذا الزمان — لا أدري لماذا ! . وكان المفتش الأول للغة العربية المرحوم الشيخ حمزة فتح الله ، وكان من أعلم خلق الله بها وبالصرف على الخصوص ، وكان رجلاً طيباً ووقوراً مهيباً ، فكان إذا دخل علينا يسرع المدرس إليه فيقبل يده فيدعو له الشيخ، ولا نستغرب نحن شيئاً من ذلك بل نراه أمراً طبيعيًّا جدًّا . وأعتقد أن منظر أساتذتنا وهم يقبلون يد الشيخ حمزة كان من أهم ما غرس في نفوسنا حب معلمينا وتوقيرهم ، فإني أراني إلى هذه الساعة أشعر بحنين إلى هؤلاء المعلمين ولا يسعني إلا إكبارهم حين ألتقي بواحد منهم وإن كنت لم أستفد منهم شيئاً يستحق الذكر . ومن لطائف الشيخ حمزة أنه كان يقول ملاحظاته على المعلم على مسمع منا ، ولكنه كان لا يكتب في تقريره إلى الوزارة إلا خيراً . وقد اتفق لي بعد أن تخرجت في مدرسة المعلمين وعينت مدرساً في المدرسة السعيدية الثانوية أن جاء الشيخ حمزة للتفتيش فاغتنمت هذه الفرصة وقلت : « يا أستاذ، ما هو الاسم العربي الصحيح لهذا الدخان الذي نسميه الدخان تارة والتبغ تارة أخرى » . فقال : « أنظرني يا سيدي حتى أنظر في الكناشة » . وأخرج مما يلي صدره تحت القفطان كراسة ضخمة لا أدري كيف كانت مختبئة غير بادية وقلب فيها ثم أنشد هذا البيت :

كأنما حنظوا حصا قوادمه أو أم خشف بذي شث وطباق

ومضى عني . وفكرت أنا في كلمة الطباق التي جاءني بها الشيخ . فاستحسنتها ورأيت أنها على العموم خير من كلمة التبغ التي نعرب بها اللفظ الانجليزي أو الفرنسي « توباك أو توباكو »

ومن حوادث الشيخ حمزة معي أني كنت أؤدي الامتحان الشفوي في الشهادة الثانوية وكان هو رئيسا للجان اللغة العربية، فلما جاء دوري اتفق أنه كان موجودا، فلما انتهت المطالعة وجاء دور المحفوظات وكان لها مقرر مخصوص سألني ماذا أحفظ . وكنت في صباح ذلك اليوم قد قرأت خطبة قصيرة للنبي صلى الله عليه وسلم فعلقت بذهني وألهمني الله أن أقول إني أحفظ خطبة للنبي، ففرح الشيخ جدا وخلع حذاءه وصاح « قل ياشاطر . قل ياشاطر فتح الله عليك» وسترني الله فلم أخطيء، فاكتفى الشيخ بهذا وأعفاني من النحو والصرف والاعراب

ولكنه في مرة أخرى كاد يضيع علي سنة . وكنت طالبا في مدرسة المعلمين وكانت لجنة الامتحان في اللغة العربية برياسته فقال أحد إخواني بعد خروجه من الامتحان : إن الشيخ حمزة يفتح كتاب النحو والصرف ويطلب من الطالب أن يتلو الفصل الذي يقع عليه الاختيار . ولم نكن ندرس لا نحوا ولا صرفا في المدرسة لأن الدراسة كانت مقصورة على الأدب ، فأيقنا بالفشل. وجاء دوري فدخلت وأنا واثق من الرسوب وجلست أمامه فناولني كتاب مقدمة ابن خلدون فقرأت . ولا أزال أذكر فاتحة الكلام وهي « اعلم أن العدوان على الناس في أموالهم ذاهب بآمالهم في تحصيلها » الخ. فقال: ضع الكتاب. موضعه، فسألني عن العدوان والفعلين عدا واعتدي وانتقلنا إلى الصيغ المختلفة التي يكون عليها « الفعل » « اعتدى » مثل « اعتديا » للماضي المثنى و« اعتديا » للأمر ، فسألني لماذا كان الماضي بالفتح والأمر بالكسر فلم أعرف لهذا سببا وقلت إنه لا سبب هناك سوى أن العرب

نطقوا بهما هكذا . فدهش لهذا الجواب وقال: ولكن لهذا سبباً، قلت : إن اللغة سبقت النحو والصرف، وكل هذه القواعد موضوعة بعدها ، وما دمت أنطق كما كان العرب يفعلون فان هذا يكفي ولا داعي للبحث عن سبب مختلق . فغضب وظهر هذا على وجهه فلم أبال بغضبه، وحدثت نفسي أنه خير لي وأكرم أن أسقط بحماقة من أن تكون علة سقوطي الجهل. وأصررت على رأيي وكاد يحدث مالا يحمد، لولا أن المرحوم الشيخ شاويش — وكان عضوا في اللجنة — تدارك الأمر، فقد نظر في ساعته ثم التفت إلى الشيخ حمزة وقال : « العصر وجب يامولانا » فنهض الشيخ وهو يقول « أي نعم » وذهب للصلاة ونسيني فكان في هذا نجاتي . وقد حفظت هذا الجميل للشيخ شاويش ، وكانت هذه الحادثة بداية علاقتي به

ولم تكن المواد كثيرة أو طويلة في مدرسة المعلمين ، ويكفي أن أقول إنه كانت لنا في الأسبوع ثماني ساعات لانتلقى فيها أي درس، فترك هذا التخفيف وقتا كافيا للمطالعة الخاصة؛ وكان أساتذتنا وناظرنا يشجعوننا عليها بكل وسيلة ولا يفوتهم مع التشجيع والحث أن يوجهونا وينظموا لنا الأمر، وأحسب أن هذا نفعنا جدا

وقد صرت معلما بعد ذلك وظللت أشتغل بالتعليم عشر سنين؛ خمس منها في الوزارة وخمس في المدارس الحرة، وفي هذه السنوات العشر لم أحتج أن أعاقب تلميذا أو أوبخه أو أقول له كلمة نابية . ولم يقصر التلاميذ في محاولة المماكسة ولكني كنت حديث عهد بالتلمذة وبشقاوة التلاميذ، فكنت أعرف كيف أقمع هذه الرغبة الطبيعية في الشقاوة . وكانت طريقتي أن أتجاوز عن الذي لاضير منه فلا أشغل به نفسي والتلاميذ، مثال ذلك أن يحتاج التلميذ إلى قلم أو نشافة فيطلبها من جاره ويكلمه في ذلك فلا أعد هذا من الكلام الذي لا يباح، ولا أقيم ضجة من أجله . وقد حدث يوما وأنا مدرس في المدرسة الخديوية أن دخلت فرقة فألفيت على مكتبي كل أدوات الرياضة مرصوصة على نحو لا شك أنه متعمد ، وكان تلاميذي لا يجهلون كرهي للرياضة، وكنت أنا لا أكتمهم أني أعد نفسي جاهلا بها حمارا في علومها؛ وكان غرضهم من رص هذه الأدوات أن يعابثوني عسى أن أثير الضجة التي يشتهونها ولا يفوزون

مني بها . ولكني لم أفعل بل اكتفيت بأن دعوت الفراش فحمل هذه الأدوات ووضعها في مكانها ثم بدأ الدرس . واتفق يوماً آخر أن دخلت الفصل فاذا رائحة كريهة لا تطاق ، وكان الوقت صيفاً والجو حاراً جداً فضاعف الحر شعوري بالتنغيص من هذه الرائحة الثقيلة . وأدركت أنها هي المادة التي كنا ونحن تلاميذ نضعها في الدواة مع الحبر فتكون لها هذه الرائحة المزعجة . فقلت لنفسي إنهم ثلاثون أو أربعون وأنا واحد ، وإذا كانت الرائحة القبيحة تغثي نفسي فانها تغثي نفوسهم مني أيضاً . فحالهم ليس خيراً من حالي ، والاحساس التعب الذي أعانيه ليس قاصراً على ولا أنا منفرد به ؛ وإنهم لأغبياء لأنهم أشركوا أنفسهم معي وقد أرادوا أن يفردوني بهذه المحنة . والفوز في هذه الحالة خليق أن يكون لمن هو أقدر على الصبر والاحتمال، فتجاهلت الأمر وصرت أغلق النوافذ واحدة بعد أخرى لأزيد شعورهم بالضيق والكرب فلا يعودوا إلى مثلها بعد ذلك ، وقد كان . تصبرت وتشددت ودعوت الله في سري أن يقويني على الاحتمال ، ومضيت في الدرس بنشاط وهمة لأشغل نفسي عما أعاني من كرب هذه الرائحة الملعونة . وكنت أرى في وجوههم أمارات الجهد الذي يكابدونه من التجلد مثلي فأسر وأغتبط وأزداد نشاطاً في الدرس وإغضاء عمن يرفعون أصابعهم ليستأذنوا في الكلام فقد كنت عارفاً أنهم إنما يريدون أن يستأذنوا في فتح النوافذ عسى أن تخف الرائحة ويلطف وقعها . وظللنا على هذا الحال نصف ساعة كادت أرواحنا فيها تزهق، ورأيت أن الطاقة الانسانية لا يسعها أكثر من ذلك ، وأن التلاميذ خليقون أن يتمردوا إذا أصررت على عنادي المكتوم ، واغتنمت فرصة إصبع مرفوعة وسألت صاحبها عما يريد، فقال إنه يريد أن يفتح النافذة لأن الحر شديد. قلت افتحها ، وفتحت النوافذ كلها . وتشهدنا جميعاً واستأنفنا الدرس ولكن بفتور لشدة ما قاسينا من رياضة النفس على احتمال ما لا يطاق . وانتهى الدرس وخرجت فخرج ورائي ثلاثة أو أربعة من التلاميذ ولحقوا بي، وقال لي واحد منهم إنهم يأسفون لما حصل وإن الأمر كان مقصوداً به غيري، وإنهم يطلبون الصفح، فسررت ولكني تجاهلت وسألتهم عما يعنون . قالوا: الرائحة الكريهة التي كانت في الفصل . قلت: رائحة... أي رائحة؟ إنني مزكوم ولهذا

لم أشم شيئاً فلا محل لاعتذاركم. ومضيت عنهم، وكان هذا درساً نافعاً لهم ولو أنى عاقبت أحداً لما أثمر العقاب إلا رضاهم عن نفوسهم لأنهم استطاعوا أن ينغصوا على، وأن ينجح مني عبثهم الطبيعي في مثل سنهم

وفى آخر سنة من اشتغالي بالتدريس توليت أمر مدرسة ثانوية فقلت للأساتذة: إنى ألغيت العقوبات جميعاً فلا حبس ولا عيش حاف ولا شيء مما اعتاد المعلمون أن يعاقبوا به التلاميذ. ونظريتى هي أن المدرس الذى يحتاج إلى معاقبة تلميذه لا يصلح لهذه المهنة وخير له أن يشتغل بغيرها، وأن العلاقة بين المعلم وتلميذه ينبغى أن تقوم على المودة والاحترام، وأن يكون أكبر وأقوى عامل فيها هو شعور التلميذ بأن المدرس والد له يبغى له الخير ويخدمه ويفتح له نفسه ويقوى مداركه وينمى استعداده، وأنه لا يلزمه بدرس ولا يفرض عليه شيئاً بل يرغبه فى الدرس ويحبب إليه التحصيل. وعلى هذا فليس لأحد من المعلمين أن ينتظر منى أى معونة على ضبط النظام، وقد كان. قضينا فى هذه المدرسة سنة كاملة لم يشعر فيها التلاميذ بسلطان أو سطوة، وإنما شعروا أنهم أبناء لنا وأننا إخوان كبار لهم وأصدقاء نافعون

ولم أكتف بهذا بل ألغيت «الجرس» الذى يدق إيذاناً بابتداء الدرس أو انتهائه لأنى لم أر حاجة إليه بعد أن أصبح التلاميذ يحرصون على الحضور والمواظبة من تلقاء أنفسهم وبدافع من حبهم للمدرسة ورغبتهم فى الوجود بها مع إخوانهم المدرسين حتى لقد كان الواحد منهم يمرض فيحضر، وبهذا استغنيت أيضاً عن الدفاتر الكثيرة التى تستعمل فى المدارس والتى تحتاج إلى موظفين كثيرين لا داعى لهم. وقد كنت أحب أن أظل فى هذه المدرسة لأرى نتيجة التجربة، ولكن الحركة الوطنية بدأت فى صيف ذلك العام وجرفنا جميعاً تيارها الزاخر فهجرت التعليم إلى الصحافة. ولو عدت إليه الآن لكان من المحقق أن أخفق فقد اختلف الحال جداً وانقلبت الأوضاع.

ابرهيم عبد القادر المازنى

حرمة البيان

للأستاذ عبد المنعم خلاف

لو كان الأدباء «إلٰهيين» يقدمون لله الأزهار التى يقتطفونها بأقلامهم من حديقته قبل أن يقدموها للناس، لحسبوا للحق والشرف والجمال الأصيل أكبر حساب، ولاستحيوا أن يقدموا لعين الله الناقدة المالئة كلاماً باطلاً أو دنيئاً أو زائفاً ... ولكن كثيراً منهم رضوا بأن يكونوا «وثنيين» ينحتون من الألفاظ أصناماً يزوقونها ويصرفون الانسانية بها عن وجه الله في بعض الأحيان ...!

فهم يقدمون أزهارهم للأعين الكليلة البليدة: مُغْفلين «الفنان الأعظم!» الذى يجب أن يرفع إليه كل عمل جميل شريف حتى يوقع عليه بطابعه ...

ما هو الجمال؟ ما هو الحق؟ ما هو الشرف؟ لولا الله ...

كل المعايير والموازين ساقطة باطلة مبلبلة إذا لم تكن فى يده هو!

كل الصدق كذب ... وكل الخير شر ... وكل الحق باطل إذا لم يقله لنا هو!

***

ما الفرق بين صانع الكلام وصانع الأحذية إذا كان مدار الكلام هو الخبز ... أو إرضاء جمهور الحرفاء أو الشهرة الجائعة التى لا تشبع أبداً؟

إنى أقرأ بعض صحف الكلام فأشعر أنها من حقارتها وذلها كالنعل ... وكالنعل البالية القذرة لكثرة ما فيها من خروق عقل صاحبها أو خروق خلقه ...

إن حاسة البيان جانب مقدس لأنها خاصة الانسان الترجم عن الإلهية، فيجب أن يكون فيها ذلك السيال الخفى فى الأصوات أو فى السطور

وإن فى حديقة الله أعاجيب وتهاويل وحقائق كبيرة لا يسمح

إلا للأقلام النظيفة بالقرب منها ورصدها وتقريبها لذوى النظر القاصر من الانسانية المادية العاملة التى ليس لها وقت للوقوف عند كل شىء ومحادثته وأخذه فى النفس بالتأمل والدرس

إن فى الأدب صوفية وكذلك فى الفن على العموم ، والصوفية نظافة وإدراك مرهف ودوران حول النفس والطبيعة وحساب دقيق للنسب بين الموجودات ثم نظرة دائمة إلى الفنان الأعظم !

فمتى يدرك الأدباء أن هذا أساس البيان وأن مقاييس الشرف الأدبى تسقط الأدب الكاذب أو الداعر أو الزائف أو الجاهل بهذه الحقائق ولو ساقوا ألف دليل ودليل على أن مهمة الأدب تسجيل كل ما فى الحياة ولو كان فحشاً أو نكراً ؟

إنى أنزه حرمة البيان أن أسخره فى شىء تافه أو دنس حتى لا أصرف عنه عيون عشاق الحكمة الشرفاء الذين إليهم وحدهم يجب أن يرفع الكلام ويوجه الأثر الفني ... وحتى لا أقذى به عيون النساء والناشئين الذين يجب أن نصونهم عن القبح والزيف ؛ والطفولة والشباب هما موضع آمال الإصلاح وقوالب المثل العليا التى فاتنا أن نحققها في أشخاصنا ، والنساء هن مستودع تلك القوالب ...

أنا أريد وأتمنى أن يكون الأدب واحة فى صحراء الحياة المادية بجانب واحة الدين ، لتفر إليها النفس المتهالكة المختنقة من ضجة الآلات ومادية العيش والارتفاق . وإن في الأدب صوراً تلمس فيهـا ذكاء وعبقرية صنع ، ولكنها لا تحرك فى نفسك ذلك الاحساس العميق بالحياة، ولا تثير فى قلبك ذلك الدم النادر الذى لا يثور إلا فى عبادة خالصة أو فى فرح مقدس أو ألم مقدس . وهنالك أدب يشعرك بذلك المعنى السامي الذى يؤكد لك الاحساس به أنك أعظم من جسدك الحيوانى ... وأنك أوسع من تلك الكتلة اللحمية المحدودة ... وأنك أخف من ذلك الجرم الترابى الكثيف المربوط بالأرض ... وأنك باستمرار محوط بأسرار وقوى تخاطبك وتجاذبك ... ولكنك لا تسمع ولا تحس إلا إذا فتحت سمعك كلمة منبهة من قلم نظيف حساس ...

جوهر النفس والطبيعة ينبغى أن يكون هو وحده مطلوب الفنان ، أما القشور فلا يطلبها فنان ذو افتتان بالحقائق الكبيرة التى تتطلب من راصدها عشقاً لها وحدها وأمانة لقوانينها وفضائلها

هنالك أدب كموسيقى « الجازبند » يثير فى النفس أطيش ما فيها وأخفه وأحمقه ، ولا يدخل عليها محصولاً من شعور نبيل أو فكرة كريمة ، ولا يلفتها إلى شىء مخبوء ، ولا يفتح لها باباً مغلقاً ... هو تماماً كتلك الموسيقى المجنونة البربرية التى تحمل على طيش الجسد ورقصه وضجة شهواته وحماقاته . قد يكون فيه براعة لفظية وخفة يد أو لسان ... ولكنها كبراعة « الحاوى » وخفته ... لا تحملك على اعتقاد بأن صاحبها خالق أو جاد يقصد لباب الحياة ...

ومنذ أن قال امرؤ القيس أقواله الفاحشة فى المرأة ، ونظم الفرزدق وجرير الشتائم والسباب ، وقال أبو نواس وبشار وأضرابهما فى معانى الشذوذ والضعف الخلق ، وامتلأ العصر العباسى الثاني بالتفنن فى تسجيل الصور الدنيئة من حياة الانسان كما يتمثل فى يتيمة الدهر (قاموس الأدب الداعر الوقح !) — منذ ذلك كله تحول ذوو الطبائع الجادة وعشاق الحكمة والمشغولون بالحق والجمال الأصيل إلى وجهات أخرى فى الحياة غير وجهة الأدب والاشتغال بمحصوله

* * *

لماذا يتكلم الناس ؟ أللإبانة عما فى نفوسهم ؟ أم لإخفاء ما فيها كما يقول « تاليران » الخطيب الفرنسى المشهور ؟

أنا مع تاليران كما دلتنى مواقف كثيرة : كنت أقرأ فيها على الوجوه وأشعة العيون غير ما يقول اللسان ... وقد قرر عمر بن الخطاب أن مع التفاصح النفاق حين حبس الأحنف بن قيس مدة لما رأى من فصاحته ولَسنه فخشى أن يكون وراءها نفاق ، ثم تبين له شذوذ القاعدة فى الأحنف فأطلقه . وقد دلتنى على ذلك أيضاً ألاعيب صناع الكلام والمفتونين فيه الذين يكفرون بالحق لأجل كلمة، ويغيرون معايير الطبيعة لأجل قافية، ويخسرون صداقة الفضيلة لأجل سجعة أو نكتة !

ولو كنت ذا وصاية عامة على تهذيب الناشئين لكانت مهمتى تتلخص فى تربيتهم على الاقتصاد فى الكلام ما وسع الصمت

وعلى التفكير فيه وحديث النفس به قبل إعلانه على تلك الآلة الصغيرة الخطرة : اللسان أو القلم !

التفكير التفكير ، وارتياد طريق الكلمة قبل تسجيلها بالصوت أو المداد ، وبث الكشافة من شعور النفس وفروض السامعين أو القارئين ، والاتيان بجديد إن كان المقصود بالبيان هو « الأثر الفني » وترك الآثار مدة حتى تختمر وترجع النفس وافرة وتقر الأخلاط الثائرة وتذهب فتنة ابتداء القول والاعجاب به كما يقول الجاحظ ، وكما أشار العماد الأصفهاني إلى طبيعة الاحساس بالنقص فى الأثر البيانى من صانعه بعد مرور حين من الزمان ...

***

لا يعنى الشاعر المتأمل أن يتكلم بقدر ما يعنيه أن يتأمل ! وإن لذة الخلوص إلى النفس ، والشعر النفسى الذى ترسله الروح بحوراً لا قيود لها ولا تكلف ولا كذب ولا ألفاظ بها وقراءة آثار الغير وقراءة الدنيا بدل الاملاء عليها ... ليست أقل من لذة الكلام وإظهار ما فى النفس ، إن لم تفقها بأضعاف ! بل إن الثانية يصحبها ألم تقييد المطلق وتحديد اللانهائى وتضييق الواسع وضغط المعانى فى قوالبها وطمس جمالها بالألفاظ العاجزة

وأنا شخصياً لا أجد فى نفسى نشوة حين أقول بقدر النشوة التى أجدها حين أفهم ما يقال من الآثار الجميلة

والالحاح فى طلب الشهرة من طريق تتابع الآثار الأدبية الخفيفة الوزن والمحصول هو عيب أكثر أدباء الشباب. فلو عرف كل أديب أن لا عليه أن يصمت حيث لا جديد عنده يضيف إلى ميراث الأدب سطرا قيما ، لاستراح هو من النقد واستراح القارىء من تكرير المعاد المكرور « ومت بداء الصمت خير لك من داء الكلام »

والالحاح فى طلب الشهرة ينبيء عن « مركب نقص » دخيل يحسه صاحبه ويريد أن يغطيه عند نفسه أولا وعند الناس ثانيا. وما يعظم العظيم حتى يتوارى عن أعين الناقصين إشفاقا عليهم من آلام الحسد والفقد . وإذا اكتملت معانى الثقة والعظمة فى نفس عاشت منها فى غبطة يخيل إليها معها أن بصيرة الناس تحسها وآذان القلوب تسمعها ، فلا حاجة بها بعد ذلك إلى إعلان أو إلحاح ولجاجة .

وكم يحملنى شخص لم يكتب إلا كلمة أو لم يخطب إلا مرة واحدة على احترامه وتقدير ما عنده لأنى عرفت نفسه وجوهر فكره وقلبه .

وكم يحملنى آخر من « محترفى صناعة الكلام » على احتقاره وازدراء ما عنده ولو غطى نفسه بألف رداء من التظرف أو التوقر أو البراعة فى اللعب بالألفاظ ... جوهر النفس أشع وأوضح من أن يخفى .. فليعرف ذلك الخادعون للناس والمخدوعون فى أنفسهم المغرورون بالألفاظ ، السيئو الظن بعقول الناس وذاكرتهم وتأويل صمتهم ...

***

ألاعبون بالألفاظ أيها الأدباء ... أم مؤمنون بالخير والجمال الأصيل ؟

أأرضيون أنتم تترجمون عن حياة حيوانية ... أم متعلقون بما فوق ... ؟

أأذكياء أنتم تعرضون فصاحتكم وشقشقتكم واختلاج ألسنتكم وأقلامكم ... أم لكم قلوب تشيرون بها وحدها إلى الحقائق الكبيرة فى الحياة ؟

أمصرون على التلهي بالأصداف والفواقع والقشور ... أم ساعون جاهدون إلى إدراك الجوهر واللب ؟

أأوابد مفرقة متهاترة ... أم جنود فى كتيبة واحدة لغاية واحدة ؟ إنكم بالأوضاع الأولى محترفون للتعيش والكسب ... وبالأوضاع الأخرى أصحاب رسالة ... إنكم بالأولى ترضون أن تبيعوا أقلامكم وتعيشوا من غير عقيدة وهدف وتؤجروا كما تؤجر النوادب أو القيان للوقوف فى المآتم والأعراس بدون قلوب ولا دموع ولا ابتسام ولا ابتهاج ...

وإنكم بالأخرى تفرضون محتكم على أمراض العقول وتصحيحكم على أغلاط الناس وتسيرون فى الناس كالراعى فى القطيع وكالآباء فى الأسرة ...

بالضيعة الانسانية إذا ما سخرت جهالتها علومها وآثامها

فضائلها وأمراضها سلامتها ! يالضيعة الرءوس إذا ماتحكمت فيها الأقدام والأيدى والمدات !

***

غفرانك ياقلم ! وصفحاً عن جريرة الذين يحملونك ولايدرون مجدك وملكوتك !

هم لا يدرون أين يغمسونك ... فهم يغمسونك فى الأوحال والأدناس ويقدمون على طرفك للناس بمرآ ... وهم يتوهمونه زهرآ ... من تدليس معاطسهم وكيد أنوفهم وانتكاس طبائعهم

إن بعض الكتاب لا يغمسونك إلا فى دماء قلوبهم ولا يصدرون بك إلا عن وحى الحق والواجب والمجد والجمال الأصيل فهم لا يكتبون ليملؤا صحائف بمداد أسود وكفى ... فعل الذين يعلنون به عن أنفسهم التى تحس الحقارة وتغطيها بالشهرة وتريد أن تقول حتى للحمير والكلاب والأحجار : هأنذا . هأنذا أديب كبير أيتها الأحجار والحمير ! ولكنهم يكتبون فاهمين حرمة القلم الذى أقسم به الإله ... وفاهمين أنه هو الذى غير تاريخ البشرية وجعلها تسير نحو مجدها وتسجل خطواتها ، فليس لأحد أن يستعمله إلا فى مطالب الشرف

ولو درى بعض الأدباء أى جناية يجنونها على الخلق والشرف والجمال فى نفوس الشباب لحطموا أقلامهم واستبدلوا بها الفئوس أو المكانس ... فان فى استعمال الفأس أو المكنسة معنى سامياً فى خدمة الانسانية من وجوه ...

إن بعض الأدباء أفلسوا فى أن يقدموا للانسانية معنى يرفعها أو شعاعاً يهديها ... فماذا يفعلون ليشتهروا ؟ لا شىء إلا أن يقدموا لها معنى يخفضها ... على مذهب القائل :

إذا أنت لم تنفع فضر فانما   يرجى الفتى إذ ما يضر وينفع

***

وشهد الله أننا ما نكتب لشهوة الكلام ، ولا لرؤية الصحف المسودة ... ولا ليقال عنا إننا كذا وكذا ... وإنما نكتب حين نشعر أن دمنا يسير إلى أقلامنا ويرعش بناننا فترسم به صوراً ...!

ليس بنا فتنة الحديث إلى أحد ... وإنما نتحدث إلى أشياء أخرى لا يراها الناس ... نتحدث إلى طبقة « أرستقراطية » مخبوءة مضنون بها على أكثر العيون والأسماع ... نقول لها وتقول لنا ، ونلازمها وتلازمنا متفاهمين ليس بيننا غل ولا شحناء . ترينا من عجائبها وتلبسنا مما عندها مناظير وأثوابا ... وتضئ لنا بمصابيح ... وتمرفنا إلى جهات مجهولة ، وتقذف بنا إلى كل ناء بعيد ... وتقول للدنيا المستورة : هذا قارع لبابك طويلاً فافتحى له وخذيه ....

***

وأعود فأكرر : إن في حديقة الله أعاجيب وتهاويل وحقائق كثيرة لا تنالها إلا الأقلام النظيفة

وإن في الأدب الحق صوفية تحتم إدامة النظر إلى « الفنان الأعظم » الذى « إليه يصعد الكلم الطيب »

(القاهرة)   عبد المنعم خلاف

البصـــــرة

للدكتور عبد الوهاب عزام

خرجنا من الناصرية على الفرات جنوبى العراق نريد البصرة يوم الخميس ٣٠ ابريل سنة ١٩٣٦ والساعة ثلاث وعشر دقائق بعد الظهر ، والناصرية حاضرة لواء المنتفق بنيت على نظام حسن منذ ثمانين عاماً ، وسميت باسم ناصر باشا السعدون رئيس عشائر المنتفق ، وبينها وبين البصرة مائة وخمسة عشر ميلاً .

سارت بنا السيارة ثلاث ساعات على حافة البادية بادية الشام فى قسمها الجنوبى المسمى بالسماوة ، نجد على البعد ريح نجد ورى الشيح والقيصوم ؛ وبينا نحسب الساعات والأميال ، تشوقنا البصرة وذكرياتها . قال أحد الرفاق : أنظروا إلى شجر الأثل — هذا أثل الزبير . قاربنا المدينة

مدينة الزبير مدينة صحراوية على مقربة من البصرة الحديثة بينهما نحو عشرة كيلات ، وكانت فى العصور الخالية قسما من البصرة القديمة ، سميت باسم الزبير بن العوام أحد الصحابة قتل بعد موقعة الجمل فى وادى السباع على مقربة من المدينة ودفن بها

وسكان الزبير معظمهم نجديون أهل نشاط وتجارة ، وقد جلبت إليها الحكومة العراقية الماء من البصرة منذ سنتين وكان شربهم من الآبار

وبها من المشاهد قبر الزبير رضي الله عنه فى مسجد كبير ، وفى جانب من هذا المسجد قبر عتبة بن غزوان مؤسس البصرة فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنهما . قلت فى نفسى : قبر عتبة يذكرنى بالفتح والتعمير ، وضريح الزبير يذكر بالخلاف والقتال بين المسلمين ، وتلك أمة قد خلت . أسأل الله إصلاح النفوس وتأليف القلوب . وخرجنا من مسجد الزبير إلى ظاهر البلد فرأينا قبة صغيرة تحتها قبران : قبر الحسن البصرى ، وقبر محمد بن يسرين من التابعين ، قلت : قداماً صطحباً حيين وميتين . وإن الذى يذكر الحسن يملأ نفسه الاجلال والاكبار لهذا الرجل رجل الذكاء والعلم والفصاحة والورع والجرأة فى الحق . وقد روى عن ثابت بن قرة أنه قال : ما أحسد هذه الأمة العربية الأعلى ثلاثة أنفس : عمر بن الخطاب والحسن البصرى والجاحظ . وقال عن الحسن : كان من دراىّ النجوم علما وتقوي ، وزهدا وورعا وعفة ورقة وفقها ومعرفة... يجمع مجلسه ضروبا من الناس ، هذا يأخذ عنه الحديث ، وهذا يلقن منه التأويل ، وهذا يسمع منه الحلال والحرام ، وهذا يحكى له الفُتيا ، وهذا يتعلم الحكم والقضاء ، وهذا يسمع الوعظ ، وهو فى جميع ذلك كالبحر العجاج تدفقا ، وكالسراج الوهاج تألقا . ولا تنس مواقفه ومشاهده فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عند الأمراء وأشباه الأمراء بالكلام الفصل واللفظ الجزل .. الخ

وأما قبور الصالحية التى ذكرها ابن بطوطة كمالك بن دينار وسهل ابن عبد الله فلم نجد عند القوم خبرا عنها . وأما قبر أنس ابن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم فمند وادى السباع بعيد عن المدينة .

فصلنا عن مدينة الزبير فرأينا على بعد قبة منفردة فى البرية وعرفنا أن تحتها ضريح طلحة بن عبد الله أحد الصحابة ، وقد قتل فى وقعة الجمل أيضا . ثم مررنا بمأذنة مفردة ليس بجانبها بناء فقيل إنها مأذنة مسجد على رضى الله عنه . وكان هذا المسجد فى وسط المدينة . وكان مسجدا عظيما بقى وحده بعد خراب البصرة القديمة ورآه ابن بطوطة وقال إنه من أحسن المساجد وصحنه متناهى الانفساح ، مفروش بالحصباء الحمراء التى يؤتى بها من وادى السباع ، وفيه المصحف الكريم الذي كان عثمان رضى الله عنه يقرأ فيه لما قتل

ثم دخلنا مدينـة البصرة وهى على ثمانية أميال إلى الشمال والشرق من البصرة القديمة التى تم خرابها فى أوائل القرن الثامن الهجري وخراب البصرة يضرب به المثل

ولله ذكر تحيط بالداخل إلى البصرة ! إنها ذِكرُ الفتح والتعمير الاسلامى . إنها ذكر العلوم والآداب العربية . هنا ولد النحو وعلوم اللغة ؛ هنا أبو عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد وسيبويه والأصمعى ثم الحريرى ؛ وهنا بشار وأبو نواس ؛ وهنا أئمة المعتزلة إبراهيم النظام وأبو الهذيل العلاف ؛ وهنا نادرة الزمان أبو عثمان الجاحظ . هنا إخوان الصفاء الذين دونوا خلاصة الفلسفة

الاسلامية، وهنا المربد حيث كان يجتمع الشعراء والفصحاء فيستمع الناس ويقضون لمتكلم على آخر. هنا أنشد جرير والفرزدق وغيرهما.

سألت أين الشان قرية الحريري التي كان بها نخله الكثير فقيل لا يزال اسمه معروفاً شمال البصرة فأنشدت ما كتبه سديد الدولة ابن الأنباري إلى الحريري :

سقى زرعي الله المشان فانها | محل كريم ظل بالمجد حاليا
أسائل من لاقيته كيف حاله | فهل يسألن عني ويعرف حاليا

البصرة اليوم مدينة عامرة كبيرة ، واسعة التجارة قد شمل التنظيم الحديث قسما كبيراً منها . وقسمها الحديث يسمى العشار يقع على شط العرب، وتشرف على هذا النهر العظيم قصور أغنياء البصرة تتبين فيها الغنى والبذخ والترف، لها مجالس على النهر وسلاليم ترسو عليها الزوارق

وعلى بضعة أميال من المدينة تقع ميناء البصرة الحديثة تدخل إليها البواخر الكبيرة، ولها مستقبل تجاري وحربي عظيم؛ والجهة التي بها الميناء تسمى معقل ويسميها الأوروبيون مركيل وأحسبها مسماة باسم معقل بن يسار المزني. وكان هناك نهر يسمى نهر معقل. وجاء في الأمثال : إذا جاء نهر الله فقد بطل نهر معقل

والبصرة مدينة البندقية العربية فهي واقعة على شط العرب العظيم تخرج منه أنهار كثيرة تخترق المدينة ، فتجد الأنهار في شوارعها الفسيحة تطل عليها الدور والبساتين

وأذكر أني سرت من المدينة إلى أبي الخصيب في طريق معبدة تظلها النخيل والأشجار نحو عشرين ميلاً فاجتزت أربع عشرة قنطرة على الأنهر الآخذة من شط العرب

والبصرة أكثر بقاع العالم نخلاً، بها نحو عشرة ملايين نخلة. ويكاد النخيل يتصل ما بين القرنة حيث يجتمع دجلة والفرات إلى مدخل خليج البصرة وذلك نحو ١٥٠ كيلا . وقد روى الأصمعي عن الرشيد أنه قال : نظرنا فاذا ما على وجه الأرض من ذهب وفضة لا يبلغ ثمن نخل البصرة ... الخ

وهذا الخصب العظيم والعمران الكثيف على مقربة من البادية . فمن شاء تحضر ونعم بألوان الحضارة، ومن شاء تبدّى واستمتع بحرية البداوة وبالصيد وغيره

وقد قال ابن أبي عيينة المهلبي يصف البصرة :

يا جنة فاقت الجنان فما | يعدلها قيمة ولا ثمن
ألفتها فاتخذتها وطنا | إن فؤادي لمثلها وطن
زوّج حيتانها الضباب بها | فهذه كنة وذا ختن
فانظر وفكر لما نطقت به | إن الأديب المفكر الفطن
من سفن كالنعام مقبلة | ومن نعام كأنها سفن

وقال خالد بن صفوان : يغدو قانصنا فيجيء هذا بالشبوط والشيم ، ويجيء هذا بالظبي والظليم ... والشّبوط والشيم من أنواع السمك

وقال ابن أبي عيينة أيضاً :

ويا حبذا نهر الأبلة منظرا | إذا مدّ في إبانه الماء أو جزَر
ويا حسن تلك الجاريات إذا غدت | مع الماء تجري مصعدات وتنحدر

وسقيا بساتين البصرة ومزارعها من المد . وذلك أن شط العرب يمد ويجزر. وقد وصفه الشعراء والكتاب والرحالون على اختلاف العصور

قال خالد بن صفوان :

وأما نهرنا العجيب فان الماء يُقبل عنقاً فيفيض متدفقاً، يأتينا في أوان عطشنا، ويذهب في زمان ريّنا، فنأخذ منه حاجتنا ونحن نيام على فُرُشنا . فيقبل الماء وله عباب وازدياد لا يحجبنا منه حجاب، ولا تغلق دونه الأبواب ، ولا يتنافس فيه من قِلّة ، ولا يحبس عنا من علة

وقال الجاحظ وهو يعدد عجائب البصرة :

منها أن عدد المد والجزر في جميع الدهر شيء واحد ، فيقبل عند حاجتهم إليه ويرتد عند استغنائهم عنه ؛ ثم لا يبطئ عن الأرض إلا بقدر هضمها واستمرائها وجمامها واستراحتها، لا يقتلها عطشاً ولا غرقاً . يجيء على حساب معلوم ، وتدبير منظوم ومدد ثابتة ، وعادة قائمة ، يزيدها القمر في امتلائه كما يزيدها في نقصانه . فلا يخفى على أهل الغلات متى يتخلفون ومتى يذهبون ويرجعون، بعد أن يعرفوا موضع القمر وكم مضى من الشهر ، فهي آية وأعجوبة، ومفخرة وأحدوثة ، لا يخافون المحْل ولا يخشون القحط

قال ياقوت الحموي :

كلام الجاحظ هذا لا يفهمه إلا من شاهد المد ، وقد شاهدته

فى ثمانى سفرات لى إلى كيش ذاهباً وراجعاً ، ويحتاج إلى بيان ليعرفه من لم يشاهده : وهو أن دجلة والفرات يختلطان قرب البصرة ويصيران نهراً عظيما يجرى من ناحية الشمال إلى ناحية الجنوب؛ فهذا يسمونه جزراً ، ثم يرجع من الجنوب إلى الشمال ويسمونه مداً، يفعل ذلك كل يوم وليلة مرتين . فاذا جزر نقص نقصاناً كثيراً بينا بحيث لو قيس لكان الذى نقص مقدار ما يبقى أو أكثر . وليست زيادته متناسبة بل يزيد فى أول كل شهر ووسطه أكثر من سائره الخ ا . هـ . كلام ياقوت

وهذا النظام لا يزال سارياً اليوم، ولكن حفر مدخل الشط فى السنين الأخيرة لتتمكن السفن العظيمة من الدخول فصار المد أقل مما كان قبلا

وأما هواء البصرة فحار رطب . وكان من حسن حظنا أن كنا بها فى أوائل آيار (مايو) فلم نصادف إلا هواء معتدلا بالنهار بارداً بالليل . وقد وصف القدماء هواء البصرة بشدة الاختلاف. قال الجاحظ : من عيوب البصرة اختلاف هوائها فى يوم واحد، لأنهم يلبسون القمص مرة ، والمبطنات مرة لاختلاف جواهر الساعات . ولذلك سميت بالرعناء،قال الفرزدق :

لولا أبو مالك المرجو نائله ما كانت البصرة الرعناءلى وطناً

وذلك أن ريح الشمال فى البصرة باردة، وريح الجنوب حارة؛ ولذلك قال ابن لنكك الشاعر البصرى :

نحن بالبصرة فى لو نٍ من العيش ظريف
نحن ما هبت شمال بين جنات وريف
فاذا هبت جنوب . . . .

ويكمل الشاعر بيته بشطر لا يحسن إنشاده

وكانت البصرة إلى عهد قريب كثيرة الحيات ، ويقول ابن بطوطة بعد ذكر المد والجزر : « وبسبب ذلك كان هواء البصرة غير جيد » وألوانُ أهلها مصفرةٌ كاسفة حتى ضرب بها المثل. وقال بعض الشعراء وقد أحضرت بين يدى الصاحب أترجة

لله أترج غـــدا بيننا معبرا عن حال ذى عبرة
كما كسا الله ثياب الضنى أهل الهوى وساكنى البصرة

وسمعت فى العراق أن أهل البصرة قد ألفوا الحمى حتى أن أحدهم يكون سائرا مع صاحبه فيحس الحمى فيقول له : إئذن لى أن أذهب إلى البيت لأحمّ . هذا كله كان قبل أن تنالها يد العناية - عناية الحكومة العراقية . وأما اليوم فقد أصلحت الحكومة الطرق والأنهار والمستنقعات ، وتوسلت بوسائل طبية كثيرة حتى قلت الحمى هناك جدا ، ويرجى أن تزول فلا يبقى لها أثر بعد سنين قليلة .

ومن الانصاف أن أذكر ما عرف به أهل البصرة فى الماضى والحاضر من كرم الخلق ورعاية الغريب . قال ابن بطوطة :

«وأهل البصرة لهم مكارم أخلاق ، وإيناس للغريب، وقيام بحقه ، فلا يستوحش فيما بينهم غريب »

وفى ياقوت: «وقال شاعر يصف أهل البصرة بالبخل وكذب عليهم » وياقوت خبير بالبلد وأهله

وكذلك أهل البصرة اليوم تغلب عليهم الأخلاق العربيـة على كثرة ما نابهم من محن ، ومر بهم من شدائد

وفى البصرة مدارس أوليـة وابتدائية كثيرة ومدرسة متوسطة وأخرى ثانوية . والتعليم فيهـا يزداد ويزدهر سريعا . وعسى أن يكون لها بعد قليل ما كان لها من مجـد وصيت يوم كانت مهد العلوم العربية والاسلامية .

ويعد للبصرة من موقعها وأرضها ومائها وعناية الحكومة العراقية بها ما يضمن لها مستقبلا زاهرا . وإنا لنرجو أن تعيد سيرتها ، وتعمل لخير العربية والاسـلام ما عملت فى ماضيها إن شاء الله .

عبد الوهاب عزام

حظى بالشيء ....

لأستاذ جليل

الرافعي ، المجمع اللغوى ، أزهرى
المنصورة ، اليازجى ... ...

— ٤ —

تتمة

قال الأستاذ الرافعى (رحمه الله) : « فلقى (حافظ) بعض أصدقائه ، فقال له بالحرف : (اليازجى غير مطلع في العربية) قال الصديق ولماذا ... »

وأغلب الظن أن ذلك الصديق الذى حاور حافظاً هو الأستاذ الرافعى بنفسه ، وكأن ضلعه فى حديثه على حافظ ، وهو يبدو منالحاً عن صاحب (الضيـاء) وكان يوقر صاحبه ، وسماه فى إحدى مقالاته (أديب النصرانية) وقد طالع أقواله جلها أو كلها. وفى (تاريخ آداب العرب) من مجلتى (البيان والضياء) شيء كثير[1] وإن لم يُعزَ إليهما ، وخطة الأستاذ الرافعى فى ذلك الكتاب قلة العزو ، وهذا قوله بيناً : « اصطلح بعض المتأخرين على أن يذكروا فى مؤلفاتهم أسماء الكتب التى ينقلون عنها ، ويعينون مواضع النقل ليخرجوا من تبعة ما ينقلون إذا كان خطأ فيلقون ذلك على الكتاب زيادة فى حسنات مؤلفه ... أما نحن فلما كنا نستهجن أن نثبت شيئاً لا نمخض الرأى فيه ، ولا نثق بصحته بعد تقدم النظر دون أن ننبه عليه إن مست الضرورة إلى إثباته فقد أهملنا ذكر الكتب لأن ذلك تطويل من غير طائل، ولأننا نبسط كل معنى نأخذ فيه ، ولم نعين مواضع ما ننقله لأن علينا تبعته »

ومما أخـذه من (البيان) قوله : « وهم (أى الاسماعيلية) ينسبون إلى إسماعيل (عليه السلام) وخبر نزوله بالحجاز مذكور فى التوراة ! وقد تزوج هناك برعلة بنت مضاض أحـد ملوك

(١) راجع (تاريخ آداب العرب) الصفحات : ٣٥ و ٤٣ و ٦١ و ١٧٧ ومجلة البيان الصفحة ٤٢٥ و ٤٢٦ والضياء السنة (٥) الصفحة ١٩٨ والسنة (٨) الصفحة ٦٥

جرهم وهى القبيلة التى ذكر جدها فى التوراة باسم ألموداد »

و (البيان) يقول : « وسائر قبائل العرب تنسب إلى أجداد ذكرت فى التوراة ، منها ألموداد جد قبيلة جرهم التى اتصل بها إسماعيل بن ابرهيم الخليل فتزوج برعلة بنت مضاض أحد ملوكها وكانت مساكنها فى الحجاز »

وفى منقول الأستاذ الرافعى رحمه الله شيء نفوّض البحث عنه إلى الكاتب المشهور الدكتور طه حسين ليفيض فيه حتى يطرفه محمد نور ثانٍ أخاً لذاك (القرار) ...

وقد عرف الشيخ اليازجى فضل الأستاذ الرافعى فى مبتدأ أمره ، وأطراه فى مجلته ، وقرظ الجزء الأول والجزء الثانى من ديوانه ، وروى طائفة منهما فى التقريظين ، ونقد أبياتاً فى الأول منها هذا البيت :

أرى ذا الليل قد خفقت حشاه   وبيض عينه تزف الدموع

قال : « فأنث الحشا وهو مذكر »

قلت : الحشا مذكر ، وقد جاء فى (رسائل الجاحظ) التى انتقاها من كتبه الأديب الأستاذ حسن السندوبى : « فأنا بين حشا خافقة ودمعة مهراقة » فهل كان الأصل : (فأنا بين حشا خافق ودمع مهراق) ثم جاءت هذه البركات ، هذه التاءات من عند الناسخين أو الطابعين أو المنتقين ... ؟

وفى (أقرب الموارد) للشرتوني : « وهو (أى الحشا) يؤنث كقوله :

لا تبـذل المشتاق فى أشواقه   حتى تكون حشاك فى أحشائه

والبيت للمتنبي ، والرواية فى (ديوانه) يكون — بالياء — لا تكون — بالتاء — . وممن أنث الحشا ابن الفارض وابن نباتة المصرى وقد نقدها اليازجى

ومن نقد اليازجى العروضى لأبيات للرافعى :

أنا لم يبق بين جنبيّ إلا   كبد من لوعة الشوق حرّى

فى عجزه نقص سبب خفيف بين كبد ولوعة[1]

(١) قلت : مشكلة الزيادة والنقص فى الوزن قديمة فنى (الموشح) : « كان أبو الحسن أحمد بن يحيي يقرأ على أبى الغوث يحيي بن البحترى أشعار أبيه . فكان مما قرأ عليه القصيدة التى أولها :

ما بعينى هـذا الغزال الغرير   من فتون مستجلب من فتور =

صدّت فكان كلامها نَزرا وغدت تضن بذلك النزر

جاء بالعروض الحذاء مضمرة والاضمار مع الحذذ لا يقع إلا في الضرب »

وقد ذكَرنا نقد اليازجيّ الرافعيّ بنقده (شوقيًا) في مثل ذلك:

« ما نحن قلنا فالحب قائله وما فعلنا فللهوى الفعل

وإن نقلنا لبقعة قدما فللهوى لا البقعة النقل

البيت الثاني مختلف الوزن من بحرين ، لأن الشطر الأول من (المنسرح) وهو بحر سائر القصيدة والثاني من ثالث السريع :

تلك سماء الهند شاهدة وأرضها والجبال والسهل

خالف بين الشطرين فجعل الأول من السريع والثاني من المنسرح »

ثم قال اليازجي بعد نقده تلك الأبيات في ديوان الرافعي :

« على أن هذا لا ينزل من قدر الديوان وإن كان يستحب أن يخلو من مثله ، لأن المرآة النقية لا تستر أدنى غبار ، ومن كملت محاسنه ظهر في جنبها أقل العيوب ، وما انتقدنا هذه المواضع إلا ضناً بمثل هذا النظم أن تتعلق به هذه الشوائب ورجاء أن يتنبه لمثلها في المنتظر ، فان الناظم كما بلغنا لم يتجاوز الثالثة والعشرين من سنيه ، ولا ريب أن من أدرك هذه المنزلة من البراعة في مثل هذه السن سيكون من الأفراد المجلين في هذا العصر ، وممن سيحلون جيد البلاغة بقلائد النظم والنثر »

قلت : صدقت كهانة الشيخ فقد أمسى الرافعي من الأفراد المجلين في هذا العصر ، وهو إن صلى في النظم فقد جلى في النثر

ونشر الأستاذ الرافعي (رحمه الله) ثلاث قصائد من شعره في مجلة (الضياء) الثالثة في السنة السابعة من تلك المجلة (الجزء السابع ١٥ يناير ١٩٠٥) وعنوانها (حسان الأرض والسماء) وفي القصيدة هذا البيت :

هيهات قد أصبح معنى الهوى بين الغواني نحو (سوَّرْيدى)

قلت : فهن يبغين قلْباً[1] لا قَلْباً ، قلوباً لا قلوباً : « يُردن ثراء المال حيث عَلِمْنَه[2] »

وقد رأيت وقد رويت قول (أديب النصرانية) في (أديب الاسلامية) وإن لم يكن الرافعيُّ يومئذ الرافعيَّ — أن أورد قولا لحجة الاسلام الامام الشيخ محمد رشيد رضا في الأستاذ الرافعي وفي كتبه عامة وكتاب المساكين خاصة :

« الأستاذ مصطفى صادق الرافعي صاحب هذا الكتاب أشهر من نار على علم ، يراها كل أحد ولا يصل إليها أحد ، فهو معروف والمعروف لا يعرّف . أوتي عقله نصيباً كبيراً من فلسفة النفس والاجتماع فهو يغوص في أعماقها ، وأوتي خياله حظاً عظيما من المعاني الشعرية فهو يطير في أجوائها ، وأودع ذهنه مادة واسعة من اللغة العربية مفرداتها وأساليبها ؛ فهو يبرز النظريات الفلسفية في صور من التخيلات الشعرية ، تتجلى في طرز طريفة (مودات) من الحلى والحلل اللغوية ، جمع فيها بين الاجادة في المنظوم والمنثور وقلما تتفق الاجادة فيهما معاً إلا للأقلين كما قال الحكيم ابن خلدون . وبهذه المزايا كان أمة وحده في الكتاب والشعراء والمصنفين ، وكان جمهور قراء العربية يشكون شيئاً من الغموض في كلامه ، والحاجة إلى التأمل الكثير في بعضه لاستبانة مراده ، ولكن لا ينكر أحد من أولي الفهم أن كل قارئ له يرى فيه من فرائد اللغة ودقائق التعبير البليغ عن المعاني ما لم يكن يعلمه ، فهو كثير الابتكار والابداع . ولو كان جمهور القراء يفهمون لغته حق الفهم لعم انتشارها

له عدة مصنفات أجلها موضوعاً وأوضحها بياناً (إعجاز القرآن) وقد أعطيناه حقه من التقريظ فنشر معه ، وطبع ثلاث مرات ، ويليه (تاريخ آداب العرب) و (تحت راية القرآن) ومنها (حديث القمر ، ورسائل الأحزان ، والسحاب الأحمر ، وأوراق الورد) وهذه الأربعة كتب فلسفة وشعر

وأما كتاب المساكين الذي جعلناه ذريعة لتقريظها كلها فقد عرفه مصنفه بكلمة بيّن بها ما أراده منه وكتبها تحت اسمه وهي : (أردت به بيان شيء من حكمة الله في شيء من أغلاط

= فلما انتهى إلى هذا البيت :

وكأن الأيام أوثر بالحسـ ـن عليها يوم المهرجان الكبير

قال أبو الحسن : يا أبا الغوث ، ألا ترى إلى هذا الغلط وقد أجمعت النسخ عليه ، فقال : هكذا قال الشيخ ، فأقبل عليه يبين له موضع الكسر ويقطعه له ، وهو غير مستنكر له بذوقه ، وسامه تغييره ، فأبى ذلك وقال : أغير شعر الشيخ ؟ فقال : هذا رجل قد وجب له علينا حق ، ويلزمنا تغيير هذا الكسر حتى لا يعاب به . فغضب (أبو الغوث) حتى ظهر فيه الغضب ظهوراً لم يستحسن أحمد بن يحيي معه أن يزيد في الكلام »

(١) القلب : السوار

(٢) والعجز (وشرخ الشباب عندهن عجيب) وهو لعلقمة في مفضلية

الناس) ولقد صدق فى قوله ووفى بمراده ، ولقد كنت أعجز كما إخال أن كل أحد غيره يعجز عن تعريفه هذا . ثم وصفه بكلمة أخرى قال : إنها (من قلم الغيب) وذكر أنها أوحيت إليه فى النوم وهى : (هذا كتاب المساكين ، فمن لم يكن مسكينا لا يقرؤه لأنه لا يفهمه ، ومن كان مسكينا فحسبي به قارئا ، والسلام) فان صدق فى أن هذه الكلمة من قلم الغيب كما صدق فى أن من لم يكن مسكينا لا يفهمه ، فأنا أظن أنه لا يوجد مسكين يفهمه ، ذلك بأنى أظن أننى مسكين ولم أفهمه ، إلا أن مسكنتى مسكنة أخلاق لا مسكنة إملاق ، ولا أدرى أية مسكنة ينتحل منشىء كتاب المساكين الذى لا يفهمه من ليس بمسكين . قرأت صحفحات منه ففهمت بعض جمله ، وأعجبت ببعض حكمه ، واستعذبت بعض استعاراته التمثيلية والتخييلية . ولكنى أقر بأنى لا أفهمه كله فهما إجماليا يمكننى تلخيصه به ، ولا أفهم فصلا منه فهما تفصيليا يمكننى من تفسيره لمن لم يفهمه ولا تفسير كل جملة من جمله ، فالكتاب فى جملته من قلم الغيب ، هبط على عالم الشهادة ، وفى الاطلاع على عالم الغيب من اللذة الروحية والانس ما ليس فى الاطلاع على عالم الشهادة ، وإن حارت فيه الافهام ، وكان حلما من الأحلام »

قلت : إن الأئمة قالوا :

« أبلغ الكلام ماحسن إيجازه ، وقلّ مجازه ، وكثر إعجازه »

« أحسن الكلام ما أعرب عن الضمير ، واستغنى عن التفسير »

« لا يستحق الكلام اسم البلاغة حتى يكون معناه إلى قلبك أسرع من لفظه إلى سمعك »

« البلاغة أن تظهر المعنى صحيحاً ، واللفظ فصيحاً »

ولاريب فى أقوال الأئمة هذه، وفضيلة العربية بيانها، وفضيلة العربى التبيين ، وهذا اللسان إنما هو اللسان المبين . ولو اطلع (حجة الاسلام) على (وحى القلم) وهو مقالات (الرافعى) فى (الرسالة) لراقه فيه كلام جلىّ ، وسرّه قولٌ منوّر

ووحى القلم هو كما قال فيه الأستاذ النابغة الموهوب (الدكتور عبد الوهاب عزام) فى (الرسالة) : « إن شئت فقل جنات فى صفحات ، وعباب فى كتاب ، وإن شئت فقل : إنه العالم فى سطور قد انتظم ، ووحىٌ إلهى سماه الرافعى وحى القلم »

***

أجاب الأستاذ أزهرى المنصورة الأستاذ الرافعى (رحمه الله) فى (البلاغ فى ٢ من ذي القعدة ١٣٥٢) فما قال :

« ١ — انتقد الشيخ إبرهيم اليازجى استعمال المصدر لحظى فى مقالة (لغة الجرائد) فقال : (ويقولون طلب الحظوى بهذه النعمة وسرتنى الحظوى بلقاء فلان ، والصواب الُحظوة بالهاء[1]) وهو فى نقده هذا مصيب ، وقال ما قاله فى شأن حظى بالشيء فى غيرها من مجلته (الضياء)

٢ — ما حقيقة (ظفر بالشيء وحظي بالشيء) وهل اللفظتان عربيتان ، قد نجمتا فى (الجزيرة) وكانتا من المجاز ، فكانت الأولى من إنشاب الضارى أظفاره في فريسته أو الصائد فى طريدته ، وكانت الثانية من حُظوته[2] بحظوة[3] أو حِظاء أو حظوات للصيد أو غيره ؟

فان كانتا عربيتين وكان أصلهما ذلك الأصل فظفر بالشيء وحظى به سواء ، والحظ[4] إن كان عربياً فمن (الحظوة) لا من غيرها

٣ — الحضرة ، المجلس ، (المشهد) المقام (المقامة)[5]

---

(١) قلت : الضياء السنة الأولى الصفحة (٦١٠)

(٢) قلت : حظوته : ظفره . وفي (التاج) : الحظوة بالضم والكسر ونقل عن ثعلب وغيره تثليثه

(٣) قلت : الحظوة سهم صغير قدر ذراع وإذا لم يكن فيه نصل فهو حظية بالتصغير ، وفى المثل : إحدى حظيات لقمان وحظياته سهامه ومراميه (الصحاح) وفى (اللسان) : حظاه بالحظوة إذا ضربه بها . وفى (التاج) : نقل شيخنا فيه التثليث

(٤) قلت : فى اللسان : الحظ النصيب من الخير والفضل قال الأزهرى : وناس من أهل حمص يقولون : حنظ وتلك النون عندهم غنة ولكنهم يجعلونها أصلية ، وإنما يجرى هذا اللفظ على ألسنتهم فى المشدود نحو الرز يقولون : رنز ونحو أترجة يقولون أترنجة . والجمع أحظ فى القلة وحظوظ وحظاظ فى الكثرة وإحاظ وحظاء

(٥) قلت : فى (اللسان) : المقامة بالفتح المجلس والجماعة من الناس . وفى (التاج) : كان ذلك بحضرته مثلثة وكلمته بحضرة فلان وبمحضر منه أى بمشهد منه . وأصل الحضرة مصدر بمعنى الحضور ثم تجوزوا به تجوزا مشهورا عن مكان الحضور نفسه . ويطلق على كل كبير يحضر عنده الناس . كقول الكتاب أهل الترسل والانشاء : الحضرة العالية تأمر بكذا والمقام ونحوه ، وهو اصطلاح أهل الترسل كما أشار اليه الشهاب فى مواضع من شرح الشفاء

بمعنى واحد فتقول : رأت حضرة أعضاء المجمع اللغوى ، أو قال مجلس أعضاء المجمع (أو قالت مقاماتهم) ولا تقول : قالت حضرات أعضاء المجمع أو قالت مجالسهم (أو مقاماتهم) لأنهم كلهم أجمعين حضرة واحدة ، مجلس واحد . وهذا واضح »

قلت : هـذه الكلمة هي آخر ما قيل في البحث عن (حظى بكذا) ولم يظهر في (البلاغ) شيء بعدها في هذا المعنى

***

هـذه أقوال الشيخ ابراهيم اليازجي في مجلته (الضياء) في نقد الفعل (حظي بالشيء)

في السنة (٦) في الصفحة (٢١٦) في جواب سؤال :

« وأما قوله (يحظى على الانسجام) يريد يظفر به ويحصل عليه فهو من كلام العامة لأن الحظوة في اللغة بمعنى المنزلة والمكانة والقرب المعنوى كما فسرها في تاج العروس تقول : حظى فلان عند الأمير وحظيت المرأة عند زوجها ، على أن العامة يقولون حظى بالشيء ولا يقولون حظى عليه فهو غلط في اللغة العامية أيضاً »

في السنة (٧) في الصفحة (٣٥٧) في مقالة عنوانها (لغة الجرائد) : « ويقولون حظوت برؤيا فلان أي فزت برؤيته فيضعون الرؤيا مكان الرؤية ، والأشهر فيها أنها مصدر رأى الحلمية وأما رأي البَصَرية فيقال في مصدرها الرؤية كما أن رأى العقلية في مصدرها الرأى ، وقولهم (حظوت) فيه غلط في اللفظ والمعنى؛ أما في اللفظ فلأن هذا الفعل من باب علم لا من باب نصر فيقال فيه حظيت بالياء مع كسر الظاء ، وأما في المعنى فلأن الحظوة — وهم يقولون الحظوى — معناها المكانة والمنزلة يقال حظى فلان عند الأمير وحظيت المرأة عند زوجها ، ولا يقال حظى بالشيء بمعنى ظفر به إنما هذا من استعمال العامة »

في السنة (٨) الصفحة (٥٤٥) في مقالة عنوانها (أغلاط المولدين) :

قال محمد بن بشير الرياشي :

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته
ومدمن القرع للأبواب أن يلجا [١]

أراد أن يظفر بحاجته فعبر بيحظى ولا يكون يحظى بهذا المعنى كما نبهنا عليه في لغة الجرائد . قال في لسان العرب : الحظوة والحظة المكانة والمنزلة للرجل من ذى سلطان ونحوه ، وقد حظى عنده ، ورجل حظى إذا كان ذا حظوة ومنزلة . اهـ . ومثله في سائر كتب اللغة ، ولم ينقل أحد حظيت بكذا بالمعنى المتقدم ، ولا ورد في كلام قديم ، لكن غاية ما هنالك أنه يمكن أن يقال حظى فلان عند الأمير بصدق خدمته مثلا أي كان صدق خدمته سبباً لحظوته عند الأمير ومن هذا قول أبي نُوَاس :

وما لكَ غير ما قدّمت زاد ... إذا جعلت إلى اللهوات ترق
وما أحد بزاد منك أحظى ... ولا أحـد بذنب منك أشقى

قوله فما أحد بزاد منك أحظى أي لا يكون أحد أحظى بواسطة هذا الزاد منك كما لا يكون أحد أشقى بذنبك منك ، وعبر بلفظ التفضيل وهو غير مراد ، والمعنى لا يسعد أحد بالزاد الذى تقدمه سواك كما أنه لا يشقى أحد بالذنب الذى تقترفه سواك. ومثل قول محمد بن بشير قول الصفيّ الحلّي :

من لى بقـربك والمزار عزيز ... طوبى لمن يحظى به ويفوز

وقول ابن التعاويذى :

لم أحظ منها بسوى نظرة ... خالستها من جانب الخـدر

وهو استعمال عامى »

قلت : بيت أبي نواس روايته الصحيحة هي :

وما أحد بزادك منك أحظى ... وما أحد بذنبك منك أشقى

وهي رواية (الديوان) ورواية المبرّد في (الكامل) ومن قبله بيت الفرزدق وهو في (النقائض) وفي (ديوانه) :

فأدركها وازداد مجداً ورفعـــة
وخيراً ، وأحظى الناس بالخير فاعله

وبيت الحكَميّ (أبي نؤاس) لا يفتقر إلى مفسر أو ترجمان ولا

(١) قلت : جاء في شرح الحماسة للتبريزى : يقول إن صاحب الصبر خليق بنيل حاجته

إلى هذا الذى قد خطه الكاتب (اليازجي)، ومن عجائب الزمان أن نخطئ العربي الأول يستعمل فى أثناء تخطئته قول المتأخر فيقول (بواسطة هذا الزاد) والواسطة فى العربية معروفة

* * *

هذه طائفة من الأقوال العربية والاسلامية والمولدة قد جاء فيها حظي بالشيء بمعنى ظفر به، ولم أورد معها ما ذكره الأستاذ أزهرى المنصورة . والقائلون من المولدين كلهم أئمة :

فى (سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) لابن هشام فى قصيدة لحذيف بن غانم :

وخيرهم أصلا وفرعاً ومعدناً وأحظاهم بالمكرمات وبالذكر

فى (كتاب الحماسة) للبحترى فى مقطوعة لعمرو بن مالك :

موارده فيها الردى وحياضه وإن أترعت لم يحظ بالرى شاربه

وفى (أمالى القالى) من قصيدة للشنّى

ولست بقائل قولا لاحظى بقول لا يصدقه فعالى

ومن الشواهد النحوية :

ماذا ولا عتب فى المقدور رمت أما

يُحظيك بالنجح أم شروتضليل [(١)]

وفى (الأغانى) لبشار :

بكيت على من كنت أحظي بقربه

وحق الذى حاذرت بالأمس إذ ساروا

وفى (ديوان أبي تمام)

منظومة بالموت يحظى بحليها مقلدها فى الناس دون المقلَّد

وفى (الأغانى) فى سيرة بشار : فلم يحظ منه (أى من المهدى) بشيء فهجاه

وفى (الأغانى) فى الجزء الثامن : حظى بها من غير نصب ولا كدح

وفى (طبقات الشعراء) للجمحي: فلم يحظ ولم يحل منه بشيء

وفى (الموشح) للمرزبانى : فوالله ما حظى البحترى من المعتز فى هذه القصيدة بطائل

وفى (رسائل الهمذانى) فى مناظرة الخوارزمى : أو قلت لك أكتب كتابا يخلو من الحروف المواطل، هل كنت تحظى منه بطائل، أو تبل لهاتك بناطل [(٢)]

وفى رسالة (الغفران) : لقد شقيت فى الدار العاجلة بجمع الأدب ولم أحظ منه بطائل

وفى (سقط الزند) لأبى العلاء :

وزند عاطل يحظى بمدح ويحرمه الذى فيه السوار

وفى (المقامات الحريرية) فى الثلاثين : صلى الله عليه صلاة تُحظيه بالزلفة

وفى (الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب) للبطليوسى فى شرح المقدمة عند ذكر كاتب التدبير: ويحظى بمنزلته لديه

وفى (مفتاح العلوم) للسكاكى ، فى خاتمته : وإذا جئتهم من علم الأصول وجدت علماءهم مقلدة ما حظوا إلا بشم روائح

الاسكندرية (***)

(١) الشاهد فى البيت الفصل بين الموصول وصلته وهو ضرورة

(٢) الناطل : الجرعة من الماء والبن والنبيذ

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ – ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ٣٥ —

مقالاته للرسالة (٦)

كانت خير أوقات الكتابة عند الرافعي في المساء حين يعتدل الجو، وتسكن الحركة، وتخف المعدة؛ إذ كان عمله في المحكمة يملأ بياض نهاره. فلما كان رمضان سنة ١٣٥٣ (١٩٣٤ الميلادية) سألني: « كيف نصنع يا شيخ سعيد في هذا الشهر وأي أوقاته نجعلها للكتابة؟ » قلت: « فانظر فيما تراه خيراً لك ولست أرى ما يمنع أن تستمر على عادتك فتجعل مجلسك للكتابة بعد العشاء » قال: « لا سبيل إلى ذلك والمعدة مثقلة بعد خلاء، ولكني سأحاول أن أكتب في العصر، فانه حينما امتلأت المعدة ثقل الرأس، فلعل فراغها في النهار أن يشحذ الذهن ويصقل الفكر ».

وحاول أن يكون ذلك فلم يقدر عليه، ومضى يوم ويوم ويوم وانتهى الأسبوع الأول من رمضان ولم يكتب شيئاً للرسالة، واستحيا أن يعتذر، فلم طائفة من « فُتات المكتب » وجعلها الجزء الثاني من « كلمة وكليمة » وبعث بها

في هذه الكلمات المنشورة بالعدد ٧٦ كلمات عن السياسة تفسرها الحالة السياسية في مصر في أوائل عهد وزارة المغفور له نسيم باشا، وفيها حديث عن الزكاة والصوم، وفيها كلمات عن الزواج والمرأة، وفيها رسائل إلى « فلانة »!

ثم كانت مقالة الأسبوع التالي هي قصة « سمو الحب »

أشياء ثلاثة أملت عليه موضوع هذه القصة: رمضان، وكتاب الأغاني لأبي الفرج، وما يسمع من أحاديث الشبان عن الحب.

أما رمضان فسما بروحه وأمده بما في القصة من المعاني الدينية التي حكاها على لسان مفتي مكة وإمامها « عطاء بن أبي رباح » والرجل الزاهد « عبد الرحمن القس بن عبد الله بن أبي عمار »

وأما كتاب الأغاني فأعطاه صلب القصة وأساس البناء في سطور يرويها من خبر « سلاّمة المغنية » جارية يزيد بن عبد الملك، وقد وقع الرافعي على هذا الخبر اتفاقاً في إحدى مطالعاته في كتاب الأغاني

وأما أحاديث الشبان فحفزته إلى إنشاء هذا الفصل ليضربه مثلا لسمو الحب يصحح رأى الناس في الحب ويكون منه لشباب الجيل درس وموعظة

في هذا الفصل يجد كل سائل جوابه إن كان يعنيه أن يعرف كيف يجتمع الدين والمروءة والحب في قلب رجل كالرافعي يعرفه الناس فيما يكتب شيخاً من شيوخ الدين فيه تحرج وخشية، ويعرفه من يعرفه من أصحاب مجنون لَيْلَيات وقيس لُبنَيات!

... ولكي ينتفع الرافعي بوقته في رمضان كان يتخفف من طعام الفطور، ثم يجلس مجلسه بعد العشاء للإملاء؛ فاذا فرغ من الكتابة أو الإملاء تناول السَّحور، فيعوِّض فيه بعض ما فاته من فطوره ثم ينام!

على أنه لم يجد راحته في هذا النظام أيضاً؛ فلما كان الأسبوع الثالث لم يجد في نفسه خفة إلى العمل، فعاد إلى أوراقه القديمة يبحث بينها عن شيء يصلح للنشر ليستريح أسبوعاً من العمل، فوقع على ورقات من مجلة المقتطف في سنة ١٩٠٥ كان قد نشر بها قصته الأولى: « الدرس الأول في علبة الكبريت »، فعاد إلى قراءتها، فلما فرغ من القراءة التفت إلى قائلاً: « هذه قصة ينقصها السطر الأخير » قلت: « وماذا يكون هذا السطر؟ ».

قال: « إسمع: هذا غلام سرق علبة كبريت منذ ثلاثين سنة فحوكم بها وحكم عليه ... » قلت: « نعم! ». قال: « فما تظن هذا الغلام الآن بعد هذه الثلاثين؟ » قلت: « أراه الآن رجلاً يفلح الأرض أو يعمل بالفأس في حجارة أبي زعبل! »

قال: « هذه الأخيرة أمثل به؛ لقد تلقى الدرس الأول في علبة كبريت فقاده إلى الحبس، فهل تراه بعد هذه الثلاثين إلا قد أتم دروسه ووقف على عتبة المشنقة...؟ أكتب... أكتب »

وأملى على مقالة « السطر الأخير من القصة »

لم يغير الرافعى هذه المقالة عن أصلها فيما عدا الخاتمة وعبارات قليلة ؛ وزاد عليها شيئاً من المحاورة بين الغلام وقاضيه ؛ وما كان حرصه على بقائها كذلك إعجاباً بها ، ولكن كأنما ردته هذه المقالة إلى شيء من ماضيه تروَّح فيه من روح الصِّبي والشباب؛ فمن ذلك كان إبقاؤه عليها ليبقى فيها روح الصِّبي والشباب !

وفي الأسبوع التالي — وهو الأسبوع الأخير من رمضان — أملى على قصة « الله أكبر »

وهي بسبيل مما سمع من أحاديث الشبان عن الحب ، وهي رُقية ثانية من رُقى الحب الداعر : كانت الرُّقية الأولى هي كلة « برهان ربه » في قصة سموّ الحب ، وكانت الرقية هنا هي كلة « الله أكبر »

وأول الأمر في هذه المقالة أنني كنت جالساً إلى الرافعى في القهوة نتحدث في شأن ما ، وساقنا الحديث مساقه إلى بعض شئون العيد ، ولم يكن بيننا وبين عيد الفطر إلا أيام ، وقال الرافعى : « ... وأما لو ارتدّ إليّ السمع لن يطربني شيء من النشيد ما كان يطربني في صدر أيامي نشيد الناس في المساجد صبيحة يوم العيد : الله أكبر الله أكبر ! يمج بها المسجد ويضج الناس ... ليت شعرى هل يسمع الناس هذا التكبير إلا كما يسمعون الكلام ! الله أكبر ! أما إنه لو عقل معناها كل من قالها أو سمع بها لاستقامت الحياة على وجهها ولم يضل أحد ! »

ومضى يتحدث عن روح المسجد وفلسفة التكبير عند الأذان وفي كل صلاة ، فما فرغ من الحديث حتى طرقنا زائر من روّاد القهوة فحيا وجلس ... وتنقل الحديث بيننا من فن إلى فن إلى فنون ...

وتهيأ موضوع القصة في فكر الرافعى ، فلما دعاني ليمليها عليّ لم يجد في نفسه إقبالاً على العمل ، فوقف في الاملاء عند منتصف المقالة ونسأ البقية إلى غد ، ثم كان تمامها

وفي صبيحة يوم العيد ذهب على عادته إلى المقبرة لزيارة أبويه وقد كان في الرافعى حرص شديد على ذكرى أبويه ؛ فهما معه في كل حديث يتحدث به عن نفسه ، وزيارة قبرهما فرض عليه كلما تهيأت له الفرصة ؛ وما إيثاره الاقامة في طنطا على ضيقها به وجهلها مقداره إلا ليكون قريباً من قبر أبيه وأمه . وقد نقلته وزارة الحقانية مرة نقلة قريبة ، فتمرد على أمر الوزارة وأبى الانتقال وانقطع عن العمل في وظيفته قرابة شهرين حتى ألغت الوزارة هذا النقل ، وكانت كل حجته عند وزارة الحقانية في إيثار طنطا : أن فيها قبر أبيه وأمه ! ... وقد مات ودفن إلى جانب أبيه وأمه ، فلعله الآن سعيد بقربهما في جوار الله ولعلهما به ... ولما عاد من زيارة المقبرة أملى عليّ مقالة « وحي القبور ! »

* * *

ثم عاد إلى موضوع الزواج يتناوله من بعض أطرافه ، فأنشأ قصة « ابنته الصغيرة » وهي الثالثة مما نحل أئمة الصدر الأول من القصص ؛ تحدث في « قصة زواج » عن سعيد بن المسيب ، وتحدث في « سمو الحب » عن عطاء بن أبي رباح ، وتحدث هنا عن مالك بن دينار والحسن البصري

في هذه القصة يتناول الرافعى موضوع الزواج على النحو الذي تناوله به في قصة « رؤيا في السماء » على أنه باب إلى السمو بالانسانية ، وفيها إلى ما فيها من الدعوة إلى الزواج وبر البنات شيء من الأدب الديني يضمها إلى سابقاتها

ثم نشر بعد هذه القصة الجزء الثالث من « كلمة وكليمة » — العدد ٨٤ سنة ١٩٣٥ — وفيها كلمات عن السياسة وحديث عن المرأة ، ونظرات في أخلاق بعض الناس أوحى إليه بمعانيها قضية كانت له في المحكمة شغله أمرها وقتاً ما . وقصة ذلك أن الرافعى كان اشترى قطعة أرض للبناء في شمال المدينة ونقد البائع ثمنها وجعل لها حدوداً مرسومة ؛ ثم أعجزه أن يبنيها فظلت خلاء بضع سنين ، وكانت هي كل ما حصل الرافعى من الاشتغال بالأدب أكثر من ثلث قرن ؛ ثم طمع البائع أخيراً فيما باع ؛ فتحيّف القطعة من أطرافها ، واصطنع بينه وبين الرافعى مشكلة قانونية تعجزه عن بلوغ حقه إلا بعد مطاولة تدفع إلى اليأس ، وشكاه الرافعى وتأهب لمناضلته ، فاستمان عليه خصمه بواحد من ذوى صهره يعمل مفتشاً في وزارة الحقانية ، فانتدب للتفتيش عن أعمال الرافعى الرسمية في محكمة طنطا مهدداً متوعداً ، لعله يحمله بذلك على النزول عن بعض حقه !

طالت القضية بين الرافعي وخصمه ، وتمددت جلسات المحكمة وطالت كذلك دور التفتيش وكثرة تحدى المفتش للرافعي، حتى لزمه ثلاثة أشهر يفتش عن أعماله . فحص فيها عن بضع مئات من القضايا التي قدر الرافعي رسومها ، لعله يعثر له فيها على غلطة تحمله على الخضوع له ؛ وغلطة في تقدير الرسوم لقضية من القضايا معناها غرامة مالية ... ومن أين للرافعي ؟

وكنت متعودا أن أغدو على الرافعي في المحكمة في أوقات الفراغ ؛ فلما علمت أن مفتشا عنده أقصرت ؛ فلما علم مني سبب امتناعي عن زيارته قال : « لا عليك وخلّ عنك هـذا الوهم فلا تغير شيئا من عادتك ! »

وزرته بعد ذلك مرات والمفتش عنـده ، وكان يدنيني إليه في مجلسه ، ويجعل كرسيّ إلى جانب كرسيه خلف المكتب ، ويتأبّى على المفتش أن يذهب إليه حيث يكون ، ليحمله على الحضور بنفسه ليسأله عمـا يريد من غير أن يغادر مجلسه ؛ وفي أحيان كثيرة كان يحضر إليه المفتش وأنا في مجلسه ليسأله عن أمر من الأمر ، فيدعه الرافعي واقفاً ويتحدث إليه وهو جالس حديثا كله سخرية وتهكم ، ثم لا ينظر إليه إلا ريثما يجيبه عما سأل ، ثم يمضي عنه ويدعه واقفا ، ليعود إلى ما كان فيه من الحديث معي أو المطالعة في صحيفة أو كتاب !

وعلى أن المفتش لم يظفر بشيء مما أراد بالرافعي ، فإنه استطاع أن يشغله بنفسه ثلاثة أشهر أو يزيد ، على رغم ما كان يبدو على الرافعي من إهمال شأنه وعدم الاكتراث به !

... ثم انتهت قضية قطعة الأرض إلى الحكم للرافعي، وانتهت كذلك دورة التفتيش على غير طائل ؛ ولكن هذه وتلك قد شغلتا الرافعي شطراً كبيرا من سنة ١٩٣٥ ، وأوحت إليـه بكلمات وكلمات مما نشر لقراء الرسالة في هذه الفترة .

***

... ولم يفرغ بعـد كل أولئك مما يتصل بموضوع الزواج وشئون الأسرة ، فكانت القصة التالية « زوجة إمام » الامام أبو محمد سليمان الأعمش ، وزوجه ، وتلميذه أبو معاوية الضرير . قصة أراد بها أن يستوفي موضوع الزواج بالحديث إلى النساء من واجب الزوجة ؛ وبها تم ما أملاه عليّ في موضوع الزواج ، وعدّته ثلاث عشرة مقالة في خمسة عشر عدداً ، أولهـا مقالة « س . ا . ع » بالعدد ٦٣ سنة ١٩٣٤ وآخرها الجزء الثاني من « قصة إمام » بالعدد ٨٦ سنة ١٩٣٥

وددت لو أن الرافعي حين أعاد نشر هـذه المقالات في وحي القلم ، نشرها على الترتيب الذي كانت به والذي رويت ما أعرف من أسبابه الظاهرة ؛ فإن ذلك كان خليقاً أن يعين الباحث على دراستها مجتمعة متساوقة فصولها فصلا إلى فصل ؛ ولكنه جمعها في وحي القلم على ترتيب رآه فجعل منها القصة ، والمقالة ، والحديث الديني ؛ وجعل كلا من هذه الثلاثة في بابه ؛ على أن ذلك لا يمنع الباحث الذي يتهيأ الرأي في هذه المقالات أن يقرأها على الترتيب الذي قدمت أسبابه وأسبابها معه .

« سيدي بشر » محمد سعيد العريان

حول أدب الرافعى

بين القديم والجديد

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

أستاذ الكيمياء بكلية الطب

— ٧ —

لقد آن لنا أن نختم هذه الكلمات بعد أن بلغنا من تزييف مقالات « بين العقاد والرافعى » أكثر ما نريد . لقد كانت حملة جائرة قامت على الإفك والباطل تلك التى قام بها صاحب تلك المقالات على الرافعى رحمة الله عليه . وكان أمامنا لتبيين إفكها وباطلها طريقان : طريق يهملها ويجلو للناس حقيقة أدب الرافعى بدراسة ذلك الأدب ونقده ؛ وطريق يدع أدب الرافعى حيث هو ، يعرفه من يعرفه ، ويجهله من يجهله ، ويعمد إلى تلك المقالات فيضرب بعضها ببعض وينسفها بعوامل نسفها المستكنة فيها . وكان الطريق الأول يحتاج إلى زمن وجهد أكثر مما يتيسر لنا فاضطررنا إلى الطريق الثانى . ونظن أن لم يبق بحمد الله من تلك المقالات الآن إلا ما يدع اللغم من البناء المنسوف

غير أننا نحب مع ذلك ألا نختم الموضوع من غير أن نقول كلمة نبين بها ما نعتقد أنه الفارق الحقيقى بين المذهبين اللذين يمثلهما فى الأدب كل من الرافعى والعقاد

لقد جرى الناس على رد التفاصيل فى الأدب إلى أصلين : اللفظ والمعنى ، وأبدأوا فى ذلك وأعادوا وأسرفوا فى الاختلاف بينهم : أى هذين الأصلين يقدمون على الآخر فى تقديم أديب على أديب . واختلافهم هذا شىء عجيب ، فإن اللفظ والمعنى ركنان متلازمان لا ينبغى التقصير فى أيهما للأديب المكتمل . فكأن مثل اختلافهم ذلك لا تدعو إليه الحاجة إلا عند المفاضلة بين أدباء مقصرين . وإذا كان لا بد من الاعراب فى هذا الشأن عن رأى فالتعبير له المقام الأول فى الأحوال التي تكون الفكرة المعبر عنها شائعة لا تكلف مجهوداً ؛ والتفكير له المقام الأول إذا كان الموضوع يستلزم إعمال الفكر لاستخراج الصواب ؛ وعندئذ يكفى من التعبير الصحيح ما يجلى ذلك الصواب ، ويكون كل ما يعوق ذلك عيباً ولو كان زيادة تفنن فى التعبير . فإن أمكن الجمع بين التفنن فى التعبير والجلاء والدقة فى المعنى المعبر عنه كان الأديب أمكن فى الأدب من غير شك وكان أولى بالتقديم

إن امتلاك ناصية اللغة أمر لا بد منه لكل أديب يريد أن يبلغ فى الأدب مرتبة الخلود . وليس معنى هذا أن امتلاك ناصية اللغة وحده كاف للخلود ، فليس فى الأدب مكانة لخلود صاحب المعنى الخسيس فى اللفظ الأنيق إلا إذا انحط الأدب . إنما الآداب الرفيعة آداب نبل قبل كل شىء : نبل فى المعنى ونبل فى التعبير على السواء . ونبل التعبير راجع إلى حد كبير لنبل المعنى عند تمام الأداء . لكن لن يستطيع البلوغ فى الآداب حد التمام إلا من امتلك ناصية اللغة فلم يعجزه معنى مهما دق أو اتسع عن أن يجد له من التعبير ما يلبسه ويظهره ويستفرقه ، فلا يقصر عنه ولا يزيد عليه . فشرط امتلاك ناصية اللغة شرط أساسى فى كل أديب يطمع فى ذلك المجد الباقى الذى نسميه الخلود خلود الذكر إذا صار الأديب حديثاً من الأحاديث . هو شرط أساسى لكنه وحده غير كاف ، كالماء أو الهواء أو الطعام كل منها ضرورى للحياة لا تقوم بدونه ، لكنه وحده لا يكفى للحياة

وإذا تساءل متسائل أى الأديبين أدل على امتلاك لناصية اللغة واقتدار على التفنن والتصرف في التعبير بها ؟ أدب الرافعى أم أدب العقاد ؟ كان الجواب الذى يسرع إلى الانسان فى غير تكلف ولا تحيز : أدب الرافعى كان أملك لناصية اللغة من غير شك وأكثر افتناناً فيها وتصرفاً بها . ولا نظن المقاديين أنفسهم يمارون فى هذا ، فأكبر ما ادعاه للعقاد مفتونهم به هو أن الأسلوب الفخم والتعبير الجيد غير بعيدين عن شعر العقاد

لكن التفوق من ناحية اللغة لا يبلغ أن يكون فارقاً بين مذهب ومذهب ، فأبناء المذهب الواحد فى الأدب كثيراً ما يتفاوتون فى المقدرة اللغوية تفاوتاً مذكوراً . لو كان العقاد ممن يثبطون عن اللغة أو يدعون إلى اتخاذ العامية لغة كتابة كما هى لغة حديث لكان ذلك فارقاً أساسياً بين الرجلين ينسبهما فى اللغة إلى مذهبين مختلفين . لكن العقاد لا يفعل شيئاً من هذا . إنه يرجو أحياناً أن يجد الشعر العربى طريقاً إلى أن يتحلل بعض التحلل من القافية ليتسع مثلا لشعر الملاحم ، لكن هذا وحده ،

مهما خالفه الرافعي فيه إن كان خالفه، لا يكفي لأن يتماديا فيه أو ينتسبا به إلى مدرستين أو مذهبين في الأدب مختلفين

بقيت ناحية المعنى . ولم نر أحداً ظلم في معانيه مثل ما ظلم الرافعي . فكلام بعض أنصاره مثل أخينا على الطنطاوى لا يقدر ناحية المعنى حق قدرها فيظن خصوم الرافعي أن هذا هو مذهب الرافعي ، ويتخذونه فيما يتخذون دليلا على تقصير الرافعي من ناحية المعنى . أخونا الطنطاوي يرى المعاني قريبة المتناول يأخذها الانسان مما يسمع أو يقرأ أو يشاهد ، فلا فضل فيها لأحد على أحد ، ويكون التعبير عنها هو مظهر التفاضل بين أديب وأديب . لكن هذا إذا صدق على الشائع المألوف من المعاني فليس يصدق على النادر الطريف . ومعاني الرافعي يكثر من بينها الطريف كثرة تدعو إلى العجب ؛ كثرة لا نظن أحداً من المحدثين يفضله فيها أو يزحمه . فالرأى الذى ذهب إليه أخونا الطنطاوى من شأنه — عرضاً — أن يهضم الرافعي من هذه الناحية التي تعد من أكبر مفاخره

وطرافة معاني الرافعي يرجع جزء كبير منها إلى خياله . ومن رأينا أن ناحية الخيال من النواحي التي تفوق فيها الرافعي وامتاز فتم بها تفوقه في التعبير والبيان . هذه الناحية في الرافعي أدعى إلى الاعجاب حتى من مقدرته اللغوية ، فالقدرة اللغوية لا تحتاج بعد الاطلاع والاحاطة إلا إلى حسن الاستعمال ؛ لكن الخيال ملكة أخرى لعل قوتها ورقيها أدل الدلائل على الشاعرية . ونحن فيما قرأنا للقدماء أو المحدثين لم نرها بلغت من النمو والقوة والسمو ما بلغته في الرافعي . وليس معنى هذا طبعاً أن أدب الرافعي هو خير أدب وجد ، لكن معناه أن ناحية الخيال أظهر في أدب الرافعي وأسمى منها في أدب أي أديب قرأنا له . وسواء أ كان من قرأنا لهم في الأدب كثيرين أو قليلين ، فليس لدينا شك في أن ناحية الخيال ناحية امتاز فيها الرافعي وتفوق على العقاد

لكن ليست المعاني كلها تدور حول الخيال، وإن كان الرافعي لقوة حاسة الخيال فيه يكاد يجد للخيال موضعاً في كل معنى . إن روح المعنى بالطبع هو منزلته من الحق ومن الصواب ، والحق والصواب لهما معايير ليس الخيال أحدها قد ضلها المتأدبون في هذا العصر حتى كاد الأمريكون بينهم فوضى . فأما ما اتصل من المعاني بالعلم فمن السهل الرجوع فيه إلى أصل يحسم الخلاف أو يخفف من الخصومة فيه . لكن ما الحيلة فيما اتصل من المعاني بالفن ، والفن قد كثرت مذاهبه وتضاربت حتى لم يبق لترجيح رأى على رأى ولا مذهب على مذهب إلا الميل والهوى الذى يسمونه الذوق ؟ كيف يمكن تبين الحق والصواب في ميدان الفن الذى منه ميدان الأدب ، فيما لم يتصل بعلم وفيما لم يتصل بلغة ؟ إن الوصول إلى جواب صائب على هذا السؤال أمر حيوى لا غنى عنه ألبتة، لا لأنه يعين النقد في الحكم بين أديب وأديب ، أو بين مذهب ، في الفن ومذهب حكما يبقى على الورق لا يدرى من تأثر به ، ولكن ليتبين الناس به سبيلهم في فوضى الفنون هذه فيأخذون من الفنون ويدعون طبق ما هو حق وطبق ما هو خير

إن الفن ومنه الأدب له من الأثر في حياة الفرد وفي حياة الجماعات أكثر مما للعلم ، لأنه متصل بدخيلة هذه الحياة في حين يتصل العلم عند أكثر الناس بظاهرها ؛ وإذا اتصل عند أقلهم بباطن حياتهم النفسية فقد صار باباً من الفن عند ذلك القليل . إن الفن يعمل في نفس الفرد ويكيف حياته الباطنة إن لم يكن كل التكييف فبعض التكييف ، لكنه على أى حال تكييف بعيد الأثر في حاضر الانسان ومستقبله . ولسنا نغالى إذا قلنا إن مستقبل الانسان فرداً أو جماعة يتوقف الآن على نوع هذا الأثر الذى يحدثه الفن في النفوس

ومن عجيب الأمر أن الناس يكتبون ويتكلمون عن الفن كأنه دائماً يوجه إلى الخير وكأنه دائماً على صواب . إنه ينبغي أن يكون دائماً كذلك من غير شك ، لكن هل هو دائماً كذلك ؟ بل هل هو غالباً كذلك ؟ إنك لا تستطيع أن تجيب جواباً نافعاً حتى يكون لديك معيار صدق تعرف به الخير من الشر في الفنون كما تستطيع أن تعرف الحق من الباطل في العلوم . ولن تجده في هذه الفوضى السائدة بين مذاهب الفلسفة والأخلاق والفنون وإنما تجده من غير شك في الدين

لكن أصحابنا المجددين أنصار ما يسمونه الأدب الحديث يفرقون من ذكر الدين كأنما تلسعهم من اسمه النار . كذلك فزع أحدهم بالعراق ، وكذلك يفزع هذا الآخر في مصر وإن

زعم أنه أفهم منا للدين . ليته كان كذلك حقاً فنغتبط له ، فان ذلك مما لا ينقصنا من ديننا شيئاً ولكن يزيده فى دينه . لكن المسألة فى الدين ليست مثلها فى الأدب الذى يكتبون كلاماً لا يرجع فيه إلى أصل ثابت ولا معيار . إن كل ما يتصل بالدين ممكن الرجوع فيه إلى أصل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه: القرآن . وما غمض علينا من القرآن يمكن تبين معناه المقصود من السنة سنة الرسول صلوات الله عليه . ونحن معشر المسلمين مأمورون بأن نرد كل ما نختلف فيه إلى الله والرسول إن كنا نؤمن بالله واليوم الآخر: (يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فان تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تأويلا) فلعل صاحبنا إن كان أفهم منا للدين لا يعيب كلامنا هذا بأنه من كلام خطباء المساجد ويقبل على تفهم وجه الحجة فيما ناق عليه فانما الحق والاصلاح نريد

إن المسلم الذى يفقه دينه ويفقه الحياة أينما نظر لا يجد مفراً من أن يصل هذه الحياة أدبها وفنها وعلمها بالدين كما أنزله الله على رسوله محمد بن عبد الله ، أي كما يتبين من القرآن ومن عمل الرسول . إن الاسلام دين يشمل الحياة بحذافيرها ويحيط بها من جميع أطرافها . ومن أخص خصائصه أن يكون الانسان فى خلجات نفسه مع الله ، وأن يخلص نوايا قلبه لله ، وهذا هو معنى إسلام الوجه لله ، ومنه اكتسب الدين اسمه الكريم : الاسلام . والمظهر العملى للاسلام هو طبعاً اتباع ما شرع الله للانسان فى الحياة من نظم وأحكام، لكنه لن يستطيع أن يحقق هذا حتى يكون سره ونجواه ونيته لله . وعن هذا الطريق طريق إسلام الوجه والنفس والقلب لله يكون تمام اتصال الانسان بربه خالق الكون وفاطر الفطرة الذى إليه المرجع ومنه الهدى وبه الحياة ...

فاذا كان ذلك كذلك، وإنه لكذلك، فكيف يجوز فى غريزة أو عقل أو علم أن يجمع الانسان بين الحياة الاسلامية والحياة الفنية أو الأدبية أو العلمية إن لم يكن بين الفن والأدب والعلم وبين الإسلام تمام التطابق والاتفاق ؟ والتطابق التام بين العلم والاسلام ثابت لاشك فيه [1] ، فليس فى الثابت من العلم شىء ينقض شيئاً من الاسلام ، وليس فى الاسلام أصل ينقض حقيقة ثابتة فى العلم . وكل ما يثبته العلم فى المستقبل يقبله الاسلام مقدماً بنص القرآن ، ويؤول إليه النص إن خالفه فى الظاهر . وهذا دليل جديد لا ينقض على أن الاسلام هو حقاً من عند الله فاطر الفطرة ، وأنه حقا دين الفطرة كما وصفه الله فى القرآن . أفلا ينبغى أن يثبِّت هذا فى الدين هؤلاء المتزلزلين من أهل «التجديد» الذين يريدون أن يَلُفُّوا الدين ويضعوه على الرف ويقطعوا باسم التقديس ما بينه وبين الحياة فى مظاهرها خارج المساجد فى الأدب والفنون والاجتماع ؟

إن الفطرة كلما منشئها واحد هو الله سبحانه وتعالى ، والعلم والدين كلاهما قد اجتمعا على استحالة التناقض فى الفطرة . فاذا كانت هذه الفنون من روح الفطرة كما يزعم أهلها وجب ألا تخالف أو تناقض دين الفطرة دين الاسلام فى شىء . فاذا خالفته فى أصوله ودعت صراحة أو ضمناً إلى رذيلة من أمهات الرذائل التى جاء الدين لمحاربتها ، وعاقت الانسان أن يعمل بالفضائل التى جاء الدين لا يجابها على الإنسان حتى يبلغ ما قدر له من الرقىّ فى النفس والروح — إذا خالفت الفنون الدين فى شىء من هذا أو فى شىء غير هذا فهى بالصورة التى تخالف بها الدين فنون باطلة ، فنون جانبت الحق ودابرت الخير وأخطأت الفطرة التى فطر الله عليها الناس والخلق ، والتى تريد الفنون أن تكون منها فى الصميم ، فاذا كان من شأن بعض ما يعمل أو يكتب باسم الفن أو الأدب أن يتجاوز فى تأثيره ما سبق على عظمه ، فيحول بين الإنسان وبين ربه ، ويدخل عليه الشك فى دينه بأى صورة من الصور ولأى حد من الحدود ، كان ذلك البعض المعمول أو المكتوب باسم الفن أو باسم الأدب زوراً وإفكاً فى الفن والأدب والفطرة والدين على السواء

فنحن حين ندعو إلى وجوب نزول الفن والأدب على حكم الدين وروحه ، وتحريهما التطابق التام بينهما وبينه ، لسنا نعبث ولا نتجنى ولا نتحكم فى الأدب والفن بما لا ينبغى التحكم به فيهما

---

[1] انظر مقال الاسلام والمدنية والعلم فى عدد الرسالة الممتاز والذى يليه لسنة ١٣٥٥

إننا نوجد معياراً للحق والصواب والخير فى الفن والأدب حين لا معيار لذلك كله فيهما ؛ ونيسر للفن والأدب طريق التثبت من انطباقهما على الفطرة التى فطر الله عليها الناس، ونحقق لهما بذلك اتحادهما مع الفطرة فى الصميم . ونحن بذلك الذى ندعو إليه ونقول بوجوبه نحقق بين الفن والأدب وبين الدين تلك الوحدة المتحققة بين الدين والعلم ، فتتحقق وحدة حياة الانسان كلها بذلك وتبرأ حياته من ذلك الداء المستعصى والشر البالغ شر وجود التناقض والتنافر بين ما يعشق من فن ويعتقد من دين . ثم نحن بعد هذا ووراء هـذا نترك الفن والأدب بما قلنا ودعونا إليه من وجوب سيرهما مع الدين يداً بيد ، وجنباً لجنب، وروحاً مع روح ، على الطريق التى يحققان منها رسالتهما فى الناس ، رسالة الصدق والحق والخير والفضيلة والعزة والسعادة والهدى والنور ، لا رسالة الـكذب والباطل والشهوة والاثم والمجون والفجور

فالمسألة فى الأدب — إذ لا بد من الرجوع إلى ما كنا فيه — ليست مسألة لفظ ومعنى فقط ولـكنها فى صميمها مسألة روح . فريق يريد أن يجعل روح الأدب روحاً شهوانياً بحتاً يتمتع صاحبه بما حرم الله وما أحل، لا يفرق بين معروف ومنكر، ثم يصف ما لاقى فى ذلك من لذة أو ألم أو غيرهما من ألوان الشعور ويخرج ذلك للناس على أنه هو الأدب ! وفريق يريد أن يحيا الحياة الفاضلة فى حدودها الواسعة التى حدها الله ، وبمظاهرها المختلفة فى الفطرة كما طهرها الله، لا كما دنسها أو يريد أن يدنسها الانسان ، ويصف ما يتمتع به من تلك وما يلاقى أو يتجشم فى سبيل ذلك غير ناس لحظة أن الوجود كله من الله وأن الدين كله لله ، وما يصف ويحلل يخرجه للنـاس على أنه هو الأدب . فأى الأديبين يا ترى أرحب وأسمى وأطهر ، وأيهما أولى بالحياة وأصلح للبقاء ؟ إنه لا شك عندى فيما تجيب به بفطرتك على هذا السؤال

إن أدب الفريق الأول هو ما يسمونه بالأدب الجديد ويمثله العقاد ، وأدب الفريق الثانى هو ما يسمونه بالأدب القديم ويمثله الرافعى ، وقد عرفت الآن فيم يتفقان وفيم يفترقان . الرافعى كما قلنا يتفوق على العقاد فى التعبير وفى الخيال ؛ وكلاهما يحتفل بالمعنى أكبر احتفال؛ غير أن الرافعى عنده نور يهتدى به ليس عند العقاد فكان لذلك أقل من العقاد عاباً وأكثر صواباً . لـكن ذلك كله لا يكفى لأن يفرق بين أدبيهما تفريقاً يجعل منهما ممثلى مذهبين مختلفين فى الأدب . إنما الخلاف الأساسى بينهما خلاف فى الروح؛ هما من حيث الروح مختلفان كل الاختلاف ، وعندك للحكم بين الروحين معيار صدق لا يخطئ هو معيار الدين . وإذا أردت معياراً جزئياً يغنيك عند التقريب فمعيار الخلق الفاضل . وإذا قست الأديبين بأحد هذين المعيارين لم يبق عندك شك فى أيهما أولى بالإكبار وأصلح للبقاء لأنه أعون للانسان على الارتقاء : الأدب الأخلاقى أم الأدب غير الأخلاقى ، على ألطف وأخف تعبير

والمقياس الذى نبهنا إليـه فى الفن والأدب ليس من البعد عن الفن والأدب كما يصور العقاديون ، بل هو من روح الفن والأدب فى الصميم . أليس روح الفن والأدب الجمال ؟ أليس الجمال النفسى روح الجمال الانسانى ؟ ثم أليس روح الجمال النفسي إخباته وإخلاده وإسلامه لله ؟ من هـذا الاخبات والاخلاد والانقياد لله تأتى الفضيلة والسلامة والسعادة فى الحيـاة ، ومن محبة الله سبحانه يشيع فى النفس الهدى ويشع منها النور. فقل لى بربك كيف يمكن أن يكون لأدبهم المكشوف نصيب من روح الجمال الانسانى يستهوى النفس التى فيها بقية من الفضيلة والخير ؟ إنا لا نشك فى أن ذلك الأدب المكشوف مثل سارة وما إليها يصدم أول ما يصدم مقر الفضيلة من النفس ويؤذى أول ما يؤذى حاسة الجمال النفسى فى الانسان . فهو فى صميمه أدب غير جميل ، يلذه ويستمتع به من مسخت نفسه فصارت تعاف الطيب وتستمرئ الخبيث . أما غير هذه النفوس مما لا يزال لها من الخير والفضيلة والدين نصيب فانها تجد صعوبة فى أن تمضى فى قراءة مثل ذلك الـكتاب إلى تمامه إلا أن تعطل من ذوقها أو تنيم من ضميرها أو تحتال عليه بالاقرار له أن الـكتاب من الناحية الخلقية معيب قبيح لـكنها تقرأه لتحيط بأدب العصر أو لتدرس من الـكتاب أسلوبه أو ما شابه ذلك من معاذير . ويكون جزاؤها على ذلك أن تخرج من القراءة وقلبها أكثر مرضاً ، وذوقها الأدبى أقل تميزاً ، وحسها الخلقى أكثر انثلاماً . ولا تلبث إذا تـكرر ذلك منها أن تفقـد أكبر مميزاتها ومزاياها فتهبط من معارج الرقى النفسانى إلى مدارج الانحطاط ؛ ويكون الأدب المـكشوف بذلك قد فعل فعله وأدى رسالته من مسخ الطباع وإفساد النفوس والصد عن سبيل الله

محمد أحمد الغمراوى

التاريخ فى سير أبطاله

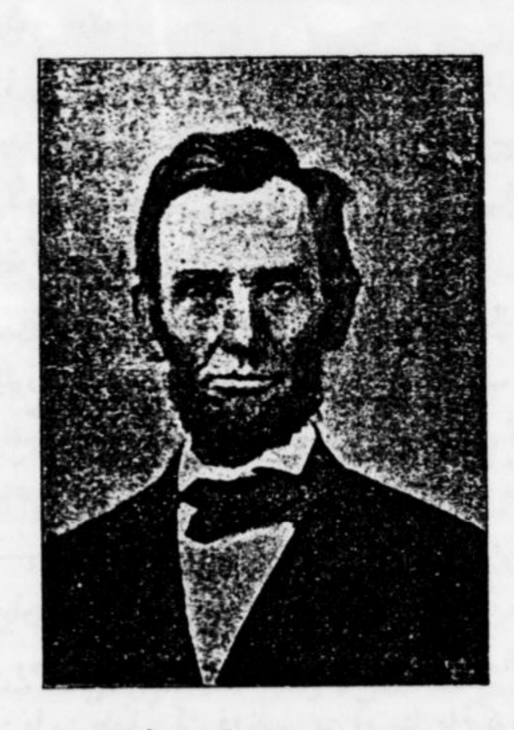
ابراهام لنـــكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادى ! خذوا معانى العظمة فى نسقها الأعلى من سيرة هـذا العصامي العظيم ... ...

— ٢٠ —



وجاء يوم الرحيل وآن لفتى الأحراج أن يؤدى رسالته ... آن لابن النجار أن يأخذ بيديه أزمة الحكم فى قومه ؛ وتأهب ليواجه العاصفة ، وإنه ليراها اليوم عاصفة دونها تلك العواصف التى طالما هبت فى الغابة هوجاء عاتية ، فزعزعت باسقات الدوح وشمخت كثيفات الألفاف وأفزعت الرجال والدواب ... إنه يراها اليوم عاصفة من عمل الانسان لا من عمل الطبيعة ، وما أهول مايفعل بنو الانسان حين ينسون إنسانيتهم فتستيقظ فيهم غرائزهم التى دبت فيهم أول ما دبوا على هذه الأرض ...

عول على الرحيل « الرجل القادم من الغرب » كما اعتاد أن يسميه أهل العاصمة وغيرهم من أهل المدن الشرقية السابقة فى المدنية... وتقدم الربان ليقود السفينة ودوى الأنواء فى مسمعيه

ذهب مساء اليوم السالف ليوم رحيله إلى مقر عمله فى المحاماة لجمع طائفة من الكتب والأوراق فلفها وربطها بيده وحملها معه ثم أوصى أن تظل الرقعة التى تحمل اسمه واسم زميله هرندن حيث هى على الباب قائلاً : إنه عائد — إن مد فى أجله بعد انقضاء مدته فى الرياسة — إلى عمله فى المحاماة كأن لم يكن هناك شىء

وكان قد حزم متاعه وأعد كل شىء ليكون على أهبة إذا تنفس الصبح ، وأعد فيما أعد خطاباً يذيعه فى الناس ساعة الاحتفال بتسلمه مقاليد الأمور ، ولقد احتفل لهذا الخطاب وكانت معانيه محتبسة فى نفسه زمناً تهدر كالسيل وتجيش وتجتمع

وأسفر الصبح فركب وجماعة من أصدقائه مركبة أقلتهم إلى المحطة وقد تلاقى هناك نفر من أهل المدينة جاءوا يحيونه فما رآهم حتى وقف على سلم العربة وأطل عليهم وقد شحب لونه وتندت عيناه فقال : « أى أصدقائى ؛ لن يستطيع أى رجل لم يكن فى مثل موقفي هذا أن يدرك ما يخالجنى من الحزن لدى هذا الرحيل. إنى مدين بكل شىء لهذا البلد ولكرم أهله ؛ ولقد لبثت فيه من عمرى ربع قرن وتدرجت فيه من شباب إلى رجل مسن ... هنا ولد أبنائى وهنا دفن واحد منهم ؛ وهأنذا أرحل واست أدرى ما إذا كنت عائداً إليكم بعد اليوم ... أرحل وأمامى عمل هو أعظم من ذلك الذى ألقى على كاهل وشنجطون ، ولا نجاح لى مالم أصب معونة الله الذى كان معه أبدا . . . ولئن ظفرت بهذه المعونة فلن أخيب . فلنأمل فى حسن المنقلب مخلصين واثقين فى الله الذى هو معى ومعكم والذى يكون منه الخير فى كل مكان ، وإنى حين أكلكم إلى عنايته كما آمل أن تكلونى إليها فى صلواتكم أقرئكم وداعاً حارًّا ... »

وانطلق به القطار وقطرات المطر تنزل على رؤوسهم الحاسرة كأنها دموع منصبة من السماء ، ولكم التقت ساعتئذ تلك القطرات بما فاض من المآقى ... ورحل أبراهام ليعود بعد جهاد شديد ومراس فاذا هو شهيد تمزق الجراح جثته

وقضى فى رحيله إلى العاصمة اثنى عشر يوما . وعلم الناس بهذا الرحيل ، فكانوا يلقونه فى المدن التى يمر بها مرحبين ، وقد تلاقت جموعهم على نحو لم تشهده البلاد من قبل ، فما فى الناس

إلا من ملكه حب الاستطلاع ؛ وكثير منهم كانت تدفعهم المحبة إلى هذا اللقاء

وكان قد عقد النية أن يظل صامتاً إلا ما يكون من تحية يرد بها على ما كان يلقاه من تحيات ؛ ولكن إصرار الناس في كل مكان على أن يسمعوا حديثه جعله يتحلل مما اعتزم ؛ ثم إنه — دون أن يسرف التظاهر أو الغرور — رأى أن هذه كانت آخر فرصة يتحدث فيها إلى عامة الناس، وهم الذين يعول عليهم ويطمع أن يتخذ منهم ظهيراً فيما هو مقدم عليه من كفاح

وكانت له في خطبه أثناء ذلك المسير خطة رشيدة ؛ فقليلاً ما كان يبرم أمراً أو يقطع في المسائل القائمة برأى ؛ وإنما كان يشرح الأمور حتى تستبين، ثم يتساءل عن أوجه الصواب تاركا الناس يتدبرون حتى تأتيهم البينة ، تتمثل ذلك في مثل قوله في أنديا نابولس : « أي مواطنى، لست بمبرم أمراً، إنما أنا ألقى عليكم أسئلة لتتدبروها ... »

ولقد تكلم في هذه المدينة فأشار إلى ما كان يجرى على الألسن يومئذ حول حق الاتحاد في رد الولايات الخارجة عليه بالقوة ؛ ولقد عد أنصار الجنوب ذلك العمل عدواناً ؛ فتساءل الرئيس هل يكون في الأمر عدوان إذا لجأت حكومة الاتحاد إلى المحافظة على ما تملك هناك من عقار ، أو إذا حافظت على سبل مواصلاتها وحرصت على جباية المال المقرر على البضائع الواردة ؟

واستقبل إبراهام في سنسناتى استقبالا لم تر هذه المدينة لأحد من قبل نظيراً له ؛ وتزاحم الناس عليه يريدون رؤيته وباتت المدينة في مثل فرحة العيد ، ففيها الأنوار الوضاءة والأناشيد الصداحة والجموع الغفيرة المستبشرة، وفيها ما هو أعلى من سمات العيد هذه، ألا وهو الحب الصادق تفيض به القلوب

ومر بحدود كنتوكى وهى ولاية من ولايات العبيد تشتد فيها الدعوة إلى الانسحاب من الاتحاد فقال يوجه الكلام إلى أهلها مشيراً إلى ما اعتاد أن يخاطب به أهل الجنوب من قبل : « أى مواطنى أهل كنتوكى ، هل لى أن أدعوكم بمثل ما أدعو ؟ إنى فى موقفى الجديد ، لا أجد حادثاً ولا أحس ميلا يدعونى أن أغير كلمة من هذا ، فاذا لم تنته الأمور إلى الخير فثقوا أن الخطأ فى ذلك لا يكون خطئى ... »

وفى بتسبرج أفصح عن سروره أن كان استقباله هناك استقبالا شعبياً لا أثر للحزبية فيه ثم قال : « إذا لم نجتمع كلنا الآن لننجي سفينة الاتحاد القديمة الطيبة فى رحلتها هذه ، فلن يكون ثمت من فرصة بعدها لقيادتها إلى رحلة غيرها »

وفى محطة من المحطات الصغيرة وقف لنكولن بعد أن قرت حماسة المستقبلين فقال إنه يذكر أن خطاباً جاءه من فتاة هذه بلدتها تسأله فيه أن يطلق لحيته، ولقد فعل كما أشارت فهو ذو لحية اليوم كما يراه الناس ، ثم عبر عن رغبته فى رؤية تلك الفتاة إن كانت حاضرة، فبرزت من الجموع تلك الفتاة ومشت على استحياء حتى وصلت إلى الرئيس ، فقبلها قبلة على جبينها ، والناس بذلك معجبون فرحون !

وفى ألبنى عاصمة ولاية نيويورك العظيمة كانت حفاوة الناس به شديدة ؛ وكذلك كان شأنه فى مدينة نيويورك التى سبق أن زارها لأول مرة من قبل ليخطب الناس فأصاب من النجاح ما سلفت الاشارة إليه

ووقف فى ترنتن على مقربة من ميادين القتال التى سالت فيها دماء الثورة غداة حرب الاستقلال ، فأخذه جلال الموقف وهزته روعة الذكرى فجري لسانه بما اختلج فى نفسه قال « إنى لأرجو أن تسامحونى إذا ذكرت فى هذه المناسبة أنى فى أيام طفولتى وفى مستهل عهدى بالقراءة قد تناولت كتاباً صغيراً يدعى حياة وشنجطون تأليف ويمز ؛ وإنى أذكر كل ما جاء فيه عن ميادين القتال وعن مواقف النضال من أجل الحريات فى هذه البلاد ، ولكن ما من حادثة تركت فى نفسى من أثر مثل ما تركه موقف النضال هنا فى ترنتن نيوجرسى » ... وبعد أن أشار إلى بعض الحوادث قال ... « وإنى لأذكر الآن أنى فكرت يومئذ ولما أزل غلاماً صغيراً أنه لابد أن يكون أمراً غير عادى ذلك الذى كافح من أجله هؤلاء الناس ؛ وإني لأحس رغبة ملحة قوية أن هذا الذى كافحوا من أجله وشيئاً آخر هو أعظم من الاستقلال القومى : شيئاً ينطوى على وعد يوعد به الناس جميعاً فى هذا العالم فى كل ما هو آت من العصور ... أقول إنى شديد التطلع أن أرى الوحدة والدستور وحريات الناس بحيث تصبح أبدية وهى مقرونة بتلك الفكرة الأصلية التى من أجلها قام الكفاح. ولسوف

أكون جد سعيد إذا أصبحت الآلة المتواضعة فى يد القوى العلى وأيدي هؤلاء الذين يكادون أن يكونوا شعبه المصطفى للعمل على أن يدوم ذلك الذى انبعث من أجله ذلكم النضال العظيم »

وكان الكتاب الذى يشير إليه لنكولن في هذه الذكرى هو بعينه ذلك الكتاب الذى أعاره إياه أحد معارفه والذى بللته قطرات المطر فأصابته ببعض العطب ، وتركت الصبي الفقير فى حال شديدة من الغم حتى لقد سار يحمله إلى صاحبه وهو شديد الحيرة ، فلما جاءه عرض عليه أن يعمل عنده بما يساوى ثمنه ... ذلك هو الكتاب الذى قرأ فيه النجار الغلام حياة وشنجطون العظيم ، ولم يكن يدور بخلده أنه سيجلس يوماً حيث كان يجلس وشنجطون ويسدى إلى بني قومه وإلى الانسانية جميعاً من صنيعه ما لو شهده ذلك البطل الكبير لطمع أن يكون ما تقدم يداه فوق ما قدمت

واستأنف الرئيس لنكولن ومن معه سيرهم إلى العاصمة حتى وصلوا فيلادلفيا ؛ وهناك علم أن فريقاً من بنى جنسه يأتمرون به ليقتلوه ! ... سمع إبراهام أن أمامه الخطر يوشك أن يحدق به ؛ وما كان إبراهام بدعا من العظماء ، فكم من أماثل خلوا من قبله لاقوا مثلما يلاق اليوم من عنت ، ودبر لهم مثلما يدبر له ، فما وهنوا ولا انصرفوا عن وجهتهم حتى أدركوا الغاية أو أدركهم الموت ...

وارتاب لنكولن أول الأمر، فما كان يظن أن أحداً تحدثه نفسه بإتيان هذا العمل ، ولكن جاءه رسول من عند صديقه سيوارد ينبئه أن قائد الجيش حدثه أن هناك مكيدة تدبر له وأن عليه أن يحذر حتى لا يكون ضحية للغادرين ... فلما سمع لنكولن هذا لم يعد يرتاب وبات على حذر وإن لم تأخذه خيفة

وكانت لفيلادلفيا وهى المدينة التى كتب الثوار فيها وثيقة الاستقلال وصاحوا صيحة الحرية منزلة عظيمة في نفسه وفى نفس كل أمريكى من أنصار الحرية ، وكان أبراهام قد وافق أن يخطب الناس فى تلك القاعة التاريخية التى ولدت في ساحتها الحرية، وكأنما توافقت الذكريات لتزيد فى جلال الموقف فلقد تصادف أن كان ذلك اليوم هو عيد ميلاد الزعيم وشنجطون ؛ ورغب الناس أن يرفع العلم على رأس القاعة الزعيم لنكولن ... ووافق لنكولن على ذلك مغتبطاً مرحباً كما وافق أن يخطب الناس مساء ذلك اليوم فى مدينة هرسبرج وكانت تقع غير بعيد من فيلادلفيا ...

وخشى أصحاب أبراهام أن يفتك به المجرمون فى زحمة الناس فى ذلك اليوم المشهود فى أي من المدينتين وأشاروا عليه أن يقتصد فى الاتصال بالناس فيفوت على الغادرين قصدهم، ولكنه أبى إلا أن يفى بوعده ولو كان فى ذلك هلاكه ...

ورفع أبراهام العلم فى فيلادلفيا وكان فى ذلك موفقاً ، فانه صعد فى ثبات إلى حيث ينتصب العمود الذى يثبت فيه العلم فشد الحبل فانبسط العلم ورف ، وخفق الناس واستبشروا وهم ساعتئذ جموع خلفها جموع إلى آخر ما يذهب فيهم البصر ... وكلهم يحيون الرئيس فى حماسة وغبطة

وخطب فى القاعة التاريخية فأفصح عن شيء من سياسته على خلاف ما جرى عليه فى خطبه السالفة ؛ قال : « كثيراً ما سألت نفسى ما ذلك المبدأ أو ما تلك الفكرة التى حفظت الاتحاد هذا الزمن الطويل ؛ إنها لم تكن مجرد انفصال المستعمرات عن الأرض الأصلية ، ولكنها كانت تلك العاطفة التى منحت الحرية لا لهذه الأمة فحسب ، بل للناس جميعاً فى كل عصر مقبل كما أرجو ؛ إنها كانت تلك التى بشرت أنه متى حان الوقت المناسب رفع العبء عن كواهل الناس جميعاً ومنح كل امرئ فرصة على قدر ما يمنح أخوه ... تلك هى العاطفة التى انطوي عليها إعلان الاستقلال. والآن أسائلكم يا أصدقائى هل يتسنى خلاص هذه البلاد على هذا الأساس ؟ ... إذا أمكن ذلك فإنى إن استطعت أن أساعد على خلاصها أعد نفسى من أسعد الناس فى هذا العالم . أما إن كان من المستحيل خلاصها إلا أن يضحي هذا المبدأ ، فإنى أفضل أن أغتال في هذا المكان على أن أضحى به . والآن أرى من شواهد الحال القائمة أنه ليس ثمة من ضرورة إلى سفك الدماء والحرب . ليست ثمة ضرورة إليها ؛ وإنى لا أميل إلى اتجاه كهذا؛ وأضيف إلى ذلك أنه لن تقوم حرب إلا إذا أجبرت الحكومة عليها ؛ ولن تلجأ الحكومة إلى القوة إلا إذا أشهر فى وجهها سلاح القوة ... أى أصدقائى ! هذه كلمات جاءت على غير ترتيب سابق ألبتة؛ فأنا لم أكن أتوقع قبل وصولى أن أدعى إلى الكلام هنا ؛ لم أكن أحسب إلا أنى سأرفع العلم فحسب ؛ وعلى ذلك

فربما كانت كلمتي هذه خلواً من الحرص ولكني لم أقل إلا ما أريد أن أعيش به وما أريد — إذا كانت تلك مشيئة الله — أن أموت به ... »

وذهب لنكولن في المساء إلى هرسبرج وخطب الناس كما وعد؛ وكانت بلتيمور هي المدينة التي اعتزم المجرمون أن يقتلوه فيها وهي في طريقه إلى العاصمة؛ فعاد لنكولن إلى فيلادلفيا قبل الموعد المضروب، وركب ومن معه قطاراً عادياً كان قد استبق بناء على إشارة قادمة ليحمل «طرداً» هاماً إلى وشنجطون وترك لنكولن القطار الخاص الذي كان معداً لسفره، فمر ببلتيمور قبل الموعد المعروف ففوت بذلك على الكائدين كيدهم فكانوا هم المكيدين ...

وفي الساعة السادسة من صباح اليوم التالي وصل (الرجل القادم من الغرب) ومن معه إلى وشنجطون، فدخل المدينة على حين غفلة من أهلها؛ اللهم خلا سيوارد ورجل آخر كانا على علم بمقدمه فلقياه... وركب لنكولن إلى فندق لينتظر بضعة أيام حتى يحتفل بتسليمه أزمة الحكم ... دخل الزعيم لنكولن عاصمة البلاد في مثل تلك الساعة البكرة وفي مثل تلك الحال المتواضعة ليجلس في كرسي الرياسة الذي جلس فيه من قبل وشنجطون، دخل ليحمل العبء وليبدأ في حياته مرحلة من الجهاد والجلاد دونها كل ما سلف من جهاد وجلاد ...

« يتبع » الخفيف

هذه داري وهذا وطني

ولكن أين أحبابي ؟!

(بقية المنشور على صفحة ١٣٢٢)

لك خلاص من ظلماتك، فأين الخلاص من ظلماتي ؟

ستمضي لشأنك وتتركني يا ليل

إن الظلمات تقتل شبابي وتحيي شبابك

إن الظلمات تصيّرك أقوى وأعنف، وتصيرني أرقّ وألطف، والرقة واللطف من بواكير الفناء

أيها الليل!

لقد عرفت قسوتك في بلاد كثيرة من الشرق والغرب، وما كنت أعرف أنك أقسى ما تكون في داري وفي وطني

أما بعد فأنا أعترف أن قلبي يستحق التأديب

كنت أصم أذني عمن يسألون عني في باريس وفي بغداد لأفرغ لما سموه الواجب، فليتني أجبت الدعوة في باريس وفي بغداد لآخذ ذخيرتي من الحب والعطف!

ليتني صنعت وصنعت، ولكن هيهات فقد فات ما فات!

أيها الليل في مصر الجديدة

أنا على كل حال رفيقك وأخوك

وستمضي الأعوام والدهور، ولا تعرف أصدق مني يا ليل

سيذكرني الناسون يوم تشوكهم

شمائلُ من بعض الخلائق سُودُ

سيذكرني الناسون حين ترُوعهم

صنائع من ذكرى هواي شهود

فوالله ما أسلمت عهدي لغدرةٍ

ولا شاب نفسي في الغرام جحود

ولا شهد الناسون مني جناية

على الحب إلا أن يقال شهيد

زكي مبارك

فتاوى شرعية

معضـــلات العصر

للأستاذ الجليل محمد بن الحسن الحجوى

وزير معارف الحكومة المغربية

— ٢ —

نص الجواب عن الأسئلة الأشقودرية

جواب السؤال الأول :

الحمد لله الفتاح العليم، والصلاة والسلام على النبي الكريم، وآله وصحبه المستحقين لكل تكريم . أما بعد فأما مسألة إلزام الملك أحمد زوغو سدد الله له الخطا، وأبعد عنه الخطا، موظفيه وتلاميذ المدارس لبس البرنيطة (القبعة[1]) — فاعلموا أنه لم يأت في القرآن العظيم ولا في الأحاديث الصحاح التي وقفت عليها أن النبي صلى الله عليه وسلم ألزم من أسلم من أهل الكتاب أو المشركين، ولا الخلفاء الراشدون بعده ، تغيير الزي أو جعلوا للمسلم لباساً خاصًّا يتميز به . قال الله تعالى : (قل من حرّم زينةَ الله التي أخرج لعباده والطيّباتِ من الرزق) ، وزينة الله ما يتزين به عباده من اللباس على اختلاف أنواعه . وقد استثنت السنة من ذلك الحرير والذهب ، فان لبسهما حرام على ذكور الأمة دون نسائها . وقد أسلم عدى بن حاتم الطائى وكان نصرانيًّا حاملاً لصليب فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بطرحه ولم يصح أنه أمره بتغيير اللبـاس ولا أمر غيره بذلك . وفى الصحيح : أن النبي صلى الله عليه وسلم لبس جبّـة رومية ضيقةَ الكمين فى السفر. وما جاز لبسه فى السفر جاز فى الحضر من باب لا فرق . وقال عليه السلام : « كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا فى غير إسراف ولا مخيلة[2] » أخرجه البخارى تعليقاً ووصله أبو داود الطيالسى والحارث بن أبى أسامة فى مسنديهما ولم يقع الاستثناء فى رواية الطيالسى وسقط وتصدقوا من رواية الحارث وزاد فى آخره: إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عباده . وأخرجه ابن أبى الدنيا بتمامه فى كتاب الشكر. وإيتان البخارى بصيغة الجزم وهى قال دليل على قوة إسناده ، بل على صحته كما هو مصطلحه فى المعلقات من صحيحه . وعلق البخارى بصيغة الجزم أيضاً عن ابن عباس موقوفاً عليه : « كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك اثنتان سرف أو مخيلة » : وقد وصله ابن أبى شيبة فى المصنف . نعم استثنت السنة أيضاً ما كان من باب التشبه بالكفار ، فقد أخرج الطبرانى فى الأوسط بسند لا بأس به[1] عن على كرّم الله وجهه مرفوعاً : « إياكم ولبوس الرهبان فان من تزيا بهم أو تشبه فليس منى » فاتضح لكم ما استثنى من الآية وما بقى فيها على العموم . واعلم أن التشبه بالكفار فى اللباس سواء للبدن أو الرأس أو الرجل فيه نوعان :

النوع الأول أن يلبس لباساً خاصاً بالرهبان دالا على رتبة من رتب الرهبنة وكان بحيث أن من لبسه يدل حاله على أنه ارتدّ عن الاسلام ودخل فى الكفر. هذا هو الذى يترتب عليه الكفر لأنه دليـل على تغيير الاعتقاد الدينى وتحوله إلى معتقد الرهبان؛ وهذا هو المعنىُّ بحديث علىٍّ السابق ؛ ولذلك قال عليه السلام : فليس منّى . وفى هذا النوع يقول الشيخ خليل المالكى فى مختصره : الردة كفر المسلم بصريح أو لفظ يقتضيه أو فعل يتضمنه كالقاء مصحف بقذر وشد زُنار قال. بنانى فى حاشيته: الزنار ثوب ذو خيوط ملونة يشده الكافر فى وسطه يتميز به عن المسلم . قال والمراد به ملبوس الكفار الخاص بهم قال ومحل هذا إن فعل ذلك محبة فى ذلك الزىّ وميلاً لأهله ؛ وأما إن فعله هزواً ولعباً فهو محرم، إلا أنه لا ينتهى لحد الكفر كما قال ابن مرزوق اهـ . فالردة عند المالكية متعلقة بتغيير الاعتقاد الاسلامى بناء على أن الايمان محله القلب ؛ وكذلك الكفر فلا يحكم بالردة إلا إذا صدر عن المرتد قول يصرح بذلك أو فعل يقتضيه اقتضاء واضحاً كشد الزنار لقوله تعالى : (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله) فالآية واضحة الدلالة على أن الكفر والايمان مناطهما الاعتقاد بالقلب ، فكل ما دل على ترك

(١) اشتهر فى الشرق على ألسنة الجرائد إطلاق القبعة بوزن قبرة على ما يطلق عليه لفظ البرنيطة ، وإنما القبعة فى اللغة ثوب يخاط كالبرنس يلبسه الصبيان كما فى القاموس . وفى المنجد البرنيطة عربيتها القلنسوة

(٢) مخيلة : بوزن عظيمة الخيلاء والكبر

(١) أنظر هذه الأحاديث فى كتاب اللباس من فتح الباب

معتقد المسلمين دلالة صريحة فهو كفر كنبذ أحكام الارث والزواج والطلاق وكل ما علم من الدين بالضرورة، وكل ما لم يصل إلى ذلك فلا . واعلم أن الحكم على المسلم بالردّة حكم باخراجه من جماعة المسلمين وحكم باراقة دمه ، ولاأخطر من هذا الأمر فى الاسلام الذى يحرص على تنمية عدد المسلمين وليس من شأنه أن يطردهم لأدنى شبهة وهم يذكرون الله ويعبدونه ، فان الله يقول : (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) الآية ويقول : (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله) الآية

وننبه هنا إلى أن متأخرى السادة الحنفية حكموا بالكفر فى عدة فروع بأدنى شبهة وخالفوا مبدأ إمامهم المبني على التثبت والأخذ بحديث : إدرأوا الحدود بالشبهات . وتوسع فى درء الحد بالشبهة إلى أقصى حد؛ ولهذا أنكر عليهم الامام ابن الهمام منهم، فكان يترك الفتوى بما رأوه ويفتى بغيره . ولنكتف بهذا القدر تجنباً من الدخول فى معمعة مذهبية غير مرغوب فيها

النوع الثانى من التشبه ما كان خفيفاً لم يصل إلى حد الكفر بحيث لا يدل دلالة واضحة على تغير اعتقاد المسلم كحلق اللحا، ولبس لباس غير زنار، وسدل شعر الرأس. وفى هذا ورد حديث البخارى عن ابن عباس : (كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب موافقة أهل الكتاب مما لم يؤمر فيه؛ وكان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم فسدل النبي صلى الله عليه وسلم ناصيته ثم فرق بعد) يدلنا هذا الحديث على أن الأمر العادى إن وقع السكوت عنه فى الشريعة ولم ينزل فيه وحى كان يحب موافقة أهل الكتاب تأليفاً لهم وطمعاً فى اجتذابهم إلى الاسلام، أم لأنهم أهل شرع سماوى بخلاف كفار العرب الوثنيين، ثم لما أيس منهم صار لا يوافقهم ففرق شعره . وكان الصحابة بعده مخيرين منهم من يفرق ومنهم من يسدل إذ ليس هذا من قبيل التعبد بدليل قوله فيما لم يؤمر فيه، وعلى هذا فلا نسخ فى الحديث إذ لا تعبّد فيما يظهر ، وبعيد كل البعد أن تكون الأحكام الإلهية تبعاً للأحوال السياسية ، والوحى ينزل : هذا وليس كل ما فعله الكتابى أو المجوسى يجب علينا مخالفته فيه. كلا. فهذا عمر بن الخطاب أحدث التاريخ فى الرسائل الرسمية ودون الدواوين وكتبها بلغات أجنبية ونظم البريد وفعل غير ذلك مما يفعله الروم والفرس ولنا فيه فائدة تم مصلحتها . وعلى هذا فكل ما لنا فيه فائدة ومصلحة عامة كلباس[1] الجند وإحداث الأنظمة المحكمة وتقريب المواصلات وتعجيل الأخبار كالتليفون والبرق وغير ذلك مما لا يحصى من الأمور الصحية والطبية ونظام الجندية واقتناء آخر طرز من الأسلحة والطائرات الجوية وغير ذلك ، فكل ذلك لا معنى للطعن على من أخذ به أو الانتقاد بالتشبه عليه أو نسبته لفعل بدعة دينية . فالتشبه الذى نهينا عنه له حدّ محدود وقرينة الحال تدل على ذلك ؛ وهو كل ما كان راجعاً إلى تغيير الأمور التعبدية أو إذهاب الشعائر القومية التى تفنى بذهابها ذاتية الأمة فى ذاتية أمم أخرى مما يمس جوهر الاسلام وأبهته ويحط من قدره . وإذا نظرنا إلى تغيير الزّي بلبس البرنيطة الذى هو غير مفيد للاسلام فى شيء وعرضناها على المعنى المقصود وجدناها ليست من النوع الأول قطعاً الموجب للردة ، إذ ليست خاصة بأهل الكفر من الرهبان ؛ وإنما هى من النوع الثانى لما فيها من محو شعار القومية ، فغاية الأمر أن تكون محرمة أو مكروهة . وأما حديث أبي داود والترمذى مرفوعاً : فرق ما بيننا وبين المشركين العمائم على القلانس ، فلا تنهض به حجة لقول الترمذي : إن إسناده ليس بالقائم وفيه رجلان مجهولان . ثم إن البرنيطة بالنسبة إلى موظفى ألبانيا قد تكون جائزة في حق من هو فقير منهم بحيث إذا عزل أصبح يتكفف الناس وله عيال، وهذا وإن لم يصل لحد الضرورة المبيحة كأكل الميتة لكنه محتاج إلى ذلك والحاجة فى المذهب المالكي ملحقة بالضرورة .

وقد أفتى ابن مرزوق : أن من لبس الزُّنّار الذى هو موجب للردة مضطراً كأسير عندهم فلا حرمة عليه فضلا عن التكفير ؛ نقله بنانى فى الحاشية وسُلِّم له ؛ كما أفتى بأن من لبس الزنار هزلاً ولعباً لا يكفر ؛ وإنما يكون فعل حراماً . أما أغنياء الموظفين الذين ألزموا بلبسها وهم غير محتاجين للوظيفة فهؤلاء قد يقال تكون فى حقهم محرمة أو مكروهة ، ولا ردة تلزمهم فى ذلك مادام الايمان ثابتاً فى قلوبهم . أما من تورع عنها وزهد فى وظيفته لا يكون فيه حرجاً حتى فى لباسه فذلك أحسن

وإني على علم من أن بلدكم هى الدولة الاسلامية الوحيدة فى أوربا ويتعادل فيها عدد المسلمين مع غيرهم . فلو أننا كلفناهم بتقديم استقالتهم جميعاً احتجاجاً على عدم رضاهم بتغيير زيهم الذي هو شعار قوميتهم التى تتعين المحافظة عليها ، لأخذ وظائفهم غير المسلمين ودال الأمر إلى تمكين غيرهم من التصرف فى مصالحهم بما قد يكون مضراً بهم وبدينهم . والقاعدة الشرعية إذا اضطر المسلم إلى أحد الضررين وجب اختيار أخفهما. وعلى هذا فلا تحرم

(١) وقد لبس الأسلم أبي شهاب الزهرى لباس الجند وكذلك الشيخ خليل أبى إسحق المالكي وغيرهما

حتى على أغنياء الموظفين ولا على من استعملها فى بلد غير إسلامى قصد الستر وأمن المكر . أما المسلم الذى يلبسها اختياراً في بلد إسلامى فلا شك فى الحرمة لما فيه من التشبه وإهانة القومية وتفريق جمع الاسلام وإباحة عرضه للطاغين

نعم لو فرضنا أن الموظفين المسلمين لا يستغنى عنهم ، وأن الملك يضطر عند تقديم استقالتهم جميعاً إلى العدول عن أمره بلبس البرنيطة وجب عليهم جميعاً تقديم استقالتهم، ووجب على غيرهم ألا يقبل أى وظيفة منها إلا بعد الرجوع فى الأمر المذكور؛ والوسيلة تعطي حكم مقصدها؛ وأظن أن هذا عندكم غير متيسر، بل إن الافكار (الكمالية) نملت فملها واحتلت كثيراً من الأدمغة الألبانية حتى تخطتها إلى علية القوم وسراتهم

لذلك لا يسعنا إلا أن نفتيكم بامتثال أمر الملك المؤيد، وننصحكم بالعدول عن كل حركة يخاف منها على الأمن فى مملكة صغيرة فتية محاطة بالمطامع نرجو لها النمو والنجاح . فاياكم إياكم الخلاف ما أمكن . وعليكم طاعة السلطان إن كانت فى المعروف ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . لكن للضرورة أحكام. وطاعة السلطان واجبة كطاعة الوالدين التى جعل لها الحق سبحانه نهاية وآخرة فى قوله : (وإن جاهداك على أن تُشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما)

أما تلاميذ المدارس الذين ألزموا ألا يقبلوا فى مدارس الحكومة إلا بالقبعة (البرنيطة) . فأما من كان منهم دون بلوغ فغير مخاطب بتكفير ولا بتحريم وإنما المخاطب بذلك وليه . وأما من كان بالغاً عاقلاً فان مصلحة تعليمه مقدمة على مفسدة تغيير زى قوميته فى نظرى . ولا داء أدوأ من الجهل للبالغ وغير البالغ . يا إخوانى إن هذه السياسة العميقة التى تشدّ إزرها الأحوال والأفكار المحدّثة تسوّغ لى أن أنبأ لكم والأسف ملء جوانحى بأن البرنيطة عما قريب ستصير لكم اللباس القومي والشعار الألبانى قبل انقراض الجيل الحاضر . وا أسفاه ! إن اللباس العربى الذي كان يلبسه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين فتحوا أكثر العالم فى مدة جيل واحد وهذبوا وعلموا ومدنوا ما فتحوا — قد قضت عليه أزياء الفرس والروم ، بل حتى أزياء الرهبنة ، فان القنباز عندنا قريب من سترة الرهبان ، وهكذا الطربوش النمسوى الذى عمّ الممالك الاسلامية ، والجبدور الذى يوجد في أكثر بلاد الاسلام؛ حتى النعال ، كل ذلك نسخ اللباس العربى ولم يبق منه إلا العمامة والقلنسوة . وهذه البقية الباقية من الزى الشرقى والشعار الاسلامى قد أخذت الأفكار الكمالية تكتسحها وتمنى أثرها ، ولله فى خلقه شؤون . وأرجو أن تكونوا أخذتم أيضاً بالتغييرات والاصلاحيات الحقيقية المفيدة التى أدخلها الكماليون على بلادهم لتذهب الحسنات بالسيئات . ذلك كتنظيم الجند على الطراز الحديث ، وجعل أسطول جوى عتيد يقاوم كل طمع فى بلادكم ، وكتنظيم المالية بالضبط الحقيقى، وتوحيد الفكرة الألبانية فى كل ميادين الحياة؛ واستخراج كنوز الأرض لكفايتها أهلها عامة ، وتوحيد طرق التعليم والتهذيب لتجمع الأمة شملها وتكون على قلب رجل واحد ؛ وترقية الشؤون الاقتصادية ، إلى غير ذلك

إخوانى، إن الاسلام ركنه الأعظم فكرة واعتقاد متين مؤسس على أصول الوحى والعقل القطعيين فلا تزعزعه الكوارث ولا يتأثر بالتغيرات

والذى أوصيكم به وأحضكم عليه والذى تبذلون دونه كل غال ورخيص ، ونفس ونفيس ، هو القرآن الذى هو الحبل المتين ، والركن المكين، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والسنة النبوية الصحيحة، مرّنوا أولادكم على التمسك بهما وحفظهما والاحتفاظ بهما ، والعمل بما فيهما، فذلك برنامج الفتح الالهى ، والتقدم الحقيقى. عضُّوا عليهما بالنواجذ ولا يضر المسلم أن يتقمص فى أى ثوب كان إذا كان متمسكا بهما؛ ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها . عليكم إخوانى بالتعليم .. التعليم .. التعليم .. تعليم العلوم القرآنية الخالية من شوائب الشذوذ ، والعلوم الحديثة الصحيحة واتباع طريق السلف الصالح وخير القرون فى كل أمر دينى . وعليكم بالجد والاجتهاد فى اقتناء العلوم الدنيوية على اختلافها كيفما كانت ومن أيّ جهة جاءت ، والبلوغ فى الاقتصاديات لأعلى المجد واتباع أحدث طريق فيها . وروح النجاح فى ذلك كله هى الأخلاق الاسلامية المؤسسة على السيرة النبوية وتاريخ الاسلام المجيد الذى هو الاكسير الصحيح الذى يقلب الأمم الخاملة إلى أمم راقية ناهضة ؛ والله يؤيد حكومتكم ويجمع عليها كلمتكم ويؤلف بين قلوبكم وبين قلب كل الباقين كيفما كان مذهبه ويبعد عنكم أحقاد التفرقة السياسية بمنه وفضله آمين

« يتبع » محمد بن الحسن الحجوى



رسالة الشعر



فى دخان اليأس...

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

« يقولون : غن الشعر أبيض هادئاً
وكيف تغنى في الهجير البلابل ؟ »

وَقيَّـدَ عُمْرى حُبُّها فى قرارةٍ
من الهمِّ لا يُرْجَى لها اليَوْمَ ساحِلُ

عَلَيها دُخانُ اليأسِ سأْمانُ ، واجمٌ
كَظيمُ الحواشى. مُغْلَقُ الذَّرِّ ذاهِلُ

قَتامٌ عَلَى أسْدالِهِ يمرحُ الأسى ... وَقبرُ المُنى في ظِلِّهِ يتخايَلُ

وَلِلخيبةِ الكُبْرى عَلَى جَنَباتِهِ ... خيالٌ لحظّى في دُجى النَّفسِ ماثِلُ

إذا أنا سرَّحتُ الخواطِرَ صدَّها ... وَعادَ بها لُجٌّ منَ اليأسِ غائِلُ

كأنّي أعمى يخبطُ الكونَ هائماً ... عَلَى خطوِهِ سِنُّ العصا تتخايَلُ

سَواءٌ لَدَيهِ حينَ يظمأُ للسَّنا ... عشاياهُ يُترِعْنَ الدُّجى والأصائِلُ

كأنى لحنٌ طاشَ مِنْ كَفِّ عازِفٍ
عَلَى وَترٍ جافتْ هَواهُ الأنامِلُ ؟ !

نزلتُ عَلَى الوادى وَنفسى كئيبةٌ ... وَنايى مفجوعُ التَّرانيمِ ثاكِلُ

وَبى أمَلٌ أنْ يمسَحَ الحُبُّ شقوَتى ... وَيُوهِنَ مِنْ عِبْئى الذى أنا حامِلُ

فعُدْتُ وَبى قيدانِ: قيدُ صبابَتى ... وَهجرى وَقيدٌ أحكمَتهُ النَّوازِلُ

كأنّي سَجينٌ سُدَّتْ الأرضُ حوْلَهُ
وَكادتْ بِساقَيهِ تنوحُ السَّلاسِلُ

فلا الدَّهرُ أخلانى وَلا غادةُ الهوى ... أفاقتْ لِأشجانى، فما أنا فاعِلُ ؟

***

يقُولونَ غَنِّ الشِّعرَ أبيضَ هادِئاً ... وَكيفَ تُغنِّى فى الهجيرِ البلابِلُ ؟

وَكَيفَ وَقلبى لا يُفيقُ مِنَ الأسى !
وَنجمى إلى أُفقِ المنيّاتِ مائِلُ !

لَأقسمْتُ ماغنّيتُ شِعراً ! وَإنما ... حُشاشَةُ رُوحى بالأسى تتهادَلُ !

***

فيا غادَةَ الإلهامِ وَالشِّعرِ ! وَمضَةً ... لعلَّ بِصحرائى ترِفُّ الخمائِلُ

وَتحيا الرُّبى وَالطَّلُّ وَالزَّهرُ والشَّذى
وَتينعُ أيّامى ، وَتصفو المناهِلُ

فنشرَبُ مِنْ أحلامِنا خمرَةَ الهوى
وَيجرَعُ مِنْ سُمِّ الهوانِ العَواذِلُ ...

أطِلّى عَلَى دُنيايَ - سِحراً - وَأشرِقى !
جَبينُكِ ما أمّلتُ فيها ، وَآمُلُ !

وَذاتُكِ قُدسى وَانتعاشى وَفرحتى
وَفىٌّ لِرُوحى ما وَعتهُ الظَّلائِلُ

فلا تترُكى يأسى يلِجُّ فإنّهُ
ظَلامٌ لِرُوحى المُستهامَةِ قاتِلُ

وَأخشى يُنادينى الرَّدى فأُجيبُهُ
فيصمُتُ طيرٌ بالهوى العفِّ زاجِلُ

وَتخرَسُ أيّامى ... وَينـذرُ الذى
قضى العُمرَ عَنْ يومِ اللقاءِ يُسائِلُ !

حواش وجيوب

للأستاذ الحوماني

قربي نهديك ألمس وأرى — كبدى فوقهما كيف تذوب ؟
كلما أمررت كفي بهما — ندعنها برعم وأحمر كوب
أتلقى بفمى زهرهما — فإذا ملء فمى خمر وطيب
وإذا أمعنت فى عصرهما — دميت منا عيون وقلوب

***

ما ترى عيناك من أخيلة — تتراءى لى وأحياناً تغيب
أهى الآلام مرت وعلى — وجهها منا غبار وشحوب ؟ ؟
أم هى الآمال لاحت وعلى — صدرها منا حواش وجيوب ؟
مبسم من قبل الآتى ند — ومحيا من دم الماضى خضيب

الحومانى

عزلة

للأستاذ خليل هنداوى

أغادر هـذا الحمى هائماً — وأسرى ، وأسرى أريد الفضاء
فلا يسع الكون قلبى الصغير — ولا تسع النفس كل السماء

***

بنا عزلة جوعها دائم — تضيق بوحشتها الأضلع
ونطعمها من طعام القلوب — ونملأ فاها فلا تشبع

***

يضم الهوى جامعاً بيننا — وتسكرنا رشفات القبل
فننسى الحياة وننسى الوجود — وتغمرنا مغريات الأمل

***

ولكننا بعد ذاك العناق — تعاودنا العزلة القاسية
تريد غذاء جديداً لها — فنذبح أنفسنا ثانية ...

خليل هنداوى

١٨ ـ ١١

وحى الشاعرية

للـدين

للأستاذ حسن القاياتى

ليس يدرى أن للناس إله — كل غاو لو دراه لاتقاه
ساد بالدين فريق شدما — آنق الأعين فى زى الهداه
قام يدعو من يصلى والخنا — قائم يضحك من تلك الصلاة
المصلى فى خداع ماله — قام نخا ، ما طواه ما ثناه ؟
يذكر الله ويوصى لحظه[1] — من أتيحا للخنا أن يشركاه
صرع الموت غويا فانبرى — معبداً يلحد فيه من دعاه
ويح شعب لم يسدد بابنه — للمساعى كيف أودى فارتجاه؟

***

إن فى الشرق لعلماً[2] كلما — أقبل الشرق على النبل نهاه
كل سفر لست تدرى صوغه — من خبال حيث تدرى ما عناه!
طاعة الدين لدى جهاله — تصرع التفكير عن حكم الرواه

***

يا بنى الأخرى وساءت سبة — إن للمجد سواكم لدعاه
إن للتقبيل فى راحاتكم — نغمة الفحشاء فى لثم الشفاه
كيف تقبيل بنان لم يكن — ربها براً ولم تحمد يداه ؟ ؟

« السكرية ـ دار القاياتى » — حسن القاياتى

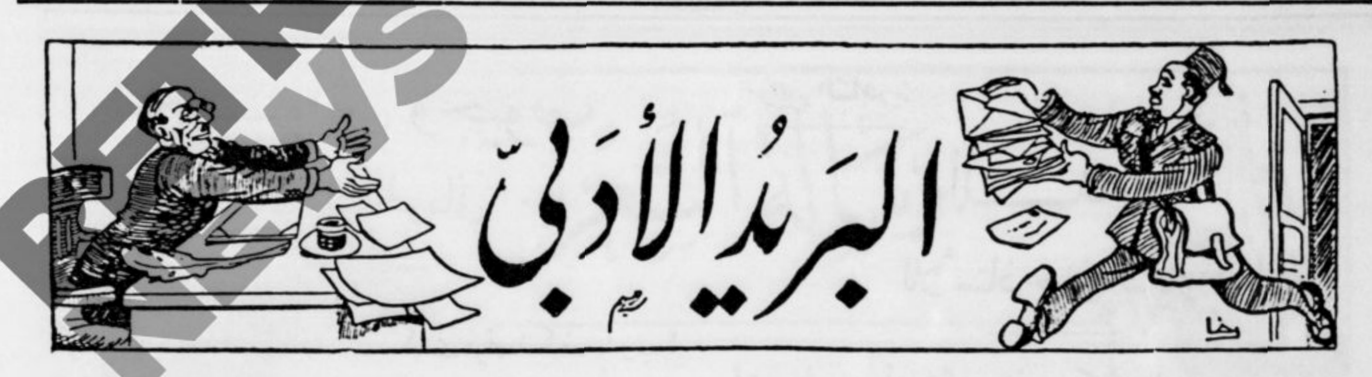
(١) إشارة إلى فكاهة متعارفة ، قيل فيها : إن رجلا كان يصلى وإلى جانبه زميلان له يتواعدان مع بغي فيقولان لها : نحن اثنان . فجعل يشير وهو فى صلاته بأصابعه الثلاث : بل نحن ثلاثة

(٢) يراد به بعض الكتب الضعيفة المنسوبة إلى الدين

جرح هوى قديم

جرح هواك اليوم فى مهجتى — ما زلت أستشعر منه الألم
كأنه جرح هوى طارف — لا جرح حب موغل فى القدم

العوضى الوكيل



الى الأساتذة أحمد أمين والجارم بك وجاد المولى بك

أعضاء لجنة انهاض اللغة العربية

نشرت البلاغ في عددها الذي صدر يوم الخميس الماضي هذه الأسئلة ، ونحن ننقلها عنها بنصها :

ذكرتم في تقريركم الذي رفعتموه إلى وزارة المعارف أن من وسائل إنهاض اللغة العربية أن يكون في أيدي التلاميذ طائفة اخترتموها من الكتب الأدبية الحديثة لم نر من بينها (في أصول الأدب) ولا (آلام فرتر) ولا (رفائيل) . وهذه الكتب قد عرفها الجمهور وقرأها وحكم لها ؛ فاذا كنتم تجهلونها كان هذا الجهل عيباً في الاختيار الذي نشرتموه . وإذا كنتم تعرفونها ثم أغفلتموها حق لي أن أوجه إليكم هذه الأسئلة :

١ — إذا كان اختياركم مقصوراً على الكتب الأدبية الموضوعة ، فلماذا اخترتم الفضيلة (بول وفرجيني) وتركتم (في أصول الأدب ؟)

٢ — إذا كان الاختيار مطلقاً من هذا القيد فلماذا أغفلتم (آلام فرتر) و (رفائيل) ؟

٣ — هل تستطيعون أنتم ومعكم غيركم أن تأخذوا على هذه الكتب شيئاً في اللغة أو في الأسلوب أو في الغرض ؟

٤ — إذا كنتم لا تختارون إلا لأدباء وزارة المعارف فلماذا اخترتم للعقاد والمازني والمنفلوطي وشوقي

٥ — إذا سألكم هذه الأسئلة وزير الأدب هيكل باشا فهل تستطيعون الاجابة عنها من غير حرج ؟ (سائل)

(الرسالة) وهذه الأسئلة بعينها يصح أن يوجهها إليهم (سائل) عن كتب الرافعي وعزام وزكي مبارك

الأستاذ العقاد وامرؤ القيس

قال الكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد في مقالته (بقية المذهب) في الجزء السابق من (الرسالة) الغراء : « لقد وصف بعض الأعراب نساء (محبوبات) فاستملحوا الضخامة ومدحوا الكسل وبطء الحراك ، وافتتن أميرهم بعذارى قال في وصفهن ما يقال في وصف الفيلان :

وظل العذارى يرتمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المفتل

نعوذ بالله ! »

قلت : امرؤ القيس يقول هذا البيت في وصف الناقة التي عقرها للعذارى (المحبوبات) لا في وصف فتاة من الفتيات ، وقبله

ويوم عقرتُ للعذارى مطيتي فيا عجباً من كورها المتحمَّل

وقد قال الزوزني في البيت (اللحمي الشحمي) : « فجعلن يلقي بعضهن إلى بعض شواء المطية ... »

وامرؤ القيس الكندي أو حماد الرواية أو صاحب هذه القصيدة إنما يستحسن في المرأة ما يستحسنه الأستاذ العقاد النقاد ويستقبح ما يستقبحه وهو يقول في (معلقته) التي لم تعلق في كعبة ولا خيمة ولاخصّ :

مُهفهفة بيضاء غيرُ مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل[1]

قال الزوزني : « يقول : هي امرأة دقيقة الخصر ضامرة البطن ، غير عظيمة البطن ولا مسترخيته ، وصدرها براق اللون متلألئ الصفاء تلألؤ المرآة » فأمير الأعراب — وهذا قوله — ونائب الأمة في (دار الندوة) الأستاذ العقاد في قضيتهما في (الحسان) سيان ، ولم يختلف في الحق الأميران ...

(القارىء)

مالطة عربية

كتب المستر مكنزي المحرر في جريدة أجيشيان غازيت رسالة إلى جريدة « الديلي تلغراف » تناول فيها ما زعمه الايطاليون من

(١) السجنجل : المرآة ، وقطع الذهب والفضة ، وفي رواية القرشي صاحب (جهرة أشعار العرب) : « مصقولة بالسجنجل » وهو الزعفران وفي (اللسان) : يقال للجارية الهيفاء مهفهفة ومهفهفة وهي الخميصة البطن الدقيقة الخصر ، وهفهف إذا مشق بدنه فصار كأنه غصن يميد ملاحة

أن بينهم وبين أهالى مالطة علاقة لغوية وبالتالى عنصرية . ويؤكد المستر مكنزى أن اللغة المالطية ذات علاقة شديدة باللغة العربية . وهى من ثم من آثار العهد الذى كانت فيه للعرب دولة عظيمة مترامية الأطراف يقول عنها الدكتور فيليب حتى اللبنانى أستاذ التاريخ فى جامعة برنستون فى الولايات المتحدة إنها كانت « أعظم من الدولة الرومانية فى عنفوان مجدها » فمن جهة اللغة تكون مالطة إذن عربية الأصل أكثر كثيراً مما هي إيطالية

مصر والثقافة العربية

سافر إلى لبنان حضرة صاحب العزة الأستاذ الجليل محمد بك العشماوى وكيل وزارة المعارف ، فكان موضع الحفاوة والترحيب من رجال الأدب والفضل فى لبنان . وقد تحدث مرة فى حلقة منهم بحديث عن عناية مصر بالثقافة العربية قال فيه :

« سأسعى لأن تنفذ الثقافة المصرية إلى جميع أقطار العرب؛ فمصر واجب عليها أن تتزعم الحركة الفكرية وأن تكون فملا فى المقام الذى تضعها فيه بلاد العرب

وأرى أن توحيد الثقافة العربية ومناهج التعليم واجب؛ وسأسعى إلي ذلك بما فى جهدى وطاقتى

وقد أنشأت وزارة المعارف المصرية فرعاً خاصاً ليكون على اتصال تام بجميع أقطار العرب يتابع النهضة الثقافية فيها ويقدم إلى البلدان العربية جميع ما تعمله الوزارة من أعمال وما تقرره من شؤون

ولا يقتصر النشاط والاهتمام ببلادنا العربية على وزارة المعارف فان وزارة الخارجية أنشأت قسما شرقيا خاصا لهذا الشأن فمصر ستعنى عناية خاصة بكل ما يجرى من تحول في البلدان العربية والاهتمام الثقافى هو الخطوة الأولى التى تتبعها خطوات أخرى فى جميع الميادين

وليس أدل على اهتمام مصر ببلاد العرب من هذه الحالة التى أبسطها فان مدارس المعارف تضم تلاميذ من طيطوان كما أنها تضم تلاميذ من سورية والعراق والحجاز ولبنان وكلهم يتلقون التعليم الابتدائى والثانوى والعالى على حساب الحكومة المصرية ويحاطون بكل عناية

وفى المدة الأخيرة كتب حضرة سلطان حضرموت إلى صاحب الجلالة الملك فاروق الأول بشأن إيفاد بعثة من التلاميذ تعلم مجاناً في مدارس المعارف المصريه فأصدر جلالة الملك أمره بقبول البعثة مع تسديد نفقات إقامتها وملابسها وجميع ما تحتاج إليه

ولا تتأخر مصر عن الاضطلاع بما تعده واجباً عليها للغة العربية والعرب

وأشار فى ختام حديثه إلى المؤتمرات التى أعدتها مصر وإلى المؤتمرات العربية التى تنوى عقدها عاماً فعاماً فى جميع بلدان العرب لتوثيق العلاقات بينها وبين تلك البلدان »

ثقافة السودان

كتب إلى جريدة التيمس المستر كيروان يقول : « إن مراسل التيمس فى الخرطوم كتب إليها حديثاً يقول فيه إن السودان كسائر البلدان العربية فى العالم الحديث يجب أن يعتمد فى إقامة ثقافته الوطنية على مصدرين أساسيين . الأول ميراثه الاسلامى وتقاليده العربية، والثانى الثقافة الحديثة فى الغرب. وأهم طريق للوصول إلى المصدر الأول هو مصر، وإلى الثانى هو انجلترا

« فالشق الأول من هذا البيان قابل للمناقشة : فان ميراث السودان الاسلامى وتقاليده العربية التى يستفيدها عن طريق مصر تظهر لنا ضئيلة . فالسودان بخلاف البلدان العربية الأخرى إنما اعتنق الاسلام منذ عهد قصير ربما لا يرجع إلى أبعد من القرن السادس عشر . وكان قبل ذلك ميداناً للنصرانية ، وقبل ذلك قضى السودانيون أجيالا طوالا متمتعين بثقافة راقية كل الرقى مستفاد بعضها من مصر . وتحت وشاحهم الاسلامى الحالى يمكننا أن نلحظ حتى اليوم تلك الثقافات السالفة

فيكون إذن مهما للسودان أن يستند فى تأسيس مدنيته الأهلية الجديدة إلى ميراثه الوطنى من تقاليد إسلامية وتقاليد سابقة للاسلام والعرب

عنصر جديد في عالم الطب

جاء في مذكرة تلقتها وزارة الخارجية من المفوضية المصرية بألمانيا : أن البروفسور فالدمان الطبيب الألماني المشهور كشف مادة جديدة لمقاومة الحمى القلاعية وأنه بهذه الواسطة حقق غرضاً من أهم الأغراض العلمية بإيجاد « عنصر جديد في عالم الطب » كما قالت الصحف الألمانية

ونظراً إلى أهمية هذا الاستكشاف وما ينتظر له من النتائج أرسلت المفوضية نص حديث للبروفسور مع الصحف الألمانية عن هذا الموضوع الذي ينتظر أن يعنى ببحثه قسم الطب البيطري في وزارة الزراعة

تيسير قواعد اللغة العربية

وضعت جماعة دار العلوم ملحوظات قيمة على تقرير اللجنة التي ألفت في وزارة المعارف لتيسير قواعد اللغة العربية . وتقع هذه الملحوظات في اثنتي عشرة صفحة من القطع الكبير بينت فيها الطريق الذي سلكته اللجنة ثم ناقشت آراءها في النحو والصرف والبلاغة وما اقترحته في هذا الشأن

وقد قدمت الجماعة هذه الملحوظات إلى وزارة المعارف

تكريم شاعرة فرنسية في أفيان

في آخر الأسبوع الماضي رفع الستار عن النصب التذكاري الذي أقيم في أمفيون بالقرب من إفيان للشاعرة أن نواي في أملاك عائلة برنكوفان . وبعد أن أقيمت حفلة في دار البلدية أطلق محافظ المدينة اسم الشاعرة على الطريق الذي يربط أفيان بامفيون

وقد ألقى كل من مندوبي معهد فرنسا والأكاديمية الملكية في بلجيكا وبلدية باريس ومحافظ إفيان خطباً تناسب المقام وأقيمت مأدبة عشاء خطبت فيها هيلين فا كارشيكو والبرنس كونستنتين دي برنكوفان



هكـــذا أغنى

ديوان الأستاذ محمود حسن اسماعيل

للأديب عباس حسان خضر

يقول شاعرنا :

إن تسل فى الشعر عنى هكـذا كنت أغنى

ونحن نسأل عنه فى الشعر ، فلننظر كيف يغنى ...

هو يغنى بشعره ، صادراً عن طبيعة خصبة ، منزجاً عن نفس زاخرة بعناصر الشاعرية من إحساس مرهف ، وعاطفة مضطرمة ، وعقل (فنى) يدرك به الجوانب الفنية للأشياء ، يتملك كل هذه خيال طامح متوثب . وهو عند ما يشحذ هذه العُدَّة يمضى متدفقاً مندفعاً عنيفاً ، وفى كثير من الأحيان يتبع هذا التدفق والعنف عدم اكتراث بسلامة الذوق ، واعتساف فى الفكر وفى التعبير — كما نبين فيما يأتى — معتمداً فى ذلك على قوة طبيعته ونشاط خياله ، غير متقيد ولا محترس ، فهو يعوّل على الهبة الفطرية أكثر مما يعول على المهارة الاكتسابية

ويمتاز شعر هذا الديوان بشىء لعلى موفق إذ أسميه «الروعة» وهو ذلك الذى يستغرق الشاعر ويروع العواطف ويأخذ بالذهن إلى عوالم متنائية الأطراف ، وامل مبعثه بُعد المدى فى الخيال ، والايغال فى تصوير الأشياء التى يكتنفها الغموض ، ومن ذلك كثرة ترديده لذكر الرهبان والقسس والأديرة وانتزاع الصور من محيطها الغامض . ومما تتجلى فيه تلك الروعة قصيدة: «دمعة فى قلب الليل» وقد أبدع فى وصف الدموع فى هدأة الليل ، وافتن فى تصوير المعانى افتناناً . قال يخاطب الليل :

خلنى للدموع وحدى أناجيــــها فى العــــزلة السوداء

أنا من كأسها شربت صبيًّا خمرة سلسلت من البأساء

عصرت من مطارف الألم الدا وى بقلبى وعتقت فى دمائى

تخِذتْ جامها المحاجر والسا ق همًّا يؤج فى أحشائى

هى أشهى إلى عيونى من النو ر ، وأبهى من لمحة الأنداء

هات ياليل قطرها فهى حيرى كتمت برحها من الكبرياء

فانظر كيف يصور الدموع خمراً عصرت من قلبه موطن آلامه ثم اتخذت لها مسرى دمائه دناناً تعتق فيها ، ثم صبت فى كؤوس من محاجر العيون ، يقوم على سقيها ساق من الهم يضطرب فى الأحشاء ... ثم انظر كيف يستقطرها الليل لتترقرق مستورة حيرى فى عزلة الليل وقد برح بها الكتمان لأن الكبرياء أبت عليها الظهور فى وضح النهار . وإن كان قد شاب هذه الصورة بفساد فى بعض التصوير ، فقد قال «عصرت من مطارف الألم» فجعلنا نتمثل امرأة حاسرة عن ذراعيها أمام طست الغسيل تعصر تلك المطارف والأثواب ...

وهاك مزهراً تتكون أوتاره من الأهداب وتحدث أنغامه من رنين البكاء :

همسها فى الجفون أصداء ناى بلعت شدوه رياح المساء

مزهر للعيون أوتاره الهد ب ... وأنغامه رنين البكاء

يستعذب الشاعر دموعه ويطرب من ذرفها فيصورها فى الجفون هذا التصوير الرائع ... كصدى الناى البعيد تسترك شدوه الرياح فلا يصل إلى السمع منه إلا كالهمس... هذه — من غير

شك — دموع شاعر يتمنى على تسكابها فيبدع ويطرب

وهناك فى ذلك الظلام السائد يرزح تحت أثقال الليل كوخ :

رجفت شمعة بجنبيه تهفو في دجاه كالمقلة المعشاء
خنق الليل نورها خنقة البؤ س لأرواح أهلها التعساء

إنك لتشعر بالروعة حيال هذا المنظر : كوخ يعانى ضوء شمعته الخافت من الظلام ما يعاني أهله من البؤس

وأبرز شيء فى شعر شاعرنا اللمعة الذهنية المتألقة حتى إنه ليُذهل بها عن كثير مما لم يمسه التنقيح والتهذيب ، فهو بذلك يختلف عن شعراء يعاودون كلامهم بالصقل ويتناولونه بالتشذيب فيخرج سليماً مثقفاً ، ومع ذلك ليس فيه من المفاجآت الشعرية ما يملك الحواس ويؤثر فى العواطف

وقصيدة « ثورة الاسلام فى بدر » تدل على اقتدار الشاعر على استيحاء الحوادث أروع معاني الحياة وانتزاع المغزى الفنى من الوقائع المادية ، فهو يتعرض لمواقف غزوة بدر تعرض شاعر يزجي الحقائق ملونة بخواطره ، ويبرز ما يرى إليه فى أبرع الصور حتى لقد جاءت هذه القصيدة ملحمة صغيرة رائعة . استمع إليه ينطق الأصنام بالحديث عن الاسلام :

سجد (اللاتُ) مؤمناً ! وجثا (العز ى) يناجى (مناة) يا صاح أبشر !
هلّ فى ساحنا وميض من النو ر غريب اللماح ، خاف التصور
ذره أرعد الصفا ! وأحال الصـخور روحاً يكاد فى الرمل يخطر
لا من الشمس فيضه فلكم شعـت علينا فلم ترع أو تبهر
لا من النجم لمحه .. فلكم لا ح كثيب الضياء وهنان أصفر
قد نسخنا به ! ومن غابر الدهـر نسختنا البلى ولم تتغير
ألمونا .. وعفروا — وهم الصيـد — علام على ثرانا المعفر
سر بنا يا (مناة) نخشع جلالا لسنا النور ... عله اليوم ينفر
عجباً ! خرت المحاريب والأصـنام دكا .. والعبد مازال يكفر !

وشاعرنا فنان يصرف الكلام تصريف اللبق ، يقول فى جلالة الملك :

سجدات وجه مشرق نضح التقى فى كل ما لمحت به سيماؤه
لو راءه عاني المجوس تخشعت للنار من غى النهى أعضاؤه
لا نحاز فى ركب النبي ، وناره نور تدفق فى الصلاة ضياؤه

استطاع — بمهارة فى التعبير — أن يحول المجوسى من غيه فى عبادة النار إلى الاعجاب بنور الهدى

تلك بعض خصائص الشعر فى ديوان « هكذا أغنى » وذلك بعض ما تغنى به فأطرب ... وقد ألممنا إلى مآخذ فيه (وهي النشاز) يقتضينا الإنصاف أن نسوق من الدلائل عليها :

يقول فى قصيدة « يوم التاج » يصف مغنياً فى حفلة عابدين الساهرة :

وقف المغنى فى حماك مجلجلا باللحن تخفق فى الورى أصداؤه
فيه من الأقدار وهلة غيبها خبأته عن لمع الحجا أطواؤه
ومن الكتائب أرزمت أسلاتها صخب يزمجر بالفتوح نداؤه
ومن الواكب هولها فى فيلق نشوان فى يوم الفخار لواؤه

فأى مغن هـذا المجلجل الذى اجتمعت فيه وهلة الأقدار وصخب الكتائب . وهول الفيالق ؟ ! إن هذه الصفات المروعة لا تصطلح على مغن ولو كان من (مطربى) محطة الاذاعة اللاسلكية بالقاهرة ...

يقول فى قصيدة « الذهول » :

أم بلبل تحت ظـلال النخيل أسكره الصـدح
فنام ... واستلقى عليه الأصيل والظـل والدوح !

فاذا تصورنا استلقاء الأصيل أو الظل على البلبل بمعنى وقوع الظلال عليه ، فكيف تستلقى الدوح على ذلك المسكين دون أن يرديه هذا الزحام الثقيل ... ؟

ويقول فى هذه القصيدة :

الوجه ساج كصلاة الغدير ... ... بين الطيـور

فكيف يصلى الغدير بين الطيور ؟ لعله يريد (صلاة) الطيور على الغدير بحومها منه ، فقلب التعبير ، كما فعل فى مطلع قصيدة « عارية ستانلى باي » إذ قال :

من علم البحر لجاج الهوى وأترع الحب بشطآنه

فما أرى للشطر الثانى معنى مستقيما إلا على (القلب) كأنه يريد : وأترع شطآنه بالحب ، وإلا فما معنى أن الحب ملء بشطآن البحر ؟ ليس هذا إلا تخرق الثوب للمسمار !

يقول فى قصيدة : « دمعة فى قلب الليل »

لا منى فى هواه خال من الهـ م بليد الفؤاد جمُّ الغباء

ردَّ عنى يا ليل دعواه ... إنى كدت من لومه أحطم نائى

وهو — بطبيعة المعنى — يقصد من (نائى) الناى ، ولكن القافية الهمزية العصيّة جنت على الناى فهمزته ولزته ... ولست أدرى لماذا لم ينتفع الشاعر بهذه الكلمة (ناه) التى اخترعها — فى تصريع قصيدة « يوم التاج » إذ قال فى المطلع :

شاديك من قصب الفرادس نايه ومن السنا والطيب علّ غناؤه

ولم يقل (ناؤه) بدل (نايه) ؟ لعله لم يرد استغلال الاختراع كثيراً ، فاقتصر على حاجة القافية الماسة ، أما التصريع فأمر فواته أهون ..

يقول فى قصيدة « من لهيب الحرمان » :

رب ومض من لحظ عينيك ساج فجر الوحى من سنا لمحاتك

ومض لحظ العينين هو سنا اللمحات ، فكيف يفجر ومض لحظ العينين الوحى من ومض لحظ العينين ؟

يقول فى قصيدة « الذهول » السالفة ، ويظهر أن الشاعر قالها فى ذهول :

وذاع من جفنيك فيها عبير ... ... دام حسير

إذا أكرهنا المجاز على تقبل ذيوع العبير من الجفنين ، فأى ذوق يسيغ وصف العبير بأنه دام ... ؟

تقدم فى أبيات من قصيدة « دمعة فى قلب الليل » قوله :

عصرت من مطارف الألم الدا وى بقلبي وعتقت فى دمائى

والمقصود هنا كلمة (الداوى) فهي من الأغلاط الشائعة لأن الفعل الموجود لهذا المعنى (دوِّى) بالتشديد وليس هناك (دوى) ثلاثياً حتى يجىء منه (الداوى)

الشاعر مغرم بكلمات يرددها كثيراً مثل الغناء واللحن والناى وما إليها ، حتى إنه فى قصيدة واحدة هي قصيدة : « هكذا أغنى » أطال استخدام مادة واحدة هي : (غنى يغنى) وصاغ منها ثمانى قواف ...

وبعد فإن ديوان : « هكذا أغنى » زاخر بالشعر النابض بالشباب ، يتمثل فيه جلال التخيل ، وقوة العاطفة ، وتألق الشاعرية ، والقدرة على استخدام تعابير حية ؛ والواقع الغريب أن استشراء الصفات الثلاث الأولى يؤدي بالشاعر إلى الاندفاع الجارف . والأستاذ محمود حسن إسماعيل لا ينقصه — ليكون فى شعراء الذروة — إلا أن يعاود ما ينشده بالصقل والإصلاح

عباس حسان خضر

مقالة الأستاذ قطب

جاءتنا مقالة الأستاذ سيد قطب متأخرة فأرجأناها إلى العدد القادم .



التلفزيون في دور السينما

نشرت إحدى المجلات السينمائية الانكليزية بحثاً عن التطورات السينمائية التى ينتظر أن يمتاز بها العهد السينمائى الجديد فقالت إن (التلفزيون) هو أهمها وأقربها إلى أن يكون حقيقة واقعة فى العام القادم. والتلفزيون جهاز لالتقاط إذاعات لاسلكية صوتية وبصرية فى وقت معاً. ولاشك أن احتواء البرامج السينمائية عليه هو خطوة كبيرة فى سبيل إبلاغ السينما إلى المستوى (العلمى) المنشود. ولكن هل التلفزيون من الوجهة (الفنية) يعتبر تحسيناً للسينما؟ وهل يمده الجمهور ميزة فيزداد إقبالا على الدور التى يحوي برامجها شيئاً منه! يقول الفنيون إن التلفزيون لا يمكن أن يعد تحسيناً، لأنه سيقتصر على بضعة مجموعات من الاذاعات المنقولة — صوتاً ونظراً — لتحل محل «الجريدة السينمائية» والطبعات الأخيرة من الجرائد السينمائية الناطقة، ليست فى الواقع إلا إذاعات ناطقة مصورة، وفيها نرى «المشاهد» على الشاشة أهم الحوادث العالمية الجارية كما نسمع أشهر الخطب و «الاستهلالات الموسيقية» التى تصنع من أجل التمهيد لهذه الخطب وخلافها ...

فاذا كان ما قرأناه صحيحاً، وهو أن البرامج اللاسلكية المصورة سوف تقتصر إذاعتها على دور السينما الكبيرة ولن يكون فى مقدور من لديه جهاز للتلفزيون أن يتلقاها على الشاشة المنزلية فلماذا يعد احتواء البرامج السينمائية على بضعة إذاعات لاسلكية مصورة تطوراً جديداً فى صناعة السينما، بعد ما ثبت أنه لاجديد فيه وأن محطة أو محطات معينة هي التى سوف تقدم لدور السينما فصوله اللاسلكية المصورة، سواء أكانت مصنوعة أو مأخوذة من الطبيعة مباشرة؟!

إن التلفزيون على النحو السابق إنما يعد تقدماً أو تحسيناً فى «طرق العرض السينمائى» لا فى «صناعة السينما» ذاتها..!

فى السينما المحلية

يكاد النقاد السينمائيون فى مصر أن يتفقوا على أن شركاتنا السينمائية قد استطاعت أن تخطو بالفلم المحلى الخطوات الابتدائية التى جرت العادة بأن تكون متعبة يبذل فيها من الجهود أضعاف ما يبذل فى الخطوات التى تليها

وبدهى أن فيما أخرجت شركاتنا المحلية أخطاء كثيرة. ولا غرو فالأفلام تخرج — فى مصر وغيرها — وفقاً لأصول جملة فنون وصناعات عملية لا يملك الانسان أعنتها إلا بعد المران، ونحن لا نزال ناشئين فى هذه الصناعة. لذا وجب على الناقد أن يساهم فى توجيه الجهود الفنية الوجهة المنتجة

وأول ما نريد أن نلفت النظر إليه هو ضرورة التخصص. فالشركة الصغيرة ينبغي لها أن تتخصص فى نوع معين من الأفلام والممثل السينمائى يحسن به أن ينصرف إلى تمثيل نوع معين من الأدوار أو الروايات، والمخرج الذى ينتظر له النجاح والاجادة هو الذى يقتصر على إخراج نوع معين من الروايات وبطريقة معينة

والواقع أن نظام التخصص قائم عندنا إلى حد ما، ولكن فى الشركات التى تتولى إخراج أفلام خاصة، كشركة الأستاذ محمد عبد الوهاب التى تخرج الأفلام الغنائية التى يكون هو بطلا لها، وكشركة يوسف وهبي التى تخرج أفلاماً درامية من النوع العنيف يكون هو بطلها، وكشركة لوتس فيلم التي تخرج أفلاماً من نوع الفودفيل الدرامى الضاحك يقتصر تمثيلها دائماً على الثلاثى الفنى آسيا وجلال ومارى كوينى ...

ولكنا نريد أن يعم هذا النظام شركاتنا الكبيرة ذات الأموال الكبيرة، كاستوديو مصر مثلا، وكالشركة الكبيرة الجديدة التى أنشأها الأستاذ احمد سالم

ونظرة واحدة إلى الأفلام الأمريكية تكفى لأن يسلم الجميع بأن التخصص هو العامل الأول والأهم فى نجاح الشركات والنجوم كذلك

«سينمائى»

طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين



الرسالة
مجلة اسبوعية ... العلوم والفنون
العدد ٣٦٨
السنة السادسة

6 me Année, No. 268

Lundi - 22 - 8 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العــدد ٢٦٨ «القاهرة في يوم الاثنين ٢٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٧ — ٢٢ أغسطس سنة ١٩٣٨» السنة السادسة

الفهـرس

تفريع على البقيـــــة

للأستاذ عباس محمود العقاد

في أوربا تقل قيود المرأة وتقل قيود الفنان ، ولكننا يندر أن نرى امرأة ممن عاشرن الأدباء ورجال الفنون على شرط الجمال الأوفى عند أولئك الأدباء والفنانين ، وهم كما نعلم نقاد الجمال وخلاقو المقاييس والآراء فيه

وقد رأينا صور النساء اللواتي عاشرن بيرون وجيتي ودانتزيو، وهم قبل كل شيء من طبقة النبلاء أو يعيشون في تلك الطبقة وينتقلون حياتهم بين الأمراء والأميرات ، وهم بعد هذا شعراء «عاليون» استفاضت شهرتهم في البلاد الأوربية وغير الأوربية، وهم بعد هـذا وهذا أرفع أمثالهم ذوقاً وأدباً وقدرة على انتقاء صنوف الجمال ، ومنهم من لعب بالمـال لعباً وساح في الأرض وهام بالنساء

ومع هذا يندر كما قلنا أن تجد بين حبائبهم وموصوفاتهم من هي على شرط الجمال الأوفى عندهم وعند من يشابهونهم ويتوسلون بأشباه وسائلهم

وسبب ذلك معروف لا ينبغي أن نستغرب به ولا أن نحار في تعليله ، فان الدواعي التي تدعو الرجل إلى المرأة أو تدعو المرأة

إلى الرجل كثيرة غير الجمال فى صفاته العليا ، فنها الذكاء، فقد تكون المرأة ذكية وهى قليلة الحظ من الجمال، أو غبية وهى أجمل من ترى العيون ؛ ومنها العطف ، فقد ينجذب الرجل إلى المرأة ، العطوف وينفر من المرأة الشموس وهى سيدة النساء فى جمال الوجوه والأجسام؛ ومنها المركز الاجتماعى، ومنها الرغبة الجنسية، ومنها الغرابة التى تستهوى الرجال حين لا تستهويهم المحاسن والأخلاق ؛ ومنها التنافس على الغلب كما يتنافس الفرسان على قصبة وهى من سقط المتاع

فاذا وصف الشعراء امرأة أو أحبوها فليس باللازم أن تكون هذه المرأة طرازهم الأعلى فى محاسن النساء وشرائط الجمال بله الطراز الذى يتفق عليه جميع الناس، وتتلاقى عنده جميع الآراء، وتتوافق لديه جميع الفلسفات . وإذا قلنا إن الجسم الجميل هو الجسم الذى لا فضول فيه والذى يحمل كل عضو من أعضائه نفسه غير محمول على سواه ، ثم رأينا ألف امرأة على غير هذه الصفة ممن أحبهم ملوك الذوق وأساتذة الفنون فليس ذلك بمانع صحة التعريف ولا بناقض صواب الرأى ، لأن « ملوك الذوق وأساتذة الفنون هنا» كالقاضى خارج الجلسة ، أو كالقاضى الذى بينه وبين المدعين قرابة واتصال

وهذا بين الأوروبيين على ما عندهم من حرية وثقافة ذهنية ورياضة بدنية وعلوم صحية ومعارض يومية وتاريخية ، فكيف بأعرابى فى البادية يقولها كلمة عائرة ولعله لا يعنى ما يقول !!

قلنا فى مقالنا السابق « بقية الذهب » :

« لقد وصف بعض الأعراب نساء « محبوبات » فاستملحوا الضخامة ومدحوا الكسل وبطء الحراك، وافتتن أميرهم بمذارى قال فى وصفهن ما يقال فى وصف الفيلان :

وظل المذارى يرتمين بلحمها ‏ ‏ ‏ وشحم كهداب الدمقس المفتل

نعوذ بالله »

وكتب (القارىء) الفاضل فى الرسالة يقول إن امرأ القيس يستحسن فى المرأة ما يستحسنه الأستاذ العقاد النقاد ويستقبح ما يستقبحه وهو يقول فى معلقته :

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ‏ ‏ ‏ ترائبها مصقولة كالسجنجل

... يعنى امرأة دقيقة الخصر ضامرة البطن غير عظيمة البطن ولا مسترخية ، وصدرها براق اللون متلألىء الصفاء تلألؤ المرآة . فأمير الاعراب ونائب الأمة فى دار الندوة الأستاذ العقاد فى قضيتهما فى الحسان سيان ... »

فأحب أن يذكر (القارىء) الفاضل أن امرأ القيس قال أيضاً :

إذا ما بكى من خلفها انصرفت له ‏ ‏ ‏ بشق ... ... إلى آخر البيت

وهذا ما ليس يقال فى امرأة على ما وصف فى البيت الذى استشهد به

وقال أيضاً :

إذا قلت هاتى نولينى تمايلت ‏ ‏ ‏ على هضيم الكشح ريا المخلخل

وامتلاء الساق مع دقة الخصر ليس من الصفات المتفقة فى نماذج الجمال

ثم نقض قوله حين عاد فقال ، إن كان عاد أو إن كان قال :

وكشح لطيف كالجديل مخصر ‏ ‏ ‏ وساق كأنبوب السقى المذلل

ثم قال :

وتضحى فتيت المسك فوق فراشها

نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

فهو يستحسن الكسل والتراخى ، وكثرة النوم ، والترامى بالشحم واللحم وليس ذلك مما يستحسن فى رشيقات النساء

وقال امرؤ القيس فى غير هذه القصيدة :

إذا ما الضجيع ابتزها من ثيابها ‏ ‏ ‏ تميل عليه هونة غير مجبال

كحقف النقا يمشى الوليدان فوقه ‏ ‏ ‏ بما احتسبا من لين مس وتسهال

وأين هذا من الجسم الذى لا فضول فيه ؟

فلو أن (القارىء) الفاضل ذكر هذا وما جرى مجراه من الشعر الذى قاله الشاعر أو نسب إليه لعلم أن صاحبنا فى علم غير عالم التعريف بالجمال المثالى أو المذاهب الفنية فيه ، بمعزل عن أهواء الفنانين ، ولعلم كذلك لماذا وضعنا كلمة « محبوبات » بين قوسين قبل أن نسمع منه مثل هذا الاعتراض ، فان وصف الرجل لامرأة يحبها ويستمتع بها غير وصف الفنان للجمال الخالص أو لصفاته التى تبلغ مبلغ الكمال ، والتى تدركها القرائح ممنى من المعانى كمعنى البيت والصورة والنشيد والتمثال

ومصداق ذلك أن كاتب هذه السطور وصف امرأة محبوبة فى رواية سارة :

« هي جميلة لا مراء . ليست أجمل من رأى همام في حياته ، ولا أجمل من رأى في أيام فتنته وشغفه ، ولكنها جميلة جمالاً لا يختلط بغيره في ملامح النساء . فلو عمدت إلى ترتيب ألف امرأة هي منهن لنظمتهن واحدة بعد واحدة في مراتب الجمال المألوف ، ونحيّت سارة عن الصف وحدها ... فما فم الطفل الرضيع لولا ثنايا تخجل العقد النضيد في تناسق وانتظام ، ولها ذقن كطرف الكمثري الصغيرة، واستدارة وجه، وبضاضة جسم لا تفترقان عن سمات الطفولة في لمحة الناظر ؛ وبين وجهها النضير وجسمها الغضير جيد كأنه الحلية الفنية سبكت لتنسجم بينهما وفاقاً لتمام الحسن من كليهما ... لو تكفل بها مدير معهد من معاهد التجميل الحديث لخفف شيئاً من قوامها الرواح بين الربعة والطويل قبل أن يبرزها في معرض الرقص والرشاقة . ولو تكفل بها قهرمان القصر عند كسرى أو عبد الحميد لما ضاره أن يزيد فيها حيث ينقص زميله الحديث قبل أن يزفها إلى الشاهنشاه »

فالمرأة المحبوبة شيء والمرأة الموصوفة على مثال الجمال في معانيه المجردة شيء آخر

وامرؤ القيس لم يحبب قط امرأة على مثال الجمال ، وإن كان قد وصف من النساء شمائل محمودة عند من ينظرون إلى ذلك المثال. ولعله فطن لهذه الشمائل بذوق الحاضرة وذوق الامارة ، لا بذوق الاعراب في عماية الجاهلية . ولو أنه تعمد أن يرسم للأنوثة مثالا موافقاً لمعاني الجمال بمعزل عن المتعة أو عن الرغبة الجنسية لأعياه المطلب ، لتخلف الأوان وندرة الأسباب

سألني سائل : أولا تكون المرأة إذن جميلة على شرط الفن والرياضة الحديثة إلا أن يكون وزنها قنطاراً أو دون القنطار ؟

وجوابنا الذي نطمئن به الكثيرين على عجل : كلا ! قد تكون جميلة ووزنها قنطاران ، إذا تهيأ لامرأة أن تبلغ من الطول والجسامة ما تزن به القنطارين في غير فضول واسترخاء

وستتلو هذا المقال « حاشية على التفريع » نتم فيها ما ينبغي إتمامه من هذا البحث الذي لا فضول فيه !

عباس محمود العقاد

مائة صورة من الحياة

للأستاذ علي الطنطاوي

٣ – مجنون

أصبحت اليوم خاثر النفس لَقِساً ، فتركت عملي وركبت (الترام رقم ٦) الذي يجوز بداري ثم يذهب فيخترق (الغوطة الشرقية) – حديقة الأرض – حتى ينتهي إلى (دوما) . فنزلت على ابن عم لي فيها طبيب، فلم يرَ أبلغ في إكرامي من أن يحملني بسيارته إلى (القصير) فيجمعني بإخواننا الكرام ساكني تلك الديار . ولم يكن الدخول إلى (القصير) سهلا ولا ميسوراً ، وما كنا نطمع أن يؤذن لنا به ، فجعلنا نطيف بتلك الحدائق الواسعة الجميلة فما راعنا إلا القوم قد ملأوا الحدائق ، خارجين إلى النزهة والعمل فجعلنا نكلم من نراه منهم من وراء الدرابزين فنسمع عجباً كما نرى عجباً . فمنهم من هو نائم على وجهه ؛ ومنهم من هو قائم على رجل واحدة ؛ ومنهم من يرسم في الهواء دوائر وهمية ، ويكلم أشباحاً لا ترى ؛ ومنهم من هو باك منتحب ثم لا يلبث أن يضحك حتى يكركر من الضحك ... وما ظنك بسكان القصير ؟

وكان أعجب ما شهدنا من العجب رجلا عارياً إلا من خرقة تستر عورته ، ولحية له طويلة عريضة تبلغ والله سرته وتحجب صدره . حقيقة أقول لا مبالغة ولا مجازاً ، قد انتحى ناحية من حدائق (المارستان) ثم مشى فيها مقبلا مدبراً متبوّعاً عجلا ، فقلت لابن عمي : تنح بنا عنه وتنكب طريقه ، فربما بطش بنا ... وإني لأرى جسما قوياً ، وعصباً مشدوداً ، وما في كل من رأينا (أو ما رأينا فاننا نتحدث عن المجانين) من هو أظهر منه جنوناً ، وأبدى حماقة ...

قال : عجباً منك ! هذا الشيخ فضل الحموي !

قلت : بل منك والله العجب ... أتراني سائلا إذا هشم أنفي وهتم أسناني ، أفعل ذلك الشيخ فضل الحموي أم الشيخ محمد المغربي ؟ حسبي منه أنه مجنون ... فعدّ بنا عنه !

قال : إذن يذهب سعيي باطلا ، فما حملتك في السيارة وجئت

بك إلى هذه أديار ، إلا لأريك الشيخ فضلاً الحوى ؟

قلت : دعني . فلقد رأيت مجانين كثيرين ، شباناً ومشايخ ، وأدباء وعلماء ، وعاشقين ومعشوقين ، ولم يبق لى فى رؤية مجنون أرب ... وإنه غدا أربى فى رؤية عاقل

قال : هذا هو الذى تريد ... هذا رجل يتظاهر بالجنون ، وهو أعقل من العقلاء

قلت : أو يكون هذا ؟ أئذا لم أجد فى المدرسة والكلية عاقلاً والسوق والنادى أجده فى (البيمارستان) ؟

قال : نعم ، تعال انظر

فأقبلنا نميل إليــه . فلما رأى السيارة مقبلةً قال مالا يفهم ، وأشار بيديه وأبدى سيما المجانين، فنظرت إلى ابن عمى وابتسمت، فأشار لى أن أنتظر؛ ونادى الرجل باسمه، فلما عرفه هدأ، وقال له: هذا أنت يا فلان ؟

قال : نعم . وهذا الشيخ ... (وسمّانى)

فنظر إلىّ وابتسم ، فظننت أنه قائل لى مقالة كل (عاقل) يلقانى: أين السمة واللحية والشارب؟ كأن الشيخ لا يكون شيخاً إلا بهذا ؛ ولكن (المجنون) لم يقل شيئاً . فقال له ابن عمى : ألا تعجب منه شيخاً حليق الوجه حاسر الرأس ؟

قال : ويحك يافلان ! ألا تعلم أنها إذا اتصلت الأرواح ، بطلت الأشباح ؟

وأفاض فى كلام مثل هذا بلغة صحيحة وإلقاء متزن ، فقلت فى نفسى هذا من (عقلاء المجانين) الذين ألف فى أخبارهم أبو القاسم الحسن بن محمد النيسابورى رحمه الله ، ولست آمن أن تدركه الآن جِنته فيؤذينا ، ووقفت حذراً ...

فلما انتهى قال له ابن عمى وقد امتد إلينا الظلام ونحن فى ظلال الأشجار

ألا تسير بنا إلى النور ؟

فقال لنا وهو يضحك ، وما رأيناه إلا ضاحكا :

لولا أننا هنا لقلت لكم (إن نوركم كاف) ولكن مثل هذا (النفاق) لا يقال هنا ...

فقلت : ولِمَ ؟ أولا ترى لنا نوراً ؟

فقال : إن فى كل كائن نوراً وجمالا ، ولكن العيون المدركات قليل ... إن الناس جميعاً يؤخذون بجمال القمر ، ولكن الشمس لا يؤخذ بجمالها إلا من كان له عين تصبر على نورها . ولذلك كان الشمسيون من الناس (والتعبير له) أقل من القمريين وأندر ؛ وهؤلاء هم الكبار من الصوفية ، فإذا جازوا مرحلة الشمس ونفذوا منها إلى منطقة السديم استوى عندهم جمال القمر وجمال النجم ، واستوت عندهم الظلمة، والنور لأنهم بلغوا مرتبة الفناء فى الموجد ، فلم يبالوا بعد بالموجودات ...

وتكلم فى مثل هذا أكثر من ساعة كلاماً ما سمعت مثله ولا قرأته ، وفسر آيات ، وتمثل بأبيات ، وذكر نظريات العلماء المحدثين حتى أدهشنى والله ، وكاد يمضى فى كلامه إلى الليل لولا أن قرع الناقوس ليدخلوا فودعناه وقلت له : لقد استفدت منك

فضحك وقال : لا ترفع صوتك فيسمعك أحد

قلت : ولِمْ ؟

قال : ولِمْ ؟ أعاقل يستفيد من مجنون ؟

وكان الحارس قد وصل ، فلما رآه الشيخ فضل غمزنى بعينه وعاد يقول مالا يفهم، ويشير إشارات المجانين ، فدعوت الحارس فسألته :

ما هو جنون هذا الرجل ؟

قال : أما ترى ؟ أما ترى لحيته وعريه ؟

قلت : بلى ، فماذا فى العرى ؟ أليس الرجال جميعاً والنساء على ساحل الاسكندرية وحمامات بيروت على مثل عريه ؟ ألا يتكشف (الكشافة) دائماً ؟ أما اللحية فقف فى السوق وانظر كم ترى من لحية . فلم أمسكتم بهذا وحده دون أولئك ؟

قال : هذا يقول بأن كل شىء هو الله . أما هذا جنون ؟ أما هو كفر ؟

قلت : من حسن حظ الشيخ محي الدين بن عربى أنه مات قبل افتتاح مستشفى القصير !

قال : إنه يتكلم ساعات فلا يفهم عنه أحد

قلت : كذلك كل الفلاسفة وكذلك أكثر المعلمين..

قال : ويسكت أحياناً يومين كاملين

قلت : هذا من العقل ، هذا ...

فنظر إلى الحارس نظرة فهمت منها أنه يعجب منى كيف لا أدخل المستشفى وأكون من أهله ؛ فأسرعت بالهرب قبل أن يقبض على بتهمة الجنون ...

« دوما » علي الطنطاوي

الدين والأخـــــلاق

بين الجديد والقديم

لأحد أساطين الأدب الحديث

الظاهر أن الأستاذ النمراوي رجل حسن النية صادق السريرة. وقلت الظاهر لأني لا أعرفه؛ ولا أريد أن أتعرض لنقده ما يسميه المذهب الجديد، ولا للنزاع الثائر بين أنصار الرافعي وبين أنصار العقاد . ولو كان الأستاذ قد اكتفى بالنقد الفني وقصره على ذلك النزاع الفني لسلم من بعض الهفوات التاريخية والاجتماعية؛ فقد قال إن نزعة التجديد يرجع أولها إلى نحو ثلاثين سنة ، وقد ذكر فيما ذكر من التجديد أخذ الآراء الأوربية ، ولم يكتف بذكر ما أخذ منها مما هو في باب الآداب، بل ذكر أيضاً ما اقتبس من النظم والمبادئ الاجتماعية . وهذا الوصف الشامل للتجديد لا ينطبق على نزعة بدأت منذ ثلاثين سنة ، وإنما ينطبق على النزعة بوجه عام منذ جاء نابليون إلى مصر ، ومنذ عهد محمد على باشا وإسماعيل باشا ، ومنذ أدخلت المطابع وأرسلت البعوث العلمية واقتبست القوانين المدنية ، ونظمت المحاكم الأهلية التي صارت تحكم بغير أحكام الشريعة الاسلامية ، وكثر نقل الكتب إلى العربية. والأستاذ النمراوى يعيب على المجددين أنهم يريدون رفض بعض أحكام الشريعة ، ويذكر كيف أن بعض الكتاب يحبذ منع تعدد الزوجات. ويقول الأستاذ إن للدين وحدة تامة فلا يجوز أخذ بعضه وترك بعضه . ويا حبذا لو أن الأستاذ كان قد فصّل هذه الناحية من التجديد في مقال مستقل عن النزاع على التجديد في معاني الشعر والنثر، إذ ما صلة الدين قاموا بانشاء المحاكم الأهلية وأحلوا أحكامها محل الشريعة الاسلامية ، وما صلة الذين يريدون منع تعدد الزوجات ومنع الطلاق، بمعاني شكسبير والمتنبي وملتون وأبي العتاهية مثلاً ، ولعل أكثرهم كانوا لا يهمهم النزاع الفني الأدبي مطلقاً . نعم إن الدين والأخلاق لها مظاهر في الشعر والنثر فكان ينبغي للأستاذ النمراوي وقد حكم للمذهب القديم أنه قوام الدين والأخلاق ، وحكم على المذهب الجديد أنه بؤرة الالحاد والمجون ، أن يثبت هذا الزعم فينفي عن شعراء المذهب القديم كل كفر والحاد ومجون، وينفي عن شعراء المذهب الجديد كل تدين وإيمان بالفضائل مستشهداً بأقوالهم من شعر ونثر فان هذه هي الطريقة الفنية للمفاضلة بين المذهبين من حيث الدين والأخلاق. وإن لم تخني الذاكرة فان الأستاذ قد لخص المذهب الجديد في الأدب بأنه نزعة تغليب دين على دين. وإذا كان لهذا القول معنى فمعناه أن أدباء المذهب الجديد يريدون تغليب الديانة المسيحية على الديانة الاسلامية. فاذا لم أكن مخطئاً في هذا التفسير كان واجباً على الأستاذ أن يقيم الدليل على أن أدباء المذهب الجديد يريدون تغليب دين على دين، وقد نسى الأستاذ أن كثيراً من مظاهر الحضارة الأوربية الحديثة لا علاقة له بالمسيحية التي هي دين أكثر الأوربيين ، أو لعل الأستاذ قد أراد أمراً آخر لم نفهمه. ولو رجع الأستاذ إلى العصر الذي كانت فيه النزعة الدينية المسيحية متغلبة في أوربا وهو عصر القرون الوسطى عصر الزهد والرهبنة والتقشف لعلم أن المحافظين من رجال الدين والكتاب كانوا يخشون على الدين والأخلاق من غزل العرب ومجون شعرائهم وقصصهم ومن حرية أفكارهم في المسائل الدينية والكونية، وكانوا يرمون الأدب العربي بالإباحية في الأخلاق، وكانوا يلومون الآباء الذين كانوا يرسلون أبناءهم إلى مدارس البلاد العربية كالأندلس وصقلية؛ فلم يكن عداؤهم للكتب العربية الدينية فحسب ، بل كان عداؤهم للكتب الأدبية العربية والفكرية أشد. وموقف هؤلاء المحافظين من الأدب والفكر العربي كان شبيهاً بموقفهم من الأدب والفكر الاغريقي القديم . وهذه الحقيقة ينبغي أن تنبه الأستاذ إلى أن الدولة العربية الاسلامية لم تلبث على الفطرة السليمة وعلى حالها من الأدب كما كانت في صدر الاسلام مثلا بل دخلها الترف وتفشت فيها ملاذ الحضارة وكثر المجون في أقوال الشعراء والكتاب وبقيت أصناف المجون والالحاد مخطوطة إلى عهد أن دخلت المطابع البلاد العربية الاسلامية . ولا أحسب أن أهلها كانوا على فطرة يخشى عليها من تلك الكتب فان حالة الأخلاق في عهد دخولها لم تكن أرقى مما هو موصوف في تلك الكتب إلا في أوساط محدودة معروفة بالنزاهة والعفة والاستقامة وصدق القول والعمل؛ وكان يضرب بها المثل؛ وكانت كالشامة البيضاء تنمت نفسها لوضوحها في الجلدة السوداء. ولا تنس

أن البدو كانوا بطبيعتهم يكرهون الضوابط والروادع أية كانت، فسرعان ماحثتهم الحضارة ولذائذها على التحلل من روادع الدين. وقد بدأ المجون يعود إلى استفحاله بعد عهد قريب من صدر الاسلام، وبلغ أشده فى الدولة العباسية، وكان مصحوباً فى كثير من الأحوال بالكفر والزندقة والالحاد، وكان كل منهما فى بعض الأحايين مستقلا عن الآخر، فقد كان بعض الملحدين من أشد الناس زهداً ومحافظة على الفضائل كما كان المعرى مثلا

يقول الأستاذ إن المذهب الجديد فى الأدب الذي يقول عنه الأستاذ إنه بدأ منذ ثلاثين سنة خطر على الأخلاق والدين، فهل يستطيع الأستاذ أن يأتى بأبيات من شعر هذا المذهب الجديد فى شناعتها كأبيات ابن الرومى النونية التى يقول فيها:

صوت يد المجان فى المجين أو صوت رجلى عامل فى طين

وهى أبيات قد اختارها له السيد توفيق البكرى فى كتاب (صهاريج اللؤلؤ) الذى ألفه كى يقرأه الناس رجالا ونساء وفتياناً وفتيات، والبكرى كما يعلم الأستاذ الغمراوي كان شيخ السادة البكرية ورجلاً من رجال الدين والفضل ومن أدباء المذهب القديم، ولكنه لم يتحرج من إطلاع سيدة أو فتاة فاضلة على ما فى كتابه هذا من المجون الشنيع. ولأن يعطى الأديب من أدباء المذهب القديم أى قول قاله شعراء وأدباء المذهب الجديد لأخته أو لفتاة من أقربائه لتقرأه؛ لأصون لها ولأخلاقها من أن يعطيها كتاب صهاريج اللؤلؤ هذا إلا إذا طمس المجون قبل أن يقدم إليها الكتاب. وقد طبع الشيخ شريف جزءين من ديوان ابن الرومى فى أحدهما أرجوزة مطلعها: (رب غلام وجهه لا يفضحُهْ) وفيها يصف طرق اللواط فى أوضاع وأشكال مختلفة. وقد عنى الشيخ شريف بشرح لفظه ومعناه كما عنى السيد توفيق البكرى بشرح الأبيات النونية. والشيخ شريف كان مفتش اللغة العربية وأديباً من أدباء المذهب القديم، ولكنه لم يتحرج كما لم يتحرج البكرى من شرح وطبع هذا المجون وإيضاح معناه كى يقرأه ويفهمه الفتيان والفتيات. فأى أديب من أدباء المذهب القديم يرى أن يعطى أخته أو أخاه الصغير هذا الكتاب، أو أن يطلعهما على قصيدة ابن الرومى أيضاً فى (بوران). أو على ديوان أبى نواس أو على مافى كتاب الأغانى أو كتاب يتيمة الدهر للثعالبى من مجون لا تسمح أية دولة أوروبية بنشره، بينما أدباء المذهب القديم يشرحونه ويطبعونه ويستحلونه فى مجالس أنسهم ويضحكون تفكهاً به، حتى إذا جاء ذكر ما يسمي بالمذهب الجديد وأثر الأدب الأوروبى فيه أخذتهم رعدة الغضب وادعوا أن المذهب القديم عماد الأخلاق والدين، وأن المذهب الجديد بؤرة المجون والاباحية والالحاد. إن المسألة بسيطة والأمر هين. نستطيع أن نطبع على الناحية اليمنى من صفحات المجلة ما نجده من مجون وإباحية شعراء المذهب القديم فى العصور المختلفة حتى عصرنا هذا، وعلى هؤلاء الأدباء أن يقدموا ما يستطيعون أن يعثروا به من أقوال أدباء المذهب الجديد لتطبع فى الناحية اليسرى من المجلة. لا شك أن أدباء المذهب القديم يتهربون من مثل هذه المقابلة كل التهرب. وما يقال فى كتب المذهب القديم الأدبية يقال أيضاً فى كتب التاريخ. أنظر بالله إلى الأبيات التى زعموا أن مسيلمة الكذاب بعث بها إلى سجاح المتنبئة والتى فيها (وإن شئتِ... وإن شئتِ) كيف يستطيع أديب من أدباء المذهب القديم أن يطلع أخته أو بنته أو قريبة له من الفتيات على هذا الشعر؟

ثم انظر إلى ذكر الفحش وقصصه ونظم الهجاء فيه شعرا تجد أن ادباء مايسمى بالمذهب القديم فى كل عصر حتى عصرناهذا كانوا أكثر حظا منه. ولا أعنى جيمهم، ولكنهم حتى الأفاضل منهم قد وجدوا هذا الأسلوب من القول عادة صقلها الدهر وهون أمرها فأصبحوا لا يجدون خطرا على الأخلاق فى نظم الهجاء فحشا ولا فى التحدث عنه، ولكن الخطر كل الخطر هو تأثر الأدب العربى بنواحى القول كما وردت فى كتب الأدب الأوروبى.

وبعد فأى أدب أوروبى يعنون؟ لقد تقلبت على الدول الأوروبية عصور اتخذ الأدب فى كل منها نزعة خاصة، ولكنهم إذا تكلموا عن الأدب الأوروبي خيل للقارىء أنهم يعدون جميع الأدب الأوروبى فى عصوره المختلفة على طراز واحد وأنه مأوى المجون والاباحية والزندقة. إن عصور الأدب الأوروبى تختلف اختلافا يجعل بعضها أقرب إلى بعض الأدب العربى منها إلى

عصور أخرى من عصور الأدب الأوروبى، فالأدب الاغريقى فى سهولة معانيه وخيالاته أقرب إلى الأدب الجاهلى العربى منه إلى الأدب الرمزى الأوروبى الحديث. والأدب الأوروبى الحديث فى حرية الفكر أقرب إلى الأدب العباسى العربى منه إلى الأدب الأوروبى فى القرون الوسطى. فاذا كان بعض الأدب الأوروبى الحديث قد دعا بعض أدباء المذهب الجديد إلى إبهام الايجاز والصور المتداخلة بعضها فى بعض وإلى غموض الرمزية فقد ألف بعض أدباء المذهب القديم على هذه الطريقة فى إبهام الايجاز من غير أن يطلعوا على الأدب الأوروبى. أنظر مثلا إلى إيجاز الرافعى فى كتاب (حديث القمر) والكتب الأخرى التى كتبها، وكأنه لم يكتبها إلا لكى يثبت أنه يستطيع أن يزيد على معانى وصور أدباء أوروبا والمذهب الجديد وأنه أغنى منهم بمعانيه كما أنه أغنى منهم بأساليبه اللفظية الفصيحة العربية؛ ولكن فصاحة لغته العربية لم تخف الحقيقة الفنية، وهي أن الرافعى صاحب (حديث القمر) و(السحاب الأحمر) أقرب إلى أدباء الرمزية الأوروبيين منه إلى الرافعى صاحب كتاب (إعجاز القرآن). وإن بين أدباء المذهب الجديد من هم أقرب إلى الرافعى صاحب (إعجاز القرآن) وأقرب إلى أدباء العربية الأقدمين من الرافعى صاحب (حديث القمر) وأعنى القرب فى أسلوب التخيل وأسلوب عرض الصور الفكرية وكل صورة مستقلة غير متداخلة فى أختها. فاذا أراد إذاً ناقد أن ينتقد المذهب الجديد أو الأدب الأوروبى كانت الطريقة المثلى أن ينتقد ما يعيبه فيه على طريقة النقاد الفنيين فيبين الغث من السمين ويوضح أسباب حكمه على كل قول وكل أديب. أما أن يقول إن الأدب الأوروبى كأدب المذهب الجديد فاسد المعنى والخيال ينبو عنه الذوق العربى وتمجه الفصاحة العربية، وإنه مباءة المجون والاباحية والزندقة، فقول من لا يريد أن ينقد ولا أن تُقدَر قيمة ما يقول قدراً صحيحاً، ولا أعنى الأستاذ الغمراوى فان هذه أحكام شائعة. نعم إن بعض الأدب الأوروبى ولاسيما الحديث منه يحث أدباء العربية على بعض ما يخالف العرف والتقاليد الاسلامية، ولكن أليس فى أقوال شعراء العرب وأدبائهم فى كل عصر أشياء كثيرة تخالف العرف والتقاليد والآداب والأخلاق الاسلامية كما أوضحنا بالشواهد؟

ونعترف أن فى بعض الأدب الأوروبى الحديث ما يحث على الالحاد، ولكن أليس فى أقوال زنادقة الدولة العباسية وفى لزوميات رجل فاضل كالمعرى ما لا تسمح الحكومة بنشره لو أن أحد شعراء المذهب الجديد كان هو قائله؟ ولكن أقوال أدباء الدولة العباسية والمعرى أقوال صقلها الدهر واعتادها الناس فلا بأس من أن يتفكه بها أدباء المذهب القديم فى مجالسهم ولا بأس من نشرها وإيداعها مكتبات المدارس

وكما أن بعض الأدب الأوروبى أقرب إلى بعض الأدب العربى منه إلى عصور أخرى للأدب الأوروبى فكذلك بعض أدباء المذهب الجديد أقرب إلى أدباء المذهب القديم منهم إلى أدباء آخرين من أدباء المذهب الجديد، فأدباء المذهب الجديد اليوم أكثر حرية فى القول وأكثر نصيباً من الرمزية من أدباء المذهب الجديد الذين ظهروا منذ ثلاثين سنة

(قارئ)

جورجيـــــاس
او البيان

لأفلاطون

للاستاذ محمد حسن ظاظا

— ٨ —

« تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجل محاوراته وأ كلها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » الفلسفة ! »

« رينوفييه »

«إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائما وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »
٢ — جورجياس : السفسطائى : « ج »
٣ — شيريفين : صديق سقراط : « سه »
٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »
٥ — كاليكليس : الأثينى : « ك »[1]

ب — (متحديا سقراط) ماذا يا سقراط ؟ أعندك حقيقة تلك الفكرة التى شرحتها عن البيان ؟ أولا تعتقد أن الحياء قد أخذ جورجياس فلم يستطع أن ينكر أن الخطيب يعرف الخير والحق والجمال ، عندما أضاف إلى أقواله أنه إذا أتاه من لا يعرف هذه الأشياء فانه سيعلمه إياها بنفسه ؟ لقد نتج عن ذلك ما يحتمل أن يكون بعض تناقض فى كلامه فاتخذت أنت من ذلك مسرة لك ورحت تشغل الغير بهذه الأسئلة المسولة ! ولكن أتصدق أن من الناس من لا يصرح بأنه يعرف العدالة وبأنه يستطيع أن يعلمها الغير ؟ الحق أنه الذوق السقيم الذى قد طوح بالمناقشة إلى مثل هــذه الأرض !

ط — يالك من ظريف يابولوس ! وهل نريد الأصدقاء والبنين لشىء غير ذلك ؟ إنما نريدكم أيها الصغار لكى تقوموا أعمالنا وتصححوا أقوالنا عند ما تتقدم بنا السن وتزل القدم ! وها أنت ذا هنا لترد زلتى أنا وجورجياس إذا ما أخطأنا فى المناقشة لأن هذا هو واجبك . وأقول من ناحيتى إنك إذا وجدتنا غــير مصيبين فى الاتفاق على هذه النقطة أو تلك فانى مستعد للنزول على هواك إذا لاحظت شيئا واحدا ... !

ب — أى شىء ؟

ط — التقليل من هذا الاسهاب الذى بدأت به يابولوس !

ب — كيف ؟ أليس لى الحق فى الكلام باسهاب كما أشاء ؟

ط — ليكونن عارا عليك يابولوس العظيم أن تحضر إلى أثينا ـ وهى البلد الاغريقى الفريد الذى يسمح للناس بأ كبر قسط من حرية القول ـ فتحرم فيها بهذه الخاصــة ! ومع كل فضع نفسك موضعى ! : ألا يكون من حق ـ إذا رأيتك ترسل الكلام الكثير دون أن تجيب على أسئلتى ـ : أن أرثى لنفسى وأن آسف على عــدم السماح لى بالرحيل دون سماعك ؟ الحق إذا كان يسرك ما أخذنا فيه من قول بحيث ترغب فى تنقيته وتصحيحه ، فلتعد توًّا كما قلتُ إلى أية نقطة تشاء ، ولتسائل أو فلتدعنا نسائلك كما فعلت مع جورجياس ، بل ولتناقض أو لتتركنا نناقضك ! ، إنك تدعى بلاريب أنك تعرف نفس الأشياء التى يعرفهــا جورجياس !؟ أليس كذلك ؟

ب — بلى

ط — وأنت تدعو مثــله الشبان إلى توجيه ما يشاءون من الأسئلة إليك لأنك واثق من قدرتك على إجابتهم ؟

ب — بالتأكيد !

ط — حسن ! فاختر الآن ما يروقك سائلا أو مجيبا !

ب — هــذا ما سأفعل ! . أجبنى . أى شىءٌ هو البيان فى رأيك ما دام قــد لاح لك أن جورجياس مرتبك فى طبيعة هذا الفن ؟

---

(١) انتهى سقراط فى العدد الماضى إلى ما أوقع جورجياس فى التناقض وجعله يسلم أن رجل البيان لا يستطيع إلا أن يكون رجل عدل فحسب . وسنرى اليوم كيف يدخل بولوس فى المناقشة ليدافع عن أستاذه المهزوم وكيف يبدأ سقراط فيداعبه ويحاوره ليوقعه فى التناقض كما أوقع من قبل أستاذه « المعرب »

ط — أتسأل عن أى نوع من الفنون هو فى نظرى ؟

ب — بلى !

ط — إذا شئت الحق فأنا لا أعده فنًّا !

ب — وإذاً فاذا تراه ؟

ط — أراه شيئاً جعلت أنت منه فنًّا فى الرسالة التى قرأتها لك أخيراً ![1]

ب — وماذا تعنى بذلك ؟

ط — أعنى نوعاً من التمرين والممارسة !

ب — وإذا فالبيان فى رأيك تمرين وممارسة ؟

ط — نعم . إذا لم يك لديك اعتراض !

ب — وعلى أى شىء ينطبق ذلك التمرين ؟

ط — إنه يجلب نوعاً من اللذة والاستحسان

ب — ألا ترى إذاً أن البيان شىء جميل مادام يجلب اللذة؟[2]

ط — سترى يا بولوس ! أو قد أصغيت حتى الآن إلى رأيى فى البيان كيما تقفز هكذا وتسألنى عما إذا كنت أراه جميلا ؟

ب — ألم أسمعك تقول إنك تعده نوعاً من التمرين ؟

ط — وما دمت تعلق أهمية كبيرة على جلب اللذة، ألا تود أن تسبب لى قليلا منها ؟

ب — إنى لأبغى ذلك بكل سرور !

ط — إذاً سلنى من أى نوع من أنواع الفنون هو «الطهى» فى رأيي ؟

ب — وإنى لأسائلك أى فن هو الطهى ؟

ط — إنه ليس من الفن فى شىء يا بولوس !

ب — إذا فأخبرني ما هو ؟

ط — إنه نوع من الممارسة والتمرين !

ب — وعلى أى شىء ينطبق ؟

ط — إنه يجلب اللذة والاستحسان يا بولوس !

ب — وإذاً فكلا البيان والطهى واحد ؟ !

ط — كلا ، ولكنهما قسمان فى مهنة واحدة !

ب — وأية مهنة تريد أن تذكر ؟

ط — قد يكون من الخشونة والغلظة أن نصرح بالحقيقة يا بولوس . وإنى لأتردد فى الافضاء بها لوجود جورجياس ! ذلك أنى أخشى ألا يتصور غير رغبتى فى الهزء به والسخرية منه . إننى لا أدرى إن كان البيان الذى يمتهنه جورجياس من النوع الذى أعرفه أم ليس منه ، لأن مناقشتنا منذ هنيهة لم توضح لنا قط فكرته عنه . ولكن ما أدعوه أنا بالبيان ليس إلا قسما من شىء ليس بالجميل على الاطلاق !

ج — أى شىء ذاك ياسقراط ؟ تكلم دون أن تخشى إساءتى!

ط — حسن يا جورجياس : فانى أعتقد أنه عمل لا يحتاج إلى شىء من الفن ، ولكنه يتطلب فقط ذهناً فطناً جريئاً وقادراً بالطبع على الاتصال بالناس . وأساس هذا العمل كما أرى هو : الملق والرياء ، ويشمل الملق أقساماً كثيرة الطهي أحدها ، ويعد البعض هذا الأخير فناً ولكنى أراه مجرد تجربة وتمرين . كما أرى بالمثل أن البيان والتزين والسفسطة من أقسام الملق كذلك ، فكأننا لدينا أربعة أقسام تتصل بأربعة موضوعات

فاذا شاء بولوس الآن أن يسألنى فليفعل لأنى سأبين له من من أي أقسام الملق هو البيان في رأيى ، إذ هو لا يتصور أنى لم أجبه بعد عن هذه النقطة ، وهو يلح فقط فى سؤالى عما إذا كنت أراه جيلاً ! ولكنى سوف لا أخبره إن كنت أعد البيان جيلاً أو قبيحاً قبل أن أجيبه : أى شىء هو ؟ وإلا فلن يكون كلامنا منطقيًّا يا بولوس ! وإذاً فسلنى — إذا كنت تريد أن تعرف — أى قسم من أقسام الملق هو البيان فى عُرفى ؟

ب — إنى لأسائلك عن أى قسم هو ؟

ط — أترى ستفهم إجابتى ؟ إن البيان عندي صورة ومثال لأحد أقسام السياسة !

ب — وماذا تعنى بذلك ؟ أتريد أن تقول إنه جميل أم قبيح ؟

ط — أريد أن أقول إنه قبيح لأنى أسمى قبيحاً كل ما هو ردىء ! ما دام يجب أن أجيبك كما لو كنت تعرف ما أريد أن أقول[1]

ج — وأنا بالمثل لا أفهمك وحق زيوس يا سقراط !

(١) يقصد رسالة لبولوس أثبت فيها أن التجربة أساس الفن (المعرب)

(٢) لاحظ ضيق عقل بولوس وسرعته فى الأخذ بالقشور البراقة (المعرب)

(١) يلاحظ هنا أن سقراط يتهكم على بولوس الذى خرج من السياسة فجأة إلى الجمال والقبح كأنما يعرف ما فى عقله «المعرب»

ط — لست أعجب من ذلك لأنى لم أشرح بعد قولى! ولكن بولوس شاب متحمس!

ج — فلتدعه ولتخبرنى كيف تستطيع أن تقول إن البيان صورة ومثال لأحد أقسام السياسة!؟

ط — سأحاول إذاً أن أبين أى شىء هو البيان فى رأيى، فإذا لم يك على ما أعتقد فليناقضنى بولوس: أهناك من غير شك ما يسمى بالجسد وما يسمى بالنفس؟

ج — بلا تناقض

ط — ألا تعتقد أن لكل من هذين حالة تدعى «صحة»؟

ج — بلى

ط — وقد تكون هذه الصحة ظاهرية فقط وليست بحقيقية! أريد أن أقول إن كثيرين ممن يلوح أنهم ذوو جسم صحيح ضعاف فى صحتهم، وعسير على غير الطبيب أو مدرب الرياضة البدنية أن يتبين ذلك؟!

ج — هذا صحيح

ط — وأدعى أنه يوجد فى النفس والجسد بالمثل ما يجعلهما يلوحان فى حالة جيدة بينا هما ليسا كذلك؟

ج — إنك تقول حقاً[1]

«يتبع» محمد حسن ظاظا

(١) وسنرى فى العدد القادم كيف يعتبر سقراط كلا من البيان والطهى والتزين والسفسطة قسما من أقسام الملق والرياء «المعرب»

السلطتان الروحية والزمنية

كما يراهما الاسلام

للأستاذ عباس طه

كانت السلطة الزمنية والسلطة الروحية — ولا تزالان — فى تقدير الاسلام من أخص أوضاعه ومميزات أسراره

والسلطة الروحية هى التى تنظم علاقة الانسان بربه فى عباداته ومعاملاته الظاهرة والباطنة، وتخضع ناموس المشاعر وقوانين القلوب لذلك السلطان القاهر الذى له الهيمنة على الانسان فى شتى مناحيه

والسلطة الزمنية هى التى تنظم علاقة الانسان بالانسان وترسم لتلك العلاقة حدوداً فى المعاملات بشتى ملابساتها وتتفرع عن هذه السلطة سلطات ثلاث: السلطة التشريعية والسلطة القضائية والسلطة التنفيذية

كانت هاتان السلطتان متلازمتين فى الاسلام، فهما ملاك هذا الوجود وقطب رحاه، وهما اللتان أقام منهما حارساً على بناء هذا المجتمع أن تنهار أسسه وتتداعى نظمه؛ ذلك الاسلام فى مناعته وقوة حياطته وما كفله فى أطوائه من تلمس أقوى العوامل فى إنهاض هذا المجتمع حتى يظل باقياً يؤدى رسالته ويذيع فى البشر أمانته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين. وبدهى أن الاسلام دين روحى زمنى ينتظم فى أبلغ أوضاعه عملى الدنيا والآخرة، فهو بطبيعة وجوده مصدر يصل بين حياتى المعاش والمعاد، ويكل إلى المضطلعين بأعباء السلطة الزمنية أن يستمدوا قوانينها ومبادئها وأحكامها من السلطة الروحية، ضرورة أن السلطة الروحية قد فرضت الفروض ورسمت الحدود فى آى الفرقان بما يجمع تراثاً خصباً صالحاً حين ترجع إليه الرسل ومن بعدهم خلوفهم. من أجل ذلك رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمد أحكام السلطة الدنيوية من السلطة الدينية لأنهما توأمان لا يمكن ألبتة الفصل بينهما إلا بتحكم الطغيان الجائع فيهما فقد درج الخلفاء الراشدون والصحابة من بعده صلى الله عليه

وسلم على تطبيق الجزئيات الفرعية والمسائل الوضعية التي لم ينص عليها قانون المسائل الكلية وإن شملها بالقواعد العامة المندرجة في أطوائه، وذلك يكون بالمقارنة والاستنباط وملاحظة المفاهيم العامة والمآخذ المطلقة ورد الفروع إلى أصولها. ومن هنا كان أصل القياس منبثقاً من منابع ثروة التشريع الاسلامي حتى لا تشذ الجزئيات عن كلياتها، وحتى لا تبطل في الأرض حجج الله وبيناته، وحتى ينتظم التشريع الإلهي حيوية تلك المجموعة الشمسية، ومن ذلك كان الاجماع القطعي من الطرائق العملية، حكمه في إثبات الأحكام الفرعية وتحقيق النظريات الفقهية حكم الكتاب والسنة والقياس مع الفارق المرسوم بين هذه الأصول الأربعة قوة وضعفاً، وفي توجيه النصوص الروحية أو الزمنية الصرفة وما كانت مزيجاً منهما

لذلك لما كان الاسلام دين تشريع وهداية كان تطبيق الأحكام على الناس حسب مقتضيات الأحوال ومناسبات الأسباب والعلل، فمن المتعذر أن يؤخذ الناس بأحكامه طفرة واحدة ضرورة أنهم لم يمرنوا على مثل هذه الطفرات في إبان ظهوره خصوصاً ما كان متعلقاً منه بأمور لم يكن لهم بها عهد ولا ممارسة، فكان بدهياً أن يحمل الدين الاسلامي في أطوائه تينك السلطتين: السلطة الزمنية والسلطة الروحية، لتكون له المكنة مجتمعة من تنظيم حياتي المعاش والمعاد عند معتنقيه، وإقامة المجتمع على مناهج لا عوج فيها ولا أمت حتى تكون طريقاً إلى الحياة الأخري في أسعد غاياتها وأرفه نهاياتها. وإلا فلو أغفل الاسلام تلك السلطة الزمنية وبقي لا يحمل إلا السلطة الروحية لكان ديناً كهنوتياً في مراميه، ولأجفل الناس عنه إجفالا يمكن لهم في الفوضى وسوء المنقلب، ولتراخت الهمم وتخاذلت العزائم وأصبح المسلمون شيئاً لا يحده قانون الاجتماع ولا تعرفه نواميس البشرية

كذلك لو أغفل الاسلام السلطة الروحية وظل مستمسكا بالسلطة الزمنية لكان مزيجاً من أخلاق متدافعة وعادات متناقضة، ولكان قصارى جهد معتنقيه أن يخضعوا لنواميس هذا المجتمع في علله وأوصابه وتدافع أسبابه، وأن تكون الغلبة فيهم للقوى المادي، وأن توجد الفروق بين الطبقات والأسر والقبائل والبطون قلة وكثرة وقوة وضعفاً وعزة وذلة، والأشياء ونقائضها، فلا يعدو أن يكون كالشريعة الرومانية أو الفقه الروماني ارتحلت صولته

وبقيت محنته وسقطت هيبته وزالت روعته، ثم هو بعد لا يعدو أن يكون بين الأجيال المتلاحقة أنباء قصصية ونظريات فلسفية أفلاطونية، تعالى الاسلام عن ذلك علواً كبيراً

من أجل ذلك مشت السلطة الزمنية في الاسلام بجانب السلطة الروحية في نظام الحكومة على معنى أن نظام الحكومة كان مستهدياً في جميع أدواره بهدى السلطة الروحية، وكانت السلطة الزمنية أساساً من الأسس السماوية التي جاء بها الكتاب لترسم الحدود وتقيم المعالم وتشمر الحاكمين والمحكومين بتبعاتهم كل في حدود عمله، وتقوم على رعاية الأنظمة البشرية في المعاملات المختلفة سواء منها ما كان متعلقاً بأحوالهم الشخصية أو بالمعاملات المتبادلة بينهم القائمة على البيع والشراء وما يلحق بهما حتى في الحكومات التي لم يكن لها لون ديني بالمعنى المفهوم. وكثيراً ما لجأ الملوك والأمراء في عهود سابقة إلى حملة الشريعة وحماة الدين إذا عميت السبل عليهم في المضلات وحجبتهم الجهالة المطلقة عن الوصول إلى شاكلة الصواب، يتعرفون منهم المنهاج الصالح لشكل الحكومة وترسيخها على أمتن الدعائم حتى تبقى تلك الحكومة بما تستمده من هدى الفرقان محتفظة بهيبتها وجلالها ومحبة الشعب لها، لأن الشعب إذا استيقن نزاهة الحكم وتوزيع العدالة بين الأفراد بالقسطاس، المستقيم وقتل روح الأثرة، والاستجابة إلى داعية القربى والمصاهرة، والتفرقة بين العمال الموكلة بهم خدمة الجماهير ورعاية مصالحهم في فرض الجمالات وسن الاتاوات وتغليب عوامل التشهي على أي عامل آخر، وسم خصومها بميسم الخيانة العظمى، واختلاق الأكاذيب عليهم، وبث عوامل الشكوك والريب في نفوس الجماعات في أولئك الخصوم وتأليب الأوشاب والدهماء على منافسيهم — اتخذوا من تلك الحكومة مثلا صالحاً وأحلوها من قلوبهم محل الشغاف، والعكس بالعكس

حل الاسلام فيما حل من أسمي المبادئ مبدأ الشورى لتكون أساس الحكومة الصالحة ودعامته، تتلاقى عندها سائر الرغبات والأماني، لأن الشورى في أبسط أحكامها خير من رأي الفرد، فهي وليدة آراء مستخلصة من قوة الجماعة لا يراد بها غير إسعاد المجموع وإشعاره بمبدأ العدالة والمساواة حتى يظل آمناً في سربه حصيناً في أغراضه ومراميه، وإن لم تكن الشورى القائمة بيننا

الآن فى الشرق والغرب هي التى تمنيها مبادئ الاسلام فالشورى التى تمنيها مبادئ الاسلام هى المستخلصة من قوة الجماعة كما قلنا ليس فيها أمارة من تشيع لهوى أو أخذ بنحيزة أو إصفاء إلى ضغن فى سائر مرافق الدولة

من أجل ذلك نرى فقهاء القانون الدستورى فى حواضر أوربا يقيمون النظريات الصادقة على فشل الحياة النيابية فى الأمم المتحضرة فى عصرنا الراهن، وعجز الدستور بأحكامه عن أن يخلع على الناس خير الأشكال يقيمون عليه دعائم حياتهم وأسس وجودهم. وكثيراً ما تحاكم المسلمون فى صدر الاسلام إلى الكتاب والسنة فما ضلوا فى حياتهم وما حادوا عن الجادة الواضحة قيد أنملة، لأنهم اطرحوا دواعى النزوات واستجابوا دواعى الاخلاص لله فى السر والعلانية فمكن لهم فى الأرض وخضعت لسلطانهم شعوب وقبائل

قرر الاسلام السلطتين الزمنية والروحية معاً فلا يمكن فصل إحدى السلطتين عن الأخرى لأنهما متلازمتان فى وجودهما.

فالسلطة الزمنية ترسم شكل الحكومة ومقاصدها المختلفة، وتؤسس الأنظمة المتنوعة لشتى الأفراد والأسر والجماعات والقبائل والأمم، وتضع أحكام الحرب والسلم وسياسة القضاء والادارة ونواميس الاجتماع؟ ثم هى تنساب بعد إلى الأحوال الشخصية المتعلقة بذات الانسان فتنشئ علاقة زوجية صالحة بين الرجل والمرأة وترتب عليها حقوقاً قبل المرأة وحقوقاً قبل الرجل، ثم تتناول أحكام الإرث فتوزع الأنصباء من تركة الميت على ذويها توزيعاً قائماً على أدق أنواع الرعاية وأحكم مراميها، ثم تتعهد الحاكمين بالوصايا الجامعة حتى لا يندوا عن شريعة الحق ولا تصغى قلوبهم إلى شوائب الهوى، ثم تهيب بالمحكومين إلى السمع والطاعة فيما أمر الله، وبهذا التساند بين الهيئتين ينتظم الأمة والحكومة عدل قائم على الاخلاص المتبادل وتسودهما روح طيبة فى مرافق البلاد وحيويتها

لقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلوفه من بعده فى يديه بين السلطة الروحية والسلطة الزمنية فأقام بهاتين السلطتين خير حكومة من حكومات الأرض فى تاريخ البشرية، وأسس للانسانية العامة أفضل المناهج فى الحكم حتى فاضت القلوب باليقين الراسخ والطمأنينة الشاملة، ولا أدل على ذلك من أقوال الرسول وأعماله وما ينزل به الملك من الآيات منجمة بحسب الوقائع سواء أكان ذلك متعلقاً بأمر من أمور المعاش أم المعاد إذا استثنينا بعض مسائل تقليدية تافهة لا يتصل وجودها بقانون الحكومة أو الاجتماع، ثم درج من بعده خلوفه على قدمه صلى الله عليه وسلم فكانوا نعم الخلف لنعم السلف. وناهيك بعمر الفاروق الذى كثرت على يديه الفتوح الاسلامية مؤسسة على الكتاب والسنة وهدى الرسول الأعظم، فاستدام بذلك القاموس السماوى أصلح الطرائق فى أنواع الحكم وأهدى السبل فى إسعاد الأفراد والجماعات والأمم، ولا يزال الاسلام يذيع فى الناس رسالته متعلقة بالسلطة الزمنية إلى يومنا هذا، فهو يعنى بنشر هذه السلطة ألا توجد فروق موهنة ذات أثر سيئ فى كيان الشعوب ووجودها على معنى أنه يريد التوحيد بين الأمم فى الأخلاق والعادات وأن يسودها نوع من المعاملات صالح يوحد بين مرافقها ويجمع بين شتاتها وان اختلفت لغة وإقليما وترتب على ذلك الاختلاف تباين في العادات ضرورةً أن تلك الأمم المتخالفة لغة وإقليما لو خلت من تطبيق السلطة الزمنية وهيمنتها على مرافقها لكانت لكل أمة ندحة أن تسن لها تشريعا إسلاميا ينشئ قانون شكل الحكومة وأنواع المعاملات، على حين أن الجميع يدينون بالسلطة الروحية ويؤمنون بحياة المعاد فى قرارة نفوسهم.

وهذا من غير شك من شأنه أن يفت فى عضد المسلمين وأن يوتر ما بينهم من صلات وأن يجعلهم خاضعين لأحكام قوانين وضعية لا تثبت صلاحيتها لحكم الشعوب إلا بمقدار ما تتوارى عيوبها وأخطاؤها، فاذا دلت التجارب على فساد أحكامها وعقم نتائجها فما أسرع العدول عنها وأن تصير فى تراث الماضي البغيض

أما تلك الشريعة السماوية فهى شريعة الخلود والبقاء لأنها جمعت بين حلقات الزمن من دابر وحاضر فوضعت لكل عصر وجيل أحكامه وطرائقه فكانت شريعة الاسلام خير الشرائع وأمثل القوانين

وغنى عن البيان بعد هذا التقرير أن الذين يقولون بضرورة فصل السلطتين وبالتالى فصل الدين عن السياسة قد جهلوا حقائق

حرمة البيان

للأستاذ عبد المنعم خلاف

— ٢ —

لا تزال فى نفسى بقية من هذا الحديث، هى حديثى عن واجب الأدباء فى أن يكونوا مخلصين لفنهم وأنفسهم فيصنعوا المقالة الأدبية كما يصنع المهندس بيتا لنفسه يعيش فيه، يري فيه ويرى له الناس أنه مأواه وحصنه وعش أطفاله.

حينئذ سيلمس القارئون نبضات قلوب الكتاب فى الألفاظ كأنهم يضعون أيديهم منها على أجسام حية ... وحينئذ سيمز على الكتاب أن يرسموا صورا بأيديهم ثم يدوسوها بنعالهم .. وأن يخلقوا خلقا جميلا ثم يئدوه ويدفنوه ...

فن حرمة البيان أن يعيش فيه أصحابه ولا يتركوه ألفاظا خربة كالتماثيل الجامدة القائمة من غير روح الحياة.

أجل! إن صنع الألفاظ أكبر مسئولية من صنع التماثيل والدمى والصور، يحتاج إلى أن ينطق بها صاحبها ويفعل ما ينطق.

فاذا خص أديب الطبقة الفقيرة برعاية قلمه فواجب أن يخصهم برعاية جيبه ...

وإذا أكثر من أدب القوة فليكثر على الأقل — من مواقف الرجولة والبطولة في محيطه

وإذا أدمن على تصوير الجمال فلاأقل من أن يكون نظيف النفس والثوب مهندم المظهر بقدر الامكان ..

وإذا أكثر فى أدب النفس فحذار أن يخالف عن أمره فيقذف من حالق وتهوى به الألسنة والأقلام فى مكان سحيق، ثم يرجم برجوم من ألفاظه هو ..

وهكذا يعيش الأديب الحق كما تعيش دودة القز لعمل القز ثم «تموت» فى صميم ما صنعت لتبعث منه خلقاً آخر: فراشاً جميلاً طائراً على الأزهار ... وكذلك يبعث الأديب الصافي بعد موته روحاً رفافاً على الأرواح ...

أريد وأعنى أن يعيش الأديب البين دائماً بصميم نفسه التى يرسمها فى صحفه ولا يدعها تفارقه لحظة ...

فالذين يواجهون الحياة دائماً بنفوسهم ويمثلها المالى وبوسيلتها إليه وإيمانها به ... هؤلاء هم الذين يتركون آثارهم ويشقون طريقهم ولو فى الصخور ... لأنهم ألحوا على جبهة واحدة فى الحياة، ولم يتخذوا لأقلامهم سبيلا عوجاء؛ فكان من اللازم المحتوم أن ينفذوا من السدود، ولو كان مبلغ آثارهم قطرة واحدة متكررة دائبة كما يقول إنجيل برنابا ما معناه: القطرة الصغيرة المتكررة تشق الصخرة الكبيرة أو تترك فيها آثارها

والأديب المخلص لمثاله المالي الذى يصوره لا يتعب دارسيه فى تطبيق حياته على آرائه، ولا يحملهم على الاسراع بالشك فى تلك الآراء حين يرونه فى حياته الخاصة بعيداً عنها مكذباً لها ولا يحملهم كذلك على رجمه بألفاظه كما رجم حسان بن ثابت بأبياته فى الشجاعة إذ كان جباناً، وكما رجم أبو العتاهية بأبياته فى الزهد إذ كان بخيلا، وكما رجم البحترى بأبياته فى الجمال إذ كان قذرا، وكما رجم المتنبي بأبياته فى الحكمة إذ كان أخرق وإن كان قد كفر عن جرمه هنا باسراعه إلى تلبية نداء شعره

الاسلام أو على الأقل تجاهلوا نظام الحكم فيه فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفى عهد خلوفه من بعده، أولئك الغُر الميامين الأطهار الذين حكموا دينهم فى الدولة فسادوا لأنهم قضوا بهذه السياسة المالية أوطار الأفراد والجماعات وحققوا لهم كل رغبة صالحة ثم اجتاحوا الوثنية ومستهجن العادات فى عهود الجاهلية

ولعل النمط الذى جرى عليه توزيع الزكاة والصدقات وإقامة الولاة فى الدولة ورسم الحدود ووضع الخطط التى ينتهجونها فى أمثل حكومة عادلة بواسطة برامج تكشف لهم حقيقة حكم الشعوب الداخلة فى الاسلام وأخذهم بالموادة فى موضعها وتيسير الأمور عليهم حين لا يضيق عنهم التيسير ونوع معاملة أولئك الولاة للذمى والحربى والمدى الذى توزع به السلطات بين شؤون الرعية آية الآيات على أن الاسلام فى حقيقته لا يعرف الفصل بين السلطتين، لكن قد تغلغلت المدنية الآرية فى الشرق فانطمست معها الحقائق وغابت السلطة الزمنية للإسلام بتضافر شتى العوامل مما سنكشف عنه فى أعداد تالية إن شاء الله

عباس لمه
المحامى الشرعى

حين ذكره غلامه ببيته : الخيل والليل والبيداء... الخ. وقتل دفاعاً عن حرمة بيانه، وكتب بيته ذاك بدمه بعد أن كتبه بمداده ...

فأمثال من ذكرنا من الأدباء حكم عليهم التاريخ ببقاء ألفاظهم خربة من نفوسهم . ولكن ما الفائدة من أن أقول قال فلان كذا ... بينما تاريخ فلان هذا يقول لي كذب صاحبك ! لاجرم أن تطير هالة الخيال إذا رُني المثال ، وأن يدخل البيان إلى النفس في استحياء وخجل تكاد تُزْلقه عيون الشبهات !

فالخلود الحق للأديب أن تعيش نفسه في نفوس قارئيه مع كل كلمة من كلامه تعلوها وتشرحها وتشير إلى النموذج الذى حققته الحياة ...

فليحذر الأدباء أن يحكم على ألفاظهم رعاة الانسانية الذين وضعت الأقدار في أيديهم موازين الحكم والنقد والاعتبار كما حكم محمد رسول الله على أمية بن أبي الصلت أنه « قد آمن شعره وكفر قلبه »

***

أما بالطبع فى دنيا غير دنيا أكثر الأدباء التي يعيشون فيها ويأخذون منها أفكارهم... أناديهم من مكان بعيد... ولكن ما حيلتي والحقائق الكبرى فى الحياة هى التى توحى بذلك ... الايمان والحق والخير والجمال والحب والقوة، تلك المعانى التى حملها وحدها الرجال الأمهات ... ! الذين ولدوا الانسانية وعاشوا لها وعاشت فى نفوسهم وتقاليدهم ...

ولم يخلد من الأدباء بل من الناس جميعاً إلا خدام هـذه الحقائق مجتمعة أو منفردة . وخدمتها لا تكون أول ما تكون بألفاظ وأناشيد ... وإنما بالنفس ! ومعنى خدمتها بالنفس أن تفقهها وتراها رأى العين أنها أعمدة السموات والأرض فتلوذ بها وتعيش معها دائماً ، ثم تخلقها هى مرة ثانية بالقول الجميل أو اللحن الجميل أو الرسم الجميل ...

إنى إنسـان سائر مع الطبيعة ... أستحى من وجوهها الصادقة أن أمر عليها بوجه كاذب ... وإن صداقتى لها أمر ثمين عندى أثمن من صداقة الناس .. وإنى أستحى من الجماد والنبات والحيوان أن أكون أقل منه صيانة لقوانين الله بارئى وبارئ الفطرة ... والتناسق والنظام يحتمان علىّ أن أسير فى مواكب الطبيعة على قدم واحدة وموسيقى واحدة وإشارة واحدة ...

لماذا يكذب الانسان وحده ؟ ! إن النحلة لا تخرج علقما .. والحية لا تقبّل الخدود ... والحنظلة لا تنبت عقارب ... والنار تحرق دائما .. والماء يغرق دائما ...

إن كل شيء صادق فى الدنيا فلماذا نكذب نحن ؟!

عجبا أعجبه منك ياأبا العلاء حين تسأل عن النجوم : وتكذب؟! إن الين فى آل آدم غرائز جاءت بالنفاق وبالعهر

***

نكبة الأدب هي التزوير فيـه : تزوير النفس وتزوير الحياة حتى تستحيل إلى خيال شارد ..

لماذا يتغزلون وهم لا يحبون ؟ ولماذا يمدحون وهم يكرهون ؟ ولماذا يتظرفون وهم ثقلاء ؟ ولماذا يتحمسون وهم خونة جبناء ؟ ولماذا يفخرون وهم ناقصون ؟ ولماذا يسودون الحياة فى وجه الناس وهى بيضاء ، ويبيضونها وهي سوداء؟ لماذا يبلبلون قلوب الناشئين ويبذرون فيها بذور الشك فى الحقائق الثابتة التى لا يمكن الدنو منها والحكم عليها إلا بعد الامتلاء والانتهاء من العلم والدين والفن وتجارب الحياة ؟

أكل هذا لفتنة القول والقوافى والأسجاع والنكات والشهرة؟!

أنت علل المنون فما بكاهم من اللفظ الصحيحُ ولا العليلُ

كلا بل ضحكت منهم الألفاظ وشيعتهم ساخرة يا أبا العلاء !

إن الخواطر لا تنتهى ، وإطلاقها ينتهى بمقول أصحابها إلى الجنون ... وحرية الأفكار ليس معناها حرية الطباع ، والحرية الفكرية معناها تقديم مقترحات ضد بعض الأوضاع والتقاليد التى يرى ناقدها أنها فاسدة ولكن فى عرض جميل ... لا تقديم خواطر تهجم على حق أو تجرح فضيلة ...

ويا ويل من يقع قلبـه فريسة لأدب الأدباء المزورين ! إنه لا يتيقظ إلى أنهم متناقضون متهافتون إلا بعد فوات الأوان... بعد أن ينطبع ذهنه على قبول الخيال الناقص والكذب وبتىء الحقائق ولا يهضمها . والأدباء المزورون أهل شطحات ، ينسون فيها كل ماضيهم وآرائهم فيناقضون أنفسهم مناقضة فاضحة إلى حد أن يحكموا على أنفسهم أحكاماً قاسية مسقطة لمدالتهم الأدبية وهم لا يشعرون

وهم لا يصدرون آراءهم عن وجهة واحدة فى الحياة ، ولذلك تراهم « فى كل واد يهيمون » وليس لهم مذهب ورأى ذو سلطان له مدرسة وتلاميذ يتشيعون له ويعيشون لنشره وشموله

ولو اقتصر كل منهم على المتح مما فى نفسه من منابع الالهام وعلى رصد مخلوقات قلبه ، ولم يتكلف نظم قول لا يؤمن به ولا يحسه حيًّا فى نفسه ، إذاً لظفرت الآداب بكنوز من دفائن القلوب، ولأحس القارئون حين يقصدون إلى فصل أدبى ، أنهم قادمون على معرض جيل من معارض الحياة لفنان صادق ... فواجبهم أن يستحضروا الجد ويقظة الدرس والتحصيل لما فى هذا المعرض من آراء وأرصاد ورؤى وفكاهات وعظات قنصها ذلك الفنان الصادق من خواطره وإلهامه ليقدمها للناس على أنها نتيجة التقائه بالحياة ...

ومجتمع الرأى : أننى لا أومن بالأدب ولا أعترف بحرمة البيان — ذلك الجانب المقدس فى الانسان — على أنه تسلية وتزجية فراغ تقصده النفس فى غير إجلال ، وتلعب فيه الأيدى بالأقلام لعب الأرجل بالكرة ... وإنما أومن به على أنه — فى مجموعه — معرض للآراء المصححة لأغلاط الحياة ، وللمشاعر النبيلة من حياة القلوب ، وللموسيقى اللفظية التى تساعد على خلق جو روحى أثناء القراءة

وأختتم هذا الحديث بإيراد أقصوصة تمثيلية قرأتها فى بعض الآثار اليهودية ، وهى تمثل حرمة البيان وجنابه العظيم :

قيل إنه لما فرغ الله من خلق الدنيا قال لأحد الملائكة : أنظر هل ترى فى السماء والأرض والماء والهواء نقصاً ؟ فنظر ثم عاد فقال : لا ينقصها إلا شىء واحد يا رب ، هو الكلام الذى يبين ما فيها ويتحدث عنها . فخلق الله ذلك النوع الممتاز !

(القاهرة) عبد المنعم محمد خلاف

حـــواء

ديوان شعر طريف فى المرأة يصدره الأستاذ الحوماني وتقدم الرسالة منه بضعة نماذج لقرائها قبل صدوره فى مثتى وجه ثمنه عشرة قروش صاغ قبل صدوره ويطلب من إدارة الرسالة

دموع قيثارة

يتصبّانى من الروض إلى ... وجهكِ الفاتن أرضٌ وسماء
الثرى عينٌ وخدٌ وفمٌ ... والسما نورٌ وعطرٌ وغناء
يستظلُّ الزهر أفياء المنى ... والمنى تطغى عليها الخُيَلاء
فتمجُّ الشمس فى أعطافها ... خمرة نكرع منها ما نشاء
يتصبانى إلى عينيكِ من ... روضتى غصنٌ وعصفورٌ وماء
يتغنين فيملأنَ فمى ... ضَرَباً تغرف منه الندماء
يا لها قيثارة ، ملء يدى ... من مآقيها دموعٌ ودماء
خفقت بين يديها كبدى ... فجثت بين يدىَّ الشعراء

بعض كيانى

ألهمينى سرَّ عينيكِ وما ... يعـتريني كلما أبصر ثاني
كم تساءلتُ ونفسى عنهما ... وتحرّيتُ شعورى وبيانى
فإذا زهرهما ملء فمي ... وإذا عطرهما ملء جنانى
وإذا السرُّ الذي أنشده ... فوق ما يشعر قلبي ولسانى
ربما ألهمني سحرهما ... روعةً تملأ بى كل مكان
وأرانى همتُ فى الأرض فما ... وسعتْ رقعتها بعض كيانى
وتشوّفتُ إلى الأفق الذى ... يسع الشعر فأعيانى عيانى

الحومانى

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ - ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ٣٦ —

مقالاته للرسالة (٧)

كان الرافعي قلما يجلس إلى مكتبه في المحكمة إلا أن يكون له عمل؛ فإذا لم يجد له عملا في المحكمة انصرف لوقته إلى حيث يشاء غير مقيد بموعد من مواعيد الوظيفة. وكان يزورني أحيانا في المدرسة ليقضي معي وقتا من الوقت أو ليصحبني لبعض حاجته. وكان يغبطني على عملي ويزعم أنه لو كان في مثل هذا الجو المدرسي لوجد لنفسه كل يوم مادةً تلهمه الفكر والبيان؛ ويعجب لي كيف لا أجد في صحبة هؤلاء الصغار الذين يعيشون في حقيقة الحياة ما يوقظ في نفسي معنى الشعر والحكمة والفلسفة ...

وزارني يوما، وكان من تلاميذي في المدرسة طفل في العاشرة أبوه من ذوي الحول والسلطان؛ فكان يصحبه شرطيٌّ كل يوم إلى المدرسة ويعود به، وكان فتى لدنا، فيه طراوة وأنوثة، وله دلال وصلف، فاتفق أن حضر إليّ لشأن ما والرافعي معي، ووقف الشرطي ينتظره على مقربة من مجلسنا؛ ونظر الرافعي إليه وقد وقف بكامني وهو ينثني ويتخلّع لا يكاد يتقارّ في موضعه ...

ثم انصرف الغلام وانصرف الشرطي وراءه يحمل حقيبته، والتفت الرافعي إليّ يسألني: «... وبين تلاميذك كثير من مثل هذا الشّمّون؟»

وكلمة «شمون» عند الرافعي هي عَلَم مشترك لكل فتى جميل. وتاريخ هذا الاسم قديم، يرجع إلى أيام صلة الرافعي بالمرحوم الكاظمي الشاعر؛ إذ كان الكاظمي له صديق من الغلمان يحبه ويؤثره ويخصه بالسر ... وكان اسمه «شمون» — قال لي الرافعي: «وكان فتى جميلا لولا ثياب الغلمان لحسبته أنثى...!» — ورآه الرافعي كثيرا في صحبة الكاظمي، فوعى اسمه وصورته، ثم كان اسمه عند الرافعي من بعدُ علما على كل غلام متأنث ...

... قلت للرافعي: «هذا ابن فلان الحاكم، وهذا الشرطي الذي يتبعه هو من جنود أبيه، وإن من خبره ...»

قال الرافعي: «وهذا موضوع جديد!»

فهذا كان سبب إنشائه قصة «الطفولتان»

* * *

وكان الرافعي يؤمن بالغيب إيمانا عميقا لا ينفذ إليه الشك. وكان له عن الشياطين والملائكة، وعن الوحي والالهام، وعن تجاوب الأرواح في اليقظة والنوم، أحاديث ينكرها كثير من شباب هذا الجيل ...

... وكان له — إلى إيمانه وتدينه — نزوات بشرية تعقبها التوبة والندم، فكان أكثر وقته على تربص دائم من وسوسة الشيطان، فكان إذا مرت أمامه امرأة فأتبعها عينيه، أو سمع حديثا عن غائب فتعقبه بالحديث عن بعض شأنه، أو ناله أحد بمساءة فردها إليه، استعاذ وحوقل، وقال: هذا من عمل الشيطان! ... وإذا همت نفسه بشيء تنكره المروءة، أو دعته داعية من هواه إلى ما يتحرج منه المؤمن، أو صرفه شأن من شئون الحياة عن واجب من واجبه، حمل نفسه على مالا تحتمل، وأنكر على نفسه ماهمت به أودعت إليه أو انصرفت عنه، وذم الشيطان ونجى عليه الذنب. وفي مقالته «دعابة إبليس» حديث يحقق هذا المعنى

... فإني لمعه ذات مساء إذ جاءه البريد برسالة من آنسة في دمشق، ومعها صورتها مهداة إليه، تبثه لواعجها وأشجانها، وتشكو إليه أنها ... مفتقرة إلى رجل!

ونظر الرافعي إلى صورة الفتاة فأطال النظر، ووقف الشيطان بينه وبين الصورة يحاول أن يزيدها في وهمه حسنا إلى حسن، ويرسم له خطة ...

ثم وضع الرافعي الصورة في غلافها وهو يقول: «أعوذ بالله من الشيطان ... أما إنه ...»

وقال شاب في المجلس: «وهل الشيطان إلا هوى النفس؟»

وقال الرافعي: «وهل تنكر ...؟»

وطال الجدل، ومضى الحديث في فنون ...

من هذا الحديث وهذه الحادثة كانت مقالة « الشيطان »

* * *

وكان لوالده الأستاذ سامي زوج لم يدخل بها ، وقد مرضت بذات الصدر بعد ما سماها وعقد عليها ؛ فأقامت زمناً في مصحة حلوان ؛ ثم ارتدت إلى طنطا لتقيم بين أسرتها ما بقي ، وزوجها حقٌّ بها قائم على شئونها ، ثم جاء موعدها فدُعي الرافعي ليراها فجلس إلي جانبها لحظات وهي تحتضر ، فكان له من هذا المجلس القصير ، مقالة « عروس تُزَفّ إلى قبرها ! »

كنت ليلتئذ على موعد معه في القهوة ، فظللت أنتظره ساعات ولم يخلف الرافعي موعده معي مرة من قبل ، فلما طال بي الانتظار مضيت لشأني . وفي الصباح جاءني نعي الفتاة فعرفت عذره ؛ فلما كان العصر ذهبت في نفر من الأصحاب لتعزيته في دار صهره ، والتمسناه فما وجدناه ، وسألنا عنه فعرفنا أنه آب إلى داره بعد الجنازة لبعض شأنه ؛ ولقيته بعدها فعرفت أنه ترك المأتم والمعزين ليفرغ لكتابة مقاله قبل أن تذهب معانيه من نفسه !

رحمه الله! لم يكن يمر به حادث يألم له ، أو يقع له حظ يسرُّ به إلا كان له من هذا وذلك مادة للفكر والبيان ، وكأنما كل ما في الحياة من مسرات وآلام مسخرة لفنه ؛ فهي عند الناس مسرات وآلام ، وهي له أقدار مقدورة ليبدع بها ما يبدع في تصوير الحياة على طبيعتها وفي شتى ألوانها ، ليزيد بها في البيان العربي ثروة تبقى على العصور ، وهو إخلاص للفن لم أعرفه في أحد غير الرافعي!

* * *

وإذ ذكرت السبب الذي دعا الرافعي إلى إنشاء مقالة « عروس تُزف إلى قبرها ! » أراني مسوقاً إلى ذكر حديث بيني وبين الرافعي يتصل بهذا الموضوع ، وإنه ليدل على خلق الرافعي وطبعه ، وهو بسبب مما سميته فيه من قبل «فلسفة الرضا»

لم يكن لأحد رأي في خطبة هذه العروس إلى سامي ، ولكنه هو خطبها لنفسه ، وكان يحبها ويرجوها لنفسه من زمان، ولم يكن بينهما حجاب ، فإنها بنت خاله ؛ فلما أجمع أمره على خطبتها بعد ما تخرج وصار له مرتب يكفيه[1] ، ذهب يعرض أمره على والده ، فعارضه فيما ذهب إليه لسبب سببه ، ولكنه مع اعتداده برأيه في هذه المعارضة تركه لهواه ولم يفرض عليه رأيه ؛ إذ كان يري من حق ولده أن يختار زوجته لنفسه ، فليس له عليه في هذا الشأن إلا أن يبذل له النصح ، ثم يدع له الخيرة في أمره

وخطب سامي فتاته ، وعقد عَقده . وكان حموه يعمل في مال فأكلته الأزمة ، وقُدر عليه رزقه بعد سعة ؛ ثم مرضت الفتاة مرضها ، فأكرمها زوجها وقام على شئونها ، وأنفق ما أنفق في طبها وعلاجها سنتين أو يزيد ، بين طنطا وحلوان !

وتداعت فنون الحديث يوماً بيني وبين الرافعي حتى جاء ذكر سامي وزوجته ، وكانت ما تزال في مصحة حلوان ؛ فقال لي الرافعي : « أنظر ! إنها حكمة الله فيما يجري به القدر ! ضلّت البشرية إن هي حاولت النفاذ إلى الغيب لتتحكم في أقدار الناس .. ليس للإنسان خيرة من أمره ، ولكنه قدر مقدور منذ الأزل يربط أسباباً بأسباب ، ويجري بالحياة وحدة متماسكة ، فما يجري هنا هو بسبب مما يجري هناك ، فلا انفصال لشيء منها عن شيء ... تُرى مَنذا كان ينفق على هذه المسكينة ليطب لها من دائها لو لم تكن الأقدار قد أحكمتْ نظامها وكان سامي هو زوجها ؟ هل كان إصراره على الزواج منها بعد ما قدّمتُ له من الرأي والنصيحة إلا لأنه في تدبير القدر مرجوٌّ لهذا الواجب من بعد . لقد كنت مستيقناً من أول يوم أن من وراء هذا الزواج حكمة خافية ، وإنني اليوم وقد انكشف لي هذا السر العجيب في حكمته البالغة لأشعر بكثير من الرضى إلى ما كان ! »

* * *

ثم كتب مقالة « بين خروفين »

وهي تمتّ بسبب إلى مقالة « حديث قطين » ؛ وفيها حديث عن ولده عبد الرحمن ، وهو أصغر بنيه ؛ وكان الرافعي يرجوه ليكون من أهل الأدب ؛ فما زال يستحثه ويحمله على الدأب والمثابرة ليكون كما يرجو أبوه ، ويحمله بذلك الرجاء على ما لا يحتمل. وكان (الايحاء) وسيلة الرافعي إلى تشجيعه وتحميسه إلى العمل ؛ ويبدو مَثل من هذا الإيحاء فيما تحدث به الرافعي عنه في أول هذا المقال

(١) كان سامي معيداً في كلية الزراعة قبل أن يذهب في بعثة الجامعة إلى أمريكا

وكان الرافعي معنياً بمستقبل أولاده عناية كبيرة ، فكان يحملهم على العمل بوسائل شتى . وكثيراً ما كان يرسم لهم الخطة للتحصيل والمذاكرة ، وقد وجدت بين أوراقه حديثاً له إلى ولده إبراهيم ينصحه ويرسم له منهجاً ليهيئ نفسه للامتحان ، لو أنه اتبعه لكان اليوم غير ما هو !

ومن أجل أولاده أنشأ كثيراً من المقالات عن عيوب الامتحانات لمناسبات مختلفة كان ينشرها في المقطم ؛ وكانت له طلبات ومقترحات إلى وزارة المعارف أجابت أكثرها ولم ينتفع بها أحد من ولده ومن أجلهم أنشأها !

أنشأ هذه المقالة قبيل عيد الأضحى ، وكان اشترى خروفين للتضحية أودعهما فوق سطح الدار إلى ميعاد ؛ فما نزعه إلى كتابة هذا المقال إلا هذان الخروفان ، ثم حاجته إلى أن يقدم إلى ولده نموذجاً في الإنشاء يعينه على بعض واجبه المدرسي

* * *

وكان للرافعي رأي فيما تنقل الصحف من أخبار تركيا تفسره مقالة « تاريخ يتكلم »

وقد دعاه إلى إنشاء هذا المقال أخبار تناقلتها الصحف في ذلك الوقت عن أحداث تجرى في تركيا ، رأى فيها مشابه من حوادث سبقتها في مصر قبل ذلك بألف سنة في أيام الحاكم بأمر الله الفاطمي

وفي أحيان كثيرة كانت تثور نفس الرافعي لما يسمع من أخبار تركيا فيهمّ أن يكتب ثم يمنعه من ذلك خشيته أن يكون فيما يكتبه شيء يقفه موقف المسئول عن غلطة تعكر صفاء ما بين الدولتين ؛ ثم جاءت مناسبة هذه المقالة فأنشأها وجعل الحديث فيها عن الحاكم بأمر الله وهو يعني رئيس الجمهورية التركية ؛ وكانت هذه التعمية وسيلته ليتهرب من التبعة السياسية ، ومنها كان الغموض في كثير من معانيه ؛ فمن شاء فليعد إلى هذا المقال ليقرأه وقد عرف داعيه ، فلعله لا يجد فيه غموضاً من بعد

ومن أجل هذا السبب ولهذا القصد نفسه كان مقاله « كفر الذبابة » الذي أنشأه على أسلوب كليلة ودمنة بعد ذلك بأشهر .

« سيدي بشر » محمد سعيد العريان

تحرير الألفاظ

الروعـــة والطرب

للأستاذ محمد شوقي أمين

تقول اللغة في مشهور ما تقول : طرب الرجل : فرح ، وطرب: حزن. وتقول أيضاً : راعه الأمر أعجبه، وراعه: أفزعه

والقائم في الأذهان أن لفظي الروعة والطرب من باب الأضداد المتعارف شأنها في خصائص الفصحى ؛ على حين أنهما في الحق لا يدلان على واحد من الضدين بعينه حقيقة ووضعاً ، فحقيقتهما ووضعهما للوَجان والتضرّب لا غير . فالروعة والطرب يدلان كلاهما على اهتزاز النفس وتحركها ، وهيْج الخاطر وتأثره؛ وإنما يدل كل منهما على معنيَي الفرح والحزن دلالة مجازية يبين السياق نص موقعها من الإبانة والافهام ، وتؤازر القرائن المقصود الدالة منها في أسلوب الكلام

وربما كان الصوت الرخيم شبيه ما نحن بصدده من هذين اللفظين ، فإن الدلالة المعنوية للصوت الرخيم على معنيَي الحزن والفرح ، أكثر شيء وفاقاً لدلالة لفظي الروعة والطرب على ذَيْنِك المعنيين

متى ذكر جمال الصوت ورقته ، انصرف الذهن أول ما ينصرف إلى الفرح ؛ فالغناء فيما يبدو للناس على وجه عام ، بريد المسرة ، ووافد الابتهاج . مع أنه في حقيقة الأمر يستنبت الشجو ، كما يستثير الغبطة ؛ ويرتاح له الشعور الحزين ، كما يأنس به البال الرفيه . فهو منتجع الشجيين والخليين على سواء بينهما . وكم أنبطَ الغناء من عبرات حِرَار لم تكن تبضّ قطراتها لولا رِشاء النغم الحنون !

تلك هي النائحة المستأجرة ، تبعث صوتها التحزّن في مناحات النساء ، فإذا به وقود تتضرّم به مجامر الزفرات ، ورنين تستيقظ به كوامن الأحزان . فتمضي النساء وقد حضرتهن الهموم يبكين شجوَهن !

وهذا ابن سريج ظل صدر شبابه ينوح. وقد أُنسيتُ : أين ؟ أفي مكة أم في المدينة ؟ وحيثما كان فقد نوّح دهراً وهو ورّقاء

هتوف ، قبل أن يغنى فى بغداد وهو بلبل صَيْدَح ... هاج صوته خلف الجنائز لواعج الحزانى ، من المكبين أو المدنيين بين رجال ونساء ، وأحيا ذلك الصوت نفسه ليالى البغداديين الملاح ، فكان عون اللهو ورُقْية الصبوات !

ذلك لأن الغناء فى ذاته لا شأن له بما يكون فى النفس من أفراح أو أتراح ، وإنما هو ذوب ينسرب إلى أذن السامع ، وسحر يمشى فى حسه ، فيهز مناحى الشعور ، ويفض ظلام الجوانح ، فينكشف مستورها من الأفراح أو الأتراح ...

فعمل الغناء على هذا هو التنبيه والايقاظ ، سواء أكانت النوائم آلاماً أم لذائذ . وهكذا الشأن فى لفظى الروعة والطرب فهما يدلان على الهيجة والهزة والتحرك ، سواء أكان ذلك للذائذ أم للآلام

أما مفاد قول اللغويين فى لفظ الروع فهو : الفزع ، وقالوا : سُمى القلب رُوعاً بالضم ، لأنه موضع الفزع . فقولك : راعه الأمر ، أى بلغ الرَّوْع رُوعه ، والأمر الرائع هو الذى يصل الفزع منه إلى القلب

وفى رأيى أن العرب سموا القلب روعاً وجرى بينهم استعماله ثم اشتقوا منه الفعل : راع ، ليفيد إصابة القلب كما يقال : فأده أصاب فؤاده ، ورأسه أصاب رأسه ، وعانه أصاب عينه . وهذا الباب من أبواب العربية ينفسح لكل الأعضاء ، فقد ألمع العلماء إلى اطراده ، تقول : فَصَله ، أى : أصابه ، وفُصِل هو ، بالبناء للمجهول ، أى أصيب

وقد أخلى أصحاب المعجمات أسفارهم من الاشارة إلى هذا الوجه خلال أقوالهم فى اشتقاق فعل : راع ، وعلقوا الصلة بينه وبين الروع بمعنى القلب على بلوغ الفزع ، وذلك التعليق هو الذى إياه نأبى ، وغيره نرى .

على أنهم فى تعليلهم لبعض الاستعمالات العربية فى هذا اللفظ ذكروا مايقوم مقام التنزُّل عما سبق أن علَّقوه . جاء فى شرح القاموس نقلاعن حُذّاق اللغة : « ما راعنى إلا بجيئك ، معناه : ما شعرت إلا بمجيئك ، كأنه قال : ما أصاب رُوعى إلا ذلك » وهذا التفسير اللغوى يفيد ، على جلاء ، أن راعه الأمر : أصاب رُوعه ، أى قلبه ، دون ذكر لخوف أو فزع .

وهذا تعبير عربى وثيق ، تقول : « وقع ذلك فى رُوعى ، أى نفسى وخلدى وبالى » فالوقوع هنا خالص مجرد ، وهو يفيد الوصول إلى القلب ، غير محدود بوصف ، ولا مبيَّن فيه وجه .

ومن فُصح العربية كذلك قولك : « فلان يرتاع للخير » ووجه هذه العبارة أن ارتاع هنا مطاوع راع ، ففلان يروعه الخير ، أى يمس قلبه ، ويقع فى نفسه ، فهو يرتاع للخير ، أى يرتاع إليه ، ويطمئن به .

وعلى هذا ، تقول : راعنى الأمر ، أى وصل إلى خاطرى ، وتأثر به جنانى ، فان كان ذلك الأمر داعية بهجة فذاك ، وإن كان نذير مساءة فكذلك . فالزينة الرائعة هى الرائقة التى يبلغ إلى القلب الاعجاب بها ؛ والفجيعة الرائعة هى المفزعة التى تهزُّ القلب نَبأً تها .

وأما لفظ الطرب فان الخطب فيه أيسر . وقد تضاربت فيه أقوال فقهاء اللغة ، ومن هذه الأقوال ما نوافقه فيما ذهبنا إليه . هى آراء ثلاثة فى ذلك اللفظ :

أولها أن الطرب للفرح ، وللحزن . ومن شيمة ذلك الرأى « ابن الانبارى » فقد حشده فى كتاب « الأضداد » فيما حشد من مادة كتابه !

والثانى أنه حلول الفرح ، وذهاب الحزن . وقد ذكر هذا الرأى صاحب اللسان ، وكأنه عرف ضعفه فصان اسم صاحبه عن نسبته إليه

ثالث الآراء هو الذى نواطن اللغويين عليه ، وهو أن الطرب خفة تعترى عند شدة الفرح أو شدة الحزن . وقد ذكره من أعلام اللغة جمع بينهم «ابن دريد» فى الجمهرة و «الجوهرى» فى الصحاح

وممن ارتضى هذا الرأى من المتأخرين صاحب المصباح ، فانه أثبته فى موضعه من معجمه وزاد عليه قوله : « والعامة تخص الطرب بالسرور » . فهل فات الفيومى أن العامة تجرى فى هذا التخصيص على رأى أسلفنا ذكره هو الرأى الثانى ؟ أم يذهب إلى أن هذا الرأى ينزل من الآراء منزلة العامة وقالة السوق ؟!

ولعل أوفق ما قيل فى معنى لفظ الطرب قول ثعلب : « الطرب (عندى) هو الحركة » فهذا هو القول الصائب على ما نرى ؛ ولكن

غزل العقاد

للأستاذ سيد قطب

- ١٦ -

الآن يصل أخونا « القمراوي » إلى النهاية البائسة التى وصل إليها إخوانه من قبل . فهم وهو ، يظلون متماسكين — بعض الشيء — وهم يحورون بالكلام ويلفون حول الأشخاص بالجمل العائمة والتعبيرات التى ينبت رأسها فى ذيلها — وبالعكس ! — حتى إذا بلغوا الحديث عن النماذج ، ولمسوا جانب الأحكام الأدبية ، « آن لأبى حنيفة أن يمد رجله » !

من كان ينظر إلى « الجمال » وينظر إلى « الحب » نظرة « العقاد » التى أسلفنا عنها الحديث فى مقالى « سارة » وفى مقالى « غزل العقاد » فهو خليق أن يسمعنا من « الغزل » — تعبيراً عن أثر الجمال والحب فى نفسه — أنماطاً أخرى غير ما عهدناه فى الشعر العربى قديمه وحديثه ، وأن يكون فى هذا الغزل صاحب « خصوصية » أولا ، وصاحب « فلسفة » شاملة ثانياً

وليقل بعض الجهلاء الغلاظ ما يشاءون عن فلسفة الشاعر ، ولينكروا أن يكون لكل شاعر كبير فلسفة خاصة ، يفسر بها الحياة كما تنطبع فى نفسه النموذجية ، لا نتيجة (التأمل) وحده كما يفهمون ، بل نتيجة الفطرة الممتازة كذلك ، ونتيجة الطبع المتفرد ، الذى تهبه الحياة لصاحبه ، وهى ترتقب منه دنيا جديدة يخلقها ، لا كدنيا الناس ، تضمها إلى متحفها الضخم الفريد

والعقاد فى غزله يجيبنا إلى ما نرتقب ، ويرتفع فوقه درجات ، ويحيل الدنيا — حين يحب — متحفاً حياً من الصور والحالات النفسية ، ومن شخوص اللحظات والليالى والأيام التى تدب وتتنفس وتحيا ! ومن الألوان والظلال التى تلقيها المواقف والآلام والأحلام والآمال ؛ ومن الأصداء المنبعثة من أوتار نفس متعددة الأوتار

هى دنيا عجيبة يعيش فيها القارئ بضع ساعات ، فيلتقى فيها بوجوه عدة ، وأنماط من الشخوص نادرة ، ويرى هناك نفساً — بل نفوساً — هادئة ثائرة ، راضية ساخطة ، بانية هادمة ، محلقة فى الرجاء ، وجاثية فى القنوط أو محيرة فى الشك والارتياب ، ويجدها روحانية ترفرف بأجنحة من السماء تارة ، وبوهيمية تلتهم قطوف الواقع تارة ، وكثيراً ما تجمع بين السماء والأرض فى قدرة كقدرة الخالدين

ولكن الميزة الكبرى لهذه النفس أنها تبدو صادقة فى كل حالة ، طبيعية فى كل وجه ، أصيلة فى كل سحنة . فليست هى فى حالة النعمة والاقبال بأقل منها فى حالة المزوف والادبار ؛ وليست هى فى ساحة الرجاء الطليق بأفضل منهـا فى حرج القنوط المطبق ، أو الشك الأليم ...

وتلك قدرة — أو موهبة — لا تتاح لكل شاعر كبير ، بل لعدد محدود من الشعراء الكبار ؛ فقد يكون شاعراً كبيراً وهو يمتاز فى ناحية واحدة من نواحى الاتجاهات النفسية الكثيرة ويرى الدنيا كلها فى ضوء هذه الناحية الممتازة فيه

ونحن لا ننصف الرجل حين نقول : إن الأوتار التى يوقع عليها الحب فى نفسه ، لم تجتمع قط لشاعر عربى ، ولا تجتمع لعشرة من شعراء العربية فى جميع العهود

ابن سيدة قال فى التعليق عليه : « ولا أعرف ذلك » ... على أن فقد المعرفة ليس بإنكار ولا تخطئة ، ولتطلب أن يكون له (عند) وما هو بظنين

وثم لفظان هما عِسِيّان أن يدخلا من هذا الباب ، وتصدق عليهما هذه الصفة ، ذانك لفظ الشجو ، ولفظ الوله . فقد أصفق اللغويون — وبينهم الكسائى — على أن شجاه : حزنه وطربّه ضد . وذكر بعض منهم فى المعجمات أنه قيل : إن الوله يكون من الحزن والسرور . وأنا لم أجد حول هذا الذى قيل فى الوله مايعزز جانبه ، ولم أجع من صيغه ولا من صيغ لفظ الوله ما يسفر به وجه الاشتقاق ، فأحتسب الآن بالاشارة إليهما ، والتنبيه عليهما ، غير مبرم لهما قولاً ، ولا قاطع فيهما برأي

وقصارى البحث أن لفظى الروعة والطرب لا يدلان إلا على تأثر النفس بما يُحرِّك ما فيها من الباهج أو الكروب ، فالغناء يَرُوع ويُطرب ، والمغنّى رائع مطرب ؛ لأن روعة الغناء وطربه يستخفان الشاعر ؛ فتستبرج الفرحة الخفرة أو يهتاجُ الأسى الكظيم ؟

محمد شوقى أمين

نحن لا ننصفه حين نتحدث عن اللغة العربيـة وحدها ؛ ولكنا نقول ذلك مؤقتاً ، لأنها اللغة التى نستطيع الحكم على آدابها حكما نملك أدلته كلها ونجزم فيه بالصواب . وإلا فبين يدى معربات كثيرة لشعراء من الغرب مشهورين معروفين « كبيرون وشيلى والفريد دى موسيه وفيكتور هوجو » لا أرى فيها من تعدد الجوانب الصادقة الأصيلة ما أراه فى غزل العقاد وشعره عامة

وما أقول هذا وأقصد به إصدار حكم لا أملك كل مستنداته ولكنه توجيه لدارسى هذه الآداب ، ودراسة تنفع للحكم بين شاعر مصرى كبير ينالنا شرف سبقه وتفوقه فى هذه الميادين ، وبين شعراء العالم المشهورين المقروءين .

* * *

أول ما يطالعك فى غزل العقاد ـ وفى شعره عامة ـ اليقظة والوعى الفنى ، والانتباه لما يجول فى نفسه من الخواطر والأحاسيس ، وما ينبض به قلب من يحب من الشاعر والأشواق وما يحيط بها من أجواء وآفاق .

وينشأ عن اليقظة الاتجاه الفلسفى ، لتعميق الاحساس بالحب ، كما ذكر على لسان « همام » فى « سارة » وأسلفنا عنه الحديث . كما ينشأ هذا الاتجاه عن رأيه فى الحب والجمال ، وعلاقتهما بأغراض الحياة الكبرى ، ووشائجها بالكون فى آماله الفسيحة .

ولا مفر لمن ينظر هذه النظرة أن يجاوز التعبير عن خاصة نفسه فى الغزل ، إلى صلة حبه بالحياة والكون ، وأن تتسرب إلى هذا تجاربه وتأملاته فى الحياة ما دامت النفس الانسانية وحـدة لا تقوم الحواجز بين أجزائها ومكنوناتها . فتتألف من ذلك كله فلسفة ، يحسبها السطحيون بعيدة عن الحب والغزل لأنه لم يكتب عليها لافتة (يافطة) تقول : « هنا عاطفة ! » ، ولأن الحب عندهم هو ذلك الظمأ والطوى ، الذى لا يبعد كثيرا عن الحس الساذج القريب ، ولأنهم ذوو نفوس ضيقة ناضبة لها وتر ضئيل .

وليس فى غزل العقاد ولا فى شعره كله هالات وظلال ، (مما قد يكون جميلا فى شعر آخرين ليست لهم هـذه الطبيعة) وليس هو ميالا للرمزية — وبخاصة كما يصورها بعض أتباع هذا المذهب فى هذه الأيام — واليقظة والوعى الدقيق ، والانتباه الصارم ، لا يناسب هذه الرمزية ولا يستريح إلى الايغال فيها إلا بمقدار .

ومثل العقاد فى هـذا كمثل الجهاز السليم الدقيق ، يرصد الكواكب والسدم ، فيدركها واضحة محدودة عما حولها ، فملام تكلفه أن يظهرلك فى الصورة ظلالا وأشباحا ، وهو يرى أضواء وشخوصا ؟ ألأن جهازا آخر مختلا أو ضعيفا ، أو على عدسته غشاوة يسجل تلك الظلال والأشباح ؟

نعم قد يُظهر لك فى بعض الأحيان غشاوات وسحبا ، لأن هناك سدما غير واضحة فى ذاتها — لا فى عدسته — وهنا تكون الرمزية الصادقة التى تكتفى لأنها لا تملك التصريح ، وتسجل الغشاوة لأنه لا سبيل إلى الوضوح

على أن هناك سبباً آخر لسلوك العقاد هـذا المسلك فى الاحساس بالحياة والتعبير عنها فى وضوح دقيق ، ذلك هو فلسفته العامة عن الحياة

فالعقاد ليس من الشعراء الذين لا يجدون فى هذه الحياة المنظورة جمالا فيعمد إلى التوشية والتظليل ليدارى العيوب ويخلق المحاسن المتخيلة الغامضة ؛ أو يتركون هذه الحياة كلها ، ويرسمون من الخيال حياة أخرى يغشيها الضباب والدخان ، وتزينها التهاويل والأطياف !

إن هذه الحياة المنظورة جميلة عنـد العقاد تستحق الحب والالتفات ، وهى كذلك رفيعة تستحق التقديس والاحترام :

يا طالباً فوق الحيـاة مدى له يعلو عليها . هل بلغت مداها !
ما فى خيالك صورة تشتاقها إلا وحولك لو نظرت تراها

ومن المستحسن أن نوضح ما ذا يعنى العقاد بالحياة المنظورة ، فهو يعنى بها الحياة فى كنهها وذاتها ، فى ماهيتها كقوة خالدة ، ويراها وحدة من مبدئها إلى منتهاها ويضم إليها آلامها فى جهادها وأشواقها إلى غايتها ، وخطواتها إلى الدوام والكمال

هذه هى الحياة التى يهيم بها العقاد — كما هى — ويراها وافية بتحقيق مطالب الخيال والأشواق ؛ وليست هى حياة الساعة واليوم ، أو حياة الفرد والجيل المحدود

وهذه الحياة — عنده — «روح نلمسها بيد من المادة» ، ولا انفصام — بل لا اختلاف — بين القوة والمادة فيها ، وقد برهن العلم فى محاولاته الأخيرة على صدق هذه النظرة بالفطرة السليمة ، فما الذرات التى تتألف منها المواد إلا كهارب موجبة وسالبة ينشأ من تماثلها وجود المادة فى الحس ، وليس ما يعرف فى الطبيعة «بالمقاومة» إلا قوة تعارض قوة ، أيتهما زادت طاقتها تغلبت وظهرت

ومن هنا ينشأ احترام العقاد للجسم فى عالم الجمال ، أو ما اصطلحنا على أن نسميه « جسما » وهو طاقة من قوى الحياة تتمثل فيها للحس ، وتلمس باليد . ولهذا فحين يبلغ الحس غايته يجعل من المحسوسات أرواحاً ، ويحيل المتع كلها روحية علوية :

ما نعيم يمنح الكـــف غناء المهجات ؟
تقصر الألبـاب عنه وهو بعض اللمسات
فى يدى أدعوه خصراً تارة أو زهرات !
فى فمى أدعـوه ثغراً تارة أو قبـلات !

والسماء والأرض — على هذا — متقاربتان فى الحيـاة . أنظر إلى الحياة فى قيودها وضروراتها فأنت منها فى أرض جاثية. وانظر إليها فى آمالها وأشواقها ، فأنت منها فى سماء طليقة . وهى هى الحياة فى أرضها وسمائها وحدة لا تتجزأ ، مقبولة الأعذار ، مغفورة الزلات ، محبوبة المباهج ، مرموقة المناظر ، لأنها الحياة !

ومن شأن هذه الفلسفة ألا تلجأ إلى الألغاز والمعميات ، ولا إلى الأشباح والخيالات ، ولا إلى الظلال والغشاوات ، إلا حيث يكون هذا كله جزءا من كنه الحياة وقبساً من طبيعتها . وذلك لأنها تواجه الحياة بخيرها وشرها ، وتعترف بهذا الخير والشر كمزاج أصيل لها ، وتدرك ما فيها من جمال حقيقى موجود ، لا غاية بعده لوهم ولا لخيال

***

وقد استطردنا فى بيان فلسفة العقاد العامة ، فسقنا فيها بعض خصائصه فى غزله وهى « التوحيد بين متعة الحس ومتعة النفس أو بين الأرض والسماء » . ثم دعانا هذا الاستطراد إلى تأجيل الأمثلة التى نأخذ منها دلائل اليقظة والوحى الفنى . والآن فلنأخذ فى إيراد الأمثال :

يقول فى قصيدة بعنوان « تبسم » :

تبسم فإن القلب يسعد بالذى سعدت به واضحك وغرد وخاطر
يلذ لنا منك اغترارُك بالصبا غرورُ الصبا روحٌ لقلب الحاذر
ويعجبنا أنا نري فيك معجَبا مدلا على الأيام إدلال ظافر
بشوشاً تكاد العين تلمح قلبه وتسرد فى نجواه نظم السرائر
إذا غامت الجلَّى تبلجت بينها تبلج ومض البرق بين المواطر
وتضـحك والأتراح حولك جمة
تخافك خوف الجن رجم الزواهر
وتبكى وأفراح الحيـاة كثيرة يحاذرننا من حولنا كالطوائر
فياقرب ما بينى وبينك فى الهوى ويابعد شَقَّى دارنا فى الخواطر
طوى الحب ما بينى وبينك من مدى
فنحن قرينَا موطنٍ متجاور
أيامن رأى ليلاً وصبحاً تلاقيا وإلفين من صفو وشجو مخامر
لئن تخش منى الليـل صعباً مراسه
لقد بت أخشى منك شمس الهجائر
فيـالى من ليل بحبـــك موثق
وثاق الضوارى فى كناس الجآذر
تطالع منه الهولَ سهلا مقاده رخاءً غواشيه ، شجيَّ الزماجر
ويا ربَّ مرهوب السطا وهو مطلق
إذا كُفَّ أضحى متعة للنواظر
أنا الليل فاطرقنى على غير خشية
ولج باب أحلامي وجل فى حظائرى
ومر حيث يخشى غيهب الليل نفسه
وتمتر بالظلماء ظلمـاء كافر (١)
لتعلم ما الدنيا إذا غال غولها وأنت أمين من طروق الدوائر
وتعلم أن الشمس تكذب قومَها إذا حدثتهم عن خفى وظاهر
فكم بين لألاء الضحى من مناظر طوتها يد الأحداث عن كل ناظر

فها هنا رجل يحب ويعبر فى غزله عن هذا الحب ، ولكن اليقظة التى ابتعثها الحب فى نفسه وفكره جميعاً تجعله يتنبه إلى خصائص نفسه وخصائص من يحبه ، ويلمح الفروق الواضحة بينهما التى يؤلف منها الحب وحدة ونظاماً ! ثم تدخل فى المضمار فلسفته العامة ونظرته إلى الحياة قيودها وطلاقتها ، ضروراتها وأشواقها ، فيتألف من ذلك كله غزل ناضج فريد على غير مثال

ومن حق الأدب علينا أن نشرح هذا كله فى تلك الأبيات

يعجب العقاد فى حبيبه بالجمال ، ولكنه لا يقف عند هذا الذى يدركه كل شاعر — وإن أدركه هو على نحو خاص — فإنما يعجب فيه أكثر باغترار الصبا ، والإدلال على الأيام إدلال ظافر ، والبشاشة التى لا تفرض وجوداً لعبوسة الحياة.

وإلى هنا يمكن أن يصل شاعر ممتاز . ولكن ما يعجب العقاد فى هذا هو معنى أبعد وأرق . إنما يعجبه من هذه الغرارة

---

(١) اسم من أسماء الليل

والبشاشة، غلبة الحرية على الضرورة فى هذا الجيل، وغلبة الفرح الطليق على الانقباض الحبيس، وغلبة البشاشة الراجية على العبوسة اليائسة

ثم يلقى نظرة أخرى على هذين القلبين اللذين جمع بينهما الحب، فاذا أحدهما يضحك والأفراح حوله جمة، وثانيهما يبكى وأفراح الحياة حوله كثيرة، وهى مفارقة من مفارقات القدرة الخالقة فى الحب، التى تهزأ بالظواهر والأشكال وتمزج بين العناصر أبعد ما تكون طبيعة وكنهاً. ويلتفت من هذا إلى أثر هذا المزج العجيب، فاذا قلبه الرهوب بما فيه من آلام وجماح، وقد غدا مروضاً مذللاً بهذا القلب الآخر المشرق البشوش، فصار مأموناً لا يرهب، كما تشاهد الضوارى موثقة فتكون مسلاة، وكانت وهى طليقة تبعث الرعب والفزع

ثم ينتهى من هذا إلى أحسن تعبير عن اطمئنان صاحبه إليه، والتذاذه بكشف مجاهل نفسه وغيابها، فى ظل الحب وحراسته وأمنه فيدعوه أن يجول فى هذا القلب الوعر الرهوب ليستمتع بمشاهدة الخطر المأمون، ويعلم أن الشمس لا تكشف إلا الدنيا الظاهرة، وأن ليس غير الحب يكشف أعماق القلوب

مثل هذا لن يفهمه من يفهمون الغزل لهفة ودموعاً، أوفرحة واستمتاعاً؛ ولن يفهمه بطبيعة الحال من يريدون عواطف الحب قالباً مصبوباً من غزل العذريين أو البوهيميين فى الشعر العربى المحدود. ولكنه أحق قول باسم «الغزل» وأدخل قول فى العاطفة اليقظة المشبوبة، النيرة بالحب حتى تكشف ما حولها، وتضمه بجناحيها

ويقول فى قصيدة بعنوان: «المنعم المجهول»:

يا من عليه تلهفى وتلددي	قد جرت فلتهنأ بأنك جائر
وأريتنى مالا ترى، ووهبتنى	مالست تملكه. فما لك شاكر
محضتنى مر الحياة وسرها	خاف عليك: جليله والضامر
إن الضياء يُرى العيونَ ولا يرَى	والحسن يوقظ وهو غاف سادر
فلئن بخلت بما ملكت فحسبنا	مالست تملك. فهو عندك وافر!
أنسيتنى نفسا وقد أذكرتنى	نفسا. وخيرهما التى أنا ذاكر
لكشفت باطنها فقد أنكرتها	لما بدا منها القرار الغائر
فامنح وصالك أو قلاك فإننى	راض بكلنا الحالتين وصابر

وهنا أيضاً شاعر يتغزل، ويقول فى أول هذه القصيدة ماينتظر من شاعر مثله فى الحب والجمال، ووصف هجر حبيبه وما يمثه فى نفسه من إحساس، ثم يتيقظ إلى ما أثاره هذا الحب فى نفسه - مع الحرمان - وأنه وهبه ما كان مخبوءا عنه فى أطواء نفسه، لا يعلم حتى هو بوجوده، وأن هذه هبة لا يملكها الحبيب الهاجر، لذاته ولا لصاحبه، وأنها منعم جليل يعوض عن المتاع والوجدان.

وندع العقاد نفسه يعبر عن هذه المعانى أدق تعبير حين يقول:

«إذا اعتلجت بالنفس عاطفة قوية أثارت رواكدها، واستفزت رواقدها، فانكشف للانسان من نفسه مالم يكن يعرف، واختبر من قواه وطباعه ما كان خافيا عنه، فصحح نظره فى الحياة، وتغيرت بين يديه حقائق الأشياء فرآها كما ينبغى له أن يراها، لأن معرفة النفس مقياس معرفة الوجود، ومن أخطأ تقدير نفسه لم يصب فى تقدير ما حوله، لأنه يقيس الأشياء بمقياس مختل مجهول

«والحب أقوى العواطف وأعمقها تفتيشاً فى النفس. فهو ينبه فيها الاعجاب والعبادة والبغض والألم والغيرة والاحتقار والشفقة والقسوة، وكل ما تشتمل عليه من حميد الخصال وذميمها؛ فاذا وقف الانسان على حقيقة نفسه، وقف على كل حقيقة يتاح له الوقوف عليها. وكان الجمال له معلماً يستفيد منه ما لم يعلمه الجمال نفسه، ومنعماً يهبه مالا يملك! كالشموس والأقمار التى تضىء للعين المنظورات، وهى بلا عين تبصر أو نفس تشعر. فاذا خسر الانسان فى الحب غرضاً أراده، ربح منه غرضاً لم يرده، وكان ما جاءه من الربح عفواً أكبر مما توخاه عمداً»

وهذا القول نفسه دليل من أدلة اليقظة التى يمسها الحب فى نفس العقاد اليقظة «المركبة» التى تتيقظ وتعرف أنها تتيقظ فى الوقت ذاته. وهذا نادر فى النفوس

***

وبين يدى ثلاثون مثالا على ماذكرت على هذه الخاصة فى غزل العقاد، بل لدى غزل العقاد كله يصدق هذا الكلام، ولكن حسبى المثالان السالفان، وإلى مقال آخر نستعرض الخصائص الأخرى هذا الاستعراض (١)

«الاسكندرية» سيد قطب

(١) وقعت فى الكلمة الفائتة أغلاط ملحوظة، وقد وقع مثلها فى الكلمات السابقة، ونحن لا نرى ثمة تذكر من التصحيحات اللاحقة. وما دعانا لهذا التنبيه إلا تعنت بعض المتصفين الأخلاقيين الذين ينقلون الخطأ كما يقع ويتقلونه! فنعرض عن هذا التصرف الصغير.

فتاوى شرعية

معضلات العصر

للأستاذ الجليل محمد بن الحسن الحجوى

وزير معارف الحكومة المغربية

تتمة

نص الجواب عن الأسئلة الأنغودرية

جواب السؤال الثانى :

إن الذى يأخذ مرتباً كبيراً من دولة أجنبية سواء الذى فى بلاده أو فى بلاد مجاورة إن كان يتقاضى ذلك فى مقابلة عمل يضر بأحد كالجوسسة أو الوسوسة أو خدمة مؤامرة أو إيقاد فتنة أو أى ضرر آخر بفرد أو بالأمة ، فالمرتب حرام وسحت ، والفعل المذكور مذموم وخيانة عظمى ، والجاسوس ملعون ومعلوم حكمه من كتب الفقهاء فلا نطيل عليكم به . ومن أحكامه إباحة دمه حسب نظر الامام وكما تقتضيه المصلحة ، مالم يؤدذلك إلى فتنة أعظم فللامام النظر فيه . وبالجملة إن السؤال عن المرتب وهو سحت وحرام فان لم يكن فى مقابلة ذلك بل كان لأمر اقتصادى أو مرتباً عمريًّا فى خدمة مشروعة أو نحو ذلك مما لا ضرر فيه على أحد فلا شئ فيه

جواب السؤال الثالث :

... فى الطرق الصوفية التيجانية أو غيرها ...

إن هذا السؤال كان سألنى عنه شيخ الاسلام المقدس المبرور سيدى أحمد بيرم التونسى بذاته وكنت أجبته مشافهة بمحضر جمع من علماء تونس والجزائر ومنهم العلامة صفيناسيدى الحاج احمد سكيرج ، أحد عظماء الطريقة التيجانية الأعلام

وهأنذا أكتب لكم ملخص الجواب الذى أجبته به بمحضرهم بمعناه : إن الطرق الصوفية تجانية أو غيرها ، إنما حدثت فى الاسلام لجمع قلوب المسلمين على إقامة الشريعة الغراء إقامة كاملة كافلة تطهير النفوس من الأخلاق الذميمة ، وتحليتها بحلية مكارم الأخلاق ضمن دائرة العمل بالكتاب والسنة والمحافظة على أنفاس العمر ألا تضيع فى سفساف الأعمال ، مع التراحم والتواد بين عموم المسلمين كما أشرت لهذا فى كتابى « الفكر السامى فى تاريخ الفقه الاسلامى » فى الربع الثالث منه عند الكلام على تاريخ علم التصوف ، وقد بسطته أتم بسط فى كتابى « برهان الحق فى الفرق بين الخالق والخلق » حيث تكلمت على كثير من الطرق ومنها الوهابية

فكل طريقة وجدناها تخدم الاسلام بإخلاص سائرة على هذا المبدأ سيراً مستقيما فأنعم بها وأكرم ؛ وكل طريقة حادت عن هذا المبدأ نبذناها نبذ المستقذرات وتبرأنا من عملها تبرؤ إبراهيم من أبيه . إن سيدى الوالد المقدس كان من أتباع الشيخ التجانى — رحم الله الجميع — وكان يؤكد لى أن الشيخ كان يقول لأصحابه: زنوا كلامى بميزان الكتاب والسنة، فما وافقهما فخذوه، وما خالف فانبذوه . فنحن نعمل بوصية الشيخ ونزن ما ينسبه إليه بعض الجهلة من أصحابه الذين لا يفرقون بين النبي والولى ولا بين الخالق والمخلوق — بميزان الشريعة ، ثم نفعل ما أمرنا به قدس الله روحه

وعلى هذا فالقولة التى شاعت وذكرها بعض المؤلفين منهم ونسبها للشيخ وذكر أنه وجدها بخطه وهى : أن صلاة[1] الفاتح لما أغلق تعدل ستين سُلكة من القرآن أو ثمانين . ثم جاء بعض المؤلفين منهم فزاد صفراً وقال ستمائة ، ثم جاء محشيه وزاد صفراً ثانياً وقال ستة آلاف سلكة

نقول إنا عرضناها على الكتاب والسنة فلم نجد إلا ما يردها وينبذها لأنها تقتضى كناية وهى أبلغ من التصريح أنها أفضل من الصلاة الابراهيمية التى صحت بها الأحاديث بل ومن القرآن أيضاً وأن كلام المخلوق أفضل من كلام الخالق (ولذكر الله أكبر)

دعى من فرية أنها من الكلام القديم فثل هذا لا ينطلى حتى على المغفلين ولا يلتفت إليه المؤمنون بالله الذين يعلمون أن

---

(١) إن صلاة الفاتح ليست من إنشاء الشيخ التجانى ولا نزلت عليه من السماء ولا لقنها له النبى صلى الله عليه وسلم يقظة كما يفترون ، بل هي للشيخ البكرى كما يقوله علماؤهم الأثبات . ولم يدع البكرى ولا أصحابه نزولها عليه ولا أنها من كلام الله القديم ولو أنه ادعاه لكفروه لأن النبوة والوحى قد ختما بمحمد صلى الله عليه وسلم

الوحى انقطع بموت النبى صلى الله عليه وسلم ، وأن إلهامات المتصوفة والمرائى النامية لا قيمة لها فى الحجية عند كافة أهل العلم والدين المتد بهم؛ والثواب على الأعمال ومقداره عند الله لا يدرك إلا بطريق الوحى الحقيقى ولسان النبوة الناطق ؛ خلافاً للمعتزلة القائلين بالتحسين والتقبيح المقليين؛ وأن العقل يستقل بمثل هذا

ومن المكر الخفي والكيد للاسلام المنطوى تحت هذه المقالة تزهيد الناس فى القرآن العظيم وفى تلاوته ثم الاعراض عنه إلى ما هو أخف عملاً وفي الميزان أثقل فى زعمهم الباطل

وإنى لأعجب لمسلم استنار قلبه بنور القرآن يقبل هذه المقالة الشنعاء فى الاسلام فلا حول ولا قوة إلا بالله

لذلك إذا أحسنا الظن بالشيخ — كما هو شأن المسلمين مع سلفهم الصالح — واعتقدنا فيه الكمال ، فلنكذب نسبتها للشيخ ونسترح ، فإن الاشتغال بتأويل كلام غير المعصوم من العبث وتضييع الوقت . ثم لأن سند نسبة المقالة للشيخ واه من أصله لضعف سند الوجادة إن صدقنا من قال إن الخط خط الشيخ . وقد جرب المحدثون التنفل على كثير من العباد والمتصوفة، لذلك ضعفوا رواية كثير منهم كما هو مقرر فى فن المصطلح . كما أننا جربنا الكذب والبهتان والتغفل والبله على كثير من الأتباع لما يحملهم عليه التعصب الطرقى والتحزب المذهبى وحب انتشار الطريق ، لأن ذلك من أساليب الارتزاق ، واستغلال استبلاه المتغفلين الجاهلين ، يحببون إليهم الطريق بتكثير ثواب الأعمال وطرح الشاق وسهولة الوصول وتخفيف المسؤوليات أمام الله . فيقولون للمريد : من عمل فى طريقنا قليلاً كان له أكثر من الأجر الذى يكون لغيرنا بأضعاف. فاذا كان لمطلق المسلم ليلة قدر واحدة فى السنة فالتجانى كل لياليه ليلة القدر . وإذا كان لغيرنا على الحسنة عشر حسنات فلنا آلاف الحسنات ؛ وإذا كان غيرنا عليه حساب ومسؤولية أمام الله ثم عقاب ، فنحن ندخل الجنة بغير حساب . نحن لنا سيدى أحمد التجانى ضامن وهم لا ضامن لهم ؛ وكل تجانى يحضر سيدي أحمد لقبض روحه. إلى غير هذا مما هو معلوم لدى كل من خالطهم ، فيصورون له الطريق التجانية بأجل صورة يتصورها الوهم . فكأنها ورقة حماية من دولة لها سلطة عالية ، تملى من يجير ولا يجار عليه ، فكأنهم نسوا القرآن

فبهذا صارت الطريقة التجانية فى نظر أهل العلم بالسنة والكتاب كأنها مسجد الضرار ضد الاسلام

فالله يقول فى نبيه خاتم النبيين ، وهم يقولون فى الشيخ التجانى هو الختم ، وهو لبنة التمام للأولياء ، فحجروا على الله ملكه وقطعوا المدد المحمدى وهم لا يبالون أو لا يشعرون، وحتى إن شعروا فالقصد يبرر الواسطة؛ وإذا سمعوا أن النبى أفضل النبيين قالوا إن التجانى رجله على رقبة كل ولى لله بهذه العبارة الجافة من كل أدب والجارحة لعواطف كل مسلم ، لأن الولى فى عرفهم يشمل النبى، إذ يقولون إن ولاية النبى أفضل من نبوته، ولا يبالون أن يكون أصحابهم أفضل من أبى بكر وعمر والعشرة المبشرين بالجنة الذين كانوا يخافون الحساب ولا يأمنون العقاب ؛ ولم يكن عندهم بشارة النجاة منهما . إذ لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون

حكى لى بعض القضاة قال : كان فى محكمتى تسعون عدلاً فى البادية . وقد تقصيت أخبار الصالح والطالح منهم لأعلم مقدار تفقى بهم فى حقوق المسلمين فوجدت عشرين منهم متساهلين لا يؤتمنون على الحقوق؛ وحين دققت النظر فى السبب تبين لى أنهم جميعاً تجانيون ، فبقيت متحيراً حتى انكشف لى أن السبب هو اتكالهم على أنه لا حساب ولا عقاب يترصدهم فانتزع الخوف من صدورهم . كل هذا سببه الفساد الذى أدخله جهال الطريق عليها فأفسدوها وانعكس المقصود من الطرق التى كان يقصد منها ردع الخلق عن المعاصى والتوبة منها وزيادة خوف الله فصارت إلى أمن مكر الله، وإزالة مخاوف الآخرة من عقولهم فلا يبقى فى قلوبهم ذرة من خوف الله وإنما تمتلىء بتعظيم شيخهم حتى تتراءى لهم عظمته فوق عظمة الله ورسوله

ومعتقدى فى الطريق التجانية الحقيقية نزاهتها عن هذه الهذيانات وهذه الاباحة المقنعة إذ كان فيها فحول الدين وأساطين العلم ، مثل أشياخنا : مولاى عبد الملك العلوى الضرير سيدى محرب التهامى الوزانى، سيدى الوالد المقدس، سيدى الحاج محمد بن محرب عبد السلام كنون ، سيدى أحمد بن أحمد بنانى ... ومن قبلهم كسيدى ابراهيم الرياحى التونسى ومن قبله ، ومن بعدهم ممن هم موجودون الآن وفر الله جمعهم ووفقهم للقيام بأحكام الطريق . وقد ذكرت فى الفهرست وفى الفكر السامى تراجم

جملة منهم . وكانوا سرج هدى فى علوم القرآن والسنة والوقوف عند أوامرها ؛ وحاشاهم أن يتمذهبوا بطريق تؤسس على ما يوهم خلاف عظمة الاسلام والشرع الاسلامي أو يرضوا بذلك وهم من هم علماً وديناً وورعاً وذباً عن الاسلام وغيرة عليه . ومنهم من كان يذكر هذه الزوائد علناً ، ومنهم من انفصل عن الطريق لأجلها كسيدى الفاطمى وغيره رحمة الله عليه

أما كتاب «جواهر المعانى» الذى ألفه أحد العوام من أصحاب الشيخ التجانى ، فأخذ أكثره حتى الخطبة بلفظها من كتاب «المقصد الأحمدى» الذى ألفه قبل الشيخ التجانى سيدى محمد ابن الطيب القادرى فى مناقب سيدى أحمد بن عبد الله معن الأندلسى . والمقصد الأحمدي قد طبع فبان عوار جواهر المعانى حتى الشمر الذى قيل فى سيدى أحمد بن عبد الله أخذه بنفسه وجعله فى الشيخ التجانى ونقل الفصول بلفظها، بل كل ما وصف به سيدى أحمد بن عبد الله جعله وصفاً لشيخه ظاناً أن اتحاد الاسم اتحاد للوصف . وذلك ما يدلك على براءة الشيخ التجانى من كل ما تضمنه الكتاب المذكور

ومن أغلاط أدباء هذه الطائفة وغلوهم المفرط أنهم جعلوا قانوناً لطريقتهم ضمنوه مختصراً على لهجة مختصر الشيخ خليل المالكى نسقاً وأسلوباً ، وبينوا فيه الأحكام الخمسة من وجوب وحرمة وندب وكراهة وجواز كأنهم لم يسمعوا قوله تعالى (إن الحكم إلا لله)

ومن عجيب أمرهم أنهم جعلوا حكم الردة عن طريقهم أقسى وأهول من حكم الردة عن الاسلام

فإن من ارتد عن الاسلام تقبل توبته ولو تكررت : (إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا) الآية . أما من ارتد عن الطريق التجانى فلا تقبل توبته وليس له إلا الخلود فى النار والموت على سوء الخاتمة ، ويبقى عندهم ملحوظاً بتلك السمة ، ولا مطمع فى قبول توبته، ولو أناب ورجع لطريقهم . ويظن بعض أنه لو كانت لهم سلطة متمكنة لقتلوه وما استتابوه

فعملهم هذا يتخيل منه أن لهم برنامجاً خاصاً يستدرج طريقهم لتصير ديانة مستقلة عن الإسلام ... حكى لى أن محمد الأمين الشنقيطى لما ألف المختصر المذكور ظاناً أنه عمل عملاً عظيماً حميداً — جاء به إلى الأستاذ العارف سيدى العربى الوساوى ساكن زرهو ، وهو من علماء هذه الطائفة الكبار ومقدميها الأخيار ؛ فلما اطلع عليه وبخه توبيخاً عنيفاً قائلاً : أتجعلون طريقنا مسجد الضرار للاسلام ؟ السنة تجمعنا والبدعة تفرق بيني وبينكم ، أو ما هذا معناه . ولم يقدروا على إظهار هذا المختصر إلا بعد وفاة هذا السيد الجليل رحمه الله . وبعد موته وجد فى تركته فسرقه من سرقه ونسبه لنفسه وطبع ونشر فكان موت الأكابر زلة الأصاغر

لقد وقع مثل هذا فى الديانات تسلط عليها الجهلة فأفسدوها ظانين الاصلاح فكيف بالطرق ؟

وهذه صورة مصغرة تربنا كيف وقع فى الديانات حتى اختل نظامها وطمست أعلامها وهرمت بالقلب والابدال الذى أشار له القرآن ...

وإذا لم يتدارك هذه الطريقة علماؤها بحذف ما زيد فيها ، وإبطال كل ما خالف القرآن والسنة ونبذ كل تأويل وتضليل فانها تؤول للاضمحلال ، إذ الاسلام أفاق من سكرته ، ولم تعد أفكار أهله تقبل أدنى شىء يمس بجوهر أصول الكتاب والسنة أو يخالف العقل الصحيح

وتمسكوا أى تمسك بقاعدة أن الدين الصحيح لا أمت ولا عوج ؛ وهو ما بين دفتى المصحف والبخارى ومسلم وصحيح السنة من رواية العدول الثقات دون المغفلين الجاهلين ، ورموا خلفهم كل ما خالف ذلك غير ملتفتين لتأويل المؤولين وتضليل المرتزقة المضللين

وإنى على يقين أنه بانتشار التعليم الصحيح المؤسس على الأصول السابقة ، تنكمش تعاليم الخرفين وتظهر رداءة نقودهم المزورة ، فتنكشف صبغة نقودهم المدبرة باشراق شعاع شمس الكتاب والسنة والعقل الصحيح ؛ فاجتهدوا فى تعليم أولادكم الدين القويم قبل أن يسبق إلى قلوبهم أى تعليم آخر سواه ؛ فهو يناضل عن حوزته لأن برهانه فى نفسه : (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) . (إن الله متم نوره ولو كره الكافرون) وعليكم سلام الله ورحمته من منبطه وجامعه معتذراً بقصوره وكثرة شواغله

«الرباط» محمد بن الحسن الحجوى الثعالبي الجعفرى

تيسير قواعد الاعراب

لأستاذ فاضل

— ٤ —

وذلك التكلف فى نيابة المجرور عن الفاعل فى نحو — مُرَّ بزيد — هو ما ذهب إليه جمهور النحاة . وهناك تكلفات أخرى فيه ، منها أن النائب ضمير مبهم مستتر فى الفعل ، وبه أخذ ابن هشام وغيره

ومنها أن النائب ضمير عائد على المصدر المفهوم من الفعل ، وبه أخذ ابن درستويه والسهيلي والرُّندِيُّ

ومنها أن النائب حرف الجر وحده فى محل رفع ، وبه أخذ الفراء . وقد قال أيضاً بأن الحرف فى محل نصب بعد الفعل المبنى للفاعل فى نحو — مررت بزيد — وهو عندهم مذهب فى غاية الغرابة ، لأن الحرف لاحظ له فى الاعراب أصلاً ، ولكنه عندنا مذهب يؤيد ما ذكرناه من أن مسألة الاعراب والبناء مسألة تقديرية ، ويجعل ما ذهبنا إليـه من الاعراب الظاهر فى الحرف مذهباً قريباً سائغاً ، لأنه أقرب من ذلك الاعراب المحلى الذى يتكلفه الفراء فيه

فالمذاهب فى ذلك أربعـة كلها متكلفة . ومذهبنا أن الجار والمجرور متعلق بالفعل ، وتعلقه به فى ذلك كتعلقه به فى نحو — مررت بزيد — وإذا بطلت النيابة عن الفاعل فى ذلك بطلت فى غيره ، ولا شيء في أن يكون لنا مفعول به منصوب ومفعول به مرفوع ، ولا فى أن يكون لنا مبتدأ مرفوع ومبتدأ منصوب ، ولا فى أن يكون لنا خبر مبتدإ مرفوع وخبر مبتدإ منصوب ، فإن هذا كله لا يبلغ الأمر فيه أكثر من أن يكون مثل الفعل المضارع فى رفعـه ونصبه وجزمه ، فهو فعل مضارع فى جميع حالاته ، مع أنه قد تأثر فى لفظه ومعناه بدخول عوامله عليـه كما تأثر المبتدأ والخبر بدخول عواملهما ، فليكونا مثل المضارع فى ذلك ، وكذلك غيرهما مما ذكرنا

متعلق الظرف وحروف الجر

قسم النحاة هـذا المتعلق إلى قسمين : متعلق عام كمتعلق — زيد عندك أو فى الدار — ويقدرونه — كائن أو استقر — وهو عندهم واجب الحذف ، ويعربونه هنا خبرا

الثانى متعلق خاص كما فى نحو أنا واثق بك ، وهو الخبر أيضا

وترى الجماعة أن المتعلق العـام لا يقدر ، وأن المحمول فى مثل — زيد عندك أو فى الدار — هو الظرف والجار والمجرور لا المتعلق . ونحن نرى أن الخطب فى هذا سهل ، وقد ذهب إلى مثل ذلك الرأى بعض النحاة ، فهو رأي قديم معروف ، وليس برأى جديد لهذه الجماعة

الضمير

ترى الجماعة إلغاء الضمير المستتر جواز أو وجوبا . فمثل — زيد قام — الفعل هو المحمول ولا ضمير فيه ، فليس بجملة كما يعده النحاة ، وهو مثل — قام زيد — ومثل — الرجال قاموا — الفعل محمول اتصلت به علامة العدد ولا يعتبر جمـلة ، ومثل — أقوم ونقوم — الفعل محمول والهمزة أو النون إشارة إلى الموضوع أغنت عنه

والجماعة هنا تناقض نفسها ، فبينما ترى الاستغناء عن الضمير المستتر جوازاً أو وجوبا ترجع إلى تقديره فى مثل — أقوم ونقوم — وتجعل فى الهمزة والنون دليلا عليه ، ولا بد لها أيضا من تقديره فى مثل — قم — بدون أن يكون هناك ما يدل عليـه من همزة أو نون ، وإذا رجعنا إلي التقدير فى الضمير المستتر وجوبا فلنرجع إلى التقدير فى المستتر جوازا من باب أولى ، لأن جواز ظهوره فيه دليل على وجوده عنـد عدم ظهوره ، بخلاف الضمير المستتر وجوبا ، فانه لا يجوز ظهوره كما يجوز ظهور الضمير المستتر جوازا

وقد غفلت الجماعة عما يجب من ربط الخبر بالمبتدأ ، فلم تقدر الضمير فى مثل — زيد قام — مع أن الضمير ها هنـا واجب التقدير لأجل ما يجب من هذا الربط فى هذا المثال ونحوه

التكملة

وترى الجماعة أن كل ما يذكر فى الجملة غير الموضوع والمحمول فهو تكملة ، وحكم التكملة أنها مفتوحة أبداً إلا إذا كانت مضافاً

إليها أو مسبوقة بحرف جر ، ثم ذكرت أن التكملة تجيء لبيان الزمان أو المكان ، ولبيان العلة ، ولتأكيد الفعل أو بيان نوعه ولبيان المفعول ، ولبيان الحالة أو النوع ؛ وقد ظنت أنها بذلك جمعت كثيراً من الأبواب كالمفاعيل والحال والتمييز تحت اسم واحد وهو التكملة دون أن تضيع في ذلك غرضاً

ونحن نرى أنها لم تفعل في ذلك شيئاً ، فقد كانت هذه الأبواب يجمعها قديماً اسم الفضلة ، فلم تفعل الجماعة إلا أن جمعتها تحت اسم التكملة ، ثم قضى عليها ما بينها من خلاف أن ترجع إلى تفريقها في بيان اختلاف أغراضها ، وكذلك يقضى بهذا التفريق اختلاف أحكامها وأحوالها ، فكل واحد منها لا بد له من باب تجمع فيه أحكامه ، وتبين فيه أحواله ، وهذا أوفى بضبطها من جمعها كلها في باب واحد تحت اسم التكملة ، وليس هناك ما يدعو إلى جمعها في باب واحد . وقد حاولنا أن نجمع فيها مثل ما جمعنا في باب المبتدأ والخبر فوجدناها أبواباً مختلفة المعنى ، متميزة الغرض ، ولم نجد إلا أن نتركها على حالها

الأساليب

ذكرت الجماعة أن في العربية أنواعاً من العبارات تعب النحاة كثيراً في إعرابها وفي تخريجها على قواعدهم مثل التعجب فله صيغتان هما — ما أجمل زيداً ، وأجمِلْ بزيد — فرأت أن تدرس أمثال هذه العبارات على أنها أساليب يبين معناها واستعمالها ويقاس عليها ، أما إعرابها فسهل — ما أحسن — صيغة تعجب والاسم بعدها المتعجب منه مفتوح ، و — أحسن — صيغة تعجب أيضاً ، والاسم بعدها المتعجب منه مكسور مع حرف الجر

ونحن نرى أن هذا إعراب ناقص لا يبين معنى الجملتين ، وأنه لا شيء في أن نختار من إعراب النحاة فيهما أقربه إلى الفهم وأدناه إلى تصوير المعنى المراد من اللفظ . فالصيغة الأولى — ما أحسن زيداً — ما فيها اسم بمعنى شيء ابتدئ به لتضمنه معنى التعجب ، وأحسن فعل ماض ، وزيداً مفعول به ، والمعنى شيء عظيم أحسن زيداً . والصيغة الثانية — أحسن بزيد — أحسن فيها فعل أمر ، وفاعله ضمير المخاطب ، والجار والمجرور متعلق بفعل الأمر ، والمعنى أعجب بحسن زيد ؛ فهذا إعراب تام عرف فيه موقع كل كلمة من هذا الأسلوب ، وليس فيه ما يمكن أن تأخذه هذه الجماعة عليه

وقد انتهت الجماعة بهذا من رأيها في تيسير قواعد الإعراب ثم سكتت عما وجه إليها من النقد ، لأنها قد أخذت فيه بأمور لا يمكنها أن تدافع عنها . ولا أدرى ما يسكتها عنا وقد ذهبنا في نقدها مذهباً يتفق مع غايتها في إصلاح قواعد الإعراب ، ويذهب في ذلك إلى أكثر مما ذهبت إليه ، ويقوض من القواعد القديمة ما لم تمن به من يوم أن دونها الأقدمون من النحاة

وسيكون ما ذهبنا إليه من ذلك فخراً جديداً للأزهر الذى تناسته وزارة المعارف في هذا الاصلاح الذى ظنت أنها تقدر بدون الأزهر عليه . وسيكون مذهباً نحوياً جديداً تباهى به مصر في عهد الفاروق نحاة البصرة والكوفة في عهد الرشيد والمأمون ، ويقف به الأزهر مجدداً مجتهداً في النحو ، وينفض عنه غبار التقليد الذى تراكم عليه حتى ناء به

وأما حظى من هذا المذهب فإنى أدخره للمستقبل الذى يمكنني أن أصرح فيه باسمي ، وآمن فيه على نفسي مما يمكن أن يصيبني بمخالفة المألوف في النحو من يوم خلقه وتدوينه ، وأجد في الأزهر من يعني بما جئت به من ذلك على خلوه من المآخذ التى أخذت بها جماعة وزارة المعارف ، ومع هذا نجد هذه الجماعة من وزارة المعارف عناية بعملها ، فتعرضه على رجالات العلم هنا وهناك ، ولا يضيق صدرها بمخالفته للمألوف في ذلك العلم ، وهذا أمر نحمدها عليه ، وندعو الله تعالى أن يقرب ذلك اليوم الذي يأخذ فيه الأزهر بمثله

(أزهرى)

ماضى القرويين وحاضرها *

للأستاذ عبد الله كنون الحسنى

– ٢ –

ولم يصل الاشتغال ببقية العلوم الاسلامية بالقرويين إلى درجة الاشتغال بالفقه ولكنه لم يقصر عنها كثيراً ؛ فكانت علوم الحديث والتفسير والأصول مما لم ينقطع تدريسه فى الكلية فى أى عصر حتى العصور المتأخرة. حين كان بعض هذه العلوم فى بلاد أخرى لايقرأ إلا للتبرك بسرده. وكانت هذه الدراسة مجال البحث والاستنتاج وفرصة المحاضرات القيمة فى التربية والتهذيب، وحسبك أن تقرأ وصف مجلس من مجالس العلامة أبى القاسم البدوسى الذى قضى التونسيون العجب منه فى ذلك الوقت وأن تعلم أن ابن الصباغ أحد رجال هذه الجامعة أملى على حديث : ياأبا عمير ما فعل النغير ٤٠٠ فائدة



(مدينة فاس التى يوجد بها جامع القرويين)

ومن ثبت أسماء النابهين فى هذه العلوم وأسماء مؤلفاتهم تدرك مبلغ القيام الذى كان لأهل القرويين عليها . ونحن نذكر بعض البعض ممن نعرفهم ونعرف انقطاعهم فى الكلية الذى تنقطع دونه الاطماع، ولا يمنعنا من التبسط فى شرح ذلك إلا إرادة الايجاز وخوف الاملال[1] وهؤلاء مثل العالم الصوفى الجامع على بن حرزهم المتوفى سنة ٥٥٠ والمتكلم أبى بكر السلالجى صاحب البرهانية فى علوم الاعتقاد ، كان يعد فى طبقة أبى المعالى الجوينى ؛ توفى سنة ٥٦٤، والمفسر المحدث ابن عبد الجليل القصرى المتوفى سنة ٦١٥ ، والمفسر الأصولى أبى عبد الله الزدغى المتوفى سنة ٦٥٥ والمحدث الراوية ابن رشيد السبتى المتوفى سنة ٦٩٢ ، والعالم الصوفى الجامع الشيخ زروق المتوفى سنة ٨٩٩، والحافظ احمد بن يوسف الفاسى المتوفى سنة ١٠٢١ والحافظ أبى العلاء المراقى المتوفى سنة ١١٨٣ والمفسر المتكلم الشيخ الطيب ابن كيران المتوفى سنة ١٢٢٧

ولا ننس أن ننبه إلى ما كان لعلوم القراآت من شأن كبير فى الكلية فقد كانت العناية بها شديدة فى كل عصر، وكان يتخصص فيها كثير من العلماء فضلا عن مشاركة جمهورهم فيها، لأن أوائلها كانت تتلقى فى الكتاتيب القرآنية التى ما كان يتولاها إلا كبار الأساتذة المتحققين بتلك العلوم وغيرها. تأتى هى الثانية بعد الفقه فى برنامج العلوم التى كانت تدرس فى القرويين وفى جميع المغرب. ويكفيك أنه كان لطلبتها مدرسة خاصة بهم هى مدرسة السبعيين (أى القراء بالروايات السبع) الواقعة بازاء مدرسة الأندلس والتى كانت قد درست معالمها وأغلقت منذ مدة ثم هى الآن قيد الاصلاح والترميم .

ومن نبغاء خريجى القرويين فى هذه العلوم ميمون الفخار صاحب التحفة والدرة وغيرهما المتوفى سنة ٧١٦ وابن برى صاحب الدرر اللوامع المتوفى سنة ٧٣١ والخراز صاحب مورد الظمآن المتوفى سنة ٨١٨ وسواهم كثير .

وأما علوم اللغة والأدب فقد ظلت الكلية رافعة رايتها منذ انبثاق فجر النهضة العلمية فى المغرب على عهد المرابطين إلى يوم الناس هذا . ومر عليها زمن لم يكن ينافسها معهد آخر أيا كان فى أداء رسالة الأدب العربى والقيام على حفظ تراثه من الضياع ، وذلك حين يقول الشيخ محمد بيرم الخامس فى كتابه (صفوة الاعتبار) : « لعمرى إن صناعة الانشاء فى الدول باللغة العربية كادت تكون الآن مقصورة على دولة مراكش »

ولقد درج فى الكلية من فطاحل علماء اللغة وكبار أهل الأدب ما بقى فخراً لها على مر السنين والأعوام ، مثل الشاعر الأديب يحيى بن الزيتونى الذى قهر ابن زيدون فى بلاط ابن عباد، والشاعر الباقعة ابن حبوس الفاسي ، والعلامة ابن رقية من ذرية المهلب بن أبى صفرة كان حجة فى الأدب وله كتاب فى الشعر والأنساب توفى سنة ٦٠٦ هـ . والشاعر المشهور أبى العباس

* انظر العدد ٢٦١

(١) كل ما نجمله هنا تجد تفصيله فى النبوغ المغربى .

الجراوى الذى يعد من مفاخر هذه المدوة ، وصاحب كتاب صفوة الأدب وديوان العرب المعروف بالحماسة المغربية الموجود مختصره فى مكتبة بالآستانة [1] توفى سنة ٦٠٩ بعد وفاة المنصور الموحدى مخدومه بنحو ١٤ عاماً خلاف قول ابن خلكان إنه توفى فى آخر أيامه . والشاعر الفيلسوف أبى العباس الجزنائى الذى كان محفوظه من شعر المحدثين فقط عشرين ألف بيت . توفى سنة ٤٧٩ ؛ والنحوى أبى عبد الله بن آجروم المشهور المتوفى سنة ٧٢٣ ؛ والنحوى اللغوى أبى زيد المكودى المتوفى سنة ٨٠٧ والنحوى أبى العباس القدومى المتوفى سنة ٩٩٢ ، والأديب الشاعر الناثر عبد العزيز القشتالى ، مفخرة المغرب فى عصره ، المتوفى سنة ١٠٣٢ ؛ والنحوى محمد المرابط الدلائى المتوفى سنة ١٠٨٩ ؛ والشاعر الأديب ابن زاكور شارح الحماسة والقلائد وصاحب كثير من الكتب الأدبية القيمة المتوفى سنة ١١٢٠ ؛ والشاعر الرقيق ابن الطيب العلمى صاحب الأنيس المطرب المعروف المتوفى سنة ١١٣٤ ؛ وإمام أهل اللغة في عصره أبى عبد الله محمد بن الصميلى صاحب الحاشية الفريدة على القاموس التى استقى منها كثيراً السيد مرتضى صاحب (التاج) ، وعنه يعبر بشيخنا وله عشرات الكتب غيرها فى اللغة والأدب توفى سنة ١١٧٠ ، إلى غير ذلك ...

بقى الكلام في العلوم الفلسفية بمعناها القديم الذى يشمل الرياضيات والطبيعيات ومنها نوعان لهما ماض زاهر فى الكلية ، فمنذ انضمام الأندلس إلى المغرب فى أيام المرابطين ، جعل الاحتكاك بأهل الجزيرة يعمل فعله فى توجيه أنظار أهل هذه البلاد إلى الأخذ بأسباب تلك العلوم ، وكان أن انتقل إلى هنا — بانتقال الدولة — كثير من علمائها المتحققين بأجزائها فتهافت عليهم طلبة القرويين يقتبسون من مشكاتهم ويأخذون بأدواتهم فما لبثوا أن شاركوهم فى جميع تلك التعاليم ونظروا إليها نظرتهم ونبغ منهم أفراد كثيرون كان لهم قياس « حس » على فنون من العلم الطبيعى والرياضى والإلاهى وآثار جليلة فى جميع ذلك وما برحوا عاملين على بثها ونشرها والتواصى بتبليغها وتلقينها لمن يأتى بعد جيلاً فجيلا حتى تأدت بقية منها إلى العصر الحاضر فى مظهر من البلى والقدم لا يُرضى أنصارها ومحبيها وإنما كان ما تحت ذاك المظهر لا يزال يحوى كثيراً من الفوائد القيمة والحقائق العلمية الثابتة



(مدينة فاس التى توجد بها جامعة القرويين)

فمن رسل الثقافة العلمية من أهل الأندلس إلى المغرب أبو بكر ابن باجة الفيلسوف والعالم الطبيعى والرياضي والطبيب والموسيقار المشهور ، وأبو العلاء بن زهر الطبيب البارع المدقق فى شتى الأمراض ، وابنه أبو مروان صاحب كتاب التيسير في المداواة والتدبير، والذى أثر تأثيراً بليناً فى الطب الأوروبى بترجمة كتبه وهو ميت فكيف يكون تأثيره فى المغرب وهو حى ؟ وأبو بكر ابن طفيل الفسكسى والطبيب والفيلسوف المشهور صاحب قصة حى بن يقظان وأبو الوليد بن رشد الذى ما أثر أحد تأثيره في نهضة العلوم بأوربا . وقد كان فى بلاط الخليفة الموحد يوسف ابن عبد المؤمن الذى بالغ فى رعايته وإكرامه وهو الذي حمله على شرح كتب أرسطو وتلخيص فلسفته

ومن الأفراد النابغين فى هـذه العلوم من أبناء البلاد الذين درجوا من الكلية وتخرجوا فيها العلامة أبو الياسمين كان فرداً فى العلوم الرياضية من هندسة ونجوم وعدد ، وله أرجوزة فى الجبر قرئت عليه بأشبيليه سـنة ٥٨٧ وكان هو الذى نشر ذلك العلم بهـا . ويوسف بن ميمون الاسرائيلى الطبيب والرياضى الكبير قرين موسى بن ميمون وصاحبه بمصر واجتمع هو وإياه على إصلاح هيئة ابن أفلح الأندلسى . وهـذا وإن لم يدرس

(١) شاع فى الأوساط العربيـة وقد قيل إنه ضاع فلذلك نبهنـا عليه . ونقول بهذه المناسبة إننا بذلنا جهوداً كبيرة للحصول على هـذا المختصر ووسطنا فى ذلك المجمع العلمى العربى ولا زلنا لم نظفر به

بالقرويين فإن تخرجه على يد علمائها لأنه من أهل فاس وبها درس كما يقول ابن القفطى . وابن البناء المدوي ، العلامة الرياضى والفلكى والطبيب المشهور له موضوعات كثيرة فى الحساب والجبر والفلك وغير ذلك وتفوق على كثير من علماء الرياضة قبله سواء فى الشرق أو المغرب وخاصة فى حساب الكسور ، توفى سنة ٧٢١ ؛ وابن أبى الربيع اللجائى العالم الرياضى الفلكى المبدع له أعمال متفوقة وآلات نافعة فى علم الهيئة ، وكانت وفاته سنة ٧٧٣ والعلامة الجادير صاحب روضة الأزهار فى علم الهيئة المتوفى سنة ٨١٨ ؛ وأبى القديم الوزير الطبيب والعالم النباتى المشهور صاحب مدينة الأنوار فى شرح ماهية العشب والأزهار ، وكان طبيب المنصور الذهبي الخاص . وأبى القاسم النول العالم الرياضى والطبيب مؤلف كتاب حافظ المزاج ولافظ الأمشاج المتوفى سنة ١٠٥٩ وابن حميدة المطرفي صاحب المقرب فى الهيئة المتوفى سنة ١٠٠١ ، وأبى سليمان الشروداني الفيلسوف والرياضى البارع له أعمال وآلات لم يسبق بها فى الفلك توفى سنة ١٠٩٥ وعبد الرحمن العبابى العلامة الطبيبى والرياضى والفيلسوف مؤلف الأنتوم فى مبادئ العلوم تكلم فيه على زهاء (١٥٠) علماً واستوعب نظرياتها واستوفى حدودها فهو من الموسوعات المظيمة الفائدة توفى سنة ١٠٩٦ ، وعبد الوهاب أدراق الطبيب المدقق صاحب الذيل على أرجوزة ابن سينا وغيره من الكتب الموضوعية المتوفي سنة ١١٥٩ ، وعبد القادر بن شقرون صاحب الشقرونية وغيرها فى الطب، وكثير غير هؤلاء لم نشر إلى أسمائهم اختصاراً لحصول المقصود من الرسالة على ما قامت به هذه الجامعة فى الماضى من نشر الثقافة العلمية وتأدية رسالة العربية كاملة. ولهذا لا يستغرب أن يؤمها الطلبة من أقصى بلاد أوربا وغيرها ، فهناك فى تلك العصور التى يدعونها عن حق — بالعصور المظلمة — لم يكن قد تقرر للعلم مدلول بعد . وقد اشتهر كثير ممن درس فيها من الأجانب وكان لهم تأثير قوى على العقلية الأوربية فى ذلك الحين ، ومن أعظمهم البابا سلفستر ، الذى هو أول من أدخل إلى أوربا الأعداد العربية التى لا تزال مستعملة فى المغرب إلى الآن وتعرف بحروف (الغبار) أو (بالغبارى) بدون إضافة

ثم إن نظام الدراسة فى القرويين لا يختلف عما هو عليه فى الجامعات الاسلامية الأخرى ، كما لم يختلف عما كان عليه منذ الأزمان المتطاولة : يجلس الأستاذ فيحلق عليه الطلبة ويأخذ فى إملاء درسه الذى يكون فى الغالب تفسيراً للمتن وتقريراً لأقوال شراحه ونظراً فيما بينها من الاختلاف ، وقد ينجر به الحديث إلى الخروج عن الموضوع ، إنما إذا كان ضليعاً فى مادته واسع الاطلاع عظيم المحفوظ فلا خوف على الطالب من ذلك الخروج ، بل إنه ليستفيد منه ما لا يقدر له أن يجده فى كتاب أو يهتدى إليه بمجرد فهمه

وإذا كان الطالب ممن لازم الحضور بمجالس أستاذ ما ، وظهرت عليه مخايل النجابة فانه يحق له أن يتقدم إلى ذلك الأستاذ بطلب أجازة تكون — كأنها أهم ما أنشأه فى حياته الدراسية — بمثابة أطروحة (thèse) منها تتقرب منزلته فى التحصيل

(يتبع) « طنجه » عبد الله كنون الحسنى



رسالة الشعر



مي

للأستاذ ابراهيم العريض

وَلما تفيّأنا ظـلالَ خميلةٍ ... تُساقِطُ مِثلَ الذَّرِّ فوق خُطانا

وحدَّثتها بالحُبِّ وَهْيَ مُصِيخةٌ ... عَلى أَمَلٍ أن تلتقِي شفتانا

أشاحتْ إلى الأزهارِ عنّي بوجهِها ... دَلالاً وقالت لي كُفَّ هَذَيانا

أتأملُ مني أن أُصدِّقَ بالهوى ... جُزافاً . وطرفي لا يراهُ عِيانا

***

فقلتُ لها يامَيُّ ما الروضُ ناضراً ... ولا الطيرُ أحلى ما يكونُ لِسانا

بِأحسنَ من خدٍّ تورّدَ في الصِّبا ... وأعذبَ من ثغرٍ يفيضُ بيانا

لقد كانَ أولى أن نمتّعَ بعضَنا ... بأنظارِ بعضٍ في جُنونِ صِبانا

وَماقيمةُ الأزهارِ في جانبِ الهوى ... أليسَ الهوى يامَيُّ أعظمَ شانا

أُناشِدُكِ الحُبَّ الذي عهْدُنا بهِ ... سويّاً كأخفى ما يكونُ مكانا

ألم تَشعُري شيئاً تمثّلَ بيننا ... لِأوّلِ عهدٍ تمّ فيهِ لِقانا

أبعدَ تعاطينا معاً كأسَ أُلفةٍ ... يجوزُ لنا ألا نحسَّ صَدانا

فمالكِ تستعذبين قلبي عَلَى الهوى ... كأنّكِ ما شاطرْتِهِ الخفقانا

***

تعاليْ إلى عهدٍ وثيقٍ من الهوى ... نعيشُ عليهِ في الحياةِ كِلانا

فلا يزدهي قلبي بشيءٍ مؤمّلٍ ... إذا لم يُصادفْ في فؤادِكِ شانا

ونُفرغُ في كأسِ الأماني حُبَّنا ... فتسعى بهِ ما بيننا شفتانا

وَلا نلتقِي إلا كما لقتِ الصَّبا ... فروعاً تفيّأنا بهنّ أمانا

ونختالُ في رَوضِ المحبّةِ وحدَنا ... فلا يتغنّى طيرُها لِسوانا

وإن تَهِدي يوماً فؤادَكِ خافقاً ... شعرْتُ لقلبي مِثلَهُ خفقانا

كأنّ الذي ينسابُ مِلءَ كِليْهما ... صُبابةُ ما ساقي الغرامِ سقانا

وآناً نُبكّي كالطيورِ وُجودَنا ... بِلحنٍ وكالأزهارِ نضحكُ آنا

فنُسعِدُ بعضاً باشتراكِ سُرورِنا ... ونُسعِدُ بعضاً باشتراكِ أسانا

كذلكِ نحيا بالسّواءِ وها فمي ... ضماناً لعهدٍ لو أردتِ لكانا

***

فعندئذٍ مالتْ إليَّ بِبِشرِها ... فأيقنتُ أنّا شيّقانِ كِلانا

فأدنيتُ ثغري باشتياقٍ لثغرِها ... فما افترّ حتى قبّلتهُ حنانا

وقالت « إذاً هذا هو الحُبُّ » قلتُ « لا ... بلِ الراحُ » قالت « فلنُبلّ صدانا »

(البحرين) إبراهيم العريض

أنا مالي ...

للأستاذ صالح جودت

تركتني في اعتلالي ... ورمتني لليالي

بعدما أشهدتُها القلبَ فقالت: «أنا مالي!»

***

أنتِ يا مَنْ أرسلُ الدمعَ إليها ... وهو غالِ

أنا ما آمنتُ من قبلكِ يوماً بالجمالِ

وأنا بالسحرِ والفتنةِ ما كنتُ أُبالي

ذهب الحبُّ بنفسي ووقاري وجلالي
أيُّ خطبٍ عندما تدْ مَعُ آماق الرجال !
أنتِ يا مَنْ أسأل الأيام عنها والليالي
ليتها تستشعر القسوةَ في ذلِّ السؤال !
تركتني في اعتلالي لم يَرُعْها سوءُ حالي
فتضرعتُ إلى الليل بقلبٍ غير سالِ
قلتُ يا ليلُ أما عندكَ من طيفِ خيال ؟
رقَّ قلبُ الليل حتى بعثَ الطيفَ حيالي
فتمنيتُ عليه بشحوبي وهزالي
إن رأى ربَّتَهُ قصَّ عليها ما جرى لي
فانثنى عني ملالاً وتولَّى في دلال
بعد ما ردد ما يحفظ عنها: «أنا مالي!»

***

قلتُ لله وقد قلَّ مع الدنيا احتيالي
أأنا يا ربِّ عبدٌ لك لم يخطرْ ببال ؟
وإذا ضلَّ فؤادي أفيعييكَ ضلالي ؟
وإذا ضاقتْ بيَ الأر ضُ فهل تأبى احتمالي ؟
آه لو قلت كما قا ل حبيبي «أنا مالي !»

حسناء في بحر الروم

للأستاذ محمود عماد

عومي على الماء يا أصفى من الماء ثم ارسبي فيه ضوءاً طيَّ أضواء
واستقبلي موجةً يُقبلْ على عجل إليكِ موجُ المحيط الهادئ النائي
يافرحةَ البحر تسري في جوانبه ووحشةَ البرِّ أقوى أيَّ إقواء
سَلي الأجاجَ ألم يفقدْ ملوحتَهُ وأنتِ مطويةٌ منه بأطواء ؟
كم من قلوب عليكِ اليوم حائمة لا تغرقيها إذا ما غبتِ في الماء
كذا أظلتْ سليمانَ الطيورُ فهل أتاكِ هدهدُكِ الوافي بأنباء ؟
أم أنتِ (فينوس) تُجلَى من محارتها في يوم ميلادها الثاني إلى الرائي؟
هاني قصارَكِ من حُسنٍ ومن مرحٍ واعلي على كل تشريعٍ وإجراء
فعالَمُ البحرِ يَرْعَى شرعةً وسطا ما بينَ عالمِ أشباحٍ وأحياء
تجردَ الجسمُ فيه من كثافتِهِ وهام كالطيفِ في ماءٍ ولألاء
لم أدرِ ما الأرضُ لولا البحر لطفَها ولا الحياة بلا لهوٍ وإغراء

لحن جديد

للأستاذ فريد عين شوكه

أسلمتُ للقدر الرضيِّ يميني فخنا ولم يُخلفْ عليَّ ظنوني
ومَضى فوافَى بي إلى سيفِ المنى فلثمتُ طهرَ ترابه بجبيني
وعبأتُ أحشائي بطيب نسيمه وكحلتُ بالنور السنيِّ جفوني
وسعيتُ في جنباتِه أشكو لها عبثَ النوى وأبثهنَّ حنيني
يا طالما أمّلتُ حلوَ لقائه فتحطمت دون اللقاء سفيني
وظللتُ في بحر الحياة مُغالباً موجاً يثور عليَّ كالمجنونِ
ما كان أضعفني حيالَ كفاحِهِ لولا المنى برقتْ لجُنَّ جنوني
لولا الأمانيُّ العِذابُ وسحرُها ماعاش هذا الكون بضعَ سنين
يا مشرقَ الأمل الرغيبِ المشتهَى
لا زال فيضُ سناكَ ملْءَ عيوني
لازلتَ تُسعدُني بكل رجيَّةٍ تجلو الأسى عن قلبيَ المحزونِ
بدِّدْ ظلامَ اليأس بين جوانحي واردُدْ عليَّ البِشرَ غيرَ ضنين
وانشرْ شعاعاتِ الرضى في خاطري
تُسكِنْ نوازيَ نزوتي وشجوني
ما أفسدَ الأيامَ يغمرها الأسى فتضيع بين شكايةٍ وأنينِ
يا قلبُ وافتكَ المنى بسامةً كالبدرِ يسطع في الليالي الجونِ
فتحتْ ذراعيها إليكَ وأقبلتْ فتانةً تسعى إلى مفتونِ
صفقْ لها يا قلبُ بعد صبابةٍ واطفرْ بها يا قلبُ بعد سكونِ
واغنمْ لذاذتَها وعُبَّ رويَّها عبَّ الظماءِ وردْنَ خيرَ معينِ
ودعْ حياةَ الزهد فهي ثقيلةٌ كالسجنِ أعباءً على المسجونِ
وانعمْ فأيامُ الحياةِ عزيزةٌ إن ودعتْ أرخصنَ كلَّ ثمين



بيننا وبين لجنة انهاض اللغة العربية

أرسل إلينا صديقنا الأستاذ أحمد أمين هـذا الكتاب جواباً عما سأل (سائل) في (البلاغ) وفى (الرسالة) ننشره ثم نعقب عليه :

أخى الأستاذ الزيات

سلام عليكم ورحمة الله

قرأت فى مجلة الرسالة سؤالاً موجهاً إلى لجنة إنهاض اللغة العربية يسأل صاحبه لِمَ لم تقرر اللجنة كتب الأستاذ الزيات

ورداً عليه أقول: إن اللجنة لم تنفها كتب الأستاذ وكتبت فيما كتبت للوزارة :

إن للأستاذ الزيات كتابين فى مستوى الطلبة هما آلام فرتر ورفائيل، وهما من خير الكتب من حيث دقة الترجمة وجزالة الأسلوب ونصاعة التعبير وقوة البيان — ولكن آلام فرتر موضوعه حب هائم ينتهى بانتحار فظيع . ورفائيل رسائل غرام بين شاب وامرأة متزوجة

ولم نر من الخير أن توضع أمثال هذه الكتب فى أيدى الطلبة لناحيتها الأخلاقية لا ناحيتها البلاغية ، ولو فعلنا لخالفنا ضمائرنا وهاج علينا أولياء أمور الطلاب بحق

أما كتاب (فى أصول الأدب) فقد منعنا من اقتراحه عدم الوحدة فى موضوعه واشتماله على مقالات فوق مستوى الطلبة

فهل يرى السائل بعد هذا البيان أن اللجنة تجنت على الأستاذ الزيات أو غمطته حقه فى الأدب أو مست شيئاً من مكانتـه فى عالم البيان ؟

لا شيء من ذلك ولكنه الحق قدمته على كل اعتبار . وهل يطالب المرء بأكثر من أن يعمل وفق ما يعتقده من حق ؟

أما ما وراء ذلك من لمز بأننا تملقنا الرؤساء وقصرنا اختيارنا على مؤلفات من نرجوهم أو نخشاهم فاننا نعرض عن الرد عليه والخوض فيه ، فقد التزمنا فى الحياة أن تصم آذاننا عن السباب وما يتصل به . والسلام عليكم ورحمة الله

١٧ ـ ٨ ـ ٩٣٨ أحمد أمين

ذلك هو جواب الأستاذ أحمد أمين عن أسئلة (سائل) . والذي يعرف الأستاذ أحمد أمين ويعلم أن أخص ما يميزه حياة الضمير وسلامة النطق، يدرك ما كابده الأستاذ من الجهد فى إقناع نفسه بهذا الجواب . فإن (آلام فرتر) كتاب عالمى قرأه ولا يزال يقرأه ملايين من الفتيان والفتيات فى جميع أمم الأرض، ولم نعلم أن أمة من هذه الأمم حظرته على الطلاب لأن «موضوعه حب هائم ينتهى بانتحار فظيع » . وقد ترجم إلى العربية منذ ثمانية عشر عاماً ، وأعيد طبعه سبع مرات، وقرأه كل مثقف فى بلاد العروبة، ولم نسمع أن حادثة من حوادث الانتحار اليومية قد وقعت بسببه . وماذا يكون مصير التعليم والتمثيل إذا طبقنا هذا المبدأ على مآسى النوابغ فى كل أدب ؟ . على أن فرتر مثال العفة والاخلاص والايثار والتضحية ، فلا يمكن أن يعاب من جهته الأخلاقية ؛ والأستاذ أحمد أمين نفسه حين ألف كتابه (الأخلاق) قد اقتبس صفحة منه وعزاها إليه

أما (رفائيل) فحبه حب عذرى صوفى لا نجد له مثيلا فى الكتب ولا فى الطبيعة . فهل يرى الأستاذ أن الحب جريمة وإن لم يجُرَّ إلى معصية ؟ إن كان ذلك رأيه فلم لم يحظر القرآن على الطلاب المسلمين لأن فيه (سورة يوسف) ، والتوراة على الطلاب النصارى واليهود لأن فيها (نشيد الأناشيد) ؟

لا أدرى كيف قال الأستاذ : « ولم نر من الخير أن توضع أمثال هذه الكتب فى أيدى الطلبة لناحيتها الأخلاقية لا ناحيتها البلاغية ، ولو فعلنا لخالفنا ضمائرنا وهاج علينا أولياء أمور الطلبة

بحق » فهل نسي صديقنا الأستاذ أحمد أمين أنه رئيس (لجنة التأليف والترجمة والنشر) وأنه هو نفسه الذى قرر طبع هذين الكتابين على نفقتها، وأنه هو نفسه الذي طلب إلى وزارة المعارف أن تشترى منهما لمكتبات مدارسها فاشترت ؟

بقي الكتاب المسكين الثالث (فى أصول الأدب) ، وهذا الكتاب هو مجموعة مبتكرة من المحاضرات والمقالات تدور كلها حول الأدب وأصوله وقواعده . فليت شعرى ما ذا يريد الأستاذ بوحدة الموضوع الذى لم يجدها فيه؟ نحن لم ندع أنه قصة، ولم نقل إنه كتاب فى موضوع معين . إنما هو بحوث نشرناها مفردة ثم جمعناها تحت وصفها العام كما فعل العقاد فى (المطالعات)، والمنفلوطى فى (النظرات) ، والبشرى فى (المختار) . ثم ما هذا المستوى الذى وضعه الأستاذ للطلاب وجعل فوقه (فى أصول الأدب) وتحته (ضحى الاسلام) ؟ وهل يصعب على الطالب الذى يفهم ضحى الإسلام لأحمد أمين ، وابن الرومى للعقاد ، أن يفهم (فى أصول الأدب) وأكثره مقرر على طلاب السنة التوجيهية حتى لم يجد المعلمون والطلاب فى العام المنصرم مرجعاً غيره فى هذا المنهج ؟

الحق أن أسئلة (سائل) لا تزال تطلب الجواب ، وأن اضطهادنا فى وزارة المعارف يرجع إلى أسباب غير هذه الأسباب..

الزيات

الثقافة النسوية واللغة العربية

أصدر صاحب المعالى وزير المعارف القرار الآتى :

بعد الاطلاع على القرار الوزارى الصادر فى ١٤ سبتمبر سنة ١٩٣١ بانشاء معهد تربية للبنات به قسم للتخصص فى اللغة العربية . وبناء على ما تجمع لدينا من معلومات بشأن هذا القسم وأنه فى حاجة إلى رفع مستواه وإلى أن تكون فيه دراسة الدين والثقافة الاسلامية اللذين يتصلان اتصالاً وثيقاً باللغة العربية عنصراً مهماً بين مواد الدراسة ، ورغبة فى إعداد مدرسات لا تقتصر قدرتهن على التدريس بالمدارس الابتدائية ، وبناء على ما عرضه علينا وكيل الوزارة — قررنا ما يأتى :

المادة الأولى — ينشأ قسم بإحدى المدارس الثانوية للبنات بالقاهرة يسمى « قسم اللغة العربية الثانوى » تكون مدة الدراسة به ست سنوات تدرس التلميذات به في السنوات الأربع الأولى مواد الثقافة العامة على حسب منهج التعليم الثانوى للبنات مع مزيد عناية باللغة العربية والثقافة الاسلامية ، وفى السنتين الأخيرتين توجه الطالبات توجيهاً كاملا فى اللغة العربية وموادها وفى الثقافة الاسلامية

المادة الثانية — تؤلف لجنة لوضع المناهج التى يستلزمها إنشاء هذا القسم

المادة الثالثة — تعد مناهج انتقالية لشعبة اللغة العربية بمعهد التربية الحالي بالسنتين الأولى والثانية تسير عليها الدراسة فى بدء العام المقبل بحيث تكون هذه الدراسة متجهة إلى الغاية التى تنشدها الوزارة من التخصص فى اللغة العربية والثقافة العربية

تاريخ الأدب المقارن فى دار العلوم

رأى معالى وزير المعارف عند بحث مناهج القسم العالى لدار العلوم على أساس تنظيمها الجديد أن ضروريات الثقافة العربية لا تقتصر على دراسة الأدب العربى فى كل عصوره ، بل تشتمل دراسة الآداب الأجنبية الحديثة والالمام بكيفية تدرجها فى الممالك المختلفة ووجوه الاختلاف بينها وبين الأدب العربى من حيث الخيال وطرائق التصوير وروح الأسلوب وإرجاع ذلك إلى أسبابه من آثار البيئة واختلاف المواطن وقوة العقلية. وتحقيقاً لاستكمال هذه الغاية أشار معاليه على المختصين باضافة دراسات أدبية من هذا النوع إلى مناهج الأدب بهذا المعهد ، على أن تشمل فضلا عن الجانب التاريخى والدراسة المقارنة دراسة أخرى لتاريخ بعض البارزين من أدباء انجلترا وفرنسا وألمانيا وروسيا فى العصر الحديث وبعض البارزين فى الممالك الأخرى التى اشتهرت بازدهار الأدب فيها

هذا وقد روعى فى العمل بهذا الرأى ما لوحظ من أن القراءة الغربية لها أثر كبير فى إنهاض اللغة العربية إذا ما كان القارئ ذا ثقافة عربية أصلية وذا سيادة شخصية وطابع خاص فى تقبله لمختلف الآراء والمذاهب

على أن فائدة هذا التوجيه الأدبى الجديد تكون فى صورة أجلى وأوضح إذا ما راعينا أن أستاذ اللغة العربية الذى تمده وزارة المعارف للمستقبل يجب أن يكون من كافة النواحى كامل الثقافة حتى يحتفظ بهيبة الشخصية أمام تلميذه الذى يلم ولو بنزر يسير من الآداب الغربية

قرار جماعة كبار العلماء فى قضية فلسطين

اجتمعت جماعة كبار العلماء بالجامع الأزهر يوم الخميس ٢٢ جمادى الثانية سنة ١٣٥٧ الموافق ١٨ أغسطس سنة ١٩٣٨ ، واستعرضت حالة فلسطين وما يجري فيها من التصادم، وأسفت أشد الأسف لهذه الحالة التى هى بلاشك نتيجة للسياسة التى انتهجتها حكومة الامبراطورية البريطانية نحو هذه البلاد وبخاصة سياسة التقسيم التى يراد فرضها على بلاد عربية إسلامية ذات ذكريات عند المسلمين لم تغب بعد عن أذهانهم ، والتى من شأنها أن تصبغ بلاداً عربية إسلامية صبغة أخرى بطريق لا مبرر له، ومن شأنها أن تؤثر فى علاقات الأمم الاسلامية بحكومة الامبراطورية البريطانية تأثيراً سيئاً

لذلك قررت جماعة كبار العلماء ما يأتي :

١ — تحتج على استمرار هذه السياسة وعلى مشروع التقسيم على أية صفة يجري عليها التقسيم والمطالبة بأن تبقى للبلاد صفتها العربية الاسلامية وأن يحافظ على كيانها القوى

٢ — تدعو جماعة كبار العلماء زعماء بلاد الاسلام إلى التكاتف واتخاذ ما يرونه مفيداً من الطرق للمحافظة على بلاد فلسطين ، وعلى إيجاد حل ينهى هذه الحالة السيئة ليسود السلام بين الأمم

٣ — تدعو جماعة كبار العلماء المسلمين إلى تذكر قضية فلسطين ليلة المعراج وأن يتوجهوا إلى الله سبحانه في تلك الليلة بأن يحفظ هذه البلاد مما يراد بها ، وأن يحفظ الآثار المقدسة من الأخطار القريبة والبعيدة

وقررت إبلاغ هـذا إلى الجهات المختصة بواسطة حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء بالنيابة

احتجاج مسلمى الهند على كتاب للمستر ولز

روت جريدة الدبلى اكسبرس أن المسلمين الهنود أعضاء جمعية الشبان المسلمين فى لندن اجتمعوا أمس واحتجوا على فقرة واردة فى كتاب ألفه المستر هـ . ج . ولز الكاتب الانجليزى وعنوانه « مختصر تاريخ العالم » . وقد تكلم خطيب بعد آخر قائلين إن ولز أهان الاسلام وطلبوا من السلطات الهندية أن تمنع دخول الكتاب إلى الهند . وأحرقوا نسخة من ذلك الكتاب

ثم اتفق المجتمعون على السير بموكب منظم إلى مكتب مندوب الهند السامى وإلى وزارة الهند ، واقترحوا أن يمروا بموكبهم على منزل المؤلف فى لندن لمطالبته بالاعتذار

وقد جاء من كلكوتا أن ألوفاً من الهنود حضروا الاجتماع الذي عقد فيها أخيراً للاحتجاج على المؤلف

وقد نشر هذا الكتاب أول مرة في سنة ١٩٢٢ . ولكنه ترجم فى المدة الأخيرة بطريقة ملخصة إلى اللغة الهندوستانية . وقد نشرت جريدة تصدر هناك باللغة الوطنية مقالا عنه تحدث فيه به وطعنت فى المستر ولز فهاجت خواطر الناس وعقدوا اجتماعاً للاحتجاج فى كلكوتا . وقام الآن بعض المخلصين لايمانهم فى لندن يصنعون كما صنع إخوانهم فى وطنهم

وقد قابل ممثل إحدى الصحف الهندية الكبرى المستر ولز فقال إن انتقاداته لم تكن قليلة الاحترام للمعتقد وهو عارف بما أدى الاسلام لثقافة العالم من الخدمات، وليس من العدل أن يحكم هؤلاء المسلمون على آرائه بفقرة شاردة وردت عرضاً فى تلخيص كتابه

وقالت جريدة إيفننج ستاندرد إن عشرة من المسلمين المتشددين يعملون الآن ليل نهار فى صنع ثلاثة تماثيل من الورق الصفيق للمستر ولز يريدون إحراقها فى أرض مسجد لندن . فيعقدون هناك اجتماعاً وبعد أن يصلوا يدفعون بالمستر ولز الرمزى إلى النار

تعليم الأميين فى إيران

جاء من طهران أن المساعى المبذولة لتعليم الأميين فى إيران قد وصلت إلى نتائج باهرة . فقد أنشأت الحكومة مدارس ليلية للكبار ، وبعد سنتين منحت وزارة المعارف شهادات لخمسة وعشرين ألفا و٢٤٥ شابا كانوا قبل ذلك أميين تماما .

وقد أنشئت هـذه المدارس منذ ثلاثة أعوام فى كل أنحاء المملكة، وفى هذا العام تقدم للامتحان ٢٤ ألفا و٢٣٣ شابا أكثرهم تجار من أصحاب الحوانيت الصغيرة وباعة متجولون فمنحت الوزارة شهاداتها لخمسة عشر ألفا و٧٢٢ منهم . ويرى الناس الآن إعلانا منشورا فى كل مكان تعريبه : « العلم هو القوة »



حول نقد ديوان

هكذا أغـــنى

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

بقلم الأديب مختار الوكيل

يقول الأديب عباس حسان خضر إن محمود حسن اسماعيل، شاعر الريف النابغة ، صاحب ديوان «هكذا أغنى» «يمضى متدفقاً مندفعاً عنيفاً ، وفى كثير من الأحيان يتبع هذا التدفق والعنف عدم اكتراث بسلامة الذوق ، واعتساف فى الفكر وفى التعبير – كائنين فيما يأتى – معتمداً فى ذلك على قوة طبيعته ونشاط خياله، غير متقيد ولا محترس ، فهو يعول على الهبة الفطرية أكثر مما يعول على المهارة الاكتسابية . »

ولم يتبع هـذا الكلام بيانٌ دقيقٌ عن عدم اكتراث الشاعر بسلامة الذوق واعتساف الفكر والتعبير كما قال ؛ وإنما مضى يقول بعد ذلك :

«ويمتاز شعر هذا الديوان بشىء لعلى موفق إذ أسميه «الروعة» وهو ذلك الذى يستغرق المشاعر ويروع العواطف ويأخذ بالذهن إلى عوالم متنائية الأطراف ، ولعل مبعثه بعـد المدى فى الخيال ، والايغال فى تصوير الأشياء التى يكتنفها الغموض ! »

ويفهم أى قارىء لهذا الكلام أن الكاتب يحاول أن يهاجم الشاعر النابغة ولكن إحساسه الباطنىّ بشاعرية محمود اسماعيل يخونه فى التعبير الذى يقصـد ! فالكاتب يذكر أول الأمر أن محموداً فى شعره متدفق مندفعٌ عنيفٌ ، ولكنه لا يكترث غالباً بسلامة الذوق ، ويعتسف فى الفكر والتعبير ؛ وبمعنى آخر يريد أن يقول إن محموداً شاعرٌ مطبوعٌ ملهمٌ ولكنه لايجيد صناعة الألفاظ، وهذا الكلام فى صالح محمود ولعل الكاتب لم يقصد إليه .

وقوله بعـد ذلك إن الشاعر يأخذ الذهن إلى عوالم متنائية الأطراف وإنه بعيد مدى الخيال ، وإنه يوغل فى تصوير الأشياء التى يكتنفها الغموض اعتراف صريح بعبقرية الشاعر ؛ فما أظن أن هناك تعريفاً لشعر شاعر أجمل من هذا التعريف الذى نَدَّ به قلم الكاتب الفاضل عن غير قصدٍ . أقول عن غير قصد ، ومعى الدليل البيِّن على ذلك ، إذ لم تمض بضعة سطور على هذه الاشادة الظاهرة بشاعرية محمود ، حتى يفجأ الكاتب قارئه بنقدٍ لبيت رائعٍ من قصيدة « دمعة فى قلب الليل » . فالكاتب يسخر من قول الشاعر النابغة فى حديثه عن الدموع :

عصرت من مطارف الألم الدا وى بقلبى وعتقت فى دمائى !

بقوله : « فجعلنا نتمثل امرأة حاسرة عن ذراعيهـا أمام طست الغسيل تمصر تلك المطارف والأثواب ... »

وهذا الكلام لا يجوز أن يدلى به ناقد يفهم المعادن الشعرية فهماً كاملاً ، أو يكد ذهنه فى اكتشاف الخبىء من المعانى الجميلة التى ينشط خيال الشاعر الجبار فى اقتناصها

***

وكما بينت ، يتردد الكاتب فى إظهار حقيقة عواطفـه نحو الديوان فى بعض الأحيان ، فهو يعود فيطري قصيدة « ثورة الاسلام فى بدر » . وما كان فى وسعه أن يعدو ذلك أو يقول بنقيضه ؛ بيـد أنه يقول عن أبيات محمود الخالدة :

وقف المغنى فى حماك مجلجلاً باللحن تخفق فى الورى أصداؤه
فيه من الأقدار وهلة غيبهـا خبأته عن لمع الحجا أطواؤه


RETRO
NEWS

ومن الكتائب أرزمت أسلاتها صخب يزمجر بالفتوح نداؤه
ومن المواكب هولها فى فيلق نشوان فى يوم الفخار لواؤه

من قصيدة « يوم التاج » التى أذاعها الشاعر فى مهرجان الوادى بتتويج صاحب الجلالة المليك المحبوب : « فأى مغن هذا المجاجل الذى اجتمعت فيه وهلة الأقدار وصخب الكتائب وهول الفيالق؟! إن هذه الصفات المروعة لا تصطلح على مغن ولو كان من (مطربى محطة الاذاعة اللاسلكية بالقاهرة ... »

يا أيها الكاتب المحترم ، كيف عرفت أن الشاعر قال هذه الأبيات فى مغن معين ؟ ! لم يقل محمود هذه الأبيات فى عبد الوهاب ولا فى عبد الحى ، ولو قال فى أيهما لما كان شاعراً وإنما قالها فى هذا الشعب العظيم الذى شملته نشوة روحية بيوم التاج السعيد ، فانطلق يغنى غناء الشعوب ، يجلجل ويجتمع فى غنائها هولة الأقدار وصخب الكتائب وهول الفيالق ؟! كما تقول أنت حقاً ! ! ومحال أن تصطلح هذه الصفات على مغن من (مطربى) محطة الاذاعة اللاسلكية بالقاهرة كما تقول . . . ! فالشاعر الذى يأخذ مثله الأعلى من أية محطة للاذاعة ، بل من أية موسيقى هزيلة ضعيفة، ليس بحقيق أن يدعى شاعراً ، ولكن الشاعر الذى يبشر بمقبل باسم للموسيقى ، إذ يتوجه بها إلى القوة وتصوير الحروب والكتائب ، على نحو ما تأتى به موسيقى « فردي » و « بيتهوفن » و « موزار » وأضرابهم من العباقرة هو الشاعر الذى نحلم به مصر ، وهو الشاعر الذى يأتى ليرق الأحاسيس ، وينمى الابتكار الخيالى ، المنعدم مع الأسف فى محيط الحياة المصرية قاطبة !!

ثم يهاجم الكاتب هذه الصورة الرائعة التى أغبط الشاعر عليها بحق :

الوجه ساج كصلاة الغدير بين الطيور !

فهو كان يجب أن تصلى الطيور للغدير وهى تحسو الماء منه ، وهذا هو المعنى الذى لا يصح أن يلتفت إليه الناقد المدقق، ولكن المعنى العميق الدقيق هو أن الغدير فى سجوه وهدوئه يؤدى صلاة روحية عميقة ، والطيور حواليه ترشف منه ساعة صلاته وذهوله ؛ فهو ينظر إلى حركة الطيور الآلية عند ما ترشف الماء من الغدير على أنها صلاة. والواقع أن الصلاة لا تصدق من الظامئ المفهوم المشغول بحسو الماء من الغدير، ولكنها تصدق كل الصدق من الغدير الساجى الهادئ المعطى الباذل ماءه للطيور الظماء !

وهل يجهل الناقد أن هنالك شيئاً فى الشعر اسمه « امتزاج الأحاسيس » وأن هذا الشيء كتب فيه الشعراء واستمان به الكتاب، ولعل ابن الرومى هو الذى أتقن هذا النوع من الشعر. ولماذا نذهب بعيداً فالرافعى رحمة الله عليه — يقول فى بعض كلامه « واقتلينى يا حبيبتى قتلة ممطرة ! ! » وعلى هذا الأساس يجب أن يعيد الكاتب النظر فى هذه الأبيات حتى يخرج منها بالصور المركزة الدقيقة التى عناها الشاعر فى قصيدته « فى لهيب الحرمان » و « الذهول »

***

وأختتم هذه الكلمة العابرة راجياً أن يراجع الكاتب الأديب مدارسة الديوان فسيجد فيه فتحاً جديداً فى الشعر المصرى ، واتجاهات رائعة أغفلها الشعراء عندنا . سيجد حديثاً عن الريف ، ومظاهر الطبيعة الحزينة والطروب ، وسيجد تعبيراً عن آلام الفلاح المصرى ، وسيجد غزلاً مطرباً صادقاً ، وعند ذلك يكتب عن شاعر الريف الجديد الذى نبغ على صغر سنه ، فى هذا المضمار الرائع المستقل .

وسنتبع هذه الكلمة بحديث مسهب عن شعر محمود اسماعيل إذا سمحت الظروف وسمحت « الرسالة » .

مختار الوكيل



القصة المسرحية

بين حقيقة الواقع وخيال المتفائلين

أعلنت إدارة « الفرقة القومية » هـذا العام ، كما أعلنت في الأعوام السابقة ، عن مباراتها في التأليف المسرحي والترجمة والاقتباس للمسرح المصرى وحددت للمتفوقين عدداً من الجوائز المالية القيمة ، واهمة أن فى تلك الجوائز ما يغرى كبار أدبائنا وكتابنا بمعالجة القصة المسرحية

وقدجرى لنا مع الأستاذ خليل مطران مدير الفرقة حديث في صدد القصة المسرحية والروايات التى تقدم للفرقة وأثر المسابقات والباريات فى ظهور المسرحيات القوية والمؤلفين المنسيين أو الذين لم تتح لهم فرصة التعرف إلى أصحاب الفرق وتقديم مسرحياتهم لهم . وكان من دواعى سرورنا أن اتفقت وجهة نظر كل منا مع الآخر

وخلاصة هذه الوجهة المشتركة من النظر فى التأليف المسرحى هي أن القصة المسرحية الناجحة ، كانت وما تزال وستظل إلى ما شاء الله غاية الفرقة القومية التى لا تكل ولا تمل فى سبيل الوصول إليها ، والتمتع بما يدخل على المسرح المصرى من نتائجها

ولكن الطريق إلى القصة الناجحة وعر ، والرحلة إليها طويلة شاقة ؛ فقد لوحظ أن المؤلفين الذين يتقدمون للمباريات فى التأليف المسرحى يكونون عادة واحداً من اثنين : مشتغل بالمسرح يعرف كيف (يحبك) قصته ويطبعها بطابع الفن الناجح ولكنه ركيك العبارة ضعيف الأسلوب وليست لديه القدر الكافى من الثقافة العامة . وأديب أو كاتب ليست له براعة الأول فى إجادة التصور وحبك الحوادث وإن كان جزل العبارة لطيف الأسلوب غنى فى الثقافة . هذا بينما القصة المسرحية التى تنشدها إدارة الفرقة هى القصة القوية الوضوع ، السلسة الأسلوب ، المحبوكة الحوادث ، الملأى بالمواقف التى تستدر العاطفة وتثير الاعجاب .

وقد يكون من أشـد ما يأسف له الكاتب أن يضطر إلى التصريح بالحقيقة المؤلمة التى يعرفها كل بصير وخبير بدولة الأدب والكتابة فى مصر ، وهى أن الكاتب المسرحى الناجح لا وجود له بين ظهرانينا حتى الآن ...

وهناك جملة عوامل هي المسئولة عن هذه الحال التى يؤسف لها أشد الأسف. منها أن فترة النهضة المسرحية لم تدم أكثر من عشر سنوات ، أقفلت بعدها أغلب الفرق أبوابها ، وأعلنت توقفها وإفلاسها. وأى صناعة لا يهتم زعماؤها بالتدقيق والتركيز، مقضى عليها بالذبول والاندثار لا محالة . ومنها أن الضائقة المالية التى عرضت للفرق على اختلاف ألوانها ، حدت بأصحابها إلى التنكر لكبار أدبائنا وكتابنا الذين رأوا أن يساهموا فى هـذه الناحية الأدبية التى كانت وما تزال بكراً فى بلادنا ، ولا نذكر أن كاتباً كبيراً من كتابنا أثنى ذات يوم على مدير لأحدي فرقنا التمثيلية ، المندثرة أو القائمة حتى الآن . . . ومنها أن نفراً من صغار النقاد جروا على الشماتة بكل رواية يقال إن صاحبها هو الأديب الكبير (فلان الفلانى) والزراية بجهوده وتأليفاته بحق بغير حق ، وبدافع من الفن أو من الحقد وصغار النفس ...

والباريات وإن كانت وسيلة من أحدث الوسائل لتشجيع البادئين والناشئين من المجتهدين ، إلا أنها لا يمكن أن تؤدى إلى النتائج المرجوة لرفعة المسرح والقصة المسرحية فى أقصر زمن مستطاع . وبديهى أن الواجب إعداد الدرس قبل إيجاد التلميذ .. وإلا فعلى أى أساس يكتب البادئون قصصهم إذا لم تكن أمامهم قصص لزعماء الفن مشهود لهـا بالجودة ، ومن أقلام كبار الكتاب والأدباء ؟! لا شك أن كثيراً من شبابنا المثقفين عندهم استعداد كبير للظهور فى ذلك الميدان الذى نكرر أنه ما يزال بكراً ، ولا تنقصهم إلا الارشادات (الفنية) التى يمكن اكتسابها بالتعلم أو بتدقيق النظر فى المسرحيات الناجحة .   (سينمائى)

أنباء سينمائية ومسرحية

فلم الدكتور

قطع الأستاذ نيازى مصطفى شوطاً كبيراً فى الفلم الجديد الذى يخرجه



الأستاذ نيازى مصطفى

لحساب استديو مصر . وهو الفلم الذى يسمى (الدكتور) وأن يقوم بالدور الأول فيه الأستاذ سليمان نجيب . والفلم مأخوذ من مسرحية قديمة للأستاذ نجيب ، وحبذا لو غير اسمه حتى يتفق مع الحادث الكبير فى الرواية

سينما تريومف

يفكر بعض المسئولين فى شركة مصر للتمثيل والسينما فى الطرق التى من شأنها تحويل هذه الدار الفخمة إلى سينما لعرض البرامج العربية ، وقد تعاقدت الشركة مع وكالة المتروجلدوين على احتكار عرض أفلامها في الموسم القادم ، ولكن ذلك كلفها نحو (٢٥٠) ج م عن كل فلم

فلم الأستاذ احمد سالم

بدأ الأستاذ احمد سالم فى تصوير المناظر الخارجية لفلمه الذى تبدأ به الشركة الجديدة عملها ، ونحن ننتهز هذه الفرصة فنهنئ عالم السينما المحلية بدخول الأستاذ سالم إليه مستقلاً وعاملاً لحسابه الخاص . وقد علمنا أن موضوع الفلم متصل بالطيران وأن بعض المناظر الخارجية اشتركت فيها بعض وحدات الطيران الحربية المصرية

الأستاذ أحمد سالم

وسنعود إلى الحديث عن الأستاذ وجهوده السينمائية فى فرصة أخرى

السينما فى هوليوود

— يقوم (إدوارد ربنسون) بدلاً من (بون مونى) بتمثيل دور (جواريه) فى رواية (عرش من الفولاذ) وهى الرواية التى تقوم بالدور الأول فيها (بت ديفيز) أمام (فردريك مارش)



« شيرلى تمبل » كما تظهر فى فيلمها الجديد (ربيكا التى من مزرعة سنيبروك) وهو من الأفلام التى تعرضها شركة فوكس القرن العشرين فى الموسم القادم

— اختيرت (كلودت كولبير) و (كاى فرنسيس) للقيام بالدورين النسائيين الأولين فى رواية (إخوان وارنر) الجديدة « عند ما تسدل الستار »

— يعيد (سام جولدوين) رواية (ثلاثة أسابيع) التى كان قد أخرجها أيام السينما الصامتة — للكاتبة السينمائية الشهيرة (إلينور جلن) ؛ وكان بطلاها السابقان هما (إيلين برينجل) و (كونراد فيدت)

— أعدت شركة برامونت رواية خصوصية لايزا ميراندا ، وذلك بعد ما تقرر عدم إعطائها الدور الأول من رواية (زازا)



« كلوديت كولبير » كما تظهر فى رواية (زوجة بلوبيرد الثامنة) وهى من أهم الأفلام الضاحكة التى تعرضها شركة برامونت فى الموسم القادم


الرسالة
السنة السادسة
العدد ٣٦٩

6 me Année, No. 269 — Lundi - 29 8 - 1938

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٢٦٩ «القاهرة في يوم الاثنين ٣ رجب سنة ١٣٥٧ — ٢٩ أغسطس سنة ١٩٣٨» السنة السادسة

الفهـــرس

إلى صاحب المعالي وزير المعارف

أذكر يا سيدي أني كتبت إلى معاليك يوم سموت إلى منصب الوزير ورتبة الباشا كلمة صادقة صريحة في هذا الموضع من (الرسالة) قلت فيها : إذا كان غيرك قد وصل بالأدب من غير خلق ، أو بالصحافة من غير أدب ، أو بالسياسة من غير صحافة ، فإنك لم تصل إلا بهذا الأدب الشامل الذي يشرق فيه وميض الروح، ويسيطر عليه نبل النفس : لذلك نعدُّ بلوغك هذه الغاية من المجد انتصاراً للأدب المجاهد ، وترضية للقلم المجهود ، وتمكيناً للفكر الجليل أن يؤدي رسالته في عالم أوسع وعلى طريق أسد ؛ ولذلك نجملك من بين الوزراء الصلة الطبيعية بيننا وبين أولي الأمر ، فقد قطعوا أسبابنا الواصلة ، وسَفِهوا حقوقنا المعلومة ، واعتقدوا أننا حِليٌ تزين ولا تنفع ، ودُمًى توجد ولا تعيش ...

وأذكر يا باشا أنك كتبت إلي على أثر هذه الكلمة الطيبة كتاباً رقيق العبارة كريم العاطفة صريح الوعد بأنك ستكون وليًّا للأدباء ونصيراً للأدب .

ثم أذكر أنك وأنت عميد الصحافة المعارِضــة كتبت في (نزاهة الحكم) ، وخطبت في (الحكم الصالح) مقالات سماوية

وخطباً مثالية لا تزال فِقَرها وحججها ترن فى أذن الحكومة وتجرى على لسان المعارضة

أذكر كل أولئك يا باشا وأنسى أننى طلبت الإذن على معاليك فلم أنله ، وأننى كتبت إليك كتاباً فيه بعض العتب فلم تقبله ؛ ثم أنسى أننى سمعت بعد ذلك أنك لم تُرِد إنصاف (الرسالة) وقد سألتك إياه ، وأنك محوت اسمى من مشروع (المجمع الأدبى) وقد كان فيه . نعم أنسى كل ذلك يا باشا لأن هذه المعانى البشرية لاتلبث أن تموت أو تضعف فى خاطر رجلين: الوزير لأنه ينفذ أمر الملك ، والقاضى لأنه يعلن حكم الله . وولى الأمر أو ولى القضاء متى شعر أنه مظهر الإرادة العليا أخذته حال من السمو الإلهى ترفع النفس وتُرهِفُ الضمير وتُوَثِّق الذمة .

فأنا أتقدم إلى معالى الوزير بشكوى الأدب الحر وأنا مطمئن إلى عدله واثق بجميل رأيه. والأدب الحر يا باشا هو الأدب المجاهد الذى ليس له حزب يحميه ولا منصب يسنده ، وشكواه أن الأدب الرسمى بغى عليه بقوة السلطان وحكم الأثرة ، فشهد فيه الزور وحكم عليه بالباطل

هذه لجنة إنهاض اللغة العربية — ولا أريد أن أعرض لغيرها اليوم — تألفت بقرار منك فأصبحت فى حدودها الموقوتة أداة من أدوات السياسة العليا تنظر بعين المصلح، وتنطق بلسان الوزير، وتحكم بذمة القاضى. ولكنها يا باشا لم ترد أن تخرج عن إطارها الشخصى ، فمكنت لنزعات الهوى أن تطير بين آرائها فى عمل من أعمال الناس وشأن من شؤون الدولة !

لقد سلكت فى اختيار الكتب التى تساعد الطلاب على اكتساب ملكة البيان طريقاً عجيباً إن ضمن فائدة الكاتب لا يضمن فائدة الطالب ، وإن قضى حاجة الصداقة لا يقض حاجة اللغة

ولا أريد أن أضرب مثلاً على تجنيها غير ما نالني منها. وأدع لغيرى من الذين حكمت عليهم بالإغفال أن يضربوا بقية الأمثال فإن لهم أقلاماً وألسنة

هل تصدق يا باشا أن هذه اللجنة التى ألفتها من أربعة شيوخ من شيوخ الدين والأدب قد استطاعت أن تحيل العقل والضمير والفن والمنفعة على أن تلعن كتابين ألفهما جوتة ولامرتين، وترجمهما الزيات، وقدم لهما طه حسين ومنصور فهمى، وطبعهما ونشرهما أحمد أمين ، وقرأهما الشبان والشواب فى جميع أقطار العروبة ثمانية عشر عاماً لا يرون فيهما غير الخلق النبيل والبيان المشرق والأدب المحض والإلهام المقدس ؟

هل علمت يا معالى الباشا أن هذه اللجنة الإخصائية فى علوم العربية قد أغفلت كتاباً فى صميم الفن أُلف للكتاب والطلاب ، وعالج مسائل مبتكرة فى تاريخ الأدب ، وأضاف قواعد جديدة إلى قواعد الكتابة ، وليس فى المكتبة العربية اليوم ما يحل محله ؟

لقد تساءل الناس فى الأندية والصحف عن سر هذه اللعنة، وسبب هذا الإغفال ، فأعياهم أن يجدوا الجواب ، حتى رد عليهم الأستاذ أحمد أمين عضو اللجنة بما نشرناه وعلقنا عليه فى العدد السابق من الرسالة، فانقلبت الأسئلة إلى شكوك وظنون ، وراب الأدباء من لجان الوزارة أن يكون هذا مبلغ الحق والعدل ، فى لجنة عرف أعضاؤها بالنزاهة والفضل ، وعجبوا أن يمتهن المنطق رجال المنطق ويظلم الأدب حماة الأدب ، وقالوا ماذا عسى يصنع الدهر بلجان الاختيار والتأليف والمسابقة ؟

***

هذا (بلاغى) يا معالى الوزير أرفعه إليك لتحقق ما فيه بعد ما قرأتَ فى العددين السابقين سؤال السائل وجواب المجيب ورد المتعقب . وصاحب المعالى هيكل باشا غنى عن السؤال والجواب والبينة ، فإنه بملكته الأدبية يعلم الفن ، وبحاسته القانونية يدرك الحق ، وبسلطته الوزارية يملك الحكم

ومعاذ الله أن يكون لهذه الشكوى مبعث غير الحفاظ للأدب وللكرامة . فقد سلخنا فى الجهاد الأدبى ثلاثين عاماً نعمل بين الجهور وللجمهور فما شعرنا بالحاجة إلى حماية ولا معونة . وهذه منزلة من الإيمان والصبر لايستطيع أن يصفها لهيكل باشا الوزير، إلا هيكل باشا الأديب

احمد حسن الزيات

الأصل وغيره

بقلم ابرهيم عبد القادر المازني

أرانى أحد الإخوان رواية لكاتب انجليزى معاصر اسمها « مذنبون بكرههم » وقال اقرأها . وقد اقتنيت نسخة منها ، ولكني ما زلت محجما عن قراءتها وإن كان قد مضى يومان وهي على مكتبي تخايلنى كلما جلست إليه . وأحسب أن فى اسمها مايصدنى عنهـا . ولست أعنى أنى أكره القصص التى تتناول الخطيئات والذنوب والآثام ، فقلما تخلو رواية من شىء من ذلك ، بل يندر أن تخلو حياة من هذا ، فإن العصمة « عليا مراتب الأنبياء » وإنما أكره ما يبدو لي من النفاق أو المغالطة أو الجهل أو المداجاة فى هذا الاسم . ولو قال إنهم أخيار أو أطهار أو طيبون بكرههم لكان أشبه بالحق . فإن رأيى أن الانسان مطبوع على ما نسميه الشر ، وليس بمفطور على ما ألفنا أن نسميه الخير وما إلى هذين من صفات قبيحة وطيبة . والذى نعده خيراً ليس أكثر من عادة أو ضرورة ، ولكن الذى نقول إنه الشر أصل . وقد صدق النّواسي فى قوله :

أنت يا ابن الربيع ألزمتنى النسـك وعودتنيه ، والخير عاده

وقد سألت نفسى غير مرة لو كنت ، ومعى ابنى — والأبناء فيما يعرف الناس ويحسون أفلاذ أكبادهم — فى صحراء جرداء لا ماء فيها ولا شجر ، ولم يبق معنا من الزاد إلا كسرة ، ومن الماء إلا قطرة ، وبرح بنا الجوع والظمأ ، فماذا كنت عسى أن أصنع ؟؟ أأوثره على نفسى ، أم أوثر نفسى عليه ؟

وآثرت الاخلاص وصدق السريرة فى الجواب فقلت إن أول ما كان خليقاً أن يدور بنفسى هو أن أوثر نفسى على ابنى ، ولعلى حقيق إذا ثقلت وطأة الاحتمال علىّ أن أقاتله على اللقمة أو قطرة الماء . ومهما يكن من ذلك فان المحقق عندي — فيما أشعر وأعلم — هو أن الخاطر الأول يكون هكذا ، أى أن تحدثنى نفسى بالاستئثار دون ابنى بما بقى لنا . وقد يتغلب العقل وعادة الكبح والنظام الذى نجرى عليه فى حياتنا المتحضرة . فيحدث أحد أمرين مثلا : أن يكون الباقي مما يحتمل القسمة ، فاقترح اقتسامه ومن يدرى ؟ لعلى وأنا أكسر اللقمة الباقية أجور عليه فى القسمة ؛ وإذا كان الأمر لا سبيل فيه إلى مشاركة ، فقد أقول لنفسى إن من قلة العقل أن أخطف الكسرة والماء فأطيل بذلك عمرى ساعات ، وما يبدو لنا أمل فى نجدة قريبة ، وأنا قد عشت أكثر مما عاش ، وسيقضى كلانا نحبه فليس بضائرى أن يبقى بعدى ساعات ؛ وهب ناساً أدركونا وأنقذونا فان الباقى من عمرى دون الذى مضى وانقضى ، وهو على كل حال شيخوخة وتهدم ، وأمراض وعلل ، وأوصاب وعجز ، فما حرصى على ذاك ؟ ولكن هذا صغير ولا يزال أمامه شباب طويل وريف ، فهو أولى بالحرص على الحياة والتعلق بها وأحق بذلك منى ، وقد أكره أن يرى أثرتى وقبحها وشناعتها ، وأخاف أن يعرف ذلك عنى بوسيلة ما ، فأناوله الماء وأجود عليه بالخبزة الناشفة ، وأتظاهر بالرحة ، وأتكلف الايثار وأقول له : إنك ابنى وفلذة كبدى ، فبقاؤك استمرار لحياتى وامتداد

وفى الدنيا عشاق مجانين غير قليلين وقد يهم الواحـد منهم بالانتحار إذا ضنت عليه حبيبته بابتسامة أو أعرضت عنه فى مجلس ، أو أبت عليه قبلة وضمة . خذ هذا العاشق الولهـان ، المدله ، المزدهف اللب ، المشغوف القلب ، وأجلسه إلى جانب حبيبته المعبودة فى البرد القارس والمطر المنهمر ، وانظر ماذا يحدث ؟ أتظن أنهما يتناجيان فى تلك الساعة بحبهما ؟ ؟ أتراه يشتهى حينئذ أن يقبلها أو يضمها ، أو يبالى ابتسامها أو إعراضها ، أو يحفل ما يكون من ذلك منهـا ؟ بل سل نفسك أيخطر له الحب وهو ينتفض من البرد والمطر ويرعد ؟؟ وقد يندفع بحكم العادة فيخلع سترته ويضعها على كتفى المحبوبة المعبودة ، ولـكنه لا يفعل ذلك إلا وهو كاره له ، وساخط عليه ، وناقم على الضرورة التى تدفعه إلى ذلك . ويزداد البرد مع طول الجلسة ، ويعانيان منه مالا طاقة لهما به ، فلا يبقى لهما هم إلا في هذا وفيما يمكن أن يصنعا لاتقاء عواقبه ، أو النجاة منه ، ويذهب الحب وتذهب دواعى الانتحار ، وتهبط قيمة ذلك كله إلى الصفر . فليت العشاق الذين يسلب الحب عقولهم ، يكابدون شيئا من هذه المكاره ليعلموا أن فى الوسع أن يقل احتفال المرء بابتسامة حبيبته ، وتفتر الرغبة فى ضمها وتقبيلها ، بل إن فى الوسع أن يحيا بغير هـذه الحبيبة ، ولا يفكر فيها ،

ودع عنك الانتحار من أجل قبلة أبتها عليه !

وهذه الشجاعة ماذا هى ؟ إن الأصل فى الانسان الجبن لا الشجاعة ، لأن غريزة المحافظة على الذات تقضى بذلك ، ولكنه يتشجع ، ويحتمل التعرض للمكاره أو المعاطب ، ويلقى بنفسه فى التهلكة ، مرغما ، فقد يكون الذى يفر منه شرا مما يرى نفسه عليه ، أويكون فى الجبن الهلاك فيستوى الأمران ، وإذن تكون الشجاعة أولى ، وأجلب لحسن السمعة وطيب الأحدوثة ، ففيها حتى مع الهلاك عزاء أدبى . أو يكون الموقف من شأنه أن يورط المرء فلا يبقى مفر من الاقدام ، والأمر معه . وقد يكون المرء ضعيف الخيال ، أو قليل الادراك فهو لا يحسن أن يقدر الأمور ، ولا يبالغ فى توهم الاخطار وتجسيدها ؛ أو يكون على نقيض ذلك كبير العقل واسع الخيال ، فلا يرى بأسا من الجرأة لأن فرص النجاح أو السلامة كفرص الاخفاق والتلف ، أو أكثر ، إلى آخر ما يمكن أن يكون باعثا للانسان على مقاومة الحرص الطبيعى على الحياة والضن الفطرى بها

ولا أعرف ما شأن غيرى ، ولكنى أعرف نفسى على قدر ما يتيسر لى ذلك ، وأعلم أنى أشتهى كل ما يُشتهى فى الحياة ، وإذا كنتُ لا أواقع كل لذة أشتهيها ، أو أطلبها ، أو أحلم بها ، فما هذا منى عن عفة فطرية ، وزهد فى طباعى ، فان لكل حالة من حالات الحرمان علة لا تخفى علىّ ، ولا أستطيع أن أغالط نفسى فيها ، وإن كنت أغالط الناس ، ولو سألنى ربى — كما سيسألنى بعد عمر طويل — لأقررت بذنوب لم أقارفها ، وخطايا لم أرتكبها ، وشهوات تبحث نفسى عنها ، أو استعصى علىّ إرضاؤها ، ولطال بى الاعتراف ، والخلائق ورائى تنتظر دورها تحت الشمس المحرقة فى تلك الساعة التى تذهل الأم عن ولدها ، فأشفق عليهم ، وأوجز وأقول إن ربى أدرى بى وأعرف بالظاهر والباطن ، فلا حاجة إلى الافاضة فى الاعتراف . وإنى ، على الجملة ، ومع تفاوت واختلاف قليلين لكما قال السمير رحمه الله :

فتراني طول عمرى تائبا من غير عفة

فلا نجاة لنا إلا برحمة من الله ومغفرة .

ابرهيم عبد القادر المازنى

عود الى الموضوع

الدين والأخـــلاق

بين القديم والجديد

لأحد أساطين الأدب الحديث

— ٢ —

لو أن الأستاذ الغمراوى قصر حديث الدين والأخلاق على الرافعى لكانت حجته أقوى ، ولكنه وقع فى خطأ منطقى إذ حسب أن جميع أدباء المذهب القديم قد راعوا حرمة العرف والتقاليد وآداب الدين وأخلاقه كما راعاها الرافعى . فكأن حجته مقسمة حسب التقسيم الذي يُستَشهَدُ به فى الخطأ المنطقى : هى أن الرافعى راعى حرمة أخلاق الدين ، والرافعى من أدباء المذهب القديم ، فنستنتج من ذلك أن المذهب القديم يراعى حرمة أخلاق الدين . وهذا الاستنتاج كاستنتاج من يقول : الفيل له خرطوم ، والفيل حيوان ، فكل حيوان إذاً له خرطوم . وقد ظهر هذا البرهان المنطقى فى أكثر من مكان فى مقالات الأستاذ الغمراوي ولا سيما فى المقال الأخير . انظر إلى قوله (فالمسألة فى الأدب إذاً ليست مسألة لفظ ومعنى ولكنها فى صميمها مسألة روح . فريق يريد أن يحمل روح الأدب روحاً شهوانياً بحتاً يتمتع صاحبه بما حرم الله وما أحل ، ولا يفرق بين معروف ومنكر ، ثم يصف ما اتى فى ذلك من لذة وألم أو غيرهما من ألوان الشعور ؛ وفريق يريد أن يحيا الحياة الفاضلة .. إن أدب الفريق الأول هو ما يسمونه الأدب الجديد ... وأدب الفريق الثانى هو ما يسمونه بالأدب القديم ...)

ومن الغريب أن عدد الرسالة الذى كتب فيه الأستاذ الغمراوى هذه الجملة فيه مقال للأستاذ خلاف يشير إلى كتاب يتيمة الدهر للثعالبي وإلى غيرها من كتب الأدب القديم ، ونستشهد منه بالجملة الآتية : (ومنذ أن قال امرؤ القيس أقواله الفاحشة فى المرأة ، ونظم الفرزدق وجرير الشتائم والسباب ، وقال أبو نواس وبشار وأضرابهما فى معانى الشذوذ والضعف الخلقى ، وامتلأ العصر العباسى الثانى بالتفنن فى تسجيل الصور الدنيئة من حياة

الانسان كما يتمثل فى كتاب يتيمة الدهر (قاموس الأدب الداعر الوقح)؛ منذ ذلك كله تحول ذوو الطبائع الجادة إلى وجهات أخرى فى الحياة غير وجهة الأدب والاشتغال بمحصوله)

فالأستاذ خلاف يثبت فى مقاله أن الأدب الداعر بدأه أمير شعراء الجاهلية فى مثل قوله (إذا ما بكى من خلفها ... الخ) واستمر فى عصور الاسلام إلى أن استفحل كل الاستفحال فى عصر الأدب العباسى الثانى. فهل يعد الأستاذ النمراوى أدباء هذه العصور الذين يعنيهم الأستاذ خلاف من أدباء الأدب الجديد أم من أدباء الأدب القديم؟ وهل قول الأستاذ النمراوى (فريق يريد أن يجمل روح الأدب روحاً شهوانياً الخ الخ) ينطبق أولا ينطبق على أدباء الأدب القديم الذين ذكرهم الأستاذ خلاف؟ وهل ينكر الأستاذ النمراوى أنه قلما يخلو كتاب من كتب الأدب القديمة من أشياء لا يليق بالفتيات والفتيان ولا بأى إنسان أن يقرأها، وأن الأستاذ خلاف عند ما ضرب الأمثلة لم يقصد أن يذكر كل ما وجد من هذا القبيل؟ إن فى كتاب يتيمة الدهر أشياء لو قرئت على الأستاذ النمراوي لوضع إصبعه فى أذنه وفر وهو يقول: مرحباً بالجديد. وما رأى الأستاذ النمراوى فى شرح السيد توفيق البكرى شيخ السادة البكرية، ورجل الفضل والدين لأبيات ابن الرومى التى ذكر فيها صوت يد المجان فى المجين (راجع صهاريج اللؤلؤ)؟ فهل السيد توفيق البكرى من أدباء المذهب الجديد؟ وما رأيه فى الشيخ شريف رجل الفضل والدين ومفتش اللغة العربية فى وزارة المعارف وقد شرح أرجوزة ابن الرومى التى أولها (رب غلام وجهه لا يفضحه). وليس من موبقة إلا وفى كتب الأدب القديم وصفها والافتخار بها على شكل لم يبلغه الشبان المولعون بما يسمونه (الأدب المكشوف). ومن الغريب أن الذين ينبهون الحكومة إلى سقطات هؤلاء الشبان لا ينبهونها إلى ما فى كتب الأدب القديم من مخاز لا تسمح أية دولة بنشرها. راجع فى الأغانى أمثال قصة اصبغ بن أبى الأصبع ومطيع بن إياس، على ما أذكر، أوسل الأستاذ خلاف عما وجد فى كتاب يتيمة الدهر حتى سماه قاموس الأدب الداعر، بل خذ أى كتاب أو ديوان، خذ مثلا ديوان أبى تمام وراجع القصيدة التى يخاطب فيها الحسن ابن سهل فى قوله: (إن أنت لم تترك السير الحثيث الخ) ولا سيما البيت الذى أوله (سبحان) فى الطبعة غير المنقحة، أو خذ ديوان البحترى وانظر كيف أفحش فى المجون فى حضرة أمير المؤمنين المتوكل فى القصيدة التى يمدحه بها وأولها: (سقانى القهوة السلسل) وانظر إلى البيت الذى أوله (وقطع) فهل هؤلاء من شعراء المذهب الجديد؟ وهل أمير المؤمنين المتوكل من أدباء المذهب الجديد؟ أو خذ ديوان أمير المؤمنين عبدالله ابن المعتز ففيه أيضا مخازٍ يعجب لها الأستاذ النمراوى. أو خذ ديوان الرجل التقى النقى العلوى صفى الدين الحلى وانظر إلى مجونه وغزله المؤنث والمذكر، أنظر مثلا إلى سبب تضمينه الأبيات الآتية فى قصيدة له والأبيات أولها (أيا جبلى نعمان بالله خليا الخ الخ)

إن أدباء المذهب القديم وأدباء المذهب الجديد فى أيام شبابهم قد قرأوا كل هذه الكتب وقرأوا ما فيها مما لو رآه الأستاذ النمراوي لطمسه. وقد تأثر كثير منهم بها إلى حد جعلهم لا ينكرون وجودها وجعلها فى نظرهم أشياء طبيعية مألوفة. وأدباء المذهب الجديد قد قرأوا الكتب العربية قبل قراءتهم كتب الأدب الأوربى التى يخشى الأستاذ النمراوى قدوتها. فإذا كانت كتب الأدب الأوربى قد أثرت فيهم فان كتب الأدباء والشعراء التى يستنكرها الأستاذ خلاف لا بد أن تكون أبلغ أثرا فى نفوس الفريقين؛ وهى أيضا بليغة الأثر فى نفوس فتيات وفتيان المدارس لأن هذه الكتب يستعيرها التلاميذ والتلميذات بمدارس البنين والبنات، فهى بمكتبات المدارس ويحثُّ التلاميذ والتلميذات على قراءتها. لو كان الأستاذ النمراوى يعرف ما يكتبه الطلبة من الحواشى أحيانا على هامش هذه الكتب المستعارة لعرف مقدار أثر كتب الأدب القديم فى نفوس النشء. إنى أتوسم فى الأستاذ النمراوى الانصاف، ومن أجل ذلك أعتقد أنه لو بحث هذه المسألة وفحص أثر هذه المؤلفات وأمثالها بعد أن يدرس مجونها ويهتدى إليه بهداية أهل العلم بأما كنه لا أعترف أنه إذا كان لأدبٍ ما أثر فى دفع الشبان إلى المجون والاباحية فى الأخلاق فهو أثر الأدب القديم، وأن هذا الأدب القديم غير مقصور الأثر على التلاميذ والتلميذات، بل إن أثره يشمل أدباء المذهب القديم المصريين وأدباء المذهب الجديد على السواء. ولا يعجب الأستاذ النمراوى إذا قيل إن الأدب الأوربى الحديث إنما يؤدى دينا عليه للعالم العربى، فان الأدب والشعر والفكر العربى كما كان فى

الحضارة العربية ولا سيما العباسية والدويلات التى أتت بعدها كان كثير الحرية إلى حد الاباحية فى الخلق أحيانا ؛ وقد كان هو والأدب الاغريقى القديم من العوامل التى قضت على أدب التعفف والتقشف المسيحى فى القرون الوسطى .

وما يقال فى الأدب القديم عن الآداب والأخلاق يقال أيضا عن العقيدة . نفسها فلو رجع الأستاذ الغمراوى إلى كتب الملل والنحل العربية لوجد أن بعضها لم يترك إلحادا إلا وصفه ولا كفرا إلا أطال القول فى معانيه

وأقوال ملاحدة الدولة العباسية وغيرها من الدول لا تزال أمام القراء من شعر ونثر ، وما ترك الأول للآخر شيئا .

إذاً يحسن بالأستاذ الغمراوى أن يقصر قوله على الرافعى ، وأن يمجده ما شاء ، وأن يقدس مراعاته حرمة الآداب والأخلاق الاسلامية ، أما أن يقع فى خطأ الاستنتاج فهو أعظم من ذلك منزلة ؟

وإذا كان الأستاذ الغمراوى يريد أن يقضى على سبب من أهم أسباب فساد الأخلاق فعليه أن يحث وزارة المعارف وإدارة المطبوعات على تشكيل لجنة لفحص الكتب العربية وطمس ما هو مفسد للأخلاق فى الموجود من نسخها وتحريم طبعه فى الطبعات الجديدة فان ائتمان أمثال هذه الكتب وهؤلاء الأدباء على أخلاق النشء (ومحاربة الأدب الأوربى) يكون كمن يأتمن لصا وطنيا على بيته وأمواله وأثاثه لأنه وطنى ؛ وقد يكون هذا اللص الوطنى أشد خطرا لأنه يؤتمن ويمهد له السبيل ويعطى له مفتاح المنزل . أو كمن يأتمن فاجرا داعرا على أبنائه لأنه كان صديق صباه وأليف أيام شبابه .

قارىء

للتاريخ السياسى

المشكلة التشيكوسلوفاكية

للدكتور يوسف هيكل

من أهم المشاكل الدولية الحالية وأبرزها : المشكلة التشيكوسلوفاكية ، فقد كادت تكون فى المدة الأخيرة سبب حرب عالمية ، ولا تزال موضع اهتمام ساسة الغرب ولا سيما الانكليز والفرنسيين منهم ، الذين يعملون على حل هذه المشكلة ليزيلوا شبح الحرب من أوروبا الوسطى

والمشكلة التشيكوسلوفاكية معقدة عويصة ، يحتاج تفهمها إلى التعرض لتاريخ تشيكوسلوفاكيا قبل الحرب العالمية ، وإلى عرض صعوبات الحكومة التشيكوسلوفاكية قبل الحكم النازي فى ألمانيا ، وإلى إظهار تغير الحكم الهتلرى لعوامل المشكلة التشيكوسلوفاكية والمفاوضات الجارية لحلها . وأخيراً إلى مرامى السياسة الألمانية

تقع جمهورية تشيكوسلوفاكيا فى أوربا الوسطى ، وهي محاطة بألمانيا والنمسا وهنغاريا ورومانيا وبولونيا ، ومكونة من مقاطعات بوهيميا ومورافيا وسيليسيا ، بلاد التاج البوهيمى قديماً ، ومن قسم من هنغاريا القديمة ، وعاصمتها مدينة براغ .

ويجب ألا يغيب عن الذهن أن بوهيميا كانت مدة خمسة قرون ، ما بين عام ١٠٦٨ — ١٥٢٦ مملكة مستقلة ، وأن ملكين من ملوكها ، وهما شارل الرابع وونسيلاس الرابع ، كانا ملكين رومانيين مقدسين

وفى أثناء حروب القرن الخامس عشر الدينية قاوم أهل البلاد بنجاح الهجمات النمساوية وحافظوا على استقلالهم . غير أن تاج بوهيميا وتاج هنغاريا وُحّدا عام ١٥٢٦ على رأس الامبراطور فرديناند الأول ، من أسرة هابسبورك . ومنذ ذلك التاريخ ابتدأت حكومة النمسا تدريجياً تجعل الحكم مركزياً ، وتحكم بوهيميا مباشرة . وقد تم ذلك بعد ثورة ١٦١٨ ، واندحار رجال التشيك أمام الجيوش النمساوية فى موقعة الجبل الأبيض عام ١٦٢٠ . ومن حينئذ زال استقلال بوهيميا باستيلاء النمسا عليها ، وأصبح السلوفاكيون تحت اضطهاد الاقطاعيين المجريين

وفى أوائل القرن التاسع عشر ابتدأت الحركة القومية

التشيكية ، وبرغم خيبة الأمل فى نجاحها أثناء الثورة الفرنسية عام ١٨٤٨ ، بقيت تناضل وتطالب بالاستقلال الادارى والسياسى على أساس الاتحاد الشخصى بامبراطور النمسا . ولكن هذه المطالب رفضت ولم يتحقق استقلال التشيك والسلوفاك إلا فى ٢٨ أكتوبر عام ١٩١٨ بقيادة مازاريك وبنيس

وتضم الحدود التشيكوسلوفاكية الآن ما ينيف على خمسة عشر مليوناً من السكان منهم : ٧٫٤٤٧٫٠٠٠ تشيك أى أكثر من النصف بقليل ، و ٣٫٢١٨٫٠٠٠ ألمان ، و ٢٫٨٠٩٫٠٠٠ سلوفاك ، و ٧٢٠٫٠٠٠ مجريون ، و ٥٦٩٫٠٠٠ راتينيون ، و ١٠٠٫٠٠٠ بولونيون ، و ٢٦٦٫٠٠٠ جنسيات أخرى ويهود

ومما هو جدير بالملاحظة أن ما ينوف على الثلاثة ملايين من الألمان فى تشيكوسلوفاكيا ، لم يكونوا قط تحت سيادة الحكومة الألمانية ، بل كانوا من الرعايا النمساويين المجريين

***

إن وجود هذه الأقليات المتعددة ضمن حدود الجمهورية التشيكوسلوفاكية ، خلق مشكلاتها ، مما حمل الرئيس مازاريك يعرّف مشكلة بلاده بأنها : « مشكلة الأقليات فيها »

وعند البحث فى وضعية الأقليات الألمانية فى تشيكوسلوفاكيا يجب التنبه إلى أن الأكثرية الساحقة من هذه الأقلية تعيش متجمعة . وأهم من ذلك أن هذه الجموع الألمانية تؤلف إطاراً محكماً على طول الحدود التشيكوسلوفاكية الألمانية . ولذلك يمكن القول بأن الأقلية الألمانية فى تشيكوسلوفاكيا هى أقلية حدود . فوضعية هذه الأقلية الجغرافية تحول عملياً بين تحقيق ما تطلبه من الاستقلال الذاتى

ثم إن مصانع تشيكوسلوفاكيا واقعة فى شمالى بوهيميا ومورافيا وسيلسيا ، فى الأراضى التى يتكلم سكانها الألمانية ، لذلك لا تتساهل حكومة براغ فى استقلال الألمان السوديت ، لأن ذلك يؤدى إلى خسران البلاد التشيكوسلوفاكية مصانعها الهامة التى هى من أعظم مواردها الاقتصادية ، إن لم تكن أعظمها ، وإلى استيلاء ألمانيا عليها

ومن نتائج وجود المصانع التشيكوسلوفاكية فى الأقاليم المأهولة بالألمان ، تأثر سكان هذه الأقاليم الصناعية بالأزمة الاقتصادية . ومن الطبيعى أن التذمر من الأزمة الاقتصادية يؤدي إلى التذمر السياسى . فأخذت الأقلية الألمانية تتهم حكومة براغ باتباع سياسة التحيز ، سياسة السهر على مصلحة التشيك بايجاد أعمال لهم ، وعدم الاعتناء بالعاطلين الألمان ؛ واتسع باب التذمر وتعدى الحدود الاقتصادية إلى الحدود الثقافية والادارية فاتهمت الأقلية الألمانية حكومة براغ أنها لا تراعى حقوق الأقلية فى التعليم واستعمال لغتها ، ولا فى تعيين الموظفين ، بل هى تخالف فى أعمالها معاهدة الأقليات المؤرخة فى ١٠ سبتمبر ١٩١٩

وكانت نتيجة هذا التذمر نزاعاً بين الأقلية والحكومة ، أدى إلى احتجاج الأقلية الألمانية على الحكومة التشيكوسلوفاكية فى عصبة الأمم . وأدى هذا النزاع إلى توليد البغض الشديد بين التشيك والأقلية الألمانية

***

لم تبق المشكلة التشيكوسلوفاكية مشكلة محلية ، أى مشكلة أقليات ، حسب تعريف الرئيس مازاريك ، بل أصبحت منذ استلام النازى زمام الحكم فى ألمانيا مشكلة دولية بتدخل ألمانيا فى سياسة تشيكوسلوفاكيا عن طريق الأقلية الألمانية . والأقلية الألمانية فى تشيكوسلوفاكيا ليست حزباً واحداً بل هى أحزاب ، منها من يريد الانضمام إلى ألمانيا، ومنها من يريد البقاء متحداً مع حكومة براغ . ولما تسلم الحزب النازى الحكم رضى متطرفو الألمان فى تشيكوسلوفاكيا به ، وأظهروا ميلهم إليه ، وقاموا بحركات عدائية نحو حكومة براغ ، مما أدى إلى حل الحزب الألمانى القومى والحزب الاشتراكى القومى . وبعد ذلك بقليل قامت حركة جديدة بين الألمان السوديت بقيادة الهر هنلين ، فعظم شأنه وقوى حزبه

وقف الهر هنلين موقفاً يخالف موقف بقية زعماء الألمان فى تشيكوسلوفاكيا ، إذ هم يعملون على إنالة الأقلية الألمانية حقوقها التى جاء ذكرها فى معاهدة الأقليات مع بقائهم ضمن وحدة الجمهورية . أما الهر هنلين فطالب باستقلال السوديت الذاتى ، وتدخل فى سياسة تشيكوسلوفاكيا الخارجية . وذلك صريح من خطابه الذى ألقاه فى مؤتمر كارلسباد فى ٢٣ ابريل سنة ١٩٣٨ إذ قال بعد أن ذكر مطالب حزبه الثمانية : « إننا نعلن رسمياً

وبصراحة أن سياستنا مستمدة من المبادي، والأفكار الاشتراكية القومية — مبادى، النازى — فان كان سياسيو التشيك يريدون الوصول إلى تفاهم دائم معنا نحن الألمان ، ومع الرايخ الألمانى ، فعليهم أن يلبوا مطلبنا فى التغيير التام لسياسة التشيك الخارجية التى قادت الحكومة حتى اليوم إلى صفوف أعداء الشعب الألمانى »

أما المطالب الثمانية فتتلخص فيما يلى :

١ — المساواة التامة بين التشيك والألمان فى المنزلة

٢ — ضمان هذه المساواة بالاعتراف للسوديت الألمان بكيان شرعى

٣ — تحديد المناطق الألمانية ضمن نطاق تشيكوسلوفاكيا والاعتراف بهذه المناطق قانونيًا

٤ — منح هذه المناطق الاستقلال الذاتى التام

٥ — منح الحماية القانونية لكل مواطن يقيم خارج المنطقة الخاصة بجنسيته

٦ — إزالة المظالم التى نزلت بالسوديت الألمان منذ عام ١٩١٨ وتعويضهم عنها

٧ — الاعتراف بالمبدأ الذى يقرر توظيف الألمان فى المناطق الألمانية

٨ — منح الحرية التامة لمن يرغب في الجنسية الألمانية

والهر هتلر يعمل على تنفيذ السياسة النازية الرامية إلى احتلال ألمانيا البلاد التى تتكلم أكثرية سكانها اللغة الألمانية، وإلى إلغاء المعاهدتين اللتين تربطان فرنسا وروسيا بتشيكوسلوفاكيا ، واللتين تضمنان لها استقلالها . وهذه السياسة ليست سرًا ، فقد صرح الهر هتلر فى خطابه بتاريخ ٢٠ فبراير ١٩٣٨ مذكرًا الريشتاغ « أن ما يزيد على عشرة ملايين من الألمان يعيشون فى بلدين مجاورين لحدودنا» . وأضاف إلى ذلك قوله : «إن ألمانيا الحالية تسهر على مصالح الرايخ الألمانى الذي من مصلحته حماية هؤلاء الألمان الذين يعيشون وراء حدودنا ، والذين هم غير قادرين على نيل حقهم فى الحرية العامة ، والشخصية ، والسياسية ، وفى اتباع مثلهم الأعلى » . وقد أجاب الدكتور هودزا رئيس وزراء تشيكوسلوفاكيا فى ٤ مارس على ادعاء حماية الألمان لحكومة براغ بأنها « تعنى تدخلاً فى شؤون بلادنا الداخلية ، وإذا كانت ملاحظات الهر هتلر تعنى محاولة التدخل فى شؤوننا الداخلية — تدخلا يتعارض مع مبدأ الاعتراف بسيادة الدول الأخرى — فان الحكومة التشيكوسلوفاكية تمج ذلك كثيراً ، وهى لا تترك أحداً يشك فى أن سكان هذه البلاد سيدافعون عن جميع عناصر استقلالهم كدولة بجميع ما لديها من قوى حينما يعتدى على هذه العناصر ... »

وبعد أسبوع اتخذت المشكلة التشيكوسلوفاكية شكلها الخطر على سلام العالم . لأنه فى ١١ مارس اجتازت الجيوش الألمانية الحدود النمساوية ، وفى ١٣ مارس أعلن ضم النمسا إلى ألمانيا ، فأصبح فى عشية وضحاها ثلثا عشرة الملايين الذين جاء ذكرهم فى تصريح الهر هتلر فى ٢٠ فبراير مواطنين ألمانيين . عندئذ أخذ السياسيون يتساءلون عن مصير الثلث الثالث ؛ هل تعامله ألمانيا كما عاملت النمسا ؟ ولكن وضعية هذا الثلث الدولية ليست بسيطة كما كانت وضعية النمسا لأن فرنسا وروسيا لا تقفان مكتوفتى الأيدي أمام اجتياز الجيوش الألمانية تشيكوسلوفاكيا ؛ وفى ذلك خطر على السلام ومن جراء ذلك تنشأ حرب عالمية

وفى الواقع لم تتردد فرنسا فى إظهار موقفها إذ هى فى اليوم التالى لضم النمسا إلى ألمانيا أكدت بكل صراحة وعزم ، أن فرنسا تنفذ تعهداتها لتشيكوسلوفاكيا المذكورة فى معاهدتى ٢٥ يناير ١٩٢٤ و ١٦ اكتوبر عام ١٩٢٥ ؛ وفى ١٥ مارس أعلنت الروسيا بأنها ستقوم بواجباتها نحو تشيكوسلوفاكيا التى تقتضيها معاهدة الدفاع المتبادلة المؤرخة فى ١٦ مارس عام ١٩٣٥ . وفى ١٤ مارس رفض رئيس الوزارة البريطانية التعهد لتشيكوسلوفاكيا بمساعدتها حين التعدى عليها ؛ غير أنه ذكر أن القوى البريطانية تساعد الدولة المعتدى عليها فى نظر حكومة جلالته . ثم أضاف منذراً : « إنه عند ما ينظر فى السلم أو الحرب لا تراعى فقط الواجبات الحقوقية ... وإنه من المحتمل أن بلاداً أخرى بجانب البلاد التى هى داخلة فى النزاع تصبح حالا فريقاً فيه . وهذا الحكم صحيح بصورة خاصة على بريطانيا العظمى وفرنسا » ومعنى ذلك أنه إذا دخلت فرنسا الحرب لانقاذ تشيكوسلوفاكيا فان بريطانيا ستكون بجانبها

كان لهذه الانذارات الثلاثة وقع شديد في برلين ، وكان من نتائجها أن حفظ استقلال تشيكوسلوفاكيا ، وفتح باب المفاوضات بين حكومة براغ والهر هنلين لحل مشكلة السوديت . وقد نصحت حكومتا لندن وباريس حكومة براغ بالتساهل مع رعاياها الألمان . وكانت حينئذ حكومة براغ آخذة في وضع نظام الأقليات ، فتقدم حزب السوديت الألماني إليها في ٧ يوليو (تموز) عام ١٩٣٦ بمذكرة عرض عليها فيها الدخول في مفاوضات على أساس تحقيق المطالب التي جاء ذكرها في المذكرة . وكان من المتفق عليه أن يظل محتوى المذكرة مكتوماً خلال المفاوضات بين الحكومة ورؤساء الأحزاب لتسهيل سيرها . وكان مفهوماً حينئذ أن مضمون هذه المذكرة لا يختلف عن المطالب الثمانية التي أعلنها الهر هنلين في خطابه الذي ألقاه في كارلسبارد في ٢٣ أبريل

اجتمع الدكتور هودزا في ٩ يونيو (حزيران) مع مندوبي الهر هنلين وباشروا المفاوضات . وفي ١٥ منه صدر بلاغ رسمي مشترك يشير إلى أن الاتفاق تم على أن تكون مذكرة السوديت ونظام الحكومة بشأن الأقليات بمثابة أساس مفاوضات بين الحكومة والسوديت

وفي ١٩ يوليو (تموز) نشر حزب السوديت الألماني المذكرة برغم أن المفاوضات مع الحكومة كانت لا تزال في دورها الأول وأن نصوص نظام الأقليات لم يعلم بعد ، وهي تحتوي على ١٤ طلباً رئيسياً ، يستخلص منها ولاسيما من الطلبين الخامس والسادس أن الألمان السوديت يريدون تنظيم الحكومة من جديد بصورة يصبحون فيها مستقلين تمام الاستقلال في إقليم السوديت ، وفي الوقت عينه يكون لهم صوت معادل لصوت التشيك في إدارة شؤون الدولة التشيكوسلوفاكية . وطلبات السوديت الألمان تعني في نظر براغ أن كل ألماني سيملك (استقلالا ذاتياً) يعطيه حقاً باتباع مجموعة أقسمت يمين الطاعة إلى (زعيم) لا إلى الدولة ، وأن مثل هذه المجموعة ستكون منظمة ومدارة حسب طريقة النازي ، فالنتيجة تكون تأسيس دولة أوتقراطية ضمن دولة ديمقراطية !

فهذه النقطة تظهر البون الشاسع بين مطالب الألمان السوديت وبين ما تريد حكومة براغ منحهم من الامتيازات

ثم إن نظام الأقليات لم يعلم مضمونه بعد بصورة رسمية ، غير أننا نعلم رسمياً أنه لا يحتوي على استقلال ذاتي لأي مقاطعة ما من مقاطعات البلاد التشيكوسلوفاكية ، وأن الحكومة مستعدة لقتل كل حركة انفصالية . ذلك ما صرح به رئيس الوزارة في ٧ يوليو (حزيران) ووزير الحقانية في ٨ منه

وقد نشر في ٢٧ يوليو ١٩٣٨ بطريق غير رسمي أن نظام الأقليات يتضمن ثلاثة عشر قسما ، تحتوي :

— على المساواة بين جميع الموظفين بدون تمييز بين العناصر التابعة لها

— وعلى حرية انتخاب الجنسية التي يريدها المرء متى بلغ الثانية عشرة ، على أن يكون ملماً بلغة تلك الجنسية . أما اليهود فيحق لهم انتخاب الجنسية اليهودية — دون معرفتهم اللغة العبرية

— وعلى حماية الجنسية الشخصية ، بمعاقب كل من يحاول تحويل جنسية آخر

— وعلى نظام التمثيل النسبي للعناصر في الوظائف وفي الشؤون الاقتصادية ، كالاعانات والأشغال العمومية

— وعلى النسبة في التعليم والاستقلال الذاتي للأقليات في التعليم والتربية

وعلى كل حال فقد حلت المفاوضات بين حكومة براغ والسوديت الألمان الأزمة التشيكوسلوفاكية ، ولكن هذا الحل ظاهري ؛ فظلت هجمات الصحافة الألمانية شديدة على سياسة الحكومة التشيكوسلوفاكية . ولم يكف الرجال المسؤولون في حكومة برلين عن التصريحات المداثية الشديدة ضد حكومة براغ . وكان الموقف ، ولا يزال ، معقداً وخطراً على السلام ، مما أدى إلى تدخل حكومة لندن تدخلاً فعلياً في المشكلة التشيكوسلوفاكية . فقررت بالاتفاق مع باريس : إيفاد اللورد رنسيمان إلى براغ ليكون محققاً ووسيطاً في مسألة الأقليات . فقبلت حكومة براغ وساطة بريطانيا ، ووافق السوديت على تحكيم اللورد رنسيمان

ويستخلص من إيفاد اللورد رنسيمان إلى براغ نتيجتان قوبلتا بالارتياح وهما : « أن الوصاية التي تتولاها انكلترا تستلزم عند

الاقتضاء كفالة أو ضماناً ، وأنه قد زاد الأمل في الوصول إلى اتفاق سلمي وضعف الخطر الذي كان يخشي من استخدام القوة » كما يقول مسيو بلوم رئيس وزارة فرنسا السابق ، في جريدة البوبلير

***

ولكن هل يوفق اللورد رنسيمان في إيجاد حل ملائم لهذه المشكلة يرضي براغ من جهة ، وبرلين والألمان السوديت من جهة ثانية ؟

إن مهمة اللورد رنسيمان صعبة ، إذ عليه التوفيق بين وجهتي نظر متعارضتين . فألمانيا ترمي إلى أبعد من إزالة المظالم عن الألمان السوديت وإعادة حقوقهم إليهم . وأقل حل تقبله ألمانيا ، وبالتالي يقبله السوديت الألمان ، هو استقلال السوديت الألمان استقلالا ذاتياً ، واتباع حكومة براغ سياسة خارجية لا تتضارب مع سياسة الرايخ الخارجية ، وذلك بترك حكومة براغ معاهدتي الدفاع مع فرنسا والروسيا ، واتباع سياسة تتمشى مع سياسة حكومة برلين ، أو على الأقل اتخاذ خطة حيادية شبيهة بوضعية بولندا . واتباع إحدى هاتين الخطتين ، في نظر حكومة براغ ، لا يتفق مع بقاء البلاد التشيكوسلوفاكية بلاداً مستقلة . وهي وهي تؤدي إلى انضمام الأقاليم التشيكوسلوفاكية المأهولة بالألمان إلى ألمانيا ، وإلى زوال الحصن العائق من طريق ألمانيا إلى أوربا الجنوبية والشرقية ، وإلى تمكين ألمانيا من استئناف السياسة التي أحبطتها الحرب العالمية عام ١٩١٨

وربما تقبل ألمانيا الآن حلا آخر أقل ملاءمة لها ، ولكن ذلك الحل لا يكون في نظرها إلا مؤقتاً . وفي الواقع اقترحت ألمانيا عقد مؤتمر رباعي من بريطانيا وألمانيا وفرنسا وإيطاليا لإيجاد اتفاق — مؤقت — لحل المشكلة التشيكوسلوفاكية . وفي اقتراحها هذا تريد تأجيل حل المشكلة التشيكوسلوفاكية إلى أوقات أكثر مناسبة لتحقيق سياستها ، وفي الوقت عينه تحاول إقصاء الروسيا عن كل اتفاق يتم بشأن حليفتها تشيكوسلوفاكيا

وعلى كل حال ستظهر لنا الأيام القريبة نتيجة جهود اللورد رنسيمان . وسنرى ما يقترح من حل لهذه المشكلة المعقدة الخطرة على سلام أوربا

يوسف هيكل

حـــواء

يقول لي الأستاذان أديب عباسي وجهاء الطوال إن مقدمة قطع حواء في الرسالة الزاهرة لا تفي حق حواء. فأجيبهم :

كل ممروض يدعو له غيره إلا الشعر فإنه يدعو بنفسه لنفسه (الناظم)

فم يضحك

تلمّستُ وجهكِ بين الوجوه ... ووجه الحقيقـة لا يُدركُ

فلم أدرِ أيَّ دروب الحياة ... إلى دَرْتِ غايتـه أسلك

هُواتُكِ ما فتئوا حائمين ... على نور وجهكِ أو يهلكوا

تراموا إليـه حفاةَ العقول ... فما أدركوه ولا أوشكوا

ولو بصروا من وراء الدموع ... دموع الهوى بكِ لم يأفكوا

ولا كشفت سخريات الوجود ... لأعينهم عن فمٍ يضحك

رمز الحقيقة

(ختام الديوان)

جهلتُ الحقيقةَ بين القصور ... وأخطأتها في ظِلال الشجر

تلمّستها في صَميم الحياة ... وفتشت عنها بطون السير

وقلّبت من صحف الكائنات ... صحائف تحمل شتى الصور

فلم أدر أيّةُ أرض تحـلّ ... ولا أيّ أفق لها مُستقَرّ

أفوق السما هي بين الملا ... ئك أم هي في الأرض بين البشر؟

وكم خضتُ في غمراتِ السكون ... وأنعمتُ في صفحتيهِ النظر

أسائل عنهـا بهيم الظلام ... وأنشدها تحت ضوء القمر

فما بهر العين منها الضياء ... ولا رنّ في السمع منها الوتر

ولما توسدتُ بين القبور ... ضريحك أدركتُ بعض الأثر

وقلتُ الحقيقة تحت التراب ... ورمز الحقيقة هـذا الحجر

الخرماني

صلاح الدين وموقعة حطين

من أمين الريحـــانى الى محمد اسعاف النشاشيبى

قرأ الأستاذ أمين الريحانى خطبة الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى فى (موقعة حطين) فكتب هذا الكتاب ومنه قوله :

« حيا الله الأخ الأعز ، والصديق الأبر

حبر أحبار اللغة العربية ، حياه الله

كبير أنصار الوحدة القومية ، حياه الله

رافع أعلام النبوة الخضراء والحمراء

لإعزاز العرب

ولبلوغ الأرب

ولهدى من اغترب — حيـاه ، حياه الله

النافخ فى الصور ، المنهض المحرض المثير ، حياه الله

بحر البلاغة الزاخر ، وأفق المعانى الباهر ، ومرج البيان الساحر ، حيـاه الله

* * *

إن بيانه لإعصار فيه نار

وإنه لسماء تتلألأ بالأنوار

وإنه لبستان قلبه من النرجس وعينه من الجلنار

وإنه لمعرض من بنات الأفكار ، بنات العرب الأبكار

معرض الحب والجمـال

من بنات السهـول

وبنـات البــوادى

وبنــات الجبـــال

بنات العروبة والاستقلال ، حياه ، وحياهن الله

والسلام والصلاة على كل من يردون التحية ، ويسارعون فزعين مناصرين

الله أكبر ، الله أكبر ، والوطن الأعز الأقدر ، والاستقلال الأتم الأنور

الله والوطن والاستقلال

الله والوطن والاستقلال

لا حياة دون الثلاثة لأمة

ولا مجال ، حتى لشبح من الآمال

* * *

إن لندائك صوتاً بعيد الصدى والقرار

وإن بيانك لجدير باكليل من الغار

وبتهليل الأحرار

وبصلوات الأبرار

وإن إيمانك وإيماننا لمن لدن الجبار ، رب العلم والاقتدار

القائل بلسانك ولسانى : اليوم جهاد وغداً انتصار

أمين الريحانى

* * *

وهذا قسم من تلك الخطبة وهو خاتمها :

« محمد بن عبد الله ، محمد بن عبد الله !

نحن جماعتك ، نحن شيعتك ، نحن منتمون إليك ، منتمون إلى قرآنك ، منتمون إلى دينك

هل تريد أن نبيد ، هل تريد أن يبيد قرآنك ، أن تبيد لغتك

هل تريد أن تضيع بلادك ، أن تهلك أمتك ؟ ؟

محمد !

أدركنا ، أنجدنا ، خلصنا ، أنقذنا ، نجنا ؛ إن الأعادى تداعت[1] من كل صوب علينا ، ونحن فى الدنيا جنودك ، نحن فى الدنيا رجالك ! !

أبا القاسم ، أبا القاسم !

إن التخلى عن الأحباب يوم الضنك ، يوم الضيق ، يوم البؤس ، يوم الكرب — ممقوت

أبا القاسم ، أبا القاسم ، إنا لسنا بالحريصين على الحياة ، إنا لسنا بالحريصين على بقاء ، إنا لسنا بالحريصين على هذه الدنيا وزينتها وزخرفها .

البقاء والفناء عندنا سواء ، الحياة كالمات ، والمات كالحياة .

الوجود كالعدم ، والعدم كالوجود

(١) تداعت عليهم القبائل من كل جانب اجتمعت عليهم وتالبت بالعداوة

أبا القاسم ، أبا القاسم ! إنا إنما نبغي أن نكون فى الدنيا من أجلك لأجلك ، لأجل قرآنك ، لأجل لغتك ، لأجل عربيتك.

ولولا أنت ، لولا أنت لصحنا : حيّ على الفناء ، حيهل بالفناء ، وعلى الدنيا العفاء

هاتف من وراء الغيب يقول : لا تحزنْ ، لا تيأس ، لا تقنط

نور الدين ، صلاح الدين ، حطين

* * *

إنْ خذل قرآني، إن خذل ديني ، إن خذل إسلاميتي ، إن خذل عربيتي، متسمّى بالخليفة في بغداد، متسمي بالخليفة في القاهرة متسمي بالخليفة في المغرب ...

إن خذلني سلاطين مشتغلون بالملاهي ، قد ألهتهم غنى بنات الليل . وإنْ أولئك ، وإن هؤلاء إلا أسماء ، إن هم إلا أهواء ...

إن خذلني خاذلون « كرِهَ اللهُ انبعاثهم فثبَّطهم وقيل : اقعدوا مع القاعدين »

إن خذلني خاذلون مخذولون فعندي عندي محمديان، بكريان ، عمريان ، علويان : عندي بطلان ، عندي سيفان من سيوف الله الدخرة ليوم باسلٍ ذي أيام[1] . كل واحد بأمة ، كل واحد بأمم جمّة ، كل واحد بجميع قَطين الأرض

عندي بطلان يحييان وينقذان بلادي وأمتي وديني وقرآني وعربيتي ولغتي . خُذْ، خذوا :

محمود بن الشهيد[2] ويوسف بن أيوب؛ ثم اذهب واذهبوا ، واشهدْ واشهدوا موقعة حطين !!!

قد أمسي الصليبيون في الهالكين « وكم أهلكنا قبلهم من قَرْنٍ ، هل تُحس منهم من أحد أو تسمع لهم رِكزًا »

حِطّين ، حطين ، حطين !!!

لولا حطين ، لولا حطين لهلك المسلمون

لولا حطين ، لولا حطين لاضمحلت لغة الضاد . يوم بَدْر ، يوم اليرموك ، يوم حطين

* * *

(١) يوم ذوايام ويوم كايام : شديد قال النابغة :
إني لأخشى عليكم أن يكون لكم من أجل بغضائهم يوم كأيام

(٢) إن لم يشهد نور الدين هذا اليوم فهو الذى خرج صلاح الدين وحفظ البلاد حتى وليها طارد الفرنج

أيها الغربيون ، إرجعوا إلى بلادكم مذمومين مدحورين ! انقلبوا إلى دياركم خائبين مقهورين !

أيها الغربيون ! علمكم نور الدين وصلاح الدين مالم تكونوا تعلمون : علماكم المروءة والوفاء ، ومكارم الأخلاق والعدل ، وأن تكونوا متمدنين مهذبين. لكنكم، لكنكم تلاميذ ألفينا كم بعد قرون (أرى الله بكم[1]) جهالا أغمارا ، غير كرام ، غير متمدنين ، غير مهذبين

* * *

نورَ الدين ! صلاح الدين ! إن القوم قد رجعوا ، إن القوم قد عادوا ، وأعادوها بعد قرون جَـذَعة

* * *

اللنبي ، غورو ، قد أتانا ما قلتما ، فتملّما أنها لما تنتهِ

أيها الغربيون! هذى بلادنا ، هذه الداردارنا ، زايلوا بلادنا، غادروا بلادنا . إنا لكم ، ولسلطانكم ، ولوجوهكم (شاهت وجوهكم ، لاحياها الله وجوها) ولمدنيتكم المموّهة الكاذبة المزوزة ، ولظلمكم ولجوركم ، ولانتقامكم — من القالين ، من المبغضين ، من المنكرين ، من الجاحدين ، من الكافرين ...

هذى البلاد بلادنا . اخرجوا من بلادنا ! إلى بلادكم ! إلى بلادكم أيها الطارئون

* * *

هناك محمد ، هناك محمد ...

« والدهرُ بالناس دوّاريٌ[2] » ...

والدنيا دول ...

« وتلك الأيام[3] ... »

« ووراء الغيب ما رواء الغيب »

(١) أرى الله بهم : نكل بهم

(٢) يدور عليهم بأحواله المختلفة

(٣) قال الله تعالى: «ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين، إن يمسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداولها بين الناس ، وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء ، والله لايحب الظالمين . أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين »

حنظل وتفاح !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

سقيتني يا دنيا بكأسيك في يوم واحد ! وكنت شاعرة حاذقة حين قدمت إلى هاتين الكأسين في وقت يكاد يكون واحداً ؛ حتى امتزجت في مذاق المرارة بالحلاوة ... وكنت صديقة مخلصة ناصحة في معاملتي حينذاك

قدّمتْ إلى كأس الحنظل حين توجهت معزياً إلى عش ذى أفراخ زُغب طارت عنه صاحبته وبانيته: أمهم الحمامة الوديعة التي أتت بهم خمسة متلاحقين ، ثم مضت عنهم وخلّت بينهم وبين أبيهم ...

وجلست أنظر فيهم من الصغير إلى الكبير — وسنه ثلاث عشرة سنة — ثم أحادث أباهم الواجم الباسم الحول ... ثم أطير بخيالي فجأة إلى قبر الحمامة الولود ... ثم أرجع إلى نفسي أختزن فيها قوتها من بيدر الحزن الرفيع الذى أمامى ، لأن مادة نفسي في مجاعتها ...

* * *

قال لى الفرخ الأصغر : أمى سافرت إلى بعيد ، وسترجع ، ومعها حلوى ولعب ...

فقال الذى يليه : لا ، أمى ماتت وبكيت عليها مع النسوان . قال هذا وهو يضحك ، فطفرت الدموع إلى عين الأكبر وحدَرَت ، فخرج من الحجرة ليخفى البكاء وخرج وراءه أبوه ، ووقفت أخته على باب بيننا وبينها ، وارتسمت علامات وجوم متدرجة على وجوه الأطفال بحسب أسنانهم وإدراكهم ، وبقى الأصغر يضحك وأنا معه أضحك بدموع ، وأرشف من الكأس المرة!

ما ذا عسى الأب أن يقول لابنه الأكبر الباكى فى مثل هذه الحالة ليصرف عنه البكاء ؟ أيقول له إن أمك مسافرة وسترجع إليك بحلوى ولعب ؟ لا يصدق ... أيقول له : سلم لله لأن الموت آخر الحياة ، وهو منجل يحصد العاهل والباهل ... وما إلى ذلك من « أجرومية » التعازى ؟ لا يفهم ذلك لأنه لم يبلغ مبلغ من تطفئه هذه الأفكار ... إذاً فالأولى أن يتركه حتى يذهب عنه وجدان الحزن فتجف دموعه وحدها

وشعرت كأن روح الأم حضرت البيت فى ذا كرة الأطفال إزاء هذه الأزمة النفسية فبكى قلبي ، وتكلفت البالغة فى ملاعبة الأصغر حتى ألهيه عن أخيه وعن نفسى ، وجلست برهة ثم نهضت مثقلا ...

لو أننا نخدع فى إدراك المصائب كما خدع الأصغر ، أو لو أننا ندركها باردة بسيطة كما أدركها الذى يليه ، أو لو أننا ندركها إدراك ذلك الأب الصبور الحول العارف بقوانين الحياة ، لكان فى هذا نجاة من وطأتها على نفوسنا . أما أن ندركها إدراك كبير هؤلاء الأطفال من غير علة ولا تَسِلَّة وعزاء ، فذلك أشد الألم ، لأنه ألم المصيبة وألم الحيرة فى إدراك أسبابها وعلاجها . هذه كأس الحنظل ...

وأما الأخرى فقد تناولتها من يد الدنيا فى عشية ذلك اليوم نفسه فى عش يُبنى لفتى وفتاة ... والمدعوون جالسون كل منهم باش يرسل نكتة أو يضحك من نكتة ، وفرح الحياة يترقرق فى الوجوه ترقرق الشراب فى كؤوس بلورية

وكان على شفتىّ بقية من كأس الحنظل التى شربتها فى الصباح فوجدت طعمها فيما قدم إلى من شراب العرس . وهنا أدركت أن دنياى شاعرة حاذقة، وأنها ابتدأت تصاحبنى بصدق . وشربت كأس التفاح وأنا أجمجم بكلمات خفية كما يجمجم المجوس على الطعام ... وكانت هذه الكلمات قصائد وصلوات تلاها فى حلقى ذاك المزيج الذى ذقت فيه خلاصة صنعة الدنيا الشاعرة .. والذى تحولت قطراته إلى كلماتها الآتية :

« إشرب ! إشرب ! ولا تخش السكر من هذه الكأس التى مزجتها لك بيدى ! فإن ما فيها من أضداد تصطرع ، كفيل بأن يترك عقلك دائماً فى غاية الصحو ... إشرب ولا يحاول لسانك أن يميز بين عنصرى هذا المزيج فيتبلبل ولا يستطيع البيان ... إشرب وانظرنى دائماً فى قرارة الكأس متجسدة عارية لعينيك ...

إشرب واحتفظ بمذاق هذا الشراب دائماً حتى تستطيع تقدير الطعوم الأخرى ...

إشرب واحذر أن تحدث من يحيطون بك فى مجلس العرس

بما تجد فى كأسك فيقولوا عنك : « هذا سكران يهذى ... »

* * *

« طالما شربتَ من كأس الحنظل وحدها حتى سكرتَ بالألم فوقعت منك الكأس وتحطمت ...

وطالما شربت من كأس التفاح وحدها حتى سكرت من اللذة فوقعت منك الكأس وتحطمت ...

وقد تعودتم أن تضيفوا لفظة « السكر » إلى اللذة وحدها . ألا وإن للألم سكراً لا يقل شناعة وطيشاً وهذياناً وسفهاً عن سكر اللذة !

أنظروا إلى أبي العلاء المعرى ! إنه عندي لا يقل إثماً عن الأعمى الآخر بشار ، ولا عن أبى نواس !

لقد غرق المعرى فى كأس الألم وغرق الآخران فى كأس اللذة ففقدتهم جميعاً ...

لقد أتى المعرى بهذيان كثير جعله يخرج عن دائرة الحياة العاملة ويعيش جامداً على هامشى أنا الحركة الدائبة المنيفة المنتظمة، يرصدنى من بعد فى محبسيه بعينيه المغلقتين ، ويلمسنى فى خشونة وجهه المجدور ، ويذوقنى فى طعامه المحدود ، ويستنشق أجوائى فى محبسه الضيق الخانق ، ويرانى عدماً وفقداً لأنه أنهى حبل النسل الذى تناهى إليه من آدم ... فهذى فى كثير ولم يميز بين كثير من حقائقى وأباطيلى وحلاوتى ومرارتى وأزهارى وأشواكى ، وكان الحرمان المطلق جذوة شعره وباعث سكره ...

ولقد أتى الآخران بالهذيان المعهود لكم من سكارى اللذة الآثمة ، وما زالا كذلك حتى ارتعشت يداهما وعجزتا عن حمل الكأس الفاتنة

رفع أبو العلاء الكأس طافحة بماء الحنظل لا يرى لها لوناً ولا يشم رائحة وليس له نديم . وقد طال وقوف الكأس على يديه حتى ساغت فى حلقه على مرارتها ، وشعشعها بالظلام الدائم الساكن فى عينيه . تمر به مواكب الحياة بجليلها وحقيرها وجميلها وقبيحها فيراها من سكره بآلامه ، جنازة موتي وكومات أنقاض ... برغوثها كشحاذها يستحق الاحسان والاطلاق ، وفَرُّوجها كشبلها يستحق الاجلال والخشية ، وحشراتها وبهائمها تستحق الحياة الدائمة كانسانها ...

أليس هذا هذياناً كهذيان أبي نواس حين يرفع كأسه طافحة بماء العنب مشعشعة بنطاف دجلة وسناء الضحى ونور البدر ، يصطبح ويغتبق ويعبث بحرمات الحياة فى شغل عن دنيا الآلام الرفيعة والأمجاد والوصاية على مقدرات الأمم حتى « تكشفت له عن عدو فى ثياب صديق » كما قال هو !

بلى ! إنهما وجهان للسكر فى الحياة بإدمان الشراب ذي العنصر الواحد الذى يجعل المدمن ينظرني من جانب واحد »

* * *

كذلك كانت الدنيا تحدث نفسى فى مجلس بناء عش جديد بعد مجلسها فى العش المنهدم . ولم أشعر بأن نفسى بلغت من الفقه والحكمة إلى حد أن تأكل التفاح بشفتين عليهما مرارة الحنظل كما شعرت بها فى ذلك المجلس !

ولقد صحوت بعد ذلك من السكر المطلق بالألم كما صحوت من السكر المطلق باللذة . وسآخذ بوصية دنياي الصديقة الشاعرة لأظل دائماً يقظان صاحياً غير مخمور بنشوة ولا لوعة .

عبد المنعم خلاف

الطريقة العلميـــة
او القواعد الاربع للبحث والتفكير [١]

للفيلسوف الفرنسي الكبير رينيه ديكارت

بقلم السيد أحمد محمد عيتانى

« رينيه ديكارت أشهر من أن يعرف ، فهو أبو الفلسفة الحديثة ، وواضع أسسها ، وبانى كيانها . عاش فى القرن السابع عشر ، وألم بجميع فروع الفلسفة ، وترك لنا مؤلفات عديدة فيها ، كلها ذات قيمة فذة ، لما احتوت عليه من الحقائق العلمية ، والملاحظات الدقيقة ، والنظريات والآراء التى أحدثت هزة عنيفة فى عالم العلم والفلسفة ، فغيرت مجرى بحوثهما ، وحتمهما على الاتجاه فى اتجاه جديد كان نتيجة لها . من بين هذه المؤلفات التى وضعها ديكارت ، رسالة صغيرة ، بسط لنا فيها موجز تاريخ حياته العلمية ، وعرض الظروف والمناسبات التى ساعدته فى الوصول إلى طريقته العلمية الخاصة ، التى بنى عليها بحوثه العلمية والفلسفية ، وقد أسمى هذه الرسالة «رسالة الطريقة أو القاعدة» ووضعها باللغة الفرنسية ، فكانت أول مجهود فلسفي كتب بهذه اللغة ، وكان فى ذلك خروج على عادة الفلاسفة والعلماء الذين ألفوا أن يكتبوا أبحاثهم ويدرسوها باللغة اللاتينية ، ولهذا كان أسلوب المؤلف فى رسالته أسلوباً جامداً معقداً غامضاً فى بعض المواضع ، طويل الجمل ، كثير اللف والدوران ، يصعب فهمه لأول وهلة ، ولكن هذا لم يضع من قيمة الرسالة ، ولم يمنعها من أن تكون من أجل مؤلفات هذا الفيلسوف الكبير خطراً وأبعدها أثراً ، لما اشتملت عليه من القواعد العلمية ، والنظرات الصائبة . وفيما يلى فصل من فصولها ، يصور لنا الظروف والمناسبات التي أحيط بها المؤلف قبيل وضعه قواعده الأربع التى صاغ فيها طريقته العلمية ، واتبعها فى قيادة عقله للبحث عن الحقيقة والعلم الصحيح »

« أحمد عيتاني »

كنت يومذاك في ألمانيا [٢] . وقد دعتني إليها مناسبة الحرب التى لم تكن قد انتهت فيما بعد [٣] ؛ واتفق أنى بينما كنت عائداً من حفلة تتويج الامبراطور [٤] لألحق بالجيش ، أدركنى الشتاء ، وأوقفنى في إحدى الثكنات العسكرية ، وهناك لم أجد ما ألهو به ، ولم يكن لدى من حسن حظى ما يشغل بالى من الشئون والأعمال ، فكنت أقضى سحابة نهاري ، منزوياً فى غرفتى ، حيث وجدت المجال الكافى من الزمن لأستعرض أفكارى وأخلو بها

اختلال الاعمال المكونة من مجهود كثيرة متباينة

كان فى طليعة تلك الأفكار ما لاحظته من أن الأعمال المكونة من أجزاء وأقسام كثيرة ، إذا اشتغلت فيها عدة أيام ، أصبحت وليس فيهـا من الروعة والابداع ما فى أشباهها من الأعمال الأخرى التى لم تمتد إليها سوى يد واحدة :

فالبناء الذى أشرف عليه وأنجزه مهندس واحـد أكثر جمالاً ونظاماً من سواه من الأبنية التى عمل فيها الكثيرون ، والتى رممت مراراً ، وبنى على أسسها الهرمة أبنية لم تكن معدة لهـا .

وكذلك المدن القديمة التى أصبحت من الزمن مدناً كبيرة ، بعد أن كانت قرى وضياعاً ، فهى عادة فوضى فى بنائها ، إذا قيست بتلك المدن الحديثة التى وضع تصميمها مهنـدس واحد قبل المباشرة فى بنائها . ونحن لو نظرنا إلى أبنية تلك المدينة القديمة لوجدنا أن فيها ما لو أخذناه على حدة لما كان يقل فناً وروعة عن أبنية المدن الحديثة ، ولكن نظرة واحدة تظهر لنا ما هى عليه من النظام والوضع : فهنا بناية كبيرة ، وإلى جانبها أخرى صغيرة ، وكلها تتحكم بالشوارع والطرق ، فتردها متعرجة : عريضة هنا ، ضيقة هناك .

وكذلك الشعوب المتوحشة سابقاً ، تلك الشعوب التى لم تتحضر إلا شيئاً فشيئاً مع مرور الزمن ؛ وبقدر ما كانت تدفعها إلى ذلك مغايرة الخصومة والنزاع للحياة فقد رأيت أن ليس بامكانها أن تضاهى بنظامهـا تلك الأمم الأخرى التى عرفت الحضارة منذ أقدم العصور ، فاجتمعت كلها وأجمعت على اتباع دستور واحد يضعه لها مشرع حكيم .

وكان فى حكم الثابت لدى أن حكومة الدين الحق ، هى مطلقاً وبدون منازع ، خير الحكومات نظاماً ، لأنها من صنع الله تعالى وحده . ولم لا نقصر كلامنا على الأمور البشرية ؟ فأنا أعتقد أن مدينة اسبرطة إذا كانت قد ازدهرت قديماً فليس

---

(١) عما قريب تظهر الترجمة الكاملة لهذه الرسالة ، مصدرة ببحث مستفيض عن حياة ديكارت ومؤلفاته العلمية والفلسفية ، وموجز لآرائه ونظرياته المختلفة ، فى كتاب اسمه « ديكارت وقواعده العلمية »

(٢) انخرط ديكارت فى سلك الجيش الهولاندي في سنة ١٦١٧ — ١٦١٩ واشترك معه فى حروب كثيرة ، مدفوعاً إلى ذلك بحب الاطلاع على مختلف نواحى الحياة والالمام بسائر وجوهها .

(٣) يشير إلى الحرب التى حدثت فى بافيار ، إحدى المقاطعات الألمانية ، فى نوفمبر ١٦١٩ .

(٤) هو فرديناند الثانى ملك بوهيميا وهنغاريا ، وقد توج أمبراطوراً فى فرانكوفرت فى ٢٨ يونيه ١٦١٩

ازدهارها عائداً إلى أن كل قانون من قوانينها كان صالحاً فى ذاته، فلقد كان فى قوانينها شىء كثير مما هو غريب ومغاير للحق القديم ، وإنما ازدهارها عائد إلى أنها انبعث تشريعاً واحداً ، وضعه شخص واحد ، كان يرمى فى جملته إلى غاية واحدة .

ورأيت أيضاً أن ما تشتمل عليه الكتب والمؤلفات من علوم ونظريات، إنما تكوّن من آراء كثير من الأشخاص المختلفين ، شيئاً فشيئاً . لذلك لم يكن — أو على الأقل تلك العلوم التى لا تملك سوى أسباب تقريبية والتى لا يقوم عليها دليل ولا برهان — أقرب إلى الحقيقة ، من ذلك التفكير البسيط الذى يقوم به شخص عادى ذو عقل سليم فى بعض ما يعرض له من الأشياء .

هذا وقد بدا لى أيضاً أننا وقد كنا جميعاً أطفالاً ، قبل أن نكون رجالاً ، وأننا مكثنا زمناً طويلاً تحت سلطان أساتذتنا وسيطرة ميولنا ، وهما ضدان ، كلاهما لا يمحضنا النصح ولا يهدينا سواء السبيل ، فمن المستحيل تقريباً أن نكوّن لأنفسنا أحكاماً نزيهة ثابتة ، كما كان شأننا لو وسعنا استعمال تفكيرنا منذ ميلادنا دون أن نركن لقيادة سواه[1]

صعوبة الإصلاح العام

نعم ، إننا لم نر أبداً من يدمر منازل مدينة ما لمجرد الرغبة فى تجديدها وتجميل طرقها وشوارعها ، ولكننا نرى كثيراً من الناس يهدمون بيوتهم بأيديهم ليعيدوا بناءها ثانية، وربما وجدوا أنفسهم أحياناً مرغمين على القيام بهذا العمل، حين يشعرون أنهم فى خطر، وأن بيوتهم هذه ذات أسس واهية فهى تكاد تنقض على رؤوسهم. وعلى هذا فأنا موقن بأن ليس هناك إنسان واحد يحاول إصلاح دولة ما بقلبها رأساً على عقب ، أو بتدميرها وبنائها ثانية ؛ كما أنى موقن أن ليس هناك شخص واحد يحاول إصلاح الهيكل العلمى أو نظام تدريسه السائد فى المعاهد كلها

إمكان الإصلاح الخاص

أما آرائى وأفكارى التى تسربت إلى نفسى فلا أرى أفضل من نزعها عنى تماماً لأعيد غيرها ، أو أعيدها نفسها ثانية ، أو أعيد قسما منها بعد أن أحكم عقلى فيها ، وبهذه الوسيلة أستطيع أن أنجح فى حياتى نجاحاً أعظم مما لو بنيت على أسس خاطئة ، أو استندت إلى مبادئ تلقنتها أثناء صباى ، واعتقدت بها دون أن أمحص حقيقتها . ولقد شعرت أن عملى هذا لا يخلو من صعوبات جمة ، إلا أنها صعوبات يمكن تذليلها ، وهى لا تماثل تلك الصعوبات التى يجدها المرء فى إصلاح أيسر الأمور التى تمس المجتمع : فالأجسام الضخمة هذه ، إذا هدمت فهى صعبة البناء ، وإذا هزت فهى صعبة الامساك ، وإن سقوطها لا بد أن يكون قاسياً

أثر العادة فى الشئون العامة

هذا ، ولو كانت هناك مساوئ فى بعض شؤون المجتمع ، وهى مساوئ لا بد من وجودها ، ينم عليها ما بين شؤون المجتمع وأموره من تباين وتناقض ، فالعادة ولا شك قد لطفت كثيراً من حدتها ، وأصلحت الشيء الكثير منها ، وجعلتنا نتحاشى منها ما لم يكن فى الإمكان تحاشيه بمهارتنا . أضف إلى ذلك أن احتمال هذه الأمور — على ما فيها من مساوئ — أيسر من تغييرها . وما مثل ذلك إلا مثل الطرق التى تسير بين منعطفات الجبال ، فهى تصبح مع الزمن طرقاً منبسطة ملائمة للسير من كثرة ارتيادها ، ويكون أيسر على المرء أن يسلكها من أن يحاول السير فى خط مستقيم ، متسلقاً النجاد وهابطاً الوهاد

غاية ديكارت فى رسالته

لذلك لا أستطيع مطلقاً أن أفهم تلك الطائفة من الناس ذات الأمزجة الثائرة ، والعقول الحائرة ؛ تلك الطائفة التى لا تنفك تفكر فى أن تدخل على شئون المجتمع شيئاً من التقويم والتعديل ، وذلك رغماً عن أن ليس لها من المكانة والجاه ما يؤهلها لذلك . ولو أنى رأيت فى رسالتى هذه ما يبعث على اتهامى بهذا الضرب من الجنون لكنت جد آسف ، ولأحجمت عن نشرها ، لأن غايتى منها لم تتعد مطلقاً ما أريده من إصلاح آرائى الشخصية ، لأبنى فيها بعد على أسس هى ملك لى كلها . وإذا أخرجت إلى الناس هذا النموذج من عملى ، وقد راقنى بعض الشيء ، فليس معنى ذلك أنى أدعوهم للضرب على وتيرتى ، لا ! فأنا أخشى اجتراء الكثيرين على ذلك ، فإن إرادة النفس على

(١) وذلك لأن ميولنا ذات صبغة ذاتية ، ولأن أساتذتنا يحاولون نقل آراء غيرهم إلينا أو نقل آرائهم التى اقتنعوا بها وتبنوها دون غيرها

التجرد من جميع ما اكتسبته قديماً من الآراء ، لا يجب أن يكون مثالا يحتذيه كل إنسان . ذلك لأن العالم يشتمل على نوعين من العقول البشرية ، وكلاهما لا يصلح له هذا العمل أو هذا المثال

فالنوع الأول هو تلك العقول التي تقـدر ذاتها أكثر مما هي حقيقة ، فلا تتمالك من أن تتسرع في أحكامها ، ولا تجد من الصبر ما يكفي لأن تقود تفكيرها بانتظام . ومن هنا ينتج أنها إذا منحت نفسها حرية الشك فيما تلقنته من المبادئ ، وحادت عن الجادة العامة ، ولو مرة واحدة ، لم تعد تستطيع أبداً الاهتداء إلى الطريق التي يجب أخذها للسير في طريق قويم ، فتبقى تائهة طيلة حياتها

والنوع الآخر هو تلك العقول التي لهـا من التواضع وبعد النظر ما يحملها على أن ترى ذاتها أقل قدرة على تمييز الخطأ والصواب من بعض عقول أخرى ، فهي ترى إمكان التتلمذ على هـذه العقول ، وهي ترى واجباً اتباع آرائها دون أن تكلف نفسها عناية البحث عما هو خير منها

أما أنا فلقد كنت ولا شك في عداد تلك الطائفة الأخيرة ، لو لم أتتلمذ على أكثر من أستاذ واحد ، ولو لم أطلع على ما بين آراء الفلاسفة من تباين وتناقض ، في كل عصر وزمن ، فلقد لمست منذ أيام الدراسة أن ليس هناك ما يمكن أن يتصوره العقل مما يدعو إلى الدهشة ويجل عن التصديق إلا ويكون قد أثر عن الفلاسفة وعزى إليهم

العرف والمعرفة الصحيحة

ولست وأنا أتجول وأتنقل أن جميع أولئك الذين تتضارب أخلاقهم وعاداتهم مع أخلاقنا وعاداتنا ليسوا برابرة ولا همجاً لمجرد هذا التضارب ، بل إن فيهم كثيرين ممن يعقلون مثلما نعقل أو أكثر مما نعقل. ولاحظت كم يكون الشخص الواحد ذو العقل الواحد إذا نشأ في وسط إنكليزي أو فرنسي مختلفاً عن نفسه ، فيما لو نشأ في وسط صيني أو هندي. بل وجدت أن الزي الواحد من أزيائنا الذي كان يروقنا منذ عشر سنين ، والذي ربما راقنا بعد عشر سنين أيضاً ، قد يبدو لنا الآن غريباً مزرياً . وهكذا يتدخل العرف وتتدخل العادة لاقناعنا أيضاً أن ليس هناك معرفة أكيدة صحيحة

القواعد الأربع

إذاً فلم يكن في مقدوري اختيار شخص يبدو لي في آرائه ما يدعوني إلى إيثارها على آراء سواه ، وبذا ألفيتني مرغماً على أن أقود نفسي بنفسي ، ولكني عزمت على أن أسير متمهلاً كمن يسير وحده في الظلام ، وأن أتفطن إلى كل شيء بحيث لو لم أتقدم إلا ببطء احترست على الأقل من الزلل . وقد أبيت المباشرة بنزع أية فكرة من الأفكار التي تسربت إلى نفسي عن غير طريق العقل قبل أن قضيت زمناً طويلاً في تهيئة خطة العمل الذي حملت نفسي عليه ، والبحث عن الطريقة القويمة التي توصلني إلى كل ما يستطيعه عقلي

كنت درست في صباي بين فروع الفلسفة شيئاً من المنطق، ودرست بين الرياضيات الجبر والتحليل الهندسي ، وهي ثلاثة علوم أو فنون كان ضرورياً أن أجد فيها شيئاً مما شرعت في البحث عنه ، ولكني عند فحصها وجدت أن قضايا المنطق ومعظم تعاليمه تستعمل لبيان ما يعرفه الناس لا لتعليمهم ما يجهلون ، أو هي كفن لول[٦] تستعمل للتحدث دون ما تفكير فيما نجهله من الأشياء ، وأنها وإن اشتملت على كثير من القواعد الصحيحة القيمة ، فهي جامعة أيضاً لكثير من القواعد الزائدة أو الضارة ، وهذه يصعب فصلها عن تلك كما يصعب إخراج تمثال للالهة ديانا أو الالهة مينرفا من قطعة من الرخام لم تقطع بعد . أما التحليل الهندسي القديم والجبر المحدث فهما لا يتناولان سوى معنويات ليس لها أية فائدة واضحة . فالتحليل الهندسي يقتصر على النظر إلى الأشكال الهندسية ، ولا يجلوها إلا إجهاد الخيال إجهاداً عظيماً. والجبر مستمسك بقواعد وأرقام جعلته فناً غامضاً مهوشاً يشوش العقل بدلا من أن يغذيه

كل هـذا حدا بي إلى التفكير في وجوب البحث عن قاعدة تضم محاسن قواعد هذه الفنون الثلاثة وتكون بمنجى عن شوائبها؛ إلا أني رأيت أن كثرة القواعد والقوانين وتعدادها يسببان عادة مساوئها ، بحيث أن الدولة ذات العدد القليل من النظم والقوانين تكون أكثر نظاماً وقوانينها أدق رعاية ، ولهذا رأيت

(٦) كاهن فرنسي وضع فنا سماه باسمه يساعد على الاستنتاج الآلي الذي لا يستند إلى أي تفكير

أن أكتفى بالقواعد الأربع الآتية على أن أوطد النية والعزم على ألا أخرج عنها فى حياتى أبداً

١ – طريقة الوضوح

فالقاعدة الأولى هى : ألا أنظر إلى أى شىء بعين الحقيقة إلا بعد أن أدرك أنه كذلك . ومعنى هـذا أنى أتلافى التسرع والتنبؤ ، ولا أتبنى من الآراء إلا ما تجلى لعقلى بوضوح وسرعة يحولان دون الشك فيه

٢ – طريقة التحليل

والقاعدة الثانية هي : تجزئة كل مشكلة من المشاكل التى أقوم بدراستها إلى أكبر عدد من الأجزاء يمكن ويجب أن تنقسم إليه ، وذلك للتمكن من حلها على أصلح وجه

٣ – طريقة التدرج

والقاعدة الثالثة هى: تسيير تفكيرى بانتظام ، فأبدأ بأبسط الأمور، وأسهلها فهماً وأصعد تدريجاً لمعرفة أكثرها تعقيداً مع افتراض وجود النظام أيضاً بين الأمور التى لا يتعلق بعضها ببعض

٤ – طريقة الاعادة والاستقصاء

أما القاعدة الرابعة والأخيرة فهى : القيام باحصاءات تامة ، فى كل لحظة، والقيام باعادات عامة، لأتأكد من أنى لم أهمل شيئاً

أحمد محمد عيتانى

عضو بعثة جمعية المقاصد فى معهد التربية



للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعى

١٨٨٠ – ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

– ٣٧ –

مقالاته للرسالة (٨)

هلّ هلال المحرم ، وتهيأت الرسالة لاصدار (العدد الممتاز) فى ذكرى الهجرة ، فكتبتُ إلى الرافعى فيمن كتبت من أسرة الرسالة ، تطلب إليه أن يهيئ موضوعاً مناسباً لذكرى الهجرة ، وضربت له أجلا . واستبق الرافعى الميعاد فأعدّ قصة «اليمامتان» وبعث بها إلى الرسالة قبل موعد العدد الممتاز بأكثر من أسبوع. وحسبت الرسالة أنه بعث إليها بمقاله الأسبوعى المعتاد ، وأنه ما يزال يعدّ موضوعه للعدد الممتاز ، فنشرت قصة اليمامتين قبل موعدها ، وكتبت إليه تستنجزه المقال الثانى . وكان الرافعى متعب الأعصاب ، يشكو وجعاً فى أضراسه يثقل رأسه ، وقد غاظه أن الرسالة فوّتت عليه الفرصة فسبقت إلى نشر القصة التى أعدها للعدد الممتاز قبل موعدها وتركته فى حيرته ، ولم يجد فى نفسه خفة إلى العمل ، فذهب إلى أوراقه القديمة يفتش بينها عن موضوع خليق بالنشر فى هذه المناسبة ، فوقع على مقالة «حقيقة المسلم» ، وكان كتبها قبل ذلك بسنتين إجابة لدعوة جمعية الكشاف المسلم لشام ، ونشرها بالأهرام فى ذكرى المولد النبوى لسنة ١٣٥٢ هـ فبعث بهـا إلى الرسالة لتنشر فى العدد الممتاز لسنة ١٣٥٤ هـ

يتحدث الرافعى فى قصـة اليمامتين عن الفتح الاسلامى ، وأخلاق العرب ، وتعريب مصر الفرعونية الرومانية ، وفتنة القبط بسجايا العرب ومزايا الاسلام ؛ وفيها إلى ذلك حديث عجيب عن الحب والمرأة فى قصـة خيالية افتعلها الرافعى ليبلغ بها مافى نفسه من معانى الحب ؛ ثم جعل فى خاتمتها « نشيد اليمامة »

اليمامة التي تقول الرواية العربية إنها تحرّمت في جوار عمرو ابن العاص فمنعته أن يقوّض فسطاطه !

كان لهذه القصة عند الرافعي وعند قراء الرسالة عامة موقع لم تبلغه قصة سعيد بن المسيب . وقد افتتن بها كثير من القراء ، حتى كان منها أن اهتدى إلى الاسلام أستاذ مسيحي من أساتذة التاريخ في بلاد الجزائر ، فكتب إلى الرافعي رسالة يعلن فيها إليه إسلامه ، ويسأله الوسيلة إلى دراسة هذا الدين والتفقه فيه . ولم أعثر بعد على هـذه الرسالة بين ما خلّف الرافعي من رسائل أصدقائه إليه

ومن اعتداد الرافعي بهذه القصة وبما بلغ فيها من التوفيق ، جعلها فاتحة كتابه « وحي القلم »

***

ولم يكفه أسبوع للاستجمام والخلاص مما يعاني من وجع الضرس وتعب الأعصاب ، فاستراح أسبوعاً آخر وبعث إلى الرسالة بالجزء الثالث من « كلمة وكليمة »

ثم وقعت حادثة اهتزت لها نفس الرافعي اهتزازاً عنيفاً ونقلته من حال إلى حال ...

جلست يوماً إليه نتحدث من أحاديثنا ، فقال : « ... إن صديقنا الأستاذ . م . لم يكتب إلينا منذ زمان .. ليت شعري ما منعه عنا . إن بي قلقاً عليه وفي نفسي أن أراه أو أعرف من خبره ! »

وفي صبيحة اليوم التالي طالعتنا الأهرام بخبر غامض : « .. أن شابا من الأدباء ، هو ابن شيخ كبير من شيوخ الأزهر ، قد حاول الانتحار بقطع شريان في يده ! »

وقرأ الرافعي الخبر فاربدّ وجهه وانقبضت نفسه ، وقال : « اقرأ ، إنه هو ... ! »

قلت : « من تعني ؟ »

قال : « صديقنا الأستاذ . م ، لقد غلبه شيطانه على دينه آخرة أمره . غفر الله له ! »

فجزعتُ وطارت نفسي ، وقلت له وأكاد أغصّ بريق : « م ؟ إنك لتتوهم ، وإنك مما تفكر في شأنه ليُخَيل إليك . إن لصديقنا لديناً ، وإن فيه لتحرُّجا وخشية ؛ وما أراه في أي أحواله يقدم على هذه الجريمة ! »

ولـكن الرافعي لم يلتفت إلى ما أقول ، وأخذ يحوقل ويسترجع ويستعيذ بالله من غلبـة الهوي وفتنة الشيطان . ثم مد يده إلى مكتبه فكتب رسالة إلى م يسأل عن حاله وخبره ويرجو له العافية في دينه ودنياه ؛ ثم يطلب إليه أن يصف له ما كان منه وما حمله عليه وما آل إليه أمره ؛ ولم ينس مع كل أولئك ومع ما تفيض به نفسه من الحزن والألم أن يرجوه « الدقة في وصف المرحلة التي كان فيها بين الحياة والموت ؛ فانها المرحلة التي لا يحسن أن يصفها إلا من أحسّ بها ... »

وصديقنا الأستاذ . م . أديب واسع المعرفة ، له دين ومروءة ، وفيـه تحرج وخشية ؛ وقد نشأ في بيت له ماض في الدعوة إلى الاسلام والدفاع عنه والذّود عن حرماته ؛ وهو شاب عزب ، بعيد الخيال ، دقيق الحس ، مرهف الأعصاب ؛ وعلى أنه يعيش في ظل وارف ونعمة سابغة ، فانه من سعة خيـاله ودقة حسه وحدة أعصـابه متشائم النظرة ، لا تراه إلا رأيت في وجهه وعلى طرف لسانه معنى دفينا من معاني الألم ؛ وما يرى نفسه في أكثر أحواله إلا غريبا في هذا العالم وبين هذا الناس ؛ فان له من خياله دنيا غيرَ دنيا الناس ، وعالماً غير هذا العالم ، يتمثل فيه المثل الأعلى الذي أعياه أن يلمسه على هـذه الأرض . وكان بينه وبين الرافعي ودّ وله في نفسه مكان ؛ فكان له سره ونجواه منذ كان فتى يافعاً لم يبلغ العشرين . وكان الرافعي يعتد بصداقته ويقرّ إليه ويعجب بدينه وتقواه ويتوقع له مستقبلا مجيدا بين المجاهدين من أهل الأدب ودعاة الاسلام .

فلما بلغ الرافعي نبأ شروعه في الانتحار جزع وتطير وضاقت نفسه ، وناله من الهم ما لم ينله لحادثة مما لقي من دنياه . فمن أجل هذه الحادثة أنشأ الرافعي مقالات « الانتحار »

ولم يكن الرافعي يعلم من أحوال صاحبنا ما دفعه إلى هـذه المحاولة الطائشة ؛ فأخذ يتكهن وينتحل الأسباب ليبني عليها الحديث والقصة ؛ فما جاء جواب الأستاذ (م) إلا بعد المقالة الثالثة ، فأخذ من هذا الجواب مادة الجزء الرابع من هذه المقالات ، وجعل الحديث في هذا الجزء على لسان « أبي محمد البصري » وهو يعني الأستاذ (م) ، فهو هو وكلامه كلامه في جملته ومعناه ، لم يغير منه الرافعي إلا قليلاً من قليل . فما يدل على

حالة صاحبنا إلا المقالة الرابعة من هذه المقالات الست . أما ما عداها مما سبق أو لحق ، فهي قصص مقتبسة من وحى هذه الحادثة فى نفس الرافعى

ومقالات الرافعى فى « الانتحار » هى باب من الأدب لم ينسج على منواله فى العربية من قبل ؛ فيها فنه القصصى ، وفيها روح المؤمن الذى لم تفتنه دنياه عن ربه ؛ وفيها إلى ذلك شعر وفلسفة وحكمة ، وقلب رجل يعيش فى حقيقة الحياة

* * *

وكان بين الرافعى والأستاذ حسن مظهر محرر اللطائف المصورة مودة . فلما تولى تحرير اللطائف كتب إلى الرافعى يرجوه أن يكتب فصلاً لقراء اللطائف عن « سحر المرأة » ؛ فكتب فصلاً بديعاً يصف فيه نفسه وصاحبته (فلانة) فى أول لقاء بينهما

فلما فرغ من مقالات « الانتحار » تناول هذا الفصل فزاد فيه ما زاد وبعث به إلى الرسالة بعنوان « ورقة ورد » لأنه سار فيه على نهج كتابه المعروف « أوراق الورد » فهذا الفصل عنده هو من تمام هذا الكتاب

* * *

وكان من زملاء الرافعى فى محكمة طنطا الأديب فؤاد ... وهو شاب له ولوع بالأدب ؛ وعلى أنه زوج وأب ، فانه كان بأناقته ولباقته مرعى أنظار كثير من الفتيات ، وكان له فى الغرام جولان ...

ثم فاء إلى نفسه بعد حين ، فانصرف عن اللهو والغزل إلى شئون أسرته وولده ؛ وراح ينشر بعض مغامراته الغرامية فى إحدى الصحف الصغيرة التى تصدر فى طنطا ...

وقرأ الرافعى بعض ما ينشر صاحبنا ، فرأى « علماً جديداً » لم يدخل إليه من باب ولم يقرأه فى كتاب ؛ فأرسل يستدعى صاحب هذه المقالات إليه ليفيد علماً من علمه ومن تجاربه ... !

وجلس صاحبنا يتحدث إلى الرافعى ويقص عليه ، والرافعى صاغ إليه ملذوذ بما يسمع ؛ فما انتهى صاحبنا من حديثه حتى كان على موعد مع الرافعى أن يحضر له طائفة من مذكراته ورسائل صواحبه ، لعله يجد فيها موضوعاً يكتبه لقراء الرسالة

فمن هذه المذكرات ومن هذه الرسائل استملى الرافعى مقالات « الطائشة » و« دموع من رسائل الطائشة » و« فلسفة الطائشة » ...

فهذه القصة حقيقية لا افتعال فيها ، وليس فيها شىء من صنع الخيال ؛ وما حكى الرافعى من رسائل الطائشة هو من رسائلها نفسها كما نقلها إليه صاحبها ؛ وفلسفتها هى فلسفتها كما فهمها الرافعى من رسائلها ومما كان من أمرها مع صاحبها

لقد نال الرافعى من ملامة الفتيات ما ناله بسبب هذه المقالات، وقرأها أكثر من قرأها منهن على أنها قصة من الخيال اخترعها الرافعى ليحتج بها فيما يحتجّ لمذهبه فى الحب والمرأة وتجديد الأخلاق . والحقيقة فيها هى ما قدّمت ؛ وقد زاد الرافعى إيماناً بمذهبه بعد هذا الذى سمع من صاحبه وقرأ من مذكراته ومن رسائله !

ولم يكتب الرافعي قصة « الطائشة » على أنها قصة ؛ إذ كان صاحبها قد كتب قصتها على طريقة من فنه ؛ فآثر الرافعى أن يتناولها من أطرافها ليحكم بها حكمه ويتحدث عن رأيه فى طائفة من فتيات العصر ؛ فترك صلب القصة ليكون حديثه عن التعليق والحاشية

وقد قرأت القصة مع الرافعي كما أنشأها كاتبها ؛ فكان الرافعى يقف عند كثير من عباراتها موقفاً بين الاعجاب والدهشة ؛ إذ كان مؤلفها يكتب ما فى نفسه كما هو فى نفسه ، فكان فيها وحى عاطفته ونبض قلبه ويقظة روحه ، فجاء بأدق مافى الفن وأبلغ مافى التعبير غير قاصد إلى شىء من ذلك ، وما كان يبلغ شيئاً من ذلك لو أنه قصد إليه ؛ إذ لم يكن هو بين أهل البيان فى هذه المنزلة ، ولكنه كان من أهل الحب ؛ وكان هذا هو دليل (الصدق) عند الرافعى فيما كتب صاحبه وما نقل إليه من قصة صاحبته ...

ولما كتب المقالة الثالثة « دموع من رسائل الطائشة » خلا إلى نفسه أسبوعاً ليستجم ، وبعث إلى الرسالة بالجزء الرابع من : « كلمة وكليمة » وفيها حديث عن المقاد[1]

وفى هذا الأسبوع كان الرافعى يجمع خواطره حول ما سمع من قصة الطائشة ، فأنشأ مقاله الرابع بعنوان « فلسفة الطائشة »

(١) العدد ١٠٠ سنة ١٩٣٥

ثم أملى عليّ مقالة « كفر الدبابة » يعني بها الحكومة التركية لبعض ما ذهبت إليه في شئون الاسلام والعربية . وهي آخر ما أنشأ من الفصول على أسلوب كليلة ودمنة

وكانت مقالة « كفر الدبابة » هي آخر ما أملى علي من المقالات ؛ وذلك في صيف سنة ١٩٣٥ . ثم تهيأ للسفر إلى مصيفه في « سيدي بشر » ، وتهيأت للسفر إلى القاهرة لبعض شئون العمل المدرسي . وانتقلت بعدها إلى القاهرة فكانت فيها إقامتي ؛ فلم أكن ألقاه أو يلقاني إلا ساعات كل أسبوع : فأسبوعاً أزوره في طنطا ، وأسبوعاً يزورني في القاهرة . على أن الرسائل فيما بين ذلك لم تنقطع بيننا حتى يناير سنة ١٩٣٧ ، قبل موته ببضعة أشهر . ثم تجافينا لشأن ما ، فما التقينا إلا مرة واحدة قبل موته بشهرين ، فكان لنا مجلس في قهوة « بول نور » بالقاهرة مع الأصدقاء : شاكر ، وزكي مبارك ، وكامل حبيب ، وزيادة ؛ ثم افترقنا بعد منتصف الليل وفي نفسي منه شيء وفي نفسه مني ...

وفي صبيحة الغد بدأت المعركة الأخيرة بينه وبين الدكتور زكي مبارك حول « وحي القلم »

... ومضى شهران بعد تلك الليلة لا ألقاه ولا يلقاني ؛ وهو يشكوني إلى صحابتي وأشكوه ؛ حتى جاءني نعيه ... غفر الله لي !

لكأنما كانت هذه القطيعة بيننا وقد دنا أجله ، لتخفف عني وقع المصاب من بعد ؛ أو لتحملني — غير محمول من أحد غير واجبي — على كفارة الذنب الذي أذنبت بهذه القطيعة ؛ فأبذل ما في الطاقة من الجهد الجاهد لكتابة هذا التاريخ فأقوم له بعد موته بالحق الذي عجزت عن وفائه في حياته . يرحمه الله !

***

... لم يُمْلِ عليّ الرافعي شيئاً بعد مقالة كفر الدبابة ؛ ولكنه طلب إليّ أن أنسخ له صورة من مقال كان نشره في المقتطف قبل ذلك بسنوات عنوانه « سر النبوغ في الأدب »

فلما سافر إلى مصيفه بعث إلى الرسالة بمقالة « كلمات عن حافظ » لمناسبة ذكراه ؛ ثم أصابته فُرجة في كفه منعته من العمل ، فأخذ مقالة « سر النبوغ في الأدب » فجعل عنوانها « الأدب والأديب » ثم جعلها مقالة الأسبوع التالي . وهي مقالة من مقالات الرافعي الفريدة ، تهم الباحث الذي يريد أن يدرس الرافعي صاحب « تاريخ آداب العرب »

ثم توالت مقالات الرافعي يمليها على نفسه ويكتبها بخطه ؛ على أني بما كنت ألقاه وبما كان بيني وبينه من الرسائل إلى ما قبل موته بأشهر ، لم يفتني أن أعرف دوافعه إلى كثير مما كتب بعد ذلك من المقالات لقراء الرسالة ؛ فسأحرص — تماماً لهذا البحث — على أن أذكر ما أعرف من دوافع بعض المقالات التي أنشأها وحدها من بعد غير معتبر ترتيبها في النشر ، إذ لا عماد لي فيما أكتب عنها إلا الذاكرة .

« سيدي بشر » **محمد سعيد العريان**

التشريع المصرى

والتشريع الاسلامى

للأستاذ عباس طه

سجل العلامة الكبير المستشار عبد السلام ذهنى بك فى بعض المجلات العلمية بحثاً مستفيضاً ضافى الذيول والمرامى يتلخص فى ضرورة تجميع الفقه الاسلامى فى مختلف ما تكشفت عنه قرائح الأئمة المجتهدين ونحا نحوه الفقهاء من الأحرار الباحثين، ثم مقارنة مستفيضة بين الفقه الرومانى وأثره فى بضعة قرون ووفائه بحاجة المعاصرين يومئذ ونهوضه إلى مستوى سد حاجة الناس فى باب المعاملات والأحوال الشخصية، ثم كيف استطاع أن يكون أثره فى الخلود طويلاً ووفاؤه بحاجة الناس عاما، ثم بضرورة وضع موسوعة تتسع لآراء الباحثين من الأئمة المشترعين كما فعل فى عهد جستنيان الخ

ونحن العلماء فى الفقه الاسلامى نحمد لمزته تلك الألمعية وغيرته الفياضة على تراث السلفين أن يذهب بدداً وأن تتحكم فى أساليبه ومراميه وصياغته فئة من غير الناطقين بالضاد حتى أحالته تراثاً مهلهلاً لا يشفى علة ولا ينقع غلة. وبقى ذلك الداء العياء يتغلغل فى أزهى عصور التاريخ وأغنى عهوده بالعلماء، فما انفرجت شفتان عن ضرورة تجميع هذا التراث الموروث عن أئمة الدين الذين أخرجوا إلى الانسانية خير ما يقتدى به الناس فى أمر معاشهم ومعادهم، وما يحكم حركة التعاون بين أفراد النوع الانسانى ويقيمها على أسس من الخير صالحة لا يتطرق إليها وهن ولا فساد

لكنى أسائل أولئك الذين يكتبون حول هذه الموضوعات: ماذا يريدون بهذا التجميع؟ أيريدون بذلك أن تجمع أقوال الفقهاء المشترعين والأئمة المجتهدين فى سفر واحد تراثاً مزيجاً من الآراء الفقهية بين رجل اجتهد وكد لينشئ له مذهباً ثم عاد فرجع عنه أو بقى ولكنه على وهن، وذلك شائع فى مذهب الامام مالك وأبى حنيفة، ففى هذين المذهبين أئمة اشتغل علماء الفقه الاسلامى بالتعقيب على آرائهم الفقهية فباتت غير صالحة لاستهداء الناس بها والسير على مناهجها — وبين آخر صح اجتهاده، وقام على منارة الحق سداده، ولكنه ابتلى بفريق من المتنقين لمذهبه اشتغلوا بتجريح غيره من المذاهب والاشادة بمذهبه دون سواه، فبقى طلاب الحقيقة فى قطع من الليل البهيم يتلمسون لهم ما يكشف الحقيقة فى صميمها ويرد الواقع إلى نصابه؟ أم يريدون أن يجمع الصحيح من أقوال الأئمة المجتهدين فى موسوعة واحدة يعم نفعها وتنتشر فائدتها؟ وإذا فما قيمة هذا التجميع فى نظر الواقع والتاريخ والعلم؟

لقد بذل المرحوم محمد قدرى باشا مجهودا لا بأس به فى تجميع شطر غير قليل من مذهب أبى حنيفة مما لم يقم به العلماء المتخصصون منذ عهد الناس بمنشأ الفقه الاسلامى فاستنبط مجهوده من كتب صيغت بأساليب رث حبلها ونقضت اشلاؤها ودق على الباحثين وجه الصواب فيها، وكان العمل يومئذ بمذهب أبى حنيفة دون سواه مما جعل قدرى باشا يضع فى باب الأحوال الشخصية والوقف بنوعيه كتابيه على صورة مواد حتى يكون قانونا يسهل الرجوع إليه والاستشهاد به.

لكن ما أسرع أن تمخضت حيل الناس فى تطبيق مواد الطلاق ومواد النفقة وافتنانهم فى الهرب من تطبيق الأحكام الشرعية على مذهب أبى حنيفة عن عجز القضاة الشرعيين وعدم قدرتهم على تطبيق تلك الأحكام تلقاء ما يبديه المطلق من أفانين وحيل للفرار من طائلة العقاب، وما يبديه المحكوم عليه بالنفقة وما يبدو من حيل المحامين الشرعيين فى ذلك الميدان المنبسط الذى لا يحده تقنين ولا يردع عن العبث به رادع، فجار القضاة الشرعيون بالشكوى من فشل هذه التجربة، والأستاذ المراغى يومئذ منهم فى الطليعة يشاطره قوم ذوو دراية وكفاية؛ وقد شمروا بضرورة البحث فى غير مذهب أبى حنيفة من المذاهب عما يسد حاجة المتقاضين ويفسح المجال للقضاة باعتبارهم المطبقين لأحكام الشريعة والمهيمنين على تنفيذها فى مواد الأحوال الشخصية نائبين فى ذلك كله عن ولى الأمر فى البلاد، وما يقطع الطريق على حيل المحتالين، وما يفتح عيون الباحثين على ثروة غزيرة من العلم كانت ولا تزال منهلا ينهل منه المتقاضون وغير المتقاضين، وما يقوم دليلا فى كل يوم على أن الفقه الاسلامى كفيل بمسايرة كل عصر وجيل

وخليق بأن يحمل أمانة البشر فى مختلف مرافقه حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين؛ فوضع قانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٠ خاصا بأحكام النفقة وبمض مسائل الأحوال الشخصية مؤلفا من ثلاث عشرة مادة، وهو يتناول معالجة الأحوال التالية.

(١) النفقة (٢) العجز عنها وما يترتب على ذلك العجز من الآثار (٣) حكم المفقود وما يترتب عليه قبل الخصوم من حقوق (٤) حكم القاضى بالتفريق للعيب وما يترتب على ذلك العيب من آثار مباشرة وغير مباشرة (٥) الترخيص للزوجة بطلب التفريق من القاضى حال قيام العيب فى زوجها وحاجة المجتمع إليه (٦) أحكام عامة متفرقة. ثم درجت المحاكم على تطبيق ذلك القانون بأمانة وتوفيق، ودرج المفتشون القضائيون فى وزارة الحقانية على تتبع تطبيق هذا القانون وتبين المدى الذى وصل إليه من إصابة حاجات الجمهور وسد كفايتهم وإقناعهم بأن فى ثنايا الفقه الاسلامى ما يكفل بث الطمأنينة إلى قلوبهم وإيصال الحقوق إلى ذويها، فلم تمض فترة من الوقت غير طويلة حتى استفاضت تقارير المفتشين القضائيين بأعطر الثنـاء على ذلك الأثر الطيب الذى تركه قانون سنة ١٩٢٠ فى نفوس المتقاضين

وهكذا تحررت عقول طلاب الاصلاح من ربقة التقيد بكل قديم واقتنعوا بأن تطور الحياة وتشعب مسالكها وما يجد فيها من أحداث وعبر من أقوى الحوافز على تلمس أفضل المناهج فى باب التقاضى، وكفالة مصالح الناس وردها إلى أمثل طريق وأبلج محجة. من أجل ذلك اطرد البحث عما يساير مصالح الناس ويماشى رغائبهم، وما يدفع عن المجتمع علله وأمراضه، فشمر المصلحون مرة أخرى بضرورة حماية الأسر من تلك الأمراض الفوانك التى لم يدفعها كثير من أحكام أبي حنيفة المتعلقة بالطلاق وبالتفريق للغيبة وبدعوى النسب وسن الحضـانة وما إلى ذلك، فوضع مرسوم بقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ خاص ببعض الأحوال الشخصية يتألف من ٢٥ مادة، وهو يقع فى تسعة أبواب: الباب الأول الطلاق (٢) الشقاق بين الزوجين (٣) التطليق لغيبة الزوج (٤) دعوى النسب (٥) النفقة والعدة (٦) المهر (٧) سن الحضانة (٨) المفقود (٩) أحكام عامة

ولا تزال الأمة فى مسيس الحاجة إلى وضع قانون موضوعى، فأشير بوضع ذلك القانون. ثم تألفت لجنـة تحت رياسة فضيلة شيخ الجامع الأزهر، وهى وإن سارت بخطى بطيئة إلى الآن لاعتبارات بمضها يرجع إلى المحيط الراهن، وبمضها يرجع إلى ثقل المسئولية فى هذا القانون، فهى فيا نعتقد بالغة إن قريبا وإن بعيداً ما تصبو إليه الأمة من كفالة لمرافقها وسد عوزها التشريعى فى حياتها. هذا القانون الموضوعى إذا كتب له الوجود فسوف يجمع بين دفتيه تراثاً صالحاً فى شتى المذاهب حتى مذاهب الأحرار من الفقهاء المشترعين الذين كانوا ولا يزالون بعيدين عن المحيط العملى، فكان العلماء فى الأزهر لا يأخذون بآرائهم ولا يلقنونه لطلبتهم بل كانوا على النقيض من ذلك من المتبرمين بهم والزارين عليهم، وكان محـذوراً على القضاة الشرعيين أن يتخذوه مدداً لآرائهم القضائية أو مصدراً لثروتهم العلمية لأنهم كانوا مأخوذين بالقضاء على أرجح الأقوال من مذهب أبي حنيفة، لكن لما تشعبت الحيـاة فى مناحيها، واتضح بجلاء أن مذهب أولئك الأحرار المشترعين خليق بتقديره وبعثه من مرقده واتخاذه قبلة للناس فى بمض أحوالهم الشخصية (والحاجة كما يقولون تفتق وجه الحيلة) لجأ طلاب الاصلاح إلى سن قانون موضوعى يحيط قدر المستطاع بمرافق الناس ويسد كفايتهم القضائية ويحرر العقول من كل تقليد لا يتفق ومصالح الجمهور. فأين نحن الآن من فكرة تجميع الفقه الاسلامى فى موسوعة واحدة والأحداث كل يوم تحفزنا إلى جديد من الفن فى كل شىء لنلقى بين أيدينا دروساً من العظة بالمضى، وإن ما صلح اليوم للعمل به قد لا يصلح غداً؛ وإن سلسلة التجارب لما يقع تحت المشاهدات ستظل متصلة الحلقات بالوجود اتصالاً وثيقاً؛ ثم مالنا ولتجميع الفقه الرومانى وقد كان الفقه الرومانى — كما يقول بحق الباحث العلامة الدكتور عبد الحميد أبو هيف — قائماً بأسسه وقواعده على التفرقة بين الطبقات؛ أما الاسـلام بقواعده وأسسه فهو قائم على الديمقراطية العادلة والمساواة الواضحة؛ وأية ديمقراطية ومساواة أعمق فى الوجود أثراً وأخلد فى المجتمع ذكراً من تلك التى أسس قواعدها وشيد بنايتها فاطر السموات ومدبر الكائنات وبثها على لسان الرسول الأعظم قام من بعده خلفاء راشدون، وحسبك من بينهم عمر الفاروق هذا الذى يضرب أعلى المثل وأنبلها فى المساواة وخفض الجانب واحتقار الأثرة فى الواقعتين التاليتين:

مرّ الفاروق كعادته فى جوف ليلة وقد اتكأ على جانب جدار أحد المنازل فسمع امرأة تقول لابنتها: يابنتاه، قومى إلى ذلك اللبن فامزجيه بالماء. فأجابت الفتاة: أما علمت يا أماه بما كان من عزم أمير المؤمنين؟ قالت الأم: وما كان من عزمه؟ قالت الفتاة: إنه أمر مناديه فنادى فى الناس ألا يشاب اللبن بالماء. قالت: يا ابنتى قومى إلى اللبن فامزجيه بالماء، فنحن فى موضع لا يرانا فيه عمر ولا مناديه. قالت الفتاة: يا أماه، والله ما كنت لأطيعه فى الملأ وأعصيه فى الخلاء. كان هذا الحوار الطريف يجرى بين الأم وابنتها على مسمع من عمر وهو أشد ما يكون بالبنت إعجاباً وبالأم تبرماً. فلما تحقق من ظفر الفتاة برأيها وانتصار الحق على الباطل — أمر تابعه أن يعلم الباب ليسهل الاهتداء إلى موضعه. وما أن أشرقت الغزالة من خدرها حتى بعث رسوله يستقصى خبرها ويرى هل الصبية بكر أم متزوجة؟ فلما علم أنها بكر جمع أولاده بين يديه وقال لهم: هل فيكم من يحتاج إلى زوجة رشيدة بصيرة بأمور دينها، شديدة المراقبة لله، تحذر الآخرة وترجو رحمة ربها؟ وعيناً لو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقنى منكم أحد إليها. فاعتذر ولداه عبد الله وعبد الرحمن لأنهما متزوجان، فتقدم ولده عاصم الصغير وقال: هأنذا يا أبتاه لا زوجة لى، زوّجني ممن اخترتها. ثم بنى بهـا. فقال الناس: تزوج عاصم بن عمر أمير المؤمنين من فتاة راعية فقيرة تبيع اللبن! ولكن عمر لم يأبه لما به أرجفوا. وصدقه الله فيما نوى، فقد أنجبت للعالم الاسلامى عمر الثاني وهى الصورة المشبهة معنى وروحاً بالفاروق — ثم ولدت زوج عاصم بنتاً وولدت البنت الخليفة عمر بن عبد العزيز أو عمر بن الخطاب الثانى. وكذلك صدقت فراسة الفاروق فى صلاح هذه الفتاة وتقواها، ولم يطش ظنه فيهـا حينما رفعها من سكنى الكوخ إلى رفيع القصور ورضى على نفسه أن يقال: صاهر أمير المؤمنين فتاة راعية، ولكن عمر لا يأبه لكلام الناس ولا يكترث للأنساب والألقاب فليس عنده من نسب إلا نسب الاسلام، وليس له من الجاه إلا التقوى

ولقد حفظ التاريخ لعمر حادثة مشهورة رفعت قدره وأعلت ذكره، وخلدت له المثل الأعلى فى النزاهة وشرف النفس وإعلاء الحق بالتضحية بأعز ما يملك فى سبيل الدين. ومن أجل إحيائه تقديس شعائره — أنه قدم ابنه فلذة كبده وأحب الناس إليه ضحية على مذبح الدين وفداء لسنة الرسول الكريم

سمع أنه شرب خمراً فى مصر ولم يقم عليه ابن العاص الحد على ملأ من الناس ويحلق رأسه كما يجب وكما كان مفروضاً على كل مسلم، فبعث إليه يقرعه ويأمره أن يرسل ابنه وشيكا على قتب، ففعل عمرو. وقد وصل عبد الرحمن وهو فى أشد حالات الاعياء والنصب وهو يصيح:

لقد أقيم على الحد فى مصر يا أبت فلا تقتلنى بإقامته مرة ثانية.

لكن غيرة عمر وشدته فى الحق على عامة المسلمين لم تكن تعرف المداجاة فى زوج أو ولد، وهو الذي كان يسوى ذاته فى ميزانه بأقل الناس، فلا غرو أن يقيم الحـد على ولده ثم يشاهده وهو يلفظ النفس الأخير، فلا يجد عند ذلك إلا أن يهنئه على طهارته من أرجاس المعصية وأن يحمله السلام إلى صاحب الأمانة التى قام بها عنه خير قيام.

غير أن لى كلمة فى خاتمة هذا البحث لاتزال بصدرى جياشة، وهى أن التجميع للتشريع الاسلامى فى أوسع حـدوده ومراميه لا يلقى من أهل الرأى تأييدا إلا إذا أيده المسلمون أنفسهم بقوة ما يشع فى صفوفهم من وحدة، وما يقوم على رباطهم من سلطان، وبقوة تلك الروحانية التى تهيمن على عقائدهم واتجاهاتهم وتصهر ما فى تلك العقائد من زيغ وريب، فاذا حل ذلك اليوم وصارت فيه الغلبة للاسلام تيسر للمسلمين تجميع الفقه الاسلامى تجميعا ما بعده تجميع. وأكبر يقينى أن هذا اليوم مؤذن فى القريب ببزوغ شمس سوف تنبسط على أرجاء الشرق فتنتظم أطرافه! وإذ ذاك يحل ذلك اليوم الموموق وتستكمل مصر زعيمة الشرق فى الاسلام ونشر رسالته أقوى أسباب سعادتهـا واطمئنانها وعلو كلمتها فى ظل حضرة صاحب الجلالة فاروق الأول، أيد الله دولته، ورفع فى الأنام رايتـه، إنه أكرم مسئول وأعظم مأمول.

« للبحث بقية »

عباس طه
المحامى الشرعى

غزل العقـــــاد

للأستاذ سيد قطب

— ١٧ —

من أهم ما تدعو إليه المدرسة الحديثة — وتقدم العقادَ نموذجاً له — تفتحُ النفس لألوان الأحاسيس، وانفساحها لصنوف المؤثرات، وتهيؤها لشتى الانفعالات؛ وكثرة الأوتار المرنّة بها في العاطفة الواحدة، والعواطف المتعددة، ومطاوعتها لما تتأثر به، لا لما تحفظه وتحتذيه من القوالب المصبوبة

وكل هذا من خصائص الحياة الموفوزة، الغنية بالذخور من المشاعر المهيئة للتجدد والنماء، المستعدة للتفرد والامتياز

وقد كان النقد العربي — إلى أمد قصير — قد وضع للعواطف الشعرية مراسم وقيودا، وجعل لها قوالب مصبوبة، ومن هذه العواطف « الحب »

ترى هذا في كتاب « الصناعتين » مثلا وتراه في الكتب المدرسية والمذكرات، وتلمح أثره في كتابات من يتصدون للنقد بعد اطلاعهم على الكتب القديمة وحدها

وتلمح أثر هذا التحديد في ذوق المتأدبين الذين لا يصبرون على صورة جديدة يرونها في غزل جديد أو قديم، لا تكون وفق قوالب خاصة، وعلى طراز محدد من طراز التعبير

ولقد كان هـذا يدعوني إلى اتهام الطبيعة العربية والطبيعة المصرية على السواء؛ فما يصبر الطبع الموهوب على هذا الجمود في ألوان الحس والتعبير؛ وما تقف النفس عند صور محدودة معلومة إلا وقد ضاقت عما عداها، واستغلقت دون سواها. ولولا أن هناك فروضاً وأعذاراً تلتمس لقد كان سوء الظن أولى، والاتهام أوجب. ولكنا في انتظار ما يطلع به المستقبل من الأدباء والمتأدبين

والعقاد أفسح شاعر عربي نفساً في غزله، وأكثرهم أوتاراً مرنّة. فلا عجب تزيد الأنغام في شعره على ما تستطيع الأذن المصرية — إلا نادراً — أن تسمعه وتطرب له؛ ولا عجب يجد الكثيرون صعوبة في تقبل هذه النغمات لأنها تجهد آذانهم وأذواقهم، وتحملهم استعارة طاقات نفسية لا قبل لهم بها، كما تجهد العين الضعيفة تحت المنظار القوي الذي يجمع لها من الضوء فوق احتمالها!

ولكن من الحق كذلك ألا يبيح هؤلاء لأنفسهم مهمة الحكم، وأن يسمعوا قول من يطيقون السماع ويطربون لشتى النغمات، ويصدقوا ذوي العيون التي تحتمل المناظير القوية، فيما تبصر من رؤى وأطياف لا تراها عيونهم الكليلة!

***

وحين يتابع الناقد غزل العقاد في دواوينه السبعة، يعجب كيف يكون قائل هـذه الأنماط كلها رجلاً واحداً لولا أن يثوب إلى خصائص العقاد العامة في هذه الأنماط على اختلافها.

وتروعه هـذه النفس الفسيحة التي تتلقى نماذج الحبيبات كل بما تستحقه، ثم تنفسح بعد هذا لتلقي الحالات النفسية المتتابعة مع كل حبيبة؛ وتتسع لنماذج الحب المختلفة بين الصوفية والحسية، وبين الغرارة والتجريب، وبين البساطة والتركيب، وبين الصعود والهبوط... وتقول في كل حب، وفي كل حالة شعراً أصيلا كأنه — وحده — هو اتجاهها الوحيد!

ولعل من الخير قبل أن نستعرض هذه الأنماط، كما لحظناها في شعره الغزلي، أن نأتي باستعراض العقاد نفسه لصنوف الحب التي تيقظ لإحساسه بها على ضوء حب أخير حين يقول:

عرفت من الحب أشكاله ... وصاحبت بعد الجمال الجمال
فحب الصور تمثـــاله ... عرفت وحب الشباب الخيال

وحب القداسة لم أعده ... وحب التصوف لم يعدني
وفي كل حب ورى زنده ... سماتٌ من المؤمن الدين

وحب المزخرف والمنتقى ... وحب المجرد والعاطل
وحب الجماح وحب التقى ... وحب المجـدد والناقل

وحب الثقات وحب الصحاب ... وحب الطبيعـة في حسنها
وحب الرجاء وحب العذاب ... على يأس نفسي من حزنها

وحب التي علمتني الهوى ... وحب التي أنا علمتهـا
ومن أستمد لديها القوى ... ومن بالقوى أنا أمددتها

وحب الجياع صحاف الطعام ... وحب الظماء كؤوس الشراب
وحب الكفاح وحب السلام ... وحب الضلال وحب الصواب!

صنوف من الحب لا تلتقي ... وفيك التقى لبهـا المحتوى
فلولا هدى نورها الأسبق ... لما كنت كفؤاً لهذا الهوى

وفي « سارة » يفصل بعض صنوف الحب التي يحسها القلب الانساني فيقول:

« وقد يميز الرجل امرأتين في وقت واحد . لكن لا بد من اختلاف بين الحبين في النوع ، أو في الدرجة ، أو في الرجاء .

« فيكون أحد الحبين خالصا للروح والوجدان ، ويكون الحب الآخر مستغرقا شاملا للروحية والجسدية .

« أو يكون أحد الحبين مقبلا صاعدا ، والحب الآخر آخذا في الادبار والهبوط

« أو يكون أحد الحبين مغريا بالرجاء ، والحب الآخر مشوبا باليأس والريبة »

ثم يذكر نموذجين في الحب ، لنموذجين من المرأة ، اجتمعا على « همام » بطل القصة ، قد يفيد ذكرهما هنا لبيان رهافة حس هذا الشاعر ودقته في الاحساس بالحب والنساء :

« لقد كانت سارة وهند على مثالين من الأنوثة متناقضين : كلتاهما أنثى حقا لا تخرج عن نطاق جنسها ، غير أنهما من التباين والتنافر بحيث لا تتمنى إحداهما أن تحل محل الثانيـة ، وتوشك أن تزدريها »

« ماذا أقول ؟ بل لعلهما من التباين والتنافر بحيث تتمنى كلتاهما قبسا من طبيعة الأخرى ، لولا أنها تنكر الاعتراف بذلك بينها وبين نفسها ، فتسمح للتمني أن يستحيل إلى نفور

فاذا كانت سارة قد خلقت وثنية في ساحة الطبيعة ، فهند قد خلقت راهبة في دير ، من غير حاجة إلى الدير !

تلك مشغولة بأن تحطم من القيود أكثر ما استطاعت ، وهذه مشغولة بأن تصوغ حولها أكثر ما استطاعت من قيود ، ثم توشيها بطلاء الذهب ، وترصعها بفرائد الجوهر

الحزن الرفيع والألم العزيز شفاعة عنـد هند مقبولة إذا لم تكن هي وحدها الشفاعة المقبولة . أما عند سارة فالشفاعة الأولى بل الشفاعة العليا هي النعيم والسرور

تلك يومها جمة الآلام . وهذه يومها شم النسيم

تلك تشكو ويخيل إليك أنهـا ذات أرب في بقاء الشرور تستديم بها معاذير الشكوى ، وهذه تشكو كما يبكي الطفل لينال نصيبا فوق نصيبه من الحلوى

تلك مولعة بمداراة نقائصها لتبدو كما تتمنى أن تكون. وهذه مولعة بكشف نقائصها لتمسح عنها وضر الخجل والمسبة ، وتعرضها في معرض الزينة والمباهاة

« تلك لماعدة التائة والمجاملة، وهذه لماعدة الرخاصة والبساطة»

ثم يمضي يعدد خصائص كل منهما على هذا المنوال البارع فتفهم أنه متيقظ أشد اليقظة ، بكل وسائل التنبه والادراك في طبيعته ، لكل ذرة ، في كل حبيبة .

* * *

والآن نتابع العقاد في غزله ، ونتصفح الوجوه التي هام بها ، وقال فيها ، فنجد منها ستة وجوه بارزة ، ونجد غيرها منزويا متناثرا

فأما الأول فيستغرق الجزءين الأول والثاني تقريبا ، وفيه تلمح العقاد شابا حدثا ، في نفسه روعة وحذر وإشفاق من وهلة الجمال والحب ، يكتفي أول الأمر باللمحة والنظرة ، ويحوم على الجمال في ورع وتنطس، ويحسب للمجهول والغيب كل حساب ، ثم يأخذ بعد حين في الاستمتاع على حذر كذلك وتلطف واستئذان .

وتجد إلى جواره حبيباً ساذجاً ، عاطلاً من كل حلية نفسية أو فكرية إلا الجمال المجرد الغرير ، فلا عمق ولا فلسفة ولا أطوار

وهكذا — في الغالب — حب الشباب ، وإن فهم الكثيرون أنه أقرب إلى الفتك والبوهيمية والجراءة . فالشاب غالباً تمنعه القداسة ، فان لم تكن أذهلته الروعة قيده حذر المجهول الذي لم تكشفه التجارب ، والعزيز الذي لم يرخصه الاستعمال

إنما يستهتر — حق الاستهتار — الكهل الذي تحمله التجارب يسخر من المقدسات والغيبيات ، وتدفعه بقية القوة التي لم تنضب إلى الاستمتاع بالباقي قبل الفوات !

واسمع العقاد في ورع وإشفاق ينادي حبيبه :

وقف عليك محبتي وعظاتي ... وعلى صباك نصائحي وعظاتي
أوتيت من حسن الشمائل نعمة ... والحسن في الدنيا من الآفات
هو جوهر يجني عليك وميضه ... عدوان مراق وحقد عفاة
... ...
فاحذر فان مع الجمال لغرة ... وأراك تأمن جانب الغفلات
واحرس جمالك فالجمال وديعة ... « لله » ترعاها إلى ميقات
واحمل شبابك للمشيب مبرءاً ... مما يكدر ناصع الصفحات

وهكذا إلى نهاية هذه التسبيحة أو التعويذة القانتة !

ثم تسمعه بعد هذا كالطيف الهامس في حذر وتقاة :

إنا أن معشر حب الجمال لهم ... حب لما كان في الدنيا ومن كانوا
ليأمن الطير . إنا لا نكيد له ... ولا يخف مكرنا وحش وعقبان
الخ

ثم تنظره وقد انجابت هذه الروعة قليلا عن بدء الحسية والاستمتاع ليلة الوداع :

ويا ليلى لما أنست بقربه — وقد ملأ البدر المنير الأعاليا
تطلع لا يثنى عن البدر طرفه — فقلت : حياء ما أرى أم تغاضيا
... ...
فقبلت كفيه وقبلت ثغره — وقبلت خديه وما زلت صاديا
كأنا نذود البين بالقرب بيننا — فنشتد من خوف الفراق تدانيا
كأن فؤادى طائر عاد إلفه — إليه فأمسى آخر الليل شاديا
إذا ما تضاممنا ليسكن خفقه — تنزى فيزداد الخفوق تواليا
أوشج فى كلتا يديه رواجبى [1] — وشيجاً يظل الدهر أخضر ناميا
وتلمس كفى شعره فكأننى — أعارض سلسالا من الماء صافيا
وأشكوه ما يجنى فينفر غاضبا — وأعطفه نحوى فينعطف راضيا

ثم تتدرج من هذا إلى متاع صريح، ولكنه خفيف مريع :

أتعلم أم أنت لا تعلم — بأنى عاشقك المغرم
أتقسم أنك لا تكتم — بلى أنت تكتم أمراً ظهر

***

ولا تنس فى عين شمس لنا — ليالى موقرة بالجنى
ترف عليها طيور المنى — مغردة فى ضياء السحر

***

فكم بت أسهر تلك الجفون — وأذبلها بالطلى والمجون
فباتت كما يعشق العاشقون — مضاعفة السحر تسبى الفكر

أجل فليكن ! ولكن شاعرنا لا يزال شاباً يستكثر الليالى المختلسة فيشيد بذكرها، ويفصلها تفصيلا، ويكاد فى « واقعيته » يحدثنا عن صور الخيال !

وينتهي الحب الأول أو يزحمه الثانى ويعفى على آثاره. والناقد يطالع فى هذا حبيباً قريباً فى خصائصه من الحبيب الأول، يمتاز عنه بأنه شره للمعجبين بجماله، يريدهم حشداً لا فرداً. ولكنه يرى شاعرنا وقد نفض عن كاهله كثيراً من صوفية الشباب وحذره وتوجسه، غير أنه لا يزال يستمتع فى دائرة محدودة، وبذخائر معدودة عند حبيبه :

يا أشره الناس حسنا — إلى عبيد وصحب
وأنعم الناس بالا — بناظر مشرئب
يا ليت لى ألف قلب — تغنيك عن كل قلب
وليت لى ألف عين — تراك من كل صوب
وليت لى ألف وسم — وليت لى ألف عيب
لعل حسنك يفنى — عن ناظر أو محب
ولا تبيت معنى — بعين تروع وتسبى

ثم ينجلى الأمر عن حبيب مواف ومحب متفتح، قد أخذ بعد المتعة والاكتفاء فى ترف الطلاقة والفلسفة :

إيها أبا الأنهار فوقك شادن — يشفى الغليل وأنت لست بشاف
فرعون لم يحمل عليك نظيره — والبحر لم يحرزه فى الأصداف
أوفى علينا من سماء جماله — فاحلم بطلعته وماؤك غاف
واحفظ لديك وديعة من صفونا — مأنوسة الذكرات والأطياف
سيطول أيام الصدود سؤالنا — لك عن مواقع هذه الألطاف
ونود لو تغنى الودادة آسفا — رجعى الزمان ولا رجوع لهاف

إلى أن يقول فى يقظة طريفة وتأمل واع :

إنى سعدت بقدر ما استرجعت لى — يا نيل من حقب ومن أسلاف
دهر قد انبسطت عليه ساعة — فاستأنفته أحسن استئناف
وصلت حديث زماننا بقديمه — وصل الصحيفة نائى الأطراف
وبدت لنا صور العصور كأنها — رسم على صفحات مائك غاف
ومناظر القمراء أشبه بالذى — أحييت من ذكر مضين ضعاف
فالذكر والنظر العيان كلاهما — حلم بها متشابه الأفواف

وتتبين فى نهاية هذا الحب نضوج الشاعر، وانتباهه إلى خطرات الأيام والصروف والأقدار على ضوء حبه، وتأمله فى الكون والطبيعة وإجراء ذلك كله فى غزله :

أيها المعطى غدا عن سعة — أعط إذ أنت ملىء بالعطاء
إنما اليوم لدينا كغد — وغد يا صاحبى اليوم هباء
آه لو يبقى على الدهر الصبا — آه لو يرأف بالحب الفناء
فرصة فيها جمال وصبا — ثم تمضى فإذا الكل سواء
وإذا المشوق فى العين كمن — تتخطاه عيون الرقباء
كاختلاف اللون فى الصبح لنا — وتساوى بعدُ قبح ورواء
نحن فى صبح وقد لا نلتقى — ليت لليل ابتداء وانتهاء

ثم قطعة بعنوان : « ودع جمالك » اقتطفت بعضها عند الحديث على خاصة اليقظة والوعى الفنى، وأقتطف فى هذا المجال بعضاً آخر، وإن كان يخيل لى أن المقصود بها هو الحبيب الأول ولكنها أقرب شبهاً بما قيل فى فترة الحب الثانى، لما فيها من تأمل وعمق فى الاحساس :

أمودعاً حسن الأحبة إننى — ودعت قلب الهائم المغرور

(١) الرواجب : مفاصل الأصابع

ميتان فى جدث نزورهما معاً … واوحشتنا من زائر ومزور

يهنيك أنك لا تزال مقيدى … بك حين لاشوق إليك مثيرى

لم أبك وجهك إذ بكيت وإنما … أرثى خرائب عالم مدثور

فاعجب لمن يبكى لجيفة مرمد … بدموع مبتور الحياة حسير

وهى إحدى القصائد الطريفة التى تتجلى فيها «خصوصية» العقاد

***

ومتى بلغنا الجزء الرابع من الديوان التقينا هناك بشخصيتين أقرب ما تكونان إلى شخصيتى « سارة وهند » اللتين أسلفنا عنهما الحديث ، وعلة ذلك مفهومة ، وقد أوضحتها عند الحديث على « سارة » والتقينا بالشاعر فى قمة النضوج النفسى والفنى ، وقد وضحت أمامه المعالم ، وانتهت به التجارب إلى فلسفة كاملة فى المرأة والحب والحياة ، واكتملت به جميع القوى اللازمة للاحساس والتعبير ، وعرف غاية الطبيعة من الحب ، وغاية كلا الجنسين ، فلم يبق أمامه إلا أن يعتصر من كل حب رحيقه ، ويرتشف من كل كأس ثمالتها فى طلاقة وبراعة وصراحة

فأما إحدى الشخصيتين فيطلع عليك وجهها من خلال قوله :

أريد التى ألقى سلاحى وجنتى … إليها وألقاها من البأس أعزلا

وأطرح أعباء الجهاد وهمه … لدى قدميها مغمض العين مرسلا

وأنت إذا أقبلت أقبلت جحفلا … وجردت أسيافاً وشيدت معقلا

فان تهزمينى فاهزمى عن بصيرة … مريدا لأسباب الهزيمة مقبلا

ويطلع عليك وجه معها من خلال قوله :

أيها الداعى إلى الله لنا … ما ترى فى دعوة منك إليك ؟

— أنت لو تعلم دائى — فى غنى … عن نداء الغيب والطب لديك

تسأل الله شفائى ولقد … جعل الله شفائى فى يديك

وترجى نظرة لى من علٍ … ورجائى كله فى ناظريك

فادع لى نفسك أو لا فادع لى … رحمة الرحمن من وجدي عليك

إن قضاها الله أو لم يقضها … حسبنا خطرتها فى شفتيك

بفضل الصحة عندى أننى … بعض ما تطوي عليه جانبيك

وهي كما ترى متحفظة متصونة ، وهو محترس يقظ يلمح ولا يصرح أو هما كما قال العقاد :

« كانا أشبه بالشجرتين منهما بالانسانين ، يتلاقيان وكلاهما على جذوره ، ويتلامسان بأهداب الأغصان ، أو بنفحات النسيم العابر من هذه الأوراق إلي تلك الأوراق »

وأما الشخصية الأخرى فتطل عليك من قوله :

ماذا من الدنيا لعمرى أريد … أنت هى الدنيا فهل من مزيد ؟

فيك لنا نور ونار معاً … وأنجم زهر وأفق بعيد

وفيك روض مسفر عاطر … وجوهر حر ودر نضيد

ونشوة الخمر إذا قوبلت … بنشوة منك متاع زهيد

والفن إن لم تك نجواه من … نجواك لغو باطل لا يفيد

وكل ما فى الكون من روعة … لها نظير فيك حى جديد

بل أنت دنيا غير هذى الدنى … وكل حب فيك كون وليد

للمرء دنياوان : مطروقة … فوضى وأخري هو فيها فريد

وهذه ، لا تلك ، ما يشتهى … وهى له الموئل وهى الوجود

وتتبين وجهه معها فى قوله :

قبلات كل يوم وعناق … ووداع كل يوم ولقاء

واشتياق كلما حان الفراق … وعهود كلما جن المساء

وعتاب كل يوم وخصام … جائر الحكم كثير العلل

نرتمى فيه بأهوال جسام … بين سخرى المنى والقبل

وعلى توقيع أنغام الرجاء … نبعث القلبين حباً وخصاما

عبث الطفلين فى مهد الصفاء … كلما راعتهما الضجة ناما

وحياة بين روض وغدير … وحياة بين ألفاف كتاب

هذه أو تلك يحويها العبير … ويروى سرحها ماء الشباب

لا ظلام الليل يثنيك ولا … لفحة القيظ ولا اليوم المطير

فى دلال منك موفور الحلى … وكلال منك كالظبي البهير

وهى كما ترى أنثى ناضجة بوهيمية ، وهو رجل فنان متفتح قد بلغ من التمة إلى الترف فانتشي ؛ فانطلق يتفلسف فقال :

وابل من قبل تمطرها … من سماء الحب أخلاف غزار

جزلة المس شهي لمسها … حلوة المزجين من ماء ونار

سقيها محض ولاء خالص … لم يكدره من الدنيا اعتكار

وكذا الاخلاص حر مطلق … كصفات الله ما فيها اضطرار

رو منه الدهر واضحك ساخرا … إن طغى الدهر بأيديه القصار

هاهنا لا العيش محسوس الخطا … لا ولا الوقت بمحدود المطار

الخ .. …

***

فاذا اجتاز الناقد الأجزاء الأربعة الأولى من الديوان إلى « وحى الأربعين » و « هدية الكروان » و « عابر سبيل » لم تبعد به النقلة كثيراً عن جو الجزء الرابع ، ولكنه يجد انطلاقاً إلى مدى أوسع فى التوحيد بين الأرض والسماء ، أو بين المادة والروح فى غزل العقاد ، كما يجد الهدوء الرتيب ،

لا تخالجه الهفة إلا قليلا ، وهى بعد شوق إلى المتاع الطليق ، أكثر منها حرقة إلى إرواء الضرورة المقيدة ، أو هى طلاقة فيها سخرية المجرب الذى سلك الطريق مرة ومرة ، فانجلت فى نفسه الروعة وانكشف المجهول ، ولم يعد أمامه إلا تأمل المشاهد وتسجيل الشواهد ، والموازنة بين ما مضى وما هو آت فى رحلته الحاضرة . والذى علم قيمة العرف والتقاليد ومبلغ إخلاص الناس لها أو تفلتهم منها ، فلم يعد يحسب لمن فى « الخارج » حسابا ، وإنما همه أن يعيش فى عالم من صنعه هو ، يضع تقاليده وحدوده

ولهذا يلوح الشاعر فى الأجزاء الأخيرة منطلقا من القيود فى الاحساس والتعبير انطلاقا لا تجده فى شعر شبابه ، وهذا أثر التجربة وحكم السن والممارسة .

ومع العقاد وجهان أصيلان فى هذه الدواوين الثلاثة ، وعدة وجوه عارضة :

فأحد الوجهين هو الذى يقول فيه قصيدة « غزل فلسفى » والذى فيه « من كل شىء » فى الأرض والسماء ، وفي الماضى والمستقبل و « من كل موجود وموعود توأم » ... الخ

ولعل هذه القصيدة أدل القصائد على هذا الوجه الذى يُشع فى نفس الشاعر كل معانى الوجود ، لأن الشاعر — حينئذ — مستعد لتلقى كل أطياف الوجود ، متفتح لكل معنى من معانيه

والوجه الثانى هو الذى يقول فيه :

بعد سبع من السنين وعشر عرف الناس فضل ذا الميلاد
عرفوا أي نعمة زارت الأر ض بأضعاف حسنها المرتاد
عرفوه لما رأوا بينهم شمساً مع الشمس أشرقت فى البلاد
عجبوا كيف فاتهم يوم وافى فرعوا عهده بذكر معاد
ذاك ميلادك السعيد هنيئاً للذى فاز فيه بالاسعاد

ويقول فيه معظم غزليات « هدية الكروان »

والخطوط التى تفرق بين هذين الوجهين صعبة التمييز لو لا أن الثانى أكثر بشاشة وطراءة ، والأول أشد حيوية وتأثيراً

وعلى العموم فالشاعر يبدو فى هذه الفترة واثقاً من نفسه وزمنه ، يترشف كأس الحب فى نشوة ولذة وتأمل وتمهل ، وفى بشاشة ودعابة واطمئنان

ولولا أن المقال قد تضخم وطال لأكثرت من الأمثال ، فهذه هى فسحة النفس التى عنينا ، والتى امتاز بها العقاد كل الامتياز

« حلوان » سيد قطب

الى وزارة المعارف

كلمة حق في كتب

على أثر ما نشرناه فى العدد الماضى من جواب الأستاذ أحمد أمين وتعليقنا عليه جاءتنا طائفة من المقالات والرسائل فى هذا الموضوع لم نر من المفيد أن نشغل بها صفحات الرسالة فاقتصرنا منها على هذه الكلمة شاكرين لكتابها الأفاضل غيرتهم على الأدب ودفاعهم عن الحق (المحرر)

كنا فى مجلس ضم لفيفاً من الطلبة ورجال التعليم ، والكل فى مقتبل العمر وعنفوان الشباب ، فمنهم من اجتاز مرحلة ثانوية فى دراسته ، ومنهم من اجتاز مراحل فى تعليمه الجامعى . والحديث ذو شجون ، « والرسالة » حظها من الحديث ، ولما ينشر فيها نصيبه من التعليق والمناقشة ؛ وما يكاد الجمع ينفض حتى ترى القوم يتواعدون فى أن للحديث صلة ، وإلى الملتقى فى أعداد الرسالة المقبلة

جئت بهذه الكلمة لأقول إن السبب « الذي من أجله صرف النظر عن تقرير بعض الكتب للمطالعة فى مدارس المعارف المصرية » كان محل نقاش طويل فى هذه الساعة القصيرة

ونحن نعيذ أنفسنا من الغرور يذهب بنا إلى الحط من كفاية اللجنة التى عهد إليها اختيار كتب المطالعة . لكننا لم نر بأساً فى أن نبعث برأى لفيف من الطلبة والأساتذة لا نعتقد أنهم ارتأوه أو اعتقدوه تزلفاً للزيات . فالصلة التى تصلهم بالأستاذ الزيات هى عين الصلة التى تصلهم بالأستاذ أحمد أمين ، وهى صلة الأدب والذوق المشترك ، هذه الصلة التى تدفع كل واحد إلى إبداء رأى هو صدى صادق للكيفية التى أدرك بها الانتاج الأدبى لأي كاتب أو شاعر أو صاحب فن

ومن الطبيعى أن نتحسس ذلك الضعف الأخلاق لو كان فى كتابين عاليين قُدّر لهما من سعة الانتشار ما لم يقدر لغيرهما من الكتب . لقد كان الأستاذ الزيات أميناً فى نقل هذين الكتابين إلى اللغة العربية ، أتراه حور من مضمونهما بحيث نرى الفضيلة فى (رفائيل) جريمة ، والعاطفة فى (آلام فرتر) ضعفاً أخلاقياً ؟ لست أدفع عن المترجم تهمة هو أبعد الناس عنها فقد كان

أميناً فى ترجمته ، ولكننى أدفعها عن مؤلفى هذين الكتابين وهما على ما يعلم الناس من أعلام فلاسفة الغرب وفحول شعرائهم . ونحن لا نرى حاجة إلى أن نلجأ للعبارة نصوغها دفاعاً عنهما فالكتابان بين أيدينا ووقائعهما فى ذاكرة الكثيرين منا ، ولم تستطع أن تلمح الأثر الذى من أجله صرف النظر عن هذه الكتب

كنا وكان غيرنا فى سنّ الصبا يوم صدر (رفائيل) ، وأذكر جيداً أن هذا الكتاب ما كان يبقى فى يد القارئ أكثر من يومين اثنين لقلة النسخ وكثرة الطلاب المتلهفين على قراءته .

ولو لم يكن رفائيل كتابا فيه عاطفة نبيلة وشعور حى لكفى أن يكون فى لغتنا قطعة فنية . وأشهد أن لأسلوب الترجمة الفنية التى ظهر بها هذا الكتاب هذا أكبر الفضل فى تحسين أسلوبنا الانشائى يوم كنا نجيل البصر فى الكتب على الرفوف فلا نرى غير ركام من ألفاظ وعبارات يمجها الذوق ولا يلازمها الحسن أوشبهه .

وإلى القارئ آلام فرتر ! فهل كان « جوت » الفيلسوف مخادعاً يوم قدّم كتابه إلى العالم وقال فى مقدمته « إنك لن تستطيع وأنت تقرأه أن تحبس نفسك عن الاعجاب بفكره وقوة حسّه ، ولا قلبك عن الولوع بخلقه وشرف نفسه ، ولا عينك عن البكاء لمثار جده وبؤسه ! »

اللهم إنا لم نجد فى الكتاب غير ما قدم المؤلف به كتابه ، ففيه الشرف الصميم وفيه الخلق الكريم وفيه الاخلاص والأيثار والصبر والجلد .

وما أرى أن الدكتور طه حسين كان مدفوعاً للثناء يوم قال فى مقدمة الكتاب « لقد وفق صديقنا الزيات حين نقل إلى اللغة العربية آلام فرتر للشاعر الفيلسوف « جوت » . وفق إلى حسن الاختيار فما كان لشعب يُجل نفسه ويريد أن يعد بين الأمم الحية أن يجهل شاعراً فيلسوفاً كجوت قد أثر نبوغه الفنى والفلسفى فى الحياة العلمية والنفسية للعالم الحديث أشد تأثير . وما كان لهذا الشعب أن يجهل كتاباً كآلام فرتر قد عرفه الناس جميعاً فى أوربا فأحبوه وكلفوا به ، حتى أنك لا ترى فتى ولا فتاة فى السادسة عشرة من العمر إلا قرأه وقرأه وحاول أن يتفهم معانيه ويتأسى بما فيه » .

لانظن الدكتور طه حسين منع هذا الكتاب عن أولاده أو نصح لهم بالحيطة فى قراءته ولا نشك فى أن رجال المعارف بلا استثناء يزينون مكتباتهم بهذا الكتاب العبقرى الخالد ويسرهم أن يروه فى أيديهم بنيهم وبناتهم

بقيت مسألة هى مدار البحث ويجب ألا تعتبر كلمتى فيها فضولاً . فان لمصر مكانتها فى العالم العربى ، ولثقافتها المكان المرموق فى نظر طلاب العلم والأدب . فالكتاب الذى يرى أئمة الأدب فى مصر أنه صالح للتداول يصبح هذا الرأى كورقة النقد تصرف فى أى مكان . فهل من الحق أن كتاب «رفائيل» وكتاب « آلام فرتر » لما أثرهما فى الأخلاق من « ناحية عكسية ؟ » . الطالب يجيبك : لا ، والأستاذ لا يمنع أن يكون هذان الكتابان فى صدر مكتبه وبين أهله وأولاده

أذكر أن « فرانس بيكون » قال فى الكتب : « إن من الكتب مايذاق ، ومنها مايبلع ويزدرد ، ومنها مايمضغ ويهضم ويتمثل » فكم فى مكاتبنا من تلك الكتب التى تذاق وتبلع وتمضغ على درجاتها ؟ اللهم إنى إذا أجهدت نفسى وبحثت مع غيرى عن الكتب التى تضمنتها مكاتب الكثيرين من طلاب المعاهد فى العالم العربى لم أعد إلا وفى قلبى طعنة الأسى والأسف لهذه المختارات والمنتخبات يعودون إليها بين الحين والحين

إذا كان رفائيل وفرتر مفسدين للأخلاق فماذا يقال فى آلاف الكتب البوليسية والروايات الخليعة والمجلات الساقطة التى تغص بها مئات المكاتب فى القاهرة والقدس وبيروت ودمشق وبغداد ؟ إذا كان فى هذه الكتب انتحار فلماذا لا نمنع الصحف عن أعين الطلاب وفيها عشرات الحوادث من هذا النوع فى كل يوم ؟

لو لم تقرر اللجان كتاباً من الكتب واكتفت وذلك بأن تفرض رقابة على وسائل الانتاج الثقافية لكان ذلك خيراً . أما أن تترك الأدب الرخو الخليع المكشوف يطغى على أكبر جزء من تفكير الشباب ثم تمنع أو لاتحبذ تقرير كتابين هما درة الكتب لأعلام الكتاب فهذا ما نؤاخذ عليه

« فلسطين » على كمال

ماضي القرويين وحاضرها

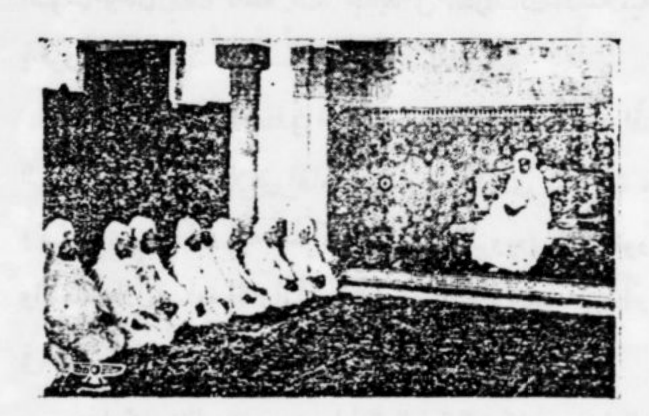
للأستاذ عبد الله كنون الحسني

— ٣ —

وليس لأوقات الدراسة ضابط معين بل النهار كله من طلوع الفجر إلى المغرب وقت صالح للتدريس وتزاد عليه الحصة الواقعة بين العشاءين أيضاً . والدرس قد يمتد إلى الساعتين والثلاث بحسب قوة الأستاذ . وتدرس العلوم العقلية والنقلية فى الصباح والمساء على السواء ، إلا أن الغالب تخصيص الحصة التى بين العشاءين بالدروس الدينية والتهذيبية والوعظية من التفسير والحديث والفقه لحضور العامة لها إذ يكون الوقت وقت فراغ وانصراف عن الشغل . وكذا يقال فى الدرس الأول الذى يكون عقب صلاة الصبح . وأيام العطلة هى فى الغالب الأخمسة والجمع وأسابيع الأعياد وأيام المواسم . على أن منهم من يغتنم فرصة هذه الأيام فيقرأ فيها فنوناً متنوعة فى كتب صغيرة مما يتهيأ ختمه فى مدة قريبة

ومواد الدراسة لا تنضبط بعدد ولا تستقر على حال . على أن الدروس الدينية واللغوية لم تنقطع من الجامعة فى وقت من الأوقات ودائماً تكون لها الأغلبية ، فى حين أن العلوم العقلية منها ما لا ينهض إلا بمناصرة السلطة التى يكون هواها مع هذا العلم أو ذاك كما حصل على عهد الموحدين من إحياء علوم الفلسفة والأخذ بضبع أهلها لما كان من ميل يوسف بن عبد المؤمن (مأمون المغرب) لها وشغفه بها . ومنها ما كان يروج وينفق إذا وجد من يحسن القيام عليه والدعوة إليه من أهله المتحققين به المتفرغين له كالنهضة العظيمة التى كانت لعلوم الرياضة على عهد المرينيين ، والتى أوجدها أفراد من العلماء كانوا فى عهدهم منقطعى القرين فى تلك العلوم

ثم الطلبة قسمان : (١) أهليون ونعنى بهم أبناء فاس ، وما زال أهل فاس من أحرص الناس على طلب العلوم الدينية فى القرويين (٢) وآفاقيون ومنهم الواردون على فاس من مختلف المدن والقرى فى المغرب بل والجزائر والصحراء ، وعددهم يتراوح بين (٥٠٠) و(٧٠٠) طالب . ومحل سكناهم المدارس التى سبق الكلام على بعضها ، ويتناولون من الأوقاف بصفة مؤونة رغيفاً واحداً فى اليوم . ولبعضهم جرايات وقفية لا بأس بها يأخذونها مقابل بعض الأعمال التى يقومون بها فى المساجد الأخرى والقرويين نفسها



(جلالة السلطان سيدى محمد والوزراء جاثون بين يديه)

وكان للطلبة قبل هذا الآن صولة كبيرة بحيث أن السلطة لم تكن تتدخل فى شؤونهم وإنما يرجعون فى فصل خصوماتهم إلى مقدميهم وإلى الأساتذة . ومما يدل على مزيد الاعتبار الذى كان لهم سواء عند الشعب أو الحكومة ، تلك النزهة الربيعية التى كانوا يقيمونها كل سنة على ضفاف وادى الجواهر خارج فاس ويشارك فيها جميع طبقات الشعب والحكومة نفسها فيرسل السلطان ممثله ، ويهدى السلطان الى الطلبة هدية جميلة فى مهرجان حافل ، بينما يقدم الطلبة على لسان سلطانهم طلبات مهمة إلى السلطان ، وقد يكون فيها العفو عن مجرم أو الرضا عن قبيل ما ، أو تحريرهم من مغرم ونحوه إلى غير ذلك ، فتنفذ الطلبات بسرعة ويرجع الطلبة مفعمين بالسرور والزهو والحبور . وهذه النزهة لا زالت تقام حتى اليوم لكن لم يبق لها الاعتبار السابق

وإذا نظرنا إلى تاريخ العلوم فى القرويين نجد أنها اجتازت بثلاث مراحل مهمة :

الأولى: عند قيام الدعوة الموحدية فى منتصف القرن السادس حيث انتصر مذهب الأشعرية فى الاعتقاد على مذهب السلف

الذى كان عليه أهل المغرب منذ البدء ، فدخل علم الكلام على طريقة الأشعرى بما يستلزمه من نظريات الفلسفة ومقدماتها إلى القرويين وتوطد أمره فيها منذ ذلك العهد إلى يوم الناس هذا

والثانية : عند ما أعلن يعقوب المنصور ثالث خلفاء الموحدين الحرب على علم الفروع وعمل على نشر السنة بالترغيب والترهيب وأحرق كتب الفقه من المدونة والتهذيب والواضحة وغيرها ، فانصرف الناس إلى علوم الحديث والتفسير وإحياء ما اندثر من أصولها وكان ذلك فاتحة عهد جديد فى الدراسات الاسلامية بالقرويين

والثالثة : عند ما أصدر السلطان سيدى محمد بن عبد الله العلوى منشوره الاصلاحى الهام إلى الشيخ التاودى بن سودة ، وكان رأى ما آلت إليه الحركة العلمية فى القرويين من الفتور والاضمحلال فساءه ذلك المآل وعمل على بعثها وتجديدها بما أثر فى حياتها المستقبلة بعد ذلك تأثيراً بليغاً

هذا مجمل نظام القرويين والحالة العامة التى كانت عليها إلى انقضاء الثلث الأول من القرن الرابع عشر الحاضر . وبعد ذلك فى عام ١٣٣٢هـ دخلت الكلية فى طور الاصلاح والتنظيم الحديث إذ أصدر السلطان مولاى يوسف رحمه الله أمره بتأسيس مجلس للنظر فى شؤون القرويين ووضع برنامج للدراسة فيها ، فتألف المجلس ووضع البرنامج ، وكان من أهم ما اشتمل عليه مما يُعدُّ حدثاً جديداً فى تاريخ الكلية ، تقسيم منهاج الدراسة إلى ثلاثة أقسام: ابتدائى وثانوى ونهائى، وتقرير نظام المراقبة والامتحانات؛ ولكن تنفيذ هذا البرنامج كان من العسير لمخالفته لمألوف الناس الذين يقفون كثيراً مع العادات . وجاءت مشاركة بعض الشخصيات الغربية فى وضعه ضغثاً على إبالة ، فاستراب الناس به حتى من كان يحب الاصلاح ويميل إلى التجديد . وهكذا بقى ما كان على ما كان.

وحدث أن السلطة كانت تستخدم بعض الشخصيات البارزة من العلماء فى مختلف المصالح ، والبعض الآخر كان ينتثر عقده بالموت ، فلم يشعر الناس إلا وجامع القرويين يكاد ينعق فيه البوم والغراب لخلوه من أهل الكفاية والجد الذين كانوا يعمرونه بالدروس النافعة الدائمة ولا يبغون على ذلك ثواباً ولا أجراً . فقلقت الأفكار وساءت الظنون وكثرت المساعى التى ترمى إلى الاصلاح العملى والتنظيم الجدى ، فما كان إلا أن صدر الأمر الملكى المحمدى الكريم بذلك ونفذ فى محرم فاتح عام ١٣٥٠ ولا يزال العمل عليه إلى الآن

ينص هذا الأمر على تقسيم منهاج الدراسة إلى ثلاثة أقسام كالسابق ويزيد عليه بجعل القسم النهائى على نوعين : دينى وأدبى . ويحصر مدة الدراسة فى (١٢) سنة منها ثلاثة للابتدائى وستة للثانوى وثلاثة للنهائى . وفضلاً عن تقريره لجميع العلوم الشرعية وآلاتها التى كانت تدرس فى الكلية من قبل — فإنه أضاف إليها علوماً جديدة كالتاريخ والجغرافية والهندسة وجعل عدد الأساتذة النظاميين (مبدئياً) ٣٢ وعين لهم أجوراً لا بأس بها ، وحدد مدد العطلة ، وضبط أمر امتحانات النقل والتخرج ، وبين نتائج النجاح وما يخوله نيل الشهادة فى كل من الأقسام الثلاثة

(يتبع — طنجة) عبد الله كنون الحسنى

بين الفكاهة والجد

تحيـــة كلب

إلى الكلب البوليسي « هول »

للأستاذ محمود غنيم

كلبٌ ينمُّ على الجناة   تمشي العدالة فى خُطاه
إن قال أرهفت النيا   بةُ سمعها وصغى القضاه
كم أفلتَ الجانى فشمَّــر ساعـــديه واقتفاه
لم يُعْيِ أهلَ البحث ســرٌّ غامضٌ إلا جلاه
يستخرج السرَّ الدفيـــنَ كأنه بعضُ الحُواه
وكأنما هو إذ ترا   هُ مشعوذٌ يتلو رُقاه
عَيُّ اللسان وإنما   فى أنفه جُمعت قواه
هو لا يحيد عن الصوا   ب ولا يُحابى من رشاه
لا يعرف القربى ولو   كان الذى يجنى أخاه
هيهات لا إشكالَ فيـــما يدَّعيه ولا اشتباه
كم ناطقٍ تبع الهوى   فلوى بغير الحق فاه
ضلَّ ابنُ آدمَ نهجَهُ   حتى رأى كلباً هداه
ما أضعفَ الإنسانَ مَقْـــدِرة وأكثرَ ما ادَّعاه
قدبات يرعى الأمنَ «هو   ل» وغيرُه يرعى الشياه
كلبٌ عصاميٌّ بنَتْ   أركانَ دولته يداه
يا رُبَّ مفتخرٍ عليـــكَ ببيت مجدٍ مابناه
كلبٌ وضيعُ الأصل لا   ليثٌ ولا ليثٌ نماه
استقبلوه مُصَفِّقيـــنَ كأنه بعضُ الغُزاه
كم وَدَّ شبلُ شرًى بجَدْ   ع الأنف لو أضحى أباه
خافته دون الله أفـــئدة الجبابرة الطغاه
يخشاه من لا أُذنَ تســمعه ولا عينٌ تراه
عجباً يخاف الكلبَ قو   مٌ لا يخافون الإله!

***

شيخَ الكلاب أخفتَ ذئـــبَ الأنس لا ذئبَ الفلاه
لهجَتْ بذكرك أَلسُنٌ   وروت حوادثك الرُّواه
وَسلبْتَ كلبَ الكهف ما   بيديهِ من عزٍّ وجاه
لم تقضِ فى النوم الحيا   ةَ كما قضى فيه الحياه
لـكن سهرتَ على السلا   م وبات ينعمُ فى كراه
صاد الكلابُ فكان صيـــدُهم الحمامَة والقطاه
وأنفت من صيد البُزَا   ة فصدت صيَّادَ البُزاه
إن طوقوك فطالما   طوَّقْتَ أعنَاقَ العُتاه
أو سلســلوك فطالما   سَلْسَلْتَ أقدامَ العصاه
يا أيها الواشى رَعا   كَ اللهُ من بين الوشاه
يا رُبَّ مَظْلومٍ له   كُتِبَتْ على يدك النجاه
بإشارة منك الحيا   ةُ لمن تشاء أو الوفاه
للأمن شُرْطيٌّ عليـــهِ ساهرٌ يحمى حماه
لا يستقلُّ بمكتبٍ   بين اليراعة والدواه
قبض المرتَّبَ غيرُهُ   والخبزُ فى الدنيا كفاه
ما زان مِعْصَمَهُ شريـــطٌ أو تألَّقَ منكباه
أدَّى لوجـه الله وا   جبَهُ بحزمٍ وانتباه
متواضعٌ بين الجنو   دِ يلينُ إذ يقسو القساه
يا رُبَّ جنـديٍّ بدا   لك بيدقاً فى ثوب شاه
يمشي فيغضبُ حين لا   تعنو لطلعتـه الجباه
قالوا أتُطْرِى الكلبَ قا   تلَهم ومن أُطرِى سواه؟
يرعى الودادَ وما رأيـــتُ من الأنام فتًى رعاه
لا أبتغى صلة الأنا   م فكلُّهم مثلى عُفاه
كم لَذَّ طعمُ وعودهم   عند المرور من الشفاه
فتبخرت تلك الوعو   دُ كما تبخرتِ المياه
الصُّلْبُ بين الناس إنْ   أنت استندت إليه واه
والليثُ فيهم ساعةَ الـــجُلَّى يفرُّ فرار شاه
لا يؤْمَنُونَ عَلَى الأذى   والكَلْبُ مأمونٌ أذاه
سألوا الكلابَ الحقَّ إذْ   وَجدُوه بينَ الناسِ تاه

محمود غنيم

الغـــد المشؤوم !!

« إليك ... وقد وعدتنى بلقاء الغد فما عدت ! ولا عاد !! »

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

وَقُلْتِ : «غَداً تبْرَا جِراحُكَ» فانطوَتْ
عَلَى نارِها تحْتَ الدُّجى تتَضَرَّمُ

تغَمْغِمُ باسمِ الفجْرِ ، عَلَّ صباحَهُ … بِفرْحَتِها فوقَ الرُّبَى يَتَبَسَّمُ

وَعَادَتْ كما كانَتْ جِراحاً حزِينَةً
تَكادُ عَلَيْها خَيْبَةُ الرُّوحِ تَلْطِمُ !

وَقُلْتِ : « غَداً ليْلاتُكَ السُّودُ تَنْجَلِي
وَيَهْجُرُ دُنْيَانَا الْعَذابُ الْمُخَيِّمُ ! »

فَنَيَّدْتُ أجْفَانى عن النَّوْمِ عَلَّهَا … إذا ماتَ لَيْلِى فى ضُحَى الْحُبِّ تَنْعَمُ

فعَادَتْ كما كانَتْ وَجُنَّ ظَلامُها … فَذَابَ به طَيْفُ الضِّيَاءِ الْمُهَوِّمُ !

وَقُلْتِ : « غَداً يا شَاعِرِى تَلْمَحُ الْمُنَى
عَلَى رُوحِكَ الشَّاكِى الْحَزِينِ تَحُومُ ! »

فَعَلَّلْتُ سَاعَاتِى ! وَقُلْتُ : لَعَلَّمَا … هَوَاكِ غَداً يانَفْسُ يَحْنُو وَيَرْحَمُ

وجاءَ غَدِى الْمَشْؤُومُ خَيْبَانَ بَعْدَ مَا
قَضَى اللَّيْلَ ـ مَفْطُورَ الرَّجَاءِ ـ الْمُتَيَّمُ !

وَقُلْتِ : غَداً صَحْراءُ عُمْرِكَ جَنَّةٌ … وَصَفْوٌ لِدُنْيَانَا ، وَلَهْوٌ وَأَنْعُمُ

وَتَسْبِيحُ أَحْلَامٍ ، وآفاقُ نَشْوَةٍ … وَدُنْيَا أغانٍ لِلْهَوَى تَتَرَنَّمُ !

وَجاءَ غَـدِى قفْراً مُحِيلاً سُكُونُهُ
مَنَاحَاتُ جِنٍّ فى الْكُهُوفِ تُدَمْدِمُ !

وَقُلْتِ: دُخانُ الْيَأْسِ وَلَّى وَفى غَدٍ … سَيَسْعَدُ هذا البَائِسُ الْمُتَجَهِّمُ !

وَجاءَ غَدِي لا كانَ جاءَ وَلا انْتَهَى … إلَىَّ بِهِ دَهْرِى الْأَثِيمُ الْمُذَمَّمُ !

فَسِرْتُ وَأَيَّامِى خَرَابٌ ! وَظُلْمَةٌ ! … وَعَيْشِى مَلَالٌ كُلُّهُ وَتَبَرُّمُ !

عَلَى شَبَحِى الْمَهْدُودِ فَوْضَى ! وَضَجَّةٌ
وَيَأْسٌ ! وَفى قَلْبِى مِنَ الْحُزْنِ مَأْتَمُ !

وَفى نَفَسِى لَوْ يَنْشَقُ الْمَوْتُ رِيحَهُ … زَوَافِرُ تَبْلَى مِنْ لظَاهَا جَهَنَّمُ !

فَيَاغَادَتِى أقْسَمْتُ بالْحُبِّ بالْمُنَى … بنُورِكِ بالْفَنِّ الذى رَاحَ يُلْهِمُ !

لَقَرَّبْتِ لى يَوْمَ اللِّقَاءِ ! وَعُدْتِنى … لِيَهْدَأَ مَفْجُوعُ الْأَمَانِيِّ مُسْقَمُ

وَأَسْعَدَ قَبْلَ الْمَوْتِ لَوْشِئْتِ لَحْظَةً … أُزَوِّدُ مِنْهَا لِلْخُلُودِ وَأَغْنَمُ

وَإِنْ شِئْتِ نِسْيَانى .. فَيَاضَيْعَةَ الْهوَى !
وَضَيْعَةَ أَحْلَامِى التى كُنْتُ أحلُمُ !

وَيَاضَيْعَتَى فى الْعَاشِقِينَ ! كَأَنَّنى … مِنَ الْيَأْسِ لُغْزٌ فى فَمِ الْحُبِّ مُبْهَمُ !

دعوة إلى المـــرح

للأستاذ فريد عين شوكة

دَعْ الهَمَّ والشَّجَنْ … فالجوى يُفْسِدُ الزَّمَنْ

وَاغْتَنِم ساعةَ الرِّضى … فالرضى راحة البدن

عِشْ بدنياك كالطيور … مَرِحَ النفس منشدا

لا تَدَعْ عمرك القصير … يتقضى فى البكا سُدَى

سوف تبكى وتنتحبْ … والورى عنك فى شُغُلْ

وإذا دمعك انسكب … ضحكت حولك الْمُقَلْ

هل ترى شاكياً شكا … فشكا واحدٌ مَعَهْ ؟

أو ترى باكياً بكى … كفكف الناس مدمعه؟

طبعَ المرء مالَهُ … غير إشباع رغبتِهْ

وإذا الخطبُ غالَهُ … راحَ يشكو لِصُحْبَتِهْ

يا مشُوقاً لما مَضَى … هل يوافيك ما اندثر؟

ما مضى فات وانقضى … وَغَدٌ مُعْتَقَدُ النظر

فاشْحَذِ العزمَ لِلْغَدِ … إنه مَوْئِلُ الْمُنَى

وادفع اليأسَ باليـدِ … تجد الصعب هيِّناً

إنما اليأس فى الحياه … مِعْوَلٌ يَحْطِمُ القُوَى

وإذا لامَسَتْ يداه … صَرْحَ مجدٍ بها هَوَى

فريد عين شوكة



الى الأستاذ الجليل محمد بن الحسن الحجوى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فلقد قرأت بإعجاب ما نشرتموه فى الرسالة جواباً على الأسئلة الأشقودرية ، وأفدت منه علماً كثيراً أشكركم عليه وأسأل الله أن يجزيكم عنه خير الجزاء . ولكني وقفت عند قولكم (إن الطرق الصوفية تجانية وغيرها إنما أحدثت فى الاسلام لجمع قلوب المسلمين على إقامة الشريعة الغراء إقامة كاملة ، إلى آخر ما قلتم)، وخشيت أن يفهم بعض القارئين من هذه الجملة أن جمع قلوب المسلمين على إقامة الشريعة لا يكون إلا بهذه الطرق ، فتكون الشريعة إذن ناقصة تحتاج إلى متمم ، مع أنكم لا تريدون هذا ، ولا تشكون في أن الشريعة جاءت كاملة مكملة ، لا تحتاج إلى أدنى زيادة ، وأنها تكفل للمسلم كل خير ينبغى له فى دنياه وآخرته . وإذا كان ذلك كذلك فماذا يبقى لهذه الطرق من عمل ؟ وهل تخلو من أحد شيئين : إما أن تكون زيادة على الاسلام فهى مردودة ، وإما أن تكون الاسلام نفسه فلا يبقى فرق بين مسلم شاذلى أو نقشبندى، ومسلم ليس له طريقة من هذه الطرق ، وتكون الطرق على هذا الغرض تحصيل حاصل وهو باطل . وليت شعرى ما القصد من هذه الطرق ؟ إن كانت للذكر المرتب ففى كتاب الأذكار للنووى من الأذكار المأثورة ما يملأ يوم المسلم وليلته، وهى أفضل قطعاً من الأذكار التى وضع صيغها شيوخ الطرق ؛ وإن كان القصد تهذيب السريرة وتنقية القلوب فليس وراء الكتاب والسنة ما يهذب سريرة وينقى قلباً ؟ فهل القصد إذن تفريق جماعة المسلمين ؟

هذا كله إذا خلت الطرق من كل ما يخالف أصل الدين، أما إن وقع فيها الخلاف كما هو الشأن فى كثير من الطرق فهي مردودة بالاتفاق

بقى يا سيدي عدكم (الوهابية) من الطرق الصوفية ، مع أن الوهابية حركة سلفية يراد منها ترك كل مبتدع فى الدين ومنه هذه الطرق ، والرجوع إلى الكتاب والسنة . ثم إنه ليس فى الدنيا مذهب أو طريقة تدعى (الوهابية) ، ولا يعرف هذه الكلمة أهل نجد أنفسهم ، ولا كان ابن عبد الوهاب صاحب مذهب وإنما هو مصلح منبه ، وأهل نجد حنابلة على مذهب الامام أحمد ناصر السنة

هذا ولكم يا سيدى الشكر الأجزل والسلام عليكم ورحمة الله

« دمشق » علي الطنطاوي

مكتبة دار الآثار فى بغداد

روت (الأخبار) البغدادية ما يأتى :

ذكرنا فى أعدادنا السابقة لمعا عن مكتبة دار الآثار فى العاصمة وما تحويه هذه الخزانة العلمية من أسفار وكتب يفتقر إليها الكثير من مكتبات الأمم الراقية في هذا الباب ، ونوهنا بالجهود الكثيرة التى يبذلها سعادة الأستاذ الكبير ساطع الحصرى مدير دار الآثار القديمة فى سبيل جعل مكتبة العراق الأثرية فى طليعة مكتبات الآثار فى العالم بما تضمه فى رفوفها وخزاناتها من المؤلفات القيمة فى العاديات والآثار القديمة من جميع النواحى

ونذكر اليوم أن طائفة كبيرة من هذه الكتب الثمينة أضيفت إلى المكتبة الأثرية العراقية ، وكيفية ذلك أنه يوجد فى الولايات المتحدة الأمريكية معهد باسم معهد الابحاث الأمريكية الشرقية غايته التعاون مع البلاد الشرقية من الناحية الأثرية . كان بعض العلماء الأثريين الأمريكيين قد أوصوا بمكتباتهم لهذا المعهد على أن يبعث بها إلى بغداد عاصمة العراق عند قيام دار الآثار فيها بتأسيس معهد للآثار . وقد مر زمن طويل على ذلك دون أن تقدم هذه الكتب إلى دار الآثار العراقية تنفيذاً لرغبة الموصين بها ، وعليه فقد سعى الأستاذ الحصرى فى جلب هذه الكتب والاستفادة منها هنا . وأخيراً وبعد جهود كثيرة نجح الأستاذ الحصرى فى مسعاه إذ قد وصلت هذه الكتب القيمة التى يبلغ عددها بضعة آلاف إلى مديرية الآثار العراقية

وخصصت لها غرفة واسعة نظمت فيها الخزانات وصنفت عليها الكتب بترتيب يسهل على الطالبين الاستفادة منها

عقد مؤتمر عام للدفاع عن مصالح الاسلام

وزع مكتب الأنباء الألمانى هذه البرقية من دمشق :

اجتمع هنا أقطاب علماء الاسلام وقرروا دعوة جميع رؤساء الدين المسلمين إلى مؤتمر إسلامى عام . وسيبحث هذا المؤتمر طرق الدفاع عن مصالح الاسلام ، ورجا المجتمعون من فضيلة شيخ الجامع الأزهر فى القاهرة أن يشترك فى هذه المؤتمر

اللغة العربية فى الكلية الطبية العراقية

كانت وزارة المعارف قد اقترحت على الجهات المختصة أن يلزم خريجو المدارس الثانوية فى الدخول سنة واحدة إلى الكلية الطبية العراقية بغية تقوية ثقافتهم باللغة الانكليزية . وقد عرض هذا الاقتراح على سعادة الدكتور السيد هاشم الوترى عميد الكلية فعارضه نظراً لاعتزامه تغيير لغة الدراسة فى الكلية المذكورة وجعلها باللغة العربية أسوة بالكلية الطبية فى دمشق التى لا يدرس طلابها العلوم إلا باللغة العربية

وقد رفع العميد إلى الجهات المختصة مقترحات بهذا الصدد. ولا ريب أن هذا العزم لو تحقق سيكون للكلية الطبية العربية شأن كبير الأثر فى خدمة الطب فى هذه البلاد نظراً لما فى ذلك من بعث المصطلحات الطبية التى كان يستعملها أطباء العرب الأقدمون

الى الأستاذ الكبير العقاد

بمناسبة البحث القيم الذى تعالجونه على صفحات الرسالة الغراء ، أرجو التبسط والإفاضة فيما يأتى :

١) هل تؤمنون بمقاييس الجمال التى تعتمد أول ما تعتمد على الأرقام ؟

٢) أيتوقف تذوّق الجمال على مقدار التحضّر والتثقف ، أم هو فن كالشعر ... يتوقف على الالهام والمواهب الطبيعية ؟

٣) وعلى ذلك . هل يعجز امرؤ القيس وهو ذلك الفنان البارع ، ذو الخيال الوثاب الذى استطاع أن يتذوق جمال الطبيعة، ويترجم عنها فى قصائده عن « رسم مثال للأنوثة موافق لمعانى الجمال بمعزل عن المتمة لتخلف الأوان ... »

٤) وهل لتخلف الأوان دخل فى تقدير الجمال ؟ وإذا كان كذلك ، فما بالنا نرى تمثال « ڤينوس » مع تخلف أوانه رمزاً ومقياساً لمعاهد الجمال فى العصر الحديث ؟

« القنايات » عبد المنعم على

صناعة السيللوز من دوالى العنب

وصل المهندس الكيميائى فالانيى بعد تجارب عدة إلى اكتشاف طريقة لاستخراج السيللوز من دوالى العنب المستعملة فى إنتاج الورق والحرير الصناعى ، وهذا الاكتشاف يساعد مساعدة كبرى على الوصول إلى الاستقلال الاقتصادى بينما يسمح بتشغيل الأيدى العاملة القروية والصناعية

تضامن وتوائق

قال الأستاذ الجارم بك فى بعض محاضراته عن الأخطاء الشائعة فى اللغة العربية التى ألقاها بواسطة الاذاعة اللاسلكية إن كلمة (تضامن) فشت فشوا عظيما فى هذا العصر وليست موجودة فى لغة العرب ثم استبدل بها كلمة (توائق) واستشهد بقول كعب بن زهير : (ليوفوا بما كانوا عليه تواثقوا) ولكن كلمة توائق لا تحل محل كلمة تضامن خصوصاً فى هذا العصر لما حملها القضاء من معنى مختلف جداً عن (تضامن) لأننا إذا قلنا توائق سعيد مع حليم على تنفيذ هذا العمل أردنا بأنهما تعاهدا فيما بينهما والتزم كلاهما بتنفيذ شروطه التى تخصه؛ وأما إذا قلنا يقر سعيد بأنه ضامن متضامن مع حليم فى دفع هذا المبلغ أردنا بأنهما سيلزمان بدفع المبلغ معاً أو سيدفعه حليم وحده إذا لم يتوقف

فاذاً كلمة التوائق تفيد القيام بتنفيذ الالتزامات وكلمة التضامن تفيد كفالة شخص ما فى دفع ما عليه أو الدفع معه أو الدفع محله.

فالفرق إذاً بعيد بين الكلمتين ولن تغنى إحداهما عن الأخرى شيئا .

ولن نستطيع أن ننبذ اليوم كلمة التضامن بعد ما أصبح لها من معنى خطير فى القضاء . وليس يضير العربية إذا لم تكن هذه الكلمة موجودة فى كتبها ومعاجمها وأوجدناها نحن للفائدة الضرورية على القياس الصحيح. وقد ذكر الأستاذ فى المحاضرات التالية ألفاظا أجراها على القياس ولم تكن موجودة فى العربية ككلمة (عبّ) فى قصيدة المتنبى البائية الخ ...

فهل من كلمة عربية صحيحة تفيد المعنى المطلوب وتغنى عن تضامن؟

ه . م . ب



الظاهر بيبرس
وحضارة مصر فى عهده (*)

تأليف الأستاذ جمال الدين سرور
للأديب حسن حبشى

تُرى إلى أى مدى بلغ اهتمامنا بتاريخنا القومى ... ؟ خطر ببالى هذا السؤال وأنا أتصفح هذا الكتاب الذى حاول فيه مؤلفه الشاب أن يرسم صورة لمصر فى تاريخ مصر له قيمته من الناحيتين القومية والدينية . ومما يسترعى انتباه المتتبعين للدراسات العالية هو انصراف أكثر الباحثين إلى نواح خاصة من التاريخ والأدب انصرافاً كلياً ، على حين أن هناك نواحى فى كلا هذين الفرعين لما تزل بكراً ، ومن ثم كان اهتمام الأستاذ جمال الدين سرور بتناول هذه الناحية أمراً يشكر عليه ، فلقد خصص من حياته الجامعية عامين لدراسة عصر الظاهر بيبرس ، فخرج بهذا الكتاب القيم الذى منحته كلية الآداب من أجله درجة « أستاذ فى الآداب »

إن كلا من الظاهر بيبرس وعصره موضوع جديد يتطلب من الباحث الرجوع إلى كثير من المخطوطات ، ومرجع ذلك قلة من يعنيهم تناول تاريخ مصر بعد القرن التاسع الهجرى تقريباً ، بل وقبل ذلك بكثير ، حتى ليخيل إلى الكثيرين أن مصر كانت تعيش طوال هذه الفترة على هامش الحوادث السياسية فى العالم الاسلامى ، على حين يتراءى العكس لمن يتعمق بعض الشىء فى دراسة ظواهر هذا العصر ... لقد كان العصر الطولونى فى مصر ، فهل كان فى تاريخ أمة من أمم الشرق حينئذ ما يبزه من الناحية الاجتماعية أو السياسية ؟ لقد آثرنا هذا العصر بالذات لدلالته على حيوية مصر في زمن كانت الدولة العباسية لا تزال فيه على جانب شديد من البطش والقوة . وتوالت على مصر بعد ذلك عهود لدول مختلفة كان موقف مصر فى أثنائها كلها فى صلتها بالخلافة العباسية موقف الند للند ، لا التابع للمتبوع

ومن العصور الطريفة فى تاريخ مصر عصر الأيوبيين ثم المماليك ، لما امتازت به هذه الفترة فى الشرق والغرب بأنها كانت عصر تلاحم دينى تعدى حدود الجدل إلى امتشاق الحسام فكانت الحروب الصليبية التى ظلت زمناً طويلا أهرق فيه من الدماء ما يدعونا لتسميتها بالمجازر البشرية

وفى أوائل عهد الدولة المملوكية كانت الخلافة العباسية مشرفة على الدمار ، فلقد ظهر المغول فى فارس ، وتقدموا شطر أطراف الدولة ينتقصون منها شيئاً فشيئاً فدمروا مملكة خوارزم شاه وحملوا الدمار والهلاك ، وكانوا يضمرون من الشر للاسلام ما تنبئ عنه محالفاتهم الكثيرة مع البابوات وملوك أوربا لهدم الحنيفة السمحاء . وتم للمغول بعض ما أرادوه ، فأزالوا الخلافة من بغداد ثم تحولوا شطر مصر ، وكانت — كما هى اليوم — معقل الاسلام ، فأخذت حملاتهم تنقض على أطرافها من جهة الشام ، ولكن قيض الله للاسلام إذ ذاك هذه الدولة الفتية المملوكية فوجد رجالها فى محاربة التتر ما يتفق وما نشأوا عليه من الفروسية . والعجيب فى أمر هذه الدولة الناشئة أنها استطاعت أن تصد عادية قوم وطأوا أرض أوربة وأشرفوا على سهول المجر ، وقضوا على الدولة الخوارزمية والخلافة فى بغداد

وكان من رجال المماليك الظاهر بيبرس ، فوجه جهوده بعد أخذه مقاليد الحكم بعد قطز إلى صد التتر فهزمهم عند البيرة كما هزمهم من قبل عند عين جالوت . والواقع أن ما بذله بيبرس من صدهم ونجاحه فى هزيمتهم قد مكن لهيبة مصر فى العالم الغربى حيث كانت الدول المسيحية تترقب الفرصة للانقضاض على مصر التى اضطلعت بأعباء السياسة ومواجهة العالم الغربى . كذلك خافه أمراء البيت الأيوبى لهزيمته قوماً كان يظن

(*) طبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٨ فى ١٨٠ صفحة من الحجم الكبير

محاضرات اسلاميـــة

تأليف الأستاذ عبد الرحمن الجديلي
بقلم الأستاذ إسماعيل السعداوى

ألقى الأديب المعروف، الأستاذ عبد الرحمن الجديلي، السكرتير للمرحوم سعد باشا، على العالم العربى، من مذياع مصر، هذه المحاضرات التى طبعت جماعة الوعظ والدعوة الاسلامية الجزء الأول منها، وضمنته عشرين محاضرة

والأستاذ الجديلي، ربيب ثورة مصر الأدبية والسياسية. ضمه قائدها العظيم سعد إلى خاصته، وألقى إليه بأسراره وتدوين أفكاره، لما رأى أن تياره الأدبي والفكرى، يتفق وما يشتهى فى المثل القوى للشباب المصرى الجديد

ومكث فى معهد سعد ما مكث، أبصر ما يكون شاب بطريق الحياة لقومه، والسعادة لوطنه. وكثيراً ما كانت تدفعه روحه القوية للعمل فى الميدان الأدبى، فيظهر لأدبه طابع خاص، تبدو على جوانبه ثورة الشباب الدائب، فى ثروة الأدب الشاب الذى يمد المشاعر والأفكار بما يعوزها من تصور وتصوير

ثم هو — قبل ذلك — قد نشأ نشأة دينية، بين مدارج الأزهر الشريف، ومدارج القضاء الشرعى، حين أزهرت نبت الأستاذ المجدد الشيخ محمد عبده. فتضافر المهدان — الأزهر والقضاء الشرعى — على تكوينه، وتكاتفت الثورتان — ثورة الامام وثورة سعد — على تكوينه، فجاء وكأنما دعت إلى وجوده ضرورة من دين، ونزعة من أدب، وحاجة من قصص، وداع من ثقافة عالية سامية.

سمعناه من المذياع، ورأيناه بين صفحات الكتاب، وسمعنا عنه شيئاما، فكان — فى ذلك كله — سبيكة واحدة، مزتها الأحداث الحارة بالصقل واللمعان.

وقد نسج محاضراته من رفيع الأدب، وعالى المثل، وقويم النظريات، وروح الاسلام. وجعلها فى ثوب قصصي شائق. يغرى الآذان بالانصات، والنفوس بالاعجاب

وأكثر ما يغرى بها — تعرضها لما بين السلف والخلف من خلاف على الذوق، والخلق، وفهم الحياة، ومعنى استخدامها الانسان، واستخدام الانسان إياها. فهى تحكم الحكم الفصل الذى لا يدع ضغينة ولا حفيظة بين الجميع، وتستخدم المنطق والواقع فى استدلالها، وتدعو إليه حتى تهتز لدعوتها الأفكار والألباب فاذا هى إيمان ويقين.

فاذا دعونا إلى تأثره فى الخطى، وتتبعه فى الانتاج الدينى الأدبى، فلأنه — حقا — جدير بذلك، وبما هو فوق ذلك

اسماعيل السعداوى

أن لن يستطيع أحد ما خضد شوكتهم. كذلك قضى على طائفة الحشيشيين فى بلاد الشام، وكانوا شوكة تقض مضجع ملوك المسلمين وتهدد الاسلام. ولقد عرض الأستاذ جمال الدين سرور لهذه النواحى فى شئ من الاسهاب والتفصيل، وإن لم يكن ذلك بالكثير من أجل تاريخ حياة رجل أمد الاسلام بقوة، بعد أن كان مهدداً بالزوال أو الضعف الذى لم تكن ترجى بعده قوة له

كذلك تناول المؤلف الحضارة المصرية فى عهده، فجاء بصورة مشرقة النواحى، تختلج الحياة بين سطورها، وتلتمع الفكرة الرشيدة والغاية النبيلة فى النتائج التى جاءت بهما هذه الحضارة من الاهتمام بالجيش والبحرية والرخاء المادى. ولو أننى حاولت فى هـذا المقال أن أحلل ما تناوله الأستاذ سرور من أوجه الحضارة المادية والأدبية لضاق النطاق، وإن كان فصله عن الحياة العلمية والأدبية (١٥٨ — ١٦٤) فيه شيء من الجدة والرونق، ولكن حسب القارئ أن يطالع بنفسه عرضه الوافي الممتع لضروب هذه الحضارة المختلفة، حتى يقف بنفسه على مدى الجهد الذى بذله المؤلف فى هـذا السبيل. غير أنى آخذ على الصديق سرور عدم دراسته للحياة الشعبية، فذلك بحث لا يخلو من طرافة وجدة، وما كان أولاه أن يخصص من أجل هذه الناحية فصلاً، فما أسمى النواحى التى تناولها إلا « بالحياة العليا »

وبعد فان مؤلف هذا الكتاب جدير بأن يتابع دراسته فى هذه الناحية العظيمة المجهولة

حسن حبشى



السينما المحلية

أجنحة الصحراء

أول أفلام الأستاذ أحمد سالم

نشطت حركة السينما المحلية في السنوات الثلاث الأخيرة نشاطاً يدعو إلى السرور والاغتباط . ولا ريب في أن السينما المحلية ربحت ربحاً كبيراً ببقاء الأستاذ أحمد سالم في ميدانها بعد استقالته من استوديو مصر . فهو شاب مقدام وطموح ، تواق إلى العمل

دخل الأستاذ أحمد سالم الميدان السينمائي مزوداً بكل ما ينبغي أن يتزود به مخرج ومنتج سينمائي ، ولا نزاع في أن الأفلام التي أخرجها استوديو مصر في العامين الأخيرين قد أكسبه الاشراف عليها خبرة ومراناً عملياً تاماً . وما دمنا في معرض الحديث عن الأستاذ سالم فلنقل إن (أفلام الطيران الحربي وحياة الطيارين) هي (مودة) الموسم القادم في أمريكا وأوروبا ، وأول فلم يفتتح به سالم حياته كمخرج ومنتج مستقل هو : (أجنحة) الصحراء . والفلم كله (طيران) وبطله ضابط طيار . . . وفي هذا الاختيار ما يدل على تنبهه لآخر (الموادت) في عالم السينما !

والقصة من تأليفه، وموضوعها - كما قدمنا - جديد مبتكر ، وخلاصته أن ابناً لأحد كبار الذوات في مصر خطب ابنة عمه وهو طالب طيران في الكلية الحربية . ولما تخرج ضابطاً عين في (مرسى مطروح) ، وبعد مدة قضاها هناك عاد إلى القاهرة بطائرته وفيها التقى بعمه وطلب إليه الاسراع بتأثيث المنزل الجديد حتى يستطيع حمل الأثاث إلى مقر وظيفته وحتى يستطيع اجراء حفلة الزفاف قبل انتهاء الأجازة . وفي ذات يوم يكون (الضابط) جالساً في المطار هو وخطيبته فتهبط في المطار طائرة أخرى يملكها ابن أحد الأغنياء الذين لا عمل لهم إلا قضاء الوقت في النزهات والرحلات على متن الهواء . . . وتصاب الطائرة بعطب أثناء نزولها فيخف (الضابط) إلى نجدتها ، وبعد أن يتم له ذلك يحدث بينه هو وخطيبته ، وبين ركاب الطائرة ، تعارف قوي . . .

ومن بين ركاب الطائرة (صديقة) لذلك الشاب الوارث ، من بنات الهوى ، ترى الضابط ومعه خطيبته ، فتشمل بقلبها نيران غيرة عمياء ، وتنوي على الفور إفساد ما بينهما واقتناص ذلك الضابط الوجيه لنفسها . . . فتنتهز فرصة غياب (الخطيبة) وتظل تغري الضابط حتى تستميله إليها وتعده بالنزوح معه إلى مرسى مطروح إذا هو تزوجها . . وتعود الخطيبة فيقول لها الضابط إنه قد رأى عدم إتمام الزواج بعد تفكير كثير ، وتحار الخطيبة بادئ الأمر ولكنها تعود فتتغلب عليها عاطفة (الحبيبة) المخلصة فتضحي بسعادتها وتزور على نفسها رأياً ليس لها ، وتعود إلى أبيها فتقول له إنها قررت بعد تفكير عدم إتمام الزواج . . . ويلح عليها والدها في معرفة السبب فتقول له إنها رأت أخيراً أنها لا تحبه . . . وأنها تشعر بأنها لن تكون سعيدة معه . وتذهب بنت الهوى مع الطيار في طائرته إلى مرسى مطروح ولكن عيشة تلك الجهات الحربية الصحراوية لا تروقها ، ولا تمضي بها شهور حتى تكون قد شعرت بأنها سجينة ، وساعد على نمو هذا الشعور في نفسها أن زوجها كان كثير المهام الرسمية فلم يكن يجد عنده الوقت الكافي لمرافقتها في نزهتها

وبمناسبة أحد الأعياد الأفرنجية تقضي العادة أن تقام حفلة راقصة في (استراحة) المدينة . فانتهزها الطيار فرصة وأسر في نفسه أن يصطحب زوجته معه في تلك الليلة إلى المرقص ، لتبهج نفسها ، ولترقص ، وليغشى بصرها بصيص من نور الحياة الأوروبية التي حرمتها مرة واحدة . وإنه لكذلك إذا باشارة مستعجلة يتسلمها الضابط وكان قد اختير رئيس فرقة لمهارته وذكائه ، يأمره فيها القائد العام بالذهاب إلى جهة بعيدة بأقصى سرعة مستطاعة . وإذ كان الضابط لا يعرف نفسه وزوجه قبل أن يعرف واجبه ، أسرع إلى طائرته بعد ما أفضى إلى زوجته بجلية الأمر ، وانطلق على بركة الله وفي سبيل الواجب . . .

في نفس تلك السويعات يصل إلى مرسى مطروح ابن الذوات

الذى كان الضابط قد أنقذه . وكان طبيعياً أن يفكر – أول ما يفكر – فى زيارة منزل الضابط الذى أنقذه والذى توشجت بينه وبينه عرى صداقة وثيقة، ويذهب إلى المنزل فلا يجد الضابط ويجد زوجته ، فلا تكاد تراه ولا يكاد يدعوها للذهاب معه إلى الليلة الراقصة ، ويفهمها أنه جاء من مصر إلى مرسى مطروح ليرقص فى هذه الليلة حتى تستجيب لدعوته ، وترافقه إلى الاستراحة حيث البهجة والرقص . ومعلوم أن صداقتها القديمة له لابد أن يكون لها أثرها فى موقفهما الشيطانى اللمين

وترقص الزوجة ، وتمعن فى الرقص ، وتشرب وتسرف فى الشراب ، وتمجن وتذهب فى المجون إلى آخر الشوط . ويرى ذلك (القومندان) رئيس زوجها الذى يعرف فيه الشرف والاستقامة ، فتثور ثائرته ويغار على شرف مرؤوسه ، ولكنه لا يجرؤ على أن يفعل شيئاً آنذاك فى العلن وعلى ملأ من الناس، ويرى زملاء الطيار ما انزلقت إليه زوجة زميلهم ، فيسخطون ويتذمرون . حتى إذا انتهت الليلة عادت الزوجة إلى منزلها بعد أن اتفقت مع (صديقها القديم) على الهرب... ويلحق (القومندان) بها ويؤنبها على سلوكها ويفهمها كل ما صدر عنها مما لا يصدر عادة عن الحرائر الكريمات ، ولكنها تهزأ بتأنيبه ولا تسمع لقوله فيخرج وقد صمم على الافضاء إلى زوجها بكل شىء ...

ولا يكاد (القومندان) يوليها ظهره حتى تجمع ملابسها فى حقيبة وتسرع فتلحق بصديقها وتتحرك بهما الطائرة فى طريقها إلى مصر ... ولكن الطائرة لا تصل إلى مصر إذ يصيبها حادث فتفقد توازنها وتهوى براكبيها فى جهة غير صالحة لنزول الطائرات

وكانت إدارة مطار القاهرة تنتظر وصول الطائرة ، فلما لم تحضر فى الموعد أبلغت الأمر إلى جهات الاختصاص ، وجرى البحث عنها دون جدوى ، ويقر رأى الجميع على أنه ليس لانقاذ هذه الطائرة والبحث عنها إلا ضابطنا البطل ... ولكنه يرفض أن يقوم للمرة الثانية بانقاذ اثنين خاناه وعبثا بشرفه ... وأخيراً يصله خطاب من ابنة عمه وخطيبته السابقة – بعد أن تكون قد عرفت كل شىء من الصحف – تمرض عليه حبها من جديد وتطلب إليه أن يقوم بانقاذ الطائرة المفقودة ... ويفعل الطيار ذلك ، وفى عودته يصاب بحادث من فرط ألمه ، بعد أن تكون زوجته قد اعترفت له بأنها هربت ولكنها لم تعبث بشرفه قط ، وإن هربها إنما هو لسبب أنها تعيش معه عيشة لم تخلق لها ... ولا يصحو فى المستشفى إلا وابنة عمه إلى جوار رأسه ويستيقظ وزوجته القادمة تداعب شعره وتقبله قبلة الحب والتضحية

اخبــار سينمائية ومسرحية

فيلم أم كلثوم الجديد



عرض الأستاذ رامى على الآنسة أم كلثوم مسودة روايتها السينمائية القادمة مع ألحان هذه الرواية . وقد فهمنا أن الآنسة قبلت الرواية وبدأت مراجعتها هى و (مجلس مستشاريها الفنى) لادخال التعديلات اللازمة عليها فى الحوادث وبعض عبارات الأغانى لا فى الرواية طبعاً !

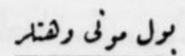
عودة عبد الوهاب



يعود الأستاذ محمد عبد الوهاب إلى مصر فى الأسبوع الأول من الشهر القادم ويبدأ العمل مباشرة فى فيلمه الجديد الذى وضع قصته الأستاذ محمود بك تيمور ، والسيناريو الأستاذ محمد كريم . والذى علمناه حتى الآن أن الرواية من نوع جديد ، وسيفاجأ الجمهور بابتكارات جديدة فى الاخراج واختيار ممثلى الأدوار المختلفة

عودة فالنتينو

بمناسبة الذكرى السنوية للنجم الشهير ردولف فالنتينو ، عرضت بعض دور السينما فى أوربا وأمريكا بعض رواياته الصامتة . وقد دل الاقبال الهائل الذى صادفته هذه الأفلام – رغم مرور خمسة عشر عاماً على عملها – على أن الفقيد فالنتينو لم يفقد شيئاً من مكانته فى قلوب العذارى على الأقل



بول مونى وهتلر

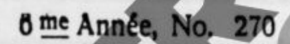


يقرأ (بول موني) مسرحية الكاتب الشهير (أرنست تولر) عن (هتلر) تمهيداً لقيامه بتمثيلها على المسرح وإذا عزم على تمثيلها فشركة إخوان وارنر هى التى تتولى الاتفاق على إخراجها

عودة شيهان الى المتروجولدوين

عاد المخرج المعروف (ونفيلد شيهان) إلى العمل كمخرج فى استديوات المتروجولدوين ماير وذلك أثر استقالته من رئاسة الاخراج فى شركة فوكس. وقد بدأ إخراج فيلم تدور حوادثه فى أحد ميادين سباق الخيل





8 me Année, No. 270

Lundi - 5 - 9 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة

ص

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع عبد العزيز رقم ٣٦

العتبة الخضراء — القاهرة

ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العـــدد ٢٧٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٠ رجب سنة ١٣٥٧ — ٥ سبتمبر سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

حاشـــية على التفريع

للأستاذ عباس محمود العقاد

إذا كان الجسم الجميل هو الجسم الذى ليس به فضول ، فما هو الفضول الذى يعيب الأجسام ؟

الفضول فى تعريف عاجل هو الزيادة عن الحاجة . ونعود فنسأل : ما هى الحاجة ؟ إن الجسم قد يحتاج إلى الصحة ، وقد يحتاج إلى الحركة ، وقد يحتاج إلى الظهور ، وقد يحتاج إلى الخفاء ، فكيف نعرف الحاجة التى يتعلق بها الفضول ثم يتعلق بها النظر إلى الجمال ؟

نقول فى تعريف عاجل أيضاً : إن الحاجة هى إنجاز « الوظيفة الحية » فى تكوين الأحياء

فالزرافة لها عنق طويل لا نستقبحه إذا رأينا هذا الحيوان ، ولكننا لو رأينا عنق الزرافة على جسم حصان لقلنا إنه حصان قبيح مشوه مختل التكوين ؛ والتشويه والجمال ضدان لا يجتمعان

يسأل سائل فيقول : إذن يرجع الجمال إلى المنفعة ؟ إذن نستطيع أن نقول إن العضو الجميل هو العضو النافع على وجه من الوجوه ؟

ونسرع فنقول : لا . إن الجسم النافع ليس هو الجسم الجميل فى جميع الأحوال ، بدليل أن هناك حيواناً أجمل من حيوان ،

فلماذا يكون الحصان مثلا أجمل من الزرافة أو تكون الهرة مثلا أجمل من الفار إذا كان المرجع في نظر الجمال إلى منفعة الأعضاء ؟

كل عضو في حيوان فهو نافع لذلك الحيوان ، وعنق الزرافة نافع لها لأنها حيوان يعيش في الغابة ويختار من لطائف الشجر كل ما ارتفع في الأغصان . ولكن لماذا كان عنق الحصان أجمل من عنق الزرافة ؟ ولماذا كان الحصان في جملته أجمل من الزرافة في جملتها ، وكانت حركة الحصان أجمل من حركة الزرافة في السرعة أو المهل ؟

ذلك أن مرجع الأمر في نظر الجمال إلى شيء غير المنفعة للحيوان أو لمن يستخدم ذلك الحيوان

مرجع الأمر إلى الحرية كما بينا في مقالات كثيرة سبقنا بنشرها قبل سنوات

فكلما كان الجسم أقل ضرورة وأكثر حرية كان أقرب بذلك إلى الجمال ؛ وعنق الزرافة يقيدها بالغابة ، وليس هذا هو الشأن في عنق الحصان فانه لا يقيده بمكان . فهو من ثم أجمل من الزرافة في هذا الاعتبار

وإنما نرجع إلى « الوظيفة الحية » لنعلم أن الطول أو القصر في جزء من أجزاء الحيوان ليس بطول تشويه ولا بقصر تشويه ، لأن التشويه والجمال لا يتفقان

فأنت إذا رأيت عنقا طويلا على كتفي زرافة لم تحسب أنها زرافة شائهة أو زرافة ممسوخة ؛ ولم يمنعك إذن مانع التشويه أن تحسبها « زرافة جميلة »

أما إذا رأيت هذا العنق كما هو على كتفي غزال ، فانك معتقد فيه المسخ والتشويه على البديهة ؛ ومعتقد من ثم أنه لن يكون على شيء من الجمال ، بل هو نقيض الجمال

* * *

على هذا المعنى كان جسم الرجل أجمل من جسم المرأة ، وإن صعب فهم هذا على بعض الأذواق التي تنساق بالغريزة إلى الغريزة ، دون النظر إلى جمال المعاني وجمال الأوضاع

فمن رأى جسم المرأة رأى لأول وهلة أنه جسم ملحوظ فيه ضرورات كثيرة ، وأنه منظور فيه إلى مخلوق آخر غير صاحبة الجسم التي لا تحتاج إلى ذلك التركيب ؛ وهذا المخلوق الآخر هو إما الجنين الذي تحمله في أحشائها ، وإما الرجل الذي ينظر إليها نظرة الاستحسان

فاذا قلنا إن العضو الجميل هو عضو يحمل نفسه ويخيل إليك أنه غير محمول على سواه فالمرأة كلها محمولة على تركيب حيوان آخر منعزل عنها ، ولا بد أن يجور على ما في تركيبها من معاني الجمال العليا

فيلاحظ في أغلب أجسام النساء طول الجذع واتساع المسافة بين الحرقفتين ، وإنما يوجب ذلك أنها في حاجة إلى مكان الجنين ومكان خروجه بعد تمام حمله ؛ وقل مثل ذلك في النهدين والثديين ، أو قل شبيها بذلك في ضيق الكتفين ؛ فان قصر الكتف وضعفها لا يضيرانها في إنجاز وظائفها ، فهي على هذا المعنى تنجز وظيفتها بزيادة في مواضع ونقص في مواضع أخرى منظور فيها جميعا إلى تركيب خارج عن تركيبها ؛ ولن يبلغ الجسم حد الجمال الأقصى ما دام جماله معلقا على شيء غيره ؛ وما دام ذلك الشيء أولى بالملاحظة والتقديم في بعض الأحوال

لهذا يصعب التوفيق بين ضرورات الوظائف الحية وبين معاني الجمال الطلق في جسم المرأة

فالمرأة التي يقصر جذعها ويضيق حوضها هي جسم جميل ؛ ولكنها قد تجور بجمالها على أمومتها

والتوفيق بين الأمرين من أندر الأمور ، في حين أن جسم الرجل لا يحتاج إلى صعوبة في التوفيق بين إنجاز شرائط الأبوة فيه وإنجاز شرائط الجمال

ومع ندرة التوفيق بين الشرطين في المرأة ، لاغنى عن التجوز والتسهل في كثير من الأحوال ، فأقصر النساء جذعاً وأضيقهن حوضاً وأكملهن أكتافاً لا يحمد منها أن تلوح كالرجل في تركيب هذه الأعضاء ؛ ولابد من التجوز والتسهل في بعض الزيادة على الردفين وبعض النقص على الكتفين ، وإلا كان ضمور الردفين ضموراً تاماً علامة تشويه لا علامة جمال ، إذ كان الأصل في المرأة أن لها وظيفة الحمل والولادة ، فاذا تجردت من هذه الوظيفة فهي مشوهة ، وإذا احتفظت بها ففي مرض ؛ ولاشك أن تكون عظام الردفين غير مكسوة باللحم الذي لابد منه لكل جسم صحيح سليم

* * *

وعلى هذا تكون المرأة جميلة ولا تكون قنطاراً واحداً لا زيادة عليه

تكون جميلة إذا قل فيها الفضول ولو زاد الوزن غاية ما يقدر له المزيد

وتكون مع ذلك « امرأة جميلة » وليست جميلة بمعانى الجمال على إطلاقها ؛ وهى كما أسلفنا القرب من الحرية والبعد من الضرورة ؛ وأن يكون الجسم معلقاً على نفسه غير معلق على شروط فى خارجه ، سواء صعبت أو سهلت فى التحصيل

ولابد من التجوز والتسهل على هذا الاعتبار فى حدود ماقدمناه

* * *

ويلحق بتفصيل ما قدمنا الجواب عن سؤال وجهه إلينا الأديب « عبد المنعم شلبى » يقول فيه :

« هل يعجز امرؤ القيس وهو ذلك الفنان البارع ذو الخيال الوثاب الذى استطاع أن يتذوق جمال الطبيعة ويترجم عنها فى قصائده عن رسم مثال للأنوثة موافق لمعانى الجمال بمعزل عن المتعة لتخلف الأوان ؟ وهل لتخلف الأوان دخل فى تقدير الجمال ؟ وإذا كان كذلك فما بالنا نرى تمثال فينوس مع تخلف أوانه رمزاً ومقياساً لمعاهد الجمال فى العصر الحديث ؟ »

والجواب أن أحيل الأديب صاحب السؤال إلى ما أسلفت عن سبب قصور امرئ القيس فى تعريف مقاييس الجمال ، فاننى لم أقل إنه يقصر فى هذا الباب لتخلف الأوان ثم سكت على ذلك؛ بل قلت إنه يقصر فيه « لتخلف الأوان وندرة الأسباب »

ومن الأسباب ولا جدال أن الأعراب فى البادية لم يصنعوا التماثيل كما صنعها اليونان الأقدمون أصحاب فينوس ، ولم يشغلوا عقولهم وأذواقهم وأخيلتهم بمطالب هذه الفنون ، وما تستتبعه من دراسة للأجسام ونظر فى تمثيل الأعضاء

وليذكر الأديب صاحب السؤال أن الله جل وعلا لم يغضب على المحدثين جميعاً لأنهم محدثون ، بل خلق فيهم أناساً وهبهم « الفن والخيال والبراعة وأتاح لهم أن يتذوقوا جمال الطبيعة » .. فاذا تساوى ما بينهم وبين امرىء القيس فى هذه الناحية فهناك زيادة العصر الحديث بل زياداته التى يضيق بها الحصر فى مذاهب الفنون والأذواق والعلوم والأرقام

عباس محمود العقاد

عود ثان

الدين والأخلاق

بين الجديد والقديم

لأحد أساطين الأدب الحديث

ليسمح الأستاذ الغمراوى أن نؤكد له أن حرية القول فى الأدب الأوربى ولا سيما الحديث منه ما كانت لتؤثر فى أدباء اللغة العربية بمقدار ما أثرت، وما كانت تحتذى بمقدار ما احتذيت، لولا أن أدباء اللغة العربية تأثروا قبل اطلاعهم على الأدب الأوربى بحرية القول فى الأدب العربى، ولا سيما المباسى وما يليه؛ فالشاب الذى يُحثُّ على قراءة دواوين العرب وكتب الأدب ويستوعبها لابد أن يحتذيها فى صراحتها . ألا ترى أن السيد توفيق البكرى والشيخ شريف رأيا أن الأبيات التى أشرنا إليها فى المقالات الماضية أشياء غير مستنكر شرحها وطبعها ؟ فإذا كان شيوخ الدين والتربية يتأثرون هذا الأدب اللغوى المكشوف تأثراً لا يشعرون به ، ويجعله مألوفاً ألفة تمنع الاستنكار ، فكيف لا يتأثره الشبان الذين لم تكن لهم سابقة الاشتغال بأمور الدين أو التربية، وربما اطلعوا عليه وهم فى سن المراهقة كما يفعل الفتيان والفتيات الذين يستعيرون كتب هذا الأدب من مكتبات مدارسهم. والقارئ المسن يستطيع أن يتذكر فورة شبابه أيام المراهقة ، ويستطيع أن يحكم كيف تؤثر قصائد ابن الرومى التى شرحها البكرى والشيخ شريف فى شهوة المراهق ، وكيف تؤثر الدواوين والكتب القديمة المشحونة بأمثال تلك القصائد . وانظر كيف يتغير نظر الشاب المراهق إلى اللائق وغير اللائق مما ينبغى أولا ينبغى الاطلاع عليه عندما يرى أن شيوخ الدين والتربية يعنون بشرح هذا الفحش ويطبعونه له ، وعندما يرى أن المدارس تحثه على قراءة الكتب التى طبع فيها وتؤنبه إذا لم يقرأها . ومعاذ الله أن نقول إن البكرى أو الشيخ شريف أرادا بالشبان والفتيات شراً، إنهما فعلا ما فعلا على قاعدة أن لاحياء فى اللغة وأدب اللغة، وأن الفن يراد للفن لا لما به من الفحش، كمن يستجيد مثلاصنعة

أبي نواس البيانية فى مجونه لا بسبب حبه للمجون بل لحبه للبيان والبديع . ولكن هل تلوم الشبان إذا تأثروا بهذا الأدب اللغوى المخالف للعرف والتقاليد والآداب والأخلاق الاسلامية وسن المراهقة له حوافز ودوافع ؟

وإذا قرأ الشاب بعد ذلك بعض مجون شاعر أوربي كمجون هنري هيني الشاعر الألماني (وهو كلا مجون إذا قيس بما فى كتب العرب) ألا يرى أن العالم كله الشرق والغربي يبجل هذا الأدب اللغوي ويعنى بشرحه وطبعه، وإنه إذاً لا ضير عليه من احتذائه؟ وإذا قرأ بعد ذلك قصة عشيق الليدى شاترلى وجد مجوناً كمجون الفحش العربي ولو أنه كتب بطريقة تحليلية علمية أرق بعض الرق من فحش ماجنى الدولة العباسية . ألا يرى القارئ أن تأثر الشاب بالأدب العربي مثل شعر بشار بن برد والحسن بن هانئ وغيرهما يسهل قبوله للأدب الأوربي الذي يشكو منه الأستاذ الغمراوى؟

لكن الأستاذ تجاهل تاريخ الأدب العربي القديم والحديث لكي يستطيع أن يبرهن على أن الأدب القديم غير مخالف للفضائل والآداب والأخلاق، وأن الأدب الجديد أو أدب المذهب الجديد مخالف للشهوات ومخالف للفضائل . والحقيقة أن هذا التقسيم غير حقيقى وغير منطقى ، فأدب المذهب القديم به ما يراعى الفضائل والأخلاق وبه مالا يراعيها ، وأدب المذهب الجديد أيضاً به ما يراعى الفضائل وبه مالا يراعيها سواء بسواء . فكان الأحجى بالأستاذ أن يقسم الأدب لا إلى مذهب قديم ومذهب جديد، بل إلى أدب فاضل وأدب إباحى فى الأخلاق، ثم ينتقد الأقوال لا الأدباء جملة، لأن كل أديب أو شاعر قد يكون له مايضمه الأستاذ فى القسم الأول، وقد يكون له ما يضمه فى القسم الثانى. أو لو أراد قصر مقاله على الرافعى لاستطاع أن يقول إن كل أدبه من أدب الفضائل من غير أن يتجاهل تاريخ أدب اللغة كله، ومن غير أن يحكم حكمين كل منهما جائر لما فيهما من التعميم الذى يخالف طبيعة العلماء أمثال الأستاذ، فان العلماء الباحثين ولا سيما علماء الكيمياء والطبيعة يتحرجون من إصدار أحكام عامة بسبب شواهد خاصة معدودة، فلا يقولون إن أدب المذهب القديم هو أدب الفضائل، وإن أدب المذهب الجديد هو أدب الرذائل على وجه التعميم

لكن الأستاذ الغمراوى عالم ، فلا بد أن فطنته وبحثه قد أوصلاه إلى حقيقة أراد أن يفسرها فبالغ فى تفسيرها واشتط وأصدر هذه الأحكام العامة . ومن أجل أن نتتبع تفكير الأستاذ ينبغى أن ننظر إلى الفرق الحقيقى فى أدب المذهب القديم وأدب المذهب الجديد من حيث الروح . إن الأدب القديم وصل فى عهده الأخير إلى أدب احتذاء لا أدب اجتهاد، ونعنى بالاجتهاد الاصطلاح الفقهى لا المعنى اللغوى ، فان نصيبه من الاجتهاد كبير إذا أريد المعنى اللغوى للاجتهاد. وهذا هو الفرق الحقيقى بين اجتهاد أدباء المذهب القديم واجتهاد أدباء المذهب الجديد؛ فالمذهب الجديد يريد بحث النفس وعواطفها وشرائعها وسننها ، لا قصر البحث على شهواتها، ولا رغبة فى إطلاق هذه الشهوات من عقالها كما يقول الأستاذ . فبحث النفس يقتضى بحث جانب الايمان منها كما يقتضى بحث جانب الشك؛ ولكنه الشك الذى يبيده الايمان، وهو الشك الذى يبحث عن أمل للانسانية فى هذه الحياة وبعد هذه الحياة ، والذى يحاول أن يداوى شرور الحياة ما استطاع الانسان ذلك. وهذا الشك لا يستقيم لمن كان قلبه غير عامر بالايمان؛ والشاعر لا يكون شاعراً إلا بمثل هذا الايمان الملح المنيف الذى يريد أن يزكي نفسه. وهذا أول أسباب سوء الظن بهذا المذهب. وثانيها أن الاجتهاد شبه الفقهى فى تفسير الحياة وعوامل النفس قد يشط أحياناً. وقد أقفل باب الاجتهاد في الفقه ولكن باب الاجتهاد فى الفقه النفسى والفكرى لم يقفله المذهب الجديد. فخصائص المذهب الجديد الروحية هذه أى الرغبة فى بحث جوانب النفس والحياة واستئناف اجتهاد الفقه الفكرى والروحى هى خصائص قد يشط معها الأديب فى بعض الأحايين، ويكون شططه فى عهد الصبا أكثر، إذ تكون خبرته قليلة واندفاعه عظيما . ثم إن بعض الأدباء قد تشط بهم هذه الخصائص دائما شططا بعيداً؛ ومن أجل ذلك ليس من الحق أن نسلك جميع الأدباء فى نظام واحد. ألا ترى أن الأدب الأوربي الحديث يشمل نزعات مختلفة كل الاختلاف منها ما يحدث صلة بينه، وبين الأدب الأوروبى فى العصور السابقة ، ومنها ما ينأى به عنها ؟ فحكم الأستاذ الغمراوى على المذهب الجديد كمن يحكم حكماً عامًّا واحداً على الأدب الأوربى الحديث على اختلاف نزعاته الذى يشبه اختلاف نزعات الأدب المصرى الجديد من أجل أن أساس تلك النزعات واحد

وهو بحث التجارب النفسية والفكرية ؛ فمن الأدباء من يبحثها على طريقة المعري ، ومنهم من يبحثها على طريقة شكسبير ، ومنهم من يبحثها على طريقة أدباء الرمزية ... الخ . وكما أنه ليس من الحق أن يحكم الأستاذ حكماً عامًّا على أدباء المذهب القديم (وبينهم تفاوت فى الروح)، ولا من الحق أن يحكم حكماً عامًّا على أدباء الأدب الجديد، فليس من الحق أن يحكم حكماً عامًّا على الشاعر أو الأديب الواحد ، فان الشاعر نفس وللنفس مظاهر مختلفة تقتضى تفصيل الحكم عليها ما دام لا يحكم على قول أو عمل واحد، أو عليها فى حالة أو زمن خاص. وليس من الحق أيضا أن يُغْفِل الأستاذ أثر حرية القول فى الأدب العربى الذى شرحناه فى أول هذا المقال ، ولا من الحق ألا يرى أن حرية القول الناشئة من إطلاق الشاعر نفسه من القيود أثناء البحث شططا منه لم يأت بأشنع من الأمثلة التى ذكرناها للأستاذ من الأدب العربى، بل لعلها أقل شناعة؛ وهى على أى حال ليست من لوازم أى مذهب، فمثلها فى آداب العصور والأمم موجود، وواجب الناقد أن يميز بينها وبين الصالح من قول الأديب أو الشاعر . ومما يدل الأستاذ على أن الأدب المصرى الحديث خليط من القديم والجديد أن أحدهما يلقى زميله فيسأله هل أنت من أنصار المذهب القديم أم من أنصار المذهب الجديد ؟ كأن الحكم ليس لما يؤلفه الأديب من شعر أو نثر، وكأنما يصح أن يكتب الأديب على طريقة المذهب الجديد ويختار أن يعد من أنصار القديم أو العكس . لكن هذا السؤال له معنى وقيمة؛ إذ هو دليل على الحيرة من أجل أن أدب كل أديب خليط من مؤثرات الأدب العربى فى عصوره المختلفة والأدب الأوربى أيضاً؛ وإنما يختلف هذا الخليط عند كل واحد باختلاف مقادير عناصره. ومن الأسباب التى قد تدعو إلى سوء الظن بالأدب الجديد علاوة على ما ذكرنا، ما يقرأ منه أحياناً من سخر وتشاؤم، وقد يكون فيهما شطط؛ وقد يحسبان من قلة الإيمان، ولكنهما قد يكونان من الإيمان الحائر فى وجوه الكون والحياة الذى لم يوهب نعمة الاستقرار، وهى حالة تعرض لكثير من النفوس فلا يستطاع تجنب وصفها كل التجنب . وإذا نظر الأستاذ إلى ما ينشر فى الصحف والمجلات والكتب فى جميع الأقطار العربية من شعر ونثر وجد فى تباين أبواب القول الذى لم يترك جانباً من النفس والحياة لم يحاول نعته، ما يدل الأستاذ على أن هذا التنوع هو خصيصة الأدب الحديث، وهو يشمل ما يشكو منه الأستاذ، ولكنه أعم مما يشكو منه، وقد صار هذا التنوع فى الأدب وشموله بحث نزعات النفس وجوانب الحياة قاعدة عامة فى آداب العالم كله؛ ولا يمكن إعادة عقارب ساعة الزمن إلى ما كانت عليه فى الماضى للقضاء على ما يشكو منه الأستاذ. فاذا أراد أن يظفر بتطهير الأدب كان الأحجى به ألا يتعصب لقديم ولا لجديد ، وأن يأخذ من الجديد على تنوع أغراضه وأبوابه ما لا بد منه لإشباع مطالب النفس والفكر فى عصر تعددت فيه مطالبهما وأصبحت كمد النهر فى فيضانه ، وألا ينتقد هذا الأدب الجديد بالجملة كي يصيب سامعاً مجيباً إذا هو قصر نقده على ما فى هذا الأدب الجديد من شطط ، وأن يتخذ فى نقده هذا الشطط طريقة التحليل النفسى والالمام بأسبابه ونتائجه وشواهده على طريقة الطبيب المداوى بالتحليل النفسى ، وألا يقصر نقده على شطط الجديد من غير نظر إلى شطط القديم ، وقد أوضحنا أن حرية القول فى الأدب الجديد تمت بسبب إلى الأدب القديم سواء أكان ذلك فى الغزل والأمور النفسية أم فى الأمور المكربة ، وليطهر كتب الأدب القديم وعاداته المألوفة من مجون وشطط فكرى كما بينا

وإنى لأربأ ببصيرة الأستاذ وعقله أن يظن كما يظن بعض الناس أن إسقاط أديب أو أكثر من أديب من أدباء المذهب الجديد يقضى على هذا المذهب . ولو كان من المستطاع القضاء على كل ما قاله أدباء المذهب الجديد من شعر أو نثر — الجيد منهما وغير الجيد والمقبول ، وغير المقبول — فان هذا القضاء على ما قاله المعاصرون لا يقضى على الأدب الجديد، لأن أسبابه أعم وأكبر من أن تحسب من ابتكار أديب أو أكثر من أديب . وربما كان من الحكمة أيضاً ألا ينسى الأستاذ وهو الخبير بالنفس الانسانية أن بعض العداء الذى لاقاه المذهب الجديد من غير البرزين الفطاحل كان بسبب الاجادة المحمودة المأثورة المحسودة فى بعض هذا الأدب الجديد، وإن كان عداء البرزين الأفاضل أمثال الرافعى بسبب اختلاف حقيقى فى الرأى والروح (قارىء)

سهو

ذكرت سهوا أن أبيات ابن الرومي فى (كتاب صهاريج اللؤلؤ) والحقيقة أنها فى كتاب (فحول البلاغة) للمؤلف نفسه أى البكرى ولا يوجد شرح ولكنه اختارها هى وقصيدة (بوران) ولم يكتف عن اختيار المجون تحرجا . وكذلك لا يوجد شرح فى الأرجوزة الأخرى ولكن عدم التحرج ملحوظ أيضا

« ر »

بيجـــو *

للأستاذ عباس محمود العقاد

حُزناً على بيجُو تفيض الدموعْ
حزناً على بيجو تثور الضلوع
حزناً عليه جهــدَ ما أستطيع
وإن حزناً بعد ذاك الولوع
والله — يا بيجو — لَحُزْن وجيع

***

حزناً عليـــه كلما لاح لى
بالليل فى ناحيـــة المنزل
مُسـارى حيناً ومستقبلِى
وسابقى حيناً إلى مدخـــلى
كأنه يعــلم وقت الرجوع

***

وكلمـا داريت إحدى التحفْ
أخشى عليها من يديه التلف
ثم تنبهت وبى من أسف
ألّا يصيب اليوم منها الهدف
ذلك خير من فؤاد صــديع

***

حزناً عليـــــه كلما عزّنى
صِدْقُ ذوى الألباب والألسن
وكلمـا فوجئت فى مأمنى
وكلمـا اطمأننت فى مسكنى
مستغنياً ، أو غانيا بالقنوع

***

وكلما ناديته ناســـيا :
بيجو ! ولم أبصر به آتيا
مداعبـا ، مبتهجا ، صاغيا
قد أصبح البيت إذن خاويا
لا من صَدًى فيه ولا من سميع

نسيت ؟ لا . بل ليتنى قد نسيتْ
أحسبني ذاكرَه ما حييت
لو جاءنى نسيانه ما رضيت
بيجو مُعَزِّيَّ إذا ما أسِيت
بيجو مُناجيَّ الأمين الوديع

***

بيجو الذى أسمع قبل الصباح
بيجو الذي أرقب عند الرواح
بيجو الذى يزعجنى بالصياح
لو نبحةٌ منه ، وأين النباح ؟
ضيّعت فيها اليوم مالا يضيع

***

خطوته ... يا بَرْحَها من ألم !
يخدش بابى وهو ذاوى القدم
مستنجداً بى ... ويح ذاك البكم!
بنظـــرة أنطقَ من كل فم
يا طولَ ما ينظر !.. هذا فظيع !

***

نَمْ . لا أري النوم لعينى يطيبْ
أنتم خبيرون بنهش القلوب
يا آل قِطمــــير هواكم عجيب
غاب سَنًا عينيك عند الغروب
وتنقضى الدنيا ... ولا مِن طلوع

***

نَمْ واترك الأفواج يوم الأحدْ
والبحر طاغٍ ، والمدى لا يحدْ
عيناى في ذاك ، وهذا الجسد
بوحشة القلب الحزين انفرد
والليـل . والنجم . وشعب خليع !

***

أبكيك . أبكيك وقَلَّ الجزاء !
يا واهب الود بمحض السخاء
يكذب من قال : طعام وماء
لو صح هـذا ما محضتَ الوفاء
لغـائب عنك ... وطفـل رضيع

(*) قد يذكره بعض حضرات القراء من مقال سابق فى الرسالة

مائة صورة من الحياة

للأستاذ على الطنطاوى

٤ — وطنى

كنت عند صديق لى شاب ذكى ، نال شهادة البكالوريا ، فلم يطف بها على دواوين الحكومة يستجدى (وظيفة) ويسأل (الخزينة) حسنة ، كما يفعل كل شاب فى هذا البلد ، وإنما نزل إلى السوق ففتح للتجارة محلاً يعيش فيه سيداً عزيزاً ، على حين يعيش الموظفون مقيدين مسودين ، ويأكل خبزه بكسب يده على حين يأكله كثيرون بضمائرهم وأديانهم ، ويخدم أمته هادئاً صامتاً على حين يؤذى أمتهم كثيرون ، وهم يخطبون الخطب الوطنية ، ويملأون الدنيا كلاماً جميلاً ...

كنت عند هذا الصديق ، ومن دأبى أن أزوره كلما مللت العمل أو نزلت إلى البلد ، آنس به ، وأشرف من دكانه على الدنيا فأرى ما فيها ... فرأيت رجلاً يدخل عليه ، فيريه نماذج من البضائع يعرض عليه أن يكون وكيل معملها ، والمنفرد ببيعها لما سمع عنه من الثناء وماوصف له به من الذكاء والاستقامة ، ويخبره بالأثمان ، فيتهلل وجه صاحبي ، ويشرق فرحاً بهذه الأرباح التى سينالها ، ولكنه يتريث فيسأل الرجل أن يدع له البضاعة ويتركه ساعة يفكر ، ثم يعود إليه فيأخذ الجواب ...

فيمضي الرجل ، ويميل علىّ صاحبي فيسر إلى أن هذه الصفقة أجدى عليه من دكانه وما فيه ، فأهنئه وأتمنى له ما يتمني لصديقه الصديق ، ولكنه لا يلبث أن يقلب البضاعة فيملو وجهه الاشمئزاز ، ويبدو عليه الغضب . فأسأله : مالك يا صاحبي ؟

فقال : مالى ؟ إنها بضاعة صهيونية !

فقلت له : وماذا يعينك منها ؟ أنت تاجر ، فبع من شاء أن يشتري ولا تدعُ إليها أحداً

قال : معاذ الله ! أأنا عدو وطنى ودينى ؟ إنى تاجر ، ولكنى أعلم أن على التاجر أن يخدم أمته من الناحية التى أقامه الله فيها كما يخدمها المعلم والموظف والصحفى ... وخدمة الأمة بأن تقدم لها منفعة فى مالها أو أخلاقها أو أبنائها أو صحتها ، أو تدرأ عنها ضرراً . ليست خدمة الأمة بالجعجعة والصياح والخطب المدوّية والمقالات الطنانة ؟

قلت : وهذا الربح الذي وصفته لى أرضى بأن تدعه لغيرك ؟

قال : من أراد أن يأخذ جمرة من جهنم فليفعل . أما أنا فلا أريد ، سيغنيني الله عنه

* * *

ولقيته بعد أيام ، فقلت : ما فعل الله بتلك الوكالة ؟

قال : رفضتها فعرضوها على أهل السوق فقبلها منهم فلان !

قلت : رئيس لجنة مقاطعة البضائع الصهيونيه ؟

قال : نعم !

٥ — معصرة

كنت أسير فى (دوما) قصبة الغوطة الشرقية ، فرأيت شارعها الأعظم (الذى يشقها شق شارع الرشيد مدينة بغداد) رأيته يمضى مستقيما سوياً حتى إذا جاوز ثلثيها انحرف ذات اليمين وما ثمة مسجد يخشى عليه الهدم ، حتى ينحرف لأجله الشارع ولا أثر قيم ، ولا صخرة قائمة ، فعجبت وسألت صاحبي الذى كان يمشى معى

فقال : كان هنا فى سالف الدهر معصرة لوجيه من الوجهاء لم يقدر على هدمها ، فلوى من أجلها الشارع !

فقلت : هذه هى مصيبتنا ! ولو أنهامعصرة واحدة لاحتملت، ولكننا كلما خططنا فى الحياة طريقا مستقيما اعترضتنا (معصرة) لوجيه من الوجهاء . فكم من (معصرة) فى طريق القوانين والنظم ، وفى طريق العدالة والقضاء ؟

هل خلا طريق لنا من (معصرة) ؟ فتى تهدم هذه (المعاصر) ؟

« دمشق » على الطنطاوى

البحث عن غـــد

للكاتب الانكليزي روم لاندو
للأستاذ على حيدر الركابي

— ٣ —

الفجر في ســورية

سورية وفرنسا

لقد قبل أهل لبنان الانتداب الفرنسى بلا مقاومة عنيفة ، بينما بقى السوريون يعتبرونه حالة لا مبرر لها [١] . وقد عبروا عن كراهيتهم له بمقاومات مستمرة مشروعة وغير مشروعة . وكانت ثورة سنة ١٩٢٥ أبلغ هذه المقاومات أثراً ، ولم ينجح الفرنسيون فى قمعها إلا بعد عامين . وقد بدأت بعصيان قاده الزعيم الدرزى سلطان باشا الأطرش فى جبل الدروز الواقع فى الجنوب الشرقى من سورية . إلا أن هذا العصيان ما لبث أن توسع حتى عم البلاد كلها . وقد أدت هذه الثورة التى كانت سادس حركة تحريرية قام بها السوريون إلى ضرب الفرنسيين دمشق بالقنابل فى شهر اكتوبر سنة ١٩٢٥ إذ ضربت مدافعهم بعض أحياء المدينة كما ألحقت الضرر الجسيم بكثير من الأماكن ذات الأهمية التاريخية مثل « الطريق المسمى بالمستقيم [٢] »

وسار السوريون فى جهادهم للحصول على حقوقهم الطبيعية إلى أن منحهم الفرنسيون عام ١٩٣٠ رئيساً للجمهورية ووزارة دستورية ومجلساً نيابياً . على أن الدستور الجديد لم يقض على سلطة المندوب السامى الواسعة ، فهو ما زال يدير شئون سورية من مركزه فى بيروت ، كما أنه لم يخرج الجيش الفرنسى من البلاد . أما معاهدة سنة ١٩٣٦ التى ستوضع موضع التنفيذ بعد ثلاث سنوات من عقدها فهى تتعهد بمنح سورية استقلالها التام . والتحالف السورى الفرنسى بموجب هذه المعاهدة ليس مؤبداً كتحالف لبنان ، بل هو موقت بخمس وعشرين سنة

يوجد بين الأهلين فى مصر والعراق والسودان أناس يعترفون بفضل بريطانيا العظمى عليهم فى الماضى ، ولا يشعرون بكره نحو الأفراد البريطانيين . أما هنا فالعداوة بين السوريين والفرنسيين ذات صفة شخصية ؛ وهى ليست موجهة ضد الأفراد الفرنسيين فحسب ، بل إنها تتعداهم إلى أسرهم . وقد شرح لى أحد السوريين الشعور الذى يحمله أبناء وطنه بهذه العبارة : « إننى أحب فرنسا وأحترم الفرنسيين فى بلادهم ، ولكننى أكرههم فى بلادى التى باتت تئن من سوء إدارتهم »

إن أهم ما يتذمر منه السوريون هو أن فرنسا تسعى لجر المغانم المادية من وراء سورية . وهم يحملون الفرنسيين مسئولية تأخر سورية الاقتصادى منذ عام ١٩٢٠ ؛ وهم يتهمون موظفى فرنسا وجنودها باستعمال مراكزهم الرسمية لابتزاز المال . وقد قلت مرة لسورى : إن الرشوة وسوء الاستعمال هما عند الموظفين من التقاليد التى اشتهرت بها الادارة الوطنية . فأجاب : « من المحتمل أن تكون مصيباً فى ملاحظتك ؛ وأنا أؤكد لك أن الذين يؤمنون إيماناً صحيحاً بنزاهة موظفينا فى عهد الاستقلال الآتى هم قليلون ؛ ولكن إذا كان لا مفر لنا من الخيانة فاننا نفضل أن تذهب الرشوة إلى جيوب السوريين دون جيوب الأجانب فان صرفها فى بلادنا لأرجح من صرفها فى فرنسا »

ويقال إن هناك سبباً آخر ذا علاقة بالأخلاق يزيد فى موقف السوريين العدائى ؛ فالأسرة تلعب دوراً مهماً فى حياتهم ، والفساد الجنسى عندهم أقل مما هو عليه عند الأكثرية من جيرانهم العرب ، ولهذا فان معظم سكان سورية يعترضون بشدة على وجود الجنود الفرنسيين (الملونين) بينهم (French coloured troops) . إن بقاء الجند الأجنبى فى البلاد فى أيام السلم لابد أن يأتى بنتائج مضرة ، وخصوصاً إذا كانت جيوش الاحتلال منسوبة إلى أقوام يشتد عند أفرادها الميل الجنسى (highly sexed)

مشاكل وزعماء ومجاهدون

كنت أود الاطلاع على المشاكل التى سيكون لها أثر فى حياة

---

(١) لقد رفع المؤتمر السوري القومي إلى مؤتمر الصلح فى ٢ يوليه سنة ١٩١٩ مذكرة يقبل فيها بالدرجة الأولى حماية أمريكا لسورية على أن تأخذ شكل « مساعدة فنية واقتصادية » وبالدرجة الثانية حماية انجلترا إن لم تقبل أمريكا . أما فرنسا فقد أشارت إليها المذكرة بهذه العبارة : « إننا لا نعترف بأى حق تدعيه الحكومة الفرنسية فى أى جزء من بلادنا السورية ونرفض مساعدتها لنا كما نرفض أن يكون لها أدنى علاقة ببلادنا فى كل زمان ومكان . (المؤلف)

(٢) استعمل المؤلف تعبير (The Street called Straight) ولعله يقصد (سوق الطويل) المعروف بـ (سوق مدحت باشا) أو أنه مزج ما بين (عمود) و (عمودى) وأراد زقاق (سيدى عمود) ذا الأهمية التاريخية وقد دمرته قنابل الفرنسيين أثناء الثورة السورية (المترجم)

سورية المستقبلة ، ولهذا قصدت زيارة كل من : بطريرك الروم الأرثوذكس وهو رئيس أكبر طائفة مسيحية في سورية ، وفارس الخوري وهو من أكبر رجال السياسة في البلاد ، والدكتور الكيالي وزير المعارف وعميد الجامعة، وفخري البارودي زعيم الشباب السوري وهو السياسي الذي يحتل المكانة الأولى في قلوب الجماهير

حديث فارس الخوري

فارس الخوري هو رئيس مجلس النواب وزعيم الحزب الوطني [١] وقد تمكن بفضل تجاربه الكثيرة في ميدان السياسة التي مارسها مدة طويلة أن يتمتع بنفوذ عظيم بين رجال السياسة في البلاد. وهو من خريجي الجامعة الأمريكية في بيروت وأستاذ في الحقوق في الجامعة السورية . وهو رجل قد أسبغت عليه مقدرته العقلية بالاشتراك مع مظهره المهيب حلة من الوقار . إلا أن جمله لم تكن خالية من الزخرف اللفظي الذي يميل إليه بصورة جلية. وقد ذكرني وهو جالس وراء منضدته في مكتبه الخاص في دار البرلمان الجديدة بالأستاذ نيكولاس ماراي بتلر [٢] . قال بلغته الانكليزية الصحيحة :

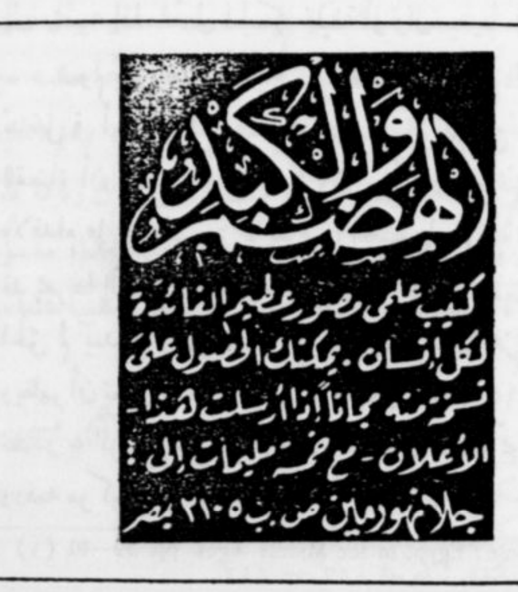
« إن سورية في نظرنا لا تنحصر بالمقاطعة المعروفة بهذا الاسم اليوم، بل هي تشمل كل البلاد التي كانت في وقت من الأوقات جزءاً منها : أي لبنان وفلسطين والعراق . إن حدودنا الحقيقية يجب أن تتاخم حدود تركيا والحجاز ومصر والبحر الأبيض المتوسط وإيران . [٣] إننا لا ننكر أن توحيد هذه الأقطار مستحيل الآن ، ولهذا فإن همنا موجه أولاً إلى تشكيل اتحاد Federation للدول العربية تكون أعضاؤه مستقلة . إن اتحادنا مع لبنان هو أول خطوة لتحقيق هذه الغاية ، فان انفصالنا عنه أمر غير طبيعي . إن اللبنانيين الذين يتحدثون عن الاختلاف بيننا في الأصل وفي المصالح الاقتصادية لمبالغون. فالواقع أن وجوه الاختلاف بيننا أقل بكثير من وجوه الشبه .

« إن أمامنا مهمتين رئيسيتين، ألا وهما تشكيل الجيش الوطني وتحقيق الانماش الاقتصادي . أما الجيش فهو ضروري لحفظ كرامتنا، وفرقة واحدة منه تكفينا الآن إذ أن الجيش الفرنسي الذي لا يوجد عندنا غيره في الوقت الحاضر قد يوجه في يوم من الأيام ضد مصلحتنا وذلك عند ما تفكر فرنسا في تحويلنا إلى سفتجة (billet de change) تعرضها عند اللزوم على بريطانيا أو تركيا أو — حتى — إيطاليا. وبالاضافة إلى ذلك فلسنا كالأناث حتى نحتاج حماية جيش أجنبي، فنحن قادرون على حماية أنفسنا » وهنا رفع صوته ليؤكد جملته الأخيرة، وأجال بصره حول الغرفة كأنه يستعرض تلك « الفرقة الواحدة » ثم تابع كلامه بلهجة هادئة فقال :

« أما المهمة الثانية وهي تقوية دعائم البلاد الاقتصادية فان الوحدة العربية ستبقى خيالا إذا لم تسبقها هذه التقوية . إن ما نستورده في الوقت الحاضر من الخارج يساوي أربعة أمثال ما نصدره ، وعليه فلا بد لكل دولة عربية من تحقيق توازنها الاقتصادي قبل تحقيق الوحدة العربية المنشودة . ولن تنجح سورية في تعديل ميزانها الاقتصادي ما لم تعمل على تخفيض مقدار ما تستورده تخفيضاً شديداً ، وتسعَ إلى خلق صناعات جديدة في البلاد وتحسين الزراعة

« إن نسبة تقدمنا الثقافي تكاد تفوق نسبة ما تتحمله البلاد من تقدم اقتصادي . فالسوري ذو ميل فطري للدراسة؛ ونحن نثقف أولادنا في الجامعات الأوربية حتى أوشك عدد المتعلمين عندنا أن يزيد على الأعمال المفتوحة لهم »

« يتبع » علي حيدر الركابي



(١) لا يوجد حزب وطني في سورية بهذا الاسم والحزب الوطني الذي يعتبر الأستاذ فارس الخوري من أقطابه هو الكتلة الوطنية، إلا أن رئيسها الحالي هو معالي السيد سعد الله الجابري وزير الخارجية والداخلية الذي ترأس الحزب على أثر انتخاب رئيسه السابق فخامة السيد هاشم الاتاسي لرياسة الجمهورية السورية (المترجم)

(٢) العميد المشهور لجامعة كولومبيا في نيويورك « المؤلف »

(٣) هل يقصد أستاذنا الكبير إخراج الحجاز ومصر من دول الاتحاد العربي العتيد ؟ (المترجم)

النظام القضائي في مصر الاسلامية

للدكتور حسن إبراهيم حسن
أستاذ التاريخ الاسلامى بكلية الآداب

القضاء فى أمة من الأمم مظهر من مظاهر تقدمها. ولقد قال لينبول فى معرض كلامه عن القضاء فى مصر الاسلامية : « إن هذه الروح الاستقلالية عند القاضى الذى كان يُضرَبُ بالسياط إذا ما خالف الأوامر العالية كانت رمزاً لما كان يعامل به غيرهُ ممن هم فى مرتبته وفى مركزه . ولقد ساد الظلم فى هذا العصر وتفشت الرشوة فى سائر الأعمال الادارية ، ودخلت البلاد تحت حكم طائفة من الولاة وعمال الخراج ممن جموا الأموال كرهاً وعسفاً فى عصر لم يكن القاضى ليؤتمن فيه على الشريعة الغراء . هذا فضلا عما كان هنالك من رشوة متفشية وتهديدات مصوبة إلى هذا القاضى

« وربما كانت الشريعة الاسلامية محدودة المادة ، وقد يكون القاضى متطرفاً فى اعتقاده . غير أنه كان على الأقل على نصيب من العلم والمعرفة ، وله خبرة اكتسبها من اشتغاله بالتشريع الاسلامى ، كما أنه اشتهر لدى الجمهور بالاستقامة وسمو الخلق ، ولما كان لمركزه من أهمية ولشخصه من كبير نفوذ لم يكن يجرى عليه ما كان يجرى على غيره من العمال ، بل ظل القاضى فى كثير من الأحيان يشغل منصبه فى عهد ولاة عدة، بل كثيراً ما أعيد إلى منصبه إذا ما تولى الحكم خليفة أو وال جديد

« ولم يكن هناك أسرع من القاضى فى تقديم الاستقالة إذا تدخل فى أحكامه الشرعية متدخل . وقد بلغ من محبة الناس للقضاة أن أصبح الولاة يفكرون ملياً إذا حدثتهم أنفسهم بالاقدام على عزلهم حتى لا يعرضوا أنفسهم لكراهة الجمهور التى قد يجرها إليهم أى تدخل من جانبهم فى السلطة القضائية . وفى الحق لم يَعد الوالى فى العصر العباسى يملك سلطة عزل القضاة . ويظهر أن تعيين القضاة أصبح منذ أيام ابن لهيعة (١٥٥ — ١٦٤م) تصدر به المراسيم من بغداد عادة ، كما غدت مسألة تحديد الراتب ودفعه موكولة إلى الخليفة نفسه [١] »

(١) S. Lane-Poole : Egypt in the Middle Ages. pp. 39—40

وهذه العبارة التى ذكرها لينبول فى جملتها بمثابة وصف موجز لحالة القضاء فى هذا العصر . على أنه بالرغم من ذلك فقد أتى بعض قضاة هذا العصر بضروب من الاصلاح بارزة، فعرف توبة ابن نمر الحضرمى (١١٥ — ١٢٠ هـ) بالاستقامة ، وكان يهب إخوانه ويصلهم بكل ما ملكت يداه حتى وصفه الناس بالتبذير [١] هذا إلى أن توبة كان أول قاض وضع يده على الأحباس (١١٨هـ) حفظاً لها من التّوى والثورات وجعل لها ديواناً كبيراً [٢]

كذلك كان القاضى غوث بن سليمان الحضرمي (١٣٥ — ١٤٠ هـ) حسن الأحدوثة وقد عمل على تطهير القضاء من العيوب التى كانت متفشية فيه وأخصها شهادة الزور [٣] . ولقد عالج هذا العيب فكان يسأل عن الشهود سرا ، فاذا تأكد من استقامتهم وحسن شهادتهم قبل شهادتهم . وقد عرف غوث بالنزاهة والاستقامة ، وكان كما قال الكندى « أعلم الناس بمعانى القضاء وسياسته » واشتهر بالعدل والاعتدال فى أحكامه على الرغم من عدم تضلعه فى الفقه الاسلامى . يدلّك على ذلك ما كان من كثرة الخصوم على داره بعد وفاة خلفه . وقد بلغ من عدل غوث هذا أنه جعل الخليفة المهدى العباسى وامرأة شكته إليه على قدم المساواة فى الحكم. ولما وكّل الخليفة عنه رجلاً ، ساوى بين هذا الرجل وبين الخصم فى مجلس القضاء [٤] .

كذلك كان أبو خُزَيمة ابراهيم بن يزيد (١٤٤ — ١٥٣هـ) فقيها متضلعا فى علم الشريعة . ولقد بلغ من نزاهته أنه كان لا يأخذ عطاءه عن اليوم الذي لم يعمل فيه للقضاء شيئا . وربما يعجب القارىء لما كان عليه هؤلاء القوم من النزاهة والورع فى هذا الوقت ، ولقد كان يقضى هذا القاضى يومه بعيدا عن مجلس الحكم إذا رأى التخلف لغسل ثيابه أو لحضور جنازة أو نحو ذلك حتى عبر عن اعتقاده بقوله « إنما أنا عامل للمسلمين ، فاذا اشتغلت بشىء غير عملهم فلا يحل لى أخذ مالهم [٥] »

ولعل القارىء يعجب كيف يتخلف ذلك القاضى العظيم ، وهل كان يوجد فى ذلك الوقت من يكفيه مؤونة غسل هذه الثياب؟ ولكن أخلاق القضاة فى ذلك الوقت كانت أخلاقا إسلامية متواضعة ، وكانوا يقتدون بالرسول صلى الله عليه وسلم فى تواضعه

(١) كتاب الولاة للكندي ص ٣٤٧
(٢) كتاب الولاة ص ٣٤٦
(٣) الكندى : شرحه ٣٤٦
(٤) الكندى ص ٣٥٦ ، ٣٦١
(٥) الكندى ص ٣٧٥

وتنزهه عن الكبرياء ، فلقد أُثِرَ أنه كان يخصف نعله ويرقع ثوبه ويقضى كثيرا فى حاجاته بنفسه ؛ وهذا العمل فى حد ذاته رياضة محبوبة ينزع إليها كثير من العظماء، وهو نوع من الديمقراطية لإرضاء الفقير .

وكان أبو عبد الله بن لهيعة (١٥٥ — ١٦٤ هـ) أول قاض ولى من قبل خليفة فى العصر العباسي ، كما كان أول قاضٍ حضر فى إثبات رؤية الهلال . ولقد أتى المفضل بن فضالة (١٦٨ — ١٦٩ ، ١٧٤ — ١٧٧ هـ) بكثير من ضروب الاصلاح التى أدخلها على نظام القضاء . وكان كذلك أول من عنى بالسجلات وجعلها تامة وافية ، فدوّن فيها السّجايا والوصايا والديون وأول من اتخذ «صاحب المسائل» ومهمته الوقوف على حقيقة الشهود .

ويظهر أن هذا الاصلاح الأخير إنما كان ظاهرياً فقط ، فقد قيل إن هذا الموظف كان يرتشى من بعض الناس ليقرر عدالتهم لدى القاضى . على أن المفضّل فطن إلى ضرر الاستمانة بهذا الموظف ، واضطر أمام الأمر الواقع فعين عشرة رجال للشهادة ، ولكن هذا العمل لم يرق فى نظر الجمهور لاتخاذ الشهود بهذه القلة ، ولأنه عمل جديد لم يسبق إليه أحد من القضاة ، فقال رجل يدعى اسحق بن معاذ يقبح رأى القاضى :

سننْتَ لنا الجوْرَ فى حكمنا ... وصيّرت قوماً لصوصاً عُدولا
ولم يسمع الناسُ فيا مضى ... بأن العدول عديداً قليلا[1]

وقد نظم لهيعة بن عيسى الأحباس وكانت فى أيامه على ما قال هو لأحد أصحابه « سألت الله أن يلفنى الحكم فيها فلم أترك شيئاً منها حتى حكمت فيه وجدّدت الشهادة به[2] » ولا غرو فقد جمع الأموال التى من الأحباس وخصص منها نصيباً لأهل مصر كما أدخل فيها المطوعة الذين كانوا يعمرون المواخير وأجرى عليهم العطاء من الأحباس فكان ذلك أول ما فُرضت فروض القضاة فسنّ الناس هذه السنة بعد لهيعة وسميت « فروض لهيعة » ثم سميت بعد ذلك فروض القاضى وفى ذلك يقول فراس المرادى

لعمرى لقد سارت فروض لهيعة ... إلى بلد قد كان يهلك صاحبُهْ
إلى بلد تُقرّى به البوم والصدى ... تعاوره الروم الطغام تحاربُهْ
رشيد وإضنا والبرلّس كلها ... ودمياط والأشتوم تقوى تغالبه

لهيع : لقد حزت المكارم والثنا ... ومن عند ربى فضله ومواهبه
فقد عمّرت تلك الثغور بسنة ... تعد إذا عدت هناك مناقبه[1]

على أن لهيمة قد أغضب أهل مصر لما كان من اتخاذه ثلاثين رجلا من الشهود جعلهم بطانة له، فقال أبو شبيب مولى نجيب فى صحابة لهيعة شعراً ننقل بعضه لأنه يبين كيف كان يعقد مجلس الحكم فى هذا العصر ، وإن كنا نرى فى هذا الوصف مبالغة قوامها التشهير بهذا القاضى وصحابته :

لازموا المسجد ضلاً ... لا من الأمر الرشيد
لحوانيت بَنَوْها ... بفنا كلّ عمود
والأحُوا بجباهٍ ... من نطاح الحصر سودِ
تحت أميالٍ طِوال ... كبراطيل اليهود
وتراهم للوصايا ... وعدالات الشهودِ
فى مراء وجدال ... وقيام وقعود
وخشوع وابتهال ... وركوع وسجود
وعلى القسمة أضرى ... من تماسيح الصعيد[2]

هذا حال نظام القضاء فى مصر إبان هذا العصر ، غير أنه للأسف لم يكن خالياً من عيوب ونقائص جملته متمشياً فى جملته مع تلك الحال السيئة التى سادت البلاد فى هذا الوقت . نعم ! قد عرف بعض القضاة بسوء السيرة فأساءوا إلى سمعتهم وسمعة كتابهم بما أتوه من أعمال الرشوة ؛ على أنه يلوح لنا أن الخلفاء كانوا لهؤلاء وأمثالهم بالمرصاد ، فقد ذكر الكندى أن هشام بن عبد الملك الأموى بلغه أن يحيي بن ميمون الحضرمى (١٠٥ — ١١٤ هـ) لم ينصف يتيما احتكم إليه بعد بلوغه ، وحوّل قضيته إلى عريف قومه ، وكان اليتيم وقتئذ فى حجره ، ثم حبسه حين اتصل به أنه أخذ يشنع عليه ويرميه بعدم إنصافه ، وعلم الخليفة بهذا فعظم ذلك عليه وصرفه ، وكتب إلى الوليد بن رفاعة عامله على مصر يقول: « اصرف يحيي عما يتولاه من القضاء مذموماً مدحوراً ، وتخير لقضاء جندك رجلا عفيفاً ورعا تقيًّا سليما من العيوب لا تأخذه فى الله لومة لائم[3] »

حسن إبراهيم حسن

(١) رفع الاصر عن قضاة مصر ص ٣٨٦
(٢) نفس المرجع ص ٤٢٤

(١) الكندى ص ٤١٩ — ٤٢٠
(٢) الكندى : شرحه ص ٤٢٣ — ٤٢٤
(٣) الكندى : شرحه ص ٣٤٠ — ٣٤١

فلسفة الأسماء

للأستاذ السيد شحاتة

إن أول ما يصادف الإنسان فى حياته فيوسم به ويبقى ملازماً له، ويشتهر به حتى بعد موته، ويمتاز به عن غيره من الناس، هو الاسم . وقد ترتفع بالإنسان الشهرة وذيوع الصيت إلى أن يكون طبيباً نطاسيًّا أو شاعراً فحلا أو عالماً نحريراً أو خطيباً لسناً أو صانعاً ماهراً فلا يعرفه الناس ولا يقرون له بفضل إلا مقروناً باسمه

فالاسم هو السمة الواضحة البارعة التى تفصح عن صاحبها وتبين عن مواهبه . وفى القديم والحديث تفنن الناس فى انتقائها وجهدوا فى اختيارها حتى اتخذوا من الأسماء علامات للخير والشر والذكاء والغباء والسعادة والشقاء

ولرجال التربية مذهب فى تسمية الأبناء فهم يرون أن أول واجب على الأب أداء هذا الدين على وجه موفق محبوب باختيار اسم جميل يكون عنواناً محبباً مقبولاً لابنه على تقادم الأيام، يرى فيه عزة وكرامة لا اهانة وسخرية. فهم ينصحون الآباء بأن يؤدوا الأمانة أحسن أداء فلا يسمون أبناءهم باسم قبيح مرذول حتى لا يحيدوا عن طريق الصواب

وفى الحقيقة أن للاسم تأثيراً كبيراً فى توجيه عقلية الانسان وفى سعادته وفى نبوغه وفى شهرته . وقد تسعد الأسماء أو تشقى بسعادة أصحابها أو شقائهم . وقد يتهافت الناس على اسم فيشيع ويذيع لأنه لنبى أنار الظلمات ، أو ولى أزال الشبهات ، أو قائد أو زعيم طارت شهرته، فأخذ الناس بسناه، وتأصل بينهم من اسمه سحر يجذبهم إليه

الإنسان والأسماء

لقد كانت التسمية عند الإنسان هى المحور الأساسى الذى تدور عليه قواعد التسمية أجمع ، لأن الاسم من أفضل علامات التكريم ومن أبين دلائل الرقى والكمال . وما من شك فى أن الله قد كرم بنى آدم وفضلهم على سائر المخلوقات

ولكنا على رغم هذا نجد الانسان نفسه قد استعار من أسمائه ومن غيرها فسمى الخيل والشوارع والقطط والكلاب والبلاد وغير ذلك فأطلق على الخيل (فواز) (غاوى) (سحاب) ... الخ وفى كل منزل يسمى الناس كلابهم وقططهم بأسماء خاصة يقصدون فيها إلى الرشاقة والدلال . وكذلك الشوارع تسمى بأسماء يتخذها المختصون من التاريخ أو الموقع أو اسم أحد القطان أو الملوك والزعماء

ولقد غدا تكريم الملوك والعظماء يأخذ من أسماء الشوارع أعز مكان . فهم يطلقون اسم الملك أو العظيم حبًّا فيه وتخليداً له كراه واعترافاً بأياديه

والمدن تنسب إلى الملوك (كالابراهيمية. الفاروقية. الاسماعيلية بور سعيد . بور فؤاد . الاسكندرية) . وقد تدل على صناعة أو زراعة راجت فيها مثل (معمل الزجاج. المعصرة. كفر الزيات. كفر البطيخ . التل الكبير) . ومنها ما تنسب إلى شخص اشتهر فيها مثل (أبو حماد. سيدى جابر. جرجا) — نسبة إلى مارى جرجس — ولبعض المدن أسماء غريبة بعضها من اللغة القبطية القديمة مثل (دمنهور) . وهور : أحد آلهة المصريين القدماء . ودمن : أى مدينة

وقد انساق الناس فى تعليلات طريفة لبعض أسماء المدن والقرى فهم يزعمون أن يوسف عليه السلام تقابل مع زليخا زوج العزيز بعد أن طوي شبابها تتابع الأيام فذوت نضرتها وذبل جمالها ـ تقابل معها فى المكان المعروف بمديرية الجيزة فقال لها (أصبح البدرشين) فلذلك سميت مدينة البدرشين باسمها هذا

ويزعمون أن القائد جوهر أراد أن يضع أسس البناء فى عاصمة مصر في ساعة سعيدة يقدرها رجال الفلك، فجعل أجراسا تدق للبنائين ليضعوا البناء إذا ما حانت ساعة سعيدة، ولكن الحظ خانه إذ حرك طائر حبال الأجراس ، فرنت ، فوضع الأساس فى ساعة القهر فسميت القاهرة . وهذه مزاعم دفع الناس إليها حرصهم على المبالغة فى التعليل .

والمدن كالانسان خاضعة عند تغيير اسمها إلى قانون فلا يجوز تغيير اسم بلد إلا بعد موافقة وزارة الداخلية ووجود ضرورة لهذا التغيير .

التسمية عند القدماء

لقد وضعت أسماء الأعلام والأجناس للدلالة على أفراد النوع الانساني وما يحيط به فى بيئته الطبيعية وما يبتكره فى حياته الفكرية . وليس من شك فى أن وضع هذا النوع من الأسماء قد جاء سابقا فى الرتبة على وجود الأفعال والحروف التى ما وجدت إلا لتربط الأسماء فى الجمل المختلفة .

ولكن المرجح أن الانسان لم يتذوق التسمية بمعناها السامى الفنى، ولم يعن بها ولم يتفنن فى اختيارها قبل أن يعرف الحضارة والمدنية ويسمو إلى أفق الحياة الكاملة . وإنما كان الناس فى عصور الجهالة يطلق بعضهم على بعض أوصافا تميز كل واحد منهم من الآخر؛ وهذه الأوصاف تدل على ميزة كل شخص بقدر الامكان، كقولهم (الرجل القصير . الرجل البدين . ذو العين الواحدة . وهكذا ...) ولكنا نحن فى عصورنا هذه عصور الحضارة والمدنية نلجأ إلى ذلك فى مواطن كثيرة . فاذا أردنا وصفا دقيقا لمن لا يعرف اسمه وصفناه بأخص صفاته وأظهرها

وقد كان المتوحشون يخافون أن تستحسن العفاريت والأرواح الشريرة أسماء أولادهم فتقبض أرواحهم ، فلذلك كانوا يسمون أولادهم بأسماء بشعة (القذر . الوغد . الجبان) وكان بعضهم يسمى الطفل باسم حادث تاريخى (القحط . الوباء . الحرب) وما زلنا نحن نسمى أولادنا بأسماء تاريخية (عيد . خميس . جمعه ، شعبان ، رجب ، محرم ، ربيع .) ولبعض الأسماء القديمة دلالة تدل على ميزة بها أو أصل طبيعتها ؛ فقد اشتق (آدم) من أديم الأرض لأنه خلق من الطين واسم (إبليس) من الابلاس وهو اليأس .

التسمية عند العرب

ذهب عرب الجاهلية مذاهب شتى فى تسمية أبنائهم ، فنهم من تفاءل بالنصر والظفر فسمى (غالب . غلاب . ظالم . طارق . معارك . منازل .) ومنهم من تفاءل بنيل الحظوظ فسمى (سعد سعود . غانم . غياث . غوث .) ومنهم من قصد التسمية بما غلظ وخشن لاظهار القوة فسمى (صخر . جندل . حجر . جبل . فهر)

ومن العرب من كان يخرج وزوجته قد جاءها المخاض فيسمى من تلده امرأته بأول اسم يقابله كائناً ما كان (سبع . ثعلب كلب .) ويروون فى هذا أن أسماء بنت دريم من قبائل العرب كانت تلقب (أم الأسبع) لأنها سمت أولادها (كلب . أسد . ذئب . فهد . ثعلب . سرحان . خثيم . هر . ضبع)

ومن العرب من أضيف إلى عبودية الأصنام (عبد العزى . عبد مناه) وقد كان فى الأمة العربية من اشتهر بلقب غلب عليه فى شعره حتى أصبح علماً له مثل : (عمرو بن رياح السلمي) (أبو الخنساء — الشاعرة المشهورة) إذ سمى (الشريد) لقوله :

تولي إخوتى وبقيت فردا وحيداً فى ديارهم شريدا

ومنهم (عمرو بن سعيد — الملقب بالمرقش) لقوله :

الدار قفر والرسوم كما رقش فى ظهر الأديم قلم

ومنهم سالم بن نهار العبدى الذى لقب بالممزق لقوله :

فان كنت مأكولا فكن خير آكل
وإلا فأدركني ولما أمزق

وكذلك امرؤ القيس أمير شعراء الجاهلية يلقبونه (بذى القروح) لقوله :

وبدلت قرحاً دامياً بعد صحة فيالك من نعمى تحولت أبؤسا!

وما زلنا نحن فى عصرنا هذا نسمي الناس بشيء يرتبط بهم من صناعة أو أى عمل؛ فعندنا الآن ألقاب ربما شاعت بين الناس حتى طغت على شهرة الاسم الحقيقى ، فأصبح المسمى لا يعرف إلا بها (الصحافى المجوز . أبو بثينة . برسوم المجبر . ابنة الشاطئ) وفى العرب أسماء كثيرة من هذا النوع . كما أن بينهم أسماء أخذت فى حوادث معينة — مثل جرير الشاعر الأموى المشهور؛ فقد ذكروا فى ذلك — أن الجرير فى اللغة هو الحبل . وقد سمى الشاعر بذلك لأن أمه رأت في منامها وهى حامل به أنها تلد حبلا يخنق الناس، فذهبت فى الصباح إلى معبر الرؤيا وقصت عليه رؤياها فقال لها (لتلدن ولداً يكون شراً على الناس) وفعلا كان كذلك جرير . وكانت أمه ترقصه وهو صغير وتغنى له :

قصصت رؤياي على ذاك الرجل فقال لى قولا وليت لم يقل
لتلدن عضلة من العضل ذا منطق جذل إذا قال فصل

وسمى الجاحظ جاحظا لجحوظ عينيه . والتنبي لادعائه النبوة كما اشتهر كثير بنسبتهم إلى بلادهم أو قبائلهم (البحترى . أبو العلاء المعري . الطائى . الخزرجى . المزنى) ونحن نسمى الأشخاص نسبة إلى بلد أو صناعة (ابراهيم المصرى . خليل الزيات . بيومى الطبال . محمد النجار . خديجة العياشة)

وكذلك (الصباغ . الجمال . الدباغ) ومما تحسن الاشارة إليه بمناسبة الدباغ . أن رجلا فى الماضى القريب اسمه ابراهيم الدباغ اشتهر بكثرة الأكل، فأطلق الناس كلمة دباغ على كل إنسان يكثر الأكل

أما النسب إلى القبيلة كما كان الحال عند العرب ، فقلما نجده الآن لشيوع روح المدنية وتقطع التواصل بين الناس وعدم الاعتزاز والفخر بالقبيلة كما فعل العرب ؛ ولأن الوحدة أصبحت للدولة لا للقبيلة

الأسماء والأديان

لم تكن للأسماء فى العصور الأولى صبغة دينية خاصة، إلا أن الحال تغيرت بعد ظهور المسيحية ، إذ أخذ المسيحيون يقلمون شيئاً فشيئاً عن بعض الأسماء اليهودية والوثنية ثم يختارون أسماء جديدة

وفى أوائل عهد النصرانية درج النصارى على أن يسموا أبناءهم بأسماء القديسين والأنبياء، إذ يعلن الأب اسم ابنه جهاراً عند المعمودية فيصبح اسماً معترفاً به قانوناً

وفى فرنسا لا يجوز لأحد أن يبتدع لابنه اسماً غريباً لم يعرفه الناس من قبل، وما يزال فى فرنسا حتى اليوم سجل رسمي يحتوى الأسماء التى يجوز للانسان أن يختارها لأبنائه ولا يجوزله أن يسمى بما عداها ؛ وهذا السجل يهذب من وقت لآخر باضافة أسماء حديثة وحذف أخرى قديمة

وفى أسبانيا — حيث ديانتهم الرسمية الكاثوليكية وقد كانت حكوماتهم ملكية — كان الآباء مقيدين عند تسمية أبنائهم بطائفة من أسماء القديسين والقديسات مأخوذة من تقويم الكنيسة ؛ ولكن بعد زوال الملكية قريباً قد أبطل هذا وصار الآباء أحراراً فى تسمية أبنائهم

ولما ظهر الاسلام تطورت الأسماء عند العرب، إذ سمى النبى (محمداً) مع أنه لم يسم أحد من قبل بهذا الاسم ؛ ثم شاعت الأسماء المضافة إلى عبودية الله وتمدت لفظ الجلالة إلى غيره من أسماء الله الحسنى . والآن نجد بين المسلمين نحو النصف من الأسماء تدعى محمداً أو ما اشتق منه مثل محمود . أحمد . حامد ، وقد أثر عن النبى (صلعم) أنه قال (خير الأسماء ما حمد ثم ما عبد)

والأديان على العموم لا تحرم اسما ولا تبيح آخر، بل الانسان حر فى التسمية بما يشاء . غير أنه على الرغم من هذه الحرية المطلقة نرى بعض أسماء اختص بها المسلمون، وأخرى اختص بها اليهود ، وغير ذلك من الأسماء تفرد بها المسيحيون . فمن أسماء النصارى الخاصة (بطرس . ميخائل . حنا . جرجس . عبدالمسيح هيلانة . ماري) ومن أسماء اليهود الخاصة (باروخ. عزرا. كوهين ليفى . حانان) ومن أسماء المسلمين الخاصة (محمد . مصطفى . حسن على . فاطمة . عائشة) ومن الأسماء المشتركة (يوسف . سليمان . ابراهيم . داود . يعقوب . توفيق)

وفي الواحات المصرية كما فى جزيرة قبرص أسماء مخلوطة، فهناك بطرس حسين جورج محمد . نقولا عثمان . وفى سوريا من المسيحيين من سمى ابنه محمدا. وفى مصر تميل الأسماء المسيحية شيئا فشيئا نحو الاسلامية، حتى أنها لتشتبه بها فى كثير من الأحيان. وفى اسبانيا حيث مكثت الديانة الاسلامية نحو ثمانية قرون، نجد كثيرا من أسماء الأجداد الأولين للأسبان المعاصرين تنتهى بأسماء إسلامية .

(البقية فى العدد القادم) السيد شوان

بين الفن والنقد

للأستاذ عبد المنعم خلاف

قالت لى نفسى بعد شهودها معركة للنقد بين جماعة من أصدقائى لحق منها مؤسسين عظيمين من مؤسسى الأدب الحديث جملة من النعوت أذكر أنها لم تكن لتلحقهما لو مضيا من الحياة ولم يتركا بيانهما العظيم :

« حطم قلمك ! وأغلق أقفالى علىّ ، واتركنى أمضى من الحياة من غير صوت ولا ذيول يتعلق بها كل متجن وعابث . ودعك من أسطورة الخلود ... تلك التى تفتنكم وتجركم إلى النزاع وإضافة تعبيرات جديدة إلى سجل الشتائم المهذبة الخالدة المذاعة وقل فى تلك الأسطورة ما قال المازنى الأديب الساخر منذ سنوات فى صحيفة البلاغ : « طُز ! »

فقلت لها يا نفسى : ألم تعلمى فى سنن الحياة أن لكل شىء وجهين : وجه جمال ، ووجه قبح ؟ ألم تحفظى قول القائل :

تقول هذا مجاج النحل تمدحه   وإن تذم فقل قىء الزنابير

« والعظيم دائماً يحظى بشرف المبالغة من أنصاره وأعدائه »

وتاريخ الآداب والفنون والعلوم مملوء بالمعارك المنيفة بين المنتج والناقد وأنصارهما . ولم يفد الأدب والعلم بقدر ما أفادا من النقد على شريطة الانصاف فيه والبعد عن المهاترة وتسقط العيوب وإدخال النوازع الشخصية فى موازينه

غير أن المنتج غيور على إنتاجه، فتارة يجهد نفسه فى التجويد والتهذيب والتنقيح قبل أن يعرض نتاجه كما كان يفعل زهير فى حولياته . وتارة لا يلقى باله إلى كلام النقاد ولا يحفل رضاهم أو سخطهم ما دام هو راضياً عن نفسه ، كما قال الفرزدق لناقد احتار فى إعراب كلمة من شعره « علىّ أن أقول وعليكم أن تعربوا » وكما قال المتنبي :

أنام ملء جفونى عن شواردها   ويسهر الخلق جراها ويختصم

وكما قال الأستاذ العقاد فى تقدمة ديوانه :

هـذا كتابى فى يد القراء
ينزل فى بحر بلا انتهاء
... ...

فليلق بين القدح والثناء
ما شاءت الدنيا من الجزاء

وكما هو شعار برنارد شو الذى يستدفئ بموقد كتبت على حافته هذه الكلمة :

« إنهم يقولون ... ماذا يقولون ؟ دعهم يقولون ... »

وتارة يحمل المنتج على النقاد فيخافون لسانه ويقرظونه أو يسكتون عنه كما كان يفعل ابن الرومى

وتارة ينال المنتج من الناقد ثأره كما قال شلى الشاعر الانجليزى « ماعدا أمثلة نادرة لا يمثل النقاد سوى سلالة غبية خبيثة . وكما يتحول اللص المفلس إلى خفير كذلك يتحول المؤلف العاجز إلى ناقد ! » وقال كولردج « النقاد هم عادة أناس كان ينتظر أن يكونوا شعراء ومؤرخين وكتاب سير لو استطاعوا . وقد جربوا مواهبهم فى هذا أو ذاك ففشلوا؛ ولذلك انقلبوا نقاداً »

غير أن من القليل النادر أن تجد هـذه الغيرة من الفنان والمنتج تبدو فى صورة « الكبت » أو « الوأد » ولن يقدم على ذلك أديب أو عالم محترف أو مؤمن بنفسه يريد أن يفرضها على التاريخ؛ وإنما هو أحد رجلين : رجل « هاو » يجمع إلى إنتاجه وفنه حرفة أخرى يلابس الحياة بها وينال احترام الناس منها، فلن يضيره أن يتخلى عن إذاعة فنه عند ما يرى أنه سيجلب عليه تنغيصاً ومحنة وعداوة من حيث يرجو الترفيه والحب ؛ كما قال المتنبي (أعادى على ما يوجب الحب للفتى) ؛ أو هو رجل شاك فى نفسه رافع ثقته فيها لا يراها إلا بعيون الناس ، فاذا قالوا لها أو عليها فهو وما قالوا

والأستاذ عبد الرحمن شكرى والدكتور الشاعر ابراهيم ناجى مثلان مضروبان للرجل الأول فى عهد من عهودهما بين يدى هذا العصر ؛ كما يضرب أبو حيان التوحيدى الأديب الحكيم المتوفى سنة ٤٠٣ هـ مثلا فى العصر القديم ، فقد أحرق مؤلفاته ولما سئل فى ذلك أجاب : « شق على أن أدعها لقوم يتلاعبون بها ويدنسون عرضى إذا نظروا فيها ويشمتون بسهوى وغلطى إذا تصفحوها ويتراءون نقصى وعيبى من أجلها »

هذه صور من غيرة المنتج ، فى بعضها يصل الناقد إلى حد الجناية لأنه يحمل بعض النفوس على الكبت أو الوأد لما لابد أن يشتمل على نفع كثير للانسانية بجانب ما عساه أن يكون فيه من ضرر أو تفاهة . نعم إن بعض المنتجين يعرضون أشياء تافهة أو مكررة تستحق التزييف وتأديب أصحابها لأنهم لم يعوا معنى

كلمة الجاحظ « ينبغي لمن يكتب كتاباً أن يكتبه على أن الناس كلهم له أعداء ، وأنهم أعلم منه بما يقول . وإن لابتداء القول فتنة وعجبا » . ولا قول الآخر : « من ألف فقد استهدف »

غير أن هذا كله ليس مبرراً لهجم الناقد على نفس المنقود وذهنه ، وليس داعياً إلى تحطيم حرماته وإهدار قداسته الطبيعية التي هي له حق طبيعي من قبل أن يخط حرفاً أو يعمل عملا هو فيه حسن النية لا ريب ؛ إذ أنه يريد أن يشارك به في المجهود الانساني . فاذا لم يبذل الشكر فلا أقل من ترك حرماته من غير تجريح

وأذكر أنني قرأت منذ عشر سنوات لكاتب تونسي لا أذكر اسمه كلمة في مقدمة كتاب ألفه ، تفيض باسترحام القارئ ليغضى عما في الكتاب من نقص يجده؛ إذ أن مؤلفه كتبه بضياء عينيه ساهداً في جوف الليل ليسعد به قارئوه الذين كانوا نياماً في ذلك الوقت . وهو معنى جميل لو وضعه الناقد أمام عينيه لوقف وقدر ثم وقف وقدر كرتين قبل أن يعمل قلمه بالنقد المسلح الجارح

وأظن أن كاتبا ما ، لم يحمل قلمه ويخط به حرفا إلا وهو يضمر مع ما يضمر من شهوة خلود الذكر أو الشهرة ، النفع وتنمية التراث الفكري . وهذا وحده يحتم علينا احترام اتجاهه تشجيعا له ولغيره . اللهم إلا الكاتبين الهدامين الذين في تركهم أو تقديرهم خطر ؛ فأولئك يجب هدمهم بالنقد وإهدار حرماتهم كما أهدروا حرمات المجتمع .

وما أجمل مذهب القائل — وأظنه شاعراً سوريا أو لبنانيا معاصرا — :

أيها الناقص أعمال الورى	هل أريت الناس ماذا تعمل ؟
لا تقل عن عمل : ذا ناقص	جيء بأوفى ثم قل : ذا أكمل
إن يغب عن عين سار قمر	فحرام أن يعاب المشمل

(القاهرة) عبد المنعم خلاف

جورجيـــاس

او البيان

لافلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ٩ —

« تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجل محاوراته وأكملها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » الفلسفة ! »

« رينوفييه »

« إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائما وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »
٢ — جورجياس : السفسطائي : « ج »
٣ — شيريفين : صديق سقراط : « سه »
٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »
٥ — كاليكليس : الأثيني : « ك »[1]

ط — (رداً على جورجياس) وإذا فلنر الآن إذا كنت أستطيع أن أشرح لك ما أريد أن أقول بوضوح أكثر . عندنا من الفنون بقدر ما عندنا من الجواهر[2] ؛ وأحد هذه الفنون يختص بالنفس وأدعوه « السياسة » ؛ والآخر يختص بالجسد ولست أجد له الآن اسماً مفرداً وإن كنت أميز في وحدته قسمين هما « الرياضة البدنية » و « الطب » كما أميز في السياسة بالمثل « التشريع » ويقابل الرياضة البدنية ،

(١) أشار سقراط في العدد الماضي إلى أن البيان الذي يتشدق به السفسطائيون ليس من الفن في شيء ، وأنه كالطهي سواء بسواء وسنرى اليوم كيف يثبت هذه الدعوى ، وكيف يجعل الطهي والسفسطة والتزين والبيان أقساماً للتملق والرياء ، ثم كيف ينثني على معنى « القوة » ليبين أن الطغاة والجبابرة أضعف الناس جميعاً (المعرب)

(٢) يشير إلى جوهري النفس والجسد وقد تناولهما قبل ذلك (المعرب)

و « العدالة » وتقابل الطب . ولما كانت فنون هاتين المجموعتين تتصل بموضوع واحد فإنها بالطبع ذات علاقات فيما بينها؛ كما هو الحال فى الطب والرياضة البدنية من ناحية، وفى العدالة والتشريع من ناحية أخرى؛ ولكن توجد بينها مع ذلك بعض الفروق ...

هناك إذاً تلك الفنون الأربعة التى ذكرتها، والتى تعمل على تحقيق أعظم الخيرات[1] ، والتى يختص بعضها بالجسد، وبعضها الآخر بالنفس . وهناك « أيضاً »[2] « التملق » الذى لانستطيع أن نتصوره إلا بالظن والتخمين دون العقل المنطقى، والذى ينقسم فى نفسه إلى أربعة أقسام تنزلق تحت تلك الفنون الأربعة الآنفة وتتداخل فيها ، ويدعى كل منها أنه هو نفس الفن الذى انزلق تحته واختفى فيه ... ، وهو « أى التملق » لا يعنى بالخير قط ، ولكنه يجذب الحماقة دائماً بما يقدمه لها من « طعم » اللذة فيغشها ويخدعها وينال بذلك تقديراً كبيراً[3] ! ؛ « فالطاهى » مثلاً ينزلق تحت « الطب » ويتخفى فيه ويدعى مفتخراً أنه يعرف أفضل الأغذية اللائقة لصحة الجسم بحيث لو تجادل الطاهى والطبيب أمام الأطفال — أو من هم مثلهم عقلا وفهماً — فى : أيهما أعرف من صاحبه بالأغذية المفيدة والضارة؟

لا تخذل الطبيب وباء بالخسران المبين[4]

وإذاً فهذا هو ما أدعوه « بالملق » يا بولوس ، وما أدعى أنه شنيع وكريه، لأنه يهتم باللذائذ (الحسية) ويهمل الخيرات . وأنا أوجه ذلك التأكيد إليك وأضيف إليه أنه ليس بفن ؛ ولكنه مجرد تجربة وتمرين؛ لأنه لايستطيع أن يبين الطبيعة الحقيقية للأشياء التى يشتغل بها ، ولا أن يقدم لها تعليلا ! ولذلك لا أستطيع أن أطلق « الفن » على شىء لا تفكير فيه . فاذا كنت تنازعنى فى ذلك فانى مستعد للدفاع عن قولى ! ... (لاينطق بولوس)

وأستطيع أن أكرر ثانية أن الملق المتملق بالطهى ينزلق تحت الطب ويتخفى فيه ؛ وأن التزين (أو التبهرج) ينزلق بالمثل تحت الرياضة البدنية ويصبح شيئاً مؤذياً خداعاً دنيئاً غير جدير بالانسان الحر ؛ لأنه يعمل على تمويه الصور والأشكال، والألوان والأثواب ، والبريق والصقال ، كما يجلب للمرء جمالا مصطنعاً ، ويصرفه بذلك عن الجمال الطبيعى الذى تستطيع أن تقدمه الرياضة البدنية[1]

وجريا وراء الاختصار سأحدثك بمنطق الهندسة لأنك قد تفهمنى إذا خاطبتك بهذا المنطق فهما أدق وأصح . — : إن التزين بالنسبة للرياضة البدنية كالطاهى بالنسبة للصحة . وبالأحرى التزين بالنسبة للرياضة كالسفسطة بالنسبة للتشريع ، والطاهى بالنسبة للطب كالبيان بالنسبة للعدالة .[2] وتلك هى الفروق الطبيعية بين هذه الأشياء، ولكنها لما كانت متقاربة فيما بينها فان الخطباء والسفسطائيين يختلط فيهم الحابل بالنابل على نفس الأرض ؛ وحول نفس الموضوعات ؛ ولا يعرفون ماذا عسى أن تكون وظيفتهم الحق ؛ كما لا يقل الناس عنهم جهلا بهذه الوظيفة ... ، والحق أن النفس إذا كانت لا تحكم الجسد، وكان هو المتصرف فى أمر نفسه بحيث لا تختبر هى الأشياء بذاتها ولا تفرق بين الطهى والطب ، وكان هو الذى يحكم وحده تبعا لما يحصل عليه من لذات ، : أقول: الحق أن لو كان الأمر كذلك لرأينا فى الغالب تلك « الفوضى » التى تعرفها ياعزيزى بولوس ، والتى ذكرها « أناجساجور » Anaxagore فى قوله « كان حابل الأشياء يختلط بنابلها ! »[3] ، ولكننا لا نستطيع أن نفرق بين ما يختص بالطب ، وما يختص بالصحة أو الطهي !! ..

فها قد سمعت ما أعتقده فى البيان وعرفت أنى أعتبره للنفس كالطاهى للجسم !؟! وقد يكون من التناقض أن أحرم عليك الأقوال المسهبة وأضطرك مع ذلك إلى الانصات إلىّ هكذا طويلا؛ ولكنى جدير في الواقع بالعذر؛ لأنى عندما كنت أتكلم بإيجاز كنت ألاحظ أنك لا تفهمنى ولا تستطيع أن تخرج بشيء من أقوالى ؛ فوجب لذلك أن أقدم لك الشروح الكافية ؛ وإذا رأيتُ

(١) بالنسبة للانسان بالطبع (المعرب)
(٢) زدناها من عندنا لانسجام المعنى (المعرب)
(٣) عند الحمق بالطبع (المعرب)
(٤) فى الأصل « لمات الطبيب جوعا » ونستطيع أن نقيس على هذا المثل حوادث ومواقف كثيرة (المعرب)

(١) جدير بسيداتنا أن يستمعن لقول أفلاطون كما رأينا الفتيات فى ألمانيا والنمسا يستمعن له (المعرب)
(٢) البيان فى عرف جورجياس ومن على شاكلته (المعرب)
(٣) أنا جاجور فيلسوف طبيعى عاش قبل سقراط بقليل . وله كتاب فى الطبيعة ذكر فيه أن الأشياء كانت فى البدأ فى فوضى عقيمة وأن العقل — أى الله — هو الذى نظمها فاستقام بذلك نظام العالم (المعرب)

بدورى غموضا فى إجابتك فتستطيع أن تبسطها مثلى . أما إذا فهمتها فاتركنى أقتنعُ بها لأن ذلك من حق . ويسرنى الآن أن أسمع ما فى مقدورك أن تذكره عن حديثى . !

ب — وماذا قلت ؟ أتدعى أن البيان مجرد تملق ورياء ؟

ط — لقد قلت إنه قسم من الملق فحسب ! . أفيحتاج شبابك يابولوس إلى ذاكرة ؟

وماذا يكون شأنك غدا إذا ما تقدمت بك السن ؟

ب — أتعتقد أن الخطباء المجيدين يعدون فى المدن كالمتملقين وأنهم لذلك أقل احتراما ؟؟

ط — أذلك سؤال توجهه إلىّ أم هو حديث ستشرع فيه ؟

ب — إنه سؤال

ط — حسن . فأنا ممن يعتقدون أنهم غير محترمين على الاطلاق ... !

ب — وكيف يكونون كذلك وهم أقوياء وجِدٌّ أقوياء فى الدول ؟

ط — ذلك إذا كنت تعد « القوة » خيراً لمن يمتلكها !

ب — إنى لأعدها كذلك !

ط — حسن . ولكنى أري أن الخطباء أضعف المواطنين قوة وبأساً !

ب — وكيف ؟ ألا يستطيعون أن يقتلوا من يشاؤون ، وأن ينهبوا أموال من يسرهم أن يفعلوا معه ذلك ثم ينفونه إلى الخارج كما يفعل الجبابرة الطغاة ؟[1]

ط — إنى لأسأل نفسى — وحق الكلب[2] — يابولوس عند كل كلة تقولها لا أعرف إذا كنت تتكلم بلسان أستاذك ، أم تعبر عن رأيك الشخصى ، أم تبغى رأيي فحسب

ب — إنى لأبغي رأيك أنت !

ط — ليكن يا صديقى ! ولكنك توجه إلىّ سؤالين دفعة واحدة ... !

ب — وكيف ذلك ؟

ط — ألم تقل منذ لحظة أنهم يقتلون من يشاؤون كما يفعل الجبابرة الطغاة ، وينهبون وينفون من يسرهم أن يفعلوا معه ذلك ؟

ب — بلى !

ط — حسن ! أرى أن هذين سؤالين مختلفين ، وسأجيب على أحدهما ثم على الآخر : إنى أعتقد يابولوس أن الخطباء والطغاة لا يملكون فى الحكومات إلا قدراً ضئيلاً جداً من القوة كما ذكرتُ منذ لحظة ؛ لأنهم لا يعملون تقريباً شيئاً مما يريدون ؛ وإن كانوا ينفذون مع ذلك ما يلوح لهم أنه أفضل الأشياء !

ب — حسن . ولكن أليس هذا « قوة » ؟

ط — كلا ! وعلى الأقل بالنسبة لما يقول بولوس !

ب — وهل قلت « كلا » ؟ لقد قلت على النقيض إن ذلك « قوة » !

ط — كلا وحق الإله ! إنك لا تقول ذلك ما دمت قد أكدت أن « القوة » العظيمة خير لمن يمتلكها !!

ب — أتعتقد أنه من الخير للمرء أن ينفذ ما يبدو له كأفضل الأفعال إذا ما كان مسلوب العقل ؟ وهل تسمى مثل هذه الحال « قوة كبيرة » ؟

ب — كلا !![3]

« يتبع » محمد حسن ظاظا

---

(١) ذلك هو منطق السياسة الحقاء فى العصر الحاضر وفى جميع العصور! وتعتقد بعض الحكومات أنها تكون قوية ، ما دامت قادرة على ذلك . ولكن ليتها تستمع إلى أفلاطون الذى يثبت لها أنها بقوتها هذه أضعف من الذباب ! (المعرب)

(٢) سبق أن ذكرنا أن البعض يرجع ذلك الكلب للاله أنوبيس المصرى (المعرب)

(١) لانظن القارئ الكريم فى حاجة إلى تنبيهه إلى براعة الحوار فى هذا العدد وقوة بيانه. وسنرى فى العدد القادم إن شاء الله كيف يناقش سقراط قضية « القوة » ويمزقها تمزيقا (المعرب)

التاريخ في سير أبطاله

ابراهام لنكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادى ! خذوا معانى العظمة فى نـقها الأعلى من سيرة هـذا العصامي العظيم ... ...

— ٢١ —

وأقام لنكولن فى الفندق ينتظر يوم الاحتفال ؛ وإنه ليحس أنه كالغريب فى هذه المدينة العظيمة ؛ ولقد كان كثير من أهلها يتوقعون قبل وصوله أن تصلهم الأنباء عن مقتله فى الطريق ؛ فلما فوت على الماكرين قصدهم ودخل المدينة ولم تزل غاشية أصاب المؤتمرين به كمد وغم ؛ ولـكن هل فاتت الفرصة فلا سبيل لهم إليه بعدها ؟ كلا فما يزال الـكائدون يتربصون به حتى لقد سرت فى الناس إشاعة قوية أنه لن يحتفل بالرئيس الجديد ؛ وأنه راجع إلى سبرنجفيلد قبل ذلك اليوم حياً أو ميتاً ...

وكانت المدينة إلى أهل الجنوب أكثر ميلاً منها إلى أهل الشمال ؛ وكان سادتها وكبراؤها ممن يقتنون العبيد ويتمسكون بنظام العبيد ؛ وكانت تقع عين القادم إلى المدينة على العبيد رائحين غادين ؛ ولقد كان هذا منظراً تنفر منه عينا لنكولن وهو بطل على المدينة من الفندق ... وكان ذوو النفوذ من أهلها يكرهون الجمهوريين ويسمونهم الجمهوريين الـسود ... لذلك أحس إبراهام أنه فى جو غير جوه كالنبات نقل إلى حيث لا يجـدى معه رى ولا ينفع غذاء

وجلس إبراهام يفكر ويتدبر ، فاذا امتد إلي الحاضر فكره رأى كيف تشيع الفتنة وكيف يستفحل الشر ، وكيف يزلزل بناء الاتحاد حتى ليوشك أن ينهار ... وإذا استشرفت للمستقبل نفسه رأى ظلمات فوقها ظلمات ؛ فالحرب كما يبـدو له واقعة لا محالة ، ما لم يقع ما ليس فى حسبان أحد ... وهى إذا شبت نارها واستمرت اكتوى بسعيرها أبناء الوطن الواحد وأصحاب المصلحة الواحدة ؛ إنها حرب سوف تـكون بين نصفى شعب بقاؤه وسعادته لن يكونا إلا فى اتحاد كلمته والتئام شمله ...

وليت الفتنة اقتصرت على الناس ولم تمتد إلى الحـكومة ؛ إذاً لـكانت أهون على الرئيس وعلى الشعب .. هاهى ذى تندس حتى تتغلغل فى وحدات الجيش والبحرية والسادة المسؤولين من رجال الدولة ؛ ولقد وقف بيوكانون حائراً لايدرى ما يأخذ مما يدع حتى لم يعـد فى إمكانه أن يحسم الشر ؛ فكان بذلك وجوده على رأس الحـكومة يومئذ شراً على شر

ولكن إبراهام لم يكن بيوكانون ؛ وحسبه عزمه المصمم الجبار فى هذا الموقف الرهيب؛ هذا إلى إخلاصه وكراهته للمدوان ويقينه الذى لا يداخله شك ولا يحوم حوله شيء مما ينسج الباطل من وهم وما يصور من ريبة

ولقد أشفق من لم يكونوا يعرفونه ، بل لقـد جزع بعض الناس أن تلقى أزمة الحـكم فى مثل هذه الظروف فى يدى رجل هو فى زعمهم لم تمـرن يداه أن تقبضا على شيء غير المول؛ وعجبوا أن تترك الأمور للرجل القادم من الغرب ... لذلك المحامى الذى كان من قبل يخطط الأرض ويوزع البريد ؛ والذى نشأ بين الأحراج ونما كما ينمو وحشى النبات ... وسخط أعداؤه ممن لا يجهلون مقدرته واشتد بهم الغيظ ألا يجلس فى كرسى الرياسة يومئذ إلا هذا الجمهورى الأسود ! هذا الذى يعد فى الجمهوريين

كبيرهم الذى ألممهم ما يلوكونه من عبارات تؤذى الأسماع وتحز القلوب وتقبض الصدور ...

أما الذين عرفوا لنكولن وعرفوا خلاله فما خالطهم شك أنه الرجل الذى ليس غيره فى الرجال تكون على يده السلامة ويتم الخلاص .. والحق لقد خلقت الحوادث هذه الأزمة وخلقت فى الوقت نفسه الرجل الذى ينهض لهـا والذى لن يقوى على حمل أعبائها سواه .. ولو لم يكن فى أمريكا فى تلك الأيام ذلك الرجل الذى أخرجته أحراجها لتغير تاريخها باتخاذه وجهة غير التى سار فيها

وإنا لنرى فى ابراهام أحد الأفذاذ الذين يبرهنون بأعمالهم على فساد الرأى القائل بأن الظروف هى التى تخلق العظماء؛ فهذا رجل نجم عن أبوين فقيرين ودرج بين أحراج الغابة وألفافها ؛ فلما واجه الحياة وأخـذ بحول نفسه راح يشق طريقه فى زحمتها ومفاوزها كما كان يشق طريقه بين الأدغال ، ولا عاصم له مما يحيط به من مخاوف إلا عزيمته وفتوته

راح ابراهام يستقبل الحياة ويمشى فى مناكبها ، وكأن الظروف كلها من عدوه ؛ فما زال يغالب الظروف وتغالبه ، ويعركها وتعركه ، حتى وصل إلى مركز الرياسة فى قومه ، دون أن يستمد العون مرة من أحد؛ أو تكون له وسيلة من جاه أومال؛ أو حظوة عند ذى قوة، أو غير هذا وذاك ممـا يبتغى به الناس الوسائل إلى ما يطمحون إليه من غايات ...

ولما أن بلغ هذا المركز كانت البلاد كما أسلفنا تتوثب فيها الفتنة ويتحفز الشر ؛ فكانت الظروف يومئذ كأسوأ ما تكون الظروف ؛ ولكنه على الرغم من ذلك سار إلى غايته غير خائف ولا وان ولا منصرف عن وجهته إلى وجهة غيرها حتى عقد له النصر وتم له أداء رسالته ...

وكيف لعمرى تخلق الظروف العظماء ؟ وكيف يسمى عظيما ذلك الذى تخدمه الظروف فلا يكون له من فضل إلا ما يجيء عن طريق المصادفة ؟ ألا إن العظيم الحق إنما هو الذى تخاصمه الظروف فينجح على رغم ما تكيد له الظروف؛ وتتجهم له الأيام فيقدم على العظائم على الرغم من تجهم الأيام، وتعترضه الصعاب الشداد فلا تثنى له عزمه أشد الصعاب. بذلك تكون الظروف هى التى تخلق العظماء ؛ فيكون الرجل الذى يظهر عليها ويظفر على الرغم منها هو العظيم ، ويكون فى ذلك كالدر تظهر النار جوهره

لبث إبراهام فى الفنـدق ينتظر حتى يتخلى له بيوكانون الشيخ عن قيادة السفينة ؛ وكان إبراهام يستمع إلى دوى العاصفة يزداد يوماً بعد يوم فيتلفت فلا يرى حوله غير سيوارد ؛ ولـكن سيوارد وصاحبه لا يلبث أن يدب بينهما خلاف شديد ؛ فلقد كبر على سيوارد ألا يشاوره أبراهام فى الخطبة التى أعدها ليوم الاحتفال وكان قد كتبها قبل أن يسافر من سبرنجفيلد ...

وعلم إبراهام بالأمر فأتى بالخطبة بين يدى صاحبه ؛ فاقترح عليه أن يغـيِّر فيها أشياء وأن يضيف إليها أشياء ، فلم ير إبراهام رأيه ؛ على أنه قبل أن يضيف إلى الخطبة خاتمة كتبها سيوارد وتناولها إبراهام بالتغيير ليلتئم أسلوبها مع أسلوب الخطبة ؛ وظن إبراهام أنه أرضى بذلك صديقه ... ولـكنه فوجئ فى اليوم السابق ليوم الاحتفال بخطاب من عند صاحبه ينبئه فيه أنه يتحلل من وعده الذى سبق أن قطعه على نفسه بالاشتراك معه فى الحكم ؛ وطوى إبراهام الخطاب متألماً مكتئباً ... ألا ما أشد عنت الأيام ! حتى سيوارد الذى ليس غيره ترجى منه المعونة تكون من جانبه العقبات ؟ ·

وأشرقت شمس اليوم الرابع من مارس عام ١٨٦١ ، وكان يوماً من أيام الربيع طلق المحيا رخى النسائم ... فخرج الناس يشهدون موكب الرئيس الجديد ؛ وكان موكب الاحتفال بتولية رئيس الولايات من أعظم ما تهتم به البلاد ؛ وهو فى هذه المرة أجل قدراً منه فى كل ما سلف من الأيام ؛ وذلك لما كان يحيط بتولية إبراهام من معان تجيش بها نفوس الخصوم والأنصار

وقضى إبراهام صباح ذلك اليوم يقرأ خطبته من جديد ويهذبها بالحذف والإضافة ، حتى متع النهار فجاء بيوكانون إلى الفندق فى عربة فركب معه إبراهام ، والناس على طول الطريق إلى بناء المحافظة (الـكابتول) تقع أعينهم على الرجلين ، فهذا هو الرئيس القديم يشيع فى رأسه الشيب ويبدو على بدنه ومحيـاه الهزال من أثر السنين ومن أثر ما حمل من عبء أوشك أن يلقيه وقد أربى على السبعين ... وهذا هو الرئيس الجديد يبدو قويـًا فتيـًا وهو يومئذ فى الثانية والخمسين ؛ هذا هو الرجل القادم من

الغرب ؛ هذا هو ابن الغابة ... هذا هو النجار تملأ الأعين قامته الطويلة التي تلوح للأعين أكثر طولا إلى جانب صاحبه الشيخ الضئيل ... وهو يرتدي اليوم حلة ما ارتدى مثلها من قبل ، حلة ارتضتها له ماري وهيأتها لذلك اليوم ، ثم هو يقبض بيده الكبيرة التي أكسبها حمل المول كبرها وخشونتها ، على عصا جميلة أنيقة

وضاقت بالناس الطرقات ؛ وكان رجال الشرطة قد أبعدوا الجموع قليلاً عن حافتي الشارع ، وقد أمرهم كبيرهم ألا يسمحوا بأي عبث بالنظام مهما خيل لهم أنه تافه . وكان كبير الشرطة يخاف أن تمتد أيدي الآثمين إلى الرئيس بالعدوان إذ كانت الاشاعات قد اتخذت مجراها في كل سبيل ، وملأ الهمس بها الآذان ، ووجفت من هول الجريمة قلوب الكثيرين من المخلصين

ووصل الرئيس إلى مكان الاحتفال ، وهو مرتفع أعد لهذا الغرض ، وقد امتلأت الساحة المحيطة به بجموع من الناس حتى ما تتسع بعدهم لقدم ... وكان على مقربة من المكان تمثال وشنجطون وقد نحت من المرمر الأبيض وهو يتلألأ في ضوء الشمس وتنبعث منه معاني البطولة والعظمة والحرية والفداء ...

ووقف الرئيس الجديد يوجه الكلام للشعب جميعاً لأول مرة وقف فتى الأحراج أمام هاتيك الجموع ثبت الجنان ، مستوى القامة، مرفوع الهامة، وألقى نظرة أمامه على علية القوم من الشيوخ والأعيان ورجال الجيش ورجال الدين والقضاة وغيرهم وغيرهم ثم مدّ بصره في الجموع وقد سكنت ريحهم فتهيأ للكلام ... ولكن ماذا عراه ؟ لقد وقف يمسك باحدى يديه عصاه وبالأخرى قبعته ، فكيف يمسك الورق ليتلو منه خطبته ؟ ها هو ذا يسند العصا إلى الحاجز الخشبي أمامه فأين يضع القبعة ؟ لقد أوشك أن يقع في ورطة، وأوشك أن يثير ضحكات الخصوم بحيرته؛ ولكن ها هو ذا رجل يثب من مكانه وكان يجلس منه في سمت بصره ، فيأخذ القبعة من يده ... ومن هو ذلك الرجل ؟ إنه دوجلاس خصمه القديم ومنافسه ذو البأس الشديد ...

وكان دعاة الانسحاب من أنصار الجنوب يأملون أن يتهدد لنكولن الولايات الجنوبية ويتوعد ، فيشتد بذلك الهياج في تلك الولايات ويتعذر بعدها أن يجنح هؤلاء للسلم ، ولكن لنكولن خيب ظنونهم وزادهم بحكمته وحصافته وبعد نظره ويقظته غماً على غم ...

كانت خطبته خير مثال للاعتدال في غير تفريط ، وللتواضع في غير استخذاء أو استسلام، وللتحذير في غير إثارة أو استفزاز، وللمرونة في غير رياء أو التواء ، وللمدالة في غير مشادة أو عناد .. كما كانت كالسلاسل الذهب فصاحة وسهولة ؛ ناهيك بما امتازت به من نصوع البرهان ومتانة الحجة واستقامة المنطق وجمال السبك وبراعة السياق ودقة الالمام بالموضوع ، وسعة الاحاطة بما كان يشغل الأذهان

وكان الخطيب رنان الصوت ، قوى الجرس ، وثيق الاشارات تشيع في كلامه حرارة الايمان وقوة اليقين وصدق الاخلاص فتنفذ إلى قلوب أنصاره وخصومه على السواء ؛ وإن كان خصومه ليكرهون فوزه وينكرون مبادئه ...

قال يشير إلى مخاوف أهل الجنوب : « يظهر أن المخاوف تنتشر في الولايات الجنوبية ، ومبعثها أن قبولهم الحكم الجمهوري من شأنه أن يعرض أملاكهم وسلامتهم وأمنهم على أشخاصهم المخاطر . إنه لم يكن هناك سبب معقول لهذه المخاوف ؛ بل لقد قامت بينهم أقوى شهادة على نقيض ذلك، وكانت دائماً تحت سمعهم وبصرهم ... إنها تكاد توجد في كل خطبة من خطب ذلك الذي يحدثكم الآن ، وإني لأقتبس من إحدى تلك الخطب حين أقول ليس لي من غرض مباشر أو غير مباشر في التدخل في نظام العبيد في الولايات التي يقوم فيها ذلك النظام ... وإني أعتقد أنه ليس من حقي أن أفعل ذلك ، وأن الذين رشحوني وانتخبوني إنما فعلوا ذلك وهم على علم تام أني صرحت كثيراً بمثل هذا ، ولم أتزحزح مرة عما قلت »

ولم يقف الرئيس في اعتداله عند ذلك الحد، بل لقد ذهب إلى التصريح بأن العبد الفار إلى الولايات الحرة لا تمنح له الحرية . ولقد أشفق كثير من أنصاره من هذا التصريح ، ولكن لنكولن يستند في ذلك التصريح إلى مبادئ الحزب التي لا يمنح بمقتضاها العبد حريته إلا إذا ذهب مع سيده غير فار إلى ولاية حرة وأقام فيها

وتكلم لنكولن عن انسحاب الولايات من الاتحاد فقال : « لن يخول القانون لأية ولاية حق الانسحاب » ثم أردف قائلا إن القسم الذي أقسمه على المحافظة على الدستور يجعل لزاماً عليه أن يقوم بواجبه فيعمل على أن يكون قانون الولايات المتحدة نافذاً في جميع الولايات. واختتم الحديث في هذا الموضوع بقوله : « إني واثق أنكم لن تحملوا على التهديد كلامي ، بل إنها كلمة

الاتحاد يعلن أنه سوف يحمى ويدعم بناءه على أساس من الدستور . وهو إذ يفعل ذلك لا يرى ثمة حاجة إلى سفك الدماء والعنف ، وسوف لايكون شيء من هذا إلا إذا أجبرت عليه السلطة القومية

وأشار إلى الوحدة من الناحية العضوية فقال إن نصف الشعب لا يستطيع أن يقوم بغير النصف الآخر ، وإذا كان فى الدستور عيب فمن الممكن إصلاحه على يد مؤتمر يجتمع فيه ممثلو الشعب . فاذا رأى الشعب الانفصال حقاً لكل ولاية فله رأيه وليفعل كما يرى ، أما هو فليس لديه من قوة إلا ما منحه الشعب

وتكلم عن الداعين إلى الثورة فقال إنه لا مبرر للثورة إلا إذا لجأت الأغلبية إلى الطغيان ؛ ومثل هذا المبرر لا وجود له ، وإن الانسحاب معناه الفوضى ولا نتيجة للفوضى إلا الاستبداد ...

واختتم لنكولن خطبته بتلك العبارة التى اقترحها سيوارد وتناولها هو بالتعديل قال: « لسنا أعداء بل نحن أصدقاء؛ ويجب ألا نكون أعداء . ومع أن الغضب قد جذب حبال مودتنا فيجب ألا يقطعها ؛ وإن الأناشيد الخفية التى ترن فى الذاكرة منبعثة من كل ميدان من ميادين القتال ومن كل قبر من قبور الوطنيين ، إلى كل قلب حى وإلى جانب كل موقد فى هذه البلاد العريضة لتزيد فى جوقة الاتحاد ، إذا ما مسها من جديد كما نثق أنها ستمس — وحى من طبيعتنا

وأقسم إبراهام اليمين وعيناه على الأنجيل . وتولى صيغة القسم القاضى تين صاحب قضية دروسكوت الشهيرة وكان يومئذ القاضى الأعلى للبلاد . وبعد أن أدى إبراهام اليمين أن يحترم الدستور ويحافظ على قوانين البلاد سار إلى البيت الأبيض ، وكان أول عمل له بعد وصوله أن تناول القلم فكتب إلى سيوارد الخطاب الآتى :

« سيدي العزيز : تسلمت رقعتك المؤرخة ٢ الجارى التى تسألنى فيها أن أقبل انسحابك من الاشتراك معى فى إدارة الحكم ؛ ولقد كانت رقعتك هذه سبباً لأعظم قلق عندى إيلاما ، وإنى لأشعر أنى مضطر إلى أن أرجوك أن تلغى هذا الانسحاب . إن الصالح العام ليدعوك أن تفعل هذا ، وإن شعورى الشخصى ليتجه فى شدة فى نفس الاتجاه . أرجو ان تتدبر وأن يصلنى رد منك فى الساعة التاسعة من صباح الغد ... خادمك المطيع ... »

« يتبع » الخفيف

تيسير قواعد الاعراب

لأستاذ فاضل

— ٥ —

تطبيقات

فرغنا فى مقالاتنا السابقة من ذكر مؤاخذاتنا على جماعة وزارة المعارف فيما رأته من تيسير قواعد الاعراب ، وكان سبيلنا فى هذا مخالفاً لسبيل غيرنا فى مؤاخذاته عليها ، لأنا نتفق معها فى غايتها من الاصلاح ، فهدمنا من عملها لنبنى أتم منه ، وأبطلنا من رأيها لنصل فى الرأى إلى ما لا يمكن هدمه ، فتعلو به كلمة الاصلاح ، وينتصر ما نريده من التجديد النافع . وقد بلغنى عن صديق لى أن عضواً بارزاً من هذه الجماعة ذكر له أنه معجب بما كتبناه فى ردنا عليهم ، فلا أدرى ما يمنعه من ذكر رأيه فيما كتبناه من ذلك على صفحات مجلة الرسالة الغراء ، ليتبين الحق فى هذا الموضوع ونصل إلى ما تريده وزارة المعارف من الاصلاح فى قواعد الاعراب

وإنى أريد الآن أن أذكر تطبيقات على ما ذهبت إليه في إصلاح هذه القواعد ، ليتبين أن ما ذهبت إليه من هذا مذهب مطرد ، ورأى لا شذوذ فيه ولا اضطراب

التطبيق الأول

ألا إنَّ قلبى لدى الظاعنينَ حزينٌ فمن ذا يُعزِّى الحزينا

(ألا) أداة استفتاح مجزومة بالسكون (إن) حرف توكيد منصوبة بالفتحة (قلبى) مبتدأ منصوب بفتحة مقدرة قبل ياء التكلم ، وهو مضاف وياء التكلم مضاف إليه مجرور بكسرة مقدرة على آخره (لدى) ظرف مكان منصوب بفتحة مقدرة على آخره ، وهو متعلق بحزين مقدم عليه ، ولدى مضاف والظاعنين مضاف إليه مجرور بالياء نيابة عن الكسرة (حزين) خبر المبتدإ مرفوع بالضمة (فمن ذا) الفاء للتفريع منصوبة بالفتحة ، ومن اسم استفهام مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة في آخره

وذا خبر المبتدإ مرفوع بضمة مقدرة فى آخره (يعزى) فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة فى آخره ، وفاعله ضمير مستترجوازاً تقديره هو (الحزن) مفعول به منصوب بالفتحة ، ولا داعى إلى ذكر أن الجملة صلة لا محل لها من الاعراب ، وإنما يعنى بتقدير الاعراب فى الجمل التى لها حظ منه

التطبيق الثانى

يبذلٍ وحلم ساد فى قومه الفتى وكَوْنُكَ إيَّاه عليك يسير

(يبذل) الباء حرف جر مجرور بالكسرة ، وبذل مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة فى آخره ، والجار والمجرور متعلق بساد (وحلم) الواو حرف عطف منصوب بالفتحة ، وحلم معطوف على بذل مجرور بالكسرة (ساد) فعل ماض منصوب بالفتحة (فى قومه) فى حرف جر مجزوم بالسكون ، وقوم مجرور بفى وعلامة جره الكسرة ، وقوم مضاف والضمير مضاف إليه مجرور بكسرة فى آخره (الفتى) فاعل مرفوع بضمة مقدرة (وكونك) الواو حرف عطف منصوب بالفتحة ، وكون مبتدأ أول مرفوع بالضمة ، والكاف المضاف إليه مبتدأ ثان مرفوع بضمة مقدرة (إياه) خبر المبتدإ الثانى منصوب بفتحة مقدرة فى آخره (عليك) على حرف جر مجزوم بالسكون ، والكاف مجرور به وعلامة جره كسرة مقدرة ، والجار والمجرور متعلق بيسير (يسير) خبر المبتدإ الأول مرفوع بالضمة

ولا غرابة فى أن يكون المضاف إليه مبتدءا فى هذا البيت ، فان هذا هو الواقع فى أمره ، أما إعرابه اسما للكون فانه هو الغريب فى الحقيقة ، لأن المضاف إليه ليس اسما له ، وإذا كان لنا مبتدأ مجرور بالحرف في نحو — رُبه فتى — فانه لا يكون هناك غرابة فى أن يكون لنا مبتدأ مجرور بالاضافة فى ذلك المثال ونحوه .

التطبيق الثالث

يُغْضِى حياء ويغضَى من مهابته فما يُكلَّمُ إلا حين يبتسم

(يغضى) فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة ، وفاعله ضمير مستتر جوازاً تقديره هو (حياء) مفعول لأجله منصوب بالفتحة (ويغضى) الواو حرف عطف منصوب بالفتحة ، ويغضى فعل مضارع محذوف الفاعل مرفوع بضمة مقدرة (من مهابته) من حرف جر مجزوم بالسكون ، ومهابة مجرور بمن وعلامة جره الكسرة ، وهو مضاف والهاء مضاف إليه مجرور بالكسرة والجار والمجرور متعلق بقوله يغضى (فما يكلم) الفاء للتفريع منصوبة بالفتحة ، وما نافية مجزومة بالسكون ، ويكلم فعل مضارع محذوف الفاعل مرفوع بالضمة ، والمفعول ضمير مستتر جوازاً تقديره هو (إلا) أداة استثناء مجزومة بالسكون (حين) ظرف زمان منصوب بالفتحة (يبتسم) فعل مضارع مرفوع بالضمة ، والفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو ، والجملة من الفعل والفاعل مضافة إلى حين مجرورة بكسرة مقدرة

وفى هذه التطبيقات الثلاثة كفاية

« تم البحث » أزهرى

بين اللغة والأدب والتاريخ

الفالوذج

للاستاذ محمد شوقى أمين

— ١ —

لفظه . تعريبه . الابدال من حروفه . مستعمله فى الأدب . واحده . جمعه . معناه . رحلته إلى العرب . إطعامه الناس . تهيب ذوى الورع إياه . رحلة أعرابي إليه .

— ١ —

الفالوذج كلة فارسية النشأة ، أصل منطقها على ألسنة أهلها : پالوذه[١] ، فأول حروفها : الباء التى بين الباء والفاء ، أو المخلوطة بالفاء على تعبير الشهاب الخفاجى[٢] . وختامها : الهاء الساكنة على أصل اللسان الفارسى[٣] . ومن حروفها الذال المعجمة كما فى الكثير الأكثر من كتب اللغة وأقوال الأئمة . ولكن الشيرازى محمداً علياً قال : إن الفالوذج معرب عن پالوده بالدال المهملة[٤] . وهذا يؤيد ما نقلته المعجمات المؤلفة لهذا العهد من قولها : إن الفالوذج بالمهملة ، لغة فيها بالمعجمة[٥] . والشيرازى من نبعة الفرس ، فهو يتحدث عن لغة قومه . فحقيق بنا أن نرجع إليه ، ونعول عليه ، وندع مالكسرى لقوم كسرى !

وقد عرّب العرب هذه الكلمة ، بعد تشذيب وتثقيف ، مبالغة فى تحقيق الجنسية اللغوية[٦] ، كما يقول الرافعى ، فقد سمَوْا بالحرف الأول المترجح بين الفاء والباء ، إلى الفاء ، إذ كان هذا الحرف المذبذب ليس فى عداد الأصلى من حروف الفصحى ، واستبدلوا الذال بالدال ، كما صنعوا فى سَذَاب وساذَج وباذَق ، فالذال عوض من الدال الفارسية فى هذه الألفاظ . ثم جعلوا الهاء جيماً[٧] ، على أسلوبهم الأغلبّ فى التعريب[٨] . فقالوا : فالوذج ، ولم يرتض هذا الابدال الأخير جمع من نقدة اللغة ،

(١) شفاء الغليل (حرف الفاء) (٢) مقدمة الشفاء
(٣) تاج العروس (٤) معيار اللغة
(٥) أقرب الموارد ، ومحيط المحيط ، ومعجم استنجاس
(٦) تاريخ آداب العرب (الأول — ١٩٩)
(٧) التاج (٨) الجاسوس على القاموس

فقالوا : بل تبدل الهاء قافاً[١] ، وهى طريقة العرب كذلك[٢] ، أو تحذف الهاء دون إبدال ، وعلى هذا القول المخيّر بين اثنتين من الحذف أو إلحاق القاف : تماسَح فقهاء اللغة ، فما إن تجد فى المعجمات الوثيقة وما فى حكمها إلا : الفالوذ ، أو الفالوذق

فأما مناهل الأدب والتاريخ ، ومكانز النوادر والطرف ، فقد آثرت كلة الفالوذج على هذا الوجه ، فهى ثَمّ مستعملة سائرة ، لا يُعدل عنها إلا فى الندرة والفلتات . وهى كذلك فى أكثر شعر الشعراء بين قديم ومحدث ، ولا سيما عصر بنى العباس . وما أجدر ذلك على اجتماعه أن يكون برهاناً قائماً على أن جمهور الأمة العربية كان يجري على إبدال الهاء جيماً ، وأن اللفظ قد ذاع على هذه الصورة أول ما ذاع . فتلقفته الألسن بعد ذلك عصراً فى أثر عصر ، وبقى التصحيح اللغوى أثراً مهجوراً لا يقتفيه أحد فى صحراء المعجمات !

والطائفة من هذه الحلواء : فالوذجة ، كما قال السيرافى[٣] وهذا قول يَمُدُّ كلة الفالوذج فى أسماء الأجناس التى يُفرق بينها وبين واحدها بالتاء ، كتمر وتمرة ، وبطيخ وبطيخة . وهى قياس فى المخلوقات ، سماع فى المصنوعات ، فما يجىء من هذه مُشَبَّه بما جاء من تلك[٤]

ولو أريد جمع الفالوذج جمعاً صناعياً على ما ينقاس فى مثله ، لكان أقرب شىء متناولاً جمع الألف والتاء ، كما هو مفهوم قول سيبويه[٥] ، وصريح رأى ابن عصفور[٦] . فيكون : الفالوذجات . ولم يقع لى هذا الجمع فيما قرأت . بيد أن الزمخشرى أثبت جمع الفالوذ على فواليذ ، فى سجعة من أسجاعه الرقاق[٧] . ولست أحُق : أذلك منه تطبيق على القواعد وصناعة ، أم نقل لمأثور ، أم تقييد لسماع ؟ لم ينته إلىّ من علم ذلك إلا أن الجمع صحيح على أية خطة ![٨]

وقد ذكر أبو على الفارسى أن الكلمة الفارسية ترجمتها : الحافظ للدماغ[٩] ؛ ويبدو أن هذا التفسير كان متعارفاً للخاصة من العرب حين حلَّيت موائدهم بالفالوذج وحلّت . والدلالة على

(١) الصحاح (٢) كتاب سيبويه (الثانى — ٣٤٣)
(٣) المخصص (الخامس — ٢٠) (٤) شرح المفصل (الخامس — ٧١)
(٥) الكتاب (الثانى — ١٩٨)
(٦) همع الهوامع (الاول — ٢٣)
(٧) أساس البلاغة ١ (٨) الاشمونى (الرابع — ١٤١)
(٩) المخصص (الخامس — ٢٠)

ذلك فيما حُكي عن الخليفة الأموى : سليمان بن عبد الملك [١] ، فقد كان أعرابى على مائدته يسرع فى الفالوذج . فمازحه سليمان بقوله : أأزيدك منه يا أعرابى ، فانهم يذكرون أنه يزيد فى الدماغ ؟ فقال الأعرابى : كذبوك يا أمير المؤمنين ، لو كان كذلك لـكان رأسك مثل رأس البغل !

فلم يَبتس سليمان ، واحتملها منه ، ولم يحتملها له

— ٢ —

وكلمة الفالوذج تدل على حلواء ليست من أطعمة العرب ، وإنما هى من جملة ما اجتلبوه من موائد الفرس فى مستهل الحضارة ، قبيل فجر الاسلام . وقد حكي أن عبد الله بن جدعان التيمى [٢] ، وهو الملقب بحاسى الذهب ، لأنه كان يشرب في إناء ذهبي ، وفد على كسرى مرة ، وأكل عنده الفالوذج ، فتعجب منه ، وسأل عن حقيقته ، فلما أُجيب بصفته ، ابتاع من بين الفرس غلاماً يحسن صُنعه ، ورجع به إلى مكة ، ثم سَمَحت به أريحيَّته إلى أن يطعم الناس عامةً جديد هذه الحلواء . فبسط الموائد بالأبطح إلى باب المسجد ، ثم نادى : من أراد أن يأكل الفالوذج فليحضر ، فاستجاب له الخلق من كل فج ، وكان ممن حضر أمية بن أبي الصلت . فقال يمدحه من قصيدة [٣] :

لـكل قبيـلة هاد ورأس	وأنت الرأس تقدم كل هادِ
عماد الخيف قد علمت معدٌ	وإن البيت يرفع بالعمادِ
له داع بمكة مُشْمَـعِلٌ	وآخر فوق دارته ينـادى
إلى ردح من الشِّيزَى ملاء	لباب البرِّ يُلْبَكُ بالشهادِ
ومالى لا أحييه وعنـدى	مواهب يطّلعن من النِّجاد؟

ولـما حفلت موائد العِـلْية والسراة من العرب المتحضرين بالفالوذج ، طوفت في شأنه الأقاويل ، فتهيبه ذوو الورع ، إذ كان المسلمون حديثى عهد بالحنيفية ، يتعففون عن كل ما تطالعهم به الأمم الدخيلة فى مختلف أسباب الحياة ، وبخاصة المتع واللذائذ ، قانعين من شئون اجتماعهم بما أشرقت عليه شمس الاسلام ، وما رأي النبي صلوات الله عليه الناس يأكلونه فلم ينههم عنه . فإنه ليحكى أن الحسن البصري [٤] — إمام الفقه والفتوى — سمع رجلا يعيب الفالوذج ، فذكر له الحسن أخلاطه التى يبنى عليها ، وقال : ما عاب هذا مسلم !... وعلم الحسن [١] كذلك أن رجلا يتنزه أن يأكله ، فراجعه ، فقال الرجل : يا أبا سعيد ، أخاف ألا أؤدى شكره ، فقال الحسن : يالكع ، وهل تؤدى شكر الماء البارد ؟ ثم تلا عليه قول الله : ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقنا كم .

ويظهر أن انتشار الفالوذج فى الأمصار العربية والحواضر ، وتَضوُّع أخباره فى البوادى ، شوق الأعراب إلى استكناه هذا الطعام الموصوف ، فانى لأنسى ولا أنسى نادرة يقطر منها ماء الظرف ، وقعت لى في بعض القراءات ، وهى أن أعرابيا خرج يضرب آباط الابل إلى حضَر المسلمين ، يسأل : ما الفالوذج ؟ ولم يُبَرِّدْ ظهر مطيته حتى وُصف له ، فلما سمع الوصف تَمَطَّق ، ثم قال : إى والله ! لو نزلت هذه الصفة فى القرآن لكانت موضع سجدة ... وهكذا كشفت تلك الرحلة الفالوذجية الماجية ، أمنية أدعى إلى العجب ، وهى أن تنزل صفة الفالوذج فى محكم الكتاب : سورة الحلوى !!

« للبحث صلة »

محمد شوقى أمين

(١) العقد الفريد (الثانى — ٣٠٧) (٢) بلوغ الأرب (الأول — ٣٨٠)
(٣) اللآلىء للبكرى (الأول — ٣٦٣)
(٤) البيان والتبين (الأول — ٣١)

(١) العقد الفريد (٤ — ٢٩٤)

حول الطريقة التجانية

للشيخ محمد الحافظ التجاني
شيخ هذه الطريقة بمصر

قرأت فى العدد (٢٦٦) من مجلة الرسالة أسئلة من ألبانيا إلى الأستاذ الحجوي وهذا نص السؤال :

« إن الطريقة التجانية المنتشرة فى أكثر البلاد حتى البلاد الأرناؤودية ولا سيا بلدتنا أشقودرة هل المندمج فيها غير مناف للشريعة الغراء؟ ومنتسبو تلك الطريقة يدعون أفضلية قراءة (صلاة الفاتح) لما أغلق على تلاوة القرآن ستة آلاف مرة وهو أكبر الأذكار متأولين بأن ذلك بالنسبة لمن لم يتأدب بآداب القرآن كما فصله فى كتاب جواهر المعانى المنسوب إلى التجانية، وأن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بتلك الصلاة الخاصة إنما يترتب عليها الثواب إذا اعتقد أنها من كلام الله القديم من قوله عليه السلام : « من صلى عليّ مرة صلى الله عليه عشراً » ، وأن تلك الصلاة مع فضيلتها بتلك المثابة لم يعلمها النبي عليه السلام لأحد إلا لمؤسس تلك الطريقة . وفى ذلك مالا يخفى من لزوم الكتمان ومنافاته للتبليغ المأمور به عليه السلام؟ وأن مؤسس تلك الطريقة أفضل الأولياء مع أن الاجماع هو أن الأفضل بعد نبينا محمد عليه السلام ، الخلفاء الأربعة على الترتيب المعلوم ؛ وأن من انتسب إلى تلك الطريقة يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب وتنفر ذنوبه الكبار والصغار حتى التبعات وغير ذلك مما هو مبسوط فى الكتب التجانية »

وحيث أننا — أهل هذه الطريقة أحق الناس ببيان ما نحن عليه — وكان فى تلك الأسئلة تحريف عن الحقيقة التى عرفناها ونقلناها عن شيوخنا قاطبة ، فإننى أعلن بلسان كل من ينتسب إلى هذه الطريقة أن من يعتقد أن صلاة الفاتح أو غيرها من الصلوات أفضل من القرآن فهو ضال مضل ما عرف الاسلام؛ وليس هناك فى طريقتنا من يعتقد تلك العقيدة الزائغة ، وقد قال شيخ الطريقة الأكبر فى جواهر المعانى :

أما تفضيل القرآن على جميع الكلام من الأذكار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الكلام فأمر أوضح من الشمس كما هو معلوم فى استقراءات الشرع وأصوله شهدت به الآثار الصحيحة

أما الذى نقول به فهو أن من لم يحسن أدب تلاوة الكتاب الواجبة ، فلأن يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم أفضل له من أن يتلو القرآن وهو مخل بشروط تلاوته . فالمقارنة فى حال التالى لا فى المتلو فانه لا خلاف فى أفضلية القرآن . فأى شيء فى ذلك وهو الذى يقول به العلماء ؟

على أنه لا حرج فى رجاء الاثابة على العمل القليل بالجزاء الكثير ، وإن كان العامل لا يستحقه ولا العمل، والفضل الالهى يتسع لإثابة المؤمن على تسبيحة واحدة بجزاء عمل كثير من محض الفضل الالهى بغير استحقاق . وقد صح فى التأمين والتسبيح والذكر شيء من ذلك . وليس هذا من باب تفضيل غير القرآن على القرآن بأى وجه من الوجوه . ولا يذكر هذا ليتكل عليه المؤمنون فالمؤمن يعمل ويخاف ويرجو — وعدم الأمن أصل فى العمل بالطريق — ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون — ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون . وإن من مكارم الأخلاق حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله

وليس هناك فى طريقتنا من يعتقد أن الشيخ أفضل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما زعم السائل

وقد صرح فى جواهر المعانى أنهم أفضل ممن بعدهم مستدلا بما روى عنه صلى الله عليه وسلم : (إن الله اصطفى أصحابى على العالمين سوى النبيين والمرسلين) وقال : أعمالنا معهم كسير النملة مع سرعة طيران القطاة . وذكر أن أعمال من بعدهم فى صحيفتهم. أما دعوى تفضيله على النبيين فهى دعوى لا تستحق أن يلتفت إليها لوضوح بطلانها

أما صلاة الفاتح ودعوى أن أهل الطريقة يقولون إن النبي صلى الله عليه وسلم كتمها عن أصحابه وأعطاها للشيخ وكونها من كلام الله القديم ، فهذه الصلاة موجودة قبل الشيخ ، وهى منسوبة لسيدى محمد البكرى وهو موجود قبل ولادة الشيخ بزمن

طويل ، فكيف تكون مكتومة ؟ ومن نسب الكتمان له صلى الله عليه وسلم فيما أمر بتبليغه فهو كافر مرتد . وكذلك من اعتقد أنها من أى نوع من أنواع وحى النبوة . ولم يقل أحد عندنا إنها من الأحاديث القدسية . والذى حققه حجة هذه الطريقة سيدى العربى بن السائح في كتابه (بغية المستفيد) أنها يصح أن تكون من الالهام الذى يجوز للأولياء ا ه

قال صلى الله عليه وسلم : (ذهبت النبوة وبقيت المبشرات . قالوا وما المبشرات يا رسول الله ؟ قال : الرؤيا الصالحة يراها العبد الصالح أو ترى له)

والرؤيا ليست بقاصرة على ما يراه المرء فى نومه كما هو معروف فى اللغة. وذكر الحافظ بن حجر فى شرح حديث ابن عباس هى رؤيا عين أريها صلى الله عليه وسلم الخ فى البخارى فيصح أن تشمل ما هو معروف بالالهام والمشاعر والوقائع والتحديث ونحوه مما حقق العلماء أنه جائز أن يكون نصيب الولى من ميراث النبوة. ويجب عرض ذلك على الشريعة فاوافقها أخذ به ومالا فلا؛ وقد يكون له تأويل كالرؤيا المنامية سواء بسواء. وصح عنه صلى الله عليه وسلم : (أنه كان فيمن قبلكم رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء)

وأهل هذه الطريقة قاطبة فى أنحاء المعمورة ليس فيهم واحد على غير مذاهب أهل السنة والجماعة ، فهم حنفية أو مالكية أو شافعية أو حنابلة . ومعتقدهم معتقد أهل السنة الذي عليه الفقهاء والمحدثون والأصوليون والصوفية. وقد بلغ فيهم الكثيرون الامامة فى عصرهم فى أقطارهم كسيدى ابراهيم الرياحى شيخ الاسلام بتونس ، وسيدى احمد كلانبانى شيخ الجماعة بفاس ، والفقيه جنون، وسيدى على بن عبدالرحمن مفتى وهران، وسيدى محمد الحافظ العلوى الشنقيطى .

وكل ما يوهم فى كتبنا غير هذه العقيدة فقد تصدى علماء الطريق لبيان المراد منه وحمله على الوجه الذي يوافق ما عليه الجماعة ولنا أسوة بمن سبقنا من العلماء . أما ما نسب للشيخ رضى الله عنه مما لا يمكن تأويله ولا يمكن حمله على وجه صالح فنحن نراه كذبا عليه ونرده. وقد سئل : (أيكذب عليك ؟ قال نعم — إذا سمعتم عنى شيئا فزنوه بميزان الشرع)

وقد كذب على الله والرسول والصالحين فأى حرج أن يكذب عليه ؟

وإن الواقع هو أوضح دليل على براءة الشيخ وطريقته من هذه الأكاذيب المفتراة أو التى ولدها فهم فى كلامه لا نقول به بحسب صريحا وهو عندنا مؤول يحرم الأخذ بظاهره . ذلك الواقع أننا نجد أصحابه لا يقولون بها . وقد أطبق علماء الطريق من عصر الشيخ على إعلان البراءة منها صريحا وبيان أن من يعتقدها ليس فى الطريق فى شيء. ومعلوم أن أتباع كل امرىء أخبر الناس بما هو عليه . وصريح كلامه الذى لا إبهام فيه ولا غموض هو المرجع الصحيح، وقد تبرأ من كل قول يخالف الشرع ولم يجعل ميزانا بينه وبين أتباعه غيره .

وإذا فليس فى هذه الأمور معضلة من معضلات العصر، ولكن المعضل حقيقة هو النزاع فيما بيننا معشر المسلمين ؛ ولا شك أن لأعداء الاسلام المصلحة فى التفرقة

ولا أدرى ألم يحن الوقت الذى يترك فيه نزاع الطوائف الاسلامية ويوضع سلاح الافتراء والتحريف وسوء الظن الذى يتحاربون به ؟ وهلا ييسر لهم من يسعى فى التفاهم على أساس حسن الظن بينهم وجمع كلمتهم والتماس المعاذير لمن لعل له العذر منهم؟

وليس هذا كل ما يقال عن الطريق فقد ذهب نزاع الطوائف إلى حمل كل موهم فى كتبنا على أسوأ الوجوه مما لا يخطر على بال أحد منا ولم نسمعه إلا من خصوم الطريق، وإلى أبعد من هذا، إلى التدليس كما يقال : فويل للمصلين ـ ويترك الذين هم عن صلاتهم ساهون، وإلى الاختلاق والكذب على التاريخ وعلى الأحياء من العلماء، ووصل حتى إلى الأمور الشخصية، وسأقدم للعالم الاسلامى مثلين واقعين من ذلك الافتراء :

فما هو ذا جواب العلامة المحدث السيد عبد الحى الكتانى أطال الله حياته على سؤال رفعته إليه عن دعوى رجل زعم أن جواهر المعانى ألفه بعض المستشرقين الفرنسيين وزعم أن الأصل موجود فى مكتبة السيد

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله حق حمده
وصلى الله على سيدنا محمد وحزبه

إلى صاحب الفضيلة الشريف العلامة مولاى أبى الإقبال
سيدى عبد الحى الكتانى حفظه الله آمين.
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد
فإن مجلة تصدر بمصر تسمى هدى الإسلام نشرت في العدد ٤٧
من السنة الثالثة أن كتاب جواهر المعانى – إنما هو من
تأليف بعض أعداء الدين (جماعة من مستشرقى الفرنسيس)
وقال الناشر – وثمة قصة طويلة يسأل عنها الأستاذ
الكتانى بفاس إذ هو يعلم ذلك خبيرا يحتفظ به من نسخة
الجواهر التى كتبها زعيم هذه الطائفة بإملاء من [illegible]
والأمر أعظم مما يذكر [وليس الخبر كالعيان] الخ – اهـ
وإنى أرفع هذا لفضيلتكم لتتفضلوا ببيان حقيقة دعوى من
كتب هذا القول وتفضلوا يا سيدى بقبول إجلالى واحترامى
محمد الحافظ التجانى
فاس ٢٤ رمضان ١٣٥٦

الحمد لله إن ما ادعاه [illegible] من [illegible] وما شأن المستشرق
[illegible] بالجواهر المعروف المطبوع المتداول وليس بيدى
نسخة من الجواهر غير النسخة المطبوعة المتداولة [illegible]
[illegible] واردان [illegible] الكذب [illegible]
من ذكر [illegible] الكذب والسلام
قاله وكتبه محمد عبد الحى الكتانى الحسنى بفاس ٥ رمضان
عام ١٣٥٦

وزعم قوم أن قبر أوربلى الفرنسية زوجة سيدى أحمد عمار حفيد الشيخ الأكبر جعلت عليه قبة ورسم عليها صليب. والحقيقة أنها ماتت مسلمة وثبت ذلك لدى الحكومة الفرنسية ودفنت بالفعل فى مقابر المسلمين وليس على قبرها أثر لقبة ولا لصليب. وها هى ذى صورة قبرها بكوردان التابعة للأغواط فى صحراء الجزائر. وترى قبور مجاورة لحجرة سيدى أحمد عمار، وقبر أوربلى هو الثالث الملاصق للجدار فى فضاء حديقة القصر ليس فوقه إلا السماء، وقد وضع رجل يده على حجر قائم عليه يقابله حجر آخر عليه تاريخ وفاتها، وأنها ماتت مسلمة بشهادة عدول مسلمين.



ولست بعد ذلك بصدد التعرض لجواب الأستاذ الحجوى لأن هذا هو الذي لدينا ونبرأ من كل ما يخالف شرع الله وشرع رسوله صلى الله عليه وسلم، وأصحاب هذه الطريق ولله الحمد من أشد الناس قياماً بالقرآن تلاوة ومدارسة، وبالسنة علماً وعملاً؛ وأساسها تصحيح العقيدة، والقيام بالواجبات، والانتهاء عن المحرمات جميعها، والتقرب إلى الله بالنوافل على حسب الاستطاعة مع عدم الأمن — ولا واجب عندنا إلا ما أوجبه الشارع ومنه وفاء المكلف بنذره بشرطه المعروف فى الفقه، ولا مندوب إلا ما ندب إليه، ولا حكم إلا لله

وليكتب خصوم الطريق (قائمة) بكل ما يخالف الكتاب والسنة من العقائد فنكتب تحتها: هذا باطل لا نقول به، ونستطيع أن نريهم من كلام الشيخ نفسه ما يرده. والفقهاء فيها ممن لهم الباع الطائل فى الأصول والفقه كثيرون ولله الحمد، وكلهم أهل سنة واستقامة، وقد بينوا ذلك وشرحوه

وقد عاشرت كثيرا ممن بالمشرق والمغرب من السادة التجانيين فما وجدت أحدا منهم يعتقد شيئا مما يتهم به أهل الطريق مما يخالف الكتاب والسنة. وعلى فرض أن جاهلا اعتقد ذلك فليس منا لمخالفته اعتقادنا، ونحن من اعتقاده بريئون

وإذن فذلك الانكار المتفرع على تلك العقائد الزائفة لا يصلنا منه شيء، فهو موجه إلى غيرنا ممن يعتقدها. والطريقة وشيخها وأتباعه يبرأون من كل ما يخالف كتاب الله وسنة رسوله، وليس لديهم إلا ما عليه أهل السنة والجماعة

«الزاوية التجانية بالقاهرة» **محمد الحافظ التجانى**

ماضي القرويين وحاضرها

للاستاذ عبد الله كنون الحسني

تتمة

ومنذ جريان العمل بهذا النظام والانتقادات توجه إليه من كل طبقة من الطلاب . وأحق هذه الانتقادات بالالتفات أن غالب المواد أسندت إلى من لا يحسنها ، وأن كتب الدراسة لم يدخل عليها أي تعديل . فالفقه مثلاً لا زال يدرس في مختصر الشيخ خليل ذي الشروح العديدة والحواشي الكثيرة ؛ والنحو لازال يدرس في الابتدائي بشرح الأزهري للأجرومية .والألفية أبدل شرح المكدودي لها بشرح ابن الناظم وليس بذاك

على أن الذي لا يصح إنكاره من محاسن هذا النظام فضلا عن ضبطه لأوقات الدراسة هو إحياؤه لعلوم الحديث والتفسير، وإدخاله لبعض العلوم التي كان الطالب القروي محروماً منها كالتاريخ والجغرافية والهندسة . فأما كون المواد تسند إلى غير أهلها فالحقيقة في ذلك أن بعض العلوم لم يكن لأهل القرويين في الوقت الحاضر بها مساس مع ما انضم لذلك من إبعاد نبغاء أهل العلم والأدب عن الكلية وأخذهم للوظائف الحكومية ؛ فواجب أن تجلب الحكومة بعض أساتذة تلك العلوم من معاهد الشرق بينما ترسل بعثات من أبناء القرويين للتخصص فيها وتدريسها عند عودتهم . كما يجب أن يعاد أولئك الأفاضل المقصون عن الكلية إلى حظيرة التعليم ؛ فمن الجور أن يضيع عمرهم في غير ما خلقوا له ويضاع معه مستقبل الطلبة الذي نحن عليه جد حريصين

وأما مسألة الكتب فإن الزمان كفيل بتعديلها على أحسن الوجوه. ومن الانصاف أن نعترف أن الوقت لم يحن بعد لتسويتها كما ينبغي ، لما نرى عليه بلادنا من التأخر المزري في وسائل النشر وصناعة الطبع . وعسى ألا يستمر الأمر على ذلك زماناً طويلاً ولا سيما بعد تنظيم خزانة القرويين والاهتمام بجمع كنوزها وذخائرها وحفظها من التلف ورد اليد العادية عنها فالمستقبل باسم إن وجد من يعمل بجد وإخلاص

هذا، ولنا نظر في إصلاح القرويين نبديه هنا — ولو لمجرد المناسبة — فهو أقرب تناولا وأمثل سرعة وأنسب حالا من كل إصلاح غيره . وذلك أننا نرى أن تخصص الكلية بالدراسات الاسلامية المحضة وما يعين عليها ، من علوم القرآن بما فيها القراءات التي قدمنا ما كان لأسلافنا من العناية بها، والحديث والفقه والأصلين ووسائل ذلك من النحو والفقه والبيان والمنطق والحساب والهيئة ونحوها ، على أن تكون دراسة هذه بحسب التبع لتلك، ومن أجل أنه لا يتوصل إلى المطلوب إلا بها، ولذلك كان أشياخنا رحمهم الله يسمونها علوم الآلات ؛ والمقصود الأهم الذي يجعل نصب العين ويخص بالتعمق في النظر والتوسع في البحث هو الفقه والحديث وسائر العلوم المذكورة سابقاً التي نؤمل من وراء دراستها على هذا النمط والانقطاع لها بهذه القابلية أن تخرج رجالاً متضلعين منها أشد التضلع ، متقنين لها أحسن الاتقان ، فنعيد عهد مالك والشافعي والبخاري وأحمد بن حنبل والأشعري والماتريدي وابن حزم وابن العربي وعياض وابن تيمية وابن حجر وأضرابهم

وذلك في حين توجه الرغبة واشتداد الطلب وتضافر الجهود الى تأسيس جامعة عصرية Université تتكون من ثلاث كليات إحداها للأدب والثانية للطب والثالثة للعلوم . والتي للأدب نعوض بها تلك الدراسة الناقصة العقيمة التي حذفناها من برنامج القرويين، إذ أصبح من المسلم به أن الأدب لا يحيا بتلك الطريقة، ولا ينتظر أن يكون له مستقبل في هذه البلاد ما دام لم يوجه الاتجاه المطلوب التي تقتضيه الظروف الحاضرة ، وامتداد إبان البحث إلى ما لم تكن عليه في الأزمان الغابرة . واللتان للطب والعلوم نسد بهما مفاقرنا في الحياة العلمية والعملية التي ما فتئنا نسمع التبشير بها والوعد باستقبالها منذ ربع قرن فأكثر كما كنا لا نرى لها أثراً إلا عند الغير

وبقطع النظر عن مسألة القرويين نحن لا نرى بدا — إذا كنا نريد نهضة حقيقية مبنية على أساس متين من الاصلاح الاجتماعي الشامل — من إنشاء هذه الجامعة التي كم عنينا بأمرها وتهممنا بشأنها . ولذلك نتوجه بطلبنا هذا إلى



أماني حسناء

للقصصى الفرنسى كاتول ماندير

بقلم الأديب صلاح الدين المنجد

« كاتول مانديز شاعر وروائى وقصصى ... أوتى من الفهم والذكاء ما جعله يخوض فى كل فن ويطرق كل باب .. قضى حياته فى العمل المثمر والسعي المتواصل ، وكان يعشق الحياة والشباب والجمال وله في ذلك قطع من أرق الشعر وأحلاه . أشهر مؤلفاته : الأمانى الكئيبة ، مجموعة أقاصيص ، عذراء افيلا »

كانت رائعة الحسن غضة الصبا . ظهر الورد فى خديها الناعمين فوق الزغب الحريرى الجميل . وبدا السحر فى أهدابها الوطف الناعسة ، وتفتحت أنوثتها الرقيقة عن جسم بض ريان ، ونديين بارزين فيهما السحر الحلال ، فغدت كزهرة من أزهار التفاح فى أوائل نيسان ... كلها فتنة ، وكلها جمال

انطلقت ذات صباح تتهادى بين الحقول بتيه وخيلاء ؛ يعلو جبينها المشرق سحابة من همّ روع قلبها وأضناه . فرأتها جنية صغيرة كانت تتنقل بين الأعشاب ، فحزنت لها وأشفقت على ذلك الشباب ... فخرجت إليها تجرر ثوبها الأزرق الحريرى ، وسألتها بصوت هادئ رنان :

— ما الذى يشجيك يا حسناء ... ؟ لقد أوتيت من الحسن ما تتمناه كل فتاة ! إن لك لشعراً لونه كلون سنابل القمح فى حزيران ... وإن لك لعينين لونهما فى زرقة السماء إذا تنبه الفجر الوسنان ... وإن لك لفما رقيقاً وطلعة ساحرة مشرقة ، ومشية خفيفة فاتنة ، فما الذى ينغص عيشك ويحزنك يا أختاه ... ؟

— ... ... ؟

— لم لا تقولين ما بك يا فتاة ... ؟ أتشتهين ارتداء ثوب حريرى جميل ... ؟

أتودّين لبس حذاء رصع بجوهرة نادرة وزين بشرط ناعمة ؟

— أوّاه ! أوّاه !

— لكن حدثيني ... مالك ... ؟ أتشكين من الخبز الذى تأكلينه ؟ أترغبين في العسل الشهى والرُطب الجني ؟ .. لشد ما تحزنينني ياصبية ! تكلمي وأسمعيني .. أتطمعين فى أن تكونى ابنة أمير غنى ظالم ترفلين فى قصره بالدمقس وبالحرير بين ستورالخز ونضائد الديباج ، وتحيط بك الوصائف والجوارى ، تغمضين أجفانك إذا أقبل الليـل بين أناشيدهن العذاب ، وتفتحين أجفانك إذا أقبل النهار بين رقصاتهن السواحر ... ويأتى إليك الأمراء ينشدون ودك ويطلبون رضاك .. لتنظري إليهم بطرفك الفتاك ، أو لتبتسمى لهم بثغرك الفتان ...! تكلمى .. تكلمى ..

قالت الفتاة وقد وضعت كفيها الصغيرتين فوق وجهها لتخفى ابتسامة علت ثغرها كلها سحر ودلال ..

— كلا .. كلا .. ما أريد هذا ولا ذاك!. ولكنى أغار.. نعم أغار من الأزهار. إنهن لجيلات.. وإنى لأغبطهن تارةً ، ويداخل قلبي الحسد لهن أخرى ... آه لو كنت زهرة بنفسج فى أحد المروج الخضر ... !

سدة ملكنا المحبوب سيدى محمد الذي محمد الله على شفائه من مرضه وحفظه لأمته التي لها فيه آمال كبار ومتمنيات جسام لا طمع لها فى غيره بتخفيفها وإقرار عينها بها ، ومن جملتها الجامعة التي تشرف المملكة السعيدة وتغنى كثيراً من أبناء المغرب عن تكبد مشاق السفر والغربة فى طلب العلم فى البلاد الأجنبية ، وما ذلك على همته العلوية بعزيز

« طنجه » عبد الله كنونه الحسنى

— هه .. هه .. إذن كونى زهرة بنفسج ياحسناء ...!

فانقلبت حسناؤنا فجأة إلى زهرة بنفسج نبتت بين الأعشاب الندية فى أحد الحقول .. وراحت تغازلها الشمس فى النهار ، وراح القمر يغازلها فى الليـل .. لقد كانت فاتنة تبهر العين وتغريها . ولقد كان لها أريج عَطِـرٌ يسكر النفس ويحييها ... ياجمالها ! إنها ترقد بهنـاء وسرور .. تضحك وتلهو .. وترسل شذاها يملأ السهل والوادى .. حتى إن أزاهير الغاب حسدنها ، ورحن يتهامسن ويقلن : « بالسحر هذه الزهرة !. إن الفراشات ليتشاجرن من أجلها ، ويترامين فوقها .. ياسحرها .. ياسحرها !

ولـكن .. مالها .. ؟ إن الكآبة قد عاودتها ، وكاد الذبول يقضى عليها ؛ وإنها لتذرف الدمع صباح مساء ..!

وجاءت إليها جنيتنا تمشى فُضلاً بثوبها الأزرق الحريرى ... وقالت لها :

— إيه يازهرة البنفسج ! ماالذى يشجيك أيضاً ...؟ أما تمنيت أن تكونى زهرة بنفسج فكنتها ... ؟ إنك الآن سيدة الأزهار ... إن صواحبك زهرات الغاب ليحسدنك على جمالك ونضرتك . فتكلمى يازهرة البنفسج ...

— ... ... !

— لك الله يازهرة البنفسج ! كم أنت حزينة ... أرغبت عن الحياة بين الأعشاب ؟ أتريدين العيش وسط الخمائل والرياض ؟ تكلمى ... أيتها الزهرة الصامتة !

— ... ... ؟

— أأصابك الملل ياحسناء من أولـئك الفراشات اللائى يطفن حولك ليل نهار ويتشاجرن من أجلك ويسعين لتقبيلك ؟

فتنهدت الزهرة ولم تقل شيئا

قالت الجنية :

— لشد ما يغيظنى صمتك يا زهرة البنفسج ! ألم ترقك الحياة هنـا ؟ أتريدين أن تعيشى فى قصور الأميرات لتوضعى فى أوانى الصين الفاخرة فيعجب من حسنك كل من يراه ! ولتحلى صـدور أولئك النواعم الحسان ... ! آه منك يازهرة البنفسج ... لم لا تكلمينى !

قالت الزهرة :

— كلا ياأختاه ... ولـكن حسبت أن زهرة البنفسـج هى أجمل الأزهار ، وما علمت أنها صورة الحزن ورمز الألم ..! وأنا أنفر كما تعلمين من الحزن وأخاف الألم ... آه لو كنت زنبقة فى إحدى الرياض ... إن الزنبق لأجمل الأزهار . أليس كذلك ؟

— أوه ! أهذا كل ما تتمنينه؟ إذن كونى زنبقة كما تريدين !

فانقلبت زهرة البنفسج إلى زنبقة ما رأت العين أجمل منها أبداً . ولـكن ... لقد عاودتها الكآبة بعد أيام . إنهـا تريد أن تكون ياسمينة بيضاء .. كلا .. كلا، إن الفل أجمل من الياسمين.. وإن شذاه لمسكر ! ولكن ... الورد ... الورد .. أليس الورد ملك الأزهار ؟ إنها تريد أن تكون وردة ... وردة حمراء ...!

وانقلبت الفتاة من زنبقة إلى ياسمينة، ومن ياسمينة إلى وردة؛ عندئذ قالت :

— الآن طاب لى المقام وطاب لى العيش . لقـد أصبحت سيدة الأزهار وهدية الأحباب إلى الأحباب ... ! وما علىّ إلا أن ألهو براحة وهناء ... !

فلما كان الليل رأت فتى وإلى جانبه فتاة يتقدّمان على مهل حتى استقرّ بهما المكان إلى جانبها . فهمست فى أذن جارتها :

— أوّاه ! إنها لجميلة ... انظرى إلى الجمال كيف يرفّ فى وجهها ، وإلى السحر كيف يشيع فى صوتها ... لقد كنت أجمل منها إذ كنت فتاة ! يا حسرتاه ! ...

وراحت الوردة تنظر وتصغى ... تنظر إلى الحبيب يعانق حبيبته ، فيلثم ثغرها ويجس نهدها ... أو يناجيها بأرق الغزل وأحلاه . فى هدأة هذا الليل القمر الشاحب ، فتجيبه بكلمات تخالها قطع الرياض كسين زهراً !

وذرفت الوردة دمعة ... وقالت

— آه لو بقيت فتاة إذن لـكنت ... ولـكان لى فتى ... !

ولـكن ... إن جنيتى قد تولت عنى فمن لى بها ؟ لقد قالت لى إنها سترجع ، ولـكن أين هى ؟ وتنبهت الوردة عند السحر ، فذكرت ما رأته فى الليل ... وما سمعته ، وذكرت جمالهـا وسحرها ، وكيف ذهب الجمال وغاض السحر . فذرفت دمعاً بلّـل خديهـا وراح يروى الثرى ؛ وقضت نهارها فى وجوم يمت فى النفس الأسى . فلما كان أصيل الغد ، وكادت الشمس أن تطفل ، رأت امرأة بارعة القد ، صبيحة الوجه ، تمشى الهوينا إلى جانب رجل فى ريعان الشباب ، ومعهما طفل يعـدو وراء الفراشات فجلسا إلى جانبها . قالت المرأة :

إلى نورك السجين...

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

« من أحلام كونى البعيد ، أهتز لك بهذه الأنشودة ... لعل فيها سلواناً لعذابك ! »

إنْ رَأيتِ النُّورَ مَذْعُو رَ الْخُطَى نحوَ المَغيبِ
وَرَأيْتِ الطَّيْرَ يَنْعيـهِ لِأوْرادِ الْكَئيبِ
وَرَأيْتِ العِطْرَ نَعْسَا نَ عَلَى الأيْكِ الرَّطِيبِ
وَرَأيْتِ النَّهْرَ سِرًّا لَفَّهُ صَمْتُ الغُيُوبِ
وَرَأيْتِ الشَّمْسَ لا شَمْسَ سِوَى طَيْفِ الغُرُوبِ
وَرَأيْتِ اللَّيْلَ « قِدِّيساً » تَهادَى لِلصَّلِيبِ
غامِضَ الأسْرارِ يَحْكِى سِتْرُهُ نَعْشَ الذُّنُوبِ
فانظُرِى مِنْ شُرْفَةِ القَصْرِ ونادِى : يا حَبِيبِى !
تُشْرِقُ الدُّنيا وَيَنْدَى جَوُّها مِنْ كلِّ طِيبِ

وَتَهِلُّ الفَرْحَةُ الكُبْرَى عَلَى قَلْبِى الكَئيبِ
وَيَعُودُ الأمَلُ الهَا رِبُ لِى عَوْدَ الغَرِيبِ !

***

وَإذا ما الفَجْرُ أضْفَى نُورَهُ فَوْقَ التِّلالِ
وَزَكَتْ « مِئْذَنَةٌ » النَّا سِكِ مِنْ عِطْرِ « الهِلالِ »
وَإلَى اللهِ دَعا الدَّا عِى بِطُهْرٍ وَابْتِهالِ
وَأفاقَ الدِّيكُ يَنْعِى خَلْفَ « تابُوتِ » اللَّيالِى
وَانْتَشَى الوادِى مِنَ النُّورِ وَصَهْباءِ الظِّلالِ
وَمَضَى الرَّاعِى إلَى دُنْيـاهُ فى سَفْحِ الجِبالِ
وَاحْتَسَى العُصْفُورُ فى الرَّوْ ضِ عَبِيرَ البُرْتُقالِ
وتَناغَى هَزَجُ « النَّحْلِ » بِأفْياءِ الدَّوالِى
وَغَدا النِّيلُ من البَهْجَةِ قُدْسِىَّ الجَمالِ ...
فانظُرِى مِنْ شُرْفَةِ القَصْرِ عَلَى الوادِى حِيالِى
تَسْكَرُ الدُّنيا لِمَرْآ كِ تَسابِيحُ الجَلالِ
وَتَرَيْنَ السِّحْرَ سِحْرَ الْكَوْنِ يَفْنَى فى خَيالِى
أنْتَ سِحْرِى وَفُتُونِى وَصَلاتِى وَابْتِهالِى

***

لا تَظُنِّى نُورَكِ العُلْوِىَّ تُفْنِيهِ القُيُودُ
هُوَ كَوْنٌ عَبْقَرِىٌّ لا تُوارِيهِ الحُدُودُ
وَهْوَ دُنْيا مِنْ صَفاءٍ لا يُسامِيها الْوُجُودُ
رَفْرَفٌ لِلْخُلْدِ لا يَرْ قَى لِشَطَّيْهِ الخُلُودُ
تَهْرَمُ الدُّنيا وَتَبْلَى وَهْوَ شَعْشاعٌ جَدِيدُ
مالَهُ مِنْ مُهْجَتِى (م) إلاَّ التَّغَنِّى وَالسُّجُودُ
فاسْكُبِيهِ فَوْقَ عُمْرٍ كادَ يُبْلِيهِ الصُّدُودُ
أنا ظَمْآنُ ... وَلكِنْ خانَ أيَّامِى الْوُرُودُ !
وَعَلَى كَفَّيْكِ أقْدا حِى وَخَمْرِى وَالنَّشِيدُ ..
فَدَعِى الأغْلالَ ما شا ءَتْ غَدًا يَبْلَى الحَدِيدُ
قَدْ رَعَى اللهُ هَوانَا وَأظَلَّتْهُ العُهُودُ
ما الَّذِى يَبْقَى سِوَى أنْ يُشْرِقَ الفَجْرُ السَّعِيدُ !

— انظر إلى طفلنا يا عزيزي .. كيف يهيم وراء الفراشات هه ... هه ... أتذكر يوم لقيتنى لأول مرة على ضفاف البحيرة فى حديقة كهذه ، لجئت إلىّ فصددتُ عنك ... ثم ... يا لله لشد ما تزدحم الصور فى مخيلتى ! ثم جئت إلىّ وكلمتنى كلمات .. وكلمتُك كلمات ... وكان يوم الزفاف بعد أسبوع ! ...

أتذكر يوم قلت لى إنك تريد طفلاً يدخل على نفسينا السرور وعلى عيشنا الهناء ؟ فأضحك ... ها هو ذا طفلنا يلهو ويلعب ، وها هى ذى الحياة تبسم لنا وتضحك ! تعال ياطفلى أقبلك. تعال فأنت الذى أذقتنى طعم الهناء ....

وقام الزوج يطبع على ثغر زوجته قبلة أودعها كل معانى الحب والاخلاص . قالت الوردة :

— الآن فهمت معنى الأمومة ومعنى الزواج

***

كانت الشمس ترسل أول شعاع لها فتنبه شجيرات الورد الناعس عندما جاءت إليها الجنية تقبلها قبلة الصباح وتسألها عما بها فتجيبها بصوت هادئ حزين :

— آه ! لن أتمنى بعد اليوم شيئاً ! أريد أن أرجع فتاة لأكون أماً !

صلاح الدين المنجد

تحيـــة دامية![*]

للأستاذ أمجد الطرابلسي

غَرِّدِى يا دمشقُ لحنَ العيدِ ... وَذَرِى النَّدْبَ وَاصْدَحى بالنَّشِيدِ
واسْدِلى بُرْقُعَ الإباءِ على الدَّمـ ... ـعِ ، وأخفى الجراحَ تحت البرودِ
واهتفى فرحـةً بأشبالِ مصرٍ ... وميامينِها الأباةِ الصِّيـــد
ليت أيّامَكِ الطّوالَ جميعاً ... مثلُ هٰذا اليومِ الضَّحوكِ السَّعيد!

* * *

إيهِ أحبابَنا، وقد تُنْـكَرُ الكُلْـ ... ـمَةُ فى رفرفِ الهوى الممدود
هـــذه الدارُ داركم ، و بنوها ... أهلكم بين شارخ ووليد
قبّلَتكم فيهـــا ثغورُ الأقاحى ... والنسيماتُ في الربى والنجود
فانزلوها ملء القلوبِ الوجيعا ... تِ ، ولا تنكروا قتادَ المهود !

* * *

أيهـــا العرب يا نخار الحضارا ... ت ، وأنشودة العُلى والخلودِ
يا مشعّ الأنوار وسط الدياجى ... يا سيوفاً أبت إسارَ الغمود
ليس يُنجى النّعاجَ من شفرة الجزّا ... ر إيمانُها بعـــدل الوجود
فاحطموا في الإسارِ إيمانكم بالغر ... بِ والعدلِ قبلَ حَطْمِ القيود
وانزعوا من صدوركم طِيبةَ القلـ ... ـبِ ، وشُبّوا فيها لهيبَ الحقود
فالسياسات لا تدينُ بحقّ ... لضعيف ولا تَنِى بعهود
لو أراد القوىُّ إنقاذَ شعبٍ ... لم يمدَّنه باللّظى والحـــديد
تَعِس الخلقُ إن غَدَا فى البرايا ... من قيودِ المستعبدِ المصفودِ
تَعَسَتْ هـــذه المروءاتُ إمّا ... أصبحت فى الأنامِ دينَ العبيد
تعس البرُّ بالعهود إذا صا ... رَ دليلاً على الونى والجمود
إنمـــا الخلقُ ما يقولُ قويٌّ ... يتجنّى بعدّةٍ وعـــديد
كذبُ الأقوياءِ صدق وعدلٌ ... واعتداءُ القوىّ فوقَ الحدود
ورشادُ الضّعيفِ شرُّ الضّلالا ... تِ، وشكواه من عجيب الكنودِ
و بلاد الضّعيفِ جسم بغىٍّ ... مستباحُ الهوي لكلّ مُرِيد

يتَنادي عليه بين الضّوارى : ... أيُّها الطامعون هل من مَزيد ؟

* * *

أيها العربُ، آنَ أنْ يعصفَ الهو ... لُ ، فيهوى بكلِّ جَوْرٍ مَشيد
آنَ أنْ يجمح الأَبىُّ على الأسـ ... ـرِ ويطغى على مَنيعِ السّدود
آن أن تُحْشَدَ الحشودُ إلى المجدِ ... وتختـــالَ تحت حُمْرِ البنود
آن أن تَنبذوا النعيم إباءً ... أنـكَدُ العيشِ فى الهوانِ الرّغيد!
لا يسيغُ الهناءَ ندبٌ ، أخوه ... من سياطِ الطغاة دامي الجلودِ
وعيونُ الـكرامِ بَسْلٌ عليها ... فى جراحِ الـكرامِ طَعْمُ الهجودِ
هـذه الشام فى اللّظي حِرامٌ ... أن تناموا على رنينِ العودِ
تتلوى على جراحاتِ جَنْبَيْـ ... ـها ، وما للجراح من تضميد
تَصْرُخُ الصّرْخة التى ترعش الأفـ ... ـقَ وتبلو النُّجُومَ بالتّسهيدِ
وتَمـــدُّ اليدين ترجو نصيراً ... وهى بين التّتريكِ والتّهويد !
بسمت فى وجوهكم وهى تخفى ... من جراح الأيّام أىَّ وقودِ
وكذاك الأباةُ يخفونَ أوجا ... عَ اللّيالى تحت الإباءِ العنيد

* * *

إيه أحبابَنا ! شكوتُ إليكم ... وَعَـــذِيرى ما بيننا من عُهودِ
من لنا أو لـكم إذا الغاصب العا ... تى تَمادى فى العَسْفِ والتنكيد!!
هل يُرَجّي الشقيق إلاّ أخاه ... فى دُجَي الخطب والبلايا السُّودِ
فإذا عُدْتُمْ غداً فى أمانٍ ... ونعمتم بنيلـكم والصّعيـــد
فاذكروا فى رفارف الشام أهلاً ... وَجَدوا فى لقائِـكُمْ خَيْرَ عِيدِ!

سحر لبنـــان

للأستاذ عبد الحميد السنوسى

ربوع لبنان أم جنات رضوان؟ ... وصورة الخلد أم تصوير فنان!
بوركتَ يافتنة الأجبال من جبل ... سامى الذرى مشمخرّ الأنف ريان
زاهى الربى ناضر الوديان متشح ... فى كل ناحية بالحسن فتان
يا ملتقى الخلق من بدو وحاضرة ... ومجمع الشرق من قاص ومن دان
ملأت عينىّ سحراً والفؤاد مُنًى ... ودب سحرك من روحى لجثمانى

[*] ألقيت فى الحفلة الـكبرى التى أقامها رجال التعليم الثانوي والابتدائى فى دمشق تحت رعاية وزير المعارف ، إحتفاء باخوانهم وزملائهم المصريين أساتذة معهد التربية وطلابه الأكارم



من غرور الأدب الرسمي

على أثر ما كتبناه عن لجنة إنهاض اللغة العربيـة وغمطها لحق فريق من الأدباء لشهوة أو جفوة ، تحدث إلينا فى التليفون الأستاذ محمد جاد المولى بك أحد أعضائهـا ومفتش اللغة العربية الأول ، حديثاً كان فى معناه وروحه خيراً من كتاب صديقنا الأستاذ أحمد أمين . فقد اعترف الأستاذ جاد المولى بالحق ، وصرح بالاعتذار، وودّ أن ما حدث لم يحدث . ولكنه قال فى آخر حديثه: سنعوضك تعويضاً أدبياً إن شاء الله !

— وما هذا التعويض الأدبي يا أستاذ ؟

— إن الوزارة بصدد أن تؤلف كتاباً فى المختارات وستختار لك فيه بعض القطع

سبحان الله يا أستاذ ! وهل تعتقد باخلاص أن هناك فرقاً جدياً بين ما ينشره الكاتب في كتبه للناس ، وبين ما تنشره له وزارة المعارف فى كتبها للطلبة ؟ لعل الأستاذ يرى أن وزارة المعارف حين تختار لكاتب من الكتاب تشهد له رسمياً بأنه يحسن الكتابة ! إن كان ذلك ما يراه الأستاذ فأظنني شبيت عن هذه الشهادة . وإنى أشكر للأستاذ جيل اعتذاره ، وخلوص نيته ، وحسن قصده ؛ وأسأله أن يدع للقراء أن يقرأوا ، وللأدباء أن يحكموا ، وللزمن أن يغربل !

الزيات

حول ديوان الجارم

كتبت زميلتنا (المكشوف) الغراء كلة بلينة فى (أمانية الأدب الرسمى) ، وأشارت إشارة لبقة إلى ديوان الجارم وسرعة إخراجه وطريقة شرحه . ولولا أن بدأ أخذت المكشوف ولم ترده لنقلنا هذه الكلمة فى العدد الماضى . واليوم أرسل إلينا أديب معروف هذا السؤال ننشره من غير جواب ولا تعليق ، قال :

« كتب الدكتور زكى مبارك كلمة حق عن ديوان الجارم فى مجلة الرابطة الأدبية فنام عليه الأفق فى وزارة المعارف ، وأخذه الرعد من كل مكان . وكتب أستاذ آخر مقالين فى تقريظ هذا الديوان نشرهما فى البلاغ ، أمضى المقال الأول وهو فى التدريس، وأمضى المقال الثانى وهو فى التفتيش . فهل كان ذلك لمجرد المصادفة السعيدة؟ »

(ز . ع)

بين الأستاذين الغمراوى وقارئ

كتب إلينا صديقنا الأستاذ الغمراوي ما يأتى :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فقد قرأت مقال الأستاذ (قارئ) وأنا مريض ببور سعيد ، وقرأت عوده إلى الموضوع وأنا مريض بالقاهرة ؛ وهذا هو عذرى إليك وإلى الأستاذ (قارئ) وإلى قراء الرسالة فى تأخيرى الاجابة عن نقده. وكل الذى أستطيع أن أقوله الآن هو أن الذى انتقده الأستاذ (قارئ) شيء لم أرده بما كتبت ، مع على بأكثر الوقائع التى ذكرها الأستاذ فى نقده . أما تفصيل ذلك فوعده حين يأذن لى الطبيب فى الكتابة

والسلام عليكم ورحمة الله

محمد أحمد الغمراوى

وشاع عطرك فى نفسي فأسكرني	وذاع ضوءك فى قلبى فروانى
لم تبق جارحة إلا نفثت بها	سحراً حلالاً لجددت الصبا الفانى
حتى غدوت فتياً ضاحكاً مرحاً	من بعد ما هدت الأيام بنيانى
لو كان أهليَ فى لبنان ما نزعت	نفسي إلى وطن لى غير لبنان

عبد الحميد السنوسى

جانب من الوطنية العراقية

ورد لى من العراق منذ أن رجعت منه إلى مصر لقضاء عطلة الصيف ما يزيد على عشرين رسالة من الطلاب . ومما لفت نظرى فى أكثرها وحملنى على زيادة التقدير والاعجاب بالوطنية العراقية أن كل هذه الرسائل ما عدا واحدة، تفيض بأحاديث الغيرة على سمعة العراق ، وباللهفة على تعرف أثر مقتل المرحوم الدكتور سيف ، وبرجائهم أن نعمل على محو هذا الأثر — إن وجد — بافهام إخوانهم المصريين أنه حادث فردى حدث لظروف خاصة

وقد تعمدت — كما بينت فى ردودى على هذه الرسائل — أن أمرّ على هذا الحادث مرورى على أي حادث من نوعه يقع فى مصر أو فى العراق ، ولا أشترك فى رد الغلو الذي ورد فى كتابة بعض الذين تهيجوا للحادث ، فعلقوا بعض تعليقات شذت عن تقدير الظروف تقديراً صحيحاً ، ورأيت أن ذلك أولى بنا كأمة واحدة، أو كأمم ربط الله مصائرها وآمالها وآلامها برباط واحد، وإن ذلك أحرى بها ما دامت ترمى إلى أهداف مشتركة نرجو من المستقبل القريب أن يحقق لها الوصول إليها . فلا بد أن تتلق هذا الحادث وأمثاله — ولا أكثر الله من أمثاله — بشيء كبير من سعة الصدر ، وعدم التعليق الكثير عليه ، والتمطيط فى سيرته ، والتشقيق لحديثه ؛ شأنها فى الحوادث المحلية العادية التى تحدث فى مصر أو فى العراق كما قدمنا . وذلك كله لإفهام الجماهير فى الأمتين الشقيقتين والأمم العربية جمعاء ، أن أمثال هذا الحادث يجب أن تتوطن النفوس على وقعه ولا تحسب له حساباً فى العلاقات الدائمة بين هذه الأقطار

ولكن هذه الظاهرة الحميدة التى لمستها فى الوطنية العراقية مما ورد لى من رسائل شباب العراق الذين لم يبلغ أكثرهم بعد درجة المسئولية الوطنية فيما يتعلق بحسن سمعة الوطن والغيرة عليها بلهفة، وتصحيح خطأ وقع من فرد منها... هذه الظاهرة وحدها هي التى حملتني على تسجيل هذا الحديث ، وما لغيرها كنت أرضى أن أخوض فى حديث هذا الحادث

ومقياس الوطنية عندى هذه الغيرة الحادة اليقظة التى قد تتحول فى بعض النفوس الكريمة إلى شبه أنانية فردية . فكأن ما يقع على عموم الوطن يقع على خصوصية الفرد ... وكأن كل فرد يحمل وطنه على قلبه ، فما يثقل على الوطن من مصيبة أو سوء سمعة أو شبهة يثقل على قلوب الأفراد

وفى الحق أن هذا الجانب من الوطنية العراقية يشاهد نامياً بارزاً جداً ، مما يجعل الوطن فى ضمانه وحمايته وفى أمل كبير منه فإلى أصدقائى الذين راسلونى من العراق وأداروا هذا الحديث فى رسائلهم أرسل هذه الكلمة على صفحات « الرسالة » لأن موضوعها ليس لى ولهم ولا لمصر والعراق فقط، بل هو فوق ذلك إنه للعروبة فى جميع بقاعها ممن يقرؤون « الرسالة »

والتطمئن قلوب الشباب العراق ، وهنيئاً للعراق هذه الغيرة فى قلوب بنيه .

« القاهرة » عبد المنعم خلاف

بين الرافعى والقشاشى

مضى الأستاذ محمد سعيد العريان مترجم فقيد الأدب العربى المرحوم مصطفى صادق الرافعى فى سبيله يكتب ذلك التاريخ الزاهر، وينشره بشكل مقالات فى « مجلة الرسالة » حتى بلغ الآن المقالة (٣٢) وفيها دعا من كان عنده شيء من أخبار الرافعى غير ما ذكره هو ، أن يتفضل بالكتابة إليه رأساً أو على صفحات « الرسالة » يحيطه علماً بذلك ، وفاء بحق الأدب وأهله ، ورجاء إتمام ذلك التاريخ الذى كاد يغمره النسيان ويجنى عليه الاهمال .

ونحن إجابة لدعوة الأستاذ ننبهه إلى خصومة أخرى كانت قد نشبت بين الفقيد الكريم والأستاذ مصطفى القشاشى صاحب مجلة « الصباح » ، ولعلها آخر الخصومات الأدبية للرافعى ؛ وقد كانت هى التى أوحت إليه بمقال « صعاليك الصحافة » المنشور « بالرسالة » (أعداد : ١٨٩ و١٩٠ و١٩١ و١٩٢) وقد عرض فيه بالصباح تعريضاً مكشوفاً ، إذ أتى فى العدد ١٩١ على جملة من عناوين مقالاتها التى كانت صدرت فيها أثناء تلك المدة ، كنماذج للموضوعات التى تطرقها تلك المجلة .

وكان السبب فى هذه الحملة من الرافعى على صاحب «الصباح» أنه حمل إليه كتابه (وحى القلم) ورجا منه أن يكتب تقريظاً له ، وهذا مايؤخذ من كلام الأستاذ القشاشى؛ وبما أن القشاشى تأخر مدة عن كتابة التقريظ ، وعذره أن الكتاب ضخم يتألف من جزأين فى تسعمائة صفحة ويتناول مائة موضوع وموضوع ، فإن

الرافعى ظن السوء بصاحبه وقام بجلد صعاليك الصحافة ، ويالله من غضب الرافعى فإنه يزرى بغضب عنترة !

وشاءت سخرية القدر أن يبرز مقال « الصباح » فى تقريظ (وحى القلم) بعد أن ينشر الرافعى ثلاثة أقسام مقاله (صعاليك الصحافة) والقسم الثالث منه الذى به انكشف مراده فظهر أنه يعنى صاحب الصباح ، صدر فى عدد (١٩١) أول مارس ١٩٣٧ على حين أن تقريظ الصباح كان فى عددها ٥٤٥ (الصادر) فى خامس مارس المذكور ، وقد كان تقريظاً بليغاً يرضى الرافعى ويدخل على نفسه السرور ؛ وحسبك منه هذه الجملة التى يقول فيها الأستاذ القشاشى : « إن كتاب وحى القلم ليحتاج إلى كتاب آخر فى الاشادة بذكره ، فلعل ضيق المجال يعتذر لنا عند الأدب العربى ثم عند الأستاذ الرافعى »

ولكن الأستاذ الرافعى قد عجل — وفى العجلة الندامة — فسرعان ما انقلب مدح « الصباح » له قدحاً فيه ، وثناؤها عليه طعناً . وكنا نحن قد انتظرنا ذلك لما قرأنا القسم الثالث من مقال صعاليك الصحافة، فكيف وقد قرأنا أيضاً ثناء الصباح وتقريظها؟ وأخذتنا الشفقة على الأستاذ الكبير الذى طالما أشفقنا من الخصومات التى كانت تثور بينه وبين أهل الأدب ولا سيما الامام العقاد . وهكذا صدق ظننا فبرز مقال الأستاذ القشاشى (صعاليك الأدب واستجداء المدح والثناء) فى العدد التالى من «الصباح» . ولا تسأل عما يحوى من قوارص الكلم وفاضح التعريض

قلنا إننا نشفق من هذه الخصومات التى تقع بين كبار الأدباء لأنها فى الغالب لا يكون باعثها النقد النزيه ، فيسمج عندنا أن ينزل مثل العقاد والرافعى من عليائهما إلى ميدان المهاترة إرضاء لحالة الوجدة وطبيعة الغضب كما وقع فى قضية الرافعى والقشاشى، فبينما الصفاء والسلام إذ الحقد والحرب . ونحن لسنا من مقلدة الرافعى ولا من المتعصبين للعقاد، ولكن لهما معاً عندنا مقام سام، وفى أنفسنا لكل منهما حيز لا يشغله الآخر . عرفناهما معاً من قديم واغتبطنا بآثارهما كل الاغتباط ؛ وكنا نأسف على ضياعهما بين قومهم وعدم عرفان حقهما حتى جاءت « الرسالة » فعرفت بالرافعى الذى كان أكثرهما ضياعاً وأنكرهما عند جمهور القراء فى العالم العربى . وسيكون لهما من الذكر فى مستقبل الأيام ما يغطى على غيرهما أياً كان، بل أنهما سيكونان على عصر النهضة فى تاريخ الأدب العربى الحديث ، ورمز المذهبين الدرسى والابداعى المتكونين فى هذا الأدب كما يجب الآن .

ولسنا ندلى برأى إل الأستاذ العريان، وحسبه من كلمتنا هذه ما يتعلق منها بخصومة الرافعى والقشاشى ، لكن القراء أيضاً لهم حظهم فيما يقرأون، فلذلك تطرقنا ولو بهذه الالمامة الخفيفة إلى وجه الرأى فى أدب الرافعى والعقاد، حاسبين أن ما كان بينهما من خصومة إنما هو نتيجة الغيظ وحدة البادرة وان ما كتبه كل منهما فى هذه الخصومة إنما كان من قبيل ما كتبه الرافعى والقشاشى باعثه الظن السىء والعجلة . وللقوم فى عمرو بن الاهتم وما كان بينه وبين الزبرقان بن بدر من المنافسة والمشاتمة بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم شافع وعذر ...

« طنجة » عبد الله كنون

مستعمرة مصرية فى انجلترا

نشرت جريدة نيوز كرونيكل فى مكان بارز خلاصة درس لكتاب عنوانه إيزيس نفتيس فى ولتشير وخارجها ، تأليف الدكتور رندل هاريس العالم الأثرى الشهير وقد طبعته شركة الطباعة فى بريستول

فالدكتور هاريس يعالج نظرية مؤداها أن الآثار السابقة للتاريخ قرب سالسبورى التى زارها الملك فاروق أثناء وجوده فى انجلترا إنما هى من آثار قدماء المصريين ، وقد ثبت له الآن أن مركز المستعمرة المصرية وجد فعلا فى (لتشير) قرب برادفورد أون أفون

ويعتقد الدكتور هاريس أن المصريين صعدوا فى نهر أفون من بريستول واحتلوا تلك الأماكن . وهو يقدم سلسلة أدلة لتأييد اعتقاده ، مثال ذلك الاحتلال المصرى لمنطقة تشالفيلد . فيقول هاريس إن (تشال) محرفة عن الكلمة المصرية « تشار » وهى إحدى الأسماء المديدة المزدوجة للالاهتين إيزيس ونفتيس

المؤتمر الدولى الثامن للعلوم التاريخية

عقد المؤتمر الدولى الثامن للعلوم التاريخية جلسته الأولى فى زوريخ يوم الاثنين الماضى ، وقد بلغ عدد أعضاء الوفود الممثلة

للحكومات والجامعات والمجامع العلمية فى المؤتمر ألفاً ومائتين ، وكان أكثر الوفود عددا الوفد الألماني ويليه الوفد الفرنسي فالانجليزي فالبلجيكى فالايطالى فالبولندى

وأما الوفود الشرقيـة فأكبرها عدداً الوفد المصرى الذى يرأسه الأستاذ محمد قاسم بك ناظر دار العلوم، والوفد التركى وعلى رأسه الأستاذ فؤاد كوبريلى الاختصاصى فى العلوم التاريخية . ولكل من إيران وأفغانستان وسوريا ممثل واحد ولم يمثل العراق ولا لبنان أحد

وسيلقى ممثل مصر فى إحـدى جلسات المؤتمر محاضرة موضوعها « توسع أساليب المباحث التاريخية فى مصر »

ويتكلم الأمير شكيب أرسلان ممثـل سورية عن سيرة صلاح الدين الأيوبى الشخصية . وسيتوفر للشرق الأدنى قسط كبير من مباحث العلماء المجتمعين فى المؤتمر : فالأستاذ كوبريلى التركى جعل موضوع محـاضرته سياسة الاقطاع عند المسلمين والترك فى القرون الوسطى ، ويبحث الأستاذ لامونتى الاميركى فى أسباب عظمة الاقطاع الافرنجى فى سورية إبان الحروب الصليبية وانهيارها ؛ ويتكلم زميله « ليبيار » عن أهمية السلطان محمد الفاتح فى التاريخ ؛ وسيتقدم الأستاذ (هاليكى) البولندى ببحث طويل عن تاريخ العلاقات بين الغرب والشرق ؛ ويتناول العالم الإيطالى (مونداديني) تاريخ السياسة الاستعمارية والمستعمرات من سنة ١٨١٥ أى منذ سقوط الامبراطورية الفرنسية الأولى إلى نشوب الحرب العظمى سنة ١٩١٤ ؛ ويحاضر الأستاذ « جوبله » الفرنسى فى تاريخ البحر المتوسط فى القرن التاسع عشر ؛ ويخطب أستاذ إيطالى آخر فى مساهمة إيطاليا في كشف أفريقيا فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر، ويتحدث المؤرخ « رابن » الألمانى عن بسمارك وسياسته الافريقية؛ وجعل مندوب الجمهورية الاسبانية محور بحثه (أصل تشكيل القنصليات البحرية فى سواحل البحر المتوسط)

بين القديم والجديد

سيدى الأستاذ الكبير صاحب الرسالة

تحية : وبعد فقد حسب الأستاذ محمد احمد الغمراوى فى آخر مقاله حول أدب الرافعى (بين القديم والجديد) ، أنه انتهى من « تزييف » كلام الأستاذ سيد قطب إلى المبلغ الذى كان يريد وأكثر ؛ وأنه وضع العقاد موضعه والرافعى موضعه ، وإن كان هذان الموضعان ليسا إلا أن الرافعى أنصع لفظاً من العقاد، وأنه رجل يهتدي بنور الدين ، والعقاد لا يهتدى بأى نور !

كذلك حسب الأستاذ الغمراوى أنه فصل بين الحق والباطل فى هذا الأمر، واستراح إلى نتيجته تلك. ولم أكن أود أن أنفس عليه هذه الراحة لولا أنه شاء أن يعرض لكلمة سابقة لى فى هذا المضمار ، ورأى أن يرميني بالفزع من ذكر الدين فزع (الملسوع) بالنار فقال:

« لكن أصحابنا المجددين أنصار ما يسمونه الأدب الحديث يفرقون من ذكر الدين كأنما تلسعهم من اسمه النار ، كذلك فزع أحدهم بالعراق ، وكذلك يفزع هذا الآخر ... »

وأنا المقصود ولا ريب بالفازع الأول . والقارئ يذكر أن فزعى المزعوم هذا لم يكن من الدين ، فما فيه ما يفزع أو يلسع ، وإنما كنت اعترضت على إقحام الدين — بدون داع ولا مبرر ولا فائدة — فى نقد أدبى قاله الأستاذ سيد قطب حول بيت من أبيات الرافعى، وجاء الأستاذ الطنطاوى يحوره ويتجه به نحو الدين كما يفعل الأستاذ الغمراوى الآن، وكما فعل المرحوم الرافعى فى كل نقد أدبى له، وكما يفعل كل من يؤوده أن يكسر من شوكة هذا الذى يسمونه تجديداً أو كفراً من سادتنا الرافعيين ! فما الذى يقصده الأستاذ الغمراوى بالفزع ؟ وما شأن الدين بكل شىء يتصل بالأدب الحديث الذى يسمى إلى التجديد والنهوض وتوسيع أفق الحياة الأدبية وإخراجها من عصر الاجترار والتخاف، إلى عصر التمثيل والحيوية؟

وإذا كان الأستاذ الغمراوى يقول فى مقاله الآنف الذكر :

« إن الفطرة كلاما ينشئها واحـد هو الله سبحانه وتعالى ، والعلم والدين كلاهما قد اجتمعا على استحالة التناقض فى الفطرة ، فاذا كانت هذه الفنون من روح الفطرة كما يزعم أهلها وجب ألا تخالف أو تناقض دين الفطرة دين الاسلام فى شىء ... »

وهو بذلك يريد أن يحدمن مفهوم الأدب، فما نصنع إذن بالأدب الذى أقره العالم كله واعترف به أدبا سامياً ولم يكن مصدره الدين الاسلامى، والذى لم يخانه أدباء مسلمون ولم يأتلف مع قواعد الدين الاسلامى فى شىء؟ أقول ماذا نصنع بأدب طاغور، وملتون، ودانتى، وتورجنيف، وإيبانيز، وابسن ، وموباسان، وغوركى، وهاردى، وجيتى؟ . . . بل ماذا نصنع بأدب بودلير ، وفرلين ، ولورنس ، وجويس ، وهيسكى ، ولوتى ؟ هل نرمى بهم فى البحر أم نعترف

بأدبهم؟ وهل يتفق أدبهم مع الفطرة؟ وهل هو خير أم أدب الرافعي؟

وحضرة الأستاذ يذكر أدب الايمان فهل يرى أن الشك لا أدب له؟ وما قصده من التعريض بالايمان، والشك؟ والحوم حوالى الدين في كل مناسبة عرض لها في نقده وبحثه أدب العقاد والرافعي؟ هل يريد أن نفهم من أقواله تلك أن العقاد ومن يرى رأيه ملحدون لا إيمان ولا نور لهم يهتدون به؟ وكيف يتسنى له أن يحكم هكذا بدون تدليل؟

سيدي الأستاذ:

إن الأستاذ الغمراوي — وقبله الأستاذ الطنطاوي — يريد أن يضع ما اسمه « الأدب » على الرف ويريد أن يدخله في بوتقة الدين بوجه عام، والدين الاسلامي بوجه خاص، وفي هذا من الجناية على الأدب مقدار ما فيه من التجني على الدين وأكثر. ولا أظن الأستاذ يخالفني في أن موضوع الدين موضوع شائك جداً لم يتعرض له متعرض سلم من تهمة المروق! فليفسر موقفنا كيف شاء، وليسمه فزعاً وهلعاً، فالحق أن الدين الاسلامي لم يدخله التأويل والخلاف من كل باب إلا بعد أن أقحم في غير مجالاته! وهو بعد مقحم إقحاماً في موضوع الجدل هذا

وما دام الأستاذ الغمراوي يرى أنه فصل أدبياً في أمر العقاد ومكانه من الأدب الحديث، فلماذا يريد أن يخرجه من دينه فيقول عنه معرضاً: «إن الرافعي عنده نور يهتدي به ليس عند العقاد؟»

وبعد فليكن الرافعي عند الأستاذ الغمراوي ما يشاء له أن يكون، فان ذلك لا يمنع العقاد أن يكون هو الآخر حيث يشاء له الأدب والحق أن يكون. ولسنا نعجب به لشخصه، بل لأنه يؤدي الرسالة عنا؛ فما يقال فيه يقال فينا نحن أنصاره والمعجبين به؛ ولذا أود أن أكرر ما سبق أن قلته وهو أن من الواجب اعتبار الدفاع عن العقاد دفاعاً عن مذهبه في الأدب وفي الحياة لا دفاعاً عن شخصه، فلسنا نملك حق الدفاع عنه

وتقبلوا تحيات المعجب بكم

« بغداد » عبد الوهاب الأمين



المسرح المصـــــرى
والطريق إلى إنهاضه

يروق لبعضهم فى مثل هـذه الأيام من كل عام أن يتحدث عن المسرح المصرى وطرق إنهاضه ووسائل ترقيته والأخذ بيده فى مدارج النجاح . وقد يكون مثل هـذا الكلام مفهوماً إذا صدر عن مجرب كبير أو إحدى الأساطين التى يقوم عليها صرح المسرح فى مصر . ولكن من غير المفهوم أن يتصدى للحديث فى هـذا الشأن لفيف من الشباب كل ما يعرفونه عن المسرح أن الناس يذهبون إليـه من أجل اللهو والتسلية ! ولا ريب أن الخطر على المسرح قائم من جراء هـذه الكتابات التى تسئ إليه وإلى القائمين بأمره أكثر مما تفيد أصحاب الصحف الذين يفضلون أن يملأوا صحفهم بأي كلام (والسلام) . . . !

كتبت إحدى الزميلات الأسبوعية تقول فى لف ودوران إن وزارة المعارف قد عهدت إلى الأستاذ سليمان نجيب بالاشراف على إدارة الفرقة القومية طول غياب مديرها الأستاذ خليل مطران بالاجازة، وأضافت إلى ذلك كلاماً يفهم منه أنها علمت أن الاشراف على هذه الفرقة سوف يعهد به نهائياً إليه ، لما تعرفه عنه الوزارة من كيت وكيت . . .

والغرض من كتابة هذا الكلام واضح، ولا داعى لأن نكشفه؛ ونحن وإن كنا نقدر الأستاذ سليمان وكيل دار الأوبرا ونعرف عنه القدرة على التمثيل الجيد المتقن ، إلا أننا نرغب عن نشر أخبار غير صحيحة من جهة، وعن الإساءة إلى بعض الكرامات من جهة أخرى

ولعمرى ماذا يجدى وجود مطران أو غيره على رأس الفرقة ، إذا كان جسمها ذابلا خائر القوى تنذر حاله بالموت والفناء؟! ماذا يفعل حاكم الصحراء مع ما قد يكون مشهوداً له به من فروسية وشجاعة إذا أغار على صحرائه جيش وكان هو بلا جيش تتوافر فيه عوامل الكفاح والنضال ، أو كان له جيش ولم يكن لديه من الميرة والذخيرة ما يكفل النصر ويؤدى إلى صد الغارة ؟

فى استوديو مصر

يبذل استوديو مصر جهوداً مشكورة موفقة ليغزو سوق الأفلام المحلية بثلاثة أفلام كبيرة من أفلام الدرجة الأولى ، انتهى العمل فى اثنين منهما هما : (لاشين) و (شيء من لا شيء) ، وأوشك العمل أن ينتهي في الجزء الداخلي من الفلم الثالث وهو فلم (الدكتور) . ولن نسبق المناسبة فنتحدث بالتفصيل عن هذه الأفلام وإنما ندع ذلك لحين عرضها ، ونكتفي اليوم بأن نقول بأن — ثلاثتها — جديدة الوضوع ، حية الاخراج ، ولكن أهم ما ينبغى أن نسجله فى هذه الكلمة الوجيزة هو أن الأستاذ (نيازي مصطفى) مخرج الفلمين الأول والثالث

ويساعد الأستاذ نيازى مصطفى فى إخراج فلم الدكتور الزميل الفاضل الأستاذ أحمد كامل مرسى ، وهو من أكثر شبابنا المثقف إلماماً بالشئون المسرحية والسينمائية وقد اشتهر فى الأوساط السينمائية لأول مرة ، كناقد ذى أسلوب خاص ، وذوق خاص، وإخراج خاص يرضى الفن وكذلك يرضى الجمهـور ثم اشتهر بعد ذلك بأنه بطل تجربة عملية الدوبلاج الصوتية التى أجريت بنجاح لفلم جارى كوبر في نيويورك

(ناقد قديم)

اخبار سينمائية

هل يستقيل

ترددت فى الأوساط الفنية فى الأسبوع الماضى اشاعة فحواها أن سفر الأستاذ حسنى نجيب مدير استديو مصر إلى أوروبا لم يكن إلا تمهيداً لاستقالته من إدارة الاستديو . وقد حاولنا أن نتحري عن هذه الاشاعة فلم نوفق ولم نسمع ممن سالناهم غير كلمة « يجوز » !

والحق أننا لم نجد مبرراً لهذه الاشاعة . فالمعروف أن الأستاذ حسنى نجيب منتدب لادارة الاستديو ولم يعين مديراً له قط ، وانتدابه يجوز أن ينتهى فى أى وقت تراه شركة مصر للتمثيل والسينما ، سواء أكان ذلك بعد عودته من أوروبا أو بعد شهرين أو بعد عامين ، ولكن ما حيرنا من هذه الاشاعة هو : هل يستقيل من إدارة الاستديو ويبقى فى وظيفة أخرى كسكرتير الاستديو أم يترك الاستديو بتاتاً ؟ والذى سمعناه هو أنه سوف ينقل إلى وظيفة بالبنك وقد نعود إلى الكلام فى فرصة أخرى .

طبعة جديدة من فيلم ليلى بنت الصحراء

سافرت السيدة بهيجه حافظ إلى أوربا منذ أسبوعين وتركت قرينها الفاضل الأستاذ محمود حمدى يؤدى جهود شركة (فنار فلم) فى الناحية الجديدة التى اختارت أن تكون ميداناً لجهودها هذا العام. ومما ينبغى ذكره أن إدارة هذه الشركة تعنى الآن بإدخال تعديلات كثيرة على فيلم ليلى بنت الصحراء وعمل نسخة فرنسية منه لعرضها فى باريس وفى الأقطار العربية التابعة لفرنسا ، أما مهمتها الرئيسية هذا العام فستكون عرض كثير من الأفلام الفرنسية الكبيرة التى حصلت على امتياز عرضها فى الموسم القادم ، وقد يذكر القراء أن شركة فنار فيلم استأجرت استديو ناصيبيان لمدة عام كامل ، فمعنى هذا أن الشركة سوف تستغل هذا الاستديو بطريق تأجيره للراغبين فى العمل به

(السيده بهيجه حافظ)

عودة الثلاثى الفنى

عاد الثلاثى الفنى — آسيا — جلال — مارى كوينى — من رحلتهما فى تركيا ولبنان وسيشرع الأستاذ جلال على الفور فى كتابة السيناريو الجديد الذى سمعنا أنه سيفوق سائر السيناريات الماضية رغم أنها كانت جميعاً قوية وناجحة وشهد لها الجمهور شهادة حسنة ونهنىء الأستاذ جلال وباقى الثلاثة بالعودة ونرجو لهم توفيقاً كبيراً فى الموسم القادم .



(الثلاثى الفنى : جلال — آسيا — مارى كوينى)

أخبار خارجية

— ظهر (راى ميلاند) فى عدة روايات ناجحة فى الموسم الماضى منها رواية (السفينة الملونة) . وسيراه الجمهور المصرى فى سينما رويال فى رواية (الضوء الذى خبا) ومن طريف ما نذكره أن راى تمثل فى هذه الرواية دور رجل أعمى ، وقد اضطر من أجل إتقان دوره إلى معاشرة رجل ضرير لمدة ثلاثة شهور درس فيها نفسية الأعمى وحركاته وخاصياته وأعطاه فى نظير ذلك خمسمائة جنيه !

— ومن أشهر الأفلام التى تعرضها رويال المتروجولدوين ماير فى هذا الموسم رواية (مارى انتوانيت) التاريخية الكبرى ويشترك فى تمثيلها (نورماشيرر) والنجم اللامع الشاب (تيرو ماباور)

— وتعرض برامونت للنجم الهزلى الشهير (هارولد لويد) فلما فكاهيا جديداً اسمه (كن على حذر أيها المدرس !)

— لما رأى دوجلاس فيربانكس الصغير رواية (طالب فى اكسفورد) أرسل برقية إلى النجمة (بربارا ستانويك) يقول فيها « أنا لا أعرف روبرت تايلور ولكن أحب أن تبلغى له كم أعجبت بنبوغه فى تمثيل الدور وتهنيئه باسمى » وتصادف أن النجم كان يتناول العشاء مع بربارا ، وقت وصول البرقية فرد عليه ببرقية يقول فيها (وصل الشكر ... أشكركم) !

— يعود (كارل بريزون) إلى الشاشة بعد غياب عامين ونصف فيقوم بالدور الأول فى رواية (كلود دوقال) ، وآخر فيلم له كان من إخراج البرامونت وكانت تدعى (قهوة فى سفينة)

— انتهى النجم (ريكارد وكورتيز) من إخراج أول رواية عهدت إليه بإخراجها استيديوات فوكس القرن العشرين واسمها (فرصة عملية للغاية) وقد حصل كورتيز من إدارة الشركة على عقد بمقتضاه يحق له أن يشتغل مؤلفاً ومخرجاً وممثلاً

(كارل بريزون)

— من أفلام المتروجولدوين الكبيرة التى تعرض هذا الموسم رواية (إمتحان الطيار) ويقوم بتمثيل الدور الأول فيها معبود السيدات كلارك جابل وتشترك معه فى تمثيلها (ميرنا لوى)



(كلارك جابل وميرنا لوى)


الرسالة
مجلة اسبوعية
العلوم والفنون
العدد ٢٧١
السنة السادسة

6 me Année, No. 271 — Lundi - 12 - 9 - 1938

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٢٧١ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ رجب سنة ١٣٥٧ — ١٢ سبتمبر سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهــرس

إنهاض اللغة العربية

للدكتور زكى مبارك

أخى الأستاذ الزيات

جرى قلمك بإضافة اسمى إلى المؤلفين الذين نسيتهم لجنة إنهاض اللغة العربية ، وذلك منك تفضُّل وتلطُّف . فمن الغريب حقاً أن أخطر على بالك أو على بال غيرك ، ومالى وسيلة فى هذه البلاد غير الكدح الموصول فى التفكير والتأليف ، وهى وسيلة ضعيفة فى زمن لا ينفع فيه غير تضييع الوقت فى خلق الصداقات والمودات مع الذين يملكون تأليف اللجان لتقرير مصاير العلوم والآداب والفنون

وأنت قد تشجعت فقلت ما قلت لأنك خارج القفص أما أنا فأعيش فى القفص لأنى موظف فى الحكومة المصرية، وقد سمعت أنها حكومة رقيقة القلب يؤذيها أن يمرّ النسيم على خدها الأسيل !

ومن واجبى أن أتلطف بهذه الحكومة وأترفق ، وإلاّ كان جزائى أن أخرج من القفص لأعيش كما كنت أعيش بين الأزهار والرياحين

ولكن الحكومة أمكنتنى من ناصيتها هذه المرة ؛ لأنها فى هذه القضية ممثلة فى جماعة من الأدباء كنا نصلح لمحادثتهم

ومسايرتهم منذ حين . ومن ذا الذى يتوهم أنى أعجز عن مصاولة على الجارم أو أحمد أمين ، وهم خَلْق من خَلْق الشعر والنثر والتأليف ؟ من ذا الذى يتوهم أنى أتهيب مناوشة القائمين بتأليف اللجان فى وزارة المعارف وفى يدى قلم أمضى من السيف وأحدّ من السنان ؟

أعترف بأنى قد أتردد فى الهجوم على وزير المعارف لأنه يملك إيذائى حين يشاء

ولكن وزير المعارف فى هذه المرة زميل قديم . وللزمالة وإن قَدُمت حقوق . وهو قد شغل نفسه فى الأعوام الأخيرة بدرس الدين الحنيف ، ولا بدّ أن يكون عرف أن لصاحب الحق مقالا ، وصاحب الحق فى قضية اليوم هو مؤلف النثر الفنى ، الكتاب الذي استحق أن يثنى عليه معالى الدكتور هيكل باشا فى مجلة الهلال

ولكن ماذا صنعت لجنة إنهاض اللغة العربية حتى نوجه إليها الملام ؟

إنها اختارت طوائف من المؤلفات الحديثة فأقرت مبدأ تعبنا فى الدعوة إليه منذ سنين فلها منا أطيب الحمد وأجزل الثناء

وأنت تعيبُ عليها أنها نسيتك ونسيتنى ، واللوم فى هذا علىّ وعليك، لأننا لم نحسن التذكير بأنفسنا عند السيدين الكريمين على الجارم وأحمد أمين

وأخشى أن نكون أسأنا اختيار الظرف المناسب للتذكير المنشود ، فهؤلاء الزملاء يملكون ما لا نملك ، وكان العقل يقضى أن ننتظر حتى يتفضلوا بالاعتراف بأننا بَشر مثلهم نكتب وننظم ونؤلف !

وكلمة « زملاء » تسبق إلى قلمى بلا تحفظ ، لأنى واثق بأنهم أكرم وألطف من أن يبخلوا علينا بهذا التطاول الخفيف !

إن لجنة إنهاض اللغة العربية فوق الشبهات ، ولكنى لا أفهم كيف جاز أن تقرر كتاب ضحى الاسلام وتنسى كتاب النثر الفنى مع أن كتاب ضحى الاسلام لا علاقة له بتقويم الأساليب

ومن الصعب علىّ أن أقبل أن يكون فى اللغة العربية كتاب يشبه كتاب النثر الفنى ، ولكنى راض بالضرورة بأن يكون قريباً لكتاب ضحى الاسلام . أنا راض بأن أكون من زملاء الأستاذ احمد امين فى قوة التأليف ليصل كتابى عن طريق وزارة المعارف إلى الجيل الحديث ، إن كان التواضع ينفعنى عند أولئك الناس

وأين كانت اللجنة من كتاب (الموازنة بين الشعراء) ؟ دلونى متى عرف النقد الأدبى مثل هذا الكتاب ؟

إن الحياة فى مصر أصبحت جحيما لا يحتمل ولا يطاق بفضل ما يقع فيها من الاستهانة بآثار العقول . وأخشى إن طال هذا الليل أن تنقرض حياة التفكير والتأليف ، وأن ينفض الباحثون أيديهم من الثقة بموازين العدل فى هذه البلاد

إن مصر لا تعرف أنها مدينة بسمعتها الأدبية والعلمية إلى رجال يُعدُّون بالآحاد لا بالعشرات ولا بالمئات ولا بالألوف ، وهؤلاء الآحاد ينفقون من أعصابهم ودمائهم ليحفظوا لمصر مكانتها العلمية بين الأمم العربية

وما يليق بمصر أن تترك مصاير هؤلاء الآحاد لرجل أو رجلين يسمى أولهما على الجارم وثانيهما أحمد أمين

ما يليق بمصر أن تسكت عن أبنائها الأوفياء حتى يصرخوا من الظلم والإجحاف

ما يليق بمصر أن يعرف علماؤها وأدباؤها أن لا حياة لهم إلا أن ضيَّعوا ذاتياتهم بالفناء فى خدمة الأحزاب

أما بعد فأنا لا أنتظر شيئاً من وزارة المعارف ، ويكفى ما ظفرت به من القراء الذين استطعت بفضل إقبالهم أن أقول إن فى مؤلفاتى ما طبع مرتين وما طبع ثلاث مرات

هذا عصر التضحية يا صديقى ، وهذه مصر التى لا تعرف أبناءها الأوفياء

فان سمعت أننا قهرنا المصاعب فصدّق

وإن سمعت أننا أمِنّا عُدوان الأحقاد والضغائن فصدق أيضاً

صدق كل شىء يا صديقى ، إلا شيئاً واحداً ، هو ما تسمع أحياناً من اعتدال الموازين

وكل ما أرجوه فى ختام هذه الكلمة الوجيزة أن تسكت عنى سكوتاً مطلقاً فلا تذكرنى بهمومى فى وطنى وبين أهلى

لقد كنت نسيت فكيف جاز لك أن تصنع ما صنعت !

وهل كان الأمل فى إنصاف الزملاء إلا باباً من الخيبة والضياع؟

إن أرزاقنا فى أسِنَّة أقلامنا ، وسنصبر بعون الله على الصدق فى الجهاد

والعاقبة للصابرين والصادقين .

« مصر الجديدة » زكى مبارك

في الطريق الى مؤتمر المستشرقين

من القاهرة الى بروكسل

للدكتور عبد الوهاب عزام

بنيتي العزيزة بثينة

أحدثك عن رحلتي راجيا ألا تكلفيني ترتيب الحديث على ترتيب المشاهد. فانما هي فُرص تنتهز. فسأبدأ بالحديث عن سويسرة قبل الحديث عما رأيت في الطريق إليها.

***

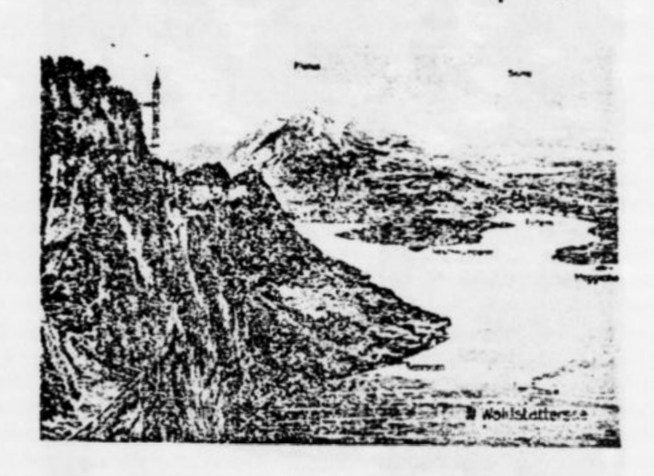
أكتب إليك من قرية في قمم جبال سويسرة الشامخة اسمها برِجِنشتوك وقد أضحى النهار، والدّجْن مُطبق، والجوّ بارد، أحسّ منه مثل ما أحس في شتاء مصر إذا قرس. وأنا أضع قلمي بين الحين والحين لأعرك كفّي إحداهما بالأخرى حتى أحسن إمساك القلم. فشتان ما بيني وبينكم؛ شتان ما بين حلوان وبُرِجِنشتوك!

لا تقع العين هنا إلا على خضرة أو زُرقة، أو بياض: خضرة العشب الأثيث، والشجر الكثيف، وزرقة السماء إذا تصحو، وزرقة البحيرات ترى من قمم الجبال بعيدة بعد السماء، وبياض السحب.

تسألين: ما الذي أحلك هذه القرية الباردة في تلك القمم العالية؟

نزلت أنا وزميلي الأستاذ أحمد أمين مدينة لوسرن من سويسرة، وأردنا أن نركب في البحيرة: بحيرة لوسرن إلى مكان قريب. فقيل: كِرْسِيتن. فقصدناها على باخرة صغيرة بين مناظر معجبة بل مدهشة من جبال تخالط قممها السحب، ويزين سفوحها حللٌ من الأشجار ضافية في الماء، وتُطلّ في مرآة البحيرة منازل متفرقة أو قرى صغيرة كأنها أعشاش الطير بين أفنان الدوح

بلغنا كرسيتن بعد أربعين دقيقة، فنزلنا نتجول فيها قليلا فاذا شاطىء ضيق بين الماء والجبل، فيه فندق ومطعم ودور قليلة، وإذا الناس يجتمعون عند السفح، وإذا مركب عجيب مُدّت أمامه قضبان من الحديد، ولكن إلى أين؟ إلى ذروة الجبل الرفيعة التي يكاد الطرف يعيا دونها. مدت القضبان على السفح، وأُعِد هذا المركب على شكل لا يميل راكبه مع انحدار الطريق بل يجلس مستويا كأنه في قطار عاديّ. ويجذب هذه «المرقاة» حبل من حديد مفتول فتصعد خمس دقائق في طريق ضيق عن يساره الجبل، وعن يمينه مهوى هائل إلى الحضيض. انتهى بنا هذا المرتقى المخيف إلى مكان به فنادق عظيمة وطريق ضيقة ممهدة، فسرنا نتأمل جمال الخليقة وجلالها حتى راقنا مكان قصيّ على سفح أخضر؛ فصعدنا إليه، وأخذنا حظنا من الراحة والتأمل والتعجب. وكان ممنا طعامنا فطعمنا



(منظر عام لبحيرة لوسرن ومدينة لوسرن)

وسرنا إلى مَرقَب يُطل على البحيرة يعلو على البحر ثلاثة آلاف وأربعمائة قدم، فجلسنا قليلا ولحق بنا جماعة من السائحين الأمريكانيين معهم امرأة تدلهم الطريق والتاريخ. وقفت وحفُّوا حولها فقالت: «هنا منظر من أروع مناظر العالم؛ هنا سبع بحيرات؛ إلى اليسار بحيرة سمباخ. ولها صيت في تاريخ سويسرة: هنا كانت حرب بين النمساويين والسويسريين الذائدين عن بلادهم، وكان الأولون مثلي الآخرين عدداً. فلما أعيت السويسريين الحيل تقدم واحد منهم إلى معسكر العدو فجمع من رماحهم ما استطاع وهم بالرجوع لولا أن أدركه العدو فقتله. وتحمس قومه وحاربوا حتى ظفروا. هذا البطل اسمه «وينكل ريد». ومضت في حديثها عن البحيرات. وقد رأيت اسم هذا البطل على إحدى البواخر الماخرات في البحيرة

وقرأنا في لوحة هناك أن على مسيرة عشرين دقيقة مِصعداً هو أعلى المصاعد وأسرعها في أوربا . يصعد خمسمائة وستا وخمسين قدماً . فسرنا في طريق بين الأشجار الباسقة تلوح من خلالها زرقة السماء وزرقة البحيرة ، وقد تتابعت الأشجار على السفح هابطة، وإن الواحدة منها ليرى جذعها مُستفلا بعيداً على السفح، وتشرف ذروتها مُمتلية مُشرفة فوق الطريق . وهذه الأشجار السامقة ترى من الحضيض كأنها أعشاب على السفح أو شجيرات



(المصعد)

وانتهى المسير إلى المصعد ، فاذا قضبان محكمة على جانب الجبل يصعد بها هذا المصعد وينزل في دقيقة. يصعد في جوف الجبل حيناً ثم يبدو بين جدارين ناتئين من السفح، ثم يظهر معلقاً في اللُّوح كأنه طائر يحاول ذروة شاهقة

بدا لنا أن نترك لوسرن لنقيم في هذه الناحية أياماً . فسرنا نرود المكان وفنادقه حتى وقف بنا الاختيار على فندق صغير منفرد هو أقرب مكاناً ومنظرا إلى الريف منه إلى المدن . فقلنا : هذا منزل حسن .. ماذا نصنع بالمدن وهي متشابهة في العالم كله ؟ وماذا نرى في الفنادق الكبيرة وهي لا تختلف بين مدينة وأخرى إلا قليلا ؟ هنا نظفر بالهدوء والسكون ، ونقرب من الغابات والحقول ونرى من عادات القوم ما لا نرى في لوسرن

وجاءت الخادم تكلمنا بلغتها وهي لا تعرف لغة مما نعرف فتفاهمنا بالألفاظ المتقاربة بين الانكليزية والفرنسية وبين السويسرية، ولمحنا في جانب الحجرة رجلا أشيب فأشرنا إليه ليكلمنا فأشارت الخادم أنه أصم فقلت : « كالمستجير من الخرساء بالصمم »

أخذنا بعض متاعنا من لوسرن إلى برجنشتوك . وبلغنا الفندق حين الغداء (والساعة اثنتا عشرة وربع) دخلنا قاعة الطعام فاذا امرأتان ليس في القاعة غيرهما ، وقد أعد لنا الطعام معهما . وليس بيننا لغة إلا الاشارات وكلمات حائرة بين ما نعرف وما تعرفان من اللغات . وقدم اللحم فرابني بياضه . فأشرت : أي لحم هذا ؟ قالت إحداهما كلاماً وحكت صوت الخنزير — وهذا الخنزير يخيفني حيثما حللت من أوربا — أشرت أننا لا نأكل الخنزير . قالت المرأة الأخرى لصاحبتها : إسرائيليان . قلت : لا لا ، لا ، ولكن المصريين لا يطعمون لحم الخنزير . فكانت حركة في الفندق وارتباك . ثم قدم لنا لحم البقر سريعاً . وفي العشاء قدم إلينا الكاكاو وكثير من اللبن وعجة البيض وفاكهة مطبوخة ورأينا القوم يأكلون العجة مع الفاكهة فعجبنا من اختلاف العادات والأذواق .

استرحنا ثم نزلنا لنخرج فدعينا إلى شرب القهوة وقدِّم لكل واحد مع القهوة ملء كوب من اللبن الجيد ، واللبن عندهم موفور لكثرة البقر وقرب مراتعها ، وأصحاب الفندق أسرة من الفلاحين

وكنا حين قدمنا هذا الصقع لأول مرة ، سمعنا جلجلة أجراس مختلفة لا تنقطع فحزرت ، وصدق الحزر ، أنها أجراس في أعناق البقر أو الغنم . (وكنت رأيت في إصفهان من بلاد الفرس أجراساً في أعناق الابل والثيران ، ورأيت البدو يعلقون جرساً في رقبة الكبش تهتدي به الغنم وتجتمع على صوته؛ ورأيت هذا في مضارب قبيلة شمَّر في العراق وعلمت أنهم يسمون هذا

الكبش المرباع) فلما استقر بنا المقام فى الفندق أردنا أن نجوس خلال الحقول لنرى البقر فى مراتعها . وكانت أجراسها تجلجل فى الأرجاء بين هذا الجمال الأخضر والجلال الرائع ، بل فى هذا المعبد العظيم من الخليقة فكأنها أجراس المعابد !

سرنا بين المروج فرأيناها مقسمة بحواجز . كأن لكل بيت مساحة من المرعى ، ورأينا على الطريق أبواباً تمنع البقر أن تجاوز مراعيها . ثم رأينا بقراً يرعى وقد جملت أجراسها على قدر أسنانها : للعجل جرس صغير ، وللثنيّ جرس أكبر منه ، وللبقرة الفارض جرس كبير كأنه القدح . ورأينا حظائر للبقر تأوى إليها فى الشتاء ، وهى بيت من الحجر فيه قنوات لسيل الماء ، وعنده حوض لشرب الدواب ، وفوقه بيت من الخشب يوضع فيه الحشيش وأدوات الفلاحة . وتجعل الحظائر بجانب مكان عال ليتسنى دخول عربة الفلاح إلى الطبقة العليا . وبيوت الفلاحين جيلة المرأي يتجلى فيها النظافة والترتيب والنعمة . وكم تمنيت أن يكون لفلاحنا بعض ما لهؤلاء

ورأينا على الطريق نُصباً عليه صليب ، فاقتربنا منه فاذا حجر واحد نحتت فى أعلاه طاقة عليها شباك من الحديد . فاطلعنا فيها فاذا صورة قديس وقديسة ، ورأينا امرأة مرت بهذا النصب فوقفت قليلا تتعبّد ، وكان كل من يمر بهذا الطريق يقف هناك وقفة للعبادة . وكذلك رأينا بجانب الفندق بَنِيّة صغيرة يعلوها صليب ، فاطلعنا فيها فاذا معبد يتسع لبضعة نفر ، وأحسبناه معبد الأسرة التى تقوم على الفندق . وهكذا يحرص القوم على دينهم ويتوسلون إلى العبادة بكل الوسائل

وأما الفندق فهو مثل من نشاط القوم ونظافتهم ونظامهم . هناك أم كثيرة الأولاد قد أحسنت تربيتهم ، ومنحت من قلبها ويدها ما جعلهم قرة عين الرائى صحة وجمالا ونظافة . وهى قائمة على الفندق تعينها خادم واحدة لا ترى إلا ساعية أو عاملة أو متكلمة أو ضاحكة . وقد تبوأت الأسرة بعض الفندق وجعلت للنزال بعضه ، ولم تنس حقها ولا حق النزال من رفاهية ومتاع . وأنا أكتب الآن وقد جاء صبى من هذه الأسرة يطرب الحاضرين بموسيقاه . وهكذا يبدو النشاط والمرح والسرور ليل نهار

وحول الفندق أشجار الفاكهة ، ومزرعة صغيرة عليها سياج ومن هذه الأشجار وهذه المزرعة فاكهة الفندق وبقوله يجنيها الأولاد كما تأمرهم الأم

وأحدثك مرة أخرى عن روعة هذا الصقع فقد بدا لى أن أعود إلى هذا الحديث :



قرية كرسيين على بحيرة لوسرن

خرجنا عصر اليوم فسرنا إلى المصعد الذى وصفته آنفاً فى طريق ضيقة نحتت على سفح الجبل ينيف فوقها جبل شامخ وتبدو تحتها هوة هائلة . فلما جاوزنا المصعد تمادت بنا الطريق صاعدة فى السفح تخترق الجبل بين الحين والحين إذا لا تجد على السفح منفذاً . فلما أعجز القوم النحت فى مواضع من هذا الطود العاتى الأشم مدّوا الطريق على دُعم من الحديد مثبتة فى الجبل ، فترى السائر معلقاً بين السماء والأرض على هذه الشقة الضيقة حتى يبلغ الغاية

وقصاري القول أن تسخير الانسان للخليقة سهلها ووعرها

وصعبها وسهلها، وشجرها وزرعها، وبرّها وبحرها، يبدو للسائر هنا فى كل خطوة، بل لست أدرى أأقول : هنا جهاد الانسان والخليقة أو اصطلاحهما على العمل والسعادة ؟

ولا أنس جلسة فى المشىّ ونحن عائدون إلى الفندق وقد جلل الضباب الخليقة ، وأطبقت السحب وأسفّ بعضها دون القمم ، وتتابعت على العين قمم الجبال تسيل منها النضرة والجمال على السفوح، والمساكن والفنادق منثورة فى هذه المرائى المدهشة ! منظر لا يمكن وصفه ، ولا يدركه إلا من يراه !

لا ينقص هذا الجمال إلا أن تكونى أنت وأخواتك معى فأرى دقائقه بأعينكن ، وأسمع بيانه البليغ من أفواهكن . فليت ثم ليت !

« جنشتو » عبد الوهاب عزام

فى « الحـــب »

للأستاذ إبرهيم عبد القادر المازنى

— ١ —

« يا أخى ، أقول لك الحق وأمرى إلى الله ، أنا لا أعرف الحب ، ولا أستطيع أن أحب ، ولم يخلقنى الله لأحب ، فأنا على الأرجح مخلوق ممسوخ ، أو هذه الخلائق هى المسيخة إذا صدق ما يزعمون عن الحب وما يعانون من تدليهه ؟ »

فهز صاحبى رأسه مفكراً وسألنى : « وابراهيم الكاتب؟ »

فقلت : « ابراهيم الكاتب مخلوق لا حقيقة له ... أنا الذى خلقته ، فاذا كنت لم أحسن خلقه فاعذرنى ، فانها أول تجربة لى فى « الخلق » . ومع ذلك أدر عينيك فى النادين علينا والناديات والرائحين والرائحات ، وتدبر نفوسهم إذا استطعت ، واعذرنى ! وأحسبك تريد أن تزعم أنى وصفت حب ابراهيم هذا ، أو مماشقه ، وأن هذا وصف خبير . ربما ! الحقيقة أنى نسيت حكاية ابراهيم هذا ، ولكنى واثق أن عقله لم يطر من الحب ، ولبه لم يُزدهف ، وأنه كان يعرف القيمة الحقيقية لكل واحدة ممن أحب ، وكان يستطيع أن يكبح نفسه ويصرفها »

فكابر بالخلاف ، فتركت له الصفقة ، إيثاراً للراحة من عناء الجدل الذى لا طائل تحته ، وأردت أن أستطرد عن هذا الموضوع إلى سواه ، فأبى أن يدعنى أهرب ، فدار بى فعاد إلى الحب ، فقلت له : « إنى أراك جائماً » قال : « جائع ؟ أبداً »

قلت : « والله جائع ، ومتضور أيضاً ... » ووضعت إصبعى على قلبه : « هنا فراغ أسميه أنا جوعاً ، فأنت لهذا فيها أرجح ، تجد لذة فى الكلام فى الحب الذى حرمت ماتتوهمه نعمته . . . اعترف ! »

قال بضحك : « ليتنى أكون محباً محبوباً ... الحقيقة ان حياتى صحراء جرداء »

قلت : « اشكر الله ، واسأله دوام هذه النعمة . »

قال : « يا شيخ ، حرام عليك ! »

قلت : « والله إنى أريد لك الخير ، أو اسمع ، إذا كان لا بد من هذا ، فأحبب أنت كما تشاء ، فان أمرك يبقى بيدك ، ولكن إياك أن تكون محبوباً من امرأة ، فان هذا هو العذاب الغليظ »

فظننى أمزح ، فقلت : « لا والله . وإنى فى هـذا لأتكلم بلسان الخبير المسكين . هل تصدق أن امرأة فى هذه الدنيا يبلغ من قلة عقلها أن تترك الناس جميعاً وتحبنى أنا ؟ »

قال : « ولم لا ؟ هذا جائز »

قلت : « جائز ... وهل أنا أتكلم فى الجائز وغير الجائز ؟ جائز أيضاً أن تصح ساقى المهيضة ، وتسلم ؛ وجائز أن تطول قامتى وتعرض ألواحى ، وأن أصبح مصارعاً ومن أبطال العالم فى هذا الباب ... ولكن تصور عقل هذه الفتاة المسكينة ! وتصور موقفى أنا حيالهـا ... أنا الذى ليس له طاقة على الحب ولا صبر لى على ما يغرى به من الحماقات والسخافات . أقول لها مثلاً ، وأنا أناشدها أن تثوب إلى رشدها : « يا ستى ! يا حبيبتى ! أين ذهب عقلك ؟ » فتترك السؤال ... لا تسمعه فى الحقيقة ... وتصيح وتلوح بيديها وتقول : « حبيبتك ! ؟ هذه أول مرة أسمع فيها منك هذا اللفظ الجميل ... أعده على سمعى ... أرجو » فأدهش من سوء التأويل وأقول لها : « يا ستى إنما عنيت ... لم أعن شيئاً فى الحقيقة ... مثل قولى يا صديقتى لا أكثر » فتقطب وتقول « خيبت أملى ! لماذا تأبى على حتى أن أسعد بلفظ ؟ » فأقول :

« يا ستي والله ما أكره لك السعادة؛ ولا أنا آباها عليك لو كان بيدي إسعادك ؛ ولكني لا أستطيع أن أكذب عليك ، وعلى نفسي ... هذا الحب شيء لا قبل لي به » فتقول : « ولكني أريده » فأقول : « إذن التمسيه عند غيري ... اطلبيه من دكان آخر » فتغالط نفسها وتقول : « أنت هكذا دائماً .. مكابر .. هذا أنت ... بس أريد أن أعرف ماذا تخسر إذا اعترفت ؟ » فأقول : « وكيف أعترف بما لا أحس به ؟ » فتروح تحاورني وتداورني ، وفي ظنها أني أغالطها وأكذب عليها ، أو أن بي كبرا يمنعني من الاقرار لها بحبها ، وتمسح لي شعري ... أعني الشعرات العشر الباقية في رأسي ... وتربت على كتفي برقة فأضحك ، فتدير إليّ محياها الدقيق وعلى ثغرها الرقيق اللين ابتسامة سرور ، وفي عينيها ومضة أمل ، فأقول ، وأنا أرد القهقهة التي أحس أني أوشك أن أنفجر بها: «أتراني لعبة؟» فتقول « لعبة ؟ أستغفر الله ! لماذا تقول هذا ؟ أنت عندي ...» فأقاطعها وأقول « دعي هذا ... فاني أعرف منزلتي التي لا تدانيها منزلة . ولكن أن تمسحي لي شعري ؟ أين هـذا الشعر الذي تمسحينه ؟ سبع شعرات ونصف شعرة ! ومع ذلك أقول لك الحق : أنا أستحيي أن أراك تصنعين هذا . . . أحس — لا أدري لماذا ؟ — أني ارتددت طفلا صغيرا تلاعبينه ... » فتقاطعني هي وتقول « يسرني أن ألاعبك.. أن تكون لعبتي ! » فأقول : « أما اللاعبة فأنا فيها خادمك المطيع، تعالي نلعب كما تشائين ... ولكن أن تلعبي أنت بي أنا ... ؟ هذا لا يكون ... لا استكبارا مني ، بل لأن طباعي ، وفطرتي لا تساعد على هذا . . . ثم كيف تلعبين بي ؟ أأنا كرة ؟ أم ماذا ! ألا ترين أن هذا كلام فارغ ، وأننا نضيع الوقت فيما لا خير فيه ولا متعة ؟ أولى بنا أن نضحك ، ونلعب ... »

فتعود إلى رأس البلاء وتقول « ولكن لماذا تكره الكلام في الحب ؟ أليس لذيذا ؟ »

فأقول « لست أكره شيئا ، وإنه ليسرني أن يكون مدار حديثنا على شرط ألا أكون أنا مداره ! ثم قولي لي ، أليس في عينك نظر ؟ »

فتعبس وتهز رأسها مستفسرة فأقول : « تحبينني أنا؟ ياخبر اسود ! وهل خلت الدنيا من الناس فلم تجدي سواي ؟ »

فتطمئن وتضحك ، وتقول « أنت متواضع .. جدا »

فأقول «ياستي والله أبدا ... إن بي كبرا أن يكون بي كبر . ولكن الحقيقة أنك بلهاء أو لا أدري ماذا دهاك ... »

فتسأل بلا مناسبة : « لماذا لا تحبني ؟ »

فأقول: « هذا سؤال غريب ... طيب اسمعي .. أنا لا أحبك لأني لست عدوك ! »

فتصيح : « ايه ؟ »

فأقول : « تمام . الحب في لغتنا لفظ سقط منه حرف ... كان يجب أن يسمى الحرب ! »

« حرب ؟ »

« أي نعم يا مولاتي ! لأنه ضرب من الجوع »

« جوع ؟ »

« أي نعم مرة أخرى يا مولاتي .. تجوعين فتشتهين الملوخية بالأرانب ، أو الأوز ، وتجوعين جوعاً آخر فتشتهين رجلا ... وأنت تحبين الملوخية ، ولكن ليس بينكما مودة متبادلة ، وإنما العلاقة بينكما علاقة آكل بمأكول؛ وكذلك الجوع الذي نسميه الحب ، فانه ليس أكثر من رغبة في الاستيلاء على مخلوق آخر أو التهامه إذا شئت . وإذا كان الحب متبادلا فان معنى هذا أن الحرب معلنة من الجانبين — كل جانب يريد أن يستحوذ على الجانب الآخر بأسلحة شتى ، منها الغزل والقبل والعناق والضم وغير ذلك من وسائل التليين ... »

قالت : « لا أصدق هذا الكلام الفارغ »

قلت : « سامحك الله . وخذي كلاماً آخر لا تصدقينه ... كما أن الانسان لا يستطيع أن يصبر على طعام واحد ، فلا يأكل سوى الملوخية مثلا ، كذلك لا صبر للانسان على امرأة واحدة. وصدق هذا أو لا تصدقيه ، فأنت حرة ؛ ولكن ثقي أن من يقول لك غير هذا يكون خادعاً أو مخدوعاً : خادعاً إذا كان يدرك الحقائق ، ومخدوعاً إذا كان مثلي يأبى أن يواجهها ، وأنا أعرف منك بالحياة وأخبر . الرجال جميعاً خوانون غدارون — إذا صح أن نسمي غدراً وخيانة ما ليس سوى نزول منهم على حكم الطبيعة »

فقالت بسرعة : « هذا صحيح ... كلهم خائن »

قلت : « لا تعجلي فالنساء أيضاً مثل الرجال . والطبيعة واحدة يا ستي ! » فلم تقتنع يا أخي ، وقد تعبت ومللت ، وخطر لى مراراً أن أتركها وشأنها ، ولم أكتمها أنى ضجرت من هذا الحب ، ولكنى أشفق عليها وإن كان هذا الحب منها يغيظنى ويحنقنى . وما ذنبها إذا كانت لا تستطيع أن تدرك هذا الذى أبينه لها ؟ ؟ ثم إن عقولهن غير عقولنا — نحن الرجال عقولنا فى رءوسنا ، أو نحن على الأقل نتوهم ذلك ، أما النساء فعقولهن ليست فى رءوسهن — هذا محقق — وقد قلت هذا مرة ، فثارت على فتاة ذكية جميلة مثقفة وسألتنى وهى محنقة « أين إذن عقل المرأة إذا لم يكن فى رأسها ؟ » فحرت كيف أجيب ، وكان الجواب حاضراً ولكن الافصاح عنه لا سبيل إليه ، وألهمني الله أن أخرج من المأزق بقولى « عقولهن في قلوبهن » فأرضاها هذا التعبير الحسن عن معنى يعده الجهلة سيئاً وما هو بسيء ، وإنما هو الطبيعى . فكيف تريد منى وهذا تصورى للأشياء أن أعرف الحب كما تريد النساء والشبان أن أعرفه ... خيالات وأوهاماً وأباطيل ما أنزل الله بها من سلطان ، ووفاء وحفاظاً إلى آخر هذا الهراء الذى لا يكون ؟ ؟

فهز رأسه متعجباً ، ولم يقل شيئاً ، فحمدت الله ، واغتنمت فرصة سكوته واستأذنت فى الانصراف

ابرهيم عبد القادر المازنى

الدين والأخلاق

بين الجديد والقديم

لأحد أساطين الأدب الحديث

— ٤ —

لو أن الأستاذ النمراوى فحص عن أخلاق أمة من الأمم فى نفوس آحادها لوجد اتفاقاً أو شبه اتفاق فى خصائص تلك الأمة . ولا نعني بالخصائص أنها تفردت بأخلاق لا يوجد مثلها فى أمة أخرى ، فان الأخلاق شائعة فى النفوس البشرية ، وإنما نعنى أن تلك الأخلاق أكثر شيوعاً فيها بالرغم من تفاوت نفوس آحادها فى خصال الحمد والذم والخير والشر ، ويستوى فى تلك الخصائص من يقرأ فلسفة هربرت سبنسر ومن يقرأ كتب الغزالى ، ومن يقرأ شعر شكسبير ومن يقرأ شعر المتنبي ، فان تلك الخصائص المتوارثة لها عدوى تديمها فى البيئة الواحدة وهى راسخة لا تغيرها أيام ولا سنوات قليلة ، وأسبابها حوادث وشرائع اجتماعية ظلت تؤثر فى الأمة زمناً طويلا .

فاذا نظر إلى أخلاق البيئة المصرية وفحص عنها على ضوء هذه الحقيقة وجد أن الخصائص الخلقية شائعة يشترك فيها العظيم والحقير ، ويشترك فيها الشيخ والأفندى كما يشترك فيها الفلاح وساكن المدينة بالرغم من التفاوت الظاهرى فى العادات وفى مقادير رسوخ هذه الخصائص أو القادير التى تظهر بها وإن كان التشابه فى مقاديرها الكامنة أعظم . وأوجه الاختلاف الظاهرى تظل ملازمة للمرء ملازمة كبيرة وإن حاول أن يحول بعض خصائص نفسه إلى جانب القادير المقهورة التى يخفيها فى النفس إذا انتقل من طائفة إلى طائفة أخرى من طوائف الأمة ؛ فالفلاح إذا ألبسته طربوشاً أو قبعة لا يخلع خصائصه ولا يستطيع خلعها ويبقى فلاحاً بخصائصه ، ولكنه ربما حاول أن يخفى بعض تلك الخصائص فى نفسه .

والمذهب الجديد فى الأدب هو إلى حد كبير كالطربوش أو القبعة التى يلبسها الفلاح ؛ والمذهب الجديد كما أوضحنا قد تأثر

مباشرة بما أخذه عن المذهب القديم وبما أخذه بطريق غير مباشر بعد أن تأثر الأدب الأوربي الذي هو وليد نزعة إحياء العلوم في أوربا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر بالأدب والفكر العربي .

ولا بد أن الأستاذ النمراوي قد عاشر طوائف مختلفة من طوائف الأمة وإن لم يكن قد درس حالة الأدباء الخلقية دراسة المشير الذي لا يُخاتَل لا دراسة القائل بما يسمع . ولا بد أن الأستاذ قد أيقن من اتفاق طوائف الأمة في الخصائص الخلقية. ولو أنه أتيح له أن يدرس أخلاق الأدباء لوجد أن الخصائص الخلقية متشابهة فيهم بالرغم من المذهب القديم والمذهب الجديد، وأن التفاوت الفردي بين آحاد كل طائفة ربما كان أهم من تفاوت أدباء كل مذهب . فالاستقامة والصدق والعفة والنزاهة والسماحة في الخلق والوفاء الخ ليست ملكا لمذهب في النثر أو الشعر . وكذلك اللؤم والكذب والغدر والانصراف إلى الملذات والحقد ليست ملكا لمذهب في الشعر أو النثر. ولو أن الأستاذ بحث هذه الخصال لوجد أن خصال الحمد والذم لابد أن توجد في المذهبين ، فان هذه خصال وميول متوارثة تزيدها حوادث الحياة وحالاتها قوة أو ضعفا . أما غير هذا الرأي فلا يأخذ به إلا من يسهل أن يخدعه التعصب لجماعته، فان المذهب القديم أو الجديد ليس دينا له أخلاق معينة لا يتعداها، وإلا فان الأديب الذي يكتب على طريقة الأدب الجديد متأثرا بالأدب الأوربي ويطرى الاستقامة ، يعد في نظر الأستاذ كافرا بالأدب الحديث ؛ وإن الأديب الذي يطرى أبياتا فيها مجون من صنع شاعر من شعراء المذهب القديم يعد كافرا بالمذهب القديم . وعلى هذه القاعدة يكون أكثر شعراء العرب وأدبائهم من عهد امرىء القيس (كما ذكر الأستاذ خلاف) إلى عهدنا هذا كافرين بالمذهب القديم ؛ وإذاً لا يكون هناك مذهب قديم في عالم الوجود ، ويكون السيد توفيق البكري متفرنجا عند ما اختار لابن الرومي أرجوزته النونية في وصف الزناء، ويكون الشيخ شريف مفتش اللغة العربية ورجل التربية متفرنجاً عندما شرح أرجوزة اللواط لفظاً ومعنى، أو يكون الأديب الواحد تارة من أنصار المذهب القديم إذا تمثل بأبيات من زهد أبي نواس أو أبي العتاهية، وتارة من أنصار المذهب الجديد إذا تمثل بمجونهما.

ويكون إذاً حافظ إبراهيم من شعراء المذهب الجديد إذا قص قصص المجون في مجالسه أو روى أشعار المجون، ويكون حافظ إبراهيم نفسه من شعراء المذهب القديم إذا تناول مسبحة وروى أشعار الزهد والتقوى ، ويكون كل أديب أو شاعر من شعراء أو أدباء المذهب القديم كما يكون حافظ في حالتيه . ويكون الأديب منهم من أنصار المذهب الجديد إذا تمثل بأبيات من لزوميات المعري لا يرضى عنها الأستاذ النمراوي ، ومن أنصار المذهب القديم إذا تمثل بأبيات أخرى من اللزوميات يرضى عنها الأستاذ . وفي اللزوميات ما يُرضي وما لا يُرضى الأستاذ؛ ويستطيع الأستاذ أن يتخلص من هذه الورطة فيقرر أن الشاعر الذي يجهل اللغات الأوربية ولا يقرأ الأدب الأوربي المنقول إلى العربية هو من أدباء الفضيلة (والفضيلة كما قرر الأستاذ هي المذهب القديم) حتى ولو قال النثر والشعر في المجون والزيغ متأثراً بمجون وزيغ شعراء (الفضيلة) القدماء ممن كتبوا باللغة العربية ، وأن الأديب الذي يعرف اللغات الأوربية والذي درس آداب اللغات الأوربية والذي يعد نفسه من أدباء المذهب الجديد هو في الحقيقة من أدباء (الرذيلة) حتى ولو أطرى الفضيلة كما أطراها شكسبير وفكتور هيجو . وإذاً يكون من الواجب المحتوم أن الشاب الذي لا هو من أدباء المذهب القديم ولا الجديد ، لأنه ينقل عبارات أفرنجية نقلا حرفياً كالضحكة الصفراء (وغيرها من العبارات المضحكة التي يدعي أدباء المذهب القديم أنها من خصائص المذهب الجديد) أقول إنه من الواجب المحتوم أن يعد هذا الشاب من أنصار المذهب القديم ما دام يطرى الفضيلة حتى ولو أطراها كما أطراها فكتور هيجو إطراء صحيحاً ولكن بأسلوب عربي سقيم ، وأخشى أن هذا المنطق الغريب قد يسوقنا إلى أن نعد الأسلوب السقيم إذاً من خصائص المذهب القديم ما دام صاحبه يطرى الفضيلة، وأن نعده من خصائص المذهب الجديد إذا كان صاحبه يطرى الرذيلة . على أننا لو فرضنا أن الأستاذ قد أصاب في جعله المذهب القديم مرادفاً للفضيلة وأنه عقيدة دينية ، فكم من معتنق عقيدة يقول بلسانه ما لا يتفق وأخلاقه وأعماله! فكيف به وهو ليس عقيدة دينية حتى ولو كان كل أدبائه من عهد حسان بن ثابت إلى اليوم منزهين عن الفحش في قولهم وعملهم

فكيف به وليسوا كلهم منزهين عن الفحش فى قولهم وعملهم بل كان منهم من بلغ من الفحش فى القول والعمل غاية ليست بعدها غاية . ألا يرى الأستاذ أن جعله المذهب القديم مرادفاً للفضيلة مع هذه الحقائق يؤدى إلى أن ينافق من ينافق فيدعى أنه حامى حمى الدين والفضيلة كى ينال ما يرادف هذه الألقاب حسب اصطلاح الأستاذ فيلقب بزعيم النثر وسلطان الشعر ؟ إن بعض أدباء المذهب القديم قد نشروا هذا الاصطلاح بكل ما أوتوا من بيان ، كما كان كل فريق من الدول فى الحرب العظمى يدعى أنه حزب الله المصطفى وأن الفريق الآخر حزب إبليس الخاسر عليه لعنة الله . فكان الانجليز يقولون إنهم يدافعون عن الفضيلة والحضارة والعدل والخير والحق ، وإن خصومهم خصوم هذه الصفات العليا . وكان الألمان ينشرون مثل هذه الدعوة لأنفسهم حذوك النعل بالنعل . وكان كل فريق يضحك فى سره من سذاجة من يصدق أقواله . وكذلك يفعل بعض الأدباء هنا وهم يعرفون ما يعرفون من أن الشطط فى القول لم يكن مقصوراً على مذهب فى الفنون والآداب ، وأن مناصرة الفضائل ليست مقصورة على مذهب، وأن جعل الفضيلة مرادفة للمذهب القديم والرذيلة للمذهب الجديد شطط وظلم لا يتفق وروح العدل الذى تأمر به الشرائع السماوية ، وأنه حتى على فرض أنهم يفعلون ذلك مناصرة للشرائع السماوية لا كسباً للرزق والشهرة والمكانة ، فان مناصرة الشرائع السماوية بما ينقض عدل الشرائع السماوية من تعميم هو غاية الظلم يجعل مناصرتهم للشرائع السماوية مهزلة لا يرضاها الله، فان مناصرة الشرائع السماوية لا تكون إلا بفضائلها ، فكيف بهم وهم يعلمون أن شطط القول أو الفعل لم يكن قديماً ولا حديثاً مما يلتصق بطائفة دون طائفة ، وأنه لم يخلق الله مذهباً من مذاهب الفنون من عهد آدم إلى اليوم يصح أن يعد مرادفاً للفضيلة فى جميع مظاهره ؟

قال الأستاذ الغمراوى إن النزعة إلى التجديد بدأت منذ ثلاثين سنة . وقد أوضحنا أن التجديد بمعناه الأعم الذى شرحه الأستاذ بدأ منذ دخول نابليون مصر وذاع أيام محمد على باشا واسماعيل باشا، فليس له مبدأ واحد . أما التجديد بالمعنى الأخص وهو التجديد فى أبواب الشعر والنثر ومعانيهما فهو أيضاً مما لا يحد بمبدأ واحد كما يعرف من يدرس حياة الأمم ونمو النزعات والأفكار فيها، ولكن الذى يقرأ مقالات الأستاذ وأقوال بعض الكتاب يحسب أن النزعة إلى التجديد هذه نزعة متضامنة الأفراد متحدة العناصر متفقة الأهواء والمشارب والمبادىء بدأت بمؤامرة على الدين والأخلاق . والذى يدرس حياة الأمم ونمو الأفكار فيها يعرف أن هذا خيال فى خيال . والذى يدرس النزعة إلى التجديد يرى أنها ليست ذات مبادىء واحدة وأنها نزعات مختلفة ، فان من أدباء التجديد من يرى فى المذهب الرمزى كل علو فني ، ومنهم من لا يستلذه ولا يقنع عاطفته إلى الفن لابهامه وسقوط الصلة بين الرموز والحقائق التى تشير اليها الرموز ، ولتكاثر الصور فيه بعضها فوق بعض . وقد أوضحنا أن الرافعى — وهو فى رأى أصدقائه زعيم المذهب القديم — كان أقرب إلى المذهب الرمزى فى بعض كتبه مثل حديث القمر . وليس من البعيد أن يأتى يوم يعد فيه الرافعى من زعماء المجددين فى الأدب الرمزى أو زعيمه الأكبر . ولا أحسب أن الأستاذ الغمراوي كان منذ ثلاثين سنة متتبعاً تلك النزعات تتبع المعالج للبحث الاجتماعى ، فهو إذاً يقول بالسماع . وقد أوضحنا فى مقال سابق أن الأستاذ يصنع خيراً لو أنه اجتبى من المذهب الجديد ما يرتضيه وهو واجد الكثير المرتضى فان نقده يكون أوقع وأنفذ ، وإصلاحه أقدر، وحكمه أعدل . أما جعله مذهباً مرادفاً للفضيلة ومذهباً آخر مرادفاً للرذيلة ، فليس ذلك من اعتدال أمثاله من العلماء

(قارىء)

عود على بدء

بين الغـــــرب والشرق

للدكتور اسماعيل أحمد أدهم

— ٣ —

« قلنا فى المقال الأول فى الرد على مزاعم مناظرنا الفاضل الأستاذ فيلكس فارس إن لكل أمة فى العالم روحها التى تحتضن تراثها التقليدى ، وعن طريق تحليل تراث مصر التقليدي انتهينا إلى أنها فرعونية آخذة بأسباب العربية لتجارى فن الحياة فى ذلك العصر الذى طغت فيه العربية على كل شيء وكانت مركزاً للجذب الاجتماعى فى الشرق الأدنى .

وفى المقال الثانى بينا الفروق الأساسية بين ما سميناه ذهنية لغرب وطابعاً للشرق ، وقلنا إن نزعة الذهن الغربى يقينية ونزعة العقلية الشرقية غيبية، واستدللنا على هذه الحقيقة من حقائق التاريخ، واستشهدنا بكلام للأديب الكبير الأستاذ توفيق الحكيم . ولهذا قلنا إنه من الصعوبة بمكان أن تأخذ مصر الثقافة الغربية وهى محتفظة بثقافتها التقليدية وأساسها الايمان بالغيب . وقد قرأ قراء « الرسالة » منبر الأدب الحى فى الشرق العربى رد مناظرنا الفاضل على ما قلناه فى عددي الرسالة ٢٦٣، ٢٦٤، لهذا اضطررنا أن نعيد الكرة من جديد لدحض ما أثاره المناظر الفاضل من اعتراضات . ولن نتقيد فى ردنا على المناظر بما جاء فى كلامه ، وإنما سنرجع لكتاب رسالة المنبر إلى الشرق العربى فهو إنجيل المناظر فى الايمان بثقافة الشرق »

يقول الأديب النابغة فيلكس فارس :

« الثقافة راسخة فى الفطرة ، والفطرة فى الفرد كما هى فى الأمم ميزة خاصة فى الذوق واختصاص فى فهم الحياة والتمتع بها ، فاذا كان العقل رائداً لبلوغ الحاجة فليست الفطرة إلا القوة المتمتعة فى الانسان بتلك الحاجة بعد بلوغه إياها »

هذا ... ونحن نفرق بين الثقافة والفطرة، بين تراث الشعب الذى يخرج به من ماضيه انسلالا على مدى الدهور والأعوام ، وبين الفطرة من حيث هى روح الأمة التى تحتضن تراثها. فتراث مصر الفرعونية التى أسلمته لمصر الاسـلامية فاختلطت نتيجة لذلك الفرعونية والعربية فكان من ذلك ما سميناه لمصر من ثقافة تقليدية شيء والروح المصرية شيء آخر . إلا أن هذا لا يمنع من أن ترسخ الثقافة التقليدية وتصبح وكأنها من صميم فطرة الشعب. وانسلاخ الشعب عن ثقافته التقليدية ، وإن كان لها خارجة فى صميم الفطرة والروح إلا أنها لا تعنى انسلاخ الشعب عن روحه وفطرته. وما ثقافة الشعب وتراثه إلا أثر وقوع الفطرة والروح تحت تأثير ظروف ومؤثرات تجد طريقها للمحيط الاجتماعى والبيئة الطبيعية للشعب . بيان ذلك أن الروح المصرية تحتفظ بذاتيتها منصبة فى قوالب شتى ، فهى فى قالب في العصر الفرعونى، وهى فى قالب فى العصر الاسـلامى ، وجماع هذه القوالب المختلفة يكافئ الحالات المتباينة التى يتضمنها المحيط اجتماعياً وطبيعياً . وإنكار هذا معناه أن الروح المصرية تغيرت من العصر الفرعونى إلى صورة أخرى فى العصر الاسلامى . فما الذى يمنع أن تتغير إلى صورة أخرى فى العصر الحديث ؟ ولعمرى هذا لا يتفق مع ما يعرف من قواعد الاجتماع وعلم تكون الشعوب ، لأن روح الشعب شيء مجرد ، يكتسب عن طريق وقوعه تحت تأثير الفواعل الاجتماعية والطبيعية خصائص متباينة شكلا وإن كانت متفقة روحاً

من هذا أرى أنه من الضرورى التفرقة بين روح الأمة من جهة، وثقافتها وتراثها الشعبي من جهة أخرى، وإذاً أيكون من الممكن لمصر أن تتجرد عن ثقافتها التقليدية ، وتستبدل مثلا بدينها ديناً آخر وبلغتها لغة أخرى كما حدث ذلك فى عهد الفتح العربى ومع ذلك تحتفظ مصر بروحها وفطرتهـا ، لأن ما ستأخذه الروح من القوالب سيكون عن طريق الوقوع تحت تأثير عوامل ومؤثرات وجدت طريقها للمحيط الاجتماعى والطبيعى ، ويكون بذلك صور متباينة تأخذها فطرة الشعب ، أو بمعنى آخر قوالب شتى ، غير أن قانون العادة يدخل لاستحداث المماثلة فى عقل ومشاعر الشعب فيكون من ذلك تماثل الثقافة التقليدية الجديدة فى مريرة كل فرد من أبناء الشعب

على هذا الوجه فقط يمكن تعليل تفسير القالب العربى للروح المصرية والذى تكون نتيجـة لوقوع الروح المصرية تحت تأثير الثقافة العربية . وعلى نفس الوجه يمكن تفسير وجه قيام الثقافة الغربية فى مصر مع احتفاظ مصر بروحها وفطرتها .

وأظن أن هذا الايضاح كاف يقطع السبيل على كل اعتراض يمكن توجيهه من أن الثقافة الغربية لا تتفق والروح المصرية .

وكل الخلاف على ما يتبين أخيراً راجع إلى عدم التفريق بين الثقافة التقليدية والروح ، فعند ما يقوم أنصار الثقافة الغربية بدعوة إلى مدنية الغرب يثور عليهم أنصار الثقافة العربية قائلين إن معنى ذلك ضياع الروح المصرية والقومية ، مع أن الروح شيء ثابت والثقافة شيء عرضي يتقوم بالروح وفطرة الشعب .

والآن لنتمش مع كلام المناظر فى رده ولنعقب عليه بما يكفى لاظهار زيفه وبيان وجه بطلانه .

١ — نقلنا فى صدر كلامنا فى المقال الأول فى الرد على مزاعم مناظرنا الفاضل كلمة عن هابل آدم بك الفيلسوف الاجتماعى المعروف . والكلام واضح بين في أننا يحكم كوننا فى الحياة يجب أن نفكر فيها وحدها وأن نعمل لأجلها واقامتها على أساس انسانى بدون أن نجعل للغيب سبيلا للتدخل فيها . وهذه الكلمة تتجلى فى صدر الحديث النبوى : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا » . ومع ذلك رأى المناظر فيها غموضاً وحاول أن يتعسف بتأويل الكلام إلى أن معناه إنكار الآخرة . وقال وأين عجز الحديث: « واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً »

يا صديقى ليس هكذا يكون الكلام !

قد يكون بدؤنا فى طريق الله ونهايتنا فى طريق الله ، لكن « الوسط مدرجة بيوتنا ومصانعنا وحوانيتنا، وبكلمة أخرى طريق بعضنا إلى البعض » يجب أن يكون مبدؤها ومردها الأول والأخير عندنا ، حيث يقوم العقل الانسانى بتنظيم الحياة البشرية

هذا هو حقيقة كلام هابل آدم فى ضوء تحليل مدلول عبارته التى استهل بها كتابه الخالد « مصطفى كمال للترك كتابى » الذى ترجم لأكثر اللغات الحية ونقل ملخصاً إلى العربية بقلم صديقنا الأستاذ اسماعيل مظهر عن ترجمته الانجليزية .

٢ — قلنا إن موضوع الخلاف بين ثقافة الغرب وثقافة الشرق يرجع إلى كون الثقافة الشرقية وقفت عندحدود الدرجة الثانية فى سلم الارتقاء العقلى بعكس الثقافة الغربية فأنها اجتازت هذه الدرجة إلى التى بعدها . ولا أدل على ذلك من بعض المراجعة لثقافة كل من الشرق والغرب فى ضوء قانون الدرجات الثلاث الذى كشف عنه أوغست كونت

يقول أوغست كونت :

(إن كل فكراتنا الأولية ومدركاتنا وكل فروع معرفتنا لا بد من أن تمر على التوالى بثلاث حالات مختلفة : الأولى الحالة الخرافية وهى حالة تصورية تخيلية ، والثانية الحالة الغيبية وهي حال تجرد، والثالثة الحالة اليقينية وهي حالة تيقن)

ومع ذلك يجادلنا المناظر فليكس فارس مرجحاً الحالة الغيبية وهذا قلب لقانون الدرجات الثلاث !

٣ — يرى المناظر متابعة لاعتقاده برجحان الحالة الغيبية أن ميزة الشرق هى فى الحالة الغيبية وفى إيمانه بالغيبيات . وهذا القول لو صدر من شخص ليس فى مكانة مناظرنا الأستاذ فليكس فارس — وهو على علم واسع وفضل راجح — لما اهتممنا له. ولكن صدوره من مناظرنا يجعله حدث الأحداث فى عصرنا الراهن

وإذا كان وقوف الشرق عند الدرجة الثانية فى سلم الارتقاء العقلى سبباً للاعتقاد بتفوق هذه الدرجة على ما بعدها ، فماذا يكون موقف مناظرنا إزاء أحد الزنوج أو متوحش افريقيا إن وقف يرجح الحالة الهمجية والحالة الخرافية اعتقادا منه بتفوقها على ما فوقها ، وقال لمناظرنا ما يقوله هو لنا ؟ إذن ماذا يكون منه الجواب ؟

٤ — إن قول المناظر برجحان الحالة الغيبية على الحالة اليقينية وإن كانت ظاهرة البطلان إلا أن هذا البطلان لا يمنعنا عن مناقشتها حتى لا يظن مناظرنا أن كلامه حق يعلو على التجريح والنقد

يقول العالم اليابانى « موريكاتو إيناجاكي » إن فى كل عنصر بشرى، استعدادا لأن يظن في نفسه الكمال . ويثبت هذا العالم هذه الحقيقة من حقائق علم النفس والانسان . وفى ضوء هذا القول نفهم اعتقاد مناظرنا برجحان ثقافة الشرق الغيبية ، ولكن ما هى الأسباب العلمية والفلسفية التى يبرر بها المناظر إيمانه بتفوق ثقافة الشرق الغيبية ؟

بحثت كثيراً في كلام المناظر وفتشت بين السطور عن الأسباب العلمية لايمانه بتفوق ثقافة الشرق الغيبية ، ولكن بلا جدوى . فرجعت لكتابه « رسالة المنبر إلى الشرق العربى » فلم أخرج بغير « قانون الرجعى » سبباً فى تفوق ثقافة الشرق الغيبية !

يرى الناظر أن العلم الحديث أكد وجود قوة مستترة فى الانسان أسماها العقل الباطن، وهى مستودع الفطرة والانطباعات السابقة، وهى نفسها تسير الآن متلبسة بمظهر الاختيار. وما العقل الباطن كما دلت التجارب إلا الحوافز التى وجدت فى الأجداد ونمت على اتجاه مقدور أيضاً زمن الطفولة . وهذه الحوافز تكمن فيها فطرة الأمم لأنها أداة شعورها بالحياة. وما دام الأمر كذلك فهو يرى أن سعادة المجتمع العربي فى ملاءمته لما فطر عليه هى الغيبيات لأنها استلهام للروح العليا

كلام كما تراه يخترمه التناقض ومجانبة الحقائق . ومع ذلك فلننظر فيه

من المعلوم أن الانسان بتكوينه الطبيعي يستجيب للمؤثرات الداخلية والخارجية استجابة ذاتية Spontaneous response وهذه الاستجابة مرتبطة فيه بأنصاف الكرات المخية التى هى أعضاء رد الفعل فى الانسان . وترتبط بهذه الأنصاف الكروية المخية الوراثة والعقل الباطن . بيان ذلك أننا لو أتينا بكلب ووضعنا أمامه قطعة من الحلوى فان لعاب الكلب يسيل . هذه الظاهرة تحدث بتأثر ذاتى فى الكلب ومن غير أن يكون للتجربة يد فى تغييره أو تكوينه؛ ومن هنا تعتبر فعلاً عكسياً أصيلاً . وهذه الأفعال العكسية الأصيلة هي ما كنا نسميها من قبل بالغرائز . فالغرائز مجموعة من الأفعال العكسية مندغم بعضها فى بعض كما هو الحال فى غريزة بناء الطيور لأعشاشها . غير أن هذا الفعل العكسى الأصيل وإن كان يحدث بقاسر ذاتى فى الأحياء العضوية لا يتغير فان ذلك وقف على الأحياء الدنيا . أما فى الأحياء العليا فى سلم المملكة الحيوانية فان سلوك هذه الحيوانات وإن كان مرتكزاً على استجاباتها بقواسر ذاتية للمؤثرات فانها تستفيد من التجارب، إذ تترك التجارب أثراً بيناً فى سلوكها . والانسان كأحد أصناف المملكة الحيوانية العليا يخضع لنفس هذه السنن . والأفعال العكسية المستفادة من التجارب مؤصلة لأنها مكتسبة يكتسبها الحى من ظروف حياته كنتيجة لما يلابسه من مؤثرات ؛ وهذه الأفعال تختفى وتضمحل إذا ما تغايرت المؤثرات . ولما كانت الأفعال العكسية فى الأصل تحدث بقاسر ذاتى مصحوبة بحركة انفعالية جاز لنا أن نعتبر الأفعال العكسية المؤصلة — وهى المستفادة من التجارب — كنمو ارتفاق فى الأفعال العكسية الأصيلة .

ولما كانت هذه الأفعال تقوى وتضمحل وتضعف وتتغاير باضمحلال المؤثرات وتغايرها ، فان مراكزها فى الكرات النصفية المخية تكون قابلة لدرجة قليلة أو كبيرة لأمكان تكون الانعكاسات المؤصلة حيث تعتمد فى قوتها على التكرار الاصطحابى كما أن ضعف أواصر التلازم أو تقطعها يؤدى إلى ضعف الانعكاس المؤصل أو اضمحلاله . غير أنه يعود بصورة أيسر لأنه يكون قد ترك أثراً فى الحى من حالته الأولى الارتفاقية . وهذه الحقائق باثباتها ديناميكية خاصة للنفس وساحة لا شعورية تبين إلى أى حد قد جانب المناظر فى كلامه حقائق العلم . لأن الحوافز التى بالأحياء نتيجة للارتباط الارتفاقي بين الأفعال العسكية الأصيلة والمؤصلة وليست نتيجة للوراثة . وهذا لا يمنع أن الانسان يولد وفى تضاعيف تلافيف مخه، وفى ثنايا أنصاف كراته المخية، وفى لحائها، وفى مراكز أعصابه ميول وكفايات امكان لبعض الأفعال المؤصلة . والانسان بخروجه لعالم الحياة يكون جهازه العصبي فى طور نمو وتكوين إذ تسيطر عليه الأفعال العكسية سيطرة مطلقة ، وهذه الأفعال مجردة . . . ويكون للمؤثرات التى تلابس الانسان أثراً فى أن تحدث استجابات تكون مقدمة لفعل عكسى مؤصل . فاذن الملائمة بين ما هو كائن فى النفس عن طريق الوراثة لا تتعدى الامكان المحض . وهو تحت تأثير المؤثرات يظهر مصحوباً به . فالاعتقاد بوجود أساس وراثى يرثه الانسان ويتركب عليه مكتسباته لا يتعدى هذه الحقيقة . وهو لا يثبت دعوى أن اللاواعية أو العقل الباطن يحتوى على الحوافز المتوارثة عن الأجداد

فاذا لاحظنا هذا كله وجدنا أن للمحيط الاجتماعى وما يعرض له من العوامل والمؤثرات الأثر الأكبر فى تكوين الانسان على غرار معين ... وإذاً يكون اتجاه المناظر إلى الوراثة والحوافز المتوارثة عن الأجداد — وهي حالات إمكان فى النفس — خطأ من الناحية العلمية ، ويكون بالتبعية اعتقاده فى سلامة وسعادة المجتمع لما فطر عليه من الحوافز المتوارثة خطأ . والصحيح أن يقال إن الانسان من حيث يولد وهو طفل وأفعاله المكسية المؤصلة هى التى تستحكم فى جهازه العصبي، وبتعبير أدق غرائزه، يكون مطواعاً للمؤثرات التى يحتويها محيطه الطبيعي والاجتماعى، ويخرج مصبوباً فى قالب معين يكافىء الحالات التى أحاطته . ونظراً لأن المحيط الطبيعى والاجتماعى عادة واحد فى الحالات الاعتيادية

فان المؤثرات تكون واحدة، ومن هنا يخرج الناس فى قبيل معين وجيل معين مصبوبين فى قالب معين . وقانون المادة يتدخل لاحداث المماثلة فى القالب المصبوب فيه القبيل حتى ينتهى لذلك .

أما فى الحالات التى تكون فيها المؤثرات فى المحيط الاجتماعى متباينة ، فان القبيل يخرج فى قوالب شتى جماعها يكافىء الحالات التى يتضمنها المحيط الاجتماعى؛ وهذا ما هو حادث اليوم فى مصر. فان أهل المدن من الطبقة المتوسطة وفوق المتوسطة يعيشون على غرار غربى، لأن العوامل التى فى محيطهم الاجتماعى متأثرة بالروح الأوربية ، بعكس أهل الريف الذين يعيشون على غرار شرقى . وهذا الانقسام فى المجتمع المصرى ملحوظ للنظر .

وإذن تكون نقطة الخطأ فى كلام المناظر ، بل الخطأ الأساسى هو إغفاله للمؤثرات الطارئة التى تدخل فى المحيط الاجتماعى، وتؤثر فى المجموع الانسانى ، وتصبهم فى قوالب جديدة تكافىء المحيط الاجتماعى فى الصورة الجديدة التى أخذها بالمؤثرات التى طرأت عليه . وهذه الحقيقة تتبين من نظرة سريعة فى كتاب « رسالة المنبر إلى الشرق العربى » .

ولقد كشفنا عن هذه الحقيقة فى النقد الذى كتبناه فى مجلة « العصبة الأندلسية » فى عددى فبراير ومارس سنة ١٩٣٨ لكتابه ، وهى تبين أن المناظر يمضى فى كلامه مغفلاً شأن العوامل والمؤثرات التى تجد طريقها إلى المحيط الاجتماعى للشرق العربى . ومن هنا نرى أن الشرق العربى شاء أو لم يشأ مفكروه سيمضى فى سلسلة من التغايرات حتى ينتهى إلى أن يحوز المكافأة للمؤثرات التى دخلت محيطه .

« اسكندرية » اسماعيل احمد أدهم

كتاب المبشرين

الطاعن فى عربية القرآن

أمسلم مصرى أم مبشر بروتستنتى؟

لأستاذ جليل

— ١ —

اقترحت وزارة المعارف المصرية ذاك المقترح في تيسير (القواعد) ، وأعلن أولئك الفضلاء (الميسرون) منهجهم ، فقال قائلون من العلماء لما رأوه : إن هذا التيسير تعسير ، وإنما تسهيل القوم تصعيب . وتجادل الفريقان فى الجرائد والمجلات والكراريس . و (كتاب العربية) يقول : «فأما الزبدُ فيذهب جُفاء وأما ما ينفع الناسَ فيمكث فى الأرض »

والعربية هى كسائر اللغات وليست بأصعبهن ، وإنْ نحوها — وإن لطفت دقائقه وجلت حقائقه — إلا كنحوهن

وليست المشكلة فى صعوبة اللغة أو سهولتها ولا فى (قاعدتها) وإنما هى فى (المعلم والكتاب) فهما اللذان يسهلان ويصعبان ، وهما اللذان يهديان ويضلان ، وهما اللذان يحبّبان إلى الفتى لغته أو يكرّهان . فالمضلة كل المضلة هى فى المعلم وعلمه وتعليمه وكتاب كل صف من الصفوف وتبويبه وترتيبه وتبيينه . ولو غزت الوزارة هذين لقرطست

ومن ظن أو أيقن أن تقريب العربية أو تسهيلها هو فى تهديم قواعد فيها — فهو مهوّس يهذي ، أو موسوس يلغو . وليست اللغة العربية ملك كاتب أو كويتب ، أو أديب أو أُديِّب ، أو عالم أو عويلم، حتى يتصرف فيها تصرُّف المتملكين ، كلا ، ثم كلا . إنها تراث قرون وملك أمم ، فأين يذهب بكم يا لاعبون ؟

واللغات فى المشارق والمغارب إنما يقدم فيها ويؤخر ، ويلغى ويلحق، وينتقص أو يزيد ، ويحيا أو يبيد — فانه لا يفعل ذلك إلا الاحتياج الطبيعى أو الانتخاب الطبيعى (La sélection naturelle) وإلا الدهر، لا اللاعب العابث ولا الجاهل الغر. ولقد كان التبديل

الطبيعي في هذا اللسان في كل عصر . ولو استمرت تلك المدنية، ولولا التتر والصليبيون المخربون في الشرق ، والفرنج الجاهلون المدمرون في الأندلس في الغرب، لرأت الدنيا من ارتقاء العربية كل عجيبة

***

كان مقترح الوزارة أو فتنة الوزارة ، وجاء شر يقفوه شر ، وأهرأ مهرئون ، وانبرى الصبيان يقولون ، ونطق الرُّوَيبِضة[1] و «استنَّت الفصال حتى القرعى[2]» ثم جاءت الطامة الكبرى: أعنى الضلال الضالّ في مجلة في القاهرة ؛ فقد نجم فيها ناجم وتهدَّم على هذا اللسان العربي وكتابه الكريم بالقول السخيف مُشيِّعاً بالرأي الركيك والصنع اللئيم . ولو اقتصر هذا الخارجي على بقبقته في تقويض (القواعد) أونسفها ما بالبناء بالةً ولقلنا : إنما هو مَضحكة جاءبأضاحيك، فليضحك الضاحكون؛ لكنه شاءأن ينقلب لُعنةً يلعنه اللاعنون ؛ فقد تمسك هذا الكاتب في هاتيك المجلة بالذيل أو (التذييل) لكتاب (مقالة في الاسلام) لجرجس سال الانكليزي (وهو الكتاب الذي نشرته جماعة التيسير بل التضليل من البروتسانت في مصر) وانجرأ واستجر مسلم ابن مسلمين — يا للأسف — للطاعنين في الدين، والمقنَّدمين وقحين على تنقص القرآن وتغليطه في العربية ... !

وهذا هراء صريح(التضليل)! وهذا بَذاءصاحب(التذييل)! فاسمع — ياأخا العرب — غرائب العصر ، ومضحكات في مجلات في مصر ؛ بل شاهد أشراط الساعة، بل انظر أهوال يوم القيامة !

***

قال الكاتب المسلم في المجلة :

« وإلا فكيف نعرب كلة (الصابرين) في قوله تعالى : (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا، والصابرين في البأساء والضراء) كيف نعرب كلة الصابرين المنصوبة هنا مع كونها معطوفة على جميع المرفوعات التي سبقتها إلا إذا عاوننا المفسرون ؟ »

وقال كتاب المبشرين البروتستانت :

« وإذ قد تقرر هذا فلنشرع في تعقب خطئه. قال في سورة البقرة : (ليس البر الآية) وكان الوجه أن يقول والصابرون لأنه عطف على قوله والموفون، لكن المفسرين قالوا إنه نصب الصابرين على المدح »

قال الكاتب المسلم في المجلة :

« وقوله تعالى : (رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين) فنفهم المعنى وإن فات بعضنا سر جزم (أكن) مع مجيئها معطوفة على فعل (أصدق) المنصوب بفاء السببية ! »

وقال كتاب المبشرين البروتستانت :

« وقال في سورة المنافقين (وأنفقوا مما رزقنا كم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين) بجزم أكن والوجه وأكون بالنصب »

قال الكاتب المسلم في المجلة :

« وقوله تعالى : (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من من تراب ثم قال له كن فيكون) فنفهم معنى الآية وإن كنا لا نفهم لماذا قال (كن فيكون) بدلا من كن فكان ما دام سياق الرواية كله في صيغة الماضي »

وقال كتاب المبشرين البروتستانت :

« وقال في سورة آل عمران : (إن مثل عيسى الآية) والوجه فكان ، وفي هذا الموضع يقتضيه بصيغة الماضي »

قال الكاتب المسلم في المجلة :

« وقوله تعالى : (وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا » فنفهم المراد وإن عجبنا لتأنيث العدد مع أن العدد مذكر،وإن قيل لنا إن

---

(١) الرويبضة : الرجل التافه ينطق في أمر العامة ، ونطقه من أشراط الساعة كما جاء في حديث

(٢) من أمثالهم قال الميداني في (مجمع الامثال) : يضرب للذى يتكلم مع من لا ينبغى أن يتكلم بين يديه لجلالة قدره. والقرعى جمع قريع مثل مرضى ومريض، وهو الذى به قرع، وهو بثر أبيض يخرج بالفصال ودواؤه الملح

السبط يذكر ويؤنث فسنظل نعجب من جمعه المدود ونتساءل لماذا لم يقل اثنتى عشرة سبطا »

وقال كتاب المبشرين البروتستانت : « وقال فى سورة الأعراف (وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا) فأنث العدد وجمع المعدود والوجه التذكير فى الأول والإفراد فى الثانى كما هو ظاهر »

قال الكاتب المسلم فى المجلة : « وقوله تعالى : (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئون[1] من آمن بالله ... الخ) فنفهم معنى الآية ويدهشنا فى الوقت نفسه رفع (الصابئون) رغم كونها معطوفة على المنصوبات التى قبلها وكلها واقعة فى اسم إن »

وقال كتاب المبشرين البروتستانت : « وقال فى سورة المائدة : إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) والوجه ان يقول والصابئين »

قال الكاتب المسلم فى المجلة :

« وقوله تعالى : (لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله وباليوم[2] الآخر) فنفهم أيضاً معنى الآية ونحن لا ندرى من سر نصب (المقيمين الصلاة) مع كونها معطوفة على المرفوعات التى سبقتها وأعقبتها إلا ما يقوله المفسرون من أنها وحدها منصوبة على التخصيص »

وقال كتاب المبشرين البروتستانت : « وقال فى سورة النساء (لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر) وكان الوجه أن يقول والمقيمون الصلاة كما قال بعده والمؤتون الزكاة . هذا ما تقتضيه القاعدة إلا أن المفسرين زعموا أنه نصب المقيمين الصلاة على المدح »

فسطور (المضلِّل) — كما يرى القراء — هو مكتوب (المذيِّل) وقد نتش (المسلم) أقوال (المبشر) وأربى عليها ذاك المزأة باستهزائه بآيات (الكتاب) . وهل قوله « وإن كنا لا نفهم لماذا » « فسنظل نعجب » « ويدهشنا فى الوقت نفسه » — إلا تهكم ؟!

وقد تَتَرَّس الكاتب فى المجلة بقوله (وقوله تعالى) وما حكى (وقوله تعالى) ومسىء إلى إسلاميته وعربيته ومصريته وشرقيته بتصديق الحاقدين الجاهلين ومظاهرة المبشرين رسل الغربيين المغيرين — إنما هو أعزل، وإنما هو أكشف، وإن استجن بكل ترس أو مجن .

وسأبين جهل الجاهل وضلال الضال تبييناً .

الاسكندرية (***)

(١) كذا فى رواية الكاتب فى المجلة

(٢) كذا فى رواية الكاتب فى المجلة

فلســـفة الأسماء

للأستاذ السيد شحاتة

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

القديم والحديث من الأسماء

الأسماء عنصر تاريخى مهم إذ نعتمد عليها كثيراً فى الاستدلال على مختلف التقلبات السياسية والاجتماعية ، وترشدنا إلى مقدار النفوذ والسلطة لطائفة أو فرد فى أيام معينة، كما أن منها ما يتناساه الناس حيناً من الدهر خوفاً من بطش الجبابرة . وقد قالوا إن الناس كانوا يتحاشون تسمية أبنائهم بأسماء علوية خوفاً من بطش الأمويين

هـذا إلى أن الأسماء تبين أوضح بيان ولع المغلوب بالتشبه بالغالب ومحاكاته ، فمصر فى أيامها الحديثة غلبت عليها أسماء تركية أيام أن كانت تابعة للعثمانيين ، وسار بعض الناس فى تيار الأسماء الأجنبية بعد الاحتلال . كما أننا نجد الأسماء الفارسية واليونانية تشيع أيام العباسيين مما يدل على نشاط هذه العناصر وقوتها فى تدعيم أركان الدولة

وقد ينتاب الناس نوع من الاندفاع فيأخذون باسم مخصوص فتكثر التسمية به ويزيد الاقبال عليـه . وقد لاحظت ذلك فى مواطن معينة من القطر المصرى فوجدت اسما مخصوصاً يشيع فى الفيوم وآخر يفشو فى طنطا وثالثاً يذيع فى المنصورة وهكذا .. وليس لذلك من سبب إلا وجود كبير أو ولى يشتهر فى كل إقليم

وإننا لندرك عنـد البحث أن هناك أسماء بادت وانقرضت فلا يسمى الناس بها الآن إلا نادراً (أم الخير . ست أبوها . زنوبة . زهرة . حنونة . مصطفية . مريم — عمر . سالم . جرجس . حنا . عثمان) وكثير من الناس اعتادوا فى العصر الحديث أن يسموا أبناءهم بأسماء مستحدثة ينظر فيها إلى التجديد والابتكار والرشاقة اللفظية (نبيل . سمير . كيليا . سوسن . آمال . سهير)

كما أن هناك أسماء أخرى يحيل أصحابها إلى الشذوذ والغرابة لاعتقادهم أن التسمية تحفظ صاحبها من العين والحسد، أو أنها تطيل العمر فتجد من يسمى (دحيكة . حلوتهم . حلوس . الفص . قطش . بعزق . بندق . مليم . أبوقرشين) وهناك أسماء تدل دلالة صريحة على الوطن، فعندنا فى الصعيد مثلاأسماء مخصوصة قل أن تجدها فى الوجه البحرى (أبوعميرة، وأبو ستيت) ومن الأسماء ما يدل على الجنس كالأسماء الأرمنية فكلها تقريباً تنتهي بـ (يان) (ملكونيان ماتوسيان بابازيان ساروخان يعقوبيان)

الألقاب

لم تعرف اللغة العربية تفخيما فى الأسماء قبل عهد العباسيين، وإنما نشأ عن اختلاط الفرس بالعرب إبان الدولة العباسية أن تأثر العرب بالمغالاة فى التعظيم والتفخيم ، فكانت أسماء الملوك لا ينطق بها أصلا وإنما يطلقون ألقاباً للتعظيم اشتهرت حتى أصبحت أعلاماً (الرشيد — الهادى — الأمين — المأمون)

وفى أزمنة الغلو الدينى والتشيع المذهبي يقترن لفظ الجلالة بأسماء الخلفاء والأمراء (الحاكم بأمر الله والعزيز بالله والواثق بالله) وقد يتجرد الاسم عن لفظ الجلالة (المعتمد — المعتصم — المعتضد) مما دعا ابن شرف القيروانى إلى أن يقول :

مما يزهدنى فى أرض أندلس ... أسماء معتمد فيهـا ومعتضد
ألقاب مملكة فى غير موضعها ... كالهر يحكى انتفاخاً صورة الأسد

وفى تركيا درج الأتراك منذ الزمن القديم على طريق ذكر الاسم مجرداً عن اللقب، إلا أنه فى العهد الأخير قرروا أن يتخذوا ألقاباً تدل على أسماء تركية يظهر فيها معنى تاريخى أو قومى . فقد تسمى رئيس الجمهورية (أتاترك) ومعناها (أبوالترك)، كما لقب رئيس وزرائهم عصمت باشا بلقب (أون أونو) وهو اسم لبلدة ريفية كانت فيهـا الموقعة التى انتصر فيها الترك على اليونان فى حرب الأناضول

وما تزال الأسر العريقة تشفع اسمهـا بألقاب مأخوذة من أسماء المقاطعات التى ينتمون إليها (دوق برابانت) — (برنس أوف ويلس) — (دوق يورك). وإن إطلاق اسم أمير الصعيد على صاحب السمو الملكى ولى العهد المحبوب لمن هـذا القبيل . ولدينا فى مصر بعض من الطرق الطريفة يلجأ إليها الناس فى التسمية والتلقيب، فمن ذلك بعض الأسماء التى تطلقها بعض الجرائد والمجلات على كثير من الناس والهيئات فإذا بتلك الأسماء أشهر

من الاسم الحقيقى . وفى كثير من الحوادث والمناسبات يشتهر إنسان باسم خاص فيصبح لقباً لأسرته من بعده لا يحيد الناس عنه

كما أن ببلادنا نوعاً غريباً من التلقيب وهو دلالة الكنى على أسماء معينة : مصطفى (أبو درش) يوسف (أبو حجاج) حسن (أبو على) إسماعيل (أبو السباع) على (أبو علوة) ابراهيم (أبو خليل) محمد وأحمد ومحمود (أبو حميد) كل اسم مصدر بعبد (أبو عبدة) سليمان (أبو داود)

وقد جرت مصر على عادة الألقاب ففيها ، كلمتا (أفندى) و (شيخ) وهما تمنحان بلا حساب ولا رقيب ، ولقب حاج ويقابله عند المسيحيين المقدس ، ولا يلقب بهما إلا من تمتع بالوصول إلى الأماكن المقدسة . وأما بك وباشا فهما من حق صاحب الجلالة مولانا الملك ينعم بهما على من يشاء . ومن الألقاب التى تملكها كل سيدة لقب (هانم) إلا أن العرف والعادة خصت الفتاة قبل الزواج بالآنسة وأطلقت عليها بعد الزواج لقب (السيدة) وقد سار الغربيون على عادة ذكر الزوج بعد اسم زوجته بدل أبيها . ولقد حاكاهم أخيراً كثير من المصريين وشاعت هذه الطريقة الآن . ومن أشهر من سمي بها (صفية زغلول . هدى شعراوى) وكثيرات غيرها

وقد درج الناس على أن ينعموا بأحد اللقبين الشعبيين (أفنـدى وشيخ) على من يشاؤون ، يسمون من كان مطربشاً بالأول ومن كان معمماً بالثانى ، وفى ذلك من الحيد عن وجه الصواب ما فيه . أما الشيخ فهي كلمة عربية ومعناها (من تجاوز سن الشباب) أو (من توفرت له حكمة الشيوخ وفضلهم ولو كان شاباً) أما الأفندى فهى كلمة تركية كانت تطلق على ولى العهد فى تركيا زمن الخلافة ، ثم نقلت إلى مصر وشاعت فيها . وانجلترا تسير على نظام الألقاب (مستر وسير ولورد) أما فرنسا فقد ألغيت فيها الألقاب ولم يبق للعظيم والحقير إلا كلمة (مسيو) ، وكذلك فعلت تركيا فى عهدها الأخير . وفى سوريا قررت الكتلة الوطنية هناك إلغاء جميع الألقاب من باشا وبك وأفندى وصاحب الدولة والفخامة والعزة والاستعاضة عن كل ذلك بلقب (السيد) ؛ وقد قابلت الطبقات السورية كلها هذه الخطة بالمدح والاستحسان . أما فى مصر فقد صدر قانون منذ خمس سنوات يحرم ألا يلقب بلقب إلا من أحرزه ، فقلل بذلك الألقاب الزائفة إلا أن الأمر مع الأسف اقتصر على المكاتبات الرسمية والصحف . أما فى غير ذلك فلا زال الناس يكيلون بغير حساب . وحسناً تفعل الحكومة المصرية لو أنها ألغت جميع الألقاب فيصبح الناس متساوين ولا فضل لأحد على أحد إلا بعمله ونبوغه وقدرته

غرائب التسمية

للأسماء غرائب مدهشات نذكر بعضاً منها :

جرت العادة أن يعرف الانسان باسمه واسم أبيه وأسرته ، إلا أننا فى كثير من الأحيان نجد الاسم يطغى على اسم الأب والأسرة فكثير من الناس قد يعرفون الملك أو العظيم باسمه فقط على أنهم يجهلون اسم أبيه

ومن عجائب الأسماء ما شاع اليوم من إطلاق اسمين على مسمى واحد ، يظهر ذلك فى الذكور والإناث (محمد طلعت — محمود شكرى — زينب كميلة — فاطمة ثريا — ثروت هانم) . وفى مصر من أعجب الأسماء أننا نسمع عن اسمين أحدهما أخ للآخر ، ولكننا لا نلمح أى اتفاق فى اللقب حتى يكادان أن يكونا متباعدين (إسماعيل صدقى أخوه محمد نجيب شكرى . عبد الخالق ثروت أخوه مصطفى رياض . أمين أنيس باشا أخوه محمد بك رياض) وتلك طريقة غريبة تضيع معها ألقاب الأسرات بمرور الزمن . ومن أغرب ما سمعت أن المدارس المصرية فى عهد المغفور لهما محمد على وإسماعيل كانت تطلق أسماء جديدة على تلاميذها يعرفون بها فى المدرسة ويشتهرون بها فى الحياة العامة

وفى الصين نجد معظم السكان لا تتعدى أسماؤهم أربعة (شانج — وانج)

وكل مسمى فى الغالب له حظ من اسمه فالذى اسمه (ماهر ، ذكى ، سعيد) ينال فى الغالب شيئاً من دلالة اسمه . و (فؤاد ، فاروق ، فايزة ، فوزية ، فوقية ، فايقة ، فتحية) أسماء بدأت بالفاء : فكل من يسمى بواحد منها يتفاءل أولا لأنها أسماء ملوك وأمراء ، وثانياً لأن فيها معنى الفوز والفتح والفضل

والذين ينجمون ويتعرفون حظ الانسان ويكشفون له عن مستقبله كل عمادهم على الأسماء : فهم يرون فى حروف كل اسم ما يدل على حظ صاحبه وما قدر له فى عالم الغيب ، ولهم فى ذلك طرق كثيرة : منها أنهم يقسمون الحروف طوائف وكل طائفة منها تدل على معان خاصة يتصف بها صاحب الاسم الذى تغلب

فيه هذه الحروف . ومنها أيضاً أنهم يجمعون الأعداد الدالة على الحروف وهو مايعرف عندهم (حساب الجمل) فيجمعون اسم الشخص واسم أمه ثم يسقطونها سبعة سبعة ، والباقى يدل على حظ صاحبه

الأسماء واللغة

اصطلح علماء العربية على تقسيم الأسماء الأعلام إلى ثلاثة : كنية وهى المصدرة بأب أو أم (أبو طالب ، أبو الفضل – أم كلثوم أم الخير) ولقب وهو ما أفهم مدحاً أو ذماً (الرشيد ، الفاضل ، الجاحظ ، السفاح) والثالث اسم وهو ما سمي به الانسان (أحمد ، على ، فرج ، سليم)

ولو تتبعنا معظم الأسماء لوجدناها تقريباً (من المشتقات) فمنها أسماء فاعلين (حامد ، قاسم ، راغب ، ماهر ، عادل) ومنها أسماء مفعولين (محمود ، منصور ، معروف ، مبروك ، مسعود) ومنها صفات مشبهة : (سعيد ، بخيت ، شبير ، كريم ، ذكي ، نبيل) إلا أنه على الرغم من كونها مشتقة فاننا نعتبرها من القسم الآخر وهى أنها جامدة

كما أن هناك كثيراً من الأسماء يختلط فيها المذكر بالمؤنث (عطية ، إحسان ، ثروت ، آمال ، رجاء ، صوفى) واللغة العربية تنزل المذكر المسمى باسم من هذا النوع منزلة المؤنث فتمنعه من الصرف

اقتراح

وأخيراً لقد تقدم عالم أمريكى وقال إن الأسماء قد كثرت كثرة عظيمة ، وصارت من أسباب الفوارق بين الشعوب بل بين أبناء الأمة الواحدة لدوافع دينية ، فهو لذلك يقترح الاستغناء عن الأسماء بتاتاً وتسمية الناس بأرقام فيقال مثلا (٤٣ ابن ٣٥) وهكذا . ولذلك سوابق ، فالمسجونون والعساكر وعمال الترام يعرفون فى معظم الأحوال بأرقامهم

والانجليز يشيع بينهم اسما (جون) و (اسميث) حتى ليبلغ عدد من يسمون بهذين الاسمين فى انجلترا مليوناً من السكان وفى مصر نجد الأغلبية العظمى يشيع بينها (محمد ، محمود ، أحمد ، على)

وللألقاب كذلك غرابة : فبعضها يدل على معان غريبة ، ربما كانت ثقيلة ، ولكنها اشتهرت فأصبحت سهلة ذائعة مقبولة (البلط ، الجحش ، أبو شوشة ، البرش . أبوشناف ، مجور ، شبايك)

الأسماء والقانون

جرت العادة أن يطلق الاسم على الطفل فتسجله القابلة فى سجل أعد لذلك بمكاتب الصحة ، ومتى عرف الابن أو البنت بهذا الاسم فلا يجوز تغييره إلا بشروط خاصة ، أن يتقدم الطالب إلى بعض الجهات القضائية ويدفع رسما خاصاً ، ويأتى بشهود ويسجل اسمه الجديد ، والغرض من هذا التشديد فى التغيير تضييق السبل أمام من يريد الفرار من حكم القضاء أو من دين عليه . وكثير من النـاس يتقدمون لتغيير أسمائهم إما لأنها مكروهة فى نطقها أو لاشتهارهم بغيرها بين الناس

وهناك كثير من الناس لهم أسماء رسمية وأخرى عرفية : فالأسماء التى سجلت فى سجل الميلاد هى الرسمية ، وقد يعرفون بغيرها عرفاً واصطلاحاً بين مواطنيهم ولكن الأحكام القضائية والشهادات الدراسية تصدر بالاسم الرسمى

الأسماء والحظ

التفاؤل بالأسماء والتشاؤم بهـا قديم جداً ، فقد كان قدماء المصريين يتفاءلون بأسماء آلهتهم فيسمون بها أو ينسبون إليها (خفرع ، آمون ، حتب ، توت عنخ آمون) وكان العرب يسمون أولادهم بأسماء يتشاءم منهـا (تأبط شرا ، أبو الغول ، أبو لهب ، أبو جهل) وفى نفس الوقت يسمون عبيدهم بأسماء يتفاءل بها (الفضل ، جوهر ، فرج ، سالم ، سرور) وقد سئل بعضهم فى ذلك فأجاب : (إنما سمينا عبيدنا لنا ، أما أبناؤنا فسميناهم لأعدائنا) ومما يؤثر : أن عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم حينما بشروه بولادة النبى قال سموه (محمداً) فانى لأرجو أن يحمد فى الأرض وفى السماء ، والمسلمون يتفاءلون دئما بهذا الاسم المبارك الكريم

ولكن الاسم فيه معنى من معانى التكريم للانسان والسمو إلى منزلة يتفرد بهـا ويمتاز عن غيره من المخلوقات ، فلو أخذنا بنظام الأرقام كان ابن آدم سلعة من المتاع ولكن من يدرى :

فالليالى من الزمان حبالى مثقلات يلدن كل عجيب

السيد شحاته
المدرس بالجامعة الأمريكية

خواطر ورمـــوز

للأستاذ عبد المنعم خلاف

١ – أطماع لا حد لها

تكتب يد بليدة ما رأته عين ضيقة في الدنيا الواسعة ذات الأبواب التي لا عدد لها ، ككتابة المتعجل الذي يريد أن يرى ويسجل قبل الرحلة التي لا رجعى بعدها هنا ...

ورحلتنا من هنا قد حملت كثيراً من الركب على أن يتخففوا ما استطاعوا ، وأن يمروا على أشياء الدنيا بالنظرة الخاطفة ، والخطرة العابرة، إيماناً بأن كل شيء هنا للفناء والعفاء ، فلا غناء فيه ولا وراء من أخذه في الحس وتسجيله في النفس والطرس بالتأمل والدرس

بيد أن كل هذه الأضواء الفانية ، والألوان الفاصلة ، والرؤى المتلاحقة ، والدنيا التي تمتلىء وتفرغ كل لحظة ... هي أحق شيء بالتسجيل وفتح الأعين الخفية عليها من غير إغماض أبداً فلئن عشنا حياة أخرى ، وهو الموقن به في إلهام الروح، والمحكوم به في إثبات العقل ، فان أمتع شيء لنا هناك أن نستعرض صورنا هنا يوم تمحي هذه الأرض من الوجود ولا تبقى إلا في النفس الانسانية كرحلة من مراحلها في سيرها إلى غايتها المجهولة

ولكن الألفاظ ضيقة والدنيا واسعة والحياة سريعة السير . فلا أدري هل أنا مستطيع أن آخذ في ألفاظي الضيقة ما أريد أخذه حتى أشعر يوم يقبل اليوم النهائي أنني خارج من الدنيا ممتلىء الأوعية « بأفلام » طويلة كاملة الاخراج ؟

أنا في إرهاق دائم بمطالب العيش ومشاكل الناس وضرورات الأبدان ... وإنما أنظر إلى ما أمام الستار وما وراءه ، في فترات قصيرة كفترات الأحلام .

فما لي على إدراك هذا يدان ولا قدرة إلا أن يضاعف صاحب الحياة من قوى نفسي فيمدني بعيون كثيرة وآذان كثيرة « وعدسات » كثيرة .

من لي بمن يدمجني في كل شيء حتى أتحدث عنه كأنني هو متحدثاً عن نفسه ؟ !

فيا أيتها الدنيا البُعدَى ... ! اكشفي لي القناع واهتكي أستارك لتلك العين الضيقة التي أرمدها السهر على بابك، وولهها الدنو من رحابك ، حتى ما وراء الستار .

فإن مبلغ علمي بدنياي أن أولها : أنا ... وثانيها الأرض ... وثالثها : السماء .. ورابعها : أنا غير الأولى .. وخامسها : هؤلاء جميعاً ! ...

فهات يا دنيا ! املئي يدي وفمي وكل وعاء فيّ ... إني واقف أنتظر الكنوز الموعودة ... يداي ما زالتا مبسوطتين منذ أن عرفت ... وفمي فاغر إلى فوق ، وعيناي كهفا ظلام لم تقتما بما ينفذ إليهما من هذا الضوء الذي تراه أيضاً كل العيون الضالة فلا يهديها ...

٢ – والمحصول ؟

ولكن ...

هل في الدنيا إلا طريق واحد تذهب فيه الأقدام طولا وعرضاً على الشوك والحصى والغبار ، ثم تنتهي إلى الحفرة التي لا تشبع أبداً من الجثث والحطام ؟

وهل أنا عالم بذلك علم الذي ينظر الخواتيم دائماً في البادئ ؟

وهل لا يزال يزيغ حواسي ذلك البريق الخالب فأجري وراءه وأنا أعلم أني أجري إلى لا شيء ؟

أو لم أجرب العناوين وما وراءها ودنيا الألفاظ التي تضع الأسماء ليعيش الناس بها فقط ؟

وهل أذهب كما ذهب أكثر الناس غريق الوهم والسعي المُكْدِي إلى الأصفار التي غرنا منها أنها تعد أيضاً كما تعد الأرقام ؟

ما ذا وراء التراب المزوق يا أولي الألباب ؟ إملأوا منه أواعيكم ما شئتم ... !

ما ذا وراء التجارة بالألفاظ أيها الحكماء ؟ املأوا الصحف بها ما أردتم ... !

فليس في الدنيا إلا يوم واحد تفرغه الشمس أضواء وظلاماً على أجسادنا فتبنيها ثم تبليها به ...

والأرض دائماً تقرع بالأقدام ... والصبح دائماً معه صوت الطير ... والليل دائماً معه نجومه ... والمحصول عدد لا نهائي من الأصفار !

مائة صورة من الحياة

للأستاذ على الطنطاوى

٣ — لا بد من جنون أيها العقلاء !

ولكن أيضاً ...

لا بد من جنون أيها العقلاء لندرك !

لا بد أن نصر على هذا النداء :

أمسكي الماء أيتها الغرابيل ... اقبضى على الريح أيتها الأصابع. امضغى الهواء أيتها الأضراس ... أدلى الدلاء إلى السراب أيتها الأيدى ... اطحنى القرون أيتها الطواحين ...

٤ — الأعمى والمرآة

— وهذا الاصرار هو أمانىُّ أعمى ينظر فى مرآة ! ليرى فيها خيوط ضوء من أفق مجهول يقع على وجهه المجهول لديه الخالد فى الظلام بخلود أقفال عينيه !

إنه يتعزى بأن المرآة هي التى تراه ... فاعذروه واتركوه يقلب وجهه فيها ...

عبد المنعم خلاف

٦ — رطل عنب

كان عندنا منذ أسبوع عمال أنفذهم صاحب المنزل ليصلحوا شيئاً فى الدار . وابتغاهم من الأرمن ولم يسمع نصيحتى اليه بأن يستبدل بهم عمالاً من أهل البلد ، وتملل على بأن هؤلاء أجود عملاً ، وأقل كلفة . ولقد وجدتهم والله كما قال : عملوا فى اليوم ما لا يعمله غيرهم فى الثلاثة ، فكنت أرقبهم وأدرس طبائعهم فما أنكرت منهم شيئاً حتى أظهر الظهر وزال النهـار ، فقطعوا العمل ، وقعدوا يأكلون ويستريحون ، فلم يجدوا العنب ، والعنب الأحمر فى الشام قوام حياة العامل لقلة ثمنه ، وكثرة فائدته ، وإن من يأكله إنما يأكل الصحة والقوة ثمراً شهياً ، فبعثوا أحدهم بقروش ليشترى لهم رطلا ، ولبثوا ينتظرون ... فمضى ربع ساعة وربع آخر ، وربع ثالث ، ولم يحضر ، ثم جاء يلهث من التعب ، فلم أتمالك أن صحت به :

— أين كنت ياهذا ؟ أرحلت فى طلب العنب ، والعنب ملء الأسواق ؟

— قال : لقد اشتريته من (البرامكة) ؟

— قلت : من البرامكة ؟ على مسافة كيلين اثنين ؟ ولم هذا العناء ؟ ...

— قال : لم أجد بائعاً أرمنياً إلا هناك ! ! ...

٧ — أبوه !

أخبرنى صديق لى من جلة العلماء ، قال :

كنت أتولى المدرسة الخيضرية ، وهى من المدارس القديمة فى دمشق ، فجاءنى ذات يوم شيخ هرم عليه ثياب أخلاق ، وعمة بالية ، فأقبل على استحياء يسألنى عملا فى المدرسة وظيفته خمسة أرغفة فى اليوم . فأعطيته الذى يريد ، ولم أسأله عن نفسه حتى مرت أيام ، فخبرنى أن له ابناً ، ولكن ابنه يعرض عنه وينكره ، فعجبت من ذلك وقلت له : من هو ابنك ؟

— قال : فلان !

فلما سمعت الاسم صعقت ، وعدت أسأله :

— فلان ؟ الأستاذ الكبير ، صاحب الشهادات الكبرى من أوربا ..؟

— قال : نعم ، هو والله ابنى . ولقد أنفقت عليه مالى وشبابى ، فلما صار شيئاً ، جزانى شر جزاء ، وجعل مكافأتى الانكار والاحتقار ، واضطرنى إلى سؤال الناس وإراقة ماء وجهى فى رغيف من الخبز

فقلت : أنا أكلم ابنك ، فهو صديقى ...

قال : لا ، لا تفعل سألتك بالله . . . فانه ان عرف أنى خبرتك ضربنى وآذانى . لقد حرم علىَّ أن أنبىء أحداً أني أبوه !

قال صديقى الأستاذ : هذا والله ما كان ، ما زدت فيه حرفاً ولا نقصت ! ...

«دمشق» على الطنطاوى

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ – ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ٣٨ —

١ — « ... وأنا على كل أحوالى إنما أنظر إلى الجمال كما أستنشى العطر يكون متضوعاً فى الهواء : لا أنا أستطيع أن أمسه ولا أحد يستطيع أن يقول أخذت منى. ثم لا تدفعنى إليه إلا فطرة الشعر والاحساس الروحانى ، دون فطرة الشر والحيوانية ، ومتى أحسست جمال المرأة أحسست فيه بمعنى أكبر من المرأة ، أكبر منها غير أنه هو منها ! »

* * *

٢ — « ... ولكنه عاشق يتبر العشق بين يديه؛ فكأنه هو وحبيبته تحت أعين الناس : ما نطمع إلا أن تراه وما يطمع إلا أن يراها ولا شىء غير ذلك ؛ ثم لايزال حسنها عليه ولا يزال هواه إليها ، وليس إلا هذا

« والذى هو أعجب أن ليس فى حبه شىء نهائى فلا هجر ولا وصل ، ينساك بعد ساعة ولكنك أبدا باقية بكل جمالك فى نفسه . والصغائر التى تبكى الناس وتتلذع فى قلوبهم كالنار ليجعلوها كبيرة فى همهم ويطفئوها ويتهوا منها ككل شهوات الحب ، تبكيه هو أيضاً وتعتلج فى قلبه ، ولكنها تظل عنده صغائر ولايعرفها إلا صغائر؛ وهذا هو تجبره على جبار الحب! »

(هو الرافعى)

الجمال البائس

وهذا حب جديد وليلى جديدة ، ولكنه حب كما وصف الرافعى ؛ فما هو إلا سموٌ بالنفس فوق نوازع البشرية إلى غيب السموات يتنور فى عوالمها الخفية نورَ الانسانية فى حقائقها العالية

كان ذلك فى صيف سنة ١٩٣٥ ، وكان الرافعى يصطاف فى سيدى بشر ؛ ثم كان يقصد إلى الاسكندرية أحياناً ليلقى صديقه السياسى الأديب الأستاذ حافظ ... ؛ فان بينهما لصلات من الود ترجع إلى نحو عشرين سنة ، منذ كان الأستاذ حافظ محامياً فى طنطا .

وكان صديقه يقضى إجازته فى الاسكندرية ، مشغولا بكتاب يهم أن يصدره فى شأن من شئون الاسلام أوحى إليه بموضوعه فترةٌ غير قصيرة من تاريخه السياسى قضاها فى بلاد الحجاز ، وكان الرافعى يعاونه فى إنشاء كتابه ...

وكانا يتواعدان على اللقاء فى ملهى من ملاهى الاسكندرية على شاطىء البحر ، حيث تتهيأ لهما الفرصة من هدوء المكان فى النهار وقلة إقبال الناس عليه ، لما هما فيه من عمل

فى هـذا الملهى كانت تعمل فرقة الراقصة المشهورة « بيا » فيبهج كل مساء بمن يفد إليه من طلاب اللهو والهوى ، ليفرغ الرافعى وصاحبه فى النهار يداولان الرأى فى شئون الأدب والدين والفلسفة . وشتان ليله ونهاره !

وكثر تردد الرافعى وصاحبه على هذا الملهى حتى ألفهما المكان وألفا ما فيه ، وألفهما فيمن ألِف فتاة من راقصات الفرقة ، هى الايطالية الحسناء « ب ... » فما كان بينها وبين الرافعى إلا نظرة وجوابها ثم كانت قصة حب ...

وجلس الرافعى إليها يتحدثان ذات نهار ، وكشفت له عن صدرها وكشف لها ، فكان بينهما حديث طويل ، شهده الأستاذ حافظ من بدايته إلى منتهـاه ، ثم ترك الرافعى لهواه وتركتْه صاحبته ...

وذاق الرافعى مرة أخرى لوعة الحب وبرحاء الهوى ، وكانت محبوبته الأخيرة راقصة من بنات الهوى تعمل فى مسرح هزلى من مسارح الصيف المتنقلة بين شواطىء الاسكندرية ... !

تلك هى صاحبة « الجمال البائس »

* * *

وانتهت أشهر الصيف وعاد الرافعى إلى طنطا وعادت الفرقة الراقصة إلى القاهرة ، وشت ما بين الحبيبين !

ولقيتُ الرافعى بعدها فحدثنى حديثه والكلمات ترتعش على شفتيه وفى عينيه بريق عجيب ؛ ثم تهدج ورق صوته وهو يقول : « مسكينة ! ليتني أستطيع أن أبلغ ما فى نفسها لأعلم ما تشكر من حظها وما تنكر ... ليس موضعها هناك ، ولكنه القدر ! »

ولقيته فى القاهرة ذات مساء ، وقد فرغ من مقالات

« الجمال البائس » فدعانى أن أصحبه إلى الملهى الذى تعمل فيه ليراها من بعيد ، وأرسل من يطلب له تذكرتين عند شاب من أبناء عمومته يعمل فى « دار الهلال » وأبطأ عليه الرسول فلم ينتظر ، فنهض ونهضتُ معه واتخذ طريقه إلى « عماد الدين » ..

ووقف بالباب ينظر الصور ويقرأ الاعلان وهو يسألنى :

« أين اسمها ؟ وأين صورتها ؟ وأين ... وأين هى ! »

وطالت وقفته وهو ينظر إلى صورتها في إطار كبير إلى جانب الباب يضم صورتها إلى صور شتى من راقصات الفرقة ما منهن إلا لها جمال وفتنة ، ولكن عينيه كانتا تنظران إلى صورة واحدة، إلى صورتها !

ثم تحول عن الباب مسرعا عجلان وهو يجمجم بكلام لا يبين وقال لى وقد أسرعت إليه حتى حاذيتُه : « أيليق أن ندخل إلى هذا المكان ؟ أتراه من المروءة ؟ وددت لو رأيتها ولكن .. »

وانتهينا إلى قهوة « بول نور » فجلس وجلست ، ومضى يتحدث عن السحر والشعر وفتنة الجمال ؛ فما هى إلا لحظة ثم مرت بنا منحدرة من شارع فؤاد إلى شارع سليمان باشا ، فأتبعها عينيه من نافذة إلى نافذة حتى توارت فى مزدحم الناس ثم عاد إلى نجواه وشكواه ...

وجلس مرة يتحدث إلى صديقه الأستاذ حسن مظهر محرر « اللطائف » عن ذات « الجمال البائس » فأهدى إليه صورتها ؛ فما زالت هذه الصورة معه إلى أخريات أيامه لا تفارقه .

ولقد كان يحسن الظن بعلمها وفهمها ، حتى ليحسبها من قراء الرسالة فتفهم ما كتب من مقالات الجمال البائس لتعرف موضعها من نفسه !

وكان لاينفك يسأل : « أتراها علمت ؟ أتراها قرأت ..؟ »

وما أحسبه لقى صاحبا من أصحابه إلا تحدث إليه عن صاحبة الجمال البائس ...

جلست منذ قريب إلى الأستاذ توفيق الحكيم نتحدث عن الرافعي ونذكر من خبره فقص عليّ ، قال :

« كان الرافعي يجلس على هذا الكرمى ، من هذه الفرقة ، وكان ذلك قبل منعاه بأشهر قليلة ؛ ومضى الحديث بينى وبينه حتى جاء ذكر صاحبة الجمال البائس ؛ فأخذ الرافعي يصفها لى وصفا لا أجد أبلغ منه ولا أجمل من صاحبته ، وطاوعه القول على تصورها كما هى فى نفسه ؛ فما كانت عندي بما وصف إلا امرأة قد اجتمع لها من ألوان الجمال وفنون الحسن وسحر الأنوثة مالم يجتمع مثله لامرأة ؛ وتمثلت صورتها لعينىّ كما أراد أن يصف ؛ فلما بلغ آخر الحديث عنها ، قدم إلىّ صورتها فى ورقة لأرى بعينى مصداق ما سمعت ...

قال الأستاذ توفيق الحكيم : « ونظرت إلى الصورة التى صورها لى حديث الرافعي وإلى الصورة التى فى الورقة ، فكأنما استيقظت من حلم جميل !... يرحمه الله لقد كان شاعرا ... »

كذلك كان سلطانها فى نفسه وأثرها فى خياله !

* * *

وكانت نشأة هذه الفتاة فى طنطا لأول عهدها بالرقص ، وكانت تعمل مع فرقة قروية أقامت « خيمتها » فى طنطا بضع سنين ؛ ولم يكن الرافعي يعلم ذلك حتى عرفتها فى فرقة « بيا » ورأيت صورتها ؛ فلما أخبرته به أغمض عينيه وراح فى فكر عميق ... أتراه كان ينظم شعرا لم يجهر به ولم يسمعه أحد ؟

والعجيب أن الرافعي وهو فى غمرة هذا الحب الجديد لم ينس صاحبته « فلانة » ولم يفتر حبه لها ، بل أحسبه كان أكثر ذكرا لها وحنينا إليها مما كان ، وكأنما كان قلبه فى غفوة فأيقظه الحب الجديد ورده إلى ما كان من ماضيه

لقد كان قلب الرافعي عجيبا فى قلوب العشاق ؛ ليت من يستطيع أن يكشف عن أعماقه !

طنطا   محمد سعيد العريان

جورجيـــاس
او البيان

لأفلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ١٠ —

« تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجل محاوراته وأ كلها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة ! »

« رينوفييه »

«إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائما وتنتصر لأنها أتوى وأقدر من جيم الهادمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »

٢ — جورجياس : السفسطائي : « ج »

٣ — شيريفين : صديق سقراط : « سه »

٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »

٥ — كاليكليس : الأثيني : « ك »(1)

ط — (مجيبا بولوس) فبرهن لى إذاً على أن الخطباء قوم عقلاء ، وعلى أن البيان من الفنون وليس بأحد أقسام الملق ، وهنالك تكون قد ناقضت رأيى ! ، أما إذا لم تناقضنى فلن يكون للخطباء الذين يفعلون فى الدولة ما يشاءون ، ولا للجبابرة الطغاة أى خير ! وها قد اعترفت بنفسك — حسبما جاء فى قولك — : بأن القوة خير ، وبأن فعل ما يشاء الانسان عند ما يكون مسلوب العقل شر ! ، أليس كذلك ؟

ب — بلى

ط — وإذا كيف يصير الخطباء والجبابرة جِدّ أقوياء فى الدول إذا كان بولوس لم يناقض سقراط ولم يقنعه بأنهم يفعلون ما يريدون ؟

ب — ياللرجل ...!

ط — إننى أدعى أنهم لا يفعلون ما يريدون ! فناقضنى !

ب — ألم توافق منذ لحظة على أنهم يفعلون ما يبدو لهم كأحسن الأفعال ؟

ط — وما زلت للآن موافقا على ذلك ؟

ب — فهل يفعلون — على ذلك — ما يريدون ؟

ط — ذلك ما أنكره !

ب — حتى ولو كانوا يفعلون « ما يسرهم » ؟

ط — بلى

ب — إنك لتقول أشياء بالغة الغرابة وجـديرة بالرثاء ياسقراط !

ط — لا تلمنى هكذا سريعا يابولوس إذا استعملت لهجتك وأسلوبك !، إنك إذا كنت قادرا على توجيه الأسئلة إلىّ فبرهن لى أنى قد غششت نفسى ! ، وإلا فلتجبنى بنفسك

ب — وإني لجد راغب فى إجابتك كيا أعرف أخيرا ماذا تريد أن تقول !

ط — أتعتقد أن الناس يريدون كل ما يفعلون من أعمالهم أم هم لا يريدونها إلا من أجل شىء آخر ؟ مثلا أولئك الذين يتناولون جرعة الدواء التى يقررها الطبيب : أتراهم يريدون فى رأيك أن يبتلعوا مالا يسيغونه ؟ أم هم لا يفعلون ذلك إلا من أجل شىء آخر هو « الصحة » ؟

ب — واضح أنهم لا يريدون من ذلك غير الصحة !

ط — وبالمثل أولئك الذين يركبون البحر أو ينهمكون فى

---

(1) أثبت سقراط فى العدد الماضى أن أقسام «الملق» الأربعة — وهى التزين والطهى والسفسطة والبيان — تنزلق تحت الرياضة البدنية والطب والتشريع والعدالة ، وتختفى فيها وتدعى زوراً أنها أقدر منها وأنفع ؛ ثم مضى بعد ذلك إلى مناقشة «بولوس» تلميذ جورجياس فى موضوع «القوة» ليبين له أن الخطباء والجبابرة ليسوا من القوة فى شىء وإن استطاعوا قتل الناس ونفيهم وسلبهم وتجريدهم ! وسنرى اليوم كيف يبرهن سقراط بحواره البالغ غاية الدقة والاحكام — على هذه القضية الأخيرة ، وكيف يسخر من قول «بولوس» ويقول إن أمثال هؤلاء الطغاة أجدر بالرحمة والاشفاق منهم بالحسد والاعجاب لأنهم إنما يفعلون مالا يريدون مادمنا لا نريد بطبيعتنا غير الخير

ويلاحظ بعد هـذا أننا نعتمد منذ العدد الأسبق على ترجمة الأستاذ E. Ohambry أستاذ الشرف بكلية « فولتير Voltaire » ، مع الرجوع عند الضرورة إلى ترجمة الأستاذ P. Lemaire «المعرب»

كل بحارة أخرى فإنهم لا يريدون ما يباشرونه يوميا — لأن من يواجه البحر يعرض نفسه لصنوف العوائق والأخطار — وإنما الذى يريدونه فى رأيى هو الشىء الذى من أجله يبحرون وأعني به « الثروة » ، لأنا لا نبحر إلا لكى نثرى !

ب — ذلك مؤكد !

ط — أو ليس الأمر بالمثل فى جميع الأفعال ؟ أى إذا فعل الانسان شيئا من أجل غاية ما ، فانه لا يريد ما يفعل ، ولكنه يريد « الغاية » التى من أجلها يفعل ما يفعل ؟

ب — بلى !

ط — والآن هل يوجد فى الدنيا شىء لا يكون حسنا أو رديئا ، أولا هو بالحسن ولا هو بالرديء ؟

ب — لا يوجد فى الدنيا شىء على خلاف ذلك باسقراط !

ط — أو لا تعد الحكمة والصحة والثروة وكل الأشياء الأخرى المماثلة من الأشياء الحسنة ؟ بينما تعد نقائض هذه من الأشياء الرديئة ؟

ب — نعم

ط — وألا تقصد بالأشياء التى هى بين بين ، تلك التى قد تكون حسنة وقد تكون رديئة ، أعنى تلك التى لا تمايز فيها ، كالجلوس والمشى والملاحة والجرى ، أو كالحجارة والخشب وكل ما شابه ذلك من موضوعات ؟ أليست هذه فى رأيك هي التى ليست بالحسنة وليست بالرديئة ؟ أم ترى هى شىء آخر ؟

ب — كلا ! إنها كذلك لعمرى !

ط — والآن عند ما نفعل هذه الأشياء غير المتمايزة ، أنفعلها من أجل أشياء حسنة أم نفعل الأشياء الحسنة من أجلها ؟

ب — لا شك فى أننا نفعل هذه الأشياء من أجل غايات حسنة .

ط — وإذا فهو « الخير » الذى نسعى إليه بالمشى عند ما نمشى لأننا نرى أننا نكون فى حالة أحسن إذا مشينا . وبالمثل عند ما نبق — على النقيض — ساكنين ، فاننا نفعل ذلك من أجل نفس الغرض ، وهو الخير ، أليس ذلك صحيحا ؟

ب — بلى !

ط — ونحن كذلك لا نقتل — عند ما نقتل ، ولا ننفى الغير ولا نسلبه إلا عند ما نقتنع بأن الأفضل لنا هو أن نفعل ذلك لا ألا نفعله ؟

ب — بالتأكيد !

ط — وإذا فنحن لا نفعل كل ما نفعل من هذا النوع إلا من أجل « الخير » !

ب — أوافق على ذلك .

ط — وإذا قد اتفقنا على أننا عندما نفعل شيئا من أجل غرض ما ، فاننا لا نبغى الشىء حينذاك وإنما نبغي الغرض منه ؟

ب — بالتأكيد !

ط — وإذا فنحن لا نريد ذبح الناس ونفيهم وتجريدهم من أملاكهم لمجرد هوى يسير ، وإنما نفعل ذلك مريدين عند ما يكون فى ذلك نفع لنا . أما إذا كان فى ذلك ضرر لنا فنحن لا نريده لأنا لا نريد إلا الخير كما صرحت أنت بذلك ، أما ما هو ليس بالحسن ولا بالرديء فنحن لا نريده كما لا نريد بالأولى كل رديء ، أترى ذلك صحيحا ؟ أيلوح لك أنى محق يابولوس ؟ أجبنى بالنفى أو الاثبات .. ! مالك لا تجيب ؟

ب — إنك محق ياسقراط ؟

ط — وما دمنا قد اتفقنا على ما تقدم ، فهل إذا قتل خطيب أو طاغ شخصاً آخر أو نفاه من المدينة ، أو جرده من أملاكه معتقداً أنه يخدم بذلك منفعته ، بينما لا يكون فى ذلك إلا ضرره ، أتراه يفعل حينذاك ما يسره ؟

ب — بلى

ط — ولكن أتراه يفعل أيضاً ما « يريده » إذا رأى أن النتيجة ستكون وبالا ؟ ... لماذا لا تجيب ؟

ب — لا يلوح لى أنه يفعل حينذاك « ما يريد[1] » !

ط — وإذاً أيمكن أن يكون لمثل هذا الشخص « قوة كبيرة » فى المدينة ، إذا صح ما سلمت به من أن القوة الكبيرة خير ؟

ب — كلا ، فذلك مالا يمكن أن يكون !

(١) الارادة هنا بمعنى الروية والتفكير لأن إفلاطون كان يعتقد أن من يفكر ويتروى فى جميع أفعاله بحيث « يعلمها حق العلم » لا يمكن أن يجلب الشر لنفسه قط — وفى ذلك من العلو بالطبيعة الانسانية والسمو بأخلاقها مالا يتفق — مع الأسف — والواقع الأليم

ط — وإذاً فقد كنت محقاً في قولي إن المرء يستطيع أن يفعل في الدولة ما يسره دون أن يكون عنده من أجل ذلك قوة كبيرة أو دون أن يكون فاعلا لما « يريد » !

ب — وما دام من شأنك يا سقراط أنك لا تفضل أن تكون « حراً » في الدولة بحيث تفعل ما يسرك، على أن تكون بعكس ذلك، أفلا تحسد من تراه يقتل ويسلب ويقيد بالحديد؟ من يسره أن يفعل معه ذلك؟

ط — أتقصد أنه يفعل ذلك عدلا أم ظلماً؟

ب — ليكن عدلا ذلك أم ظلماً، أفلا ترى أنه جدير بالحسد في كلتا الحالتين؟

ط — قل شيئاً أفضل من ذلك يا بولوس!

ب — ولم لا؟

ط — لأننا يجب ألا نحسد من هم ليسوا جديرين بالحسد كما لا يجوز أن نحسد الأشقياء والتعساء! بل يجب على النقيض أن نرحمهم يا بولوس[1]!

ب — ماذا؟ أترى أن أولئك الذين أتحدث عنهم جديرون بالرحمة؟

ط — وكيف لا يكونون جديرين بها؟

« يتبع » محمد حسن ظاظا

(١) ذلك هو المسيح عليه السلام في ثياب أفلاطون! أو هو أفلاطون في ثياب المسيح، فترى هل ينصت العالم اليوم لتلك الرسالة العليا؟ (المعرب)

غزل العقاد

للأستاذ سيد قطب

— ١٨ —

متى كان الشاعر صادقا في شعوره وتعبيره، صاحب خصوصية في فهم الحب والحياة، متعدد الجوانب منفسح الآفاق؛ كثرت في غزله — وفي شعره كله — صور « الحالات النفسية » — وهي الخاصة التي رصدنا لها هذا المقال في غزل العقاد — ولم يقف في الغزل عند الصور العامة الشائعة، لأنه معنيّ بإظهار خاصة نفسه، وتصوير خلجات ضميره.

وخصائص العقاد العامة — كما قلت في الكلمة الماضية — لا يخطئها الناقد في كل بيت له وكل قصيدة، حتى ليستطيع دارسه أن يثبت له أو ينفي عنه أقوالا لم يعلم صدورها عنه. وبعض إخواني الآن يتفكه معي، فيعرض على أقوالا منثورة ومنظومة ناسبا إياها للعقاد، فلا أجد صعوبة ما في نفي بعضها وإثبات بعضها، وبيان حكمة النفي والاثبات بخصائصه العامة التي لا تخطئ ولا تتخلف

هذه الخصائص أشد وضوحا في شعر « الحالات النفسية » بطبيعة الحال. وهذا الضرب من الشعر يمتاز فيه العقاد بالوفرة والتنوع والشمول، كما يمتاز « بالخصوصية » والتفرد.

ولا بد من التنبيه إلى هذه الامتيازات. فشعر الحالات النفسية قد يكون، ولكنه يكون ذا لون واحد، أو قريبا في غوره وانبساطه، فلا يكون — إذ ذاك — ميزة للشاعر، إلا من حيث إشارته إلى وجود البذرة الصالحة للانبات؛ بذرة الاحساس الصادق الأمين.

والحالات النفسية التي سنعرضها في هذا المقال فيها الطريف في نوعه وشكله، وفيها الشائع في نفوس المحبين الصادقين، ولكنه معروض في شكل جديد ونسق واتجاه خاصين خصوصية العقاد في عالم الشعراء

***

الصبابة المنشورة : الحب الذي طمسه السلوان ، وعفى عليه النسيان ، يمثله المفاد حيا ، ويشخصه جسما ، ويقول له ويستمع إليه ، ويعجب منه ويرثى لمصيره ، فى جو مرهوب مسحور ، كجو البعث والنشور .

صبابة قلبي ! أقبل الليل غاضياً ... فهبي فقد يغشى الرفاتُ المغانيا
وقد تهجر الموتى القبورَ أمينة ... إذا الليل غشى بالرقاد المآقيا
وثوبى إلى الدنيا مع النوم فانظرى ... مكانك قد أقوى وعرشك خاويا
ومرى به مر الغريب . وطالما ... تربعت فيه قبل ذاك لياليا
ولا تسألى : من بالديار ؟ فإنها ... على موثق ألا تجيب مناديا
بدا شبح عار من اللحم ، عظمه ... يجاذب أضلاعا عليه حوانيا
يقاربُ فى قيد المنية خطوَه ... ويمشى به ليلامع الليل ثانيا
وقال : سلام ؛ قلت : فاسلم وإن يكن ... دعائى لميت بالسلامة واهيا !
من الطارق السارى ؟ فقال : صبابة ... نعمت بها حينا وما أنت ناسيا
فقلت : أرى جسما عرى من روائه ... وعهدى به من قبل أزهر كاسيا
جهلتكِ لولا مسحة فيك غالبت ... بشاشتها أيدى المنون الواعيا
جهلتك لولا هزة في جوانحى ... يدَ الدهر لا تبقى من الشك باقيا
ألا شدّ ما جار البلى يا صبابتى ... عليك . فكيف استل تلك المعانيا
أأنت التى أسهرتنى الليل راضيا ... وأنت التى أسكرت عينى صاحيا
وأنت التى كنا إذا الناس كلهم ... تولوا ، وجدنا منا فيك وافيا ؟
وأنت التى جليت لى الأرض جلوة ... أسائل عنها الأرض وهى كما هيا
أسائل عنها كل شيء رأيته ... أما كنت فينان المحاسن شاديا
نفختِ بها روحا فغرد صامت ... ورنم جلمود ، وأصغيت لاهيا
فلما ألمّ البين لاذت بصمتها ... وأمسيت حتى يأذن الله صاغيا
وهل يسمع الصاغى إلى القبر نأمة ... ولو كان فيه «معبد» القوم ثاويا
نعم أنت لولا ساتر من منية ... وحسبك ستراً بالمنية ساجيا
وإن إمرأ ماتت خوالج نفسه ... لقد جمع الشرين حياً وفانيا
حياة لها حد ولا حد للردى ... فليت المنايا والحياة تواليا
كما تتوالى يقظة العيش والكرى ... وتعقب أنوار الصباح الدياجيا
إذن لتشوقنا الحمام اشتياقنا ... إلى النوم واشتقنا الحياة دواليا

درج الحب : الحب الظامىء للمزيد ما يصل إلى غاية حتى يتطلع إلى ما وراءها ، وهى حالة من أصدق حالات الحب التى لا يلتفت اليها المحبون ، فى حين أنها تكاد لا تتخلف فى كل حب طويل .

أبصرته . فوددت ألزمه ... باللحظ فى حل ومرتحل
وطفقت أرجو أن يحادثنى ! ... فبلغت ما أرجو على مهل

حادثته والنفس شيقة ... للنهل من فمه وللعلل !
ونهم تتبع كل بادرة ... من فيه باللثمات والقبل

قبلته فتجدّدت علل ... غير التى داويت من عللى
الآن أطمع أن أكون له ... ويكون إذ يمسى ويصبح لى !
وأكاد أشفق أن تراعيه ... ـ حرصاً عليه ـ شواردُ المقل !

فى القلب شيطان يقول له ... زِدْ ، كلما أوفى على أمل
بالوشك لا نرضى فواعجبى ... كيف ارتضينا أمس بالبلل ؟

البوم الموعود : وليس هو يوم لقاء عادى ، ولكنه يوم سيجمل له من جنته التى يخطر فيها كالغريب مِلكا ذلولا ، يلتذ فيها التذاذ المالك الحر المنطلق من قيود الوله والضرورة والخلسة إلى آفاق النعمة المطلقة الراوية القريرة . وهى قطعة من ثمرات النضوج الفنى والنفسى ، ومن قطوف الحس الرفيه المترف الذى يفرق بين أدق ألوان الشعور

وفى أولها تعبير مبتكر طريف عن اللهفة إلى الموعد المرتقب حين يقول :

يا يوم موعدها البعيد ألا ترى ... شوقى إليك ؟ وما أشاق لمغنم
شوقى إليك يكاد يجذب لى غدا ... من وكره ويكاد يطفر من دمى
أسرع بأجنحة السماء جميعها ... إن لم يطعك جناح هذى الأنجم
ودع الشموس تسير فى داراتها ... وتخطها قبل الأوان المبرم
ما ضر دهرك إن تقدم واحد ... يا يوم من جيش لديه عرمرم ؟

ثم يأخذ فى بيان مهمة هذا « اليوم الموعود » وتفرده فى الأيام ، وما عقد بمفرقه من تحول فى هذا الحب إلى الطلاقة والاستقرار :

لى جنة يا يوم أجمع فى يدي ... ما شئت من زهر بها متبسم
وأذوق من ثمراتها ما أشتهى ... لا تحتمى منى ولا أنا أحتمى
وتطوف من حولى نوافر عصمها ... ليست بمحجمة ولست بمحجم

وتلذ لى منهـا الوهاد لذاذتى   بتصعد في نجــدها وتسنم
لم آسَ بين كرومها وظلالهـا   إلا على ثمر هنـاك محرم
فكأنما هي جنـــة فى طيها   ركن تسلل من صميمِ جهنم
أبدا يذكرنى النعيمُ بقربها   حرمانَ منبوذ وعسرةَ معدم
وأبيت فى الفردوس أنعم بالمنى   وكأننى من حسرة لم أنعم
يا يوم موعدها ستبلغنى المنى   وتُتم لى الفردوس أى مُتَمَّم
لا غصن رابية تقصر راحتى   عنـه ، ولا ثمر يعز على فمى
سأظل أخطر كالغريب بجنتى   حتى أئوب على قدومك فاقدم
فأبيت ثم إذا احتوانى أفقها   لم أنهَ عن أمل ولم أتنـدم
فرحى يصبحك حين تشرق شمسـه
فرح الضيـاء سرى لطرف مظـلم

ثم يختم القصيدة بخاطرة هي إحدى « خصوصيات » العقاد فى فلسفة الحرية والضرورة ممزوجة بعاطفة الحب ، فيرى الوله نوعاً من نداء الضرورة لا يليق بالخلد الذى تشبع فيه الرغبات ، وتقر القلوب وتحس بالحرية والانطلاق من الضرورات :

أمميرتى خلد السماء سماحة   صونيه عن ولهٍ صيانة مكرم
رفقا بخلدك أن تشوبى صفوه   إن لم ترىْ رفقا بمهجة مغرم

الليلة الفطيم : المتعة الخاصة التى لا يغنى عنها سواها ، لأن لها أما لا يغنى عنها سواها ، ولو كن جميلات شهيات ، فاذا اجتمعن ولم تحضر هذه « الأم » فالليلة الفطيم لا ترضع ثديا آخر ولا تجد متعة أخرى !

ياله من طريف !

بكت الليـلة الفطيم شجاها   ما بكاء الفطيم بين الثدىّ
الثدى الحسان تبغي رضاها   ما لثغر الفطيم غير رضىّ ؟
لو أرادت لـكان عند مناها   كل صدر ، وكل نهد شهى
أمها ! أمها ! وليس سواها   ذات صـدر على الشفاه ندي

ثم يخاطب ليلته هذه خطاب الأب الواثق ، يداعب طفلته واليقين يملأ نفسه ، والرضا يطلق البشاشة والدعابة فى وجهه ولسانه :

ليلتى . ليلتى . الحزينة صبرا   ليس هـذا الفطام بالأبدىّ
سوف تروين من أميمِك ثغرا   فارضى الآن من دموع الشجى
واذرفى هـذه المدامع غزرا   هل يضير البكاء عين الصبي ؟
من أذاب الرضا وعينيه سهرا   فى ارتقاب النعيم ، غيرُ شقى

يوم : يوم أوله لقاء ومتاع ، وآخره فرقة ووحشة . وهو يوم يمر على كل حبيبين ، وهى وحشة تلمس كل قلب فى هـذا الموقف ، ولكن العقاد وحـده هو الذى يعبر هذا التعبير ، وهو الذى يستقصى كل شوارد الاحساس ، ويتتبع كل مطارح الشعور ويفصل كل هواجس الضمير

ذهب الليـل ودار الملوان   وشدا قبل الصباح الكروانْ
ومشى الصبح على مهل كمن   يطرق الدار على غير أمان
وتلمست هنـــا تفريدةً   فى فمى تصدح فى هذا الأوان
قبـلة منك هى الفجر وفى   طيها تبـدو ثناياه الحسان
عن شمالى كلمـا ولى الدجى   وسرى فجر وحنت شفتان
وتراءت نظرة ناعســـة   عند أخرى فتلاقت نظرتان
بان ليـلى لا تسلنى كيف بان   أنت تدرى فاغتفر عِىّ البيان
كلمـا يممتُ دارى قلت لى   أجناحان لنـا أم قدمان ؟
فأتيت الدار لا أحسبها   قربت قط ودونى خطوتان
لم أكن أطلبها ويحى ولا   أطلب المهرب منها حيث كان
أين أمضى ؟ أين تحدونى الخطا ؟   ضاقت الدار وضاق المشرقان
راعنى نقص بعينى ويدى   وفمى الصـادى وقلبي واللسان
خلتنى بدلت منهـــا غيرها   ولو استبدلها الخطب لمان [1]
أمرْبع منك يا ليل مضى ؟   أمضى نصف ؟ أما ينشطران
بان ليلى ؟ لا تسلنى كيف بان   حاطك الله من الليل وصان
إى وربى بان . لكن بعد ما   نفدت ساعات عمرى فى ثمان !
لا زمانٌ حيثما لاقيتنى   فاذا فارقتنى كان الزمان
طلع الصبح حزيناً عاطلا   أتراه كان بالقرب يزان ؟
وسرت أنفاســه يا حسرتا   أين أنفاسك يا زين الحسان ؟
نسمات الصبح أورت كبدي   فحجبت الأنف عنها والعيان

ثم ماذا ؟ ثم يرى أن يتسلى بالقراءة ، وأن يستمع إلى أصدقائه وخاصته من دواوين الشعراء . فماذا يكون ؟

وتمشيت إلى كتبي على   مضض منى وللكتب أوان
يا « أبا الطيب » لانهرف . ويا   صاحبى « الرومى » ماهذا الرطان !
شعراء الشرق والغرب أما   تملكون الصمت يوما فى عنان ؟!
أو فهاتوا الشعر لى صرفا بلا   أحرف في الطرس منه أو معان
أفرغوه جمـــلة فى خاطرى   ليس لى بالطرس والدرس يدان
رب شعر شاقنى لما تكد   شفتا قائله تنفرجان !

(١) لو بدله الخطب من عينه ويده وفمه وقلبه ولسانه ، أخرى جديدة لمان هذا الخطب فانما يحس حينئذ بجوارح غير جوارحه التى تنقل اليه الالم !

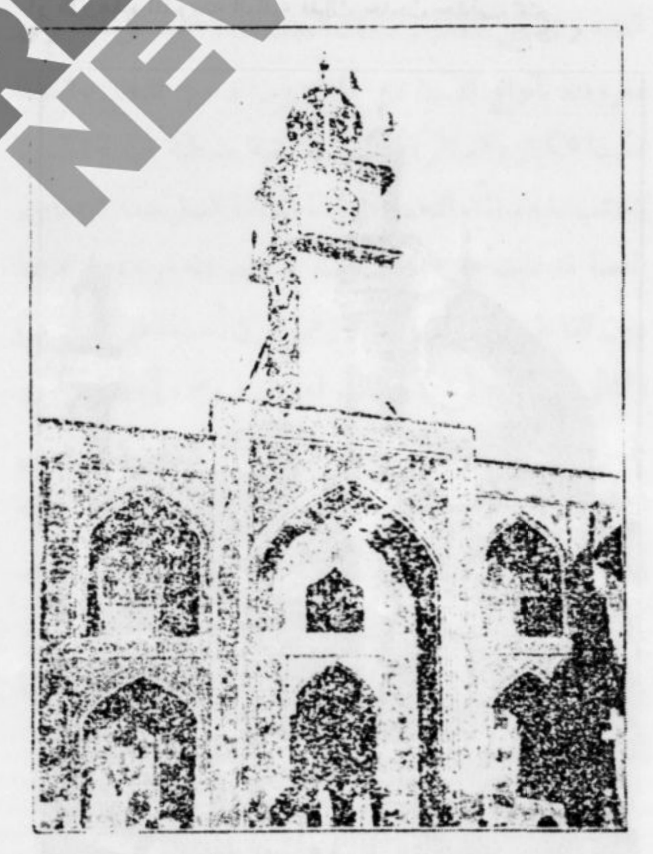
تاريخ الحيــــاة العلمية

فى جامع النجف الأشرف

للأستاذ ضياء الدين الدخيلى

— ١ —

هاهى ذى مجلة الأستاذ الزيات تحمل على أجنحتها رسالة الإخاء الاسلامى العربى! أما ترى كيف أصبحت رابطة التعارف بين أستاذ فى جامع النجف الأشرف وبين أخ له وراء الصحارى والقفار؟ أى وكرامة العروبة والاسلام هو أخ لى تضمنى إليه ربقة الجامعة المقدسة وإن لم تسبق لى معرفة بذاته الكريمة. هلم بى يا قلمى لتلبية الدعوة وإن أثقلتك المشاغل. هذا أخى الأكرم ينادينى من (طنجة) لأبادله المعرفة وأسهب له فى حديثى عن سير المعهد العلمي الذى أنتمى إلى تدريسه... فهيا إلى (الرسالة) مجلة الأدب العالي



الباب الشرقى من جامع النجف الأشرف

أيها الأخ، إن تاريخ الدراسة فى هذا المعهد الجليل يتوغل فى أعماق العصور الاسلامية إلى أمد بعيد. وبما أن نواته هى البناية التى أقيمت على مرقد الامام على بن أبى طالب (ع) فلا بد للراغب فى معرفة حياته العلمية والأدبية فى أدوارها من طفولتها إلى شيخوختها — أن يلم بإلمامة قصيرة بنشأة هذه البنية وتطورها فى مراقى العمران. فقد كان حب الشخصية الاسلامية القوية الدفينة هنا، هو الذي جذب العلماء إلى مجاورة المرقد الطاهر ليشيدوا قواعد هذه المدرسة ويكونوا الحلقات لرفع منار الثقافة الاسلامية من الحديث والفقه وأصوله والفلسفة وما تستلزم من مقدمات تمهيدية وأسس أصبحت بعد حين مبانى مستقلة بنفسها كفنون الأدب والرياضيات من هندسة وحساب وهيئة. لقد استمر التدريس فى بناية القبر العلوى حتى الآن، فقد درست فيها النحو والمنطق والمعانى والبيان وعلم الفقه وأصوله والفلسفة الاسلامية على أساتذة عرب وفرس فى حلقات كبرى وصغرى

هذا شأنه مع الكتب — وهو ملول قلق — فما شأنه مع الأصدقاء الأحياء؟

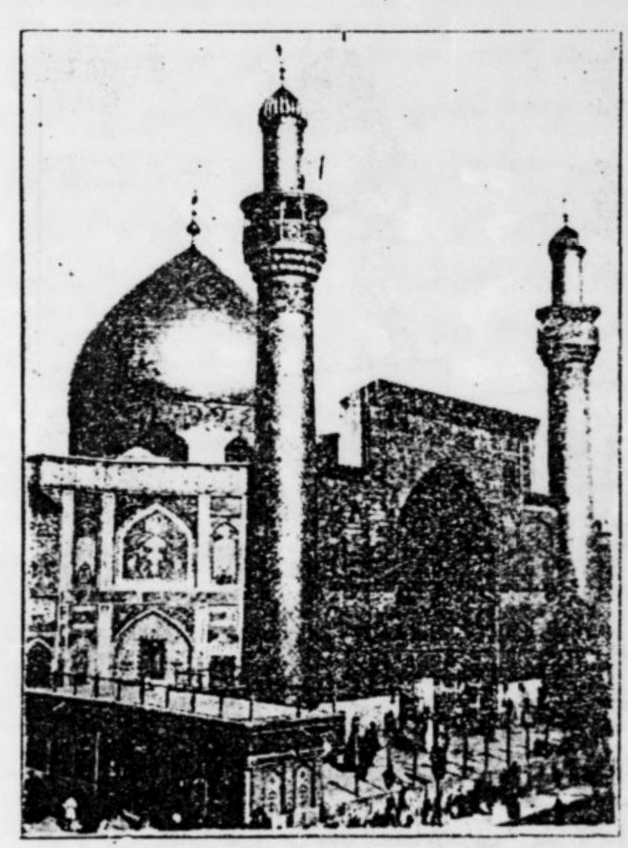
وتجلى الباب لى عن زائر ... من أودائى كأنا أخوان
فتململت ولبى شــــارد ... كيف يكسى الود ثوب الشنآن
قال لى: (الأفق جميل) قلت لا ... بل دميم. قال: زاه. قلت: قان
قال: زيد قلت: حاشا، فانثنى ... نحو عمرو. قلت: كلا بل فلان!
فمضى يعجب منى سائلا: ... أسلام؟ قلت: بل حرب عوان
ذهب اليوم وما أحلكه ... كان من يوم نماه النيران
لم يكن فى صبحه أو ليله ... حظ عين، أو لسان، أو جنان
ذاك يوم يا حبيبى واحد ... وغد منه غنى عن بيان

نعم يا سيدى «غنى» عن بيان، فقد عشنا معك فى هذه القصيدة يوماً مخنوق الأنفاس، مكروب الصدر، ورأينا فيه وحشتك وقلقك وتبرمك، بل أحسسنا نحن بالوحشة والقلق والتبرم، وتمثل لنا يومك لحظة لحظة وساعة ساعة، كالح الوجه كئيب الطلعة، ثقيل الخطوات!

«للمقال بقية»

سيد قطب

ولقد نظمنا فيها الجماعات للتذاكر وحل عوائص تلك الأفانين من الثقافة وقضيت فيها ردحاً من الزمن قبلاً . أما كيف قامت أركان هذه المدرسة العالية فذلك حديث جذاب ممتع



الايوان الذهبي والماذنتان والقبة الذهبية على مرقد الامام على (ع)

هناك أسطورة تقص فى (إرشاد الديلمى وعمدة الطالب) تقول إن القبر كان مخفياً عن عبث أعداء الدعوة العلوية إلى أن أظهره الرشيد وبنى عليه قبة ذات أربعة أبواب من طين أحمر وعلى رأسها جرة خضراء وتحتها الضريح من حجارة بيضاء . وحكى فى فرحة الغرى فى قصة طويلة أنه قبل الرشيد وضع داود بن على المتوفى سنة ١٣٣ هـ صندوقاً دُرس بإهماله خوف سطوة العباسيين الذين تبدلت سياستهم تجاه العلويين حتى بطشوا بهم واضطهدوا شيعتهم وقعدوا لهم كل مرصد . وسبب آخر فى اندراسه هو عامل طبيعى غير هذا الأدبى، فقد ساعد على ضياعه وقوعه فى منخفض الوادى معرضاً لجرى السيول ومهب الرياح

قال فى نزهة القلوب : وعقيب بناء الرشيد بعد سنة ١٨٠ هـ جاوره الناس . ويمكنك أن تعتبر هذه المجاورة بذرة الحياة العلمية الأدبية الحاضرة، فمن مستلزمات مجاورة هذا المعبد الاسلامى الذى كان ولا يزال منتجع الزوار من قاصى الأرض ودانيها — تدبر الشريعة الاسلامية وتداول أحكامها. وقد وجدت إجازات برواية أحاديث قال راووها إنهم تلقوها فى رواق قبر الامام (ع) وكان عهد هذا التاتى للعلم الاسلامى سحيقاً فى القدم . وقرأت فى (فرحة الغرى) أنه فى أيام المعتضد العباسي بنى محمد بن زيد العلوى الداعى الصغير (صاحب طبرستان الذى ملكها عام ٢٧٠ بعد أخيه الحسن ثم قتل عام ٢٨٧ كما فى كامل ابن الأثير وقد تنسب العمارة لأخيه الحسن) — قبة وحائطاً وحصناً فيه سبعون طاقاً . وقد لوح ابن أبى الحديد إلى هذه العمارة إذ قال (زار القبر جعفر الصادق وأبوه محمد ولم يكن إذ ذاك قبراً معروفاً ظاهراً وإنما كان به سرح عضاه حتى جاء محمد بن زيد الداعى صاحب الديلم فأظهر القبة)[١] وقال ابن الأثير (وفى سنة ٢٨٢ هـ وجه محمد بن زيد العلوى سراً من طبرستان إلى محمد بن ورد العطار باثنين وثلاثين ألف دينار ليفرقها على أهل بيته ببغداد والكوفة والمدينة فسعى به إلى المعتضد فأمره أن يكتب إلى صاحبه بطبرستان أن يوجه ما يريد ظاهراً وأن يفرق ما يأتيه ظاهراً وتقدم بمعونته على ذلك[٢]) وهذا يؤيد ما رواه ابن أبى الحديد . وقد طرأ على ما بناه الداعى بناء الرئيس الجليل عمر بن يحيى القائم بالكوفة فقد عمر قبر جده (ع) من خالص ماله ثم قتل عام ٢٥٠ هـ[٣] وحمل رأسه فى قوصرة إلى المستعين العباسى[٤]

وبعد هذا تقوم بناية ضخمة يشيدها رجل السطوة والعمران عضد الدولة البويهى ، فحين تولى السلطة فى العراق شاد عمارة القبر الثالثة (أقام بعسكره فى ذلك الطرف قريباً من السنة وبعث فأتى بالصناع والأساتذة من الأطراف وخرب تلك العمارة وصرف أموالا كثيرة جزيلة وعمر القبر عمارة جليلة حسنة)[٥] وقرأت في عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب . . . إلى أن

(١) شرحه لنهج البلاغة ص ٤٥ ج ٢

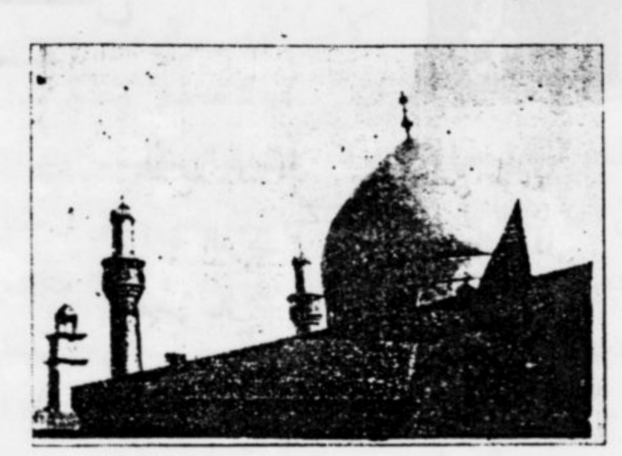
(٢) تاريخ ابن الأثير ج ٧ ص ١٥٦

(٣) ج ٣ من مستدرك الوسائل للمحدث النوري

(٤) ترى من التاريخ أنه توفى قبل ملك الداعى فلابد أن الذين أخذنا منهم خبر إصلاحه عمارة الداعى قد غفلوا عن هذه الناحية

(٥) عن رياض السياحة ونزهة القلوب وإرشاد القلوب للديلمى وعمدة الطالب وفرحة الغرى على اختلاف جزئى فى التاريخ

كان زمن عضد الدولة فناخسرو ابن بويه الديلمي فعمره عمارة عظيمة وأخرج على ذلك أموالاً جزيلة وعين له أوقافا ، ولم تزل عمارته باقية إلى سنة ٧٥٣ وكان قد ستر الحيطان بخشب الساج المنقوش فاحترقت تلك العمارة وجددت عمارة المشهد على ما هي عليه الآن (توفى المؤلف سنة ٨٢٨) وقد بقي من عمارة عضد الدولة قليل)



قبر الامام على (ع)

وقال آخر إن عمارة عضد الدولة من أجل العمارات ومن أحسن ما وصلت إليه يد الانسان فى ذلك الوقت بذل عليها الأموال الطائلة وجلب إليها الرازة والنجارين والعملة من سائر الأقطار . قالوا [1] إن هذه العمارة وإن كان لعضد الدولة يرجع تأسيسها فقد عرضت عليها إصلاحات جمة وتحسينات قيمة من البويهيين ووزرائهم والحدانيين ومن المستنصر العباسى الذي عمر الضريح المقدس وبالغ فيه وزاره مراراً (كما فى فرحة الغري) وكذلك لقد عمر من قبل : بنى جنكزخان وغيرهم حتى وصلت العمارة إلى ما شاهده ابن بطوطة الرحالة الذى وردها بعد أن قضى حجه عام ٧٢٥ هـ وقال فى رحلته : (نزلنا مدينة مشهد على بن أبى طالب (رضه) بالنجف وهى مدينة حسنة نظيفة فى أرض فسيحة صلبة من أحسن مدن العراق وأ كثرها ناساً وأتقنها بناء ... دخلنا باب الحضرة حيث القبر الذى يزعمون أنه قبر على (ع) وبإزائه المدارس والزوايا والخوانق معمورة أحسن عمارة وحيطانها بالقاشانى وهو شبه الزليج عندنا لكن لونه أشرق ونقشه أحسن . ويدخل من باب الحضرة إلى مدرسة عظيمة

(١) كتاب الفاضل الشيخ جعفر محبوبه

يسكنها الطلبة والصوفية من الشيعة؛ ومن تلك المدرسة يدخل إلى باب القبة عليه الحجاب والنقباء والطواشية يأمرون الزائر بتقبيل العتبة وهى من الفضة وكذلك المضادتان ؛ ثم يدخل القبة وهى مفروشة بأنواع البسط من الحرير وبها قناديل الذهب والفضة منها الكبار والصغار ، وفى وسط القبة مسطبة مربعة مكسوة بالخشب عليه صفائح الذهب المنقوشة المحكمة العمل مسمرة بمسامير الفضة قد غلبت على الخشب بحيث لا يظهر منه شيء ، وارتفاعها دون القامة وفوقها ثلاثة قبور يزعمون أن أحدها قبر آدم (ع) والثاني قبر نوح (ع) والثالث قبر على (رض) ، وبين القبور طسوت ذهب وفضة فيها ماء الورد والمسك وأنواع الطيب يغمس الزائر يده فى ذلك ويدهن به وجهه تبركا. وللقبة باب آخر عتبته أيضاً من الفضة وعليه ستور من الحرير الملون يفضى إلى مسجد مفروش بالبسط الحسان مستورة حيطانه وسقفه بستور الحرير وله أربعة أبواب عتباتها فضة وعليها ستور الحرير . وخزانة الروضة عظيمة فيها من الأموال ما لا يضبط لكثرته [1])

(العراق . النجف الأشرف) «يتبع» ضياء الدين الدخيلي

(١) رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١٠٩



رسالة الشعر

في الليل



يا ليلُ طُلْ يا لَيْلْ على أليف الوِسَادْ
الويل كلُّ الويلْ لمن دهاه السهادْ

دقيقــةٌ ساعاتْ وســاعةٌ أيامْ
شَطْرٌ من الليل فاتْ كأنه أعــوامْ !

مُضْنًى طَوَاهُ المساءْ وَلَفَّــهُ في الظَّــلَامْ
فهاجت الأدواءْ في جسمه المتهدمْ

حيرانُ ! ما يستريحْ كزورق في عُبَابْ
يشكو بقلب جريحْ ما ذاقه من عذابْ

ويرسل الأسماعْ تصغي إلى الأفواهْ
فما توافِي الرِّباعْ بمثــله أوّاهْ !

ويبصر الأشجارْ من حوله وَسْنَى
وفوقها الأطيــارْ تقضى الدجى أمْنَا

أكلُّ ما في الوجودْ غفوانُ حتي الجمادْ
إلا المُعَنَّى الشريدْ فقــد جفاه الرقادْ ؟

الفجرُ ! أين سناه يشع في مُقْلَتَيْه
وأين طِيبُ نداه يَرِفُّ عطفاً عليــه

***

يا ليلُ طُلْ يا ليــلْ على صريع الهوَى
سيلٌ من السهدِ سَيْلْ طواه فيمن طوَى

نَزْرًا به العِرْبِيدْ يستعجل الوعــدا
والدهرُ جافٍ عنيدْ يزيده بُعْــــدا

كم عَاثَ بالعقربَيْنْ في الساعةِ الدائره
وما هما واقفَيْن بل عينُهُ القاصره

وكم أراهُ الخيالْ في الموعِدِ المُنْتَظَرْ
دُنْيا من الآمالْ تَسبِي النُّهَى والفِكَرْ

وحان وَقتُ اللقاءْ ولم يُوَافِ الحبيبْ
فلم يزَلْ بالرجاءْ يدعوه ألّا يخيبْ

وَبَثَّ منه العيونْ ترتادُ أقصَى مَدَى
يا مُسْرِفاً في الظنونْ صَفِرَتْ منها يَدَا

وعاد يطوى حشاهْ على لظَى سَوَّارْ
يضجُّ ! وا أسفاه نار ولا كالنــار

والليــلُ عونُ الهمومْ يهيجها بالسكونْ
ما الليــل للمحرومْ إلا مَثَار الجنونْ

نَمْ يا خَلِي الفــؤادْ وانعمْ بطيبِ المنامْ
خَلِّ الجوى والسُّهادْ لِذِي الهوى والسقامْ

« منوف » فريد عين شوكة

شك وأمل

وقنعت منك بنظرة وبلفتة وطفقت أحلم بالنعيم المقبل
أصغى إلى رنات صوتك مثلما يصغى الغدير إلى هزيج البلبل
وشربت من هذا الحديث المشتهى
كأساً ألذ من الرحيق السلسل

كاشفتك الحب الدفين فأشرقت عيناك تفحصنى وتنكر مقولى
وظننتنى ألهو بقولىَ مثلما يلهو الورى فى خسة وتبذل
إنى أمحضك الوداد فصدقى فالشك يطعن مهجتى فى مقتل
لوددت أن يبدو فؤادى حاسراً لترىْ وفائى فى هواك فتعدلي
ستجيئك الأيام بالخبر الذى ينبيك عن قلبي فلا تتعجلى
أو ما قرأت الحب فى عينى وفى نبرات صوتى الواجف المتبابل
وأبنت لى شطراً من الهم الذى يجثو على جنبيك مثل الجندل
فبكى فؤادى حسرة وعجبت من دنيا تغر الناظرين وتبتلى
أفثل هذا الحسن يجرع فى الأسى
ويبيت فى ليل بهيم أليل

أخشى عليك لهيب حب جامح فأصد عنك وفى صدودى مقتلى
ألقاك بالذكرى على رغم الألى بخلوا علينا باللقاء الأول
لأطعت فيك صبابتى مستهتراً لولا حديث المحنقين العذل
لكن بحسبى أن قلبك عالم بنوازعى وخوالجى وتعللى
إنى لأهزأ بالعوالم كلها مادمت أشعر أن قلبك صارلى

«الاسكندرية» عبد الحميد السنوسى

يا أيها الطفل

يا أيها الطفلُ أنتَ أغنيةٌ غنّى بها الدّهرُ فى مجاهيلِ
الشّدْوُ من ناظريْكَ أسمعُهُ يتْبعُ ترتيله بترتيلِ
واللحنُ من لفتتيْكَ منطلقٌ ينسابُ حرًّا بغير تكبيلِ

***

يا أيُّها الطّفلُ، أنت أمنيّةٌ وأنت نبْضٌ فى مُهجة الزّمنْ
كيفَ تراني وكيفَ تسمعُني أجْمع ما فى الحياة فى قرَنِ
وكلُّ لحنٍ مما بعثْتَ به طِفْلٌ يحسّ الوجود جدُّ غنى!

***

يا أيُّها الطفلُ، أنت خاطرةٌ من قبلُ لاحتْ فى خاطرِ الأبدِ!
دعَا بها اللفظُ وهى سانحةٌ فخُوصِرتْ بين ذلك الجسدِ
قد قالكَ الكونُ قيلةً عجباً فى لفظةٍ فرْدةٍ ولم يزدِ!

«دماس» العوضى الوكيل

بيجو

« كلب الأستاذ العقاد الذى رثاه في العدد الماضي بتلك المرثية الفريدة »

(بيجو) من الأرض سلام لكا
قد عزّ عندى الآن أن تهلكا
لو لم تكن مستأهلاً ذلكا
لما بكى (الجبار) من أجلكا
واهتزت الدنيا لهذا الصنيعْ

***

دنيا الوفاء الحق لا الكاذبِ
والود : ذاك العجبِ العاجبِ
أين صديقُ الناس يا صاحبى ؟
إن لم يكن فى سوقها الكاسبِ
أيشترى — خيرله — أم يبيع ؟!

***

خُلدت (يا بيجو) ونعم الخلودْ
وعدت حيًّا أيهذا الفقيد
فى عالم الذكر الذى لا يبيد
تهفو لك الدنيا بذاك النشيد
فيه أمير الشعر باك ضريع

«دمنهور» ابراهيم ابراهيم هلى



مؤتمر المستشرقين فى بروكسل

احتفل رسمياً فى صباح اليوم الخامس من هذا الشهر بافتتاح مؤتمر المستشرقين فى بروكسل وناب عن جلالة ملك البلجيك أحد كبار رجاله، وأعلن وزير المعارف افتتاح المؤتمر بخطاب ألقاه باللغة الفرنسية ثم باللغة الفلمنكية، حيا فيه الأعضاء ورحب بهم؛ ثم تلاه رئيس المؤتمر الأستاذ كافار وهو عالم كبير فى الآثار المصرية وله مؤلفات ومقالات تربى على ٣٠٠، من أحدثها كتابه عن الحضارة المصرية وقد صدر فى سنة ١٩٣٦، فشكر لوزير المعارف وعدد فضائل الأسرة المالكة فى بلجيكا واهتمامها بالعلوم ولا سيما الاكتشافات الأثرية فى مصر

وتكلم الدكتور طه حسين بك عن كتاب « الفصول والغايات لأبى العلاء المعرى » وهو الكتاب الذي صححه وشرحه وضبطه ونشره عن نسخته الوحيدة الأستاذ محمود حسن زناتى

ثم ألقى الأستاذ ماير من جامعة القدس بحثاً عن الدراسات الاسلامية الحديثة فى فلسطين ونوه بجهود الجامعة العبرية فى المخطوطات وفى الحفر عن آثار الأمويين وأشار إلى النقود الاسلامية

وألقى الأستاذ محمد محمود جمعة بحثاً عن العرب فى بلاد فارس فى عهد الفاطميين

وفى المساء أقام حاكم بروكسل حفلة شاى فخمة لأعضاء المؤتمر خطب فيها مرحباً بهم، ورد عليه المسيو كافار

واجتمع المؤتمر فى اليوم الثانى فتكلم الأستاذ سامي جبره عن اكتشافات الجامعة المصرية الحديثة وعرض بعض صورها

وألقى الأستاذ بروجلمان المستشرق المعروف بحثاً عن الشعر العربى من عهد المرحوم محمود سامي البارودي باشا ذكر فيه من شعراء مصر شوقى وحافظ وأبا شادى وخليل مطران

وتكلم الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام عن السلطان الغورى وعلاقته بالعلوم والآداب وعن مخطوط « نفائس المجالس السلطانية »

ودعى المؤتمر في المساء إلى حفلة كبيرة أعدتها لهم الحكومة؛ واحتفلت بهم فى اليوم التالى جامعة لوفان. وفى الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم لبوا دعوة وزير المستعمرات وفى يوم الاربعاء ألقى الأستاذ جب المستشرق الانجليزى محاضرته فى آراء أهل السنة فى الخلافة. وفى يوم الخميس زار الأعضاء المكتبة الملكية وشهدوا حفلة افتتاح معرض الدراسات الشرقية

وسيرسل إلينا صديقنا الدكتور عبد الوهاب عزام خلاصة وافية عن أعمال هذا المؤتمر. وسننشر كذلك عنه فصلاً قيماً للدكتور بشر فارس، فقد شهد المؤتمر عن نفسه وعن الرسالة

حول ديوان الجارم

أخى الأستاذ الزيات

أشرتم فى البريد الأدبى إلى أن مجلة المكشوف أشارت إلى سرعة إخراج ديوان الجارم، فكأنها تريد أن تقول إنه أخرج بسرعة ليضاف إلى الكتب المقررة لطلبة المدارس

فمن الخير أن أصرح بأنى كنت من الداعين لإخراج هذا الديوان وقد قدمت أصوله إلى المطبعة منذ أربعة عشر شهراً، فالشبهة من هذه الناحية متنفية تمام الانتفاء

وكتب اليكم أحد الفضلاء يقول إنى حين شرعت فى نقد ديوان الجارم غام علىّ الأفق فى وزارة المعارف وأخذنى الرعد من كل مكان

ومن حق عليكم أن تعلموا أنى لم أر فى وزارة المعارف شيئاً من بوادر الغيم والرعد، ولن أهيب كلمة الحق ولو أنذرتنى السماء بالصواعق

والجارم لا يملك شيئاً من مصير ديوانه، وسأمضي فى نقده بعد الفراغ من طبع كتاب التصوف الاسلامى

والعناية بنقد ديوان الجارم هي مظهر مودة لذلك الصديق. ولو كنت أضمر العتب عليه لسكت عنه. ولعله يعرف أن الثناء الذي يكال لديوانه في بعض الجرائد بلا حساب قد يكون باباً لسقوط ذلك الديوان

لقد انعدم النقد الأدبي أو كاد

فلنتوكل على الله ونواجه ذلك الصديق بكلمة الحق، وإن كنت أومن بصواب الحكمة التي تقول: « إن قول الحق لم يدع لي صديقاً »

إن الجارم هو الصديق الذي بقي على الأيام، فلنضفه باسم النقد إلى قائمة من أضعناهم من الأصدقاء. والقلم يجني على صاحبه في أكثر الأحيان، وقد جنى علي ما شاء له العنف والاسراف

زكي مبارك

المؤتمر الدولي الثامن للعلوم التاريخية

أقيمت الحفلة الختامية للمؤتمر الدولي الثامن للعلوم التاريخية الذي عقد في زوريخ، وقد وقع الاختيار على الدكتور ليلاند الأميركي ليتولى رياسة الاجتماع القادم الذي سيعقده المؤتمر في مدينة براغ في مايو سنة ١٩٣٩. وقد أجلت المناقشة في الدعوة التي أرسلتها الحكومة الايطالية لعقد المؤتمر في روما عام ١٩٤٢

وكانت أهم ما امتازت به أعمال المؤتمر الحالي امتداد نشاطه إلى الهند والشرق الأقصى. وبدلا من أن ينظم المؤتمر الدراسة التاريخية بموضوعات مختلفة، حاول في هذه المرة توسيع نطاق النظام الاقليمي للابحاث التاريخية، وألف ثلاث لجان لدرس أحوال البلطيق والشرق الأدنى والشرق الأقصى. وستتناول لجنة الشرق الأدنى بلاد البلقان وتركيا واليونان ومصر وفلسطين وسورية؛ وسيكون أهم دراستها الوقوف على مدى نفوذ الفكرة الاسلامية وتأثيرها في هذه البلدان. وسيكون غرض اللجنة التحقق من حالة المعارف الحالية وزيادة عوامل الاتصال بين المؤرخين وجمع المعلومات الجديدة.

الى الأستاذ محمد سعيد العريان

سيدي الأستاذ الجليل صاحب الرسالة:

أقرأ بامعان الفصول الممتعة البليغة التي توالون نشرها في « الرسالة » الغراء عن حياة المرحوم الرافعي. وأشهد أن الأستاذ محمد سعيد العريان — صديق الفقيد وكاتب وحيه — قد أنفق جهداً قوياً في أن يجنب القراء مشاركته فيما يحتمل من عناء وباقى من مشقة ويذوق من مرارة الصبر والمصابرة ليظهر لهم تاريخ حياة الرافعي كما هو من دون أن يعدل عن الأمانة التاريخية والتحقيق اللذين يفرضهما البحث الحديث فرضاً على الأدباء والمفكرين...

وأشهد أيضاً؛ لقد وفق الأستاذ سعيد في ترجمة حياة الرافعي ترجمة يغلب عليها الأسلوب التحليلي الفني أكثر من الأسلوب العلمي الجاف، على ما في الثاني من قوة وسمو. فأنت ترى كيف يعرض علينا حياة الرافعي والمناسبات التي ألجأته إلى كتابة فصوله الممتعة القوية فتحس أنك أبعد شيء عن جفاء التاريخ وجفوته، وأدنى شيء إلى جمال الفن وعذوبته...

لن تكون حياة الرافعي وفصوله الممتعة منذ اليوم، كما كانت من قبل، غامضة مضطربة يتحدث عنها الأدباء بالتقريب لا بالتحقيق، ويقولون فيها بالظن لا باليقين

بلى.! ولسوف يجدون الرافعي عاش مخلصاً للفن يدع أهله وذويه وما هم فيه من هم وبلوى — على فقد زوجة ابنه — ليسجل على القرطاس خلجات فؤاده وشكايات ضلوعه وليخرج لقراء العربية قطعته الخالدة: « عروس تزف إلى قبرها »...

ثم ماذا؟..

ثم نود أن نسأل أخانا العريان عن سر هذا التناقض الذي وقع في السبب الذي من أجله كتب الرافعي مقالاته: الانتحار. فالأستاذ العريان يحدثنا عن السبب بقوله: « فلما بلغ الرافعي نبأ شروعه (شروع الأستاذ م وهو ابن لشيخ كبير من شيوخ الأزهر) بالانتحار جزع وتطير وضاقت نفسه وناله من الهم مالم ينله لحادثة مما لقي في دنياه فمن أجل هذه الحادثة أنشأ مقالات الانتحار »...

ولكن الرافعي يزعم غير هذا الزعم فيقول[1] « عندما انتهيت إلى هذا الموضع من تصنيف هذه الكلمات ألقي إلى كتاب وردمن مدينة « حمص » يذكر فيه صاحبه ضيقاً وشدة ويسأل: (ما هو

(١) راجع العدد « ٩٥ » من الرسالة في (الاستطراد) المنشور في ذيل « كلمة وكليمة »

علاج الملل النفساني واليأس الدنيوى إن لم يكن الموت إن لم يكن الانتحار؟) ثم يرجو أن يتولاه أول عدد ينتهي إليه من «الرسالة» كيلا يبغى على نفسه : وها أنذا أعجل له كلمات تأتى على أثرها إن شاء الله فى العدد التالى مقالة الإنتحار » فما هذا التناقض بين الروايتين ؟ .. أرجو أن يجلوه لنا الأستاذ سعيد وله الشكر ...

« حمص » عبد القادر جنيدى

الحفلة التذكارية السنوية لجبران

كان عدد المكشوف الأخير خاصاً بوصف الحفلة التذكارية السنوية لجبران ونشر ما قيل فيها من الخطب . ولعل قراءنا لا يعلمون شيئاً من تاريخ هذه الحفلة ، فنحن ننقل لهم طرفاً مما كتبت المكشوف :

عند ما توفى جبران خليل جبران منذ سبعة أعوام خلف ثروة قيل إنها تبلغ خمسين ألف دولار ، أوصى بها لشقيقته مريانا التى رافقت جثمانه إلى لبنان ، ثم عادت إلى بوسطن ، حيث تقيم الآن

وفتحت وصية جبران فإذا هو يطلق يد مارى هاسكل فى مخلفاته الأدبية ولوحاته الزيتية على أن تختار ما تشاء منها فترسله إلى بشرى . أما ربع مؤلفاته الانكليزية فقد أوصى بانفاقه على المنافع العامة فى وطنه الصغير

وبلغ مجموع ما أرسل إلى بشرى منذ سبع سنوات إلى اليوم ٢٥ ألف ليرة لبنانية سورية ، ويتراوح الدخل السنوى من المؤلفات بين ٦ و٧ آلاف دولار

وترك جبران مخطوطة كتاب بالانكليزية عنوانه « حديقة النبى » . ولكن شقيقته مريانا رفضت ضم دخل هذا الكتاب إلى دخل رفاته بحجة أن الوصية تشمل الكتب المطبوعة لا المخطوطات . وكانت بينها وبين لجنة جبران الوطنية فى بشرى منازعة حول هذا الحق نظرت فيها المحاكم الأميركية فحكمت لها ، لأن لجنة جبران لم تتمكن من إقامة وكيل عنها إلا بعد مرور الزمن بعد صدور الحكم لمصلحة مريانا

أما مارى هاسكل فقد نفذت القسم المتعلق بها من الوصية وتتولى الآن تنفيذ القسم المتعلق بالانفاق على المنافع العامة فى بشرى لجنة مؤلفة من ١٦ عضواً يمثلون جميع الأسر البشراوية ويرأس هذه اللجنة الأستاذ سليم رحمه . ويتجدد أعضاؤها كل سنتين ، وهى التى تحيى كل سنة حفلة تذكارية لليوم الذى وصل فيه جثمان جبران إلى لبنان . فيقام قداس فى دير مار سركيس الذى يضم بين جدرانه رفات جبران ، ثم تقام حفلة خطابية يتكلم فيها أدباء بدعوة من اللجنة

وكان يوم ٢١ أغسطس الماضى موعد الحفلة التذكارية، فانتدب غبطة البطريرك المارونى سيادة المطران الحاج لإقامة الذبيحة الالهية فى الصباح . وبعد الظهر غصت باحة فندق لبنان الكبير بالمدعوين إلى الحفلة الأدبية التى ترأسها سعادة فؤاد بك البريدى محافظ الشمال وحضرها جمهور غفير من الأعيان والمصطافين. وقد تعاقب الكلام عن جبران وأدبه الأساتذة مارون عبود وعمر فاخورى وخليل تقى الدين وحليم كنعان

وقد قال الأستاذ سليم رحمة فى خطابه الذى تحدث فيه عن الأعمال التى قامت بها اللجنة :

« أما العمل الذى تعتبره اللجنة فى مقدمة واجباتها فهو إنشاء جائزة سنوية قدرها مئتا ليرة لبنانية سورية تشجيعاً للتآليف القيمة وسعياً لتحقيق أمنية فى نفس جبران عند ما كان لا يزال فى قيد الحياة . ويسر اللجنة أن تساهم بهذه الجائزة فى الحركة الأدبية ، على أن تمنح الجائزة الأولى لأفضل كتاب يدرس جبران درساً واسعاً عميقاً شاملا . وقد سمت اللجنة فى تأليف مجمع أدبى من كبار أدباء لبنان قوامه تسعة أعضاء : سبعة من حملة الأقلام المعروفين واثنان من بشرى »

ومن أنفس ما نشر فى هذا العدد فقرات من رسائل تبودلت بين جبران ومى وُجدت بين مخلفاته ؛ وهى تكشف عن ناحية مجهولة فى حياة الصديقين العبقريين نختار منها قطعة من رسالة لمى تاريخها ١٥ يناير سنة ١٩٢٤

« ... ما معنى هذا الذى أكتبه؟ إنى لا أعرف ماذا أعنى به. ولكنى أعرف أنك محبوبي وأنى أخاف الحب . إنى أنتظر من الحب كثيراً فأخاف ألا يأتيني بكل ما أنتظر . أقول هذا مع علمى بأن القليل من الحب كثير . ولكن القليل فى الحب لا يرضيني . والجفاف والقحط واللاشيء خير من النزر اليسير .

كيف أجسر على الافضاء إليك بهذا وكيف أفرط فيه ، لا أدرى . الحمد لله إنى أكتبه على الورق ولا أتلفظ به، لأنك لو كنت الآن حاضراً بالجسد لهربت خجلا بعد هذا الكلام ، ولاختفيت زمناً طويلا فما أدعك ترانى إلا بعد أن تنسى . حتى الكتابة ألوم نفسى عليها أحياناً لأنى بها حرة كل هذه الحرية .



الفلسفة الشرقية

تأليف الدكتور محمد غلاب

للاديب السيد احمد صقر

الدكتور محمد غلاب فى طليعة رجالنا الممتازين الذين جمعوا بين الثقافة العربية، والثقافة الغربية؛ وتذوقوا ماجمعوا، وهضموا ما تذوقوا، وأنتجوا مما هضموا نتاجا شهياً يمتاز بالعمق، وجدة العرض، وغزارة المادة، ورشاقة الأسلوب. ويمتاز الدكتور غلاب من بين هؤلاء الأفذاذ بميله الشديد للفلسفة، ولعل لوظيفته فى ذلك أكبر الأثر. فهو أستاذ الفلسفة فى كلية أصول الدين إحدى كليات الأزهر. ولقد كان الأزهر إلى عهد غير بعيد يحرم الفلسفة ويقذف المشتغلين بها بالزندقة والمروق، أما اليوم فقد صارت الفلسفة بأنواعها تدرس فيه، ووجد من رجاله من يؤلف فيها كتباً قيمة كهذا الكتاب الذى ألفه الدكتور ليسد ثغرة كانت مفتوحة فى الحياة العقلية المصرية؛ إذ أن ثقافتنا قد بلغت فى العلوم الطبيعية شأواً يسمح لنا بالوقوف فى صفوف الأمم الراقية، ولكنها فى العلوم العقلية ليست شيئاً مذكوراً « فلا تزال مصر مقفرة فى الفلسفة إقفاراً يندى له جبين الانسانية خجلا، ولا تزال معارفنا الفلسفية بالقياس إلى أوربا تمد جسما بلا روح، أو كائناً أعجم إلى جانب إنسان [1] » لذلك اعتزم الدكتور القيام بهذه المحاولة الخطيرة مسترشداً بنور الحق والواجب ففكر وقدر ثم نظر فألفى الشرق — وهو منبع الحكمة، ومصدر العرفان — مغموط الحق، مطمور المجد، مجحود العظمة، فى هذه الناحية، فأراد أن يُصْحر من مجده، ويظاهر من حقه، ويجلو من عظمته بكتاب الفلسفة الشرقية والفلسفة الشرقية ليست كما يصورها (بارتلمى سانت هلير) عديمة النفع « لا تفيدنا دراستها إلا من جهة إرضاء النزعة فى

(١) مقدمة الفلسفة الشرقية ص ٧

أتذكر قول القدماء من الشرقيين: إنه خير للبنت ألا تقرأ ولا تكتب؟ إن القديس توما يظهر هنا. وليس ما أبدى هنا أثر الوراثة فحسب، بل هو شيء أبعد من الوراثة. ما هو؟

قل لى أنت ما هو هذا؟ وقل لى ما إذا كنت على ضلال أو على هدى، فانى أثق بك وأصدق بالبداهة كل ما تقول. وسواء أكنت مخطئة أم غير مخطئة فان قلبى يسير اليك، وخير ما فى يظل حائماً حواليك، يحرسك ويحنو عليك.

غابت الشمس وراء الأفق. ومن خلال السحب العجيبة والأشكال والألوان حصحصت نجمة لامعة، نجمة واحدة، هى الزهرة إلاهة الحب. أترى يسكنها كأرضنا بشر يحبون ويتشوقون؟ ربما وُجد فيها من هى مثلى، لها جبران واحد حلو بعيد بعيد، هو القريب القريب، تكتب اليه الآن والشفق يملأ الفضاء، وتعلم ان الظلام يخلف الشفق، وأن النور يتبع الظلام، وأن الليل سيخلف النهار، والنهار سيتبع الليل مرات كثيرة قبل أن ترى الذى تحبه، فتتسرب اليها كل وحشة الشفق، وكل وحشة الليل، فتلقى بالقلم جانباً لتحتمى من الوحشة فى اسم واحد: جبران.

مصر، ١٥ يناير سنة ١٩٢٤

وحى بغداد

صديقنا الدكتور زكى مبارك من الشعراء المقلين القلال. وقد يفيض عليه الالهام فى بعض أحواله فيطول نفَسه ويتسع مداه. وقد نظم فى هذه الأيام قصيدة عصماء بلغت أبياتها ١١١ بيت عنوانها (من جحيم الظلم فى القاهرة، إلى سعير الوجد فى بغداد). وقد تفضل فخص بها الرسالة، وسننشرها فى العدد المقبل

الاطلاع دون أن يتصل بنا أمرها كثيراً، فليس علينا أن نصعد إليها لنعرف من نحن ومن أين جئنا[1] » بل هي جنة المنافع، حرية بالبحث والتحليل. والواجب على من أراد دراسة الفلسفة أن يبدأ بها ليكون على بينة من العناصر الأساسية التي تكون منها الجسم المراد درسه من جهة، ولكي يصل أوائل حلقات السلسلة العقلية بأواخرها من جهة ثانية[2] »

يقع هذا الكتاب في ٥٥٠ صفحة من القطع الكبير، وهو مصدر بمقدمة اشتملت على مناهج البحث في العصر الحديث وعلى ما يجب أن يسلكه الفيلسوف في استعراض المذاهب الفلسفية، وما يجب أن يكون عليه من الصفات، وما يجب أن يلاحظ من ترتيب الحوادث بعضها على بعض تبعا لقانون المنطق القويم حتى تكون نتائجه سليمة قوية، واشتملت فوق ذلك على بحث مشكلتين عويصتين طال فيهما لجاج العلماء. وهما: أصل الفلسفة وهل هي إغريقية مبتدعة أم شرقية متبعة؛ وتسلسل الثقافات بعضها من بعض. أما الكتاب نفسه فقد عرض في تفصيل وتحليل دقيقين للفلسفات المصرية، والهندية، والفارسية، والصينية، والكلدانية والعبرانية، فدرس في مصر الحياة العقلية منذ نشأتها، وتعقب التفكير وتطوره في عصر ما قبل التاريخ، ثم في عصور: منفيس، ومدينة الشمس، وطيبة، فأبان بإسهاب التطورات التي تعاقبت على آراء المصريين في الألوهية، والنفس والآخرة، والسؤال والميزان، والعقاب والثواب، والأخلاق والآداب، والفنون والعلوم. ولعل من الطريف أن نذكر هنا أن الدكتور قال: عرف المصريون الضمير منذ أقدم عصورهم، ووصفوه وصفا فلسفيا فقال فيه قائلهم: إن قلب الانسان هو إلهه الخاص، وإن قلبي قد رضي عن كل ما عملته وكل من رضي قلبه عن عمله التحق بمرتبة الآلهة »[3]

ثم انتقل الدكتور إلى الهند فتناول فيها أربعة عشر مذهبا بين ديني وفلسفي بتحليل ونقد لو أننا حاولنا تعقبهما لطال بنا الكلام ولكنا نكتفي بالاشارة إلى مدارسة « ساسكيهيا » التي وجد فيها المنطق قبل أن يوجد أرسطو بأمد بعيد، ولم يذر الحديث عن الهند حتى قرر « أن الفلسفة بجميع أقسامها قد أزهرت فيها إزهارا فائقا، وأن اليونان مدينة لتلك البلاد بكثير من نظرياتها التي يعتقد السطحيون أنها مبتدعة » وحسبك أن تعلم أنهم « وصلوا إلى نظرية الذر أو الجوهر الفرد قبل « ديموقريت » و « لوسيب » وأنهم أساتذة « فيثاغورث » أكبر رياضي اليونان على الأطلاق »[1]

وبعد أن فرغ من الهند انتقل إلى الكلام عن الفرس، فدرس الديانات القديمة ومذاهب « زرادشت » و « ماني » و « مزدك » دراسة وافية ممتعة. ثم عرج على الصين فتناول عصر ما قبل التاريخ. ثم العصر المنهجي، حيث درس في عمق مذاهب: «لاهو — تسيه» و « كونفيشيوس» و «مانسيوس» والمدرسة السوفسطائية والمنطق في الفلسفة الصينية إلى غير ذلك من المباحث القيمة. ثم عرض بما يشبه ذلك إلى الفلسفتين: الكلدانية والعبرية، وبالأخيرة ينتهي الكتاب

ولا إخالني بحاجة إلى أن أقول إن الدكتور أجاد العرض وأحسن القول فقرب الفلسفة إلى الناس، بعد طول نفور وشماس، فذلك معروف له من الفصول التي نشرتها الرسالة من الكتاب قبل ظهوره. بيد أني بحاجة إلى أن أقول كلمة صغيرة لا أجد مناصاً من قولها الخاص) كما يسميه ذلك القديم:

ذهب الدكتور إلى أنه هو الذي أثبت بالأدلة القاطعة « سذاجة أرسطو وأذنابه في دعواهم أن الفلسفة نشأت للمرة الأولى في « إيونيا » في القرن السادس قبل المسيح، وأن أول فيلسوف في الدنيا هو (تاليس الملطي[2]) والحق أن هذا الاثبات قديم الميلاد، وليس أدل على ذلك مما قاله الدكتور عن « ديوجين لا إرس » أنه أثبت في كتابه (حياة الفلاسفة): أن الشرق قد سبق الغرب في النظر العقلي وأنه كان أستاذه وملهمه[3] » وقد عاش هذا المؤرخ الأغريقي في القرن الثالث قبل المسيح.

وبعد فهذه كلمة عابرة أردنا بها التعريف بهذا الكتاب العظيم الذي سيكون — إن شاء الله — عظيم الأثر في حياتنا العقلية عامة، وفي نهضتنا الفلسفية خاصة.

السيد احمد صقر

(١) مقدمة الكون والفساد لأرسطو ترجمة الأستاذ احمد لطفي السيد باشا
(٢) الفلسفة الشرقية ص ١٧
(٣) المصدر السابق ص ٧٨

(١) المصدر نفسه ص١٧٨ وما بعدها
(٢) ص ٣٤٤ (٣) ص ١٤



وســـــائل الانعاش للمسرح المصري

يبدي كثير من كتاب المسرح الأسف من حالة الضعف والذبول التي وصل اليها في السنوات الأخيرة ، ونلاحظ أنهم يسرفون في إبداء ذلك الأسف ويبالغون في تصوير الدرك الذي تسفل اليه المسرح ، ويكتفون بعد ذلك بالوقوف على هيكله المحتضر وقراءة الفاتحة من أجله !

وقد جرت للكاتب محادثات طويلة مع أقطاب المسرح وعمده في مصر واتفق رأينا جميعاً على أن إنعاش المسرح المصري ينبغي له إجراء تجديد شامل في الطرق والوسائل التي يظن أنها مؤدية إلى ما نريد له من سمو وازدهار .

وخلاصة الرأي عندنا جميعاً أن هناك ناحيتين كبيرتين هما اللتان يجدر بنا أن نركز فيهما جهودنا وهما الجمهور والعرض .

وإذا نحن نظرنا ملياً في الأسباب التي من أجلها عاش المسرح في فرنسا وانجلترا واستطاع أن يقف في وجه التيار السينمائي الجارف محتفظاً بجمهوره وتقاليده ، نجد أن من أهم تلك الأسباب وجود جمهور كبير — في فرنسا وانجلترا على السواء — مسرحي الثقافة والميل ، لا يستبدل بالمسرح سينما أو استعراضاً راقصاً ولا يستغني عن مشاهد المسرحيات الحديثة ، على فداحة أسعار الدخول وتخصص المسارح المختلفة في نوع واحد من المسرحيات . وخلق جمهور مثل هذا ليس من الأمور اليسيرة ولكنه ليس متعذراً ولا مستحيلا ، لا سيما بعد ما أخذت وزارة المعارف بنظام تعميم فرق الهواة بمدارسها على اختلاف درجاتها ، وبعدما أسست الوزارة فرقة كبيرة حبتها بأسباب البقاء والاستقرار وخصصت لها نيفاً وعشرة آلاف جنيه

ولكن قيمة (البضاعة) هي أهم العوامل في جذب العميل بلامراء . وكلما زاد احتواؤها على الميزات والخصائص التي يرغبها ويريدها ، إزداد إقباله عليها وتشجيعه لها . وأنجح الفرق لدينا هي التي تميزت إدارتها بفهم مزاج الجمهور وميوله . ومع ذلك فهناك بدهيات عامة يتفق عليها الجميع ، ويقر بها الجميع ، وفي مراعاتها إنهاض حقيقي المسرح .

وخلاصة هذه البدهيات أن المتفرج الذي يذهب لمشاهدة إحدى المسرحيات ، يقوم في خياله أنه سوف يشاهد قصة قوية الموضوع ، واضحة الفكرة ، باهرة الاخراج ، رائعة التمثيل ، تعينه على قضاء سهرة مفيدة ولذيذة في نفس الوقت .

وروعة التمثيل مصدرها محاكاة الطبيعة والواقع والبعد عن التكلف . ومع أشد الأسف نعترف بأنه قل بين ممثلينا ومخرجينا من يجهل هذه البديهية، ولكن قل منهم في نفس الوقت من عرف كيف يتخلص من ذلك التقليد المسرحي القديم ، وهو التهويل في كل شيء ! أما القصة فقد تحدثنا عنها في الأعداد الماضية بما يثبت أن القصة المصرية الصحيحة ، القوية الموضوع الواضحة الفكرة لم توجد بعد والنادر لا حكم له

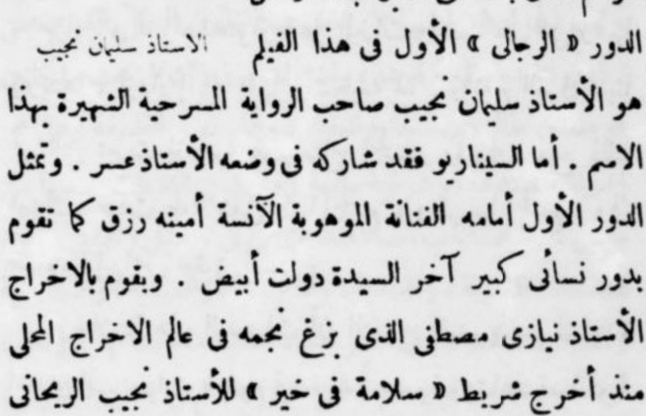
والحركة الحركة ! فان السينما لم تكتسح المسرح إلا لأنها نشاط وحركة دائمة مستمرة؛ أما المسرح فتهويل وتكاسل ونوم عميق

فليكن أول همنا خلق « الجمهور المسرحي » وليكن اعتمادنا في خلقه على الرغبات العملية التي نقدمها له . ولا فائدة من أية محاولة تقوم على غير هذا الأساس الواضح لكل ذي عينين

« الناقد القديم »

أخبار سينمائية ومسرحية

الانتهاء من فلم الدكتور



الأستاذ سليمان نجيب

يتقدم العمل فى إخراج فلم الدكتور بسرعة فائقة والمنتظر أن ينتهي فى آخر هذا الشهر . وهو ثالث الأفلام المصرية التى يقدمها لنا « أستوديو مصر » فى الموسم الذى بات على الأبواب . ويمثل الدور « الرجالى » الأول فى هذا الفيلم هو الأستاذ سليمان نجيب صاحب الرواية المسرحية الشهيرة بهذا الاسم . أما السيناريو فقد شارك فى وضعه الأستاذ عسر . وتمثل الدور الأول أمامه الفنانة الموهوبة الآنسة أمينه رزق كما تقوم بدور نسائى كبير آخر السيدة دولت أبيض . ويقوم بالاخراج الأستاذ نيازى مصطفى الذى بزغ نجمه فى عالم الاخراج المحلى منذ أخرج شريط « سلامة فى خير » للأستاذ نجيب الريحانى

فلم عزيزة أمير

السيدة عزيزه أمير

ويسرنا أن نعلن على صفحات « الرسالة » عودة مؤسسة فن السينما فى مصر إلى إخراج افلام لحسابها فقد شرعت السيدة عزيزة أمير فى عمل سيناريو الرواية التى ألفها لها الزميل حسين فوزى . والمنتظر أن تبدأ العمل قبل نهاية شهر ديسمبر ، أما اسم الرواية فلم يستقر عليه الرأى بعد

سيمون سيمون

النجمة الفرنسية سيمون سيمون

فى أوائل هذا الشهر انتهى العقد بين سيمون سيمون النجمة الفرنسية الأصل المعروفة ، وبين شركة فوكس القرن العشرين وعاملها (داريل زانوك) ومما يؤسف له أن (داريل) رفض تجديد ذلك العقد الذى بمقتضاه ظلت (سيمون) طوال العامين الماضيين تتقاضى أجراً قدره ٢٠٠ جنيه عن كل أسبوع دون أن تمثل ما يساوى ربع هذه القيمة ، إذ أن الشركة لم تستفد منها كما يجب إلا فى روايتى « حب وإشارات) و «وأجوزيت» وقد نشرت إحدى المجلات الأمريكية أن سيمون سوف تشتغل بصالات الرقص الفنائى فى برودواي

فرانك كابرا

تعرض شركة كولمبيا لفرانك كابرا رواية كبرى هذا العام باسم (أنت لا يمكنك أن تأخذها معك) ويشترك معه فى تمثيلها من المشاهير (جين أرثر) و (البونيل باريمور) وهي مسرحية فكاهية نجحت للغاية فى برودواى ولها كسائر روايات فى هذا النجم مغزى سام



منظر من فيلم كابرا الجديد

وترى فيه (آن ميللر) زوجته فى الرواية وهي تاخذ درساً فى الرقص على (ميسكا اودير) بينما راح زوجها(دوب تايلور) يعزف على الساكسوفون)

والت ديزنى

جددت شركة (راديو) العقد مع (والت ديزنى) الرسام العالمى الشهير . وبمقتضى العقد الجديد فى تمهد والت بتقديم فيلم طويل واحد وثمانية عشر فلماً قصيراً للشركة فى العام القادم والسبب فى قصر الأفلام الطويلة على فيلم واحد هو فيلمه الطويل السابق (سيند ريللا والأقزام السابعة) لم ينجح بدرجة فيه من الوجهة المالية ، كما كانت به عيوب كثيرة من الوجهة الفنية .



6 me Année, No. 272

Lundi - 19 - 9 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

السنة السادسة — « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٤ رجب سنة ١٣٥٧ — ١٩ سبتمبر سنة ١٩٣٨ » — العـــدد ٢٧٢

الفهـــرس

تذييل للحاشيــــة

للأستاذ عباس محمود العقاد

الشاطئ قليل الزوار ، مقفر أو وشيك الإقفار ، وقد ظهرت الكروش فى الحمامات ، فكان ذلك علامة من علامات « التقويم » الذى اصطلح عليه رواد الشواطئ ومراقبوها ، فلا تظهر النساء ذوات الكروش فى الحمامات المشهورة إلا كان ذلك دليلاً على إقبال الخريف وانقضاء الصيف . إذ كان الزحام مغرياً بالتنافس فى محاسن الأجسام ، فاذا قل الزحام قل التنافس واجترأت على الظهور ، من لم تكن قبل ذلك تجترئ على العبور

وقضى الله ألا يكون شيء من الأشياء نافعاً كل النفع ولا ضاراً كل الضرر . فمن محاسن الشاطئ الذى كثرت أضراره فى رأى الوعاظ والمرشدين أنه يهدى إلى حاسة الجمال ويبثها فى سليقة النساء والرجال . وهذا غرض كان الأقدمون يتوخونه بالرياضة ، وكان الاسبرطيون يبلغونه باقامة المواسم التى يتبارى فيها الفتيان والفتيات فى متانة الأعضاء ومرونة الأوصال . ولا ينحصر النفع بعد ذلك فى تحسين الجسد أو تحسين الذوق أو تحسين الحركات ، بل يسرى إلى الأذهان والأخلاق والأعمال والمعاملات ، فان الذى تعود ملاحظة الجمال فى تركيب الجسم وتوجيه حركاته خليق أن يتعود مثل ذلك فى فهم الأمور

وتقدير المناقب والصفات ، ثم يقل اشتهاؤه للجسد من ناحية الغريزة الحيوانية ، لأنه لا يستطيع أن يشتهى كل ما يراه ، ولأنه يألف ما يراه ساعة بعد ساعة ويوماً بعد يوم فينظر إليه نظرته إلى الصور والتماثيل ، ويعرضه على مقاييس الفهم والتمييز ، ولا يعرضه على مقاييس الشهوات واللذات

فالحسناء التى تبدو على الشاطئ عارية أو شبه عارية لا تثير من غريزة الناظر بعض ما تثيره وهى لابسة جلباب النوم فى شرفة الدار ، فاذا كان ما يراه مائة حسناء — ولم يكن فرد واحدة — فليس في وسع غريزته أن تنطلق فى جماع شهواته ونزواته ، ولابد له من الاخلاد إلى التأمل والاكتفاء بالنقد والتمييز والتطبع بهذا الطبع والاعراض عن حكم الغريزة وحده فى النظر إلى الأجسام

***

وعلى الشاطئ يعرف الناظر معنى الاصطلاح فى قوانين الاجتماع ، ويعرف أن مسألة الملابس أكثر ما تكون مسألة اصطلاح وعادة وتواضع بين الأمم كل أمة بما درجت عليه وجنحت مع الزمن إليه

فقد كنا نجلس فى ديوان من دواوين الحكومة وإلى جانبنا نافذة تطل على الطريق ، وأمام النافذة بيوت وشرفات ، فظهر على إحدى هذه الشرفات رجل يلبس « البيجامة » أو المنامة كما سماها صديقنا المازنى وأصاب فى إحدى قصصه الصغار ، فما راعنى إلا تأفف لمحته على وجه الموظف الكبير الذى كنت أزوره ، وإذا به يصيح فى غضب واشمئزاز : أهذا أدب ؟ يتعلمون لبس المنامات ولا يتعلمون كيف يلبسونها وأين يدارونها عن الأنظار ؟

خطر لي أن الدعابة هنا واجبة وأنها من الدعابات التى يجيء معها البحث ويحسن فيها المناقشة ، فقلت :

أرى الفرق عظيما بين المنامة والملابس التى يلبسها الموظفون من أهل الهند فى دواوين الحكومة ؟ أليس السروال هنا أسبغ على الجسم وأدنى إلى الوقار ؟

فسكت قليلاً كأنما كان هذا السؤال لا يخطر له على بال ، وراح يقول فى تلعثم : « ولكن الناس عادات ، وما يجوز فى الهند قد يعاب بيننا نحن المصريين ، وهذه المنامة من ملابس الأوربيين فاذا اقتدينا بهم فيها فليكونوا قدوة لنا فى مواضع لبسها وآداب الأزياء عندهم فى جملتها ... »

وكان جوابه فى الحقيقة مقطع القول وفصل الخطاب فى مثل هذا الموضوع ، لأن المسألة مسألة اصطلاح وتقدير ، فاذا كانت البيجامة لباسا للنوم والتبذل فهى لا تحسن فى غير مواضعها من البيت أو مواضعها من رفع التكليف ، ولا محل للمقابلة بينها وبين أزياء أهل الهند فى دواوين الحكومة لأن الهندى الذى يلقانى بالقميص الطويل والسروال الواسع لا يعتقد ولا أعتقد أنا أنه يلقانى بثياب التبذل أو بثياب النوم ، وهذا هو الفارق الذى يفصل بين زى وزى فى مشارق الأرض ومغاربها ، ولا فارق سواه فى اعتبار الثياب والأزياء

إن لاعب الكرة لا يغطى من جسمه نصف ما تغطيه المنامة ، ولكنه يظهر بين مئات الألوف فى ميدان لعب الكرة ولا يقدر على الظهور بالمنامة لواحد من الزوار غير من يعاشرونه فى البيت ويرفعون بينهم وبينه التكليف . وقد بلغ من تحرج بعض الأوربيين أنه لا ينتقل إلى حجرة الاستقبال فى داره بغير ملابس الاستقبال ، ولو لم يكن هناك أحد من الزائرين

فالمسألة كلها مسألة اصطلاح حسب الوقت وحسب المكان وحسب السكان

ومن أجل هذا جاز أن يمشى الرجل والمرأة على شاطئ الحمام كالعاريين ، ولم يجز لهما فى عرف الشرطة أو عرف السابلة أن يصعدا السلم بهذه الحالة إلى عرض الطريق . ولقد يكون الشاطئ حافلا بالمئات من النظارة مستحمين أو غير مستحمين ، ويكون الطريق خلوا من عابر واحد فى تلك اللحظة ، ولكن الاصطلاح وحده هو الذى يمنع هنا ما يجيزه هناك

ليست المسألة إذن مسألة طول « القماش » ولا مسألة شكله ولا مسألة تفصيله أو الجانب الذى يبديه أو الجانب الذى يخفيه ، ولكنها كما أسلفنا مسألة المعنى الذى يوهمه فى روع الناظر والشعور الذى يبعثه ويوحيه . ومن ثم يأتى اليوم الذى يغلب فيه الاصطلاح المتبع على الاصطلاح المهجور ، وتخف وطأة الحكم الذى نحكمه على المستحمين والمستحمات ونحن صادرون عن معنى سابق وشعور قديم

على الشاطىء يعرف الانسان هذا جميعه ويعرف معه سلطان الارادة على تكوين الأعضاء ، وتكوين الأذواق

فالأجسام الحسان التي ترى هناك لم تولد كاملة ولا ريب على هذا الصقل وعلى هذا الهندام ، ولعلها لم تكن كذلك قبل عام أو عامين ، ولم تصل إلى ما وصلت إليه إلا بفضل العلاج في الغذاء والعلاج في الحركة والعلاج في سائر الأعمال

وبهذه المثابة نفهم سلطان الارادة ، ونفهم أن الارادة مسخرة لشعور الجمال حين يستعصى تسخيرها لشعور العقائد والفرائض والعادات

فهذه الحسناء اللعوب التي تحرم نفسها القوت والراحة وتنظر أمامها مشتهيات الطعام على المائدة فلا تقربها ، وتصبر على يد الحلاق ساعات ، وعلى يد الطبيب شهوراً وسنوات — كم تطيق من كل هذا أو بعض هذا في شهر رمضان ؟

وكم تطيق من كل هذا أو بعض هذا إن كانت مسيحية وفرض عليها الدين أن تجتنب اللحوم والأسماك في بعض الأيام ؟

بل كم تطيق من كل هذا أو بعض هذا إن قيل لها إن خطراً على الحياة يوجب عليها الصيام عن هذا الطعام أو التدثر بهذا الكساء على غير أحكام المساهر والأزياء ؟

لا تطيقه كله ولا بعضه ، ولا معنى لذلك إلا أن الارادة تصوغ الأجسام ، وأن شعور الجمال يصوغ الارادة كما يشاء حين يستعصى أمرها على العقائد والفروض . ومتى علمنا ذلك فليس هو بالعلم الهين اليسير ، ولا هو بالعلم الذي يأتي في عرض الشاطئ ويذهب في عرض الطريق ، لأنه علم أصيل نستفيده ونستفيد به في التربية والتعليم : تربية الأفراد وتربية الجماعات

عباس محمود العقاد

في الطريق الى مؤتمر المستشرقين

من القاهرة الى بروكسل

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ٢ —

بنيتي العزيزة بثينة

لعل رسالتي الأولى بلغتك فسرّتك . وهذه رسالتي الثانية .

قالت لنفسي وأنا على الباخرة « محمد على » : قد ركبت هذا البحر بحر الروم أربع عشرة مرة فلماذا لم يوح إليّ شيئاً ؟ لماذا لم أصفه أو أصف حالي فيه بكلمة ؟ إنني حين أسافر إلى الشام أو العراق أو تركيا أو إيران أكتب عنها جهد المقل ، وعلى قدر ما يواتيني البيان ، وتأذن لي المشاغل . وإن لم أكتب أظلّ راغباً في الكتابة ، وتبقى في نفسي معان تودّ الاعراب عن نفسها أحدّث بها نفسي وأصحابي بين الحين والحين . فلماذا لم أخط حرفاً عن البحر الأبيض وأوربا ؟

قالت نفسي بعد تفكير طويل : أنت رجل عصبيّ قد ملأ نفسك التعصب لقومك العرب ولدينك الاسلام فلست تبالي بغيرهما ، ولا تستلهم البيان إلا منهما

قلت : هذا حق، ولكن يحسن أن تصوّريه صورة أخرى؛ أحرى بك أن تقولى : إنك حينما ذهبت في بلاد الشرق وجدت قومك ولغتك وتاريخك وآثار أسلافك فتفرح أو تحزن ، وتنبسط أو تنقبض ، ويجول فكرك بين الماضي والحاضر فاخراً أو خجلاً ، راضياً أو ساخطاً ، داعياً أو ناهياً الخ . ولكن أوربا وأهل أوربا ليس بيننا وبينهم من سبب إلا ما أصابنا منهم وإلا هذا الجلاد الدائم بيننا وبينهم

قالت : ألا تكون مرة إنسانياً تسمو على العصبيات وتخرج من هذه الدوائر الضيقة ، وتنظر إلى الانسانية في سعتها، والحقائق في شمولها ، والعالم في جملته ؟

قلت : قد سألت السبب فأبنت لك الحق ، وصدقتك الجواب؛ فأما الانسانية والعصبية فموضوع آخر لا أريد أن أكدّر على نفسي صفو هذا السفر الممتع في هذا الجوّ الصاحي والبحر

الساجى ، بالكلام فى الإنسانية والعصبية وما يتصل بهما ؟ فهذا كلام إن عرف أوله لم يعرف آخره

على أنى – وحقاً أقول – أحسّ الآن فى نفسى معانى كثيرة يلهمنى إياها هذا البحر العظيم الذى نبتت حضارة الانسانية على شواطئه ، وحوت أعظم وقائع البشر صفحاته ، ولا يزال تاريخ البشر يسكن إذا سكن ويهيج إذا هاج . كم وعى التاريخ من حادثات على سواحل هذا اليم العظيم وعلى أمواجه !

ألم يكن للعرب فوق هذا البحر سلطان أعظم من لججه ، وعزمات أهول من أمواجه ؟ إن دولتهم لم تبلغ من عمرها خمس عشرة سنة حتى طمحت إليه ، ومدت سلطانها عليه ؛ ولم تبلغ العشرين حتى جالدت الروم فيه ، وحطمت أساطيلهم بأسطولها ، وشهد العالم أعجب وقائع البحار : العرب الذين لم يعرفوا إلا الابل سفن الصحراء ، يغلبون الروم فى بحر الروم ! أجل ، هزموهم فى موقعة ذات الصوارى سنة إحدى وثلاثين . ثم فتح العرب الجزر الشرقية ، ثم سارت من بعدُ أساطيل بنى الأغلب لفتح صقلية فاستولوا عليها حقباً طوالاً ، ثم ...

قالت نفسى : قد انتكستَ فى العصبيّة فانفسح لك مجال القول وانطلق لسانك تُشيد بالعرب ومجد العرب . ألم أقل إنك عصبى ؟ ألم أقل إنك عربىّ مسلم متعصب ؟

قلت : إن هــذا الأمر عجب ! إن ذكرت تاريخ قومى كان هذا عصبية ، وإن رويت تاريخ غيرهم كانت إنسانية ؟ أليس قومى من البشر فتاريخهم للبشر تاريخ ؟

لقد جاوزنا البارحة جزيرة كريد التى سماها العرب إقريطش وكان لهم فيها دُول وغِـيَر . أفتلزمنى الانسانية أن أذكر كل من ملكوا هذه الجزيرة إلا العرب ؟ ليست العصبية أن أذكر قومى وأشيد بمآثرهم ، وليست الانسانية أن أنساهم وأغمط حقهم وأعق تاريخهم ؛ ولكن العصبية أن أتزيد فى القول فأحمدهم بما لم يفعلوا ، أو أتحيف غير قومى فأبخسهم ما فعلوا . فأما أن أذكر الحق وأروى الصدق ، فحقٌ على للناس جميعاً وهو لقومى أحق

ها هو ذا مضيق مسّينا قد اقترب ، والسواحل عن يميننا وشمالنا تشتعل بالأضواء المتلألئة ، والمصابيح المنثورة بين السواحل والجبال . وهو ، ونور الحق ، وجمال الشعر ، منظر رائع جميل فى هذا الليل الساجى ، والباخرة تشق طريقها متمهلة تأخذ ذات اليمين مرة وذات الشمال أخرى ، تتحرّى سبيلها بين شعاب البحر وصخوره . والمنارات تومِض وتخبو ، تهدى السفينة طريق النجاة وتحذّرها مواطن العطب . لشدّ ما تعجبنى وتملأ نفسى غبطة هـذه الحضارة الوهاجة ، والمدنية المضيئة ! وشد ما أرجو الخير للناس جميعاً فى ضوء هذه الحضارة ! ولشدّ ما يؤلمنى ويملأُ نفسى أسفاً أن أذكر أن فى طىّ هـذه الحضارة دمارها وأن تحت هذه الأنوار نارها ، وأن هـذه المياه وهذه السواحل وما وراءها بيّتت للحضارة شرّا ، وتريد بها أمراً نُكرا .

ليت الناس يدركون السلام ، ويعرفون الوئام ، فلا يبنوا ليهدموا ، ويعمروا ليدمروا ...

إن السفينة تتجه شطر الشمال الآن . وها هو القطب أمامنا وبنات نعش الكبرى قد دارت إلى الشمال وهوت قليلا نحو الأفق . ونحن الآن فى المضيق . فهذه إيطاليا إلى اليمين ، وهذه صقلية إلى اليسار . أأستطيع أن أمر هنا ، إنساناً أو شيطاناً ، فلا أذكر قومى فى صقلية وسواحل أوربا وأفريقية ، وما كان لهم من مجد مؤثّل ، وعزة قعساء ، ثم أذكر ما يحل اليوم بساحتهم فى أرجاء العالم من العذاب والخراب ؟ أأذكر طرابلس أم أذكر المغرب أم أذكر فلسطين ؟

... إن قلبي يكاد يوحى إلى لسانى لعن هذه الحضارة . إنى أتخيل الآن ذلك الفقيه أسد بن الفرات يقود جيش الأغالبة على لجج البحر لفتح صقلية ، وهو يحمل قلباً أبرّ بالانسانية والحضارة من قلوب أبناء عصرنا

قالت نفسى : لا تغضب إذا ذكرتك أن العصبية جاوزت بك الحق . أترى أسد بن الفرات وأساطيله شيئاً مذكوراً بجانب هذه المدنية الخلاقة التى تذكرك بها هذه السفينة الكبيرة تمخر عباب البحر فى ظلمات الليل لا تبالى أهاج البحر أم سكن ؟

قلت : لم أتكلم عن الصناعة والعلم ولكن ذكرت الرحمة والبرّ بالنـاس ، والعمل لاسعادهم والاخلاص فى إنصافهم ، والدعوة إلى المؤاخاة بينهم والتواضع للحق والبعد من الزهو والاعجاب والفخر والكبرياء ، ومراقبة الله فى خلقه

وبعد فقد جاوزنا المضيق وتركنا صقلية كما ترك الزمان تاريخ العرب . فأريحينى من هذا الجدال ، وانظرى إلى السماء والماء ، واستشعري شيئاً من الصفاء والسلام

على هامش أبحاث التيسير

ملاحظات انتقادية
على قواعد اللغة العربية

للأستاذ أبي خلدون ساطع الحصري بك

مدير دار الآثار العراقية

— ١ —

هذه ملاحظات انتقادية، كانت قد عنت لي في أوقات مختلفة خلال دراستي للكتب المدرسية الموضوعة لتعليم قواعد اللغة العربية في المدارس الابتدائية والثانوية؛ وكنت سردتها على بعض علماء اللغة ومعلميها، غير أنني أحجمت عن جمعها ونشرها على صفحات الصحف .. إلى الآن.

أما الآن، فبعد أن اطلعت على تقرير اللجنة التي ألفتها وزارة المعارف المصرية لدرس وسائل «تيسير قواعد النحو والصرف والبلاغة»، وبعد أن قرأت طائفة من الملاحظات التي أبدتها بعض المحافل اللغوية على المقترحات المدونة في التقرير المذكور، رأيت من الحتم علي أن أجمع وأنشر هذه الملاحظات والانتقادات.

ولهذا السبب جئت أرجو صديقي الأستاذ الزيات أن يتوسط في عرضها على أنظار قراء الرسالة بوجه عام، وعلى أنظار علماء اللغة ومؤلفيها بوجه خاص. (أبو خلدون)

كلمـــة تمهيدية

إن الغاية التي استهدفتها في بحثي هذا، تنحصر في مناقشة «قواعد اللغة العربيـة: الصرفية والنحوية» وحدها، ولا تتضمن شيئاً في انتقاد «اللغة العربية» نفسها.

وبعد فيا بنيتي العزيزة! قد أخذت القلم لأصف لك بعض ما رأيت بعد أن فارقنا السفينة، وأحدثك عن سفري من جنوة إلى لوسرن في سويسرا، ولكن سبق إلى حديث البحر وتيمه القلم، ولست أجد الآن فراغا لإطالة الحديث. فحسبك هذه النبذة في هذه الرسالة. وعسى أن أجد عما قليل فراغا للرسالة الآتية. وأحسبها ستكون رسالة أختك مي لا رسالتك. والله يحفظك ويرعاك والسلام.

(بركسل) عبد الوهاب عزام

لأنني أعتقد أن «اللغة العربية» شيء، و«قواعد اللغة العربية» شيء آخر ...

فإن «اللغة» — بوجه عام — تتكون تحت تأثير الحياة الاجتماعية، وتتطور بتطورها؛ في حين أن «قواعد اللغة» تتولد من الابحاث التي يقوم بها العلماء، وتتبدل بتبدل النظريات التي يضعها هؤلاء ...

فنستطيع أن نقول: إن «خصائص اللغة» تدخل في نطاق «الأمور الطبيعية» التي لا يمكن أن تقاس بمقاييس العقل النظري والمنطق الموجود، في حين أن «قواعد اللغة» لا تخرج عن نطاق «الأمور الاجتهادية» التي يجب أن تبقى خاضعة لحكم العقل والمنطق على الدوام.

إنني لا أعترض — في مقالي هذا — على من يقول بوجوب التمسك «بخصائص اللغة» على علاتها؛ غير أني أقول في الوقت نفسه: إن «قواعد اللغة المدونة في الكتب» لا تدخل في نطاق «خصائص اللغة»؛ فمهما تطرفنا في الأخذ بمبدأ «التمسك بخصائص اللغة على علاتها»، ومهما استرسلنا في الدفاع عن نظرية «المحافظة على تلك الخصائص بدون تبديل وتحوير» ... يجب أن نسلم في الوقت نفسه بأن ذلك لا يستلزم - بوجه من الوجوه - «التمسك بقواعد اللغة» على أشكالها الحالية. فيجب أن نتذكر على الدوام أن هذه القواعد من وضع علماء اللغة الأقدمين، وهي تمثل — بطبيعة الحال — طرق تفكيرهم في مسائل اللغة، وأساليب استنباطهم لقواعدها. لذلك لا يجوز لنا أن نقبلها بدون مناقشة وتفكير؛ بل يجب علينا أن نعيد النظر فيها، ونطيل التفكير حولها، لنكتشف مواطن الخطأ والصواب فيها، فنسعى إلى إصلاحها وتصحيحها وفقاً للطرق المنطقية المتبعة في الأبحاث العلمية بوجه عام ...

إن الملاحظات الانتقادية المعروضة في هذا المقال، مستندة على هذا الرأي الأساسي، ومنبعثة عن هذا الاعتقاد الصريح، وهي تقوم بحملة على «قواعد الصرف والنحو المدونة» وتطلب إصلاحها إصلاحاً جوهرياً ... دون أن تتجاهل «الخصائص» التي تختص بها اللغة العربيـة، ودون أن تدعو إلى إهمال تلك الخصائص أو الخروج عليها

* * *

هذا، ومما يجب ألا يعزب عن البال في هذا المقام أن العلماء

الذين توغلوا فى استنباط قواعد اللغة العربية وتدوينها لم يتفق بعضهم مع بعض في جميع المباحث والأمور ؛ بل كثيراً ما اختلفوا في عدد غير قليل من المسائل والقواعد ؛ واختلافهم هذا أدى إلى تكوين مذاهب لغوية شتى

إننى لم أر داعياً لاستعراض جميع الآراء والمذاهب اللغوية خلال هذا الانتقاد ؛ بل رأيت أن أحصر بحثى وانتقادى على «قواعد اللغة العربية» التى أصبحت «رسمية نوعاً ما» لدخولها فى الكتب المدرسية واندماجها تقاليد التدريس

وأعتقد أن الكتب المدرسية التى تمثل « القواعد الرسمية » أحسن تمثيل ، هى السلسلة المطبوعة فى مصر بعنوان كتاب « قواعد اللغة العربية » ، لأن هذه السلسلة تدرس فى جميع المدارس المصرية بناء على قرار « وزارة المعارف العمومية » منذ عدة سنوات ؛ وهى تحمل توقيعات عدد غير قليل من كبار الأساتذة والمفتشين ؛ فقد ألفها لجنة مكونة من خمسة أساتذة ، « ووضعت خطتها وراجعتها لجنة مؤلفة من » خمسة آخرين ؛ وبين هؤلاء المؤلفين والمصححين ثلاثة من أساتذة الجامعة المصرية ومدرسيها : (طه حسين ، أحمد أمين ، ابراهيم مصطفى) ، وثلاثة من أساتذة دار العلوم : (محمود السيد عبد اللطيف ، عبد المجيد الشافعى ، على عبد الواحد وافى) ، وثلاثة من المفتشين : (محمد عطية الابراشى ، محمد مهدى علام ، ومحمد أحمد جاد المولى) ؛ وقد ساعدت المكانة العلمية والأدبية التى اشتهر بها هؤلاء الأساتذة والعلماء على انتشار سلسلة هذه الكتب خارج القطر المصرى أيضاً ، حتى إن هذا الانتشار أخذ فى آخر الأمر شكلاً رسمياً فى العراق إذ اقتفت وزارة المعارف العراقية أثر وزارة المعارف المصرية فى هذا الباب ، فقررت تدريس الكتب المذكورة فى جميع المدارس الابتدائية والثانوية

فاذا اعتبرنا « قواعد اللغة » المدونة فى سلسلة هذه الكتب — المقررة فى مصر والعراق — بمثابة « القواعد الرسمية » كنا قد عبرنا عن الحالة الراهنة أحسن تعبير

إن الملاحظات الانتقادية فى هذا المقال تحوم حول الخطط المتبعة فى الكتب الرسمية المذكورة وقواعد اللغة المدرجة بها

١ — تبويب المباحث

إن أبرز المآخذ التى تلفت أنظار الباحث فى كتب « قواعد اللغة العربية » تعود إلى الطريقة المتبعة فى « تبويب المباحث وعرضها » فان هذه الطريقة تخالف أصول التربية والتعليم مخالفة صريحة ، كما تنافى العقل والمنطق منافاة تامة

وأعتقد أن الأمثلة التالية تكفى لإظهار هذه الحقيقة بكل وضوح وجلاء :

١ — من المعلوم أن مفهوم « المضاف » مرتبط بمفهوم « المضاف إليه » ارتباطاً وثيقاً ، لأن كل واحد منهما يكوّن ركناً أصلياً من ركنى «الاضافة» . فلا نستطيع أن نتصور أحدهما دون أن نفكر فى الآخر ؛ ولا يمكننا أن نعطى فكرة واضحة عن أحدهما دون أن نتطرق إلى الآخر . فالمنطق يقضى علينا بالبحث فى المضاف والمضاف إليه بصورة مرتبطة ، بحيث لا ينفك أحدهما عن الآخر

غير أن « قواعد اللغة العربية » الرسمية تهمل هذا الأمر البديهى إهمالا غريباً فلا تهتم بالعلاقة الوثيقة بين المضاف والمضاف إليه ، وانما تجعل من كل منهما بحثاً مستقلا يدخل فى باب خاص

فاذا تتبعنا جميع الابحاث المتعلقة بالمضاف والمضاف إليه فى سلسلة كتب القواعد التى نحن بصددها ، نجد أن الجزء الأول منها يبحث فى «المضاف إليه» وحده فهو يحاول تفهيم « المضاف إليه » عن طريق مقابلته بـ «النعت» ، ويعرفه بهذا التعريف : « اسم يكمل معنى اسم سابق قبله ولا يدل على صفة فيه » (ص — ٤٥)

وأما الجزء الثانى فيذكر « المضاف » فى أوائل أبحاثه مستقلا عن « الاضافة » وعن « المضاف إليه » . يتطرق إليه فى بحث « المعرفة والنكرة » عند ما يستعرض أنواع « المعرفة » تحت تعبير « المضاف إلى معرفة » (ص — ١١) . وأما « المضاف إليه » فلا يذكره إلا فى أواخر أبحاثه فى باب الأسماء المجرورة . وهناك فقط يذكر العلاقة بين « المضاف والمضاف إليه » (ص ١٠١)

إننى أعترف بأنه يصعب على أن أتصور طريقة بحث وتبويب

أبعد من منطق اللغة من هذه الطريقة ، كما يستحيل على أن أبتكر خطة عرض وتبليم أنمل فى تصعيب الأبحاث وتشويش الأذهان من هذه الخطة ...

٢ — من المعلوم أن الأسماء تقسم من حيث شمول مدلولاتها إلى قسمين أصليين : اسم خاص أو اسم علم ، واسم عام أو اسم جنس . ويعتبر هذا التقسيم من التقسيمات الأساسية والمباحث الأولية فى جميع اللغات

غير أن قواعد « اللغة العربية » الرسمية « لا تذكر شيئاً عن اسم الجنس . وأما اسم العلم فتذكره فى الجزء الثانى ، دون أن تقابله بنقيضه . إنها تذكره فى بحث « النكرة والمعرفة » كنوع من أنواع المعرفة ، بين الضمير واسم الاشارة والاسم الموصول والمضاف إلى معرفة (ص — ١١)

إننى أعتقد بأن من ينظر فى هذه الخطة نظرة انتقادية مجردة عن تأثير « الألفة المخدرة » ، يضطر إلى التسليم بأنها لا تتفق مع أصول التصنيف العلمية بوجه من الوجوه ، كما أنها تنافى أساليب التعليم الصحيحة كل المنافاة

٣ — لا يخفى أن الفعل ينقسم — من حيث المعنى — إلى قسمين : لازم ومتعد ، ولا حاجة إلى البرهنة على أن المنطق يقضى بشرح هذا التقسيم فى باب الأفعال . غير أن « قواعد اللغة العربية » لا تسير على هذه الطريقة المنطقية ، بل تذكر ذلك عرضاً فى بحث المفعول به ، عند استعراض الأسماء المنصوبة فى باب « اعراب الأسماء » (الجزء الثالث — ص ١٠٦)

٤ — كذلك لا يخفى أن الفعل ينقسم — من وجهة أخرى — إلى معلوم ومجهول ، والمنطق يقضى بشرح ذلك فى باب الأفعال بطبيعة الحال؛ غير أن «قواعد اللغة العربية لا تلتزم هذه الطريقة المنطقية ، بل تذكر « المجهول » وحده ، وذلك بصورة عرضية فى بحث « نائب الفاعل » عند استعراض الأسماء المنصوبة فى باب « إعراب الأسماء » ؛ (الجزء الثانى ص ٤٥)

٥ — من المعلوم أن « حرف التعريف » من أهم عناصر الكلام فى اللغة العربية ؛ وهو كثير الاستعمال جداً فى التكلم والقراءة والكتابة ؛ ومع هذا إذا تتبعنا سلسلة كتب «قواعد اللغة العربية » نجدها لا تهتم به اهتماماً يتناسب مع كثرة استعماله : فان الجزء الأول منها لا يذكر شيئاً عن حرف التعريف بالرغم من كثرة وروده فى عبارات الكتاب اعتباراً من صفحاته الأولى . والجزء الثانى أيضاً لا يلتفت إليه مع أنه يفرد بحثاً خاصاً للمعرفة والنكرة ، ويذكر خمسة أنواع من المعرفة فيها الضمير ، واسم الاشارة ، والاسم الموصول ، والمضاف إلى معرفة

إن حرف التعريف لا يثير شيئاً من اهتمام واضعى الكتب المذكورة إلا فى الجزء الثالث منها ، وهو الجزء الخاص بالصف المنتهى من الدراسة الابتدائية ؛ وذلك فى بحث أنواع المعارف تحت عنوان « المعرف بأل » (ص — ٤١)

٦ — من المقرر أن التنوين من خصائص اللغة العربية التى تستعمل كثيراً ، والتى تؤثر فى معنى الكلمات تأثيراً كبيراً . ومن الغريب أن كتب قواعد اللغة العربية لا تذكر شيئاً عنه إلا فى أواخر الجزء الثالث منها ؛ وذلك فى بحث « الممنوع من الصرف » — وفى صدد « إعراب الممنوع من الصرف » (ص — ٦١)

وإذا أجلنا النظر فى ذلك البحث وجدنا فيه استعراضاً طويلا للكلمات التى لا يجوز أن تنون ، ولكيفية إعراب تلك الكلمات دون أن نجد فيه أية إشارة إلى مواطن استعمال التنوين ، والمعانى المستفادة من التنوين ، والعلاقة الموجودة بين التعريف والتنوين ...

٧ — من الواضح أن أسماء الأعداد من أهم أركان اللغات ؛ وهى من الكلمات التى تستعمل بكثرة خلال الحديث والقراءة والكتابة ؛ غير أن كتب قواعد اللغة العربية لا تهتم بها ولا تذكر شيئاً عنها إلا فى الجزء الثالث منها . كما أنها لا تفعل ذلك إلا بصورة عرضية فى بحث التمييز خلال استعراض الأسماء المنصوبة» فى باب الأسماء المعربة ... (ص — ١٣٠)

أنا لا أرى لزوماً حاجة إلى الإكثار من هذه الأمثلة، ولا إلى إطالة الشرح لاظهار مواطن الخطأ والشذوذ فى كل واحدة منها غير أننى لا أود أن أختم ملاحظاتى على كيفية (التبويب والعرض) دون أن أشير إلى ما أعتقده فى منشأ هذه المآخذ والأخطاء الغريبة

وأسبابها — أعتقد أن أسباب كل ذلك تتلخص في نزعة واحدة وهي نزعة « الاهتمام بالأحكام النحوية وبمواطن الاعراب » أكثر من « الالتفات إلى المعاني المفهومة ، ومواطن الاستعمال » .

كل شيء في الطريقة المتبعة في تبويب القواعد وعرضها يدل على أن الذين دونوا هذه القواعد وجهوا جل اهتمامهم إلى مسائل الاعراب ، واعتبروها الغاية القصوى من دراسة اللغة ، كأنهم ممن يعتقدون — ضمناً — أن جميع أبحاث قواعد اللغة يجب أن تبتدئ من وجهة نظر الاعراب ، وتنتهي بتثبيت قواعد الاعراب ، وتبوب حسب ماتقتضيه أحكام الاعراب؛ وأما المعاني التي تؤديها الكلمات والوظائف التي تقوم بها في تكوين العبارات فهي من الأمور الثانوية التي يجب أن تترك على الهامش ، أو من الأمور التافهة التي يجب أن تهمل بتاتاً ...

إن آثار هـذه النزعة المخالفة لأهم أسس التربية والتعليم تظهر بكل وضوح وجلاء في الطرق المتبعة في قضايا « التبويب » كما شرحناها آنفاً ، وتظهر بوضوح أكثر في الطرق المتبعة في أمور « التعريف » كما سنذكرها بعد ...

* * *

٢ — طريقة التعريف

إن معظم التعريفات المدونة في كتب « قواعد اللغة العربية » مخالفـة للقواعد المنطقية التي يجب أن تراعى في كل تعريف ، ومنافية للأسس التربوية التي يجب أن يبنى عليها كل تعليم ...

وأبرز أمثلة هذه المخالفة تتجلى في تعريف « اللازم والمتعدي » من الأفعال ... هـذا التعريف مسطور في الجزء الثالث من كتب الدراسة الابتدائية والجزء الأول من كتب الدراسة الثانوية .. فاذا راجعنا كتاب الدراسة الابتدائية وجدنا فيه هذا التعريف : « يسمي الفعل متعدياً إذا نصب مفعولا به ، ويسمى لازماً إذا لم ينصبه » (ص١٠٦) فهذا التعريف لايدعو إلى التأمل في مدلولات الأفعال لتمييز اللازم والمتعدي منها ، بل يطلب النظر في تأثيرها في إعراب الكلمات التي تليها دون ملاحظة طبيعة الحدث المفهوم منها

وإذا استعرضنا جميع التفاصيل التي تتقدم هذا التعريف نجد أن جميعها تسير على نفس النمط : المفعول به هو الاسم المنصوب الذي وقع الفعل على مسماه .. قد ينصب الفعل مفعولا واحداً .. وقد ينصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر ... وقد ينصب مفعولين أصلهما ليس مبتدأ وخبراً ... ويسمى الفعل متعدياً إذا نصب مفعولاً به ، ويسمى لازماً إذا لم ينصبه ... (ص١٠٥ — ١٠٦)

هـذه هي سلسلة الايضاحات التي توصل إلى التعريف الآنف الذكر ...

وأما إذا راجعنا الجزء الخاص بالدراسـة الثانوية ، وجدنا فيه أيضاً تعريفاً مماثلا للتعريف المذكور بعـد كلمة عن رفع الفاعل ونصب المفعول به :

« إذا قلت انفتح البابُ ، وفتح عليٌّ البابَ ، وتأملت الفعل في المثالين وجدت الأول رفع الفاعل فقط ، ورأيت الثاني رفع الفاعل ونصب المفعول به ... وكل فعل من النوع الأول يسمى لازماً ، وكل فعل من النوع الثاني يسمى متعدياً ... فاللازم مالا ينصب مفعولا به ، والمتعدي ماينصب المفعول به (ص-٦٨)

إن نزعة إهمال « المعنى » ، والاستناد على « الاعراب » تتجلى في هـذه الشروح والتعريفات بكل وضوح وجلاء ، وتؤدي إلى التباعد عن جادة المنطق تباعداً غريباً ؛ لأن الأسماء التي تقع تحت أبصارنا عند ما نقرأ في الكتب والجرائد لاتكون مرفوعة أو منصوبة في حد ذاتها ، بل تكون غير مشكولة ، فتحتمل الرفع والنصب على حد سواء . ونحن نحتاج إلى «قواعد النحو » لنعرف ما إذا كان يجب علينا أن نقرأ أواخر تلك الكلمات مرفوعة أو منصوبة ... وكذلك الأمر في الكلمات التي تجول في خاطرنا عند ما نفكر في موضوع ونحاول التعبير عنه ، فإنها أيضاً لا تكون مرفوعة أو منصوبة في حد ذاتها ؛ ونحن نقدم على رفعها أو نصبها حسب ما تعلمناه أو اعتدناه من قواعد النحو ، لذلك نستطيع أن نقول : إن اعتبار « نصب المفعول به » واسـطة لتعريف « الفعل المتعدي » يكون بمثابة قلب الأمور رأساً على عقب ...

إن أبسط قواعد المنطق تقضي بتعريف اللازم والمتعدي من جهة ، والفاعل والمفعول من جهة أخرى ، حسب معانيها ومعاني

العبارة التي تتألف منها ، وذلك كما يفعل لغويو العالم بأجمعهم

وأما كيفية الاعراب ، فيجب أن تكون بمثابة « القاعدة التي نصل إليها ، لا « الأصل » الذي نبدأ منه ، أو « الأساس » الذي نبني عليه ...

فلا يجوز لنا أن نقول : هـذا الفعل متعد ، لأنه نصب مفعولا به ، بل يجب أن نقول : هـذا الفعل متعد فيحتاج إلى مفعول به ؛ وهذا الاسم مفعول به ، فيجب أن يعرب منصوباً

إن طريقة « تعريف الكلمة بالنظر إلى إعرابها » في كتب قواعد اللغـة العربية ليست من الأمور المنحصرة في بحث « المتعدى واللازم » ، بل هي من الطرق المتبعة في كثير من الأبحاث الأخرى أيضاً :

المبتدأ — اسم مرفوع يقع في أول الكلام (ج — ١ — ص ٣٠)

الفاعل اسم مرفوع يدل على الذي فعل الفعل ويذكر بعده (ج ١ ص ٣٢)

نائب الفاعل اسم مرفوع حل محل الفاعل بعد حذفه ، وتقدمه فعل مبني للمجهول (ج ٢ — ص ٤٦)

المفعول المطلق اسم منصوب من لفظ الفعل يذكر لتوكيد فعله أو لبيان نوعه (ج ٢ — ص ٧١)

المفعول لأجله اسم منصوب يبين سبب حصول الفعل الذي قبله (ج ٢ — ص ٧٤)

المفعول معه اسم منصوب يبين الشيء الذي قارن وجوده وقوع الفعل ، ويكون مسبوقا بواو بمعنى مع (ج ٢ — ص٧٧)

ظرف الزمان اسم منصوب يبين زمن حصول الفعل (ج ٢ — ص ٨٠)

ظرف المكان اسم منصوب يبين مكان حصول الفعل (ج ٢ — ص ٨٠)

الحال — اسم منصوب يبين هيئة الفاعل أو المفعول به عند حصول الفعل (ج ٢ — ص ٨٥) ...

كل من يمعن النظر في هذه التعريفات على ضوء الملاحظات التي سردناها آنفاً حول تعريف اللازم والمتعدى يعلم بأنها لا تتفق مع « منطق التعريف » بوجه من الوجوه ، كما أنها تخالف « أسس التعليم » مخالفة صريحة . في الواقع أنها لا تستند الى أحكام الاعراب وحدها — مثل تعريف اللازم والمتعدى الذى انتقدناه آنفاً — ولكنها تجعل الاعراب ركناً أساسياً من أركانها ، وتخلط — بهذه الصورة — بين التعريف والقاعدة ، وبين الأصل والنتيجة ، خلطاً غريباً . فاذا أردنا أن نرجع هذه التعريفات إلى مقتضيات المنطق العلمي ، وجب أن نحذف منها كل ما يعود إلى الاعراب . أما مسألة الاعراب ، فيجب أن نفرغها في قالب « قاعدة » مستقلة عن التعريف .

فلا يسوغ لنا أن نعرف الفاعل بقولنا: « الفاعل اسم مرفوع يدل على الذى فعل الفعل » بل يجب أن نعرفه بقولنا « اسم يدل على الذى فعل الفعل » ثم نأتي بقاعدة في إعراب الفاعل مستقلة عن تعريفه ، فنقول : « الفاعل يعرب مرفوعاً »

كما يجب أن نتبع خطة مماثلة لما ذكرنا في بقية التعريفات المذكورة آنفاً

ومما يلفت الأنظار في هذا الباب ، بوجه خاص ، هو أن واضعي كتاب « تكوين الجمل » — الذي يؤلف الجزء الأول من سلسلة كتاب « قواعد اللغة العربية » — كانوا عرفوا الفاعل على هذا النمط دون أن يدمجوا قاعدة إعرابه في تعريفه ، وذلك في الطبعة الأولى من كتابهم ؛ ولكنهم غيروا خطتهم هذه في الطبعة الثانية، كأنهم اعتبروا تعريفهم الأول خروجاً عن المألوف وغير واف بالمقصود ، فأرادوا أن يصححوه بتعريف يستند إلى الاعراب قبل كل شيء . فقالوا : « الفاعل اسم مرفوع يدل على ... » . وبذلك أخرجوا هذا التعريف أيضاً عن جادة المنطق والصواب ...

يظهر من هذه التفصيلات أن الخطة التي يمشي عليها المؤلفون في التعريفات تستمد اتجاهها من النزعة التي ذكرناها آنفاً ، خلال تعليلنا للخطة المتبعة في أمر التبويب ، وهي نزعة الاهتمام بالاعراب أكثر من الالتفات إلى المعنى والمفهوم

غير أني أعتقد أن لهذه الخطة — ولهذه النزعة — بعض العوامل التاريخية التي تعود إلى أدوار نشأة « قواعد الصرف والنحو» ، فان من المعلوم أن هذه القواعد دونت — في الدرجة الأولى — تحت تأثير حاجة الاعجام الذين لم ينشأوا على العربية ، وذلك كما حدث في أمر تدوين القواعد في سائر اللغات بوجه عام؛ وكان القصد الأصلي من تعليم العربية لهؤلاء الاعجام تمكينهم

من قراءة القرآن وتسهيل فهمهم لمعانيه. ومما لا يحتاج إلى إيضاح أن الأعجمي الذي يقرأ القرآن يرى أمام عينيه سلسلة كلمات مشكولة، بعضها مرفوع، وبعضها منصوب، وبعضها مجرور، وبعضها ساكن، فيرى ويقرأ هذه الكلمات قبل أن يفهم شيئاً من معانيها، فاذا اتخذ رفع الكلمة أو نصبها نقطة بدء لدرسه وبحثه فلا يكون قد سلك مسلكاً مخالفاً للعقل والمنطق، من الوجهة العملية: فاذا قال: «هذا اسم مرفوع، وقع في أول الجملة فهو المبتدأ إذن ...» وهذا اسم مرفوع أتى بعد الفعل، فهو الفاعل إذن، يكون قد سار على خطة لا تجانب الصواب — من الوجهة العملية — بالنسبة إلى حالته الخاصة

غير أن الاستمرار على اتباع خطة مماثلة لهذه في هذا العصر ولا سيما في تعليم أبناء الضاد الذين يتكلمون العربية ويقرأون الكتب والجرائد والمجلات المطبوعة — لا يمكن أن يتفق مع مقتضيات المنطق بوجه من الوجوه، ويخالف أصول التربية والتعليم من كل الوجوه

إنني لا أجد سبيلاً لتعليلها إلا بارجاعها إلى تأثير الأحوال الخاصة التي أشرت إليها، وباعتبارها من تراث العصور القديمة التي نوهت بها. والمآخذ التي سأذكرها في بحث «العلامات» تؤيد هذا التعليل بوضوح أقوى

«يتبع» ساطع الحصري

كتاب المبشرين
الطاعن في عربية القرآن
أمسلم مصري أم مبشر بروتستنتي؟

للأستاذ جليل

- ٢ -

أراد الكاتب المسلم في تلك المجلة أن يغم إحدى الجريمتين — أعني جريمة اللصوصية — فأورد في تضاعيف أقوال المبشرين هذا المُـلْهى:

«ألسنا نقرأ قوله تعالى: (جنتان ذواتا أفنان[1]) ونراه يثني (ذات) بذواتا مع أن نحونا يقول: إن مثنى ذات ذاتا»

«وقوله تعالى: (يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً) فلا ندرك سر نصب الظالمين إلا عند ما يقول لنا المفسرون إنها منصوبة على التخصيص»

«وقوله تعالى: (ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين). فنسأل كتب النحو لماذا لم يقل طائعتين بدلاً من طائعين، وهو يخاطب مثنى والمجيب مثنى أيضاً، فلا تسعفنا كتب النحو بجواب وإنما يسعفنا المفسر بقوله: إن المجيب هنا هم سكان السماء والأرض فنفهم المعنى وإن اختلفت القاعدة»

إن تلاعب الكاتب بخلطه أقوالاً بأقوال لم يستر لصوصيته بل ثبتها تثبيتاً، وعالن بأنه خريج في الضلال والتضليل غير حاذق، ودل على أنه يجهل (النحو) الجهل كله و«قتلت أرض جاهلها[2]» وسأبين اليوم تخليطه ثم أجيء إلى كتاب المبشرين مغالط القرآن في العربية ...

* * *

قال الكاتب المسلم: «... مع أن (نحونا) يقول إن مثنى ذات ذاتا»

(١) قلت: الأقوال الكريمة في (الكتاب) هي: «ولمن خاف مقام ربه جنتان. فبأي آلاء ربكما تكذبان. ذواتا أفنان»

(٢) قال الميداني: يضرب لمن يباشر أمراً لا علم له به

أقول : إن علم العربية (أي النحو) فى كتبه المختصرة وفى مؤلفاته الكبيرة يقول : إن مثنى ذات (ذواتان) وتقول مثل قوله المعجمات القديمة والمعجمات العصرية [1] المبثوثة فى كل مكان . و (ذاتان) قليلة جائزة فى الشعر ، وهى ليست بالقاعدة

قال (الكتاب) : « فانك تقول : ذووى ردّ إلى أصله ، لأن أصله فعّل ؛ يدلك على ذلك قولهم ذواتان ، وكذلك الاضافة إلى ذاه ذوَوِىّ »

وقال الرضى فى (شرح الكافية) : « وردّ لام ذات فى التثنية فقالوا : ذواتا مال ، وقد جاء أيضاً ذاتا مال وهو قليل »

وقال ابن منظور فى (لسان العرب) : « وتقول هى ذات مال وهما ذواتا مال ، ويجوز فى الشعر ذاتا مال والتمام أحسن » ونقل قوله الزبيدى فى (تاج العروس [2])

قال الكاتب المسلم : « ... فلا ندرك سر نصب (الظالمين) إلا عند ما يقول لنا المفسرون إنها منصوبة على التخصيص »

أقول : قد ذكرنى كلام هذا الكاتب بقول للعامة : « فلان من معرفته بالصحابة يترضى عن عنتر » وصاحبنا من تضلعه من النحو يخاط الخاط الذى ترى . وقد أوضحت الكتب المصنفة للصبيان (مثل الألفية وشرحها لابن عقيل) هذه (القاعدة) وعنوانها فيها : (اشتغال العامل عن المعمول) . قال سيبويه فى (هذا باب مايختار فيه إعمال الفعل مما يكون فى المبتدأ مبنياً عليه الفعل) : « رأيت عمراً وعبدَ الله مررت به ، ولقيت قيساً وبكراً أخذت أباه ، ولقيت خالداً وزيداً اشتريت له ثوباً . وإنما اختير النصب ههنا لأن الاسم الأول مبنى على الفعل فكان بناء الآخر على الفعل أحسن عندهم . ومثل ذلك : قوله عز وجل يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً »

وقال (المفصل) فى (ما أضمر عامله على شريطة التفصيل) : « فالمختار فى موضعين أحدهما أن تعطف هذه الجملة على جملة فعلية »

قال شارحه ابن يعيش : « إذا كان النصب من غير تقدم فعل جائزا كان مع تقدمه مختارا إذ فيه تشاكل الجملتين ؛ قال الله تعالى : « يدخل من يشاء الآية » [1]

يقول الكاتب المسلم : « ... فنسأل كتب النحو لماذا لم يقل طائفتين ... »

قلت : لو سأل الكاتب (النحو) لأجابه ، ولو استهدى لهُدى ، لكنه كأنه فى مسطوره — فاهالفيه [2] — من (المصحبين ...) فهو « يلفت القول لفتاً [3] ماضيا على المخَيّل » !

إن المثنى قد تبدي (جمعاً) إذ « أن المثنى جمع » كما قال الرضى شارح (الكافية) و « من حيث أن التثنية جمع فى الحقيقة » كما قال ابن يعيش شارح (المفصل) و « نظيره قولك : فعلنا وأنتما اثنان فتكلمُ به كما تكلم به وأنتم ثلاثة لأن التثنية جمع » كما قال كتاب [4] سيبويه : و « من سنن العرب إذا ذكرت اثنين أن مجريهما مجرى الجمع » كما قال الثعالبي فى (سر العربية ومجارى كلام العرب وسننها) وهذا من النحو — والنحو أنحاء — والذي حوّشته مصنفاته هو جزء من أجزاء ، وقد أبان ذلك العالم الشيخ (إبراهيم مصطفى) فى كتابه (إحياء النحو)

وقد قال (الكتاب) : « قالتا أتينا طائعين — ولم يقل طائعتين والسماء والأرض مؤنثتان لأن النون والألف اللتين هما كناية أسمائهما فى قوله : (ائتيا) نظيرة كناية أسماء المخبرين من الرجال عن أنفسهم فأجرى قوله طائعين على ماجرى به الخبر عن الرجال كذلك »

وإن قال جاهل ضال عمه أو خادم جوعان من خدام

(١) مثل (البستان) للشيخ عبد الله البستاني و (أقرب الموارد) للشيخ سعيد الشرتوني

(٢) جاء فى طبعة للقاموس المحيط : « وهى ذات وهما ذاتان » وهذا تطبيع وصوابه (وهما ذواتان) كما فى شرح القاموس

(١) قال الزمخشرى : « قرأ ابن الزبير (والظالمون) على الابتداء وغيرها أولى لذهاب الطباق بين الجملة المعطوفة والمعطوف عليها » وقال العكبرى : النصب أحسن لأن المعطوف عليه قد عمل فيه الفعل . وقال الشيخ ابرهيم اليازجى : يترجح نصب الاسم إذا وقع بعد عاطف ملتصق به على جملة فعلية نحو قام زيد وعمرا أكرمته طلبا للمناسبة المستحسنة فى العطف لأن النصب يقتضى اضمار الفعل فيكون عطف فعلية على مثلها بخلاف الرفع فانه يستلزم عطف اسمية على فعلية

(٢) أى فم الداهية لفيه ونصبه على اضمار فعل

(٣) يرسله على عواهنه لا يبالى كيف جاء

(٤) وفى (الكتاب) : وسألت الخليل عن ما أحسن وجوههما فقال لأن الاثنين جمع وهذا بمنزلة قول الاثنين نحن فعلنا

المحترفين بالتبشير (التضليل) . هي السماء وهي الأرض فتأتيان طائعات لا طائعين فما لها والياء والنون — أجاب (النحو) في الـكتاب) : « وأما كل في فلك يسبحون ، ورأيتهم لي ساجدين ، ويأيها النمل ادخلوا مساكنكم فبمنزلة من يعقل من المخلوقين ويبصر الأمور ، فجازهذا حيث صارت هذه الأشياء تؤمر وتطيع وتفهم الكلام وتعبد بمنزلة الآدميين » وقال ابن يعيش مثل هذا ، وقال (النحو) في (شرح الكافية) : « يشبه غير ذوى العلم بهم في الصفات إذا كان مصدر تلك الصفات من أفعال العلماء كقوله تعالى (أتينا طائعين) وقوله (فظلت أعناقهم لهـا خاضعين) (ورأيتهم لي ساجدين) ومثل ذلك في الفعل : « وكل في فلك يسبحون » وقال كتاب (أسرار العربية) لأبي البركات الانبارى : « فان قيل : من أين جاء هـذا الجمع في قوله تعالى : (فقال لها وللأرض الآية) ؟ قيل : لأنه لما وصفهما بالقول والقول من صفة من يعقل أجراهما مجرى من يعقل ، وعلى هذا قوله تعالى : (إني رأيت الآية) لأنه لما وصفها بالسجود وهو من صفات من يعقل أجراها مجرى من يعقل ، فلهذا جمعت جمع من يعقل[1] » وفي (أسرار العربية) للثعالبي مثل ذلك

وذكر الكاتب المسلم في هاتيك المجلة : « إن هذان لساحران » مشددا النون ، وسلك في القول الكريم المسلك الزائغ المنحرف . وفي قول (الـكتاب) قراءات : (إن هذين لساحران) (وإن هـذان لساحران) وإن مخففة واللام هي الفارقة و (إن ذان إلا ساحران) و (أن هذان ساحران) بفتح أن وبغير لام بدل من النجوى ، و (إن هذان لساحران) والهاء مرادة والتقدير إنه هذان لساحران ، وحسنت اللام إذ كانت الجملة مفسرة للمضمر كما قال ابن يعيش . وقال الرضى : « وقد جاء ذان وتان واللذان واللتان في الأحوال الثلاثة » ومما قاله في (ذان) : « ذان صيغة مرتجلة غير مبنية على واحده ولو بنيت عليه لقيل ذيان »

***

(١) وفي هذا الـكتاب : « وإن قيل : فلم جاء هذا الجمع في الاعداد من العشرين إلى التسعين ؟ قيل : إنما جاء هذا الجمع لأن الاعداد لما كانت تقع على من يعقل نحو عشرين رجلا وعلى من لا يعقـل نحو عشرين ثوبا غلب جانب من يعقل على مالا يعقل كما يغلب جانب المذكر على المؤنث في نحو أخواك هند وزيد وما أشبه ذلك »

ذلك بيان نحو العربية (علم العربية) — لا تفسير المفسرين — في أقوال في (كتاب العربية) وقد أطلت بمـا أوردت لـكيما تعلن خربشة الخربشين وتخاليط المخالطين علانية ، وليعلم الجاهلون إما كانوا ينشدون هدى وعلما أن ليس ثم (نحوان) : نحو العربية ونحو (القرآن) ، إنما هو نحو (الكتاب)، وإنما هو منهج (الكتاب)، وإنما هو بلاغة (الـكتاب) ، وإنما هي سنة (الكتاب) ، وإنما هي شرعة (الكتاب) . وهل أقام (قواعد) العربية ، وهل شاد مجد العربية ، وهل أبدع حضارة العربية ، وهل هدى الناس كلهم أجمعين إلا القرآن ؟

إنه (والله) لمن دواهي الدهر أن يصير أماس في الغباوة والجهل إلى حيث صاروا ، فنجبر أن نقعد نشرح الجلي كل الجلي ، وأن نقول مصوتين في الشرق ، في مصر ، في نهار غير مغيم ، في رأد الضحى ، أو في الظاهرة : هذه الشمسُ وهذا ضوؤها ، فانظروا ياناظرين ... !

الاسكندرية

« *** »

الدين والأخلاق

بين الجديد والقديم

لأحد أساطين الأدب الحديث

— ٥ —

جاء فى كتاب الأغانى أن الأخطل الشاعر قال لرجل من شيبان: (إن الرجل العالم بالشعر لا يبالى وحق الصليب إذا مر به البيت العائر السائر الجيد أمسلم قاله أم نصراني) وكل نقاد العرب قديماً وحديثاً يقولون مثل هذا القول سواء أكان الناقد من أدباء المذهب الجديد أم من أدباء المذهب القديم . ولو أن محدث الأخطل سأله عن اليهود والبوذيين لأضافهم إلى النصرانى فى قوله . وأنت ترى أن الأخطل أراد أن يؤكد قوله بحلف بحق الصليب. وكان كثير من المسلمين يفضلون الأخطل على غيره من شعراء عصره بالرغم من النعرة الدينية فى قوله. وكان يحدث هذا فى صدر الاسلام ولم يكن الدين فى صدر الاسلام أقل أثراً فى نفوس المسلمين منه اليوم، وإنما كان الأدباء وسامعو الشعر أعرف بتذوق الشعر وأكثر حظاً من نشوته وأريحيته من قراء اليوم . ولم يكن بين الأدباء فى صدر الاسلام من يحس خوفاً على منزلته بين الأدباء والشعراء فيدفعه إلى أن يقول إن النصرانية أسقطت شعر الأخطل . نعم إن جريراً يعير الأخطل بخضوعه لرجال دينه . ولم يبحث النقاد عن عقيدة أبى تمام كي يحكموا بها على شعره . ولم يقل أحد من أمراء الشعر والنثر في عصور الأدب العربى إن الأُخُوَّة فى الشعر أُخُوَّة فى الله، أو أن الأُخُوَّةَ فى الله أخوةٌ فى الشعر . فهل كان أمراء البيان فى الشعر والنثر فى تلك العصور الطويلة على ضلال لا يفهمون الشعر ولا يجيدونه ولا يتبينون أصوله وشروطه وسننه ولا يعرفون كيف يتذوقونه ؟ أم أنهم أصابوا عند ما قصروا الأخوة فى الدين على شعر حواشى ومتون كتب الفقه الدينى ؟ أليس ادعاء بعض أدباء العصر إحلال الشعر عامة منزلة شعر حواشى الفقه الدينى دليلاً على فساد الذوق الشعرى فى هذا العصر ؟ ثم أليس فى اتخاذهم وسائل الدول السياسية بنشر الدعوة ضد منافسيهم واتهامهم أنهم أنصار إبليس والرذيلة ، ما يدل على جانب من الضعف ، وعلى أنهم إنما يريدون استغلال تعصب العامة وأشباه العامة فى عصر لا يدرك فيه الرأي العام الشعر كما كان يدركه الرأى العام فى عصر الأخطل ؟

وليت أن هذه الوسائل كانت تعين على عز وجاه فى بلد للشعر فيه كل العز والجاه والمال، ولكنها وسائل لا تغني فتيلا ولا تقرب من عز أو جاه أو مال ، لأن هذه أمور لا تنال بالشعر إلا التافه الحقير منها وما أكثر طلابه .

أما الأستاذ الغمراوى فليست له مطامع دنيوية ، وإنما هى العقيدة التى تقدمت به وبهذا المبدأ الذى يريد أن يسنه للشعراء ؛ ولكنه لو كشف له عن سريرة الأدباء جميعا حتى أشدهم تعصباً للقديم لوجد في سريرتهم أنهم يقولون كما قال الأخطل وأنهم يعرفون من أدب اللغة العربية ما يقصر أُخوة الدين على شعر الحواشى والمتون .

قال الأستاذ الغمراوى إن أدباء المذهب الجديد يأخذون عن الأوربيين ما يخالف التقاليد الاسلامية، وإنهم إذاً يريدون (تغلب دين على دين) أى دين الأوربيين على دين العرب المسلمين، وإنهم يبيحون الشهوات، وإنهم أنصار الرذيلة. وقد ناقض الأستاذ نفسه فى هذا القول لأنهم لو كانوا يريدون تغليب المسيحية حقا ما أباحوا الشهوات ولا كانوا من أنصار الرذيلة . وإن إباحة الشهوات ليست مذهباً فى الشعر أو النثر جديداً ، ففى الأدب العربى فى كل عصر من هذه الاباحة ما ليس له مثيل فى هذا العصر . وكان الأدباء المبيحون للشهوات أمثال بشار وغيره لا يدينون بدين. وإن أدباء المذهب القديم فى عصرنا لا ينكرون أن بشاراً وأبا نواس وغيرهما من مذهبهم الذين يدافعون عنه ، أى المذهب القديم ، وإن الفضائل إذاً ليست عامة فيهم والرذائل ليست عامة في خصومهم ولا التدين أيضاً ، وإنما هم يعرفون أن سليقة الشعر فسدت فى أكثر القراء والرأي العام عموماً فى عصر عظمت فيه قوة الرأى العام ونفوذه، فهم يريدون استغلال تعصب الرأي العام الذى فسدت فيه سليقة الشعر ولم يبق له أو لطائفة كبيرة منه غير النعرة الدينية التي يريدون أن تستبيح كل شيء حتى المجون ابتغاء مرضات الله . فقد بلغ القراء خبر الحفلة التى

أقيمت لإحياء ذكرى حافظ بك إبراهيم ؛ وقد نشرت الصحف القصائد التي قيلت فيها ، وكان بها من المجون ما لو قاله أحد الأدباء الشبان من أنصار المذهب الجديد لقال أدباء المذهب القديم للناس: انظروا إلى خصائص المذهب الجديد كيف يستبيح المجون في حضرة كبار رجال الدولة والذين ينوبون عن المقام السامي ! أما والذين نظموه لم يكونوا من أدباء المذهب الجديد فهو إذاً ورع وتقوى وغيرة سامية على الفضائل في القول والعمل . هكذا ألف بعض الأدباء مجون الشعر العربي القديم حتى صار يُعَدُّ من الأخلاق السامية . وما على الأديب في هذا العصر إلا أن يعلن على رءوس الشهود أنه من أنصار المذهب القديم فيباح له كل شيء من أجل عدائه للجديد ، ويكون مثله مثل الرجل الذي إذا عده العامة من أولياء الله الصالحين رفعوا عنه (الكلفة) وأباحوا له مالا يبيحون لغيره من عباد الله. فإذا ارتكب أحد (أولياء) العامة أمراً (ينتقد) وحاول أحد النظارة أن يعيبه به تجمهر الناس حوله وكل يقول له : أتركه يا شيخ ولا تعبه ، لأنه من أولياء الله وعباده الصالحين وقد رفعت عنه (الكلفة) فهو غير مسؤول عما يفعل . ومن الغريب أن بعض الأدباء أراد أن يفهم الحاضرين أن حافظ بك مات شهيد الحرب التي شنها عليه أدباء المذهب الجديد، ولم تكن هناك حرب وإنما انتقده الأستاذ المازني نقداً بريئاً خالياً من الفحش والمجون. أما الحرب فقد كانت سجالا بين أنصار حافظ وأنصار شوقي وكان الفريقان من أنصار المذهب القديم وكانا يستبيحان كل سلاح مهما كان، وتشهد بذلك نسخ الجرائد الأسبوعية التي طبعت في ذلك العهد . وكان أشد الناس حرباً على حافظ بك أنصاره من المرتزقة وكانوا يصنعون صنع الجنود المرتزقة فيخذلونه في أثناء المعركة من أجل رشوة وأجر مُطمع من خصمه

فإذا كان حافظ بك قد هزم في بعض معاركه فالذنب ذنب الجنود المرتزقة الذين خانوه والمعركة قائمة ولم يقدر خيانتهم. ولم يكن للمذهب الجديد وقتئذ أنصار عديدون، ولو قامت بينه وبينهم معركة ما استطاعوا لكثرة أنصاره أن ينالوا منه ، ولم يكن لهم حول حتى يدبروا له الدسائس . فكل ما قيل من هذا القبيل في الحفلة من قبيل السمر بالقصص الخيالية ، وله منفعة أخرى وهي جلب العداء لأنصار المذهب الجديد بالطريقة التي بها يجلب لهم العداء إذا قيل إنهم أنصار إبليس اللعين . ولو أن حافظ بك إبراهيم كان اليوم حياً لضحك ضحكا كثيراً إذا سمع ما يقوله أدباء المذهب القديم من أن أدباء المذهب الجديد نالوا منه ودسوا له . نعم إن الرجل كان محاطاً بالوشايات والسعايات من الأدباء ، ولا نعني أهل السياسة فهذه مسألة أخرى، وهذه الوشايات كان يتقدم بها الأدباء إما نكاية من بعضهم لبعض واستعانة بحافظ بك في تلك النكاية، وإما نكاية لشوقي منافسه كما كان جلساء شوقي يسعون عنده بحافظ نكاية له

ولو أنا رجعنا إلى ما أُلف من المقالات والكتب منذ ثلاثين سنة ما وجدنا أثراً لهذا الاصطلاح: أعني اصطلاح تقسيم الأدب إلى جديد وقديم ، وإنما كان الشعراء الذين يسمون الآن أدباء المذهب الجديد يدعون إلى نبذ شعر الغزل المتكلف الذي كان مقدمة لقصائد المدح والهجاء والسياسة ، ونظم الشعر فيما تحسه النفس من حب أو غير حب على طريقة شعراء الجاهلية وصدر الاسلام. وكانوا أيضاً يدعون إلى نبذ المغالاة في المحسنات اللفظية التي أولع بها شعراء الدولة العباسية والرجوع إلى طريقة شعراء الجاهلية وصدر الاسلام في تفضيل صنعة العاطفة أو ذكرى العاطفة (وذكرى العاطفة عاطفة). وكانوا أيضاً يدعون إلى نبذ التضييق في أبواب الشعر ونبذ المغالاة في تقييد حرية القول والرجوع إلى شيء من حرية القول التي كانت في كثير من عصور الشعر العربي القديم من غير دعوة خاصة إلى إباحة حرية القول من أجل الاباحية في الخلق

هذه كانت مبادئهم؛ فهم إذاً كانوا أخلق بأن يدعوا رجعيين، فهم كانوا رجعيين في طلب احتذاء شعراء الجاهلية وصدر الاسلام في وصف أحاسيس النفس وخواطرها رجوعاً عن الغزل الصناعي وأبواب القول الصناعي التي أولع بها المتأخرون. وكانوا رجعيين في طلب احتذاء سهولة العبارة وأقربها دلالة على الاحساس والمعنى كما كان يفعل شعراء الجاهلية وصدر الاسلام رجوعاً عن المبالغة في الصناعة التي أولع بها العباسيون . وكانوا رجعيين في طلبهم ألا يقصر الشعر على معان متفق عليها كما كان المتأخرون يفعلون والرجوع إلى طريقة المتقدمين في إظهار كل شاعر

خصائص نفسه وفكره وأن يباح له القول إذاً أكثر مما كان يباح للمتأخرين

فالنزعة إلى التجديد كانت فى أول الأمر نزعة رجعية كما ترى؛ واتفق أن أنصارها قرأوا الشعر الأوربى فرأوا أن مبادئ رجعيتهم هي مبادئ الأدب الأوربى الصحيح السليم، وأن الأدب الأوربى يعينهم على تحقيق تلك الرجعية، وأنه إذا تقدم بهم الأدب الأوربى فيكون تقدماً كما كان يتقدم أدب الجاهلية وصدر الاسلام لو أنه لم تعترضه عوارض الجمود والقيود المصطنعة التى تغلبت على الأدب العربى بعد ذلك

فاذا كانت هذه النزعة قد دخلتها المغالاة فهى أمر طبيعى يعترض الأمور فى أول الأمر حتى تستقر؛ وإذا كانت قد تفرعت منها فروع بعيدة فهذه سنة طبيعية ، فالقرامطة والحشاشون والباطنية فروع بعيدة تفرعت من الشيعة كما تفرعت الشيعة من الاسلام. وربما كان من تلك الطوائف البعيدة ما ينكره الشيعة. كذلك تفرعت من نهضة التجديد الرجعية فروع بعيدة ولا تزال تتفرع ، ومن يحاسب نهضة التجديد عليها كمن يحاسب المسلمين عموماً على عقائد بعض الطوائف التى تفرعت من الاسلام

تفرعت من شيعة التجديد طائفة لم تراع أنه إذا أريد الاقلال من صناعة العباسيين فلابد من الاكثار من سلامة أسلوب كأسلوب شعراء صدر الاسلام مع تجنب حوشى الكلام، فدعت هذه الطائفة إلى أن يكون أسلوب الشعر أقرب الأساليب إلى لغة الكلام؛ وهذا لاعيب فيه إذا روعيت سلامة اللغة والعبارة. وتفرعت طائفة لم تراع أن وصف أحاسيس النفس وخواطرها ينبغى ألا يبلغ حد الاباحية فى الخلق إذا أريد أن يحل شرح الأحاسيس والخواطر وبحثها محل الغزل وأبواب القول المصطنعة التى أولع بها المتأخرون . ولا ننكر أن أشد الشعراء حيطة فى وصف النفس الانسانية وخواطرها على هذه الطريقة قد يشتط فى بعض قوله ، ولكنه شطط محدود ولا يهدم فضيلة المذهب، كما أن النهمة أو التخمة لا تنفى على فضيلة الأكل والطعام. وتفرعت طائفة لم تراع أن تجديد المعانى والأخيلة ينبغى ألا يتعدى المعانى والأخيلة التى يقرها ويفهمها العقل البشرى سواء أكان مصرياً أو إنجليزياً أو صينياً . أما الأخيلة البعيدة وأوجه الشبه القصية والضئيلة والتى لا قيمة لها ليست من أوجه التشبيه فى الشعر الراق الذى يعد من الطراز الأول فى أى مكان. وتفرعت طائفة ترى أن انقطاع الصلة بين الرموز والأمور التى يرمز إليها بالرموز، وتدخل صور الرموز بعضها فى بعض، مما يروق بعض القراء لأنه يروع نفوسهم ، ونسوا أن طمس معالم الصور إذا راق فترة لجاعة ليس من وسائل الشعر الخالد الذى يروق العقل البشرى العالمى فى كل زمان ومكان . وتفرعت طائفة تريد أن تحكيم الوعى الباطنى (أو العقل الباطن) بدل تحكيم ملكات العقل الظاهر المألوف ، ورأوا أن هذه وسيلة للغوص إلى أعماق النفس ونسوا أن الغوص فى أعماق النفس يقتضى يقظة الوعيين والعقلين الظاهر والباطن واتفاقهما وإلا كان ما يقوله القائل بالوعى الباطن وحده لا قيمة له

إن أدباء المذهب القديم عندما يتحدثون عن نهضة التجديد يغفلون أسبابها والضرورة الاجتماعية التى دعت إليها، وأنها فى أولها كانت نزعة رجعية أو شبه رجعية ، وأن الأدب الأوروبى درس ليشدأزر هذه النزعة الرجعية المقبولة ، وأن الطوائف المتطرفة التى تفرعت من النهضة لا تمثل النهضة كلها ، وأن النهضة لا يحكم عليها إلا بأحسن مظاهرها ، وأن أدباء المذهب القديم هم أيضاً قد تأثروا هذه المبادئ الرجعية الحميدة التى تحث عليها نهضة التجديد

(قارىء)

ليوم الإسراء : يوم فلسطين

الثورة الفلسطينية

ثروة ضخمة للنفس العربية

للأستاذ عبد المنعم خلاف

يا صديق دمائهم لنا ! عقوق ما بعده عقوق أن نقدّم لكم كِفاءها من المداد الأسود !

وأنا أعلم أنكم فى شغل بجمع أشلائكم وآرابكم المبعثرة فى الطرقات والجبال والمدن ، عن جمع هذه الحروف والألفاظ من الصحف ؛ وفى شغل بدوى الرصاص عن هذه الأصوات من بنى عمومتكم الذين يكتفون فى جهادهم لكم بانشادها وتزويقها وتزويرها أمام عيونهم العمياء وأسماعهم الصماء ... فلست أسوقها لكم فأهين قضيتكم وعزائمكم التى تقول لنا : الآن فات أوان الكلام وقصائد التشجيع والاطراء ... وإنما أسوق هذه الكلمة لأنبه القوالين هنا وفى كل مكان عربى إلى أن من العيب الفاضح والقصور الفاحش أن نصر على ألا ندفع فى مقابل هذه الثروة النفسية الضخمة التى قدمها أهل فلسطين للعالم الاسلامى والعربى إلا الألفاظ العاجزة الذليلة ، وأن نتاهى بادارة أحاديث شقائهم ، ونقنع لهم بدعاء العجائز ...

إننا نحصل كل صباح ومساء من ثائرى فلسطين — والكل فيها ثائر — على مقتنيات من معانى التضحية والايمان والبسالة ، ما حصلنا عليها من كتاب ولا تاريخ ولا مشهد من مشاهد الدنيا ولا حركة من ثورات الأمم

لقد اشترى الله منهم نفوسهم ثم وزعها على أمثالنا من فقراء النفوس ! فى كل نفس مسلمة وعربية الآن قطعة من نفوس مجاهدى فلسطين ، وزعها الله القوى بيده ليعطينا خمائر الايمان به وبالحق إيمان المجاهد لا إيمان الضعيف المستضعف . ولعل وراء هذه المحنة إرادة خفية للقدر فى إيقاظ نفوس العرب والمسلمين وتوجيههم إلى الطريق ... ولعلها رسالة جديدة من فلسطين أرض الرسالات والنبوات ...

فالله — له العزة — يقترض من الأغنياء للفقراء ، والغنى والفقر على سواء فى الأموال والأنفس ... فلنفهم هذا

ولقد تضخمت الثروة النفسية للعرب والمسلمين من هذا القرض الذى يعقده الله لنا من الشهداء والمجاهدين . وقد كنا نعيش فى فقر مدقع من الأمجاد والمفاخر منذ عهد صلاح الدين ، حتى أتى هؤلاء وجادوا علينا بأقصى غاية الجود فأصبحنا فى غنى كبير

إن الله وحده هو الذى استطاع أن يشترى هذه النفوس الشابة من أسواق الحياة الناعمة وأن يرفعها على أعين المسلمين شهيدة كما ترفع الراية أمام الجيش المهزوم فتجمع فلوله ، وتذكره بشرفه وترده إلى فكرة وطنه وأهله وذرياته ومصالحه

لقد أعطى الفلسطينيون أممهم الاسلامية والعربية قطعة من الزمن الخالد الذي يقف فى مكانه من ذاكرة التاريخ جديداً عجيباً دائماً ! مع الأيام الخالدات التى مضى الدهر وتركها للناس لأنها الساعات الفاصلة فى وجود نوعهم على وجه الأرض ... فهم يحتفظون بها فى يقظة واعتزاز ويسلمونها كذلك إلى الذريات والأنسال

ولقد كتبوا بدمائهم وآلامهم براهين جديدة على صدق مولانا محمد ، وأنه لن يزال مستطيعاً بحفنة من أبنائه أن يفعل فى الدنيا الجديدة ما فعله فى الدنيا القديمة بحفنة « بدر » !

* * *

أتقرأون أيها القراء أخبار ثورة فلسطين كما تقرأون بقية الحروف السوداء فى الصحف ؟

إنى أقسم أنى أراها حمراء نارية ، صارخة ، مطاردة ، متربصة ، لها وجوه وأجسام تسعى على الصحف كما تسعى وتحيا معانيها ومدلولاتها فى الجبال والوديان والكهوف والمدن والقرى !!

إنها أول ما أبادر إلى قراءته كل يوم قبل الوضوء والصلاة لأغسل قلبى بالدم الكريم الذى يفيض من حروفها على نفسى .. ولأتلوها صلاة قبل الصلاة المكتوبة التى أقف فيها بعدئذ بنفس تشعر أنها ذليلة طريدة لم تدخل إلى الله كما دخل هؤلاء المجاهدون ، وتشعر أنها فى آخر الصفوف حين تكتفى فى خدمة الله والحق والمجد بتزويق الحروف !

وقد أصبحت حريصاً على أن أدخل إلى نفسى فى صباحها

ومساثها أخبار هـذه الزلزلة والتحطيم ومصارعة عوامل قوة الضعف لعوامل ضعف القوة ، لأرى كيف تترك النفوس المؤمنة الشريفة حياة اللذة والرفاهة وتعيش فى الجبال مشردة كالصقور والنسور . ولا ريب أن هـذا يفتح أعيننا اللاهية على آفاق فى الحياة رؤيتها ألذ من اللذة بألوان النعيم المعهود

وقد أصبحت أكرر دائماً هذه الجملة :

لا بد من جنون أيها العقلاء !

وهى جملة أوحاها إلى قلبي مصرع الشهيدين عز الدين القسام وفرحان السعدى : الشيخين اللذين فتحا باب الثورة فى فلسطين بتدبير جنونى فى رأى من يستعبدهم واقع الحياة ، وليس لهم إلهام العقيدة الذى يمتد بالملهمين إلى ما وراء عالم الأعين والحواس ...

ولكن هـذا التدبير أنتج صميم العقل والمنطق لأنه دفع بالقضية الفلسطينية إلى الموقف الفاصل بعد أن سئم المحتون الجدل مع « الثعلب » و « الأسد » فى الحق الذي ينادى على نفسه وأصحابه ...

وسواء انتهى النضـال فى فلسطين بفوز العرب أم بفوز أعدائهم لا قدر الله، فانهم أعذروا وأقاموا الحجة وشفوا نفوسهم ونفوس العرب وخلوا أنفسهم من تبعات التقصير ، والتبعة الكبرى بعد ذلك على بقية العرب والمسلمين

وآفتنا فى قضايانا الوطنية هى هؤلاء العقلاء الناطقة الذين لا يعرفون الفرص التى يجب على الانسان فيها أن يجن ! وأول درجات جنونه ألا يفكر فى نفسه ، وأن يذهل عنها . وحين ينحرف لهذا عقله وطبعه يفعل الأعاجيب ، ويحصل بالجنون من الحياة التى لم تنصفه العقول فيها على كل ما يطلب ...

انظر إلى المنطق الذى يقعد المسلمين عن الموقف الحاسم فى المشكلة الفلسطينية : إنه يتمثل فى هؤلاء الأفراد الذين لا يدينون إلا بالفردية ويسخرون من الأشخاص السائرين وراء كلمة الشرف أو « الوطنية » أو « العقيدة » وهؤلاء مقيدون بواقع منافعهم وخصوصياتهم ولذاتهم وحاجات نفوسهم وأجسامهم ، وليس عليهم وراء ذلك مسئوليات وتبعات

وهؤلاء هم الذين يقعدون دائماً بأممهم عن الوثبات والقفزات لأنهم غلف القلوب عمى العيون عاجزو الأقدام

فلو فكر الفلسطينيون «بالعقل الوضعى» و «الواقع العملي» فى قوة انجلترا وغنى الصهيونيين ، مقارنين ذلك بضعفهم وفقرهم أ كانوا أقدموا على عمل شيء من هـذه المعجزات التى يقومون بها الآن ؟

لقـد انطلقوا من كل قيد وصاروا قوة تفكر بالرؤوس والأرجل والأيدى كما توحى الساعة وتلهم الظروف وتحتم الحياة. صاروا قوة من قوى الطبيعة الغاضبة كالأعاصير والزلازل والبراكين

***

أولى بساستنا وجماهيرنا أن يشعروا حلفاءنا الانجليز فى موقف حاسم تتجمع فيه كل الارادات بما فى طويتنا من أننا لا يمكن أن نسلم بأن تخرج فلسطين من أيدينا .

والواقع أن هذا هو ما سيكون . ولكن ترددنا وتفرقنا وعدم إظهار مكنون صدورنا في الوقت المناسب هو الذى أطمع اليهود وأوهم الانجليز أننا سنخدر بالتدريج ونخدع عن مصير فلسطين .

وأؤكد أن الفلسطينيين والمسلمين لو أبدوا من ابتداء ظهور القضية الصهيونية ما يبدونه الآن من الثورة العملية فى فلسطين والثورة النفسية المنذرة بالشر فى كل بقاع العرب والمسلمين . . ما سارت فلسطين إلى مطمع لليهود . ولـكن ترددنا وانقسامنا وعدم النظر البعيـد إلى المستقبل هو الذى أطمعهم فى أن يكون لهم حق فيها وأن يصير هذا الحق مكتسبا بتوالي الهجرة .

***

يا أهـل فلسطين المعذبين ! وحق العـزة والشرف لأنتم أسعد المسلمين الآن ، وأغناهم وأكثرهم أمنا !

أسعدهم ، لأنكم تركتم نحس الذلة وكآبة العبودية ، وتحررتم من كل شهوة دنيئة إلى الحياة الحقيرة المحدودة التى يرومها لكم المتآمرون عليكم

وأغناهم ؛ لأنكم ملكتم دنياكم وظروفها إذ ملكتم أنفسكم الرحبة العظيمة وصرفتم مقدرات وطنكم بها ولم تبيعوا منها شيئا بشيء من أوساخ الدنيا وأثمان الناس .. بل جعلتموها وقفا

محبوساً لله يأخذ منها ويوزع على المسلمين الفقراء إلى النفوس ..

وأكثرهم أمناً؛ لأنكم ليس لكم ما تخافون عليه من الموت بعد أن صار الفداء مشتهى أحدكم. ومتى صارت المنايا أماني فالأموال والثمرات والأولاد تسقط من موازين التقدير وحساب الموجود والمعدوم. والنفس تنطلق كما ينطلق الاعصار لا يبالي أن يقع بجسمه على مطرح لين رخو كماء البحر، أو على مطرح قاس كوجه الصخر! إنه قوة مسلطة جائحة، قيل لها من إرادة الحياة العليا: كوني طائعة في يدي ... ثم هي ثائرة جارفة كما أريد فكانت ...

فالنفس الثائرة لحق الله وحق الحياة، آمنة غاية الأمن ولو طبخت بالنار ... ولو زلزلت من تحتها الأرض ... ولو وقع عليها سقف الدنيا!

***

أيها المسلم!

أيها العربي!

إدفع ثمن ما تأخذ من أهل فلسطين كل يوم من المعاني الكريمة التي تخلقك خلقاً آخر ... إدفعه للأرامل والأيتام والعجزة المنكوبين في سبيلك وفي سبيل مقدساتك

إدفعه لنفسك إذا كنت ذا نفس!

وإذا كنت أثيراً أنانياً لا تفهم هذا الكلام فافهم وتعلم أن تطفئ النار التي في بيت جارك قبل أن تمتد إلى دارك

«القاهرة» عبد المنعم خلاف

البحث عن غـــد

للكاتب الانكليزي روم لاندو

للأستاذ علي حيدر الركابي

— ٤ —

الفجر في سورية

حديث الدكتور الكيالي

إن وزير المعارف والعدلية الدكتور الكيالي رجل قصير القامة ذو شكل عادي لا يوجد في كلامه أو مظهره ما يميزه عن غيره. ولما زرته لأول مرة في مكتبه في (السراي) وجدته شديد التحفظ والخجل، ولكنه فيما بعد بينما كنا نتناول طعام الغداء معاً شعر باهتمامي الزائد فخرج من تحفظه وحدثني حديثاً شائقاً أرضاني أكثر من أي حديث آخر في زيارتي سورية. وقد تبين لي من حديثه أن اهتمامه بروح الأشياء أعظم من اهتمامه بالأشياء نفسها. قال:

«إنه لا خوف على الناحية الفكرية من التعليم في سورية. فالسوريون أذكياء، وقد هضم شبابنا القسم العلمي من منهجهم الدراسي بسرعة، إلا أننا نجد صعوبة في إيجاد واسطة تعبر تعبيراً صحيحاً عن الدافع الروحي وراء ميولهم. ولاشك أن هذا لا يتحقق إلا بإدخال الروح الديني الصحيح على المعارف العامة [1]»

وتوقف الدكتور الكيالي لحظة كأنه يتساءل عما إذا كنت قد صدمت بعبارة كهذه يتفوه بها رجل تربى تربية علمية، ولكنه لما رأى أمارات الموافقة على وجهي استرسل في حديثه وقد زاد حرارة عن ذي قبل. قال:

«ماهو الدين؟ وهل هو عبارة عن دخول المساجد أو إطاعة قوانين الكنائس؟ قد يكون الدين الذي من هذا النوع ضرورياً لغير المتعلمين الذين لا يعرفون ما يمكن جنيه من نتاج الأفكار والعلوم الحديثة. إلا أن هناك نوعاً آخر أبعد نظراً من هذا، ألا

(١) يسرنا أن يصدر مثل هذا القول عن رجل في مركز معالي الدكتور ولا شك أنه سيقرن القول بالعمل عما قريب

(المترجم)

وهو السمى الروحانى وراء شىء أسمى من المادة . والرغبة فى هذا السمى موجودة فى كل واحد منا وإن خنقها التعليم المغلوط وجود القواعد الدينية المقررة عند الطوائف المختلفة . ويمكن تحقيق هذه الرغبة عمليًا بواسطة تقوية العقيدة الدينية . إن من واجب الدولة أن تنبه هذه الرغبة فى شبابها وأن تفسح لهم المجال للتعبير عنها، إذ بدونها لا تبقى ثمة فائدة للدين أو العلم

« وفى نفس الوقت لا يمكن لوزارة المعارف أن تلعب دور المنافس للمؤسسات الدينية مع أن هذه المؤسسات لا تقوم دائمًا بما هو مترتب عليها ، وأ كثر رجالها يشكون من ضعف الشعور الدينى ضعفاً يزداد يوماً عن يوم بينما تتوالى الطلبات على المراجع المختصة فى الوزارة من الآباء الذين يرغبون فى تعميم التعليم الدينى

« وكيف يمكن إجابة طلبات كهذه ؟ إن الأولاد الذين شبوا فى محيط تشتد فيه محافظة الآباء على الناحية الشكلية من الدين يجب ألا يخرج تعليمهم الدينى عن القواعد المألوفة والمعروفة، فى حين أن الذين قد خرجوا على القواعد التقليدية بتأثير الأفكار الغربية يجب أن يهذبوا تهذيباً دينياً يوجه شعورهم الدينى نحو تقوية العقيدة ويكون بعيداً عن الاختلافات المذهبية [1]

«إن الأثرة صفة بارزة فى شبابنا، ونحن فى أشد الحاجة إلى تبديلها بصفة أسمى ترمى إلى حملهم على التفكير فى المجموع، وإن كان تحقيق هذا الهدف أمراً عسيراً . يجب أن نشجع التعاون القائم على إنكار الذات : ومعنى ذلك أننا فى الصناعة السورية مثلاً يجب أن نفضل جهود الجماعات وشركات التعاون على الجهود الفرديه التى تنحصر غايتها فى نفع الذات

« إن أمام جميع الأقطار العربية هدفاً واحداً فى التعليم يجب عليها السعى لتحقيقه ، ألا وهو تنبيه الشعور الاجتماعى فى الصغار وتلقينهم معنى الخدمة العامة أو — باختصار — السعى لاظهار أحسن ما فيهم من صفات كامنة »

(١) الدولة تختار الخطة التى تعتقد فيها الصلاح للمجموع وتطبقها بدون أن تلتفت إلى الميول الخاصة وإلا عمت الفوضى واقتسمت الأمة بافكارها وعقائدها كما هو واقع الآن (المترجم)

كان وزير المعارف ، بين من قابلت فى سورية، الرجل الوحيد الذى يتكلم بما يمليه عليه صوت قناعته الوجدانية، ذلك الصوت الذى لم أسمعه منذ أيامي الأخيرة فى القاهرة، ومنذ تحدثت إلى الملك ابن السعود . وهو نفسه الصوت الذي يحطم الحواجز التى كثيراً ما حالت دون تفاهم العقلين الشرقي والغربى تفاهماً صحيحاً

رأى البطريرك

لم يكن كره الأساليب التقليدية للدين محصوراً فى طبقة معينة من السوريين بل هو كره عام لمسته فى كل مكان ، وقد قال لى البطريرك [1] نفسه إن الطبقات الفقيرة إنما تعتبر الدين واسطة اقتصادية . وقد أخذ أفراد هذه الطبقات في اتباع الكنيسة التى تقدم لهم أ كبر مساعدة مالية بصورة مباشرة أو بشكل صدقة . وقد اعترف لى بأن كل الكنائس فى سورية قد بدأت تشعر بوطأة ضعف الشعور الدينى

حديث فخرى البارودى

إن المعروف عن فخرى البارودى أن الجماهير تحبه حباً لا يشاركه فيه غيره من رجال السياسة فى سورية، وهو نائب دمشق وزعيم الشباب السورى . وقد طلب منى أن أزوره ذات صباح فى « مكتب فخرى البارودى [2] » المشهور . ولما فعلت استقبلنى عند الباب عدد من الشبان ألقوا على بعض الأسئلة، ثم قادونى إلى باحة داخلية نفذنا منها إلى غرفة كبيرة فارغة نصبت فى إحدى زواياها منصة صغيرة جلس فوقها فخرى البارودى وراء مكتب صغير يستقبل الزائرين الذين كانوا يساقون إليه الواحد بعد الآخر ، فاذا اقترب منه أحدهم مال إلى أذنه وهمس بعض الكلمات بحيث لم يستغرق حديث الشخص الواحد أ كثر من دقيقة . إن هذه الحالة حملتنى على الظن بأن هناك مؤامرة تحاك لا نائباً يستمع إلى مطالب ناخبيه

ولحظت خارج الغرفة بعض الشبان وهم يرتدون الخوذ والقمصان الرمادية اللون ويرفعون الأيدى بالسلام الفاشستى، وكلهم

(١) بطريرك الروم الأرثوذكس (المترجم)

(٢) وهو اليوم « المكتب العربى القومى للدعاية والنشر » (المترجم)

متلهف لتلقى أوامر القائد، فتنبهت إلى أن هذا المكتب هو فى نفس الوقت مركز أول هيئة عسكرية لتنظيم الشباب فى سورية وهى فرق القمصان الحديدية .

لم أجد فى مظهر فخرى البارودى ما يبرر نفوذه السياسى وتعلق الشباب به، فهو رجل نحيف قصير القامة قد تجاوز الخمسين من العمر ، وهو فى شكله وحركاته وسكناته يمثل سكان الشرق الأدنى أحسن تمثيل . شعره خفيف وغير مرتب، وهو ذو حيوية عصبية هائلة تجعله يقفز من هنا إلى هناك بسرعة واستمرار . ولكنى مع ذلك لم أشك قط فى إخلاصه الملتهب الذى لمسته فيه أثناء الحديث فرفعه فى نظرى وجعله ذا شخصية جذابة بعد أن كنت أميل إلى الظن بأنه لا يختلف عن أى سياسى عادى كثير الكلام والحركة .

ولما انقطع حبل الزائرين أخذنى إلى غرفته الخاصة فى الطابق العلوى حيث سألته :

— « وكيف حظيت بهذه المكانة فى القلوب ؟ وهل توصلت إليها عن طريق الخطابة ؟ »

فدهش فى أول الأمر ثم التفت إلى ثلاثة من الشبان وقفوا بين يديه ينتظرون أوامره وسألهم :

« الخطابة ؟ وهل أنا خطيب ؟ وهل بذلت جهوداً خاصة لاكتساب قلوب الشباب ؟ »

فهز الثلاثة رؤوسهم ثم ضحكوا ...

ومع ذلك فقد أكد لى كل من حدثته فى دمشق أن خطبه قد ساهمت مع إخلاصه ورفعته إلى المكانة التى يحتلها . إنه يعرف كيف يستعمل لغة الجمهور الذى كثيراً ما دخل السرور إلى قلبه وضحك ملء شدقيه لتورية خبيثة أتى بها أو فكاهة تفوه بها ، وعلى هذا فان بعض الناس يميل إلى اعتبار فخرى البارودى « أفكوهة قومية » لأنه فى نظرهم غير جدى ، مع أن هناك براهين عديدة على أن إخلاص الخطيب ومحبة الجمهور له لأبلغ أثراً من المواهب الأخرى التى لها صلة بالعقل والأخلاق

وسألته :

« وما هو فى نظرك الواجب الأول للشباب السورى ؟ »

فأجاب :

« أن يحصلوا العلم الذى يجعلهم مساوين لشباب أى شعب أوربى . ومع ذلك فلا تكفى المعرفة والعلم وحدهما : يجب أن نربيهم تربية قومية وسياسية لا يحتاجها شباب بريطانيا وفرنسا وغيرها من الدول التى لها كيان قوى وقد نالت استقلالها منذ أمد بعيد . أما نحن فاننا مازلنا نسعى إلى تحقيق استقلالنا القومى التام، ولهذا فان فكرة القومية هى أسمى أهدافنا، فلا فائدة لنا من وجود الأطباء والمهندسين الاخصائيين إذا لم يكن الشعور الوطنى قوياً عندهم

« إن مثل شبابنا الأعلى — وهو المثل الأعلى لكل السوريين — هو الوحدة العربية . وأول خطوة لتحقيقها الاتحاد مع لبنان ، ثم مع باقى الأقطار العربية الواحدة بعد الأخرى . وستدخل مصر نفسها فى هذه الوحدة آجلا أو عاجلا . قد نحتاج لتحقيق الوحدة إلى عشرين سنة أو خمسين ولكنها لا محالة واقعة فى النهاية »

« يتبع » علی حیدر الركابي

غزل العقاد

للأستاذ سيد قطب

(بقية المقال الثامن عشر)

والآن نستعرض حالة دامية وجيبة، عميقة الألم والفجيعة، يزيدها جرحا وإيلاماً ما يبدو به قائلها من تماسك وتجلد وتجمل.

إنه « يوم الظنون » : يوم يقف الانسان تتجاذبه الدوافع والانفعالات، ويتقاذفه الاقدام والاحجام، وتتراءى له المسارب والطرقات، وهو لا يدرى أيها أولى بالاتباع، بل هو لا يملك أن يدرى، لأنه مسلوب اللب والارادة

فاذا وضعت إلى جانب هذه الصورة شخصية العقاد الجبارة، أمكن أن تدرك مدى الألم العاصف، ومبلغ الفاجعة القاصمة :

يومَ الظنون صدعتُ فيك تجلدى ... وحمات فيك الضيم ، مغلول اليد

وبكيت كالطفل الذليل أنا الذي ... مالان في صعب الحوادث مِقودى

وغصصت بالماء الذى أعددته ... للرى فى قفر الحياة المجهد

لاقيت أهوال الشدائد كلها ... حتى طغت فلقيت مالم أعهد

نارَ الجحيم إلىَّ غـير ذميمة

وخذى إليك مصارعى فى مرقدى

حيران أنظر فى السماء وفى الثرى

وأذوق طعم الموت غير مُصرَّد (١)

أروَى وأظمأ : عذبُ ما أنا شارب

فى حالتىَّ نقيعُ سم الأسود (٢)

وأجيل فى الليل البهيم خواطرى ... لا شارق فيه ولا من مسعد

وتعيدُ لى الذكرات سالف صبوتى

شـوهاء كاشرة كما لم أشهد

مسخت شمائلها وبُدِّل سمتها ... وبدت بوسم فى السعير مخلد

ياصبوة الأمس التى سعدت بها ... روحى، وليت شقيها لم يسعد

وعرفت منها وجه أصبح ناضر ... ورشفت منها ثغر ألمس أغيد

سوِّمحتِ بل جوزيتِ كيف وعيت لى

بالأمس فيك ضراوة الذئب الصدى ؟

سومحت بل جوزيت كيف طويت لى

زرق الأسنة فى الاهاب الأملد

أمسيت حربى فى الظلام وطالما ... جلَّيت لى وجه الظلام المربد

ورجمت أهرب من لقاك وطالما

ألفيت عندك فى الشدائد مقصدى

ما كان من شيء يزيد تنعمى ... إلا يزيد اليوم فيك تلددى

أواه من أمسى ومن يومى معاً ... والويل من طول التردد فى غدى

أهب الخلود كرامة لبشرى ... أن ليس يومى فى العذاب بسرمد

وأبيع حظى فى الحياة بساعة ... أنسى بها عمرى كأن لم أولد

وأسوم مرعى العيش غير مزبد ... وأرود روض الحسن غير مقيد

يا للهول ! لكلما قرأت هذه القطعة سرت رعدة فى مفاصلى، وقشعريرة فى كيانى، وأحسست أمامى بانسان يعتصر نفسه قطرة قطرة فى ألم مبرح كظيم. وهو مع هذا يقظ متنبه لكل وخزة لا ينسى أن صبوة الأمس كانت تخفى فى طياتها ضراوة الذئب الصدى، وأنها كانت تفعمه متعة، لتفعمه بعد ذلك ألماً منشؤه هذه المتعة ذاتها لا سواها

وفى يقينى أن هذا أفجع موقف مر بالشاعر، وقد لقى أياماً كثيرة من أيام الظنون، ولكنها ليست من هذا النوع المسموم؛ وما كان ليستطيع بعده أن يقارفه، وما كان قلبه ليصلح أن يوغل فى الحب هذا الايغال، وأن يأخذه بهذا الجد الصارم الذى يجعل الشك فيه دامياً تنضح منه النفس قطرات

وقد عاد إلى الحديث عن هذه « الظنون » فى قطعة « الحب المريب » من الوزن والقافية والشعور ! فكشف عن حالة نفسية فريدة، صور فيها كيف يحيل الشك متعة اللقاء إلى جحيم لا يعد له جحيم الفقدان، وكيف يقيم الحواجز والأبعاد بين أقرب قريبين فى الوجود :

إنى لنى ألمى بقربك كالذى ... يحنو على ولد مريب المولد

أبدا يغص بقربه وبعبده ... ما بين عطف أب وجفوة مبعد

وأراك طوع يدى وألبث حائرا ... بين المحاذر منك والتودد

أرضى وأغضب، لا الرضاء ببالغ ... أمن اليقين ولا الغضاب بمهتد

وأظل أسخر من رضاى وغبطتى

وأظل أسخر من عذابى الأنكد

وأشد من برح اللقاء بلية ... تأبى الشقاء عليك غير مفند (١)

ياهذه الدنيا أيندم باذل ... يعطى القنوط ندامة المتردد ؟

جودى على بشقوة لم ترجى ... فيها على ندم إذا لم تسعدى !

ونستعير هنا من حديث العقاد عن « همام » فى « سارة » ما نستعين به على شرح هذه الحالة التى صورها فى نفس صاحبه أبدع تصوير :

---

(١) صرد الرجل سقاه دون الرى (٢) الثعبان

(١) غير ملوم عليه

« كانت شكوكا مريرة لا تفسل مرارتها كل أنهار الأرض، وكل حلاوات الحياة . كانت كأنها جدران سجن مظلم ينطبق رويدا رويدا ؛ ولا يزال ينطبق وينطبق ، حتى لا متنفس ولا مهرب ولا قرار ؛ وكثيرا ما ينتزع ذلك السجن المظلم طبيعة الهرة اللئيمة ، في مداعبة الفريسة قبل التهامها ؛ فينفرج وينفرج وينفرج، حتى يتسع اتساع الفضاء بين الأرض والسماء، ثم ينطبق دفعة واحدة ، حتى لا يمتد فيه طول ولا عرض ، ولا مكان للتحول والانحراف : بطل المكان فلا مكان ولا أمل في المكان ، ووجب البقاء حيث أنت في ذلك الضيق والظلام ، فلا انتقال ولا رجاء في الانتقال .

« وكان صاحبنا كالمشدود بين حبلين يجذبه كلاهما جذبا عنيفاً بمقدار واحد وقوة واحدة ، فلا إلى اليمين ولا إلى اليسار ، ولا إلى البراءة ولا إلى الاتهام ... بل يتساوى جانب البراءة وجانب الاتهام ، فلا تنهض الحجة هنا حتى تنهض الحجة هناك ، ولا تبطل التهمة في هذا الجانب حتى تبطل التبرئة من ذلك الجانب ؛ وهكذا إلى غير نهاية ، وإلى غير راحة ولا استقرار »

***

حتى إذا انتهى من الظن إلى « اليقين » كان يقيناً قاتلا دامياً كالظنون ! . وهي كذلك حالة فريدة من الحالات النفسية التي تجيش بها نفس العقاد الخاصة :

مضى الشك مذموماً وما كان ماضيا
فليتك عمى عن يقينك راضيا
وجل عن التصديق أنك هاجر
وأنك مهجور وأن لا تلاقيا
فلله ماذا حل بالقلب فارعوى
وآمنت بالحق الذي كنت آبيا
وأمسيت تدري أن للود غاية
وأن زمانا سوف يلقاك خاليا

وعشت ترى حبا كحبك ينقضي ... وما خلته إلا يد الدهر باقيا
مضى غير مردود كأنك لم تكن ... بعينيك ترعاه وبالنفس فاديا
ألا لا تذكرني بصدق ودِدته ... على جنبات الغيب ما زال خافيا
ألا لا تذكرني يقيناً شريته ... بأنفس ما يغلو به الشك شاريا
لكذّبتُ صدق الهجر لو أن موطناً
من الشك يوماً لم أتب منه خاويا
سل الصبح كم ماريتهُ كلما بدا ... ولم يبد فيه ذلك الوجه حاليا
سل الليل كم جانبتُه كلما سجا ... ولم أرتقب فيه الحبيب الموافيا
سل النيل كم أنكرته كلما جرى ... ولم ألق فيه ذلك الحسن جاريا
سل الدار كم ناشدتها القرب راجيا
وأرهفت في أنحائها السمع صاغيا
ويخدعني ما اعتدت من طول قربه
فأحسبه عندي وقد بات نائيا
يريب فمي صمتي لياليَ لا أرى ... على خده منه نجيا مناغيا
وتنكرني كفي ليالي لا ترى ... على خصره منها نطاقا مدانيا
وتطلبه مني جفون تعودت ... على البعد أن تلقاه في الحي آتيا
ويسألنيه كل يوم وليلة ... فؤاد يراه حيثما كان رائيا
وأين ؟ ولو أني قدرتُ لما غدا ... به القلب ملتاعاً ولا الجفن شاكيا
وكيف بنسيان الأليف الذي به ... تذكره الدنيا إذا راح ناسيا
تفقده في كل شيء فما انثنى ... فآمن بعد اليأس بالبين عانيا
سل الروض مطلولا . سل القفر صاديا
سل النجم لماعا . سل البدر ساريا
فإنك تدري كيف صدقت باسما ... إذا بت تدري كيف كذبت باكيا
وأنك لا تخشى ردى الموت بعض ما
خشيت ردى الحق الذي لاح هاديا

وهكذا سار إلى اليقين ، بعد ما طرق كل باب من أبواب الشك ، فعاد منه خاويا ، ولم يصر إليه مع هذا في سهولة ويسر ، ولكنه أنكر الدنيا ومعالمها ، وأنكرته نفسه وجوارحه . ولولا إرادة من حديد ، ما ثاب إلى هذا اليقين الأليم .

***

علام تدل هذه الصور النفسية الفريدة ؟

إنها دليل الثروة في الأحاسيس ، والانفساح في الشعور ، ومظهر الحياة النفسية المهيأة للتأثر ، القابلة للصوغ والانشاء .

وهذا وذلك من ميزات المدرسة الحديثة ، التي تخلص للحياة والاحساس بها ، لا للأوراق وما حفظته منها

وفي ماضي الأدب العربي كله وحاضره كذلك ، لا تجد نظيرا لهذه الصور النفسية ، مع شيوع الأحاسيس التي تستدعيها في كل حب قديم أو حديث

إنما هي النفس المهيأة ، والطبيعة الخصبة ، لا الحادثة التي تخلق القول أو الاحساس

« حلوان » سيد قطب

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ - ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ٣٩ —

« أشكر للأديب الفاضل - عبد القادر جنيدي بحمص — رأيه فى هذه الفصول التى أكتبها من تاريخ المرحوم الرافعى ؛ كما أشكر لغيره من الأصدقاء الكرام الذين رأوا فى هذه الفصول ما يحملهم على الحديث عنها فى صحف مصر والأقطار العربية ناقدين أو معجبين أو معقبين ...

« على أن اعتراض صديقنا الأديب (جنيدى) على السبب الذى نسبنا إليه مقالات « الانتحار » لا يغير شيئاً من حقيقة ما كتبت ؛ فان سببها هو الذى ذكرت فيما سبق ؛ أما الرسالة التى يقول الأديب الفاضل إنها وردت إلى المرحوم الرافعى من حمص وأشار إليها فى الاستطراد المنشور بذيل كلمته المنشور فى العدد ٩٥ فقد جاءته اتفاقاً فى الوقت الذى كان يتهيأ فيه لكتابة مقالات الانتحار لسبب سابق ، وأحسب الرافعى قد حرص على الاشارة إلى هذه الرسالة فى ذيل كلامه ليصرف ظن بعض القراء عن صديقنا الاستاذ (م) الذى كان نبأ شروعه فى الانتحار بين الذيوع والكتمان ، حتى لا يؤذيه فى وقت هو مسئول فيه أن يخفف عنه ، إذ كانت نزوة يحرص على كتمان خبرها . وما تزال رسالة الرافعى إلى صديقه (م) محفوظة لديه كذلك ، وعلى هامش هذا الجواب إشارات بقلم الرافعى إلى جمل وعبارات من هذا الجواب نقلها الرافعى بنصها فى الجزء الرابع من مقالات الانتحار ؛ وكان الاستاذ (م) قد اشترط على الرافعى حين كتب إليه جوابه أن يرده إليه بعد أن يقرأه لأن فيه بعض سره ، فوفى له الرافعى بما شرط ، فاجتمعت — بذلك — الرسالة وجوابها عند الاستاذ (م) عافاه الله وفسح له ! » (م . سعيد)

المشكلة[1]

استملى الرافعى موضوع « المشكلة » من رسائل قرائه إليه وصاحب هذه المشكلة هو صديقنا الأستاذ كامل ... وهى كانت أول صلته بالمرحوم الرافعى ولم يكن لقيه من قبل ؛ ولقد كانت قبل أن يكتب إليه مشكلة اثنين : هو وهى ؛ فصارت من بعد مشكلتهما ومشكلة الرافعى معهما إذ لم يجد لها حلا . ولقد شغلته هذه المشكلة زمناً غير قصير ، ثم انفصل بموضوعها عن كتب حين انفصلت أسبابها بصاحبها وصاحبته . وقد كتب الرافعى ما كتب فى هذا الموضوع ، ثم مضى وخلف دنياه وما تزال هذه المشكلة قائمة تنشد من يحل عقدتها ...

كان ذلك فى الخريف من سنة ١٩٣٥ حتى جمعتنى ظروف العمل بصديقى الأستاذ كامل فى إحدى مدارس القاهرة ؛ ولم يمض على تعارفنا أيام حتى استودعنى كل السر ...

... فقد أمه وهو غلام ، فلم يلبث غير قليل حتى حلت غيرها محلها فى بيت أبيه . وكان أكبر ثلاثة إخوة ، فاقتضاه حق أخويه عليه أن يستشعر معانى الرجولة وما يزال فى باكر الشباب. ورأى أبوه أن عليه شيئاً لهذا الرجل الصغير فسمّى عليه بنت خاله قبل أن يدرك ؛ ورأت تقاليد الريف الذى نشأ فيه أن عليها دوراً فى هذه القصة فحجبت الفتاة عن خطيبها ولما تبلغ التاسعة وأغلقت دونهما الباب ... ومضت سنوات وسنوات وسنوات وهو لا يراها ولا تراه ، وفرغ من حسابها بينه وبين نفسه ، ثم نسى ما كان وما ينبغى أن يكون ؛ وكان يبغضها بغض الطفل والطفلة ، فلما باعدت بينهما السنون انقطعت بينهما أسباب الكره والمحبة فلا يذكرها ولا يذكر شيئاً من خبرها ...

وانتهى الفتى إلى مدرسته العالية وابتعد عن أعين الحراس والرقباء فى القرية ، فمضى على وجهه فى القاهرة العظيمة يلتمس لذات الشباب ...

وكان له فكر وفلسفة ، وفيه خلق ودين ومروءة ، وبين جنبيه قلب يحس ويشعر ويتأمل ؛ وعلى أنه كان يهيئ نفسه ليكون من أساتذة (العلوم) فانه كان ولوعاً بالأدب مشغوفاً بمطالعاته ، فكان له من ذلك روح وعاطفة ورقة ؛ وكان فى دمه ثورة وغليان ، وكان فى عقله مثال يريد أن يحققه ، وكان فى رأسه شعر يحتاج إلى بيان ؛ وكان له من كل أولئك قلب يتحفز لوثبة من وثبات الشباب فى قصة حب ؛ ثم لم يلبث أن اشتبك فى اللحمة ...

وأحبها وأحبته فما كان له من دنياه إلا الساعة التى يلتقيان فيها، وما كان لها ..

(١) وحى القلم ج ١ ص ٣٥٨ — ٣٩١

وأجمع أمره على أن يتزوجها لينعما بالحب ويحققا المثل الذى ينشدانه من زمان ؛ وكان قد مضى على الباب المغلق بينه وبين الفتاة المسماة عليه بضع عشرة سنة .. فما يذكرها ولا يفكر فيها ..

وكان ناعما بحلم حين ترامى الخبر إلى أبيه بما أجمع أمره عليه ، فما وجد أبوه وسيلة إلا بتعجيل زفافه إلى بنت خاله وفاء بوعد مضى فى ذمة التاريخ ... !

غضب الفتى واحتج وثارت كبرياؤه ورجولته أن ينزل على رأى أبيه فى شأن هو من خاصة شئونه ؛ ولكن الكثرة من أعمامه وأخواله قد أرغمته على إرادته ، وساقته فى عماية إلى دار خاله ليزف على عروسه ثم يصحبها فى السيارة من ليلته مرغما إلى بيته في القاهرة ... وابتدأت المشكلة ...

... هذه الفتاة هى بنت خاله ، وهى زوجه أمام الله والناس ، ولكنه لا يحبها ؛ ولكنه لا يطيق أن ينظر إليها ؛ ولكن فتاة أخرى تنتظر ؛ وإن عليه واجبا تحتمه عليه رجولته ...

وما أطاق أن يمنحها نظرة أو يبادلها كلمة على طول الطريق حتى بلغت السيارة بهما الدار فى القاهرة ... كانت إلى جانبه ولكنه هناك ، عند صاحبته التى فتنته واستولت عليه ؛ فما نظر إلى وجه زوجه لأول مرة منذ بضع عشرة سنة إلا حين همت أن تنزل من السيارة لتدخل داره ...

وكان حريا أن تثوب إليه نفسه حين نظر إليها فيعود إلى الحقيقة التى كتب عليه القدر أن يعيش فيها ، ولكنه لم يفعل ، وما رأى زوجته حينئذ إلا سجانه الذى يحرمه أن يستمتع بالحرية التى وهبها له الله يوم وهب له الحياة ، وثارت فى نفسه البغضاء من يومئذ لهذه المسكينة ... !

وعاشت فى بيته بضعة أشهر كما يعيش الضيف : لا يقاسمها الفراش ، ولا يؤاكلها على المائدة ، ولا يؤنسها من وحشتها بكلمة ... فما تراه ولا يراها إلا فى الصباح حين يخرج إلى عمله، وفى المساء حين يعود إلى داره قبيل منتصف الليل ، وما كان بينهما من صلة تجمعهما إلا البغضاء التى تؤج فى صدره، والحسرة التى تتسايل دموعا من عينيها ، وإلا هذه الخادم التى تقوم لسيدها بشئونه وتقوم لها ...

ولم يفتر صاحبنا عن لقاء صاحبته والاختلاف إلى ملتقاها ؛ على أن ذلك لم يزده إلا ولوعا بحبيبته وتبرما بزوجته ... ومضت الأيام تباعد من ناحية لتقرب من ناحية ، حتى جاء اليوم الذى وجد صاحبنا فيه أنه غير قادر على احتمال هذه الحياة أكثر مما احتمل ... فمضى يدبر أمرا للخلاص من هذه المشكلة ، ولكن المشكلة زادت تعقيدا على الأيام ولم يجد وسيلة إلى الحل ... !

كان كل طريق يفكر فيه للخلاص محفوفا بأشواك ؛ فلا هو يرضى أن يطلق زوجه ، ولا هو يطيق أن يهجر حبيبته ، وليس فى استطاعته أن يجمع على نفسه همين ؛ وكان تفكيره فى ذلك هما ثالثا يضنيه وينهك أعصابه ويمرق عظامه !

وكتب إلى الرافعى يستفتيه فى مشكلته ...

كنت مع كامل حين كتب قصته إلى الرافعى ؛ وفى مساء اليوم التالى كنت فى مجلس الرافعى بطنطا وبين يديه قصة صاحب المشكلة لم يفض غلافها بعد ...

وقرأ الرافعى الرسالة ثم دفعها إليّ وهو يقول :

« ماذا ترى حلَّ هذه المشكلة ؟ »

قلت : « لقد جهدت جهدي قبل اليوم فما أفلحت ! »

قال : « أو تعرف صاحب المشكلة إذن ... ؟ »

قلت : « نعم ، وما كتب إليك هذه الرسالة إلا برأيى »

وأطرق الرافعى هنيهة يفكر وفمه إلى الكركرة (الشيشة) كما هى عادته حين يستغرقه الفكر ، ثم رفع رأسه إلى قائلا :

« تعرف؟ إن صاحبك لمفتون بصاحبته إلى درجة الحمق والسفه ، وما تنحل هذه المشكلة إلا أن يكون له مع نفسه إرادة صارمة ، وأن يكون له سلطان على هواه ، وهيهات أن يكون له ! فما هنا إلا وسيلة واحدة ترده إلى رشاده فتنحل المشكلة ... »

قلت : « فما هذه الوسيلة ؟ »

قال : « أن تدخل بينه وبين صاحبته دخول الشيطان فتفرق بينهما ... أتراك تستطيع ؟ »

فضحكت وقلت : « ثم ماذا ؟ »

قال : « فاذا بدا له من سيئاتها ما ينكر ، وإذا بدا لها ... انتهى ما بينهما إلى القطيعة فيعود إلى زوجه نادماً ، وإن مرور الأيام لخليق أن يؤلف بينهما من بعد ! »

قلت : « فهمت ، ولكن ماذا ترانى أقول حتى أبلغ من

نفسه ومن نفسها ما تريد ؟ وهبنى عرفتُ أن أقول له فمن أين لى أن أستطيع لقاءها فأتحدث إليها ؟ »

قال : « اسمع : أتراها تقرأ ؟ »

قلت : « إننى لأعرف مما حدثنى عنها أنها قارئة أديبة ، وأنها من قراء الرسالة ، وقد كان فيما أهدى إليها كتاب «أوراق الورد» وأحسبها تنتظر ما تكتب فى هذه الشكلة ؛ فقد حدثها صاحبها أنه كتب إليك ...»

قال : « حسن ! فسأجرب أن أكون شيطاناً بينهما ، بل ملَكا يحاول أن يرد الزوج الآبق إلى زوجته بوسيلة شيطانية ..!»

* * *

وكتب ارافعى المفالة الأولى من مقالات الشكلة ، وكان مدار القول فيها أن ينتقص صاحبَ الشكلة ويعيبه وينسب إليه ما ليس فيه مما ينزل بقدره عند صاحبته ، ثم نشر أجزاء من رسائله إليه ودس فيها ما دس مما يوهمها أن صاحبها هو كاتبه ؛ وإن فيه لما يعيبها ويثلبها ويضعها بإزاء صاحبها موضعاً لا ترضاه . فلما فرغ مما أراد جمل حديثه إلى القراء يسألهم أن يشاركوه فى الرأي ويحكموا حكمهم على الفتى وفتاته بعد ما جهد فى تصويرهما الصورة التى أراد أن يكون عليها الحكم فى محكمة الرأى العام ، وترك الباب مفتوحاً لترى صاحبة الشكلة رأيها فى القضية فيمن يري من القراء ...

ولقيت صاحب الشكلة من الغد ، فسألنى : « هل رأيت الرافعى ؟ »

قلت : « نعم ! »

قال : « ورسالتى إليه ! »

قلت : « بلغته ! »

قال : « وما ذا يرى ؟ »

قلت : « ستقرأ رأيه فى الرسالة بعد أيام ! »

وأخفيت عنه ما كان بينى وبين الرافعى من حديث وما دبّر من خطة ... ونشرت المقالة الأولى من « الشكلة » ، ومضى يوم ، وجاء صاحبي غاضباً يقول : « كيف صنع الرافعى هذا ؟ » لقد تحامل من القول ما لم أقل . أتراني قلت عنها كما يزعم : لقد خالطتني بنفسها حتى لو شئت أن أصل إليها فى حرام وصلت ...! لقد ساءها ما تحامل الرافعى من الكلام ، وقد تركتها الليلة غاضبة لا سبيل إلى رضاها ...! »

وتحقق للرافعى بعض ما أراد ، وانثالت عليه رسائل القراء يرون رأيهم فى هذه الشكلة ، وجاء فيما جاء من الرسائل ، رسالة من صاحبة الشكلة نفسها ...

وفعل برسالة صاحبة الشكلة ما فعل برسالة صاحبها ، ولكنه تلقاها تلقياً حسنا ، ومضى يتحدث عنها حديثا ليس فيه من رأيها ولا مما تقصد إليه ، ولكنه إيحاء ، إيحاء إلى الفتاة بأنها فى مرتبة أعلى ، وأن ما بها ليس حبا وإن زعمت لنفسها هذا الرأى ؛ ولكنه شيء يشبه أن يكون صورة عقلية لخيال بعيد تظنه من صور الحب وما هو به ... ثم مضى يفسح لها الطريق للفرار من هذه الشكلة بالإيحاء والإغراء والحيلة ...

وكانت المقالات الثلاث الأخيرة تعليقا على آراء القراء وسخرية ونصيحة .

وفرغ الرافعى من مقالات الشكلة فما هو إلا أن تلاشى الصدى حتى عاد فلان وعادت فلانة ، وما تزال الشكلة تطلب من يحلها . ومضت ثلاث سنين وفى الأتون ثلاثة قلوب تحترق ... وعلى مقربة من النار صبى يحبو ينادى أباه ، وأبوه فى غفلة الهوى والشباب . أترى إلى هذه الشكلة وقد دخل فيها عضو جديد قد أوشكت أن تبلغ نهايتها ، فيكون حلُّها على يدى هذا الصغير وقد عجز الكبار عن حلها بعد مجاهدة سنوات ثلاث ، أم هو قلب رابع سينضم إلى القلوب المحترقة فى أتون الشهوات ...!

ومعذرة إلى صديقى الأستاذ كامل ... !

« شبرا » محمد سعيد العريان

حول تيسير القواعد العربية

للآنسة أمينة شاكر فهمي

سيدي الأستاذ صاحب « الرسالة » :

تحية وسلاماً . أما بعد فلقد تتبعت بشغف واهتمام مقالات الأستاذ الفاضل « أزهري » عن تيسير قواعد الاعراب إلى أن تم بحثه من عملية التيسير والتغيير ، فدهشت جداً لما جاء في مقاله الأخير من تطبيق ؛ وما كنت أظن أن موجة التبديل والتحوير تطغو يوماً على اللغة وتمسخها بهذا الشكل الذي ينكره كل مخلص للعربية . فمهما فشت عملية التمدين والتقليد فلا ينبغي أن تمس اللغة التي هي فوق كل المشكلات الاجتماعية والحزبية والملية أيضاً . إن لدينا مشاكل عدة أحوج إلى الاصلاح والتيسير من لغتنا المقدسة

نعم إننا نعيش في عصر السرعة التي وفدت إلينا من أمريكا، ولكن غريب أن تطغى السرعة على قواعد اللغة والاعراب فتختصره بهذه الصورة المدهشة التي يقدمها الأستاذ أزهري في بحثه الأخير . فقد اختصر الاعراب وحذف منه حتى كدت لا أتعرفه ، وخيل إلى أنني أقرأ لغة أجنبية

غريب أن يتأثر الأزهريون بحياة السرعة الأجنبية فيستعملوها حتى في اللغة وهم حماتها من كل اعتداء . وإني أرجو سيدي الفاضل صاحب (الرسالة) أن يأذن لي بنشر ملحوظتي هذي ربما كان بها شيء من الصحة

لست أدري سبباً لكل هذه الضجة الهائلة على قواعد الاعراب واللغة ومحاولة تيسيرها، وليست اللغة بحاجة إلى تيسير ، وإنما التيسير لازم للأسلوب الذي تلقن به اللغة للنشء والكيفية التي تقدم بها إلى التلاميذ . فلا داعي لأن تقوم جماعة الأدب الرسمي بابدال وتغيير وتحوير وحذف هو أقرب إلى التعقيد منه إلى التيسير ، فتضيع معاني الجمل، ويستحيل على التلميذ تفهمها إلا إذا حفظها حفظاً . والاعراب لا يحفظ ، بل هو تحليل معنوي للجمل والكلمات . وكأن اللغة لم يكفها ما نالها من جماعة الأدب الرسمي حتى جاءت الآنسة ابنة الشاطئ تملأ صفحات الأهرام بدفاع عن كل ما تجريه الجامعة من تغيير في اللغة سواء أكان ذلك حقاً أم باطلا . وفي رأيي أن الفلاح وقضيته أحوج إلى دفاع الآنسة الفاضلة من اللغة

وأخيراً جاء الأستاذ الفاضل « أزهري » يبحث في تيسير قواعد الاعراب ويتحفنا بدراسات تكاد تكون قيمة لو لم يناقض نفسه بنفسه ويزيد في تعقيد الاعراب ، ثم يأتي بتطبيق غريب لا يتفق وقواعد اللغة . فكيف نعلم التلميذ إعراباً مخالفاً لما حفظناه من قواعد ؟ وهل نغير كل قواعد اللغة كي تطابق الاعراب الحديث ؟

يقول الأستاذ في مقاله الرابع : « إن الحرف لا حظ له من الاعراب أصلا » . ثم يعرب (في ، ومن ، والباء) بأنها حروف جر مجزومة بالسكون أو مجرورة بالكسرة . ولفظة مجرور ومجزوم لا تستعمل إلا للألفاظ المعربة . والحروف كلها مبنية ، فكيف نعلم التلميذ أن الحروف كلها مبنية ثم نقول له إن (في) حرف ولكنه حرف مجزوم ؟ ! ثم ما هي العوامل التي جزمت أو جرت (في ، ومن ، والباء ؟) هل سبقت بحرف جر أو جزم ؟ أم كان موقعها في الجملة دافعاً لجرها وجزمها ، مع العلم أن حروف الجر لا محل لها من الاعراب ؟!

فكيف يتيسر للطالب فهم هذه التناقضات ؟ وما المانع من أن نلقنه إعراباً مطابقاً لما جاء في كتب القواعد — من أن الحروف كلها مبنية ، وأن (في) حرف جر مبني على السكون — كي تطابق القاعدة على الاعراب ؟ وإلا وجب أن نغير القاعدة فنقول إن الحروف معربة وإنها تجزم وتجر وتنصب وترفع حسب موقعها في الجملة وما يتقدمها من عوامل ؟! وفي هذا من الشذوذ والاضطراب ما لا حد له

يقول حضرة الأستاذ في التطبيق الأول :

ألا إن قلبي لدى الظاعنين حزين فمن ذا يعزى الحزينا ؟

(قلبي) مبتدأ منصوب . وباب المرفوع في كتاب النحو يثبت أن المرفوع من الأسماء المبتدا والخبر واسم كان وخبر

إن ... الخ . فكيف يفهم الناشيء وقد حفّظناه أن المبتدأ دائماً مرفوع — ثم نعلمه إعراب مبتدأ منصوب ؟ فمتى يكون المبتدأ منصوباً ومتى يكون مرفوعاً ؟ وهل نترك التلميذ المسكين يتخبط فى هذه الظلمات أم نخترع له قاعدة جديدة تفهمه الحالات التي يكون المبتدأ فيها مرفوعاً أو منصوباً، وربما يكون مجروراً أيضاً؟ ثم نحذف القاعدة العتيقة التى تنص على أن المبتدأ يجب دائماً أن يكون مرفوعاً ونستبدل بها قاعدة (مودرن) . وما الدافع يا ترى —وقد غرسنا فى أذهان الطلبة أن إن وأخواتها تنصب الاسم— أن نحذف هذه القاعدة . فبدل أن نعلمهم إعراب (قلبي) إسم إن منصوب لأن القاعدة تنص على أن اسم إن وأخواتها دائماً منصوب — إذ بنا نقول إنه مبتدأ منصوب وقد حفظ التلميذ أن لفظة (مبتدأ) لا يليها إلا كلمة (مرفوع) ولفظة (إسم إن) لا يليها إلا كلمة (منصوب) ؟ !

ويسمح لى سيدى الأستاذ الفاضل أن أقول إنه أسرف فى اختصار الاعراب إلى درجة التشويه والتعقيد . فان هذا الاختصار لا ييسر الاعراب بل يزيد فى اضطراب التلميذ وتعقيد المعنى عليه. فى اختصار إعراب «إن» وحذف ذكر عملها ينسى التلميذ أن الاسم الذى يليها يجب أن يكون منصوباً . ولا بد أن يستفيد التلميذ من تكرار ذكر هذه القواعد أثناء الاعراب فترسخ فى ذهنه . وفى الاعادة إفادة .

ثم ما رأى الأستاذ فى الضمائر ؟ هل من رأيه أن نحذف لفظة « ضمير » من اللغة ؟ فما باله يختصر إعراب الياء فى (قلبي)؟ فهل يرهق التلميذ أن يقول ياء المتكلم ضمير متصل — لأن فى اللغة ضمائر منفصلة — مبنى على السكون — لأن كل الضمائر مبنية — فى محل ... فيطبق ما حفظ من قواعد على الاعراب .

أما (الظاعنين) فيجب على التلميذ أن يذكر أن علامة الجر هى الياء لأنه جمع مذكر سالم، إذ من الضروري تعليل كل حركة كى يطبق القاعدة على الاعراب وتثبت فى ذهنه . أما إن اقتصر على أن (الظاعنين) مجرور بالياء فربما استغلق عليه المعنى وظن أن كل ياء علامة جر . وليس بمستبعد أن يظن أن ياء (غَنِىّ) علامة جر . وأذكر مرة إعراب تلميذ كلمة (لسان) إذ قال اللام حرف جر وسان مجرور باللام !

ويترك الأستاذ النون معلقة فى الهواء . فكيف تنتظر أن يعرف التلميذ شيئاً عنها ؟ ثم نشكو اللغة وصعوبتها ونعيب ما بها من تعقيد .

وأخشى أن تضيق صفحات الرسالة عن التحدث عن باقي التطبيق . وأكتفى بذكر فعل (ساد) فى التطبيق الثانى للأستاذ « أزهرى » إذ يقول إنه فعل ماض منصوب . والفعل الماضى دائماً مبنى ولفظة منصوب لا تطلق إلا على المعرب من الأفعال وغيرها . فما هو الضرر من القول إنه فعل ماض مبنى على الفتح ؟

فان كان قصد حضرات علماء اللغة من تيسير القواعد والاعراب هو اختصار الاعراب فاني أري هذا الاختصار تزيد فى ارتباك التلميذ . وأؤكد هذا بعد تجارب عدة تمت بها فى تدريس القواعد والاعراب سنين عدة . ولقد نجحت فى تدريس القواعد والاعراب بالتطويل وتعليل وتحليل كل حركة وكل شاذة عن القاعدة . وكانت حصة القواعد أقرب إلى حصة إثبات وتعليل وبحث وتطبيق منها إلى حصة دروس نحوية جافة .

إن ضعف الطلبة فى اللغة العربية لم ينتج عن عيب فى اللغة أو تعقيدها، بل ليسمح لى حضرات علماء اللغة أن أصرح أنه ناتج عن فساد طريقة التعليم، وأن مدرسى اللغة أحق بالعناية والتيسير من اللغة . ولله در من قال :

نعيب زماننا والعيب فينا ...

وإنني واثقة أنه لو وجه حضرات المشتغلين بالتيسير اهتمامهم إلى مدرسى اللغة في كل المدارس وحاولوا أن تكون طريقة إلقاء الدروس النحوية والتطبيق على أسلوب التحليل والتعليل بسهولة وسلاسة لزال كل ما يشكو منه الطلبة من صعوبات وسلمت اللغة من خطل عملية التيسير .

وخير لنا ألا نستعمل السرعة الامريكية فى تغيير قواعد اللغة والاعراب ، فان هذا عمل أخطر من أن يتم فى هذه المدة الوجيزة وبهذه السرعة .

فنحن مسئولون أمام العالم الشرقى كله عن كل حرف يحذف أو يضاف إلى اللغة ، وعن كل تغيير فى كتب القواعد التى ثبتت أجيالاً مضت ولم تثبت بعد خطأها ولم نأت بأحسن منها .

أمينه شاكر فهمى

تاريخ الحيـــاة العلمية

فى جامع النجف الأشرف

للأستاذ ضياء الدين الدخيلي

(تابع)

وتدل الآثار أنه كان فى عهد عضد الدولة حول القبر الشريف العلوى مدرسة اسلامية فيها الفقهاء والقراء يتعاهدها بخيراته ذلك الملك العمرانى المحب للعلم وأهله(١)

فنى فرحة الغرى عن يحيى بن عليان الخازن بالقبر الكريم أنه وجد بخط ابن البرسى المجاور بمشهد الغرى على ظهر كتاب بخطه : قال توجه عضد الدولة عام ٣٧١ هـ إلى المشهد الشريف الغروى وزار الحرم المقدس فكان مما فرقه ألف درهم على الناحة (الذين ينوحون على الحسين) وثلاثة آلاف درهم على الفقراء والفقهاء . وروى ابن مسكويه فى تجارب الأمم (ص ٤٠٧ ج ٦) وابن الأثير (ص ٢٣٤ ج ٨) أنه فى عام ٣٦٩ أطلق عضد الدولة الصلات لأهل الشرف والمقيمين بالغرى وغيرهم من ذوى الفاقة وأدرت لهم الأقوات

***

وفى أثناء عهد عمارة عضد الدولة حصل حادث مهم فى تاريخ جامع النجف الأشرف كان له الأثر الفعال فى تمركز التدريس فيه ، فقد هاجر إلى الغرب العلامة شيخ الطائفة محمد أبو جعفر الطوسى فأقام نهضة علمية كبرى ونظم الحركة الفكرية وقواها ورفع منار الثقافة الاسلامية فأم النجف الأشرف من سائر أقطار الشيعة جمع غفير ليرتشفوا أفاويق العلم، وقد صارت فى ذلك اليوم مركزاً مهماً من مراكز العلوم الاسلامية الكبرى وأنشئت فيها المدارس الكثيرة والمكتبات من قبل سلاطين الشيعة ووزرائهم وأهل الثروة والعلماء أنفسهم



الجانب القبلي من جامع النجف الأشرف

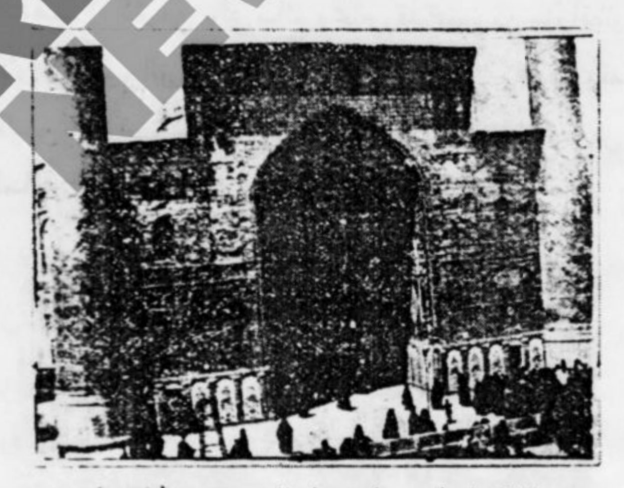
قدم الطوسى عام ٤٠٨ فدرس على الشيخ المفيد ببغداد مدة حياته وبعد موته على السيد المرتضى صاحب الأمالى، وكان السيد يجري عليه شهرياً اثنى عشر ديناراً كما يجري على تلامذته كل سنة. ولقد عظمت منزلته أخيراً وأصبحت له مكانة علمية أقبلت عليه بطلاب العلم. حدث فى (روضات الجنات) ورجال المامقانى أن فضلاء تلاميذه الذين كانوا من المجتهدين يزيدون على ثلاثمائة فاضل من الشيعة، أما من أهل السنة فما لا يحصى، وأن الخلفاء العباسيين فى بغداد أعطوه كرسى الكلام ، وكان ذلك لمن كان وحيداً فى ذلك العصر . وكانوا مبالغين فى تعظيم العلماء لا فرق لديهم بين المذاهب الاسلامية، ولكن الوشايات أخذت تدب حول هذا العلم حتى اضطرته أخيراً أن يغادر الزوراء ويشد الرحال إلى جوار ابن عم الرسول وهناك يقيم دعائم مدرسته. حكى القاضى في مجالسه عن ابن كثير الشامى أن الطوسى كان فقيه الشيعة مشتغلا بالافادة فى بغداد إلى أن وقعت الفتنة بين الشيعة والسنة (وهذه الفتن الداخلية هى التى خضدت شوكة الاسلام حتى انهار مجده) سنة ٤٤٨ هـ واحترقت كتبه وداره فى باب الكرخ فانتقل من بغداد إلى النجف وبقى هناك إلى أن توفى سنة ٤٦٠ هـ . وأضاف فى الروضات احتراق كرسيه الذى كان يجلس عليه للكلام . وحكى (١) جماعة أنه وشى بالشيخ إلى الخليفة العباسى فاستدعاه ؛ غير أن الطوسى استطاع أن يزيل ما علق بخاطره فرفع شأنه وانتقم من الساعى وأهانه . وقال ابن الأثير (ج ٩ ص

(١) قال السيوطى فى بغية الوعاة: كان عضد الدولة بن بويه أحد العلماء بالعربية والأدب له مشاركة فى عدة فنون وله فى العربية أبحاث حسنة؛ وكان كامل العقل غزير الفضل حسن السياسة شديد الهيبة بعيد الهمة ذا رأى ثاقب، تولى ملك فارس ثم ملك الموصل وبلاد الجزيرة ودانت له العباد والبلاد. وهو أول من خطب له على المنابر بعد الخليفة وأول من لقب في الاسلام شاهنشاه وله صنف أبو على الأيضاح والتكملة ، وهو الذى أظهر قبر على ابن أبى طالب وبنى عليه المشهد مات . عام ٣٧٢ بعلة الصرع

(١) الروضات ولؤلؤة البحرين ومجالس القاضى ورجال المامقانى

٢٢٢) وفى سنة ٤٤٩ نهبت دار أبى جعفر الطوسى بالكرخ وهو فقيه الامامية وأخذ مافيها وكان قد فارقها إلى المشهد الغروى . هاجر الشيخ الطوسي إلى النجف الأشرف وسكنها وبقى يدرس اثنتى عشرة سنة ، وألف كتباً قيمة فى التشريع الاسلامى لم تزل مراجع؛ للعلماء فنها (تهذيب الأحكام) و(كتاب الاستبصار فيما اختلف من الأخبار) و (المبسوط) و (الفهرست) و (ما يعلل ومالا يعلل) و (المجالس) الخ. ثم بقى تلامذته بعدوفاته عند مرقد الامام واستمر التدريس والمهاجرة إلى المعهد العلمى النجفى حتى ظهر فى الحلة المحقق الأول صاحب شرائع الاسلام (المتوفى عام ٦٧٦) فاتجه رواد العلم إليه وقامت حركة فكرية قوية فيها فيما بعد، من أقطابها تلميذه العلامة الحلى صاحب المؤلفات القيمة الكثيرة فى الفقه وأصوله والكلام وغير ذلك وفى أثناء ازدهار الحركة العلمية فى الحلة لم تضمحل فى جاراتها النجف، فهذا الشيخ الرضى يفرغ من تأليف كتابه الشهير فى النحو عام ٦٨٣ ه فى الغرب ، والرضى كما قال السيوطى فى بغية الوعاة (ص ٢٤) هو الامام المشهور صاحب شرح الكافية لابن الحاجب الذى لم يؤلف عليها بل ولا فى غالب كتب النحو مثله جمعاً وتحقيقاً وحسن تعليل. وقد أكب الناس عليه وتداولوه واعتمده شيوخ هذا العصر فن قبلهم فى مصنفاتهم ودروسهم ، وله فيه أبحاث كثيرة مع النحاة واختيارات جمة ومذاهب، ينفرد بها وله أيضاً شرح الشافية فى الصرف . قال فى (الروضات) توطن الشيخ الرضى بأرض النجف الأشرف وصنف شرحه المشهور على الكافية أيضاً فى تلك البقعة المباركة ، وذكر فى خطبته أن كل ماوجد فيه من شىء لطيف وتحقيق شريف فهو من بركات تلك الحضرة المقدسة، توفى عام ٦٨٦ انتهى. وقد نقل لى بعض الفضلاء أن الرضى ألف شرحه فى مكتبة الامام (ع) التى فى الصحن الشريف وأنها كانت مكتبة عظيمة وحتى الآن لا تزال بقاياها تحوى نفائس الكتب ، من جملتها قرآن بالخط الكوفى كتب عليه أنه بخط أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع)، ومن ضمنها كتب علمية وأدبية نادرة قديمة الخطوط جداً، ويوجد فيها شرح الدريدية لابن خالويه بخطه؛ ولكن لا ينتفع اليوم بنفائس هذا الكنز لأنه مقبور بالاهمال؛ وكان على مديرية الأوقاف العراقية أن تعهد بهذه المكتبة إلى رجل ضليع لينظمها ويعرضها لاستفادة رواد العلم وإلا فان تبعثرها وضياعها واضمحلالها أقرب النتائج المترقبة

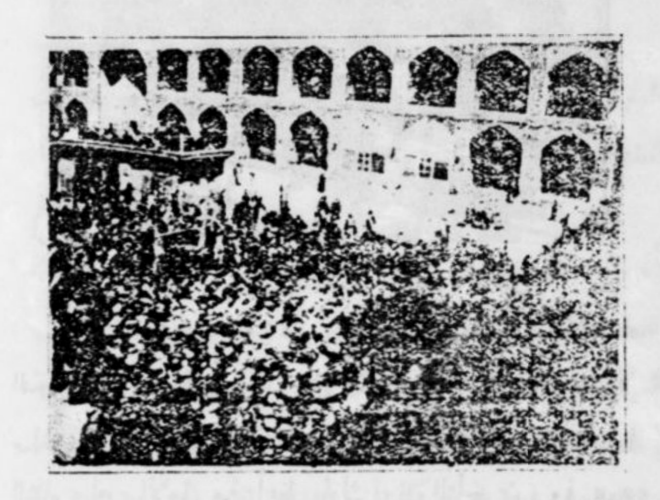
وقد احترقت هذه المكتبة عام ٧٥٥ ه وجددها جماعة من العلماء منهم ابن الآوى الذى كان صدراً للحكومة الايلخانية وفخر المحققين ابن العلامة الحلى (كما أخبرني الأستاذ السماوى)



(الايوان الذهبي وفى وسطه المدخل للحرم الداخلى)

جدد تعمير بناية القبر عام ٧٦٠ ه بعد احتراق عمارة عضد الدولة بعمارة رابعة ذكرها مؤلفو القرن الثامن الهجرى مجهولا صاحبها يظن أنه من رجال الحكومة الايلخانية ، وقد أصلحها الشاه عباس الأول من أعظم ملوك إيران المتأخرين ، وفى عهد هذه العمارة قويت الهجرة إلى جامع النجف الأشرف فى عهد المقدس الأردبيلى (المتوفى عام ٩٩٦ ه) وكان عالماً فاضلا مدققاً جليل القدر له عدة مؤلفات منها آيات الأحكام قد فسرها فيه وأرجع إليها قضايا الفقه، وله شرح الهبات التجريد وتعليقات على شرح المختصر للعضدى وشرح لارشاد الأذهان فى الفقه . وقد تولى الدرس فى مدرسة الصحن الشريف، وكانت له حجرة فيه، هاجر إليه طلبة العلم وتخرج على يده جماعة من النوابغ منهم العلامة السيد محمد العاملى صاحب المدارك فى الفقه وشرح القصائد العلويات السبع لابن أبي الحديد فى مدح الأمير (ع) وشرح الشواهد المدرجة فى شرح بدر الدين لألفية أبيه ابن مالك وهو كتاب جليل مفعم بالفوائد غزير المادة الأدبية . وممن درس على الأردبيلى صاحب المعالم أحد الكتب المقرر تدريسها فى جامع النجف الأشرف . ولنعد إلى بناية القبر الفخمة فانها تضعضعت وحصلت صدوع فى القبة المنورة بمرور العصور وتعاقب الأعوام، وأراد الشاه صفى حفيد الشاه عباس الأول توسعة ساحة الصحن الضيقة فأمر بهدم بعض جوانبه وشيدت هذه العمارة الضخمة الباقية إلى اليوم وفى هذه العمارة كانت القبة الكريمة والايوان والمئذنتان مبنية بالحجر القاشانى إلى عهد ملك إيران نادر شاه

أما هذا فقد نذر إذا فتح الهند أن يذهب قبر الامام (ع). وكذلك لقد أمر عام ١١٥٥ ﻫ بقلع الحجر القاشاني عن القبة المقدسة والمأذنتين والايوان وتذهيبها، وبذل أموالا عظيمة فقام بالتذهيب أكثر من مائتي صائغ ونحاس قد جمعهم من سائر أقطار الأرض وفيهم الصيني والهندي والتركي والفارسي والعربي وقد طليت كل آجرة بمثقالين من الذهب الخالص على ما ذكر بعض الصاغة الذين تولوا إصلاح القبة أخيراً



الجانب الشمالي من جامع النجف الأشرف وفيه مظاهرة إسلامية

وقد وضع في خزانة القبر الشريف تحفا جسيمة مما استلبه من ذخائر ملوك الهند، هذا فضلا عما أهدى إليها غيره من الملوك والأمراء المسلمين، ففيها من المجوهرات والنفائس مالا يثمن، وإن الأحجار الكريمة لا تعد ولا تحصى. أما القناديل الذهبية المرصعة والسجاد الفاخر الموشى بالذهب والستائر المنتظمة فيها الجواهر، الأمور التي تمز على — الملوك فهي أعلاق ونفائس تبهر العقول ولا يصدق اجتماعها في أعظم الكنوز

وإن بداعة الفن في البناية تبهر الأنظار وتخلب الأفكار زخرفها وطلاؤها. وقد قال رحالة مصري: (وقبة القبر ومئذنتاه تكسى بالذهب الخالص في بريق خاطف. جزت الباب إلى الفناء السماوي المربع تطل عليه الحجرات المتجاورة ثم دخلت باب الضريح، وأنى لقلمي الكليل أن يصف إبداعه من نقوش وتطعيم بالذهب والفضة وزخرف بالبلور والزجاج والقيشاني ما فاق فيه جميع المساجد الأخرى) وإن هذه الحجرات كانت مساكن لطلبة العلم قبل أن تشاد المدارس المديدة

وعسانا نعود لدراسة النواحي الأخرى المهمة من جامع النجف الأشرف وحياته العلمية والأدبية

«العراق — النجف الأشرف» ضياء الدين الدخيلي

بين اللغة والأدب والتاريخ

الفالوذج

للأستاذ محمد شوقي أمين

— ٢ —

صلاحية معجزة نبي. أخلاطه. شهرة النشا به. زعفرته. زبدته اللوزية. لونه. أكان يؤكل حاراً. وصفه بالترجرج. رقة جوانبه. أكان يؤتدم به.

وكما تمنى ذلك العربي، في ظرف وتملُّح، أن تكون صفة الفالوذج آية من الآي، وتنزيلا في التنزيل، بل موضع سجدة، ومحراب ضراعة؛ إغلاء بالوصف، وإعلاء لكلمة الموصوف: ترَجّى أخ له من بعد أن يكون الفالوذج معجزة نبوة، وبرهان رسالة، فانه في حساب هذا العربي العفكه، لجدير أن تهفو إليه القلوب، وتجتمع عليه الارادات؛ وما هي إلا أن يؤمن الناس بمن يجيء بالفالوذج من عند الله: دليل إيحاء، ومظهر إعجاز... فقد ذكر أبو هلال[1] أن أعرابيًّا سئل عن رأيه في الفالوذج، فقال: والله لو أن موسى أتى فرعون بفالوذج لآمن به، ولكنه أتاه بعصاه!

— ٣ —

وأخلاط هذه الحلواء: لباب البر، ورضاب النحل، وخالص السمن[2] وكان يضاف إلى هذه الأخلاط: النشا. ولعله لباب البر نفسه قال الأصمعي: النشا: شيء يعمل به الفالوذ[3]، فانظر: كيف يذكر النشا بالفالوذج، وكيف صارت نسبته إليه تعريفاً به؟ وإنما جاء ذلك من بعدصيت الفالوذج، وذيوع صفته، ولن يُعرَّف شيء بآخر، حتى يكون الآخر أوسع شهرة، وأندى صوتاً...

وكان الزعفران كذلك من أدوات الفالوذج، فقد وصف رجل طعاماً أكله عند بعض الناس، فقال:[4] أتانا بأرُزَّة ملبونة، في الطبرزد مدفونة، وفالوذجة مزعفرة مسمونة. ولا أوقن:

(١) ديوان المعاني (الاول — ٢٩٨)
(٢) عيون الاخبار (الثالث — ٢٠٣)
(٣) المخصص (الخامس — ٢١)
(٤) خاص الخاص (٤٤)

أ كان يجعل فيه أم كان يصبغ به ؟ فان الكلام يحتمل أن تكون الزعفرة فيه التلوين ، إلا أنه بجعل الزعفران فيه أولى ، وبسياق الجملة أشكل . ففي الجملة : اللبونة وهي التي فيها اللبن ، والسمونة وهي التي فيها السمن . وقد يكون الزعفران في الفالوذج عملان معاً ، فهو مادة فيه ، وهو صبغة له وطيب

ومما يؤيد أن الفالوذج كان يصبغ بالزعفران ، وأن هذه الصبغة كانت من علامات التجوُّد فيه ، وحسن الصنعة له ؛ ما يؤثر من أن الكراريسي[1] دعا أبا الحسن بن طباطبا ، وقرب إليه مائدة ، فخرج أبو الحسن ينظم قصيدة يذم فيها ما قدم له الكراريسي من ألوان الطعام ، ويسمي كل واحد منها باسم يعيبه به ، ويَزْري عليه ؛ وكان مما أنكر من تلك الألوان الفالوذجة ، لأنها كانت قليلة الزعفران والحلاوة ؛ فسماها : صابونية ، وبيتها في القصيدة :

وجام صابونية بعـــدها فاخر بها إذ كانت الخاتمه

فلما بلغ الكراريسي شعر أبي الحسن ، وعلم أنه في معشر يتندرون أكله ، ويتنقلون بذمه ، حلف لا يُدخل أبا الحسن ولا أحداً من أصحابه داره ، ولا يحضرهم طعامه !

وقد اتخذت للفالوذج فوق ذلك زينة مجلوبة ، تمدُّ منظره بالبهاء والرونق ، وتزيد في طعمه اللذاذة والسواغ ، وهي : اللوز المقشور . فكان ينضد أنصافاً في جوانبه كاللؤلؤ ، أو ينثر كالنوّار . فلما تواصف الأدباء هذه الحلواء المعجبة ، تناولوا زينتها بالتشبيه الجميل . فقد نسب الحصريّ إلى أهل عصره جملة منثورة في وصفه هي : « كأن اللوز فيه كواكب در في سماء عقيق[2] »

ولون الفالوذج كما يدل عليه ظاهر الصفة فيما سبق من النوادر : الحمرة ، إذ كان العقيق أحمر تشبه به الأشياء في الاحمرار ؛ غير أنه قيل لأعرابي : أتعرف الفالوذج ؟ قال : نعم أصفر رعديد[3] ! ومفاد قولة الأعرابي الصفرة ، على أنه قد يكون المراد منها : لون الورس والزعفران[4] فانه قيل فيهما : الأصفران . والورس : نبت يضرب من الاحمرار إلى الاصفرار[1] ورعْياً لهذا يسوغ لنا أن نقول : إن لون الفالوذج هو ما يكون بين الحمرة والصفرة ضارباً إلى هذه وإلى تلك ؛ فهو اللون الورسي الزعفراني المقارب للعقيق ، المشبه إياه في التوهج والبريق !

ولهذا شبهوا الفالوذج فيما وصفوه ، بالشمس وهي متضيفة للغروب ، حائلة اللون ، بين الصفرة والحمرة ؛ وقد ذكر الثعالبي[2] أبياتاً لأبي الحسن المشوق الشامي يصف جام فالوذج ، منها :

فقد اغتدت في جامها وكأنها شمس على بدر أوان المغرب
وتخال فيها اللوز وهو منصف أنصاف درّ فوق صحن مُذهب

ويجمل ألا نغفل هنا أن العقيق ليس مقصوراً على النوع الأحمر المتعارف ، فمنه أصفر وأبيض[3] ، وربما كان الواصف في الكلمة التي نقلها الحصري أراد بالعقيق النوع الأصفر منه ، إلا أنني لا أجد في نفسي ميلاً إلى وفاق هذا التخريج على سلامته ، فالنوع الأحمر من العقيق هو مضرب المثل ، وهدف الوصف ، وهو مصرف الذهن إذا أطلق فلم يقيد بنوع خاص من أنواعه المختلفات .

ويشد عضد هذا أن الكلمة المنثورة التي نقلها الحصري تروى شطر بيت في قطعة للسري الرفاء ، بعث بها إلى أبي بكر الخالدي ، يصف جام الفالوذج ويشير إلى أن أبا بكر يقبل هذه الحلواء رشوة ينحاز بها إلى أحد الخصمين في الأقضية ، قال السري :[4]

إذا شئت أن تجتاح حقا بباطل وتفرق خصما كان غير غريق
فسائل أبا بكر تجد منه سالكا إلى ظلمات الجهل كل طريق
ولاطفه بالشهد المخَلَّق وجهه وإن كان بالإلطاف غير حقيق
بأحمر مبيض الزجاج كأنه رداء عروس مشرب بخَلُوق
له في الحشا برد الوصال وطيبه وإن كان يلقاه بلون حريق
كأن بياض اللوز في جنباته كواكب لاحت في سماء عقيق

فقوله : أحمر ، وقوله كذلك : لون حريق ، وما تقدم من أن الزعفرة من عملها التلوين ، يمنع كل المنع أن يكون المقصود من العقيق النوع الأصفر ؛ ما من ذلك بُدّ !

(١) ديوان المعاني (الاول — ٢٩٨)
(٢) زهر الآداب (الثاني — ٧)
(٣) معيار اللغة (رعد)
(٤) المعيار (صفر)

(١) لسان العرب وغيره
(٢) اليتيمة (الاول — ٢٥٢)
(٣) تاج العروس (عقق)
(٤) اليتيمة (الثاني — ١٦٤)

والسرى قد جمل المقطع من أبياته تضمينا لبيت لأبى بكر الخالدى المهجو، فانه يروى له قوله يصف الخمر لا الفالوذج :[١]

كأن حباب الكأس فى جنباتها كواكب در فى سماء عقيق

وفى الحسبان أن العرب كانوا يأكلون هذه الحلواء مثلوجة باردة، إذ كانت كذلك تؤكل لعهدنا هذا . ولكن الجاحظ نقل طرفة واضحة الافصاح بأنها حارة، وأنها كانت تقدم على هذه الصفة . أو أن منها ما كان يؤكل حاراً، فليست تثبت القصة إلا أن الفالوذج قدم مرة لآكليه يزفر أنفاسه الحرار . قال أبو كعب[٢] : كنا عند عياش بن القاسم، ومعنا سيفويه القاص، فأتينا بفالوذجة حارة، فابتلع سيفويه منها لقمة، فغشى عليه من شدة حرها . فلما أفاق، قال : مات لى ثلاثة بنين ما دخل جوفى عليهم من الحرقة ما دخل جوفي من حرقة هذه اللقمة! فلو صح أن الفالوذج كان لا يقدم إلا حارا فيؤكل فائرا لوجب تخريج ما سلف من قول السرى الرفاء : « له فى الحشا بردالوصال وطيبه » فيكون الوصف بالبرودة لغير حس الفالوذج، وإنما هو لمناه وأثر الالتذاذبه . وإذاً يجرى الكلام على أن للفالوذج فى النفس من اللذة والمناءة، ما للوصال من برد فى الصدر وثلج، وهو تخريج بديه، لا تأباه طبيعة البيان ولا يمس التشبيه بتشويه

وكانت هذه الحلواء هنية الريق، لينة المزدرد[٣] . وهى كذلك غريضة هفهافة الأعطاف، تستجيب للداعى بالغمزة الخفيفة ؛ وبمثل ذلك يصفها صاغة الكلام، ويشهونها إلى الأفواه . فقد سمع الثعالبي صديقه الخوارزمى يقول فى وصف طعام قدمه إليه بعض أصحابه : جاءنا بشواء رشراش، وفالوذج رجراج[٤]

وقد تكون بعض جوانب الفالوذج في الجامات والصحاف أرق من بعض، فيكون ما رق منها أغبط عند الناس مما غلظ، وأولى بالايثار والتكرمة . حدث الجاحظ عن نفسه قال[٥] : كنت على مائدة محمد بن عبد الملك، فقدمت فالوذجة، فأومأ بأن يحمل ما رق منها على الجام مما يلينى، توكُّماً بى، فتناولت منه، وظهر بياض الجام بين يدى، فقال محمد بن عبد الملك : يا أبا عثمان قد تقشعت سماؤك قبل سماء غيرك ؛ فقلت : أصلحك الله لأن غيمها كان رقيقاً !

وما كنت أفهم حتى الساعة إلا أن الفالوذج كان يؤكل وحده، لا كالطعام يكون إداماً للخبز، فهو حلواء، والحلواء مكتفية بنفسها أبداً، وهو يحوى مادة الخبز كذلك فى جوهره، فان لباب القمح رأس من رؤوس أخلاطه التى يسوّى بها . ولكن أبا العلاء[١] فى بعض تقوله اللغوية قرن الفالوذج بضرب من ضروب الخبز، فأدى إلينا الشك والتظنى، ولا سيما أنه يعزو ذلك إلى خلف الأحمر، ويجمل الطرفة التى نقلها المعرى أن خلفاً أنشد البيتين :

ألم بصحبتى، وهم هجوع خيال طارق من أم حصن
لها ما تشتهى : عسلاً مصفى إذاشاءت وحوارى بسمن

ثم قال لأصحابه : لو كان موضع أم حصن : أم حفص، ما كان يقول فى البيت الثانى ؟ فسكتوا، فقال : وحوارى بلمص، واللمص : الفالوذج، والحوارى خبزيكون من لباب البر، وهو السميد . وقد تابع المعرى خلفا الأحمر فى تغيير قافية البيت الأول بأسماء النساء، وتغيير قافية البيت الثانى بأشتات من ألوان الإدام، وأصبغة الطعام، وتعبير هذ فى غير ترَيُّب أن الفالوذج كان يؤتدم به مع السميد أو غيره مما يختبز، أو أنه كان يؤكل تارة وحده، ويؤكل مع الخبز تارة أخرى

« للبحث صلة »

محمد شوقى أمين

(١) اليتيمة (الثانى — ١٦٦)
(٢) البيان والتبيين (الثانى ١٥٨)
(٣) عيون الاخبار (الثالث ٢٠٣)
(٤) فقه اللغة (٣٩٦) (٥) خاص الخاص (٤٥)

(٤) خاص الخاص ٤٥
(١) رسالة الغفران ١٤

من وحي بغداد

من جحيم الظلم في القاهرة

إلى سعير الوجد في بغداد

للدكتور زكي مبارك

وَقَفْتُ عَلَى بغــداد والقلب مُوجَعٌ
فهل فرَّجتْ كَربي وهل أبْرأتْ دائي
تركتُ الخُطوب السُّودَ في مصرَ فانبرتْ
سِهامُ العُيونِ السُّودِ تَصْدَعُ أحشائي
تركتُ دُخاناً لو أردتُ دفعتهُ   بعزمة مفتول الذراعين مضّاء
وجئتُ إلى نارٍ تَشْوِي جَوانحي
وتصهرُ أضلاعي وتسحق أحنائي
فيا ويح قلبي عضّه الدهر فاكتوى
بلفحةِ قَتّالَيْنِ : جوْزٍ وإصباء

***

سمعتُ حَماماتٍ يَنُحْن فعزَّني   حنيني إلى صحبٍ بمصرَ أشحّاء
هُمُ أسلَمُوني لاعفا الحبُّ عنهمُ   إلى ليلةٍ من غمرةِ الحزن ليلاء
أنادِمُهُم بالوَهْم والقلبُ عارفٌ   بأنّي لدَى كأسٍ من الدمع حمراء
شربتُ الأسى صِرْفاً فثارتْ مدامعي
تذيعُ حـديثي في الغرام وأنبائي
أنا الطائرُ المجروحُ يَرْميه بؤسُهُ   لشقوتِهِ ما بَيْنَ نارٍ ورَمضاء
فإن عشتُ آذتني جُرُوحي وإن أمُتْ
شَوَتْني في الأرواح نيرانُ بأسائي

***

أحبَّايَ في مصر تعالَوْا فإنني   أُوَدِّعُ في بغداد أُنسي وسَرّائي
تعالَوْا أعينوني على السُّهد والضّنى
فلم يبقَ مني غيرُ أطياف أشلاء
تعالوا أُحَدِّثْكم ففي القلب لَوْعةٌ
هي الجاحمُ المَشْبوبُ في جَوْفِ قصباء
تعالَوْا تَرَوْا بغــداد أغرتْ بمهجتي
نُيُوبَ المنايا في صَباحي وإمسائي
أحبّايَ في مصر ، وهَلْ لي أحِبَّةٌ ؟
أحباي في مصر تعالَوْا أحبائي
تعالَوْا إلى بغداد تَلْقَوْا أخاكمُ   صريعَ خُطوبٍ ينتَحِين وأرزاء
تعالَوْا ترَوْني في صروفٍ من الجوى
تهــدَّم بُنْيَاني وتَنْقُضُ حَوْبائي

***

عفا الحبُّ عن بغدادَ ، كم عِشتُ لاهياً
أكاثِرُ أيامي بليــلَى وظمياء
فكيف وقعتُ اليومَ في أسْرِ طِفْلةٍ
مكحّلةٍ بالسحر ملثوغةِ الراء
أصاولُ عينيها بعينيَّ والهوى   يُشيعُ الحُمَيَّا في فؤادي وأعضائي
وأشهدُ أطياف الفراديس إن بدتْ
تراودُ أحــلامي مزاحاً وأهوائي
وألمس نيرانَ الجحيم إذا مضتْ   تَرُوم بعينِ الجِدّ بُعدي وإقصائي
أكاتمُ أهليها هُيامي ولو دَرَوْا
لهامت بجنب الشط أرواح أصدائي
إلى الحب أشكوها فقد ضاق مذهبي
وأخلفني بعــد الفراق أعزائي
إلى الحب أشكوها فلولاهُ لم أبِتْ   حليفَ هُمُومٍ يصطرعن وأنواء
إلى الحب أشكو بل إلى الله وَحدهُ   أُفوِّض بأسائي لديها ونعمائي

***

أرَبّاهُ أنقذني فأنت رميتني   بقلبٍ على عهد الأحباء بكّاء
أربّاهُ لاتفعل فإني أرى الهوى   عَلَى وَقْدِهِ بالقلب أنفاسَ رَوْحاء
أحِبُّ سعيرَ الوجد فارْمِ حُشاشتي   على جمراتٍ منه حمقاءَ هوجاء

أُحب شقائي في الغرام وإنه   لأروح من مطلولة الزهر شجراء

فياخالق النار المصوف وشائق   إليها أدم فيها لواعج إصلائي

أحبك يارب فهل أنت شافعي   إلى سرحة في شط دجلة زهراء

شهدت فنائي فيك حين رأيتها   تحاول إضلالي وتنشد إفنائي

ومَن أنت يا ربي؟ أجبني فإنني   رأيتك بين الحسن والزهر والماء

أنا الفاتن المفتون فارحم بليتي   وقدِّر بأرجاء الفراديس إثوائي

ولا تخلني في جنة الخلد من هوى   بزغبوبة لا تعرف الرفق حمقاء

أحبُّ الملاح الهوجَ في الخلد نفسه
عساني بدار الخلد أهجر إغفائي

تباركتَ! ما الجنات من دون لوعة
سوى بقعة في غابة الموت جرداء

يحبُّ ضعيف الروح في الخلد أنسه
إلى غادة مأمونة الغيب بلهاء

وأنشدُ في الجنات إن ذقتَ راحها
ملاعب من طيش وفتك وإغواء

* * *

أضاليل يزجيها خيالي وأنثني   إلى ساحة مطموسة الأنس قفراء

لقد كنتُ في مصر شقياً فما الذي
ستجنين يا بغداد من وصل إشقائي

أهذا جزائي في العراق وحبه   أهذا جزائي في رواحي وإسرائي

أخلاي ما بغداد راحي وإن درت
قلوب صباياها مدارج إصبائي

أخلاي ردوني إلى مصر إنني   أرى الظلم دون الوجد تسعير لأواء

* * *

سقى الغيثُ أيامي بحلوان وارتوت
ملاعب أحلامي هناك وأهوائي

فما غدرت بي في حماها نسائم
سقاها ربيع الحب أكواب أنداء

ولله عهدٌ بالزمالك لم يكن   سوى لمحات يزدهين وأضواء

هصرتُ به غصناً نضيراً تفتحت   أزاهيره في ظل خضراء لفاء

وأين على مصر الجديدة موردي   وأين مهادي في حماها وإغفائي

أطايبُ ذقناها ولم ندر أنها   لندرتها في الدهر أزهار صحراء

* * *

أحباي في مصر الجديدة سارعوا   فقد صرعتني حول دجلة أدوائي

أجدكم هل تعلمون بأنني
وإن كنت جار الشط أشرب أظمائي

خذوني إليكم يا رفاق فإنني   أحاذر في بغداد حتفي وإصمائي

أخاف العيون السود فليرحم الهوى
فجيعة أهلي يوم أقضي وأبنائي

أنادم أحبابي وفي الحق أنني   لهول الذي ألقى أصاول أعدائي

* * *

أدجلة ما بيني وبينك؟ أفصحي   فقد طال في مغناك تبريح إضنائي

وردتك أستشفي فثارت بليتي   وأرمضني حزني وأضرعني دائي

وردتك أشكو النيل يطغى جحوده
فأين سلامي في حماك وإشكائي

سقى وردك المعسول غيري ولم أجد
لهول بلائي غير أوشاب أقذاء

أطال أناس فيك نجوى نعيمهم
وفي شطك المورود ناجيت بأسائي

أدجلة أين الحب؟ قولي فإنني   تقلبت في نارين: حقد وبغضاء

أدجلة أين النور؟ قولي فإنني   على الشط أستهدي دياجير ظلمائي

أدجلة أبلاني اغترابي وشفني   هيامي بظلمي في بلادي وإشقائي

أدجلة أنت النيل بغياً وكدرة   فكيف من النارين تسلم أحشائي

أدجلة ساقتني إليك مقادر   تأنقن في كيدي وأبدعن إيذائي

أدجلة واسيني فللضيف حقه   إذا شئت من زاد وحب وصهباء

طغى موجك الصخاب فاهتاج لوعتي
وأيقظ أشجاني وبلبل أهوائي

وقفتُ أبثُّ الجسرَ ما بي فلم أكنْ   سوى نافثٍ في أذن رقطاءَ صمّاء
وقفتُ أُرجّيه ولم أدرِ أنني   أسطِّر أحلامي على ثبَجِ الماء
إلى أين هـذا التِّبْرُ يجري وحولَهُ
حرائقُ من أرضٍ على الريِّ جدْباء
أرَقْتُ دُموعي في ثراها فما ارتوتْ
وهل كان دمعي غير أطياف أنداء
شوَتْني الخطوب السُّودُ شيًّا فلم تدع
لمُتَّسِفٍ حُلْماً إذا رام إبكائي
أجِبني يا صوْبَ الغوادي فإنني   على عِلّتي في الدهر أُساةُ أدْواء
تحـــدَّرتَ مُختالاً فلم تغْنِ أمةً
تَشْهى لطول الجدب أو شال أنهاء
بكى حولك الماضون دهراً فهل رأوا
لدى موجك الصخّاب لحظة إصغاء
تَشَكّى العراقُ الجَدْبَ وارتعتُ أبتغي
نصيبي فلم أظفـــر لديكَ بإرواء
أعِندَكَ يا صوْبَ الغوادي تحيةٌ   لناسٍ على شَطّيْكَ ذاوينَ أنضاء
تروحُ إلى البحر الأجاج سفاهةً   على شوقِ أهل في العراقِ أوِدّاء
أبوكَ السحاب الجَوْدُ يرتاحُ جُودُه
إلى كلِّ أرضٍ في العراقين ميْثاء
فممَّنْ أخذتَ البخل يا جار فتيةٍ
هم الجعفر المنساب في جوف بطحاء
شكا الزهرُ في شَطَّيْكَ فاخجل وَنجِّهِ
مِنَ الظمأ الباغي وَمِنْ حيَّة الماء
جريتَ بلا وعيٍ إلى غير غايةٍ   مُحجَّلة بين المصاير غرّاء
فدعني أُطل فيكَ الملام فلم أكن   سوى شاعرٍ للحمد واللوم وشّاء
أأنت الذي يجفو الظِّماءَ لينضوي   إلى لُجّةٍ في باحةِ البحر هوجاء
أأنت الذي يسقي البحار وحولَهُ   أزاهير في سهل يُفدّيه مِظماء
وقفنا على شطيك نشكو أُوامنا   على نبرات الدف والعود والناء
فأين العطاءُ الجزلُ يا فيضَ مُزْنةٍ   مُحمَّلةٍ بالخير والشر كلفاء

عشقتُ شقائي فيك للحبِّ إنني   أُحبُّ شقائي في رحاب أحبّائي
* * *
أبغدادُ هل تدرين أنّي مودِّعٌ   وأن سَمُومَ البين تلفح أحشائي
وردتُكِ مُلتاعاً أصارع في الهوى   دموع رفاقٍ وامقين أخلاّء
تنادَوْا إلى باب الحديد فودّعوا   بقايا فؤادٍ وافرِ العطف وضّاء
وفيهم خَتُولٌ لو أراد لردَّني   إلى روضة من يانع الأنس غنّاء
تقدم يستهدي العناق فلم يجـــد
سوى صخرة مكتومة السِّرِّ خرساء
وعاد يروض العَتْبُ أحلام قلبه
على خُطة من شائك الهجر عوجاء
وردتك مطعوناً تثور جروحهُ   فكان بنوك الأكرمون أطبّائي
لحبك يا بغداد والحبُّ أهوجٌ   رأيت فنائي فيك مَشرِقَ إحياء
تناسيتُ في مصرَ الجديدة صِبْيةً   هم الزهَرُ الظمآن في جوف بيداء
يناجون في الأحلام أطيافَ والدٍ   لعهد بنيـه والبُنَيّات نسّاء
* * *
أبغدادُ هذا آخرُ العهد فاذكري   مدامعَ مفطورٍ على الحبِّ بكّاء
أبغدادُ يضنيني فراقك فاذكري   لدى ذمة التاريخ بثّي وإضنائي
خلعتِ على الدنيا جمالكِ فانثنتْ   تخايَلُ في طِيبٍ وحُسْنٍ ولألاء
سيذكرني قومٌ لديك عهدتُهُمْ   يحبّون ظلاّمين ضُرّي وإيذائي
سيُمسي خصومي بعـــدَ حينٍ أحبةً
يذيعون مشكورين أطيبَ أنبائي
ستذكرُ أرجاءُ الفراتين شاعراً   تفجَّر عن مكنونة الدر عصماء
سيسأل قوم عن زكيٍّ مباركٌ   وجسمي مدفونٌ بصحراءَ صمّاء
فإن سألوا عني ففي مصرَ مرقدي   وفوق ثرى بغداد تمرح أهوائي
ستذكرني غيدٌ ملاحٌ أوانسٌ   أطلن بلائي في الغرام وإشقائي
ستذكرني مصرٌ وما كان قلبها
سوى صخرةٍ في جانب النيل مَلساء
إلى اللهِ أشكو لؤم دهري وصرْفَهُ
وعنـــدَ الإلهِ البرِّ أُودِع حَوْبائي

زكي مبارك



حول لجنة إنهاض اللغة العربية

سيدي الأستاذ الزيات

سرني وأرضى نفسي ما كتبتم وما نشرتم لكرام الكتاب من الملاحظات على قرار لجنة إنهاض اللغة العربية وما انتهت إليه في اختيار الكتب التي تصلح لأن تكون في أيدي تلاميذ المدارس الثانوية وسيلة إلى تقويتهم في اللغة العربية

ولكن شيئاً هاماً في قرار اللجنة قد فاتكم التنبيه إليه وما كان ينبغي أن يفوت: ذلك هو حق أدباء العروبة في مختلف أقطارها في أن يكون لهم ولمؤلفاتهم الأدبية اعتبار في نظر وزارة المعارف المصرية أولا، ثم في نظر أعضاء هذه اللجنة ...

فهل تذكرت وزارة المعارف المصرية يوماً أن في هذه الأقطار التي تريد أن تفرض عليها زعامتها الأدبية — علماء وأدباء وكتاباً ومؤلفين، هم في الطبقة الأولى من رجال الفكر العربي؟ وهل عرفت أن لهؤلاء الأدباء كتباً ومؤلفات حقيقة بأن تكون موضع تقدير رجال المعارف في مصر حين يريدون أن ينهضوا بالثقافة الاسلامية

ذلك — ولا شك — شيء تعرفه وزارة المعارف ولا تنكره، ويعرفه أدباء مصر ولا ينكرون، ولكن ما وراء هذه المعرفة؟ هل قررت يوماً كتاباً في مدارسها لكاتب عربي في غير مصر؟ هل عملت على أن يعرف تلاميذها في مصر أن في تلك البلاد كتاباً وأدباء ينبغي أن تُدرس آثارهم وينتفع بها؟

إن الكتب المصرية تملأ أسواق الشرق العربي ومكتباته ومدارسه، ولا تخلو منها يد تلميذ عربي في تلك البلاد. فهل حرصت مصر على أن ترد هذا الجميل إلى أهله؟ أم تراها ضريبة على هذه البلاد تؤديها لمصر غير منتظرة جزاء عليها ولو كان هذا الجزاء هو الاعتراف بالجميل؟

أين مؤلفات الأساتذة إسعاف النشاشيبي في فلسطين، وأمين الريحاني في لبنان، وعلي الطنطاوي في دمشق، وساطع الحصري وطه الهاشمي في العراق؟ أليس لهؤلاء مؤلفات يمكن أن ينتفع بها في مصر، لتزيد الروابط بين البلاد العربية توثيقاً وقوة؟

م . سعيد

اقتراح على الشعراء

تغلي أطراف العالم العربي والعالم الاسلامي لأنهم يوقدون على قلبهما بالحديد والنار والمكيدة في فلسطين، وتسجل الأيام أروع قصة من قصص البطولات والإباء والتضحية في التاريخ كله، وتصبحنا الأنباء وتمسينا بما يبسط قلوبنا ويقبضها سروراً بانتصار إخواننا أو ألماً من اندحارهم

وتلتقي مشاعر المسلمين والعرب لقاء عجيباً في هذه البقعة المقدسة من الأوطان العربية مما جعل الثورة الفلسطينية مبدأ عهد لتكوين الشعور الاسلامي والعربي، ومدار ذكرى ومداولات حول النفس العربية وتاريخها وخصائصها وجهادها ومستقبلها

فكيف تمر بنا هذه الحوادث الجسيمة، وتعرض على أعيننا وقلوبنا هذه المشاهد والشاعر الفذة ثم لا تسجل تسجيلاً فنياً خالداً في مطولات و « ملاحم » كما كانت حروب « طروادة » مدار أناشيد الإلياذة اليونانية؟

إن في شخصيات باعثي هذه الثورة وفي قوادها وفي جنودها رجالا ونساء وفي شرفهم وسمو أخلاقهم وفي الأهوال التي تحيط بهم ... معاني روائية نادرة ومنابع إلهام لذوي الأقلام

فمن يا ترى تنتدبه الأقدار وتصطفي قلمه لكتابة هذا الديوان الخالد كما اصطفت قلم الشاعر الكبير أحمد محرم لكتابة ديوان مجد العرب والاسلام الذي نرجو له التوفيق فيه؟

إني أخشى أن أشير بأصبعي في هذا المقام إلى بعض الشعراء الذين أعرف في خيالهم الواسع قدرة على ملء الفجوات التي بين الحوادث، وقدرة على تلوين الشخصيات والأحداث، وعلى الربط و « الحبكة » الفنية في الاخراج، وعلى خلق شخصيات خرافية عند اللزوم

أخشى هذه الاشارة حتى لا أصد بعض الذين قد يقدمهم أن ذكرهم نبا عنه القلم في هذا المعرض. ولعل طبعهم الشاعر قد سما ونضج بالثورة الفلسطينية، و « قد يسمو الطبع الخافت لأن حادثة ما تحمله إلى الآفاق العليا من التفكير والافتتان، كما تعلو العاصفة بالهشيم والريش إلى حيث تحاق ذؤابات الدوح وأجنحة النسور ». كما يقول الأستاذ العقاد

ومن منا لم تسم بمشاعره حوادث فلسطين وتفجر في طبعه الشعر النفسي الذي يفيض على القلوب في بحوره المرسلة؟

إني لم أتمن أن أكون من رجال الشعر المنظوم الذي يرضى نفسي إلا اليوم حتى أظفر بهذا الشرف العظيم

فيا شعراءنا عشاق الخلود!

ليس التغزل في جسد جميل أو كأس فاتنة، ولا البكاء المزري بالرجولة من نفس هلوك على حبيب هاجر وخدين غادر، ولا الخواطر الكزة الضيقة في مناسبات الحياة الشخصية الأنانية، ولا الوصف التقليدي للطيارات والقطارات والابل والأشجار والأطيار، ولا ... ولا ... إلى آخر المكرور المعاد من العناوين المتوارثة كما تورث الأوعية والآنية ليصب فيها ... ليس كل أولئك شيئاً ذا خطر ورجاحة في ميزان المواريث الأدبية الخالدة، لأنها لا تقترن بالنفس العربية العامة الواحدة في كل الأشخاص والأمكنة والأزمنة ... وما لم يكن على الأثر الأدبي هذا الطابع طابع العموم والشمول فلن يحظى بالخلود

وفي الثورة الفلسطينية أوتار تتصل بكل قلب عربي ومسلم، فمن استطاع أن يجمع هذه الأوتار في يده، وأن ينشد عليها بايمان وفن واستغراق، فسيذهب نشيده مردداً في كل يوم وفي كل مكان وبكل لسان ...

وإذا مرت الثورة الفلسطينية من غير شاعر واحد يرصدها ويغني لها ويندب .. فأخشى أن يحكم المستقبل على شعرائنا أنهم « قليلو الملاحظة : يذهبون إلى الغابة للبحث عن وقود ثم يرجعون فارغي الأيدي! » كما يقول المثل الانجليزي ... أو أنهم يجرون وراء السراب ويتركون الأنهار المتفجرة ...

عبد المنعم خلاف

حاجي بابا في انجلترا

نشرنا في مجلتنا (الرواية) قصة بهذا العنوان للكاتب الانجليزي جيمز موير وصف فيها بعض النواحي الاجتماعية في بلاد إيران أوائل القرن التاسع عشر. نخشى بعض إخواننا الايرانيين أن يخلط القراء بين إيران القديمة وإيران الحديثة، مع أن المؤلف حدد زمن القصة بسنة ١٨٢٢. والواقع أن حاجي بابا لا يمثل في ذلك العهد إيران وحدها، وإنما يمثل مصر والشام والعراق وتركيا تمثيلا رائعاً لا يناقض الحقيقة. ومن يقرأ هذه القصة ثم يزر هذه البلاد اليوم يدهشه هذا التطور الذي نال المقاية الاسلامية في مدى قرن من الزمان. فان تفتح الأذهان في تركيا وإيران ومصر للآراء الجديدة والمدنية الحديثة لا يدع مجالا للشك في حيوية الاسلام ومرونة الشرق.

الى الاستاذ السلير فليكس فارس

تحية معجب أبعثها في هالة من معاني الشكر التي هي جواب لقرار الوفاء ... وما الوفاء إلا صدى هديتك التي بعثتها إلينا عن طريق الرسالة

أشرفت من فوق منبرك على عالم زاخر بشتى المعاني زادني يقيناً بأن الشرق هو الشرق وأننا كنا على تباين أمصارنا أمة واحدة ... وكأن كتابك هذا قد خلقني خلقة ثانية ذات مناعة لا تقبل مبادئ المترجين المقلدين في رأيي وإن كانوا في رأي أنفسهم مجددين مبدعين

فشد على يدك فأنت صاحب رسالة ورسول بعث، فألق من فوق منبرك الهداية، وادحض ببيانك وحججك أباطيل المخدوعين المغرورين. أيدك الله بروح من عنده وجملك في الأواخر مقام المجاهدين العاملين في الأوائل ...

« الزقازيق » محمد جمال الدين درويش

بعثة الامام محمد عبده

كان الدكتور محمد بهي قرقر والدكتور محمد ماضي عضوا بعثة المرحوم الشيخ محمد عبده قد أتما دراستهما في جامعة هامبرج

فى ألمانيا وينالا إجازة الدكتوراه منها . ثم رغبا إلى مشيخة الأزهر أن تطيل مدة البعثة لهما سنتين لينالا درجة الاستاذية من هذه الجامعة . وعرض هذا الموضوع على المجلس الأعلى فى إحدى جلساته السابقة كما عرض عليه ما أظهرته المشيخة من الرغبة فى سرعة الاستفادة من عضوى هذه البعثة وتعيينهما للتدريس فى الأزهر فرأى المجلس الأعلى للتوفيق بين رغبة المشيخة فى سرعة الاستفادة منهما وبين رغبتهما فى الحصول على درجة علمية كبرى من جامعة هامبرج أن يعود إلى ألمانيا لمدة فصل دراسى واحد ثم يرجعا إلى مصر للعمل فى التدريس بالأزهر على أن يصرح لهما بعد ذلك بالسفر لأداء الامتحان لدرجة الأستاذية فى الوقت الذى يطلبان من المشيخة السماح لهما بالسفر فيه .

وقد أرسلت مشيخة الأزهر فى طلبهما لالحاقهما بوظائف التدريس فى بدء السنة الدراسية القادمة على أن يعودا لأداء الامتحان فى السنة القادمة .

العريان يؤرخ الرافعى الخالد

نشرت مجلة اللطائف المصورة فى عددها الماضى ما يلى :

منذ نحو تسعة شهور والاستاذ محمد سعيد العريان ينشر فى « مجلة الرسالة » فصولاً متتابعة فى كل أسبوع عن حياة المغفور له السيد مصطفى صادق الرافعى أبى البلاغة والبيان الذى فقده عالم الناطقين بالضاد فى العام الماضى . وقد أذيع أنه سيجمع هذه الفصول الثمينة بين دفتى كتاب يصدره قريباً

والأستاذ العريان معروف بأدبه وسعة اطلاعه . وقد لازم الرافعى العظيم ملازمة طويلة ، فكان الفقيد يملى عليه كتاباته ويستشيره فى معظم أعماله وأسراره ، فأحاط علماً بشخصية الرافعى ووفق إلى دراستها دراسة مستفيضة ...

فهو بذلك خير من يتحدث عن الرافعى ويؤرخ حياته وأخلاقه وفلسفته والعوامل التى أثرت عليه وكونته ، وطريقته فى الكتابة وتسجيل خواطره العالية ، وما هى المناسبات والظرف التى كانت تدعوه إلى تأليف الكتب والقصص والمقالات ...

ولا شك فى أن هذا العمل من الأستاذ العريان يعد خدمة أدبية كبرى تفيد الأجيال القادمة أكثر من إفادتها للجيل الحاضر ، ولووفق الأستاذ العريان فى تاريخ حياة الرافعى فانه سيخلد مع الرافعى ، فان كثيرين من الأدباء العالميين اشتهروا وخلدوا بوضعهم المؤلفات عن حياة أدباء سبقوهم أو لازموهم . وقد اشتهر الأديب الكبير « بوزويل » بملازمته للأديب جونسون وكتاباته عنه . وليس الرافعى بأقل قيمة من « جونسون » فهو شخصية أدبية خالدة تشهد لها أقطاب الفكر بامتلاكها ناصية البيان ، وقل من يستطيع دراستها والالمام بها وتحليلها ، وهى جديرة بأن تكتب حولها الرسالات التى تجيز لصاحبها أرفع الشهادات الأدبية ...

فنحيى فى الأستاذ العريان وفاءه للرافعى فى عصر يكاد ينعدم فيه الوفاء ، ونثنى على خدمته الأدبية الكبرى لعالم الأدب ، ونشكر مجلة الرسالة الغراء ، مجلة الأدب والفكر الرفيع ، مجلة الرافعى الخالد ، على تسهيلها للأستاذ العريان مهمته وقيامه بتسجيل هذه الفصول الثمينة عن حياة أبى البيان

للحقيقة والتاريخ

نشرت الرسالة الغراء بعددها رقم ٢٧٠ مقالة بعنوان « فلسفة الأسماء » للأستاذ السيد شحاتة . وقد جاء فى هذا المقال « ولما ظهر الاسلام تطورت الأسماء عند العرب إذ سمى النبى (محمداً) مع أنه لم يسم أحد من قبل بهذا الاسم » والحقيقة أن هناك من سمى باسم محمد فى الجاهلية وهم ثلاثة :

١ — محمد بن سفيان بن مجاشع جد الفرزدق الشاعر المشهور

٢ — محمد بن أحيحة بن الجلاح أخو عبد المطلب لأمه

٣ — محمد بن حمران بن ربيعة

أما أحمد فلم يسم به أحد فى الجاهلية وإن جاء التبشير فيه ، قال الله تعالى (وإذ قال عيسى بن مريم يابنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد)

محمد عبد الغفار

مجلة الأمالى — بيروت

وصلنا العدد الأول والثانى من مجلة (الأمالى) التى يتعاون على إصدارها فى لبنان إخواننا الأساتذة الأدباء : محمد على الحومانى ، والدكتور محمد خيرى النورى ، وعارف أبو شقرا ، والدكتور عمر فروخ . ومجلة الأمالى هى شيء جديد فى صحافة لبنان ، تنقل عن شرقية أصيلة وثقافة شاملة ومنطق متزن ، وتشير إلى نهضة متوثبة فى الآداب والفنون ، وترمى إلى أهداف نرجو لهم فيها التوفيق والسداد . اشتراكها السنوى ٧٥٠ مليما وعنوانها :

بيروت — صندوق البريد ٩٤١



إلى اللجنة المشتركة لانهاض السينما بوزارتي التجارة والمعارف

تألفت بوزارتي التجارة والمعارف لجنة جديدة من بعض كبار رجال الادارة مهمتها – على ما قيل وقتذاك – إنهاض صناعة السينما في مصر والأخذ بيدها حتى تصير إحدى صناعات الدخل القومي .

و نحب ونحن في بداية الموسم واللجنة لم تجتمع بعد أن نهمس في أذنها بما يتردد في الأندية والمحافل الفنية من نقدات وملاحظات على سياسة اللجنة السابقة المنحلة بتأليف اللجنة الجديدة . وأغلب ظننا أننا بتسجيلنا هذه النقدات والملاحظات إنما نسجل رأي السواد الأعظم من المشتغلين بانتاج الأفلام في هذه البلاد

وأول هذه الملاحظات هو أن اللجنة ترى أن الشركات المصرية بحاجة إلى مساعدات مالية تقدم لها بين وقت وآخر وفاقاً لما تراه اللجنة عند تقدير جهودها وفحصها بالمنظار الفني . وهذه السياسة في نظرنا ونظر إخواننا المنتجين غير مجدية؛ وهي وإن أدت إلى رفع بعض الخسائر عن عاتق الشركات فلن تفيد في إنهاض الفن السينمائي ذاته .

إن الشركات بحاجة إلى (رؤوس أموال) لا إلى (إعانات نظامية) ، لأن أغلب شركاتنا – إذا استثنينا استوديو مصر – إنما أسس بأموال فردية ، والجزء الأكبر من هذه الأموال استنفدته الخسائر التي تعرضت لها الشركات أول انشائها . والذي يحدث الآن هو أن المنتج يذهب إلى واحد من كبار الماليين كبهلر وغيره فيأخذ ما يراه ضروريا من المال بفائدة مئوية كبيرة ومع اشتراط الحصول على نسبة مئوية أخرى من الايراد الكلي للفلم ، والنتيجة أن هذا المالي يسترد مبلغه مضاعفاً في مدى شهور معدودة

أما المنتج فلا يغل له إنتاجه فائدة ، أو هو يغل فائدة صغيرة لا تغني ولا تسمن من جوع

فاذا كانت وزارتا المعارف والتجارة جادتين في إنهاض السينما فليكن ذلك بتخصيص المبلغ المراد إعطاؤه للشركات كل عام كمساعدات نظامية ، ليكون رأس مال يوزع منه دورياً على المنتجين بنظام الحصص ، فيجدون بذلك ما يغنيهم عن الالتجاء إلى كبار المقرضين ، وبذلك يتوفر لهم عن طريق اللجنة جانب كبير من أرباحهم ونتاج جهودهم ، وذلك كفيل بأن يدر عليهم ربحاً كافياً . ولم يقل أحد إن إخراج الأفلام غير مربح حتى يحتاج إلى مساعدة دائمة . ويبقى بعد ذلك نوع من الانتاج السينمائي هو الذي نراه ويراه المنتجون بحاجة إلى المساعدة الدائمة ، وذلك هو (الجرائد السينمائية) التي تسجل الحوادث الجارية على الشريط إذ أن هذه الجرائد لا تأخذها دور السينما إلا بايجار زهيد لا يساعد على تغطية حتى نصف مصاريف عملها . فلا بأس من منح منتجي هذه الجرائد السينمائية مساعدات سنوية ، ولكن على أساس العدل المطلق وعدم المحاباة لأي دعوى من الدعاوى ، فلا نرى اللجنة تمنح إحدى الشركات مبلغاً كبيراً على أساس زعم من المزاعم التي لا علاقة لها بالسينما والفن السينمائي ...

ثم إن هناك ناحية أخرى على هذه اللجنة أن تنظر فيها وتعمل على التخلص منها ما دامت تريد نهضة جدية للأفلام في مصر ، وهذه الناحية هي جمود اللائحة التي تعمل بها وزارة الداخلية الآن في صدد ما يجوز معالجته وما لا يجوز معالجته في الأفلام من الموضوعات . وعندنا أنه ما لم تعدل هذه اللائحة فلن تشاهد مصر أفلاماً لها قوة الأفلام الأفرنجية وروعتها وجمالها وإنما تكون أفلامنا جميعاً (نسخ كربون) من الأفلام التي رأينا حتى الآن ، أفلام الغرام الفاشل والزواج غير الموفق ، وخيانة الزوجات ، وكان الله بالسر عليماً ...

أخبار سينمائية ومسرحية

الانتهاء من فلم الدكتور

بذل الأستاذ نيازى مصطفى وسائر هيئة استوديو مصر جهداً فى الانتهاء من تصوير فلم الدكتور لمؤلفه وممثله الأستاذ سليمان نجيب بطل رواية الحل الأخير. والمفهوم حتى الآن أن



الآنسة أمينه رزق بطلة الفلم

الفلم ينتهى فى آخر الشهر الحالى ويكون معداً للعرض فى أوائل الموسم القادم فى سينما تريومف سابقاً. وكل من شاهد منظراً من مناظر ذلك الفلم تأكد لديه أنه سيكون فلم الموسم دون ريب، وأن نيازى يستحق أن يقيم له الزملاء حفلة تكريم من أجله!

جريدة سالم السينمائية

كانت جريدة سالم السينمائية التى شاهدناها فى الأسبوع الماضى خير دعاية لجهود هذا الشاب المقدام، وكل من شاهدوها وشاهدوا الجرائد الأخرى التى عنيت بتسجيل حفلة رفع الستار عن تمثال سعد، قد حكموا للأستاذ سالم بالاجادة والانقان مما شجعه على أن يستمر فى إخراج هذه الجريدة السينمائية مرة فى كل شهر وكلما كانت هناك حوادث جارية كبيرة يجب تسجيلها



منظر من فيلم الأستاذ سالم ويرى فيه روحية خالد وأنور وجدى ومحسن سرحان وفي أقصى الصورة راقية ابراهيم

نساء بلا رجال

انتهى الاستاذ احمد جلال عضو الثلاثى الفنى من كتابة السناريو الجديد لروايته (نساء بلا رجال) ويبدأ التصوير فى أوائل الشهر القادم والمنتظر الانتهاء من إخراجه قبل شهر ديسمبر القادم ليمكن عرضه فى النصف الثانى من الموسم الحالى

يوم المنى

تعرض سينما كوزمو ابتداء من يوم الخميس الماضي فلم (يوم المنى) لممثله الأول الأستاذ على الكسار وهو من أقوى الأفلام الفكاهية الطويلة، فقد استغرق عرضه حوالى مائة دقيقة، وأجاد من الممثلات زوز لبيب وسلوى وعلام وبهيجة المهدي. والفلم من إخراج الفيزى وإنتاج شركة أرابيان ـ يستمر عرضه أسبوعاً آخر لشدة الاقبال على مشاهدته

الفرقة القومية

بعد أسبوعين نشاهد على مسرح الأزبكية أولى روايات الفرقة القومية للموسم الجديد، وسنتحدث عنها فى عدد قادم

الأفلام الأجنبية الحديثة

— من أهم الأفلام التى تعرضها سينما ستوديو مصر فى الموسم الحالى الفيلم (مارى انتوانيت) للنجمة الكبيرة (نورما شيرر) ويظهر فيه أمامها (تايرون باور) و (جون باريمور) و (جلاديس جيورجز وانتيا لويس وروبرت مورلى) وهو فلم الموسم للمترو جولدوين ماير دون نزاع

— انتهى (الكسندر كوردا) عاهل السينما الانكليزى الكبير من إخراج فلمه الهندى الجديد (الطبلة). وقد اختير غلام هندى للقيام بالدور الثانى فى هذا الفيلم فوفق فيه إلى حد كبير وأثبت أن اخواننا الهنود لا يقلون نبوغاً فى السينما عن غيرهم

— انتهت استيديوات المتروجولدوين ماير فى كاليفورنيا من تصوير مناظر فلمها الجديد (غلام من مصحة الدكتور برناردو) وبطل هذا الشريط الكبير هذا الصبى العالمى (فريدى بارثولوميو)



منظر من فلم (غلام من مصحة الدكتور برناردو)

طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى ـ عابدين

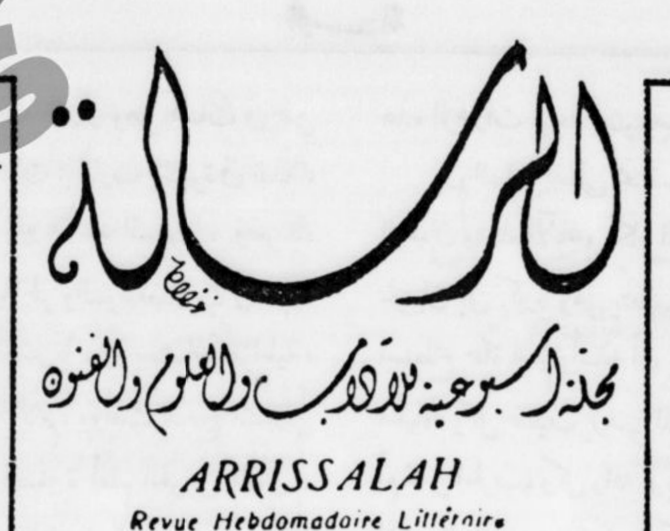


6 me Année, No. 273

Lundi - 26 - 9 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة
ــــص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العـــدد ٢٧٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢ شعبان سنة ١٣٥٧ — ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

صفحة

بين الديمقراطية والدكتاتورية

أسبوع محموم ...

لم يَعُد الناس فى هذه الأيام ناساً لهم دين ومدنية وفلسفة، وإنما عادوا كما بدأهم الله أصحاب غلبة وأثرة وبغى؛ يتخاطبون بلغة القوة، ويتجادلون بمنطق الذئب، ويتصاولون بعصبية الجاهلية، ويسرف عليهم الطغيان فينزلون عن نفوسهم المريدة ليكونوا قطعاناً من البهم تسوقهم عصا واحدة إلى المزرعة أو إلى المجزرة!!

ها هو ذا إنسان القرن العشرين ينسى أنه تقدم حتى جاوز حدود الغيب، وارتقى حتى بلغ أسباب السماء، وتعلم حتى هتك أسرار الكون، وتهذب حتى تخلق أخلاق الملائكة؛ ينسى ذلك ويعود فيقف على الصخرة الصماء التى هبط عليها أبواه من الجنة، عارى الجسم من زينة المدنية، فارغ النفس من كرم الدين، مجرد العاطفة من جمال الأدب؛ ينظر إلى فريسته الدامية وفوه يتحلب ريقاً، ورمحه يقطر دماً، وأشباهه من حوله بين مطعون يتوجع، وموهون يتضرع، وموتور يتوعد!!

وقف الحاكم بأمره على منصة هائلة يحملها سبعون مليون

رأس ، ونظر بعين النسر إلى فرائسه السمان وهن آمنات فى حمى القوانين ، غافلات فى ظلال المعاهدات ؛ فثارت الشهوة فى نفسه ، وعصفت القوة فى رأسه ، وزأر زئير الأسد المسعور ، وفغر فاه الجهنمى الأهرت عن وسائل المنايا الحمر والسود تضطرب فى لعابه، وتصطخب على أنيابه ؛ فجزعت البشرية ، وريعت الديمقراطية ، وخنست المدنية، وخرست عصبة الأمم، ووقفت حجج تشمبرلان أمام رغبات هتلر موقف المضخة الصغيرة أمام الحريق المهول ، وأصبح العالم كله لأول مرة فى تاريخ حياته يهذى فى جهاته الأربع هذياناً واحداً من حمى واحدة : هى إعلان الحرب ، وويلات الحرب ، ونتائج الحرب !

إذن لم يبق لعلاج ابن آدم حيلة ! فشرائع الله ، ومذاهب الحكماء ، ومراشد العقول ، ومناهج التربية ، لا تجد سبيلها إلى قلبه إلا حين تسكن الطبيعة فيه ؛ فإذا ثارت به لسبب من الأسباب كان حاله كحال العواصف والزلازل والفيضانات والبراكين لا تعرف الأرصاد ولا المقاييس ولا الحواجز . وحينئذ لا ترى الشطئان الجميلة ، ولا الأودية الممرعة ، ولا المدن الفخمة ، ولا الحضارة الرائعة !

منذ أسبوع تحركت طبيعة الإنسان الأصيلة فى الدولتين الدكتاتوريتين على حين غرة، فوقع العالم كله فى بحران من القلق على حضارته وسلامته ؛ وحاول الكتاب بالبلاغة والحكمة ، والساسة بالمنطق والحيلة ، أن يدفعوا وقوع الكارثة ، أو يؤخروا يوم القيامة ، فما رجعوا بطائل . ولم يكن ذلك لأن الخلاف بين براين و براغ لا يدخل فى نفوذ العقل ، وإنما كان لأن الذئب متى صمم على افتراس الحمل بطل كل دليل وأبدعت كل حجة . وإذا انفجر البركان ودوَّت حُمَمُه وسال حميمه ، فمن ذا الذى يقول للطبيعة: رويدك يا أمَةَ الله ! إن على السفوح وفوق السهول ملايين من عباد الله لهم حق الحياة وليس عليهم أن يموتوا ليتنفس فلكان من ضيقه فى السماء ، ويشتفى من غليله على الأرض ؟

هــذه أزهار الشباب الغضة فى أوربا الجميلة تُنظم عقوداً وأكاليل لتذويها سُموم الحرب فى غير ذِياد عن حرمة حق، ولا جهاد في سبيل مبدأ . فهل درى هتلر وصاحبه أن كل زهرة من هذه الزهرات بهجة بيت وسعادة أسرة ؟

إن السلام العالمى يحتضر الآن بين قرع النواقيس وصلاة الرهبان ودعاء الآباء وبكاء الأمهات ، والفكر الإنسانى ينظر خزيان إلى كبره وهو يتطامن ، وإلى جهده وهو ينهار . فهل استطاع حماة السلم وأساته أن يحفظوه ومن ورائهم كل حى يطلب الحياة، وكل ضعيف يرهب الموت ، وكل فتاة تنشد الحب، وكل أم تلعن الحرب، وكل رافه يريد الطمأنينة ؟ ماذا يصنع الطب إذا انتشر الوباء ، وماذا ينفع الكوخ إذا عصفت الأنواء ، وماذا تغنى المذاهب والقوانين والنظم إذا عارضت هوى الطبيعة ؟

لا جرم أن الحرب سلاح من أسلحة الطبيعة تدرأ به عن نفسها الفضول والخمود والوهن ؛ فهى نوع من التشذيب والتطهير والتنقية تصلح عليه الدنيا ، ويتجدد به الوجود . والديمقراطية نظام من نظم الناس أقاموه على الحرية والمساواة ، ودعموه بالفلسفة والقانون ، ونشروه بالأدب والفن ، وقرنوه بالسلام والأمن ؛ وفى كل أولئك كفكفة لسلطان الطبيعة ، فهى تحارب به بضده كما تحارب الحياة بالموت، والخير بالشر ، والجِدَّة بالبلى ، فتسلط عليه الطغيان المطلق فى بعض الأمم ، فيخضد من شوكته ، ويقال من هيبته، حتى يشكك الناس فى أثره وغناه . فالدكتاتورية إذن هى نكسة الداء الحيوانى في الإنسان المهذب . تعود به إلى حمى الشهوة وكَلَب الوحشية فلا يفهم غير لغة السباع ، ولا يخرج من النزاع إلا بالصراع

فمن زعم أن السلم العالمى تحفظه عصبة الأمم أو تحالف الدول أو تقدم الحضارة، فقد أحسن الظن بالإنسان إلى حد الغفلة، وأساء الفهم للطبيعة إلى حد الجهالة . إنما يحفظ السلام السلاحُ الإيجابى وهو القوة . وهذا السلام لا يمكن أن يكون إلا نسبياً ووقتياً بالضرورة ؛ فإن القوى إذا تكافأت تساقطت ، وإذا تفاوتت كان هناك الآكل والمأكول والغانم والغارم . وهكذا قضى الله على الحياة أن تكون دُولة بين الفساد والكون : تبني جانباً بهدم جانب ، وتوجد حيا من عدم حى ، وترفع دولة على أنقاض دولة. ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض.

احمد حسن الزيات

في الطريق الى مؤتمر المستشرقين

من القاهرة الى بروكسل

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ٣ —

بنيتي العزيزة مية

لم أجد قبل اليوم فراغاً لأحدثك عن مشاهدي في السفر إلى بروكسل، ولولا وعد سبق في رسالتي إلى بثينة لوجدت من مشاغلي عذراً وأخرت الكتابة حيناً

بلغنا جنوة ظهر الأحد ٢٥ جمادى الآخرة (٢١ أغسطس فبدت المدينة مطلة على خليجها بين أمواج البحر وقمة الجبل. وما راقني مرآها ولا راعني، ولكني حينما دخلتها رأيت مدينة نظيفة الأبنية فسيحة الطرق رفيعة الأبنية يلفت الوافد إليها ضخامة البناء ورفعته، لها على البحر شارع طويل تفضي إليه شوارع أخرى ذات بهاء وضخامة

ولن أحدثك عن شيء في هذه المدينة إلا شيئاً واحداً لا يخطر ببالك أني أحدثك عنه: سمعنا ونحن على الباخرة أن مقبرة جنوة ومقبرة ميلانو جديرتان بالزيارة، ثم نزلنا إلى المدينة مزمعين أن نبيت بها لنستجم ونستعد للمرحلة الثانية. وغادرنا الفندق في المشي نجول في الأرجاء، وبدا لنا أن نسأل عن طريق المقبرة.

ثم عنّ لنا أن نركب تراما فنذهب معه إلى منتهى مسيره لنرى بعض جوانب البلد؛ ركبنا فسألنا العامل: إلى أين؟ قلنا: إلى نهاية الطريق. وبلغ الترام أطراف البلد وما زال حافلا بالراكبين. فقلنا: إن للمكان الذي نسير اليه لشأنا. وإلا فما بال الناس لا ينزلون وقد أوشكنا أن نخرج من عمران المدينة؟ ثم بلغ الترام غايته، فاذا الناس يتجهون وجهة واحدة يؤمون بابا رفيعاً واسعاً. قلنا: أتراها مقبرة المدينة؟ ورأينا على جانبي الطريق باعة الأزهار، وأبصرنا كثيراً من الداخلين يحملون طاقات من الزهر فغلب على ظننا أنها المقبرة. ثم ولجنا الباب فاذا هالات من الأزهار مسندة إلى الجدار، ثم ولجنا بابا آخر فاذا مدينة الأموات: ماذا عسى أن أصف من مقبرة جنوة الهائلة؟ أصف لك بعض ما وعيت منها، والذي وعيته بعض ما رأيت. ولم أر المقبرة كلها..

هناك جبل عال بنيت المقبرة في حضيضه وسفحه؛ في الحضيض ساحتان متصلتان بينهما جدار، يحيط بكل ساحة منهما أروقة عالية سميكة الجدُر رفيعة العمد. فأما الساحة فقد نظمت فيها صفوف كثيرة من القبور تحنو عليها الأشجار وتعطف عليها الرياحين - قبور بيضاء تختلف أشكالها وما عليها من تماثيل وصور، ويجمعها معنى واحد هو الفناء، بل معنيان: الموت الهامد تحتها، والحسرات الرفرفة فوقها.

وأما الأروقة ففي أرضها بلاطات نقشت عليها أسماء وتواريخ دلت على أن تحتها أجساما وتواريخ، وفي صدرها صفوف من النواويس الحجرية تتخلل الجدران بعضها فوق بعض، قد انطبقت على أسرارها ونطقت بمواعظها وعبرها؛ وبجانب الجدران نواويس أخرى من الرخام والمرمر افتن النحاتون في تشكيلها ونقشها وإقامة التماثيل عليها — تماثيل الموتى والقديسين والملائكة، وتماثيل لآمال الناس وآلامهم على ظهر هذه الأرض بين المولد والممات. وكأنما يمشي الزائر في متحف ازدحمت فيه التماثيل والصور وبدائع الفنون. وإلى هذا وذاك قناديل معلقة تبيض فيها الفتائل أو فوانيس صغيرة يخفق فيها الشمع: مناظر إذا تقصّاها المعتبر أو اللاهي أمضى نهاره دون أن يحصيها

فاذا صعد الزائر على السفح وجد قبوراً أضخم أو حُجَراً تلوح من أبوابها القبور والتماثيل، أو دهاليز نظمت فيها قبور وهياكل وكنائس في أطراف هذه الصفوف؛ ثم إذا صعد رأى نظاماً آخر من القبور والفنون حتى يمل أو يتعب فيهبط وهو يصعّد الطرف في هذا الجلال والجمال ويرجع أدراجه إلى الحضيض ويعود إلى طريقته في الساحة أو تحت الأروقة حتى يخرج وهو يتلفت ليتزود من هذا الجمال في الموت والبقاء في الفناء

جُلنا في المقبرة تسير أفكارنا أكثر مما تسير أرجلنا، وتتلفت قلوبنا أكثر مما تتلفت عيوننا. خرجت قائلا: ليت شعري أهنا موت أم حياة؟

وأصبحنا يوم الاثنين مبكرين إلى المحطة فركبنا القطار إلى ميلانو نجتاز طريقاً أخضر ممرعاً كثير الزرع والشجر والعشب حتى بلغنا المدينة بعد ثلاث ساعات

نزلنا بميلانو فأمضينا بقية النهار نجول فى أرجائها ، ولم نر من مشاهدها العظيمة القديمة إلا الكنيسة الكبرى ، وهى من عجائب الأبنية تبدو فى حلة من الرخام لم تعطل قطعة فيه من نقش أو صورة أو تمثال ، وتبدو شرفاتها ومناراتها فى صنعة لطيفة دقيقة كأنما يستقبل رائيها دوحة من الرخام . وليس باطن الكنيسة أقل فخامة ورونقاً من ظاهرها ، وهى فيما سمعت من آثار القرن الخامس عشر . برحنا ميلانو صباح الثلاثاء نؤم سويسرة ، فلما أجزنا حدودها أحسسنا تغير الأرض شيئاً فشيئاً حتى تغلغلنا فى مناظرها الساحرة الرائعة : أودية وبحيرات تطل عليها جبال شاهقة ترقى العين فيها معجبة بالخضرة الناضرة على سفوحها ، ثم ترقى فترى الجبل قد انتطق بالسحاب وأوفت قمته عليه ، أو ترى القمة قد تغلغلت فى السحب فاختفت فيها ، وترى زرقة السماء بين السحب وذرى الجبال كزرقة البحيرات فى الحضيض فتُسِفّ العين متمهلة على السفح كأنها تشفق أن تزل إلى الأودية العميقة والبحيرات ، حتى تبلغ الماء وكأنما عادت به إلى صفاء السماء وزرقتها . وترى الماء مندفقاً على السفح فاذا حاولت أن تعرف أوله رأيته هابطاً من السحاب كأن السحاب يسيل أنهاراً لا أمطاراً

وقصارى القول فى هذا الجمال الماثل أنه صلة السماء بالأرض ، وأنه حيرة الطرف ، ومتعة النفس ، وروعة القلب ، ومسرح الفكر ، ومجلّى الخالق فى جمال خليقته وجلالها فى مشاهد لا ينتهى أولها إلى آخر .

ما أعجب هذا مجالا لشاعر مُلهَم أو كاتب مبين لو اتّسع الوقت وأمهل السفر وانفرجت المشاغل عن ساعة يستملى فيها القلم الوجدان والخيال !

بلغنا لوسرن فى ثلاث ساعات .

ولعلى أصل الحديث من بعد ، وإن لم أجد فراغا للتفصيل والتطويل لأجعله حديثاً ممتعاً شائقاً .

تحيتى ودعائى لك وللأخوات والأسرة كلها

« روكسل ٩ سبتمبر سنة ١٩٣٨ » عبد الوهاب عزام

على هامش أبحاث التيسير

ملاحظات انتقادية

على قواعد اللغة العربية

للأستاذ أبى خلدون ساطع الحصرى بك

مدير دار الآثار العراقية

— ٢ —

أبحاث العلامات

إن سلسلة « قواعد اللغة العربية » تحتوي — فى أقسامها الثانوية — على عدة أبحاث فى « العلامات » ، فتذكر سلسلة طويلة من « العلامات » التى « تميز » كلاً من الاسم والفعل والحرف ، كما تشرح العلامات التى تميز كلاً من الماضى والمضارع والأمر .

وتذكر تسع علامات للاسم ، وخمس علامات للفعل بوجه عام ، وعلامتين لكل من الماضى والمضارع والأمر بوجه خاص ؛ وأما فيما يخص « الحرف » فانها تقول فى صدده « ليس للحرف علامات تميزه ، فعلامته ألا يقبل شيئا من علامات الاسم والفعل »

إنها تعتبر — مثلا — « قبول التنوين من علامات الاسم » « وقبول ضمير الرفع المتصل » من علامات الفعل ، « وقبول تاء التأنيث الساكنة » من علامات الفعل الماضى ، و« صحة الوقوع بعد لم » من علامات فعل المضارع ..

كل من ينظر فى هـذه الأبحاث ، نظرة فاحصة عارية عن تأثير الألفة المخدرة ، يضطر إلى التسليم بأنها خالية من الفائدة ، ومخالفة للمنطق فى وقت واحد ..

من الأمور البديهية أن مفهوم « ضمير الرفع المتصل » الذى يلحق الفعل — مثلا — أعقد بطبيعة الحال من مفهوم « الفعل » نفسه ، ومعرفته أصعب من معرفة الفعل بدرجات ؛ فلا يجوز أن نعتبره واسطة لتمييز الفعل من غيره من الكلمات بوجه من الوجوه ؛ ولا سيما أن « قبول أو عدم قبول ضمير الرفع المتصل » ليس من الأمور التى يمكن معرفتها رأساً واختبارها مباشرة . فاعتبار « القبول أو عدم القبول » علامة للفعلية أو عدم الفعلية

يخالف أبسط قواعد المنطق مخالفة كلية ..

كذلك الأمر في سائر العلامات . فأعتقد أنه يتحتم حذف جميع الأبحاث المتعلقة بالعلامات التي ذكرناها آنفاً ، على أن يفرغ البعض منها على « شكل قاعدة » يتعلمها الأطفال : « للعمل » لا « للتمييز » :

لا يجوز لنا أن نقول : «دخول قد على الكلمة يدل على أنها فعل » ، بل يجب علينا أن نقول : « لفظة قد لا تدخل إلا على الأفعال » ..

لا يجوز لنا أن نقول : «صحة وقوع الكلمة بعد لم تدل على أنها فعل مضارع » ، بل يجب أن نقول : « إن لفظة لم تدل على النفي ؛ غير أنها لا تستعمل إلا في المضارع ؛ فيجوز أن يقال لم يكتب ، ولا يجوز أن يقال لم كتب » .

وبهذه الصورة تتحول هذه الأبحاث إلى قواعد عملية مفيدة . وأما الاستمرار على استعراض الأمور التي ذكرناها آنفاً كعلامات تساعد على تمييز أنواع الكلمات فهو بمثابة الخروج على المنطق بصورة صريحة ..

أما دخول مثل هذه الأبحاث في كتب القواعد ، بالرغم من مخالفتها الصريحة للمنطق، فأعتقد أنه لايمكن أن يعلل إلا بالرجوع إلى السبب الأصلي الذي ذكرته آنفا ..

فالأعجمي الذي يتعلم العربية ، دون أن ينشأ عليها ، والذي يستطيع أن يقرأ الكلمات دون أن يفهم معانيها ، قد يستفيد من مثل هذه الأبحاث في تمييز أنواع الكلمات حسب بعض العلامات الظاهرية التي ترافقها ؛ فاذا رأى كلة لا يعرف معناها ، ولاحظ أنها منونه استطاع أن يقول إنها « من الأسماء لأنها منونة » ، كما أنه إذا رأى كلة غريبة عنه ولاحظ أنها مسبوقة بلفظة قد ، قال « هذه من الأفعال ، لأنها قبلت دخول لفظة قد عليها »

فاذا جاز لعلماء اللغة القدماء أن يسلكوا هذا المسلك ، متوخين بعض الفوائد العملية التي يستطيع أن يجنيها منها بعض الأعجام .. فلا يجوز لمؤلفي القواعد ومعلمي اللغة في هذا العصر أن يشوشوا الأذهان بمثل هذه الأبحاث الغريبة ..

٤ — تصنيف الكلمات والجمل

قبل أن أختم هذه الملاحظات الانتقادية ، أرى أن ألفت الأنظار إلى مآخذ الخطة التي اعتادها علماء اللغة العربية في أمر تصنيف الجمل والكلمات :

١ — من المعلوم أن الكلمات تقسم — في قواعد اللغة العربية — إلى ثلاثة أنواع : اسم ، وفعل ، وحرف ؛ في حين أنها تقسم في سائر لغات العالم إلى أنواع كثيرة يبلغ عددها ثلاثة أمثال ذلك

فيجدر بنا أن نتساءل — تجاه هذا الفرق العظيم — فيما إذا كان هناك مبررات فعلية وأسباب حقيقية تستوجب التباعد إلى هذا الحد بين العربية وبين سائر اللغات من وجهة تصنيف الكلمات

إذا أنعمنا النظر في المعاني التي يقصدها اللغويون من كلمتي « الاسم والفعل » وجدنا أن علماء العربية يضيّقون « مفهوم الفعل » بعض التضييق ، غير أنهم يوسّعون « مفهوم الاسم » توسيعاً كبيراً ...

إنهم يحددون مفهوم الفعل بحدود ضيقة جداً ، لأنهم لا يرون « الدلالة على الحدث والعمل » كافية لتعريف الفعل ، بل يشترطون فيه « الدلالة على حصول العمل في زمن خاص » ولهذا السبب لا يدخلون المصدر واسم الفاعل واسم المفعول في عداد الأفعال ...

وأما مفهوم الاسم ، فإنهم يوسعونه بدون حساب ، ويدخلون فيه كثيراً من الكلمات التي تعتبر في سائر اللغات أنواعاً قائمة بنفسها . ولا نغالي إذا قلنا إنهم يدخلون في مفهوم الاسم كل ما يبقى خارجاً عن نطاق الفعل والحرف . فالاسم الذي يتصورونه يشبه كشكولا يحتوي على أشياء شتى — من اسم العلم إلى الصفة ، ومن اسم الموصول إلى الضمير ، ومن اسم الاشارة إلى المصدر .. فيصبح من التعذر على المتعلم أن يكوّن في ذهنه مفهوماً واضحاً عن الاسم ، كما يتعسر على المؤلفين أنفسهم أن يحددوا مفهومه ويعينوا معناه بالدقة التي تتطلبها التعريفات العلمية ..

فاذا استعرضنا التعريفات المسطورة في « كتب قواعد اللغة العربية » الرسمية عن « الاسم » ، وجدناها لم تكن من التعريفات الجامعة المانعة ، وأن الغموض والنقص والارتباك تسودها بكل وضوح وجلاء ...

لأننا نجد في الجزء الثاني — الخاص بالدراسة الابتدائية — التعريف التالي :—

«... اسم لانسان أو حيوان أو نبات أو جماد ...» (ص١) من الأمور البديهية أن هـذا التعريف لا يشمل — من الوجهة المنطقية — الصفات والأعداد ، ويبقى أضيق من أن يتسع للاسم الموصول ولاسم الاشارة بطبيعة الحال ...

وأما فى الجزء الثالث ، فنجد تعريفاً يحاول إكمال التعريف الأول وتصحيحه بقيد جديد : — «الاسم هو الذى يدل على الانسان أو الجماد أو النبات أو الحيوان وغير ذلك ...» (ص ١) ولا حاجة للبيان أن تعبير «وغير ذلك» الذى أضيف إلى التعريف بهـذه الصورة لا يخلو من الغموض ، ولا يحدد الأمر بوجه من الوجوه

وأما إذا راجعنا كتاب الدراسة الثانوية ، فنجد فيه تعريفاً آخر يختلف عن التعريفين السابقين اختلافاً كبيراً :

«الاسم ما دل بنفسه على معنىً تام ليس الزمن جزءاً منه» (ص ١) كما نجد بعد هذا التعريف بعض التفاصيل الايضاحية «ويكون : ١ — لإنسان ... ٢ — و لحيوان... ٣ — ولنبات ٤ — ولجماد ... ٥ — كما يكون لمعنى يفهم ويتصور ولا يحس ، مثل الذكاء ، الحكمة ، الفهم (ص ١)

إننى أعتقد أن هـذا التعريف أيضاً لا يمكن أن يشمل — منطقياً — الضمائر والأسماء الموصولة بالرغم من كثرة المفاهيم المجردة التى تقيّده وتعقّـده ...

وتأييداً لذلك ألفت الأنظار إلى الأمثلة المذكورة خلال التفاصيل التى تلى هذا التعريف ، فإنها لا تحتوي على مثال واحد من نوع الضمير واسم الاشارة والاسم الموصول ...

هذا ولا يستطيع أحد أن يدعى بأن كلمات «الذى، ذلك، نا، كُما ...» تدل على معنى تام قائم بنفسه .. كما أنه ليس فى وسع أحد أن يسلم بأن الزمان ليس جزءاً من مدلول كلمات «الماضى، الآنى ، الأمس ، السنة ، الشتاء ، أسرع ، أقدم ...»

يظهر جليا من جميع هـذه الملاحظات أن علماء اللغة لم يوفقوا لايجاد تعريف يشمل جميع الكلمات التى اعتبروها من أقسام الأسماء ...

فليس من المعقول إذن أن نبقى متمسكين بهـذا التقسيم القديم ؛ بل من الأوفق أن نعيد النظر فيـه على أساس تكثير أنواع الكلمات ، أسوة بما يفعله اللغويو العالم ... ولاشك فى أن ذلك يكون أقرب إلى مقتضيات العقل والمنطق، وأضمن لتسهيل التفهيم والتعليم

أنا لا أحاول وضع خطة تفصيلية لهذا التقسيم الجديد ، بل أكتفى ببيان الحاجة إليه ، وأذكر بعض الأمثلة لتوضيح رأيى فى هذا الأمر وتأييده ..

(ا) إن معنى الاسم — فى حد ذاته — يختلف عن معنى الصفة اختلافاً بيناً ؛ لأن الاسم يدل — عادة — على الأشياء نفسها ، فى حين أن الصفة تدل على أوصاف الأشياء وحالاتها .

والصفات تقوم بأدوار مهمة فى الحديث والكتابة تختلف عن أدوار الأسماء الاعتيادية اختلافاً كبيراً . فلا مبرر لاعتبار الاسم والصفة من نوع واحد خلافاً للخطة المتبعة فى تصنيف الكلمات فى سائر اللغات

ومما يجب أن يلاحظ فى هذا الصدد أن الاسم والصفة يختلفان فى اللغة العربية من وجهة بعض القواعد أيضاً : — فان الاسم — بالمعنى الخاص الذى أشرنا إليه آنفاً — يكون مذكراً أو مؤنثاً فى حد ذاته ، وأما الصفة فلا تكون مذكرة أو مؤنثة فى ذاتها ؛ بل تقبل التذكير والتأنيث بطبيعتها ، فتذكر أو تؤنث حسب جنس الأسماء التى تصفها ...

أعتقد أن هـذه الملاحظات كافية لاعتبار «الصفة» قسماً خاصاً من أقسام الكلام مستقلا عن الاسم ؛ ولا أشك فى أن ذلك يكون أوفق وأقرب لمقتضيات العلم والتعليم في وقت واحد

(ب) إن مدلول الضمير أيضاً يختلف عن مدلول الاسم الاعتيادى اختلافاً واضحاً ، ولا سيما الضمائر المتصلة ، فإنها تتباعد عن مدلول الأسماء تباعداً كلياً

فاذا احتفظنا بمبدأ تقسيم الاسم إلى ثلاثة أقسام ، وفكرنا فى القسم الذى يجب أن يدخل فيه «المتصل» من الضمائر وجدنا أنه أقرب إلى مدلول الحرف من مدلول الاسم . وما دمنا نعرف الاسم بقولنا «كلمة تدل بنفسها على معنى تام» ونعرّف الحرف بقولنا «كلمة لا يظهر معناها إلا إذا ذكرت مع غيرها ...» فلا نستطيع أن ندخل الضمير المتصل — دون أن نخرج عن

جادة المنطق — فى عداد الأسماء، بل نضطر إلى اعتباره من جملة الحروف ...

ومهما استرسلنا فى سلوك طرق التأويل الملتوية، لا نستطع أن نجد مبرراً منطقياً لاعتبار لفظة « نا » من الأسماء مع اعتبار لفظة « لا » من الحروف، أو « ها » من الأسماء مع اعتبار « ما » من الحروف ...

وإذا استعرضنا بعض التعبيرات المتداولة مثل « عنهُ، منكَ فينا، بها، لكم ..» وأنعمنا النظر فى مدلول كل جزء من جزئى هذه التعبيرات على ضوء التعريفات الموضوعة لكل من « الاسم والحرف » لا نستطيع أن نجد أدلة منطقية على أن الجزء الأول منها : (عن، من، فى، بِ، لَ) يجب أن يعتبر من جملة الحروف، والجزء الثانى منها : (هُ، كَ، نا، ها، كم) يجب أن يعتبر من الأسماء ...

فمن الأوفق — من جميع الوجوه — أن نعتبر الضمير قسما مستقلا من أقسام الكلام، لا نوعاً من أنواع الاسم

٢ — من المعلوم أن علماء اللغة يحصرون الفعل فى الماضى والمضارع والأمر، لأنهم يعرّفونه بقولهم : « ما يدل على حصول عمل وحدث فى زمن خاص » ويدعون أن اسم الفاعل لا يتضمن « الحدوث فى زمن خاص » فى حين أن الأمر يعنى « طلب العمل بعد زمن التكلم »

إننى أرى فى كل ذلك شيئاً من الجبر لطبائع الكلمات، لأن الأمر يدل — فى حقيقة الحال — على « طلب العمل » فقط، ولا يدل على زمان العمل مباشرة

لاشك فى أن « الأمر » لا يمكن أن يعود إلى الماضى، والمأمور لا يمكن أن يعمل العمل الذى يؤمر به إلا بعد تلقيه، فيجوز لنا أن نقول بهذا الاعتبار: « إن الأمر يعود إلى المستقبل بطبيعة الحال »

غير أنه يجب أن نلاحظ على الدوام أن المعانى التى يستدل عليها من الكلمات والعبارات بنتيجة المحاكمات الذهنية شىء، والمعانى التى نفهمها منها مباشرة شىء آخر .

وإلا فاذا أردنا أن نسترسل فى المحاكمات والتفسيرات استطعنا أن ندعى أن اسم الفاعل أيضا لا يخلو من فكرة الزمن، كما أن اسم المفعول لا يختلف عنه فى هذا الباب . فعندما يقال لنا « الطائر مجروح » نستدل من كلمة مجروح أن الطائر جرح قبلاً، وأن آثار الجرح لا تزال ظاهرة عليه . وعندما يقال لنا : « فلان نائم » نفهم من كلمة نائم أنه نام قبلاً، ولا يزال فى حالة النوم . وعندما يقال لنا : « أنا ذاهب » نفهم من كلمة ذاهب أن القائل يتأهب للذهاب

ومن الغريب أن علماء اللغة العربية الذين يتناسون هذه الحقائق الواضحة يسترسلون فى تأويلات غريبة لأظهار معانى الأزمنة المندمجة فى أسماء الأفعال، فيقولون مثلا : « آه » اسم فعل مضارع بمعنى « أتألم » . و « هيهات » اسم فعل ماض بمعنى « بَعُد » . و « هلمّ » اسم فعل أمر بمعنى « أقبِل » ..

كل من يمعن النظر فى هذه التعريفات والتقسيمات والتفسيرات الملتوية دون أن يبقى تحت تأثير الألفة المخدِّرة، يضطر إلى التسليم بأن كل ذلك يحتاج إلى التبديل والتصحيح، ويتطلب البحث عن تعريفات وتقسيمات جديدة

٣ — من المعلوم أن الجملة تقسم إلى نوعين : فعلية وأسمية . ولكنا عند ما ننظر إلى الأمور نظرة منطقية، يجب أن نفهم من تعبير « جملة فعلية » الجملة التى تحتوى على فعل، وبتعبير آخر : الجملة التى تعلمنا ما حدث وما يحدث ؛ كما يجب أن نفهم من تعبير « جملة اسمية » الجملة التى لا تحتوى على فعل ؛ وبتعبير آخر : الجملة التى تخبرنا عن أوصاف اسم من الأسماء وحالاته

غير أن قواعد اللغة العربية لا تلتزم هذه التعريفات والمفهومات المنطقية، بل تخالفها مخالفة كلية :

فانها تعتبر الجملة « فعلية » عند ما تبتدئ بفعل، و « اسمية » عند ما تبتدئ باسم . ومعنى ذلك : — أنها لا تصنف الجمل حسب أنواع الكلمات التى تتألف منها، بل تصنفها حسب نوع الكلمة التى تبتدئ بها دون أن تلتفت إلى بقية كلماتها

ونظراً لهذه القواعد الرسمية فان عبارة « نام الولد » يجب أن تعتبر جملة فعلية، فى حين أن عبارة « الولد نام » يجب أن تعتبر جملة اسمية، مع أن كلتيهما تتألفان من نفس الكلمات، وتؤديان إلى نفس المعنى

إننى أعتقد أن تقسيم الجملة على هذا النمط الغريب نتيجة

خطأ منطقي، وقع فيه علماء اللغة - في عصور التدوين الأولى - بسبب اهتمامهم بالأوصاف الظاهرة أكثر من تفكيرهم في المعاني المفهومة .. كما شرحنا ذلك آنفاً.

وأما استمرار المؤلفين المعاصرين على التزام هذه الخطة العجيبة، فلم أجد سبيلا إلى تعليله إلا بتأثير « الألفة المخدرة » ونزعة التفادي من الخروج على التعاريف والتصانيف القديمة . .

ومما يجب أن نلاحظه في هذا الباب أن هناك أمراً آخر يزيد في غرابة نتائج هذين التعريفين، ويوسع المسافة بين المنطق والقواعد :

لقد عرّف علماء اللغة « الفاعل » — تحت تأثير النزعة التي ذكرناها آنفا — بقولهم : «اسم مرفوع يتقدمه فعل» .. فاذا تقدم الاسم على الفعل لايترتب على ذلك — في عرفهم — تحول الجملة من فعلية إلى اسمية فحسب، بل يترتب على ذلك خروج الاسم من الفاعلية أيضاً. فعندما يقال « الولد نام » لا يرون مسوغاً لاعتبار كلمة الولد فاعلاً، نظراً لمخالفة ذلك للتعريفات التي وضعوها ...

وبما أن هناك « فعلا » يتطلب فاعلاً ، فانهم يلتجئون إلى طرق التأويل الملتوية ، فيقولون إن الفاعل لهذا الفعل ضمير مستتر، وأما الولد فما هو إلا مرجع هذا الضمير المستتر . وبتعبير آخر : يدعون إن الفاعل ليس « الولد » المذكور صراحة، وإنما هو ضمير مستتر يعود إلى الاسم المذكور ..

إنني أعتقد أن الانسان لو قصد التعقيد والتشويش لغرض من الأغراض، لما استطاع أن يجد طريقة تصنيف وتفسير أكثر اعوجاجاً وأشد غرابة من تلك ...

أفلم يحن بعد وقت الاقدام على التخلص من هـذه المسالك الملتوية والرجوع إلى طرق المنطق والصواب ؟

الخلاصة

إن الأمثلة الانتقادية التي استعرضتها في الأبحاث السالفة تبين بكل وضوح وجلاء أن « قواعد اللغة العربية » الرسمية مشوبة بنقائص كثيرة، من حيث الخطط المتبعة في التعريف والتصنيف والتبويب ...

وأما الأسباب المولدة لهذه النقائص والشوائب ، فتتلخص في تأثير نزعة أساسية ، هي نزعة الاهتمام بالاعراب أكثر من الالتفات إلى المعنى، والاعتماد على العلامات المحسوسة أكثر من الاستناد إلى المعاني المفهومة

هـذه النزعة نشأت من الظروف الخاصة التي أحاطت بعلوم اللغة العربية في أدوار تكوينها الأولى، واستمرت بتأثير «روح المحافظة» التي سيطرت على أذهان علمائها في أدوارها الأخيرة . . وباعدت بين قواعد اللغة وأحكام العقل والمنطق من جهة، وبينها وبين أسس التربية والتعليم من جهة أخرى

ولذلك يجب علينا في موقفنا هذا أن نخرج على هذه النزعة التقليدية، ونعيد النظر في جميع ما ألفناه من أساليب التعريف والتصنيف والتبويب في قواعد اللغة العربية ، فنتأمل فيها بنظرة علمية جديدة، مراعين مقتضيات العقل والمنطق من جهة ، ومطالب التربية والتعليم من جهة أخرى . . حتى نتخلص على هذا الوجه من أغلاط الاجتهاد والاستنباط التي وقع فيها اللغويون القدماء ...

هذا ما أود أن أدعو إليه العلماء والمؤلفين

أدعوهم إلى إعادة النظر في جميع مباحث الصرف والنحو، بنظرة محايدة خالية من تأثير الألفة المخدرة » مستنيرين بالطرق المتبعة في سائر اللغات، ومستندين إلى المعاني المفهومة من الجمل والعبارات ...

وأعتقد أن الاصلاح على هذا الوجه يجب أن يكون أول خطوة من خطوات التيسير .

أبو خلدون

الدين والأخلاق

بين الجديد والقديم

لأحد أساطين الأدب الحديث

— ٦ —

لا يدهش أحد إذا عددنا مايسمى نزعة التجديد نزعة رجعية فى أولها، فقد أوضحت أنها فى مبادئها كانت رجوعاً إلى مبادىء الشعر العربى القديم من قلة تكلف الصناعة ، ومن نظم الشعر بالعاطفة أو ذكري العاطفة بدل نظمه تمدداً بالصنعة، ومن البحث فى خواطر النفس وشجونها وأشجانها والتعبير عنها بدل تنميق المعانى المتفق عليها. فلا شك أن شعر الجاهليين وشعر شعراء صدر الاسلام كان أكثر نصيباً من هذه المبادىء من شعر الدولة العباسية، وإن كان لشعر الدولة العباسية روعة وفيه قوة، ولكن أروعه وأقواه ما قارب طريقة الأقدمين وكان أقل تمملا فى الصنعة ، أو ما كانت صنعته أشبه بالطبيعة .

ولا يدهش أحد إذا وجدنا أن هذه المبادىء يتفق فيها الشعر العربى القديم والشعر الأوربى الصحيح السليم ، وأن الصناعات الغريبة فى الشعر الأوربى ما ظهرت إلا فى عصرنا هذا ؛ ولكن كثيراً من أدبائنا الذين لا يعرفون اللغات يحكمون على الشعر الأوربى بشعر شعراء الرمزية أو شعراء الوعى الباطنى وأمثالهم ، وهى طوائف حديثة فى أوروبا كما هي حديثة فى مصر ، وينفر أدباؤنا ما يقع فيه بعض المطلعين على الأدب الأوربى من النقل الحرفى لأساليب الكلام والمصطلحات، ولكل لغة خصائص فى المصطلحات وأساليب الكلام إذا نقلت نقلا حرفياً إلى لغة أخرى عدت معانى سخيفة. ومن هنا نشأت فكرة من يقول ان معانى وأخيلة الأدب الأوروبي لا تتفق والذوق العربى .

ولكن مما لاشك فيه أنه بالرغم من اختلاف خصائص العربية والافرنجية، فان الشعر الأوربى قبل أطواره الحديثة كان فى مبادئه الأساسية قريباً من الشعر العربى القديم قبل غلبة الصناعة عليه غلبة قضت على تلك المبادىء

ولا يدهش أحد إذا قلت إن كل نهضة تجديد دخلت الأدب والشعر العربى حديثاً كانت نزعة رجعية ؛ فنهضة البارودى وشوقى وحافظ وحفنى ناصف ومطران (فى شعره الحديث) كانت أيضاً نهضة رجعية بدأها الساعاتى وقواها البارودى ومن أتى بعده ؛ وهى كانت نهضة رجعية لأنهم رجعوا بالشعر عن طريقة البهاء زهير وابن الفارض والبستى وابن نباتة المصرى وابن النحاس وخليل الصفدى : طريقة الجناس الغالب والنكات ، إلى طريقة الصنعة العالية القوية صنعة مسلم بن الوليد وأبى تمام وأضرابهما . وترى هذه الرجعية ظاهرة فى شعر شوقى أعظم ظهور ، فقد بدأ بمدح البهاء زهير فى مقدمة الطبعة الأولى القديمة من الشوقيات وأسرف فى مدحه. وترى شعر شوقى في صباه مماأثبته فى الطبعة القديمة بعضه أشبه بشعر المتأخرين، وأظن أنه حذفه ولم يثبته فى الطبعة الحديثة ؛ ثم صار شعره يقترب من نسق فطاحل الدولة العباسية أمثال مسلم وأبى تمام والبحترى .

وكان منتهى أرب الشاعر قبل نهضة البارودى وشوقى وحافظ أن يكثر من الجناس وأنواع البديع حتى ليقال إن أحدهم أفنى عمره فى صنع قصيدة بديعية كبيرة شحنها بما يقرأ طرداً وعكساً ، وما يقرأ من أسفل ومن أعلى، وبالجناس وأنواعه ، وأشباهه من المحسنات، فاحتال عليه أصدقاؤه وسرقوها منه فمات كمداً وراح ضحية الطرد والعكس وصريع الجناس . وكان الأدباء إذا أرادوا إن يستجيدوا بيتاً أنشدوا بيت ابن نباتة المصرى ، ولا أذكر كلماته بالضبط ، ولكنه يمدح سلطان مدينة حماه فى الشام فيقول : إن (حماه) (المدينة) علمتهم نعمى الممدوح حتى غدا كل منهم يحب (حماته) (أى أم زوجه). هذه هى (مفارقات) النكات العامية المصرية التى كانت تطرب الأدباء . أو قول البهاء زهير لمشوقته إنه دعاها (ست) أى سيدة، لأنها ملكت جهاته (الست)

فرجوع البارودى وشوقي وحافظ إلى عصر أقدم من هذا العصر لابد أن يسمى رجعية ، وليست كل رجعية ذميمة .

والنزعة الحديثة إلى التجديد هى فى الحقيقة تكملة النزعة الرجعية التى نشطها البارودى، فكانت نزعة التجديد نزعة تفضيل (مبادىء) الشعر العربى الأقدم من العباسى ومن العباسى ما يقارب ذلك الشعر . وقد شرحنا تلك المبادىء . والذى غطى على

هذه الحقيقة أثر الأدب الأوربي ، وفتحه أبواباً جديدة من أبواب القول، وشده أزر الخيال والفكر . وغطى على الحقيقة أكثر من كل ذلك تشعب نزعة التجديد إلى فروع جديدة بعيدة كالرمزية وغيرها .

ولكنا إذا نظرنا إلى هذه الفروع وجدنا أن كلا منها مغالاة في مبدأ من تلك المبادىء كما فصلنا في المقال السابق ؛ فالذين يريدون تغليب الوعي الباطن مثلا إنما تفرعوا من مبدأ جعل الشعر بحثاً في صفات النفس وخواطرها وشجونها وأشجانها بدل ترديد معانٍ متفق ومصطلح عليها . ولا شك أن شعراء الجاهلية وصدر الاسلام كانوا ينظمون بالعاطفة أكثر من شعراء الدولة العباسية . ومعنى النظم بالعاطفة البحث في شجون النفس وأشجانها ، فهذه الطائفة في نشأتها كانت رجوعا إلى طريقة الشعر القديم ، وإن كانت قد غالت محاكاة للنزعات الحديثة في الأدب الأوروبي المصري . وبهذه الطريقة نستطيع أن نرد كل طائفة من طوائف وفروع نزعة التجديد إلى أصلين : أصل في الأدب العربي القديم غالت فيه ، وأصل من محاكاة النزعات الحديثة في الأدب الأوربي المصري . فاذا تتبع الأستاذ الغمراوي الأسباب والعوامل التي أثرت في الأدب العربي الحديث وجد أنه لم تكن هناك مؤامرة على الدين والفضيلة نشأت عنها النزعة إلى التجديد ؛ فان تتبع الحوادث يُظهِر كيف أن بعض أدباء المذهب القديم يقلبون (النتيجة) العارضة الثانوية المحدودة وهي الشذوذ والشطط فيجعلونها (سبب) نهضة التجديد كلها ؛ وقد أوضحنا أن الشذوذ والشطط موجودان في كل عصر ومذهب وذكرنا شواهد وأمثلة.

وإذا نظرنا في تاريخ النزعات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والأدبية وجدنا أنها كانت مصحوبة كلها أو أكثرها بشيء من الشطط ؛ وهذا الشطط إما أن يكون متعمداً لمحاربة الجمود أو الوقوف ، أو غير متعمد ، بل تندفع اليه بعض النفوس قهراً . وقد لا يعرف الشطط ولا يميز من غير الشطط إلا بعد عصور طويلة تمحص فيها الأمور . ولو أن كل نزعة من النزعات البشرية رفضت كلها بسبب ما يصحبها من الشطط ما تغيرت الانسانية . ومن الحقائق الثابتة أن بعض الخاصة كانوا في كل نزعة تجديد يخلطون بين مبادىء النزعة ومظاهرها ؛ وبين ما يصحبها من الشطط ، حتى كانوا يحسبون أن الجنس البشري مقضى عليه بسبب تلك النزعة . فالنزعة إلى الديمقراطية في أوربا في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر كانت مصحوبة بشطط . وحسب بعض الخاصة أنه سيقضى على الانسانية ، وأن القيود والشرائع الاجتماعية مقضى عليها بالاضمحلال ، فرفضوا النزعة بأجمعها بدل رفض الشطط وحده . وهذا هو ما حدث في نزعة الاصلاح الديني في أوربا في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، أو ما حدث في النزعة إلى تحرير الرقيق في أمريكا . ولعل الشطط الذي كان في رفض النزعة كلها كان يغفر الشطط الذي يصحبها ويهون أمره في نفوس أنصارها ويساعد على نجاحها .

ومما يشاهد أيضاً في حياة الأمم أن الفساد الكثير المألوف قد لا يثير من التسخط قدر ما يثيره الفساد القليل غير المألوف ، وإن كان الأول أوخم عاقبة وأكثر ضرراً . والنوع الأول من الفساد هو كما في الأدب العربي من مجون وإباحية صقلهما الدهر واعتادهما القراء حتى صارا لا يثيران تسخطاً بل يُنظَر اليهما كما يَنظُر الأب إلى ابنه الكثير الدعابة واللعب فيلومه ولكنه يحن اليه ويعطف عليه وتزيده دعابته ولعبه حبا له .

ومن المشاهد أيضاً أن الأديب أو المفكر قد يدافع عن مذهب وهو يعمل على هدمه من غير عمد ، أو يعمل على الأقل لاذاعة نقيضه بمؤلفاته وهو في بعضها يعمل لنقيض هذا النقيض . فشوقي الذي أطرى البهاء زهير في مقدمة الطبعة القديمة من الشوقيات ، هو شوقي الذي عمل بشعره المتين الأخير للقضاء على طريقة البهاء زهير وأضرابه . والرافعي الذي يروج أشد مذاهب الأدب الأوربي الحديث تطرفا وهو مبدأ الرمزية من غير قصد بتأليف (حديث القمر) ، هو الرافعي الذي ينتقد الأدب الأوربي أشد انتقاد في مقالاته . وكم من أديب قريب العهد بالأدب لولا بعض كتب الرافعي ما احتذى هذا المذهب فيما كتب .

فالعقل أو الوعي الباطن قد يُمَوِّه على العقل الظاهر الناقد. أليس في بعض شعر الصوفيين من شعراء اللغة العربية شهوة مكتومة يبوح بها العقل الباطن بالرغم من صرف العقل الظاهر معناها إلى الذات الالهية ؟ وهذا مع أن أوصاف المحبوب لا تشير إلا إلى إنسان جميل وإن القول شهوة محض .

ولعل الأستاذ قد قرأ وصف النابغة الذبياني للمتجردة زوجة

النعمان واطلع على مافيها من وصف عورة المرأة وما هو أشد من أشد من وصف عورتها فى قوله (وإذا ... وإذا) . نعم إن النابغة شاعر جاهلى، ولكن استشهاد الأفاضل الأجلاء من شيوخ الأدب والعلم بهذا الوصف ونشره فى الكتب التى يمدونها للقراء ومنهم الفتيان والفتيات، يدل على أن العقل الناقد فيهم قد نُهى عن أن هذا الوصف يخالف العرف والتقاليد والآداب الاسلامية

وهؤلاء الأفاضل هم الذين يسخطون على وصف الغوانى فى لباس البحر وصفاً لا يبلغ مبلغ وصف العورة والفجر كما فعل النابغة وكما فعل كثير من أدباء العرب في العصور المختلفة احتذاء للنابغة حتى فى عبارات وصفه .

على أن رجوع نزعة التجديد إلى طريقة النظم بالعاطفة أو بذكرى العاطفة، ومحاولة الإقلال من المغالاة بالصنعة العباسية ليس من جهل بفضل الأدب العربى فى العصر العباسي، ولا من جهل بفطاحل شعرائه وأدبائه ، ولكن هؤلاء الشعراء شغلوا بمدح الخلفاء والأمراء ووضعوا لهذا المدح أوضاعاً . وإذا قرأت أجزاء مختارات البارودى هالك نصيب باب المدح من تلك الأجزاء الأربعة ، وهالك تردد المعانى فى ذلك الباب؛ وهذا معنى ما أشير إليه من جود المعانى والموضوعات وغلبة الصنعة على العاطفة النفسية ، وذلك لا ينفى أن نصيب هذا العصر من التفكير وحرية القول كان عظيما . ومما يؤسف له أن حرية القول كان أكثرها فى المجون إلا عند بعض المفكرين من الشعراء. ولا ينفى أن تلك الصنعة التى ما لبثت أن تحجرت فى أوضاع المدح كانت فى أول أمرها تجديداً، ولكنها فى المتأخرين ضاع التجديد فيها وتدلت إما إلى محاكاة عبارات ومعانى السابقين، وإما إلى ما رأينا من النكات اللفظية والجناس وأشباهه من الأمور التى استغنى بها حتى عن روعة الأسلوب وفخامته، إلى أن جاء البارودى وحافظ وشوقى فعادوا إلى محاكاة أفخم أساليب العصر العباسى الأول . ثم جاءت نزعة المذهب الجديد وحاولت إحداث شيء من التجديد فى أبواب القول ومعانيه وأخيلته ، وفى طريقة بحثه للموضوعات بالرجوع إلى خواطر النفس وأحاسيسها. فاذا كان بعض أدبائها قد وصف في الأحايين خواطر لا يصح وصفها ، فانه أمر عارض لا يصح أن يكون عنواناً للمذهب ، أو أن يفسر به المذهب ؛ وهو على أى حال أهون مما فى كتب الأدب القديم من وصف فُجْـرٍ ومن مجون يقرؤه الفتيات والفتيان فى مكتبات مدارسهم كل يوم حتى صغارهم الذين يكاد المرء يعدهم من الأطفال . فينشأ هؤلاء الأطفال على النفاق والبجح إذا ما لقنهم الملقنون أن الأدب الأوربى من آداب الرذيلة ، وهم منغمسون في حمأة الرذيلة بسبب كتب الأدب العربى القديمة . أما ما يأخذه بعض كتاب المذهب القديم على المذهب الجديد من الولوع بشعر التأمل فهو أعجب العجب . وهم إنما يخلطون بين شعر التأمل وبين شعر متون وحواشي كتب الفلسفة، أو بين شعر التأمل وشعر تعليم الأولاد. فشعر التأمل فى الحياة والنفس هو خلاصة النفس؛ وهو لا يختلف عن الشعر الذى يقال فى وصف أحاسيس النفس فى موضوعه ما دمت تحسُّ فيه العاطفة الشعرية . ولا يجوز الحط منه إلا إذا خلا من كل أثر للعاطفة النفسية؛ فليس شعر التأمل فى المرتبة الثانية، وإلا أخرجنا أبا العلاء المعرى والمتنبي من عدة الشعراء وأخرجنا أجود ما فى شكسبير . وقد فرق الأدب الأوربي بين شعر التأمل وبين شعر متون الفلسفة، كما فرّق بين شعر التأمل وبين الشعر التعليمى فى الأسماء ؛ فلتراجع هذه الأسماء فى مصادرها .

(قارىء)

عود على بدء

بين الغـــــرب والشرق

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

— ٤ —

كان يرى الأستاذ فليكس فارس رجحاناً لطابع الشرق الغيبي على قالب ثقافة الغرب الاثباتية . ومرد هذا الرجحان كما ظهر لنا من مناقشة كلامه اعتقاده بقانون الرجعى ، وبأن لهذا الشرق من كيانه نافذة يتطلع منها إلى الحياة ، هي نافذة فطرته الموروثة ، فنها يستقبل النور ، ومنها يستقبل النسمات لأنفاسه .. وفطرة الشرق الموروثة على زعمه قائمة على الايمان بالغيب . ونحن نرى ما يعبر عنه بالفطرة الموروثة هو التراث الشعبي لهذا الشرق والثقافة التقليدية له . وهو شيء كما قلنا غير فطرة الشرق وروحه ، لأن الفطرة شيء مجرد يظهر في تاريخ الشعب وفي ثقافاته المتعاقبة من حيث يحتضن ثقافة الشعب التقليـدية . إذاً من الخطأ من الناحية العلمية ما يقوله مناظرنا الفاضل الأستاذ فليكس فارس من أن فطرة شعوب الشرق هي الحالة الغيبية . والصحيح أن يقول إن طابع ثقافة الشرق التقليدية هو غيبي

ولا شك أن طابع هذه الثقافة التقليدية ممكن تغييره بالطابع اليقيني ، ولكن هذا التغيير وقف على العوامل والظروف التي تجد طريقها إلى محيط هذا الشرق . فنحن نعلم بأن كينونة الانسان وقف كما قلنا في المقال السابق على مجموع الصلات المتبادلة بين المؤثرات المختلفة التي يختص بهـا المحيط الاجتماعي والبيئة الطبيعية من جهة ، والانسان من جهة أخرى ؛ فاذا ما تفاوت المؤثرات في المحيط الاجتماعي فتبعاً لما يتغاير منتوج الصلات القائمة بينها وبين البيئة الطبيعية حتى تحوز من المكافأة ما يتوافق مع ما استجد من المؤثرات . ومثل هذا التغاير الخارجي يؤدي إلى تغير في الأفكار والسلوك الاجتماعي والشعور الذاتي في الجماعة البشرية ..

وأظن أن مناظري مهما حاول أن يتعسف فلا يساعده المنطق والعلم أن ينال من صحة هذه المقررات الأولية

وإذن يسقط السبب الوحيد الذي يرجع اليه مناظرنا في إيمانه بتفوق ثقافة الشرق الغيبية

ولنا أن ننظر مع ذلك في حقيقة الاتجاه الغيبي في المجموع البشري كحالة طبيعية تمر بها الجماعات في تطورها التاريخي وارتقائها الطبيعي ، مجردة عن تلك الحالات التي تقيمها اليوم في كيان المجتمع العربي على وجه عام ، والمصري على وجه خاص . وسنجد أن الحالة الغيبية مبعثها الجهل بأسباب الأشياء الطبيعية وعللها الكونية ، فيجنح العقل إلى ما وراء الطبيعة والكون محاولا أن يستنزل منها تفسيرات وتعليلات للحالات التي يخاص بها من حياته في العالم المنظور . وأظن أن أحسن ما يمكن أن أقدمه لمناظري الفاضل تاريخ النزاع بين اللاهوت والعلم ، ففي كل صفحة من صفحات هذا التاريخ يقع على ما يؤيد فكرتنا

يقول الأستاذ « يتي كروزيار » :

(لقد كف الناس عن القول بأن المذنبات نذر إلهية عند ما عرفوا أسباب ظهورها وعللوا وجودها . وكفوا عن القول بأن الصواعق نتيجة غضب إلهي عند ما عرفوا حقيقة الكهربائية الجوية ، وعند ما استكشف « فرنكلين » مانعته المشهورة . ورجعوا عن القول بأن الجنون والمس عائد إلى أعمال السحرة والمشعوذين وأنصار الشياطين عند ما دلهم الطب على أسبابها العصبية . ورفضوا الاعتقاد بأن اللغات منشؤها بابل عند ما وضعت قواعد مقارنة اللغات)

ثم لقد كف الناس في العالم المتمدن عن كل هذا ، وآمنوا بسنة « كُونت » من أن الحوادث العالية والظاهرات الطبيعية لابد أن تعود إلى سبب طبيعي ، وأنه من المستطاع تعليلها تعليلاً علمياً مبناه العلم الطبيعي . من ذلك اليوم انهار قائم اليقين بما بعد الطبيعة للافصاح عن حقيقة الظاهرات الطبيعية ، وكان نتيجة ذلك أن خلص العالم المتمدن بعقلية وثقافة جديدتين طابعهما يقيني إثباتي . ونحن إن كنا نقول باستحالة الأخـذ بالعلم الأوربي مع الاحتفاظ بالثقافة الشرقية من حيث أن طابعها غيبي ، فذلك مرده أن العلم الأوربي قائم على عقيدة أولية في إمكان الكشف عن سبب طبيعي لكل الحوادث العالية والظاهرات الطبيعية

٦ — يظهر أن المناظر الفاضل حين أراد أن يرد على القول

بوجود أصل فرعوني في ثقافة مصر التقليدية ، تعسف إلي حد أن خرج على الأوليات المعروفة في حقائق الاجتماع وعلم تكون الشعوب . وإلا فليفسر لنا معنى سخريته من هذه الأوليات ؟

يقول المناظر الفاضل :

« أما أن يعد المناظر « يعنيني بذلك » طريقة استغلال الأرض فطرة (لم نقل فطرة وإنما كل ما قلناه ثقافة تقليدية أو تراث للشعب، فاذا صح الكلام على هذا الوجه يستقيم) فذلك مما لا يوافقه عليه أحد — لماذا ؟ — لأن المسألة هنا تتعلق بتطور في أساليب الصناعة . ولو كان الأمر كذلك لكان كل مرتد غير القميص الأزرق ، وكل حارث بآلة حديثة ، وكل مستبدل « شادوفاً » « بطلمبة » فاقداً للأصل الفرعوني في ثقافته التقليدية »

وهذه لعمري إحدى أطاريف الكلام في مناظرتنا . ومنحى الطرافة أن يحمل المناظر الحقيقة على وضع يسخر منه !

نعم أيها الصديق ، إن ما تظنه موضعاً للسخرية حقيقة واقعة . وإذا أردت السبب فاننا نسوقه بكل بساطة قائلين :

إن منحى الحياة الماشية التي يحياها الانسان لها أثر في تحديد مشاعره وتوجيه عقليته وتكوين ثقافته ، من حيث أن الحياة الماشية تقيم جواً طبيعياً واجتماعياً يعيش فيه الانسان ، وإلا فما الفرق بين ثقافة إنسان يحيا حياة رعي وصيد ، وحياة إنسان يحيا حياة زراعة، وحياة إنسان يحيا حياة صناعية ؟

لا أظن أن المناظر الفاضل يتعسف إلى الحد الذي ينكر الفرق الثقافي بين هؤلاء وأثر حياتهم الماشية في تكوين ثقافاتهم إلا ويخرج عن الأوليات المعروفة في علم الاقتصاد والاجتماع . وهو إن شاء أن ينكر فلسنا نمنعه . ولكن ليبين لنا إلى أي شيء يستند حتى نناقشه على أساسه ؟ !

كذلك إنكار المناظر أن تكون التقاليد التي احتفظ بها المصريون من العهد الفرعوني دليلا على ظهور الدين الاسلامي في مصر على الدين الفرعوني فلا أظن أن منطقه أسعفه في إنكاره، لأنه يعترف ضمناً بهذه الحقيقة في اعتراضه بقوله :

« على أن ما تبقى من التقاليد يعد بدعاً لا يزال الدين يعمل على اقتلاعها من المجتمع لخيره وسلامة إيمانه » فكأن هنالك تقاليد تبقت من العهد الفرعوني وتسربت إلى الدين الاسلامي في مصر ولونته بلون محلي . أما أن الدين يعمل على اقتلاعها لخير المجتمع وسلامته فليس ذلك من شأن الباحث الستقرى . وله أن ينظر إليها إذا ما نجح الدين في اقتلاعها وأصبحت حقيقة ملموسة .

٧ — قلنا إن لمصر ثقافتها التقليدية التي تتميز بها عن جاراتها من بلدان الشرق العربي . غير أن المناظر وإن اعترف معنا بأن للميزات الاقليمية أثراً على ثقافة الأمم اعتبر أن لكل أمم الشرق العربي ثقافة عامة شاملة ، ومن هنا اعترض علينا وقال بوحدة ثقافة أمم الشرق العربي . غير أن هذا الاعتراض في غير محله ، لأن اعتباره أن لأمم الشرق العربي ثقافة عامة شاملة إن كانت صحيحة إلى حد ما فهذه الثقافة تتلون وتأخذ طابعا في كل بلد من بلدان الشرق العربي ، فمظهرها في سوريا غير مظهرها في العراق ، وهي في العراق غيرها في مصر ، وهي في مصر غيرها في الحجاز ، وهي في الحجاز غيرها في مراكش أو تونس . وهذه حقيقة قد تظهر أوضح للمراقب الأجنبي من حيث تتميز عنده الفروق الأساسية . ومن مظاهر هذه الفروق اللهجات العربية في مختلف بلدان العالم العربي ، ومناحي الحياة الماشية .

ولقد وهم المناظر الفاضل أننا نهزل حين قلنا إن العامية في مصر هي العربية الآخذة بأسباب الفرعونية ، بينما نحن في مجال الجد ؛ غير أن ناحية من الهزل بدت من خلال كلامنا حين لم يلاحظ مناظرنا ما قلناه في المقال الأول من أننا نعني بالفرعونية وحدة الحياة — عقلية أو ماشية — متمشية في ثقافة المصريين التقليدية حتى العهد الفرعوني . فاذا قلنا إن العامية هي العربية الآخذة بأسباب الفرعونية فانما نعني أنها تأخذ طابعاً مصرياً خاصاً بها ، هذا الطابع هو الذي يتمشى في ثقافة المصريين التقليدية حتى العصر الفرعوني ، ومن هنا جاءت كلمتنا الآخذة بأسباب الفرعونية » .

وأظن أن كلامي قد وضح وبان مفهومه وظهر أنه جد لا هزل ... وبهذه المناسبة ألفت نظر المناظر إلى مراجع قيمة في اللهجة المصرية تشفي غلته وتؤيد وجهة نظرنا ، وأهم هذه المراجع بحث للبروفسور نلينو عنوانه « كتاب في اللهجة المصرية » وهو مطبوع بميلانو عام ١٩٠٣ ، ودروس الأستاذ احمد والي ويوسف المغربي والأستاذ كراتشفوفسكي

« للمقال بقية » اسماعيل أحمد أدهم

السلطان الغورى

مكانته فى الادب والعلم وأثره فيهما

للدكتور عبد الوهاب عزام

ظفرنا بهذه الخلاصة الوافية لخطاب القيم الذى ألقاه صديقنا الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام في مؤتمر المستشرقين ببركسل ؛ فنال إعجاب العلماء المجتمعين بطرافة موضوعه ، ودقة بحثه ، وسداد طريقته (المحرر)

— ١ —

السلطان قانصوه الغورى أحد سلاطين المماليك بمصر . حكم من سنة ٩٠٦ إلى سنة ٩٢٢ هـ

ولست أريد أن أعرض للأحوال السياسية التى تولى فيها، والأحوال التى أزالت ملكه وقضت على دولة المماليك ؛ ولكنى أريد أن أذكر طرفاً مما عرف من صلته بالأدب والعلم

كان ذا حظ وافر من العلوم الدينية : التوحيد والتفسير ، والفقه ؛ وكان ذا نصيب من التاريخ معنياً بقراءة التواريخ والقصص وسماعها ، كما كان ذا بصر بالأدب ، وله نظم بالعربية والتركية ؛ وكانت له مشاركة فى الموسيقى والغناء ، وله موشحات كان يُتغنى بها

— ٢ —

وتاريخ الغورى مفصل فى كتب التاريخ ولا سيما كتاب «بدائع الزهور فى وقائع الدهور» لمحمد بن إياس ؛ ولكن سيرته فى الأدب والعلم تتجلى فى ثلاثة كتب لم تنل نصيبها من العناية وفيهما للمؤرخ مجال واسع

١ — كتاب نفايس المجالس السلطانية، فى حقائق الأسرار القرآنية : ألفه حسين بن محمد الحسينى ، وهو شريف كما يؤخذ من اسمه ومن عبارات فى ثنايا الكتاب ، ويظهر أنه تركي ساح فى إيران والبلاد الشرقية ، وقد نظم بيتين بالتركية فى رثاء ابن السلطان الغورى ، وروى من شعر حسين بيقرا . وفد على مصر فأقام عشرة أشهر شهد فيها مجالس السلطان الغورى ، وجمع فى كتابه هذا بعض المباحث التى كان السلطان والعلماء يتكلمون فيها والعجمة ظاهرة فى كتابته حتى اسم الكتاب فقد سماه «نفايس مجالس السلطانية فى أسرار مجالس القرآنية» فحذف اللام من المجالس والأسرار

والنسخة التى بأيدينا هى النسخة التى كتبت للسلطان وأهديت إليه . وقد كتب عليها الصيغة المعتادة :

(برسم خزانة المقام الشريف ملك البرين والبحرين مولانا السلطان المالك الملك الأشرف قانصوه الغورى خلد الله ملكه)

ويقول المؤلف فى مقدمة الكتاب : أما بعد فإنى لما تشرفت فى خدمة أشرف الملوك وأعظم السلاطين ظل الله فى الأرضين ، ناظر أربع حُرُم رب العالمين ، سلطان العرب والعجم ، صاحب البند والعلم ، حافظ بلاد الله ، ناصر عباد الله ، أمير المؤمنين وخليفة المسلمين ، ملك الأشرف عزيز مصر أبو النصر قانصوه الغورى ، أعز الله أنصاره ، وضاعف أقداره — ولازمتُ بابه الشريف عشرة أشهر ، وجمعت درر فوائده فى سمط العبارة ، ونظمت جواهر زواهره فى خيط الكتابة . فان بابه الكريم مجمع الأفاضل ، وجنابه العظيم بحر الفضائل والفواضل . هذا مع ماخصه الله تعالى من الفضائل النفيسة ، والمناقب الشريفة اللطيفة ، أعطاه من الفهم أوفره ، ومن الذهن أغزره ، ومن الحلم أشرفه ، ومن العلم ألطفه ، ومن الرتب أقواه ، ومن الملك أعلاه ، ومن الشجاعة أبلغها ، ومن السخاوة أعظمها ، كل هذه الصفات خصه الله تعالى بمجموعها . ولهذا ارتقى إلى الذروة العالى ، التى كانت نهاية درجات الأفاضل الأهالى . وفضل هذا السلطان على سلاطين الدنيا كفضل سلاطين الدنيا على الرعايا .

وكل هذه الأوصاف والمناقب بما قرن به من محبة العلم والعلماء والتفتيش عما ضمنته الحكماء فى كل نوع من العلوم ، لو يقول البشر فى وصف هذا المظهر إنه هو سلطان العلماء المحققين ماهو كذب في حقه ، أو يقول فى مدحه : انه هو سلطان العارفين ماهو عيب فى وصفه »

وجعل كتابه فى مقدمة وعشر روضات . والمقدمة قصيرة تتضمن كلام بعض السلاطين ومنهم الغورى . والروضات العشر يذكر فى كل واحدة منها مجالس السلطان فى شهر . وكانت المجالس تجتمع فى كل أسبوع مرة أو اثنتين أو ثلاثاً .

وأولها مجالس رمضان سنة عشر وتسعمائة . وأول مجلس منها يوم الخميس الثالث والعشرين من الشهر، وآخرها مجالس رجب

فهي عشر روضات في أحد عشر شهراً لأن السلطان لم يجلس في شهر ذي القعدة ، لوفاة ولده محمد .

والمؤلف يصف كل مجلس وتاريخه ومدته ، ويذكر الإمام الذي يحضر المجلس وكبار الحاضرين، ثم يذكر المسائل التي طرحت للبحث في المجلس . يقول في المجلس الأول :

«طلعت يوم الخميس ثالث وعشرين رمضان المبارك في تاريخ سنة عشر وتسعمائة، وكان في خدمته ناصح الملوك والسلاطين شيخ حسن جلبي؛ وكان الامام في تلك الليلة شيخ شمس الدين السمديسي. وقعدوا في الأشرفية ستين درجة . ووقع في تلك الليلة أسولة . السؤال الأول الخ » . .

ويقول في المجلس الثاني من شوال :

« طلعت يوم الأحد تاسع شهر شوال ، وقعدوا خمسين دقيقة في البيسرية الأشرفية . والامام كان شيخ محب الدين المكي ، وشيخ الاسلام كان حاضراً . وخواجه غياث الدين ده دار ، وقاضي جمال الدين الخشاب ، وكثير من الناس كانوا في الخدمة الشريفية والعتبة العلية »

يبدأ السلطان أكثر الأحيان بسؤال يجيب عنه أحد الحاضرين فيرتضي السلطان جوابه أو يناقشه ، وأحياناً يبدأ أحد الحاضرين الكلام . وأكثر المسائل دينية وبعضها تاريخية ، ومنها ألغاز في موضوعات شتى ، وقصص عن الملوك وغيرهم

وأحياناً يصف المؤلف مشاهد ويروي أحاديث لها في التاريخ خطر كبير

مثلاً يصف إحياء السلطان المولد النبوي ، ويذكر طوائف الناس الذين اجتمعوا ، وما فعلوا في هذا المحفل، ويبين كيف جلس السلطان ليلا وكيف يتقدم إليه كبار الدولة وينشد كل منهم شعراً في مدحه وكيف يقابلهم السلطان . وقد ذكر أن الخليفة يعقوب المستمسك بالله خليفة مصر تقدم « وباس الأرض ، كقرض المين وعين الفرض » وأنشد :

إن الخلافة ثوب قد خُصصت به إذا لبست فلم يفضل ولم يعز
ما أودع الله في أحداقنا بصراً إلا لتفرق بين الدر والخرز

وكذلك يمر القارئ بمسائل ذات خطر في التاريخ والسياسة إذ ذاك كقول السلطان :« الجركس من الفساسنة فهم عرب »

وكالبحث في شروط الامامة في مجلس السلطان وقول مؤلف الكتاب : فان لم يوجد من يستوفي الشروط من ولد اسماعيل جاز أن يُولّى واحد من العجم أو من ولد إسحاق . وقوله بعد هذا : الحمد لله والمنة ، الجركس من ولد إسحاق . وجميع هذه الشرائط موجودة في السلطان الأعظم

بل نجد في الكتاب بحثاً صريحاً في نيابة الغوري عن الخليفة العباسي وهل هذه النيابة لازمة لصحة أحكامه في الأمور الشرعية. ويشتد الخلاف بين المؤلف وأحد العلماء في هذه المسألة فيحقر المؤلف الخليفة ويعظم السلطان ، ثم يذهب يستفتي العلماء ويأخذ خطوطهم بأن نيابة السلطان عن الخليفة غير لازمة

ويرى القارئ أحياناً اهتمام السلطان بتعليم المماليك وإحضارهم معه من حين إلى آخر إلى مجالسه ليقرءوا أمامه ويمتحنهم

وهكذا يجد القارئ في الكتاب مسائل مهمة لا يظفر بها في كتب التاريخ ، ويرى صوراً من آراء السلطان وعلماء عصره ، ويتبين مقدار اطلاعهم ودرجة تفكيرهم

٢ — الكتاب الثاني : اسمه الكوكب الدري في مسائل الغوري ، وهو يحتوي على ألفي مسألة وأجوبتها من المسائل التي وقع البحث فيها في مجالس السلطان الغوري أيضاً . ولدينا الجزء الأول من الكتاب وفيه ألف مسألة في ٣٣٨ صفحة . والنسخة مكتوبة في عهد الغوري .. ويظهر أنها نسخة المؤلف . وعليها خطوط ثلاثة من علماء وقته المعروفين يشهدون بأنهم اطلعوا على الكتاب . وبعض هذه الخطوط مؤرخ بالسنة التي تم فيها كتابة هذا الجزء

ويقول المؤلف في آخر الكتاب : « وكان الفراغ منه في مستهل شهر ربيع الآخر سنة تسع عشر وتسعمائة »

ويقول في المقدمة : وبعد فاني لما رزقني الله سعادة الدارين وتشرفت مدة عشر سنين بخدمة سلطان الحرمين الشريفين خان الأعظم وخاقان المعظم ، مولى ملوك الترك والعرب والعجم حافظ بلاد، الله ناصر عباد الله، وارث ملك يوسف الصديق، إمام الأعظم بالحق والتحقيق، مظهر الآيات الربانية، مظهر الأسرار الروحانية ، أمير المؤمنين وخليفة المسلمين ، الملك الأشرف ذو الفيض النوري، أبو النصر قانصوه الغوري الخ ... قصدت أن أجمع در فوايد

مجلسه فى سمط العبارة والكتابة ، وأنظم جواهر زواهره فى سلك الاستعارة والكناية ، لأنه ورد فى كلام بعض الأنام : كلام الملوك ملوك الكلام، سيما إذا كان البحوث عنه تفسير كلام رب العالمين، ونكات أحاديث سيد الأنام عليه الصلاة والسلام ، ومباحث سلطان الاسلام الخ ...

إلى أن يقول : وجمعت شيئاً يسيراً وفاتنى منه شىء كثير ، فجمعت من بحار فوايده قطرة، ومن شموس محاسنه ذرة ، لم أقدر أن أجمع إلا واحداً من ألف بل من مائة ألف ... فجمعت من المسائل المشكلة ألفى مسألة ، وسميته بالكوكب الدرى فى مسائل الغورى ...

وفى هذه المقدمة شبه بمقدمة الكتاب الأول ، وبعض عباراتهما واحدة ، وبين تاريخهما زهاء عشر سنين

وهذا الكتاب ليس مقسما على المجالس كالكتاب السابق ، بل المسائل فيه متتابعة بغير فصل . والمطلع على الكتاب يرى صوراً من أفكار علماء مصر وأمرائها فى ذلك العصر . يرى إلى المسائل الدينية وهى معظم الكتاب ، مسائل تاريخية ، وجغرافية، ويرى انتقال الحديث من تفسير آية أو حديث إلى السؤال عمن بنى الأهرام أو عن سبب زرقة السماء أو السؤال عن كيورث أول ملوك الشاهنامة أكان قبل نوح أو بعده ، أو عن شهر المحرم لماذا جعل أول التاريخ الهجرى ، أو هل الأرض أفضل أم السماء . ويجد القارئ فى الحين بعد الحين فكاهة من السلطان أو نادرة ، ويعرض فى المجالس ذكر الملوك الناصرين والأمراء الذين وفدوا على السلطان كان السلطان سليم. ويرى بعض الأسئلة الدينية التى سألها هؤلاء الأمراء وجواب السلطان أو بعض علمائه

لا ريب أن هذا الكتاب على تفاهة معظم المسائل التى يدور عليها البحث ، يصور بعض النواحى الفكرية والاجتماعية فى مصر والعالم الاسلامى ، فى ذلك العصر

٣ — الغورى والشاهنامة :

— ١ —

كان حسين بن حسن بن محمد الحسينى الآمدى أحد شعراء التركية فى أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الهجرى وشهد عهد السلطان الغورى فى مصر ، ولعله فرّ إليها إذ كان من المقربين إلى الأمير جم بن محمد الفاتح . وتوفى بمصر سنة ٩٢٠ وقد أمره السلطان الغورى أن يترجم شاهنامة الفردوسى إلى اللغة التركية فترجمها فى عشر سنين آخرها سنة ست عشرة وتسعمائة

وقد نظم الشاعر فى مقدمة الكتاب فصلاً يبين فيه سبب نظامه . وخلاصته أن السلطان كان ولعاً بقراءة التاريخ والقصص، وكان فى خزانته كتاب الشاهنامة، فدعا الشربنىّ وقال: إنى أحب هذا الكتاب وأعرف ما تضمنه من المواعظ والأخبار وأريد أن يترجم إلى اللغة التركية ليسهل علينا إدراك معانيه . وأعرف أن لك مقدرة على نظمه، فترجمه إلى التركية . فقال الشاعر: أيها السلطان المعظم ! كيف تريد أن تسهل عليك معانيه بالترجمة وأنت تعرف لسان العجم أحسن من العجم ؟ بل هو أسهل عليك من اللغة التركية ، وليس بك حاجة إلى ترجمته

قال السلطان : أريد أن يبقى ذكراً بعدى ، فإنما يخلد الانسان بالذكر الحسن

قال الشاعر: ولكن نظمي ليس من البلاغة والسلاسة بحيث يعجب السلطان ؛ وليس يسيراً أن يبلغ الكلام الدرجة التى ترضيك ، والشاهنامة كتاب غير الترجمة

قال : دع الاعتذار ولا تعتل فأنت من آل الرسول. فشمّر للأمر ، وإن لم يكن كلامك مزخرفاً مصنفاً فلست أبالى . لست أكلفك كلاماً ملوكياً ، ولكن أريد أن تقول باللسان التركى قولا درويشياً

يقول الشاعر : فلم أجد بداً من امتثال الأمر على ثقل العبء وعلى بعد ما بينى وبين الفردوسى ، وشرعت فى نظم الكتاب فى وزن آخر غير وزنه الفارسى الخ ...

— ٢ —

فى مقدمة الكتاب وخاتمته نحو ألف بيت ؛ يبدأ الكتاب بالتحميد ، ومدح الرسول والخلفاء على سنّة شعراء الفرس والترك ، ثم يذكر سيرة مماليك مصر منذ سنة ٩٧٠ هـ ، يذكر قايتباى والملوك الذين خلفوه فى فترة الاضطراب التى بينه وبين الغورى ، ثم يفيض فى مدح السلطان ، ثم يبين سبب نظم الكتاب ويشرع فى ترجمة الشاهنامة . وفى الخاتمة يمدح السلطان ويبين أنه نظم الكتاب باسمه وأتمه فى دولته ، ويتكلم عن أخلاق

السلطان وسياسته وشغفه بالعلم والأدب، ومعرفته لغات كثيرة، ومشاركته في الانشاء والشعر ونظمه في توحيد الله ومدح الرسول، وإلمامه بالموسيقى، ونظمه موشحاً للغناء، وولوعه بقراءة التواريخ الخ ... ثم يصف مجلس السلطان واجتماع العلماء فيه لمذاكرة العلم، ويذكر المغنين والموسيقيين الذين يطربون السلطان في مجالسه

ثم ينتقل إلى وصف عمارات السلطان وصفاً مفصلاً فيعدد تسعاً منها . والخلاصة أن في مقدمة الكتاب وخاتمته ما يكشف بعض تاريخ الغوري ولا سيما الجانب الأدبي منه ، ويبين طرفا من تاريخ مصر — بعد حساب المبالغات الشعرية .

— ٣ —

هذا الكتاب له قيمة عظيمة في تاريخ اللغة التركية فهو سجل جامع لألفاظ اللغة التي كانت مستعملة في القرن العاشر الهجرى ولقواعد النحو والصرف التي كانت متبعة إذ ذاك .

وفيه كذلك صورة مفصلة للضرورات الشعرية التي كانت تعانيها اللغة من بعض الشعراء في ذلك العصر ، والتي ذكرها ضيا باشا في مقدمة « الخرابات »

— ٤ —

ويزيد في قيمة الكتاب وفائدته ، أن عندنا منه نسخة الأم أعني النسخة التي كتبها المترجم بخطه ، وقدمها إلى السلطان ؛ فعلى صفحة العنوان نجد هذه الصيغة :

« برسم خزانة مولانا المقام الشريف السلطان مالك رقاب الأمم ، السلطان المالك ، الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري عز نصره وخلد ملكه .

وفي آخر الجزء الأول :

« وقع الفراغ من تحرير المجلد الأول في أول ليلة من شعبان المبارك في محروسة مصر صانها الله من الآفات ، في قبة الحسينية لأمير يشبك ، تغمده الله بالرحمة والغفران » ،

كاتبه ناظمه أضعف عباد الله حسين بن حسن بن محمد الحسيني سنة ثلاث عشر وتسعمائة . والحمد لله الخ ..

وفي آخر الجزء الثاني :

تم الكتاب بعون الملك الوهاب ضحوة النهار يوم الأحد ثاني شهر ذي الحجة الحرام سنة ست عشر وتسعمائة من هجرة النبوية عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات ، كاتبه ناظمه وهو أضعف العباد حسين بن حسن بن محمد الحسيني الحنفي في مدينة مصر حرسها الله من الآفات والبليات في جامع المرحوم المغفور السعيد الشهيد الملك المؤيد شيخ سقى الله عهده بالرحمة والمغفرة

وبعد هذا سطران بالتركية :

« بو كتابك نظمنه مولانا السلطان عز نصره الغوري أول سلطنت يلنده ابتدا إيلدك ، أون يلده تمام أولنـدى ، أونك دولتده إتمامه أرشدى »

حسبنا الله ونعم الوكيل . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

(ومعنى العبارة التركية أنه بدأ الكتاب في أول سنة من عهد السلطان وأتمه في عشر سنين في دولته)

— ٥ —

والنسخة في ١١٧٠ورقة كبيرة أي ٢٣٤٠صفحة، كل صفحة ٢٥ سطراً، وهي مذهبة، وبها اثنتان وستون صورة ملونة . وإزاء كل صورة في الحاشية عنوانها بخط مذهب. ولهذه الصور قيمتها في الدلالة على التصوير المصري في ذلك العصر

— ٦ —

ثم يزيد هذه النسخة نفاسة وفائدة أنها واضحة الخط تميز فيها الحروف الثلاثة پ ، چ ، ژ ، من الحروف العربية ب ، ج ، ز بوضع نقطتين تحت الحرف أو ثلاث . وهذا نادر في الكتب القديمة ، وهي بعد هذا مشكولة شكلا تاماً لا يرتاب القارئ في ضبط كلمة منها

فبين أيدينا زهاء ستة وخمسين ألف بيت من الشعر التركي في القرن العاشر الهجرى مضبوطة ضبطاً تاماً ، وقيمة هذا في اللغة والأدب ليست هينة

— ٧ —

عرفنا من هذه الكتب أن السلطان كان مولعاً بالأدب وأن له نظماً بالعربية والتركية . ولدينا نماذج من نظم السلطان في موشح في كتاب نفايس المجالس، وقصيدتين وموشحين بالعربية، وموشح بالتركية في كتاب تاريخ حلب للطباخ ، وعند بعض أدباء حلب قطع أخرى من شعر السلطان ، وفي استانبول مجموعة من شعره

عبد الوهاب عزام

للتاريخ السياسي

النزاع الروسي الياباني

للدكتور يوسف هيكل

شهد شهر أغسطس (آب) الفائت حوادث دولية متفاقمة الخطورة، إذ طارت شرارة الحرب العالمية في الشرق الأقصى فأشعلت النار بين الروس واليابان، فكادت الحرب تجتاح العالم لولا الجهود الديبلوماسية التي بذلت لاخماد نار الحرب الروسية اليابانية. غير أن شبح الحرب العالمية عاد من الشرق الأقصى إلى أوروبا الوسطى، وأخذ يحوم في جوها مهددا السلام بشدة.

وحديثنا في هذا المقال مقتصر حول النزاع الروسي الياباني. ولعرض هذا النزاع يحسن بنا التكلم عن أسباب الصدام الذي حدث بين القوى الروسية واليابانية، وعن تطور القتال بينهما، وأخيرا عن المفاوضات الديبلوماسية التي بذلت لعقد الهدنة بين موسكو وطوكيو، وعن شروط هذه الهدنة وأسبابها.

نشأت في اليابان في السنين الأخيرة روح استعمارية جديدة. فبعد أن أغرقت اليابان أسواق الشرق بمنتوجاتها، مما أدى بالدول الأخرى إلى وضع ضرائب فادحة على المنتوجات اليابانية لتحول دون دخولها بلادها، أخذت تتبع سياسة تتعارض وبقاء الأوروبيين في الشرق. وكان هدفها الأول إجلاء الأوروبيين عن الصين. فعملت، قبل احتلالها منشوريا، على تحقيق هـذه الأغراض بالتفاهم مع الصين، ولذلك ساعدت على قيام أحزاب قوية في بلادها مطالبة بأن تكون «آسيا للآسيويين كما أن أوروبا للأوروبيين، وأمريكا للأميركيين». ثم عملت على إنشاء فروع عديدة لهذه الأحزاب في الصين وجاوة والهند.

ولكن الحكومة اليابانية رأت أن الحالة الدولية تتطلب السرعة في العمل، فعدلت عن سياسة التفاهم مع الصين، وعمدت إلى سياسة القوة التي مكنتها من احتلال منشوريا، على رغم تعدد المصالح الغربية فيها. بعد هذا الفتح واجهت اليابان أوروبا بقاعدة جديدة هي «ارفعوا أيديكم عن الصين».

لم تتحسن العلاقات بين اليابان والصين بعد استيلاء اليابان على منشوريا، بل عمدت الصين إلى مقاومة النفوذ الياباني، وجدت في المحافظة على كيانها. غير أن اليابان قررت شل الحركة الصينية المعادية لها بالقوة، فكانت الحرب اليابانية الصينية.

واستيلاء اليابان على الصين يهدد وجود الدول الغربية في البلاد الأسيوية، ولاسيما في الشرق الأقصى والأوسط. ويتحقق حينئذ الخطر الأصفر الذي كان الامبراطور ولهلم أول المنذرين به.

وفي مقدمة الدول التي تخشى اليابان في الصين الحكومة الروسية. لأن الخطر الأصفر لايحرم هذه الدولة بعض مستعمراتها فقط، بل ربما يسلخ عنها قسما كبيراً من بلادها، وهو سيبريا الممتدة في شمالي آسيا من أقصى الشرق حتى الغرب منها. وقد كانت الروسيا في المدة الأخيرة هدف عداء اليابان، إذ أن طوكيو عقدت تحالفا مع برلين وروما، غايته مكافحة الشيوعية. والشيوعية ماهي إلا رمز يراد به الحكومة الروسية. فهذه المصالح المتضاربة هي السبب الرئيسي لكل حرب تقع بين اليابان والروس، أو بين اليابان وأية دولة غربية أخرى.

أما السبب المباشر للنزاع الأخير الذي حدث بين اليابان والروسيا فهو حادث حدود، وهو أن الجند الروس، حسب قول اليابان، اخترقوا الحدود الفاصلة بين السوفيات (الروسيا) ومنشوكو واحتلوا تشانج كوفنغ ومضيق شانغ كو. ولذلك طلبت طوكيو من موسكو سحب القوات السوفياتية إلى ماوراء الحدود، فرفضت موسكو ذلك أواسط شهر يونيه، مجيبة بأن المنطقة المختلف عليها هي جزء من الأراضي الروسية، وأن طلب اليابان يعد تدخلاً منها في شؤون السوفيات الداخلية

إن تهديد اليابان وجواب روسيا جعلا الدولتين تقفان وجهاً لوجه دون أن تستطيع إحداهما الرجوع عن موقفها من غير أن يكون ذلك تراجعاً منها أمام رغبة الأخرى. وفي أثناء ذلك كانت الجيوش تتجمع، والطائرات تحوم في الجو، فكان التصادم، وكانت حوادث قتال محلية لم تأخذ صبغة حرب بين الدولتين، لأن القوى التي اشتركت في القتال كانت محـدودة، ولأن المفاوضات كانت مستمرة لايقاف القتال وإيجاد حل للخلاف.

***

أما هدف القتال فكان احتلال قمة « تشانج كوفنغ » وما جاورها . فبعد أن احتلت القوى السوفياتية هذه القمة، أصر الجيش اليابانى على إرجاع الروس عنها ؛ فدارت معارك عديدة ، واشتركت فيها القوى البرية على اختلاف أنواعها والجوية ، وأدت إلى استيلاء الجيش اليابانى على تلول «تشانج كوفنغ» و«شاتسا» و « بينج » وذلك فى ٣٠ يوليه سنة ١٩٣٨ . وقد صرح حينئذ الميجر « ا كياما » بلسان الجيش قائلا« قد عدنا إلى احتلال هذه الأراضى المتشوكية بالقوة ، ولا نريد شيئاً أكثر من ذلك . فنحن نجهل النيات السوفياتية . ولكن إذا حاول السوفيات استرداد هذه المواقع وجب أن ينتظروا معاملة أقسى وأشد »

ولكن هذا التهديد لم يثن عزيمة السوفيات بل أثار هياج الرأى العام فى روسيا ، فقامت الجماهير بمظاهرات عدائية نحو اليابان جاء فى قراراتها : « يجب ألا تنسى قط اليابان وإيطاليا وألمانيا أن الجيش الأحمر لن يتخلى عن متر واحد من الأراضى السوفيانية ، كما يجب ألا يفوتها أن الشعب الروسى بأكمله هو فى حالة تجنيد، وأنه يجيب أول نداء تذيعه حكومته وسلاحه بيده » وقد أصدرت الجمعيات العامة المنشأة فى جميع أنحاء البلاد قرارات جاء فيها : « إننا لن نتراجع أمام أى تهديد . فحدودنا لا يمكن خرق حرمتها ، وستدفع العصابات اليابانية موت جنودنا سيولا من الدماء » .

استعد الروس لاسترجاع منطقة « تشانج كوفنغ » ، فظهر الجيش الروسي الأحمر الأول مرة فى القتال ، فقام فى ٣ أغسطس بهجوم عنيف على هذه المنطقة ، اضطر اليابان إلى دفع عشرين ألف مقاتل لصد هجوم الروس . ولم تكن هذه المعركة حاسمة ، ولم يتمكن الروس من استرداد المنطقة التى استولى عليها اليابانيون فى ٣٠ يوليه الماضي . على أن القتال لم يقف ، بل ازداد حماسة وشدة . فحدثت معارك ، أدت إلي تقدم الروس ، فأعلنت قيادة الجيش الروسى فى ٧ أغسطس أن القوى السوفياتية « أجلت بتاتا الجيش اليابانى عن الأراضى السوفياتية » . ولكن المقامات اليابانية نفت بتاتا جلاء اليابانيين عن أكمة « تشانج كوفنغ » . ويظهر أنه فى ذاك التاريخ قد جلا اليابانيون عن قسم من المنطقة المختلف عليها ، وظل القسم الآخر تحت سيادتهم

واصل الروس القتال ، وتسلم المارشال بلوخر القائد العام للقوات السوفياتية فى الشرق الأقصى ، قيادة الأعمال الحربية ، فتقدم الروس وتراجع اليابانيون . وصدر فى موسكو بتاريخ ١٠ أغسطس بلاغ رسمي يقول : « إن تشانج كوفنغ التى وقع الخلاف عليها بين الروس واليابانيين أمست الآن فى أيدى الروسيين » .

وفى ١٠ أغسطس أيضاً أعلنت الهدنة بين روسيا واليابان ، وأوقف القتال فى ساحة « تشانج كوفنغ » عند ظهر اليوم التالى حسب توقيت الشرق الأقصى أي قبيل شروق الشمس فى بلادنا

كانت خسائر الطرفين حسب تقدير اليابان الرسمى ١٥٨ قتيلا و ٧٢٣ جريحاً من اليابانيين ، وما ينيف عن ١٧٠٠ قتيل وجريح من الروس . غير أن إحصاء الروس الرسمي ينص على أن عدد قتلى الروس ٢٣٦ ، وجرحاهم ٦١١ ، وعدد قتلى اليابان ٦٠٠ ، وجرحاهم ٢ر٥٠٠ . ومن الأكيد أن هذه الأرقام غير صحيحة لأن من عادة الدول المتحاربة محاولة إخفاء حقيقة خسائرها ، والمبالغة فى مقدار خسائر الخصم . والغاية المتوخاة من ذلك بيان تفوقها وتقوية روح جيوشها المعنوية من جهة ، وإظهار ضعف الخصم وإضعاف روحه المعنوية من جهة ثانية

* * *

لم يكن إعلان الهدنة مفاجئاً لأن المفاوضات لتصفية النزاع الروسى اليابانى كانت سائرة منذ ابتداء القتال . وكانت الدوائر السياسية الغربية تتفاءل تارة وتتشاءم تارة أخرى، ولكن التفاؤل غلب التشاؤم بتراجع اليابان عن موقفها

فكيف كانت المفاوضات ؟ وماهى شروط الهدنة ؟ وما هى الأسباب التى دعت اليابان إلى هذا التراجع ؟

على أثر دخول الجند الروسى المقاطعة المختلف عليها قابل البارون سيجيمتسو السفير اليابانى فى موسكو ، الرفيق لتفينوف وزير خارجية روسيا عدة مرات طالباً منه سحب القوى الروسية من مقاطعة «تشانج كوفنغ». وكانت خلاصة الحديث الذى دار بينهما فى ٢٠ يوليو (تموز) أن الحكومة اليابانية مقتنعة بأن المنطقة الواقعة غربي بحيرة « كاسان تشانتشى » داخلة فى حدود منشوريا ، وأنها توافق على تعيين الحدود تعيينا دقيقاً، والدخول فى مفاوضة مع حكومة موسكو لهذا الغرض ؛ ولكن بعد أن يتم انسحاب القوات السوفياتية من المنطقة التى احتلتها . وقد رد وزير الخارجية الروسية على بيانات السفير اليابانى بأن الحكومة السوفياتية قدمت إلى السفارة اليابانية عدة وثائق منها معاهدة « هونتشون » والخرائط الملحقة بها المبينة للحدود بدقة وجلاء

تامين . وهـذه الخرائط والوثائق التى وقعهـا ممثلو الحكومة الصينية السابقة تثبت أن المنطقة الواقعة غربى بحيرة كاسان داخلة ضمن نطاق الحـدود الروسية ، وأن روسيا كانت ترسل إليها الدوريات العسكرية ولا تزال تفعل ذلك . فأبان السفير اليابانى أن حكومته لن تكون مرتاحة إلى هذا الرد ، وأنه من الضرورى اتخاذ تدابير تعيد الأمن إلى نصابه على الحدود ، وإلا اضطرت اليابان أن تستنتج من ذلك وجوب الالتجاء إلى القوة . فرد الرفيق لتفينوف أن مثل هذا التهديد لا يؤثر فى روسيا ولا يخيفها. وعلى أثر ذلك قطعت المفاوضات

وبعد احتلال اليابان لتلول « تشانج كوفنغ » فى ٣٠ يوليو (تموز) تلقى سفير اليابان فى موسكو التعليمات من حكومته بأن يطلب من الرفيق لتفينوف استئناف المفاوضات بشأن « تشانج كوفنغ » التى قطعت فى ٢٠ يوليو (تموز) فاجتمع السياسيان فى ٤ أغسطس وبسط السفير اليابانى وجهة نظر حكومته التى ترمي إلى تسوية النزاع بالطرق الودية . فأصر الرفيق لتفينوف على أنه يجب على اليابان قبل بدء المفاوضات أن تسحب جيوشها إلى وراء الخط المعين فى الخريطة الملحقة بمعاهدة « هونتشون » المبرمة عام ١٨٨٦ . فأجاب السفير بأن الخريطة المذكورة التى لا يوجد لها صورة رسمية إلا في وزارة الخارجية فى موسكو ، لا يمكن قطعاً اعتبارها المستند الوحيد الذى يستطاع استخدامه فى تعيين الحدود ، لأنها لم تنشر قط ، ولأن السلطات اليابانية المختصة لم تعلم بها حتى الآن . على أثر ذلك انفض الاجتماع دون أن يصلا إلى نتيجة إيجابية

وفى اليوم التالى قابل السفير اليابانى وزير الخارجية الروسية وعرض عليه اقتراح حكومته المشتمل على النقط التالية :

١ — انسحاب القوات اليابانية إلى المنطقة المتنازع عليهـا حول جبل « تشانج كوفنغ » .

٢ — تعهد روسيا بألا تحتل هذه المنطقة .

٣ — بقاء هـذه المنطقة منطقة حيـاد إلى أن تقوم لجنة بتخطيط الحدود .

فرد الرفيق لتفينوف على هذا الاقتراح بقوله : إن روسيا لا تدخل فى أية مفاوضات قبل سحب القوات اليابانية داخل حدودها . وعلى أثر هذه العبارة استأذن السفير اليابانى بالانصراف وارفض الاجتماع . وكان القتال فى هذه الأوقات شديداً ، وهجوم الروس لاسترجاع منطقة « تشانج كوفنغ » قوياً .

وفي ١٠ أغسطس اجتمع الرفيق لتفينوف والبارون سيجيمتسو واتفقا على شروط الهدنة التى تتلخص كما يلى :

١ — وقف الحركات العسكرية ظهر يوم ١١ أغسطس حسب توقيت الشرق الأقصى أى الساعة الخامسة صباحا فى موسكو .

٢ — بقاء قوات الفريقين فى المواقع التى كانت فيهـا فى منتصف ليل ١١ أغسطس .

٣ — تأليف لجنة مختلفة قوامها عضوان روسيان وعضو واحد يابانى ، وآخر منشورى لتعيين حدود المنطقة المختلف عليها، فاذا لم تتوصل هذه اللجنة إلى الاتفاق وجب عرض الخلاف على حكم يختاره الفريقان .

٤ — تستند هذه اللجنة فى أبحاثها إلى الخرائط الملحقة بالمعاهدات المعقودة بين روسيا وحكومة الصين السابقة .

وبرغم الهدنة حدث فى ١٢ أغسطس حادث جديد فحواه ، حسب تقرير السوفيت ، أن الجيش اليابانى أخذ يتقدم، فجابه الجيش الروسى على بعد مائة متر . وبقي الجيشان وجها لوجه حتى اتفقا على أن ينسحب كل منهما مسافة ثمانين متراً . وفى ١٣ أغسطس قدم الرفيق لتفينوف إلى السفير اليابانى احتجاجا على « الاعتداء الجديد على حدود السوفيات » طالباً انسحاب القوى اليابانية ، ومهدداً باعتبار حكومة السوفيات الهدنة ملغاة فيما إذا لم تجب الحكومة اليابانية مطالبها . فانسحب الجيش اليابانى ، فى ١٤ أغسطس ، إلى الضفة اليمنى لنهر « تومن » داخل حدود كوريا ولم يبق جندى واحد فى منطقة « تشانج كوفنغ » الواقعة على الضفة اليسرى .

كانت هذه الهدنة فوزاً سياسياً كبيراً للحكومة السوفياتية ، عزز نفوذها وهيبتها فى الشرق الأقصى ، وذلك باكراهها اليابان على قبول شروطها من سحب الجيش اليابانى من المنطقة المختلف عليها ، ومن تشكيل لجنة الحدود بحيث يكون فيها أعضاء للروس بقدر ما لليابان وحكومة منشوكو معاً . أما اليابان فكانت تريد أن يكون لكل من روسيا واليابان وحكومة منشوكو عدد متساو من الأعضاء .

وسبب تراجع اليابان هذا أنها يوم أقدمت على إخراج الجنود السوفياتية من هذه المنطقة بقوة السلاح ، كانت تظن أن روسيا ليست فى حالة تمكنها جدياً من محاربتها ، وكانت تعتقد أنهـا

ستلقى من ألمانيا وإيطاليا مساعدة عملية ، عملاً بميثاق مكافحة الشيوعية وامتداد محور روما برلين إلى طوكيو

ولكن الحوادث لم تحقق هذا الظن، لأن حكومة السوفيات أظهرت بطريقة لا شك فيها أنها لا تتردد فى خوض غمار الحرب دفاعاً عن كرامتها وسلامة حدودها فى الشرق الأقصى . ولأنه ظهر وهن ميثاق مكافحة الشيوعية المراد منه مقاومة نفوذ السوفيت .

إذ أنه لما استفسر سفير اليابان فى برلين من الهر ريبنتروب وزير خارجية ألمانيا يوم الاثنين الموافق ٨ أغسطس، عن مدى المساعدة التى تقدمها ألمانيا لليابان إذا خاضت غمار الحرب ضد روسيا ، أجاب الهر ريبنتروب بما معناه: أن ألمانيا مع ميلها إلى اليابان وتمنيها لها الفوز، لا تستطيع فى الوقت الحاضر مدها بمساعدة عملية فى حالة نشوب حرب يابانية روسية فأبرق السفير اليابانى فى برلين حينئذ إلى حكومته أن تعمل كل ما فى وسعها لعدم تمديد الخلاف مع روسيا

أما روسيا فسوف لا تكتفى بهذا الفوز الأدبى الذى أحرزته على اليابان لأن مسألة « تشانج كوفنج » لم تكن السبب الحقيقى فى النزاع الذى كاد يؤدى بها إلى الحرب « بل هناك سبب أعظم منه هو أن مصالحها الحيوية تقضى عليها بوقف المطامع اليابانية فى الصين عند حدودها ، فإذا لم تعدل اليابان عن هذه المطامع ، وتحل خلافها مع الصين على أساس يكفل للصينيين سيادتهم وسلامة بلادهم ، فالحرب واقعة بينها وبين روسيا، وربما تشترك فيها بعض الدول الغربية من أصحاب المصالح فى الصين

يوسف هيكل



آراء وتحقيقات

الخير والسعادة

الخلاف عليهما عند أكثر فرق الفلاسفة

للأستاذ عباس طه

منذ قرابة عامين عرضنا في بعض المجلات العلمية للبحث عن الفرق بين الخير والسعادة لماما ، ثم لمدى الخلاف بين المتقدمين من الفلاسفة وبين المتأخرين منهم في ماهية السعادة وهل هي سعادة بالاضافة إلى غيرها أم هي سعادة مطلقة بغض النظر عما عداها من الاعتبارات ، وهل هي من ملابسات النفس الناطقة وحدها ، أو أن البدن أيضا من مقوماتها .

لكن البحث لم يتسق للكشف عن مبلغ آراء فرق الفلاسفة في السعادة والخير يومئذ في تلك المجلة . من أجل ذلك نحب أن نعرض لقراء الرسالة — بقدر — في هذا البحث الراهن للسعادة في رأى فيثاغورث وأفلاطون وبقراط ، وهؤلاء من متقدمي الفلاسفة ، ثم نعرض بعد ذلك لرأى ارسطاليس ، ثم نقارب بين رأى فيثاغورس ومتابعيه ، وبين جمهرة من المشائين حتى يتسق البحث على وتيرة واحدة ، ويجرى على سنن مستساغ .

في الاتجاهات التي اتجه إليها فيثاغورث وأفلاطون وبقراط ومن إليهم تلقاء النفس الناطقة أن الفضائل الأربع التي هي قوام السعادة وعتادها حاصلة كلها في النفس وحدها فليس لها مدد من الخارج ولا قوة تصدر عنها سوى النفس الناطقة ؛ ولذلك حينما عرضوا لتقسيم قوى النفس في كتبهم اعتبروا كل هذه القوى منحصرة في الفضائل الأربع وهي : « الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة » على ما سيجيء الكلام عنه في بحوثنا التلاحقة المتعلقة بالنفس الناطقة، ثم رتبوا على ذلك الاتجاه أن تلك الفضائل الأربع وحدها كافية لتكون قواما للسعادة في فصولها المختلفة ، فلا يحتاج معها إلى غيرها من فضائل البدن وممیزاته ضرورة أن ذا النفس الناطقة إذا حصل تلك الفضائل مجتمعة فلا يغض من سعادته أن يكون سقيما أو فاقداً لبعض أعضائه أو مبتلى ببعض صنوف العلل والأدواء إلا إذا تأثرت تلك النفس بأوصاب البدن وأسقامه فيما يصدر عنها من أفعال كفساد العقل واضطراب التفكير وضعف الروية والخلط بين الآراء ، فان ارتفعت كل هذه الأعراض على إصابة البدن بعلله وأوصابه فليس بضير النفس الناطقة في شيء أن يعرض لها الفقر والخمول وسقوط الحال وخشونة العيش مثلا وكل ما هو خارج عنها فليس ما كان خارجا عن النفس الناطقة بقادح في سعادتها . وبدهى أن فيثاغورث ومن لف لفه يذهب إلى أن السعادة لا تعدو النفس الناطقة فلا تتناول الأبدان ومميزاتها ، ويرتبون على ذلك الاتجاه أن السعادة والخير في مختلف مناحيهما ليس لهما إلا مصدر واحد وهو قوى النفس الناطقة وبالتالي الفضائل الأربع، وليس للبدن على هذا الاعتبار إلا مظهر آليته ، فالنفس مدبرة والبدن لها آلة .

أما جمهرة من الرواقيين فتذهب إلى أن السعادة والخير يصدران عن النفس والبدن معا . فاذا صدر الخير عن النفس دون تقدير لكفة البدن فانما يصدر ناقصا بالقياس إلى ما تتعاون النفس والبدن مجتمعين في صونه وإبرازه .

يأتى بعد ذلك أرسطاليس فينحو نحواً آخر وهو أن السعادة والخير متخالفان، ثم إن السعادة بعد ذلك مقولة بالتشكيك فهي معروضة للمقولات العشر

ومعلوم أن المحققين من الفلاسفة يحقرون شأن البخت والاتفاق وكل ما هو منقطع الصلة بترتيب الفكر وأعمال الروية ، ولا يؤهلون أصحاب هذه الاتفاقات وحملة تلك المصادفات لاسم السعادة . فالسعادة في أوضاعهم أمر قار غير زائل ، بل هم فوق ذلك يعتبرون كل مايصل الانسان من غير طريق التدبير والروية ومن غير أن يجرى على سنن له مقدماته ونتائجه ضرباً من ضروب البخت فهو قابل عندهم للبقاء والزوال والزيادة والنقص والتعديل والتجريح والصحة والفساد والرفعة والخفض وكل الأشياء ونقائضها؛ وتابعهم في ذلك كثير من متأخرى الفلاسفة أخذا بنظرية صادقة عندهم وهي : من قدمه الاتفاق فقد أخره الاستحقاق . وهنا وقع خلاف ذو شأن بين قدماء الفلاسفة ومتأخريهم فيذهب فيثاغورث وأفلاطون وبقراط إلى أن السعادة العظمى لا تتحقق للانسان إلا بعد أن تخلع البدن وما يلابسه من غاشيات الطبيعة ، تطبيقاً لمذهبهم القائل بأن السعادة لا تحصل إلا في قوى النفس الناطقة . من أجل ذلك أطلقوا على الانسان

أنه جوهر النفس الناطقة دون البدن، فحكموا بأن البدن ما دام سياجاً لها وقفصاً لإيوائها، وما دام يخلع عليها غاشيات الطبيعة وأكدارها ولوثاتها وعلائقها فليست تلك النفس بسعيدة السعادة المطلقة الموموقة؛ ومبعث ذلك الرأي عندهم أن النفس الناطقة لا تستوحى الكمال الذاتى والعقل النورانى ما دامت متصلة بتلك الهيولى التى تحجب عنها العلوم والمعارف الكلية، إلا إذا فارقت ظلمة الهيولى ولوثة تلك الكدورة، وحينئذ تفارق الجهالات المتنوعة فتصفو وتخلص من ربقة البدن فتكتسب لها الاضاءة ويواجهها النور الالهي. ويترتب على رأى هؤلاء بادئ ذى بدء أن الانسان لا يظفر بالفوز الأكبر والسعادة العليا إلا فى حياة الجزاء بعد موته

لكن تأتى بعد ذلك جماعة أخرى من الفلاسفة المتأخرين وأرسطاليس منهم في الطليعة، فتذهب إلى أن من الشناعة والعبث وتجاهل الواقع أن ينعت الانسان الذى يعمل الأعمال الصالحة ويمتنق الآراء الصحيحة، ويجد فى تحصيل الفضائل لنفسه أولا ثم لأبناء جنسه ثانياً، فينشئ صروحاً من الخير متنوعة، ويقيم أعماله وما يصدر عنه من الآثار على محبة القلوب وكسب ألسنة الناس فى سبيل إعلاء معالم الفضيلة والحق والنصفة وتحقيق معنى العدالة فى أنبل مثلها ـ بأنه شقى فى حياته الأولى وأنه لا يعتبر سعيداً إلا إذا فارقها وخرج من طبيعتها وملابساتها

فالسعادة فى رأى أرسطاليس ومتابعيه تتحقق فى الحياة الأولى تطبيقاً لنظرية اشتهرت بينهم، وهى: أن الانسان عندهم مركب من بدن ونفس، ولذلك يحدون الانسان بالناطق المائت أو بالناطق الضاحك أو ما إلى ذلك، وفرعوا على هذه النظرية أن السعادة تحدث للانسان إذا جد فى طلبها وسلك إليها الوسائل المؤدية إليها. غير أن أرسطاليس حين رأى أن السعادة قد أشكل فهمها على الناس واضطربت فيها آراء العلماء والفلاسفة، عقد لها فى كتابه المسمى «بفضائل النفس» فصلا طويل الذيل ضافى التفاريع حافلا بالحجج والآراء، فقال فى فاتحة هذا الفصل مع تصرف فى المبنى واحتفاظ بالمعنى: «من البين أن الفقير فى هذه الحياة يرى سعادته فى الغنى واليسار، وأن المريض يراها فى الصحة والسلامة، وأن الذليل يتمثلها فى الجاه والعزة والسلطان، وأن الخليع يلمسها فى التمكن من الشهوات المختلفة، وأن النبيل الفاضل الكريم ينشدها فى تعميم مناحى الخير وإفاضتها على مستحقيها، والحد من طغيان ذلك الخير حتى لا يشمل غير مستحقيه» ويتحققها

الفيلسوف المتقصى لحقائق الأشياء والمتتبع لملابسات النواميس الكونية فى أنها إذ تكون مرتبة بحسب تقسيط العقل لها على معنى أن يلحظ فيها وقتها الذي يجب أن تقع فيه وكما يجب أن تكون وعند من يجدر فهى سعادات متنوعة، فما كان منها يراد لشىء يناسبه فذلك الشىء أجدر أن يطلق عليه اسم السعادة

ثم كشف بعد ذلك أرسطاليس عن رأيه فى بسط وإبانة، فقال مع تصرف فى مبناه والاحتفاظ بمعناه: قلما يتاح للانسان أن يفعل الأفعال الشريفة المرضية دون مادة تقوم عليها كاتساع اليد وكثرة الأعوان وجودة البخت، ويتضح ذلك جلياً فى صناعة المُلك والرياسات المختلفة حيث لا يواتيهم توطيد لأركان هذه الزعامة إلا مقترناً بالشرائط المبنية على أن هناك نوعاً من الأعطية هى عطية الله تعالى جده، فهى السعادة لأنها عطية منه عز اسمه وموهبة فى أشرف منازل الخير وأعلى مراتبه، وتلك الوهبة خاصة من خواص الانسان الكامل فلا يشاركه فيها من ليست إنسانيته تامة كالصبيان وما يجرى مجراه

وتلك النظرية تقوم على نظرية أخرى عند أرسطاليس فهو يرى أن السعادة تعتبر كذلك بالاضافة إلى صاحبها فهى كمال له، فالسعادة على هذا الوضع خير ما، وقد تكون سعادة الانسان غير سعادة الفرس وما إليه، فسعادة كل شىء فى تمامه وكماله الذى يلائمه، وهنا يفرق بين الخير والسعادة فيرى أن الخير من حيث أنه مقصود للناس جميعاً بالشوق إليه والعمل على تحصيله طبيعة تقصد، وله مفهوم عام يدل عليه وهو الخير المطلق للناس من حيث أنهم كذلك. فالناس أجمعون محاصون فيه. لكن السعادة شىء آخر غير الخير عنده، فهى خير ما لواحد من الناس، وهى بالاضافة ليست لها ذات معينة، وهى تختلف بالاضافة إلى قاصديها اختلافاً يرجع إلى مؤهلاتهم وما ركب فيهم من فطر وممدات، ومن أجل ذلك يكون الخير المطلق غير مختلف فيه. وقد يظن بالسعادة أن تقع لغير الناطقين، لكن ليس على نحو من أنحاء الناطقين فانها إذا وقعت فانما هى استعدادات فيها بقبول كالاتها اللائمة لها من غير روية ولا تدبير، وهى بمنزلة الشوق أو ما يجرى مجراه من الناطقين بالارادة

فما يقع للحيوانات فى مآ كلها واستجمامها لا يمكن أن يسمى سعادة بل الوضع الصحيح له أن يسمى بختاً أو اتفاقاً، وجلى أن العقل بفطرته قد جعل للسعى والحركة والارادة المكتسبة للانسان حداً تنتهى إليه، فذلك كان من المعقول أن يوجد خير مطلق

لا تأباه طبيعة هذا الوجود ولا يوجد بين الناس خلاف عليه ، فالهمم والصناعات والتدابير الاختيارية المجدية مثلا ، كلها يقصد بها خير ما لوجه الانسانية على الأقل ولا يرتاب أحد في أنها كذلك وأنها تثمر ثمرتها المرجوة لها ، فكل تصرف لا يقصد به خير ما كان عبثاً والعقل يحظره ويأباه.

فيكون الخير المطلق مقصوداً إليه من الناس أجمعين، لكن بقى بعد ذلك أن يعلم ما هو ذلك الخير المطلق ، وما الغاية القصوى منه التي هي غاية أنواعه وأعلى مراتبه ؟ وذلك ما سنعالج تبيانه بعد . غير أن أرستطاليس قسم الخير تقسيما مفصلا ونوعه تنويعاً يكشف عنه كثيراً من الابهام الذى وقعت فيه جمهرة من متقدمى الفلاسفة فهى ترى أن الخير أنواع وفصول ، فمنه ما هو شريف ومنه ماهو ممدوح ومنه ماهو بالقوة، فالشريف منها ما كان شرفه مشتقاً من ذاته بحيث يخلع الشرف على من قام به وهو الحكمة والعقل ، والممدوح منها كالفضائل والأفعال الجميلة الارادية . أما ما كان بالقوة فكالتهيؤ والاستعداد لقبول الأشياء التي تكون نوعاً من هذه الأنواع ، ومن الخير ما هو غاية ، ومنه ما ليس كذلك، ومن الغاية ما هو تام، ومنها ما ليس كذلك ؛ فما هو تام كالسعادة، لأن من بلغ إليها كان فى غناء عن أن يكون له وراءها مطمع في مزيد، وما هو غير تام كالصحة واليسار ، فان من واتته الصحة وواتاه اليسار لم يكن له عن طلب المزيد غناء ، بل ربما كانت الصحة أو اليسار من أقوى الحوافز له على طلب المزيد . أما الذى ليس بغاية منه فكالعلاج والتعلم والرياضة والعمارة والزراعة وما إلي ذلك . وجملة القول فى الخير على ما حققه أرستطاليس وحكاه عنه فرفوريوس أن من أنواع الخير ما هو خير على الاطلاق وما هو خير عند الضرورة . ومنها ما هو خير ولكن ليس من طريق له مقدماته ووسائله كالاتفاقات التي تتفق لبعض المجدودين من الناس، وأيضاً منها ما هو خير لجميع الناس ومن جميع الوجوه وفي جميع الأوقات. ومنها ما ليس بخير لجميع الناس ولا من جميع الوجوه (وبالتالى) منها ماهو فى الجوهر ومنها ماهو فى الكم ، ومنها ما هو فى الكيف، ومنها ماهو فى الأين، ومنها ماهو فى المضاف، ومنها ماهو فى الخير . وعلى الجملة فالخير يعرض للمقولات العشر التي يعبر عنها الفلاسفة الأقدمون بأنها الأجناس العالية التي ليس فوقها جنس بل هى أعلى الأجناس جميعا فهى تحمل عليه حملا اصطلاحيا إخباريا. وقد أفاض ارستطاليس إفاضة مبسوطة فى تبيان هذه الأجناس العالية ، وعروض الخير لها دلالة منه على أن مناحى الخير غير محدودة ، وأن نعمة الله التي أسبغها على عباده أوسع من أن تضيق بها تلك الرقعة السوداء بل إن آثار الله وآلاءه مبثوثة فى كل جزء من أجزاء الكائنات ، حتى يبقى البرهان القاطع قائما على شيوع الآيات الباهرة فى سائر مناحى تلك المجموعة الشمسية

وفى كل شيء له آية   تدل على أنه الواحد

وقد سلك ارستطاليس فى ذلك مسلكا يخالف مسلك المتقدمين من الفلاسفة كأفلاطون وبقراط ومن إليهما — فالمفهوم من تفاصيل مذهبه فى النفس الناطقة وفى الخير والسعادة التي تنفعل بها قوى النفس جلى ، بل إن الخير شيء غير السعادة وأنه شائع بأجزائه فى كل مناحى الوجود حتى سرى الخير إلى سائر المقولات سريانه إليها دليلا على ذيوعه وانتفاع الناس به . فالخير فى الجوهر وهو ما ليس بعرض يمثل له ارستطاليس بالحق تعالى جده، فهو الخير الأول على حد تعبيره، فان جميع الأشياء تتحرق بالشوق إليه ولأنه يفيض السرمدية والبقاء على الخير الذى كتب له الخلود وعلى الآلاء اللانهائية ، وعلى كل مالا يطرأ عليه الفناء من أجزاء العالم الثانى الذى يعبر عنه المتقدمون من المتكلمين بعالم الجزاء . وفى الكم يمثل له بالعدد والمقدار المعتدلين ، ويمثل للكيف باللذائذ وألوان المتاع ، ويمثل لمقولة الاضافة بالصدقات والرياسات التي تنبعث عنها صلاحية تنطوى على خير الانسانية فى أكمل حدودها ، ويمثل لمقولة الأين بالمكان المعتدل فى ابعاده وأجوائه ومحيطاته وبالزمان الأنيق البهيج المتفتح الأكمام عن المرح والسرور . ويمثل لمقولة الوضع بالقعود والاضطجاع وسائر المشاهدات المؤثرة، ويمثل للفعل برواج الأمر ونفاذ الكلمة وسمة السلطان . وعلى الجملة فأنواع الخير عنده منها ما هو من قبيل المحسات ومنها ماهو من قبيل المعقولات. ولعل الأستاذ أحمد أمين، وقد أذاع على متن الأثير محاضرتين فى السعادة والشقاء ، يعود فيصحح بعض نظرياته التي طالع بها سامعيه . ولعل الأستاذ الشيخ أمين الخولى، وقد أذاع هو الآخر على متن الهواء محاضرتين أو ثلاثا لا أدرى فى الحياة المثالية والحياة البدائية وما يتصل بهما من قوى النفس الناطقة ، يعود هو الآخر فيصحح بعض نظرياته ليرضى الحق وهيبة العلم فى صميمه من جهة، ثم ليرضى فى الأقل سامعيه من جهة أخرى ، وموعدنا بالكشف عن ذلك كله سوانح مقبلة

عباس طه

التاريخ فى سير أبطاله

ابراهام لنـــكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادى ! خذوا معانى العظمة فى نسقها الأعلى من سيرة هـذا العصامى العظيم ... ...

— ٢٢ —

جلس أبراهام ينتظر رد سيوارد بصبر فارغ وفؤاد قلق ، فانه ليعجب كيف يقف منه صاحبه مثل هذا الموقف ؛ على أنه لن يحجم عن مواجهة العاصفة وحده مهما بلغ من شدتها ، وإن كان ليود بينه وبين نفسه أن يكون سيوارد إلى جانبه فى تلك الشدة التى تطيش فى مثلها أحلام الرجال وإن كانت تزن الجبال... يود أن يستمين بصاحبه فهو واثق من كفايته مطمئن إلى إخلاصه

وما بال الرئيس تزداد سحابة الهم كدرة على محياه حتى ليبدو للأعين كن أخذته غاشية من حزن أليم ؟ ما باله طويل الاطراق كثير الصمت ، لايستمع إلى حديث زوجه إلا قليلاً ولا يشاطرها جذلها ومرحها ولا يشاركها ما دب فى قلبها من الزهو بمـا باتا يتقلبان فيه من نعمة ويحظيان به من جاه ... ؟

إنما يكرب الرئيس ما آلت إليه حال بلاده، فما به خوف أو تردد وما هو عن البذل بضنين ؛ وإنه ليحزنه أن يكون بنو قومه بعضهم لبعض عدو فى غير موجب لذلك وهم عن الحق فى عماية من تبلبل أفكارهم وتسلط العناد على نفوسهم ، وما له إلى هديهم بالتى هى أحسن حيلة

ورضى سيوارد آخر الأمر أن يعمل مع أبراهام ، وكان سيوارد قليل الثقة بكفاية صاحبه الارادية لأنه لم يسبق له أن شغل منصباً إدارياً قبل هذا المنصب الخطير ، ولذلك كان يطمع سيوارد أن تكون فى يده السلطة الفعلية وتكون للرئيس الرياسة فحسب ؛ وبهذه الروح بدأ العمل مع صاحبه ...

واختار لنكولن رجالاً للحكومة كون منهم مجلسه ومن أشهر هؤلاء تشيس، وكان من أعظمهم كفاية بعد سيوارد؛ غير أنه لوحظ على الرئيس أن أربعة من رجال مجلسه كانوا منافسين له فى الرياسة مما يخشى معه أن ينسوا الصالح العام من أجل العمل على توطيد مراكزهم توطئة للانتخاب القادم ، ولـكن لنكولن رد على هذه المخاوف بما ارتآه من اعتبارات أملاها عليه بعد نظره، فلـكل من هؤلاء شيعة وأعوان، وكل منهم يمثل ولاية من الولايات الشمالية ؛ هذا إلى ما يعلمه من كفايتهم ، وإنه ليركن إليهم مطمئناً إلى وطنيتهم قائلا إن الوقت عصيب فما يظن أن أحداً تحدثه نفسه أن يعمل لصالحه الشخصى فى ظروف كتلك الظروف ...

ولما جلس لنكولن معهم حول النضدة عرف كيف يؤلف بين قلوبهم وكيف يحملهم على احترامه ثم محبته ثم الاذعان له والتسليم بالتفوق . ولقد باتوا جميعاً يعجبون كيف يدير الأمور كما يلمسون رجل لم يعهد إليه مثل هذا العمل من قبل ، ولو لا أنهم يعرفونه جميعاً لما صدقوا أن هذه هى أول مرة يضطلع فيها بمثل هذا العمل

رأوه يخفض لهم جناحه ويبسط لهم مودته ويوسع صدره ؛ يستمع لآرائهم جميعاً ولا يتكلم حتى ينتهوا ؛ فاذا أعجبه رأى قبله مغتبطاً ، وإذا خالف أحداً فى رأيه أظهر له فى دماثة سبب مخالفته مع شدة الحرص على احترام شخصية من يخالفه وإظهار الاستعداد للاقتناع إذا استطاع محدثه أن يزيده إيضاحاً أو يسوق له الجديد من الحجج

وعرفوا من كثب خلاله فأعجبوا بأدبه وعذوبة روحه ونقاء سريرته وطيب قلبه ؛ ولمسوا شجاعته فى الحق ، وأنسوا نكرانه لذاته ونسيانه كل شىء عدا رسالته التى يستمد منهم العون فى أدائها ... وبلوا بأنفسهم صبره فى الشدائد وعزيمته إذا هم بأمر اقتنع بصوابه ؛ وتبينوا حصافته وأناته وبعد نظره ، وبهرهم فوق هذا ذهنه المصفى ومنطقه المستقيم وفصاحته وفطنته ، تلك الخلال التى جعلته أقدر الناس فيهم على أن يفصح عن آرائه لمن إليه ، وأن يتبين ما يأخذ مما يدع فى كل ما يعرض له من الأمور مهما تعقدت والتوت على غيره الأمور ...

ولقد عد كثير من المؤرخين إدارة لنكولن مجلسه على هذه الصورة مظهراً قوياً من مظاهر عظمته ، وناحية متينة من نواحى نجاحه ، وسلكوه بها فى ثبت كبار الساسة فى تاريخ الأمم ، ولا عجب فانه ليندر أن نجد فى سجل الأيام مجلساً حكومياً شعر أعضاؤه من معانى الاحترام والمحبة بمثل ما شعر به أعضاء هـذا

المجلس نحو رئيسهم ... لا يستثنى منهم أحد ، حتى سيوارد الذى كان يدل أول الأمر بتجاريبه ودرايته بأساليب الحكم والسياسة ، ما لبث أن اعترف فى نبل وكرامة نفس أن رئيسه أقدر منه وأجدر بذلك المنصب ...

وكان أول ما تلقاه الرئيس من البريد فى صباح اليوم الثانى لتسلمه العمل خطاباً من الجنرال أندرسون فى حصن سمتر ينبئه فيه أنه ما لم يصل مدد إلى الحصن فانه لا يقوى على الدفاع عنه أكثر من أسبوع ... وكان أهل الجنوب وأهل الشمال على اتفاق ألا يهاجم أنصار الانسحاب من الاتحاد الحصن إلا إذا رأوا من أهل الشمال ما يبرر ذلك ... وماذا عسى أن يفعل الرئيس إذن؟ أيترك حامية الحصن بلا مدد أم يرسل المدد فيتحدى بذلك أهل الجنوب ؟ إن عليه أن يختار بين أمرين أحلاهما مرّ

لذلك أخذ الرئيس يتدبر علّه يجد مخرجا ، وهو على عادته طويل الأناة لا يخطو خطوة قبل أن يحسب لكل أمر حسابا ، ولكن سيوارد يضيق ذرعا بهذه الأناة وينصح للرئيس أن يأمر بإخلاء الحصن ، وكذلك يشير عليه سكوت رأس جنده ؛ وهو لا يرى ما يريان فالمسألة دقيقة شائكة . أوليس التخلى عن الحصن معناه الاعتراف ضمنا لأهل الجنوب بصواب دعوتهم إلى الانسحاب؟ ثم أليس فى ذلك خروج على ما أعلن الرئيس فى خطبة الاحتفال ؟ وهو ان أرسل المدد إلى الحصن ألا يعتبر عمله هذا تحديا للثائرين فيكون بذلك هو الذى خطا أول خطوة نحو الحرب، الأمر الذى يحرص أشد الحرص أن يتجنبه ؟ ... إذن فلا بد من الروية والتدبر والصبر . . .

وجاء رجلان من الجنوب إلى العاصمة الشمالية كممثلين لدولة أجنبية يطلبان أن يفاوضا لنكولن على هـذا الأساس ، ولكنه رفض أن يلقاهما ولم يفعل أكثر من أن يرسل إلى كل منهما نسخة من خطبته .. وبقى الرجلان فى العاصمة يجمعان الأنباء ويرسلانها إلى أهل الجنوب ...

والصحف تهيب بالرئيس أن يأتى عملا إيجابيا ولكنه صامت يفكر .. والرأى العام يغلى كالمرجل حتى لقد أطلق الناس ألسنتهم فيه بالسوء من القول ، فالرئيس غِرّ جبان ، متورط لا رأي له ولا بصيرة ولا حزم ... وتفرق الناس فى الشمال شيعا فمنهم من يرى وجوب الحرب، ومنهم من لا يرضى إلا المسالة والاتفاق، ومنهم من يتذمر ويتبرم ولكنه لا يرى شيئا ولا يحس غير القلق

والخوف، والرئيس لا يجيب إلا بقوله « إذا أخلى أندرسون حصن سمتر فسيكون على أنا أن أخلى البيت الأبيض » ...

ويهتدى ابن الأحراج بعد طول روية إلى رأى فيه دليل قوى على حنكته السياسية حتى لكأنه مارس السياسة طول حياته ، ذلك أنه يزمع أن يرسل القوت ليس غير إلى الحصن، وحجته أن ذلك عمل إنساني لا عدوان فيه ، فاذا قبل الثائرون هذا حلت المشكلة ؛ أما إذا قابلوا ذلك بالقوة فعليهم إثم ما يفعلون، فهم بذلك يكونون بادئى العدوان ومشعلى نار الحرب . . . ولأهل الشمال بعد ذلك أن يدفعوا عن أنفسهم العدوان إن كانت فى نفوسهم حمية وفى رؤوسهم نخوة الرجال ...

وتسير السفن محملة بالقوت ، بعد أن يرسل الرئيس نبأ عنها إلى قائد الثوار حول الحصن ، ولكن القائد لا يكاد يبصر السفن من بعد ، حتى يطلق النار على الحصن فيسقط علم الاتحاد وتنسحب الحامية بعد دفاع مجيد ...

ويثب أهل الشمال للنبأ وثبة واحـدة فلا خلاف بينهم بعد ذلك ولا تنازع ، وما فيهم إلا من يريد الدفاع عن الاتحاد ورد الأهانة التى لحقت بالعلم الذى طالما خفق على رأس وشنجطون وجنوده البواسل غداة حرب الاستقلال ...

وما حدث فى تاريخ العالم من قبل أن تحمس شعب إلى الدعوة للجهاد كما تحمس أهل الشمال يومئذ ؛ فلقد كان الشيوخ قبل الشباب يريدون خوض غمار الحرب، ولم يتخلف النساء ولم يقعدن عن شحذ العزائم واستنهاض الهمم وإن لم تكن هناك حاجة إلى سعيهن ... أما الشباب البواسل فقد استحبوا الموت على الحياة فساروا مغتبطين يطرحون نفوسهم تحت المنايا كأنما يسيرون إلى نزهة لا إلى مثل عذاب الجحيم ...

وهكذا تقع الحرب بين نصفى شعب واحد . ولقد كان الرئيس أكثر الناس فى الشعب جميعا تألما ، وكان قلبه الانساني الكبير يكاد يتفطر ، ولكن ما الحيلة وهو يرى بناء الاتحاد أمام عينيه ينهار حجرا بعد حجر ؟

وحسبك دليلا على حماسة أهل الشمال أن الرئيس عند ما أهاب بالولايات أن ترسل إليه خمسة وسبعين ألفا من المتطوعين ، هرع إليه أكثر من تسعين ألفا ، وبعد شهرين وصل العدد إلى أكثر من ثلثمائة ألف من البواسل الأمجاد

وكان الموقف قبل وصول المتطوعين إلى العاصمة أشد ما يكون

هولاً وخطراً ... فلم يكن لدى لنكولن سوى ثلاثة آلاف، ولن يستطيع هؤلاء الدفاع عن العاصمة مهما كان من استماتتهم وشجاعتهم ؛ لذلك سرى الخوف فى المدينة وأيقن أهلوها أنها واقعة فى أيدى الأعداء لا محالة

والرئيس ينتظر قدوم المتطوعين لانقاذ المدينة من الخطر المحدق بها ؛ ذلك الخطر الذى تشتد وطأته تبعاً لمسلك الولايات المحايدة وعلى الأخص فرجينيا ؛ إذ كانت تلك الولايات تقف من النزاع موقفاً مبهماً ظن من أجلها أنها تلتزم الحيدة وإن كانت فى الواقع تنزع إلى أهل الجنوب ؛ وكانت فرجينيا أقربها موقعاً من وشنجطون لا يفصلها عنها إلا نهر ضيق. وسرعان ما أعلنت فرجينيا انضمامها إلى الاتحاد الجنوبى فبات العدو بذلك على أبواب عاصمة أهل الشمال ، بل لقد كان البيت الأبيض على مرأى من الجند ؛ لذلك شاع فى الناس أن الجند سيعبرون النهر عما قريب فيستولون على مركز الحكومة ويسوقون لنكولن ومجلسه أسرى بين أيديهم ...

وتزايد القلق وعظم الهول واشتد بالناس الكرب ، والرئيس يسأل عن المتطوعين فلا يجد جواباً شافياً من أحد ، حتى يصل إلى العاصمة قطار يهرول الناس على صوت صفيره إلى المحطة فتقع أعينهم على أول فرقة من فرق المتطوعين وهى فرقة نيويورك ، وتعظم حماسة الجميع فيتصايحون ويرددون الأناشيد

ويظل الرئيس يبحث عن القائد الذى يوكل إليه أمر هذه الحرب فلا يجد غير رجل يدعى (لى) ، وكان يومئذ غائباً فى فرجينيا وهو خير من يضطلع بهذا العبء ، ولكن (لى) يرفض أن يأخذ قيادة الجيش ، فيجزع لنكولن لهذا الرفض ويكتئب

وبينما هو يبحث عن قائد غيره ينذره أهل بلتيمون ، وهم الذين تآمروا من قبل على قتله ، أنهم لا يسمحون بمرور جند فى ولايتهم لأنهم محايدون ... وينقضون بعد ذلك على فرقة قادمة من مساشرست ، كانت من أقوى الفرق وأعظمها نظاماً ، فيقتلون عدداً منها ويجرحون عدداً ، ويحمل الجرحى على محفات إلى وشنجطون ، فتلهب جراحهم حماسة القوم وتستثير حميتهم وتزيد بأسهم ...

ولم يكتف الثوار فى بلتيمور بما فعلوا فحطموا الجسور التى تصلهم بالشمال والغرب ، وعطلوا الخطوط الحديدية المؤدية إلى وشنجطون ... ولكن أحد القواد الشجعان الموالين للرئيس لنكولن خرج من وشنجطون على رأس عدد من المتطوعين وباغت المدينة ليلاً وقبض على كثير من الثوار وقتل نفراً منهم ففت ذلك فى عضدهم ، وأعلنت ولاية ماري لند بعد أن خضعت عاصمتها على هذا النحو انضمامها صراحة إلى الاتحاد ، وكانت هذه الخطوة من جانب أهل الشمال أولى خطواتهم الموفقة

وأعلن الرئيس لنكولن الحصار البحري على موانى الاتحاد الجنوبى ليقطع الصلة بينها وبين العالم ، ثم أهاب بالولايات الخاضعة له أن تمده بعدد جديد من المتطوعين ، فما لبثت أن أمدته بما طلب ، حتى لقد غصت وشنجطون بهؤلاء المتبسلين الذين أراد لنكولن أن يستعيض بحماستهم عما يعوزهم من التدريب والنظام

وفى تلك الأيام العصيبة نري دوجلاس خصم لنكولن القديم يسعى إلى البيت الأبيض ويقابل الرئيس ويفضى إليه بإعجابه بما انتهج من خطة ، ويعده أن يظل إلى جانبه خادما لقضية الاتحاد وتتوثق عرى المودة بين الرجلين ، ويستأذن الرئيس صديقه الجديد أن يذيع فى الناس هذا النبأ ، فيأذن دوجلاس مغتبطا بعد أن يقرأ ما أعد للنشر ؛ ويقابل الديمقراطيون وغيرهم هذا النبأ بالابتهاج ، ويشعرون بقوة جديدة يظفر بها أهل الشمال

ولا ينى دوجلاس يدافع عن الرئيس وسياسته يخطب الناس فى المدن يستحثهم إلى البذل والتضحية ؛ ولا يفتأ يضع بين يدى الرئيس من نصحه ومشورته ما يحرص الرئيس على الانتفاع به . ولكن يد الموت لا تمهل دوجلاس أكثر من شهرين فيلاقى حتفه ، ويتلقى لنكولن نبأ الفجيعة فيذرف الدمع السخين ويشتد به الغم حتى يرمض فؤاده ...

ولقد امتدت يد الموت قبل دوجلاس إلى شاب مجاهد كان أول أمره يعمل فى مكتب لنكولن أيام كان يحترف المحاماة ؛ ولقد أعجب لنكولن بذكاء هذا الشاب وملك قلبه شدة محبته له ، فلما سار إلى العاصمة سار معه ؛ ولما تحرجت الأمور ، برز هذا الشاب الباسل الذكى يجمع الفرق ويدربها ويعدها للنضال ... إلى أن كان ذات يوم فأرسله لنكولن إلى ضفة النهر الواجهة للعاصمة ليحتل المرتفعات هناك ...

ثم ان هذا الشاب الذى يدعى الزورت ذهب على رأس جنده فاحتل الأماكن المبينة ؛ وهناك بصر بعلم من أعلام الثوار يخفق

دمعـــة

لشاعر الحب والجمال لامرتين

للاديب عارف قياسه

فلنقطف الورود فى غدوة حياتنا ، ولنجن الرياحين في بكرة أعمارنا ، ولننسم على الأقل أريج أزهار الربيع الخاطف ، ولنغمس قلبينا فى فيض اللذة النقية الطاهرة ، وليكن هوانا يا حبيبتاه بحراً مسجوراً لا حد لسمته

***

حين يبصر الربان زورقه الهش يتراقص فوق أعراف الموج الثائر ، ويرجحن على غارب الآذى النضبان ، يكاد يزدرده اليم المائج ، يرجع ببصره إلى الشطآن التى نأى عنها ، ويأسف على ما ذاق فيها من متع ، وما رأت عيناه من مباهج وفتون

***

واحسرتاه ! لشد ما يرغب فى أن ينفق أيامه الداجية فى مثوى آبائه وأجداده — غنياً عن فراق وطنه وآلهته — آمن السرب ، ناعم الخاطر ، لا يشمخ المجد بأنفه ، قرب آثار عزيزة عليه ، أثيرة لديه ، لا يبارح طيفها خاطره ، ولا يفارق خيالها ذهنه ولا مشاعره

***

كذلك الرجل الذى تقوس ظهره تحت أعباء السنين ، وآصار الأعوام ، يبكى ربيعه البهيج الزاهى — وقد ذهب إلى غير معاد ، مُمرِه العين ، كابم الفؤاد ، ويهتف :

« ردى على يا آلهتى الرحيمة تلك السويعات المضمخة باللذة والنعيم ، فقد أنسيت أن أرشف رحيقها فى حينه ! »

ولكن المنية وحدها هى التى أجابته ، وتلك الآلهة لم تصخ لرجائه ، ولم ترق لبكائه ، وإنما حدته إلى الرمس حدواً ، وزجته فى غياهبه زجاً ، دون أن تأذن له فى أن ينحنى فيلتقط تلك الأزاهير التى لم يتح له أن يجنيها ، فيستروح عرفها وشذاها ، ويفعم أنفه بعبقها ورياها

***

فلنتساق يا حبيبتاه أكؤس الهوى مترعة دهاقاً

ولنضحك ملء أفواهنا من الهموم التى تساور نفوس الأحياء ، وتخامر قلوب الأشقياء !

ولنرث لأولئك الذين أفنوا شطر أعمارهم ، سمياً وراء حطام الدنيا الكاذب ، وهبائها الغرور

***

لنعزف عن سلف أولئك الفارغ ، ولنصدف عن ادعائهم الأجوف ، ولندع الأمل المريض لملهى الانسانية ، يتملون به ويتفكهون ، ولنسارع نحن إلى احتساء كأس عمرنا حتى ثمالتها ، ما امتطت تلك الكأس أكفنا

***

وسواء علينا أزانت مفارقنا تيجان الغار ، ونقشت أسماؤنا فى سجل (بلون[1]) الصلفة الراعف ، على الرمس أو القلز

أم توج الحب جباهنا المتواضعة بزهرات بسيطة جناها الجمال ، فاننا جيماً فى يم واحد طاوون ، وعلى شاطئ واحد لتحطمون

***

أليس سواء لدى المسافر الفريد ، ساعة الفَرَق : أكان راكباً فى سفينة شاهقة شماء ، تشق بحيزومها عباب الماء ، تجاهد الزعازع وتصارع الأنواء ، أم كان ممتطياً زورقاً خفيفاً تلعب به الأمواج ، يلامس الساحل ، ولا يجسر أن ينأى عنه ؟

حماة (سوريا) عارف قياسه

(١) Bellone إلهة الحرب عند الاغريق

على جدار فندق فى مدينة صغيرة تسمى الأسكندرية فتسلق الحائط فى بسالة عجيبة وانتزع العلم من موضعه ، وبينما هو نازل من أعلى الجدار إذ أصابته رصاصة فانكب على وجهه ، وتدفق الدم من قلبه على هذا العلم ، فكانت ميتته هذه ميتة بطل ، تركت فى نفوس أصحابه مالا يتركه النصر فى معركة حامية ... ولا تسل عما أصاب ارثيس يومئذ من هم وحسرة ... لقد حزن على هذا البطل كما كان يحزن لو أن الميت كان وحيده ؛ وجاءت بعده منية دوجلاس فكانت الميتتان فاتحة الكوارث فى هذا النضال المظلم ...

« يتبع » الخفيف

حول قصة حاجي بابا في انكلترا

كما يرانا غيرنا

للأستاذ عبد اللطيف النشار

أشارت الرسالة في عددها الأخير إلى ما يخشاه بعض إخواننا الايرانيين من اللبس بين إيران كما هي اليوم في مدنيتها الزاهرة وبينها كما وصفها مؤلف قصة حاجي بابا في انكلترا، تلك القصة التي ترجمتها وتفضلت مجلة الرواية فنشرتها في بعض أعدادها الأخيرة

ولقد ذكر الأستاذ صاحب الرسالة أن مؤلفها نشرها في سنة ١٨٢٢ ووصف بها إيران كما كانت في عهده غير متجن على الشرق كله، فما كان الوصف إذ ذاك قاصراً على دولة دون دولة من الشرق الاسلامي

وما من شك في أن هذا الجواب السديد جدير بأن يزيل كل لبس من هذه الناحية ؛ وقد عنّ لي أن واجباً عليّ بيان السبب في ترجمتي هذه الرواية لازالة لبس آخر أخشاه من ناحية الاختيار، فأتقدم إلى قراء الرسالة وهم ممثلو كل الأمم الشرقية الاسلامية بأن جهدي في الترجمة لم يقتصر على تلك القصة، ولكنني ترجمت نحو الخمسين رواية معظمها عن الشرق وفيها عن مصر وعن العرب، وفيما ترجمته عن مصر وعن العرب نقد أشد مما احتوته قصة حاجي بابا، فاختياري قائم على الرغبة في إطلاع الشرقيين وهم جميعاً إخواني على ما يكتب عنهم بلغة اعتدت القراءة بها ليعرفوا رأي الغير فينا . ولا أراني أقل غيرة على دولة شرقية مني على دولة أخرى، فان الدم الذي يجري في عروقنا نحن الشرقيين دم مشترك . لا بل أجد الفرصة مناسبة لأطرح على القراء رأياً لي في اختيار الكتب للترجمة :

للمستشرقين جهود غير منكورة ولهم أغلاط شنيعة . وكتبهم مقروءة باللغات الأوربية بين من يثقون بهم ويجلونهم ويعدونهم حجة . وكتب هؤلاء المستشرقين وتلاميذهم تمد بالمئات وكتب الذين ينهجون نهجهم ممن لا يساوونهم في المعرفة أكثر عدداً . ومن بين قرائها شرقيون قد يتأثرون بها ويعجزون عن دفع شرها إن كان — فهل يحسن بهم أن ينقلوها إلى لغاتهم الشرقية ليتولى دفع الشبهات من يستطيع ذلك من أبناء تلك اللغات الذين لا يعرفون لغة أجنبية، أو الذين يعرفون ولكن لا يقع في متناول اطلاعهم ذلك النوع من الكتب الممزوج خيرها بشرها ؟

أقول ذلك وأضرب المثل بنفسي ولدىّ بحمد الله من الشجاعة ما يساعدني على الاعتراف بأني لا أملك تصحيح أخطاء شنيعة في كتاب أترجمه الآن عن الانكليزية وعنوانه « الواثق »

في هذا الكتاب تجن شديد على خليفة من خلفاء المسلمين وافتيات صريح على التاريخ . وقد قرأته في لغته وقرأه من أبنائها عشرات الألوف في مدى مائة عام مضت من عهد تأليفه إلى الآن؛ وقرأه باللغات الأخرى عشرات الألوف من أبناء الأمم الأخرى ؛ فهل يرى الأزهري والدرعمي وخريج مدرسة القضاء الشرعي وغيرهم ممن تخصصوا في دراسة التاريخ الاسلامي أن يظل هذا الكتاب مقروءاً ممن يحسنون لغة أجنبية دون أن تصحح أخطاؤه ، أم يرون أن يترجم لهم وهم أقدر على التصحيح ممن يقرؤون عادة باللغات الأجنبية ؟

أنا لا أقوم بدعاية لكتاب كهذا حين أترجمه ومن السهل عليّ تمزيق مسودانه. ولكن هل يزول أثر الكتاب إن فعلت ذلك أم يظل منتشراً بين الناس في لغات أخرى يقرؤها الكثير من الشرقيين؟

أما أنا فرأيي أن نعرف رأي الغير فينا فذلك أدنى إلى تصحيحه وما أحوجني إلى معرفة الحجج التي يدلى بها أنصار التجاهل

عبد اللطيف النشار

بين اللغة والأدب والتاريخ

الفالوذج

للأستاذ محمد شوقي أمين

— ٣ —

صنفه السوق ، هل وضع له اسم عربي ، قول الثعالبي ، نقل السيوطي ، رأى السكندري ، فصيح الألفاظ فى معناه

— ٤ —

ولما تألق الفالوذج فى دنيا المطاعم ، وازّينت به موائد الأمراء ، تسامع به العامة ، فتحلبت له شفاههم ، وتشوفت إليه شهواتهم ، فراح السوقيون من صنّاع الأطعمة وباعتها يلهوجونه على مايعرفون من صفته ، فيخرجونه مسيخاً مليخاً لاتأنق فى طهيه ، ولا استجادة لمادته ، حتى يتسنى لهم أن يبيعوه بالثمن القليل الذى لاتعجز عنه طاقة العامة من رقاق الحال وذوى المسرة . ولم يكن هذا الصنف المبتذل من الفالوذج إلا بهرجة صبغ ، وتضوء بريق فافتضح على الأيام زيفه ، وثارت لأذواقها الألسنة بذمه ، فقيل فى كل من حسنت جهيرته ، ولم تطب سريرته : فالوذج السوق[1] وصارت الكلمة مثلاً سائراً يتناقله الأدباء والشعراء ، ومن أمثلة استعماله قول ابن حجاج ، وهو الشاعر المزاح السليط الذى ترجم[2] له الثعالبي فأوفى :

أعززْ علىّ بأخلاق وُسِمتَ بها عند البرية يافالوذج السوق !

وقد أثبت الميدانى هذا المثل فى أمثال المولدين ، وأضاف إليه توأماً له ، ذلك هو : فالوذج الجسر[3] . ولا بد أن يكون باعة هذا الصنف الملهوج كانوا يجولون به ، فيعرضونه للعامة فى الطرق الصادرة الواردة . وبَديه أن من أحفلها بالناس : المعْبَر . فهو ملتقى السابلة من الطبقات العاملة ، يغدون على الحاجات ؛ ويروحون بالسلَع . فيبلون لهواتهم بالفالوذج المسموع به ، الشهى مذاقه ، الرائع منظره ، ومن ثم شاع اسم فالوذج الجسر ، إلى

(١) شفاء الغليل (حرف الفاء)

(٢) اليتيمة (الثالث)

(٣) الامثال (الثانى ٣٣)

جانب فالوذج السوق ، وكانا مثلين لذى المظهر بغير مخبر !

— ٥ —

أسلفنا القول فى صفة الفالوذج ، على ما استنبطناه مما أنهته إلينا نقول الأدب والطرائف ، وأدرنا الحديث قبل ذلك فى لفظه والوجه فى تعريبه كما تعرفناه فى نصوص المعجمات وما فى حكمها . فبان لنا أن اللغويين مجمعون على أنه معرب ، فهو فى عديد الألفاظ التى اغتنمت العروبة ، وارتضى تجنيسها القُوّام على الفصاحة

وبقى أن نعرف : هل وضع العرب لهذه الحلواء اسماً فصيحاً غير اسمها الأعجمى ، أو اكتفوا باستعمالهم لهذا الاسم بعد تعريبه وإلحاقه ببنات الضاد ؟!

ساق الثعالبي جملة أسماء تفردت بها الفرس دون العرب ؛ وقال[1] : إن العرب اضطرت إلى تعريبها أو تركها كما هى ، وجعل يعد من هذه الأسماء ، فإذا من بينها الفالوذج . وقد نقل السيوطى[2] فصل الثعالبي برمته ، ما نعقبه بنقد ، ولا استدرك عليه من شئ . فهل يريدنا ذلك على أن نعتقد أن العرب اكتفوا بالاسم الأعجمى ، ووقفوا عنده ، فلم يضعوا لهذه الحلواء لفظاً تقر به عين الزارين على التعريب مهما تمس إليه الحاجة ، الضانين بالجنسية العربية على الدخيل ، وإن ملك الألسن ، وتراوحت عليه الأحقاب ؟!

إن قول الثعالبي ونقل السيوطى خليقان أن يهيئا للباحث هذه العقيدة ، ويغرياه بها . ولعل ذلك هو الذى مَهّدَ لعلامة الفقه اللغوى الشيخ أحمد الاسكندري — رضوان الله عليه — أن يقول فيما يستعمل من الألفاظ ومالا يستعمل[3] : « وإذا سبق أن استعمل لفظ أعجمى زمن العرب كالفالوذج الذى عرف من أيام الرشيد ، فمثل هذا فى الواقع لم يكن من تعريب العرب ، بل أطلقه طباخ أعجمى ، وسمعه العرب واستعملوه ؛ فمثل هذا إذا وُفِّقنا إلى لفظ عربى سهل له ، استغنينا عنه ، لأن الواضع له فى الحقيقة أعجمى لاعربى ... »

فأما قول العلامة الاسكندرى إن الفالوذج ليس من تعريب العرب ، فهو قول ينفرد به ، ولم أجد من سبقه إليه ، بل لقد أصفق اللغويون على أنه معرب ، وقد جاء فى حديث للنبي صلوات الله

(١) فقه اللغة (٤٥٤) (٢) المزهر (الأول — ١٦٣)

(٣) محاضر المجمع اللغوى (الدورة الثانية — ١٣٩)

عليه[1] ، أضف إلى ذلك أن العلماء القدامي ناقشوا في تصريفه ، وجادلوا في تعيين حروفه . ولا يأخذ لغوى نفسه بهذا الصنيع ، إلا إذا كان اللفظ معربا أُفسح له في البقاء ، فوجب توضيح زيه وشارته التي سيبقى بها في وطنه الجديد . وإن لزاماً علينا أن نشير إلى أن قول الأسكندري إنما جاء في عرض حديث شفوى شأنه الإعجال والارتجال ، وهومنقول عنه ، ومنسوب إليه ، لا مكتوب بقلمه ، ومثل هذا لايؤخذ به صاحبه كما يؤخذ الكاتب راجع ما كتب وحققه على نص ما يريد . والرجاء أن نكون بذلك قد أنصفنا ذكرى رجل نعرف له الفضل والبصارة ، ونطوى له النفس على التجلة والاكبار .

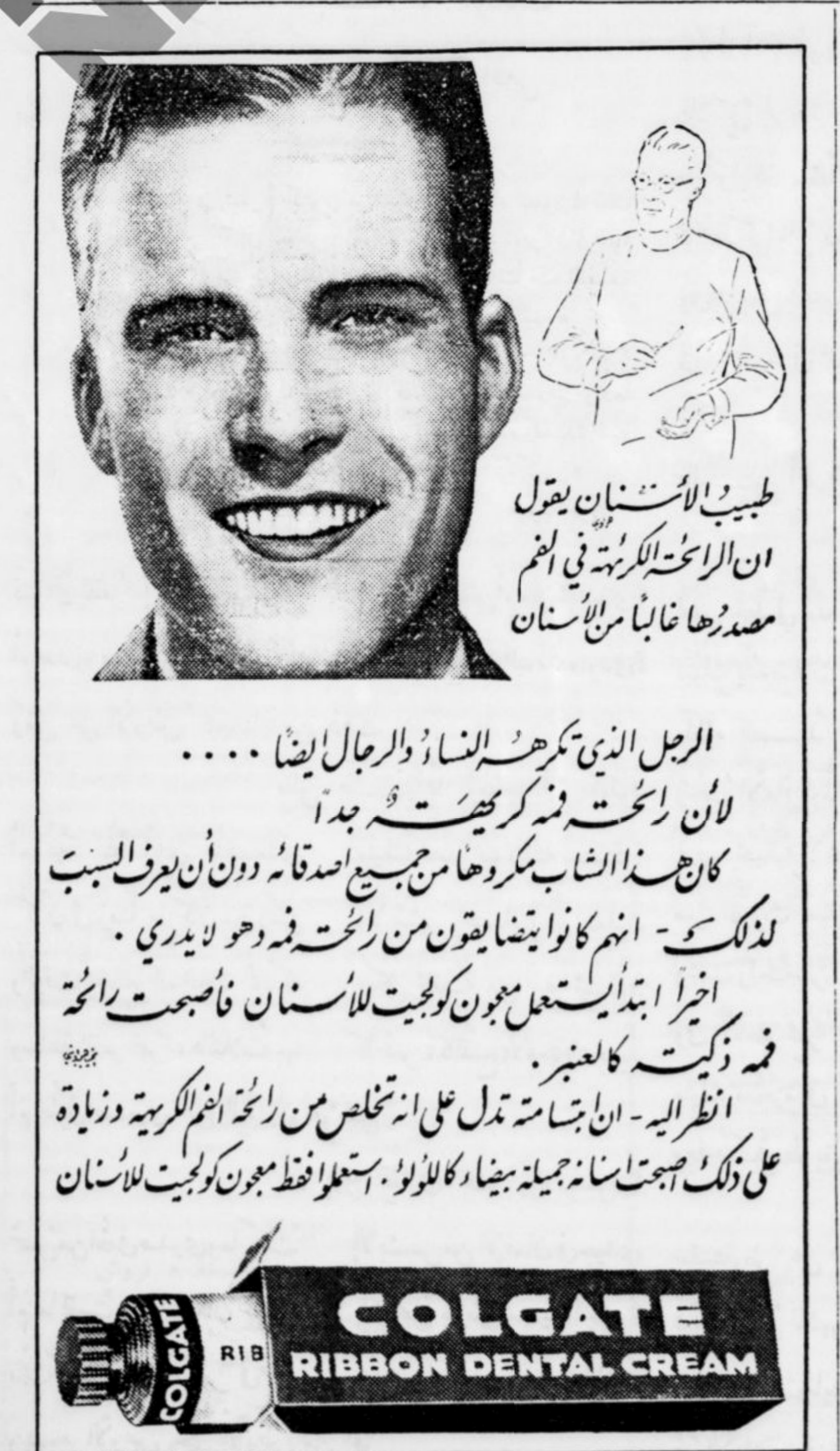
وأما رغبته في البحث عن لفظ عربي ، يوضع للفالوذج اليوم جديداً من الوضع ، فقد أداه إليها ماعلمه وقدمنا بيانه من قول فقهاء اللغة : إن العرب تركوا الفالوذج على ما هو عليه ، فأفهم قولهم هذا أنه لم يوضع له في سالف الزمن لفظ فصيح ؛ ومن ثم وجب عنده أن نعمد إلى البحث والتفتيش حتى نوفق إلى لفظ عربي مهل ، نستغنى به عن الاسم الأعجمي ، كما توضع اليوم المصطلحات الجديدة للأشياء المستحدثة بالطرق المعروفة من نحو المجاز والنقل والاشتقاق .

— ٦ —

ولقد رصدت عيني منذ عهد ممدود لهذا الشأن فيما أرتصدها له من مباحث الفصحى ؛ فتتبعت مواقع الفالوذج في أشتات الكتب ، وفتشت عن ألفاظه في أجلاد الألفاظ ، واستقريت منها ماراج لي أن أستقرى ، فتحصل لي من صحاح العربية : اثنا عشر لفظاً ، وضعها العرب ليقوم كل منها مقام الفالوذج الأعجمي . ولم أر من المتحققين باللغة من استوعى هذه الألفاظ ، فلاءم بينها بعد الشتات والفرقة ، وسوى بها فصلاً من فصول الفقه اللغوى ، على نحو ما يصنع الأئمة في المعنى يؤدى بغير لفظ فذ ، فقد ظلت هذه الألفاظ في المعجمات اللغوية أباديد ، فجماعها في هذا المعرض فصل من نتاج الاستقراء والتلقط جديد ، لم يسبق إليه أحد ، فيمن أجد ، ولا مسه قلم فيما أعلم .

« للبحث صلة » محمد شوقي أمين

(١) شفاء الغليل (١٦٨)



لمناسبة الرحلة الملكية في الصحراء الغربية

لســـان الصحراء
في رحلة جـلالة الملك
للمرحوم مصطفى صادق الرافعي

« في شهر أكتوبر من سنة ١٩٢٨ قام المغفور له الملك فؤاد برحلة إلى الصحراء الغربية وواحة سيوة، وكان المرحوم الرافعي يومئذ شاعر جلالته وحادي ركابه ؛ فأنشأ هذه القصيدة يتحدث فيها عن الصحراء لمناسبة هذه الرحلة الميمونة

« واليوم — وبعد عشر سنين كاملة — يقوم جلالة الملك فاروق الأول برحلته إلى الصحراء ليرود المعالم التي رادها من قبل والده العظيم ؛ فلعل في نشر هذه القصيدة لهذه المناسبة ما يقوم بواجب الولاء ويبعث طيب الذكرى »

سعيد العريان

تَسَاءَلَ القفرُ إذ حلّ المليكُ به ... أدار بي موضعي أم حان تجديدي؟

أم بعد زرعي دهوراً لا حصيدَ لها ... من التواريخ، آن اليوم محصودي؟

رَمْلي على الأرض كالدينار من ذهب ... مُلْقًى ضَيَاعاً وموجوداً كمفقود

أم غَيَّرَ اللهُ أيامي فأسعدني ... مليكُ مصرَ بيوم منه مسعود ؟

كأن لي زمناً ما كان من زَمَنٍ ... وَلا مَشَى بحسابٍ أو بتعديد

والوقت يخضع للساعات تمسكه ... بكل ثانيـة من غير تبـديد

وساعة القفر قفرٌ، فالثلاثُ بها ... كالخمس، كالتسع، لا معنى لتحديد

أم طُولُ صبرى على الفِقدان عوَّضني ... بأن يزور قِفارى خـيرُ موجود ؟

شمسٌ من الله في صدرى وما كلّتْ ... إلا بشمس من الإنسان في جيدى

أم ما لقيتُ من الحرمان كافأني ... بأن يحلّ بأرضى سيِّدُ الجود ؟

مَلْكٌ كأن نباتَ العزِّ في يده ... تجنيه من ذهبٍ أيدى المجاهيد

ويسحر الأرضَ حتى الأرضُ من أُفُق ... ويسحر الوقتَ حتى الوقتُ من عيد

أم ذاك حُلْمُ الصحارى بالنعيم سَرَى ... وَمَرَّ منطلقاً في هجعة البيد ؟

في القفر دنيا ورا الدنيا تمرُّ لها ... على مطايا الكرى من عيش تنكيد

إني كقطعة وحش صُوِّرَتْ بلداً ... أرضِي سواءٌ وإنساني وجُلمودى

وَعُودُ آدمَ عُريانٌ بلا ثمر ... وزهرُ حواء محطومٌ بلا عود[1]

فلا بَنِيَّ لهم دنيا تَعُدُّهمو ... فيها، ولا أنا في الدنيا بمعدود

لو أنزل الله سقفاً من كواكبه ... لهم ليَبْنُوا لما هَمُّوا بتشييد

لو أمسكوا ظلَّ طير الجوِّ في قفص ... ما أمسكوا ظِلَّ عُمْرانٍ بمجهود

وفي عريض فجاجي الشمسُ طالعةٌ ... تزيد في ظلماتي الحيَّـةِ السودِ

في الجدب، في الوحش، في الأحياء، في زمني ... وفي طبائع أرضي، في تقاليدي

فاليوم أعرض آمالي على ملكي ... وهو الكفيل بمرجُوِّى ومقصودى

لعلني خطَّ لي منه كتابُ هُدًى ... وما زيارته إلا كتمهيد . . .

لَبَّيْكِ يا مُعضِلات القفر قد بعثتْ ... لكِ العنايةُ صنديدَ الصناديد

آباؤه الصيدُ همّاتٌ مُجَمَّعَةٌ ... فيه، وزاد على آبائه الصيدِ

رَحْبُ الأمانيِّ وثَّاب على فُرَصٍ ... ما أطمعتْ غيرَه في غير تزهيدِ

يرمي بِحَبْلَيْهِ : محلولٍ وَمُنعقِدٍ ... فيها على كل محلول ومعقود

سرُّ اللُّيوث بعينيه، فنظرته ... فيها اكتشافُ فريساتِ المواعيد

وتحت راحته سرُّ السيوف، فإن ... أشار راعَ كسيفٍ عند تجريد

وفي أنامله سِرُّ الأعنَّة : لا ... ينفكّ يطلب ميداناً لتأييد

مليكُ معجزةٍ في أرض معجزةٍ ... مُخَلَّدُ الحمد في تاريخ تخليد

وما يُسَدُّ طريقٌ دون غايته ... طريقُ كلِّ سعيدٍ غيرُ مسدود

***

ستستفيض على الصحراء همّتُه ... نجّاجةً بالمشاريع المحاميد

فيُولَدُ الزمنُ المشبوبُ من زمن ... فانٍ تَكَلَّحَ في تلك التجاعيد

هيهات هيهات ما يبنى القفارَ سوى ... صبرٍ كصبر (فؤادٍ) غير محدود

هُمُ الأعاريب في تلهيب جمرتهم ... مثلُ البراكين لن تحيا بتبريد

(١) عود آدم : كناية عن الرجل ؛ وزهر حواء : كناية عن المرأة

تسبيح ...!

للأستاذ سيد قطب

لعينيك تسبيحي وهمس سرائري ... وفي صمتها الوحي مُرادُ خواطري
تطل على الدنيا فتوقظ قلبها ... وتمنح هذا الكون إيمان شاعر
وتسكب في ألحانه عبقرية ... من الفن لم تخطر بآمال ساحر
وتجلو من الدنيا عميق فنونها ... وتكشف في أطوائها كل خاطر
ومن عجب توحي بفتنة ساحر ... وتهمس في صمت بتقديس طاهر

***

لقد شف هذا الوجه حتى كأنه ... خواطر فنان ندىّ المشاعر
وقد رق هذا الجسم حتى كأنه ... هواتف حلم ناعمات البشائر
وقد رق هذا الصوت حتى كأنه ... أغاريد لحن في السموات عابر
وقد خف هذا الخطو حتى كأنه ... مرور نسيم بالأزاهير عاطر
وخلتك طيفاً هامساً في ضمائري ... وإنك طيف هامس للنواظر!

***

لأيقظت في نفسي سعادة شاعر ... وراحة موهوب وغبطة ذاخر
وأشعرتني معنى الطلاقة والرضا ... ومعنى الغنى عن كل آت وغابر
مدى فيه من أفق الخلود مدارج ... رقيتُ إليها في سنى منك باهر
سبقتُ به خطو الحياة لنهجها ... وجزتُ به آفاقها في المعابر
فيا لك من هادٍ سَنِيّ المنائر ... ويا لي من سارٍ وَحِيّ البصائر

« حلوان » سيد قطب

يا للعزيمة لو أخرجتهم عربا ... تحت القوانين أحراراً بتقييد
إذن لضاعف مصراً سحرُ ساحرها ... وابتز ممدودَها من غير ممدود
النيل كنزٌ من الخضراء منكشفٌ ... في جنب كنز من الصحراء مرصود
عزٌّ الذي جمَعَ الكنزين في يده ... يحمى بكنزٍ زئيرِ كنزَ تغريدِ

مصطفى صادق الرافعي

أنتِ

للأستاذ عبد الحميد السنوسي

أنتِ جدّدت لي شبابي وقد كنـــتُ دفنتُ الشباب من أزمان
أنتِ جمّلتِ لي الحياة فأصبحـــت أراها كما تشاء الأماني
ومحوتِ الظلماء فاختلب النو ... رُ عيوني وانساب في وجداني
أنتِ صورتِ لي الوجود وما فيـــه جميعاً بريشـــة الفنان
وخلقتِ الحياة خلقاً جديداً ... ونفضتِ الترابَ عن أكفاني
أنتِ زخرفتِ لي معالم دنيا ... ى فأتقنتِ أيما إتقان
ونفيتِ الركود عني فهبَّ الـــقلب كالبحر صاخب الإرنان
أنت أفهمتني الذي كنت لا أد ... ريه في الكون من خفيّ المعاني
وجلوتِ الأسى وغالبتِ همي ... وشفيت الفؤاد مما يعاني
أنتِ فجّرت في الجوانح ينبو ... عاً من الشعر زاخراً كل آن
وأزحت الستار عن عالم الصمـــت فأطلقت عقدة من لساني
أنت أنشأتِ في جنانيَ كوناً ... أي كون أنشأتِه في جناني!
فائضٍ بالنعيم والخـــير والنو ... ر وبالحسن والهوى والحنان
أنتِ قرّبتني إلى الخلد حتى ... أصبح الخلد قطعة من كياني
أنتِ علمتني الغناء فغنّيـــتُ وأشجيتُ كل قلب مُعاني
غرّد الحب في فؤادي فردد ... تُ صداه الشجيّ في ألحاني



الى وزارة المعارف

فى هذا العدد والذى قبله والذى بعده بحث جليل قيم فى قواعد اللغة العربية وتيسيرها لعلم من أعلام التربية والتعليم هو الأستاذ ساطع الحصرى مدير دار المعلمين فى تركيا، ووزير المعارف فى الشام، ومؤسس النهضة التعليمية فى العراق، ومنشئ أول مجلة تربوية فى الشرق ، عالج فيه مسائل فى تعريف القواعد وتبويبها وترتيبها وتهذيبها لم يفطن إليها من قبله أحد . وهو يقدمها عن طريق الرسالة إلى معالى الوزير وسعادة الوكيل وأعضاء لجنة التيسير عسى أن يجدوا فيها ما يعينهم على ما نهضوا إليه من إصلاح القواعد العربية وتقريبها إلى عقول الطلاب . وفى رأينا أن ملاحظات الأستاذ ساطع جديرة بالاهتمام والنظر لصدورها عن لقانة نادرة وروية صادقة وخبرة طويلة

وزير المعارف يحكم بيننا وبين لجنة انهاض اللغة العربية

تفضل صاحب المعالى هيكل باشا وزير المعارف فنظر فيما كتبناه ونشرناه عن افتيات لجنة إنهاض اللغة العربية علينا وعلى فريق من الأدباء الفضلاء لا تخشاهم ولا ترجوهم ، ثم أمر بتقرير كتابنا (فى أصول الأدب) لطائفة من مدارس الوزارة . وصنيع الأستاذ هيكل باشا هو الفرق بين وزير يقرأ ويقضى ، وبين وزير آخر يسمع ويمضى . . .

حول انهاض اللغة العربية

حضرة الأستاذ الجليل صاحب مجلة الرسالة

لا أحسبكم قد فرغتم من الحديث عن إنهاض اللغة العربية فى مدارس الحكومة حين فرغتم من الحديث عن الكتب وطريقة اختيارها ، فإن شأن اللغة العربية فى وزارة المعارف خليق بأن ينال من عنايتكم أكثر من ذلك . ولقد حمدنا لكم ما نشرتم من الملاحظات على لجنة اختيار الكتب ، وإننا ليسرنا بجانب ذلك أن تظل الرسالة حاملة راية الأدب الحر ، دائبة على إنارة السبيل أمام القائمين على شئون اللغة العربية فى وزارة المعارف . فلقد مضى الوقت الذى كانت فيه وزارة المعارف تعمل منفردة فى الميدان ، لا تجد من يشد أزرها أو يناقشها الحساب أو يهديها السبيل . وليس من أحد غير الرسالة يستطيع أن يفرض على نفسه هذا الواجب أو يرى نفسه أهلا لهذا الحق .

كان مما قررته لجنة إنهاض اللغة العربية أن تزيد درسين فى كلتا السنتين الأولى والثانية أحدهما اختيارى ، ودرساً واحداً فى باقى الفرق . فهل يعلم سيدى أن هذه الزيادة قد انتهت نهايتها إلى أن تكون من أسباب ضعف اللغة العربية فى مدارس الحكومة بدل أن تكون من وسائل إنهاضها وقوّتها ؟

ذلك أن وزارة المعارف حين زادت هذه الدروس لم تحسب حسابها فتزيد عدد المدرسين ليقوموا بهذه الزيادة ؛ والمدرسون القائمون بالعمل الآن فى المدارس الثانوية لا يسعهم — على ما هم فيه من رهق ومشقة وزحمة فى العمل — أن ينهضوا بهذا العبء الجديد . وقد جاء موسم العمل وليس فى المدارس حاجتها من مدرسى اللغة العربية ، فلم يجد نظار المدارس أمامهم وسيلة — والحالة هذه — إلا أن يزيدوا العمل على المدرسين الذين يعملون معهم — مدرسى اللغة العربية خاصة — : ثلاثة دروس فى الأسبوع على كل مدرس ؛ فعليه منذ اليوم واحد وعشرون درساً فى الأسبوع ، بعد ثمانية عشر درساً كان يشكو كثرتها التى تستنفد الوقت والعافية والطاقة العصبية ، فليس له معها فسحة ليستجم لعافيته أو ليجدد مادته أو ليبتكر فى وسائله

أفتكون هذه وسيلة من وسائل النهوض باللغة العربية أم سبب من أسباب الضعف والخذلان ؟

وثمت عبء جديد أضيف هذا العام على كاهل مدرس اللغة العربية ، ذلك أن النظام في العام الماضي والأعوام السابقة كان يحدد عدد التلاميذ في دروس اللغات ببضعة وعشرين تلميذاً في كل شعبة فأتى هذا النظام في العام القادم وصار على مدرس اللغة العربية أن يلقى درسه على أكثر من بضعة وثلاثين تلميذاً إلى أربعين ؛ فهل تراه مع ذلك يستطيع أن يعمل وأن ينشط وأن ينهض باللغة ؟

ثم إن كثيراً من نظار المدارس الثانوية قد تعجلوا الحكم والاختيار فاستغنوا عن درس من الدرسين الزيدين في اللغة العربية لتلاميذ السنتين الأولى والثانية قبل أن يتحققوا الحاجة إلى هذا الدرس ، بل قبل أن تبدأ السنة الدراسية وينتظم التلاميذ والخلاصة ما يأتي :

ا — أوصت اللجنة بزيادة دروس اللغة العربية فزيدت ولكن على حساب المدرس الرهق بحيث يصير عمله لا خير فيه

ب — أوصت اللجنة بزيادة العناية بدروس اللغات فزيد عدد تلاميذ الفرق بحيث يجتمع على المدرس كثرة لا يستطيع معها أن يعرف تلاميذه

حـ — زادت الوزارة بعض دروس اللغة العربيـة زيادة اختيارية ، فألغى نظار المدارس الثانوية بعض هذه الزيادة قبل أن يتحققوا الحاجة إليها رغبة في التخفف من العمل !

... وأخيراً ما زالوا يتحـدثون عن الوسائل التي قدروها للنهوض باللغة العربية ، وما زالوا يكررون الحديث عن تنظيم المكتبات المدرسية ، وتوجيه التلاميذ إلى المطالعات الخارجية ، وإنشاء المحاضرات ، وإقامة المناظرات ، وترتيب المباريات بين الطلاب في الكتابة والخطابة والمناظرة والالقاء ... ولا عليهم فيما يتحدثون وما يقدرون ، وما ننكر أن هذا الذي يتحدثون عنه من أنجح الوسائل في تقويم اللسان وتقوية اللغة ، ولـكن ... أين هو المدرس الذي يجد عنده الوقت الذي ينفقه في ذلك ؟

نحن موقنون تمام اليقين بصدق نية معالى الدكتور هيكل باشا على النهوض باللغة العربية ، موقنون أنه قد أدى واجبه في ذلك على الوجه المستطاع ؛ ولكن مازال أمام معاليه واجب آخر هو أثقل عبئاً وأكثر نفقة : أمامه أن يباشر تنفيذ الوسائل التي وضعها مستشاروه لينهضوا باللغة العربية ؛ فليست تغنى النية عن العمل ، وليس يكفى وضع البرامج وتمهيد الخطط دون العناية بوسائل التنفيذ . ولربّ عمل صالح أسلمه صاحبه إلى من لا يحسنه أو من لا يخلص له ، فأداه غير مؤداه وانتهى به إلى غير غايته

(مدرس)

مجمع المعارف بحيدر آباد (دكن) واجتماعه السنوى الأول

في حيدر آباد (دكن) مجمع على أسسه منذ أكثر من نصف قرن المرحوم النواب عمـاد الدين ورفقاؤه ، وغايته الأساسية إحياء الكتب العربية القديمة تمهيداً لنشرها وتداولها بين طبقات العلماء . وهذا المجمع يمتاز عن غيره بروحه العلمية وبمطبوعاته الثمينة المتداولة بين أوساط العلم المعتمد عليها من رجال البحث والتحقيق الآن — ومن هذه المطبوعات ما يتعلق بالحديث والرجال ، وما يتعلق بالفلسفة والتاريخ ، وما يتعلق بالطبيعيات والطب وغيرها من العلوم والفنون — ويقول العلامة السيد سليمان الندوي : نحن ، أهل الهند نفتخر ، مع افلاسنا العلمي في هـذه الأيام ، بهذه الدرر الثمينة النادرة التي أخرجها مجمع المعارف في (حيدر آباد) إلى طبقات العلماء ونرجو أن يعود إلينا مجدنا العلمي تحت ظل الدولة الآصفية .

ولقد فكر القائمون بأمره في عقد اجتماع سنوى عام يدعى إليه العلماء المتازون في العلوم العربيـة بأنحاء الهند تنشيطاً للحركة العلمية وتمهيداً لتوسيع أعمال المجمع بالاستفادة من مواهب العلماء الأجلاء غير أعضاء المجمع في البحث والتحقيق، فانعقد الاجتماع الأول الذي دام أربعة أيام من ٩ إلى ١٢ يولية سنة ١٩٣٨ م في خمس جلسات أولها في إيوان البلدية الفخم حضرها أركان الدولة الآصفية وأساتذة العربيـة في جامعات الهند المختلفة وأرباب العلم وجماعة من الطلبة النابهين ، وعلى كرسى الصدارة السر اكبر حيدرى الوزير الأعظم . ثم التمس من القارىء ابراهيم رشيد أن يتلو ما تيسر من القرآن بصوته الرخيم ، ثم ألقى خطبته الافتتاحية وذكر فيها خدمات المجمع في السنين الماضية بعد أن تلا على الحاضرين رسالة ملكية آصفية مفعمة بالعبارات الرقيقة والعواطف السامية .

فقام النـواب مهدى يارجنك وزير التعاليم والسياسات

ورئيس المجمع فألقى خطبة بلسانه المبين ذكر فيها غرض المجمع وغايته وما تم من الخدمات وما درج فى البرنامج من الأعمال التى يرجو أن يتمها المجمع بتوفيق الله ومساعدة العلماء - وبعده ألقى مولانا عبد الله قصيدة عربيـة تخليداً لهذا الاجتماع العظيم واليوم المبارك

ثم انعقدت الجلسة الثانية فى اليوم التالى وكان الشيخ ابراهيم حمدى، شيخ الاسلام بالمدينة المنورة ، النزيل بحيدر آباد الآن ، حاضرا ، فتفضل بتلاوة آيات من القرآن على النغمات الحجازية . ثم اقترع على من يكون أول المتكلمين في الجلسة فاستخرج بطريق القرعة اسم العلامة السيد سليمان الندوي فقام وألقى بحثا مستفيضا عن « كتاب المعتبر » وهو كتاب غير مطبوع للفيلسوف أبى البركات البغدادى الذى عاش فى القرن السادس الهجرى ، وألف كتابه هـذا فى نقد فلسفة أرسطو ومنطقه وهو كتاب وحيد فى بابه فريد فى فنه ، ثم تكلم الأستاذ عبد العزيز الميمنى الراجكوتى الذى حضر إلى مصر فى السنة الماضية لطبع سمط اللآلى ، ثم سافر إلى دمشق واستنبول باحثاً فى دور كتبها ومنقبا فى خزاناتها فرجع بكثير من المعلومات عن النسخ والكتب ، وكان موضوعه « مارأيت فى دور الكتب بالممالك الاسـلامية » وذكر أهمية دار الكتب باستنبول والكتب النادرة فيها . وبعده قام السيد مناظر أحسن الجيلانى رئيس الشعبة الدينية بالجامعة العثمانية ، فتكلم عن فلسفة محيى الدين بن عربى وابتدأ بكلام عن تخلص المجتهدين الفقهاء من تصرف الملوك فى تدوين الفقه وانتقالهم إلى الأندلس وسبب انتشار المذهب المالكى فيها ، ثم شرح فلسفة ابن رشد وأسس بحثه ، ثم بيّن كيف خالفه محيى الدين بن عربى فى المسائل الفلسفية وحملاته عليه حتى انتهى إلى وحدة الوجود ، فاذا هى فلسفته الخاصة

ثم كانت الجلسة الثالثة فى قاعة المحاضرات بالجامعة العثمانية وكان أول من تكلم الدكتور داؤد بوتاه أستاذ العربية بالكلية الاسماعيلية (بومباى) وموضوعه فلسفة ابن خلدون الاجتماعية وكانت المقالة طريفة مصحوبة بالمقارنات والانتقادات ، والدكتور المذكور يقوم الآن بترجمة مقدمة ابن خلدون إلى اللغة الانكليزية ، وبعده تكلم الشيخ عبد الرحمن عضو مجمع المعارف فى علم أسماء الرجال وأهميته ، ثم ألقى الدكتور حميد الله أستاذ أصول الفقه والقانون بالجامعة العثمانية ، بحثاً مستفيضاً عن « دستور الدولة فى العهد النبوى » (هاجر رسول الله إلى المدينة وعقدت معاهدة بين المسلمين واليهود) فجمع الدكتور المذكور أجزاء هذه المعاهدة وشرحها شرحاً وافياً واستنبط منها العناصر الأساسية لدستور الدولة . ثم تكلم السيد أحمد الله الندوى عضو مجمع المعارف فى « علم صناعة الجراحة وشرح آلات الجراحة عند العرب . وفى ختام هذه الجلسة قام الدكتور عبد الحق وألقى كلمة فى موضوع « حاجة الهند إلى المجمع العربى »

وفى هـذه الجلسة ألقى الدكتور حسين الهمدانى أستاذ العربية بكلية استيفن بومباى بحثاً عن « كتاب الرياض لأحمد الكرمانى » وكان أحمد هذا اسماعيلياً متكلما فيلسوفا عاش فى القرن الثالث الهجرى وكان معاصراً للفارابى ، وأما الدكتور الهمدانى فكان أصله من اليمن ، ويعتبره علماء الهند أعلم العلماء بالاسماعيليات، وهو أول من عرّف العالم العلمى بالكتب الاسماعيلية وقد أشار فى بداية كلامه إلى تاريخ الأدبيات الاسماعيلية؛ ومقالته مفعمة بالمعلومات الجديدة التى كانت مجهولة من العلماء . ثم ألقى مولانا عبد الله العمادى بحثاً فى « علم المرايا والمناظر لابن الهيثم » وبعده تكلم العلامة مأمون الأرزنجانى من علماء دمشق ، فى مناهج التعليم العربى ، مشيراً أثناء كلامه إلى كتب القواعد والمطالعة التى وضعت على قاعدة جديدة للمدارس بالشام .

وبعده قام الفاضل المولوى عبد القدوس الهاشمى المساعد فى ترتيب معجم المصنفين وألقى بحثا فى « كتاب المخترع فى فنون من الصنع » ومؤلف الكتاب لا يزال مجهولاً ، غير أن النسخة التى توجد فى دار الكتب الآصفية كتبت فى سنة ٨٧٦ هـ فى الهند بقلم ضياء ترك القاضى خان الناخورى. وللكتاب أهمية فيما يتعلق بفنون الصناعات الاسلامية العربية ومناهج الصانعين فيها . ثم تكلم الأستاذ امتياز على ، مدير دار الكتب برامبور فى « تفسير الامام سفيان الثورى » ومن هذا الكتاب نسخة بدار الكتب المذكورة وأشار فى بحثه إلى أن المسلمين أول ما خدموا من العلوم علم القرآن وأول ما كتبوا من الكتب فى فن التفسير .

وفى الجلسة الأخيرة تكلم الشيخ شبير احمد ناظر دار العلوم الديوبندية ورئيس المدرسين بجامعة دابهيل فى موضوع « الوحى معصوم عن الخطأ » واقترح على مجمع المعارف الالتفات إلى علوم

القرآن ونشر الكتب فى فنونها . ثم ألقى مولانا عبد الرحمن أستاذ العربية بجامعة دهلى بحثا فى « المستشرقين » من حيث التاريخ والخدمات العلمية ومعايبهم . وأخيراً قام الدكتور زبير الصديقى رئيس الشعبة الاسلامية بجامعة كلكته متكلما فى « علم الحديث وخصوصياته » من حيث الاسناد وطرق المحدثين فى البحث وعدم خضوعهم لسلاطين الزمان واستقلالهم العلمى واشتراك النساء فى الرواية ، وهذه هى الخصوصيات التى قد حافظت ولا تزال محافظة على جوهرية الأحاديث من عبث المستشرقين بها كما فعلوا فى أكثر الوقائع التاريخية الاسلامية كلما وجدوا إلى ذلك سبيلاً .

واختتم هـذا الاجتماع الذى دام أربعة أيام فى حيدر آباد وتناول البحث فيه أهم موضوعات العلوم العربية وفنونها ، بالسلام لصاحب الجلالة آصف السابع ملك دكن والدعاء لذاته الكريمة

بدر الدين الصينى

تكريم الأستاذ قسطاكى بك الحمصى

أقام أدباء الشهباء حفلة تكريمية للأستاذ قسطاكي بك الحمصى مساء يوم الأحد ٤ سبتمبر سنة ١٩٣٨ بمناسبة بلوغه الثمانين من عمره وتنويهاً بمآثره وخدماته فى عالم الأدب . وكانت الحفلة تحت رعاية معالى الأمير مصطفى الشهابى وزير المعارف سابقاً ومحافظ حلب اليوم . وقد تكلم فى الحفلة الأساتذة عيسى اسكندر المعلوف، وأمين هلال، والشاعران عادل الغضبان، وحليم دموس وألقى الأستاذ أسعد الكوزانى كلمة عن أسلوب المحتفى به فى الكتابة النثرية سننشرها فى العدد القادم . وقد ألقى فى ختام الحفلة الأمير مصطفى الشهابى كلمة قال فيها إن هذه الحفلة قد ذكرته بأسواق العرب الأدبية ، وتكلم عن فضل النصارى على اللغة العربية ، ونوه بالخدمات الجليلة التى قاموا بها فى هذا السبيل، وأشاد بفضل المحتفى به ومآثره فى عالم الأدب

والأستاذ قسطاكى بك الحمصي من أوائل الأدباء الذين قاموا بخدمة اللغة والأدب منذ ستين عاماً ، ولا يزال حتى اليوم على شيخوخته يقوم بخدمتها بالمقالات والأبحاث التى ينشرها فى مختلف المجلات والصحف . وقد أقام بمصر فى أوائل هذا القرن مدة طويلة اتصل خلالها بأدبائها ولا سيما الشيخ ابراهيم اليازجى الذى كان له أثر بارز فى أدبه وأسلوب كتابته . وله من المؤلفات المطبوعة كتاب (منهل الوراد فى علم الانتقاد) وهو يقع فى ثلاثة أجزاء طبع الجزء الأول منه فى مصر سنة ٩٠٥ ، وطبع الجزءان الأخيران فى حلب بعد الحرب العظمى. وله كتاب (أدباء حلب ذوو الأثر في القرن التاسع عشر) ترجم فيه للأدباء الحلبيين الذين عاشوا فى هذا القرن ولهم أثر من شعر ونثر



وحى بغداد

للدكتور زكى مبارك

يظهر فى الأسبوع المقبل كتاب جديد للدكتور زكى مبارك اسمه « وحى بغداد » وإلى القراء فاتحة هذا الكتاب

أما بعد فقد كتب الله تباركت أسماؤه أن يجعلنى من الموفين بالعهد : فأخرجت كتاب « ذكريات باريس » تحية لمدينة النور التى اتصلت بها نحو خمس سنين ، واليوم أخرج كتاب « وحى بغداد » تحية لمدينة الرشيد التى اتصلت بها نحو تسعة أشهر قضيتها فى يقظة عقلية أوحت إلى قلمى ألوف الصفحات

وكنت نظرت فرأيت كتاب «ذكريات باريس» أوحى إلى فريق من الكتاب أن ينشئوا المؤلفات عن العواصم الغربية أمثال باريس ولندن وبرلين ، وأنا اليوم أرجو أن يكون كتاب «وحى بغداد» سنّة حسنة لمن يعيشون فى العواصم الشرقية عساهم يحببون العرب والمسلمين فى بلادهم بما يبتكرون من شائق الوصف وروائع الخيال

وقد عجب ناس من وفائى لأهل العراق واهتمامى بتسجيل ما لهم من محامد ومناقب ، وكنت أستطيع أن أقول إنى عشت فى العراق معلماً ، ومن واجب المعلم أن يبرز المحاسن ليقوّى الروح المنوى فى تلاميذه ويسوقهم إلى ميادين الجهاد . كنت أستطيع أن أقول ذلك ، ولكنى فى الواقع لم أر من أهل العراق غير الشهامة والنبل والوفاء؛ ويسرنى ويشرح صدرى أن أقول كلمة الحق فى تحية من يعيشون فى أنس بزهرات بغداد ونخلات البصرة وسمكات الفرات

وسيأتى يوم يعذرنى فيه من اتهمونى بالإسراف فى حب البلاد التى عرفت بكاء الحمائم وظلام الليل

سيعرف إخوانى فى مصر أنى بنيت لهم صرحاً من الوداد فى وطن نبيل هو العراق

سيعرف إخوانى أن غيرتى على سمعة العراق ستضاف إلى المحامد المصرية ، وسيقول المنصفون إن المصرى حين يغترب لا ترى عينه غير الجميل من شمائل الرجال

وهل كنت أملك أن أذكر العراقيين بغير الثناء ؟ لقد نُظِمَتْ فى تكريمى هناك قصائد وخطب ومقالات لو جُمِعَتْ لكانت مادة كريمة لكتاب نفيس ، فبأى وجه ألقى الله إذا ذكرت العراق بغير الجميل ؟

كنت أعرف أن أيامى قصيرة فى العراق فتجشمت ما تجشمت لأزور أشهر الحواضر العراقية ، فكانت فرصة عرفت فيها كيف يلتاع من يفارق حواضر العراق ؟

يا ليت ماء الفرات يخبرنا أين استقلت بأهلها السفنُ

ولا يعلم إلا الله كيف رحلت عن البصرة والحلة والنجف والموصل وكركوك وكربلاء

لا يعلم إلا الله كيف أخفيت يوم الفراق عن أصدقائى فى بغداد

لا يعلم إلا الله كيف أخفيت نيتى عن تلاميذى فلم أخبرهم أن التسليم عليهم يوم الرحيل هو آخر العهد

لا يعلم إلا الله كيف انخلع قلبى وأنا أنظر إلى دار المعلمين العالية آخر نظرة ، وألقى عليها آخر سلام

وإذا كانت شواغلى بمصر قضت بأن أعتذر عن المضىّ فى خدمة تلاميذى بالعراق فسأتعزى عن فراقهم كلما تذكرت أنى أوقدت فى صدورهم جذوة لن تخمد أبداً ، وسيصيرون بإذن الله من أشرف خدام العراق

والعهد بينى وبينهم أن نقضى العمر كله أوفياء للحق والواجب ، وألا نرى المغانم فى غير طهارة الضمائر وسلامة القلوب

هذا كتاب أوحته بغداد ، وفيه ما فى جوّ بغداد من طغيان الرفق والعنف ، وصولة العقل والفتون

هو كتاب سيُرقَم على وجه الدهر وجبين الزمان

هو كتاب سيسعد به قوم ويشقى به آخرون

ولكنه سيظل أثيراً لدى بغداد ، لأنه من وحى بغداد

زكى مبارك



ملاحظات وخواطر

حول ترقية الأفلام المصرية

تحدثنا فى الأسبوع الماضى عن ضرورة قيام الحكومة بإيجاد رأس مال مناسب يكون فى متناول المنتجين المصريين الذين تعوزهم النقود اللازمة لإكثار جهودهم وموالاتها وأكدنا أن هذه هى أفضل الطرق لترقية الأفلام المصرية والأخذ بيد صناعة السينما فى مصر . وقلنا كذلك : « إن هناك ناحية أخرى على اللجنة أن تنظر فيها وتعمل على التخلص منها ما دامت تريد نهضة جدية للأفلام فى مصر ، وهذه الناحية هى جمود اللائحة التى تعمل بها وزارة الداخلية الآن فى صدد ما يجوز معالجته وما لا يجوز معالجته فى الأفلام من الموضوعات فى مصر »

ونسجل على هذه الصفحة بضعة خواطر وملاحظات لنا على هذه اللائحة فنقول : إن هذه اللائحة تتناقض تناقضاً بيناً مع القانون الأساسى للبلاد وهو الدستور ، وإذا كانت الحكومة قد ظلت مشغولة إلى عهد قريب بالقضية الخارجية ، فقد آن الأوان لأن تراجع هذه اللائحة وتحذف منها ما لا يتفق مع هذا الدستور . فقد كفل هذا الدستور حرية القول والتأليف والكتابة والاعتقاد فى حدود مبادئ القانون العام وهى ألا يكون فى ذلك القول أو التأليف ما من شأنه تقويض النظام القائم أو المناداة بمبادئ خطيرة أو ما يمس الآداب العامة أو الشرف الخصوصى للأفراد والعمومى للدولة وتاريخها ورجال تاريخها . ونعتقد نحن أن فى استطاعة قانونى كبير كبدوي باشا أن يضع لنا لائحة جديدة على أساس مبادئ دستورنا فيما لا يزيد على يوم وليلة ! حتى لا تعارض وزارة الداخلية بعد الآن فى فلم وطنى أو سياسى أو فلم يدور حول فتاة لقيط مثلا — كما حدث منذ عامين

روزالى ... فلم الافتتاح لسينما ستوديو مصر

افتتح استوديو مصر يوم الاثنين الماضى دار العرض الجديدة التى رأى أن تتخصص لعرض منتجاته على أن تعرض أفلام المترو جولدوين بجوار أفلام الاستوديو . ولسنا فى حاجة إلى أن نقول إن حفلة الافتتاح كانت فريدة فى بابها ونادرة بين حفلات الافتتاح، ويكفى أن نقول إن جميع ذوى وذوات المكانة من أهل الطبقات الراقية والمثقفة وممثلى وممثلات السينما والمسرح وجميع ممثلى الصحف المصرية العربية والأفرنجية كانوا حاضرين فى هذه الحفلة احتفالا بهذه الخطوة الجديدة الموفقة التى يخطوها استوديو مصر ولمشاهدة أحد أفلام الدرجة الأولى للمتروجولدوين ماير فى الموسم الحالى وهى رواية (روزالى) أو الأميرة الراقصة من تمثيل (الينور باول) و (نلسون إدى) ، والفلم كوميدى غنائى راقص ملىء بالمواقف اللطيفة المسلية

فهنائينا لبنك مصر واستوديو مصر وقسم الانتاج فى استوديو مصر، ونأمل أن تتبع هذه الخطوة خطوات نرى بعدها عدداً من دور السينما الكبيرة مصرياً فى كل شىء، وليس ذلك كثيراً على بنك مصر ومديريه الأفذاذ وسعادة الدكتور فؤاد سلطان بك مدير شركة مصر للتمثيل والسينما

خبر سابق لأوانه

أكد لنا أحد كبار ممثلى الفرقة القومية أن كل ما ذكرته الصحف عن مسرح حديقة الأزبكية وعمل الفرقة القومية به إنما هو سابق لأوانه . والصحيح أن مفاوضات دارت بين إدارة الفرقة وإدارة ذلك المسرح ، ولكن هذه المفاوضات وقفت حتى يعود الأستاذ خليل مطران مدير الفرقة من أجازته بلبنان . ومعنى ذلك أن الدورة الأولى من موسم الفرقة ستكون فى دار الأوبرا الملكية كالمواسم السابقة

أخبار مسرحية وسينمائية

مترو جولدوين وتوفيق الحكيم



أبلغنا أحد أصدقائنا المتصلين بالكاتب القصصي الكبير الأستاذ توفيق الحكيم، أن هناك مفاوضات بين شركة المتروجولدوين مارو والأستاذ توفيق الحكيم بخصوص روايه (عودة الروح) إحدى قصصنا الأدبية الكبرى. وأن هذه المفاوضات قد انتهت فعلا أو أوشكت على الانتهاء وقريباً نرى إحدى معجزات الحكيم الأدبية على الستار الفضى

والحق أننا لا ندرى هل نهنى «المتروجولدين ماير أم نهنى «كاتبنا الكبير بهذه الصلة السعيدة التى نأمل ألا تقتصر على «عودة الروح»

فلم جميل للموسم الجديد

ينتظر أن يكون موسم سينما ديانا عظيما هذا العام. وكفى دليلا ما قدمته لنا فى حفلة الافتتاح وهو فلم (فندق هوليوود) الفلم الغنائى الراقص الجميل

أجنحة الصحراء والرحلة الملكية

علمنا أن (اللقطات) الأخيرة لفلم أجنحة الصحراء، وهو باكورة منتجات سالم تتم فى الأيام القليلة الباقية من هذا الشهر. أما موعد عرض الفلم فقد علمنا أنه سيكون فى أواخر النصف الأول من نوفمبر

وبمناسبة الحديث عن الأستاذ سالم نسجل له على هذه الصفحة نجاحاً كبيراً فى الشريط الناطق الذى أخرجته جريدته السينمائية للرحلة الملكية السعيدة إلى الصحراء الغربية ويكفى أن يكون عرضه على شاشة الروبال بعد يومين اثنين فقط من عودة جلالة الملك إلى الاسكندرية



منظر من فلم أجنحة الصحراء ويرى فيه راقية ابراهيم وأنور وجدي

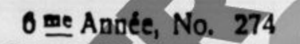
شيء من لا شيء

عرضت نسخة كاملة من فلم «شىء من لا شىء» على حضرات أعضاء اللجنة الفنية فى استوديو مصر، فوافقت عليه وأبدت إعجابها به، واعترفت له بأنه من أقوى وأكبر الأفلام المصرية التى رآها الأعضاء حتى الآن. وسيعرض هذا الفلم بسينما استديو مصر فى الشهر القادم



الآنسة نجاة على والأستاذ عبد الغنى السيد
فى موقف من مواقف فلم شىء من لا شىء


الرسالة
العدد ٢٧٤
السنة السادسة


6 me Année, No. 274

Lundi - 3 - 10 - 1938

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

بشارع عبد العزيز رقم ٣٦

العتبة الخضراء — القاهرة

ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

بدل الاشتراك عن سنة

	ص
في مصر والسودان	٦٠
في الأقطار العربية	٨٠
في سائر الممالك الأخرى	١٠٠
في العراق بالبريد السريع	١٢٠
ثمن العدد الواحد	١

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٢٧٤ « القاهرة في يوم الاثنين ٩ شعبان سنة ١٣٥٧ — ٣ أكتوبر سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــــرس

ختـــــام

للأستاذ عباس محمود العقاد

بدأنا بقنطار ثمين فأجملنا ما نراه من مذهب في صفات الجمال، وكانت خلاصته أن الجسم الجميل هو الجسم الذي ليس به فضول، وهو الذي يحمل كل عضو فيه نفسه غير محمول في مشهد العين على سواه، وهو الذي يكون مقياس الفضول فيه أداء الوظيفة، ومقياس الوظيفة بين عضو وعضو وبين حيوان وحيوان قربها من الحرية وبعدها من القيد والضرورة

وهذا مقياس أعضاء وأجسام

ومقياس معان أيضاً وأفكار وأرواح

فإننا بهذا المقياس نعرف الـكلمة الجميلة والشعر الجميل والخلق الجميل والفكر الجميل

فلن يكون جميلا فكر به فضول فهو زائد فضفاض في غير طائل، أو فكر فيه قصور فهو مفتقر إلى غيره وليس بمحمول على نفسه، أو فكر يظهر فيه عجز التقييد وعسف الضرورات

وذلك ما أردناه حين قلنا إن الجمال يخرج الأجسام من عالم الشهوات والنزوات إلى عالم المعاني والأرواح، وإن العين التي تنفذ إلى لبابه تنظر إليه كما تنظر إلى الحقائق العليا، وإلى الأصول الشائعة في نظام الوجود كافة؛ فماذا اتفق أن يعبث العابث بالجمال

فكما يتفق أن يسرق السارق جوهرة نفيسة : لا يسرقها لأنها جيلة وهو يحب الجمال ، ولكنه يسرقها لأنه يستحضر فى ذهنه السوق ، والسوء !

* * *

ثم رجعنا إلى بقية المذهب ، ثم تلاحقت اللحقات من تفريع إلى حاشية إلى تذييل ، إلى هذا الختام ، وكان به ختام الصيف وختام السفرات فى كل أسبوع إلى الاسكندرية

أكتبه إلى جوار الصحراء صديقتى القديمة منذ عرفت الأصدقاء فى الأماكن والبقاع

وأصغى فلا أسمع الأمواج كأنها فوران القدر العظيمة عند ميناء الاسكندرية ، ولا أسمع الأمواج كأنها غطيط النائم فى اطراد رتيب عند ميناء مرسى مطروح ، ولا أسمع الأمواج كأنها المارد الوديع الحالم عند ميناء السلوم، فلا هدير له ولا ضجيج، بل سكون كسكون النيل فى ساعة صفاء قرير

لا أسمع الأمواج ولكنى أسمع الصحراء ، ومن طالت عشرته للصحراء سمعها وهى تسكت ، وسمعها وهى تصخب ، وسمعها وهى لا تحفل بأسماع ، ونخص ذلك كله فى كلمة واحدة ، وهى القناعة أو الاستخفاف أو القوة التى تغالب الأزمان ؟ لأن الأزمان تقوى على التغيير ... فاذا لم يكن تغيير فما ذا يبلغ من قوة زمان واحد أو من قوة جميع الأزمان ، وإذا كان التغيير لا يغير منها الحقيقة ولا يمس منها إلا العرض فلماذا تباليه الصحراء ؟

ورجعت أعرض صور الاسكندرية فاذا هى كثيرة تتصل بها أجزاء الدنيا وترينا كيف يتشعب العالم وكيف يؤول إلى التماثل والتوحيد

فالعالم اليوم يحكمه زى واحد تبصره فى شواطئ القارة الحديثة، وتبصره فى شواطئ الصين ، كما تبصره فى شواطئ بحر الروم وفى شواطئ بحر الظلمات ، الذى ليس فيه اليوم ظلمات

أو هذا كل ما هنالك من تماثل وتوحيد بين أجزاء العالم المتنابذ المستعد فى هذه الساعة لأشنع الحروب

كلا . بل هنالك التقارب بين المثل والأوضاع فى كثير من الأمور

هنالك العملة التى كانت من قبل أخص الخصائص فيما يسمونه بالسيادة القومية فأصبحت اليوم موضع التفاهم والاتفاق بين شتى الحكومات

وهنالك المحظورات والتواصى بمنعها بين الدول من الرق إلى المخدرات إلى المهربات

وهنالك الجيوش والمؤتمرات التى تنعقد من حين إلى حين لتقرير عددها وتقرير سلاحها وتقرير نظامها ، وإن لم تسفر عن وفاق وإجماع

بل هنالك الحرب التى لا يتأتى أن تنفجر فى مكان إلا عمت جوانب الأرض بعد بضعة أسابيع

فالعالم يمضى إلى التماثل والوحدة ، ولا ينفى هذه الحقيقة أنه ماض كذلك إلى الوحدة فى الشرور والنكبات ، بل إن هذا ليؤكدها ويجلوها فى جانبها المخيف كما يجلوها فى جانبها المأمون ، وجانبها المحبوب

أزياء الشاطئ تكشف لنا هذه الحقيقة وتكشف لنا معها حقيقة أخرى يأسى لها كثيرون ويغتبط بها كثيرون

أو لم يكن الراقصون والمغنون وأصحاب الملاهى والملاعب نفاية الجماعة الانسانية فى الأجيال القريبة ؟

فانظر اليوم من ذا الذى يفرض على الناس الأزياء والآداب؟ ومن ذا الذى يملى عليهم ما يشتهون وما ينبذون ؟ !

إنهم هم نفاية المجتمع بالأمس وسادة المجتمع اليوم !

إنهم هم فتيان هوليود وفتيات الستار الأبيض فيها وفى كل مكان

فأين هى اليوم تلك السيدة التى تخجل من ظهورها فى مظهر الممثلات على ذلك الستار ؟

وما معنى ذلك إلا أن المجتمع ينقلب رأساً على عقب ثم لا يستقر على هذا الانقلاب ؟

وهل بعيد ما بين هذه الحقيقة وبين حقيقة أخرى فى عالم السياسة الدولية نشهدها ونسمعها الآن فيما نشهد ونسمع من نذير وشرر مستطير ؟

ما معنى الحرب اليوم إلا أن نفايات المجتمع قد أصبحوا يسوسون الدول ويقودون الشعوب ولا يؤمنون إلا بما يؤمن به النفايات من غلظة وجور وعنت وتحطيم ؟

لئن كان الحجر على هذه النفايات فيما مضى ظلماً لقد رأينا الساعة أن سيادتها ليست بانصاف ، بل فيها الظلم والانصاف مزيج كريه المذاق ، ومصفاة الزمن خير كفيل بالتصفية والترويق ، ولا خوف على الزمن آخر الأمر من العجلة ولا من الأناة ..

* * *

صور كثيرة بقيت فى خلدى من الاسكندرية كأنها صفحات مقسمة من معارض الفن والحياة والتاريخ

وستبقى ما قدر لها البقاء ، وسيكون من أبقاها وأولاها بالبقاء صورة واحدة لمخلوق ضعيف أليف يعرف الوفاء ويحق له الوفاء ، وذلك هو صديقى « بيجو » الذى فقدناه هناك . وإنى لأدعوه صديقى ولا أذكره باسم فصيلته التى ألصق بها الناس ما ألصقوا من مسبة وهوان ، فان الناس قد أثبتوا فى تاريخهم أنهم أجهل المخلوقات بصناعة التبجيل وأجهلها كذلك بصناعة التحقير ... فكم من مبجَّل بينهم ولاحق له في أكثر من العصا ! وكم من محقَّر بينهم ولا ظلم فى الدنيا كظلمه بالازدراء والاحتقار!

وكنت أقدر أننى سأخلو من العمل فى مجلس النواب ثلاثة أشهر الصيف الشديد ، فأخلو بنفسى وبالبحر والصحراء فى مرسى مطروح أو فى السلوم ، وأفرغ هناك لتأليف كتابى الذى جمت له ما جمت من الأخبار والوقائع عن الصحراء وأبنائها الأقدمين والمحدثين

فلما تواصلت الجلسات أزمعت أن أقضى أياماً فى القاهرة وأياماً في الاسكندرية من كل أسبوع ، ولم أصحب بيجو فى الرحلة الأولى ولا فى الرحلة الثانية ولا عزمت على اصطحابه بقية أشهر الصيف ، اكتفاء بأن أراه أيام مقامي فى القاهرة وأن أعود إليه كل أسبوع

ولكن المخلوق الأمين الوفى أرغمنى على مصاحبته كلما ذهبت إلى الاسكندرية وكلما رجعت منها ، لأنه صام عن الطعام صومة واحدة فى الرحلة الثانية ، وزاده إصراراً على الصيام أننا كنا نتركه فى كفالة الشيخ احمد حمزة طاهينا القديم الذى يعرفه قراء كتابى « فى عالم السدود والقيود »

والشيخ أحمد حمزة كما علم أولئك القراء رجل يكثر الصلاة والوضوء ويعتقد نجاسة الكلاب فلا يقربها إلا على مسافة أشبار وبيجو مخلوق حساس مفرط الاحساس ما هو إلا أن تبين النفور من الشيخ أحمد حتى قابله بنفور مثله أو أشد وأقسى . فكنا إذا تعمدنا تخويفه وزجره نادينا : « يا شيخ أحمد » ... فاذا بيجو تحت أقرب كرسى أو سرير ، ثم لا يخرج من مكمنه إلا إذا أيقن أن الشيخ أحمد حمزة بعيد ، جد بعيد

فلما استحال التوفيق بينهما واستحال إقناعه بالعدول عن الصيام فى غيابنا أصبح بيجو من ركاب السكة الحديد المعروفين فى الذهاب والاياب ، وأصبح يزاملنا من القاهرة إلى الاسكندرية ومن الاسكندرية إلى القاهرة كل أسبوع ، وشاعت له نوادر فى مماكسته للموظفين ومماكسة الموظفين له ، يتألف منها تاريخ وجيز ...

ثم أصابه فى الاسكندرية ذلك المرض الأليم الذى كان فاشياً فيها واستعصى علاجه على أطباء الحيوان ، فلزمته فى مرضه مخافة عليه من مشقة السفر ، وعلمت أن الأمل فى شفائه ضعيف ، ولكنى لم أجد مكاناً أولى بإيوائه من المكان الذى أراه ويرانى فيه

وإنى لفى ظهيرة يوم بين اليقظة والتهويم إذا بهمهمة على باب حجرتى وخدش يكاد لا يبين ، ففتحت الباب فرأيت المخلوق المسكين قابعاً فى ركنه يرفع إلىَّ رأسه بجهد ثقيل ، وينظر إلى نظرة قد جمع فيها كل ما تجمعه نظرة عين حيوانية أو إنسانية من معانى الاستعطاف والاستنجاد والاستغفار : أحس المسكين وطأة الموت فتحامل على نفسه ، وخطا من حجرته إلى باب حجرتى ، وجلس هناك يخدش الباب حتى سمعته وفتحت له ، وهو لا يزيد على النظر والسكوت

كان اليوم يوم أحد ، ولكننا بحثنا عن الطبيب فى كل مظنة حتى وجدناه ، وقد شاءت له مروءته الانسانية أن يفارق صحبه وآله فى ساعة الرياضة ليعمل ما يستطيع من ترفيه وتخفيف عن مريضه الذى تعلق به وعطف عليه ، لفرط ما آنسه أثناء علاجه من ذكائه وألاعيبه ومداعباته ، ولكنه وصل إلى المنزل وبيجو يفارق هذه الدنيا التى لم يصاحبها أكثر من سنتين

سيبقى من صور الاسكندرية ما يبقى ، وسيزول منها ما يزول ،

ملاحظـــات انتقادية
على مقترحات لجنة التيسير

للأستاذ أبي خلدون ساطع الحصري بك
مدير دار الآثار العراقية

— ١ —

إن الملاحظات الانتقادية التي نشرتها في العددين الأخيرين من الرسالة الغراء حول كتب « قواعد اللغة العربية » تغني عن شرح طويل لتحديد موقفي وتبيين رأيي في المقترحات الواردة في تقرير لجنة التيسير

فبعد تسجيل واجب الشكر لوزارة المعارف في مصر ، لإقدامها على تأليف لجنة خاصة لدرس وسائل تيسير قواعد الصرف والنحو ، ولفتحها باب الدرس والمناقشة في هذه الوسائل ، أرى من واجب الصراحة أن أقول : إني قرأت التقرير الذي وضعته هـذه اللجنة بشيء كثير من خيبة الأمل . . . لأنني لاحظت أن المقترحات الواردة فيه ضيقة النطاق جداً ، وليس من شأنها أبداً أن تؤدي إلى « تيسير » مهم . . .

فاللجنة المحترمة لم تتطرق في تقريرها إلى شيء من المسائل التي عرضتها في مقالي الانتقادي ، ولم تنتبه إلى النقائص المهمة والأغلاط العظيمة المندمجة في خطط التبويب والتعريف ، ولم تقدم على إنعام النظر في طرق التقسيم والتصنيف . . .

ولكني لا أحسبني أنسى ما حييت نظرة ذلك المخلوق المتخاذل يقول بها كل ما تقوله عين خلقها الله ، ويودعها كل ما ينطق به فم بليغ من استنجاد واستغفار ، كأنه يعلم أنه أقلقني ولا يحسب ما كان فيه عذراً كافياً لاقلاق صديقه . ومن شهد هذا المنظر مرة في حياته علم أنه لا ينسى ، فان لم يعلم ذلك فهو أقل الناس حظاً من الخلائق الانسانية ، لأن البعد من العطف على الحيوان لا يجعل المرء بعيداً من الحيوان ، بل يقربه منه غاية التقريب

عباس محمود العقاد

فأستطيع أن أقول إذاً ، إنها لم تتخلص من النزعة العامة التي أشرت إليها وإلى أضرارها ، ولم تخرج على المسالك الملتوية التي شرحتها وانتقدتها . . .

فجميع الملاحظات الانتقادية المسرودة في مقالي عن « كتب قواعد اللغة العربية » تنطبق على أبواب « الصرف والنحو » التي اقترحتها اللجنة المحترمة أيضاً . . . وفي الواقع أن اللجنة قد صرحت في تقريرها أنها قدمت اقتراحاتها كخطوة أولى في سبيل التيسير إذ قالت ما يلي : « وقد اتصلت اجتماعات اللجنة للنهوض بهذه المهمة التي وكلت إليها حتى انتهت إلى طائفة من الاقتراحات ترفعها الآن إلى الوزارة ، لا على أنها المثل الأعلى لما ينبغي الوصول إليه من تيسير النحو والبلاغة ، بل على أنها خطوة معتدلة موفقة في سبيل التيسير قد تتاح بعدها خطوات أدنى إلى التوفيق وأقرب إلى الكمال . . . »

فقد يقال — نظراً إلى هـذا التصريح — إن النقوص والأخطاء التي كانت موضوع مقالي السابق ، ربما كانت من جملة المسائل التي لاحظتها ودرستها اللجنة وتركتها إلى الخطوات التالية لاعتقادها صعوبة معالجتها في الخطوة الأولى من خطوات التيسير . . .

غير أني أعتقد أن الخطوة الأولى يجب أن ترمي إلى معالجة « أهم المسائل من حيث مقتضيات العلم والتعليم ، وأسهل الاصلاحات من حيث العمل والتنفيذ » كما أعتقد أن النقوص والأخطاء التي أشرت إليها أكثر خطورة وأسهل معالجة من الأمور التي اقترحتها اللجنة . فأقول بهذا الاعتبار أن معالجة هـذه النقوص وهذه الأخطاء يجب أن تكون أول خطوة من خطوات التيسير والاصلاح

ولهذه الأسباب أتقدم إلى أعضـاء اللجنة المحترمين برجاء خاص أن ينعموا النظر في المآخذ التي عرضتهـا في مقالي السابقين بنظرة متجردة عن تأثير الألفة المخدرة ؛ ولا أشك في أنهم عندما يفعلون ذلك يسلمون بأن قواعد اللغة في حاجة إلى معالجة وتيسير وإصلاح من النقائص التي ذكرتها آنفاً قبل سائر النواحي . . .

— ٢ —

بعد هذه الملاحظات العامة التى أنتقد بها اللجنة لعدم تطرقها إلى بعض الأبحاث المهمة يجب على أن أنتقل إلى المسائل التى عالجتها اللجنة المذكورة فأبدى رأيى فيها ...

إننى أؤيد معظم آراء اللجنة ومقترحاتها ، غير أنى أرى نقصاً فى بعضها وخطأ فى البعض الآخر

أولا — حللت اللجنة أهم أسباب الصعوبة التى اكتنفت قواعد اللغة العربية فقالت :

« وقد لاحظنا أن أهم ما يعسّر النحو على المعلمين والمتعلمين ثلاثة أشياء :

أولا — فلسفة حملت القدماء على أن يفترضوا ويعللوا ويسرفوا فى الافتراض والتعليل

« الثانى — إسراف فى القواعد نشأ عنه إسراف فى الاصطلاحات .

« والثالث — إمعان فى التعمق العلمى باعد بين النحو وبين الأدب ...

« وقد حاولنا أن نخلص النحو من هذه العيوب الثلاثة ، فبرأناه من الفلسفة ما وسعنا ذلك . ومحونا منه الافتراض والتعليل اللذين لا حاجة إليهما ، وقاربنا بين أصوله وقواعده . فضممنا بعضها إلى بعض ، كلما وجدنا إلى ذلك سبيلا »

إننى أشارك اللجنة فى هذه الملاحظات ، غير أننى أرى من الضرورى أن يضاف إلى هذه العوامل الثلاثة عامل آخر ، ربما كان أفعل من جميعها فى توعير المسالك وتوليد الاخطاء : هذا العامل هو النزوع إلى اعتبار مسائل الاعراب الغاية القصوى من دراسة اللغة ، والاهتمام بالأحكام النحوية وبمواطن الاعراب أكثر من الالتفات إلى المعانى المقصودة ومواطن الاستعمال ، كما شرحت ذلك وعلته فى مقالى الأخير . إننى أعتقد أن التخلص من هذه النزعة ومن نتائجها ، من أهم الأسس التى يجب أن تبنى عليها محاولات التيسير والاصلاح ..

ثانياً — تقترح اللجنة ترك فكرة الجملة الاسمية والجملة الفعلية، وحذف تعبيرات الفاعل ونائب الفاعل والمبتدأ والخبر ، واستبدال هذه التعبيرات المختلفة بكلمتى الموضوع والمحمول « حسب اصطلاح المناطقة »

وأنا لا أرى فى ذلك وجهاً للتيسير ، بل أعتقد أن هذه الخطة تزيد الأمر صعوبة ، كما أنها تخالف طبيعة اللغة العربية مخالفة واضحة ...

وذلك لأن تفهم المبتدأ والخبر ، وتمييز الفعل والفاعل ، أسهل بكثير من تفهم المحمول والموضوع وتصورهما . كما أن تقسيم الجملة إلى اسمية وفعلية أكثر انطباقاً على خصائص اللغة العربية :

إذ من المعلوم أن بعض اللغات محروم مما يشبه الجملة الاسمية ، لأن كل جملة فيها تحتوى على فعل ، ولو كان من النوع الذى يدل على الكينونة والصيرورة ؛ غير أن اللغة العربية لا تدخل فى عداد تلك اللغات ، لأنها تساعد على تكوين جمل بدون أفعال ؛ فتمييز الجمل الاسمية من الفعلية ، ودرس كل منها على حدة ، يكون أقرب إلى طبيعة اللغة العربية ، وأوفق لمقتضيات أصول التدريس ..

ولا أرانى فى حاجة إلى القول بأن درس كل نوع من هذين النوعين من الجمل على حدة ، لا يعنى عدم إجراء مقارنة بينهما . . . لأن التمييز بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية لا يمنعنا من لفت النظر إلى المشابهة الموجودة بين الفاعل والمبتدأ ، من حيث المعنى ومن حيث الاعراب . . . ولا أشك فى أن الاقدام على مثل هذه المقارنات مما يضمن لنا الحصول على الفوائد المتوخاة من التقريب ، دون أن يعرضنا للمشاكل التى تتولد من المزج والادماج ..

ثالثاً — تقترح اللجنة توحيد الاصطلاحات المتعلقة إلى بحركات البناء والاعراب ، كما تقترح حذف الاعراب التقديرى والمحلى ..

إننى أحبذ ذلك كل التحبيذ ؛ غير أننى أطالب بأكثر من ذلك فأقترح حذف الابحاث المتعلقة بحركات البناء حذفاً تاماً . لأننى لا أرى فائدة عملية أو علمية فى البحث عن هذه الحركات . ان حركة الحرف الأخير من الكلمة تكتسب خطورة كبيرة فى المعربات ، نظراً لتحولها حسب موقع الكلمة من العبارة

وعلاقتها بالكلمات التى تسبقها وتليها؛ وأما حركة الحرف الأخير فى الكلمات المبنية، فلا تمتاز عن حركات سائر الحروف امتيازاً يستوجب إنعام النظر فيها بوجه خاص. فاذا عرف الطالب مثلاً — أن «اجلس» فعل أمر، وكلمة «علم» فعل ماض، وكلمة «منذ» حرف، وعرف فى الوقت نفسه أن الحروف وأفعال الأمر والماضى من المبنيات... فلا يجنى أية فائدة عملية، من ملاحظة حركة الحرف الأخير فى هذه الكلمات؛ وربما استفاد من الانتباه إلى حركة الحرف الثانى أكثر من ذلك، لكثرة وقوع الخطأ فيها..

فيكفى الطالب أن يعرف الكلمة، ويلاحظ عملها فى العبارة دون أن يتوغل فى تعيين حركة بنائها..

فعند ما نسعى إلى تمرين الطلاب على تحليل العبارات، يجب أن نطلب إليهم أن يعينوا نوع كل كلمة من كلماتها.. ويذكروا الوظيفة التى تقوم بها فى العبارة كل واحدة منها. واما إعرابها فى المعنى المصطلح والبحث فى حركة حرفها الأخير، فيجب أن ينحصر فى المعربات منها.

وأعتقد أن هذه الخطة تخلص المعلمين والمتعلمين من إتعاب الذهن وإضاعة الوقت فى أمور غير مجدية، وتضع حداً للملل الذى يغشى درس اللغة العربية فى أكثر الأحيان.

«بغداد» أبو خلدون

كتاب المبشرين الطاعن فى عربية القرآن

أمسلم مصرى أم مبشر برنسنتى؟

— ٣ —

إن المبشرين البروتستنت الذين أضلوا ذلك الكاتب المسلم فضل وروى باطلهم — ليستيقنون أن القرآن هو الكتاب العربى العبقرى، ويعلمون أن تلكم (الآلات) انما هى قواعده قد أُخذت منه، وكانت له. فلن يخطىء فيها.. وكيف يخطىء فيها..؟!

إن القرآن لهو الكلام العربى الصافى الصرف المحقق الصحيح الذى لاريب فيه. وكل قول غيره يلاقيه الشك شاكى السلاح. فهو حجة الأقوال العربية وظهيرها. وليست الأقوال العربية — وان كانت من خدمه — بحجة له ولا ظهيراً

ولقد قال المربانيون المنصفون والمبقريون والمفكرون من الغربيين فى عربية القرآن الصريحة الخالصة وعبقريته قولهم، وقرأ المبشرون (المضللون) ما كتب المنصف، وقال العبقرى. وإن كتموا الحق، وجحدوا بالذى استيقنته أنفسهم — أينكرون قولا فى كتابهم الذى نشروه للاضلال — مبينا؟

قال (سال) فى (مقالة فى الاسلام): Essay an islam

«مما لاخلاف فيه أنه (يعنى القرآن) الحجة التى يرجع اليها فى العربية، وأنه شمس[1] قلادة الكتب العربية، وواسطة عقدها»

إن هذا فى (مطبوع) المبشرين الذين يخطئون (الكتاب) فى العربية. وإنه لذم وتقريع للسفسطيين القبحين لكن صخرى الوجه لايستحى

وإذا لام (المضللين) لائم، وقبح عليهم ما يصنعون قال لسان الحال: إنا ماشرّقنا محترفين بحرفة (التضليل) — وما التضليل إلا حرفة من الحرف — وآخذين جمالاتنا[2] إلا لنعمل

(١) الشمس: معلاق القلادة فى العنق

(٢) الجمالة — مثلثة — الجعل، الاجر.وفي (الفائق): ذكر عند ابن عمر الجعائل فقال: لا أغزو على أجر، ولا ابيع أجرى من الجهاد

مايبقيه الجملون المطمون ، فهى الجمالة ، وهو الرغيف . فلا تلومونا ولوموا المعدة ..

أجل ، إن المضللين ما طرءوا على هذه الأقاليم ليحقوا حقا ، ويرهقوا باطلا، ويهدوا ضالاً ، ويرشدوا حائراً ، بل جاءوا منوين متوّهين حتى يخرجوا المسلمين من دينهم فيستعبدهم الغربيون المغيرون استعباد الهون[1] . وقد قال (غلادستون) : لاراحة للعالم (يعنى قومه) ماكان القرآن . وقال سواس فرنسيون : لن يكون لنا الملك الحق فى بلاد المغاربة أو نغرب دين القوم

فالمضللون ، مقصدهم أن يصدوا أمة محمد عن كتابها ، ويلفتوها عن شريعتها ابتغاء أن تذل للغربى وتستقيد . فليس الشأن إذن فى نحلة تبطل أو عقيدة تزول، لكنه أمر أمم تستخذى وتهون بل تفنى وتبيد . فليدر بهذا السفهاء والبله والأغبياء من المسلمين إما كانوا يجهلون

والمضللون مدفوعون إلى اقتراف مايقترفون : تدفعهم حرفتهم وجمالتهم والرغيف المأكول ، فهم مرغمون أن يسلكوا كل سبيل فى التضليل ، ويتذرعوا بكل ذريعة غير متذممين من منكر ، ولا متصحيين من شىء ، وغير حافلين بكل خيبة تجبههم، وبكل خذلان يصفعهم ، وبكل لعنة تتبعهم . وطرق الشر عند هذه الإضامة (الجماعة) كثيرة ، وذرائع الفساد مستوفرة . فهناك التنويم المغناطيسى .. وهناك التنويم النسوى ...وحكايات هذين التنويعين من وسائل التضليل معروفة فى القاهرة مشتهرة ومن كفر منوماً وسنان عاد إلى الايمان سريعا يقظان . وهناك الجنون المجنون فى الإقدام على تغليط القرآن فى العربية ...

* * *

ليس فى القرآن آية أو كلمة قد عدلت عن سنن العرب ،وان (علم العربية) أو النحو أو القواعد العربية — كما يسميها مسمون — هو حجتها ، وهو دليلها ، وهو المهيمن عليها ، وشواهدها كلماته ، وهذا كتاب سيبويه وهذه أبوابه وبيناته ذلكم القرآن . بيد أن المضللين يقولون : نحن نهذى ونخرفش[2] ، وعلى إبليس تتميم العمل. وقد جمعوا فى (مكتوبهم) بضع عشرة آية (منها الست التى نقلناها — وزعموا أنها مالت عن نهج العربية ، وتلكم الآيات الكريمات كلهن قواعدهن مبينة مفصلة فى (علم العربية) تفصيلا . وهذه أقوال نحوية فى الست المنقولة

* * *

١ — . . . والصابرين . . . قرىء (والصابرون) وقرىء (والموفين والصابرين) والنصب على التعظيم والمدح كما قال (الكتاب) وفصلت (خزانة البغدادى) والقراءة الناصبة تنصر قول الخِرْنِق (أخت طرفة) :

لا يبعدن قومى الذين هم ... سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك ... والطيبون معاقد الأزر

وتؤيد ما أنشد الفراء :

إلى الملك القرم وابن الهمام ... وليث الكتيبة فى المزدحم

قال (جامع البيان) : « إن من شأن العرب إذا تطاولت صفة الواحد الاعتراض فى المدح والذم بالنصب أحيانا وبالرفع أحيانا »

وقال أبو على الفارسى (أستاذ الأئمة وشيخ ابن جنى) : « إذا ذكرت الصفات الكثيرة فى معرض المدح والذم فالأحسن أن تخالف باعرابها ، ولا تُجمل كلها جارية على موصوفها ، لأن هذا الموضع من مواضع الإطناب فى الوصف والابلاغ فى القول، فاذا خولف باعراب الأوصاف كان المقصود أكمل ، لأن الكلام عند اختلاف الاعراب يكون وجها واحداً ، وجملة واحدة »

٢ — ... فاصدق وأكن . . . قرئ (وأكون) بالنصب على اللفظ ، (وأكون) على وأنا أكون ، وقرىء (وأكن) على محل فاصدق . قال المبرد : « وأكون على ماقبله لأن قوله فاصدق جواب للاستفهام الذى فيه التمنى ، والجزم على موضع الفاء » قال الرضى : « وكذا ماجاء بعد جواب الشرط المصدر بالفاء نحو قوله تعالى : (من يضلل الله فلا هادىَ له (ويذرهم) قرىء رفعاً وجزما ، ولا منع فى العربية من النصب ، فلما كان فاء السببية بعد الطلب واقعاً موقع المجزوم جاز جزم المعطوف عليه ؛ قال تعالى : فاصدق وأكن »

قال ابن يعيش : « فاذا عطفت عليه فعلا آخر جاز فيه وجهان النصب بالعطف على مابعد الفاء ، والجزم على موضع الفاء ، ونظير ذلك فى الاسم : (إن زيداً قائم وعمرو ، وعمراً) إن نصبت فبالعطف على مابعد أن ، وإن رفعت فبالعطف على موضع إن

(١) الهون : الهوان الشديد ، قال (الكشاف) فى (عذاب الهون) : اضافة العذاب إليه كقولك رجل سوء يريد العراقة فى الهوان والتمكن فيه

(٢) الخرفشة مثل الخربشة والخرمشة

قبل دخولها وهو الابتداء » والقراءة الجازمة تنصر صاحب الصمصامة فى قوله :

دعنى فأذهب جانباً يوما وأكفك جانبا

٣ — ... كن فيكون ... من كان التامة أى احدثْ فيحدث « والرفع على الاستئناف أى فهو يكون » كما قال العكبرى . قال الرضى : « وأما النصب فى قراءة أبى عمرو فلتشبيه بجواب الأمر من حيث مجيئه بعد الأمر ، وليس بجواب من حيث المعنى » « وهذا مجاز من الكلام وتمثيل ، ولا قول ثم » كما قال (الكشاف) وهو « حكاية حال ماضية » كما فى هذا الكتاب

وقد كان (يكون) ولم يكن (كان) إذ لو قال : (كان) ماقلنا : إنه (قرآن) ؛ إنه (الكتاب) يتكلم لا نحو مسكين فى (الاهرام) و (المقطم) ومثل هذا فى (المعانى) مشروح فى المطولات والمقصرات أو المختصرات ؛ قال الخطيب فى (الايضاح) « قال : (فأضربُها) ليصور لقومه الحالة التى تشجع فيها على ضرب الغول ، كأنه يبصرهم إياها ، ويتطلب منهم مشاهدتها تعجيباً من جرأته على كل شدة ، ومنه قوله تعالى : (انّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له : كن فيكون) وكذا قوله تعالى : ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح فى مكان سحيق»

وعلم (المعاني) نحو من (علم العربية) بل هو علم معانى النحو ، وقد (استقل) يوم قطعوا (العربية) وان يفارق نشء العرب وطلابهم ذاك الهم ، وذاك الغم ، وذاك الضيم الأوقت (الفم) وحين جمع الاخوة

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما يظنان كل الظن أن لاتلاقيا

٤ — « وقطعناهم اثني عشرة [٢] أسباطا ، أمماً » قرىء وقطعناهم بالتخفيف . وعشرة بكسر الشين . قال (جامع البيان) : « قطعناهم قطعا اثنتى عشرة ثم ترجم عن القطع بالاسباط » قال العكبرى : « اثنتى عشرة : مفعول ثان أو حال أى فرقناهم فرقا (اسباطا) بدل من اثنتي عشرة (أمما) نعت لاسباط أو بدل بعد

(١) قال الفراء : إنما قال ذلك لأنه ذكر بعده أمما فذهب التانيث إلى الأمم . قال ابن جرير هو مثل قوله

وإن كلابا هذه عشر أبطن وأنت برىء من قبائلها العشر

قال قطرب : يقال : هذا سبط ، وهذه سبط

البدل » قال الزمخشرى : « لوقيل اثنى عشر سبطا لم يكن تحقيقا لأن المراد وقطعناهم اثنتى عشرة قبيلة ، وكل قبيلة أسباط لا سبط فوضع أسباطا موضع قبيلة ، ونظيره : بين رماح مالك ونهشل [١]

قال ابن يعيش : « فان قلت عشرون رجالا كنت قد أخبرت أن عندك عشرين ، كل واحد منهم جماعة رجال كما قالوا : جمالان وإبلان »

وسنين فى الآية الكريمة : « ولبثوا فى كهفهم ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا » بدل مثل (الاسباط) كما قال ابن الحاجب والرضى والزمخشرى وابن يعيش وغيرهم . قال الزمخشرى : «وقرىء ثلاث مئة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد فى التميز كقوله : قل : هل أنبئكم بالأخسرين أعمالا » [٢] قال الرضى : « الأصل فى الجبيع الجمع [٣] فاذا استعمل المميز جمعا استعمل على الأصل »

٥ — ... والصابئون والنصارى ... قرئ (والصابئون) بالنصب والرفع وأورد العكبرى سبعة أوجه في رفعها . قال (الكتاب) : « وأما قوله عز وجل (والصابئون) فعلى التقديم والتأخير كأنه ابتدأ على قوله والصابئون بعد ما مضى الخبر » قال الفراء : « إن كلمة (إن) ضعيفة فى العمل ههنا » قال خطيب الرى: « إذا كان اسم إن بحيث لا يظهر فيه أثر الاعراب — مثل الذى وهذا والذين وهؤلاء — فالذى يعطف عليه يجوز نصبه على إعمال هذا الحرف والرفع على إسقاط عمله » وقال (فتح القدير) : « إن خبر إن مقدر والجملة الآتية خبر (الصابئون والنصارى) كما فى قوله :

(١) ثني رماحا وهو جمع على تأويل رماح هذه القبيلة ورماح هذه القبيلة وقبله : تبقلت فى أول التبقل (شرح شواهد الكشاف)

(٢) جمع المميز للايذان بأن خسرانهم كان من جهات شتى لا من جهة واحدة (ابن يعيش)

(٣) قال (المفصل) « ومما شذ عن ذلك قولهم ثلاث مئة إلى تسع مئة اجتزؤا بلفظ الواحد عن الجميع وقد رجع إلى القياس من قال :

ثلاث مئين للملوك وفى بها ردائي وجلت عن وجوه الأهاتم

قال ابن يعيش : « يريد أنه شذ عن القياس وأما من جهة الاستعمال فكثير مطرد » قال سيبويه : « وأما ثلاث مئة إلى تسع مئة فكان ينبغى أن يكون مئين أو مئات ، وليس بمستنكر فى كلامهم أن يكون اللفظ واحدا والمعنى جميع ، ومثل ذلك فى الكلام قوله سبحانه وتعالى : فان طبن لكم عن شىء منه نفسا ، وقررنا به عينا ، وإن شئت قلت أعينا وأنفسا كما قلت ثلاث مئة وثلاث مئين ومئات »

نحن بما عندنا وأنت بما   عندك راض والرأى مختلف (١)

والقراءة على ما ذهب إليه الخليل وسيبويه تنصر بشر بن أبي خازم القائل :

وإلا فاعلموا أنا وأنتم   بغاة ما بقينا فى شقاق (٢)

وتؤيد قول ضابئ البرجمي فى رواية :

فمن يك أمسى بالمدينة رحله   فانى وقيارٌ بهـا لغريب (٣)

٦ — ... والمقيمين الصلاة ... قرىء والمقيمون والمقيمين والنصب على التعظيم كما قال (الكتاب) فى (باب ما ينتصب فى التعظيم والمدح) وذكر العكبرى ستة أوجه للنصب . وروى (الكتاب) فى ذاك الباب قول ذى الرمة :

لقد حملت قيس بن عيلان حربها   على مستقل للنوائب والحرب

أخاها إذا كانت غضابا سما لها   على كل حال من ذلول ومن صعب

ثم قال : « إن نصب هذا على أنك لم ترد أن تحدث الناس ولا من تخاطب بأمر جهلوه ولكنهم قد علموا من ذلك ما قد علمت فجعلته ثناء وتعظيما ، ونصبه على الفعل كأنه قال: اذكر أهل ذاك ، واذكر المقيمين ، ولكنه فعل لا يستعمل اظهاره . وليس كل موضع يجوز فيه التعظيم ولا كل صفة يحسن أن يعظم بها ، فاستحسن ما استحسنت العرب ، وأجره كما أجرته »

قال البصريون : « إذا قلت مررت بزيد الكريم فلك أن تجر الكريم لكونه صفة لزيد ، ولك أن تنصبه على تقدير أعني ، وإن شئت رفعت على تقدير هو الكريم ، وعلى هذا يقال : جاءنى قومك المطعمين فى المحل ، والمغيثون فى الشدائد » والعربية تنصب على الشتم والذم كما تنصب على التعظيم والمدح. قال أمية بن أبي عائذ :

ويأوى إلى نسـوة عطل   وشعثاً مراضيع مثل السعالى (٤)

وقال ابن خياط العكلى :

وكل قوم أطاعوا أمر مرشدهم   إلا نميراً أطاعت أمر غاويها

الظاعنين ولما يظعنوا أحداً   والقائلون لمن دار نخليها ؟! (٥)

* * *

وكتاب (المضلين) هذا معروف ، وطبعاته كثيرة ، وقد عزى إلى (هاشم العربى) وهو من قبيلة (هيّان بن بيّان أو ضُلّ بن ضلّ) المشهورة ... وفى (قرار النيابة العامة) الذى أعلنه الأستاذ (محمد نور) رئيس نيابة مصر فى شأن أستاذ مسلم — اشارات إلى كتاب المبشرين أرى نقلها فى هذا المقام . قال الأستاذ الرئيس (محمد نور) :

« ... على أنه سواء كان هذا الغرض من تخيله كما يقول أو من نقله عن ذلك المبشر الذى يستتر تحت اسم هاشم العربى فانه كلام لايستند إلى دليل ولا قيمة له . على أنا نلاحظ أن ذلك المبشر مع ماهو ظاهر من مقاله من غرض الطعن على الاسلام كان . . . كما نلاحظ أيضاً أن ذلك المبشر قد يكون له عذره فى سلوك هذا السبيل لأن وظيفة التبشير لدينه غرضه الذى يتكلم فيه ، ولكن ما عذر ... يقول الأستاذ ... وهاشم العربى يقول فى مثل هذا .. فسبحان من أوجد هذا التوافق بين الخواطر !)

ولما ظهر مؤلف المبشرين أشاع مشيمون تكبيراً لحقير ، وترويجا لزائف ، وتهويلا بضئيل شخت — أن هاشما العربي هو صاحب (مجلة الضياء) ثم نجمت طبعة للكتاب بعد موت اليازجي وفيها : « هاشم العربى الشيخ اليازجي »

« الاسكندريه »

* * *

تنبيه على تطبيع

في القسم — ١ — من هذا البحث : « وانجرا واستجبر » وهي : وانجرّ أو استجبر. وفي القسم —٢—: «لأن أصله فعل» بالتشديد وهي: فعل بفتح العين(اى ذو) و«وإنما هو بلاغة الكتاب» وهي: وإنما هي . و«لابى البركان الانبارى» وهي : البركات . و «وهذا ضوؤها» وهي: ضوءها.

قال أحد الفضلاء : « مات علماؤنا (رحمهم الله) ولم يفرغوا من تحرير رسم الهمزة . » وفى (الرسالة) السنة (٦) الصفحة (٨٣٧) قاعدتها الموجزة



(١) قيس بن الخطيم ، وهو من أبيات الكتاب ، استشهد به مقويا لما جاز من حذف المفعول

(٢) قال سيبويه : « كأنه قال : بغاة ما بقينا وأنتم » أى كذلك

(٣) فانى لغريب وقيارها كذلك (٤) (٥) من أبيات (الكتاب)

مؤتمر المستشرقين العشرون

المنعقد في مدينة بروكسل

من ٥ إلى ١٠ سبتمبر سنة ١٩٣٨

للدكتور مراد كامل

حفلت عاصمة البلجيك بنخبة من علماء المشرقيات في الثلث الأول من شهر سبتمبر. وقد زاد عددهم على عدد الذين اشتركوا في مؤتمر المستشرقين السابق المنعقد في روما سنة ١٩٣٥

هذا وقد قسمت أعمال المؤتمر ومحاضراته تسعة أقسام:

علوم مصرية قديمة وأفريقية — علوم أشورية — آسيا الوسطى — الهند — الشرق الأقصى — اللغات والشعوب السامية — العهد القديم والعلوم اليهودية — الإسلام — الشرق المسيحي

وإذ بلغت المحاضرات التي ألقيت الثلاثمائة أو زادت (بلغات مختلفة منها العربية والفرنسية والانجليزية والألمانية والايطالية) سأقصر بياني على أجلها شأناً تارة بالتفصيل وتارة بالاشارة:

القسم الأول: تقرير عن حفائر مدينة إدفو التي قامت بها جامعة فارسوفيا والمعهد الفرنسي للآثار الشرقية. تكلم فيها المحاضر وهو سانت فارجرنو على آثار الدولة القديمة المكتشفة في الحفريات من الأسرة السادسة ثم على آثار الدولة الوسطى.

— ألقى الأستاذ سامي جبره محاضرة بواسطة الفانوس السحري عن حفائر الجامعة المصرية في تونه الجبل (هرموبوليس الغربية) أظهر فيها أهم الآثار المكتشفة وقيمتها التاريخية

— محاضرة عن فكرة النقود والمعاملة بها في مصر القديمة لدميل من فينا

— محاضرة عن الضمير في اللغات الكوشية في الحبشة لفرارِيو الايطالي

— ألقى الأستاذ مورينو رئيس القسم الشرقي في وزارة المستعمرات الايطالية محاضرة ذكر فيها النتائج التي وصل إليها العلماء الايطاليون حديثاً في بحثهم عن لغات السداما الشرقية في الحبشة وعن مركزها بين اللغات الأخرى

القسم الثاني: تكلم الأستاذ كرستيان من فينا عن أول ظهور الشعوب السامية في ما بين النهرين وقال إن التاريخ يحقق وجودهم حوالي سنة ٢٥٠٠ ق. م إلا أن هناك دلائل لغوية تثبت لنا وجودهم قبل هذا التاريخ

— أراد هروزني أن يثبت بمقارنة لغوية أثر الشومريين والأكاديين في الحضارة المصرية لأربعة آلاف سنة ق. م

القسم الثالث: تكلم الأستاذ عيني التركي على اللغة التركية في بغداد في القرن الحادي عشر الميلادي فذكر قاموس محمود ابن الحسين بن أحمد الكشكري الذي وضعه بأمر الأمير عبد القاسم عبد الله بن الخليفة العباسي المقتدي سنة ٤٦٦ هـ ثم أشار إلى مخطوط من هذا العصر يحتوي على شعر باللغة التركية والفارسية لعبد القادر الكيلاني

— وقد تكلم الهمداني (لندن) على مخطوط وجده في القسطنطينية فيه قصيدة صوفية فريدة لأوحد الدين الكرماني المتوفى سنة ٦٣٥ هـ والمسماة «مصباح الأرواح» فنقد القصيدة وترجم للشاعر

القسم الرابع: ألقى شترجي من جامعة كلكتا محاضرة عن مخطوط بالحروف العربية — الفارسية، استخلص منه طريقة نطق اللغة السنسكريتية في شمال الهند في العصور الوسطى

القسم السادس: ألقى الأستاذ بروكلمن المستشرق المعروف محاضرة عنوانها «معضلات الصياغة الشعرية في الأدب العربي الحديث» وقد قصر محاضرته على الشعر المصري الحديث فقال: «إن الشعر العربي بقي موثقاً بالقيود القديمة إلى أواخر القرن التاسع عشر للميلاد، غير أن استعمال الموشح أدخل نغمة جديدة في النظم التقليدي الجاري على وتيرة واحدة، ثم حطمه الشاعر خليل مطران من قيود القديم متأثراً بألفرد دي موسيه الشاعر الفرنسي الابتداعي فأنشأ مدرسة من أفرادها أبو شادي المتأثر بالأدب الانجليزي، ثم هب الجيل الحديث فذهب في تجديد الصياغة مذهباً يمتاز بالجرأة والاستقلال» وذكر المحاضر شعر الدكتور بشر فارس مثلا لنظم الجيل الحديث

— أفضت السيدة الانجليزية تومسن بواسطة الفانوس السحري بنتيجة الكشف عن معبد بوادي عمد في حضرموت

ثم تلاها الأستاذ روكمن مجلا شرح النصوص السبأية التي وجدت بهذا المعبد والتي أنافت على الستين

— تحدثت الآنسة هوفنر من جامعة جراتز من أعمال النمسا عن نتائج بحثها في المصدر والفعل الماضي في لغات اليمن القديمة القتبانية والسبأية والمعينية

القسم السابع : وجمل الأستاذ بركلند من جامعة أوسلو موضوع محاضرته « كيف نستدل باللغة العبرية على الحالة الاجتماعية لسكان فلسطين في العصور القديمة »

القسم الثامن : وأما القسم الاسلامي فقد كان شاملا جامعاً كثرت محاضراته وتوافر المستمعون لها . وقد مثل مصر في هذا القسم الدكتور طه حسين بك والأستاذ أحمد أمين والدكتور عبد الوهاب عزام والأستاذ فييت . وكان عدد غير قليل من المصريين يستمعون إلى المحاضرات ومعظمهم من الطلبة الذين يدرسون في جامعات أوربا ، وسأبسط أهم المحاضرات التي ألقيت في هذا القسم بحسب ترتيب إلقائها :

— محاضرة للأستاذ ماسينيون عنوانها « بحث في قيمة الظواهر الفكرية التي نتجت عن سورة أهل الكهف عند المسلمين » ومما ذكر المحاضر أن المتصوفة سلخوا من هذه السورة ميداناً للتأمل « والشطح » فقالوا : « إن الحلاج سر هذه السورة لأنه مات سنة ٣٠٩ هـ وفي السورة أن الفتية عاشوا في الكهف ٣٠٩ سنة » وأما الشيعة فقالت : « إنما الكهف هو الزوال الظاهر للحكم » ناظرة بذلك إلى الامام المختفي . وأما أهل السنة فكانوا أكثر تحفظاً ؛ ومما قاله الغزالي : « إن أهل الكهف هم الأقطاب السبعة أو الأوتاد السبعة الذين يحفظون العالم من السقوط لأنهم يمثلون العدل » ثم تكلم المحاضر على تأويل المفسرين لهذه السورة ومذاهبهم فيها وقال إنهم وقفوا عند ألفاظ فيها عدوها « مفاتيح » للولوج إلى كنه أسرارها ، ومن هذه الألفاظ : فتية ، كهف . فالمحاضرة تدور حول تبيين اعتماد المسلمين على سورة أهل الكهف لشرح أمور إسلامية وقعت بعد نزول القرآن الكريم أو لتعزيزها

— وألقى الدكتور طه حسين بك تقريراً علمياً قسمه قسمين : الأول في المجهودات التي بذلت في مصر لتيسير قواعد الاعراب

وقد أثار هذا الموضوع اهتمام المستشرقين . وأما القسم الثاني فخاص بكتاب الفصول والغايات لأبي العلاء المعري ، وفي رأي المحاضر أن كتاب الفصول والغايات هو الخطوة الأولى للزوميات ثم قال : إن أبا العلاء حاول أن يحاكي فيه أسلوب القرآن من الوجهة اللغوية والشكلية

— وتكلم الأستاذ لفجرين من جامعة أبسالا عن شروعه في طبع الجزءين الأول والثاني من كتاب الاكليل للهمداني

— وألقى بيرس من الجزائر محاضرة عنوانها « بدء القصص الأخلاقية والاجتماعية في الشرق العربي في مختتم القرن التاسع عشر وغرة القرن العشرين » وقال : إن السياسة تحكمت في الفكر الأدبي ولا سيما في مصر من سنة ١٨٨٢ حتى آخر القرن التاسع عشر إلى أن ترجم أحمد فتحي زغلول سنة ١٨٩٩ « سر تقدم الانجليز السكسونيين » . فتنبه المصريون من رقادهم ورجعوا إلى أنفسهم فألفوا في الاجتماعيات وأهم هذه التآليف كتاب المويلحي (حديث عيسى بن هشام) وهو الذي أنشأ هذا اللون من الأدب في مصر

— تكلم الأستاذ جويدي من جامعة روما على نشر مخطوطات الكندي الصحيحة المعروفة بفضل نسخة أيا صوفيا رقم ٤٨٣٢

— حاضر الدكتور عبد الوهاب عزام في « السلطان الغوري ومركزه في الأدب والعلم »[١] . فبعد أن ذكر شغف الغوري بالعلم والأدب ومعرفته بعلوم الدين والتاريخ ذكر أن له شعراً بالعربية والتركية ومقطوعات لحنها للغناء . ثم تكلم المحاضر عن ثلاثة كتب ألفت بأمر السلطان الغوري : الكتاب الأول « نفائس المجالس السلطانية » لحسين بن محمد الحسيني ، شرح فيه المؤلف بعض مسائل دارت بين السلطان والعلماء ، وجعل الكتاب في عشرة فصول وسم كل فصل «بالروضة» ثم شرح المحاضر موضوع الكتاب وبين نواحيه الخاصة وقيمته التاريخية . والكتاب الثاني عنوانه « الكوكب الدري في مسائل الغوري » وفيه ألفا سؤال دارت حولها مناقشات في مجلس الغوري وكل ألف من هذه المسائل يقع في جزء . ثم بين المحاضر هذا الكتاب كمرآة لآراء علماء وأمراء مصر في ذاك العصر . وأما الكتاب الثالث عن الغوري وشاهنامة الفردوسي ، فذكر المحاضر كيف أمر السلطان

(١) نشرنا ملخصا وافياً لهذه المحاضرة في العدد الماضي

النوري الشاعر التركي حسين بن حسن بن محمد الحسيني الآمدي بنقل الشاهنامة من الفارسية إلى التركية . وأضاف أن للترجمة مقدمة وخاتمة . تظم ألف بيت تقريباً

— بحث بلاشير كتاب شرح العكبري على ديوان المتنبي وخرج من بحثه بأن العكبري لم يؤلف هذا الشرح وإنما ألفه أحد معاصريه

— تكلم الأستاذ أحمد أمين على كتاب الامتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي ، فاستهل الكلام بترجمة لأبي حيان ، ثم ذكر ما دعا أبا حيان لتأليف كتابه ؛ وبيان هذا أن أبا الوفاء الهندس هو الذي قرب أبا حيان من الوزير عبد الله العارض فسامر أبو حيان الوزير ستاً وثلاثين ليلة؛ فسأله أبو الوفاء أن يقص عليه جميع ما دار بينه وبين الوزير فأجاب طلبه بهذا الكتاب . ثم حقق المحاضر شخصية الوزير أبي عبد الله العارض ورجح أنه هو الوزير أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان وزير صمصام الدولة البويهي . ثم ترجم لأبي الوفاء . ثم ذهب المحاضر في وصف الكتاب فبين تنوع موضوعاته وطرافتها وختم محاضرته بأن بشرنا أن الجزء الأول من الكتاب سيكون بأيدي القراء في شهر اكتوبر لهذه السنة وسيلحقه الجزء الثاني

— تكلم الأستاذ كاله على مخطوط لمحمد بن دنيال المتوفى سنة ١٣١١ م عن خيال الظل في مصر أعده للنشر

— وألقى الأستاذ شاده محاضرة عنوانها « العمل المشترك بين الشرقيين والمستشرقين لدراسة الأدب العربي »

وألقى الأستاذ جب محاضرة عنوانها « بعض اعتبارات في نظرية أهل السنة عن الخلافة »

— وقال كسكل من دنزخ في محاضرة سماها « مقدمة لتاريخ بلاد العرب » : إن تكوين الشعب العربي بدأ في القرن الثاني للمسيح بعد أن أفسح له المجال سقوط دولة النبط . وزاد أن تكوين هذا الشعب ظهر في شمال الجزيرة أولاً واستدل على هذا بوجود اللغة العربية الفصحى على النقوش التي ترجع إلى القرن الثالث للمسيح

— وألقى آبل من بروكسل محاضرة عن « الاتجاهات المنوية في كتب الشعوبية » وبين أن الشعوبية تأثرت بالفارسية في فارس وباليونانية والسريانية في الشام والعراق . وهذا النوع من البحث يرفع الستار عن اندماج الحضارات المختلفة بالاسلام ويثبت لنا الكثير من تاريخ الفكر العام ، ويمكننا من دراسة تطور اللغات ومقارنة اللغات السامية

— وتكلم الأستاذ برتسل من جامعة ميونخ على « طرق الدراسات القرآنية وأغراضها »

— وألقى الدكتور بشر فارس محاضرة بين فيها طريقته في نقد الأدب العربي الحديث ، فابتدأ بعرض مذهبه من الناحية الفلسفية فقال إنه ينظر إلى الأدب الحديث من جانب اجتماعي لكي يلمس ظواهر الأزمة المنوية والأخلاقية والثقافية التي يعانيها الشرق العربي في هذه الفترة . ثم أخذ يحلل ستة كتب ظهرت سنتنا هذه على سبيل التمثيل . فعرض للأزمة المنوية بنقد كتاب في (منزل الوحي) لحسين هيكل ، و(على هامش السيرة) لطه حسين ، ثم للأزمة الأخلاقية بنقد كتاب (سارة) للعقاد ، و(في الطريق) للمازني ، ثم للأزمة الثقافية بنقد كتاب (عصفور من الشرق) لتوفيق الحكيم ، و(سندباد عصري) لحسين فوزي. فخرج من هذا التحليل بتدليل مستقيم على شرح طريقته التي بينها في أول المحاضرة

— وشرح لنا الأستاذ ڤيت في محاضرة لطيفة اسطرلاباً مربعاً صنع في دمشق برسم أمير دمشق سنة ٧٦٧ هـ

— وتكلم ليڤي بروفنسال على رسالة وجدها في مكتبه لمدينة فاس وعنوان الرسالة « كتاب الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة » ألفها أبو الحسن علي بن يوسف الكومي الديوني من سنة ٧٦٧ — ٧٧٤ هـ

القسم التاسع : ألقى الأستاذ سيمون أستاذ اللغة القبطية والحبشية في المعهد البابوي بروما محاضرة عن المخطوطات القبطية بلهجة الفيوم المكتشفة حديثاً والتي يرجع تاريخها من القرن الرابع إلى الحادي عشر للميلاد وبين قدر هذا الاكتشاف في تاريخ اللهجة القبطية الفيومية

— وألقى هومبهر محاضرة عن جريجوار القبرصي السرياني الذي عاش حوالي سنة ٦٠٠ م وتكلم على كتبه في التصوف وعلى أثر تاريخ الأدب الصوفي السرياني في الأدب الصوفي البيزنطي والاسلامي

عود على بدء

بين الغـــرب والشرق

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

(بقية المقال الرابع)

٨ — يسخر المناظر من قولنا أن هناك صلة اليوم بين الثقافة والعلم على اعتبار أن الثقافة تنبثق من العلم ، نظراً لأن الحياة اليوم ينظمها العلم بقواعده المادية — ويقول : أى صلة بين المبادئ الأدبية التي يقوم المجتمع عليها وبين علم طبقات الأرض . ونحن نقول إن هنالك صلة ، ومرد هذه الصلة أن العلم بكشفياته يقيم حياة مصبوبة على نمط معين ، ويتأثر بهذا النمط الانسان فى شعوره واتجاهاته ومنحاه ، بيان ذلك أن علم طبقات الأرض — وهى التى ضرب بها مثلاً المناظر — بما تنتهى إليه من اكتشافات لها أثر فى الحياة الأدبية ، ذلك أنه من المعروف الآن أن الكشفيات الأخيرة فى الصعيد من جهة أسوان كشفت عن مناجم للحديد يمكن استغلالها لمتوسط نصف مليون طن سنوياً لألفى عام . فهذا الاكتشاف الذى مرده البحوث العلميـة فى طبقات الأرض لو استغل استغلالا صناعياً فى مصر لأقام صناعة فى مصر يشتغل فيها على أقل تقدير ثلاثة ملايين عامل ، ومثل هذه الحياة الصناعية تحدث تغيراً فى الحياة الأدبية والتصورات والأخلاق ، إذ يحدث تطور من صور حياة أدبية لشعب زراعى إلى حياة تكافئ جماعة أخذت بالصناعة ، وعلى هذا الوجه يستبين مفهوم كلامنا ولقد ضربنا مثلا بمصر وبطبقات الأرض التى شاء مناظرنا أن يسخر اعتماداً عليها من قولنا بانبثاق الثقافة من العلم فى مدنيتنا الراهنة لتظهر حقيقة غائبة عن المعقول فى مصر الحديثة فى منحى الأخذ بها نحو الحياة الأوربية الصحيحة باقامة مجتمع صناعى فيها

أما محاولة المناظر التلاعب بكلامنا باظهاره فى صورة يخترمها تناقض ، فهذا ما نأخذه ونحاسبه عليه ، فلقـد قلنا إن الثقافة تنبثق من العلم ومعنى هذا أن الثقافة شىء والعلم شىء ، وأخذنا على اليابان أنها أخـذت بنتائج العلم الأوربى ولم تأخذ بالعلم الأوربى نفسه فكان نتيجة ذلك أنها عاشت عالة على أوربا فى علمها وحضارتها ؛ وأنها احتفظت بثقافتها التقليدية مع الأخذ بنتائج العلم الأوربى ، بمعنى أنها لم تأخذ بعلم أوربا وتقيم لنفسها ثقافة تقليدية جديدة تتكافأ مع العلم الأوربى ومنطقه وتنبثق من أسسه . فأين التناقض فى قولنا هذا ؟

لا يا صديقى ، لا يكون الكلام بإسقاط بعض القول . قلنا إن اليابان أخذت بنتائج العلم الوضعي ، فجعلتها يا صديقى أنها أخذت بالعلم الوضعى ، وشتان بين الاثنين !

لسنا جوادى رهان نتسابق . ولسنا في مجال نريد أن ننتصر لرأينا حقاً أو باطلا. إن فى أعناقنا مصير قضية ملايين من حيث تعلق مصيرها بقضية الغرب والشرق فيجب أن تكون وجهتنا الحقيقة وعدم تزييف الكلام ...

٩ — يشكرنا المناظر على قولنا بأن المنطق شىء مشاع بين الأمم ، ظاناً أننا كنا أنكرنا مشاعيته من قبل ، وهذا ظن عريق فى الوهم . فنحن لم نغير من موقفنا شيئاً ... « المنطق مشاع ولكن يجب أن تمرن الأمم عليه قبل أن تصبح متنقلة فى تفكيرها ، إذ ليس المنطق أسلوباً فى التفكير يتبع وأقيسة يجرى

— وبحث بلايل من هيدلبرج عن بدء الكتابة بالحروف القبطية وذكر اكتشافه لورقتين من أوراق البردى يتبين منهما المحاولات الأولى للكتابة بالحروف القبطية ويرجع تاريخ هاتين الورقتين إلى ما قبل أوراق البردي الموجودة بهيدلبرج والتى ترتد إلى القرن الثالث قبل الميلاد ، وأخبر أيضاً باكتشاف ورقة بردى ترجع إلى القرن الثانى بعد الميلاد تبين لنا كيف استعان المصرى بالحروف الديموطيقية لخط الحروف القبطية التى أخذت عن اليونانية

هذا وقد قامت مناقشات بعد إلقاء طائفة من المحاضرات ، رأيت إهمال ذكرها خشية الاطالة والاثقال ، وممن اشترك فى المناقشات فجاء بجديد أو دفع وهماً أو حقق مسألة متشابهة الأستاذ ماسينيون والدكتور طه حسين بك والأستاذ جويدى والأستاذ كولان والأستاذ كابار والدكتور بشر فارس والأستاذ كلنجهيبن والأستاذ كرنكو

« برلين »

مراد كامل
دكتور فى اللغات السامية

عليها ، إنما هى قبل كل شيء ميل عقلى واتجاه ذهنى يمكن أن يكتسب !

هذا ما قلناه فى مقالنا الأول ، فنحن عند رأينا بأن للمحيط أثره فى المنطق والتفكير المنطقى . للمحيط الطبيعى والمحيط الاجتماعى أو بتعبير أدق لنتوج الصلات والفواعل المتخالطة من المحيط الطبيعى والمحيط الاجتماعى أثر فى المنطق من حيث هو ميل عقلى واتجاه ذهنى ، وفى هـذا سر قعود الشرقيين عن مجاراة الغربيين ، لأن منطقهم حينما يتكافأ ومجتمعهم ذا الطابع الغيبى ، وحين يتغلب الطابع اليقينى على هذا الشرق فهذا المنطق الغيبى سيقف عقبة كؤودا فى طريق رقي العالم الشرقى .

سيأتى ذلك اليوم قريباً وذلك الزمان وشيكاً ، وستقوم العقلية اليقينية فى الشرق والمنطق الاثباتي فى العالم العربي نتيجة لتغلب الاتجاه الغربى على هذا الشرق بحكم كون الغرب مركز الجذب الاجتماعى فى عصرنا . إذاً فلسنا نحن فى حاجة إلى الانتقال إلى الغرب لاكتساب عقلية يقينية كما يقول المناظر ، إنما كل ما نحن فى حاجة إليه أن يتقوى الاتجاه نحو الغرب فتقوم العقلية اليقينية بين ظهرانينا . ومع هـذا فالدلائل قائمة على أن العقلية اليقينية أخذت طريقها إلى هذا الشرق ، وهى أوضح ما تكون في الفكر المصرى البحاثة اسماعيل مظهر وفى جماعة يحتذون حذوه اليوم .

أما ما يثيره من اعتراض لتعبيرى بالفلسفة الأسلامية عن فلسفة ابن سينا والفارابى وابن رشد بأن فلسفة المفكرين فى الاسلام لم تكن تمت إلى الدين بصلة ، وليست إسلامية ولا مسيحية فرد ذلك التباس فى فهم مفهوم عبارتى ، فاصطلاح الفلسفة الاسلامية يعنى فلسفة الفلاسـفة الذين ظهروا فى الاسلام ، أو بتعبير أدق يعنى الجانب الفلسفى من المدنية الاسلامية . وإذاً يكون كل ما يبنيه على اعتراضه ساقط بسقوط الاعتراض نفسه

١٠ — يتعجب المناظر الفاضل من تحليلنا الفلسفة الاسلامية إلا أنها تفيد إرادة الله بنظام هـذا الكون وسننه . واعتبارنا أنها نتيجة للأثر الاغريقي التى توارثته عن مدارس النساطرة والاسكندريين ، والواقع أنى حائر صدد هذا التعجب الذى لا أفهم له معنى . ولولا حسن ظنى بثقافة مناظرى وعلمه لقلت إن مرده عدم الوقوف كلياً على فلسفة فلاسفة الاسلام خاصـة والفلسفة عامة ، وإلا فما معنى التعجب من تقييد إرادة الله بنظام هـذا الكون وسننه ؟

ولولا خشية الاطالة لكنت سمحت لنفسى أن أنقل نتفاً من كتب الفلاسفة أشرح لمناظرى الفاضل هذه المسألة ، وأظن أن فى إمكانه أن يغنيني مشقة هذا النقل بأن يراجع كتب الفلاسفة وخصوصاً المطولات منها فيما يتعلق بارادة الله والخلق والابداع ..

* * *

وهناك أشياء لو ذهبت أعلق عليها وأبين زيفها فى ردّ المناظر علينا ، لانتهيت إلى مقالين آخرين ، غير أنى أكتفى بما اجتزأته فى هـذا المقال والمقال الذى سبق ففيه الكفاية لاظهار زيف ما ذهب إليه مناظرنا الفاضل ، وإنى لأرجو مناظرى إن شاء أن يعاود الرد ألا يترك لشاعريته المجال فيصول ويجول ويتدفق على غير أساس علمى أو منهج بيّن ، وإلاّ لتعذر النقاش. فهاهو لم يخرج فى كل رده بما يؤيد وجهة نظره أو ما يرد على وجهة نظرى من الاجتماع والتاريخ

لقد كان المناظر كالشلال الهدّار المتدفق فى رده ، ولكن كان مردّ هذا طبيعته النفسية ، ولهذا كانت تتكسر أمواجه على حقائق الاجتماع والتاريخ فما يفيق من الاصطدام بالواقع الملموس وما تقيمه من حواجز أمامه حتى يعود فيرتد ليتدفق من جديد في اندفاع مردّه كما قلنا طبيعته القوية ، ولكن ليصطدم بحقائق الواقع فيرتد لينسبط ويتعرج لآفاق وأودية جديدة ، وهكذا ... ولكن إلى متى أيها الصديق ؟

إنى أعوذ الصديق من وضعه منطقه الخطابى وأسلوبه الفياض فى نصرة قضية زائفة إلى الحد التى لا تجد لنفسها ما يسندها وتقوم ... وإنى وإن كنت قد شددت القول على صديقى المناظر فما بى الحاجة أن أقول له إن مردّ هـذا ما يمليه الموقف علىّ ، وصديقى يعرف ماله من الاعتبار عندى ، فلعل فيما قدمت ما يعتذر عنى عنـد الصديق الكريم وحسبى في كل ما كتبته الحقيقة ، والحقيقة ضالة الانسان فى هذه الحياة ، لا يرتاح إلا بأن ينتهى إلى وجه منها .

« أبوقير » اسماعيل أحمد أدهم

غزل العقاد

للأستاذ سيد قطب

— ١٩ —

الحب دنيا خاصة طليقة

في الاستعراض السريع الذي قمت به في أوائل الحديث عن «غزل العقاد» عرضت رأيه في «الحب» بالعدد ٢٦٦ من الرسالة ؛ وقلت : إنه يراه «رفعة للنفس ونقلة إلى عالم النجوم ، وأنه قدرة قادرة تهب أصحابها مشابه من الألوهة ومقابس من النبوة»

فمن كمال هذا الرأي أن أذكر اليوم أن من خصائص غزل العقاد ، شعوره بأن الحب يطلقه من قيود الزمان والمكان وضرورات الفناء ، ويمنحه دنيا خاصة طليقة من كل قيد معهود. ولا يكون الشعور بالحب هكذا ، حتى يكون صاحبه ذا نفس محلقة ، وذا طبيعة ناضجة ، وذا إحساس مترف . فأما النفس المحلقة فهي لازمة له ليتخلص من قيود الزمان والمكان والضرورات عامة ؛ وأما الطبيعة الناضجة ، فهي ضرورية له ليخلص من اللهفة والوله إلى التأمل والترفع ، وأما الاحساس المترف ، فليغني به عن المتع الرخيصة إلى الانتقاء والاختيار

وفي هذا المجال أذكر مقطوعتين : الأولى بعنوان «عهد بين عامين» يقول منها :

«سعاد» ويا حسن هذا النداء ... إذا ما وجدتك لي صاغية
نسيت التواريخ إلا التي ... تعود بذكرك لي راوية
فأنت الزمان وأنت المكان ... وأنت غنى النفس بأغانية
ولست أعد حساب السنين ... بالشمس طالعة غافية
ولكن بوجهك لي مقبلا ... ونظرتك الحلوة الساجية
فيوم الرضا عالم حافل ... من الحب والذكرة الباقية
ويوم النوى عالم مظلم ... تضل الشموس به هاوية

والثانية بعنوان «سنة جديدة» وفيها يقول :

أدركنا موكب السنين ... في موكب الحب سائرين
والحب من يغش ركبه ... يساير النجم كل حين
راجع حساب السنين يا ... نجم ، فما نحن حاسبين
أبا لألوف احتسبتها ؟ ... أم لم تزل تجمع الثنين ؟
ياسنة أقبلت لنا ... أقبلت ميمونة الجبين
وداعنا فليكن غدا ... كما التقينا ... أنسمين
في موكب الحب نلتقي ... وفيه عفى مودعين

وفي هذه القطعة يتضح المعنى الذي نحن بصدده ، فهو يفرض أن الدنيا كلها تسير في موكب السنين العادية ، وهما يسيران في موكب وحدهما ، وقد تقابل الموكبان صدفة ، ثم يدع للنجم أن يعدّ سنيه ويراجع حسابه لنفسه ، فما هما بحاجة لهذا الحساب ، ولكنه يطلب فقط من هذه السنة التي صادفتهما سائرين في موكب الحب أن تودعهما وهما في هذا الموكب نفسه ، وهي كناية طريفة عن الرغبة في دوام الحب واستمراره

وغير هاتين القطعتين كثير متفرق مما يطرق هذا المعنى ويعبر عن هذا الاحساس الذي هو إحدى خصائص غزل العقاد

الحب مطلوب لشوكه كزهره

والحب عند الكثيرين متعة ولذة أو جوى وحرقة ، أما هو عند العقاد فقوة من قوى الطبيعة ، الشوك فيه كالزهر ، والشر كالخير ، كلاهما مطلوب لذاته ، والألم فيه مقبول لأنه كاللذة عنصر فيه أصيل

ولن ينظر إنسان إلى الحب هذه النظرة حتى يخلص به إلى مرتبة «التجريد» بعد أن يسمو به عن الاحساس القريب المحدود

ففي قصيدة «القربان الضائع» يقول :

إله عرش الجمال ما بي ... يقصر عن وصفه خطابي
ما لضحاياي لا أراها ... لديك بالموضع الجاب
ألوم ؟ أم لا يلام رب ... يكافئ الحب بالعذاب ؟
وكم تجافى إله قوم ... عن سنة العدل في الحساب
يأبى القرابين غاليات ... ويرفع البخس غير آب
فانبذ كثيري فكل حب ... فيه عطاء بلا ثواب
وكن كما كان كل رب ... جلّ عن الصنو والجواب

إنى أشبّ الهيامَ عمرى ... فى قبلة القلب كالشهاب

فارمقه أو غض عنه لكن ... دعه على الدهر فى التهاب

ولا تخل برده سلاماً ... فالنار خير من التراب

حبك إن أخل منه يوماً ... خلوت فى عالم خراب

فهنا محب لا تقبل ضحاياه ، ولكنه يريد هذا الحب مشبوباً ، ولا يريده برداً ولا سلاماً إذا كان هذا السلام يطفئ شعلته ويخبى أواره فيتركه فى عالم خراب

وهو فى قطعة عنوانها « فى البعد والقرب » يبدأ بالتشكى من اختلاف حال البعد والقرب من حبيبه ، فيريد ألا يكون فى البعد ناراً . ثم يستدرك فيطلب إليه أن يكون عذاباً كما كان نعيما لأن الحب لا يكمل إلا حين يكون هذا وذاك :

لن يطيب البعد يوماً لن يطيبا ... هن علىّ اليوم إن كنت حبيبا

لا تكن ناراً من الشوق ولا ... دمعة حرى ولا قلبا كئيبا

لا تكن صحراء فى البعد وقد ... كنت لى فى القرب بستاناً رطيبا

إن تغب شمسا فأوص النوم بى ... قبل أن تعرض عنى أو تغيبا

* * *

ياحبيبى بل فكن ما كنت لى ... صانك الله بعيـداً وقريبا

واجعل الأنس نصيبى فاذا ... غبت عنى فاجعل السهد نصيبا

كن نعيما وعذابا ، ومنى ... تملأ النفس ، وحرمانا مذيبا

هكذا الحب دواليك فمن ... لم يكنه لم يكن قط حبيبا

ولن يقول الانسان هكذا إلا وهو مؤمن بالحب أشد الايمان متقبل منه كل ما يأتى به كما يتقبل المؤمن الصوفى كل ما يأتى به الاله فى خشوع ورضا واطمئنان

ولا يقف هذا الاحساس فى العقاد عند هذا الحد ، فقد يكون بعض الشعراء جاش فى نفسه مثله ، فانما هو فى قطعة ثالثة يتلهف على شوك الحب لمفته على زهره ، لأن هذا الشوك دليل عنده على قوة الحب ونمائه وفورته ، فحبذا هذا الشوك إذن فى دلالته ، ولا حبذا العشب الربيع من عتيد الحب ، ولواستنام له الآخرون واستروحوه واستلانوه ؛ وذلك فى قصيدة فريدة بعنوان « يومنا » وفيها يقول :

سنة كانت ربيعا كلها ... بين روض يتغنى ويضوع

زهر ناميك من زهر فان ... أنبتت شوكا يكن شوك ربيع

حبذا الشوك من الحب ولا ... حبذا من غيره العشب المريع

فاذا وجدنا من المحبين من يقول : سأقبل الشوك من الحب تضحية واحتمالا ، فلن تجد فيهم من يجد فى طلبه ويمدحه لأنه شوك ربيع ، فهو دليل حياة ونماء فى هذا الحب المطلوب المرغوب وهذه — كتلك — إحدى خصائص غزل العقاد

التمتع الفنى بالحب فى كل حالة

وإذا كانت هذه نظرة العقاد إلى الحب ، فكل حالة من حالاته إذن مقبولة ما دامت حية نامية ، وهو إنما يرتقى به عن المتاع الحسى إلى المتاع الفنى ، فى رفاهية وترف وطرافة ... اسمعه يحدثك عن « شوق إلى ظمأ » والعنوان نفسه يوحى بما وراءه :

رضنى بيومك إن بدا لك ، واترك ... لى من رضاك غدا علالة طامع

ليس ابتعادك عن هواى بمبعد ... عنى هواك ، وليس منعك مانعى

إنى لألتذ الصدى وأطيله ... شوقاً إلى برد الشراب الناقع

وقد نعرف شاعراً يصبر على البعد ، ويستعيض بالذكرى والحنين ، عن اللقاء والاجتماع ؛ أما أن يطلب الشاعر أن تضن عليه حبيبته يومها حين يبدو لها ، لأنه يلتذ الصدى ويطيله ليلتذ برد الشراب ، فهذا هو الطريف ، وهو وليد الطلاقة الفنية ، والثقة المائثة !

وكذلك هو فى قطعة « سحر السراب » :

هذا سرابك جنة تغرى ... يا فاتنى بالقرب والذكر

صحراء بعدك ما خلت أبداً ... من كوثر فى أفقها يجرى

لكنه يغرى وليس به ... رى ، وعندك لجة النهر

وإذا الشراب خلت كوائره ... من مائها لم تخل من سحر

فافتن بذاك وذاك يصف لنا ... أمن المقيم ولهفة السفر

فهو مستمتع بكل حالة ، وإذا فاته رى النهر ، فلن يفوته سحر السراب ، وهذا إنما هو فتنة الشاعر ، إذا كان ذلك فتنة الانسان ، والعقاد إنسان وشاعر وكلاهما فيه متفتح يقظ ممتاز

و « قبلة بغير تقبيل » ومن يستطيعها حتى يكون من دقة الحس وقوة التشخيص ما كان العقاد ، وهو يقول :

بعد شهر : أنلتقى بعد شهر ... بين جيش من النواظر مَجْر ؟

لم يحولوا وحقهم بين روحينا ... وإن ألزموهما طول صبر

تحت القبلة التى تشتهيها ... كلها غير ضم ثغر لثغر

تم منها شوق ، ورفٌ شفاه وهوى نية ، وخفقة صدر

وهكذا يحلل القبلة الواحدة إلى عناصر وأحاسيس ، كل منها وحدة تكون جزءاً ، ثم ينظر ما تحقق من « وحدات » القبلة ، فاذا هو كل عنصر روحى فيها ، فلم يبق إلا مظاهرها الحسى وهو « ضم ثغر لثغر » وهذا غير ذى غناء لدى محب فنان !

ومن آثر ما يروى فى هذا المجال ، أبياته فى « عابر سبيل » بعنوان متاع جديد ، وهى فن وحدها ، ولكنه ذو علاقة ببحثنا هذا. وإنما هي امرأة فى الأربعين فى محياها ثنايا وغضون كما يكون فى بنت الأربعين ، ولكن بث الغرام أحيا قلبها ، ففاض بالجمال على وجهها ، وسوى غضونه وثناياه ، فكانت بذلك خريفاً أحاله الغرام ربيعاً ، وكانت بذلك متاعاً طريفاً لما فيه من معنى عودة الماضى ، وهو المستحيل فى دورة الأيام :

من جديد المتاع يوم خريف تحت وهج السماء عاد ربيعا
ومحيًّا فى الأربعين وديع تحت بث الغرام شب سريعا
نضح القلبُ بالجمال فسوّي من ثنايا الغضون وجهاً بديعا
ذاك أحلى من الشباب شبابا ومن النفس ما يعز رجوعا

يعجبني في هذه الأبيات — أولاً — صدق ملاحظة الواقع، فالمرأة فى هذه السن أشد ما تكون استجابة لوهج الغرام ، وهذا أسرع ما يكون فى إفاضة الحيوية عليها ، حتى لتصنع المعجزات فى سيماها ، وكأنما تخلق خلقاً جديداً . و— ثانياً — تعبيره : « نضح القلب بالجمال » فالقلب هنا هو الذى نضح بهذه الحيوية ، فتسوى ما شوهته الأيام . و— ثالثاً — استطرافه لهذا الجمال العائد المفلت من قيود الزمان بقدرة الحب الفنان . و — رابعاً — حسن استمتاعه بهذه الحالة ، وهو ما سقنا لأجله هنا هذا المثال

وهذه الثالثة من خصائص غزل العقاد

نضوج وفهم للأنوثة

ولقد كنت تحدثت عن مظاهر النضوج النفسى والفنى فى غزل العقاد ، وفى « سارة » بوجه خاص . فالآن أكمل هذا الحديث، حينما يطلع الناقد على فهم العقاد الكامل للمرأة، وخبرته بمسارب الأنوثة فيها ومطالبها لديها . وهذه لا تكون إلا حيث يكون نضوج الشخصية ، وكمال التجربة ، ووفرة الملاحظة

فيبدو لمن يقنعون بظواهر الأشياء أن المرأة حينما تحب تريد أن « تأخذ » من حبيبها ، وتنتظر هداياه ومواهبه ومنحه ، وإنما هى فى الواقع — حينذاك — تتأهب لأن « تعطى » كل شىء ، بل هى تتأهب لأن « تؤخذ » أخذ المشتهى المنتهب ، فتحس حينئذ أنها ذات قيمة تستحق من أجلها الأخذ والحيازة!

« قال الشاعر الفرنسى « دوجيرل » لحبيبته : « لو كنت إلها لأعطيتك الأرض والهواء ، وما على الأرض من بحار ، ولأعطيتك الملائك والشياطين الحانية بين يدى قدرتى وقضائى ، ولأعطيتك الهيولى وما فى أحشائها من رحم خصيب، بل لأعطيتك الأبد والفضاء والسموات والعالمين — ابتغاء قبلة — واحدة »

وسئل العقاد : « وماذا تعطينى أنت لو كنت إلها ؟ » فقال :

أعطيك ؟ ! كيف وما العطاء بخير ما
تبدى القلوب من الغرام الصادق !
بل لو غدوت كما اشتهيت وأشتهى
ربًّا ، أخذتك أنت أخذ الوائق
فترين أنك حين فزت بحظوتى
أحلى وأكمل من جميع خلائقى
وتسيطرين على الصروف وفوقها
نبضات قلبى المستهام الوامق
إن كان رب الكون عندك قلبه أهون لديك بأنجم وصواعق !
وبكل شمس فى السماء وضيئة وبكل بحر فى البسيطة دافق !

ويبدو هذا الفهم فى كل غزل العقاد ، ولكن هذه القطعة أوضح مثال على هذا المذهب فيما بين الرجال والنساء ، فى الحب الناضج الطبيعى الصحيح

* * *

عنيت أن أطرق هذه النواحى فى غزل العقاد ، وأختار هذه الأمثلة بالذات ، لأوسع الأفق أمام من يهمهم مذاهب الاحساس والتعبير ، ولا سيما فى الغزل الذى هو أرحب مجال للأدب النفسى الانساني ، وما من شك أن هذه آفاق جديدة لم يطرقها الشعر العربى إلا لماما ، فهي ثروة تضيفها المدرسة الحديثة ، لا للأدب العربى وحده ، ولكن للأدب الانسانى كله . وما بقليل أن يكون لنا شاعر مصرى يضيف إلى آداب الانسانية نماذج فى الذروة من هذه الآداب

وقد بقيت لى كلمة أخيرة فى « غزل العقاد »

فإلى اللقاء سيد قطب

جورجيــــاس

او البيان

لأفلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ١١ —

« تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجل محاوراته وأكملها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة ! »

« رينوفيه »

«إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائما وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »

٢ — جورجياس : السفسطائي : « ج »

٣ — شيريفين : صديق سقراط : « س »

٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »

٥ — كاليكليس : الأثيني : « ك »[1]

ب — (رداً على سقراط) وإذاً فكل من يقتل « بعدل » يبدو لك شقياً وجديراً بالرحمة والرثاء ؟؟

ط — كلا . وإنما هو لا يبدو على الأقل جديراً بأن يُحسد!

ب — ألم تقل تواً إنه شقى وتعس ؟ ؟

ط — لقد قلت ذلك يا رفيق عمن يقتل ظلماً وعدواناً ، وأضفت إليه أنه جدير بالرحمة والرثاء . أما ذلك الذى يقتل بعدل فأقول عنه إنه لا يجب أن يثير حسداً ما !

ب — لا شك أن من يستحق الرحمة والرثاء هو ذلك الشقى الذى يموت ظلماً وعدواناً !

ط — ولكنه — مع ذلك — أقل فى شقائه وفى جدارته بالرحمة والرثاء من ذلك الذى قتله ومن ذلك الذى مات موتاً عادلا

ب — وكيف ذلك يا سقراط ؟

ط — ذلك لأن أفدح الشرور هو ارتكاب الظلم !

ب — أيكون ارتكاب الظلم أفدح الشرور ولا يكون تحمله أفدح من ارتكابه وأنكى ؟؟

ط — كلا يا بولوس !

ب — وإذاً فأنت تفضل احتمال الظلم على ارتكابه ؟!

ط — لستَ أرغب فى هذا ولا ذاك . ولكن إذا وجب علىّ إطلاقاً أن أختار بينهما فانى أفضل احتمال الظلم بدلا من ارتكابه !

ب — وإذاً فسوف لا تقبل أن تكون طاغياً ؟

ط — كلا . إذا كنت تفهم الطغيان كما أفهمه !

ب — إنى لأعيد عليك فكرتى عنه وهى أن يفعل المرء ما يشاء فى الدولة من قتل ونفى إشباعاً للذاته !

ط — حسن جداً يا بولوس ، فاسمح لى إذاً أن أتكلم وانقدنى عند ما يحل دورك . هب أنى أخفيت خنجراً تحت إبطي ثم جئتك فى الوقت الذى يزدحم فيه الميدان العام بالجمهور وقلت لك : « إنى لأرى نفسى حائزاً لقوة هائلة تعدل قوة الطاغية ، فاذا قررت أن الأصلح هو أن يموت أحد هؤلاء الذين تراهم فانه يموت فى الحال ، وإذا قررتُ أنه يجب أن تتحطم رأس أحدهم فانها تتحطم فوراً ، وإذا قررت أنه يجب تمزيق ثيابه فان ثيابه تتمزق ما دامت قدرتى عظيمة فى المدينة » ... فاذا رأيت بعد ذلك أنك لم تصدقنى أبرزت لك خنجرى ! ولكنك قد تقول لى حينئذ : « وإذاً يستطيع كل الناس على هذا الأساس أن يكونوا أقوياء لأنهم يستطيعون بنفس الطريقة أن يحرقوا المنازل التى يريدونها ، ومخازن أسلحة الأثينيين وسجونهم ، بل وكل السفن التجارية الحكومية والأهلية ! » ... فترى هل تعتقد أن عظمة

(١) ادعى « بولوس » فى العدد الماضى أن الجبابرة الذين يقتلون من يشاءون أو ينفونه ويجردونه من ثروته أقوياء وسعداء ، وأنهم جديرون بأن يكونوا موضع حسد أولئك الذين لا يستطيعون أن يفعلوا فعلهم . وقد عجب « سقراط» من ذلك القول وراح يثبت أن أمثال هؤلاء الجبابرة ضعفاء لأنهم لا يفعلون ما يريدونه عن روية وتفكير ، وإنما هم يشبعون فقط رغباتهم الجائرة وشهواتهم الطائشة . وأمثال هؤلاء تجوز عليهم السعادة ولا يجدر بنا إلا أن نرثى لحالهم كل الرثاء . وسنرى اليوم كيف يتقدم الحوار بين الفتى والشيخ حول ذلك الموضوع الذى هو جوهر المحاورة ولبها

« المعرب »

القوة قائمة فى أن نعمل ما يسرنا أن نفعله ؟؟

ب — إذا كان الأمر فى مثل هذه الظروف فكلا بالتأكيد!

ط — أتستطيع أن تذكر لى ماتأخذه على قوة كهذه القوة؟

ب — بلى !

ط — وما هو إذاً ؟؟ تكلم !

ب — إذا فعل الانسان هكذا فانه يعاقب بالضرورة !

ط — أوليس العقاب شرا ؟

ب — من غير شك !

ط — وإذاً فقد حكمت أيها الشاب العجيب بأن الانسان يكون « ذا قوة عظيمة » عندما يرى فى إشباع رغباته مصلحة له وخيرا ، وقلت إن هذا ما يبدو أنه قوة كبيرة ، وأن كل ما عداه شر وضعف ! ولكن لنختبر ذلك أيضاً : ألا توافق على أنه قد يكون الأفضل أحياناً أن ننفذ ما تحدث عنه فى الحال كقتل المواطنين ونفيهم وسلبهم ، وقد يكون الأفضل ألا ننفذه ؟

ط — وإذا يبدو أنك متفق معى على هذه النقطة ؟

ب — بلى

ط — وإذا ففى أى الأحوال ترى أن الأفضل تنفيذ تلك الأفعال ؟ أرجو لو تحدد لى الموضوع !

ب — الأفضل أن تجيب أنت نفسك على سؤالك ياسقراط

ط — حسن يابولوس . ! وما دمت تفضل أن تسمع منى فانى أقول إن الأمر يكون أفضل عندما ننفذ فعلا منها بعدل ، ولا يكون كذلك عندما ننفذه بظلم ! .

ب — لعمرى إن مناقضتك لصعوبة جيلة ياسقراط ! فالطفل نفسه يستطيع أن يبرهن لك على خطئك !

ط — لأ كونن مدينا لهذا الطفل ولك بكثير من الشكر إذا ما ناقضتمانى وتخلصتما من بساطتى وجهلى ! ، وإذا فلا يضجرك الاحسان إلى من يحبك يابولوس ، وامض فى مناقضتى !

ب — لن أحتاج فى مناقضتك إلى الرجوع بك إلى الماضى وأمثلته لأن حوادث البارحة واليوم كافية لأن تثبت خطأك ، ولأن تريك أن الظلمة من الناس غالبا ما يكونون « سعداء » !

ط — أية حوادث تقصد ؟

ب — ألست ترى — من غير شك — « أرشليوس » Archélios ابن « بردكاس » Perdicaas الذى يحكم اليوم « ماسيدونيا » Macédoine [(1)]

ط — إذا كنت لا أراه فانى سمعت عنه كثيرا .

ب — حسن فهل تراه سعيدا أم شقيا ؟

ط — إنى لا أعرف عنه شيئا يابولوس لأنى لم ألتق به بعد!

ب — لتدركن سعادته إذا ما التقيت به ! والواقع أنك لن تعرف فى هذه الناحية غير سعادته فحسب

ط — كلا وحق زيوس يابولوس !

ب — وإذا فنستطيع أن نؤكد أنك تجهل أيضا إذا كان أكبر الملوك وأعظمهم ، سعيدا أم شقيا ؟

ط — ولن أكون مخالفا للحقيقة في ذلك ما دمت أجهل ما عسى أن تكون عليه نفسه من « عدالة وعلم » !

ب — كيف ؟ وهل تقوم « السعادة » فى العدالة والعلم وحدهما ؟

ط — نعم ، حسبما أرى يابولوس . فأنا أدعى أن كل أمين عادل — رجلا كان أو امرأة — يكون سعيدا ، وكل شرير ظالم يكون شقيا !

ب — وإذا فهذا « الأرشليوس » شقى تبعا لقولك ياسقراط ؟ !

ط — حقا ياصديقى إذا كان ظالما !

ب — وكيف كان يستطيع أن يكون عادلا ؟ ، إنه لم يكن له أدنى حق فى العرش الذى يتربع عليه اليوم لأن أمه كانت جارية « لألكيتيس » شقيق « بردكاس » ، وكان هو — تبعا للعدالة — عبدا لسيد أمه . فلو أراد العمل بالعدالة لخدم سيده وسعد بذلك حسبما تدعى ، ولما عرض نفسه للشقاء الهائل بارتكابه أفظع الجرائم وأشنعها [(2)] ...

محمد حسن ظاظا

(١) قتل هذا الرجل عمه وابن عمه كى يصل إلى العرش لأنهما كانا أحق به منه . ومات مذبوحا سنة ٣٩٩ ق . م أى قبل تناول سقراط للسم بقليل . ويقال إنه كان يدعو المفكرين إلى قصره من آن لآخر وأنه وجه دعوته يوما إلى سقراط فترفع عن تلبيتها « المعرب »

(٢) وسنرى فى العدد القادم إن شاء الله تكملة هذه القصة الأليمة التى يزدحم تاريخ القصور الملكية بأمثالها كما نقرأ فى تاريخ « البوربيين » مثلا وتاريخ ملوك « التيودور » — وكما نرى فى حياة كثير من العظماء حيث لا يخلو الأمر فى الغالب من « ظلم » ينزله العظيم بغيره كيما يخلو له الطريق ، والحق أن حياتنا اليومية مزدحمة بالكثير من هذه المآسى . أليس أكثر الأغنياء « ظالمين » للفقراء ؟ أوليس بعض المرؤوسين أجدر بمناصب الرؤساء؟ سنرى المحاورة من الآن فصاعدا تدور حول هذه الموضوعات الطريفة وتبلغ فيها ذروه الروحانية والعدل والفضيلة « المعرب »

لبنان الشرقي

مصطاف الزبداني

للأستاذ عز الدين التنوخي

أما اليوم مصطاف من لبنان الشرق في وادي الزبداني الذي لو نزله من قبل لامرتين لوصفه بما لم يصف به وادي حمانا في لبنان الغربي ، ولا سيما بجفاف الهواء ، وصحة الماء ، واعتلال النسيم ، واعتدال الاقليم

أجل، إن لبنان الشرق ليمتاز بجفاف الهواء لبعده عن رطوبة البحر ولقربه من البيداء، ولذلك وصفه مشاهير الأطباء للمصابين بأمراض الرطوبة كالرثية — الروميتزم — والسل وعرق النسا ، ووصفوه لعين « بُـقّين » التي تكاد تكون منقطعة النظير بين عيون بلاد الشام كلها في صفائها وخفة مائها ، وما اشتملت عليه من عناصر تذيب الرمل والحصاة ، وتزيد في الهضم ما تشاء فتتعب الطهاة . ولقد أشرت إلى عجيب تأثيرها في السنة الماضية حينما وصفت في هذه الرسالة عين الصحة النبجسة من جبال حمانا في لبنان الغربي

ليس مجال القول ذا سعة فأسهب في وصف وادي الزبداني الجميل ، ولذلك اقتضبت الكلام في تحليته اقتضاباً : بذكر ما فيه من الطرق المبدة والمغاني والمباني ، وبيان ما استوفاه من منافع وروائع تبر المصطافين وتسر الناظرين ...

يمتد وادي الزبداني الجميل من الجنوب إلى الشمال بين طودين أو سلسلتين من الجبال الشرقية والغربية ، وعلى سفوح الطود الشرقي تضطجع قريتا مضايا وبُقّين وقصر الجرجانية الأندلسي، وقرية بلودان أعلى قرى الوادي وفيها الفندق الفخم الذي يعد من أجمل قصور الفنادق الشامية ، وفي الجانب الشمالي من بطن الوادي قامت قرية الزبداني أم القرى ، ومهوى قلوب الوري

إن شرايين الحياة في هذا الوادي هي طرقه الكثيرة المبدة المزفتة ، والزفت شاع أنه نعت سوء في كل شيء إلا في الطرق ، فانه وصف خير ونعت يمن فيها يلبد غبارها ويقي السالك عثارها ، منها الطريق السلطانية التي تصل دمشق بالزبداني ، وطريق مزفتة تصعد من الزبداني إلى بلودان ، وأخرى مثلها تربط الزبداني بالجرجانية وبقين ومضايا ، وطريق مخضرة أخرى تصل قريتي بقين ومضايا بطريق دمشق على مقربة من مفرق طريق منبع نهر بردى : نهر دمشق الذي وصفه حسان بأنه « يصفق بالرحيق السلسل » وذكره شوقينا محيياً دمشق بقوله :

سلامٌ من صَبا بردى أرقُّ ودمع لا يكفكف يادمشقُ

أما أم قرى هذا الوادي البهيج فهي الزبداني مركز القضاء وعامله القائم[١] بشؤونه رجل من أفاضل الرجال غيور على عمرانه، وتوفير أسباب الهناء والبلهنية على نازليه وسكانه ؛ وفي الزبداني محكمة برأسها قاض[٢] ماض في أحكامها ، ومستوصف طبي للحكومة تام الأدوات يديره طبيب نشيط[٣] يداوي الأغنياء من المصطافين والفقراء على السواء . ولا يتقاعس عن تلبية نداء المرضى في مساكنهم، يعودهم ليضعف من الداء الآلام، وليقوي في الشفاء الآمال ، ثم هو يعطي الأدوية مجاناً للبائس والمعتر حتى الغني المضطر إن لم يجد علاجه في صيدلية الزبداني[٤] العامة . وفي قرية بلودان صيدلية كبيرة ، وفي مضايا أخرى صغيرة[٥] ، وبذلك يجد المصطاف الصحيح في وادي الزبداني نعميه النفيم وهناءه ؛ والمريض لا يعدم في مغانيه طبيبه الحاذق وشفاءه

ومما تمتاز به الزبداني على سائر قرى الوادي أنها مركز السيارات، وإن فيها محطة القطارات، فهي ملتقى الحاضر والبادي، ومنتدى الرائح والغادي، كما تمتاز برخص أسعار الثمار وكثرتها، وتنوع الخضراوات النضة ووفرتها ، وبسوقها الكبيرة المشتملة على جميع ما يحتاج إليه الاصطياف والانتجاع ، وبمتنزهاتها المستوفية لشرائط الابداع والامتاع

بعض مناظرها الساحرة : كل ما في وادي الزبداني بهيج جميل : بهيج لعمري مقهى أبي زاد ومنظره الساحر الجميل ، ومقهى بقين وعينها التي يحق أن تسمى السلسبيل ، وجميل كل الجمال قصر الجرجانية الأندلسي بشلالاته وفواراته ، وفخم كل الفخامة فندق بلودان بمقصوراته وحماماته ، ورائعة ـ شهد الله ـ

---

(١) هو السيد خيري رضا قائم مقام القضاء
(٢) السيد سعاد المظمى (٣) السيد سليم العطار
(٤) فرع الصيدلية الوطنية المشهورة بدمشق
(٥) فرع صيدلية القنواتي بدمشق

قرية مضايا بصفاء سمائها . وصحة هوائها ، وماذا عسى أن يقول قائل فى محاسن الزبدانى ومفاتنها ؟ فلعل أصدق مايقال فى جنتها قول الشاعر (1) فى وصف دمشق وغوطتها :

هذه الغوطة ما أبهجها وهى فى نيسان قيد المجتلى
قال سبحان الذى دبجها من رآها فتنة للمُـقَـل
إنه قد شاء أن يخرجها جنة فى الأرض للمستعجل

إن بطن هذا الوادى المبارك ينقسم إلى قسمين شمالى وجنوبى: أما الشمالى منه فماس يبدو بلون أشجاره أخضر نضراً ؛ وأما الجنوبى منه فجله غير مغروس ومختلف ألوانه : هذه بقعة منه محصورة تبدو صفراء فاقعة ، وهذه بقعة محروثة تبدو حمراء قانية، وتلك رقعة بائرة لم تحرث ولم تزرع فهى نارنجية غير قرمزية ؛ وهنالك رقعة مزروعة يضرب لون خضرتها القاتمة إلى السواد فتجتلى عين الناظر من هـذه البقاع وهاتيك الرقاع مجموعة من الطنافس المحروثة والزرابى المبثوثة تستهوى الأفئدة وتقيد النواظر

إن من ينكر السحر من أهل هـذا العصر يؤمن به مثلى بعد أن يرى ما رأيت من جمال إشراق الشمس على سلسلة الجبال الغربية ، ثم يزداد استيلاء الضياء حتى يغمر ما تحت الشناخيب والذرى فتزداد بهجة النفس ، فاذا ما بلغت الشمس أشجار الروابى المغروسة راعك مشهد سواد الأشجار مع بياض الأنوار فتخيلت التقاء الليل بالنهار عندما يتنفس الصبح فى الأسحار .

وإن أنس لا أنس تلك العشية التى ذهبت فيها إلى مغارة « النابوع » تلك العين التى لا يكاد يرتوى واردها لشدة برد مائها وفرط عذوبته ، وكان رفيق الوفيق فى ارتياد هذه العين العجيبة الشيخ حسن بو عياد المغربى من زعماء الاصلاح فى المغرب الأقصى ، وهو على رأيى فى إصلاح المرأة باصلاح تربيتها وبيئتها ، ثم خرجنا من المغارة والشمس فى صفرة وجه العاشق الوامق فانتقلنا من لذة إلى لذة : من نشوة الارتواء إلى نشوة الاصغاء . ماذا رأينا من مشهد فخم ، وماذا وجـدنا من نعيم روح ، وماذا سمعنا من حسن لحن ؟ مشهد لعمر الحق رائع ، ونعيم روح غامر، ولحن مزمار ساحر . شهدنا فوق مغارة النابوع على سفح الجبل قطيعاً من المعزى يثيرمن ورائه عجاجة منتشرة ، ومن أمامه هاديه وراعيه يطرب قطيعه بألحان مزماره الجبلية ، كما يطرب الجيش بألحان موسيقاه الحربية ، وقد امتزج أنين المزمار برنين الأجراس، وكأنما كان الداعى يهنىء بسلامة الوصول قطيعه الطروب ، ويودع بلسان المزمار ملـكة النهار الجانحة إلى الغروب ، ولا يزال القطيع الزاحف فى هبوطه حتى يبلغ قرارة الوادى فينقع ببرد الماء غليل الأحشاء ، ثم يتابع سيره الهـادئ إلى حظيرته ونحن نتابعه بأبصارنا ، ونشيمه وأجراسه وراعيه وأنفاسه ، ولا نزال من خلفه مسحورين حتى يتوارى عن العيون بحجاب الليل ...

وهل أحدث أخى القارئ عن القمر ، وكنا يهوى القمر ، وهيهات أن أنسى لياليـه القمراء على شاطئ البحر صغيراً ، أو لياليه السواحر والفلك يجرى بنا فى بحر النيل الجميل. لا، ولا أنسى تلك الليالى البهيجة ، والقمر يفضض الطبيعة من حولنا ونحن مضطجعون على هضاب المزة(1) الفيحاء . وما لى ولحديث القمر فى الدهر الغابر ، وأنا أستطيع التحدث عنه فى هذا الشهر الحاضر ، ذاكراً للقارئ أن أهل دمشق من أعشق خلق الله للقمر ، ولو أن الدمشقى كان نباتاً لـكان « عَـبَّاد القمر(2) » فلقد أخبرنى عامل الزبدانى عشية أمس بأن عدد المصطافين فى الزبدانى وحدها قد بلغ فى هذا العام نحو ألف نفس يؤلفون مائتى أسرة ، ولـكن هذا العدد يبلغ فى الليالى القمراء أضعافاً مضاعفة فيعج وادى الزبدانى بالمصطافين عجيج الحجيج ، ولكنهم من حجيج القمر . وتمتلئ الطريق السلطانية بين دمشق والزبدانى بالسيارات الممتلئة بعشاق القمر ، وتغص بهم مقصورات القطار ، فى الليل والنهار ، وأقمار النساء تشارك الرجال فى عشق قمر السماء، وكأنه لا غنى للجنسين اللطيف والعنيف عن المشاركة التى ازدادت فى هذا العصر تشابكا ووشوجاً . فهنالك التربية المشتركة والسباحة المشتركة ، والسباقات المشتركة ، وهنا فى الوادى النزه المشتركة ليالى القمر على طريق الجرجانية وبقين ومضايا .

إن تطور المرأة من الحجاب إلى السفور فالحسور كان سريعاً

(1) من موشحة فى وصف دمشق لـكاتب هذا المقال .

(1) قرية جميـلة غربى دمشق أنبتت تربتها كثيرا من العلماء كالحافظ المزى وضمت مثل سيدنا دحية الكلبي وشاعر دمشق ابن عنين وغيرهما .

(2) ويسمى أيضا دوار القمر لأن نورته الصفراء الشبيهة بالترس تدور مع القمر ، ويسمى بالفرنسية دوار الشمس tourne-sol

جداً فى مصر ، ولكنه بطئ فى ديار الشام ، ولا تزال الدمشقية مع تعلمها وولعها بالنهضة الاجتماعية تؤثر التدين الصادق على التمدن الكاذب ، والكمال والعفاف ، على الابتذال والاسفاف وبعبارة أوجز إنها تفضل السفور الشرعى على الحسور البدعى ، فلا تخلو المرأة المسلمة ولا تسافر إلا بمحرم يحافظ على عرضها وشرفها ويحول دون ما يؤذيها ويرديها

ويزداد السفور الشرعى فى دمشق يوماً بعد يوم ، ولا يلبث أن يسود على الحجاب أخيراً . ومن الناس من يقاوم هذا التطور الحيوى الذى لامناص منه بالسفاه والشتائم لا بالحجة والبرهان، بيد أن من عقلاء رجال الدين من يحب للغانيات سفور الراهبات الذى لاحسور معه ، ويسعى لاعادة الحاسرات إلى سفور الشرع المحتشم الذى يكفل للمرأة تعلمها وتقدمها ، والتربية الاسلامية فى المنزل إذا كانت صحيحة تعد البنات للسفور الشرعى الشريف الذى تصان به الكرامة، وتوقى به الحسرة والندامة . وليت رجال الدين يتعاونون تعاوناً معقولاً يتمكنون به من المحافظة على اعتدال المرأة المسلمة ، ويبرهنون به على إمكان تعلم المرأة وتقدمها مع ذلك الاعتدال ، وإلا فانا لانأمن جانب الفوضى فى السفور الحاضر كما نشاهد من نماذجه المشوهة الفاسدة فى وادى الزبدانى من برانيط البنات وقبعات[1] الأمهات ، وارتياد السينما والقهوات ، وغدا البالات والحانات ، ومما أوحى إلىّ بالأبيات التاليات:

يا صبايا

ياصبايا الزبدانى رأفة	بهواة الحسن منا ياصبايا
قنّعوا عمّن براكم أوجهاً	صُقِلت حتى حسبناها مرايا
واستروا عناعيوناً خُلِقت	لقلوب المستهامين بلايا
فوّقت ألحاظهن أسهماً	مصميات نحن قد كنا الرمايا
لست أدرى ماالذى قدفعلت	أسهماً رشقتنا أم منايا
قد سرى يغزو الورى من فتن الـ	عين — ما أكثر صرعاها — سرايا

***

يا سقى الله المناديل التى	صنتم الأعراض فيها والملايا !
ولحى الله البرانيط التى	أخذت الأحساب منكم والسجايا !
كم عرقنا خجلاً من شربكم	عرقاً يعوقكم ديناً ورايا
فى محار الصون كنتم دُرراً	كن للأزواج لا غير هدايا
لم نكن نأمن منكم فِتناً	فى الزوايا ، كيف من بعد الزوايا ؟
والفؤادُ الحيّ منا هدفٌ	لعيونٍ وخدودٍ وثنايا

***

مسرحَ الآلام قد هجتَ لنا	من رسيس الوجد والحب بقايا
أنا إن لم أكُ أنسى زمنا	من حياتى فهو هاتيك العشايا
يارعاكَ الله لولا مربة	كنّ يبترن على الناس الخطايا
رائحاتٍ غاديات ضلَّة	بين « بُقَّين » مساءً و « مضايا »
سافراتٍ حاسراتٍ وغدًا	هنّ أنصاف عرايا فعرايا !

الزبدانى — عز الدين التنوخى

(١) وهى التى تسمى بونه bonnet

التاريخ فى سير أبطاله

ابراهام لنـــكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادى خذوا معانى العظمة فى نسقها الأعلى من سيرة هذا العصامي العظيم ....

— ٢٣ —

وإنه ليحق للمرء أن يتساءل : ألم يكن فى طاقة القائمين بالأمر يومئذ تجنب تلك الحرب الضروس ؛ تلك الفتنة التى لم تصب أوزارها فريقاً دون فريق ؟

إن هناك من يعتقدون أنهم كانوا قادرين على تجنب ذلك الصراع العنيف ، وهؤلاء ومن يرى رأيهم من المؤرخين يأخذون الساسة باللوم الشديد ، لا يعفون منهم أحداً ؛ ويحملون نصيب كل من اللوم على قدر ما تواتى له من الجاه والنفوذ ؛ ولذلك فقد كان لنكولن عندهم أول الملومين و كبير المسؤولين عن ويلات تلك الحرب ويلى لنكولن فى ذلك جفرسون زعيم الاتحاد الجنوبى

ولكن الذين يتوخون الانصاف يرون أن الحرب كانت أمراً لا محيص عنه ؛ كان مردها إلى حركة ولدتها الأيام فما زالت تنمو حتى اتخذت آخر الأمر سبيلا لم يكن فى الامكان أن تسلك غيرها ، لم تكن تلك السبيل لتؤدى إلى غير ما أدت إليه من نهاية دامية ؛ ومن ذا الذى يستطيع أن يلوى الأيام عن وجهها ؛ أو أن يتصرف في الحادثات ليجعلها تفضى إلى نتيجة بعينها ؟

لقد كان للزمن وللبيئة حكمها الذى لا ينقض وفعلها الذى لا يقف وسنتها التى لا تبديل لها ؛ فهؤلاء أهل الشمال كانوا كما ذكرنا أهل صناعة وأهل ثقافة بينما كان إخوانهم فى الجنوب أهل زراعة، ولم يك يتوفر لهؤلاء من العلم مثل ما كان يتوفر منه لأولئك الشماليين

وكانت أعمال الزراعة فى الجنوب تتطلب الأيدى الكثيرة ، وبخاصة حينما بدأت النهضة الصناعية وتزايد طلب القطن ، وكانت زراعة القطن أمراً مرهقاً ، لم ير الجنوبيون خيراً من إلقائه على كاهل العبيد ؛ ولذلك كان نظام العبيد عندهم أمراً يتعلق بكيانهم

ومن ثم كانت سياستهم تدور على هذا المحور الاقتصادى، فكانت بذلك مسألة حياة أو موت ...

أما أهل الشمال فلم تكن بهم حاجة إلى الزنوج ، وما كانوا يستخدمون عندهم فى أغلب الأحيان إلا خداماً فى المنازل ؛ وأملت عليهم ثقافتهم فلسفة إنسانية فكرهوا نظام العبيد واشمأزت منه نفوسهم ودارت سياستهم أول الأمر على هذا المحور الانسانى فكانت بذلك فى نشأتها مسألة عاطفية

على أنه كان للمسألة وجه آخر فقد اعتبر عدد العبيد من عدد سكان الولايات عند تقدير عددها للتمثيل النيابى فى المجلس التشريعى الأدنى كما نص الدستور ، وعلى ذلك فقد أشفق أهل الشمال من تزايد عدد العبيد فى الولايات، الأمر الذي يتهدد نفوذهم

وتطورت بعد ذلك مسألة العبيد على النحو الذى أسلفناه ، فتزايدت كراهية الكثيرين من الشماليين لذلك النظام حتى تحولت إلى مقت ، وظهر من بينهم دعاة إلى التحرير ؛ وما زال يعظم خطر تلك المسألة حتى باتت كبرى المسائل

وولد الحزب الجمهورى فكانت مبادئه وسطاً بين مبدأ الجامدين ومبدأ أنصار التحرير ، فهو يرى ألا تزداد ولايات العبيد حتى ينقرض ذلك النظام على مر الأيام . ولقد كان إبراهام من زعماء ذلك الحزب الوليد ، وهو وإن كان من أشد الناس سخطاً على نظام العبيد إلا أنه آثر الحكمة خوفاً على بنيان الاتحاد ؛ فبقاء الاتحاد كان عنده فى المحل الأول من اهتمامه

ولكن مسألة الاتحاد ومسألة العبيد ما لبثتا أن تداخلتا حتى أصبحتا فى الواقع مسألة واحدة ؛ فلقـد فكر أهل الجنوب فى الانسحاب من الاتحاد حينما اختير إبراهام للرياسة وحينما أيقنوا أن الحوادث مفضية إلى القضاء على العبودية ، وما كانوا يريدون من الانسحاب إلا أن يزيدوا عدد العبيد كما يشاءون ...

وأنكر إبراهام عليهم حقهم فى الانسحاب ؛ فهو لن يبخل بشىء فى سبيل المحافظة على الوحدة ؛ ولكنهم مضوا فى سبيلهم لايلوون على شىء ولا يستمعون إلى رأى ؛ حتى نفذوا ما اعتزموه ثم عولوا على أن يحموا أنفسهم بالقوة إذا أدت الحوادث إلى ذلك

وكان جفرسون زعيمهم يقرر حق الولايات فى الانسحاب متى أرادت ، بينما كان لنكولن يقول : إن مثل الولاية من الاتحاد كمثل قسم من الولاية من هيكلها ، فاذا جاز لهذا القسم أن ينفصل عن جسم الولاية ، جاز للولاية أن تنفصل عن الاتحاد

وجاءت بعد ذلك مسألة حصن سمتر فكانت بمثابة الشرارة التي أوقدت نار الحرب ... ولقد عدت تلك الحرب من المآسي البشرية ، ذلك لأنها كانت الفريقين كثيراً من الأموال والأنفس ؛ فلقد استحرت جذوتها لأن الفئتين كانتا كلتاهما ترى الحق في جانبها ... وكانت الدماء التي تجرى دماء شعب واحد فكل قاتل ومقتول إنما هما صورة جديدة لقابيل وأخيه هابيل

وقفت أمة واحدة فئتين تقتتلان ؛ فهنا الوحدة والحرية ، وهنالك الفرقة والعبودية ، وهنا وهنالك الكثير من مواقف الحماسة والتضحية ، يضيع في حميتها وضجيجها صوت الحق ويتبدد دعاء الانسانية ...

وكانت أولى المعارك الكبيرة معركة نشبت في فرجينيا بعد ثلاثة أشهر من سقوط سمتر عرفت باسم بول رن ... وبيان خبرها أن جنود الاتحاد التقوا بجموع الثائرين ، وكانت الحماسة والاستبسال هي كل ما لدى هؤلاء المتطوعين من عدة ، وكان لأهل الجنوب وإن كان معظمهم من المتطوعين أيضاً ، قواد مدربون كانوا قبل في الجيش النظامي للبلاد وتسللوا منه إلى الجنوب حين تفرقت الكلمة !

وتبين أول الأمر أن النصر في جانب الشماليين ، ولكن ما لبث موجهم أن انحسرت ، ثم ولوا بعدها هاربين على صورة منكرة ، تبعث على الرثاء حتى لقد قيل إن بعض الفارين لم يقفوا عن العدو حتى دخلوا منازلهم في وشنجطن

ودخلت فلول المنهزمين المدينة في حال شديدة من الذعر والهلع وطافت بالناس الشائعات أن المدينة واقعة في أيدي الجنوبيين، فألقى الرعب في قلوب السكان وبخاصة حينما وقعت أعينهم على أكثر من ألف من الجرحى ؛ وحينما علموا أنه قد قتل في هذا اللقاء الأول أربعمائة وخمسون ...

ولو أن أهل الجنوب تقدموا غداة انتصارهم لأخذوا المدينة ما في ذلك شك ، ولكنهم نكصوا ورضوا من الغنيمة بفرار خصومهم على هذا النحو ، وحسبوا أنهم بعد ذلك أحرار فيما يفعلون فلا خوف عليهم من أهل الشمال ؛ ثم إنهم منذ خيل إليهم أن عدد أعدائهم يبلغ خمسين ألفاً أو يزيدون مع أنهم لم يتجاوزوا ثمانية عشر ألفاً

وكثيراً ما يكون التاريخ في تطوره رهيناً بحادث بسيط ، ومن أروع الأمثلة على ذلك وقوف أهل الجنوب عن الزحف على وشنجطون ؛ ولو أنهم فعلوا لكان للولايات المتحدة وجود غير هذا الوجود وتاريخ غير هذا التاريخ

وكذلك كان يتغير وجه التاريخ لو أن القنوط يومئذ تمكن من نفوس الناس ؛ ولولا أن كان على رأسهم ابراهام لذهبت ريحهم وخارت عزائمهم وتفرقت كلمتهم . فلقد صمد ذلك الصنديد للنبأ شأنه في كل ما مر به من الحادثات ، ولئن ابتأس للهزيمة وتحسر على الفشل في أول لقاء علق عليه الكثير من آماله ، لقد صبر وصمم ألا ينى عن الجهاد مهما يبلغ من هول الجهاد ...

وسرعان ما سرت روح ابن الغابة في الناس ، فعادت إليهم ثقتهم بأنفسهم ، وازدادوا حماسة على حماسة حتى ما يقر لهم قرار بعد اليوم حتى يغسلوا عن أنفسهم هذه الاهانة الجديدة وينصرون حقهم على باطل أعدائهم

ولقد استطاعت قوة الشماليين البحرية بعد ذلك أن تستولى على حصنين على الساحل في موانى أهل الجنوب ، كما استطاع القائد ماكيلان أن يفصل بقوته البرية الجزء الغربي من فرجينيا عن جزئها الشرقي ويضمه إلى الاتحاد ، وكان أكثر أهله ممن يرفضون الانسحاب فكان ذلك رداً على الهزيمة في معركة بول رن

وكان لنكولن قد دعا المؤتمر ليشاور ممثلي الأمة في الأمر وليطلعهم على الموقف من جميع نواحيه ، ولقد بعث لنكولن إلى المؤتمر برسالة كانت من خير ما كتب من الرسائل ، تناول فيها كل ما يهم الناس يومئذ معرفته

بدأ لنكولن يسرد الحوادث حتى انتهى إلى موقف أهل الجنوب فذكر أنهم وضعوا البلاد بين أمرين فإما الحرب واما تفكك الاتحاد ... ثم قال إن الأمر لا يقف عند هذه الولايات المتحدة ، بل إنه ليتعداها إلى مبدأ عام هو مبلغ نجاح الحكومات الديمقراطية القائمة على إرادة الشعب

ولقد كان لنكولن جد موفق في إشارته هذه إلى ذلك المبدأ العام ، كما كان يصدر في ذلك عن طبع ، فهو من أنصار الحرية ومن كبار العاملين على سيادة الشعب

وتكلم الرئيس عن الولايات الوسطى التي تظاهرت بالحياد فقال : « إنها تقيم سداً لا يجوز اختراقه على الحد الفاصل بيننا ، ومع ذلك فليس هو بالسد الذي لا يخترق فانها تحت ستار الحياد تغل أيدي رجال الاتحاد بينما هي تبيح الطريق في غير تحرج

للامداد ترسل من يبثهم إلى الثوار ، الأمر الذى ما كانت تستطيع فعله أمام عدو صريح »

ورد الرئيس على دعوى جفرسون دافنز زعيم الولايات الجنوبية الذى يقول إن مبدأ انسحاب الولايات حق يبيح القانون الحرب من أجله . ولقد اعتبر الرئيس هذه الدعوى من لغو الكلام قال : « إن الستار الذى يستترون وراءه وهو أن ذلك الحق المزعوم لا يستعمل إلا مع وجود مبرر عادل ، بلغ من الرقة حداً لا يستحق معه أية ملاحظة، وهم سيكونون الحكم فى عدالة ذلك المبرر أو عدم عدالته »

وكان رد الرئيس على جفرسون من الخطوات التى ارتاح لها أهل الشمال فلقد أشفقوا أن تجد مزاعم جفرسون سبيلها إلى قلوب الأغرار والأغفال

ثم أهاب الرئيس بالمؤتمر أن يمده بالمال والرجال فهو فى حاجة إلى أربعمائة مليون من الدولارات . وأربعمائة ألف من الرجال ؛ وسرعان ما أجابه المؤتمر إلى ما طلب فى حماسة جملته تزيد المدد فى المال والرجال عما حدده الرئيس ...

وأيقن الناس فى طول البلاد وعرضها ، وقد رأوا من صلابة الرئيس وعزمه ما رأوا ، أن الحرب سيطول أمدها ، فتألفت فى البلاد كلها جماعات للنجدة حتى لكأنما نسى الناس أموالهم الخاصة فليس ما يشغل أذهانهم ويستدعى جهدهم ونشاطهم إلا هذه الحرب

ولقد تغلغلت تلك الروح فى جميع الطبقات: الكوخ والقصر فى ذلك سواء، والقرية الحقيرة لا تفترق فيه عن المدينة العظيمة ، وأصبح النشيد الذى يتردد على كل لسان ذلك الذى جمل مطالعه « نحن قادمون إليك يا أبانا ابراهام ستة آلاف من الأشداء ... نحن قادمون ... »

والرئيس لا يعرف الراحة ولا يذوق طعمها . يصل إلى مكتبه فى الصباح الباكر قبل أن يطرق البيت الأبيض أحد ، ويظل هناك حتى يهبط الليل فيقضى طرفاً منه بين أوراقه ... وامرأته تضيق بذلك وتملن إليه غضبها ، ولكنه فى شغل عنها بما هو فيه من عظيات الأمور ، وأنى له فى مثل ذلك الموقف بلحظة من هدوء البال ...

(يتبع) الخفيف

الى لجنة انهاض اللغة العربية

الأخلاق

والأدب الوجدانى الرفيع

للأديب السيد ماجد الأتاسى

منذ أسابيع خلت ، عثرت فى بريد « الرسالة » الأدبى على كتاب أرسله الأستاذ أحمد أمين إلى صديقه الأستاذ الزيات جواباً عما سأل سائل لجنة إنهاض اللغة العربية عن إغفالها كتب أستاذنا الزيات فيما اصطنعت للطلاب من كتب أعلام الأدب وأمراء البيان

ولقد كنت أوثر ألا أكون بين من يتحدثون عن هذا الموضوع المصرى المحلى البحت ؛ وإن كنت أومن أن وادى الكنانة وسائر ربوع العروبة الزهراء وطن كل عربى الوجه واليد واللسان

ولكن ما جاء فى قرار أعضاء اللجنة وفى كتاب الأستاذ أمين من نعيهم جميعاً على « رفائيل وفرتر » انهما كهما حرمات المثل الأخلاقية العليا ، وذهابهم إلى أن من الخير أن يبعد هذان الكتابان الماليان عن أيدى الطلاب وأعينهم ، وما يفهم من حكمهم هذا من مذاهب فى الملافة بين الأخلاق وهذا اللون من الأدب الوجدانى الرفيع ، كل هذا يغرينى بأن أكتب غيرة على الأدب ودفاعاً عن الحق

ولست آخذ اليوم نفسى بالدفاع عن الزيات ؛ فتحت أجنحة هذا النسر الجبار يستظل الألوف ممن هم أشد منى بأساً وأقوى مراساً ..ولن يضير الزيات أن تزل فى تقدير أدبه مقاييس الحكم أو تطيش فيه نزعات الهوى — إن كان هناك هوى — بل ليفخر الزيات بأن يظلم مع « غوتة ولامرتين »

ولئن بغى على النبوغ « قوة السلطان وحكم الأثرة فشهد فيه بالزور وحكم عليه بالباطل » ففى الأجيال القادمة — حين لا أهواء ولا مآرب — سيكون للعبقرية الموتورة نصفة، وللحق المبين رفعة

يقول الأستاذ أحمد أمين : « إن آلام فرتر موضوعه حب هائم ينتهى بانتحار فظيع ، وإن روفائيل رسائل غرام بين شاب

وامرأة متزوجة . ولم نر من الخير أن توضع أمثال هذه الكتب فى أيدى الطلبة لناحيتها الأخلاقية لا لناحيتها البلاغية ؛ ولو فعلنا لخالفنا ضمائرنا ، وهاج علينا أولياء أمور الطلاب بحق »

ويقول هذا العاجز — في هدوء وبعد تفكير وتقدير — : إن من الخير كل الخير أن توضع أمثال هذه الكتب فى أيدى الطلبة لناحيتها الأخلاقية ، ولو لم نفعل لخالفنا ضمائرنا وهاج علينا الذين يفهمون من أولياء الطلبة بحق

فى فرتر ورفائيل مثال من الفضيلة تحس كل نفس الميل إليه وتود لو بلغته أو دنت منه ، وفيهما أسوة حسنة للناشئة يتعظون بهما فى تثقيف عقولهم ، وصقل عواطفهم ، وارتفاعهم عن الغرائز الدنيا . ولو كنت أستاذاً أو أباً لأغريت تلاميذى وأبنائى بأن يعرفوهما ويحبوهما ، ويكلفوا بهما ، ويحاولوا أن يتدبروا معانيهما ويتفهموا مراميهما

يعيب الأستاذ أحمد أمين رفائيل لأنها رسائل غرام بين شاب وامرأة متزوجة قضت شرائع المجتمع أن تكون — قلبها وجسدها — لزوجها ، ولزوجها وحده

ونحن من الحق علينا لنحكم لهذا الغرام أو عليه أن نتناول بالتحليل عوامله ، ومثله ، وآفاقه

هناك فى فندق من فنادق السافوا عرف رفائيل جوليا ، فكان بينهما تآلف وتعاطف ، وإن امتدت بينهما أسباب هذه الصلات التى فصلت آياتها فى القصة

تعارفا . فأما رفائيل فتعلق بها ، وأما هى فعطفت عليه ورقت له ، ولمحت فيه مواهب النبوغ والعبقرية تومض وميض الفتنة فى الزهرة الأرجة فى فتوة مشبوبة القلب ، بعيدة الأفق ، طاهرة الذيل ، جذابة الطوابع ، فأعجبت به ، واطمأنت إليه واستنامت به على الوحدة ، والمرض ، وآلام النفس

من هنا كان بينهما هذا اللون المعقد من الصلات العاطفية : لا هو بالحب وحده ، ولا هو بالصداقة وحدها ، وإنما هو مزيج من هذا وذاك ، فيه من الصداقة أكثر مما فيه من الحب ، ومن الاعجاب فوق ما فيه من الرغبة

ولم تذهب هذه الصلات النقية بما لزوج جوليا فى قلبها من مكان وحرمة . فلقد كانت تحفظ فى أعماق نفسها وأحرج مواتفها العرفان الخالص لجميل هذا الزوج الذى يحبها ، ويعطف عليها ، ويأسى لها

لقد أخطأت فى خطواتها الأولى ، ولكن أى زهر فوّح هذا الذى كان يتفتق على آثار الخطوات التالية ؟

وأى حب كان حب رفائيل ؟ إنه تذوق الذوق الفنى الجميل للجمال الفنى يتجلى — فى أبرع آياته وروائعه — فى قطعة فنية تسمى « المرأة » ... إنه تسبيحة القلوب الملوية الموهوبة ترتفع فى هدوء الليل . وابتسام الصبح صلاة حارة ظامئة فى الايمان بالحياة ، والشعور بخفقانها

أحب امرأة ممتنعة عليه ، وقد هدها السل ، فذوت زهرتها ونضب معينها ، وتقطعت أسباب رجائها ، فهى تنتظر مع الليل هذا الطارق المخيف الذي يروح ويغدو على بابها ...

الجمال المريض ، والأنوثة الوديعة ، والشعور الجريح ، والقلب الذكي ، والأفق البعيد ، كل هذا حببها إليه ، وأخذ عليه هواه . ولقد دلّهه إذ دلّهه جاذبية هذا الذبول الذى يبعث فينا العطف والحنان فوق الافتتان حين يمتد إلى زنبقة من زنابق الربيع فاذا الحر يلفحها ، وإذا هي تذوى هشيما وقد كانت من قبل ملء العين نورا وملء الجو عطراً ، وإذا هى فى ذبولها أشد ما تكون فتنة وسحراً

ألا فليحلّل الأستاذ أحمد أمين هذه القبلات الملتهبة التى لم يكن ليطبعها رفائيل إلا على يدى جوليا ، وعلى يديها فحسب أفلا يجد أن فيها ـ على أنها ذوب القلب ، وعصارة الروح ـ من الاعجاب أكثر ما فيها من الحب ، ومن التحفظ فوق ما فيها من الرغبة ، ومن معانى الكبت للنزعات الملحة ما يعد مثلا أعلى يضرب فى الأخلاق لأبناء الأرض ؟ إنها انتصار الخلق فى شفتين ألهبهما الغرام ، وأرمضهما الظمأ والسغب .. ليحلل الأستاذ هذه القبلات ؛ وليذكر أن هذا الحب — على عنفه — لم يجر إلى معصيته ، وأن هذا الحب — على فتوته — عف ولم يسف .

وأما فرتر . . .

يأخذ الأستاذ أحمد أمين على فرتر أنها تنتهى بانتحار فظيع . ذلك هو — عنده — موضع الضعف فى القصة لناحيتها الأخلاقية . وإننى لأربأ بفهم الأستاذ وعلمه أن يجد فى موضع القوة ضعفاً وفى محاسن القصة شر المساوى

لقد هام فرتر هياماً عنيفاً ، ولا نزاع فى أن هذا الهيام خطر شديد الخطر — بالقياس إلى الكثيرين من الشباب العاديين فى نفوسهم وأعصابهم وعقليتهم — فهو إذن إسراف وخطيئة على رغم طهره وصدقه . إذن على هـذا النحو يكون الانتحار ثمرة

الخطيئة ؛ وإذن تكون الخطيئة فى القصة قد عوقبت

وهذا هو يا أستاذى كل ما يريده الأخلاقيون

هنـاك من يقول : إن القصة تحمل الشباب على الانتحار وترغبهم فيه . ودليلهم على ذلك أن عدداً وافراً من الشباب انتحروا فى الغرب عند قراءته

والواقع أن الذنب ذنب العصر والمكان ، وبرهانى على هذا أنه لم نر الآن فى الشرق والغرب من انتحر من الشباب بعـد قراءة فرتر ، ولقد ترجم إلى العربية كما يقول الزيات منذ ثمانية عشر عاماً وأعيد طبعه سبع مرات ، وقرأه كل مثقف فى بلاد العروبة ، ولم نسمع أن حادثة من حوادث الانتحار قد وقعت بسببه

وها هو ذا اليوم « يقرأ ويدرس ويمثل فى الملاعب ويغنى فى دور الموسيقى دون أن يحـدث من سوء الأثر وقبح العاقبة ما أحدثه فى ذلك العصر يوم ظهوره »

يقول الدكتور طه حسين : « لقد أساء بعض الشبان ذوى النفوس المريضة فهمه والاستفادة منه ، لأن ظروف الحيـاة الاجتماعية كانت من الشدة والضيق فى أوربا بحيث تجعل نفوس كثير من الناس ضعيفة رخوة ، وخانعة مستسلمة ، لا تستطيع مقاومة ولا احتمالا . وأما اليوم فالظروف الاجتماعية التى ملأت نفوس الأوربيين سأماً وملالا في أوائل القرن التاسع عشر قد انقضت واستحالت وأصبح الناس وقد ملأهم الأمل ، وملكتهم الرغبة فى الحياة وما فيها من لذة ونعيم ، لهذا لم يبق من هـذا الـكتاب إلا أثره النافع ، وهو عظيم جليل الخطر »

ولنفرض أن فى رفائيل وفرتر بعض ما لا يرضى بعض الناس، فهل من الأصوب فى هذه الحال أن نبعدهما عن أيدى الناشئة أم نقربهما ؟ إن الأستاذ أحمد أمين — كما يفهم من قوله — يرى أن خير سبيل إلى حفظ الناشئة من الرذيلة أن يخفى عنهم خطيئات الآخرين ، وأن نلقى فى روعهم أن ليس فى هـذا العالم خطايا ولا مخطئون

ليسمح لى الأستاذ أن أقول له إنه ليس هناك أخطر على الشباب من هذا الأسلوب من أساليب التربية

إن الطبيعة هى التى تلقننا أبجدية الخطيئة تلقينا ، والطلاب أخذوا عن الطبيعة تلك الدروس ، درساً درساً ، بل فقرة فقرة ؛ وهم تدبروها وتفهموها فامتلأت بها نفوسهم، وصبت إليها قلوبهم، وكلفوا بها كلفاً لاقبل لهم برده . فما الذنب ذنب غوته ولامارتين وغيرهما من أعلام الفن الوجدانى الرفيع، وإنما هو ذنب الطبيعة نفسها

فاذا كنت تريد لناشئنا فضيلة وتقوى فأطلعهم على خطيئات لامرتين . افتح لهم أبواب الحياة الواقعية ، ولا تخش عليهم بعد هذا بأساً ولا عثاراً ؛ فالطبيعة التى أوجدت الخطيئة ، جعلت لـكل خطيئة فى الحياة الواقعية قصاصها ، وحاطتها بالعفن والنتن فهى مكروهة حتى من الملوثين بها ! وهذا وحده كاف لأن يعرفوا الشر ويتجنبوه. قيل لعمر رضى الله عنه ما معناه : «يا أمير المؤمنين ، إن هذا الرجل يقوم ليله ، ويتعبد نهاره ، ويتقى الله حق تقاته . حتى لكأنه لا يدرى ما هو الشر ولا كيف يكون ! . . » فابتسم العبقرى العليم بحقائق الحياة ، وطبائع النفوس وقال : « إذن هو أحرى أن يقع فى الشر لأنه لا يعرفه ! »

ورحم الله شاعرنا أبا فراس فقد قال :

عرفت الشر لا للشر   لـكن لتوقيـه
فمن لا يعرف الشر   من الناس يقعْ فيـه

فالخير كل الخير يا أستاذ أن تأخذ بأيدى شبابك لتريهم — تحت رقابة ذكية فطنة — بؤر الخطايا حيث ينتشر النتن ، ويعتد العفن ببهرجها الزائف ، وتهاويلها المغرية ، وسيتعلمون — على الأقل — كيف يتقون الأشواك حين يمدون يدهم لقطف ورودها .

والمناعة ضد الخطيئة ، هى فى اطلاعهم على عواقبها وعقابها، كما أن المناعة ضد البرد لا تكون فى التدفئة — بل إن التدفئة تهيئ للاصابة به — وإنما هى فى التعود على التعرض له

أليس من الخير أن يعلموا كيف يرتفع الشباب عن السفاسف والميول الأرضية ، وكيف يطهر نفساً وينبـل قلباً

أليس من الخير أن نحمل إليهم بأيدينا هذه الكتب الفنية الرفيعة بدل أن تدفعهم وساوس الشيطان إلى ملء ساعات فراغهم ودرسهم بقراءة المجلات الساقطة والروايات الخليعة التى تتملق الذوق العام ، فتوغر الميول ، وتثير الأهواء ، وتوجهها إلى سبيل محفوف بالمكاره والأخطار ؟

إن فى رفائيل وفرتر وغيرهما من كتب الأدب العاطفى الرقيق الرفيع ترفيهاً عن نفوسهم وتنفيساً لها ؛ ولهم فيها — فوق هذا وذاك — مثل فى الأخلاق تحس كل نفس الاعجاب بها ، وهم يجدون فى هذا الترفيه وهذا التنفيس متعة القلب وراحة النفس

يقولون إن الانتحار في الأمم الكاثوليكية هو أقل منه فى الأمم الأخرى . وتعليل هـذه الظاهرة عنـد علماء النفس والاجتماع أن فى اعتراف الآثم لكاهنه ، ترفيهاً عن نفسه ، وتنفيساً عنها . وهذا الاعتراف هو أشبه شيء بمفتاح البخار يفتحه سائق القطار إذا ثقل تكاثف البخار ليخفف الضغط ، ورفائيل وفرتر وغيرهما اعتراف نابغين إلى القارئ ، وقراءتهما هى اعتراف القارئ إلى نابغين ملهمين

أذكر أننى قرأت رفائيل فى الخامسة عشرة ، وفى السادسة عشرة قرأت فرتر وإنها لسانحة سعيدة تسنح لى الآن . أعترف فيها بكثير من الغبطة ورضى الضمير ، أننى مدين بفضيلتى — إن كان فى فضيلة وتقوى — إلى غوته ولامارتين والزيات . نعم يا أستاذ أحمد أمين إلى غوتة ولامارتين والزيات . وأعترف فوق هذا أنها كانت ساعة من ساعات حياتى المشهودة المذكورة لما خطرها فى حسن توجيه ميولى ونظري وفكرى ، تلك التى عثرت فيها — فى هذه السن الخطرة — على رفائيل وفرتر

« حمص ، سوريا » ماجد الاتاسى

قسطاكي الحمصي
اسلوبه في الكتابة النثرية
للأستاذ أسعد الكوراني

ليس الكلام في أدب الأستاذ قسطاكي بك الحمصي بالأمر السهل ولا هو بالمطلب اليسير، فالخطباء كثيرون والوقت محدود وأدب المحتفى به، أطال الله بقاءه، متشعب النواحي فليس في طوق خطيب أن يلم به في دقائق معدودة. لذلك سأقصر كلامي على أسلوب الأستاذ في الكتابة النثرية.

يقولون إن أسلوب الرجل صورة عن نفسه. وليس أصدق من هذا القول في التعبير عن الأدب الصحيح. فالأدب مظهر لما تختلج به النفس وتشعر به وتدركه عن طريق العاطفة والعقل. والأديب يؤدي رسالته وقد أذاب مارآه وأحس به في بوتقة نفسه، فلا بد من أن يجيء أسلوبه قطعة من ذاته.

كل من قرأ للأستاذ قسطاكي بك الحمصي ماخطه يراعه منذ ستين عاما إلى هذا اليوم يرى في كتابته النثرية قوة في اللغة وصحة بالغة في التركيب والتعبير. وهذه صفات تكفي وحدها لتخليد صاحبها، وقلّ أن اجتمعت في فجر نهضتنا الأدبية الحديثة إلا لأفراد معدودين. ولكنه يجد إلى جانب هذه الصفات صفة أخرى ينفرد بها الأستاذ بين أقرانه، ويندر من يشابهه فيها من أترابه وأنداده، وهي التأنق في الأسلوب. فكأني بالأستاذ لا يرضى من قلمه أن يأتيه بالناصع المشرق من صحيح الكلام وبليغه، بل يريد إلى جانب ذلك أن يكون بيانه عنوانا للروعة والجمال. فهو كالنحات الماهر يستخرج من الصخر الجامد ما يهز الشعور بحسنه وجماله.

ولقد قرأت ما كتبه الأستاذ في شبابه وكهولته وشيخوخته فما شذ أسلوبه عن هذه الصفة في أي دور من أدوار حياته.

نعم قد يختلف أسلوبه قوة وجمالا في بعض ما كتب عن بعض؛ ولكن طبيعة التأنق كانت بادية على كل آثاره.

ولقد تشرفت يوما بزيارته ومعي صديقي الأديب جورج اسطنبولية فسمعت من حديثه العذب الفياض، ورأيت من ملبسه وهندامه، وشاهدت في حجرته وعلى منضدته من الأثاث والكتب ما زادني يقينا بأن أسلوب الأستاذ كحياته صورة صادقة لسلامة الذوق وروائع الفن.

واملي لا أطيل عليكم إذا تلوت على مسامعكم قطعة من بيانه لم أخترها اختيارا بل اطلعت عليها اتفاقا عند ما فتحت كتابه الذي وضعه عن (أدباء حلب ذوي الأثر في القرن التاسع عشر) وهي من محاضرة له في وصف قصور الخليفة المأمون وهذه هي:

«وكان يشرف عليها الراكب في دجلة من بعد شاسع، ولا سيما قبابها، فمن مجصص بالجص الأبيض الناصع كالفضة البارقة، ومن مطلي نصفه السفلي بالأخضر الناضر والنصف العلوي بالذهب النضار، وفوقها جامات الذهب تتلامع كالشهب المتقدة، ثم تبدو للعيون تلك الحدائق الممتدة إلى أقصى مدى البصر، تتسرب فيها جداول الماء من برك عظيمة الاتساع مختلفة الأوضاع، ينصب فيها الماء كالفضة الذائبة من أفواه حيتان أو سباع أو ثيران أو نسور، من مرمر مختلف الألوان بالغ من الصناعة نهاية الاتقان بين جنات قد ازدحمت غياضها واشتبكت أشجارها وتمانقت أغصانها وامتد ظلالها، يسير فيها الداخل تحت أقبية وأطواق من فسيفساء الأوراق، في مماش كأنما أرضها خمائل سندسية، وعلى جانبيها درابزينات لا يدرك الطرف منتهاها، قد اعترش عليها الياسمين، وتعلق بها الورد والنسرين»

فهذه قطعة كتبها الأستاذ منذ عهد بعيد، وهي مشرقة الديباجة ناصعة البيان صحيحة اللغة سليمة التركيب لا تقع كثيرا على أشباهها في متخير كلام العرب في الوصف الجميل.

غير أن هذه القطعة لا تمتاز بالكلام البليغ والأسلوب الصحيح فحسب، بل تمتاز أيضا بما فيها من التأنق والعمل الفني الخالص.

فما هي العوامل التي اجتمعت فأشرق منها هذا الأسلوب الوضاح؟

عندي لهذه العوامل أصلان: الموهبة والمحيط.

فالموهبة هي القدرة الطبيعية التي تتجلى في ذوي الكفايات الممتازة.

والمحيط هو الوسط الذي يعيش فيه الانسان فيتأثر به.

* نص الخطاب الذي ألقاه الأستاذ المحامي في الحفلة التي أقيمت بحلب في سبتمبر تكريما للاستاذ قسطاكي بك الحمصي

والموهبة لا تثمر ثمرها إذا لم تتعهدها يد التهذيب بالاصلاح. وهي تتكيف بالمحيط ومؤثراته.

ولا خلاف في أن العلامة الحمصي من ذوي المواهب الممتازة النادرة؛ فما هو الوسط الذي عاش فيه فأخذ عنه وانطبع بطابعه فصدر عنه هذا الأسلوب المشرق؟

ينتسب الأستاذ إلى أسرتين عريقتين في الوجاهة والحسب والنسب، فأبوه من آل الحمصي وأمه من آل الدلال. والأسرتان مشهورتان بالحياة الرفيعة والعيش الرغيد الوارف. وأسرة الدلال معروفة بالأدب، وقد ظهر منها نوابغ لا تزال آثارهم الأدبية ناطقة بفضلهم ومكانتهم. ولقد كان لأم الأستاذ وقوف على الأدب وخاصة على الشعر. فنشأ في هذا المحيط العالي تتعهده أمه — بعد أن فقد أباه وهو في الخامسة من عمره — بخير أنواع التربية والتهذيب.

ومن صفات الأسر العريقة في الوجاهة المحافظة على التقاليد والعادات. فمن الطبيعي إذن أن تبدو مظاهر هذه الحياة العالية بنعيمها وأخلاقها وتقاليدها على أدب الأستاذ؛ وهذا في اعتقادي هو السبب المهم في اتسام أسلوبه بسمة التأنق وروعة البيان.

على أنه يجب ألا تفوتنا ونحن نتكلم عن نثر الأستاذ ظاهرة لها قيمتها في تقدير مكانته الأدبية. وهي أننا لو أخذنا أية قطعة من نثره كتبها قبل أربعين أو خمسين عاماً، ولا سيما ما كان منها دائراً حول الموضوعات الاجتماعية والتاريخية، ثم قارناها بما يكتب اليوم بعد أن أثمرت النهضة الأدبية الحديثة ثمارها لما رأينا بينهما كبير فرق. فكأننا نقرأ بلغة اليوم ما كتبه الأستاذ قبل نصف قرن يوم، كانت أساليب الكتابة ترسف في قيود الركاكة والتقليد والصناعة اللفظية

واسمحوا لي — وإن أطلت الكلام قليلا — أن أتلو على مسامعكم أسطراً من مقال نشره الأستاذ بعنوان (أهل التقادير وأرباب السعي والتدبير) في الجزء الثالث عشر من مجلة البيان الصادر في أول إيلول سنة ١٨٩٧ أي قبل إحدى وأربعين سنة وهذه هي:

« قد ألف بعض الناس الاتكال على التقادير أي على ما تولده الليالي من الحوادث التي لم تكن في الحسبان. وخالفهم في ذلك أقوام زعموا أن ذلك مدرجة إلى الكسل، وأنه مما يقف في سبيل التقدم وبلوغ الكمالات الانسانية. ولكل من الفريقين حجج وبينات يؤيدون بها مدعاهم »

« قال الفريق الأول: لو لم تكن التقادير هي الحاكمة في أنصبة البشر، اللاعبة بحظوظهم، الفاعلة في تغيير أحوالهم وأخلاقهم، لبلغ كل امرئ ما يتمنى على قدر همته وسعيه، وكم من ساع وراء أمر يرومه والتقادير تعانده فلا يبلغ متمناه »

فهذا كلام لو قورن بأسلوب الكتابة في هذه الأيام لما تخلف عنه في كثير ولا قليل، بل ربما فاق أسلوب الكثير من مشهوري الكتاب بصحة اللغة وحسن السبك ومتانة التركيب

وهذه الظاهرة من خير الشواهد على نبوغ الأستاذ، لأن النابغة يتخطى حدود زمانه ويدرك ما لا يدركه معاصروه إلا بعد أمد طويل.

هذه كلمتي في أسلوب أستاذنا قسطاكي بك الحمصي في الكتابة النثرية، وأنا أعلم ما فيها من عجز وقصور عن إدراك شأوه وبلوغ مداه، وإيفاء البحث حقه من الدرس والتمحيص، ولكن أنى لمثلي أن يسابق في هذه الحلبة ويجري في هذا المضمار وقد اجتمع فيه عيون الأدب ومصافي رجاله لتكريم إمام من أئمة البيان. غير أن لي من حسن نيتي شفيعاً لقصوري، فليتفضل الأستاذ بقبول هذه الكلمات مني هدية مقرونة بالاعجاب بأدبه والدعاء له بطول البقاء

تيسير قواعد الاعراب

لأستاذ فاضل

— ٥ —

قرأت ما كتبته الآنسة الفاضلة « أمينة شاكر فهمي » وظننته ردا على، وهو في الحقيقة تأييد لي. وسأثبت لها ذلك بعد أن آخذ عليها هذا الاستفزاز الذي يحرك النفوس الجاهلة إلى الثورة على كل جديد ولو كان نافعا، ويجعلها تقف في سبيل الاصلاح ولو كان حقا

تقول الآنسة الفاضلة: « لقد تتبعت بشغف واهتمام مقالات الأستاذ الفاضل « أزهري » عن تيسير قواعد الاعراب إلى أن تم بحثه في عملية التيسير والتغيير، فدهشت جداً لما جاء في مقاله الأخير من تطبيق، وما كنت أظن أن موجة التبديل والتحوير تطغو يوما على اللغة وتمسخها بهذا الشكل الذي ينكره كل مخلص للعربية. نعم إننا نعيش في عصر السرعة التي وفدت إلينا من أمريكا، ولكن غريب أن تطغى السرعة على قواعد اللغة والاعراب فتختصره بهذه الصورة المدهشة التي يقدمها الأستاذ « أزهري » في بحثه الأخير، فقد اختصر وحذف منه حتى كدت لا أتعرفه، وخيل إلي أنني أقرأ لغة أجنبية. وغريب أن يتأثر الأزهريون بحياة السرعة الأجنبية فيستعملوها حتى في اللغة وهم حماتها من كل اعتداء! »

فما هذا الاستفزاز من آنستنا الفاضلة وهي لم تنقض حرفا واحدا مما قلت؟ بل إنها تشهد بأني جئت بدراسات في تيسير قواعد الاعراب تكاد تكون قيمة لو لم أناقض نفسي بنفسي وأزد في تعقيد الاعراب، وكان من السهل عليها لو تأملت قليلا أن تدرك أنه لا تناقض فيما جئت به من ذلك ولا تعقيد

وستجد الآنسة الفاضلة في عدد الرسالة الذي نشر فيه مقالها ردا قيما للأستاذ الجليل « ساطع الحصري » على خلطها بين اللغة العربية وقواعد إعرابها، وظنها أن في الاعتداء على قواعد الاعراب اعتداء على اللغة نفسها، فاللغة العربية شيء وقواعد اللغة العربية (الاعراب) شيء آخر، لأن اللغة بوجه عام تتكون تحت تأثير الحياة الاجتماعية.

أما قواعد اللغة فتتولد من البحوث التي يقوم بها العلماء، وتتبدل بتبدل النظريات التي يضعونها، فهي من الأمور الاجتهادية التي يجب أن تبقى خاضعة لحكم العقل والمنطق على الدوام، ولا يجوز لنا أن نتقبلها بدون مناقشة وتفكير، بل يجب علينا أن نعيد النظر فيها، ونطيل التفكير حولها، لنكشف فيها مواطن الخطأ والصواب، ونسعى في إصلاحها وفقاً للطرق المنطقية المتبعة في البحوث العلمية بوجه عام

ومن الواجب على الأزهر أن تكون هذه مهمته في هذا العصر، وأن يتأثر بهذه السرعة التي تقول الآنسة الفاضلة إنها وفدت الينا من أمريكا مع أنها من أصول ديننا، ومن السنن الصالحة التي سنها أسلافنا، وقد رأت الشفاء بنت عبد الله رضي الله عنها فتيانا يقصدون في المشي، ويتكلمون رويدا، فقالت: ماهذا؟ قالوا: نساك. فقالت: كان والله عمر إذا تكلم أسمع، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب أوجع، وهو والله ناسك حقا

وما فعلت بما جئت به من مذاهب جديدة في الاعراب إلا أني قضيت بها على مافيه من حشو لاداعي اليه، وهذا كما في مسألة الاعراب والبناء، فان تقسيم الكلام إلى معرب ومبني حشو في النحو لايدعو إليه إلا ماذهبوا إليه في الاعراب من تأثره بالعوامل. ولو جعلنا العمل في ذلك للمتكلم لا لهذه العوامل لم يكن هناك فرق فيه بين ما سموه معربا وما سموه مبنيا، ولأمكننا أن نجعل كلمات العربية كلها معربة، واستغنينا بذلك عن حشو كثير في الكلام على الاعراب والبناء، وفي تطبيقات الاعراب التي نجريها في الأمثلة والشواهد، وليس في هذا أي اعتداء على اللغة العربية، فقد ذهب الفراء إلى القول باعراب الحروف إعرابا محليا، ومعنى هذا أنها تتأثر عنده بالعوامل كما يتأثر غيرها، وهذا مذهب غريب جداً في الاعراب، ولم أصل فيما ذهبت اليه من إعراب الحروف إلي أنها تتأثر في ذلك بالعوامل كما يتأثر غيرها، فهل تعدى الفراء بذلك على اللغة العربية؟ وهل اتهمه أحد بهذه التهمة التي تكال جزافا في عصرنا؟ اللهم لا

وكذلك مسألة الاعراب المحلي والتقديري، فانه لا يوجد هناك مايدعو إلى الفرق بينهما، ولا ما يمنع من إدماج الاعراب المحلي في الاعراب التقديري على النحو الذي ذكرته في مقالاتي السابقة، وقد ذهبوا إلي تقدير بعض الحركات من أجل حركة البناء في مثل « ياسيبويه » فلم أفعل إلا أن طردت ذلك في هذا الباب كله، وجعلت الاعراب المحلي إعرابا تقديريا، لأن الفرق

بينهما من الحشو الذى لا يصح وجوده فى هذا العلم ، بل لا يصح وجوده فى العلوم كلها

والحق أن كل ماذهبت إليه فى إصلاح الاعراب من القوة بحيث لا يمكن ممارسته ، ولولا تمنت هـذا العصر وجوده وجحوده لـكان له شأن عندنا غير هذا الشأن ، ولوجد من إنصاف العلماء مايؤثره على مذهب القدماء فى الاعراب . وإنه لا يهمنا هذا الجحود والجود، لأنا بما نكتب فى الاصلاح إنما نرضى به أنفسنا قبل كل شيء ونقوم بما نعتقده واجبا علينا ، ولا يجنى هذا الجود والجحود إلا على الأمة التى ترضى به ، ولا تحاول التخلص منه بعد أن صار بها إلى ما صارت إليه

وها هى ذى آنستنا الفاضلة تشهد بقيمة هذا الاصلاح الذى أتينا به ، ولكنها تقع بعد هـذا فى سهو ظاهر تنقص بهما هـذه الشهادة ، والذنب فى ذلك عليهـا لا علينا ، لأن ماظنته تناقضا فى كلامنا لا حقيقة له

فقد بنت هذا التناقض على أنا قلنا فى مقالنا الرابع إن الحرف لاحظ له من الاعراب أصلا ، ولورجعت الآنسة الفاضلة إلى هذا المقال لوجدت أن هذا ليس من قولنا ، وإنمـا هو من قول الجمهور في الرد على الفراء ، إذ يذهب إلى إعراب الحروف إعرابا محليا ، ويتفق مذهبنا مع مذهبه فى ذلك إلى حد ما . ولسنا من الغفلة إلى حد أن نذهب في أول مقال لنا إلى إعراب الحروف إعرابا ظاهرا ، ثم نعود فنقول فى المقال الرابع إن الحروف لا حظ لها من الاعراب أصلا

وكذلك لم توفق آنستنا الفاضـلة حين أنكرت علينـا مخالفتنا فيما أتينا به من تطبيقات للاعراب المعروف فى مذهب الجمهور ، لأنه لا حرج علينا فى ذلك أصلا ، ونحن لم نأت بهذه التطبيقات إلا لنبين للناس مقدار هـذه المخالفة ، وليس من المعقول أن نخالف الجمهور فى قواعد الاعراب ثم نجري تطبيقاتنا على مذهبهم لا على مذهبنا

فلا تناقض إذن فى كلامنا ، ولا شيء يمنع آنستنا الفاضلة من أن تجمل شهادتها لدراستنا خالصة مطلقة

(أزهرى)

مائة صورة من الحياة

للأستاذ على الطنطاوى

٨ — سائل

فى ميدان (المرجة) أكبر ميادين دمشق وأهمها ، وفى محطة (الترام) أظهر بقعة فى ذلك الميدان وأحفلها على ضيقها بالناس ، سائل طويل بائن الطول ، أعمى قبيح العمى ، يقوم حيال عمود الكهرباء وكأنما هو لطوله عمود ثان ، لا يريم مكانه ولا يتزحزح عنه ، ولا يفارقه لحظة من ليل أو نهار ، فهو أبداً يزحم الناس بمنكبه الضخم العريض ، وثوبه الدنس القذر ، ويؤذيهم بصوته الأجش الخشن ونغمته القبيحة الملة ، وكلماته التى لا تتبدل ولا تتغير : (من مال الله يا أهل الخير ، والله جوعان! الله لا يجوعكم والله كاس العمى صعب ...) لا يكف لسانه عن ترديدها ، كما أن لسان صبيه الذى يحمله دائماً لا يكف عن البكاء والعويل ..

وكنت أمرّ بالميدان نهاراً ، وآتيه نصف الليل ، وأجئ تارة عند طلوع الشمس ، فأجد ذلك السائل قائماً فى الحالات كلها بجانب العمود ، وكفه مبسوطة كأنها طبق ... ولسانه ولسان صبيه عاكفان على السؤال والبكاء ، كأنما هما اسطوانة تدور دائماً وأبداً لا كلال ولا ملال ... فكنت أتألم منه حيناً وأنقم من الشرطة أنها لا تباليه ولا تحفل مكانه ، وأشفق عليه حيناً فأعطيه من بعض ما أجد حتى رآنى رفيقى فلان ، فقال لى :

— ماذا ؟ أتعطى مثل هذا ؟

— قلت : ولم لا أعطيه وهو أعمى مسكين ، يسأل الليل والنهار لا يفتر ؟ فلو كان سؤاله تسبيحاً لـكان من الملائكة ... ويقسم أبداً أنه جائع ، وولده على كتفه يبكى من الجوع ... أفأضنّ عليه بقرش واحد يقيم به صلبه ؟

فضحك رفيقى وقال :

— لا هو بالجائع ، ولا الولد ولده ، وإنه لأغنى منى ومنك..

— قلت : هذا لا يكون

— قال : فتعال معى ...

ودنا من السائل ، فهمس فى أذنه ...

— يا أبا فلان ؟ ألا تؤجرنا دارك التى فى (الشاغور) ؟

وحي الشاعرية

ثورة الخيـــال

(صحيفة اجتماعية مطوية لم تنشر إلا اليوم. جلوة لعهد بعيد ، غير عتيد)

للأستاذ حسن القاياتي

أدلت بي النجوى فأكثرتها رغما   وخفت بي الدعوى فأوسعتها عجما
بغيري أبياً يلعب البرق خلبا   أيقتلني يأساً وقد مدني علما ؟
طويت على الشكوى جوانح لم يزل   يحزُّ الأسى فيها وتكتمه كتما
شجى النفس من ليل الشبيبة أليل   تألق هذا الشيب في جنحه نجما
أحيد بأنفاسي عن الليل رهبة   كأنيَ أخشى أن تحرِّقه فحما
بنفسي محيَّا الراح لو أن كأسها   أطاحت لنا همًّا فلم تولنا همًّا
كريهٌ مذاق الموت في الكوب وحده
فما بال مفتون تجرَّعَ واشتما[1] ؟
يزهدني في مرشف الكأس أنها   أديرت فما جازت حصيفاً ولا فدما
بكم نالها المتلاف والكأس مغرم   ليشربها خمراً وقد باعها كرْما؟
كأن حميا الكأس أعيت بفاتك   فصبت على أخلاقه الأفن والوصما
هي الراح ذوب الحسن لا بل ظلاله   إذا حلَّ في نادٍ فقد طلمت ثمَّا

* * *

إلى كم تقاضى الصبيات مكانها   لديَّ وقد عفت المناغاة والرثما ؟
أبيٌّ لو ان الماء يـقي بوصمة   تبدلتُ منه خوفَ وصمته الظما
أصد وقد هم الجمالُ ولو قنى   أخي يوسفٌ صبرى لصدٍّ فما هما
هواناً لمن يهصرُ الحسن وردة   فهلا يشمون الحياة به شما ؟
رويداً بخد الورد شما وزينة   ورفقاً بورد الخد تذبله لثما

(١) إشارة إلى عادة الشم المتعارفة

ففتح الأعمي عينيه ... فنظر في وجهه . فلما عرفه قال :

— بلى ، ولكني لا أنزل بها عن عشرين ليرة ذهبية ...

— قال رفيق : ألم تؤجر الدار الأخرى بثماني عشرة ؟ فهذه مثلها ...

— فقال : هو ما قلت لك ...

وعاد يصبح بنغمته القبيحة المملة ، وصوته الأجش الخشن :

(من مال الله يا أهل الخير ، والله جوعان ، الله لا يجوعكم ! والله كاس العمى صعب ...) !!

علي الطنطاوي

فوا كبدى كم يمنع الحسن شركة   وما خص بالشجو القلوب كما عما؟
أكل بديع ليس يعدوه حاجب   يصدُّ قناعاً أو يحيط به كما ؟
لثامٌ نهى شطر الجمال فصانه   فوا لهفتا للبدر لو أنه تما ؟
جمال الغواني قاسمَ اللهَ خلقه   فصبَّ عليه من تحجبه رغما
كأنك غضبي حين أبداك برقع   لقد رق يا أختى لخلاكِ إذ نما
بعينيك من ردِّ العيون فصاغها   قسياً ومن أصمى بنظرتها سهما ؟
جوانحنا من شبَّ فيهن جذوة   ومن مهدت فيه العيون ومن أدمى
دعونا نرفِّه عن حشانا بآهةٍ   تبلُّ الحشى برداً ويندى بها نسما
دموع الأسى تشفي وليست مبينة   تلهيك بالأطيار إذ هتفت عُجما
بني مصر لولا أعينُ الغيد فتنة   لما مُلئت حسناً ولا مُلئت ظلما
يذمون من « بنت الهوى » طاعة الهوى
وهم نظموها في شقيَّاته نظما
شفاء الفتى من سكرة المال والصبا   ضمين به الاتلاف يلحقه العدما
لمن شرفٌ ريعت به كلُّ حرةٍ   فلم يبكه جانٍ رأى جرحه يَدمى
ولدتم كهاتيك القلوب نوابضاً   تخافوا عليهن الجريمة والاثما
لقد طبعت طبع الحديدة فتيةٌ   تجافت فلا داء شفته ولا كلما
أجداً يظن الشحُّ ألا أبوَّةٌ   عليهم لمن ذاق الخصاصة واليتما
ألا مصنعٌ مجدٍ ألا ملجأ ندٍ   يفيض لهم علماً ويندى لهم طُعما
مدارسنا لا النبل فيهن حلية
ولا العلم خصم الجهل يصرعه خصما
مدارس تجار إذا هي أربحت   خسرنا بها الآداب أجمع والعلما
لقد ساد زيغُ الرأي فليشك محسن   كبارَ المساعي يوم تكسبه ذمّا
كفى الناس تضليلاً بخدٍ مموَّهٍ   وبالنابه المكذوب يبنونه ضخما
إذا وصفوا بالعلم والفهم نابهاً   زهوهُ ولم يفتنك علماً ولا فهما
كأن بعيد الصيت يهتز باسمه   تساقط حتى ما يروعك إلا اسما
كأني بسحَّار النباهة كلما   تقلب في زعم أجدُّوا له زعما
توحَّدَ مغمورُ القوافي بيانهُ   نخط[1] الأغاني يبعث الطرب الجما
قل الزور يستاق الجماهير فتنةً   ودح شيخها نبلاً ولح بدرها تما!
صدى الناس من يحكي وكم فيهم صدًى
ولكنَّ جزلَ الرأي من يحسن الحكما

* * *

سما النيلُ يستعدى على الجور قومه   فيارب سدِّده لأربحهم سهما
يميناً لقد أزرى بمصر مفاوضٌ   رقيق كما ناغيتَ إحسان أو نعما

(١) خط الأغاني : لغة الموسيقى . وهى النوتة

لمن يؤمن الشرق فى الغرب بعدما … تداوله نهباً وفاز به قسما ؟
سواء على الشرق فى الكأس شهدة … أم الموت فيها حين يلتذها طعما ؟
متى يحلُ غرٌّ بالقوىّ وكأسه … تكسب لبّ الغرّ بل شعبه ضما
إن اعتزّ باغٍ لم ترَ العدل عنده … سوى فتكةٍ بالكون تدهمه دهما
كثير التمنى أطول القوم غرة … وإن كثير النوم أكثرهم حلما
كأنك إذ تفنِى لياليك عاملا … ركضت لما تبقى صوافنك الدُّهما
بنَى الشرق من قواده كل سادر … فهل أصبح البناء لا يحسن الهدما ؟
يقولون للخوان : تاب وما دهت … ممتقة إلا بما فتكت قِدْما
يظن فريقٌ يُسلم الحق أنه … بحيث يرى الغوغاء والحاشد الفخما
إذا ضلّ فردٌ أو بق الفرد أمةً … أدلت به نجلاً فقتلها أمّا ! !
يريدوننا فى موكب الفرد أمة … عزيز عليهم أن آنفنا أحمى
أرى الجور قتال الشعوب فما لهم … يريدونه شعباً ويرعونه بهْما
أكل زعيم عندهم عزّ مثله … كأن بأرض الشرق ويحهم عُقما
إذا ما استقل الشعب ألفى غويّه … ومن هجر الأوثان أوسعها حطما
تغضّب لا للدين بعض رواته … تغضب للأجلال أو طالب النعمى
لقد عُبدت فى الشرق حيناً عمائم … لو أن «أبيساً» قد رآهن لاعتما
كأن الأيادى فوقها تنفر لانمٍ … صحيفة زور كان توقيعها ختما
مضى كل واه ينحل الدين وهنه … بروح بلا سقم كأن به السُّقما

هو الدين إن شاؤوا يكن ضنك حكمه

فلاة وإن شاؤوا يكن رحبه سَمّا

فتاوى كزورات البغى مباحةٌ … تزيد بها غرماً فتأخذها غنما
إذا كانت الأديان حرباً على الحجا … وخاصمها علم فأهون بها خصما
إلى الصيت يسمو كل من قيل ملحدٌ … وما قتل الالحاد علماً ولا وهما
لأية جدوى يغمز الدين مارق … أباح فلا حِلًّا يراعى ولا حِرْما
أقيما على الآداب والنبل مأتماً … فقد ذهبا عيناً وقد محيا رسْما
تنكرت الأخلاق حتى لقلّما … صنعت جميلاً لا تجازى به شتما
تهدٍّ إلى السوءات لا تدعه الهدى … وغض عن المخزاة لا تدعه الحلما
كفى بتبارينا إلى الشر ضيمة … وحسبك من تمزيق وحدتنا جرما
عذيرى من باك بأجفان عاهر … على أمة يسعى ليقسمها قسما
وفاق وأنى بالوفاق ودونه … حسائك صرعى بالتنابذ أو كلمى
تنصح لمن يعصى ودعه فدهره … سيحسم باللوعات خلفكما حسما
تنزه حب الدار عن صدر جارم … يضرمها حرباً وقد طبعت سلما
حموا كل حر أن يفدى شعبه … ألا كذبوا إن العواطف لا تحمى
هى الدار ليست للمريبين طعمة … ولكن لنهاضٍ بحجتها شهما
يدسون المجدى وفى الدوح مثمر … نمد له فُتْل السواعد والرجما
ألا ليت من يجنى لأهليه سوأة … يبوء بها ذلا على الأنف أو رغما
نصيبك من حمد فان كنت زاهداً … فصبرك لا يذهب بصبرك من ذمّا

* * *

غريرٌ لعمرى أيها النيلُ ناشئ … فلا تأمن الكيد السياسى والاؤما
إذا الشعب أعطى كل غرّ قياده … فقد حذر الفوضى بما قتل الحزما
بربك سائل مستقلاً قيودُهُ … مجرّرةٌ هلاّ أطاق لها فصما ؟
سلا نائبينا عن سجين مصفد … ضعيف متى أهدى لنائبه عزْما ؟
عقيد العلى شعبٌ إذا ما أثرته … تفزّع لا يرضى هواناً ولا هضما
كفى أنفاً للحر أن حقوقه … تردُّ له عدلاً فيأخذها غنما
سموك لا تحسب من الحلم ذلةً … وأنت مُلاق ما سموت له حتما
أحبُّ حياة النشء كالنشء جدة … ولا يزدهينى محدث يشبه القدما
توثب هذا الشرق يبنى ديونه … فيارب جنبه الدسائس والشؤما

« الكرية : دار القاياتي »

حسن القاياتى



القصص في الأدب العربي الحديث

قد سبق لي أن حدثت قراء « الرسالة » عن المستشرق الفرنسي (هنري بيريس) يوم وصفت كتابه « أسبانية في أعين الرحالين المسلمين » . واليوم أخرج هذا المستشرق المشتغل بالأدب العربي الحديث رسالة ضافية في القصص عندنا ، وقد نشرها في مجلة معهد الدراسات الشرقية لكلية الآداب في جامعة الجزائر (الجزء الثالث ، سنة ١٩٣٧ ص١ — ص ٧٢)

وللرسالة مقدمة حسنة على قصرها عرض فيها المؤلف نشأة القصة في أدبنا الحديث وارتقاءها . فقال فيما قال : إن فن القصة انحدر إلى الشرق العربي من جانب الغرب وإن فارس الشدياق صاحب (الساق على الساق) كان أول من نبذ « المقامة » متأثراً بما وقع إليه من قصص الفرنسيين والانجليز . وهنا أشار المؤلف إلى ما صنعه اللبنانيون والسوريون النازحون إلى مصر في سبيل القصة أول أمرها ، فذكر سليم الشلفون وأديب اسحق وجرجي زيدان ، ولم يفته أن يذكر رفاعة الطهطاوي الذي نقل رواية (تليماك) من الفرنسية إلى العربية فطبعت في بيروت عشرين سنة بعد كتابتها . ثم انتقل إلى عهد المويلحي والمنفلوطي فتكلم على انعطاف القصة نحو الروح المصرية . ثم انتهى عند عهدنا هذا فنوه بخروج القصة من حيز الترجمة والنقل والتقليد إلى حيز الانشاء والابداع . ثم أخذ يعدد مجلاتنا الأدبية التي تنشر فيها القصص . ثم رتب أنواع القصص فذكر النوع الابتداعي والواقعي والطبيعي والرمزي والتاريخي والنفساني و « البوليسي »

ومما غاب عن المؤلف فيما أظن أنه أغفل تراثنا القصصي فلم يحاول أن يرد إليه بعض ما يجري في قصصنا (من ذلك « على هامش السيرة » لطه حسين و « شهر زاد » لتوفيق الحكيم فضلا عن روايات زيدان ومسرحيات شوقي) وأنه أهمل قصصنا الشعبي ففاته أن يتلمسه في طائفة من القصص (من ذلك أقاصيص لجبران خليل جبران وأخرى لميخائيل نعيمة و « يحكى أن » لطاهر لاشين)

ويلي المقدمة ثبت أسماء المؤلفين وعناوين القصص على طريقة علمية قوية . والثبت على أربعة أبواب :

الباب الأول : ما ألف في الأدب العربي الحديث عامة ، في العربية واللغات الأفرنجية

الباب الثاني : ما ألف في فن القصة ، في العربية واللغات الأفرنجية

الباب الثالث : القصص والأقاصيص المنقولة من اللغة الفرنسية إلى العربية

الباب الرابع : القصص والأقاصيص المؤلفة باللغة العربية في القرن التاسع عشر والعشرين

وجل ما يؤخذ على هذا الثبت الدقيق الجامع أن صاحبه لم يرتب الأسماء حسب حروف المعجم

هذا وأمل الأستاذ (هنري بيريس) يواصل عمله النفيس إذ في نيته أن يثبت المقدمات التي يصنعها القصصيون لقصصهم مع النظر فيها وأن يتعقب ألوان الكتب وأنواع التآليف التي سارت في الشرق العربي سنة ١٩٣٠

(باريس) بشر فارس

الحركة القسوية في ألمانيا

تعمد ألمانيا الهتلرية إلى توفير أسباب الحياة والراحة للألمان فكان من أثر ذلك حركتها ضد اليهود ، ثم نزعتها الأخيرة إلى إقحام مسائل الجنس في الوطنية ، وما تدعيه من تفوق الجنس الآري وتقدمه على بقية الأجناس الأخرى في نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية ، ولما كانت مسألة العطلة من

أكبر المسائل التى تواجه الأمم الحديثة ، فقد رأت ألمانيا أن تأخذ فى الاقلال — جهد الامكان — من النساء فى الصناعات والأعمال التجارية حتى لا يكنّ مزاحماً خطراً للرجال ، غير أن الواقع هو أن عددهن يزداد يوما بعد يوم فى دائرة الأعمال ، وقد ذ كرت ذلك جريدة سويسرية تسمى weltwoche فقالت « إن أهم ما تعنى به ألمانيا الحديثة في تربية نسائها تربية سياسية هوطبع الفتيات بروح الحركة الاشتراكية الوطنية ، وعدتها فى ذلك الرياضة الذهنية والجسمية ، وتلك هى أسس جمعية البنات الألمانية Bund Deutscher Mädel وتقوم تربيتهن فى هذه المؤسسة على أساسين ، أحدهما يجمل منها امرأة اشتراكية ، تعرف كيف تسوس أمور الدولة إن دعت الحال إلى ذلك ، والثاني يعدها لأن تكون أما قوية البنيان ، عبلة القوى ، لتنتج « الانسان الكامل » للوطن ؛ ويبدأ انخراط الفتيات فى هذه الجمعية منذ بلوغهن السادسة عشرة من عمرهن ، فمن أظهرت مقدرة وكفاءة فى تشرب مبادىء الجمعية منحت شارة فضية ، وهى دليل التفوق الفكرى والسياسى ، ويعقد لهن كل أسبوع اجتماع ليلى يشرح لهن فيه تطور السياسة فى الداخل والخارج ، ونصيب ألمانيا من ذلك كله . ولقد أعلن أخيرا « الهرفون شبراخ » زعيم شباب الريخ وجوب اشتراك كل فتاة يتراوح سنها بين ١٧، ٢١ سنة فى جماعة القوة والجمال » والغرض المنشود منه هو تربيتهن تربية جثمانية قوامها الرياضة والرقص ، وتعليمهن أصول الصحة ، وقصارى القول إن مرماه إيجاد جيل نسوى جديد ، قوي البنيان ، جميل المنظر ، معتد بنفسه واثق بها .

وفي خلال هذه المدة تتلقى الفتاة نوعاً من التعليم الاجبارى فى المعسكرات التى أوجدت ألمانيا منها أكثر من ستمائة معسكر فى ثلاث عشرة بلدة ، يعشن فيها عيشة خشنة ، ويمارسن أشق الألعاب .

وعلى الرغم من أن ألمانيا النازية ترى أن مكان المرأة الأول هو البيت ، إلا أنهن ينافسن الرجال فى كثير من الأعمال ، حتى لقد بلغ عددهن اليوم قرابة ٥ر٢٥٪ ، هذا فيما يختص بالفتيات الناشئات ، أما الأمهات وسيدات الجيل الماضى ، فقد أوجدت لهن ألمانيا « اتحاد النسوة Frauenschaft » وهو بجانب تحبيب النازية إليهن ، يقوم بتعليمهن الحياكة والحضانة وشؤون المنزل ورعاية الطفل

نور الدين وصلاح الدين فى فلسطين

نشرت جريدة (النهار) فى بيروت مقالة عنوانها (إلى الأستاذ إسعاف النشاشيبى) أشارت فيها إلى ما نشرته (الرسالة) فى عنوان (من أمين الريحاني إلى محمد إسعاف النشاشيبي) وذكرت — مطنبة — تحية الأستاذ الريحانى ، وبكاء الأستاذ النشاشيبي واستنجاده بسيد المرسلين ، وبكت متأثرة معه ، ومما جاء فى تلك المقالة : « إننى كل يوم أري المجاهدين يخطون بدمائهم حطينا جديدة ، وكل ساعة أرى بينهم نور الدين ، وصلاح الدين وعماد الدين[1] »

الفلسفة الشرقية

قرأت فى العدد ٢٧١ من مجلة « الرسالة » الغراء ذلك المقال القيم الذى كتبه حضرة الأديب السيد احمد صقر عن كتابنا « الفلسفة الشرقية » فسررت من قراءة هذا المقال سروراً عظيما ولكن ، لا لما قد يتبادر إلى ذهن القارىء للوهلة الأولى من أن مبعث هذا السرور هو ثناء مستفيض على الكتاب ومؤلفه وإنما مبعثه هو ماظهر لى من خلال المقال من أن كاتبه لم يكتبه إلا بعد أن طالع الكتاب فى دقة وعمق

غير أن لنا بعد هذا ملاحظة وجيزة على ذلك المقال نحب أن نسجلها هنا وصفا للحقيقة العلمية فى نصابها

قال كاتب المقال : إنى ذهبت إلى أنى كنت أول من أثبت بالأدلة القاطعة سذاجة « أرسطو » وأذنابه فى دعواهم أن الفلسفة نشأت للمرة الأولى فى إيونيا فى القرن السادس قبل المسيح ، وأن أول فيلسوف فى الدنيا هو تاليس الملطى ثم علق على هذا بقوله : « والحق أن هذا الاثبات قديم الميلاد وليس أدل على ذلك مما قال الدكتور عن « ديوجين لارس » فى كتابه « حياة الفلاسفة » وأن الشرق قد سبق الغرب فى النظر العقلى ، وأنه كان أستاذه وملهمه ..

ويظهر أن حضرة الأديب خيل إليه أن بين العبارتين معارضة إذ تدل الأولى على أن مؤلف كتاب « الفلسفة الشرقية » هو الذى أثبت تأثر الفلسفة الأغريقية بالفلسفة الشرقية ، بينما تنص الثانية على أن « ديوجين لارس » قد سبقه إلى هذا الاثبات . والحق فى هذا الموضوع هو غير ذلك تماماً ، إذ أن « ديوجين

(١) الشهيد والد نور الدين

لا إرس » لم يزد فى كتابه « حياة الفلاسفة » على أن حدثنا « حديثاً يثبت أن الشرق قد سبق الغرب إلى النظر العقلى وأنه كان أستاذه وملهمه كما هو النص حرفياً . أما نحن فقد أثبتنا هـذه الدعوى بالطريقة العلمية الحديثه وهى استعراض نظريات الأغريق ومذاهبهم وإبانة مواضع تأثرها بالفلسفة الشرقية بالأدلة الناصعة التى لم تكن قد وجدت بعد فى عصر «ديوجين لا إرس» وفوق ذلك فقد أتينا من نتائج البحث الحديث بطائفة من الأدلة العلمية التى تؤيد هذه الدعوى تأييداً قاطعاً، وذلك مثل اكتشافات الأساتذة المتمصرين « ماسبرو » و « لوريه » و « موريه » و « بريستيد » التى استغلتها فى إثبات دعواي استغلالا لم يتح مثله لديوجين لا إرس، ومثل نتيجة بحوث العلماء الطبيعيين الذين أوضحوا الفرق الطبيعى بين الجماجم الشرقية والجماجم الأغريقية، وأتاحوا لنا الفرصة لاستنباط أن كثيراً من النظريات الأغريقية مبنية على أسس شرقية ، ومثل اكتشافاتى الخاصة التى وصلت إليها بعد الموازنة الدقيقة بين كل هذه الفلسفات ، إلى غير ذلك مما نستطيع أن نجزم فى صراحة أن «ديوجين لا إرس» لم يوفق منه إلى شيء يذكر

وأحسب أن حـديث ديوجين لا إرس الذى يستنتج منه استنتاجا تأثر الفلسفة الاغريقية بالفلسفة الشرقية لا يساوى فى نظر العلم إثباتنا هذه الدعوى بالحجج القاطعة التى لا تحتمل الجدل والتى لو وفق «ديوجين» إلى مثلها لما جرؤ « سانت — هلير » على جحود هـذه الفكرة بمثل ذلك التثبت الذى ورد فى مقدمة ترجمته للكون والفساد

ولهـذا الفرق الذى يوجد بين طريقتنا فى الاثبات وطريقة « ديوجين لا إرس » عبرنا فى جانب طريقته بقولنا : « إنه حدثنا حديثا يثبت إلى آخره » وعبرنا فى جانب طريقتنا بقولنا « إننا أثبتنا بالأدلة القاطعة إلى آخره » . ولا شك أن هذا كاف فى وجود الفرق بين الطريقتين .

على أن « ديوجين لا إرس » كتب ما كتب في الغرب وقد ظل المتفيهقون فى الشرق يدعون عكس ما قرره . أما بعد هذه البراهين التى أدلينا بهـا ، فلا يجادل فى هذه الفكرة إلا مكابر أو جحود .

بهذه الاشارة الوجيزة يتبين أن ادعاءنا أننا أول من أثبت هـذه الفكرة لا يتنافى مع نصنا على أن « ديوجين لا إرس » حدثنا هذا الحديث منذ زمن بعيد .

وأخيراً أكرر تهنئتى للأديب صقر على روح النقد الحر الذى نحن فى أشد الحاجة إليه فى نهضتنا الحاضرة .

الدكتور محمد غلاب

الأمالي

قال الأديب الفقيه الأستاذ داود حمدان : ما مفرد الأمالى ؟ قلت : الاملاء . وقد رأيت أن أروى فى (الرسالة) الغراء كلمة في أمالي السلف الصالح لملا كاتب جلبي وقولا للشيخ ابراهيم اليازجى فى هذه اللفظة ومفردها ، فيه فائدة

قال الأول : « هو جمع الاملاء ، وهو أن يقعد عالم وحوله تلامذته بالمحابر والقراطيس فيتكلم العالم بمـا فتح الله (سبحانه وتعالى) عليه من العلم ، ويكتبه التلامذة فيصير كتاباً ، ويسمونه الاملاء[1] والأمالى ، وكذلك كان السلف من الفقهاء والمحدثين وأهل العربية وغيرها فى علومهم فاندرست لذهاب العلم والعلماء ؛ وإلى الله المصير ، وعلماء الشافعية يسمون مثله التعليق » ثم ذكر فى مصنفه (كشف الظنون) (٦٦) كتاباً مسمى بالأمالى ، منها : « أمالي ابن الحاجب فى النحو وغيره ، أمالى ابن دريد فى العربية لخصها السيوطى وسماها (قطف الوُرَيد) ، أمالى ابن الشجرى ، أمالى أبى العلاء المعرى ، أمالى أبى يوسف (صاحب أبي حنيفة) ، أمالى بديع الزمان[2] ، أمالى جار الله الزمخشرى من كل فن ، أمالى الشافعى فى الفقه ، أمالى القالى فى اللغة ، أمالى الصفوة من أشعار العرب لأبى القاسم فضل بن محمد البصرى ، أمالي نظام الملك (الوزير المعظم العالم) في الحديث ، أمالى المطلقة للسيوطى »

قال الثانى : « هناك ألفاظ لا ندري بم نتمهـا ... وذلك كقول القائل : (آمالٍ فلكية) فجاء أول هذه الكلمة أشبه بوزن أفعال نحو آبال وآرام ، وآخرها أشبه بوزن فعال المنقوص

(١) من ذلك : إملاء الشافعى ، قال صاحب كشف الظنون : « هو فى نحو أماليه حجما وقد يتوهم أن الاملاء هو الأمالى وليس كذلك » ومما سمى بالاملاء (املاء على مشكل الاحياء) لصاحبه الغزالى

(٢) هي المقامات



اعترافات فتى العصر

لألفريد دى موسيه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

درة من آداب الغرب جلاها ببيانه العربي الرائع الأستاذ فليكس فارس وقدمها بتمهيد بليغ قال فيه « ليقرأ فتيان عصرنا الحائرون هذه الاعترافات الخالدة التي كتبها دى موسيه بدماء قلبه عبراً لابد أن يجد فيها كل فتى صورة لحادث من حوادث حياته إن لم يجد فيها صوراً لمعظم حياته »

والأستاذ فليكس فارس شخصية عميقة الأثر في نهضة الشرق العربي ، فلا بدع إذا رأيناه يلبس الاعترافات ثوباً قشيباً طرزته يد فنان شاب بارع

لقد انتظرت هذا الكتاب منذ أعلن عن ظهوره ، ولو أني قرأته في مجلة الرواية القصصية الراقية شقيقة الرسالة الأدبية العالية؛ غير أنني أردت أن تضم مكتبتي المتواضعة هـذه التحفة الأدبية الرفيعة ، ولما تفضل وأهدانى إياه أقبلت عليه فالتهمته ، ولشد مارغبت صادقاً لو طال حديث الاعترافات ليطول بذلك استمتاعى بتلك اللذة الساحرة التى لا يظفر بهـا المرء إلا فى أمثال هذه الآثار الفنية ...

وللاعترافات ميزة كبيرة ترتفع بهـا إلى مصاف القصص الخالدة التي لم تنشأ لمجرد اللهو والتمتع بالجمال الفنى ، فانها جمعت إلى روعة الفن فلسفة الحياة ونظرات فى إصلاح المجتمع قلما تراها فى سواها

ففي ترجمة هـذه الاعترافات معنى يرمي إليه المترجم الفاضل، إذ لم يترجمها لمجرد أنها قصة يلهو بها القراء، بل نشرها بين الشبيبة كطبيب اجتماعى عرف مواطن الأدواء فى بلاده ، وقد وجد أن شبيبة الشرق يراود فكرها وعواطفها الجحود بالايمان والعبث بالحب ، فلم يجد أروع من اعترافات فتى العصر يقدمها صرخة داوية تهيب بالشبيبة التى ترود مزالق الغواية والالحاد ...

وإن ما عجبت له حقاً هو التوافق الغريب بين أدواء عصر الفريدى دى موسيه وأدواء عصرنا الحاضر . ولقد كان الأستاذ فليكس فارس موفقاً كل التوفيق فى اختيار هـذه الاعترافات ليعالج أدواء الشرق بما تحتويه من صور صادقة لحياة الشبيبة فيه

ولقـد اختتم الأستاذ فليكس تمهيده الوجز البليغ بآيتين لخص فيهما الاعترافات فقال :

إن من جحد إيمانه جحدته حياته

ومن اتخذ الحب ألعوبة طرده الحب من جناته

أما الترجمة فحسبك ما قاله فيها فقيد الأدب العربي مصطفى صادق الرافعى: «أما الاعترافات فهي جيدة جداً؛ ولو كان مؤلفها هو المترجم لما استطاع أكثر مما استطاع الشيخ فليكس فارس »

عطيه محمد السيد

لجوارٍ وليالٍ ، وهذان الضبطان لا يجتمعان في صيغة عربية . وكأن الكاتب رأى هـذه اللفظة فى بعض الـكتب لـكنه لم يعلم ما هى ، فد أولها لأنه وجد هجاءها يشبه هجاء آمال جمع أمل ، ورأى آخرها منونا تنوين الـكسر فحـكاه فيها ، فجاءت على هذه الصورة المنكرة . وإنما هى الامالى جمع إملاء مصدر أملى ، وأصلها أمالىّ بالتشديد بعد قلب همزتها ياء ، ثم حذفت إحـدى الياءين جوازا كما هو القياس فى مثلها من الجموع فصارت أمالى بتخفيف الياء ، وإذ ذاك عوملت معاملة جوارٍ ونحوه »

القارىء



بوادر الموسم السينمائي الجديد

لانغالى إذا قلنا إن الموسم الذى بتنا على أبوابه ، سيكون موسماً هائلاً تعرض فيه بضعة أفلام من ذات الطول الكامل تحوى كل خطى التقدم التى خطتها صناعة السينما فى مصر فى العام الماضى ، وحتى أفلام الدرجة الثانية أو الشركات الأقل استعداداً ، ستكون أقوى من أفلام العام الماضى بكثير

استوديو مصر

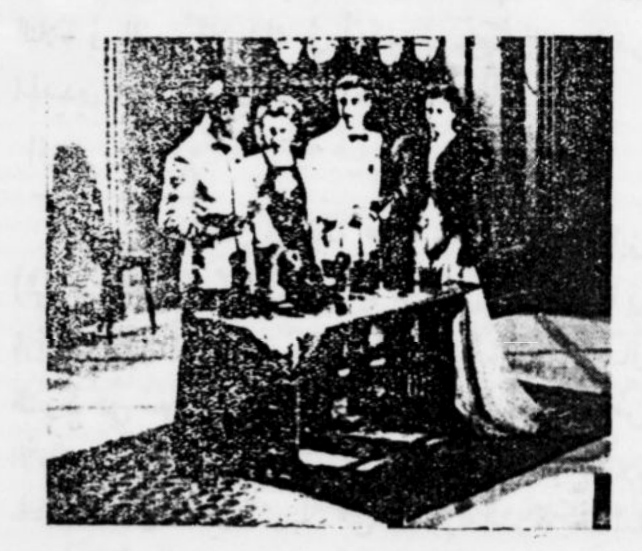
وفى مقدمة الشركات المصرية التى خطت بالأفلام المصرية خطوات كثيرة موفقة ، شركة مصر للتمثيل والسينما التى يتبعها (استوديو مصر) ، إذ يقدم لنا هذا الاستوديو ثلاثة أفلام كبرى فى هذا الموسم هى (لاشين) و (الدكتور) من اخراج الاستاذ نيازى مصطفى و (شيء من لاشيء) من اخراج الأستاذ بدرخان وهو الذى تقرر أن تبدأ به سينما ستوديو مصر (تريومف سابقا) برنامجها المصرى لهذا العام . وقد أعلن عنه فى الصحف والمجلات المتصلة بإدارة الاستوديو . . . ويقوم بتمثيل الدورين الأولين فى هذا الفلم المطرب المحبوب الأستاذ عبد الغني السيد والمطربة

(نجمة فى فلم شيء من لا شيء نجاة على)

المبدعة الآنسة نجاة على كما اشترك فى تمثيله نفر من خيرة ممثلى المسرح المحترفين نذكرهم ونذكر شيئا عن الفلم عندما يتحدد موعد عرضه

شركة أفلام احمد سالم

ومن الشركات القوية الجديدة شركة الأستاذ احمد سالم مدير استوديو مصر السابق ، وقد انتهت هذه الشركة من اخراج فيلمها



منظر من فلم أجنحة الصحراء

ويرى فيه : راقية ابراهيم وأنور وجدى وروحية خالد ومحسن سرحان

الأول (أجنحة الصحراء) وهو ذو موضوع وحوادث حربية جوية ولم يسبق إخراج مثله فى مصر ، من حيث جودة التصوير وإتقان الديكور واختيار الأرتست وتقطيع السيناريو . وستقدم الشركة فى هذا الموسم كذلك أول فلم بوليسى يخرج فى مصر ، هذا علاوة على أعداد (جريدة سالم السينمائية) التى ظهر منها عددان حتى الآن ، أحدهما خاص برفع الستار عن تمثال سعد والآخر خاص برحلة حضرة صاحب الجلالة الملك فى الصحراء الغربية .

أخبار مسرحية وسينمائية

أفلام الثلاثي السينمائي

وتقدم لنا شركة « لوتس فلم » فلمين كبيرين في هذا الموسم أتم الثلاثي الفني أحدهما قبل سفره إلى تركيا ولبنان ، وانتهى الزميل احمد جلال من كتابة السنياريو للفلم الثاني وقد أسماه (نساء بلا رجال) وقد شرعت الشركة في التقاط مناظره في استديو ناسبيان . وأفلام هذه الشركة معروفة بموضوعاتها المبتكرة وسنياريأتها المحبوكة ونجومها اللامعة وبخاصة النجمة المحبوبة السيدة آسيا ، والنجمة الرشيقة ماري كويني ، والممثل الصحفي القصصي احمد جلال . وإذا كان النقاد والجمهور بصفة عامة قد شهد لفلم (بنت الباشا المدير) بأنه أحد أفلام الدرجة الأولى الثلاثة في الموسم فلا شك في أنه سوف يحكم لفلمي لوتس الجديدين بأنهما جديران بمشاهدة كل هواة السينما

أفلام فنار فلم

وتخرج شركة فنار فلم طبعة عربية جديدة لفيلمها السابق (ليلى بنت الصحراء) وطبعة فرنسية من نفس الفلم يعرضها في باريس والبلاد التي تسودد فيها اللغة الفرنسية . أما باقي أعمال الشركة التي سوف تستغرق جهودها هذا العام فهو عرض الأفلام الفرنسية الكبيرة التي نالت احتكارها وإخراج أفلام لحساب الغير في استديو ناسيبيان التي استأجرته الشركة بعقد لمدة طويلة ، كما أن فلم السيدة عزيزة أمير القادم سوف تقوم باخراجه هذه الشركة التي انضمت السيدة عزيزة إلى المساهمين فيها

المسرح الخصوصي للفرقة القومية

قام حضرة صاحب المعالي وزير المعارف العمومية بزيارة لادارة الفرقة القومية ومخازنها وخطب في الممثلين والممثلات خطبة حماسية مستفيضة لفت أنظارهم فيها برقة ودعابة إلى أن من الواجب مضاعفة الجهد وبذل العناية في الموسم القادم حتى لا يقول البرلمان والنقاد في الفرقة ما قالوه عنها في الموسم الماضي . وتحدث الوزير كذلك عن رغبة الوزارة في الاسراع بانشاء مسرح خاص للفرقة تعمل عليه طوال الموسم ، وأكد أن (رسومات نموذجية) عن أشهر المسارح العالمية قد أحضرها سعادة حافظ عفيفي باشا معه من أوروبا وقدمها للوزارة لدرسها واختيار الشكل اللائم لمصر ، وقد شكره الممثلون على عطف معاليه عليهم وتقديره لجهودهم ووعدوه بأن يكونوا عند حسن ظنه !

فرقة الأستاذ علي الكسار

بدأت فرقة الأستاذ علي الكسار موسمها على مسرح برنتانيا برواية جديدة استعراضية تدعى (من أول وجديد) من تأليف الأستاذ احمد شكري ورواية قصيرة اسمها (الكابتن هول) من اقتباس الأستاذ علي الكسار ، وقد اشترك مع الأستاذ الكسار في تمثيل هاتين الروايتين السيدة عقيلة راتب (بريمادونة) الفرقة المحبوبة والأستاذ حامد مرسي مطربها المعروف ، والثنائي الفني (حسين ونعمات المليجي) وسيظل الأستاذ الكسار عاملاً بهذا المسرح حتى أول رمضان .

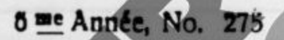


يقوم (تيرون باور) بالدور الأول في رواية (ماري انتوانيت) أمام نورما شيرر ، ويشترك في تمثيل هذا الفلم (جون باريمور) و (أنيتالويس) ويعرض هذا الفلم في سينما رويال


الرسالة
العدد ٢٧٥
السنه السادس

5 me Année, No. 275

Lundi - 10 - 10 - 1938



بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع عبد العزيز رقم ٣٦

العتبة الخضراء — القاهرة

ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العـدد ٢٧٥ «القاهرة فى يوم الاثنين ١٦ شعبان سنة ١٣٥٧ — ١٠ أكتوبر سنة ١٩٣٨» السنة السادسة

الفهـــرس

صفحة

فى سبيل فلسطين

المؤتمر البرلمـــانى

للأمم العربية والاسلامية

لأول مرة فى تاريخ العروبة والحنيفة يجتمع وفود الأمم الإسلامية الشرقية والغربية فى مكان واحد على شعور متفق وغرض مشترك وسياسة عامة . ولهذا الحادث الفريد المجيد معانٍ من الدعوة النبوية التى قامت على جلجلة الوحى ويقظة الضمير ، وانتصرت بقوة الإيمان وعبقرية الجنس ، وانتشرت بوحدة العقيدة والفكرة والهوى والألم . فإن السبب الأول فى نجاح الدعوة الكبرى إنما يرجع إلى يقظة الحس العربى واستعداده للكمال الروحى والاجتماعى فى زمن البعثة ، كما تتيقظ الأرض وتستعد للتجدد والإثمار فى زمن الربيع . ومحنة فلسطين على فداحتها لو حدثت فى غير هذا الوقت لمرت على مشاعر العالم الإسلامى كما تمر الريح العَصوف بالصخور الصم فى الجبل ، أو بالجذور الميتة فى الغابة .

وهل مأساة فلسطين إلا فصل من مأساة الأندلس ؟ ومع ذلك حدثت تلك على مسمع الدول العربية والإسلامية فلم تثر لمحنتها أمة ، ولم تتفق على نصرتها كلمة ؛ وانقطع أنين الأندلس الشهيدة على فنون شتَّى من عذاب الجسم والروح ، والمسلمون والعرب غافون

من خدَر الذل والاستكانة لا يحفلون بالوجود ولا يشعرون بالزمن . فلو كان الألم وحده مغنياً فى إيقاظ الشعور وتأليف القلوب وجمع الأيدى، لكانت هذه النكبة وحدها حرية بتوحيد الأشتات و بعث الأموات وتناصر الأخوة

أريد أن أقول إن هبَّة العرب والمسلمين لنجدة فلسطين إنما انبعثت عن حياة جديدة ، كانت فلسطين مظهراً لها لا سبباً فيها ؛ وهذا هو الأمر الخطير الذى ينبغي لخصومنا أن يحسبوا حسابه و يتدبروا عواقبه . فإن فلسطين نفسها ما كانت تستطيع بفقرها وقلتها أن تنازل اليهود وهم أغنى الشعوب، وتصاول الانجليز وهم أقوى الدول ، لولا هذه الحياة الجديدة . وصحوة العرب ليست كصحوة غيرهم من الأجناس ، فقد صحوا صحوتهم الأولى فملكوا الأرض والسماء، وخلفوا الرسل والأنبياء، وقادوا العقول والأهواء، ولا يدرى إلا الله ماذا يفعلون فى هذه الصحوة الأخرى

***

فى الساعة الخامسة من مساء يوم الجمعة الماضى اجتمع فى مؤتمر القاهرة البرلمانى المغرب ومصر وفلسطين وسورية ولبنان واليمن والعراق و إيران والهند والصين و يوغسلافيا وعرب المهجر للدفاع عن فلسطين، فكان هذا الحشد الحاشد فى لغة الحرب تعبئة عامة لقوَى العروبة والاسلام ذياداً عن جزء عزيز من أجزاء وطنهما الأكبر، دهمه المستعمر بالقوة ، واقتحمه المستثمر بالحيلة ، فوقف يدافعهما عن قُوتِه وعن سكنه ، ولا وزَر إلا الحق ، ولا عُدة إلا الصبر، ولا سبيل إلا التضحية . أجل ، عبأت العروبة قواها بعد أن سألت انجلترا الحق فلم تعط ، وناشدتها العدل فلم تجب ، وأهابت بضمير الإنسانية فى قاعة العصبة، ودار البرلمان، و إدارات الصحف ، فلم تجد إلا طمعاً ختم على الأسماع ، وهوى غشَّى على الأفئدة ، وسياسة قامت على المقايضة والمقارضة بين القوى والقوى على حساب المخدوع والضعيف

لقد بلغت القضية الفلسطينية اليوم حد الفصل ، فهيهات يغنى الجدال والمطال والخديعة . كانت فلسطين قبل هذا المؤتمر تجاهد العدو وحدها بالاستبسال والمصابرة ، و إخوتها فى الشرق والغرب لا يمدونها إلا بأسلحة العجز من كلام ودموع . فلما رأوا أن حقهم يميته القول ، و باطل غيرهم يحييه الفعل ، جمعوا أمرهم على الجد، وطووا قلوبهم على العمل ، وقالت مصر على لسان نائبها وخطيبها الأستاذ علوبة باشا : « إن الحلال بيّن والحرام بيّن ، ومن الخير أن تعمل الوزارة الإنجليزية على البت فى مأساة طال أمدها وتنوعت كوارثها ، فإما اعتراف بحق المظلومين ، وإما جنوح إلى باطل الصهيونيين » . وقالت العراق بلسان نائبها مولود باشا مخلص : « إن السلام لا يمكن استقراره إلا بحل عادل لمشكلة فلسطين ، و إن العراق مستعدة لأى عمل لإنقاذ فلسطين » . وقالت سورية بلسان ممثلها وخطيبها الأستاذ فارس الخورى بك : « إن قيام دولة أجنبية بين نحر الأمة العربية وقلبها لا يوافق عليه العرب بحال من الأحوال . وفلسطين قلب العروبة حقًّا، لأنها تتصل بمصر وشرق الأردن والعراق وشطرها الآخر : سورية » . وطلبت الهند إلى انجلترا بلسان رئيس وفدها الأستاذ عبد الرحمن الصديقى أن تختار إما المسلمين و إما أعداء المسلمين . وقال : « إن ثمانين مليوناً من الهند على استعداد لأن يلبوا أول صوت يصدر عن القاهرة » . وقالت سائر الأمم على ألسنة وفودها مثل هذا ، فلم يبق لانجلترا حليفةِ العروبة والإسلام إلا أن توازن بين ذهب الصهيونيين ، وصداقة العرب والمسلمين ، وتنظر إليهما فى كفتى الميزان فتعلم أيهما أرجح وزناً فى الحرب العالمية المقبلة ، وأغلى قيمة فى السوق الاقتصادية العامة ، وأقوى أثراً فى إقرار السلم في الشرق القريب والبعيد

***

إن حياة انجلترا فى السلم ، وشرفها فى العدل ، وسلطانها فى الديمقراطية ؛ وفلسطين كانت منذ أنشأها الله بلاء على المعتدى وشؤماً على الظالم . وقد التقى عندها الغرب والشرق مرة فى عهد عمر ، ومرة فى عهد صلاح الدين ، فكانت العاقبة فى كلتا المرتين غروب الغرب وشروق الشرق ، فهل يريد تشمبرلن رسول السلام ونصير الإنسانية أن يجمعهما على ثراها مرة ثالثة ؟

احمد حسن الزيات

فلسطين لا تقهـــر

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازني

كنا فى حديث فلسطين يوما ، فأخذ بعضنا يصف ما يبدى الثوار من الجرأة ، والذكاء ، وسعة الحيلة ، وحسن التدبير والحكمة ، وروى فى هذا المعرض قصصا عجيبة ، فهم بالقليل الموجود من السلاح القديم ، يقاومون أمضى الأسلحة الحديثة ، من طيارات ، ودبابات ، ومدافع جبلية ، ومدافع رشاشة ، وليس لهم سيارة واحدة يتنقلون بها ، ولكنهم فى كل مكان ، ويصنعون القنابل بأيديهم ، ويتخذون من أنابيب الماء فوهات مدافع ، ويتخذون خطة الهجوم فى كل حال ، ويتولون الحكم بين الناس ، ويقضون بالعدل ، ويفضون المنازعات ، ويطوون صفحات الخلافات والمداوات القديمة ، ويدخلون المحاكم ، وينحون قضاة الحكومة ويقضون هم فيها هناك ، فينفذ أمرهم ، ولا ينفذ أمر الحكومة ، ويشيرون باتخاذ « العقال » بدلا من الطربوش أو غيره من ألبسة الرأس ، فاذا هو على رأس كل عربى من أبناء البلاد ، ولو كان يصطاف فى مصر أو سورية . وقد زالت هيبة الحكومة ؛ وكفت « محاكم الصلح » عن العمل إلا فى مدن أربع ليس إلا ، وصارت الحكومة الحقيقية هى حكومة الثوار .

وقال أحد الذين كانوا فى المجلس: « إن هذا العجيب ! ولا شك أن بين الثوار كثيرين من المثقفين والمتعلمين ؛ ولكن السواد الأعظم أقرب إلى السذاجة والفطرة ، فكيف تيسر كل هذا لهم ؟ »

فلم يسعنى إلا أن أقول : « إنهم يعملون بوحى الفطرة المستقيمة . وليس عجيبا أن يحسنوا التدبير ، ويحكموا الخطط ، ويضبطوا الأمر ، ويظهروا ذكاء واقتدارا . وهل كان عمر بن الخطاب ، وخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، ومعاوية وأضرابهم من خريجى كمبردج ، وسان سير ، ومن حملة البكالوريوس والماجستير والدكتوراه ؟ أريد أن أقول إننا لا نتعجب لما ظهر من مواهب العرب بعد ظهور الاسلام ، وما كان من تغلبهم على دولتين كبريين فى ذلك المهد ، وفى آن معا ، فلا محل إذن للتعجب لما قدرت عليه ثورة العرب فى فلسطين حيال دولة كبرى شاكية مستمدة »

والواقع أن فلسطين لم يعد فى الأمكان قهرها وإرغامها على قبول مالا تقبل . ولقد استفزها إلى هذه الثورة المجيدة ظلم أريد بها ولا مثيل له فى التاريخ ، على الأقل فيما أعرف أنا . ويجب أن نذكر أن العرب كانوا حلفاء لبريطانيا وزميلاتها فى الحرب العظمى ، وقد خرجوا على دولة الخلافة يومئذ ، وهى دولتهم ، وأ كثرهم مسلمون ، بل كان الثائرون على السلطنة العثمانية ، الملتحقون بجيش الثورة العربية ، من المسلمين .

فعلوا ذلك لأنهم طلبوا الحرية ، ونزعوا إلى الاستقلال . وقد عرفت بريطانيا هذا ، ورضيت به ، وشجعتهم عليه ، ووعدتهم بتحقيقه ؛ ولو كانوا يعلمون أنهم سيصيبهم ما أصابهم لما ثاروا ، إذ لا خير ولا معنى لاستبدال نير بنير

وهذا الجيش العربى هو الذى أعان على فتح فلسطين وسورية ، وسلخ البلاد العربية كلها من السلطنة العثمانية . وكان جيش بريطانيا يدخل بلداً بعد بلد ، فيجد الأمور ممهدة ، ويقابل بالترحيب والحفاوة ، لأنه حليف العرب . فماذا كان جزاء العرب؟ مزقت بلادهم كل ممزق ، وأخلفت الوعود كلها ، فلم ينجز الحلفاء للعرب منها واحداً . وما استقلت العراق إلا بثورة ، ولا عقدت المحالفة السورية إلا بثورة بل ثورات ، ومع ذلك لا تزال معلقة لا يعرف مآلها أحد . أما فلسطين فكان خطبها أدهى ، فما ا كتفت بريطانيا بالانتداب ، بل رمتها بشعب غريب فتحت له الثغور وقالت له ادخل ، واستول على البلاد ، وأقم لك فيها دولة ، واتخذ منها وطناً . وما كانت البلاد بغير أهل حتى تفعل بريطانيا ذلك، ولا هى بالأرض الواسعة الرقعة، المظيمة الخصب ، حتى تحتمل هذا السيل من المهاجرين إليها . وإن اليهود لمضطهدون

فى أنحاء شتى من الأرض ، ولكن ماذنب فلسطين ؟ ومن تهكم الحوادث وسخر الأقدار أن ترمي بالهجرة اليهودية والوطن القوى الصهيونى البلاد العربية التى نعم اليهود فى ظل دولتها بالعدل والعطف والحرية كما لم ينعموا فى ظل دولة أخرى ، فقد كانوا فى الأمم الأخرى مضطهدين محقرين ، وكان البريطانيون أنفسهم فى القرون الوسطى يعدونهم أنجاساً منبوذين. ونحسب أن اليهود يقرأون روايات وولتر سكوت !.

فاذا كان الشعب الفلسطينى قد ثار، فله العذر ؛ وإذا كان على قلة عدده وانقطاع المدد عنه ، قد راع الدنيا بثورته الجليلة فلا عجب ، فانه يدافع عن حقله وبيته بأدق المعاني العرفية للفظ الدفاع عن الحوزة ، فان بيته ينسف بالديناميت فيشرد هو وأبناؤه ونساؤه فى الجبال الجرداء ، والسهول الخصبة التى يملكها تقتطع وتوهب للدولة الصهيونية ، فماذا يصنع هذا الشعب غير أن يثور ؟ وماذا يسمه ، وقد ثار ، إلا أن يستبسل ويستميت ؟ إنه موت بموت ، فالموت مع الشرف وبعد الدفاع الكريم إلى الرمق الأخير ، أولى من الموت جوعا فى جبال عارية لا ماء فيها ولاشجر ، هى التى يراد طرد العرب اليها لانشاء الدولة الصهيونية

يضاف إلى هذا أن الغدر الفظيع الذى تنطوى عليه هذه السياسة ، بشعب كان من أقوى الأعوان لبريطانيا فى الحرب العظمى، وأخلصهم لها ، يضاعف عزم الثوار، ويجعلهم أقوى وأجرأ

ومن الجلى أن سياسة الوطن القوى على حساب العرب قد أخفقت ، وأن إنشاء دولة صهيونية فى فلسطين قد ارتد إلى عالم الخيال الذى لا محل له فى عالم الحقائق . ومن الواضح الآن أن على بريطانيا إذا أرادت إمضاء العزم على تقسيم البلاد وإقامة دولة للصهيونية فيها ، أن تجيش الجيوش وتسير الأساطيل لتفتح فلسطين عنوة ، فما يكفى كل مالها هناك الآن من قوة وعتاد . وأوضح من ذلك كله وأجلى حقيقتان أخريان ، فأما الأولى فتلك أن ثورة فلسطين — وهى أعدل ثورة قامت فى الدنيا وأروع ما شهد العالم من مثيلاتها — قد جمعت قلوب العرب فى الأقطار جميعا وألفت بينها ، فهم الآن أمة واحدة وإن كانت دولهم كثرا ، وعلى بريطانيا أن تختار صداقة هذه الأمة أو عداوتها، وعليها أن تقيس قدرة العرب جميعا إلى قدرة فلسطين وحدها ونعتقد أنها تؤثر صداقة العرب ولا تجازف بعداوتهم ولا سيما أنه ليس لها باعث من مصالحها الخاصة الحيوية على اختيار خطة العداء . والعرب يقولون الآن لبريطانيا كما قال ابن الرومى

أمامك فانظر ، أى نهجيك تنهج
طريقان شتى ، مستقيم ، وأعوج

والمستقيم أولى ، وهو الذى سيكون إذا كان علمنا بالانجليز ليس كله خطأ .

والحقيقة الأخرى أن بريطانيا لا تخدم اليهود بهذه السياسة ، وإنما تثير عليهم نقمة العالم العربى والعالم الاسلامى ، وهم أمة لا ينقصها أن يزيد كارهوها . ونحسب أن اليهود قد بدأوا يدركون هذا ، ويفطنون إلى أن السياسة الصهيونية تورثهم عداء هم فى أشد الغنى عنه .

ابرهيم عبد القادر المازنى

أشرق الأمل يا فلسطين!

للأستاذ علي حيدر الركابي

لقد قضيت عمري تائهاً في صحراء الحياة، أرى العواصف الهوجاء تهب حولي حتى تكاد تطمرني فأسير وأنا واقف في أرضي، وأرنو إلى الأفق البعيد أنشد فيه خيال واحة أستظل بظلالها وأرتوي بمياهها، فاذا بالأمل قد خاب، وإذا بالسراب قد تلاشى وانكشف عن قفار تمتد إلى اللانهاية لا أدرى إلى أين المصير

وقد قضيت عمري غريقاً في بحر الحياة اللجب، تتقاذفني أمواجه الملتجة حتى كادت، تغرقني فكنت لا أتقدم خطوة نحو شاطئ النجاة إلا أبعدتني عنه خطوات؛ وكانت الأمواج ترفعني تارة فيخيل إلى أني قد بلغت مثلي الأسمى؛ ثم تسخر بي وتضحك ملء شدقيها وتفتح فاها المخيف وتجذبني إلى أعماق جوفها وكأنها تريد ابتلاعي، فأشعر أن قد دنا أجلي وأصيح وأستغيث ولكن لا ملبي لندائي ولا مغيث

وقد قضيت عمري هائماً في ليل الحياة المظلم وقد خيم سواده على كل مخلوق فحجب عني الحقيقة، وضللت الطريق ورحت أخترق حجب الظلام ببصري علِّه يقع على قبس من نور ولو ضئيلا أهتدي به. ولكن الجهد كاد يفقد عيني بصرها فسرت وأنا كالأعمى أتخبط في دياجير الظلام بلا هدف ولا أمل

وقد صعدت قمة الهرم الكبير، وأجلت الطرف حولي، ثم انحدرت إلى الوادي السعيد فلم أعثر على منقذي، بل عثرت على نفوس فقيرة حقيرة قد أضعفتها الجيوب المنتفخة، وضربت حولها أسواراً من الذهب الوهاج، وأقامت لها داخل هذه الأسوار عروشاً من الماس فاستوت عليها قانعة شاكرة، وعثرت إلى جانب هذه النفوس الفقيرة الحقيرة على نفوس غنية كبيرة قد نمتها يد البؤس والشقاء وحصرتها في أسوار من الاملاق، فلما عجزت عن تحطيمها أو اجتيازها خضعت للأمر الواقع واستسلمت للأوهام تستمد منها حرية تستعيض بها عن حرية الحقيقة. فيئست من النفوس الفقيرة وبكيت على النفوس الغنية وغادرت الوادي السعيد وهرمه العظيم بقلب مفجوع وأمل خائب

وقد تبعت طريق بني اسرائيل لما خرجوا من مصر فقطعت صحراء التيه ثم وقفت على جبل الطور وتوجهت بناظري إلى الشرق فنفذ بي من أعماق النور الأعظم إلى أفق أسود قاتم تتدلى في سمائه الغيوم الباكية، ولاح لي شعاع من ذلك الأفق الممتد وراء الأردن فرقصت طرباً وخلت أنه النور الذي سيهديني، ولكني ما لبثت أن أدركت أنه برق بدا لحظة ثم اختفى وتلته رعود قاصفة تنذر بدنو العاصفة، فحولت بصري عن الشرق وأخذت أجيله في الجهات الأخرى عساي أحظى بضالتي المنشودة. إلا أني ما رأيت سوى القتلى في كل مكان قد صُرع كل واحد منهم بسهام ثلاثة خرجت من أقواس لثلاثة صيادين: أولهم مدوبها بنفسه معتمداً على مهارته ممتزاً؛ بقوته والثاني ضعيف لم يقو على شد القوس فاستأجر بدراهمه الكثيرة من يقوم مقامه من الرماة الماهرين؛ أما الثالث فقد كان يسعى ويجد حتى لا يخطئ قلب أخيه المغدور، يفعل ذلك طمعاً في اكتساب رضاء الأول والحصول على دراهم الثاني، فعريت صدري للسهام المتناثرة كي يصيبني أحدها فيضع حداً لحياة قد فقدت معناها وضلت هدفها إلا أن السهام أخطأتني ولم تفرج كربتي فغادرت الطور شقياً هائماً على وجهي

وقد انتقلت إلى جنة الله على الأرض وأطلقت روحي في الهواء فصاحبت الطير وحلقت معه في الفضاء الواسع بين الجبل الأشم والسهل الخصيب، تغرد معه على الأغصان، وتمضي معه إلى قيثارة الغدير. ولما عادت هذه الروح إلى جسدي أنبأتني بما فهمته من الطير والغصن والغدير؛ فقالت: إن الطير تبكي ولا تغرد، وإن الغصن قد قوسته الأحزان، وأن الغدير يرسل زفرة الكليم، وذلك لأن هذه المخلوقات قد أرسلها خالقها هدية إلى قوم لم يقدروا قيمتها ولم يفهموا معناها، إذ أنهم استعاضوا عن الهدى وهديته بأصنام من صنعهم شيدوا لها الهياكل والمعابد وراحوا يحرقون أمامها البخور ويقدمون لها الضحايا؛ فلو عاد محمد صلى الله عليه وسلم نفسه لتحطيمها للاقى منهم ما لاقاه من قريش. فقلت: يا للمصيبة، وغادرت الديار غير آسف وتوجهت نحو الصحراء الشرقية يدفعني الألم مما خلفت ورائي والأمل بما استقبلت أمامي.

وقد جلست في قارب صغير وهمست في أذن النهر العظيم

قائلا : « إنك تحمل فى طياتك تجارب آلاف السنين ، وأخبار مئات الأقوام، وقد تمرّ فرعاك بأقصى البلاد وأدناها فبالله حدثنى » فلم أحظ منه بجواب لأنه كان نائماً فرفعت صوتى وكررت الطلب ففتح إحدى عينيه ثم الأخرى ثم تثاءب وأعقب ذلك ضحكة اهتز لها صدره حتى كاد قاربى ينقلب ثم قال « إنى لمرتاح ، وإنى لمسرور كما ترى . فقد مرت عشرات السنين وأنا أشق طريقى إلى البحر بكل حرية فلا يعترضنى أحد ولا يُنقص من مادتى شيئاً » فثرت على هذا الكسل وصحت: « ولكن هذه الحرية المزعومة إن أرضتك فقد أشقت التربة الصالحة وقلبتها صحراء قاحلة حتى مدّ الجوع يده إلى ألف ألف بيت » . فضحك مرة أخرى وقال : « رويدك يا صاح ! وما شأنى أنا؟ ولِمَ تلومنى ؟ نعم أنا مرتاح إلى هذه النتيجة إلا أنى لم أكن سبباً فى وقوعها ... » ثم أغمض عينيه وعاد إلى سباته العميق وتركنى وحيداً وسط الخضم أنادى فلا أجد من يلبى وأصيح فلا أسمع سوى صدى صيحتى الضائعة .

ولما خاب كل أمل لى فى النجاة وأيقنت أنى سأبقى تائهاً فى الصحراء بلا دليل ، وغارقاً فى اللجة بلا منقذ ، وضالاً فى الظلام بلا نور هادى ، ولما تسرب اليأس إلى قلبى فاذا بى أرى العاصفة قد سكنت ، وإذا بيد بيضاء تمتد لانتشالى ، وإذا بالشمس الضاحكة تضئ ما حولى، وإذا بحياتى قد ملئ فراغها بالأمل لأن نفسى قد اهتدت أخيراً إلى الطريق الذى يوصلها إلى الغاية . فمن هو هذا المحسن العظيم الذى فعل ما عجز عنه غيره ؟ من هو هذا الانسان الذى استطاع أن ينفخ فى قلبى القانط روح الأمل ببنى الانسان ؟ وما الذى قام به هذا الشخص حتى أعاد لنفسى شيئاً من ثقتها بالبشر ؟

إنه طالب عراقى فقير أصغر منى سناً وأقل علماً، ولكنه مع ذلك قد لقننى — وهو التلميذ وأنا الأستاذ — درساً بليغاً فى الخلق السامى والتضحية النادرة .

تعاقب خطباء المدرسة على المنبر فهزوه هزاً وبُحّت حناجرهم وكلهم ينادى « فلسطين ! فلسطين ! » واحمرت الأكف من التصفيق وهى تقول بلغتها العجيبة « لبيك ! لبيك ! » ثم انقضى دور الدعاية والكلام وحل محله دور العمل والاغاثة الفعلية فاشتد الحماس وجاء الطلاب الريفيون الفقراء بالمال إعانة لمنكوبى فلسطين وبذلوا بذلاً وقف دونه من هو أوفر منهم مالاً . وفى وسط هذا الحشد الثائر جاس الطالب حكمة عبد العزيز يفكر ؛ فان قلبه مملوء إيماناً بالله ونبيه أولا ، ثم بلزوم إعانة فلسطين وهو لا يملك فلساً فما العمل ؟ ولكنه تردَّدُ لحظة لا أكثر اندفع على أثرها إلى المنبر وأخذ ينزع ملابسه حتى عرى جسده إلا مما يستر عورته وهو يعلن بصوت خرج من أعماق قلبه أنه لا يملك ما يتبرع به غير هذه الملابس (وأنا أعلم — والله يشهد — أنه معوز) فلتبع على قِدَمِها وليخصص ثمنها لاغاثة سكان الأراضى المقدسة . وما كاد يتم كلامه حتى دوى المكان بالتصفيق واهتزت الجدران بالهتاف العالى المتواصل . وعرضت ملابسه للبيع فتنافس الجميع فى شرائها كل يريد أن ينفرد بشرف الحصول عليها حتى بلغت قيمتها حداً عظيما . وأراد الشارى أن يعيد الملابس إلى صاحبها بعد أن تم القصد من تقديمها ولكن هذا أبى ذلك بشدة واعتبر هذا العمل إهانة له . وبعد ملابس حكمة أمطر الطلاب المنبر بوابل من أشيائهم الخاصة طالبين بيعها فهذا قدم قلمه السيال وذاك محفظته وثالث ساعته ورابع نظارته وهلم جرا .

هذا ما قام به طالب عراقى فقير من الأرياف، وهو عمل قد يعتبره بعض الناس عادياً، ولكن المتعمق لا يسعه إلا أن يعجب به ويمجده ويبنى عليه الآمال العظام لأننا نعيش الآن فى عصر شمل فيه الانحلال كل شىء حتى بات العمل الصالح نادراً يجب التمسك به وإعلانه إلى الملأ عند العثور عليه .

فاهنأ بعيشك ياحكمة فان أمة فيها شاب مثلك لن يكتب لها أن تموت، وإن شعباً فيه روح مثل روحك هو شعب حى سيسود رغم كيد العدوين : الأجنبى المستعمر والوطنى الخائن . سر فى طريقك على بركات الله ولا تجزع، فان كنت قليل المال أو معدومه فانك غنى النفس ، وقد استطعت بهذا الغنى أن تقدم لفلسطين مساعدة مادية ، وأن تضرب للشباب مثلاً سامياً فى التضحية ، كما أعدت إلى اليائسين أمثالى ثقتهم بشباب هذا الجيل — وكل ذلك وقف دون تحقيقه من هم أغنى منك مالا لأنهم أصغر منك قلباً وأحقر نفساً . نم مرتاح الفؤاد ياحكمة فان قصتك ستبقى خالدة على الدهر يستنير بها الشباب ويتخذونها شعاراً حياً يرمز إلى كل ما فى كلمة (جهاد) من معنى .

وأنت يافلسطين ، ماذا أقول وكل حرف من اسمك المطهر يفجر فى قلبى نبعاً جديداً من الأسى ؟ أأرثي لحظك المنكود أم أرثى أرضك التى لم تراعَ حرمة لقدسيتهـا ؟ أم أنوح على مئات الضحايا تقدمينها كل فجر على مذبح الشرف والحرية ؟ أم هل أشق الفضاء بصيحات أندب فيها قراك الخربة ومنازلك المهدمة وحقك المسلوب ؟ كلا والله ليس البكاء والعويل بمنقذك .

أي أندلسنا الجديدة: إن أبناء الأندلس القديمة لم يبخلوا بالندب والنواح والاستغاثة والصياح ، ولـكنهم مع ذلك خسروا بلادهم وأخرجوا عن دينهم لأنهم اكتفوا بأنات الألم واستسلموا لليأس وسلموا قيادهم من يجهل معنى الاخلاص . أما أنت فقد خرجت الآن من دور البكاء والاستسلام والتسليم ، وما عادت تجوز عليك خدع المتزعمين من أبنائك طلاب السلطة والمـال ، وقد دخلت أخيراً فى دور الجهاد المبارك الذى أعلنه المخلصون من أبنائك البررة — أبناء الشعب الساذج ذوى الايمان القوى والعقيدة الراسخة والأرض المسلوبة .

فجاهدى وناضلى يافلسطين واعلمى أنك قطعة ثمينة من الوطن الأكبر الذى لا يزال فيه بقية من الخلق الذى كان يتحلى به فتيان محمد (ص) الأولين . وهذه البقية الباقية إن كانت ضئيلة اليوم فلن تبقى ضئيلة إلى الأبد فانها والله لكالجمرة التى خلفتها النيران فى الرماد وظن الناس أنها منطفئة، حتى إذا ماهبت العاصفة أطارت الرماد وعرّت الجمرة ونفخت فيها الحياة فاحمرت ثم اندلعت منها ألسنة اللهيب واتصلت بما حولها وتوسعت دائرة الاشتعال حتى أصبح إخمادها فى حكم المستحيل . وها هى ذى عواصف الاضطهاد والارهاق تكتنفنا من كل جانب وهى كفيلة باذكاء نار الحمية فينا وإعادة ذلك العهد الذى دُكت فيـه عروش الأكاسرة والقياصرة على يد فئة قليلة يقودها بدوى أمى خرج من قلب الصحراء المقفرة .

وهذا الأمل الجديد الذى أبشرك به يافلسطين لقد ولده فى قلبى عمل حكمة أحد فتيان محمد (ص) . فأرسلى ناظريك إلى ماوراء الصحراء وترقبى — مثلى — خروج القائد المنتظر فى بلاد (حكمة) ومن جيل حكمة .

* بغداد — دار المعلمين الريفية

علي حيدر الركابي

فى مصر الاسلامية

تنازع البقاء بين العلوية والعثمانية

للدكتور حسن إبراهيم حسن

الأستاذ بكلية الآداب

كان من العوامل الخارجية التى نازعت سلطان العلويين فى مصر وجود حزب الأمويين فى الشام ، وعلى رأسه معاوية ابن أبي سفيان الذى أخذ يعمل على سلخ مصر من على بن أبي طالب . وسار معاوية إلى هذه البلاد ونزل بسلمنت من كورة عين شمس (فى شوال ٣٦ هـ) ، فخرج إليه ابن أبي حذيفة وأنصاره ليمنعوه ، فبعث إليه معاوية يخبره أنه لايريد قتالاً وإنما يريد أن يدفع إليه رءوس قتلة عثمان ، فأبى ذلك عليه ، فبعث معاوية يطلب إليه تبادل الرهائن والودائع ، كى يضمنوا جميعاً أن يكفّ الفريقان عن الحرب ، فقبل ذلك ابن أبي حذيفة .

ولعل ابن أبي حذيفة لم يفطن إلى ما كان يرمى إليه معاوية ، وأن هذا الطلب لم يكن فى حقيقة الأمر إلاّ مكيدة حاك شرا كها دهاؤه ، فاستخلف على مصر رجلا من أنصاره ، هو الحكم بن الصلت ، وخرج فى الرهن هو وغيره من قتلة عثمان ، ثم سجنهم معاوية في « لدّ » من أرض فلسطين ، وسار إلى دمشق ، فهربوا من سجنهم ، إلاّ واحداً أبى الفرار ، فتعقبهم عامل معاوية وقتلهم ، وكان من بين القتلى محمد بن أبي حذيفة . (ذو الحجة ٣٦ هـ) وذلك بعد قتل عثمان بسنة كاملة [1]

ولسنا ندرى كيف يعلل خروج ابن أبي حذيفة ، وهو رأس شيعة علىّ فى مصر وغيره من أنصار العلويين وزجه بنفسه فى مغامر هذا الرهن . بيد أن المصدر التاريخى الذى نعوّل عليه فى هذه المسألة وهو كتاب « الولاة » للكندى (٣٥٠ هـ) أقدم مؤرخى مصر بعد ابن عبد الحكم (وعنه أخذ غيره من المؤرخين المتأخرين ، وأهمهم ابن دقماق والمقريزى وأبو المحاسن والسيوطى) لم يذكر لنا السبب الذى حدا بابن أبي حذيفة وأنصاره إلى الذهاب فى الرهن ، بل ولم تذكر المراجع كلمة واحدة عن رجال معاوية الذين دخلوا في هذا الرهن ، الذى لم

(١) الولاة للكندى ص ١٩ — ٢٠ والخطط للمقريزى ج ٢ ص ٣٣٦

يكن في حقيقة الأمر — إن كان قد وجد فعلا — على قدم المساواة بين الفريقين المتخاصمين .

وقد يكون معاوية رأى أنه مع استطاعته فتح مصر أن الوقت لم يحن بعد لهذا الأمر ، إذ لابد له من الاحتفاظ بقوة كبيرة لمنع مناوأة العلويين ، لأن جميع أهل مصر بايعوا ابن أبي حذيفة إلا نفراً يسيراً انتصروا لعثمان [1] ، فعول معاوية على استئصال شأفة رءوس قتلة عثمان ليتمكن من حرب علي ثم يستولى على مصر متى تهيأت له الفرصة بعد أن يوقع بجيش علي .

وبعيد جداً أن يكون ابن أبي حذيفة قد اضطر إلى قبول طلب معاوية ، لأن الرجل لم يبال بخصمه . يدلك على ذلك أن معاوية لما بعث إلى ابن أبي حذيفة يطلب منه أن يدفع إليه عبد الرحمن بن عديس وكنانة بن بشر وهما رأس قتلة عثمان امتنع ابن أبي حذيفة وقال : لو طلبت منا جدياً رطب السرة بعثمان مادفعناه إليك [2] » وهذا يحملنا على الظن بأن معاوية لجأ إلى هذه الحيلة حين لم يجد جهوده الحربية مع ابن أبي حذيفة نفعاً .

ولما بلغ علياً قتلُ ابن أبي حذيفة ولى مصر قيس ابن عبادة الأنصاري ، فدخلها في ربيع الأول ٣٧ هـ ، وكان من أهل الرأي والبأس ، واستمال إليه العثمانية المقيمين بخُرْبتا (شرقي الدلتا) وأحسن إليهم ، وكان أهل مصر إلا هؤلاء (وعددهم زهاء عشرة آلاف) مع عليّ بن أبي طالب .

وقد حاول معاوية وعمرو بن العاص التغلب على مصر ، فامتنع قيس هذا على معاوية ، فلم يكن بدٌّ إذاً من إعمال الحيلة لإخراجه ، فأذاع معاوية أن قيساً من شيعة عثمان وأنّ كتبه تأتيه . فلما سمع عليّ بذلك ، أَمَرَ قيساً بمحاربة العثمانيين بخربتا ، فأجابه بأنه أمّنهم على أنفسهم ليأمن جانبهم ، لأن فيهم كثيرين من وجوه أهل مصر وأشرافهم ، فعزله عليّ وولّي مكانه الأشتر بن مالك لأنه ثقل عليه ، فأبعده عنه [3] .

على أن والي مصر الجديد لم يكد يصل القلزم (وهي السويس الحالية) حتى شرب شربة من العسل لايبعد أن يكون قد دُس له فيها السمّ فمات ، فولي مصر بعده محمد بن أبي بكر [4] ، فأظهر الخيلاء ، وأساء إلى العثمانية ، وبعث إلى رأسهم معاوية بن حُدَيْج يدعوه إلى بيعة علي ، فلم يجبه إلى طلبه ، فهدم دورهم ، ونهب أموالهم ، وآذى أولادهم ، وحبسهم ؛ فعولوا على حربه ، ولكن ابن أبي بكر رأي أن يتلافى مافد يجره الاشتباك في حرب معهم فصالحهم ، ثم سيرهم إلى معاوية فبقوا هناك إلى أن انتهت موقعة صفين وعقد التحكيم .

ولم يكن معاوية بالذي يَفْتُر عن استخلاص مصر وانتزاعها من علي . وزحف عمرو بن العاص على رأس جيش من أهل الشام ، وحَمِيَ القتال بين الفريقين ، فوقعت الهزيمة على أهل مصر ، ودخل عمرو الفسطاط واختفى محمد بن أبي بكر ، فبعث معاويةُ بنُ حديج عدوُّه القديم العيون والأرصاد ، حتى اهتدوا إلى مكانه ، فقتله ابن حُديج ثم جعله في جيفة حمار ، وأحرقه بالنار وكان ذلك في صفر سنة ٣٨ هـ .

وبذلك خلصت مصر لمعاوية ، فولاها عمرو بن العاص ولاية مطلقة ، وجعلها له طعمة بعد النفقة على جندها ، وما تحتاج إليه من ضروب الاصلاح . ولما قتل عليّ بن أبي طالب سنة ٤٠ هـ ، وتحولت الخلافة إلى بني أمية ، أصبحت الأجناد وأهل الشوكة في مصر شيعة عثمان ، بيد أن بقية المصريين ظلّوا يشايعون علي بن أبي طالب وأهل بيته ، فظل العداء قائماً بين الحزبين في هذه البلاد (وفي غيرها) طوال عهد الأمويين ، وفي الصدر الأول من أيام العباسيين .

حسن ابراهيم حسن



(١) الكندي : شرحه ص ١٧
(٢) شرحه ص ١٩
(٣) الولاة والقضاة للكندي ص ٢٠ — ٢٢
(٤) كان دخوله مصر في منتصف رمضان سنة ٣٧ هـ .

من مشاكل التاريخ

مكتبة الأسكندرية

تأسيسها ورواية احراقها

للأستاذ خليل جمعة الطوال

تنزع بعض الأقلام عن جادة الصواب إلى هوة التغرض والتشيع ، وتساق إليها بتهور عاطفة أصحابها ، وانحيازهم معها إذ يكتبون مائلين إلى الناحية التي تكمن فيها أغراضهم الذاتية ، وأهواؤهم القومية والعنصرية . والعلم متى اصطبغ بالتشيع ، وتلون بالتغرض ، ومال حيث تميل العاطفة ، فسد وصار باطلا مفتعلا، وهراء مبتذلا . ومن نكبة العلم أن تقوم فئة من المؤرخين المتشيعين ، فتعلن عداءها للعرب ، وتروح بدافع هذه العداوة تشوه وجه تاريخهم المشرق بشتى الوسائل والسبل ؛ آنا بالوضع والاختلاق ، وحينا بسوء التفسير والتأويل ، حتى نفثت فيه من سمومها كل ما ينتقص جليل قدرهم ، وينال جميل سمعتهم ، ويضع من عالي مكانتهم ، وذلك شفاء لغيظ نفوسها ، وإطفاء لحزازات صدورها . ومن هذه السموم والأباطيل ما يروج له بعضهم من أن الفاروق هو الذي أمر باحراق خزانة الاسكندرية على حين قد أثبت المنصفون أنها قد أحرقت قبل الفتح الاسلامي

تأسيس هذه المكتبة

لم يكد الاسكندر المقدوني يعبر البحر إلى آسيا ، ويمعن في أقطارها فتحاً واستعماراً ، ويستولي فيها على إرث ملوك الفراعنة والبابليين والأشوريين والفرس ، حتى أخذ يستفيد من حضارات ومدنيات وعلوم وآداب هذه الأمم المغلوبة على أمرها ، فسعى في نقل ما في خزائنها إلى اللسان اليوناني والقبطي وأرسله إلى مصر. فقد ذكر ابن النديم في كتابه الفهرست ص ٣٢٩ ما نصه : « إن الأسكندر لما فتح عاصمة الفرس « اصطخر » نسخ جميع ما في خزائنها من الكتب إلى اللسان اليوناني والقبطي ، وبعث بها وبسائر ما أصاب من العلوم والأموال والخزائن والعلماء إلى مصر »

وفي عام ٣٢٣ ق . م . توفي الاسكندر فكأنما كان موته ريحاً زعزعاً ، بدد شمل تلك الأمبراطورية التي أقام بنيانها ، وأسس دعائمها ، إذ اقتسمها قواده من بعده ، فاختل النظام ، واضطرب حبل الأمور ، وعمت الفوضى وكثرت المظالم ، فرحل معظم علماء اليونان عن بلادهم إلى مصر والشام والعراق ، حاملين معهم نتاج قرائحهم ، وخصب عقولهم ، فأنشأوا المدارس في الاسكندرية [(١)] وانطاكية وبيروت ، وكانت الاسكندرية إذ ذاك تحت حكم البطالسة ، وكان سوتر أول ملوكهم عادلا محباً للعلم والعلماء ، فتوجهت إليها الأنظار ، وتوافدت عليها العلماء والأدباء والفلاسفة ، أفواجاً أفواجاً ، حتى غصت بهم مدارسها ودورها وأنديتها . فتقرب إليهم سوتر ، وأدناهم من بلاطه ، وأغدق عليهم منحه وعطاياه ، فكان ذلك مشجعاً لهم على مواصلة البحث والدرس والتأليف ، فأصبحت الاسكندرية بفضل سياسته قبلة المتأدبين ، ومثابة العلماء يحجون إليها من مختلف الأقطار ، ويجدون فيها من أسباب اليسر والرخاء ما ينصرفون معه إلى مواصلة دروسهم والانقطاع إليها

ويروي لنا التاريخ أن خطيباً أثينياً اسمه ديمتريوس فاليروس كان قد أشار على سوتر بانشاء مكتبة يجمع إليها الكتب من مختلف أنحاء الدنيا ، فقبل مشورته ، وعهد إليه بذلك ، فأخذ فاليروس يجمع الكتب ويبتاعها من تجارها بغالي الأثمان ، فجمع منها في مدة وجيزة (٥٤ ألف كتاب) ، فتكون منها مكتبة الاسكندرية الشهيرة التي عبثت بها الأيام فيما عبثت ، وقد كانت تحتوي على الكتب التي بعث بها الاسكندر من اصطخر وغيرها إلى مصر ، ثم أنشأ سوتر المتحف أو النادي على شكل مدارس أوربا ، ويعرف في التاريخ باسم مدرسة الاسكندرية الشهيرة [(٢)]

وفي عام ٢٨٥ ق . م . تولى عرش البطالسة بطليموس فيلاذلفوس ، وكان كسلفه محباً للعلم مشجعاً له ، فعمل على توسيع هذه المكتبة ، وأضاف إليها من كتب علوم اليونان وغيرهم ما لم يكن موجوداً فيها ، وابتاع لها الكتب التي كانت موجودة عند أرسطو ، وكثيراً من مؤلفات اليهود والمصريين القدماء [(٣)]

(١) راجع تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ١٢٥
(٢) راجع : التمدن الاسلامي لزيدان ج ٣
(٣) راجع : المصدر نفسه وتاريخ مصر الحديث

ومن المؤرخين من ينسب فكرة تأسيس هـذه المكتبة إلى بطلوماوس لا إلى سوتو، فقد ذكر ابن النديم فى كتابه الفهرست ص ٢٣٩ رواية عن إنشاء هذه المكتبة لرجل يدعى إسحق الراهب وإليك نصها: « إن بطلوماوس فيلاذلفوس من ملوك الاسكندرية لما ملك فحص عن كتب العلم وولى أمرها رجلا يدعى بذميرة فجمع من ذلك على ما حكى أربعة وخمسين ألف كتاب ومائة وعشرين كتاباً، وقال له: أيها الملك قد بقى فى الدنيا شىء كثير فى السند والهند وفارس وجرجان والأرمان وبابل والموصل وعند الروم »

وفى دار الكتب المصرية نسخة خطية من كتاب تراجم الحكماء لوزير حلب المعروف بالقفطى، تحتوى على نفس عبارة الفهرست عن تاريخ هذه المكتبة ومؤسسها. على أن الثابت من إجماع آراء المؤرخين والمستشرقين هو أن المؤسس لهذه المكتبة هو سوتر لا بطلوماوس، ثم جاء هذا فعمل على توسيعها، ثم خلفه بطليموس أورجينوس عام ٢٤٧ق. م. فأضاف إليها كثيراً من كتب الأدب والشعر والتمثيل مما وجده فى خزائن أثينا. ويروى أنه فرض على كل من يقيم فى الاسكندرية أو يمر بها من رجال العلم أن يقدم للمكتبة نسخة من كل كتاب يملكه، فزهت الاسكندرية بذلك ونبغ فيها من العلماء عدد كبير[٢]

وما زال أمر هذه المكتبة فى تقدم مطرد وازدياد عظيم، فقد ذكر بطلر نقلا عن أميانوس مارسلينوس أنها بلغت سبعمائة ألف مجلد[٢]. وذكر العالم أكبرسيم أنها قد قسمت إلى شطرين ووضع الشطر الثانى منها فى معبد سيرابيس[٣]

وفى عام ٤٧ ق. م. حوصر « يوليوس » قيصر الروم بالاسكندرية فأحرقت جنوده قسما من هذه المكتبة عن غير قصد

ولـما تولى الامبراطور تودوسيوس أصدر أمراً بتحريض جماعة من المتعصبين للمسيحية بالقضاء على جميع المعابد الوثنية وجعل عاليها سافلها[٤] فنال هذه المكتبة العظيمة من جراء ذلك ضرر جسيم

(١) راجع: تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣
(٢) راجع: Butler, Alfred. J : The Arab Conquest of Eygpt. Oxford. 1902
(٣) راجع: Le Livre لأكبرسيم
(٤) راجع: الاسلام والحضارة العربية لمحمد كردعلى

وفى عهد الأمبراطور طيودوس منعت الآداب والفلسفة اليونانية منعاً تاماً بأمر الأسقف تيوفيل، وبأمره أيضاً دمرت السيرابيوم عام ٣٩١م. وبنى على أنقاضها كنيسة أو جملة كنائس ولم يبق من هذه الدار إلا بعض الجدران، كما ذكر سيديو (ج١ ص١٥٥)، وذكر أيضاً أن الكتب الوثنية التى كانت بالسيرابيوم قد أحرقت كلها، وأما الكتب العلمية فانها حملت إلى القسطنطينية ثم تطاولت الأيدى إلى هيكل « سرابيس » فدمرته وأحرقته فى الحال هو وجميع محتوياته والكتب التى كانت فيه.[١]

وهكذا تكون هـذه المكتبة قد دمرت وأحرقت غير مرة بأمر قياصرة وبطارقة الروم. وقد تلاشت قبل الفتح الاسلامى بمدة طويلة. ومن المؤرخين من يزعم أنها أحرقت دفعة واحدة، فقد ذكر بطلر نقلاً عن « ميانوس مارسلينوس » أن السبعمائة ألف مجلد التى كانت تحتوى عليها مكتبة الأسكندرية قد أتلفت إتلافاً تاماً حين حوصر يوليوس بالأسكندرية.[٢]

ومهما يكن من أمر الخلاف حول عدد مرات حريق هذه المكتبة العظيمة فان الآراء جميعها متفقة على أنها قد تلاشت قبل الفتح الاسلامى بقرنين، وأنه لم يكن فى الأسكندرية حين الفتح العربى ما يحرق من الكتب.

وحوالى عام ٤١٤م. زار أورازيوس الأسكندرية وذكر أنه وجد رفوف هذه المكتبة خالية من الكتب، وفى ذلك أكبر دليل على تبرئة العرب من هذه التهمة الشنيعة التى حملت عليهم زوراً.

شهادات المستشرقين

ونود بعد الذى فصلناه في هذه الكلمة المجلى أن ندلى بشهادات بعض المحققين المستشرقين في الموضوع:

قال مسبرك فى كتابه « الادعاءات الكاذبة »: « إن الافرنج هم الذين أحرقوا خزانة الأسكندرية[٣] ». وقال بونه مورى فى كتابه الاسلام والنصرانية نقلاً عن فوت واهلويلر فى كتابهما « جنايات الأوربيين » إن تيوفيل هـو الذى أحرق خزانة الأسكندرية لا المسلمين، لأن الدين الاسلامى لا يبيح إحراق الكتب.

(١) تاريخ عمرو بن العاص للدكتور حسن ابرهيم حسن.
(٢) تاريخ بطلر السابق وكتاب Babylon of Egypt
(٣) مبحث لسليم المغير فى النبراس، والاسلام والحضارة العربية جزء ١ لمحمد كرد على.

وقال غريفيني من علماء الشرقيات فى إيطاليا : بعد أن فتح عمرو بن العاص الأسكندرية مرت ستة قرون كاملة لم يسمع خلالها قول لمؤرخ مسلم أو غير مسلم يتعرض لاتهام عمرو بن العاص باحراق خزانة الأسكندرية . وينقض هـذه التهمة ما اشتهر به عمرو من سياسة اللين والتساهل التى جرى عليها وشهد له بها أشهر المؤرخين النصارى الذين كانوا فى عهده ، كيوحنا النيقيوسى فى كتابه تاريخ مصر القدي وضعه باللغة الحبشية القديمة .

وقال بونه مورى أيضاً : يجب [١] أن نصحح خطأ شاع طول القرون الوسطى ، وهو أن العرب أحرقوا خزانة الأسكندرية بأمر الخليفة عمر ، والحال أن العرب فى ذلك العصر كانوا أشد إعجاباً بعلوم اليونان وفنونهم من أن يقدموا على عمل كهذا، كما أنه معلوم أن قسما من تلك الخزانة كان قد احترق في أثناء ثورة الأسكندريين التى باد فيها أسطول قيصر ، وأن قسما آخر أحرقه النصارى فى القرن السادس ، واختط العرب الفسطاط وتركوا للقبط ممفيس ولم يتعرضوا لهم فى دينهم وعاداتهم، وأطلقوا لهم الحرية فى انتخاب البطريرك وبناء الكنائس . وغاية ما أبطل عمرو من العادات القديمة ، هو ما كانوا جارين عليه من زمان الوثنيين من رمى فتاة في النيل كل سنة التماساً لفيضانه

وقال أرنست رينان فى خطاب له فى المجمع العلمى الفرنسى :

... لست أعتقد أن عمرا هو الذى أحرق خزانة الاسكندرية لأنها أحرقت قبله بزمن طويل [٢]

وذكر أكبرسيم فى كتابه (Le livre) : لم تحرق مكتبة الاسكندرية التى قال بعضهم إنه كان فيها نحو سبعمائة ألف مجلد على يد الامام عمر ولا بأمره كما جاء فى بعض المصادر . فان هذه الدعوى من الأغلاط التاريخية العظيمة ، إذ لم يكن أثر لهذه الخزانة عند ما فتح العرب مدينة الاسكندرية

ومع كل هذه الشهادات ، وظهور الحق الجلى فى هذه الغلطة التاريخية الكبرى ، فهناك من لا يزالون متمسكين بهذه الأكذوبة المختلقة على العرب ، ويستندون فى تأييدها إلى أقوال هي فى قوتها أوهى من خيوط العنكبوت ، وسنورد فيما يلى بعض هذه الأقوال والروايات وندلل على فسادها

يزعم بعض المؤرخين أن أول من لفق هذه الرواية على العرب هو أبو الفرج بن العبرى فى كتابه « تاريخ مختصر الدول » وروى ذلك العالم الأنجليزى جيبون [١] فى تاريخ سقوط دولة الرومان قال : إن هذه الفرية على المسلمين قد لفقها أبو الفرج العبرى فى تاريخه مختصر الدول ، وذلك بعد الأسلام بنحو ستة قرون ، ولم يتعرض قبله أحد لذكرها من المؤرخين » وذكر أرفنج أن هذه الفرية لم يكن لها ذكر قبل ترجمة مختصر الدول إلى اللاتينية . على أننا لسنا نعتقد بصحة هذا الزعم ، إذ تبين لنا أن أول من نسب هـذه التهمة إلى عمرو بن العاص والفاروق هو عبد اللطيف البغدادى إذ ذكرها فى كتابه « الأفادة والأعتبار ص ٢٨ » وكان قد أتمه قبل ولادة أبى فرج عام ١٢٢٦ م .

رواية عبد اللطيف :

ففى أواخر القرن السادس للهجرة زار عبد اللطيف مصر وكتب عن مشاهدها وآثارها وذكر إحراق العرب لهذه المكتبة قبل أن يولد أبو الفرج ببضع وعشرين سنة وإليك [٢] نص عبارته : « ورأيت أيضاً حول عمود السوارى من هذه الأعمدة بقايا صالحة بعضها صحيح وبعضها مكسور ، ويظهر من حالها أنها كانت مسقوفة ، والأعمدة تحمل السقف وعمود السوارى عليه قبة هو حاملها . وأرى أنه الرواق الذى كان يدرس فيه أرسطوطاليس وشيعته من بعـده وأنه دار العلم التى بناها الأسكندر حين بنى مدينته وفيها كانت خزانة الكتب التى أحرقها عمرو بن العاص باذن عمر رضى الله عنه »

والظاهر أن هذه العبارة قد جاءت فى كلام البغدادي عرضاً عن غير قصد ، ومما يطعن فيها أن يذكرها بعد ستة قرون ولا يدل على المصدر الذى نقلها عنه ، والأغرب ألا يذكرها مؤرخان مسيحيان معاصران من مصر ، فقد كتب أفتيكيوس بطريرك الأسكندرية كلاماً مستفيضاً عن استيلاء المسلمين على ثغر مصر ولم يشر إلى هذه الحادثة قط ، وكذلك أوتينموس ، فانه لم يشر إليها أيضاً ، ومثله المؤرخ « يوحنا أسقف نيقوس » وتاريخه مصدر يركن إليه .

(البقية في العدد القادم) خليل جمعه الطوال

---

(١) G. Bonet Maury : L'Islamisme et le Christianisme en Afrique

وكتاب حاضر العالم الاسلامي تعريب شكيب أرسلان

(٢) الاسلام والحضارة العربية لمحمد كرد على

(١) Gibbon, Edward : The History of the decline and Fall of the Roman Empire.

(٢) الأفادة والاعتبار ص ٢٨

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ – ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ٤٠ —

« طال بي الحديث إلى قراء الرسالة عن الأسباب التي كانت تملي على الرافعي موضوعاته التي كتبها لقراء الرسالة ، فأرجئ ما بقي من هذا الباب إلى موضعه من كتاب « حياة الرافعي » الذي يصدر قريبا ؛ ليتسنى لي أن أنشر على القراء ما يتيسر نشره من فصول هذا التاريخ قبل الفراغ من طبع الكتاب » سعيد العريان

رسائل القراء إليه :

لم يكن بين الرافعي وقرائه صلة ما قبل أن يبدأ عمله في الرسالة ، ولم تكن أصوات القراء تصل إليه من قريب أو من بعيد ، إلا طائفة تربطه بهم صلات خاصة كان يكتب إليهم ويكتبون إليه ؛ فلما اتصلت أسبابه بالرسالة ، أخذت رسائل القراء ترد إليه كثيرة متتابعة ، حتى بلغ ما يصل إليه منها في اليوم ثلاثين رسالة أو تزيد . وأستطيع أن أقول غير مبالغ : إن الرافعي قد عرف من هذه الرسائل عالماً لم يكن له به عهد ، وانتقل بها نقلة اجتماعية كان لها أثر بليغ في حياته وتفكيره وأدبه . وإذا كان مؤرخو الأدب قد اصطلحوا على وجوب دراسة البيئة التي يعيش فيها الأديب والتطورات الاجتماعية التي أثرت فيه ، فان مما لا شك فيه أن الحقبة التي كان الرافعي يكتب فيها للرسالة — كانت تطوراً جديداً في حياته الاجتماعية نقله إلى عالم فيه جديد من الصور وألوان من الفن تبعث على التأمل وتوقظ الفكر وتجدد الحياة . وقد عاش الرافعي حياته بعيداً عن الناس لا يعرف عنهم ولا يعرفون عنه إلا ما ينشر عليهم من رسائله ومؤلفاته ، فكان منهم كالذي يتكلم في (الراديو) يسمعون عنه ولا يسمع منهم ، وليس له مما يستمد منه الوحي والالهام إلا ما تجيش به نفسه ، ويختلج في وجدانه ، غير متأثر في عواطفه الانسانية بمؤثر خارج عن هذه الدائرة المغلقة عليه

وكان هو نفسه يشعر بهذه القطيعة بينه وبين الناس ، وكان له من علته سبب يباعد بينه وبينهم ؛ فمن ذلك كان يسره ويرضيه أن يجلس إلى أصحابه القليلين ليستمع إليهم ويفيد من تجاربهم ، ويحصّل من علم الحياة وشئون الناس ما لم يكن يعلم ...

ثم بدأ يكتب للرسالة فعرفته طائفة لم تكن تعرفه ، وتذوق أدبه من لم يكن يسيغه ؛ وكانت الموضوعات التي يتناولها جديدة على قرائها ، وجدوا فيها شيئاً يعبر عن شيء في نفوسهم ؛ فأخذت رسائل القراء تنثال عليه ، فانفتح له الباب إلى دنيا واسعة ، عرف فيها ما لم يكن يعرف ، ورأى ما لم يكن يرى ، واطلع على خفيات من شئون الناس كان له منها علم جديد ... فكان من ذلك كمن عاش حياته بين أربعة جدران لا يسمع إلا صوته ، ولا يرى إلا نفسه ، ثم انفتح له الباب فخرج إلى زحمة الناس ، فانتقل من جو إلى جو ، ومن حياة إلى حياة ...

هي نقلة اجتماعية لاسبيل إلى إنكار أثرها في الرافعي وأدبه ، وإن لم يفارق بيئته ومنزله وأهله

والآن وقد وصلت إلى جلاء هذا المعنى كما شاهدته وعاينت أثره ، فاني أتحدث عن ضرب من هذه الرسائل التي كانت ترد إلى الرافعي من قرائه ، ليعرف الباحث إلى أي حد تأثر الرافعي بها ، وأي المعاني ألهمته وقدحت زناد فكره ؛ وإذا كانت بعض (الظروف الخاصة) قد حالت بيني وبين الاطلاع على كل هذه الرسائل التي خلفها لتتم لي بها دراسة التاريخ ، فحسبي ما أقرأني الرافعي منها في أيام صحبته ، وما اطلعت عليه بنفسي من بعد ...

* * *

نستطيع أن نرد الرسائل التي كانت ترد على الرافعي إلى أنواع ثلاثة :

١ — رسائل الاعجاب والثناء

٢ — رسائل النقد والملاحظة

٣ — رسائل الاقتراح والاستفتاء والشكوى

أما النوعان الأولان فليس يعنينا منهما شيء كثير ، وحسبي الاشارة إليهما ؛ على أنه ليس يفوتني هنا أن أشير إلى أن أكثر

ما ورد إلى الرافعى من رسائل الاعجاب ، كان عن مقالاته فى الزواج وكان أكثر هذه الرسائل من الشبان والفتيات ، وقلما كانت تخلو رسالة من هؤلاء أو هؤلاء ، من شكوى صاحبها أو صاحبتها وتفصيل حاله . وأطرف هذه الرسائل هى رسالة من آنسة أديبة فى أسيوط كتبت إلى الرافعى تسأله أن يكتب رسالة خاصة إلى أبيها — وقد سمّته فى رسالتها — يعيب عليه أن يعضل ابنته ويردّ الخطّاب عن بابه حرصاً على التقاليد ...

... ثم رسالة من (مأذون شرعى) يحصى فيها للرافعى بعض ما مر عليه من أسباب الطلاق فى الأسر المصرية ، وردها كلها إلى سوء فهم الناس لمعنى الزواج وحرصهم على تقاليد بالية ليست من الدين ولا من المدنية ، وفى هذه (الاحصائية) الطريفة قصص خليقة بأن تنشر لو وجدت من يحكيها على أسلوب فنى يكسبها معنى القصة

وأعجب ما قرأت من رسائل النوع الثانى ، رسالة جاءته بعقب نشره مقالة «الأجنبية» عليها خاتم بريد (شطانوف) فلما فض غلافها لم يجد فيها إلا صفحات ممزقة من الرسالة التى نشرت فيها القصة ومعها ورقة فيها هذه الأسطر :

سيدى الأستاذ

إن كان لا بد من رد فهذا هو خير رد ، وإن كان لا بد من كلة فكلمتنا إليك هى تلك الكلمة التى ختمت بها هذا الكلام المردود إليك «مصرى»

***

ومن النوع الثالث من هذه الرسائل ، كان استمداد الرافعى ووحيه ودنياه الجديدة ، وإلى القراء نماذج مختلفة من هذه الرسائل

١ — هذه رسالة فتى فى العشرين ، يكتب إلى الرافعى من الاسكندرية يقول :

« أستاذى الكبير

« ليس لى الآن إلا ربى وأنت يا أستاذى ، وإن من حقك علىّ أن أسألك حق عليك وقد هدانى الله إليك

« ... قرأت وتدارست ما كتبته عن الانتحار ، فماذا تقول فى امرىء علم عمن الجنة تحت أقدامها أنها فسقت وزلّت .. فهو يتحين الفرصة ليقتلها . إنى أبكى يا أستاذى إذ أعيد هذا القول . أبكى دما . لى إخوة وأنا أكبرهم ، ولا أخاف إلا أن لى أختا . وأبى — غفر الله له — ليس له ما يكون للرجل من معانى الرجولة ليضمن ألا يكون فى بيته شىء مما قد كان ...

« الشك يساورنى منذ أكثر من عامين . واليوم فار التنور ، إذ سمعت أنها حبلى . ووقع فى يدى ما ملأنى يقينا بتصديق إثمها ؛ ولقد هممت أن أفعل مالا يُفعل ، وأنا أخشى ألا يتدارك نى حكمك .

« ... ماذا تقول يا أستاذى ؟ أنا الصابر أبدا كاد الصبر يتلاشى من نفسى ، أنا المطمئن أبدا كاد أمرى يضيع من يدى . أنا كالمجنون لا يقيمنى شبه عاقل إلا أنت ، فماذا تقول يا أستاذى وبماذا تحكم ؟ يكتبها الله لك فتدارك نى برأيك ...

« ولك منى شكر من يسأل الله ويسعى إلى أن يكون بنفسه وحياته من حسنات تربيتك ، وأن يكون فى اليوم الآخر كلمة من سطر من كتابك القيم . . .

« ومعذرة لى من لدنك إن أغفلت الآن اسمى »

فى ١٤/٥/١٩٣٥

٢ — وهذه معلمة فى إحدى مدارس الحكومة ، حامت حولها ريبة فوقفتها وزارة المعارف حتى تحقق أمرها ، فكتبت إلى الرافعى تسأله أن يعينها بجاهه حتى تعود إلى عملها الذى تعول منه أبويها ؛ فيشفق عليها الرافعى ويسعى سعيه لبراءتها ... وعادت إلى عملها ؛ وحفظت الجميل للرافعى ، فكانت تكتب إليه كل أسبوع رسالة تبثه خواطرها ، وتصف له من أحوالها وما تعمل ؛ وتكثر رسائلها إلى الرافعى حتى يزول الحجاب بينهما ، فتصرح له بما لا تصرح فتاة ، ويئول أمرها فى النهاية أن تكتب إلى الرافعى بأنها عاشقة ... وأن معشوقها الصغير — التلميذ فى إحدى المدارس الصناعية بالقاهرة — لا يعلم ما تكن له . هى تلقاه ، وتماشيه ، وتخلو به خلوات «بريئة» ولكنها لم تكشف له عن ذات نفسها ، وتأكلها النار فى صمت ... ! وتقول فى رسالتها إلى الرافعى :

« . . . فدرنى يا سيدى فى أمرى ؛ قلبى يحس أنه يحبنى ، لقد قالها لى عيناه ، ولكنه لم يتحدث إلى ، ولست أجد فى نفسى القدرة على التصريح له . . . »

وتتوالى رسائلها إلى الرافعى تصف له ماتلاقى من الوجد بحبيبها الذى تكبره بسنوات ، ويقرأ الرافعى رسائلها فيبتسم ، ويتناول قلمه الأزرق فينوّر فيها علامات يشير بها إلى مواضع وفِقَـر تلهمه معانى جديدة وفكراً جديداً ؛ وينشط الحب بالملمة العاشقة حتى تنظم الشعر ، فتبعث إلى الرافعى بقصائدها ليرى رأيه فيها . . .

بين يدىّ الساعة آخر رسالة من رسائلها إلى الرافعى . بعثت بها إليه قبل منعاه بقليل . ليت شعري كيف انتهت قصة هذا الحب ؟

٣ — وهذه رسالة من (حلب) يدهش كاتبها أن يرى صورة (الشيخ) مصطفى صادق الرافعى مطربشاً حليق اللحية أنيق الثياب ، فيكتب إليه :

« . . . لقد رأيت رسمك يامولاى فتأملته . . فوجدته من أناقة الجلباب ومظهر الشباب على حظ . فهل لك يامولاى فى مجاراة المدنية ومماشاة الحضارة رأى دعاك إلى هذا المظهر الأنيق ؟ . . . »

٤ — وتلك رسالة من (دمشق) وقع كاتبها فى هوى مغنية مشهورة ، يحسن بها الظن إحسانا يمثلها لعينيه مَلَكا أنثي ؛ لايترك مجلساً من مجالس غنائها ، ولا يفكر فى خلوته إلا فيها . . ثم يأتيه النبأ أنها قد سُمِّيتْ على رجل من ذوى اليسار والنعمة ، وأنها موشكة أن تصير له زوجة ، فيطير به هذا النبأ ويؤلمه أيمَّا إيلام ؛ فيكتب إلى الرافعى يقول :

« . . . إن خطيبها على غناه رجل فاسد الخلق ، متقلب القلب ، دنس الذيل ؛ وأنا على يقين أنها ستشقى به وقد خفيت عنها حقيقته . وأنا أحبها وأشفق عليها وأتمنى لها السعادة . . .

« هل يجب علىّ أن أقف وقفة الحذر باقناعها بالعدول عن هذا الزواج الذي لا أتوقع له إلا نهاية واحدة قريبة ، أو ألزم الصمت وأدع الأمور تجرى فى مجاريها وأقطع علائقى معها فأردّ لها صورها ورسائلها احتراما لهذا الزواج من الناحية الشرعية وأدفن ذلك الحب لها فى ركن من أركان قلبي ؟ »

٥ — وذلك طالب فى الجامعة ، له دين وخلق ومروءة ، بلغ مبلغ الرجال وفار دم الشباب فى عروقه فتسلّطت عليه غرائزه ، تغالبه شهواته فلا يكاد يغلبها ، ولا يجد له سلطانا على نفسه أو وسيلة لقمع شهواته إلا أن يحبس نفسه أياماً فى غرفته الموحشة ، ومع ذلك لا تزال (المرأة) تتخايل له بزينتها فى خلوته وفى جماعته ، فليس له فكر إلا فى المرأة ، وإنه ليخشى الله ، وما به قدرة على الزواج ، ولقد جرب الصوم فما أجدى عليه ، وقد أوشك أن يفقد نفسه بين شهوات تتجاذبه ودين يأبى عليه ... فماذا يفعل ؟

٦ — وهذه فتاة متململة ، تعيش بين أبيها وزوج أبيها فى هم لا يطاق ، كل سلوتها فى حياتها أن تقرأ ، وهى لا تحسن عملا ولا تجد لذة فى عمل غير القراءة ، ولكنها تنكر موضعها بين أبيها وزوجه ، إنهما ينكران عليها كل شىء مما تراه هى من زينتها بين الفتيات ، فعلمها حذلقة ، وآراؤها فلسفة فارغة ، ومطالعاتها عبث ولهو وسوء خلق ، وفرارها بنفسها إلى غرفتها كبرياء وأنفة وتمضي السنون وهى فى هذا العذاب من دار أبيها ، فلا هي تستطيع أن تحمل أباها وزوجه على رأيها فى الحياة ولا هى تستطيع أن تنزل إليهما ، والمنقذ الذى تنتظر الخلاص على يديه من هـذا العذاب لم يطرق بابها بعد ، ولو أنه طرق بابها لأشاحت عنه معرضة فى وجل ، لأنها تسىء الظن بكل الرجال . فماذا تعمل ؟

٧ — وهذا فتى مثالىٌّ يحسن الظن بالأيام ولكن الأيام تخلفه موعده : أحب فتاة من أهله وأحبته وتواعدا على الزواج ، ولكن أهلها زوجوها من غيره

والتمس الوظيفة التى يؤمل أن يصل إليها بعد تخرجه، فنالها ولكن وجدها غُـلاًّ فى عنقه وكامة على فمه

وطلب الزلفى إلى الله بالاحسان إلى الناس فبادلوه إساءة باحسان وغدراً بوفاء

وكلما غرس زهرة هبت عليها أعاصير الحياة فاقتلعتها وألقتها فى مواطئ النعال

وبرم بالحياة وضاقت به الدنيا وما يزال فى باكر الشباب ... فماذا يصنع ؟

٨ — وهذا شاب يشهد لنفسه بأنه من عباد الله الصالحين يخاف الله ويخشى عذابه : أحب فتاة من جيرته حباً (عُـذريا) وأحبتـه ، وبرّح بهما الحب حتى ما يطيقا أن يمضى يوم دون أن يلتقيا ، ولقيته ذات مساء فى خلوة بعيـدين عن أعين الرقباء ، وما أكثر ما التقيا فى خلوة ، ولكن الشيطان صحبهما هذه المرة

إلى خلوتهما ... ووقعت الجريمة من غير أن يكون لها إرادة أو يكون له ...

... ولما فاءت إليه نفسه أخذ يكفكف لهادموعها وهو يبكي وكان في نيته أن يتزوجها حين ينتهي من دراسته بعد سنتين أو ثلاث، وكان صادقا في نيته، وكانت الفتاة مؤمنة بصدقه، ولكنها لم تُطق الانتظار حتى تمضي السنوات الثلاث ولم تطق أن تراه بعد؛ وجاءه النبأ بعد ثلاثة أيام أنها ماتت محترقة ...

وعرف هو وحده من دون أهلها ومن دون الناس جميعاً كيف ماتت . . . ومنذ ذلك اليوم تلاحقه صورتها في نومه وفي يقظته؛ ومضت سنتان منذ وقعت الفاجعة ولكنه مازال يذكرها كأنها كانت بالأمس، وكتب إلى الرافعي يقول في رسالته:

« ... إنني أنا الذي قتلتها، إن دمها على رأسي؛ لقد ماتت ولم يعلم بسرها أحد غيري وهذا أشد ما يؤلمني، ولقد احتملت بصبر وثبات كل ما نالني في هاتين السنتين من تأنيب الضمير وعذاب القلب، ولكني اليوم أحس بأن صبري قد انتهى ولم يبق فيّ قوة على الاحتمال أكثر مما احتملت ... فماذا أفعل، ماذا أفعل ...؟ »

***

ألوان وصور، وملائكة وشياطين، ونفوس تتعذب، وقلوب تحترق، وأنات وابتسامات، ودنيا لم يكن للرافعي بها عهد، ولم تكن تخطر له على بال.

وفي الأسبوع الآتي بقية الحديث عن رسائل القراء.

« شبرا » محمد سعيد العريان

جورجياس
أو البيان
لأفلاطون
للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ١٢ —

« تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف، لأنها أجمل محاوراته وأركنها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة ! »

« رينوفييه »

« إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائما وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »
٢ — جورجياس : السفسطائي : « ج »
٣ — شيريفين : صديق سقراط : « سه »
٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »
٥ — كاليكليس : الأثيني : « ك »[1]

ب — (متابعا حديثه عن أرشليوس) والواقع أنه بُعِثَ أولا ليبحث فيما يقال عن « الكيتاس » Alcetas عمه وسيده كيما يرد إليه العرش الذي سلبه منه أخوه « بردكاس » Perdicaas، ولكنه ما أن عثر عليه حتى أسكره وأثمله هو وولده « الكسندر » الذي كان يقاربه في السن، ثم وضعهما في عربة وخرج بهما

(١) بدأ سقراط في العدد الماضي فقال إن ارتكاب الظلم أفدح من احتماله، وإن المظلوم أسعد من الظالم. وقد أخذ بولوس يناقضه في ذلك القول مناقضة شديدة ويضرب له مثلا دقيقا محرجا هو الذي بدأناه في الأسبوع الماضي ووعدنا بتكملته هذا الأسبوع. والحق إن بولوس كان بارعا في اختيار هذا المثل والمثل الذي سيليه. وعلى القارىء الكريم أن يتتبع المحاورة وأن يحاول الادلاء في جانبيها — الروحاني والمادي — برأيه الخاص. وأكون سعيدا إذا تلقيت ردودا في جانب بولوس وأخرى في جانب سقراط « المعرب »

ليلا إلى المراء حيث ذبحهما وأخفاهما دون أن يتصور أنه قد أصبح بعد جريمته هذه أشقى الناس وأتعسهم ، ودون أن يشعر حيالها بأي ندم أو تأنيب ! ! ؟ ؛ وبعد فترة قصيرة مضى إلى أخيه ذى الحق الشرعى فى العرش ـ وكان طفلا لم يبلغ السابعة بعد ، وبدلا من أن يسعد نفسه بالاشراف على تربيته وتعليمه كما كان يجب عليه ، وبدلا من أن يمنحه السلطة المشروعة : رمى به في بئر وقال لأمه « كليوباترا » إنه وقع فيها ومات بينما كان يجرى خلف أوزة ! ! ؟ ؛ وعلى هذا يجب أن يكون أشنع أهل « ماقدونيا » إجراما[1]، وأكثرهم تعاسة وشقاء بدلا من أن يكون أوفرهم سعادة وهناء ! ولكن ربما يوجد أكثر من أثينى — إذا بدأنا بك — يفضل مركز أى مقدونى آخر على مركز « أرشليوس » ! !

ط — لقد هنأتك منذ بدأ الحديث على ما لاح لى من تدفق خطابك . ولكنى قلت لك حينذاك إنك أهملت فن الحوار إهمالا ! والآن هل هـذا هو التدليل المشهور الذى يستطيع حتى الطفل أن يناقضنى به ؟ وهل أستطيع أن أقتنع بك وبقولك إنى كنت مخطئا عند ما قلتُ إن الرجل الظالم لايكون سعيدا ؟ وكيف أقتنع وأرضى ياعزيزى وأنا لست على وفاق مع أي تأكيد من تأكيداتك ؟

ب — ذلك من سوء إرادتك لأنك فى صميمك ترى رأيى!!

ط — حسن جدا يابولوس فأنت تحاول أن تناقضنى بأسلوب المحاماة كما يدعى من يفعل ذلك فى المحاكم ! ، إذ هناك يعتقد المحامون أنهم يناقضون خصمهم إذا هم دعموا دفاعهم بشهود عديدين محترمين فى الوقت الذى لا يستطيع الخصم فيه إلا أن يحضر شاهدا واحدا أو لا شاهد على الاطلاق ! . ، ولكن هذه الطريقة عديمة الجدوي لأن الفرد الواحد قد يتعرض لشهادات خاطئة من شهود عديدين ومعروفين بالنزاهة والاستقامة ! ! وإذا شئت فى حالتنا الراهنة ، وفيما يتعلق بما تقول ، أن تقدم شهودا يشهدون على خطأى ، فسترى أن جميع اليونانيين والأجانب تقريبا يرون رأيك الخاص ! وأنت تستطيع إذا شئت أن تجعل « نكياس » ابن « نيسراتوس »

(١) يقصد أرشليوس بطل هذه القصة بالطبع .

يشهد فى جانبك ومعه إخوته الذين نرى مواقدهم مصفوفة فى محراب « ديونيس[1] » ، كما تستطيع أن تجعل « اريستوقراط[2] » ابن « سكيليوس » صاحب القربان الجميل فى « بيثو » أن يشهد بالمثل ، لا بل أمامك إذا رغبت كل عائلة « بركليس » أو أيه عائلة أثينية يسرك بعد ذلك أن تختارها ! ! ، ولكن سيظل رأيى — ولو أنى وحيد — مخالفا لهؤلاء جميعا لأنك لم تقنعنى بعد ! ذلك أنك لم تفعل سوى التقدم بذلك الجمع من الشهود الزائفين لكيما تنزع منى الحقيقة والخير ! ، ولكنى — على النقيض — إذا لم أظفر بك أنت نفسك ، وأنت وحدك كشاهد ، وإذا لم أجعلك توافق على قولى ، فانى أعد نفسى كأنى لم أقدم ما يجرؤ على حل السؤال الذى يشغلنا ، كما أعدك لم تفعل شيئا بالمثل إذا لم أشهد لك وحدى وبشخصي . وإذا لم ترفض عداى كل الشهود الآخرين ! فهناك إذا طريقة للمناقضة هى تلك التى تعرفها ويعرفها معك الكثيرون ، ولكن هناك طريقة أخرى أتخيلها من ناحيتى[3] . فلنقارن إذا هاتين الطريقتين ، ولنر إذا كانتا تختلفان فيما بينهما ، لأن الأشياء التى نتنازع فيها ليست باليسيرة فى نتائجها ، بل إنه لا يوجد ما هو أجل فى معرفته ولا أشنع فى الجهل به منها ، لأنها تتعلق إجمالا بمعرفة ما هو جميل وما هو قبيح . ! ! . .

ومن حيث النقطة التى تشغلنا : أترى أن الانسان يستطيع أن يكون سعيداً عنـد ما يظلم ويرتكب الشر ، لأنك تعتقد أن ذلك هو تدليلك ؟

ب — نعم ، إنه هو إطلاقا !

ط — وأنا أزعم أن ذلك محال ! . وتلك هى النقطة الأولى التى نختلف فيها فلنمض إلى الثانية . أيكون الظالم سعيداً إذا تقدم للعقاب ؟ ؟

(١) أحرز نيكياس وإخوته هذه المواقد كجوائز تمثيلية .

(٢) يذكر « تيوسيدس » أنه أحد رؤساء الأشراف .

(٣) يلاحظ هنا أن أفلاطون لايعنى بشهادة الكثرة بقدرمايعنى بشهادة الشخص الذى يحاوره . وتلك هى الطريقة المثلى فى الاقناع لأنه ليس بعد الظفر بخصمك وجعله شاهدا لك ظفر . أما الشهود الكثيرون فكلهم جهل وزور ولا سيما إذا كانوا يشهدون فى قضايا الفلسفة الكبرى كالمثل الأعلى ونحوه « المعرب »

ب — كلا على الاطلاق ! . إنه يكون تعيساً جدا فى هذه الحالة ! !

ط — وإذاً فأنت تراه سعيداً إذا لم يعاقب ؟

ب — بالتأكيد !

ط — وأنا أزعم يابولوس أن ذلك الذي يرتكب الظلم ويحمله فى قلبه يظل شقياً فى جميع الأحوال ، وأنه يكون أكثر شقاوة إذا لم يعاقب على ظلمه ، أما إذا عوقب ولقى جزاءه من الآلهة والناس فانه يكون أقل شقاء[1] !

ب — إنك تروج يا سقراط لمتناقضات عجيبة ! !

ط — سأحاول يا رفيقى أن أشركك فى عاطفتى لأنى أعدك صديقاً . هاك هى النقط التى نختلف عليها فلترها بنفسك . لقد قلتَ من قبل إن ارتكاب الظلم أفدح من احتماله ؟

ب — نعم !

ط — وقلتُ أنت إن احتماله أفدح من ارتكابه ؟

ب — نعم

ط — وقلتَ أيضاً أن مرتكبي الظلم أشقياء فناقضتنى ؟ !

ب — نعم وحق زيوس !

ط — أذلك هو ما تعتقد — على الأقل — فيه يابولوس ؟

ب — ولى الحق فى الايمان به !

ط — ذلك جد ممكن . ولكن أرى من ناحيتك أن أولئك الذين يظلمون يكونون سعداء إذا فروا من العقاب ؟

ب — تماما

ط — وأنا أرى أنهم أشقى الأشقياء وأن أولئك الذين يلقون جزاء ظلمهم يكونون أقل منهم شقاء ! . أتريد مناقضتى أيضاً فى هذه النقطة ؟

ب — أواه ياسقراط إنها لأصعب فى المناقضة من سابقتها !

ط — لا تقل « أصعب » يا بولوس بل قل « مستحيل » لأنك لن تناقض « الحق أبداً »[2]

ب — أى شئ تقول ؟ ذاك هو شق باغتناه وهو يحاول أن يكون ظالماً طاغياً فأوقفناه ، وعذبناه ، فسملنا عينيه وقطعناه بقسوة بمختلف وسائل التعذيب ، ثم أنزلنا بامرأته وأولاده نفس العذاب ، ثم صلبناه أخيراً وطلينا جسده بالقار وحرقناه حيا ! ؛ أترى لا يكون هذا الشخص أسعد لو قد فرّ وصار طاغياً فحكم مدينته ، وأشبع شهواته ، وأصبح موضوعا للاعجاب والحسد من الأجانب والمواطنين ؟ ؟ ذلك ما ترى أن مناقضته مستحيلة ياسقراط !!

ط — إنه لخيال مزعج ذلك الذى تقدمه أيها الشجاع بولوس! ولكنك مع هذا لم تناقضنى فى شيء لأنك لم تفعل إلا مثلما فعلت عند ما كنت تقدم شهودك ! ! لذلك أرجو أن تذكرنى بشيء يسير ! . لقد فرضت أن ذلك الشخص كان يطمح « بظلم » إلى الطغيان ؟ ؟

ب — نعم ![1]

« يتبع » محمد حسن ظاظا

(١) وسنرى فى العدد القادم كيف يمزق سقراط ذلك « المثل » المحرج كما يمزق المثل السابق له « المعرب »

(١) ذلك هو خلاصة المحاورة . وسنرى كيف يبرهن عليه أفلاطون بتحليله العميق

(٢) قول خالد لافلاطون !

العاطفـــة

وأثرها في التقدير الأدبي

للأديب محمد فهمي عبد اللطيف

لما وضع أرسطو مذهبه فى النقد الأدبى ، أقامه على المنطق والفكر ، واعتبر العقل وحده كلّ شىء فى إدراك الحقيقة الفنيّـة النافعة[1] ، يكشف ويوضح ، ويقيس ويضبط ، ويلتمس ويعلل ، وينتهى من وراء ذلك كله إلى جملة من الضوابط والقوانين ، يراها صالحة فى كل زمان ومكان لقياس الفن ، وتقدير الأدب ، وفهم الجمال . فكأن النقد عند هذا الفيلسوف الخالد ، باب من الفلسفة ؛ وبحث فى العلم ، فهو يعالجه بالقياس الثابت ، والعيان المدرك ، والخبر المتواتر ، والشاهد البيّن ، فأما الحس فلا اعتبار له عنده ، ولكنه — كما يقول المعرى — زجر طير هى خليقة بالكذب ، فان صدقت فباتفاق ! !

هذا المذهب الذي وضعه أرسطو كان مثار خلاف بين النقاد من بعده ، وخصوصاً النقاد الفرنسيين الذى نهلوا من مراشف الثقافة اليونانيّة ، فجماعة من ورائه يقولون العقل فحسب ! وجماعة يذهبون إلى أكثر من ذلك فيقولون : العقل والعاطفة . والذين قرأوا تاريخ الآداب الفرنسية يعرفون إلى أى حد كان النقاد فى الطور الأول يمجدون العقل ويذعنون لمنطقه ، حتى لقد حاول « ماليرب » أن يخضع له قرائح الشعراء وعواطفهم ، ثم أتى من بعده « بوالو » الذكى الفطن[2] فمنح العقل المرتبة الأولى فى عداد الصفات البشرية ، واعتبره مصدر كل أثر ذى شأن فى النقد والأدب . ولكن لما جاء «شاتوبريان» انتهج فى النقد نهجاً أحفل بالفن فقال : إن العقل وحده لاينتج أعمالا عظيمة ، وإن الناقد الحقيق من حكّم عقله وقلبه ، واستنزل منطقه وعواطفه معاً فى فهم مايقرأ . فلما كان العهد الأخير قامت المناظرة حادة عنيفة بين فردينان برونتيير وأناتول فرانس حول المـلـكات المعتبرة فى النقد فقال برونتيير : العقل . . . ثم العقل . . . ثم العقل . وقال فرانس : كلا ! ! لايمكن أن يكون فن الأدب غير عاطفى ، وكذلك نقده . لأن الفن ذاته عاطفة ، وكاذبون هم أولئك النقاد الذين يزعمون أنهم قادرون على انتقاد الأدب وتقديره دون عواطفهم ! وعندى أنه ليس أسخف من ناقد يتخذ مقاييس الألفاظ والأوزان فى نقد قطعة فنية نفخ فيها صاحبها من عواطفه ، واعتصرها من روحه وإحساسه ، فأن المشاكل الخفية فى الأدب والنقد لايحلها علم النحو والصرف ، ولاتشرحها المعاجم وأوضاع اللغة ، ولكنها فى حاجة إلى تلك العاطفة العلوية الفياضة التى لاتقيدها فواصل وحدود ، ولاتحدها أبعاد وتخوم ! !

والواقع أننا نستبد بعواطفنا كثيراً ونجحد الحق وما هو ثابت من نواميس الحياة إذ نندفع فى تيار أولئك الواقعيين فنعتبر العقل كل شىء فى تعليل كل ما نرى من المظاهر والظواهر ، حتى ما يتصل بميولنا وعواطفنا ؛ فأن هناك القلب يجب أن نجعل له اعتباراً كبيراً في شئون الحياة إلى جانب العقل ، ويجب أن نعتقد بأن له منطقاً كمنطق العقل إن لم يكن أرهف وأدق ، وهو وحده الذى يشعرنا فى رحلة الحيـاة الشاقة ببرد الراحة ، ويقع من نفوسنا اللاغبة موقع الماء العذب من نفس الصادي فى البهماء القاحلة . ولا شك أننا لو طاوعنا هؤلاء الناس وجعلنا العقل كل شىء لصارت الحياة جحيماً لا تطاق ، ولفررنا من شقائها كما يفر بعض الناس فى هـذه الأيام بالموت والانتحار ، بل ولتمردنا على كثير من النظم والأوضاع والشرائع الطيبة النافعة التى تكفل السعادة للمجتمع ، والتى لا يمكن أن يمجدها أولئك الواقعيون الماديون أنفسهم . وأنت — أبقاك الله — تأمل فى نفسك ، وانظر فيما يحف بك من النظم الاجتماعيـة ، والقيود الثقيلة التى تربطك بالمجتمع الذى تعيش فيه ، والسلاسل والأغلال التى تثقل جيدك وتنقض ظهرك ، من واجبات نحو الأسرة ، والأب ، والأم ، والزوجة ، والوطن ، والدين ، والتقاليد ، وفكرات الشرف والعرض ، وكل ما إلى ذلك ، ثم استـلم إلى العقل وحده وانزل على حكمه فى فهم تلك الأمور عامتها ، تجده يجيبك جواباً لا يرضاه العقل نفسه ، لأن الطبيعة قد خصت الانسان

(١) النافع والجميل : لفظان مترادفان عند سقراط ! !

(٢) هكذا وصفه بول فاليري . .

بشيء يمتلك ناصية عقله ويتحكم فيه التحكم كله ، شيء آت من الناحية الروحية القلبية التي هي مصدر العواطف والمشاعر [1] ، فالانسان — كما يقول العقاد — لا يحيا بالعقل وحده ، ولا يفهم بالعقل وحده ، ولكنه يحيا بالحياة التي هي مجموعة من الحس والغريزة والعطف والبداهة والخيال والتفكير . فأنت إذا أردت أن « تفهم » إنسانا فليست كل وسائلك إلى فهمه أن تسلط عليه ملكة التحليل والتعليل ، بل أنت مشترك في فهمه بخيالك وحسك وغريزتك وتفكيرك وعطفك وجميع أجزاء حياتك ، وشأنك في فهم الكون كشأنك في فهم الانسان أو فهم أي شيء من الأشياء وخاطرة من الخواطر . فقولك « تفهمها » مرادف لقولك تحسها وتتخيلها وتشملها بعطفك وبديهتك وتفكيرك . ولأن تحس ما ينبغي لك عمله دون أن تقوى على تعليل ذلك خير لك وألف خير من أن تعلل وتحلل وأنت عاجز عن العمل والاحساس [2]

وإذن فليس من الصواب أن تتخذ العقل وحده طريق إدراك وفهم ، وأداة تقدير وحكم ، وإنما الواجب أن نستخدم في ذلك جميع حواسنا وعواطفنا وكل ما لدينا من المواهب والملكات . وإذا كان هذا من اللازم بالنسبة لاعتبارات الحياة ومسائل العلم ، فأنه لا شك ألزم بالنسبة لتقدير الأدب الذي هو فيض العواطف ، وذوب المشاعر ، ورسالة الروح ، ومن ثم تعلم سر الفشل الذي يحيق بأناس يحملون أنفسهم على معالجة الأدب ، ويبيحون لضمائرهم القضاء في مسائله وهم أجلاف غلاظ قد سلبوا كل إحساس وكل عاطفة . ولقد حكى العقاد فقال : كنا منذ أيام نتطارح قصيدة ابن الرومي في رثاء ولده « محمد » وهي القصيدة التي يقول فيها :

طواه الردى عني فأضحي مزاره ... بعيداً على قرب قريباً على بعد
لقد أنجزت فيه المنايا وعيدها ... وأخلفت الآمال ما كان من وعد
ألح عليه النزف حتى أحاله ... إلى صفرة الجادي عن حمرة الورد
وظل على الأيدي تساقط نفسه ... ويذوي كما يذوى القضيب من الرند

(1) راجع ما كتبناه في الرسالة (٢٤٠) وكتاب بين الدين والعلم ترجمة اسماعيل مظهر

(2) الساعات ص ٢٣٩

إلى أن يقول :

وأولادنا مثل الجوارح أيها ... فقدناه كان الفاجع البين الفقد
لكل مكان لا يسد اختلاله ... مكان أخيه من جزوع ولا جلد
هل العين بعد السمع تكفي مكانه ... أو السمع بعد العين يهدي كما يهدي
ثكلت سروري كله إذ ثكلته ... وأصبحت في لذات عيشي أخا زهد

إلى أن يقول :

محمد ! ما شيء توهم سلوة ... لقلبي ، إلا زاد قلبي من الوجد
أرى أخويك الباقيين كليهما ... يكونان للأحزان أورى من الزند
إذا لعبا في ملعب لك لذعا ... فؤادي بمثل النار عن غير ما قصد
فما فيهما لي سلوة بل حزازة ... يهيجانها دوني وأشقى بها وحدي

فكنا نجمع على أنها خير ما قيل في الشعر العربي في رثاء ولد ، إلا رجلا لا بأس باطلاعه كان يقول : ولكن أحسن من هذا قول ابن نباته في رثاء ابنه :

قالوا فلان قد جفت أفكاره ... نظم القريض فما يكاد يجيبه
هيهات نظم الشعر منه بعدما ... سكن التراب وليده وحبيبه

وقوله فيه :

يا راحلاً من بعد ما أقبلت ... مخايل للخير مرجوه !
لم تكتمل حولاً وأورثتني ... ضعفاً « فلا حول ولا قوة »

وجعل يعجب من « وليده وحبيبه » التي فيها تورية بالبحتري وأبي تمام ! ويستظرف قوله « فلا حول ولا قوة » ويقول : إن في هذا المعنى لحسنا ! وقد استغرب العقاد ذلك الاستحسان من ذلك الرجل الذي « لا بأس باطلاعه » وعجب له كيف يرفع ابن نباته في شموذته وألاعيبه على ابن الرومي في لوعته وأساه [1] ؛ وعندي أنه لا وجه للعجب والاستغراب ، لأن ذلك الرجل وإن كان « لا بأس باطلاعه » إلا أنه — على

(1) راجع الساعات ص ٧١ و ٧٢

ماهو واضح من شأنه — لم يرزق الأحساس الفني ، والعاطفة الفياضة التي تفتح له آفاقاً من الفهم ، وتهيء له الأدراك والنظر في الأدب وماهو بسبيل الأدب من مظاهر الفن والجمال ، فليس من الغرابة أن يخطىء ذلك الرجل في التقدير الأدبي ، وأن يسف هذا الإسفاف البين في الحكم على الشعر ، ولكن من الغرابة أن يباح له النظر في الأدب ، والحكم على أقدار الأدباء ، ووضعهم فيما هو جدير بهم من المكانة الفنية ، وما هو من أهل ذلك ولا عنده أداته من الطبع والحس والعاطفة وبشاشة الروح . وكأن الجاحظ كان يقرر هذا المعنى إذ يقول : طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يعرف إلا غريبه ، فرجعت إلى الأخفش فألفيته لايتقن إلا إعرابه، فعطفت على أبي عبيدة فرأيته لا ينتقد إلا ما اتصل بالأخبار وتعلق بالأيام والأنساب ، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتّاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات . وصدق أبو عثمان ، لأن أدباء الكتاب أدق إحساساً ، وأوفى شعوراً ، وأرهف عاطفة ، فهم أقدر على اختراق معالم الوجدان والاحساس بجمال الآثار الفنية ، والصور الذهنية المرسومة ، فيكون بين الناقد والقائل تجاوب روحي ، وامتزاج في الأحاسيس ، وهـذا هو طريق الادراك الصحيح ، والتقدير الحق ، وكأني به الطريق الذي ينشده الفنانون أنفسهم ، فقد طلب «بودلير» في الناقد أن يكون مرهف العاطفة ، دقيق الاحساس ، ينتقد بانفعال ، لأن الانفعال يقرب بين الأمزجة ويسمو بالمدارك وكذلك اشترط البحتري في نقد الشعر أن يكون من شاعر مارس الفن ، إذ سأله عبيد الله بن طاهر فقال : ياأبا عبادة ! مسلم أشعر أم أبو نواس ؟ فقال : بل أبونواس لأنه يتصرف في كل طريق ، ويتنوّع في كل مذهب ، إن شاء جد ، وإن شاء هزل ! ومسلم يلزم طريقاً واحداً لا يتعداه ، ويتحقق بمذهب لايتخطاه . فقال له عبيد الله : إن أحمد بن يحيي ثعلباً لا يوافقك على هذا ! فقال : أيها الأمير ! ليس هـذا من علم ثعلب وأضرابه ... وإنما يعرف الشعر من دفع إلى مضايقه ! !

وإنها لنظرة بصيرة اتفق فيها الشاعران الفرنسي والعربي ، لأن الناقد فنّان قبل كل شيء ، وإن التقدير الأدبي موهبة لا تتأتى ولا تستقيم كما يظن بعض الناس بدراسة النحو والصرف ، واللغة والغريب ، والتوفر على البحث في بطون الكتب ، فان هذا كله لايجدي ولا ينفع إذا لم تكن ثمت فطرة سمحة ، ونفس مجلوة وطبيعة مواتية ، وعاطفة فياضة فنّانة ، وإن العلم مهما بلغ مقداره لا يخدم في الفطن الحمثة ، ولا يقوّم المشاعر المموجة . ويا ضيعة الأدب ، ويا خسارة الفن إذا ما جدنا في تقديرهما على أوضاع أهل اللغة ، واعتبارات علماء البلاغة . ولعمرك إلى أي حد تفيد هذه الأشياء في التقدير الفني لقول الطغرائي مثلا يصف شجو حمامة سمعها تنوح وهو غريب بالعراق :

أبكيّة صدحت شجواً على فنن ... فأشعلت ماخبا من نار أشجاني

ناحت ومافقدت إلفاً ولا فجعت ... فذكرتني أوطاري وأوطاني

طليقة من إسار الهم ناعمة ... أضحت تجدد وجد الموثق العاني

تشبهت بي في وجدي وفي طربي ... هيهات مانحن في الحالين سيان

ما في حشاها ولا في جفنها أثر ... من نار قلبي ولا من ماء أجفاني

يا ربّة البانة الغنّاء تحضنها ... خضراء تلتف أغصاناً بأغصان

إن كان نوحك إسعاداً لمغترب ... ناء عن الأهل ممنوع بهجران

فقارضيني إذا ما اعتادني طرب ... وجداً بوجد وسلواناً بسلوان

أو لا فقصرك حتى أستعين بمن ... يعنيه شأني ويأسو كلم أحزاني

ماأنت مني ولا يعنيك ماأخذت ... مني الهموم ولا تدرين ما شاني

كلى إلى النيم إسعادى فان له ... دمعاً كدمعي وإرناناً كإرناني

أو كقول ابن الجهم :

وارحمتا للغريب بالبلد النـــــازح ماذا بنفسه صنعا ؟

فارق أحبابه فـــا انتفعوا ... بالعيش من بعده ولا انتفعا

يقول في نأيه وفي غربته : ... عدل من الله كل ما صنعا !

أو لهذه القطعة التي نفث بها حافظ وقد عبر بدار كانت مدرجة لهوه ، وملعب شبابه ، فلما رآها قد غيّرت معالمهـا الأيام حتى خفيت عليه جاشت نفسه بالشعر فقال :

كم مر بي فيك عيش لست أذكره ... ومرّ بي فيك عيش لست أنساه

ودعت فيك بقايا ما علقت به ... من الشباب وماودعت ذكراه !

أهفو إليك على ماأقرحت كبدي ... من التباريح أولاه وأخراه

لبسته ودموع العين طيعة ... والنفس جياشة والقلب أواه

فكان عوني على وجد أكابده ... ومر عيش على الملات ألقاه

إن خان ودي صديق كنت أصحبه ... أو خان عهدي حبيب كنت أهواه

قد أرخص الدمع ينبوع الغناء به ... والمفتي ونضوب العيش أغلاه

كم روح الدمع عن قلبي وكم غسلت ... منـــه السوابق حزناً في حناياه

لم يدر ما يده حتى ترشفه ... فم المشيب على رغمي فأفناه

قالوا : تحررت من قيد الملاح فمش

حراً ففي الأسر ذل كنت تأباه

فقلت : يا ليته دامت مرامته ما كان أرفقه عندى وأحناه

بدلت منه بقيد لست أفلته وكيف أفلت قيداً صاغه الله ؟

أسرى الصبابة أحياء وإن جهدوا

أما المشيب ففي الأموات أسراه !

فهذا شعر حي نابض ، يتفجر بالعواطف ، ويفيض بالأحاسيس حتى لتلمس فيه من ذلك أجساماً حية ... وإنه لنمط أعلى من الفن الخالد على الأيام ، الباقي على الدهر ، ولكن ترى ما ذا تكون قيمة هذا الشعر إذا ما وقف ناقد في تقديره عند قواعد اللغة والنحو ، وتناوله بمقاييس « التورية والجناس ، والمقابلة والطباق ؟ إنه لا شك ينحط به سافلا سافلا حتى الحضيض ، وإنه لا شك سيرتفع عليه عالياً عالياً بسفاسف الطبقة النازلة من أمثال ابن النبيه والشاب الظريف كما رفع صاحب المقاد « ابن نباته بشموذته وألاعيبه على ابن الرومى فى لوعته وأساه » ومن هنا تنقلب الأوضاع ، ويغدو النقد وهو أداة جود بالأدب ، وخذلان للقرائح العبقرية ، وعامل تقهقر يرجع بالفن إلى الوراء أضعاف ما يجب أن يندفع به إلى الأمام !

فالناقد الحقيقى هو من حكم عقله وقلبه كما يقول شاتوبريان واستغل منطقه وعواطفه فى تقدير ما يقرأ ، حتى يستطيع أن يقدر التقدير الصحيح ، وأن يخدم الحقيقة الفنية والجمال البيانى وإلا فهو فاشل فى مهمته ، يجنى على الفن ، ويبخس النبوغ ، ويكشف نفسه ويعرضها للسخرية ، وكأن العلماء قد أدركوا تلك الحقيقة إذ أنكروا على « المعلمين » والرواة أن يكون لهم فى نقد الشعر والحكم عليه ، فكثيراً ما تنادر الجاحظ عليهم من جراء ذلك حتى اتخذهم مادة لعبثه ومضاحيكه ؛ وكثيراً أيضاً ما ألم الشعراء أنفسهم بقوارص الكلم ، وأليم الهجاء . ولعل من أفكه ما لهم فى ذلك قول عبيد الله بن عبد الرحمن الأهوازى فى معلم أزرى على شعره :

يعيب الأحمق المرور شعرى وهجوى فى بلادته يسير !

ويزعم أنه نقاد شعرى

هو الحادى وليس له بعير

وفى هذا النمط ماروى من أن أبا جعفر الخزاز عاب شعراً للبحترى ، فكانت كبيرة على نفس البحترى حتى عدها إحدى نوائب الدهر إذ يقول:

الحمد لله على ما أرى من قدر الله الذى يجرى

ما كان ذا العالم من عالى يوماً ولاذا الدهر من دهرى

يعترض الحرمان فى مطالبي ويحكم الخزاز فى شعرى

وقد كان الخزاز كما وصفه ياقوت راوية مكثراً موصوفاً بالثقة أخذ عن أبي الحسن المدائني والعتابي ، فما نحسب البحترى أنكر عليه النظر فى الأدب والحكم على شعره من جهة اطلاعه وعلمه، ولكنه لا شك أنكره عليه من جهة استمداده الفنى ، ورحابة عواطفه ، وسماحة طبعه . ولست أدري ما ذا كان يقول أبو عبادة لو امتد به الأجل ورأى الأدب يحتمل الرهق كل الرهق من « خزازين » كثيرين يتولون دراسة الأدب فى مدارسنا المصرية وهم كجماعة المعلمين فى قرطبة الذين تحدث عنهم ابن شهيد فى قصة التوابع والزوابع ينحتون عن قلوب غليظة كقلوب البعران إلى فطن حمئة ، وأذهان صدئة ، لا منفذ لها من الرقة ولا مدب لها فى شماع البيان ، وكل بضاعتهم من الأدب كلمات من غريب اللغة ، وبعض مسائل من النحو والصرف وعلوم البلاغة لا يفهمون منها إلا ما يفهم القرد اليمانى من الرقص على الايقاع ، والزمر على الألحان . فهم يتنكبون النواحى العاطفية فى الأدب ، ويقفون فى تقديرهم عند الصور الجافة من الفن البيانى يقدمونها لتلاميذهم فيجد التلاميذ فى تناولها غضاضة دونها غضاضة المريض من تناول الدواء ، الأمر الذى ألقى فى روع أولئك المساكين أن الأدب العربى كله نمط واحد من الكزازة والجفوة والنشوفة والنشازة والثقل ، فانصرفوا عنه يطلبون متاعهم العقلى ولذتهم العاطفية فى رياض الآداب الغربية ، فاذا ما جلست إلى الواحد منهم وجدته من العلم بتلك الآداب بمكان ، على حين لا تجده من الأدب العربى على بال ، وتلك حال لو دامت فستكون الشر المستطير ، والخطر الكبير

محمد فهمى عبد اللطيف

الى مؤتمر نواب العرب

لبيك ! لبيك ! فلسطين

للأديب السيد ماجد الأتاسى

إذا كانوا يزعمون أن هـذا العصر عصر الديمقراطيات والحريات والمساواة فى الحقوق والواجبات ، فهو إذن عصر المؤتمرات للأفراد والجماعات والهيئات . والناس يأتمرون من مختلف الأمم ، ويريقون على هذه المؤتمرات عواطفهم وميولهم ، وينفضون عليها آمالهم ومثلهم ، ويحيطونها بالضجيج وفنون الدعاوة ، فاذا الناس يتحدثون عنهـا إذا أمسوا وإذا أصبحوا ، حين يكتبون ، وحين يخطبون ، وحين يسمرون ، وحين يهذون . وقد تصبح هذه المؤتمرات ملء الدنيا وشغل الناس ، وقد يكون لها نصيب من حق ، وحظ من جمال ، ونَسَم من مثل عليا ، ولـكنها — على هذا كله — تبقى مؤتمرات تضم طائفة من أهل الأرض !

ولـكنها — على هذا كله — تبقى أرضية ، أرضية ! ...

أما مؤتمر العرب اليوم ، دفاعاً عن فلسطين ، فهو نوع آخر من المؤتمرات فذ طريف ؛ من طراز لا عهد لأبناء الأمم الأخرى به ولا قبل لهم بمثله ...

هو مؤتمر برىء كرقصة المجوز ، صادق كصلاة الطفل ، رائع كلم الحسناء ، شريف كأغنية البطل فى جوف الليل .

هو ، يا أهل المشارق والمغارب ، مؤتمر اشتركت فيه الأرض والسماء ! وهل اشتركت الأرض والسماء فى مؤتمر قبل اليوم ؟! .

من يدرى ، أيها المؤتمرون ؟ لعل الأرض لم تتصل مرة بالسماء ، اتصالهما بالقاعة التى ضمتكم ، تلك القاعة التى هيأتها الأقدار لتكون اليوم مهبط الوحى ، ولتكونوا أنتم اليوم رسل هـذا الوحى إلى العرب والمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ! ..

من يدرى ، أيها المؤتمرون ؟ لعل مواكب العرائس من الحور العين كانت تمتد على حفافى طريقكم إلى قاعة المؤتمر مزغردات ، هازجات ، فأثارت على رؤوسكم الفل والياسمين والريحان ، نافحاتٍ مواكبكم بأطايب العطور ! ..

من يدرى ، أيها المؤتمرون ؟ لعل أجنحة الملائكة كانت تخفق فى جو القاعة المباركة ، فتنفض عليه النور والقوة ، والمناء والثقة ؛ ولعل أرواح الأنبياء كانت — إذ وطأت أقدامكم عتبتها — تفوح حمداً ودعاء ، احتفالاً برسل الأخوة ، وقيام الدعوة مرة أخرى إلي « حِطّين » ثانية ! .. آيات من وحى السماء كانت

من يدرى ، أيها المؤتمرون ؟ لعل آيات من وحى السماء كانت تتنزل على شفاهكم حين تكلمت قلوبكم من على المنابر الخاشعة ، تخنس — إذ تكلمت — الشيطان ، وارتمد الأرعن العجلان ، وكبّرت وهللت — إذ تعاهدتم — الأرض والسماء وملائكة الرحمن ! ..

اليوم تأتمرون ، وتصلون لأجل فلسطين ، يابقايا السيوف ، وأحفاد الفاتحين ..

واليوم تتلفت فلسطين المفجوعة ، ترسل النظر الحائر الدامع إلى قبـلة الحرم ، ترتقب من قاعة المؤتمر ومضة النور ، ونفحة القوة ، ودعوة الجهاد ؛ وجبل النار ، جبل النار الذى صهرته الشدائد ، وهدته النوازل ، وطهرته الدماء ، واجتاحته النـار ليكون روضة من رياض الجنان ، يرتقب اليوم من مؤتمركم قطرات الندى لزهره الذى ذوي ، وانبعاث الربيع لربعه الذى أقوى ، وانتعاش الحياة فى هيكله الذى يضوى .

اليوم ، تأتمرون ، وتُصلون لأجل فلسطين ، يابقايا السيوف ، وأحفاد الفاتحين ! ..

واليوم ، ترنو إليكم — فى إسارها ومحنتها — بضراعة المهان ، وانكسار الذليل ، واستغاثة المصاب ، ابنة عم قيدوها عند صخرة المسجد الأقصى ، ومهد المسيح

اليوم تمد يديها إليكم ، وقد بهرتها الشدائد ، وفدحتها المصائب ، وأجهدها اللغوب ؛ وأبناؤها المدافعون بالأيدى عنها ، يتساقطون — والهف نفسى عليهم — بالقرب منها عزلا واحداً بعد واحد ، وزمرة بعد زمرة ، مشردين فى مجاهل الفاوز ، وخوادع السبل ، بين شاب كزهر الصبح معفر الوجه — واحسرتاه — بالرمال ، وشيخ يلفظ النفس فى شعاف الجبال ، وطفل يتضور جوعاً فى الحصار ، وفتاة كالبدر تبكى مروعة فى الأسحار ، وفارس يصبح ويمسى كل يوم فى ميدان ، لحافه السماء ومهاده صهوة الخيل ، وقوته الأعشاب ، يذب عن ثانى القبلتين وأيكة الأنبياء والأقطاب ، وخميلة الوحى والايمان ، وعروس الأديان

فى كل زمان ؛ يذب عن عذارى العرب المروعات ، يذب عن الأعراض والحرمات، يذب عن الشرف العربى خشية أن يهان، يذب واهباً لله نفسه ، والوطن روحه ، والعروبة ماله ، فاتحاً ذراعيه للقاء العرائس اللوحات له من وراء النظر وقد فتحن له باسمات مزغردات أبواب الجنان ، ففاحت عطورها ، وتضوعت زهورها ، وهبت نسائمها ، وصدحت طيورها ، وكبرت وهللت سدنتها يباركون « العريس » الجديد ، يباركون الزائر القادم ، يباركون هذا الجندى الفارس الملثم من جنود صلاح الدين ... !

اليوم تأمرون وتصلون لأجل فلسطين ، يا بقايا السيوف ، وأحفاد الفاتحين !

واليوم أنتم اليد الملائكية الناعمة ، تمتد فى هدأة الليل ، لتكفكف دموع ذلك اليتيم العربى الهائم على وجهه فى فيافى بئر السبع ؟ يفتش عن جثة الأب الشهيد !

أنتم اليوم قطرات الندى يتساقط في غلس الفجر على قبور الشهداء فترف على زهرات هذه القبور ؛ تلك الزهرات التى رويت من دم قلوبهم فتفتقت — فى روائها ونضرتها — رمزاً حياً لأمانينا ومثلنا ، رمزاً لأمانى العروبة المجاهدة فى فلسطين !

أنتم اليوم زمجرة الثأر تعصف فتهتز لها طرباً عظام الشهداء الهاجعين فى سفوح الجبال ، وترقص عليها النسوة المروعات فى الأسحار !

أنتم اليوم لمة النور تومض في مماي الأفق النائم ، فتهفو لها قلوب المؤمنين الآمنين المحاصرين فى أجواف الدور ، وشماف الجبال ، في فلسطين !

أنتم اليوم بسمة الأمل لمن خلف المجاهدون فى فلسطين وراءهم من شيوخ وأطفال ونساء !

أنتم اليوم ، لحن العزاء لهؤلاء الشيوخ المكابدين لواعج الأحزان على حرمات تنتهك ، ونفوس تزهق ، ووطن يستباح، وشعب يموت، وحق يهضم ، لسواد عيون شعب «مدلل» جيل، لسواد عيون الحسان من بنات صهيون !

أنتم اليوم شبح القصاص يطارد ، بعد موهن الليل . بنات صهيون المجررات عند المسجد الأقصى أذيال الخطايا والآثام !

أنتم اليوم حلم الخلاص الجيل يداعب جفون العذراء العربية عند مهد المسيح الغارقة فى غفوة الأحلام ؟

أنتم ... أنتم ... وإن لم يكن بيدكم هذا السوط الذى يهزه اليوم هتلر وموسولينى فى وجههم ... فاذا هم كالأنعام ...

أنتم ... أنتم ... وفيكم اليوم ما يخيف : فيكم تاريخ يثور، وماض يبعث ، وحاضر يتوثب ، ومستقبل يتوعد ، وعلى لسانكم — فوق هذا وذاك — حق يتكلم

والمجرم ، المجرم ، يا قوم ؛ هو أجبن خلق الله وإن كان أقوى الأقوياء ! هو يحمل اللعنة فى ثيابه ، وإهابه ، ويرن أبداً بين أذنيه صوت القصاص ...

أنتم ... أنتم ... وفيكم اليوم ما يخيف : اليوم يعلمون حق العلم أن هؤلاء الذين أمامهم هم الذين عرفوهم ، منذ قرون تحت أسوار أورشليم . واليوم يعلمون حق العلم أن أولئك الفرسان الذين يسابقون الريح فى خطوط النار ، هم هم الفرسان الذى كان يرتفع غبارهم وراء رايات صلاح الدين فى حطين ...

وكل عربي اليوم صلاح الدين . وكل بلد عربي اليوم حطين أيها المؤتمرون :

أتقولون اليوم : إن فلسطين لأهل فلسطين ، وإن ما يقترف فى فلسطين اليوم دونه مآسى تيمورلنك ، ونيرون ، وجنكيز ؟ أم تقولون إن العرب لن يرضوا بعد اليوم بعَظمة يهودى صهيونى واحد ترى فى فلسطين ؟ ! هـذه العظمة المنتنة التى عافتها أنوف العالمين ، أتقولون هذا ؟ حذار ! حذار ! فالسلم العزيز الرهيف النحيف إذن « يتوعك » والتوازن الدولى الجليل الحساس يختل ويغضب ، والدنيا تصبح فى خطر ، وأصحاب الضمائر والعهود الصادقة لن يرضوا فى حال من الأحوال أن ينكثوا بعهد قطعوه ، ووعد منحوه على حساب شعب برئ آمن مطمئن !

السلم ، والمدنية ، وحق تقرير مصير الشعوب ؛ كل هذا هو الحسان اللواتى لسواد عيونهن قاموا وقعدوا ، وأرغوا وأزبدوا، يوم حطم موسولينى تحت سنابك خيله أعرق تاج فى ربوع الحبشة

واليوم لسواد عيون هذه الحسان نفسها ، يجلون فى فلسطين شعباً كاملا عن وطن آبائه وأجداده ليحلوا محله حثالات الشعوب فهم يخربون المدن ، ويقطعون السبل ، ويحاصرون الآمنين ، ويروعون النساء ، ويقتلون الأطفال . كل هذا لأجل السلام ! ووفاء بالعهود والوعود !

أفتدرون ، يا قوم ، ما الفرق ؟

الفرق هو أن يد موسولينى يد قاسية تؤلم إذ تضرب وتوجع ..

وأما يدهم فناعمة رهفة ، فهى — إذ تضرب — كأنها تربت وتلاعب وتغازل ..

إذن اضربونا ، اضربونا ما أجمل هذه الأيدى وما أشد نعومتها ! .. وما أحلى ضرباتها ، يامنصفون !

***

أيها السلم ، أيها التوازن الدولى ، أيتها المعاهدات والوعود ! أيتها الحسان الزرق العيون ، يا معبودات تشمبران ودبلاديه خذوني ، وضموني بين ذراعيكم إلى صدركم الجميل ! ..

يا لله ، ما أعجب شأنكن ! أنتن فى أحلام الشعراء ، وعلى ألسنة الساسة ، وفى كتب القانون ، تلك « المروحة » أمام وجه الانسانية الثائرة المحمومة ، تخفف عنها وطأة الحر والحمى ! .. أنتن عند هؤلاء رسل الحب والقبل بين الناس . . . وأنتن — فى الواقع الملموس — ذئاب تعوى ، وأرانب تفر ، وثعالب تمكر ؛ بل أنتن هذا الثوب الفضفاض الجميل الذى يحيكونه فى لندن وباريس ليحجبوا به عن الأعين الدم القاطر من أيديهم ! أنتن — كما قيل — « القفاز الأبيض فى اليد الحمراء » ، « أنتن النقاب الخادع يستر الوجه الكاشر ، والطرف الغادر » ، « أنتن حجة ذئب « لافونتين » يفرضها على الحمل الضعيف » ، « أنتن معانى الظلم والعنف واللصوصية والاغتصاب تختبئ فى مصطلحات القوانين ! .. أنتن .. أنتن كل ما بلغت الانسانية ، بعد جهاد قرون ، من قدرة على الكذب والتمويه !

سمعنا ، يا حسان ؛ أن أبا كن ويلسن ، هذا السياسي الطيب القلب سياسي الكتب والأحلام ، قد أقام لكن هناك على ضفاف بحيرة « جنيف » الساحرة مقراً منيفاً ترسلون منه إلى العالم أجمع قبلات الحب والأخوة ، ورسائل السلام والوئام ، وتبعثون منه ، وإلى السماء صلوات المثل العليا ! ..

أيها الطيب القلب ، النائم فى هدوء الضمير ،

إسمعنا من هنا ، اسمع أنات عانينا ، ونشجات باكينا ، وضجات جناحنا المهيض .

إسمعنا : إن هذا القصر الذى شدته بيديك الطاهرتين المشبوبتين ليكون هيكلا مقدساً لصلوات نساك الحب والمساواة والسلام ، أصبح اليوم حانة من حانات الليل ، تدار فيها خمور الشهوات ، وتدفع بالثملين معربدين فى أجواء العالم ، وبقاع الأرض ، عائثين فيها كاشرة أنيابهم ، محمارة عيونهم ، مفتحة خياشيمهم ، ممكرين على الانسانية صفوها ، منغصين عليها أحلامها ! ..

أصبح اليوم داراً من دور الميسر تلهو به الأمم الكبيرة لا الأفراد ، و « الروليت » هناك تدور وتدور ، و « القبيش » يرتفع ويهبط ، وهى فى هذا الدوران والارتفاع والهبوط تدور معهما وترتفع وتهبط لا أموال الأفراد ، ولكن — واحر قلباه — مصائر الشعوب ، ومقدرات الأمم والضعفاء ! ..

أصبح اليوم : سوقاً يأوى إليها تجار الرقيق « بالجملة » « ليتساوموا » فيه ، ويتبادلوا ، ويتهادوا ! ..

أصبح اليوم مأوى للذئاب الخائفين من شرور أنفسهم !

والآن ، أيها المؤتمرون ، إن فلسطين تناديكم .

تنادى المتربعين على عروش الذين كانت تصهل خيولهم ، وتلمع أسنتهم ، ويرتفع غبارهم ، تحت أسوار أورشليم ! ..

فمن يكون اليوم منهم صلاح الدين ؟

من يكون اليوم منهم « المعتصم » لينقذ اليوم ألف عربية بين أيدى الجنود تنادى من وراء قضبان الحديد ، فى غلس الليل « وامعتصماه ! » ؟

أيها المؤتمرون ، أيها الملوك ، أيها الأطفال ، أيها الشيوخ أيتها العجائز ، أيها العرب ، أيها المسلمون: صلوا حين تأوون إلى فراشكم وحين تصبحون ، لأجل فلسطين !

صلوا حين تجلسون إلى موائدكم لأجل المتضورين جوعاً فى فلسطين !

صلوا حين تجلسون إلى أولادكم لأجل اليتامى المشردين فى فلسطين !

صلوا حين تجلسون إلى نسائكم لأجل الأرامل المروعات فى فلسطين !

صلوا : لأجل الشهيد العربى المجهول الهاجع بين وكور النسور فى جبل النار .

صلوا لأجله : فهناك من تراب النبى حفنة ، ومن البقيع الأطهر قطعة ، ومن الفراديس روضة ، ومن رضى الله بسمة ومن البركان نفحة .

صلوا ، صلوا لأجل الشهيد العربي فى فلسطين .

« حمص — سوريا » ماجد الاناسي

التاريخ في سير أبطاله

إبراهام لنـــكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادي خذوا معاني العظمة في أسمها
الأعلى من سيرة هذا العصامي العظيم . . . . .

— ٢٤ —

وأنى للرئيس أن يستمرىء الراحة أو يهفو إليها حتى يفرغ من رسالته ؟ لذلك فهو يجعل للعمل وقته جميعاً لايكاد يدعه لحظة وكان له في هذا الجهاد الأكبر خير عون من عافيته وقوة بدنه ، فلقد بنته الغابة كما تبني دوحاتها العظيمة ، كأنما كانت تهيئه لهذه العظائم . . .

ولم تكن الحرب وحدها هي كل مايحمل الرئيس من عبء ، فلقد كان له ممن يعمل معهم من الرجال ، كما كان له من اختلاف الأحزاب وتبلبل الرأي العام أثقال فوق أثقاله .

وهناك عدا ذلك موقف الولايات الوسطى التي عرفت باسم المحايدة فكان يخشى الرئيس أن تنضم إلى الاتحاد الجنوبي فتزيدهم قوة وعزما ولن تكون تلك القوة في الوقت نفسه إلا خسراناً لأهل الشمال . . .

ثم هناك موقف أوربا من هذا النزاع . . . وهو أمر له خطره يحسب الرئيس له ألف حساب ، وإن كان سيوارد لا يرى له أول الأمر ماراه الرئيس من خطر .

***

ولم يترك الناس رئيسهم يعمل لقضيتهم الكبرى فحسب ، بل راح الكثيرون يطرقون بابه يرجونه ويسألونه إلحافاً ، فهذا ممن ساعدوا الحزب الجمهوري يطلب من طريق خفي أن يكافأ على خدماته . . . وذاك يطلب وظيفة يأكل من راتبه فيها . . . والموظفون في البيت الأبيض يعجبون من هذا الرئيس الذي لايجعل فرقا كبيراً بين قاعة الحكم هناك وبين حجرة مكتبه في سبرنجفيلد . .

لقد جعل للناس يومين كل أسبوع يلقاهم فيهما جميعاً لا يوصد بابه في وجه أحد ، وإنه ليستمع إلى كل ذي حاجة ، فإن استطاع أن يمد إليه يد المساعدة دون أن يجور بذلك على القانون لم يتردد أو يتأخر . وكثيراً ما كان يجعل الرحمة فوق العدل ، إذا رأى نفسه بين أن يعدل فيقسو أو يرحم فيميل بعض الميل . . . ولكنه في ذلك لايسيء إلى الخلق أو يتهاون في قاعدة جوهرية وحاشاه أن يفعل هذا أو ماهو دونه . . .

ولن يضيق صدره بذوي الحاجات لديه ، مع أنهم كانوا يلقونه على السلم ، ويقفون أمام غرفته صفوفاً خلف صفوف ، بل كثيراً ما كانوا يستوقفونه في الطريق ويزحمونه . . . ولكنه من الكاظمين الغيظ . . ولن يستطيع قلبه الكبير أن ينهر السائل فيزيده بؤساً على بؤسه ، وهو الذي عرف اليتم منذ حداثته وذاق الشقاء ألواناً . . .

على أنه مهما بلغ من رحمته وبره بالمساكين ، يعرف أساليب الماكرين ، فلا ينخدع بما يراه من ادعاءاتهم فيصرفهم بالحسنى وإلا فبشيء من الشدة يشبه التأنيب ويراد به الزجر . . . دخل عليه رجل كسرت ساقه يسأله عملا إذ قد فقد رجله في الحرب ، فسأله الرئيس أيحمل أية شهادة أو دليلا على صدق دعواه ، ولكن الرجل لايحمل شيئاً، فصاح به الرئيس قائلا : «ماذا؟ ليس لديك أي أوراق أو أي شهادات أو أي شيء يرينا كيف فقدت رجلك . . . فليت شعري كيف أتبين أنك لم تفقدها في فخ وقعت فيه وقد سطوت على بستان غيرك . . . »

ويعجب القائمون على الحكومة كيف يطيق الرئيس وقد ملأت وقته الأحداث الجسام أن يلاقي هؤلاء الناس ويستمع إلى مثل هذه الأمور الصغيرة وكان جديرا به أن يكلها إلى غيره ... ولكن أليس هو من الناس ؟ أليس هو خادم الجميع قبل أن يكون رئيس الجميع ؟ وهل يغير المنصب ما فطرت عليه الأنفس الكريمة من كريم الخصال ؟ ...

ها هو ذا إبراهام النجار تراه في البيت الأبيض ولم يزل هو هو، وداعة في قوة ، وتواضع في عزة ، ورقة في وقار ... ومن وراء ذلك قلب تسع رحمته شكوى الناس جميعا ، قلب لا يتهنأ ولا يفرح إلا إذا صنع المعروف وأدلى الجميل فأفرح القلوب وأدخل عليها الهناءة .

وما كان أعظم الرئيس وأجل خلقه حين يلقى فى الطريق إلى غرفته أحد معارفه ممن لاقاهم قبلُ فى مضطرب الحياة ، فيقف يضحك وإياه ويده على كتفه ويسأل عن أمره وأمر أسرته ... ولقد يأخذه معه إلى قاعة الرياسة فيذكر له الأيام الماضيـة حتى ما يشعر الرجل أنه بين يدى رئيس الولايات المتحدة

ثم ما كان أعظم الرئيس حين كان الفقراء يستوقفونه فى الطريق فيقف ليستمع إليهم وليكلمهم كأنه أحدهم، فلا ترفع ولا كبرياء. ولن يستنكف الرئيس أن يطيل الحديث أحيانا عله يستطيع أن يكفكف بكلامه شيئاً من دموعهم ويخفف بالعطف عليهم بعض آلامهم ... ولئن كانت له حيلة إلى إجابتهم إلى ما سألوا فما هو عن ذلك بضنين

ولقد كان ينكر عليه مسلكه هذا بعض موظفي البيت الأبيض .. ولكنهم حين كانوا يزعمون أنه لا يليق ذلك بمن كان فى مثل مركزه كان يغيب عنهم أنه لا مسلك غيره لمن كان له مثل قلبه . على أنهم لم يلبثوا أن أكبروا الرئيس وأعجبوا بخلاله ، وأصبحوا لا يرون أى مأخذ عليه ، وأصبح من المناظر المألوفة عندهم أن يدخل أحدهم ببطاقة للرئيس فيراه ينهض بنفسه إلى خارج الحجرة يلقى مرسلها مرحبا ضاحكا . . . أو أن يروه يأتى بنفسه إلى الحاجب فينهره حين يسمعه يمنع طالبي الدخول عليه ...

أما الوزراء وكبار الموظفين وقواد الجيش فقد اعتادوا أن يروا الرئيس يسعى إليهم أحياناً بدل أن يدعوهم إليه . . وكثيراً ما كان يلتفت الواحد منهم فاذا حاجبه مقبل يعلن إليه أن الرئيس على السلم أو فى طريقه إليه

ويدخل الرئيس فيجلس إلى مرؤوسه يستفهمه عما يريد وينصت إليه ؛ فان كلمه مرؤوسه فى أمر فنى كلام الاخصائى ، لا يستنكف الرئيس أن يستوضحه وكأنه منه التلميذ حيال أستاذه ؛ ويعجب المرؤوسون من هذا الرجل الذى لا يدعى أبداً العلم فى أمر يجهله ، والذى يفهم ما يُبيَّنُ له فى فطنة وسرعة

* * *

ماجت وشنجطون بالمتطوعين حتى أصبحت المدينة معسكراً عظيما ، ولكن الرئيس يعوزه القواد ... وإنه ليطيل التفكير فيمن عساهم أن يصلحوا للقيادة فى هذا النضال الهائل .. إن على رأس القوات الآن القائد سكوت ولكنه شيخ كبير ناهز الخامسة والسبعين ، والموقف يتطلب قائداً فتياً يبث من روحه فى قلوب جنده ويمشى بهم إلى النصر ... ألا ليت القائد لى لم يرفض ما عرض عليـه ، ولكن بئس ما فعل لى فلقد انضم إلى الثائرين وأصبح من أكبر قوادهم

فكر الرئيس وتدبر .. وأخذ يقلب الأمر على وجوهه والرأى العام من حوله يزيد موقفه صعوبة ، فلكل حزب رأى ، ولكل جماعة فكرة ، ولحكام الولايات آراؤهم وإلا توقفوا عن إرسال الجنود ... والرئيس يتمنى أن يهيئ له الناس بسكوتهم الجو ليختار قواده على أساس الكفاية ولكنهم لا يفعلون ، وهو لا يستطيع أن يغضب تلك الجهات فى هذه الظروف القاسية ، بينما هو فى الوقت نفسه لا يستطيع أن يرضيهم جميعاً

ويستعرض الرئيس الموقف الحربى ، فيجد القائد ماكليلان قد وفق فى أعماله فى فرجينيا الغربية ، ويسمع الثناء عليه من جهات كثيرة حتى لقد سماه نابليون الجديد ... ولذلك يدعوه الرئيس ويعينه قائداً عاماً للقوات فى فرجينيا

وتتجه الأنظار كلها إلى القائد ماكليلان فهو شاب فى الرابعة والثلاثين ؛ وفيه كثير من الصفات التى تحمل الناس على محبته ؛ فله حسن السمت وهيبة الطلعة وروح الشباب ؛ وله من صغر جرمه ما يشبه به نابليون ، وكذلك له من صفات نابليون بريق عينيه ومضاء عزيمته وتوقد حماسته

وسرعان ما تعظم شهرته حتى يجرى اسمه على الألسن جميعاً ؛ وكم له فى الحياة من أشباه ممن قامت شهرتهم على أوهام الجماعات ولكن لعل الأيام تثبت جدارته ، فان الأعين والقلوب متفقة على الاعجاب به

على أن للشباب نزعاته ونزواته ، فهذا القائد يدل بجاهه من أول الأمر ، حتى ليعد نفسه الرجل الوحيد الذى يستطيع أن ينقذ البلاد مما هى فيه ... ولقد شايعه فى هذا الزعم كثير من الناس ... حتى رجال مجلس الوزراء قد عظمت ثقتهم فيه إلى حد أنهم كانوا يميلون إلى جانبه أحياناً إذا هو رأى ما لا يرى الرئيس والرئيس يتذرع بالصبر ويتغاضى عن ذلك فى سبيل ما يعقده من الآمال على ما عساه أن يأتى به ذلك الشاب

وأخذ القائد الشاب يدرب مائتى ألف رجل على حدود

فرجينيا، وقام بذلك العمل على خير ما يرجى، ولكنه أطال التدريب وأطاله حتى تسرب الملل إلى الرأى العام فضاق بما يفعل فان الناس كانوا يستعجلون الزحف؛ وكذلك ضاق الرئيس ذرعا، ولكن ما كليلان يعد الناس أنه يستعد لحركة عظمى سوف تطفئ نار الثورة

وشاع فى الناس اسم قائد آخر هو القائد فريمونت، ولقد كانت له مواقف محمودة فى الجهات الغربية يومئذ، وكان هذا الرجل من قبل أول مرشحى الحزب الجمهورى للرياسة فله بذلك فى الناس منزلته وخطره، وله فى قلوب الساسة وأولى الرأى نفوذ كبير

ولن يقل فريمونت عن ما كليلان اعتزازا وترفعا، فهو يحيط نفسه بفرقة من الحرس، ويرق بعض الجند دون أن يرجع إلى الرئيس وهو بحكم مركزه القائد الأعلى لقوات الدولة... وكذلك يتباطأ فريمونت فى الرد على البريد القادم من العاصمة... ولن يقف الأمر عند ذلك، بل تأتى الأنباء أن فريمونت ينوى إقامة اتحاد ثالث فى الجهات الشمالية الغربية

ولكن الرئيس لا يصدق هذه الأنباء فهو واثق قبل كل شىء من إخلاص الرجلين لقضية الاتحاد، وإلا فما كان ليضعهما حيث وضع مهما يكن من الأمر

وأحاط فريمونت نفسه أول الأمر بجو من السكوت، ولكنه ما لبث أن أذاع قرارا خطيرا اهتز له الرئيس وتبرم منه وضاق به، وذلك أن القائد أنذر أهل مسورى فى آخر شهر أغسطس عام ١٨٦١، أى بعد قيام الحرب بنحو أربعة أشهر أنه ينفذ قوانين الحرب فى الولاية، ولذلك فهو يحدد منطقة يجعلها محرمة، يعدم كل من يحمل السلاح فيها ضد حكومة الاتحاد وكذلك يعلن القائد أن كل من تحدثه نفسه بالثورة من أهل الولاية جميعا يكون جزاؤه مصادرة أملاكه وتحرير عبيده إن كان له عبيد...

ارتاع لنكولن للقرار وتربد وجهه وأوشك أن ينفد صبره، وكان يلاحظ من يرونه غداة هذا القرار علامات الهم الشديد على محياه، ولكنهم كانوا كذلك يلمحون أمارات العزم والصلابة ودلائل الحزم والثبات

انزعج الرئيس لأثارة مسألة العبيد فى تلك الآونة، فلقد جعل مبدأ الحرب من أول الأمر المحافظة على الاتحاد، حتى تكون قضية دستورية لا عيب فيها، وبذلك تجد سبيلها إلى القلوب وتستنهض الهمم بما تثيره عدالتها من حماسة ولا تدع سبيلا لأحد أن يتهم أهل الشمال بأنهم أوقدوا النار من أجل أغراضهم وعواطفهم فى مسألة العبيد... وكذلك كان يتحاشى الرئيس إثارة تلك المسألة حتى لا تثور الولايات المحايدة وتنضم إلى أهل الجنوب، ويفقد الرئيس كل أمل فى ضمها إلى جانبه، ومن تلك الولايات مسورى نفسها فقد كان فيها كثير ممن يقتنون العبيد، وأهم منها وأعظم خطرا كانت ولاية كنتولى التى ينتمى إليها الرئيس منذ نشأته، فلقد بذل الرئيس كل ما فى وسعه للمحافظة على مودة أهلها لتنضم إلى جانبه أو لتبقى على الأقل محايدة، فلموقعها الجغرافى فى الحرب شأن أى شأن

ولكن هذه السياسة الرشيدة العاقلة التى جرى عليها الرئيس ما لبثت أن طاح بها ذلك القرار الطائش؛ فسرعان ما هاجت الخواطر فى تلك الولايات المحايدة، وسرعان ما جزع كثير ممن يسلمون بنظام العبيد من أهل الولايات الشمالية

وعظم خطر هذا القرار حتى أصبح نقطة تحول جديد فى الموقف كله... ونظر الرئيس فاذا هو تلقاء عاصفة شديدة من الرأى العام، فأن دعاة التحرير وأعداء نظام العبيد ما لبثوا أن هتفوا بالقائد الجرىء الحازم، وراحوا يتمدحون خطته بقدر ما يعيبون على الرئيس تردده وخوره

وانطلقت الصحف تدعو الرئيس أن يقر فريمونت وأن يحذو حذوه فيعلن قرارا عاما ينطبق على الولايات الثائرة جميعا. ولما وجدوا منه الإعراض والغضب، عصفت برؤوسهم النزوات وراح بعضهم يدعو إلى إرغام الرئيس على الاعتزال ووضع فريمونت فى مكانه

ويتطلع الرئيس بعينيه الواسعتين فاذا بوادر الفرقة والتنازع تكاد تقضى على قضية البلاد، وإذا العاصفة تشتد وتشتد؛ ولكنه الرجل الذي لم يخلق له الفزع؛ وهل يذكر أنه خاف العاصفة يوما ما حينما كانت تنطلق عاتية مدوية فتهتز لها أرجاء الغابة، وهو واقف منها موقف المتفرج؛ ذلك الموقف الذي ما كان يطيقه صبى فى مثل سنه إلا إذا كان مثله من بنى الأحراج الذين ألفوا ملاقاة العواصف؟...

«يتبع» الخفيف

خاطر

رفائيـــل
الدنيا ذات الطهر والسحر

«مهداة إلى لجنة إنهاض اللغة العربية»

للآنسة الفاضلة ف . ن

كنت أود لو أن الصديقة التى قضيت معها ساعات القيلولة من كل يوم طيلة أيام الربيع الماضى ، تحكى هذا الذى أريد أن أحكيه عنها وعنى ، فلقد كانت حافلة بموضوع الحديث ، مشوقة للبحث فيه ، هيّابة لذكراه ، إذا ما أقدمت على طرقه فكأنها تقدم على طرق حديث من عند الله ... وما كانت لتنساه ، ولم يكن لها مجال لتنساه وأنا معها ليلَ نهار !

— رفائيل أيضاً ؟ .

— أيضاً رفائيل ! .

هكذا كانت تبتدرنى كلما لقيتنى فى فناء المدرسة أو فى ناحية من نواحيها ، متأبطةً كتاب رفائيل ، وهكذا كنت أرد عليها وأردف بابتسامة تفهم معناها الذى فى قلبي .. ثم أسير عنها ، فاذا بها تتبعني . كأنى أحمل قوة من السحر تجذبها من غير أن تدرى ! وأدرك ناحية هادئة اعتدتها فأحتل مكاناً لي فيها كفلته خالياً كثرة جلوسى هناك ، فاذا بها قربى .. وأتجاهل ما تريد فأصمت عنهــا وهى ترتقب حركة منى ، حتى إذا وثقت من إصرارى على الصمت صاحت بى وقد نفد صبرها « افتحي ! » فأبتسم .. وأفتح . . . ونقرأ الكتاب الذى أعجز عن عدّ المرات التى قرأناه فيها وكأننا نقرأ لأول مرة . وتستوقفنا المعانى الرائعة فتفلت من صدرينا آهات خافتة هي التأثر ، وهى الإعجاب ، وهي صدى الروعة فى النفس وفعلها فى الشعور ! ونغرق فى السحر الذى يفيض من قلبينا حتى يغمرنا ، ونذهب فى سكرة لذيذة لا نصحو منها إلا على صوت الجرس ، معلناً انتهاء ساعات الفراغ ، فينــال من لعناتنا ما ينال ونحن فى حنق عليه !

هكذا بدأت أيام إعجابها الأولى بالكتاب ، ثم سارت — هذه الأيام — فى طليعة أيام بعدها ، حفرت لها فى قلبينا أثراً بعيداً لن تمحوه الحوادث مهما جارت ! . . تلك كانت ساعات القيلولة فى الربيع الماضى ، عند ما نجد أثر النعاس اللذيذ فى كل جفن ، على الرغم من توسط الشمس قبــة السماء بهيجةً ساطعة ؛ وعند ما نلمس روح الهدوء فى كل حى ، كأن الكل شعراء يحلمون !

هكذا كان تَحفّلها بالكتاب عظيماً وأنا أطلعها عليه للمرات الأوَل . على أنها لا تفهم العربية الفصحى جيداً ، فكنت أتناول عميق المعانى بالافصاح والطلوع بهــا إلى سطح معرفتها باللغة — وفى هذا ما فيه من تشويه — فلا تتمالك نفسها من أن تقول والدهشة تملأ فاها « أهذا السحر فى العربيــة ؟ » فأجيب « بل وفى قلم الزيات أيضاً ! »

ما كانت تدرى أن فى العربية سحراً ، وقد شبت جاهلة بها . وهى وإن كانت عربية فيها دم فارسى إلا أنها تجيد الفرنسية قبل كل لغة (هكذا شاءت إرادة المدارس الفرنسية ، وهكذا خضعت حكومات البلاد العربية لهذه الارادة القاسية !)

لقد عرفتها قبل أن أعرّفها (رفائيل) بثلاثة أعوام، أطلعتها فيها على كثير مما جادت به القرائح والأقلام العربية فأعجبت بالكل وذهلت برفائيل ! ولم يكن هذا الاعجاب الطــاغى ، أو هذا (الذهول) ليغمط حق سائر الكتب التى اطلعت عليها . فلكل طريقته وأسلوبه وروائع معانيه ، إنما فى (رفائيل) روح لا توجد فى سواه، روح عالية سماوية ليس فيها من نزعات الأرض واحدة!

— ماذا ؟ أصديق جديد ؟

قالت عند ما رأت (رفائيل) فى يدى لأول مرة . . كلتان اعتادت أن تقولها كلما رأت فى يدى كتاباً جديداً . .

قلت : لا ، بل معلم مجيد ، بل عالم سماوى ليس فيه خبث ولا دنس . إنه (رفائيل) روح من السماء كما كانت فى السماء . .

***

كنت أود لوأن الصديقة التى قضيت معها الساعات النارقة فى الاعجاب ، المتسامية بروحينا عن عالم وضيع إلى دنيا ليس فيها حياة إلاَّ الطهر والسحر . . كنت أود لو أنها تحكى هذا الذى حكيته ، إلاَّ أنها بعيدة . . وإلاَّ أنَّ هذا الخاطر هاج فِيَّ ولاأظنه هاج فيها، وذلك لنظرى إلى الكتاب لا كنظرتها فقط، إنما هناك عوامل أخرى ، تخان فيَّ نظرةً أخرى ، تقيم الخشوع فى نفسى كلما ذكرت شيئاً من الكتاب أو قرأت فيه شيئاً . .

أما عند ما أقرأ مأساة رائعة أبكي ويعتصر الألم قلبي فألازمه أياماً.. وعند ما أقرأ صفحة فى البطولة، تهيج فى نفسي عوامل الشعور بالقوة فى الروح وفى الجسم وفى الأمانى، وفى كيانى كله. ولكنى عند ما أقرأ (رفائيل) أحسُّ عالماً جديداً فى داخلى، وعالماً جديداً حوالى!

***

سواء على أوثق القراء بما أقول أم لم يثقوا، فحسبي أنى أصف خاطراً فى نفسى أهاجته خواطر فى نفوس الغير.. سواء على أوثق القراء من أنى لم أتلقَّ تهذيباً فى البيت أو فى المدرسة من أمى أو من مدرِّساتى، أو من أية ناحية من نواحى الحياة بقدر ما ألقى فى صفحة.. بل فى بِضع جمل من رفائيل!. سواء أوثق القراء أم أبوا فانى أقول هذا للحقيقة لا للدعاية — وهل يحتاج مثل رفائيل للدعاية؟

كل مانى نفسى من غرائزها البشرية الرديئة، كل مانىَّ من أثرة وحسد وبغضاء ونزوات دنيئة، كلها تموت وتتلاشى إذا ماقرأت فى رفائيل صفحة.. وأعود لا أرى فى الدنيا وفى قلبي إلا المعانى الجميلة، الدنيا الطاهرة التى فى رفائيل.. وأعود لا أرى الحبَّ إلا عذرياً نقياً كحب رفائيل.. ولا أرى الصداقة إلا بريئة من كل شائبة كصداقته. ولا أرى العفة فى كل عاطفة إلا عفته، ولا الدنيا الصادقة إلا دنياه؛ ولا الحياة الزاخرة بوجدان حى إلا حياته. ولا أرى المثل الصادق للتهذيب الذى يدخل النفس من حيث لاتشعر فينقيها ويجلو محاسن ربها فيها، ويهيئها لعالم كل مادته ومعناه وجدان طاهر وعاطفة بلا شائبة، ذلك التهذيب اللين الجارف فى غير قسوة ولا تشديد، إلا فى كلمات يلقيها رفائيل فى الحس فتمهد الدرب، فى غير صعوبة، إلى أعماقه.. وفى جمل رائعة يصف فيها حبه وحياته وآلام قلبه فتحس جلده على تحمل آلام اليأس الذى ما كان ليراه يأساً.. وصبره على حرمانه الذى يجد فيه كل المتع، ويلاقى فيه من السعادة مايحمله على الهزء بأسباب لذاذات الناس أجمعين، اللذاذات فانية تشمئز من أصحابها..

كذا يجب أن يكتب الكتاب، وكذا يجب أن يقولوا للناس كباراً وناشئة.. إذ ذاك يكونون قد عرفوا عظم مسؤولياتهم تجاه الجمهور القارىء. وإذ ذاك يكف النقاد عن صيحتهم: «اتقوا الله فيما تكتبون فان عليكم تبعة الأثر الذى تتركونه فى النفوس..»

كذلك فليكتب الكتاب، وإذ ذاك يقال عنهم إنهم مخلصون جد مخلصين، وإذ ذاك يكونون أصحاب رسالات فى الاصلاح والتهذيب لكل جيل وكل جنس وكل روح:

هذا كتاب للتهذيب!. لعل صاحبه يوم كتبه لم يقصد به إلى هذا، إنما كذلك كانت نفسه، وقد أراد به التعبير عنها ووصف ما خالجها فجاءت هذه الصفحات الرائعة من حياة الوجدان والقلب. وإنما قصد به إلى هذا مترجم تلك الصفحات وناقلها إلى أمته أصدق نقل فى أروع أسلوب وأعف حديث.. وأى بلاغة فى القول المهذب أعظم من قول رفائيل فى معنى «كان حبنا ينمو كل يوم دون أن تمسه يد النقصان أو الفناء، لأننا كنا لا نقطف ثماره بل ندعها حية يانعة تنمو وتنمو!..» وأى معنى أروع فى تهذيب العاطفة من غضبة الشاعر على حبيبته يوم أظهرت له تحسرها على شبابه وأيامه تنطوى بهذا الحرمان فى حبها، تلك الغضبة التي تشتد وتمتد، حتى يترك القارئ وفى نفسه أنه لا يذوق لذة فانية من حب مهما تيسر له ذلك، لأن الحب هو ذلك الذى فى قلب رفائيل وحبيبته ليس إلا.

***

هذا خاطر فى النفس أهاجته خواطر فى نفوس الناس.. وإن فى النفس من رفائيل لعوالم، وإن أثر الصفحة منه فى الروح كتب.. وأثر الجملة أحلام، وأثر الكتاب تهذيب وصقل وبلاغة قول، وسلامة منطق!. ولا يفكر فى ترجمة رفائيل إلا ذو نفس كنفس رفائيل: فهل يشكرها الجمهور على هذه الخدمة الصادقة، أم يشكر ربها الذى براها؟!

وبعد فان فى صدر الساعات الدافئة من الربيع الذى مات، أثر آمن آهات خافتة كانت صدى الروعة فى النفس، وعمل (رفائيل) فى الحس؛ حملتها نفس (الربيع الذى مات) إلى جنة الخلد.. إلى رفائيل!..

«البصرة»

الآنسة
ف. ه

بين اللغة والأدب والتاريخ

الفالوذج

للأستاذ محمد شوقي أمين

— ٤ —

توجيه الاشتقاق ، الصفات فيه ، سبيل العرب في الوضع

وإني سائق الآن هذه الألفاظ بمرة ، فمعيدها لفظاً بعد لفظ لبيان وجه الاشتقاق ، وعلة الوضع ، وتقدير العلاقة بين اللفظ الموضوع وبين مدلول الاسم الأعجمي

والألفاظ هي : السرطراط ، السريط ، المرطراط ، اللمص ، اللواص ، الملوّص ، الرعديد . المزعزع ، الزليل ، اللقاء ، المزعفر ، الصفرّق

— ٧ —

ا — مادة سرط تصف الابتلاع وسهولته ، تقول : سرطه وتسرطه واسترطه : ابتلعه . وانسرط في حلقه سار سيراً سهلا ثم اشتق منها : المسرَط : للبلعوم ، والسرواط : للأكول ، والسرطة : للسريع الاستراط

وقد صيغ من هذه المادة : اسمان للون من الأطعمة ، الأول السريطاء ، والآخر السرَّيطي ، لنوع من الحساء

فلما تعورف الفالوذج ، اشتق العرب من هذه المادة : اسمين له ، الأول : السرطراط ، بكسر السين والراء ، وبفتحهما ، قال السيد مرتضى : « كررت الراء والطاء تبليغاً في وصفه ، واستلذاذ آكله إياه إذا سرطه وأساغه في حلقه » وقد جمعه الاسكافي على سرارط [1] . وثاني الاسمين : السريط ، قال الفيروزابادي والشيرازي : هو كزُبَيْر ، وقال صاحب التاج : الصواب بتشديد الراء المفتوحة

والاشتقاق كما ترى ملحوظ فيه انسياغ الفالوذج ، وسرعة ابتلاعه !

ب — مادة مرط تصف الاسقاط والاسراع والأخذ الخاطف تقول : مرط : أسرع ، وأمرطت النخلة : سقط بسرها ، وأمرطت الناقة : أسرعت وتقدمت . وتمرط الشعر : تساقط ، وامترطه : اختلسه

وقد اشتق من هذه المادة اسم لهاة ، وهو المريطا ، لأن الطعام يسرع فيها ، ويتساقط إليها . ثم صاغوا من المادة اسماً للفالوذج وهو : المرطراط بكسر الراء والميم على زنة السرطراط ، فوجه الاشتقاق هو : ليان الفالوذج وطواعيته لامتراطه والاسراع فيه

ج — تصف مادة اللمص مما تصف : التناول بالاصبع . تقول : لمص الشيء : إذا أخذه بطرف إصبعه . قال ابن دريد : لمصت الشيء : إذا اطعمته باصبعك ولحسته

وقد صيغ من هذه المادة اسم للعسل ، واسم لشيء كان يأكله الصبيان ، ذلك الاسم المشترك هو : اللمص ؛ بفتح فاسكان فأخذت هذه الصيغة للفالوذج . وعلة الأخذ واضحة ، وهي أن الفالوذج كان يتناول بالأصابع ، ففي هذا الوضع روعيت طريقة التناول لهذه الحلواء

د — تدل مادة لوص على الحيدان والحركة ، تقول : لاص حاد . ولاوص : نظر نظرة الخاتل يمنة ويسرة ، وأليص : أرعش وما به لويص ، أي قوة وحركة . وتلوص : تلوّى وتقلب

وقد وضع العرب من هذه المادة اسما للعسل . فقالوا : اللواص . ثم قالوا : لوّص الرجل : أكل العسل . ثم كان منهم بعد ذلك أن أشركوا في هذا الاسم : الفالوذج . فسموه : اللواص وأضافوا إليه اسماً ثانياً من المادة نفسها ، هو الملوص ، وهو اسم مفعول من الفعل : لوّص الذي كان مستعملا في معنى تناول العسل ، فالتلويص في الفالوذج كالتلويص في الشهد

والوضع في هذه المادة ملحوظ فيه هيئة الفالوذج ، فهو يتلوى في الصحاف ويتقلب ، ويظل في إرعاش وحَيَدان وهذه الصفة أوضح ما يرى من هذه الحلواء ، وأبدأ ما يبدهك من سماتها وصفاتها

ه — مادتا : رعد وزعزع ظاهرتان في دلالتهما على الميجان والتذبذب تقول من الأولى : ارتعد : اضطرب ، وسمى الجبان : رعديدا ، لأنه يشتد به الفرق ، فتهتز نفسه حذر المخاوف ، وتقول من الثانية : تزعزع الشيء ، تحرك تحركا شديداً

وكان بديهياً أن يلحظ العرب في الفالوذج أنه دائب الارتجاف

[1] مبادئ اللغة (٧٣)

سريع التحرك ، يتزعزع ويتمايل ، فيرتضوا له الكلمتين : الرعديد والمزعزع . وقد سبق فى طلائع هذا البحث ذكر جواب أعرابى سئل في الفالوذج ، فوصفه بالارتعاد ، وكذلك مضى وصف الخوارزمى له بالترجرج

و — يتحير فى صيغ مادة زلل معنى الخفة والسرعة والانزلاق ، تقول : استزله : زلّقه ، وزلّ هو : زلَق وسقط . والرجل الأزل : السريع . ويوصف الماء بأنه زُلال إذا كان عذباً صافياً يمر سريعاً فى الحلق

فاجتلب العرب من هذه المادة لفظاً للفالوذج . هو الزليل ، إذ كان خفيفاً على اليد حمله ، سريعاً في الفم انزلاقه . وفى مبادئ اللغة أنه يجمع على : أزِلة . ويستفاد من إثبات صاحب المبادئ لهذا الجمع أنه مسموع فوق أنه مقيس

ز — جاءت نوبة كلمة : اُللقاء ، وتلك لم أعثر عليها فى معجم ولا أسفرَت لي فى أوراق فقه اللغة . وإنما جرَت فى كلام لأبى العلاء المعرى ، قال[1] : « العاجلة ، كابيد الراجلة ، يُلقى لتقيها لقاء ، ويطمر فاجرُها مُرَّ القرات … » ثم شرح ذلك فقال : « اللبيد : جوالق صغير ، أو خرج . والراجلة : الكبش الذى يحمل عليه الراعى خُرْجه . واللقاء : الفالوذج » ولقد فتشت عن هذا اللفظ كل مفتش ، فيما بين يدىّ من المراجع ، حتى ضاق به الصدر ، فكأن أبا العلاء استخرجه من ملاعب الجن . وما أظن الظنون بشيخ المعرة ، فانى لأعلمه : صاحب الغريب ، وهدهد الشوارد . فليس لى إلا أن أستريب بحروف هذا اللفظ ، وأن أُقدّر أن تحريفاً عدل به عن كنهه . وكان بودى أن أجلو هنا ما دار به الخاطر فيما عساه يكون الأصل ، ولكننى أوثر أن أحجم حتى أسمع كلمة الأستاذ الفاضل الذى بعث الفصول والغايات من مرقدها ، فلا بد أن يكون عنده من هذا اللفظ علم ، ولعله متفضل فجيب . وسيتبع إحجامى عن الكلام فى الأصل ، تأخيرى النظر فى الاشتقاق . إذ كان هذا متعلقاً بذلك تعلق النتائج بالمقدمات

(١) الفصول والغايات (الأول ١١٩)

ح — الزعفران نبات أصفر الزهر ، أحمر الصبغ ، وزعفره : صبغه بالزعفران. ولا أُحق : أسموا الفالوذج مزعفراً لأنه مصبوغ به ، أم لأنه مجعول فيه ، أم لأنه على لونه ، فالأمر على التشبيه ؟ أم لكل هاته الأشياء ؟ ؟ وإن من سنة العرب في التسمية أن يوصف الشئ بالشئ لشبه اللون ، فقد وضعوا للأسد اسم الورد ، لأنه ورد اللون . بل إنهم سموه : المزعفر ، فقالوا : المزعفر : الأسد الورد لأنه أحمر . وقد أنهينا فيما سبق قول بعضهم «فالوذجة مزعفرة» ورجحنا ثمة أن تكون الزعفرة فيه الصبغ والتطييب ، وليس الكلام على التشبيه والمشاكهة

ط — أجمع فقهاء الألفاظ على أن الصُفرُق اسم للفالوذج ، ومثل به سيبويه فى الكتاب[1] ونقله الصاغانى عن كتاب الأبنية ، وقال فى اللسان : هو الصُفروق . ولم يثبت بناء الصفرُق . وقد انتقب وجه الاشتقاق لهذه الكلمة ، فيما لدىّ من المظانّ . فالكلمة فى مادتها يتيمة ، إن شئت قلت : درة لهامن استنجادها عظمة وزهو ، وإن شئت قلت : شريدة لا يؤاخيها شىء ، ولا تجد لها مُنتَمى . وأنا حابس القلم الساعةَ عن اقتحام الكتابة فى زائد حروفها ، ومرجعها إلى الصفرة فى اشتقاقها ، والوجه فى ذلك كله ، فلذلك مجالة أخرى[2]

« للبحث صلة » محمد شوقى أمين

(١) المخصص (الخامس ٢٠)

(٢) ما سبق من النصوص اللغوية فى المواد التى صيغت منها أسماء الفالوذج ، مردد فى المعجمات المتداولة ، وليس هو مما يعتبر رأيا خاصا تجب الاشارة إلى مرجعه . ولذلك لم نعلق عليه بذكر أسماء الكتب إلا ما كان منه فى حكم الرأى الخاص على أننا على الجملة اعتمدنا فى استظهارها على جمهرة ابن دريد ، ولسان ابن منظور ، ومعيار الشيرازى ، وتهذيب ابن السكيت ، ونهاية ابن الأثير



رسالة الشعر



في سبيل الله والعروبة والوطن

المجاهد

للأديب السيد جورج سلستي

(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون)

ألحبُّ والأملُ الوضيء كلاهما ... صَبَوَا إليه معاً فأعرضَ عنهما
وهفَتْ له الدنيا الطروبُ فعافَها ... وتَعَلَّقَتْهُ فصدَّها متبرِّما
وسَعى الثراءُ إليه يخطبُ ودَّهُ ... فأبى وآثرَ أنْ يظلَّ المُعدِما
والحُرُّ يهزأُ بالنُّضارِ ويزدري ... متعَ الحياةِ إذا دعا داعي الحمى!

* * *

هجرَ الأحبةَ والمنى مُتحدِّيا ... جُهْمَ النوائبِ ضاحكاً متبسِّما
بطلٌ بدا فيه الوفاء ممثَّلاً ... وبدا الإباء بشخصه متجسِّما
بطلٌ يمورُ العزمُ في قسماتِهِ ... أبداً يُرى ثبْتَ الجَنانِ غَشَمْشَما
تتساءلُ الآجامُ إمَّا يجتمعْ ... بالليثِ أيُّهما الغضنفرُ منهما
بطلٌ مشى مُستبسِلاً ليذودَ عن ... وطنٍ يعزُّ عليه أنْ يتقسَّما
إني أراهُ وقد ذكا لهبُ الوغى ... وتسعَّرتْ نيرانُها متحدِّما
مُتوثِّبا أبداً على أعدائه ... شأنَ الأبيّ تدفُّعاً وتهجُّما
يُصْلي فوارسَهمْ وهم يَصْلونَهُ ... نارًا أشدَّ من الجحيمِ تضرُّما
فاذاهمُ انهزموا فذاكَ، وإن قضى ... صلّى الإلهُ على ثَراهُ وسلَّما

* * *

يا سائلي عمَّن قضى مُستَشهِدًا ... روحي فداؤك عارفاً مُستَعلِما
أتقولُ مَنْ آلُ الشهيد وكلنا ... عَرَبٌ نَمانا للمعالي مَنْ نما؟
للعُربِ ننتسبُ حينَ ينتسبُ الورى ... ولسانُنا العربيُّ أشرفُ منتمى
والعُربُ مهما تختلِفْ أهواؤهم ... أهلٌ يؤاخي العيسويُّ المُسلِما
إنَّا تُوحِّدُنا العروبةُ أينما ... كنّا وتجمعنا المكارمُ حيثما
والفذُّ بين القوم ملكُ بلاده ... إنْ عالماً أو فارساً أو مُلهَما
والرُّزءُ فيه فجيعةٌ وطنيّةٌ ... عظمى تئنُّ لها البلادُ تألُّما

* * *

يا مَنْ ينامُ الليلَ مِلءَ جفونه ... ويعيشُ موفورَ الرخاءِ مُنعَّما
أهلوكَ في مسرى النبيِّ تجشَّموا ... مالا يطيقُ الصخرُ أنْ يتجشَّما
وتحمَّلوا ما لو حمَلْتَ أقلَّهُ ... لغدَوْتَ أشبهَ بالخيالِ أو الوما
والنومُ أبعدُ ما يكونُ عن العيو ... نِ وقلَّما تلقى هنالك نُوَّما
فكأنما نسي الكرى أجفانَهم ... مِنْ طولِ ما سهروا الليالي قُوَّما
وسلَتْ مضاجعَها الجوانبُ بعد ما ... أمسى الهناءُ على النفوسِ مُحرَّما
والحربُ من حولينِ مازالت مؤجْ ... جَجَةً وما زالَ المنايا حُوَّما

فامددْ يدًا بيضاء تُسْعِفْ عاجزًا أو تأسُ مَكلومًا وتُنجِدْ أيِّما

ولقد عرفتُك باذلاً متكرِّما فأعِنْ بمالك مَوْطِنًا متردِّما

هو مَوْطنٌ غَمَرَ الأسى باحاته وغدا الشقاء على بَنيهِ مُهَيْمِنا

قد كانَ مثل العُرْسِ بسَّامَ الرؤى طَلْقًا فحوَّله الأجانبُ مَأْتما

قَدْ باتَ يَنْطِفُ عَنْدمًا بالأوصيا ءِ وكانَ حتى الأمس يَنْضَحُ بلسما

قد كانَ مِنْ أفضالِ رَبِّكَ جنَّةَ الـ دنيا فصَيَّرَهُ الدخيلُ جَهَنَّما

إنَّ الدخيلَ، وإنْ تأَلَّهَ، مُجْرِمٌ مُتَنكِّرٌ فاحْذَرْ - فُدِيتَ - المجرما

قالوا التمدُّنُ عَنْ يَدَيْهِ فقلتُ لا كانَ التمدُّنُ عَنْ يَدَيْهِ مُتَمَّما

أينَ التمدُّنُ عند مَنْ يَنْزو هوًى ويروغُ ثعلبةً ويسعى أرقما

أمِنَ التمدُّنِ أَنْ يُباعَ الدينُ بالـ دنيا وتُغتصَبُ الحقوقُ وتُهْضَما

ويُحَلَّ قتلُ الأبرياءِ وهَدْمُ دو رِ المُبْعَدِينَ وَنَفْيُ أحرارِ الحمى ؟

أمُعَيِّري بالـــبَرْبَرِيَّةِ إنني متأخرٌ فاهنأْ وكُنْ متقدِّما

إني لأهوى البربريةَ إنْ يكُ التـ مدينُ هَضْمَ الحقِّ أو سَفْكَ الدما

ولقد تركتُ لكَ الرقيَّ فَخَلِّني متسكعًا بين الجهالة والعمى

فأنا امرؤٌ نَزَّهْتُ عن حَمَإ الخنا نفسي وآبى أَنْ أقارفَ مَأْثما

***

يا حارسَ الحرمَ الشريفَ وحاميًا مَهْدَ المسيحِ وأنتَ أشأمُ من حَمى

المهدُ والحَرَمُ الشريف تململا ولو استطاعا من أسًى لتكلَّما !

للبُطْلِ صولةُ ساعةٍ فإذا انقضتْ وتصرَّمتْ ولَّى الطغى وتصرَّما

لا بدَّ إمَّا عاجلاً أو آجـلاً للحقِّ أنْ يعلو وأنْ يتسنَّما

والظُّلْمُ أوْخَمُ مَرْتَعٍ فاحذرْ إذا كنتَ الحكيمَ المرتعَ المتوخِّما

***

أأخي الشهيد لقد قضَيْتَ مجاهدا ليعيشَ مَوْطِنُكَ الحبيبُ مُكرَّما

يهنيكَ أنْ وَفَّيْتَ قِسْطَكَ للعلى وَرُزِقْتَ حَيًّا عند ربِّكَ في السما

«بيروت» جورج سلستي

في السماء

للأستاذ سيد قطب

أيقظت أنبل ما يجنُّ ضميري وبعثت جوهر عنصري المطمور

فإذا أنا الروح التي تسمو بها دنيا الحياة لأوجها المنظور

وإذا أنا النور الذي تجلو به تلك الحياة غياهب الديجور

وإذا أنا الشوق الذي يحدو لها فتغذُّ بين مسالك وصخور

وإذا أنا الشعر الذي تشدو به في نشوة وتجيش بالتعبـــير

وإذا أنا الخير المحض والهدى والحب والنجوى خلال ضمير

***

فبأي معجزة كشفت ضمائري وجلوت كل محجب مستور ؟

وغذوت فيَّ فضائلي ورويتها حتى أطلت بالجنى المذخور ؟

وجعلت من زاد الخلود مطامحي وجعلت أشواقي صلاة طهور ؟

بالحب والحسن الوديع ونظرة بيضاء صافية تريح شعوري

وتحيل أشواقي رضاء مخـلَّد راض بخلد لم يُشَبْ بقصور

وتحيلني روحاً ترِفّ على الورى كالعطف، أو كالحب، أو كالنور

فإليك تسبيحي وهمس سرائري وإليك غاية غبطتي وسروري

حلوان سيد قطب



رأى الأستاذ مارجليوث فى تيسير القواعد العربية

أذاع راديو لندن في الأسبوع الماضى الحلقة الثانية من سلسلة محاضرات كبار المستشرقين البريطانيين فى موضوع « ما الذى تعلمته من الناطقين بالضاد » وهى محاضرة الأستاذ مارجليوث

وقبل أن يتلو المذيع المحاضرة حيا الأستاذ مارجليوث المستمعين بكلمة قصيرة ألقاها بلغة عربية فصيحة

وقسم الأستاذ مارجليوث محاضرته إلى قسمين الأول ما الذى تعلمه هو شخصيا من الناطقين بالضاد والثاني ما الذى تعلمه غيره من الأوربيين

ثم ذكر ألفاظا كثيرة من المصطلحات المستعملة فى اللغات الأوربية والمشتقة من أصل عربي أو جاءت إلى أوربا عن طريق العرب ، وقال إن أوربا مدينة للحضارة العربية بالشىء الكثير

وبحث فى أحوال اللغة العربية وقواعدها واتساعها وغناها وأشار إلى اقتراح بعضهم تسهيل قواعدها وأنحى باللائمة عليهم وقال إن ما يقترحونه لا يكون تيسيراً بل تعقيداً ويثقل حافظة الطالب بمجموعة جديدة من القواعد هو فى غنى عنها

وخطأ القائلين بأن الألفاظ العربية الشفاهية أصح وأوضح من المكتوبة ، ثم قال إنه لا تأثير للتعصب الجنسى والدينى عند العرب ، وأن في عصور الاسلام الزاهرة كثيرين من الحكام والقواد والعلماء وقادة الرأى من غير العرب أو المسلمين. وذكر أن صلاح الدين الأيوبي كان كرديا ، وإمام المحدثين البخارى والطبرى وابن رشد وابن خلدون لم يكونوا عربا أصليين

واختتم محاضرته قائلا :

« وقبل أن أختتم كلمتى يجب على أن أوفى المصريين حقهم من الثناء لما أدوا من الأعمال فى خدمة اللغة العربية ، وقد عرفت من هؤلاء كثيرين وتشرفت بصداقتهم فى سنة ١٩٠٤ عند ما حللت القاهرة لأمر يتعلق بالجامعة ، وكان لى شرف الاتصال بالامام الكبير المرحوم الشيخ محمد عبده، وعرفت كذلك المرحوم السيد رشيد رضا الذي كتب سيرة الشيخ محمد عبده وكان صاحب مجلة المنار ذات الفائدة الكبيرة لكل من تصدى لدرس الاسلام ، والعالم السيد توفيق البكرى صاحب المؤلفات النفيسة، والصحافى الكبير الدكتور فارس نمر ، وزميله العالم المرحوم الدكتور يعقوب صروف والمرحوم جورج زيدان ، وشاعر مصر المرحوم حافظ ابراهيم، وأمير الشعراء أحمد شوقى وقد أسمعنى قصيدته عن أثينا، والمرحوم سليمان البستانى مترجم إلياذة هوميروس إلى العربية ، وكذلك اتصلت بالشيخ طنطاوي جوهرى صاحب تفسير القرآن والذى جاهد كثيرا فى التوفيق بين العلم والدين ، وعرفت أخيرا البحاثة المرحوم أحمد زكي باشا الذى شغف بجمع الكتب القديمة والمخطوطات، وكان لى شرف الاتصال عن طريق المراسلة بالمرحوم تيمور باشا . ويرجع الفضل فى نهضة مصر إلى هؤلاء العلماء الأجلاء الذين نهض كل منهم بنصيبه فى خدمة اللغة والعلم »

مصر المستقلة

تعمل جماعة « الدراسات الاسلامية » بمعهد دراسات السياسة الخارجية فى باريس على وضع مجموعة من المؤلفات عن العالم الاسلامى ، ولا شك فى أن المكانة التى يحتلها وادى النيل فى هذا العالم جعلت القائمين بأمر الجماعة المذكورة يوجهون إليه اهتمامهم ويضعون المؤلف الأول من مجموعتهم عن « مصر المستقلة » .

وقد قسم الكتاب إلى أربعة أقسام : الأول خاص بالتطور السياسى والاجتماعى فى مصر وهو يتناول تكوين الدولة المصرية

(١٨٠٥ – ١٩١٨) وحالة الأمة المصرية غداة الحرب وتطورها من ١٩١٨ إلى ١٩٣٦ ، والأزمة الأنجليزية المصرية السياسية بعد الحرب ، وفترة الانتظار من ١٩٢٥ إلى ١٩٣٤ ، وتطور الشبيبة المصرية وتحرير مصر بمعاهدة ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٦

والقسم الثانى خص بالأجانب ونظامهم في مصر وهو يبحث نظام الامتيازات قبل مؤتمر مونترو ومصالح الأجانب فى مصر ، ومؤتمر مونترو ونتائج هذا المؤتمر .

والقسم الثالث خص بالحالة الاقتصادية والزراعية والصناعية والتجارية فى مصر .

والقسم الرابع والأخير يتضمن دراسة خاصة عن تاريخ الصحافة المصرية وتطورها ، وفى ختامه كشف بجميع الصحف والمجلات من عربية وأفرنجية التى تصدر فى مصر .

ومن يتصفح كتاب « مصر المستقلة » يجد أن هناك مجهوداً كبيراً قد بذل فى وضعه لاسيما وأنه يتضمن معلومات وافية عن التطورات السياسية التى مرت بوادى النيل فى الأشهر الأخيرة .

مجمع علمى أدبى فى حيدر أباد

جاء من مراسل الشرق العربى فى بمباي أن لفيفاً من رجال العلم والأدب فى حيدر أباد أسسوا مجمعاً علمياً باسم (مجمع حيدر أباد) لتشجيع التأليف والأدب . وسيعمل هذا المجمع برعاية شخصيات كبيرة بينها أمير بيرار ومرا أكبر حيدرى رئيس مجلس وزراء حيدر أباد والمهراجا كيشن برشاد بهادور . ونواب سالا رجونغ بهادور وغيرهم . وسيصدر المجمع مجلة باللغة الأنجليزية ولغة الأوردو وينشر فيها أبحاث أعضائه ومقتطفات من مؤلفاتهم وترجمة بلغة الأوردو لدائرة المعارف الاسلامية . وستنشر المجلة أيضاً أبحاثاً عن المؤلفات المعروفة فى اللغات السنسكريتية والفارسية والعربية والهندية المختلفة ، وقد انتخب نواب مهدى يار بهادور مدير جامعة (عثمانية) وعضو مجلس حيدر أباد التنفيذى التهذيب والسياسة رئيساً للمجمع .

كتاب عن فلسطين فى ثورتها

لم ير العالم ثورة صادقة الايمان كتلك التى شب أوارها فى فلسطين ، والتى يجود فيها العرب بأرواحهم وما ملكت أيمانهم فى سبيل الذب عن وطن يحاول اليهود أن يجعلوا منه أرض المعاد ، ويتخذوه وطناً قومياً لهم ، بعد أن شردوا طول الزمن .

فلا عجب أن لفتت هذه الحركة العربية أنظار الكتاب والسياسيين على السواء فصدرت عنها المؤلفات بأقلام من تمنيهم دراسة هذه الناحية ومن ذلك كتاب A Land Divided by Elizabeth Montogomery ألمت فيه مؤلفته بالثورة فى فلسطين ، وما قدمه العرب من تضحيات عجيبة ، ورفضهم أن تكون فلسطين وطناً لليهود تنفيذاً لوعد بلفور ، وأبوا أن يجعلوا هذه الأرض المقدسة « عند المسلمين والنصارى على السواء أرضاً للفئة التى لقيت المسيحية منها أشد عدوان فى مستهل ظهورها ، وناهضت المسيح ما وسعتها الحيل وأسعفتها القوة » وقد زارت السيدة اليزابث مؤلفة هذا السفر فلسطين ، وجالت فى نواحيها ، واتصلت بكثير من رجال العرب والثورة هناك فلم تر فيهم إلا « توطيد النفس على عدم تقسيم فلسطين العربية » وهى تصف فى دقة الشهامة العربية التى مهدت السبيل للعرب فى أمسهم الدابر لأن يكونوا سادة أهل العصور الوسطى .

وتقول المؤلفة « إن عجلة الزمن تسير فى وناء فى هذه البلاد (فلسطين) التى يرجع تاريخها لا إلى عدة قرون فحسب ، بل إلى آلاف السنين الغابرة . وإن التلال الخالدة ، والصخور الباقية منذ القدم التى شهدت مجيء ابراهيم بعائلته ، وأطلت على قطعانه وقومه ، لتشهد اليوم أرضاً قد ألقيت البغضاء بين أهلها . وإن العرب واليهود ليقفون اليوم وجهاً إلى وجه متخاصمين متنابذين . لقد كان أحد الخصمين يتكل من قبل على ماله وثرائه فى نيل مطالبه ، أما اليوم فتؤيده القوات ، ويشد أزره أعضاء منه فى مختلف الحكومات ، وأما الخصم الآخر فلا يملك غير إيمانه بحقه ، وإنه ليستشهد مقبلا غير مدبر ، باسماً غير عابس ، راضياً غير مكره ، حتى ينال مطلبه أو يموت دونه شهيداً »

وهكذا نرى المسألة الفلسطينية اليوم لم تعد تشغل الساسة فحسب ، بل كان من آثارها هذه الكتب التى تتناول فلسطين من نواحيها المختلفة ، كما استطاع العرب بفضل ثباتهم أن يجتذبوا إلى جانبهم العطف الأدبى عند كثير من رجال الحكومات المختلفة .

من الأستاذ الكرملي الى المرحوم الرافعي

« لما أصدر المرحوم الرافعي كتابه « وحي القلم » في يناير سنة ١٩٣٧ أهدى نسخة منه إلى صديقه العلامة الأب أنستاس ماري الكرملي عضو المجمع اللغوي ؛ فبعث إليه بالرسالة التالية وفيها مسائل لغوية يطلب حلها ، وقد وقعت لي هذه الرسالة بين ما خلف الرافعي من أوراق ، ولم أعلم ماذا كان رد الرافعي عليها ، فآثرت نقلها إلى قراء الرسالة ليروا رأيهم في هذه المسائل اللغوية التي تناولتها رسالة العلامة الكرملي . وهذه هي الرسالة :

إلى حضرة فخر بلغاء المصريين الأستاذ الجليل مصطفى صادق الرافعي ، رفعه الله إلى أعلى مقام

أبدأ كلمتي هذه بتأدية عبارات الشكر الصادق للهدية التي أطرفتني بها وأنت نابغة بلغاء مصر على ما أعتقده في صميم القلب . وأحسن دليل لذلك أني اقتنيت جميع مؤلفاتك وزينت بها خزانتي فأرجع إلى مطالعتها الفينة بعد الفينة كلما أردت أن أنزه نفسي وأطربها وأريحها من متاعب الحياة . إذن حل عندي «وحي القلم» محلا رفيعا لما حوى من مختلف الموضوعات التي جاءت بأفصح عبارة وأبلغها ، بل تتحدى كل كاتب أن يأتي بضرعها ؛ ولا سيما لأن أغلبها لم تمر على خاطر من سبقنا في الكلام ؛ ولهذا اعتبرت دائما الأستاذ الرافعي جاحظ العصر ، أو ابن مقفعه ، أو بديع زمانه . وقد نصحت لكثيرين من أبناء العراق أن يطالعوا ما كتبه أو يكتبه إذا أرادوا الجري فالسبق في ميدان الفصاحة والبلاغة ورفيع الانشاء ، فأخذوا بكلامي

بقي الآن أن أسألك عن أشياء لم أستطع أن أهتدي إليها ، فالرجاء منك أن تعينني على تفهمها :

١ — جاء في الجزء الأول في ص ٦ ذكر (الكهربائية) والذي أعلمه أن الكهربا مقصور لاممدود . وقد صرح بذلك صاحب تاج العروس ؛ وجاءت بالقصر أيضا في جميع أسفار الأقدمين من العصر العباسي ، فان صحت هذه الرواية أفننسب إليها بالهمز أم بحذف الألف فيقال كهربي وكهربية كما يقال مصطفيّ ومصطفية على ما صرح به سيبويه ، وإلا فأي فصيح قال كهربائي ؟

٢ — في ص ٨ ورد ذكر (المصنع) والعرب لم تنطق به . على أن القياس لايمنعه ، وقد ورد في الصحف والكتب المصرية ولا يزال يرد بهذه الصورة ، لكن ألا يتخذ الكاتب البليغ الكلمة التي جرت على أسلات السلف وهي (الطِّراز) فقد قال في القاموس : « الطراز . . . الموضع الذي تنسج فيه الثياب الجيدة » ؟

٣ — وفي ص ١٠ ذكر (الديناميت) فلو قيل البارود الناسف أو أن نكتفي بقولنا (الناسف) أو (النسَّاف) كما يقول العراقيون ، عامتهم وخاصتهم ، أما يكون أحسن ؟

٤ — وفي ص ٣٤ جاء ذكر (ملك الزمن الربيعي) ، وأنا لم أجد إلى الآن فصيحا نسب إلى الربيع باثبات يائه بل قال (الرَّبَعي) فهل عثرت على مثل كلامك في (كتاب بليغ صحيح قديم) ؟

٥ — وفي تلك الصفحة قيل (يضحك ويستحي) وقد تكررت استحى يستحى وزان افتعل يفتعل مراراً كثيرة وقد أنكرها بعض الفصحاء وقالوا في مكانها استحيا يستحيي

٦ — وفي تلك الصفحة (تراها — أي الطاقات — عطرة بيضاء) وأنا لم أجد إلى الآن في شعر أو نثر من وصف جمعا مؤنثا سالما لعاقل أو لغير عاقل بوصف مفرد مؤنث وهي من باب أفعل فعلاء الدال على لون أو عيب أو حلية . فهل مرت تحت عينيك هذه الصيغة في كلام قديم بليغ من أهل الجاهلية أو صدر الاسلام ؟

٧ — وفي ص ٣٥ ورد : (تعطى لكل شيء تماما) وهو تعبير جائز ؛ لكن ألا يكون أبلغ لو قيل : تعطى كل شيء ؟

٨ — وضبطت (البلُّور) في ص ٤٤ وزان تنُّور ، كما في القاموس ؛ لكن اللغويين البصراء الحُذَّاق الأئمة أنكروها وفضّلوا عليها البِلَوْر وزان سِنَّوْر ، كما في اللسان ولم يعرفوا سواها . فما الجواب ؟

٩ — في ص ٤٥ (تحتاجه الحياة) وهذا من باب الحذف والوصل ، وهو كثير في كلامهم ؛ لكن أليس الأبلغ أن يقال (تحتاج إليه الحياة) ؟

١٠ — كنت أظن أن (البركان) الوارد في ص ١٠١ وسواها لفظة لاتعرفها العرب الأقدمون ؛ بل كانوا يعرفون (الأطمة) ، أفليس الأحسن لنا أن نقر ألفاظ السلف على ألفاظ الخلف التي لم يعرفها الأوائل وفيها خلف ظاهر ؟

١١ — ضبطت في تلك الصفحة (وغلظته) بضم الميم وأنا لم أجدها في معجم .

١٢ — وكثيراً ماجاءت (النواميس) ومفردها (الناموس) في وحي القلم ففي ص ١٠٢ (إن النواميس الطبيعية) وفي ص ٩



الحيوان للجاحظ

تحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام محمد هارون

للأستاذ عبد المنعم خلاف

أقدم عملا عظيما فى لون من ألوان الأدب المصرى لم يوجد إلا بعد أن وجدت الطبعة ، ووجدت بحوث المستشرقين وفن إخراج الكتب

وهو عمل يتصل بالعلم بما فيه من التحقيق وتحرير النصوص ، ويتصل بالأدب بما فيه من ملكة التذوق والترجيح واستفتاء الثقافة الأدبية والاعتماد على المحفوظ المذكور من نصوصها ، ويتصل بالفن بما فيه من تنسيق وتبويب وإخراج جيل يروع ويجذب العين واليد إلى الكتاب

وكاد هذا العمل يكون خاصة موقوفة لأقلام علماء المشرقيات الأجانب لولا نفر قليل من المشارقة أنفسهم ساهموا بأقلامهم فى هذا العمل النافع القيم الذى هو فى الحق ميلاد جديد للكتب القديمة تهتز له عظام مؤلفيها القدامى غبطة بتسهيل الانتفاع بما تركوا من آثار جليلة قد يذهب بما فيها من الفائدة عند شباب هذا الزمان أنها ألفت على غير ما ألفوا من الكتب الحديثة المبوبة التى يعلن فيها كل مبحث عن نفسه فى سهولة واقتراب إلى الأذهان التى لم تتعود الصبر والجلد على التعرف إلى الآثار القديمة لانقطاع الأسباب وبعد الزمن وتغير الأساليب وكثرة الملاهى وحب السرعة ، ومرض الهمة وكلال العزيمة

وإذ أقدم هذا العمل العظيم أشعر فى نفسى بغبطتين : الأولى غبطتى ببعث مكتبة الجاحظ أديب العربية العباسية الأكبر ، ووارث علوم علمائها وأدب أدبائها وخفة ظرفائها ، وسجل دنياها الزاخرة ، ومصور حياتها المتشعبة ، بعث فيه من الجدة والفن والطرافة ما يخيل إلينا أنها انحسرت عنها قريحة معاصرة

والثانية غبطتى بأن هذا البعث كان على يد صديقى الثبت الضليع الأستاذ عبد السلام محمد هارون الذى أعرفه كما أعرف

من الجزء الثانى : (فى تحقيق ناموس) ؛ وقد تكررت الكلمة مفردة ومجموعة . وكنت أتوهم أن العرب لم تعرف هذه الكلمة بمعنى (السنة) وإنما جاءت بمعان أخر مذكورة فى دواوين اللغويين . أما الناموس بهذا المعنى (أى بمعنى السنة) فقد أدخلها (النصارى) المعربون منذ صدر الاسلام لوجودها فى التوراة والانجيل بهذا المعنى . وكذلك تراها مبثوثة فى كتب المنطق والفلسفة والطبيعة والطب واللاهوت وماوراء الطبيعة ؛ لكن فصحاء المسلمين لم يحققوها ولم يقروها فى أسفارهم ولا فى معاجمهم ، فهل وجدتها بهذا المعنى فى الدواوين القديمة فى غير ما أشرت إليه من التصانيف ؟

. . . هذه بعض أسئلة — وليس فيها شىء من النقد ، معاذ الله — وقد خطرت ببالي وأنا أتلذذ بتصفح هذا السفر الفذ ، وأتوقع الجواب عنها . فعسى ألا أحرم أنوارك المبددة للظلمات ، وأختم كلمتى هذه بالشكر ثانية لأياديك البيض كما بدأتها به .

(الأب أنستاس مارى الكرملى)

***

. . . قال اللغوى العلامة الأب أنستاس مارى الكرملى ، أن يتفضل على قراء الرسالة بنشر ما قد يكون وصله من جواب الرافعى على هذه المسائل

وإلى اللغويين من قراء الرسالة أن ينشروا على القراء رأيهم فى جواب هذه الأسئلة ، وإلى النقدة من كتاب العربية أن يقرءوا هذه الرسالة لعلهم يجدون فيها مثلا فى أدب النقد

وفى صفحات الرسالة متسع إن أذن الأستاذ الزيات .

محمد سعيد العريان

نفسى إذ كان صدقى الأول وصنوى فى عهد الدراسة العزيز.

وأخشى أن يحسب حاسب أنه قد طنى وثوق بهذه الشخصية وحبى لها على تقدير عملها فى «الحيوان» تقديراً بعيداً عن الغلو، كما أخشى أن يظن ظان أن الأمر فى هذا التقديم مرجعه إلى «توريط» الصداقة وتقريظ الأصدقاء بعضهم بعضاً. وحسب ذاك الحاسب وهذا الظان أن يرجعا إلى الجزء الذى طبع من الحيوان ليريا المجهود فيعرفا الشخص الذى بذله كما عرفته أنا منذ خمس عشرة سنة أديباً متصلا بصميم الأدب العربى مقلباً يده وعينه فى مراجعه القريبة والبعيدة ممتاناً من حر نصوصه.

وإذا كانت الأمور تقاس وتقدر بما يبذل فيها من مجهود له نتيجته النافعة فأظن أن مافى المطبوعة الحديثة من الحيوان من التحقيقات وتحرير النصوص وفهارس المعارف وأجناس الحيوان وأعلامه وأعلام الناس والقبائل والطوائف والبلدان والأماكن والأمثال والشعر والأرجاز واللغة والكتب وأيام العرب، أظن هذا كله عملا أشق وأنفع من كثير من الكتب التى يرسلها مؤلفوها إرسالا سهلا. وأظن أنه يستتبع تقدير صاحبه تقديراً ترضى به نفسه. وقد صار العلم الآن بما فى الكتب القديمة سهل المورد بأمثال هذه الفهارس التى تنفض مافى الكتب نفضاً، وتعلن عن كل كلة فيها إعلانا عريضاً يأخذ بعيون الباحثين إلى مايلقون من الأشباه والنظائر والمختلفات، مما يوفر عليهم الجهد والوقت والاستذكار، حتى لقد شاعت هذه الكلمة «إن العلم الآن معرفة مافى الفهارس»

وقد ابتدع الأستاذ هارون فهرساً قيماً لما فى الحيوان من المعارف التى وضع لها هو أيضاً عنوانات فصلت أثناء الكتاب، وهو لون طريف فى التعريف بما ورد فى الكتاب حشوا فى غيره، مما قد يمر عليه القارىء عفواً بدون ترقب ولا تنقب؛ وهو عمل عظيم فى كتب شأن مؤلفيها الاستطراد وإلقاء مافى الذاكرة متى حضر ولو بدون مناسبة قريبة، وإنما هو جود الذاكرة.

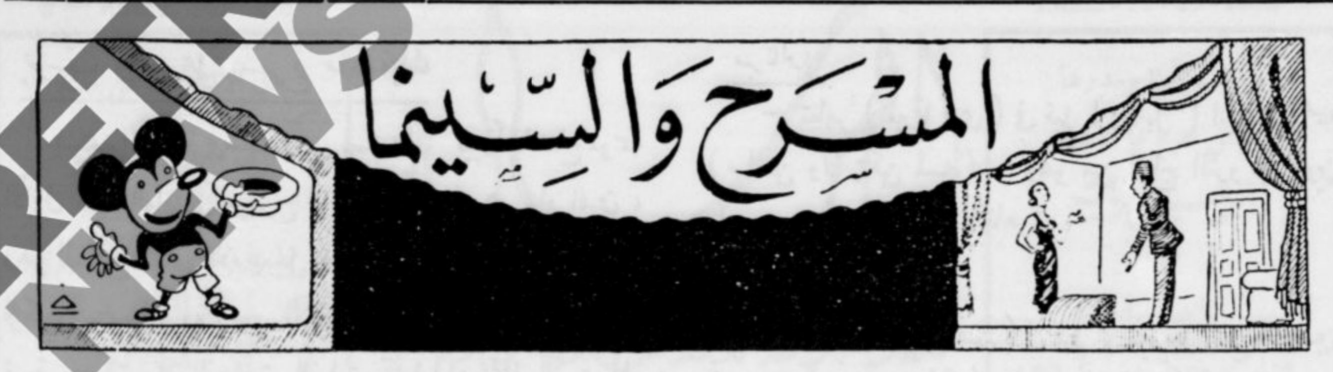
والأوائل كانوا على رأى فى الأدب هو أنه الالمام من كل شىء بطرف، ولذلك كانوا يخرجون كتبهم الأدبية إخراجاً يرضى هذا التعريف. فكانت كتبهم الغالبة أشبه شىء بحديث المجالس وأماليها. غير أن هذا اللون من التأليف نبا عنه الذوق المصرى الذى لا يرضى من المعارف إلا ما كان فصائل وأجناساً مضموماً بعضها إلى بعض مميزة بعنوانات تضم الشتيت كما يضم اللقب الأسرة، ولا يرضى أن يذهب فكر القارىء شعاعاً ويبددا هنا وهناك وقت القراءة.

وعلى ذلك كل عمل يرشد القارىء الجديد إلى مايبحث عنه فى بطون الأسفار القديمة رأساً بدون اضطراره إلى الخوض فى بحر لا ساحل له، وفى مباحث لا حاجة له إليها، فهو عمل من أعظم ماربط أسباب الجديد بالقديم ويجلو الدرر المدفونة بين طيات الكتب التى فيها كثير من الحصا والتراب.

وقد قدم الأستاذ هارون «مكتبة الجاحظ» التى «سيعمل جهده على إخراج مايمكن منها بعون الله مامد له فى الحياة» تقديماً بديعاً تحدث فيه عن بيان الجاحظ وعصره، والتأليف فى عصره ومؤلفات الجاحظ ومنحاه فى التأليف وقيمة كتبه فى نوادى الأدب وذيوعها ووراقيها. وقد أتى فى هذا الحديث بفوائد ممتعة.

وقد قدم كذلك كتاب الحيوان تقديما خاصا عرض فيه لمنشأ التأليف فى الحيوان عند العرب ولمراجع الجاحظ فى تأليف كتابه من القرآن والحديث والشعر العربى وكتاب الحيوان لأرسطو ومحاولات المعتزلة وجدالهم فيما بين أيديهم من ألوان المعارف جليلها ودقيقها؛ ثم المجهود الشخصى للجاحظ وولوعه بمباحث الحيوان ولوعا حمله على أن يجالس الملاحين وصائدى العصافير والحوائين وغيرهم من القائمين على شئون الحيوان. وهو لعمر الحق مبحث فى غاية النفاسة وفى صميم الأدب الأصيل اهتدى إليه الأستاذ هارون ابتداء، لم يسبقه إليه سابق فيما أعلم. ومن المباحث القيمة أيضاً فى هذا التقديم تحقيق زمن تأليف الجاحظ للحيوان وتبيين قيمة كتاب الحيوان بما فيه من المعارف الطبيعية والمسائل الفلسفية وسياسة الأقوام والأفراد ونزاع الطوائف، والمسائل الجغرافية وخصائص الأجناس وقضايا التاريخ وأحاديث الطب والأمراض والمفردات الطبية، وأحوال العرب وعلومهم ومزاعمهم، ومسائل كثيرة فى الفقه والدين، مضافا إلى ذلك كله فكاهة الجاحظ الساخر، أو فلتير الشرق — كما لقبه الأستاذ الزيات — واختياره للصفوة المختارة من حر الشعر العربى ونادره... إلى آخر ما تمتاز به مؤلفات أبى عثمان البحر...

«وبعد» فنظرة واحدة إلى صفحة من صفحات الكتاب بصلبها وهامشها تقف القارىء مباشرة على مقدار الجهد المنيف الذى بذله الأستاذ الصبور محقق الكتاب، فى ضبط الألفاظ



أخبار الأسبوع

شيء من لاشيء

يبتدأ اليوم ١٠ أكتوبر فى عرض فلم (شىء من لا شىء) على ستار سينما استوديو مصر وهو من أفلام استوديو مصر لهذا الموسم . وبطلاه هما عبد الغنى السيد (هلال) ونجاة على (نجمة) والفيلم غنائى كوميدى اشترك فيه ججوم وشفيق والقصرى من كبار ممثلى الكوميدى فى عالم المسرح المصرى . وهو من إخراج الأستاذ (بدرخان) . والمنتظر أن يمتد عرضه بضعة أسابيع ، لأنه يعتبر تحفة الموسم الغنائية بغير منازع

وشرحها وفي مقابلة النسخ القديمة التى اعتراها كثير من التصحيف والتحريف ، وفي أمانته وحرصه على استئذان القارىء فيما أثبت أو نفى من أوضاع الكتاب وكلماته وتوجيهاته . مع تواضع جميل يعرف فى طبعه كما يعرف فى قوله من تقديم الكتاب : « وأما أنا فلست بمكان من يدعى العصمة أو يخال السلامة ، فليس يكون ذلك إلا لمن ذهب عن نفسه وتعلق بالباطل

« ولكننى يعجبنى أنى بذلت فيه غاية الجهد وأنى التزمت جانب الأمانة فلم أسقط حرفا ولم أزد حرفا إلا استأذنت القارىء »

ثم نظرة أخرى إلى ثبت مراجع تقديم الكتاب وتحقيقه وشرحه ترى القارىء مقدار سعة اطلاع الأستاذ واهتدائه إلى مواطن الفتوى فيما يشتبه عليه من خبر أو نص أو توجيه وإلى ما يعتمد عليه فى إخراج هذا السفر الجليل وما وراءه من مكتبة الجاحظ

فجزاه الله الكريم وأمتع به أصدقاءه ونفع بجهوده الموفقة اللغة العربية

والشكر الجزيل لحضرات ناشرى الكتاب فى ثوبه الأنيق وورقه الفاخر وحروفه الواضحة

عبد المنعم خلاف

مارجريت لوكوود



اختيرت (مارجريت لوكوود) بين ثلاثة وعشرين نجمة ، نموذجا للفتاة الانجليزية وذلك للقيام بتمثيل الدور النسائي الأول فى فلم (أود بوب) الذى يخرجه الكسندر كوردا . كما اختير النجم الانكليزى (جون لودر) لتمثيل الدور الأول بعد أن كان ترتيبه الأول فى نفس المباراة للرجال ويرى القارىء صورتهما مع هذا الكلام

الدكتور



المنتظر أن يكون الأستاذ نيازى مصطفى فى نهاية هذا الأسبوع قد انتهى من تصوير الديكورات المارة فى فيلم الدكتور وبذلك لا يبقى غير إجراء المونتاج النهائى وذلك تمهيداً لعرضه قريباً . ومما هو جدير بالذكر أن السيدة دولت أبيض تقوم فى هذا الفيلم بدور هام كبير يتفق مع سنها وأدوارها المسرحية . وقد سبق أن ذكرنا أن بطليه هما الأستاذ سليمان نجيب والآنسة أمينة رزق وبهذا الفلم تكون المفاجأة الثانية للاستوديو لهذا الموسم

يوسف وهبي على مسرح ماجستيك

يستعد الأستاذ يوسف وهبي استعداداً كبيراً لافتتاح موسمه الأول لهذا العام على مسرح الماجستيك بشارع عماد الدين ، وهو المسرح الذى كان يعمل به على الدوام الأستاذ على أفندى الكسار . . والمعروف حتى الآن أن الأستاذ وهبي يبدأ بروايات قوية جديدة وأن الروايات السابق تمثيلها لن تمثل إلا فى أيام العيد . ونحن نرجو أن يصادف الأستاذ وهبي فى موسمه الشتوى ، وخاصة فى شهر رمضان المبارك الذى يبدأ فيه عمله ، ما صادفه فى موسمه الصيفى على مسرح الليدو بالجيزة ، فقد ضرب الأستاذ يوسف فى هذا الموسم كافة أرقام الدرام القياسية السابقة

فى سبيل الحقيقة

قامت جماعة أنصار التمثيل والسينما فى يوم الخميس الماضى بتمثيل رواية (فى سبيل الحقيقة) مسرح الحمراء بالأسكندرية فى الحفل السنوى الذى تقيمه جمية المواساة ويشرفه حضرة صاحب الجلالة الملك . ومن الأقوال المعادة أن نقول إن أفراد الفرقة جميعاً ، والممثلات اللوائى استعين بهن من الخارج ، قد أجدن أدوارهن إجادة تامة واستحققن من أجلها تهنئة المليك وعطفه السامى ، وهو جد غال ولا يكون إلا فى موضعه . . وقد ضحك الجمهور كثيراً لدى سماعه شخصية الدكتور الذى كان صورة طبق الأصل من الدكتور محجوب ثابت، بقافاته وشخطاته ونظراته . . ؟

لونس فلم

من الله على السيدة آسيا مديرة شركة فنار فلم بالشفاء ، وقد بدأت الشركة فى تصوير فلمها الثانى لهذا العام ، ونحن نهنئها بالشفاء ونتمنى لها توفيقاً كبيراً

ميرنا لوى

— تظهر (ميرنا لوى) فى فيلم (جابل) الجديد واسمه (ساخن ولا يمكن لمسه) ... وهو من انتاج المترو جولدوين ماير وسيعرض فى الرويال بالقاهرة

بيتى ديفيس

— تظهر (بيتى ديفيس) فى فيلم (جيزبيل) مع النجمين الشهيرين (هنرى فوندا) و (جورج برنت) وهو من أقوى أفلام الموسم الحالى للبراموونت

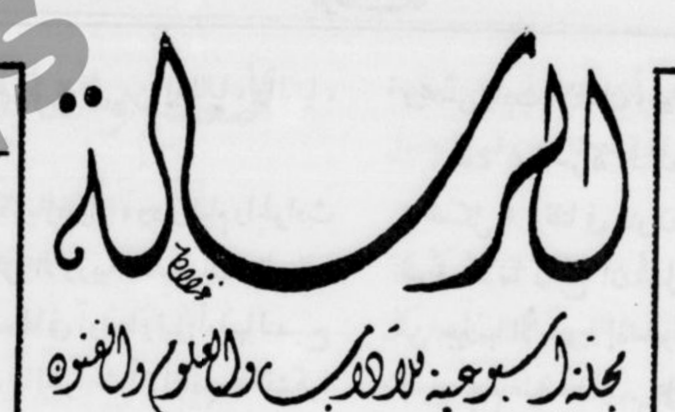


6 me Année, No. 276

Lundi - 17 - 10 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الادارة



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العـــدد ٢٧٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٣ شعبان سنة ١٣٥٧ — ١٧ أكتوبر سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

صفحة

الصقر نحن به أولى

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتبنا فى « الرسالة » قبل عام كامل على التقريب مقالاً عن الحكيم الحاكم « مازاريك » رئيس الجمهورية فى بلاد التشك والسلواق ختمناه بما يأتى :

« سيرة الرجل عـبرة لا تنقضى ودروس لا تنفد . أولها : أن الفيلسوف لن يسلم من لوثة الحكم والسياسة ولو أضمر الخير وأسلف الجهاد الطويل فى قضايا المظالم والشكايا . وثانيهما : أن الديمقراطية لا تسلم فى وطن تختلف أجنـاسه ولغاته وأديانه وطبقات الحضارة فيه إلا على أساس الولايات المتحدة التى يستقل فيها كل فريق بالحكم والتشريع . وثالثها : أن أوربا الوسطى لا تزال كما كانت قبل الحرب العظمى غيلا تصطرع فيه ضوارى الأحقاد ويوشك أن يندفع بالعالم مرة أخرى إلى حرب لا تؤمن لها عاقبة . وإننا على ما انتاب الديمقراطية من خيبة ، وما تعاورها من نقص وتقويض لا نزال على إيمان وثيق بأنها هى كهف السلام ومعقل بنى الانسان ، ومآل الحكم فى المستقبل البعيد إن لم يعجل لها النصر فى مستقبل قريب

« فالدول الديمقراطيـة لا تبغى الحرب كما تبغيها الدول الدكتاتورية ؛ وبريطانيا العظمى ، وفرنسا ، والولايات المتحدة ،

لا يخشى منها على سلام العالم كما يخشى من إيطاليا ، وألمانيا ، واليابان والجمهوريات الروسية »

كتبنا هذا المقال على أثر وفاة مازاريك ، ودار العام والحوادث تثبت لنا أن كثيراً من المسائل الأوربية خليق أن تنظر إليه كأنها مسائل « محلية » نكترث لها فى أوانها وقبل أوانها لنصبح على أهبة دائمة للقائها ، ثم تثبت لنا الحوادث أن الجمهورية التشكية لو بادرت إلى تعميم نظام الولايات المتحـدة بين شعوبها الصغيرة لكان ذلك خيراً لها ، وإن كنا لا نظن أن أسباب الأزمة الدولية الأخيرة تنحصر فى هذه الوجهة ، لتعدد وجهات المسائل الدولية عامة

ولا أدرى لم نشعر بالعطف على بلاد الفيلسوف مازاريك ونود لها الحياة والسلامة ؟ فلعل السبب الأول أنها هى بلاد الفيلسوف مازاريك وأنها « تشخصت » فى مثال إنسانى رفيع محمود العمل والأثر معروف فى عالم الأدب والحكمة معرفة الناس به فى عالم السياسة والادارة والكفاح

ولعل أسباباً أخرى ترفد ذلك السبب الوجيه الراجح ، ونعنى بها الأسباب التى توجب العطف على كل شعب صغير مجاهد صبور يحمل من الأعباء فوق ما يطيق ، ولكنه لا يرزح بتلك الأعباء ولا يزال يعالجها بالحول والحيلة حتى يروضها ويمشى بها إلى غايته القصوى وهى أشرف الغايات ، لأنها غاية الحرية والثقافة والجمال

شعب مازاريك مثل جميل من أمثلة الجهاد الحسن فى سبيل الحرية والقوة والجمال ، سلبته الدولة النمسوية سلطانه فلم يستسلم ولم يركن إلى الخنوع والمهانة ، وصنع ما هو أنبل وأكرم من ذلك لأنه جاهد فى رفع الضيم فلم يقصر جهاده على المؤامرات والمشاغبات وحوادث الغيلة والانتقام ، بل عمد إلى التعليم فأشاعه بين أبنائه حتى محا الأمية محوا قبل أن تفلح الشعوب القوية فى محوها من بلادها . ثم لم يكفه ذلك حتى أدرك أن الكتابة والقراءة لا تكفلان وحدهما الغلبة والحرية للشعوب الضعيفة ، فأضاف إلى سعيه فى نشر التعليم سعيا آخر فى نشر الفتوة بمعناها الأصيل ، ومعناها الأصيل فى عرفنا أن يكون الانسان شهم النفس شهم الجسم شهم الذوق سريعا إلى ما يجمل ويحسن بأدب الانسان وذوقه واستجابته لدواعى الحياة

تلك هي حركة « الصقر » التى شاعت فى أوربا باسم « الصكل » وقلنا فى عنوان هذا المقال إننا نحن أولى بها من غيرنا ، لأننا نرجح أن أصل الكلمة عربى أخذته أم السلاف من جيرتها الأسيوية إذتعلموا الصيد والفروسية قديما من سادات العرب يوم غلبة سلطانهم على أواسط آسيا وتخوم بلاد المغول ، فأصبح اسم الصقر مصحفا عندهم باسم « الصكل » وهو عنوان الحركة الرياضية الكبرى فى أمتى التشك والسلواق

رأس هذه الحركة المباركة هو « تيرش » العظيم أوحاها إليه أنه زار بلاد الاغريق فى أواسط القرن الماضى فراعته المثل العليا التى أقامها الاغريق الغابرون لجمال الفتوة وصحة التكوين ، وعلم أن نهضة الكتابة والقراءة لا تغنى أمته عن نهضة النفس من طريق رياضة البدن وثقافة الذوق ونشاط الشعور ، فأجمع النية الصادقة على إنهاض قومه فى هذا الطريق ، وأعد عدته لتنظيم الفرق الصغيرة فالفرق الكبيرة لتدريب الرجال والنساء من سن الطفولة إلى السبعين وما بعد السبعين ، وما يعنى بذلك التدريب إلا أن يجمل الجسم على أصح وأصلح مثال يستطاع ، فلا يترك لعضو من الأعضاء بقية من كمال يستطيع بلوغها إلا استوفاها على نمط جامع بين الصحة والقوة والنسق والجمال . وأوجز ما نلخص به فلسفته الرياضية أنها رياضة جسدية موسيقية ، لا تقتصر على سهولة الحركة الجثمانية بل تقرن بها الرشاقة والوزن والتنغيم

وكان « غاريبالدى » الايطالى يومئذ قدوة المجاهدين فى سبيل الأوطان ، فلما عبر « تيرش » بالبلاد الايطالية راقه أن يستعير « القميص الأحمر » للفرق الجديدة وجعل لها قبعة عليها ريشة صقر فمن هنا اسم « Sokol » أو الصكل الذى عرفت به هذه الحركة الرياضية الكبرى ، وهو لفظ « الصقر » بلغة التشك والسلواق

قال روبرت يونج فى كتابه « شاب ينظر إلى الديار الأوربية » رواية عن رجل فى الستين يصف الحركة وهو يشاهدها فى ميدانها ببراغ :

« معظم الأعضاء يتصرفون لمعاشهم نهارا ويتلقون تدريبهم الرياضى أثناء الليل . . . . ولا حاجة بنا إلى الرياضيين المحترفين

لأننا نؤمن بأن الديمقراطيين ينبغي أن يكون لهم من المقيدة الديمقراطية أن يبذلوا اختيارا وطواعية جزءا من وقتهم لتجميل أحوالهم الجسدية »

واستطرد الكاتب إلى بيان موارد الانفاق على الحركة فاذا هي قائمة على جيوب أعضائها والقسط اليسير الذى يؤديه كل منهم إليها ، أما معونة الحكومة فهى شيء طارئ وهى مع ذلك تنقص عاما بعد عام تبعا لتفاقم الأزمة المالية واشتدادها على كاهل الحكومة والأمة

وقال ويكهام ستيد الكاتب المشهور يصف عرض « الصكل » فى شهر يوليه الماضى ، خلاصته : « أى جندي لا يأخذه منظر ثمانية وعشرين ألفاً من الشبان الأصحاء الأشداء يمشون فى ميدان مازاريك الذى تبلغ مساحته خمسة وأربعين فداناً فيتفرقون إلى أماكنهم جميعاً لابتداء التدريب الايقاعى فى خلال ربع ساعة ، ثم ينتهى التدريب فينصرفون كرة أخرى ثمانين صفاً كل ستين فى صف واحد خلال اثنتى عشرة دقيقة . وإننى لأشك فى استطاعة جيش منظم أن يعبر خمسة وأربعين فداناً جيئة وذهوباً وتدريباً فى سبع وعشرين دقيقة دون أن يقع فيه شيء من الارتباك والعجلة . أما النساء وقد أدين تدريبهن قبل الرجال وبلغن ستة عشر ألفاً عداً فقد ضارعن الرجال فى النشاط والنظام »

حركة الصقر هذه نحن أولى بها وأحوج إليها ، وقد رأينا نموذجاً منهـا فى « إصلاحية الأحداث » التى تشرف عليهـا مصلحة السجون ، فرأينا كيف يراض المئات من الأطفال والصبية على الحركة الايقاعية فى وقت واحد بغير قيادة معلم أثناء الأداء ، وعلمنا أن تعميم هذه الحركة مستطاع كل الاستطاعة لن يبذل الجهد الذى بذلته مصلحة السجون فى تدريب أطفال نسميهم مجرمين

وماحاجتنا إلى حركة الصقر؟ إنها دفاع جنود يحمون الأوطان ، بل هى كذلك وهى فوق ذلك عدة حياة لدفاع آفات كثيرة هى أشد خطراً من غارات الأعداء

عباس محمود العقاد

التعليم والعاطلون في مصر

للأستاذ عبد الحميد فهمى مطر

الأستاذ عبد الحميد فهمى مطر أحد رجال التربية المثاليين الذين يسيرون إلى غايتهم من التعليم مستقلين على ضوء الفكرة والخبرة والاطلاع ، فهو لا ينفك منذ ٢٤ عاماً معنياً بمسائل التربية فى مصر باحثاً فى عللها ناقداً أنظمها فى صراحة وجرأة . وقد توفر أخيراً لدرس هذا الموضوع الخطير ، وهو معضلة الساعة ؛ ثم تفضل فوعد بنشره تباعا فى الرسالة . المحرر

نشأت فى قري الريف بين حقول الطبيعة وأحراجها مغرما بها ، فى أحضان الحرية وبين ضلوعها [illegible] الأقدار بعد الدراسة فى الكتاب إلى المدرسة الابتدائية التى جذبتنى إليها جذبا بطربوشها وملابسها الافرنجية . ذلك الطربوش الملون بلون الورود ، الذى كان لا يزال يتعشقه أبناء الريف منذ ظهر فى الوجود ، والذى بمجرد أن لبسته أنا وإخوانى تأكدنا من المستقبل السعيد ، فى ساحة الدواوين ، بين الموظفين . فكان ذلك الغرض الذي يملأ نفوسنا حافزا لكل منا إلى الاجتهاد والجد . وبالرغم مما صدمتنا به المدرسة من ضغطها وشدتها وعصبها وجبروتها وحدتها ، مما بغض الجميع فيها فقد كان الغرض السامى يدفعنا أبداً إلى الأمام ، إلى العمل المتواصل ، إلى المدارس الثانوية من غير أن يتخلف منا إلا القليل . أما من تخلف فقد وجد السبيل إلى العمل أو إلى مدارس أخرى سهلا ميسورا ، ثم كان النجاح فى البكالوريا فكان الفرح الشامل

وألحقنا بين الحفاوة والتبجيل ، وعظيم الدعاء والتهليل ، بالمدارس العليا يحدونا الأمل الكبير إلى المستقبل الحافل الذى لا يحلم به أحد من مواطنينا الريفيين . فلما حصلنا على الشهادة العليا تخطفتنا الأيدى إلى العمل الحكومي ، فولجناه نشيطين جادين . فكان منا المعلمون والأطباء ، والمهندسون ورجال القضاء ، الذين ملأوا دواوين الحكومة بأعمالهم ولم يجد العمل الحر سبيلا إليهم ، وبالرغم مما لقيناه من تكريم فقد بقيت فى نفوسنا للمدرسة مرارتها ، ودامت فيها ذكريات ضغطها وشدتها . ولكن ذلك كله هان بجانب ما أوصلتنا إليه من نتيجة طيبة . فتلخص فى سهولة الحصول على وظيفة حكومية

عملت بين جدران المدارس بعد ذلك زمناً طويلا كنت أحس فيه أن المدرسة التي عملت فيها تلميذاً والتي عملت فيها مدرساً والتي عملت فيها ناظراً لم ينلها شيء محسوس من التغير ولم يتطارق إلى روحها شيء من التجديد أو التبديل، فهي لا زالت تسير على نفس الوتيرة القديمة، مليئة بنفس الروح القديمة، يحس تلميذها إذا ما دخلها بانقطاعه عن العالم وما فيه إلى شبه سجن غير محبوب إن لم يوصف بأنه مكروه، ولكن الجميع ظلوا يكبتون عواطفهم إزاءها لما تجلبه من خير الوظيفة إلى طلابها بعد نيل شهاداتها، وظلت المغريات القديمة تدفع الناس دفعاً للسعي إليها

وبدأت بعد ذلك تظهر مشكلة المتعطلين من المتعلمين بعد أن امتلأت الدواوين بالموظفين وكنت قد تبينت بالبحث حالة المدارس في البلاد الأخرى، وما تسير عليه من أنماط وأساليب، تغاير ما نسير عليه في مدارسنا فرفعت بعض التقارير إلى وزراء المعارف في نقدها مبيناً عيوبها، واستمر ضغط حملة الشهادات على الدواوين حتى اكتظت بهم، وأصبحت المدرسة لا تجد سبيلا لتصريف الخريجين من أبنائها، مما اضطربت له أفئدة المسئولين. وأخذ ألم المتعطلين يحز في نفوسهم ونفوس أهلهم، ويثبط من همم الناشئين المتعطلين، ويضغط في الوقت نفسه على الحكومة ورجالها ضغطاً شديداً. ثم أخذ الحال يزداد سوءاً يوماً بعد يوم. أما المدرسة التي كنا نتحمل قديماً شدتها، ونخضع لما فيها من ضغط وإكراه، في سبيل غرضها الأسمى، فقد أصبحت اليوم لا غرض لها تسعى إليه إذ أحس كل من فيها بزوال غرضها القديم الذي كانت تتجه بكليتها إليه، هذا فوق شذوذها عن الطريق السوي لبعدها عن الحياة وما يجري فيها. وهكذا ساءت الحالة إلى مدى بعيد بين جدران المدارس نفسها، فانحط مستوى التعليم كما انحطت الأخلاق فيها؛ ذلك إلى العطل الذي ضرب أطنابه بين خريجيها مما أصبح خطره يهدد المجتمع في نظامه وحياته، ذلك المجتمع الذي لم يضن بانفاق الملايين من الجنيهات على مدارسه في سبيل الانتفاع بمجهودات أبنائها

إزاء كل ذلك لم أجد بداً من هذا البحث الذي أنشره في الرسالة تباعاً واضعاً فيه نتائج بحثي وعصارة تجارب حياتي تلميذاً ومدرساً وناظراً بعد جهاد طال أكثر من خمسة عشر عاماً بيني وبين أنصار القديم كنت فيه هدفاً لسهامهم نظراً لما كنت أتمتع به في كتاباتي وأقوالي من حرية الرأي التي نشأت عليها. وهأنذا اليوم أتقدم بالصراحة التي عرفت بها إلى أمتي العزيزة وعلى رأسها عنوان الشباب وقوة العزيمة مليكها المحبوب المتفاني في حبها المتحمس لنفعها وخيرها — بخطط جديدة للاصلاح متمشية مع الروح الجديدة في عالم التربية متضمنة لأحسن الآراء والمذاهب من غير أن أتعرض للتفصيل، ليمحص تلك الآراء ذوو العقول والأفكار الناضجة في سبيل تنفيذ الصالح منها. ولست أدعي أن الخطط الجديدة التي تضمنها هذا البحث كلها سليمة لا غبار عليها، لأني أعتقد أني لست معصوماً من الزلل، ولكني أقرر أنني بحثتها ومحصتها وأعتقد أن الأخذ بها ينقل عالم التعليم والتربية عندنا من حال إلى حال، لأنه يمنح المدرسة الحياة الحرة المستمدة من حياة مصر الحرة، كما يضع أمامها هدفاً تسعى إليه عن طريق العمل المفيد المثمر. إذ أنها بحالتها الحاضرة تنبو عن أصول التربية والتعليم، كما تتجافى مع الآراء الحديثة فيهما. ولا تتنافى فقط مع ما يجري في مثلها من البلاد الأخرى، بل تتنافى أيضاً مع ما يقع في بلادنا بين سمعنا وبصرنا في المدارس الأجنبية. فلا يليق باستقلالنا ونهضتنا وحريتنا أن تبقى المدرسة أسيرة لروح التمسك بالقديم. تلك الروح التي قد اضطررت للتنديد بها لما رأيته من وقوفها حجر عثرة في طريق الاصلاح حباً في الراحة والاطمئنان، أو احتفاظاً بالنفوذ والسلطان. ولو أن المسألة وقفت عند هذا الحد لهان الأمر، ولكنها تمتدت إلى الاضرار بمصالح الملايين من فتيان هذه البلاد وفتياتها، بل إلى الناس بمصالح أمة يخشى على نظامها الاجتماعي من الانهيار. من أجل ذلك تقدمت راضيا بتحمل كل تضحية، راضيا يبذل كل مرتخص وغال في سبيل مصلحة بلادي وإخلاصي لمليكي، بالعمل على إنقاذ هذا الوطن من خطر العطل المحدق به والذي شعر به الجميع، وخشيه الجميع، وأشفق على مصر منه الجميع، راجيا ألا تذهب صرختي هذه أدراج الرياح كما ذهبت صيحاتي السابقة. آملا أن يقرأ المسئولون عن مستقبل هذا البلد هذا البحث بروية وإخلاص وأن يبحثوه ويمحصوه. فاذا اقتنعوا بكل ما فيه أو ببعضه عملوا على تنفيذه وإلا فاني أكون قد أرضيت ضميري وأديت واجبي. هذا وإن كنت قد اضطرني البحث إلى ذكر بعض مساوئنا وأخطائنا، فانما فعلت ذلك ليكون في حاضرنا عبرة لمستقبلنا. وإذا كنت كذلك قد اضطررت إلى التنديد بروح الاحتفاظ بالقديم في ديوان المعارف وفي معاهد التعليم، فاني أرجو ألا يفهم من

كما رآنا غيرنا

رجولة باكـــرة

للأستاذ عبد اللطيف النشار

كان السائح الأمريكي « بايارد تيلور » شاعراً كاتباً ذا ولع بالأسفار وقد ولد في « بنسيلفانيا » عام ١٨٢٥. وألف كتبا كثيرة في وصف رحلاته منها كتاب يصف فيه رحلة إلي السودان ومصر ومنه نقتطف هذه القطعة

وقد عين سفيراً للولايات المتحدة في برلين وعاش مدة طويلة هناك وتوفي عام ١٨٧٨ وهو يشغل هذا المنصب الرفيع

قال:

من بين الوظفين المصريين الذين عرفتهم في الخرطوم سيد كان قد نفاه إليها والى مصر. وهذا السيد المنفي هو رفاعة رافع الطهطاوي، وهو من ذوي الثقافة العالية والذكاء المتوقد، وقد أحزنه كل الحزن إبعاده عن وطنه وعن أهله إلى هذا البلد السيء الجو الذي عانى فيه ألماً شديداً بسبب الحمى المنتشرة فيه

وكان لا يعرف إلى أي مدي تطول مدة نفيه. وقد قضى إلى الوقت الذي لقيته فيه عامين في المنفى خاضعاً لرقابة شديدة تَفْـرض عليه ألاَّ يتسلم خطاباً إلا عن طريق الحكومة التي تفض رسائله لتعرف مابها. وقد امتنعتْ عليه بهذه الوسيلة صلته بأصدقائه في مصر ممن يخشون عواقب تلك الرقابة. ولم يكن في وسعي أن أعرف السبب الذي نفي من أجله، وقد يكون هو نفسه غير عالم بسبب هذا النفي



سفير الولايات المتحدة في بيت رفاعة رافع الطهطاوي

وليس في البلاد الشرقية انتخابات عامة ولا للشعوب الشرقية رأى في اختيار حكامها، فكل من بها من الحكام يعينهم الولاة وفق أهوائهم ولا يستطيعون الاحتفاظ بمناصبهم إلا كما يريد الولاة. وقد يدفع التنافس أو الحسد واحداً من الباشوات إلى إهلاك خصم له بريء غافل عن سبب الكيد. وربما كان سبب الكيد لا يعدو أن يكون أحدهم طامعاً في منصب الآخر فيوغر عليه صدر الوالي حتى ينفيه

وقد اكتسب هذا السيد محبتي وعطفي العميقين في الليالي التي كان يقضي فيها السهرة معي ومع القنصل الأمريكي. وكان يطمئن إلى مجلسنا فيشكو لنا ما يعانيه من الظلم. أما حين نلتقي به في منزل أي موظف مصري فقد كان يحرص على عدم الخوض في هذا الموضوع خشية أن تُنقل عنه أحاديثه إلى الحكومة

ولما كنت أجنبياً غريباً فانه لم يخطر ببالي قط أن في وسعي أداء أية خدمة لرفاعه باشا[1]. وكنت مزمعاً العودة إلى بلادي

(١) اعتاد هذا المؤلف أن يلقب رفاعه رافع بلقب باشا والذي أعرفه أنه « بك »

ذلك إلى أوجه النقد إلى أشخاص معينين، لأن البحث العلمي فوق الأشخاص. وما كان نقدي إلا في سبيل الصالح العام وهو موجه إلى سياسة عامة أنتجت نتائج سيئة هامة؛ خصوصاً أننا نعلم أن الأشخاص يذهبون ويزولون، أما السياسة العامة فبقاؤها أدوم وأثرها أعظم في الأبناء والأحفاد، بل وفي مرافق البلاد. ويكفيني أن يشاركني في ذلك مندوبو مصر في مؤتمر الاتحاد العالمي لجمعيات التربية في جنيف سنة ١٩٢٩ في تقريرهم عن هذا المؤتمر الذي طبعته وزارة المعارف سنة ١٩٣٦ وقد جاء فيه (ص ٣٥) في سياق الكلام عن المعرض الذي أقيم في هذا المؤتمر ما يأتي: « وإني أقول آسفا إننا لم نعان في الحياة أشد من مرارة المقارنة بين ما نحن عليه من تأخير وجمود وما وصلت إليه تلك الأمم المتمدينة الناهضة. وأمر من ذلك أن نمد أجيالا طوالا لابد من أن تمضي قبل أن نلحق بهم مالم يهم أولياء الأمور فينا بثورة على القديم، ونهضة تحطم الأغلال العتيقة، وتقلب نظام التربية الحديثة عندنا من أساسه فتدب الروح الجديدة في التعليم من كل نواحيه » «يتبع» عبد الحميد فهمي مطر

عن طريق مصر . ولكن معرفتي باللغة العربية محدودة وإلمامى قليل بعاداتها ونظمها . وفضلا عن ذلك فقد كنت أرجو ألاّ أطيل بها المكث إلا ريثما أعبرها إلى الشاطىء

على أنني كنت أسير وإياه في الطريق فى ليلة من ليالىّ الأخيرة فى السودان فقال لى همساً إن لديه حديثاً يريد أن يسره إلىّ ومع أن الليلة كانت مقمرة فقد كان معنا خادم وطنى يحمل الشمال، فأمره الباشا بأن ينصرف ، فاختفى عن نظرنا بعد قليل فى منعطف ضيق من منعطفات الطريق، وكان الصمت مخيماً لولا أصوات الرياح إذ تتخلل أطراف النخيل البارزة رؤوسها فوق أسوار الحدائق

وقال الباشا وهو يمسك بيدى : « لنا أن نتحدث الآن بضع دقائق دون أن يسمع أحد حديثنا ولى رجاء لديك »

قلت : « على الرحب إن كان فى وسعى »

فقال: « إنك لن تتكلف مشقة ما، ولكنك ستؤدى لى مع ذلك خدمة جليلة . أرجو أن تحمل عنى خطابين إلى مصر، أحدهما إلى نجلى فى طهطا ، والآخر إلى المستر مورى القنصل الانكليزى فى القاهرة ، ولا أستطيع ائتمان التجار المصريين على هاتين الرسالتين ، فلو فضتا وقرئتا لطال أمد نفيي فى هذه البلاد سنين عدة . أما إذا تفضلت بإيصالها فان أصدقائى بمصر سيعرفون السبيل إلى معاونتى وربما تمكنوا من إعادتى إلى وطنى

فوعدته بأن أسلم الخطابين إلى صاحبيهما يداً بيد . فبدا الانشراح على وجه الباشا وودعنى عند باب القنصل الأمريكى

وبعد أيام قليلة استأنفت رحلتى ، وكان من أيسر الأمور أن أتصل برفاعة باشا وأن يسلمنى الخطابين دون أن يتنبه أحد إلى ذلك ، ووضعتهما فى حافظتى مع سائر أوراق ولم أتحدث فى هذا الشأن مع أى إنسان فى الخرطوم

وكانت رحلتى إلى مصر طويلة شاقة يستغرق منى وصفها أياماً لو حاولت ذلك ، فقد قضيت فى السفر شهرين قبل أن أتمكن من تسليم رسالة الباشا إلى ابنه المقيم فى طهطا بصعيد مصر على بعد بضعة أميال من مجري النيل . ويحيط بها سهل جميل يغمره ماء النيل مرة فى كل عام

وبعد تحريات قليلة وصلت إلى منزل رفاعة باشا ولكن لم يؤذن لى بالدخول لأن السيدات المصريات لا يسمح لهن باستقبال الأجانب . وكان بالمنزل قاعة واسعة مفتوح بابها على الطريق ، فأجلست فيها ريثما تذهب جارية سوداء لتأتى بابن الباشا من المكتب؛ وجلس معى فى تلك القاعة خادمى الأمين . وقد تسامع أهل البلد أثناء وجودى فى الانتظار أنى آت من الخرطوم وأنى أعرف الباشا فأتوا من كل حدب ليسألونى عنه ، وكانوا جميعاً فى نهاية الأدب والود ، واغتبطوا لما طمأنتهم عليه كما لو كانوا جميعاً من أفراد أسرته

وبعد ربع ساعة عادت الجارية يتبعها ابن الباشا ومعلمه فى المكتب ، وكان هذا المعلم قد صرف جميع الطلبة وأغلق المكتب وجاء ليسمع أخبار الباشا .

كان عمر هذا الصبى أحد عشر عاماً ولكنه أطول قامة ممن هم في مثل عمره . وقد ابتسم حين رآنى ابتسامة عذبة، ولولا إلمامى ببعض الألمام بعادات هذا الشعب لمددت إليه يدى وأجلسته على ركبتى وطوقت خصره بذراعى وتحدثت إليه بغير تكلف ، ولكنى رأيت أن أصبر حتى أرى كيف يكون مسلكه نحوى .

حياني فى وقار وجلال كما لو كان رجلا له سمت وأبهة ؛ ثم تناول يدى فأدناها من قلبه ثم من شفتيه ثم من جبينه ؛ ثم اتخذ مجلسه فوق ديوان عال بجانبي .

وأعاد تحيتى وهو فى مجلسه وصفق ثلاثاً ، فجاءت جارية أمرها بأن تمد لى القهوة ثم قال : « كيف صحتك ياصاحب السعادة ؟ » فأجبته : « بخير والحمد لله »

قال : « هل لديكم أوامر لى ؟ مروا تطاعوا ! »

فقلت : « أشكر لطفك، وليس لدى إلا تحيات أحملها إليك من أبيك الباشا ، وخطاب منه وعدته بأن أسلمه إليك يداً بيد »

ثم دفعت إليه بالكتاب فوضعه على قلبه ثم قبله وفض غلافه.

وبعد قراءته التفت إلىّ وقد توردت وجنتاه وسطعت عيناه وقال : « أتأذنون لى ياصاحب السعادة بأن أسألكم هل معكم كتاب آخر ؟ »

قلت : « نعم ولكن سأسلمه لصاحبه كذلك يداً بيد »

قال : « أصبت . ومتى تصلون إلي القاهرة ؟ » فقلت : « الأمر يتوقف على حالة الرياح ولكني أظن أن المدة لاتتجاوز سبعة أيام »

وأسر الصبي بكلمات إلى معلمه ، وبدا على وجهيهما الاغتباط . . ولم يعد كلانا إلى التحدث فى هذا الموضوع .

وجيء بشراب لا شيء فيه سوى عصير الليمون المحلى وماء الورد . ثم جيء بالرمان وسألني الصبي أن أشرفه بالبقاء لديه سائر اليوم

ولولا أنني كنت أرى وجهه وهو يحادثني لظننت أني أحادث رجلا، فقد كان هذا الصغير من الجلال وقوة الأمر كعظماء الرجال

وكان الناس حولنا كأنهم معتادون مشاهدة هذا النضوج السابق لأوانه فى الأطفال. وكنت مضطراً إلى أن أتخذ حياله من الاحتشام والكلفة كما لو كان هو حاكم المدينة . على أن ذلك لم ينتقص من محبتي؛ إياه ووددت لو عرفت موضوع حديثه مع معلمه. ولست أشك في أنهما كانا يحاولان تدبيراً لاعادة الباشا من منفاه

وبعد ساعتين أوثلاث ساعات عدت إلى السفينة التي جرت بي فى بطء إلى الشمال .

نهض الصبي عند نهوضي ومشى بجانبي إلى آخر حدود المدينة والناس على أثرنا فى نظام وعند وصولى إلى السفينة حياني مودعاً مثل تحيته إياى مسلماً وقال : « أسأل الله أن يجعل رحلتكم سعيدة ياصاحب السعادة »

وقد بدالى أن منظر استقباله ووداعه والوقت الذى قضيته وإياه — لقد بدا لى أن كل ذلك كان قطعة من ألف ليلة، فانى إن نسيت شيئاً فلا أنسى تلك الذكرى الجيلة البارزة . أما بالنسبة لهذا الشعب فما من شك أن هذه الحالة هى حالهم العادية التى تتكرر كل يوم

عبد اللطيف النشار



جورجياس
او البيان

لافلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ١٣ —

« تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجل محاوراته وأكملها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة ! »

« رينوفييه »

«إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائما وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »

٢ — جورجياس : السفسطائي : « ج »

٣ — شيريفين : صديق سقراط : « سه »

٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »

٥ — كاليكليس : الأثيني : « ك »[1]

ط — (مجيبا بولوس الذى اعترف بأن الطاغى ظالم) ومادام الأمر كذلك فلن يكون أحدهما أسعد من الآخر ، لا هذا الذى نجح بظلم وصار طاغياً ، ولا ذلك الذى أسلم نفسه للعقاب ، لأنه لا يستطيع أحد الشقيين أن يكون أسعد من أخيه ! ! ولكن أشقاهما — مع ذلك — هو من فر من العقاب وصار طاغياً ،

(١) رأينا « بولوس » فى العدد الماضي يخرج « سقراط » بمثلين شهيرين أحدهما مثل « أرشليوس » الذى رأى السعادة فى قتل من هم أحق منه بالعرش ثم اغتصاب الملك وإشباع الشهوات ، والآخر مثل ذلك « الظالم » الذى أمسكنا به وعذبناه ثم أحرقناه حيا كيما نحول بينه وبين الظلم من ناحية ، وكيما نحقق له سعادة العقاب كما يدعى سقراط من ناحية أخرى . وسنرى اليوم كيف يمهد سقراط لنقد ما أراده « بولوس » من هذين المثلين المحرجين اللذين يصلحان لقياس كثير من حوادث حياتنا الراهنة إليهما « المعرب »

فترى أى معنى لذلك يا بولوس ؟ أتضحك ؟ أمن الأساليب الجديدة في المناقضة أن تهزأ وتسخر مما يقال دون أن تقدم أى سبب لهزئك وسخريتك ؟

ب — ألا تعتقد أنك تكون قد نُوقِضتَ إطلاقاً ياسقراط عند ما تقول بأشياء لا يقرها إنسان؟ سائل بالأحرى أى مساعد تشاء !

ط — لست من عداد السياسيين يا بولوس ، وقد شاء القدر أن أكون فى العام الماضى عضواً بمجلس الشيوخ عند ما سادت قبيلتى بدورها فى الجمعية العمومية ، فلما وجب عليَّ أن أتكلم عن السؤال المعروض[1] ضحكتُ ولم أدر ماذا أفعل ، فلا تطلب منى اليوم إذاً أن أعرف رأى الساعدين ! وإذا لم يكن لديك شهادة أفضل من شهادتهم فدعنى آخذ مكانك كما اقترحت عليك منذ لحظة ، ودعني أسائلك كما أفهم المساءلة ! ذلك أنى لا أستطيع أن أدعم تأكيداتى إلا بشاهد واحد هو نفس من أتناقش معه دون أن أعنى بالعدد الكبير من الناس ! وبعبارة أخرى إننى أعرف أن أحمل شاهدا واحدا على الكلام ولا أعنى بمناقشة العدد الكبير فى شيء !! فلنر إذاً إذا كنت توافق على أن أسألك فتجيب !. لقد أقنعت نفسى بأنك وبأني والجميع نرى أنَّ ارتكاب الظلم أكثر شرا من احتماله ، وأن احتمال العقاب أقل شرا من الفرار منه !

ب — وأرى أنى لست فى جانب هذا الرأى ولا أى إنسان آخر ! . فهل تفضل أنت احتمال الظلم على ارتكابه ؟ ؟

ط — أنا وأنت والجميع يفضلون ذلك !

ب — هيهات ، فلا أنا ولا أنت ولا أى إنسان يفضل هذا !

ط — ألا تريد أن تجيب ؟

ب — نعم بالتأكيد لأنى مشوق جدا إلى ما تستطيع أن تقول !

ط — إذا كنت تريد أن تعرف ما أستطيع قوله فأجبنى كما لو كنتُ بدأت فى مساءلتك : ما هو أفدح الشرور فى رأيك يا بولوس ؟ أهو ارتكاب الظلم أم هو احتماله ؟

ب — إنه احتماله — فيما أرى[1] — !

ط — ولكن أجبنى : أيهما « أقبح » ارتكابه أم احتماله ؟

ب — ارتكابه

ط — وإذا فالارتكاب أفدح الشرور مادام هو «الأقبح؟»

ب — كلا — على الاطلاق !

ط — ألا تعتقد أنى أفهم — فيما أرى — أنه لاخلاف بين الحسن والجميل من ناحية ، والردىء والقبيح من ناحية أخرى ؟

ب — كلا بالتأكيد !

ط — ولكن ماذا عساك قائل فى ذلك ؟ أتطلق الجمال على كل الأشياء الجميلة من أجسام وألوان وأشكال وأصوات وأعمال من غير موجب ؟ ولنبدأ مثلا بالأجسام ، ألا تقول إنها جميلة ، بسبب استعمالها نظرا لما نستمده منها من نفع ، أو بسبب لذة خاصة يثيرها منظرها في نفوس الشاهدين ؟ أم هل لديك أسباب غير هذه تحملك على إطلاق « الجمال » على الأجسام ؟

ب — كلا — ليس لدى !

ط — أوليس الأمر بالمثل فى كل الأشياء الجميلة من أشكال وألوان؟ ألسنا نسميها جميلة بسبب لذة خاصة تثيرها ، أو بسبب نفع تقدمه ، أو بسبب الاثنين معا؟

ب — بلى .

ط — أوليس الأمر بالمثل فى الأصوات وفى كل ما يختص بالموسيقى ؟

ب — بلى .

ط — وهو بالمثل أيضا فى القوانين والأعمال ، إذ الجميل منها ليس بجميل قط إلا بسبب لذته ، أو نفعه ، أو هما معا ؟

ب — ذلك صحيح فيما يلوح .

ط — أوليس الأمر بالمثل فى جمال العلوم ؟

(١) يشير سقراط هنا إلى اليوم الذى رفض فيه أن يصوت بموت القواد التسعة رغم موافقة المجلس كله على ذلك . وقد خسر اليونان بموتهم مجموعة من أمهر القواد « المعرب »

(١) أرجو أن يدقق القارىء الكريم فى المناقشة التالية لأنها غاية فى الأهمية « المعرب »

ب — بلى بغير ما تناقض . وإنك لتعرف «الجميل» تعريفا فذا بقولك إنه الحسن واللذيذ .[١]

ط — وإذا فستعرف « القبيح » تعريفا حسنا بالضدين « الرداءة » و« الألم » ؟

ب — حتما .

ط — وإذا فيكون أحد الشيئين الجميلين « أجمل » من الآخر بسبب تفوقه عليه في إحدى الصفتين أو فيهما معا ؟ : وأعني بهما اللذة ، أو المنفعة ، أو هما معا !

ب — بالتأكيد .

ط — ويكون أحد الشيئين القبيحين « أقبح » من الآخر بسبب ما يجلبه من ألم أكثر أو شر أفدح . أليست هذه نتيجة محتومة ؟

ب — بلى .

ط — فلنر الآن ماذا قلنا تواً عن الظلم المرتكب أو المتحمل ، ألم تقل أنت أن «الأردأ» هو « احتمال » الظلم ، وأن «الأقبح» هو ارتكابه[٢] ؟

ب — قلت ذلك حقا !

ط — وإذا كان ارتكاب الظلم « أقبح » من احتماله ، فانه لايكون كذلك إلا لأن أحدهما يزيد على الآخر — أي الارتكاب على الاحتمال — بالألم أو الشر السيبين ، أو بهما معاً . أليس ذلك ضرورياً بالمثل ؟

ب — بلى ، دون تناقض .

ط — وإذاً فلنر أولا إذا كان الظلم المرتكب يسبب من الألم أكثر مما يسبب الظلم المتحمل ، وإذا كان من يرتكبونه يتألمون أكثر مما تتألم فرائسهم !

ب — ذلك مالا أراه ياسقراط

ط — وإذاً فليس الظلم المرتكب يزيد على الظلم المتحمل بالألم ؟

ب — كلا بالتأكيد !

ط — وإذا كان لايزيد عليه « بالألم » ، فلن يزيد عليه أيضاً « بالشر والألم » معاً ؟

ب — واضح أن لا .

ط — فيبقى إذاً أنه يزيد عليه بالآخر وحده ؟ .

ب — نعم !

ط — أعني بالشر ! ؟

ب — كما يلوح !

ط — ومادام ارتكاب الظلم يزيد على احتماله « بالشر » ، فاذاً يكون الارتكاب « أردأ » من « الاحتمال » .

ب — ذلك واضح .

ط — أوليس مسلماً به من أغلب الناس ، أولم تعترف لي بنفسك سابقاً ، أن ارتكاب الظلم « أقبح » من احتماله ؟

ب — بلى .

ط — وقد رأينا أيضاً أن الارتكاب هو « الأردأ » ؟ ؟

ب — يلوح ذلك .

ط — والآن أنفضل ماهو أكثر رداءة وقبحاً على ماهو أقل منهما في ذلك أم لانفضله ؟ ؟ أجب من غير تردد يابولوس فلن يصيبك أدنى سوء ، وأسلم نفسك للحوار بشجاعة كما تسلمها للطبيب ، وأجبني بنعم أولا . !

ب — كلا ياسقراط فأنا لا أفضله

ط — وهل هناك إنسان يفضله ؟

ب — يلوح أن لا ، وعلى الأقل بعد ذلك التدليل !

ط — وإذاً فقد كنت محقاً في قولي إنه لا أنا ولا أنت ولا أي إنسان آخر ، يفضل ارتكاب الظلم على احتماله ، مادام أن ذلك شيء أكثر « رداءة » !

ب — ذلك واضح .[١]

« يتبع » محمد حسن ظاظا

---

(١) يلاحظ أن بولوس يحل محل كلمة « النافع » التي استعملها سقراط كلمة « الحسن » وهي تشمل معنى الحسن والنفع معا . وسنرى أن سقراط يستعمل في رده بالمثل كلمة « رديء » محل كلمة « ضار » لأنها تشمل الرداءة والضرر معا « المعرب »

(٢) بهذا التحليل العميق الذي لم يعرفه الشرق في فلسفته يوقع سقراط بولوس في التناقض ويقوده إلى التسليم برأيه « المعرب »

(١) وهكذا يثبت سقراط بتحليله الفائق أن ارتكاب الظلم أفدح من احتماله . وسنرى في العدد القادم كيف يثبت القضية الثانية ، قضية تحمل العقاب خير من الفرار منه . « المعرب »

من مشاكل التاريخ

مكتبة الأسكندرية

تأسيسها ورواية احراقها

للأستاذ خليل جمعة الطوال

(بقية المنشور فى العدد الماضى)

قال الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار : ولكن متى علمنا أن عبد اللطيف البغدادى الذى كان قبل أبى الفرج بزمن قليل قد ذكر أن عمرو بن العاص أحرق مكتبة الأسكندرية كانت التبعة عليه دون أبى الفرج لاحتمال أن يكون أبو الفرج قد أخذ هذه المقالة عن عبد اللطيف البغدادي الذي رمى بهذه الجملة بغير سلطان أتاه . ولم يقل لنا من أى تاريخ أخذ ولا من أى مصدر استقى . والظاهر أنه حين علم بأنه كان فى هذا المكان مكتبة عفى الزمان على أثرها ، افترض أن الذى دمرها إنما هو عمرو بن العاص، وربما شجعه على ذلك أقوال العامة أو نحو ذلك فظن الأمر حقيقة واقعة . . .

وقال الدكتور « غوستاف ليبون »[1] نقلا عن « لودفيك لالان» الذى ناقش مسألة إحراق مكتبة الاسكندرية مناقشة علمية مختصرة : إن أول مؤلف ذكر حريق العرب لهذه المكتبة هو عبد اللطيف الطبيب العربى البغدادى الذى توفي سنة ١٢٣١ م أى بعد ٥٩١ سنة من وقوع تلك الحادثة . أما من خصوص حريق مكتبة الاسكندرية المزعوم فانه همجية وعداوة للمدنية ، منافية لأخلاق العرب على خط مستقيم ، حتى إنه يمكن أن يسأل الانسان نفسه كيف أن قصة كهذه قبلها منذ زمن طويل كثيرون ممن يعتد بعلمهم ؟ وقد كذب العلماء هذه القصة فى زمننا مرات كثيرة فلا نرى حاجة فى العودة إلى تكذيبها ، ولا أسهل من الاستشهاد على ذلك بايراد أقوال كثيرة جلية تثبت أن المسيحيين كانوا أعدموا الكتب الوثنية التى بالأسكندرية ، قبل العرب بزمن طويل وكسروا كل التماثيل أيضاً . ويفهم من ذلك أنه لم يكن بالأسكندرية بعد ما يحرق .

(١) Le Bon. Gustave : La Civilisation des Arabes. Paris 1884.
وكتاب : تاريخ عمرو بن العاص للدكتور حسن ابراهيم حسن .

وأما أبو الفرج الملطي فقد نقل روايته عن جمال الدين القفطى وكان قد توفى قبله بنحو أربعين سنة تقريباً فى حلب أى عام ٦٤٦ هـ وقد ذكرها هذا فى نسخة خطية فى دار الكتب المصرية مكتوبة سنة ١١٩٧ م من كتاب له اسمه تاريخ الحكماء وإليك نص روايته :

« وعاش (يحيي النحوى) إلى أن فتح عمرو بن العاص مصر والأسكندرية، ودخل على عمرو وقد عرف موضعه من العلم واعتقاده وما جرى له مع النصارى[1] فأكرمه عمرو ورأى له موضعاً وسمع كلامه فى إبطال التثليث فأعجبه، وسمع كلامه أيضا في انقضاء الدهر ففتن به وشاهد من حججه النطقية وسمع من ألفاظه الفلسفية التى لم يكن للعرب بها أنسة ما هاله . وكان عمرو عاقلاً حسن الاستماع صحيح الفكر فلازمه وكاد لا يفارقه ، ثم قال له يحى يوما « إنك قد أحطت بحواصل الأسكندرية وختمت على كل الأجناس الموصوفة الموجودة بها ، فأما مالك به انتفاع فلا أعارضك فيه ، وأما مالا نفع لكم منه فنحن أولى به ، فأمر بالافراج عنه» فقال عمرو : « وما الذى تحتاج إليه ؟ »قال : كتب الحكمة فى الخزائن الملوكية ، وقد أوقعت الحوطة عليها ، ونحن محتاجون إليها ، ولا نفع لكم بها . فقال له : « ومن جمع هذه الكتب[2] وما قصتها ؟ » فقال له يحي : « إن بطلوماوس فيلاذلفوس من ملوك الأسكندرية لما ملك حبب إليه العلم والعلماء وفحص عن كتب العلم وأمر بجمعها وأفرد لها خزائن فجمعت وولى أمرها رجلا يدعى بابن مرة (زميرة) وتقدم إليه بالاجتهاد فى جمعها وتحصيلها والمبالغة فى أثمانها وترغيب تجارها ففعل واجتمع له من ذلك فى مدة خمسون ألف كتاب ومائة وعشرون كتاباً

«ولما علم الملك باجتماعها وتحقق عدتها قال لزميرة، أترى بقى فى الأرض من كتب العلم ما لم يكن عندنا ؟ فقال له زميرة: « قد بقى فى الدنيا شىء فى السند والهند وفارس وجرجان ، والأرمان

(١) كان يوحنا قسيساً قبطياً من الأسكندرية اشتهر عند المسلمين باسم (غرسا طيقوس) أى النحوى ، وكان يعقوبيا يعتقد بالتثليث ، ثم رجع عنه فأسقطه الأساقفة من منزلته ، وقد توفى كما أثبت بطلر قبل فتح العرب لمصر باربعين سنة تقريبا .

(٢) راجع : تاريخ الحكماء للقفطى ، ومختصر الأول لأبى فرج

وبابل والموصل وعند الروم. فعجب الملك من ذلك وقال له: دم على التحصيل . فلم يزل على ذلك إلى أن مات ، وهذه الكتب لم تزل محروسة محفوظة يراعيها كل من يلي الأمر من الملوك وأتباعهم إلى وقتنا هذا » . فاستكثر عمرو ما ذكره يحيى وعجب منه وقال له « لا يمكنني أن آمر بأمر إلا بعد استئذان أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب » . وكتب إلى عمر وعرفه بقول يحيى الذي ذكر واستأذنه ما الذي يصنعه فيها فورد عليه كتاب عمر يقول فيه « وأما الكتب التي ذكرتها فان كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنه غنى ، وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله تعالى فلا حاجة إليها فتقدم باعدامها » فشرع عمرو بن العاص في تفريقها على حمامات الاسكندرية وأحرقها في مواقدها وذكرت عدة الحمامات يومئذ وأنسيتها فذكروا أنها استنفدت في مدة ستة أشهر فاسمع ما جرى واعجب[1] » اهـ

هذه هي الرواية التي نقلها أبو الفرج عن القفطي فيما بعد فتداولتها الألسن على علاتها ، وروج لها الشعوبيون على أنها حقيقة لاغبار للشك عليها . وقد دحضها كل من جبون ، ولوبون وبطلر ، وسيديو ، وشبلي النعمان[2]

ولقد أعجبنا في دحض هذه الفرية دفاع الدكتور حسن ابراهيم حسن[3] إذ يقول: « ومما يدل على اختلاق رواية أبي الفرج ومن تقدمه ماذكره بطلر ، إذ حلل هذه الرواية تحليلا لايسع القارئ إلا أن يحكم ببراءة عمرو بن العاص مما نسب إليه ، والاعتراف بأن مكتبة الاسكندرية لا بد أن تكون قد فنيت قبل الفتح الاسلامي بمدة طويلة ؛ فذكر نقلا عن « اميانوس مارسينوس » أن السبعمائة الألف مجلد التي كانت تحتوي عليها مكتبة الاسكندرية قد أتلفت إتلافاً تاماً حين حوصر « يوليوس » قيصر الروم بالاسكندرية كما تقدم ، وممن أيد هذا الرأي أورازيوس حيث اعتقد أيضاً أن هذه المكتبة قد دمرت في حريق يوليوس المذكور

وأضاف « بطلر » : « ومن سوء الحظ أن مثل جواب عمر قد ورد أيضاً بخصوص إحراق الكتب في فارس » . وقد علق الأستاذ « ري » بقوله : « إن شعور المسلمين نحو كتب الوثنيين الفرس يختلف اختلافاً تاماً عن شعورهم نحو كتب النصارى إذ كانوا يكرهون أن يتمرضوا لما فيه اسم الله[1] »

وإذا سلمنا جدلا بأن احتراق مكتبة الاسكندرية قد حصل فعلا كما رواه أبو الفرج الذي ذكر أن الكتب قد وضعت في سلات وزعت على الأربعة آلاف حمام ، وأنها ظلت تسخن مياهها ستة شهور، فان هذا الخبر على مايظهر لنا عبارة عن أكاذيب وأضاليل لا حقيقة لها أصلا ، إذ لو قصد تدمير هذه الكتب حقيقة لأمر باحراقها في الحال ، ولم يكن عمرو بالرجل الساذج الذي يضع هذه الكتب تحت رحمة أصحاب الحمامات ، فلا يصعب بذلك على « يوحنا » أو أي إنسان سواه أن يستولي على قدر عظيم منها بثمن بخس ، ولدى يوحنا وغيره من عشاق الكتب ما يكفي لتحقيق هذه الأمنية وهي انتشال عدد كبير منها من مخالب النيران . على أن ماجاء برواية أبي الفرج من أن هذه الكتب كفت الحمامات ستة أشهر مما يثير الدهشة والاستغراب في نفوسنا لأنه لو قدر لكل حمام مائة مجلد في اليوم على الأقل (وعددها أربعة آلاف حمام) لبلغ هذا العدد الذي أحرق في ذلك الوقت (٧٢٫٠٠٠٫٠٠٠) مجلد وهو ضعف عدد مجلدات المكتبة الحقيقي بنحو ١٠٣ مرة تقريباً . ويستدل مما ذكر أن السبعمائة الألف مجلد لم تكن لتكفي الأربعة الآلاف حمام ساعة واحدة لاستة شهور[2]

وزاد على ذلك أستاذنا اسماعيل رأفت بك مؤيداً استبعاد وقوع هذا الأمر بقوله : « إن الكاغد بقطع النظر عن الرق وإن كان يصلح لا يقاد النار ، إلا أنه لا يصلح لبقائها متقدة أصلا »

وقد برهن بطلر على أن يوحنا النحوي الذي ذكره أبو الفرج في روايته لم يكن حياً يرزق وقت فتح الاسكندرية ، سنة ٦٤٢ م لأن يوحنا هذا كان قد اشترك مع «ديوسفوروس» و «جايوس» و « ساورس أسقف أنطاكية » في الكتابة ضد مجمع خلقدونية، ويكون قد عاش في أوائل القرن السابع الميلادي : أي قبل سنة

(١) لم يذكر أحد هذه الرواية قبل البغدادي ، والأغرب ألا يذكرها الطبري والمسعودي ، وابن خلدون ، واليعقوبي وابن الأبكر ... الخ

(٢) و (٣) : تاريخ عمرو بن العاص للدكتور حسن ابراهيم حسن

(١) Bury. J. B: History of the bter Roman Empire. London, 1889.

(٢) فتح العرب لمصر لبطلر (بالانكليزية)

٦٤٢ م . ولا بد أن يكون قد مات قبل دخول عمرو الاسكندرية بثلاثين أو أربعين سنة ... الخ. وختم بطلر كلامه قائلا : لا أزال أقول إن احراق العرب لتلك المكتبة غير محتمل جداً ، لأن العرب لم تدخل الاسكندرية إلا بعد استيلائهم عليها بأحد عشر شهراً . وقد ذكر فى عهد الصلح (مادة ٤ ، ٦) أنه يجوز للروم أن يحملوا إلى بلادهم كل أمتعتهم ، وفى غضون هذه المدة كان البحر مفتوحاً ولم تكن أمامهم أية صعوبة لحملها إلى بلادهم ، وما كان يصعب على بوحنا (بفرض وجوده) وأمثاله أن يقتنوا هذه الكتب قبل أن تقع الاسكندرية نهائياً فى أيدى العرب . انتهى كلام الدكتور حسن ابراهيم حسن [١]

هذه هى المصادر والروايات الهامة التى يتعلق بها الشعوبيون فى الحط من كرامة الفاروق والعاص ، وفيما سلف أن فصلناه الكفاية للدلالة على ضعفها وفسادها ، وأما بقية الروايات فانها قد أخذت عنها وتنطوي تحت حكمها

وأما عبارة حاجى خليفة وهى : « ويروى أنهم أحرقوا ماوجدوه من الكتب فى فتوحات البلاد » فلا يصح أن تؤخذ حجة على العرب لأنه لم يذكر فيها اسم هذه المكتبة ، ولا أشار إليها ، ولكنه أراد أن يقول إن المسلمين فى أول فتوحهم لم يعتنوا بالعلم لتعلقهم بالوحى وخوفهم من تسلط العلوم الأجنبية عليهم وعلى عقولهم .

ولقد اعتاد الناس إذذاك أن يقاوموا الأديان الجديدة المخالفة لعقائدهم ، فلما جاءت المسيحية قاومتها الوثنية مقاومة عنيفة ، وأوقعت بأتباعها مرّ العذاب ، وشديد التنكيل ، فلما ظهرت هذه عليها كالت لها الصاع صاعين ، وبادلتها الشر بمثله ، وكان المسيحيون يعتقدون إذ ذاك أن هدم المعابد والهياكل الوطنية شرط لازم لتأييد المسيحية ، ولذلك فان أباطرة الروم عندما تنصروا كان أول ما أمروا به هدم هياكل الأوثان فى مصر وإحراقها بما فيها من الكتب . ولما كانت مكتبة الاسكندرية من آثار الوثنيين ومؤلفاتهم ، فليس هنالك مايبرر حرقهم إياها.

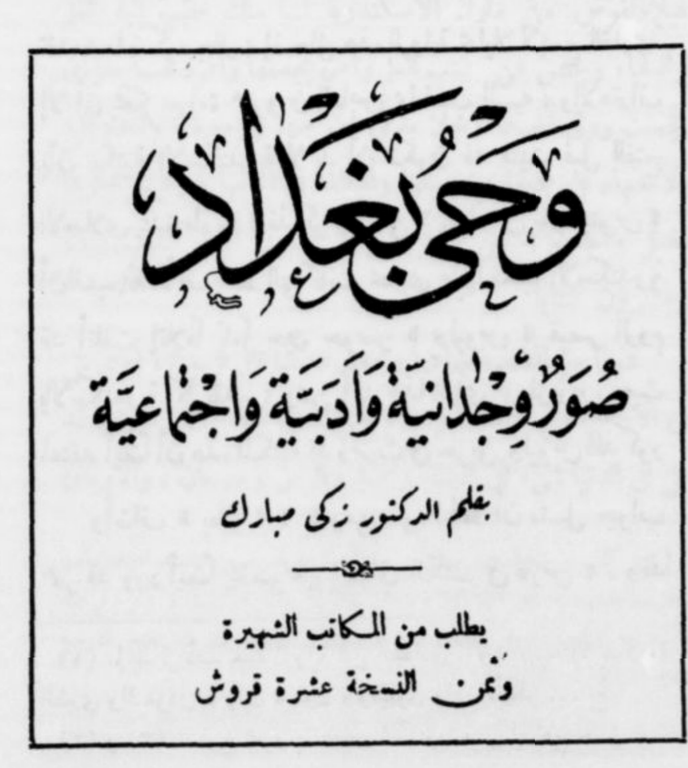
(١) ذكرت العلمة الفرنسية (دائرة المعارف جـ ٣ ص ٦٤٨ أن مجموع المؤلفات التى كانت بالسيرابيوم قد أحرقها النصارى فى القرن الرابع للميلاد

ولم يقتصر هذا الأمر على الكتب الوثنية فقط بل تعداه إلى جميع الكتب غير المسيحية ، فقد أحرق الكردينال كسيمنس جميع كتب المسلمين فى غرناطة وكانت ثمانين ألف مجلد ، وأحرق الأسبانيون غيرها عشرات المكاتب الهامة فى القرن السادس عشر كرهاً للعرب ، وفى القرن الثانى عشر أتلف الصليبيون معظم مكتبة طرابلس ، وكذلك يوم أمر ضجيل باحراق كتب [١] دار العلم فيها وكانت تقدر بأكثر من مائة ألف مجلد .

ونحسب بعد هذا أن قد وفينا الموضوع حقه من البحث ، فى دحض هذه الفرية الشائنة التى لفقها بعض الشعوبيين على العرب تلفيقاً ، وأننا قد بلغنا بالقارىء محجة الاقناع . وسنتقدم فى مقال آت لدحض فرية أخرى عن الاسلام لا تقل عن هـذه شناعة . وسنواصل نشر هذه البحوث فى الرسالة العزيزة حتى يتم طبع كتابنا فى الدفاع عن الاسلام ، وبذلك نكون قد وضعنا تحت متناول القارىء ما يساعده على مجابهة الخصوم ، ونكون قد أدينا لهذه الأمة العزيزة بعض ما أخذنا على عاتقنا عبئه ، وأنجزنا بعض ما سجلته علينا الرسالة العزيزة من الوعود القاطعة .

خليل جمعه الطوال

(١) راجع : الاسلام والحضارة العربية جزء ١ لمحمد كرد على .



على ذكر مؤتمر القاهرة

فلسطين العربيـــة

للدكتور حسن إبراهيم حسن
أستاذ التاريخ الاسلامي بكلية الآداب

إن أبرز ما يتسم به الإسلام هو التسامح إزاء من يعيشون معه أو في كنفه ، وتلك جِبِـلّة في العربيّ أنّى كان ؛ غـير أن خصومه لم يقدروا فيه ذلك التسامح حق قدره ، ولم يحملوا للعرب هذه المكرمة التي يظهرونها في كل حين مهما اشتدت بهم الأمور ، وحاقت بهم الخطوب

واليهود في ادعائهم فلسطين وطناً قومياً لهم إنما يتنكّبون السبيل السويّ والصراط المستقيم ، فما كان لهم في عصر من العصور وطن قومي حتى يجوز لهم اليوم التشبّث به . وخير لهم أن ينضووا تحت ظلال الشعوب التي هم بينها . وأنّى لهم أن يعرفوا « الوطن القومي » وهم لا يعرفون الشعور القومي ، ولكنهم قوم غرقوا في العصبية الجنسية تقليداً فحسب ، فلا جرم إذا هم سموا وراء مصالحهم قبل أن يفكروا في مُعاونة من هم بينهم ، ولا غرابة — حين يبدو هذا منهم — أن تقف منهم جميع الدول الغربية موقف المضطهد المستنكر لأعمالهم ، ذلك لأنها أحست بوطأتهم وضررهم ، ورأت أنهم يتعصّبون لجنسهم لا لقومية فيهم ، فاليهودية اسم للدين لا للوطن ، على حين أننا إذا قلنا « العروبة » شخصت الأبصار والأذهان إلى الجزيرة العربية وأطراف العراق وبلاد الشام موطن الغساسنة

لقد كتب الله على اليهود التشتت والتفرقة « وضربت عليهم الذّلة والمسكنة وباؤا بغضبٍ من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغـير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » وكيف يريدون أن تكون فلسطين وطناً لهم وفي بلاد العروبة أنفس أبيّـات لا ترتضي الذّل وتأبي الصبر على الهوان ؟ وكيف يريدون فلسطين وطناً لهم وهي مهبط المسيحية الغراء ، والأرض التي درج عليها عيسى عليه السلام ، وفيها مناسك النصرانية ؛ وهي الأرض المقدسة بعد الحجاز عند المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ؟ قل (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله) .

ولو رجعنا إلى التاريخ نستوحيه الخبر عنهم ، لرأيناهم لا يستقيم لهم أمر إذا التأموا ، فلقد كانوا حرباً عواناً على المسيح وأنصاره ، مؤيّدين للظلم ولو عرفوا الحق

أما في الاسلام فقـد حاربوه وناجزوه العداء وهو دين الوحدانية ، ولم يتورّعوا عن اتخاذ أية وسيلة لمحاربته ، وكانوا كثيرين في الجزيرة ، ولكن نصر الله نبيـه وأيّده بروحه ، وأمـدّه بكل ما حقق به للاسـلام والعروبة الفوز المبـين والنصر الباهر

نشب النضال بين اليهود والمسلمين منذ رحل النبيّ عليه الصلاة والسلام إلى المدينة المنوّرة ، واتخذها مركزاً لبث دعوته ، ورأوا في محمد (صلوات الله عليه) وفي دينه منافساً جديداً يوشك أن يقضي على نفوذ كل دين غيره ، فأبوا إلاّ محاربته ، مع أنهم كانوا يستنصرون به على العرب في الجاهلية ويقولون « اللهم انصرنا بنبيّ آخر الزمان » فاذا سألهم العرب قالوا « إن نبيا قد قرب زمانه ، وسيكون لمن اتبعه العز والنصر إلى يوم القيامة » ويتوعدون العرب باتباعه والاستنصار به عليهم ، ولكن ما كاد محمد عليه السلام يذيع رسالته حتى ناصبوه العداء ، بعد أن كانوا يستفتحون به عليهم

وكان اليهود يكرهون محمدا والعرب والمسلمين ، وينظرون إليهم وإلى دعوته بعين الخوف والفزع من أول يوم طلع عليهم في أفق يثرب ، ثم زاد خوفهم منه وظهر حسدهم له عند ما رأوا الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ، فأخذوا يكيدون للاسلام والمسلمين بالدّس والارجاف ، ثم بالمراء والجدل فيما يعلمون ومالا يعلمون؛ وإذا سئلوا عن شيء مما في كتبهم حرّفوا الكلم عن مواضعه وألبسوا الحق بالباطل ، ليكسبوا ولاء المشركين . وقد نعى الله عليهم ذلك فقال (بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزّل الله من فضله على من يشاء من عباده) وكانوا يسمون في دين الله معاجزين لكي يفتنوا المسلمين عن دينهم ، ويوهنوا عقائدهم بالشّبه والأباطيل ، فقال تعالى (ودّ كثير من

أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبيّن لهم الحق) ، كل هذا والنبيّ يصابرهم ويصبر عليهم ، ويسوى بينهم وبين المسلمين فى الصالح ويحترم شعائرهم . ولو تركنا ما قاساه النبيّ والمسلمون من كيد اليهود لهم بكافة الطرق ، بل وانتهازهم الفرص لقتل الرسول وتأليب العرب عليه وتحزيب الأحزاب ضده ، ونقضهم عهود المسلمين فى أحرج الأوقات ، لو تركنا ذلك كله ، ورجعنا إلى عهد ابراهيم الخليل عليه السلام لوجدنا انه لم تكن فلسطين وطنه الأصلى ، ومن هنا تنهار إحدى الدعائم التى يستمسك بها اليهود فى أحقيتهم لها؛ فقد ولد عليه السلام بالعراق ، ثم أمره الله تعالى بالدعوة إلى التوحيد ، ثم سار ابراهيم وزوجه سارة وغيرها ممن آمن بدعوته إلى حران ، ثم أتى مصر حيث لحق بهم حتى فرعون الذى أطلقه هو وزوجته بعد أن ظهرت على يد ابراهيم آيات النبوة ، ووهب سارة هاجر جارية لها ، وسار ثلاثتهم إلى الشام ، ثم شخص ابراهيم بهاجر وإسماعيل إلى بلاد الحجاز ، فأية دعوة لليهود بملكية فلسطين ؟ ولو أجيبوا إلى دعوتهم لحق لأهل بريتانى الفرنسية المطالبة بملكية انجلترا دون الانجليز ، لأنهم غزوا انجلترا وسكنوها ، حتى نسبت البلاد إليهم كما غزاها الرومان إلى سنة ٥٤ ق . م والانجليز والسكسون والدانيمركيون ، وغزاها كذلك وليم الفاتح النرمندي (من مقاطعة نرمنديا بفرنسا) وانتصر سنة ١٠٦٦ م فى موقعة هستنجس ، فهل يحق لفرنسا وإيطاليا والدانمرك أن يطالبوا بانجلترا اليوم لأنهم غزوها واستولوا عليها بحد السيف فى يوم من الأيام ؟ هذا على الرغم من أن اليهود لم يغزوا فلسطين ولم يفتحوها عنوة أو بحد السيف وإنما لجأوا إليها كما لجأوا إلى غيرها من بلاد العالم .

ولقد غلا اليهود فى زمن موسى عليه السلام واشتطوا ، ورأى فرعون مصر ذلك منهم فطردهم من بلاده ، فلاذوا بفلسطين وظلوا بها حتى أخرجهم الامبراطور الرومانى تراجان سنة ١٠٥ م وكانوا شرذمة عديمة النفع ، كبيرة الضر ، عاكفة على الشر ، مؤبدة للباطل . وإن التاريخ ليأبى إلا أن يعيد نفسه ، فقد نكل بهم الروم فى مصر فخلصهم العرب المسلمون من نيرهم ، واستعملوا سياسة التسامح التى عرف بها الاسلام ، كما نكل بهم القوط فى الأندلس ، وكانت نجاتهم على يد العرب ، فظهر منهم الأطباء والفلاسفة ورجال المال وأسندت إليهم مناصب الدولة .

وبعد سبعة عشر قرناً نرى هتلر وموسوليني يمثلان معهم نفس هذا الدور الذى مثله معهم من قبل فرعون مصر والروم والقوط وغيرهم . وكأن الصهيونيين لم يشعروا بضرورة وطن قومى لهم إلا بعد عشرات القرون ، ولكنهم قابلوا جميل العرب بالخيانة والعدوان عليهم ، لقد صدق الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله (اتق شر من أحسنت إليه) فأية جريرة ارتكبها العرب والاسلام حتى يكيد لهم اليهود وينتقموا منهم فى عرب فلسطين وهم السواد الأعظم من الأهلين ؟

إن فلسطين عربية منذ الجاهلية السحيقة ، سكنها الغساسنة وهم عرب ، حتى إذا كان الاسلام فتحها المسلمون بحد السيف ، فقد أنفذ أبو بكر الجيوش العربية نحو الشمال ، وعقد لأبي عبيدة (ووجهته حمص) وعمرو بن العاص (ووجهته فلسطين) ، ويزيد بن أبي سفيان (ووجهته دمشق) وشرحبيل بن حسنة (ووجهته وادى الأردن) .

ثم فتحت هذه البلاد فى عهد عمر بن الخطاب ، وأبى البطريق سفرونيوس تسليم بيت المقدس إلا لعمر نفسه ، فأتى الخليفة ، وتسلم منه مفاتيحها وأعطى لأهلها الأمان المعروف . وصفوة القول أن العرب فتحوا فلسطين ، وأن القتال قام بينهم وبين الروم المسيحيين أصحاب هذه البلاد دون اليهود الذين لم يكن لهم أى أثر فى هذه الفتوح .

وفى عهد آخر نرى فى فلسطين تلك الحروب الطاحنة ، وهى الحروب الصليبية التى قامت بين المسلمين والمسيحيين ، وأريقت فيها دماء كثيرة ، وأبلى فيها البلاء الحسن أمثال صلاح الدين والظاهر بيبرس والأشرف خليل ، فأين كان اليهود فى ذلك الزمن المفعم بالخطوب والويلات ؟ لعلهم كانوا فى غفلة ، أو لعلهم لم يكونوا فى هذه البلاد ، أو لعلهم لم يكونوا قد تعلموا بعد أساليب القومية والوطنية . ولو فكر الصهيونيون لرأوا أن من الخير لهم أن يعقدوا أواصر المودة وحسن التفاهم مع العرب ، وفلسطين اليوم تعتبر بحق حلقة من حلقات الاتصال فى الثقافة بين الشعوب العربية ، هذا إلى أن استقلال الصهيونيين بجزء من فلسطين يهدد مصر نفسها ، والعرب رأوا أن لا سبيل لتأمين الشام وفلسطين جنوباً إلا بفتح مصر ، كما اتبع هذه السياسة

قبلهم الكلدانيون والأشوريون والفرس والروم ، كذلك سيهددون مصر إذا هاجر إلى فلسطين يهود ألمانيا وبولندة وغيرها.

ومن ثم نرى أن الواجب يقضي على مصر حكومة وشعباً أن تنظر إلى مغبة الحركة الصهيونية بعين الحذر ، وأن تقف منها موقف الصراحة فى القول ، وأن يعمل الجميع متكاتفين متساندين مع إخوانهم عرب فلسطين وسائر أهالى البلاد العربية . ولامشاحة فى أن وقوف مصر هذا الموقف الحازم سيكون له أثره فى موقف العرب إزاء الحركة الصهيونية ، وسيعزز مركز مصر عند سائر البلاد العربية خاصة والشرقية عامة .

حسن ابراهيم حسن

متى يوجد منقذ العرب

الآنسة فلك طرزى

يحلو لى أحياناً استجلاء بعض أمور الحياة ومحاولة تحليل بواعثها وأسبابها ساعة أخلو إلى نفسي فى وحدة صامتة لا يكون رفيقى فيها إلاّ قلبي وضميرى ، لأن الساعة التى يجالس المرء فيهـا ضميره وينفرد به في ظلال التفكير والتأمل بعد ساعات يقضيها بين الناس تعد من أعظم ساعات الحياة نفعاً وأرفعها شأناً ، وأ كثرها فائدة . فـكم من ضال مخطيء كانت الوحدة سبيل هدايته إلى الحق والصواب ! وكم من نفائس علمية وفنية وأدبية لم يتحفنا بها رجال العلم والفن والأدب إلاّ بعد ساعات بل أيام انفردوا خلالهـا بأنفسهم وضمائرهم ، فاذا ما اطمأنوا إلى صمت هذه الوحدة وسكونها ، أرسلوا أنفسهم على سجيتها فانطلقت من عقالها مجتازة الحدود ، مخترقة بنفاذ بصيرتها صميم الحياة ، تـكشف الحجب عن حقائقها وترشدهم إلى كل موضع ومعنى من مواضعها ومعانيها ، فيستجلون بدقة خيالهم صورها ، ويدركون بقوة عبقريتهم دقائقها ، فاذا ما انتهوا إلى الادراك ، عرضوا صور الحياة على اختلاف ألوانها ومعانيها ، أمام أبصارنا واضحة صافية ، فيها دقة الفن وفيها دقة الأداء ، لأنهم حين استخرجوها من مكمنها وأخذوا فى توضيحها ، مزجوا ألوانها بألوان نفوسهم ، وأضافوا إلى معانيها من معاني قلوبهم ، وأفرغوا فيها الكثير من إحساسهم وشعورهم

وليس النضال الذى تخرج منه العبقرية إلى النصر بعد عراك طويل مستميت مع مختلف عوامل الحيرة والضعف التى تعترى نفس الفنان أحياناً بأصغر شأناً وأقل خطراً من نضال القائد الجبار الذى يقوم بتدريب فرقة من فرق الجيش فى ساحات الحرب .

أجل يحلو لى اللجوء إلى الوحدة فى ساعة من الساعات نحن نفسى فيها إلى الصمت وتشتهيه ، لـكي يتسنى لى عصر قلبى ، فأستنزف منه قطرات من دم الصدق والاخلاص

لقد حدثتنى نفسى أن تأخر الأمة العربية عامة والسورية خاصة ناتج عن سبب خـلوها من النهضة الفكرية أو بالأصح من التفـكير الصحيح المستقيم الذي هو بمثابة مشعل ينفذ بحامله إلى خفايا حياة أمته ويتغلغل به فى جوانبها وزواياها ، ليطلعه على مختلف شؤونها ونقائصها ، ثم ليقوده بعد النفاذ والتغلغل إلى تشخيص الداء الأساسى الذى تشكو بسببه عللها ومرضها

خذ دليل ذلك أيها القارئ ، وبرهانه الساطع من تاريخ النهضة العربيـة فى غابر العصور ، وتأمل ضخامة الدرس الذى ألقته الأمة العربية على الانسانية جمعاء ، ثم تأمل فى سرعة الانقلاب الذى حدث فى تلك الجزيرة المحاطة بالجدب والقحط من كل نواحيها ، فاذا بها تصبح فى مدة من الزمن لم تبلغ نصف قرن ينبوعاً عذباً صافياً يؤمه كل ظامئ إلى معرفة الحق ، ليرتشف من مناهله ماء الثقة والايمان

أنظر كيف أن قريشاً لم تنهض من الجهل الذى كانت واقعة فيه ولم ترتفع من الدرك الذى انحطت إليه ، إلا حين خرج النبى المفكر البصير ، فبدد جهلها بآيات الكتاب المبين الذى حملته يمينه ، وأيقظ فى قلوبها الحق والايمان مشعل الحقيقة الذى كان نوره ينبعث من بين جوانحه فاذا به يجرى عجباً ، وإذا به يغير حالاً بحال ، ويبدل أموراً بأمور ، فتمسى قريش التى كانت من قبل تغط فى غياهب الجهل والشرك ، كعبة المدنية والحق ، والمنارة التى ترشد الانسانية إلى سبيلها

ثم انظر إلينا كيف نسير متلكئين فى طريق نهضتنا الفتية ونحن بعد بين هجمة ويقظة . . . بين ظلام الليل ونور النهار ، نحاول فى سبيل إيجاد الحل الموافق لقضيتنا المعقدة تتبع خطوات الأمم التى أحدثت الحرب العظمى تغيراً فى نظمها ومناهجها الدولى ، ناسين أو متناسين أن للعوامل الإقليمية والتاريخية والنفسية شأناً كبيراً وأثراً بعيداً فى اختيار نوع من أنواع الأنظمة الدولية المختلفة الذى يلائم أمة ولا يلائم غيرها ، إذ هى الدعائم الأولى ، بل القاعدة الأساسية التى يشيد عليها مؤسسو النهضات القومية بناء هذه القومية .

فلا النظام الشيوعى ولا النازى ولا النظام الفاشستى يلائم الأمة العربية : هى بحاجة إلى نظام خاص يكون مقتبساً من تاريخها ، ومستمداً من قوة الحاضر وواقعه .

القضية العربية تشكو خلوها من عالم مدقق حصيف يدرسها على ضوء المنطق ، درساً عميقاً مستفيضاً ، كما درس موسولينى القضية الايطالية ، وهتلر الألمانية ، وكما درس من قبلهما الفيلسوف الاجتماعى مونتسكيو القضية الفرنسية فكان كتاب « روح الشرائع » الذى أخرجه بعد درس النظام الدولى الانكليزى ، درساً مشبعاً بروح البحث والتمحيص ، ومشملاً استنار به الفرنسيون واسترشدوا بقوانينه وشرائعه ، فجاء مطابقاً لأهوائهم ، ملائماً لرغائبهم ، محاكياً ميولهم محققاً آمالهم وأمانيهم .

الأمة التى فيها عبقرية وجوهر ، تخلق ذاتها ، وتوجد نهضتها بهذه الذات ، وتختار بفضل تفكيرها وجهودها نوع الأنظمة الذى يوافق طبيعة إقليمها ويلائم مستوى شعبها الفكرى والعقلى والأخلاقى . فهى إذن فى غنى عن تقليد هذا النظام وذاك المنهاج ، وهى فى غنى — إذا كانت شروط العبقرية متوفرة لديها — عن اتباع النظم الدكتاتورية التى خلقت الحرب الكبرى وجودها فى بعض أمم الغرب .

ولست أعتقد أن سمة التقليد هي سمة الأمة العربية التى برهنت وتبرهن الآن فى أجل وأقدس بقعة من بقاعها على أنها أمة فيها نبوغ وفيها عبقرية .

أمتنا شبيهة بتلك النفس المضطربة الحيرى التى تحس فى أعماقها بحاجتها إلى الصديق العالم المخلص العطوف الذي يحنو عليها برفق ليسبر بعقله حقيقتها ، ويملك بقوة « سيكولوجيته » كل ناحية من نواحى خلقها ونفسيتها ، ويحبها بقلبه وجوارحه حباً عميقاً صادقاً لا يخالطه زيف يحوجه إلى سلوك طرق النفاق والتدجيل .

ويوم يعلن لها ضحاه وجود هذا الصديق تستطيع هذه الأمة التعسة أن تنام قريرة العين ، لأنها سوف تستودع آمالها وأمانيها فى قلب وفى أمين ، تعلو به مشاعره النبيلة عن الخيانة والكذب ، ويترفع عن استعمال أحط الطرق والوسائل فى سبيل خدعها والسخر منها

فلك طرزى

منتخبات من بلاغة الغرب

الجزء الثانى

للأستاذ محمد كامل حجاج

... « ما فتئ الرجل فى حاجة إلى الملاطفة والحب ، وقد أرضعته أمه افاويقهما ، مذ ظهر فى عالم الوجود ؛ فكانت ذراعها أول من أرجحته وخدرته من الملاطفة والمسح ، فأشرب فى قلبه الميل إلى الحب وفتور الهمة . فتراه إن نغص فى عمله ، أو كدر صفوه ، في مقاصده ونواياه ، حن إلى الحضن الدافىء وأناشيد الليل ، وقبل السحر ، والشفة الملتهبة بنار الحب البنوى التى كانت تنقض عليها شفته انقضاض النسر على فريسته . والشعر المنثور الذى كان يلتوى على جبينه . فإن مشى وتعب عاودته ذكرى المهد ، فتذهب نفسه حسرات . وكلما شب وبسل زاد خذلانه وقهره ، كالنهر ما كبر واتسع إلا وزاد اضطرابه وكثرت أمواجه .

« وحينا يكشر له القضاء عن أنيابه الحداد ، ويشهر عليه هو ومن أقلته وأظلته من العوالم حرباً يستعر لظاها ، ويشيب من هولها الولدان ، يضطر لأن يبحث له عن حضن يسترخ فيه بعد نصبه وقبلة تكفكف ما انهمر من عبراته ، ولكنه قبل أن يتخلص من مصابه وأوصابه ، وما انهال عليه من صنوف الأحن تشن عليه غارة أخري خفيه مئت غدراً وجبناً ، وتحتدم تحت ذراعه وفوق فؤاده وما أصلاها إلا المرأة وكل امرأة (دليلة) » ...

ألفريد دوفيني

بين الشرق والغرب

لباحث فاضل

قرأنا كما قرأ كثيرون غيرنا ما كتب فى الرسالة فى موضوع الغرب والشرق ؛ تتبعنا مناظرات كثيرة لفئة من الكتاب منهم العرب وغير العرب . وهذا الموضوع ليس حديث العهد بالجدل والمناظرة، فلطالما قام التفاضلُ بين الشرق والغرب على أن التفاضل فيما مضي قد قام على أساس جغرافى فى تقسيم العالم لأن لكلٍ من العالمين عادات وطبائع تباين الآخر ولقد اتسع مدى هذا التباين حتى ألبس العقلية فى كل منهما مظهراً خاصاً تميزت به عن الآخر. فليس غريباً بعد هذا أن نجدَ مثل هذا الاختلاف ممثلاً فى كثير من أوجه الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية . وما مظاهر الحياة وطقوسها فى جميع بلدان العالم إلا صورة لشخصيات الشعوب التى نشأت فيها والتى اشتركت البيئة والتراث فى تكوينها

على أن هذا الاختلاف وإن شمل مناحى الحياة المتعددة وألبس العقلية مظهراً خاصًّا بها فلا نعتقد بأنه اختلاف أساسى فى العقلية ؟ إذ من الواضح أن طبيعة العقلية قد استوت فى قدرتها وقابليتها فى أصل جميع الشعوب . وذلك الاختلاف الذى نرى أثرَه فى منازع التفكير المتعددة يجب أن يرجع إلى بيئات تلك الشعوب وإلى المؤثرات التى قدّر لكل شعب أن يتأثر بها . فمن سكن اليمن من العرب غير من سكن الأندلسَ منهم ؛ فأوجه الحياة قد اختلفت فيما بينهما مع أنهما من أصلٍ واحد . فمن رجع إلى تراث الأندلسيين ثم نظر إلى تراث اليمنيين تبين له الفرق الشاسع فى كلّ شيء ، أفيكون هذا الاختلاف داعيا إلى شطر العقلية إلى شطرين الراجح منها للأندلسى والناقصُ لليمنى؟ ثم هل يعجز ساكنُ البادية عن مجاراة أعظم الأمم حضارة فى كل شيءٍ ؟ إن هذا ليحملنا على تقرير الحقيقة وهى أنه ليس فرق أساسى بين طبيعة العقليات جميعا . وعلى هذا فان الصور الذهنية لكل شعب يغلب أن تكون مرآة للشكل المتكون من تفاعل خصائص ذلك الشعب التاريخية مع البيئة

أما القابلية العقلية والقدرة الفكرية فلا يحكم على مدى كل منها بمجرد النظر إلى طبيعتها فى زمن واحدٍ وعصر منفرد . ذلك لأن العقلية تخضع كثيرها إلى مؤثرات تختلف قوة وضعفا . ونصيب العقلية من كل ذلك أن تنزع فى كثير من الظروف منازع شتى تباين الأصل والطبيعة ، فتراها تتلون بلون المؤثر إن ضعفت بالنسبة له، أو تراها تلون المؤثرَ إن قويت عليه ، أو تراها تمتزج معه إن تعادلا منزعاً وقصداً وغاية . وهذه هى الحقيقة الواضحة التى نلمحها فى ثقافات الشعوب المتعدّدة

أتيتُ بهذه المقدمة لا لأبحث فى نشوء العقليات وتطوّرها فهذا أمرٌ لا قدرة عليه إلا لمن أوتى القدرة على تفهم ثقافات الأمم جميعاً وإرجاعها كلها إلى الصور العقلية والذهنية التى صدرت عنها وهذا بعيد على مَن يحاوله . ولكننا رغبنا أن نظهر ببساطة أن منازع التفكير لاتدعو إلي تفاضل فى العقلية، ثم هى بعد هذا لا تبيح للكاتب أن يفاضل بين الشرق والغرب فيقرّر حدوداً قاطعة بينهما لأن العقل لا يعرف الحدود القاطعة الحاسمة

وقد درَج الكتاب على تقرير عقلية للشرق وأخرى للغرب؛ وذهب بعضهم إلى أبعد من هذا فقرروا طبيعة كل من هاتين العقليتين وأن الواحدة منهما لاتقبل إلا المظاهر الفلانى ولا تتلون إلا بلون خاص . وهم بقياسهم المظاهر الفكرية لهذه العقليات قد طبقوا هذا القياس نفسه على الشعوب فتفاضلت بسبب ذلك

هذه ملاحظة أساسية استخلصتها من بحث للدكتور إسماعيل أدهم فى موضوع الشرق والغرب المنشور فى الرسالة (٢٥٩ ، ٢٦٠) ولست أقصد فى هذه الكلمة أن أناظرَ الكاتب فى هذا البحث فان الوصول إلى حد حاسم فى هذا الشأن بعيد الوقوع . ولكن بعض الحقائق التى تضمنها بحثه المذكور تفتقر إلى تدقيق؛ ثم هو بعد هذا لم يشأ أن يستند فى النتيجة التى توصل إليها إلى الحقائق التاريخية فأورد بعضها ونسى أو تناسى الآخر . ولقد أحسن الدكتور صنعا فى أن دعا إلي مناقشة ما أتى به . ولا زلنا نرغب معه فى أن تجلو الأقلام كثيراً من الحقائق المتعلقة بهذا الموضوع فننصف الشرق والغربى وننصف معهما الفكر العربى من كثير مما أصابه وهذا مما لا يرتكز على حقيقة

* * *

(أولاً) تحديد لفظي الشرق والغرب ، فقد حرنا حقيقة في جلاء ما قصده الكاتب في هذين اللفظين . فهو تارة لا يرجعه إلى أساس جغرافي في تقسيم العالم إلى بلدان في قوله « إن ماتعنيه باصطلاح الشرق والغرب لا يقوم على تقسيم العالم من شرق وغرب في تقويم البلدان » ثم نراه مرة أخرى يقف عند هذا الحد فلا يظهر لنا ماعناه بهذا المصطلح فيقول « إنما ترجع التفرقة عندنا إلى ما نلمسه من طابع ذهني للغرب ومنزع ثقافي للشرق » وبعد هذا تبقى كلمتا الشرق والغرب مجهولتي المعنى والتحديد . على أننا مع هذا نستطيع أن نبين ما رمى إليه الكاتب من وراء هذا المصطلح وإن جاء ذلك متداخلاً مضطرباً .

فعلى فرض أن (الغرب) مصطلح علمي يدل على شيء أو أشياء معينة فقد أراد أن يثبت بأن ما يدل عليه هذا اللفظ إن هو إلا العقل الحر الذي لا يتقيد بالروحانيات وما إليها ، في قوله : « إن في الشرق استسلاماً محضاً للغيب وفي الغرب نضالا محضاً مع قوي الغيب »

ثم إن الغرب يعني العقل المتفلسف لأنه « يبدأ من عالم الغيب وينتهي للعالم المنظور . والغرب بعد هذا يعني العقلية العلمية التي « تأخذ بأساليب الاستقراء والمشاهدة إلى جانب أسلوب الاستنتاج والنظر » والغرب يعني أيضاً « تحكم العقل في محاولة تنظيم الصلات بين أفراد المجموع البشرى »

وأخيراً فان الانسان في نظر الغربي » قادر على تغيير المقدر له عن طريق معرفة النواميس المحكمة في وجوده »

وأما الخالق (الذى خلق هذا الانسان) فهو مقيد بهذه السنن والنواميس، وإرادته (أى الخالق) مقيدة بنظام هذا الكون وأفعاله قائمة على عنصر اللزوم والاضطرار »

في مطلح الشرق قد أدرج مايعكس مدلول الغرب؛ فله العقل المقيد بالعقيدة ، وله الجمود الفكرى « في أن تكون العصور الوسطى صورة من العصور الشرقية» . والعصور الوسطى هي عصور مظلمة عمت فيها الفوضى في مهامه الجهل

إلى هنا أحسن الكاتب صنعاً . ولو أنه لم يتعد مدلول هاتين اللفظين كما « تصورناه » لكان بحثه (بحق) أوفي مايكتب في بحث مظاهر العقليات . ولكنه رغب في قرارة نفسه أن يتعدى هذا المدلول وأن يكشف عن نياته الصادقات عن الشرق والغرب فتراه أكسب العقليات الصفة الشعبية . فاليونان من الغرب ؛ وكذا أهل أوربا في عصور النهضة والنشاط الفكرى . أما أوربا في غير تلك العصور فليست من الغرب . فهى في عصر النور غربية وفي عصر الظلام شرقية مع أن الشعوب التي سكنتها في كل من العصرين لم تختلف في عنصرها ولا في جنسها .

والعرب كذلك «في رأيه» عقليتهم العلمية ترجع للغرب لأنهم أخذوا أصولها عن فلاسفة اليونان ، أما روحانيتهم فهي للشرق لأن الشرق منبع الأديان وكل مافيها روحاني الطبيعة والمظهر . وسبب هذا التباين الذى اعتبره أساسياً أن العقلية الشرقية ابتدأت بالاعتقاد الى الخالق ثم انتهت بالطبيعة . والعقلية الغربية بدأت بالطبيعة وانتهت في الخالق . ثم هو لايوضح متى بدأت كل من العقليتين الأولى في اعتقادها بالخالق، والثانية في بحثها عنه عن طريق الطبيعة . ونحن لا نطالبه بهذا الايضاح ، فالثابت الذى لاشك فيه أن الغرب قد سبق الشرق في كلتا الناحيتين وما كان الغرب إلا مقلداً لها ومتأثراً بسببها .

ولنعد الآن إلى ماجاء في البحث المذكور الذى أوردنا أهم النقط التي تضمنها فيما مضى من السطور لتسهل مناقشتها .

(ثانياً) إذا كان الأساس العلمى هو المقياس لتفاضل العقليتين ، وإذا كان البحث في نواميس الطبيعة والكون من المظاهر العلمية للعقل ، فهل للفاضل الكاتب أن يقرر لنا متى بدأ يتحسس الخالق في سر مخلوقاته . أهو الشرق مصرياً كان أو أشورياً أو كلدانياً أو عربياً أم بدأ به اليونانيون والرومان والسكسون ؟

إن العقلية اليونانية التي ادعى الكاتب أنها أصل البحث العلمى الذى أخذ عنه فلاسفة الاسلام ، هذه العقلية هل انفردت عن غيرها من العقليات المعاصرة أو السابقة في نهج الأسلوب العلمي ؟ وهل يعتقد أحد بأن من قيمة العقل العلمي المتفلسف أن يقف عند حد المنطق في وضع أصول الشك ولا يتعدى تطبيق هذه الأصول على حقيقة الوجود كي ينتهى إلي الخالق ؟ ثم نواميس الكون وسنن الوجود التي توصل إليها اليونانيون بأى خالق

ربطت وعلقت ؟ هل الجانب العلمى الذى أخذه العرب عن اليونان انتهى إلى الحد الذى انتهى إليه اليونانيون فى تقريرهم بأن عشرات الآلهة تحكم عالمهم ، وأن هذه الآلهة تموت وتحيا وتقتتل ؟ أم أن ذلك الجانب العلمى هو أن تكون الأسطورة ديناً لهم كما كانت إلياذة هوميروس دينا لليونان قروناً طويلة ؟

إذا كان الشرق قد أدخل العنصر الروحى فى تقرير المعاملات بين الناس فهل يتنافى هذا مع العقل السليم ؟ وهل يتهم بعد ذلك بأنه قاصر ونحن نعلم علم اليقين بأن الشرقي فى اعتقاده الروحانى قد اتسع أفق تفكيره فشمل عالمين بينما قصر غيره عن ذلك فانتهوا عند حدود عالم واحد أخطأوا حتى فى تحديده ؟

لقد نظر أخناتون فى مصر إلى العالم الذى أحاط به فرأى أن لا بد لنواميس الكون من مدبر فنادى بالتوحيد ، وكان إيماناً جميلاً أن يبدأ ملك (كان ينتظر أن تسيطر أبهة الملك المادية على قوى تفكيره) بالطبيعة وينتهى للخالق

ونظر إبراهيم إلى الكواكب وكان قومه يعبدونها فرآها تأفل فشك فى أن تكون رباً له ، وكان شكه داعياً لايمانه فقال فى ذلك تعالى : (فلما جنّ عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين »

ونظر الأعرابى فى الصحراء إلى ما أحاط به من شمس وقمر ونجوم فداخله الشك (وهو الساذج) فى أن تكون معبوده وإلهه ، أو أن تكون مطلقة التصرف في شئون نفسها . وهذه الشمس ، وهذه النجوم تغرب ، وها قوم يموتون فلا يعودون . فمن يطلع الشمس ويغربها ، ومن يسطع النجوم ويبزها ، ومن يذهب بأوائك فلايعيدهم ؟ أذلك الصنم فى معبد الأعرابى ؟ أم تلك الأسطورة عن زفس وأبلون فى مخيلة اليونان ؟

هذا الشك بدأ فى الشرق وانتهى أهلوه إلى الخالق عن هذا الطريق . فأصول الشك وجدت في الشرق قبل أن يعلمها الغرب بآلاف السنين . وهذا الشك كان أهم الأسس التى قامت عليها النهضة الأوربية الحديثة . وبعد هذا فما الشرق وما الغرب ؟ ومن صاحب الخالق الواحد ، ومن صاحب الآلهة التى تقتتل ؟ وأين العقلية العلمية بينهما ؟

(البقية فى العدد القادم)

(* * *)

فردريك نيتشـــه (*)

للأستاذ فليكس فارس

— ١ —

« ما من مفكر أشد إخلاصا من نيتشه، إذ لم يبلغ أحد قبله ما وصل إليه وهو يسبر الأغوار فى طلب الحقيقة دون أن يبالى بما يعترض سبيله من مصاعب لأنه ما كان ليرتاع من اصطدامه بالفجائع فى قرارتها أو من الانتهاء إلى لا شىء »

« أميل فاكيه »

هذا هو نيتشه كما صوره فاكيه بعد أن درس عديد مؤلفاته واستعرض فلسفته . وقد جاراه بهذا التقدير أنصار نيتشه وخصومه من كل شعوب أوربا ؛ فانك لو استعرضت المؤلفات التى كتبها عنه العباقرة العديدون ، ومنهم من يعتقد بتخبطه على غير هدى، ومنهم من يرى وراء كل جملة من أقواله سورة لا تنجلى معانيها إلا للعقل النافذ والحس المرهف ، لرأيتهم قد أجمعوا على وصفه بالفكر الجبار المتجه إلى الحقيقة يطلبها وراء كل شىء حتى وراء المبادئ التى يقول بها

وما أجمع هؤلاء المفكرون إلا على الصواب فى هذا الوصف الذى ارتضاه نيتشه لنفسه إذ قال :

« لا يكفى لطالب الحقيقة أن يكون مخلصاً فى قصده، بل عليه أن يترصد إخلاصه ويقف موقف المشكك فيه، لأن عاشق الحقيقة إنما يحبها لا لنفسه مجاراة لأهوائه، بل يهيم بها لذاتها ولو كان فى ذلك مخالفاً لعقيدته؛ فاذا هو اعترضته فكرة ناقضت مبدأه وجب عليه أن يقف عندها فلا يتردد أن يأخذ بها

إياك أن تقف حائلاً بين فكرتك وبين ما ينافيها ، فلا يبلغ أول درجة من الحكمة من لا يعمل بهذه الوصية من المفكرين

عليك أن تصلى نفسك كل يوم حرباً ، وليس لك أن تبالى بما تجنيه من نصر أو تجني عليك جهودك من اندحار ، فان ذلك من شأن الحقيقة لا من شأنك »

(*) أوحت العاطفة الاصلاحية النبيلة إلى صديقنا الأستاذ فليكس فارس أن يترجم الكتاب العالمى (زرادشت) لفيلسوف نيتشه الألمانى وقد نشر جزءاً كبيراً منه فى الرسالة ، ثم تعجله القراء فقدمه كله إلى المطبعة وصدره بهذا التمهيد البارع الذى ننشره اليوم شاكرين للاستاذ جهاده فى سبيل الاصلاح والأدب

قال نيتشه بهذا المبدأ، وعمل به وبالرغم مما يتجلى فى تعاليمه من غرور وصلف، فانه كان يسير فى أبحاثه ولا هم له سوى استكشاف الآفاق فيوردالبوم فكرة يكذبها غداً، فكأنه بانكاره الخير والشر لم يجد بداً من إنكار كل عقيدة ثابتة. فاذا أنت أردت أن تسير وراء هذا الفيلسوف طلباً للعقيدة فلا تتعب نفسك باللحاق به فى مراحل يقطعها بخطواته الجبارة لأنه هو نفسه قد أصابه الخبل وبصيرته تائهة فى استلهام الحقيقة واستقرائها

مَنْ قال لك:

« إنه لا مكتشفَ لحقيقة ذاته إلا من يهتف: هذا هو خيرى وهذا هو شرى فيخرس الخلد والقزم القائلين بأن الخيرَ خيرٌ للكل والشرَّ شرٌّ للجميع »

من قال لك هذا، لا تتوقع منه أن يأتيك بشرعةٍ تقوم مقام الشرائع التى يثور عليها

إن نيتشه المفكر الجبار الذى يفتح أمام الفرد آفاقاً وسيمة فى مجال القوة والثقة بالنفس وتحرير الحياة من المسكنة والذل، تائقاً إلى إيجاد إنسان يتفوق على إنسانيته بالمجاهدة والتغلب على العناصر والعادات والتقاليد وما توارثته الأجيال من العقائد الموهنة للعزم، يقف وقفة الحائر المتردد عند ما يحاول إقامة مجتمعٍ لأفراده المتفوقين، بل هو يضطر إلى نقض أولياته القائمة على احتقار الرحمة والرحماء حتى ينتهى إلى قوله:

« إن العالم الذى يتفوق على الانسانية إنما يعود بها بعد هذا الجنوح إلى بذل حبه للأصاغر والتضمين »

وهكذا ترى زرادشت الداعى إلى تحطيم ألواح الوصايا جميعها وإلى إنكار الشريعة الأدبية لاقامة شرعة جديدة ما وراء الخير والشر يعود مفتشاً بين أنقاض الألواح التى حطمها على كلمات قديمة يجعلها دستوراً لانسانيته المتفوقة

إن نيتشه الذى ذهب إلى أبعد مدى فى تفحص سرائر الانسان وأهوائه يضيق به المجال عند ما يتجه إلى حل المعضلات الاجتماعية، لأنه إذا أمكن للفرد المنعزل أن يختط لنفسه منهجاً يوافق هواها باعتقاده أنه هو المبدع لذاته والحركة الأولى لها، فانه ليمتنع عليه أن يكون عضواً حياً فى المجموع إذا هو لم يعترف فى علاقته مع إخوانه بأنه ليس مصدراً لذاته ولا مآباً لها

إن مَنْ يطمح إلى مثل ما طمح إليه نيتشه من تكوين مجتمعٍ منظم يسود فيه المتفوقون ولكلٍ منهم شره الخاص وخيره الخاص، وخيره لا يوجد فى النهاية إلا مجتمعاً يتفاوت التفوق فيه بين أفراده فيقضى الأقوى منهم على الأقل قوة منه حتى يقف آخر الظافرين منتحراً بقوته وعنفه كما انتحر إله نيتشه برحمته

غير أن المبدع لزرادشت لم تفته هذه الحقيقة، فعاد إلى الشريعة الأولى يختلس منها آيتها الكبرى ليوردها وصيةً لدنياه فقال:

« حذارِ من الطفرة فى مسلك الفضيلة فعلى كل فردٍ أن يسير فى طريقه وإن جنح عن مسلك الآخرين، فلا يطمحنَّ إلى بلوغ الذروة وحده إذ على كل سائر أن يكون جسراً للمتقدمين وقدوة للمتأخرين »

أين هذه الوصية مما دعا إليه زرادشت في مفكراته نفسها إذ قال:

« على أهل السيادة فى الانسانية المتفوقة أن يمهدوا سُبُلَ السعادة لمن هم دونهم بتضحية ملذاتهم وراحتهم، وعليهم أيضاً أن ينقذوا مَنْ لا يصلحون للحياة بالقضاء عليهم دون إمهال »

بل كيف يتفق القسم الأول من هذه الوصية مع قسمها الثاني؟ ومن له أن يضع مقياساً يقضى به على مَنْ لا يصلحون لها إذا اتبع القاضى شرعة زرادشت القائل بأن على أتباعه أن تتجلى القوة فيهم من الرأس حتى إخمص القدم

ولو أن مذهب نيتشه هذا طُبِّقَ قبل ميلاده لكانت السلطة التى يراها مثلاً أعلى قضت على أبيه وأمه دون إمهال فما كان له هو أن يظهر فى الوجود بدماغه الجبار وبسم الداء الذى جال من دمهما الملوث فى دمه ...

ثم، أليس هنالك غير هذه الأدواء الطارئة والتى يمكن للعالم أن يكافحها، ما يقضى على الانسان بالرضوخ له من حالة فى جسمه لا قبل له بتبديلها أو تعديلها؟ أفما تحقق الطب أن كل مولود يجيء الحياة إنما يدخلها مستصحباً معه إليها من سلالته الضعف الذى سيقضى عليه؟ أفليس فى كل دارج على هذه الغبراء علة أو علل

كامنة فى تكوين أعضائه ستورثه الردى حين تدنو ساعته ؟

أى جسم مهما ظهر لك صحيحاً ليس فيه عضو هو أضعف الحلقات فى سلسلة أعضائه وفى فراغ مناعته المحدودة انفصام العرى وبداية انحلال العناصر فى الهيكل الفانى ؟

أين هو الجسم المنيع الذى يتوق نيتشه إلى إيجاده صرىباً من قمة الرأس إلى إخمص القدم ؟

لقد عمل العالم المتمدن على إيجاده بالرياضة فأوجد الرقاب الغليظة والعضلات المتضخمة مسبباً منها تضخم القلب وجفاء الطبع وبلادة التفكير وانحطام أجنحة الخيال

يريد نيتشه خلق الانسان المتفوق جباراً كشمشون وشاعراً كداود وحكيماً كسليمان . فهو يكلف الطبيعة ما لا قبل لها به ويطمح إلى إيجاد جبابرة لا يصلحون لشىء فى المجتمع لأن الحيوية لا تنصرف من مختلف نوافذها الجسمية فى آن واحد دون أن تقبض على صاحبها لتوقفه من سلم الارتقاء على مرتبة معلقة بين الاعتلاء والانحطاط فيكون منه لا الانسان المتفوق بل الانسان « التافه » القصير الحياة والقاصر فى كل عمل يباشره

إن المجتمع لا يقوم من الوجهة العملية على أفراد يحاولون الاحاطة بكل شىء فلا ينالون منها شيئاً

وليس الحال إلا على هذا المنوال من الوجهة الروحية أيضاً، فان مَنْ تبصر فى أحوال الناس وطرائقهم فى الحياة ، لا بد له أن يسلم أخيراً بأن لكل شخصية حياتها بما كمن فى حوافزها، ولكل شخصية ميتتها بما خفى من أدواء جسمها وعلل إرادتها وبما وراءها من مقدمات وحولها من نتائج

إن فى الحياة مسالك خطتها الارادة الكلية وليس للارادة الجزئية أن تتناولها بتحوير، ومصاعد الرقى للأرواح منتصبة من كل مسلك فى عالم الظاهر نحو العالم الخفى ، وما خصت العناية أقوياء الجسوم بالارتقاء

ولربَّ صعلوك فى نظر نيتشه لا يصلح للحياة ويجب أن يُقضى عليه دون إمهال تتفجر منه قوة لا تراها إلا البصائر النيِّرة

من لنا بسبر الأغوار البعيدة القرار لندرك سرَّ التكامل فى الذات والحكمة فى حد الأشواط لكل روح لتقوم بقسطها من المقدور ؟

ومن لنا بادراك سرِّ الضعف والقوة وقد يكون الضعف فى الجسم السليم والقوة فى العليل من الأجسام ؟

إن لكل مخلوق أن يبلو الحياة بما أُعطى من ظاهر الضعف أو ظاهر القوة ، لأن للصحة محنتها كما للمرض محنته، والأنفسُ الطامحة إلى مُثُلها العليا سواء أكانت هذه المَثُلُ فى هذه الحياة أم ماوراء الحياة ، إنما تتغذَّى من الجسد ناحلاً عليلاً كما تتغذَّى منه مليئاً بالنضارة والصحة والبهاء

إن للحكمة العليا مقياسها فى تقدير الجهاد الأكبر على كل نفس، ومن يدرى فى أية لحظة وبأى مداد من قوة الجسد أوضعفه تخطُّ الروحُ الأسيرة آخر سطر من كتابها ؟ . . .

* * *

إنَّ محور الدائرة فى فلسفة نيتشه إنما هو إيجاد إنسان يتفوَّق على الانسانية . لذلك تراه يهزأ بكل من عدَّه التاريخ عظيماً بين الناس قائلاً : إن الجيل الذى يلد العظماء لم يولد بعد ، وأن لا رجل فى هذا الزمان يمكنه أن يتفوَّق على ذاته، وكل ما بوسع الناس أن يفعلوه فى سبيل المثل الأعلى هو أن يتشوَّقوا إليه ليخرج من سلالتهم فى مستقبل الأزمان

وسوف يرى القارئُ فى الفصول الأخيرة ، ما هو تقدير زرادشت للرجال الراقين فى هذه الحقبة الشاملة لعصره ولعصرنا فهو يعتبرهم نماذج فاشلة للانسان الذى يتوقَّع نشوءه ، غير أن زرادشت وهو يتكلم بلهجة الآمر الناهى ويرسم للحياة طرقها بخطوط متفرقة إن لم نجمعها أنت بقيت حروفاً متنثرة لا معنى لها لا يقول لنا بصراحة ما يجب أن نفعله لنصبح جدوداً لأحفاد تصلح بهم الحياة ، ولكن من يعود بصيرته على مجاراة نيتشه فى الرؤى التى يهيم فيها يستوقفه قوله :

« إن ما فُطرنا عليه هو أن نخلق كائناً يتفوق علينا ، تلك هي غريزة الحركة والعمل »

ثم يستوقفه فى موضع آخر قوله :

« إننى لم أجد امرأة تصلح أماً لابنائى إلا المرأة التى أحبها »

فاذا ما وقف المفكر عند هذا يعرف ما هى تلك الفطرة التى يراها دافعة للانسان إلى التفوق على ذاته وانساله

وما تكون تلك الفطرة إن لم تكن حافز الحب الصحيح وفى

أعماقه غريزة الانتخاب تجذب الزوجين إلى اتصال يشدد أحدهما فيه ما وهن فى بنية الآخر

ولولا أننا درسنا ملياً مسألة اعتلاء الأمم وانحطاطها يبحث صحة النسل واعتلاله فى فصل « منابت الأطفال » من كتابنا « رسالة المنبر إلى الشرق العربى » لكنا نثبت هنا أن إيجاد الانسان الكامل فى إنسانيته ، لا الانسان المتفوق على نوعه كما يريد نيتشه ، إنما يقوم على مجاراة حوافز الاختيار الطبيعى فى الزواج باعتبار كل شهوة جامحة وكل طمع يسكت هاتف الاختيار سواء فى الرجل أو المرأة جناية على الانسانية

هذا وإننا لا نجد بداً من نقل بعض فقرات من فصل منابت الأطفال تأييداً لهذه الحقيقة

***

« إن الانسان لا يريد الانقياد للانتخاب الطبيعى فهو يطمح إلى تحكيم اختياره فى حوافز لا يعلم منشأها ، فيعمد الرجل إلى استيلاد المرأة أطفالاً تتجلى فيهم كوامن علله وعلل المرأة التى يرغمها إرغاماً بدلا من أن ينقاد إلى الانتخاب الطبيعى الذى تتذرع به الطبيعة للغلبة على العاهات والأمراض وللقضاء على حوافز الخبل والاجرام

***

إن الولد المختل العليل إنما هو الضحية البريئة تصفع الطبيعة به أوجه الرجال الفاحشين والنساء الطامعات المضللات

« ومما لاريب فيه أيضاً أن الطبيعة فى حرصها على طابع الأبوين فى الابناء تطمح دائماً إلى الجمع بين رجل وامرأة يصلح أحدهما ما أفسدت الحياة فى الآخر ، ولا يقف طموح الطبيعة عند حد إصلاح الأعضاء بل هو يتجه خاصة فى الانسان إلى إصلاح ماتطرق من عيوب إلى صفاته الأدبية العليا ، ولعل فى هذا بعض التفسير لسيادة الايقاع بين رجل وامرأة تخالفت أشكالها وأوضاعُ أعضائهما ومظاهر قواهما الأدبية والعقلية ، فقد لاتجد مصارعاً قوى العضلات يعشق مصارعة مثله ، ولافيلسوفاً يتوله بفيلسوفة . ولكم وقف المفكرون مندهشين أمام امرأة فاضلة تحس بانجذاب نحو رجل متلاعب محتال، أوبارعة فى الجمال تندفع إلى الالتصاق برجل قبيح . إن بعض العشق ينشأ من حنان خفى فى الطبيعة يشبه عطف الطبيب المداوى على العليل المستجدى الشفاء . . . »

***

« إن المفكرين يثورون على الشبان الذين يقدمون على الزواج وفى دمائهم سموم ، وفى مجارى نطفة الحياة منهم صديد ، ومن الأمم من سنت القوانين الصارمة لمنع زواج المبتلى بالعلل الزهرية وبالجنون محافظة على صحة النسل ، ولكننى لم أقرأ لمفكر رأياً فى الحيلولة دون الزواج الآلى المجرد عن كل عاطفة ، ويتراءى لى أن طفلا يجنى أبواه عليه بإرائه دماً أفسدته الأمراض لهو أقل شقاء بنفسه وأقل إضراراً بالمجتمع من طفل يرث من أبويه عهر العاطفة وضلال الفطرة .

لقد تشفى العقاقير أبناء العلل ولكن أى دواء يشفى الطفل الذى زرعه توحش الرجل المفترس فى أحشاء المرأة المنكسرة الذليلة ؟ إن مثل هذا الطفل لن يكون إلا وحشاً كأبيه أو عبداً ذليلا كأمه »

(يتبع) فليكس فارس

غزل العقاد

للأستاذ سيد قطب

— ٢٠ —

كل ما استعرضته حتى الآن من خصائص غزل العقاد، جائز أن يشركه فيه سواه، فى الفكرة الخاصة أو فى الاتجاه العام؛ وهى على ندرتها فى عالم الشعراء الكبار، وتفرد العقاد بكثير منها في الشعر العربى كله كما بينت ذلك بوضوح، ليست ملكا خاصا له بمقدار اختصاصه فيما أفرد له اليوم هذا المقال من «خصوصيات»!

الغزل غرض مباح لجميع الشعراء، ومذاهب الحس والتعبير فيه ملك كذلك للجميع، إلا أن العقاد وحده هو الذى يقول ما سأعرضه فى هذا المقال الأخير، ولن يشركه أحد فى اتجاهه هذا، ولا فى فكراته أو تعبيره، لأنه فيه هو «العقاد» بشخصه ولحمه ودمه، لا سواه من الأناسى — قبل الشعراء — وهو هنا فى تقاطيعه وتقاسيمه وسحنته التى يلوح فيها، ويتميز بها:

غنى عنده ما يعطيه

فى قصيدة «تبسم» بالجزء الثانى من الديوان صفحة ١٧٢ يقول لحبيبه

فلا تبتعد عنى فانك راجع   متى تبتعد عنى بصفقة خاسر

ومن لك بالقلب الذى أنت مبصر   به كل إعجاز لحسنك باهر

تراه عصيا — إن نأيت — على الرضا
ولا قلب أرضى منه إن كنت زائرى

وفى الناس مطوىّ الضلوع على الشجا
ولا مثل شجوى بين باد وحاضر

إذا شاركونى فى هواك فما لهم   سرورى بما أصفيتهم وتباشرى

وفى هذه الأبيات يشخص العقاد الشاعر بأن عنده ما يعطيه وأن حبيبه سيخسر حين يفقده؛ الشاعر بتفرده فى سروره وشجوه على السواء، وكأنما هو من عنصر غير عنصر البشر الذين يمج بهم الكون، وتهفو قلوبهم إلى هذا الحبيب، ولو شاركوه فى هواه، فمن لهم بقلبه فى شجوه ورضاه؟

وغير العقاد يقولون لأحبائهم: إنكم لن تجدوا إخلاصاً كاخلاصنا، ولا تضحية فى سبيلكم كتضحيتنا... الخ مذاهب القول فى هذا الباب، ولكن العقاد لا يعنى شيئاً من هذا، إنما يعنى أن قلبه فريد فى نوعه لا فى مظاهر إحساسه كالحب والاخلاص والتضحية وما إليها، وأنه ممتاز حتى فى «شجوه» وأن شجوه الممتاز هذا يُغليه ويرتفع به، كالسرور الممتاز على السواء!

رجولة صارمة

يرضى المحبون ويغضبون، ويقولون في الرضا والغضب ما يقولون، ويبقى للعقاد غضبه ورضاه، متميزاً بطابعه الذي لا ينساه. وفيما مضى رأى القارئ كيف يرضى العقاد فى كثير من الأمثلة مثل «سنة جديدة» و «عامنا» و «قبلة بغير تقبيل» وسواها. فمن أراد أن يعرف كيف يغضب العقاد وكيف يكون صارماً باتاً فى هذا الغضب، فليقرأ: «الهجر الصادق»:

تجشم فيك القلب ما ليس بمذهب   أما آن لى منك النجاء المحبب؟

فهجرا فهذا القيد قد طال عهده   أليس لقلبي غير حبك مذهب؟

هجرتك هجر المرء أسود سالخا   يمج حماما كيفما يتقلب

هوى الموت أحلى من هواك لأنه   هوى صادق الميعاد لا يتذبذب

وما كنت فتانا ولكن فتنتنى   بما صنعت عينى من الحسن أعجب

فلا تغترر منى بما قد عهدته   لدن كنت أعفو إذ تسىء وتذنب

فما كل حين يغلب الحبُّ ربّه   ولا الصبر فى كل المواطن يغلب

لتظمأ ليال كان دمعى شرابها   فحسب الليالى دمع من لم يجربوا

أنا اليوم فى هجرى على الكره صادق
وقد كنت فى هجرى على الكره أكذب

هكذا فى نفس واحد، وفى نفثة واحدة، صرامة قاسية، هى طابع العقاد حين يكره، وحين تسأم نفسه طول الاساءة، وجفاف الصلات، وحين يجنح إلى اختيار الهجر بعد اليقين والاعتزام

وليس هو هكذا فى الغزل وحده، فهو بمينه فى الصداقة وفى السياسة وفى الآراء والمعتقدات فى شتى مناحى الحياة: ضربة قاصمة، لا رجعة بعدها ولا اتصال

اليقظة والوعي الفني والتأمل الفلسفي

ولقد كنت أفردت مقالا للحديث عن هذا العنوان ، وضربت من الأمثلة ما فيه الكفاية . ولكنني هنا ماض على نهجي للغرض الذي صدرت به هذه المقالة من استعراض « الخصوصية » المعبرة عن شخص العقاد ، لا عن مناحي تفكيره واتجاهاته

فمن اليقظة التي هي جزء من شخصه قوله تحت عنوان « الهزيمة المرغوبة »

أريد التي ألقى سلاحي وجنتي ... إليها وألقاها من البأس أعزلا
وأطرح أعباء الجهاد وهمه ... لدى قدميها مغمض العين مرسلا
وأنت إذا أقبلت أقبلت جحفلا ... وجردت أسيافا وشيدت معقلا
فإن تهزميني فاهزمي عن بصيرة ... مريداً لأسباب الهزيمة مقبلا

فها هنا رجل يعرف إحساسه ، ويدرك قواه وقوى حبيبته ، ولكنه يجنح إلى الفطرة ، ويريد المرأة ليلقي إليها سلاحه وجنته ويلقاها أعزل من كل قوة ، لتحتضنه كالأم الرءوم ، بعد ما ضاق ذرعاً بالجلاد والكفاح ، فأوى إلى الهزيمة المرغوبة وهو قوي عالم بقواه !

ومن التأمل الفلسفي أن ينظر إلى حبيبه الغرير ، الذي لا يدرك فتنة سحره فكأنما هو منها محروم ، بينما العقاد قد فطن إلى هذه الفتنة وقطف من ثمارها وعرف الدنيا على ضوئها ، وتملى الحياة على نورها ، فعاد مالكا لها ، وصاحبها محروم منها !

يا ساحراً فاتته فتنة سحره ... وتنقبت عن لحظه العشاق
تجنى الثمار من القفار بغفنه ... ونصيبُه منها التراب السافي
نرثي لسحرك أم نجل فعاله ؟ ... ما أجدر المحروم بالتعطاف !
سحر خصصت به وأنت حُرمته ... حرمان لا حرج ولا متلاف

لا يقول هذا إلا العقاد ، المتأمل في كل لفتة ولمحة ، الواعي للظواهر والبواطن ، المعنيّ بالموافقات والمفارقات في عالم المعاني والاحساس

صوت الفطرة

وصوت الفطرة السليمة مسموع في كل ما يكتب العقاد ، ولكنه في الأبيات التي نعنيها هنا مكشوف ناصع ، لا يحتاج إلى الكشف والبيان ، ولا يتسرب في الرموز والألوان ، وهو — مع هذا — صوت فطرة العقاد الخاصة به ، وإن كانت قبساً من الفطرة الخالدة

يقول بعنوان « عيوب الحب » :

لا تمدّي على عيباً فإني ... لك كلي محاسني وعيوبي
وعيوب الحب أولى بعطف ... من كمال فيه وحسن وطيب
هي كالطفلة الشقية تلقى ... من حنان الآباء أوفى نصيب

فليس التأمل وليست الدراسة النفسية وحدهما يوحيان بهذا المقال ، إنما هو الشعور الفطري الصادق قبلهما يوجه النفس هذا التوجيه . يعرف ذلك الآباء المشغوفون من لدن الحياة بالأبناء ، والبنات الأشقياء والشواذ ، لأن هؤلاء أحوج للرعاية في منطق الحياة ! ويعرفه كذلك المحبون الذين يزيد شغفهم بحبيباتهم ماينفر سواهم الخليين من أقوال وتصرفات . ويعرف العقاد هذا فيطل بوجهه من خلاله وكأنه وشاحه الخاص ، الذي لم يفطن إليه سواه

الملك بالمعرفة

وبعد فهذا فن وحده ، واتجاه في الاحساس غريب : محب ينقضي ما بينه وبين حبيبته من حب ومن لقاء واتصال وأخذ وعطاء ، ويفصل بينهما فاصل من هجر مرير بعد شك دائم ويقين أليم حدثناك عنهما في كلمة سابقة ، ثم يحس في خلال هذا كله أنه مازال مالكا لهذه الفتاة ، مالكا لها إلى الأبد ، لا يملكها سواه أبداً ، ولا تفلت من بيده أبداً ... لماذا ؟ لأنه يعرفها بكل ما فيها ، ولأن غيره لن يعرفها مثله ، ولن يطلع منها على ما اطلع هو ، وهي له وحده ، لأن صفحتها مفتوحة أمامه يقرؤها بلا مفسر وبلا منظار ، ولأن أحداً لن يحبها حبه أو يكرهها كرهه ، بل لأن أحداً لا يزدريها ازدراءه !

ألقاءٌ أم لات حين لقاء ... وسلام أم تلك حرب عداءِ ؟
وفراق تُجدد العتبَ فيه ... يوم تخلو على سهاد الصفاء ؟
أم فراق على الحياة طويل ... كفراق الردى بغير انتهاء ؟
أنا ما بين هاتف ونذير ... ذاهب السمع إثر كل دعاء
هاتف في الضمير أن ليس هذا ... آخر العهد فاعتصم بالرجاء
ونذير بأنها غضبة العمر ... وعقبي مودة الأصفياء
ليت عاماً من الحياة تقضّى ... لأرى في غد بعيد القضاء

وأرى الخير لا يطول انتظارى   وأرى الشر لا يطول عنائى

***

لا لعمرى بل يكذب الخير والشـ   ـر وتعفو معالم الأنباء

ويقول الزمان قولا فإنى   مرسل قوله مع الأصداء :

أنتِ لى أنذر الزمان بِشرٍّ   أم مغني هاتفاً مع البشراء !

أنت لى أضمرت نيـاتك حباً   أم طوت سرها على البغضاء !

إن لى فيك يابنية حقـاً   فوق حق الهوى وحق الدماء

مزجت فى قرارة الحب نفـ   ـسانا وسيطت أيامنـا فى وعاء

وترايئت لى بقلب ولب   من وراء الحياء والكبرياء

من من الناس قـد تذوق منـك العـ   ـيش صفواً والعيش جم الشقـاء ؟

من من الناس قد توسم فيك الـ   ـحسن نوراً والحسن من ظلماء ؟

من من الناس قد أحبك حبيـك ومن منهم ازدراك ازدرائى

من من الناس قد رأى خير مافيـك وأخفى مافيك من أدواء ؟

من جمال ومن ذكاء ومن غد   ر ومن صدق شيمة ورياء ؟

هذه أنت لاتزالين لى وحد   ى — جيماً — لاتظهرين لراء

يعرف العارفون منك لماماً   بعض ماقد عرفت من سيماء

فلهم منك صـورة وأحا   ديث ولى منك لب ذاك الطلاء

هـذه أنت لافؤادك خاف   عن عيـانى ولا ودادك ناء

إن يطل بيننا النوى فالتلاقى   من ندائى بموقع الاصغـاء

ولنا فى صحيفة الدهر غيب   سيبيد انتهاءنا لابتـداء

وكنت أود أن أعقب بشىء على هذه القطعة ، ولكنها ليست بحاجة إلى الشرح ، وإن كانت بحاجة إلى حس غنى مرهف يتلهمها بمجرد قراءتها . فمن كان له هذا الحس فما هو بحاجة إلى بيان ، ومن لم يكن له ، فما أنا ببالغ شيئا فى إفهامه

وإننى لمفتون بهذه القصيدة ، أكاد لفتنتى بها ، ولمسى لقلب الشاعر فيها ، أفضلها على كل غزل العقاد !

***

والآن أختم حديثى عن « غزل العقاد » وقد طالت عنايتى بهذا الضرب من شعره لأسباب سأشرحها فى الكلمة الختامية بعد الحديث عن « أسلوب العقاد » فى مقال تال

« حلوان »   سيد قطب

مائة صورة من الحياة

للأستاذ على الطنطاوى

٩ — قارئ

كنت عند صديق لى يبيع الصحف والمجلات أجوز به كل يوم ، فجاءه رجل محترم ، عليـه سيما الوقار ومعه نسخة من مجلة الرسالة فقال له :

— لقد أخذت هذه المجلة أمس من عندك ، وقد بدا لى فيها ، أفلا تحب أن تأخذ قرشاً[1] وتعطينى بها الرواية ؟ فنظر فيها البائع فاذا هى جديدة سالمة ، ولم ير فى طلب الرجل شيئاً فقبل وأعطاه الرواية فأخذها شاكراً . فلما كان من الغد عاد والرواية معه فقال :

— هذه هى مجلة الرواية التى أخذتها منك أمس ، أفتأخذ قرشاً وتعطينى (الدنيا) ؟

— قال : نعم ، وأخذ القرش والرواية وأعطاه الدنيا ، فمضى شاكراً . فلما كان من الغد عاد فقال له :

— أتحب أن تأخذ هذه المجلة وتعطينى بها (الحرب العظمى) وعدداً من جريدة يومية ؟

— قال : نعم وأعطاه ... فلما كان غد عاد فقال :

— أتشترى منى (الحرب العظمى) بنصف ثمنها ؟

— قال : نعم ، وأعطاه (نصف فرنك) فأخذه ومضى شاكراً

فقلت لصديقى البائع :

— لقد شهدت من صبرك على هذا الرجل عجباً ؟ أفلا طردته أو أنبته واسترحت منه ؟

— قال : ومن أبيع إذا طردت مثل هذا ؟ إن أمثال هذا هم (القراء) فى هذا البلد ، أفتعجب بعدُ أن كان يباع من مجلة (كذا) مثلا خمسون عدداً فى دمشق كلها ؟

١٠ — امام

رأيت فى سينما روكسى ، رجلاً بلحية وقفطان ، ولـكنه حاسر الرأس ، غير مرتد رداء ، ولا متخذ جبة ، فعجبت منه وجعلت ألحظه ، وأنكر مكانه من السينما ، حتى إذا انقضى التمثيل

(١) مع العلم بأن ثمن الرسالة فى دمشق (١٢) قرشاً سوريا

وخرجنا رأيته يدخل غرفة (المدير) فيلبث فيها دقائق ثم يخرج منها شيخاً بعمة وجبة ... فسألت رجلا كان معي :

— ماذا يكون هذا الشيخ ؟

فضحك وقال :

— ألا تعرفه ؟

— قلت : لا

— قال : هذا من خطيئات النظام الحزبي ... كان تاجراً ، فاشتغل بالسياسة وأقبل عليها حتى أدبرت عنه الدنيا ، وخسر رأس ماله كله فابتغوا له عملا يعيش منه ، فكان عمله مراقب (الأفلام السينمائية) ولكن وظيفة[1] هذا العمل قليلة ، ففتشوا عن وظيفة أخرى ترفدها ، فجعلوه إماماً في مسجد (كذا) وعزلوا إمامه الشيخ الصالح ، فمن أجل ذلك كان بعمة وجبة وكان في السينما ...

— قلت : عاش النظام الحزبي ...

١١ — مشعبذ

سمعت الكثير من أحاديثه — وأخبار (علمه اللدني) — وقدرته على استحضار الجنّ ، وكشف السرقات واستحضار المغيبات ، وبراعته في (علم الحرف) وأسرار العدد ، فأحببت أن أراه ... كما يحب المرء أن يرى حيواناً عجيباً ، أو تحفة نادرة ... وسألت صديقاً لي أن يجمعني به ، فأخذني إلى داره في (برج أبي حيدر) فدخل بي دهليزاً مستطيلاً يفضي إلى غرفة في داخلها غرفة — مفروشة بالطنافس ... في جوانبها مئات من الكتب الصوفية والروحانية — وفي وسطها مجمرة يحرق فيها البخور فتمتلئ به الدار ، والشيخ جالس أمامها وقد وضع في عنقه سبحة طويلة أخبرني صديقي الذي جاء بي ، أن فيها ألف حبّة ، في كل حبة منها حرف يدعى به ملك من ملوك الجان فلا يلبث أن يحضر ملبياً طائعاً ، وعلى رأس الشيخ عمة ضخمة أحسبها تزن خمسة أرطال ... فلم يقم لنا حين دخلنا وإنما مدّ إلينا يده لنقبلها ، فعجبت من فعله وتلكأت ، فهمس صاحبي في أذني ، أن قبلها وإلا رأيت من القوم ما تكره ... فنظرت في وجوه القوم فاذا هي قد اربدّت ، وإذا عيونهم محمرّة ، فآثرت السلامة وقبلت يده الطاهرة وجلست ...

وشرع القوم يعرضون على الشيخ قصصهم — كما كانت تعرض القصص والحاجات على الملوك والأمراء ، وهو يعد ويؤمل ... والقصص شتى والحاجات متباينات ، فهذا رجل له قريب أصابته آفة في بطنه أجمع الأطباء على أن شفاءها (عملية) جراحية ، فخاف المريض منها وبعثه يرجو الشيخ الخلاص من هذه (العملية) فوعده أنه سيجريها له وهو نائم فلا يفيق من منامه إلا وقد صرف الله عنه مايحس به ، فدعا له الرجل ودس في يده ما تيسر ... وهذا رجل له امرأة عاقر فهو يسأل الشيخ أن يحملها ولوداً ... وهذا آخر سرق ماله كله وعجز الشرط عن معرفة السارق ، فهو يطلب من الشيخ كشف السارقين ... وأمثال ذلك ، وهم ينصرفون واحداً إثر واحد ، حتى لم يبق أحد ... فال علينا يحدثنا . . فكان من حديثه إلينا أنه وقع على النسخة الفريدة من كتاب (أسرار الحرف) تلك التي فتش عنها (العلماء) القرون الطوال فلم يسقطوا لها على أثر ... فكانت له مفتاحاً لكل باب ، فاذا أراد أن يأتي بأموال (بنك فرنسا) مثلا لم يحتج إلا إلى حروف يكتبها في ورقة ويلقيها في البحر ، ظهر يوم الاثنين ، أو فجر يوم الأربعاء ، وإذا شاء أن يصطاد سمكا ، كتب حروفاً على الشبكة فأقبلت إليها الأسماك والحيتان حتى لا يبقى في البحر حوت

قلت : فلم ياسيدي لاتأتون بأموال فرنسا وانكلترا وهم أعداء الله وأعداء رسوله ؟

قال : لم يؤذن لنا في ذلك ، ولكني سأكون مفتياً للجيش الفرنسي فأجعله كله من جنود الله !

* * *

ومرت على هذه المقابلة الطريفة سنون ، لقيت بعدها ذلك الصديق ، فقلت :

— مافعل الله بصاحبنا الشيخ ؟

— قال : ذهب المسكين يصطاف ، فنزل عليه بدار في (دمر) منفردة . فلم يبت فيها إلا ليالي حتى نزل عليه اللصوص فلم يدعوا له شيئاً ... وبقي هو وأسرته بلا فراش !

— قلت : أولم يستطع أن يعرفهم ؟ أما كان يكشف السرقات ويظهر الخبيئات ؟

— قال : مسكين ، إنه يرتزق . . أفتريد له الموت جوعاً ؟

دمشق **علي الطنطاوي**

---

(١) الوظيفة في اللغة المرتب (أي الراتب)

من أشهر المحاكمات الجنائية

محاكمة فرنسوا داميان*

الذى حاول قتل الملك لويس الخامس عشر

للكاتب كيرجيل Ker - Gil

بقلم الآنسة مفيدة اسماعيل اللبابيدى

ولد « روبرت فرانسوا داميان » فى نيوللوى (شمال فرنسا) سنة ١٧١٥ من أسرة خاملة كانت تمتهن التزام المزارع ، وقد أراد أن يحمل لويس الخامس عشر على عزل وزرائه لغرض لم يكشفه التحقيق ، فذهب يوم ٥ يناير ١٧٥٧ إلى فرساى وطعن الملك فى خاصرته اليمنى طعنة غير مميتة ولم يستطع الهرب فقبض عليه وحوكم وعذب ثم أعدم على صورة بشعة جداً

والمهم فى هذه المحاكمة أنها تكشف لنا عن طرق التعذيب فى القرون الوسطى توصلاً لاستلال الاعتراف بالجريمة من المجرم وما يصاحبها من إجراءات عدت زماناً إحدى طرق التحقيق القانونية فصبغت وجه الانسانية بحمرة من الخجل لا تمحى

* * *

فى الخامس من شهر يناير سنة ١٧٥٧ وفى الساعة الخامسة من مسائه، روع باريس خبر ذعر له أبناء الشعب والأشراف على السواء : ألا وهو جرح الملك المحبوب لويس الخامس عشر فى فرساى من يد رجل يدعى داميان Damiens ومن حسن الحظ أن قبض عليه فى الحال

وعند ما انتشر خبر الجريمة توجه الأمراء والضباط والسفراء برغم البرد القارس نحو فرساى ، وفى بضع ساعات كان طريق فرساى مغطى بالكرامى والمركبات وجميع أصناف المجلات على ما يروى أحد مؤرخى هذا العصر

ولفائدة التحقيق أوقفت امرأة داميان وابنته اللتان زجتا فى الحال فى « الباستيل » لأنه لا بد أن تكونا مطلعتين على نية القاتل السيئة

وفى الثامن عشر من ذلك الشهر وحوالى الساعة الثانية صباحاً اقتيد فرانسوا داميان من فرساى إلى باريس مخفوراً بعدد وافر من الجنود

وكان السجين في داخل عربة لا ضوء لها ، فادخلوه من حاجز السيفر «Sévre» ليمنعوا المتفرجين عنه ثم أودعوه القصر فى برج « مونتكوميرى » تحت رقابة من الحرس الفرنسي يجرى تبديلهم كل أربع وعشرين ساعة

ثم فى الصباح ذهب مفوضا الشرطة « سه فرت وباسكيه » والرئيس الأول والرئيس « موله » ليحققوا معه ، وقد دام هذا التحقيق من الساعة الحادية عشرة صباحا إلى الساعة الخامسة بعد الظهر ، وكان أحد طهاة الملك مكلفاً باعداد طعام داميان وكان هذا لا يخرج من البرج مطلقا

وكان فوبير « Faubert » من كبار الجراحين فى ذلك العصر ، لا يترك السجين الذى كان يقاسى الآلام الممضة من ساقيه اللتين كويتا فوراً بعد توقيفه بسيخ أحمى حتى احمر

أما الملك الذى شفى سريعا من جرحه فقد أرسل ٣٠٠٠٠٠ ليرة إلى قسس باريس لتوزيعها على فقراء رعيتهم فداء عن نفسه

كان سجن داميان مستديراً وقطره لا يزيد على اثنى عشرة قدما ، وكان الهواء لا يدخله إلا من فتحة ضيقة ذات صفين من القضبان الحديدية مفتوحة فى حائط سمكه خمس عشرة قدما، وكان الضوء يمر من خلال الأوراق المزيتة

وكان السجين محصوراً فى نوع من الصدارى[1] « Cavisale de force » التى لا تترك له الحرية فى أقل حركة

بلغ هذا التضييق الملك فوجده مفرطاً لأنه فى الحقيقة لم يؤخذ تدبير ضد متهم أكثر تضييقا وأقل رأفة مما أخذ ضد داميان ، فبعث الملك طبيبه الأول الدكتور « سه ناك » فزار داميان ثم أمر أن يترك للسجين بعض الحرية وأن يعامل بشىء من الانسانية

(*) عن مجلة Dimanche Illustré

(١) نوع من الصدارى يصنع من الكتان المتين يشل حركة الذراعين ويستعملونها للمجانين والمجرمين

وكانت الدعوى تسير ولكن ببطء، فقد زج في الباستيل ستون أو ثمانون شخصاً اتهموا بأنهم كانوا على علم بنية داميان الجرمة، ثم أطلق سراحهم من السجن تدريجاً. ولما حضر داميان أمام محكمة تورنل « Chambre de la Taurnelle » في ١٧ آذار، دافع بأنه ما كان يرغب إلا في إنذار الملك وحمله على عزل وزرائه

وفي الحادي والعشرين من ذلك الشهر أرسل إليه الكاهن (كه رمت) خوري كنيسة القديس بولص ليعظه حتى يحمله على قول الحقيقة

وفي السادس والعشرين من الشهر المذكور اجتمعت المحكمة الكبرى المؤلفة من أمراء البيت المالك والدوقات والرؤساء والقضاة والمستشارين. وكان الحامون جلوساً في أمكنتهم، وجيء بالمجرم فأجلسوه في قفص الاتهام ولم يكن يظهر عليه أنه (محروم) ولا ظهر عليه أمام هذا المجلس أقل اضطراب بل كان يتظاهر بالهدوء وعظمة النفس ثم استجلوه بتسمية شركائه في الجريمة، فأجاب: إنك تتكلم جيداً ياسيدي باسكيه ولكن ها أنذا أمام الصليب ليس لدي ما أعترف به

وحينئذ فتحت الجلسة فقرئ تقرير النائب العام الذي يتلخص في طلب إدانة داميان بجريمة محاولة قتل الملك فأحيل للعذاب طبق ما هو مقرر

***

وفي الساعة السابعة مساء أصدرت المحكمة الحكم الآتي على روبرت فرانسوا داميان:

إن المحكمة بحضور عدد وافر من الأمراء والقضاة نظرت في التهمة الموجهة ضد روبرت فرانسوا داميان، وهي تعلن إليه بناء على اعترافه بأنه مجرم بالاعتداء على صاحب الجلالة الملك بصفته الالهية البشرية وكونه الرئيس الأول، تلك الجناية الفظيعة الشنعاء الموجهة ضد شخص الملك، وللتكفير عن فعلته يحكم عليه:

١ — بأن يقاد عارياً إلا من قميص، ممسكا بمشعل من الشمع الملتهب بوزن ليبرتين [١] إلى أمام الباب الرئيسي لكنيسة باريس، وهناك يركع ويعترف جهاراً بأنه أقدم على ارتكاب جريمة قتل الملك، تلك الفعلة الشنعاء المقوتة، وأنه جرح الملك بضربة سكين في خاصرته اليمنى، وأنه قد تاب وأناب فيطلب العفو من الله ومن الملك ومن العدالة

٢ — بأن يساق إلى محل الاعدام (Placc de la Grève) [٢]

ويرفع على صقالة ثم يسحب ثدياه ولحم ذراعيه وفخذيه ورجليه بكلاليب، أما يده اليمنى فيمسك بها السكين التي حاول بها قتل الملك وتحرق بالنار والكبريت، وأما الأقسام التي جز لحمها فيصب عليها الرصاص الذائب والزيت الحامي وصمغ البطم الحار والشمع والكبريت ممزوجة جميعها معاً

٣ — بأن يشد بدنه أربعة أحصنة وتقطع أطرافه ثم تحرق بالنار حتى تصير رماداً تذرى في الهواء

٤ — بأن تصادر جميع أرزاق المحكوم عليه وأملاكه في أي مكان كانت لحساب الملك

٥ — تأمر المحكمة بأنه قبل هذه الاجراءات يحال المجرم داميان إلى التحقيق العادي وغير العادي (التعذيب) ليقر بشركائه في الجريمة

٦ — وتأمر أيضاً بتدمير البيت الذي ولد فيه المجرم داميان، أما الذي يملك هذا البيت فيعوض عنه، على ألا يحق له في المستقبل أن يقيم مكانه بناء آخر

وبينما كانت المحكمة تقرأ الحكم كانت الاستعدادات لتنفيذ الحكم قائمة في محل الاعدام

***

وفي الثامن والعشرين من الشهر صباحا أخرج داميان من سجنه وسيق إلى غرفة في الطبقة السفلى من « الاوتيل ده فيل » محمولا على أيدي الشرطة في نوع من الحقائب اللينة التي تصنع من جلد بعض الحيوانات والتي لا تسمح لغير رأسه بالظهور،

---

(١) كيلو غرام

(٢) منذ سنة ١٨٠٦ كان محل (أوتيل ده فيل) في باريس حيث كان يجري تنفيذ أحكام الاعدام

ثم أخرج منها وأركع وتلي عليه الحكم ، وقد لوحظ أنه كان مصغياً بانتباه إليه ، ثم انفرد به خورى كنيسة القديس بولس فى وسط المكان بضع دقائق انسحب بعدها الخورى وشرب داميان جرعة من الخمر وضع بعدها فى الحقيبة المذكورة مرة أخرى ونقل إلى غرفة التعذيب حيث هناك المحققون مفوضا الشرطة، والرئيسان موله وموبو ، والمستشارون رولان وباسكيه وسه فهر ، لجرى استنطاقه من جديد .

وحينئذ أحاط به منفذو الحكم وألبسه الجلاد الخف (١) Brodequin وحين ضغط على الزاوية الأولى أجبرته على الصراخ الشديد، فأقر بأن الموسيو (غوتيه) وكيل عضو فى البرلمان والمسيو (له متر) الذى كان يسكن فى شارع الماسونيين هما اللذان دفعاه إلى الجريمة . فصدر الأمر فى التو بتوقيف هذين الشخصين .

وعندما ضغط على الزاويتين الثانية والثالثة صاح من جديد صيحة ألم، وفى الرابعة طلب العفو . ولما وصل المتهمان الجديدان (غوتيه) و (له متر) واجهوهما بداميان فرجع عن اقراره عنهما . فأعيد إلى العذاب ثانية وضغطوا على الزاوية الخامسة والسادسة والسابعة والثامنة من الخف ، وهنا أعلن الأطباء الجراحون بأن المجرم لم يعد فى طاقته تحمل تجربة جديدة ، وقد دام التعذيب ساعتين وربع الساعة .

ولما دقت ساعة القصر الرابعة تقدم (جبرائيل سانسون) من المسيو (غه ره) والمسيو (مارسيللي) وقال لهما إن ساعة التنفيذ قد حانت . ومع أنه تكلم بصوت خافت فقد سمعه (داميان) الذى دمدم بصوت مخنوق « نعم بعد قليل يخيم الليل » وبعد فترة قال : « أواه ، غداً يكون نهاراً لهم » .

***

وحينما وصل (داميان) إلى أسفل المصقالة طلب أن يكلم مفوضى الشرطة فحمل إلى « الأوتيل[١] ده فيل » حيث استدرك من جديد الاتهام ضد (غوتيه) ثم أوصى المسيو (باسكيه) بزوجته وابنته .

وفى الساعة الخامسة أنزلوه إلى الميدان ورفعوه فوق المصقالة ثم نزلوا وربطوا كل طرف من أطرافه بجر حصان، وكان لكل حصان مساعد يمسك بلجامه، وآخر وراءه يمسك سوطاً، ووقف الجلاد وأعطى الاشارة ، وعندها وثبت الأحصنة الأربعة بقوة شديدة وفى اتجاه مختلف فسقط أحدها ، ولكن جسم الشقى لم يتقطع، فأعادت الأحصنة الكرة ثلاث مرات وفى المرات الثلاث كانت تتقهقر أمام صلابة الجسم .

ولهول المنظر أغمى على الخورى ، وكان المتفرجون فى ذهول وذعر عميقين ، ثم تعالت الأصوات من كل جانب بصورة مرعبة .

وعندها صعد الجراح (بوير) إلى « الأوتيل ده فيل » وطلب إلى مفوضى الشرطة أن يضربوا المحكوم عليه بالساطور على مفاصله فصدعوا بالأمر .

وأخيراً فصلت الأطراف وخرجت من جميع الصدور تنهدات عميقة وتنفسات حارة .

ولكن الواقعة لم تنته ، فجمعت الأطراف الأربعة والجذع و رموا على كومة من الحطب ، ثم ارتفع اللهيب فيها .

حلب — مفيدة اسماعيل اللبابيدى

(١) كان المحققون فى القرون الوسطى يستعملون التعذيب توصلا لاعتراف المجرم نوعا من الخف يلبسونه قدميه وفى داخله زوايا قابضة يضغطونها واحدة بعد واحدة ويكرهونه على السير به .

(١) قصر شهير للبلدية فى باريس



شيء من فلسفة الموسيقى

للدكتور أحمد موسى

إذا انحصرت فلسفة الموسيقى في تفسير جمالها وإيضاح التأثر بسماعها أمكننا أن نعتبر التمتع النفسي بهذا السماع أهم عنصر مكون لجمالها الذي هو بدون شك جزء من الجمال العام

وإذا كان جمال الفن المكاني منحصراً فيما يمكن رؤيته ، أو ما يمكن لمسه ، كان جمال الفن الزماني منحصراً فيما يمكن سماعه

وعلى ذلك يكون التأثر بهذا المسموع وقياس القدر الفعال في نفسية المستمع هو موضوع فلسفة الموسيقى

ومعنى هذا أن نقد وتحليل ما نسمعه منها على قاعدة الأسمى والأجمل والأروع هو الغرض الأول من التفلسف الموسيقى

وإذا كان أثر الجمال هو دخول السرور المطلق على النفس نتيجة المشاهدة ، كان أثر الموسيقى السامية الجميلة الرائعة نفس السرور المطلق نتيجة هذا السماع

ولا يخرج السرور هنا عن معنى الارتياح والرغبة في الاستزادة دون رد فعل يُشعر بالخيبة أو الضجر ، حتى ولو كانت القطعة الموسيقية تمثل الحزن والألم ؛ لأن هذا ما تصادفه أحياناً في المشاهد الطبيعية التي قد تكون ثورة بركانية، أو اصطدام غيوم نشأ عنه برق ورعد ، أو مطر غزير لا يبعدها عن الجمال الذي يمكن للفنان أن يتأمله ويتأثر به دون رد فعل

فالألحان الموسيقية تكون تارة ممثلة لحلاوة اللقاء ، وأخرى لمرارة الفراق ، وغيرها للذة الانتصار، أو لقساوة الانهزام ، وما إلى ذلك من مختلف النواحي التي يتصيدها الفنان بفنه

وعلى هذا القياس يمكن اعتبار كل مايلفت الارادة الشخصية إلى السماع دون إرغام موضوعاً من موضوعات الموسيقى — على أني لا أقصد بالسماع مجرد الانصات ، بل السماع المشفوع بالتفكير والفهم والتقدير والتأثر ؛ إذ عندئذ نجد العقل يعمل مفكراً لتكوين حكم معين على ما يسمعه ، بعد قياس درجة تناسب الأصوات وانسجام أجزائها المكونة للقطعة ، وأخيراً لاتحاد الهارموني فيها

والموسيقى الفنان الذي يعبر عما يجول بنفسه الثائرة هو ذلك الذي يدرس الطبيعة في مختلف مظاهرها ويتأملها فلا يقنع بما فيها فيشقى ؛ ثم يجدُّ في الوصول إلى غايته راغباً التعبير عما يتفاعل في نفسه من جمال كالي يعتقد بوجوب ظهوره فيعجز ، ثم يقنع بتقليد ما فيها إلى حد ما ، في أصوات يخرجها للناس ، متوخياً الوصول إلى ذلك المثل الأعلى الذي لا يخرج عن كونه الظمأ نحو الخلود .

والمثل الأعلى مما لا يمكن وجوده أو رؤيته أو سماعه ، ولهذا فهو غاية نسمو إليها بالخيال الذي يعبر عنه الفنان الموهوب بما نسميه الوحي أو الالهام وما يسميه الجميع الخلق الفني

والفن روح خفية تسكن نفس الفنان فتبعث فيه عينين قادرتين على النظر لا كما يرى الجميع ، بل على ذلك النظر التقديري الذي به يتعرف الجمال أينما كان ، وأذنين قادرتين على السمع لا كما يسمع الناس ، بل على السمع الدقيق الفائق الذي به يستطيع التفرقة بين ما هو سام وما هو غير سام . لذا وجب أن يكون الموسيقى رجلا تمثلت كل قواه في عينيه وأذنيه ، فبالعينين يتلمس الجمال المشاهد، وبالأذنين يتلمس الجمال المسموع ، فيخرج للناس ما لا غنى لهم عنه، ألا وهو الخلق الموسيقى السامي

والأصل في الخلق الموسيقى السامي هو حاسة النظر بلا شك لأن بها يتأثر الفنان — موهوباً كان أو ملهماً — بما في الحياة، وتكون نتيجة هذا التأثر القدرة على الخلق الفني ، وعلى ذلك نرى

الفنان دائم التأمل الذى يعود عليه بالبؤس — غالباً — فهو أشبه بالفيلسوف الذى لا يقنع بما يراه أو يسمعه ؛ فيقضى حياته عاملا مكملا قدر استطاعته ، ولكنه يفنى دون أن يصل إلى ماتصبو إليه نفسه ، تلك النفس التى تميزت على نفوس الجموع بصفاء النظر ودقة التأمل والدرس والتغلغل فى كنه المرئيات والمسموعات وأخيراً بالهيام والمقدرة الهائلة على تفهم الجمال المطلق . كل هذا متجمعاً يكوّن لك تلك النفسية البريئة الهادئة الوديعة ، نفسية الفنان .

يقول أرسطو إنه لا ينبغى أن يقف الغرض من الموسيقى عند حد التلهية والتسلية ، لأنها من أهم وسائل التهذيب الأخلاق ومن خير طرق العلاج الفعال البطىء لتنقية النفس من عيوبها المتأصلة[١]

وقد التفت إلى هذا رجال التعليم فى العصر الحاضر فأخذوا ينشرون الموسيقى فى دور التهذيب، أما فيما يتعلق بعلاج الأمراض فقد دلت آخر الأبحاث على فائدة الموسيقى إلى حد أدهش العلماء. وثبت أن الألحان ذات أثر يختلف فى مستمعها الفاهم لهـا ، فمنها ما يؤثر تأثيراً هادئاً يعقبه نوم عميق ، ومنها ما يوقظ ويبعث نشاطاً عجيباً . ولا أدل على ذلك من تأثير قطعة أيرل كونيج لبيتهوفن[٢] على مرضى الميلانخوليا، أو قطعة تانهوزر لفاجنر[٣] ، أو قطعة الافتتاحية لميستر زنجرن[٤] اللتين تلائمان مرضى الغضب السريع

ودلت تجارب عدة على أن الدورة الدموية تتأثر أيضاً بالموسيقى إلى حد أنها تنتظم وتصل إلى المستوى الطبيعى

ووجد الدكتور تراخانوف J. Trachanoff أن الموسيقى السهلة تساعد على تنشيط العضلات الضعيفة ، على حين لاحظ أن الموسيقى الدرسية (كلاسيك) لا تؤثر هذا الأثر ؛ بل على النقيض تكسب العضلات شيئاً من التراخى

والعناية بأمر الموسيقى فى علاج الأمراض قائمة على أشدها فى ألمانيا — بلاد العلم والفن والمدنية — حتى لنرى أن أعظم جامعة فيهـا وهى جامعة برلين قد منحت دكتوراه الشرف للموسيقى الفنى ماكس ريجر Max Reger الذى أثبت أن المعالجة بالموسيقى ذات أثر قيم قائم بالدليل فى معالجة الأمراض النفسية

من كل هذا نرى أن الموسيقى هى إحدى نعم الله التى منحها خلقه العاقل المذب ، والتى بها استطاع أن يمد عمل الشيطان من نفسه ، ويلتفت إلى ما فى الوجود من جمال يدل على قدرة الخالق وعظمته[١]

ولعل الشاعر شكسبير لم يبالغ بقوله فى رواية روميو وجوليا (١٥٩٣) أن الموسيقى بلسم القلوب الجريحة ونعيم العقول المتعبة، إذ بصوتها الفضى يكتسب القلب بهجته والعقل راحته

وإذا رجعنا إلى كتاب شوبنهاور (الدنيا كارادة وتصور) نجد فيه الفيلسوف يقول إن أحسن موسيقى وأسماها هى تلك التى لا نستطيع وصف أثرها فى نفوسنا عند الاستمتاع بها ، حيث تذهب بنا إلى جنة الخيال البعيد عن مرارة الحقيقة الراهنة

أما جوته (١٨٢٧) فقد وجد أن الموسيقى تعاصر الانسان منذ خلقه ، قديمة بقدمه ، تناسبت مع نفسه وروحه وشاعريته ووجدانه ، فتطورت بتطوره . ويؤمن بأن الانسان قد يستمع لموسيقى جديدة فلا يطرب لها لأول وهلة وذلك لعدم تفهمه إياها (قصد موسيقى فاجنر) ، أما بعـد أن يألفها فانه يجد استمتاعه بها متناسباً مع تفهمه لها ، حتى يحين الوقت الذى يجدها فيه خير معبّر عن مثله الأعلى فى ناحية من نواحى وجدانه ، ألا وهى ناحية العاطفة السامية والحس الدقيق

وهذا تفلسف اتفق مع الواقع ، ولا سيما أنه اشترط فى الموسيقى أن تكون متناسبة مع عقلية الانسان وتفكيره ودرجة فهمه وتمدنه . فقد ترى السذج يطربون لموسيقى لا انسجام فيها ولا طرب ؛ على حين تجد أولئك الذين أنعم الله عليهم بنعمة العقل وسمو الشاعر لا يطربون إلا لمـا أخرجه الفنان الموهوب الذى أمكنه التعبيـر عن حب دفين لانهائى للخالق جلت قدرته فى أصوات منسجمة متوفرة الارتباط ، تسمو بالمستمع إلى ملكوت مقدس بعيد كل البعد عن الطرب المصطلح عليه فى الشرق

احمد موسى

(١) أرسطو ٣٨٤ — ٣٢٢ ق.م. Aristo., Politik, B. 5, K. 7.

(٢) Beethoven, Erlkoenig.

(٣) Wagner, Tannhaeuser.

(٤) Wagner, Overtuere zn den Meistersingern.

(١) راجع Martin Luther, Tischreden 1566.



رسالة الشعر



التمثال الحي

للأستاذ ابراهيم العريض

سكنتْ فى الطابقِ المُظ لمِ من دارٍ سويّه
غادةٌ لا تملكُ القو تَ ... وبالحُسنِ غنيه
هىَ فى الأسمالِ لكنَّ لها رُوحًا ذكية
سلبتْها كلَّ شىءٍ نَورةٌ إلا التقيه
تتَلوّى كلّما أبْ صرَتِ الدارَ خليه
أينَ عنها أبَواها فى ظلامِ الأبدية
وأخُوها جَدّلتهُ فى الوغى كفٌّ شقيه
فثوى والعَلَمُ الخا فِقُ يَلوى بالتحيه
كيفَ لا تَبكِى وهل أبْ قَى لها الدهرُ بقيه

خرجتْ تعثر فى الذَّيْ لِ إلى جار قريبِ
عاشَ بينَ الناسِ فى عُز لتهِ مِثلَ الغريب
وخطَّ الشيبُ على جبْ هتِه شِبهَ النُدوب
أينَ في الدهرِ فؤادٌ لم يُروّع بالخُطوب
وأتتهُ وهوَ فى مع مَلِه جِدُّ دَؤوب
ينحتُ الجِسمَ من الصَخْ رِ فيأتى بالعجيب
ورآها وهى فى الأسْ مالِ تمشى كالمُريب
ومِن الُجوعِ على الخدّ ينِ آثارُ شُحوب
فانثنى يرمِقُ ذاكَ الـ حُسنَ فى صمتٍ رهيب

ودَنا من جسمِها المحْ مُومِ لكن بفتُوّه
ما لهَا لم تضطرِبْ منْ هُ ولا خافت دنُوه
إنَّ فى عينيهِ .. لا غضْ بِهما ... نورَ النُبوّه
مِن هُواةِ الُحسنِ للفَنِّ وإن غالَى غُلوه
وأحسَّتْ كفهُ تنْ تزِعُ الثوبَ بقُوه
فأرادتْ سِترَ نهْدَيْ نِ حياءً ومُروه
« إننى أنثى .. ألا تشْ عُر أنّى فَوقَ هوّه »
قالَ « كُنِّى ـ أنتِ من شَيْ بِىَ فى ظِلِّ الأبوه
لو تجرّدتِ منَا الفنُّ بعِطفيكِ سُموّه »

فرَمتْ ما كانَ لا يَسْ ترها إلا قليلا
ثمَّ قالت « ومَتى تُط عِمُنى » ... قالَ « أصِيلا »
وجثَتْ بينَ يديهِ فى تعَرِّيها طويلا
وهْوَ لا يُنكرُ مِن قا مَتِها إلا النحُولا
فانحَنى يمتحِنُ الجِسْ مَ فُروعًا وأصُولا
إنْ فى إطراقِها مُغْ مِضةً شَيئًا مَهُولا
ثمَّ لمّا سَمِعتْهُ فاهَ بالُحكم جميلا
نهضَتْ تبسِمُ فى الدمْ عِ وقدْ سالَ مسيلا
« هلْ لِهذا الُحسْنِ أن يخْ لدَ بى جِيلا فجِيلا »

وقفت عارِيةً بَيْ نَ التماثِيلِ كدُرَّه
تحمِلُ الثغرَ على الضِحْ كِ وفى العينَيْنِ عَبره

ومضى يقدر بالاز ... ميل في المرمر قدره
لم تحاول قط أن تنـ ... ـفي جيدا فتقصره
لبثت في وضعها ذ ... لك يوما مستمره
إنه يعمل للفن ... ... وهل فيه معره
هي لولا الجوع لم تر ... ض بأن تصبر صبره
وهو في عالمه ... لو ... يدرك العالم سره
نظرة يلقي عليها ... وعلى المرمر نظره

مالت الشمس إلى الغر ... ب وما زال مجدا
واستحال المرمر المسـ ... ـنون حتى صار قدا
فانحنت من كفها أ ... نملة تسند خدا
فانجلى الصدر وفوق الـ ... ـصدر شيء يتحدى
واستدار البطن في طيـ ... ـته أحسن جدا
قال «لولا الجوع لم يبـ ... ـلغ من الغادة حدا»
ثم مد الراحة اليـ ... ـنى على الفخذين مدا
فأطال الساق حتى ... شارفت في الكعب ضدا
وبراها قدما يحـ ... ـلو لها أن تستبدا

ودجا الليل ... فلم يبـ ... ـق إلى الغادة بالا
غاية الفنان أن يبـ ... ـلغ بالفن كمالا
فطوى الشعر على الرأ ... س كموج يتوالى
فجلا الجبهة غرا ... ء كمرآة تلالا
فأرى لمحة عينيـ ... ـن تطيلان السؤالا
فلوى في جانب الأذ ... ن من الصدغ هلالا
وأقام الأنف كالإبـ ... ـرة حسنا واعتدالا
ثم لما جاء للثغـ ... ـر رأى فيه احتمالا
قال «لو يفتر هـ ... ـذا الثغر لازداد جمالا»
وإذا بالصوت. صوت الـ ... ـديك صبحا يتعالى

تمت الدمية لا ينـ ... ـقصها غير الحوار
فانثنى يضحك للغا ... دة في شبه اعتذار
«أنظري صنع يدي فهـ ... ـو جديد باعتبار»
«إنها معجزة خا ... لدة مثل النهار»
ورآها لم تحرك ... شفة ... والجسم عار
فدنا منها وفي أضـ ... ـلعه جمرة نار
وإذا بالخود في مو ... ضعها مثل السواري
جسد من غير روح ... مستمر في انتظار
إنما الثغر كما يبـ ... ـدو في حال افترار

وانحنى بين يديها ... باكيا سوء مآله
وطوى حاشية الثو ... ب عليها في اعتلاله
«أنا أدعوك. وهل يسـ ... ـمع ميت صوت واله»
«أنا أفديك. وهل يجـ ... ـديك شيئي في ابتهاله»
ثم ألقى نظرة حا ... ئرة نحو مثاله
فرآه يحدق الطر ... ف ولا يرنو لحاله
فأتى في اليأس أمرا ... لم يكن قط ببياله
إذ رمي قطعة صلد ... شوهت بعض جماله
ومضى يعثر بالشي ... ء ويهذي في اختباله

وقف العالم ما بيـ ... ـن الجماهير خطيبا
قال «روي بعثة الشر ... ق لنا أمرا عجيبا
بينما كانوا يجوبو ... ن الصحاري جنوبا
عثروا فيها بتمثا ... ل سأجلوه قريبا
يعلم الله لئن أُلـ ... ـفي في الزند معيبا
فهو ما زال على الغيـ ... ـبة يستدمي القلوبا
إنه أجمل تمثا ... ل لحسناء أصيبا
وأزاح الستر عنه ... فاستهل الكل طوبى
خلدت في المرمر الصا ... لد يد الفن حبيبا

«البحرين» ... ابراهيم العريض

بمناسبة المؤتمر البرلماني الشرقي

يا لله لفلسطين !

للأستاذ احمد فتحى

مرحبًا بالنشيد بعد النشيد … يهبط الأرض من سماء الخلود !
مرحبًا بالبيان أشوان جمّا … يبعث العزم فى الأباة الصيد !
مرحبًا بالروائع الغرّ ، تحكى … وامض البرق فى الليالى السود !
فتية العرب قد دعوتم فلبّا … كم على قدر ما استطاع قصيدى
غير هذا البيان أخطأ جدّى … وكذا الشعر ، خضم تلك الجدود
نحن نشقى به وتسعد دنيا … تنتشى بالنشيد بعد النشيد !
إنّ للفنّ نشوة لا تسامى … أزهدت فى عصارة العنقود !
كم غفلنا بها عن الزمن العا … بث بالخلق فى فتون الوليد !
وصحونا على الأغاريد نشوى … والورى فى مناحة التنكيد
ما انتفاعى بقافيات وضاء … تشبه الدرّ فى نظام العقود ؟
ليت هذا القريض يجرى جيوشا … من كرام أصائل وجنود !!
ينصر الواهن الضعيف ويوهي … عزمة الباطش الغشوم العنيد
لهف نفسي عليك يا حوزة المق … دس ضيّعت فى البلاء الشديد
ما لأضيافك الشآم يلوذو … ن بفرط الأذى ، وفرط الجحود
روّع الشرق أن دهاك اقتسام … هل يباع السادات بيع العبيد

* * *

لا رعاك الزمان يا « وعد بلفو … ر » ولا فزت منه بالتخليد !
طرداء الشعوب غالوا بلادًا … كان تاريخها شباب الوجود
« أورشليم » العلى ترامى بها الخط … ب ودوّى فى كل مرمى بعيد
لهف نفسي ، وشدّ ما حزّ فى النف … س اقتحام الكلاب غاب الأسود
لهف نفسي على الصغار ترامى … بهم اليتم فى زمان الكنود
لهف نفسي على نواحي البواكى … والخليّون دونهم في هجود !
لهف نفسي على الشيوخ ضعافا … بين نار مشبوبة وحديد !
لهف نفسي على الملاح وكم فيـ … هنّ من حلوة اللفاتين رود !
لهف نفسي لفاجع الخطب يمتدّ … د ذبولا إلى ورود الخدود
لهف نفسي على المدامع تجرى … فتروّى بها ظماء البيد !!

* * *

مرحبًا بالوفود بعد الوفود … والحشيد النبيل بعد الحشيد
مرحبًا بالكرام من آل عدنا … ن اطمأنت جموعهم فى صعيد
مرحبًا بالخفاف نحو المعالى … والبهاليل فى سخاء وجود
دونكم مصر فانزلوا من رباها … كلّ روض ، وكلّ ظلّ مديد
وارشفوا السلسبيل من نيلها السمـ … ح خصيب الضفاف عذب الورود
وانعموا بالنسيم فى ضفتيه … إذ يحييكمو بثغر برود !
شاوروا فتية بمصر تساموا … لذرى المجد ، فى كفاح مجيد
عاونوهم على بقاء فلسطيـ … ن ، بمنجى من فاجع التهويد
مهبط الوحي والنبوّات أولى … من حماة التراث بالتأييد
أجمعوا أمركم على نصرة الحـ … ق تعيدوا جلاله من جديد !

* * *

آه يا أورشليم لو كنت أستطيـ … ع لحطمت ما أرى من قيود
علم الله كم أرقت الليالى … لك ، بين الدموع والتسهيد
مستطار الجنان أدعو لك الله … بقرب الخلاص والتسديد
وأصوغ القريض فيك عقودًا … من بيان ندّ ودرّ نضيد !!

« القاهرة » احمد فتحى



الدكتور زكي مبارك والشريف الرضي

روى الأديب المشهور الدكتور زكي مبارك في مصنفه (عبقرية الشريف الرضي) هذا البيت للرضي :

والحظوظ البلهاء من ذي الليالي أنكحت بنت عامر من ثقيف

ثم قال معلقا : « لما ظهر ديوان زكي مبارك اعترض بعض أدباء العراق على هذا البيت :

لم تنسني فتنة الدنيا وزينتها ما في شمائلك الغراء من فتن

وقالوا لا توصف الشمائل بأنها غراء ، وإنما توصف بأنها غر ، وأطالوا الجدل في مجلة أبوللو ، واشترك الأب أنستاس في الجدل ، وعارضنا معارضة شديدة في منزل الدكتور بشر فارس ، والآن نرى الشريف يصف الحظوظ بأنها بلهاء لا بله ، فلينقل العراقيون المعركة إلى شاعر العراق »

قلت : ألا يرى الدكتور أن في البيت خطأ ناسخ أو طابع وأن الرواية الحق هي :

وحظوظ البلهاء من ذي الليالي أنكحت بنت عامر من ثقيفِ

فاذا ثبتت هذه الرواية — وهي عندي ثابتة — فقول حضرة البحاثة (الأب أنستاس ماري الكرملي) في (فعلاء أفعل) صفة لجمع — هو القول . وظهير القسيس الفاضل في مذهبه هذا — كتاب الله وحديث نبيه (صلوات الله وسلامه عليه) والأقوال العربية الموثوق بها قاطبة

والأب أنستاس هو أول من نبه على هذه النكتة اللغوية المهمة في هذا العصر

في القصيدة التي منها ذلك البيت هذان البيتان المحكمان :

أمهل الناقصون واستعجل الدهـ ـر بسوقٍ للفاضلين عنيفِ

من يكن فاضلا يعش بين ذا النا س بقلب شجو ، وبال كسيف

القارىء

مكتبة التلميذ

أخي الأستاذ الزيات

أتقدم إليك وإلى قراء الرسالة ما يأتي :

قد يتفق لبعض مفتشي اللغة العربية أن يلاحظوا أن مكتبات المدارس الابتدائية والثانوية لا يوجد فيها من الكتب العربية غير المراجع أو ما لا ينتفع به في الأغلب غير الأساتذة وكبار الطلاب

وقد فكرت مرات فيما ينتفع به التلاميذ والطلاب من أطايب الأدب الحديث ، ولكني خشيت ألا أشير بغير الاعتماد على مؤلفاتي ومؤلفات أصدقائي ، فما رأيك إذا استشرنا أفاضل الأدباء من قراء الرسالة في اختيار خمسين كتاباً من الأدب الحديث تزود بها مكتبة التلميذ في المدارس الابتدائية والثانوية ؟

أرجو أن يتسع المجال لقراء الرسالة ليجيبوا في نزاهة وإخلاص ، فقد يكون في أجوبتهم ما ينتفع به المدرسون في تكوين مكتبة التلميذ

زكي مبارك

حول كلمة اللقاء

صديقي الأستاذ الجليل صاحب مجلة الرسالة :

تحية واحتراماً . وبعد فاني أحسبك لم تنس بعد كما لم ينس الأستاذ الفاضل باحث الفالوذج في الرسالة أنه سألني بحضرتك من شهر مضى تقريباً عن كلمة « اللُّقاء » التي جاء بها أبو العلاء في كلام له في كتابه « الفصول والغايات » ثم فسرها بالفالوذج وأنه متشكك فيها ، فذكرت له أنها وردت هكذا في نسخة الأصل وهي نسخة جيدة وأني طلبتها في كل مظانها فلم أجدها . وقلت له إن أبا العلاء ربما وجدها فيما وقع له من الكتب التي لم تصل إلينا ، ورجحت أنت صحتها للمجانسة اللفظية بين كلمتي « يُلقى »

و « لقاء » التى كان أبو العلاء يحرص على أمثالها

هذا ما عندى، وقد كنت أنتظر منه أن يقول (فلست بمنكره فى يوم من الأيام) ثم يعقب عليه بما يشاء .

محمود حسن زناتى

حول تيسير قواعد الاعراب

حضرة الفاضل الأستاذ « أزهرى »

نعم يا سيدى الفاضل، إن من مميزات عصرنا الحاضر هو كما تقول : « التهم التى تكال جزافاً » دون روية ولا إمعان . وهذه أيضاً من تأثير السرعة التى اقتبسناها ولم نحسن استعمالها. فان النفوس التى تتهمها « بالجهل والجود والجحود » تفهم السرعة فى المواصلات والسرعة فى الادراك — وسرعة الخاطر —

ولكنها قاصرة عن فهم السرعة فى الحكم والدرس والاصلاح خصوصاً إذا تعلق هذا الاصلاح بمستقبل قواعد لغة عدة شعوب وملايين من الناس .

إن « نفسى الجاهلة » لتأخذ على أستاذها الفاضل سرعة الحكم ؛ فقد كان من السهل عليه لو تأمل قليلاً أن يدرك أن ليس فى ردي عليه استفزاز ولا خاطر . ولكنى نسبت ما فى القواعد من تعقيد وصعوبة إلى المدرسين القائمين بتلقينها للنشء لا إلى نقص فى القواعد نفسها . ثم أخذت عليه تغيير الاعراب وبقاء القواعد كما هى، وفى هذا من الخلط والتعقيد ماهو برىء من التيسير . فاذا قلنا مثلاً إن حرف الجر مجزوم وجب أن نحذف من كتاب القواعد أن الحروف مبنية . وإذا سلمنا أن الفعل الماضى منصوب وجب حذف باب « بناء الأفعال » . وهكذا يجب تغيير وحذف كل القواعد التى لاتتمشى والأعراب الجديد . وإن كان ذكر النون فى جمع المذكر السالم « حشواً لا داعى إليه » فلا أرى مايمنع حذفها . والمعقول أن مايعتبر حشواً يمكن الاستغناء عنه . وكما قلت سابقاً إن عملية التيسير أخطر من أن تتم بهذه السرعة، وإننا مسئولون عما نأتيه من تغيير فى قواعد اللغة التى ثبتت أجيالا مضت ولم نثبت بعد خطأها ولم نأت بأحسن منها .

لقد طالعت أبحاث أستاذنا المحترم بكل تؤدة وإمعان، ثم بينت لكل اعتراض سبباً منطقياً يقره العقل والفهم . فأين إذن الخلط والسهو من كلامى هذا ؟ ؟ ولو تفضل الأستاذ المحترم وراجع مقالى السابق لوجد أنه مختص بالبحث فى عملية التيسير من ناحية صلتها بالنشء . ولا يخفى على الأستاذ الفاضل أن فكرة التيسير لم تنشأ إلا لتسهيل درس قواعد اللغة للطلبة بعد أن لوحظ شدة ضعف المتخرجين فى الدراسة الثانوية والجامعية .

وأخيراً لايسعنى إلا أن أشكركم لما نسبتموه إلىّ من جهل. فانه لفخر لى أن يتهمنى عالم جليل بالجهل .

أمينة شاكر فهمى

من المرحوم زكى باشا الى المرحوم الرافعى

كنت رأيت على مكتب المرحوم الرافعى فى سنة ١٩٣٣ طائفة من أوراق مخطوطة حدثنى هو عنها أنها معجم يؤلفه زكى باشا وبعث به إليه يستعينه عليه ؛ وقد وقعت لى الرسالة الآتية بين ما خلف الرافعى من رسائل أصدقائه ، بخط المرحوم أحمد زكي باشا ، فرأيت أن أنشرها على قراء الرسالة . وهذه الرسالة مكتوبة على ورقة مستعملة ممزقة الأطراف ، يظهر أنها كانت غلاف رسالة إليه عليها خاتم (حلب) ، والمعروف عن المرحوم أحمد زكي باشا أنه كان يكتب ما يريد أن يكتب على ما يتيسر له من الورق ولو كان ورقة ممزقة من سلة القمامة !

سعيد العريان

عزيزى الأستاذ الرافعى :

كنت كتبت خلاصة وافية عن حرف الألف لوضعها فى أول باب الهمزة ، ثم عنّ لى أن أرسلها لرجل فى حلب عرفت تعمقه فى النحو، وإذا به أعادها إلى مع مقالة أخرى تدل على شدة تقعره ، وفاته أن الغرض هو الالمام بكل أحوال الألف بلا شرح إلماماً قاموسياً

أرجوك نظر المقالين واختيار أحدهما مع التنقيح أو التصحيح أو الحذف والزيادة كما تراه ، وإبقائه عندك إلى حين رجعتي من الاسكندرية وسلام الله عليك من المخلص

أحمد زكى

تدريس اللغة العربية فى فرنسا

جاء فى بلاغ من وزارة التربية الوطنية أنه أنشئ فرع لتعليم اللغة العربية فى مدرسة « سان لوى لى جران » فى باريس ومدرسة « بيريه » فى مرسيليا

وجاء فى هذا البلاغ : أن اللغة العربية سبق أن قبلت



عرض وتحليل

هكذا أغـــنى

للشاعر محمود حسن اسماعيل

بقلم الأستاذ اسماعيل كامل

عند ما أخرج الشاعر الأديب محمود حسن اسماعيل ديوانه (أغاني الكوخ) وكان لى حظ الاشتراك فى حفلة تكريمه كان أهم ما دارت حوله كلمتى التكريمية أن الشاعر صادق الحس مشبوب العاطفة قوى الإيمان ينتزع الأخيلة من أطواء وجدانه فى غير افتعال أو تمحل، وأنه يمثل الريفى المؤمن الصادق الأحاسيس الذى يقبس من جلال المناظر الطبيعية خير ما تحتاج به نفسه الجياشة بحب كل ما هو طبيعى لا أثر للصنعة الزائفة فيه

وأخيراً جاء ديوانه الثانى (هكذا أغنى) صورة صادقة تؤيد ما ذهبت إليه فى كلمتى الأولى وتعزز تلك النظرة الصائبة التى لم تخب فيما خرجت به من دراسة شاعر الشباب النابغة

وأنا فى هذا البحث العاجل أحب أن أنتزع من الديوان الأخير صوراً فاتنة تؤيد ما ذهبت إليه يوم قام الأدباء من الشباب يحتفلون بذلك القبس الباهر الذى كشف عن درر الشاعر الفذ ميزة تفرد بها الشاعر محمود ولم يجر فيها على منوال كثير من شعراء كل مناسبة يأتى من ورائها الغنم والفائدة ! تلك ميزة الوفاء لنفسه والاخلاص لشاعره والاعتداد بشعره ؛ فلم يكن يوماً بوقاً للظروف أو أداة للملابسات، بل ظل الشاعر الرفيع الاحساس المترفع بشعره أن يتلمس جوانب النفع ووجوه الاستغلال أينما ساقتهما الأقدار أو دفعت بهما الرياح

وفى ذلك يقول الشاعر لمليكه :

للشـــاعرين بلاغة فضفاضة   حشدت بلفظ فى الحلوق مجاجل

وأنا الذي شعرى نعانة مهجتى   سكبت جداولها بهمس السنبل

يوم الفخار سنلتقى ... أنت العـلا

وأنا الصدى فى ظل عرشك ! فاصغ لى

أنظر إلى محمود الشاعر الريفى الذى يلوذ بأذيال الخمائل يقتطف منها شذا الزهور، ولحون الطير، ونور الصباح، وعبير الضحى، لتعينه على الهتاف للمليك إن عاونته تلك العوامل كلها على أن ينتمى لبلابل الخلد السواجع

وانظر إلى ذلك الشادى من أين يقبس قريضه.. من الطبيعة الوارفة ومن الإيمان الصادق :

شاديك من قصب الفرادس نايهُ   ومن السنا والطيب ُعل عناؤه

ومن الصِّبا نهلت حلالَ أراكهِ   سجواء، نافجها غفت أنداؤه

ومن الطفاوة فى أصيل خاشع   سجدت على زهر الربا أضواؤه

ومن المساجد هينمت تحت الدجى   صوفيُّها نهل الغيوبَ صفاؤه

ومن الشعاع السِّهام بقبـلة   فى النيل طهرها هواه وماؤه

ومن السنا الرقراق فى قدح الضحى

أغرى النـــديم فولولت صهباؤه

وشاعرنا كثير التبرم بالقلوب النوادر وما جبل عليه الناس من فضول وتهاتر، ولكنه يرتد ساخراً هازئاً لاعتداده بنفسه، وعرفانه بقيمته ويفيض من حنانه على (الغراب) قسيمه فى الحظوظ وصاحبه فى الجدود وقرينه فى تحامل الناس الظالم دون إثم يبرره :

على قدم المساواة مع اللغات الأجنبية لا فى امتحانات البكالوريا والليسانس فقط بل فى امتحانات المدارس العسكرية كمدرسة سان سير وغيرها

والأهمية المتزايدة لأفريقيا الشمالية فى الاقتصاد والدفاع الوطنى وحاجة فرنسا لأن تنشئ معها علاقات تزداد توثقاً مع الزمن، كل ذلك يعد من الأسباب التى تبرر التدابير التى اتخذتها وزارة التربية

وأنت — كمثلى — هارب من فضولهم
جوابك للأكوان : إنى ساخر !
فدعهم بلوكون الحديث ، وأسغ لى
فما منهم للسمع إلا التهاتر
سلاماً قسيمى فى الحظوظ .. وصاحبي
وقد أرخصت عهدى القلوب النوادر
عشقتك منذ النخل مد ظلاله
علىّ تنادينى وبه ونباكر

ويكاد ينفرد الشاعر محمود بقوته المادرة وفتوته الفائزة فى كل ما يفرض من النظم حتى حين يتحدث إلى موسيقى النفوش

ابعثى اللحن يدوّى   كيفما شئت وشاء
لن ترىْ فى الأرض سمعاً   يشتهى هـذا الغناء
غير سجى فهو من د: ياه فى دنيا فناء

لكنه كثيره من الشباب إذا أحب وعف واعترضت العقبات سبيله راح يتفجع ويتوجع وإن كان لا يسف إلى درك التوسل والاستعطاف، بل يهدد ويتوعد.. يهدد بالجنون والانتحار والفناء

وانظري جذوة الهوى فى خيالى   وشحوب الفناء فى نظراتى
وتهاويل من بقايا جنون   خلفتها الأحزان فوق سماتي
وبريقاً من الشباب المولى   كهشيم الريحان فوق الرفات
منية أزهقت وأخرى تمايا   والبقايا فى الصدر منتحرات

***

أسرعى قبلما تغيب الأمانى   فى دخان الهموم والحسرات
وتصيرين فى الهوى قصة الند   ر وأسطورة على نغماتى
أسرعى قبل أن تموت الأغاني   فتناجيك ، بعدها مرثياتى !

وما أحسب الشاعر ينتوى ما يهدد به ولكنه يتوعد حبيبه بشر ما ترتاع له النفوس حتى ينطلق من محبسه ويثور على أغلاله وإلا ما قال بعدئذ :

حجبوكِ عن نظرى وخلوامهجة   حيرى يجرعها الهوي أتراحه
وأنا الذى سأظل باسمك هاتفاً   حتى يمد الموت نحوىّ راحه !

***

حجبوك هل حجبوا انفاتة عاشق   أضرى الغرام جلاده وكفاحه ؟
متولع بهواك ما أغرى به   بينٌ ولا فلّ الفراق سلاحه

وهو ليس دائم الشكوى والنواح بل طالما ركن إلى الصمت القاتل وكبت مشاعره حتى لا يستذله الضعف وبعد أن صدف الناس عن الشكوى وتغافلوا عن الشاكين :

والناس .. لاناس إذا خلجت   عينى .. كأنى فى الحياة عَمِم
صدفوا عن الشكوى فلا أذن   تصغي لما رتلت من نغم
حسبوا أنين القلب فلسفة   عبثت بها أنشودة القلم
فتغافلوا عنى ولو علموا   شربوا صباب الدمع من ألمي

أنت عاتبتى على الصمت ... فاسمع
نغمات الجراح تحت الجنوب
أنا همس يموت فى قلب ناى   نبذته الرياح خلف الكثيب
أنا صمت الكهوف يهتز للوحى   إذا هل فى السكون الرهيب

***

وقصاري مايقال فى شاعرنا الفذ أنه ينتزع مادته فى جميع الاتجاهات والأوضاع من الطبيعة الساحرة فى صمتها وشجوها وتغريدها لا من التأثر الدرامى أو الاطلاع الفردى وحدهما ، بل إننى كنت مع بعض الواهمين قبل أن أعرفه فى أنه قد قبس كثيراً من ممانيه البكر من شعراء الفرنجة الطبيعيين أمثال وردثورت وشيلى وبيرون .

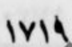
وشاعرنا قد جمع فى وثبته بين القديم والجديد : فهو يمثل جزالة الشعر العربى الرصين وقوة أسلوبه ومتانة بنائه، كما يمثل الجديدفى سلاسة ممانيه،وطرافةموضوعاته وحداثة مراميه، فكان وسطاً حبيباً بين المهدين ، وروحاً فياضة بين الجيلين وعلماً فرداً فى توسط الاتجاهين .

وهو نسيج وحده فى أغلب الموضوعات التى يطرقها لايشبهه فيها شاعر اللهم إلا فى الموضوعات الاجتماعية التى يظهر فيها تأثير البيئة الواحدة في جميع الأقلام ، وفى هـذا يمثل الشاعر بيئته ومايعتمل فى أطوائها ومايشيع فى أجوائها خير تمثيل .

وقبل أن أختتم كلمتى العاجلة أود أن ألمس المدى الذى بلغه الشاعر في ديوانه الأخير والخطوة الواسعة التى خطاها فى أغانيه الأخيرة بعدأن انقضت أعوام ثلاثة على ديوانه الأول (أغانى الكوخ)

إن من قرأ للشاعر فى ديوانه الأول حديثه الفطرى عن (حاملة الجرة) ثم يقرأ قصيدة الرائعة عن (الغراب) فى ديوانه الأخير يلمس عمق التأمل وغور الاستيعاب الوافدين على شعره الجديد وقدأضفيا على قريضه القوة والمضاء. كذلك يلمس القارئ فى ديوان الشاعر الأخير مدى توسمه فى الموضوعات الاجتماعية وشبوب عاطفته فى الناحية الغزلية ، وذلك الطهر الذى يهيمن على مشاعره

وليس ثمة ما أعيبه على الشاعر غير تلك الرهبنة وذلك المذهب الكنسى الذى يصبغ أكثر قصائده ، ولكن العارف المشرف على





شيء من لا شيء

باكورة الموسم المصري لاستوديو مصر

عرضت سينما استوديو مصر في الأسبوع الماضي أول أفلامها المصرية للموسم الحالي وهو «شيء من لا شيء» الذي حدثنا عنه قراء الرسالة في مناسبات كثيرة بما جعلهم يوقنون قبل رؤيتهم إياه من أنه سيكون فلماً من الأفلام الممتازة دون ريب ...

وفي الأسبوع الماضي عرض الفلم فكان ممتازاً رائعاً حلواً فكرة جديدة ... إخراج جديد .. تمثيل جديد .. ملابس فخمة ... غناء عذب . ولعمرك ماذا يريد الانسان في فلم واحد أكثر من اجتماع ذلك كله بعضه ببعض ؟ إنه فلم يستحق الاستوديو من أجله تهنئة من أعمق الأعماق

واحمد بدرخان بهذا الفلم — حتى مع انعدام غيره أو انعدام الوهلات — يدخل في زمرة كبار مخرجينا بحق ما دام قد تسنى له أن يخرج هذا الفلم ، وما دام قد تسنى له أن يخرجه بهذه الطريقة الناجحة

خلاصة قصة الفلم

جيشان يلتحمان في عراك ، كلاهما من جند المسلمين ، يبدأ الفلم بفلول الجيش المنهزم وأحدهما يندب كتفه الكسير وكرشه المبقور وأمعاءه الممدودة أمتاراً على الرمال ...

ويفتح النظر التالي على ملك الجيش الغالب وهو يستقبل قواده الظافرين ، ويسألهم — بين ما يسألهم — عن الغنائم والأسلاب والأسرى، ويفهم في النهاية أن هناك أسيرة واحدة، أما الرجال فكثيرون . ويتحدث الملك إلى قادته : ماذا يفعل بهم؟ فبقي الرأي في النهاية على (ترحيلهم) إلى جزيرة المنفى . وفي هذه اللحظة يرى الجمهور المطربة المحبوبة نجاة على لأول مرة ، ويرى بعدها الأستاذ عبد الغني السيد ، وهو مضمد الرأس من الجراحات يغني ويغني معه زملاؤه الأسرى وهم يدخلون المركب التي أقلتهم إلى حيث أريد لهم . . . ويحار الملك في الأسيرة ماذا يفعل بها ، وإلى من يقدمها ؟

وإذ ذاك تحدث منافرات ومقارعات بين الحاضرين كلها فكاهات لطيفة ، وأسمار لذيذة ،وينتهي الأمر بأن يقرر الملك تزويج الأمير عنتر منها ، وعنتر هذا هو القائد الجديد للجند ، وشخصية عنتر هذه من أهم الشخصيات الفكاهية في الفلم

وينادي الملك الأسيرة وهي ابنة أخيه ويزف إليها خبر تقريره تزويجها من الأمير عنتر ، فترفض وتثور وتعود إلى منامها والأمير يهدر ويزمجر ، ويهدد ويتوعد . . . ويقول لها بأنه إزاء ذلك لا يسعه إلا أن يزوجها من أحقر

حياة الشاعر والدارس لبيئته لا يعجب لملك القوة المسيطرة عليه فقد أخذت على الشاعر الصديق في حديث لي معه هذا المنحى الغالب على تأملاته ؛ ولكنني عرفت أن في بلدته (النخيلة) تنهض الكنيسة على كثب من المسجد ويبثان في النفس الطاهرة رهبة الايمان والتقديس

فاذا أضفنا إلى ذلك نشأة الشاعر الريفية الساذجة أدركنا عمق التأثير الشخصي إلى جانب التأثير العام فيما يصدر من القريض

وليس للشاعر محمود نوع خاص من الفلسفة، فهو يرى الفلسفة في ذلك التأمل العميق في أسرار الحياة أينما وقعت عليها العين الفاحصة والشعور الملهم

بقي أن أقول صراحة إن ديوانه الأول (أغاني الكوخ) كان يمثل الفن الرفيع وحده، فلم يقحم فيه الشاعر تلك المراثي التي حشدها في ديوانه الأخير ، أو تلك السياسيات التي اندفع فيها نتيجة لشعوره مهما كان صدق هذا الشعور ، فما هي بالموضوعات التي تجمع بين دفتي ديوان لتبقى مدى الأحقاب والأيام

اسماعيل كامل

شخص فى الملكة وهو ذلك الأسير الشاب . . .

وتنساق حوادث الرواية أمام المتفرج بعد ذلك وتتعرف الأسيرة إلى الأسير الشاب ذى الصوت الجميل . . وبعد صد وطول عدم اكتراث ، تقع فى حبه ، أو بالحرى فى حب صوته . ويغتاظ الأمير عنتر ، فيقوم بمحاولة أخري ويهبط على الأسيرة فى منامها ويكاد أن يعتدى عليها هو ومن معه من الجند ، لولا أن الأسير الذى هو زوجها يحضر فى الوقت المناسب ويعمل فى الأمير ورجاله سيفه ، فيقتل أحد رجاله ويجرحه هو جراحاً بالغة . . .

ويقدم الأسير للمحاكمة ، وهى محكمة من أغرب المحاكم التى سمع بها الناس من قبل . . .

ويرفض المتهم الدفاع عن نفسه ويسكت كل من يحاول الكلام فى صالحه ، فلا يسع هذه المحكمة إلا إصدار الحكم عليه بما يقتضيه القانون . . .

والجمعية السرية . . لا ننس الجمعية السرية . . ولغتها (المختلطة) ورئاستها البارعة فى الخوف والوجل . . فانها من ألطف وأندر ما ملئت به القصة . .

وعند ما تنتهي حوادث تلك القصة التى لم تراع فيها وحدة زمان أو مكان أو نظام ملابس أو لهجة كلام أو خلافه . . .

لما تنتهي هذه الحوادث يشاهد المتفرج رجلا بلدياً يسقط من فوق الفراش هو وزوجته وهى تناديه ليستيقظ ويكون فى حلم قد وصل إلى حد قوله (ليسقط . . .)

الناحية الفنية

وبعد فهذا هو ملخص القصة . وقد سبق أن قلنا أن الفلم من وجهه العام ناجح ومشرف لاستوديو مصر ولمخرجه الأستاذ بدرخان ، ولكن لنا ملاحظات عليه . . على رغم أنه حلم ليلة صيف . . وبرغم أن المفروض فيه هو أنه (تخريف وهلوسة)

من هذه الملاحظات أن دورى نجاة على وعبد الغنى السيد لم يكونا ظاهرين ولا مفهومين فى بادىء الأمر . . وكان كلام مقطوعاتهما الغنائية ضعيفاً كما كان التلحين أضعف وأكثر ارتباكا . . . ولسنا ندرى هل كان ذلك من اللحن أم من الممثلين . .

ومن هذه الملاحظات أن القصة كلها كانت مسجوعة . . . والسجع عادة كالشعر — يستولى من المشاهد — على جانب كبير من انتباهه . . ومن هنا يخسر الفيلم هذا الجزء من انتباه القارىء دون مبرر . . هذا إلى أن أغلب السجعات كان بارداً سخيفاً . .

ويدافع بعضهم عن هذا بأن المقصود من هذه السجعات السخيفة هو الاضحاك . . ولكن هذا لا يعد دفاعاً قدر ما يعد اتهاماً . . فان الفلم لا يصح أن يكون مصدر سرور الناس منه احتواؤه على سخافة وحسب . .

ولا تحضرنا الآن بقية الملاحظات فوعدنا بها عدد تال ، ونكرر فى نهاية هذه الكلمة ما سبق أن ذكرنا أكثر من مرة من أن هذا الفلم — على رغم الأخطاء التى به — يعتبر فتحاً جديداً فى عالم الأفلام المصرية ، ويستحق استوديو مصر عليه كل تهنئة

سالم ينتهى منه أجنحة الصحراء

انتهى الأستاذ أحمد سالم فى الأسبوع الماضى من تصوير آخر (ديكورين) فى فيلمه الجديد (أجنحة الصحراء) وقد كان أحدهما كبيراً ونخما بدرجة لم تعرف من قبل فى الاستيديوات المصرية . ورآه مخرجون مصريون كثيرون فهنئوا الأستاذ سالم بتوفيقه فى بناء هذا المنظر . والصحفيون يعترفون بأن القراء سوف يشاهدون عجباً فى فلم سالم هذا عند ما يعرض فى منتصف الشهر القادم

جلال يعمل . .

أبلغنا زميل كريم أن الأستاذ احمد جلال قد انتهى من كتابة السيناريو الجديد للفيلم الثانى لشركة لوتس فى هذا الموسم والحيرة الآن ، أو المفاوضات ، دائرة بين آسيا وبين الزميل حول اختيار الاسم الصالح . . وقد رددت زميلات أسماء غريبة ، نفتها لنا السيدة آسيا بكل شدة . : والمعروف أن تصوير هذا الفيلم الجديد يبدأ فى أوائل الشهر القادم . . .

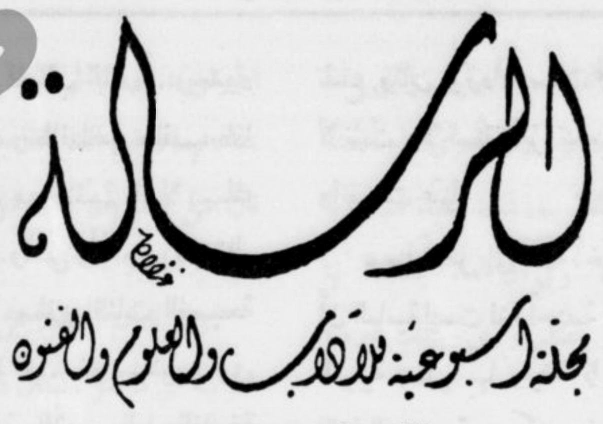


6 me Année, No. 277

Lundi - 24 - 10 - 1938

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العــدد ٢٧٧ « القاهرة فى أول رمضان سنة ١٣٥٧ — ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

العامية والفصحى

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

أنا متهم بعدائى للغة العامية ، وما أكثر من فى الحبس من مظلومين — كما يقول عامتنا فى أمثالهم — ولست أريد الآن أن أدافع عن نفسى وأبرئها من شيء ، فان لى الحق فى المعاداة والمصافاة كغيرى من الناس تبعاً لرأيى وهواى، ولكنما أريد الآن أن أضع أموراً فى مواضعها على قدر ما يتيسر لى ذلك

الأمر فى اللغة العامية أن نطاق الأداء بها محدود . وهى فى هذا النطاق وافية بالحاجة وكافية جداً للأغراض التى تطلب بها ولكنها تخذلك إذا أردت أن تتجاوز هذا النطاق . أي أنها تصلح للحديث العادى والحوار فى المسائل اليومية، والعبارة بها عن الأغراض المألوفة بين الناس عامة ، فاذا أردت أن ترتقى بها عن هذه الطبقة وأن تتناول بها حديث العلم أو الأدب أو الفلسفة أو غير ذلك مما يجرى هذا المجرى قصرت بك وعجزت عن الوفاء بهذه المطالب فتحتاج إلى لغة أخرى تستطيع أن تواتيك وتساعفك — لغة أخرى تكون أوفى وأزخر وأوفر مادة وأكثر عناصر، ولا لغة هناك لنا غير اللغة العربية الفصحى التى لا تعد العامية إلا لهجة مشتقة منها . وهذا شأن كل لغة عامية فى الدنيا . وكل

عامية تعجز عن أداء ما هو أكثر من المطالب المادية . وحدود كل لغة عامية هى حدود العامة أنفسهم، ونطاقها هو نطاقهم، فاذا احتجت إلى ما يجاوز نطاق العامة ويرتفع عن طبقتهم فانه لا يسعك إلا أن تلجأ إلى لغة أوسع من لغتهم وأغنى وأقدر . قد يقال ولكن فى الدنيا عاميات ارتقت إلى مصاف اللغات الفصيحة كالايطالية واليونانية الحديثتين. وهذا صحيح غير منكور . وفى وسع كل عامية أن تصبح هى لغة الكتابة والأدب والعلم والفلسفة وما إلى ذلك إذا وسعتها وضبطتها وأجريت الأمر فيها مجرى اللغات الصحيحة ذات الأحكام والضوابط، وأنجيتها من الفوضى التى تلازم العاميات فى العادة . وهذا هو الذى حدث فى اللغة الايطالية الحديثة واللغة اليونانية الحديثة اللتين حلتا محل اللاتينية والاغريقية القديمتين . ومؤدى هذا أن العامية عندنا فى صورها الحالية لا تصلح للأداء ولا لأن تتخذ لغة كتابة وأدب وعلم وفلسفة وغير ذلك لأنها فوضى وتحتاج إلى ضبط وإصلاح وتوسيع وإغناء . وقد قلت « فى صورها الحالية » ولم أقل « فى صورتها الحالية » وأنا أعنى ما أقول ، فان عامية مصر غير عامية الحجاز أو العراق أو الشام أو تونس والمغرب على العموم أو السودان ، ولكل بلد من هذه البلدان عاميته الخاصة، بل نحن فى مصر لنا أكثر من عامية واحدة، فعامية القاهرة غير عامية الصعيد وغير عامية الاسكندرية أو الأقاليم الشمالية ، فأى هذه العاميات كلها تريد أن تكون لغتك ؟ ولكل منها خصائصها وعناصرها التى اقتضت طبيعة الحياة الخاصة بهما أن تتألف منها . فعامية مصر أو عاميات مصر — فانها كثر — فيها عناصر من العربية والفرعونية وعناصر من اللغات الأوربية بحكم موقع البلاد الجغرافى، وعامية العراق فيها عناصر من العربية والتركية والفارسية والهندية وغير ذلك، وهكذا

والعامية لا ثبات لها ولا استقرار . والملاحظ — والطبيعى أيضاً — أنها ترقى مع انتشار التعليم وتقترب شيئاً فشيئاً من اللغة العربية . يدل على ذلك — إن كان الأمر يحتاج إلى دليل — حوار المتعلمين لا يكاد ينقصه من اللغة الفصحى إلا ضبط اواخر الكلمات أى بناء الكلام على معانى النحو ؛ والعربية على عكس العامية أداة ثابتة على كثرة ما يطرأ عليها من التطور، وهى تتسع وتلين وتزداد صقلا على الأيام على خلاف العامية التى لا تثبت ولا تستقر بل تندمج فى العربية بعد أن اشتقت منها وانفصلت عنها

وهنا أنتقل إلى نقطة أخرى أود أن تتقرر فى الأذهان؛ وتلك أن العامية ليست لغة أجنبية وإنما هى لغة عربية محرفة، فهى بنت العربية وصلتها بها وثيقة كما هو الحال فى كل عامية بالقياس إلى اللغة الصحيحة . وكثيرون منا ينظرون إليها غير هذه النظرة ، فاذا كتبوا أو خطبوا اتقوها جداً وخافوا منها وتحاموها ونفروا من كل لفظ مستعمل فيها ، وبهذا يباعدون مباعدة شديدة غير نافعة بين الكاتب والقارئ، وهذا خطأ فان العامية كما قلت بنت العربية وفرع منها ، وإذا ما نظر الانسان إلى العامية هذه النظرة ألفى فيها كنوزاً ونفائس لا تقوم، وأغناه ما يجد فيها عن كثير مما يلتمسه ولا يهتدى إليه ، أو يهتدى إليه ولكنه لا يكون فى الأكثر والأعم إلا نابياً ثقيلا مستكرهاً فى السماع أو منفراً من العربيــة نفسها . وقد كنت كغيرى أتقى كل لفظ مما يجرى على ألسنة العامة لتوهمى أن ما يجرى على ألسنتهم لا يمكن أن يكون عربياً صحيحاً ، ولكن مطالب التعبير والأداء أحوجتنى إلى البحث عن مفردات كثيرة فالتمستها فى كتب الأدب ومعاجم اللغة ، فأما المعاجم فقليلة الغناء فى هذا الباب وهى تجمع الحى والميت من الألفاظ ولا تفرق بين هذا وذاك . وأما كتب الأدب فان اللفظ المستعمل فيها يكون لفظاً حياً استطاع أن يبقى ويدور على الألسنة والأقلام ، والألفاظ كالناس وككل مخلوق ، تحيا وتموت ، والصالح منها هو وحده الذى يبقى ، أما غير الصالح فينتهى به الأمر إلى أن يهجره الناس ويتركوه مدفوناً . ولا خير فى محاولة إحياء لفظ مات ونشره بعد أن طواه الزمن، وإنما الخير أن تتركه حيث هو وأن تلتمس سواه من الألفاظ التى قدرت على البقاء والمكافحة والنضال

نظرت هذه النظرة إلى لغتنا العامية فعثرت بلا جهد أو مشقة فى بحث على مئات من الألفاظ العامية التى نتوهم أنها غير عربية أو لم يستعملها العرب ، ونتحاماها لذلك ، ولو استعملناها لجاء الكلام أوضح وأبين، ولكان فهمه أسهل ومطلبه أيسر . وبعض هذه الألفاظ عربى أصيل ، والبعض مولد أو دخيل ولكنه

مما استعمله العرب وأجروه مجرى ألفاظهم الأصلية . وكل هذه الألفاظ تمتاز بأنها استطاعت أن تعيش وأن تجرى على ألسنة الأمم والشعوب، آلافاً من السنين الطويلة، فادة الحياة فيها قوية ولا معنى لهجرها وإهمالها لا لسبب سوى أن العامة يستعملونها كأن كل ما يستعمله العامة يجب أن يحتقر ويرمى ويطلب غيره ، وهى سخافة ظاهرة

وقد علمت أن الدكتور احمد بك عيسى قدم إلى المجمع اللغوى رسالة فى الألفاظ العامية وأصولها تشتمل على ما قيل على ألفى كلمة ، ولا أعتقد أن فى هذا الرقم أدنى مبالغة فانى أنا وحدى بلا بحث يستحق الذكر وبمجرد تقييد ما يعرض لى من ذلك فى مناسباته العارضة وقعت على أكثر من ألف كلمة ، وقد نشرت فى الرسالة طائفة منها، فأحر بالباحث الذى يعنى بدرس الموضوع وتعقب الألفاظ أن يهتدى إلى أضعاف أضعاف ذلك . والذى أرجوه أحد أمرين، أن يطبع المجمع هذه الرسالة النفيسة: أو إذا كان ثم مانع معقول — ولست أرى أى مانع — فليطبعها الدكتور عيسى بك ولينشرها فان الفائدة منها جزيلة ، إذ كانت هذه الألفاظ السهلة المعروفة التى يفهمها كل انسان متعلما كان أو غير متعلم تغنينا عن ألفاظ مهجورة ميتة نضطر إلى الالتجاء إليها والاستعانة بها على التعبير فلا يفهمها أحد إلا بالشرح والتفسير أو الرجوع إلى المعاجم ، وهذا كله عناء باطل لا يجوز تكلفه مع وجود الألفاظ المأنوسة

إن اللغة — كل لغة — ليست أكثر من أداة للإفهام أى لنقل المعنى أو الصورة أو الاحساس أو الخالجة على العموم من ذهن إلى ذهن ونفس إلى نفس . واللغة — كل لغة — بطبيعتها أداة ناقصة ووسيلة غير وافية ، وهى فى الحقيقة أشبه باشارات الخرس التى تشير إلى المراد ولا تبين عنه . وكل من عانى الكتابة بأية لغة يعرف ذلك ويحسه ويستطيع أن يشهد به . وما أكثر ما نعجز عن التعبير عنه فنتركه إلى سواه مما يؤاتينا عليه البيان ، ومتى كان هذا كذلك فان من الشطط أن نزيد الأمر صعوبة بالإغراب والحذلقة بترك السهل إلى المهجور ، والمأنوس إلى الحوشى ، أى بجعل مهمة الافهام أشق على الكاتب والقارئ معا ، وما دامت اللغة العامية مشتقة من العربية وفرعا من أصلها فان من الحق أن نترك ما فيها من الصحيح وأن نروح نبحث عن غيره لنعبر به

وفى العامية فضلا عن ذلك تعابير لا سبيل إليها فى اللغة العربية على ما نعلم ، مثال ذلك هذا البيت العامى :

« يا بت أنا بدى أبوسك بس أبوسك
والطرب وأحظى بكؤوسك رق شوية »

هذان البيتان العاميان كل ألفاظهما عربية صحيحة — البت هى البنت ولو نطقتها بنت لما تغير الوزن . وبدى من قولك لا بد لى أو من قولهم بودى ، وأبوسك كلمة عربية صحيحة لا تحريف فيها ولا تصحيف ولا شىء غير ذلك والفعل باس يبوس بوسا وهو عندى خير من قبل يقبل . والطرب وأحظى والكؤوس ورق كلها أيضا صحيحة . بقيت شوية وبس ، فأما شوية فتصغير شىء ، وأما بس فلا مثيل لها ولا غناء عنها بغيرها فى اللغة العربية . وقول الشاعر العامي أو الشعبي « بس أبوسك » تعبير لا يقابله مثله فى العربية، وقد حاولت مراراً أن أجد بديلا منه فلم أوفق . فاذا كان غيرى يستطيع أن يهتدى إلى بديل منه فى اللغة الفصحى فليفعل وليحتقب شكرنا . أمثال هذا التركيب لا أرى أى مانع من إدخاله فى لغتنا العربية الفصيحة والانتفاع به فيها وإغنائها بذلك فانه تعبير ينقصنا فعلا وإن كنا لا نعدم منه بديلا غير سائغ أو مقبول . ومن هذا القبيل كلمة « بق » وكثيرون يظنونها من الفعل العربى « بق يبق » والحقيقة أنها فرعونية الأصل ولا معنى لها، وإنما هى كلة يستعان بها على التمهل للتفكير مثل كلمة « ألور » فى الفرنسية

وألخص موقفى من اللغة العامية ورأيى فيها فأقول إنها فرع من هذه الشجرة العظيمة التى نمت على الأيام وأصابها الركود الشديد عصورا غير قصيرة وأعنى بها اللغة العربية . ولكنها — أى العامية بحالتها الراهنة لا تصلح أن تكون أداة لأكثر من التخاطب فى الشئون العادية فلا يجوز اتخاذها أداة للكتابة

وما يطلب بها من الأغراض ، وهى فضلا عن قصورها تختلف باختلاف الأقطار بل الأقاليم المتقاربة ، فلهذا لا تصلح أن تكون لغة عامة ، ومن السخافة أن تتخذ لغة قاصرة غير وافية لا يفهمها إلا عدد محدود وأن نهجر لغة عامة يفهمها كل أحد فى كل بلد . ومن السخافة أن نقتل لغتنا العربية التى خلف لنا أصحابها كل هذه الكنوز فى الأدب والعلوم والفلسفة والتاريخ وغير ذلك من أجل لغة لا ماضى لها ولا حاضر أيضا ، لأنها غير ثابتة وتحولها دائم مع ارتقاء التعليم وانتشاره ، ولا مستقبل لها كذلك إلا الاندماج فى اللغة العربية الفصحي بفضل تقدم التعليم وانتشاره كذلك . ولكن هذه العامية التى لا تصلح أن تتخذ أداة الكتابة عربية الأصل وإن كان فيها كثير من الدخيل من لغات أخرى بحكم اتصال الشعوب بعضها ببعض وأخذ بعضها عن بعض ، ولهذا يحسن الانتفاع بما فيها من العربى الصحيح وإن كان محرفاً قليلا . ويجب لهذا الغرض أن نعنى باحصاء الألفاظ العربية فى العامية وأن نردها إلى أصلها إذا احتاج الأمر إلى ذلك وأن نستعملها ونستغنى بذلك عن البحث المقيم عن ألفاظ أخرى بدلا منها فيما مات من ألفاظ اللغة العربية وعجز عن البقاء . وفى العامية فضلا عن ذلك تعابير مثلها غير موجود فى العربية ، أو موجود ولكنه غير سائغ لا يقبله الذوق العام ، فهذه يحسن اتخاذها أيضاً وإغناء العربية بها فانها بذلك تتسع وتلين وتكتسب المرونة اللازمة . فيحس ابن اللغة وهو يستعملها أنها أداة حية نابضة لا جامدة ناشفة .

وأظن أنى بعد هذا لا أحتاج أن أقول إنى لست عدواً للعامية أو سواها ؛ وقد يساعد على نفى هذا الوهم أن أذكر أنى استعنت بها فى الحوار فى بعض ما كتبت من الروايات أو القصص بالقدر اللازم ليس إلا — استعملتها فى هذا النطاق المحدود فى روايتين على الخصوص رواية ابراهيم الكاتب ورواية تمثيلية اسمها « غريزة المرأة أو حكم الطاعة » ولكنى التزمت حدوداً معينة لم أتجاوزها . ولا يحسب أحد أني أريد الاعلان عن هاتين الروايتين فقد نفدتا من زمان طويل .

ابرهيم عبد القادر المازنى

في سبيل الإصلاح

المشـــكلة الكبرى

فى حياتنا الاجتماعية

للأستاذ على الطنطاوى

« أعد الأستاذ هذا البحث ليحاضر به الناس فى ناد من أندية دمشق الأدبية ، ولكن مرض الكاتب ولبثه أربعين يوماً فى المستشفى ، ثم اضطراره إلى السفر العاجل ليتسلم عمله فى مدرسة بعقوبة (العراق) حال دون إلقائه »

صورة المشكلة

آلاف مؤلفة من الشبان يبيتون مسهدين ينتظرون أزواجهم اللائى خلقهن الله لهم . وآلاف مؤلفة من الشابات يبتن الليل مؤرقات ينتظرن أزواجهن الذين برأهم الله لهن والدرارى تطل من شرفة الغيب ترقب تعارف أبويها ، لتأخذ باذن الله ، طريقها إلى عالم الوجود ، فيكون منها عباد لله صالحون ، وجنود للوطن مخلصون ، وأنصار للحق ثابتون

ثم إذا قدر الله وكان زواج ، كان الزواج (أكثر ما يكون) همًا ونكداً ، وخلافاً مستمراً ، وآض البيت من بعده جحيماً محرقاً ، وسجناً مظلماً ، ونشأ الأولاد على غير تهذيب ، ومن غير دين ولا أخلاق ...

هذه هى صورة المشكلة : انتظار أليم يسلم إلى الجنون أو إلى الفسوق أو إلى اليأس ، ونقص فى الأولاد ، وضعف فى الأمة ، وخراب للبيوت ، وضياع للأسر ، وفقد للسعادة ...

سبيل العلاج

هذه هى صورة المشكلة ، فما هى أسبابها ؟ وما نتائجها ؟ وما علاجها ؟ بل وما نفع الكتابة فيها ؟

لقد كُتب فيها وكُتب (حتى لو أن محصياً أحصى المكتوب فيها لجاء معه كتاب ضخم) فلم يُغن المكتوب شيئاً ، ذلك أن المشكلة تحتاج إلى حل عملى يقوم به الآباء ، لا إلى نظريات وفلسفات يدلى بها الكتاب والأدباء ، من أجل ذلك نحوت فى

هذا البحث نحو العمل فلم أتعمق ولم أتفلسف ! ومن أجل ذلك ضربت من الواقع أمثلة ، وأخذت من الحياة شواهد وصوراً ... على أنها لا تغنى الباحث ، ولا تجدى الشواهد ولا الصور ، ولا المقترحات ولا الآراء ، مالم يحققها عقلاء الآباء ، أو من لهم فى الأمة أمر أو نهى ، من أرباب الحكم وأصحاب السلطان !

موانع الزواج

لو سألت أكثر العزّاب من الشبان : « ما منعكم من الزواج ؟ » لكان جواب الأكثرين إن لم أقل جوابهم أجمعين : « المهر ، وما يتصل بالمهر من تكاليف وبلايا » ، ولست أذهب بالقارئ إلى بعيد ، بل أضرب له المثل من نفسى ...

أنا أريد الزواج ، وأنا امرؤ فى رأسه أشياء وليس فى كيسه شىء ... أما الذى فى رأسى ، فقد أفنيت فى تحصيله شبابى ، وبيضت فى طلبه ليالىّ وسوّدت نُهُرى ، وخدعنى عن حقيقته معلمىّ فحسبته أثمن شىء فى الوجود ، وصدقت أن العلم خير من المال ... فرأيت من بعد أن المال خير من كل شىء ... وأما كيسى فما فيه وفر ، ولكن فيه مرتباً يكفينى ويكفى بحمد الله أربع زوجات مى ، لو أن الزوجة بقيت إلى اليوم شريكة الحياة وربة البيت ، تطلب حياة هنيئة وزوجاً صالحاً ، بيد أن هذا كله قد ذهب ... وصارت الزوجة (يا أسفى !) متاعاً يشرى ، ولا بد للمتاع من ثمن ، فاذا أخذ الأب الثمن لم يبال بعده شيئاً ، ومتى كان يبالى التاجر إذا استوفى الثمن بأخلاق الشارى أو سيرته فى أهله ؟ وثمن الزوجة (أقل ما يكون) خمسون أو مائة (ليرة) ذهبية ، فتصور ياصديقى القارئ متى يجتمع لرجل مثلى مكساب متلاف لايستطيع أن يمسك شيئاً ، أو لا يفضل عن نفقته شىء؟ وليست هذه المصيبة كلها . إن بعدها نفقات العقد (الكتاب) وقبل العقد خاتم الخطبة ، وما يكون إلا من الذهب ، و (الشبكة) وما يصلح لها إلا حلية لها قيمة ... وبعد العقد الهدايا والتُّحف يحملها إلى دار (الزوجة العتيدة) كلما زارها ، ولا بد له من أن يزورها ؛ ثم تأتى بلايا العرس ، وما أدراك ما بلايا العرس : كسوة أهله وأقربائه ممن تجب عليه نفقتهم (وكسوة النساء أقبح التبذير ، لأنهن يشترين قماشاً لا يدفئ ولا يستر ، ويدفعن ثمنه غالياً ، ثم إذا مرت شهور بطل طرازه (مودته) فأصبح لا يصلح لشىء ... وبعد الكسوة نفقات حفلة الزفاف . ثم إذا دخل على زوجته ، وانفرد بها ، لا تكلمه حتى يدفع إليها (ثمن شعرها) وهى جملة من المال لا تقل عن (بضع ليرات ذهبية) ولا حد لزيادتها ، وما أدرى والله كيف تنزل الفتاة للحلاق عن شعرها يقصه ويلقيه على الأرض ، ثم تطلب (ثمنه) من زوجها ! ثم إذا أصبح أعطاها (وجوباً) عطية أكبر من (ثمن الشعر) هى (الصُّبحة) ، فاذا زال النهار أهدى إليها هدية ، لا بدّ أن يكون فيها إزار للحمام ثمين وقد يكون منسوجاً بخيوط الفضة ، ومناديل (مناشف) الخ ... ثم تأتى نفقات (السبعة الأيام) يقيم فيها الأقارب والأهلون فى داره ، تولم لهم كل يوم الولائم ، ويطرفون بأنواع الطرف ، فاذا انتهت دعوا جميعاً إلى الحمام ، وقد قلّ ذلك فى هذه الأيام منذ كثرت الحمامات فى الدور ، وأهملت الحمامات العامة أو كادت ، ثم يدعو أهلها (أى أهل الزوجة) جميعاً وأهله إلى وليمة كبيرة تسمى (التعريفة) يعرف فيها بعضهم ببعض — وقد يبلغ المدعوون إليها المئات فى بعض الأسر الكبيرة ...

فأنى لمثلى الطاقة على هذه المصروفات التى تخرب بيوت الأغنياء ؟ وإنى لأعرف قاضياً شرعياً زوج ابنه ، فتكاثرت عليه النفقات ، فلم يقدر عليها حتى باع بيته — لينفق ثمنه فى ليالى العرس ! هذا أول موانع الزواج وأظهرها ...

الحجاب

وهب أنى قد وقعت على كنز ، أو أصبت إرثاً فأصبحت غنياً وتوفر لى ما أبتغى من المال فكيف أختار زوجتى ؟ أما الحاسرات المتبرجات اللائى يعرف الرجال كلهن : صدورهن ونحورهن وأيديهن وسوقهنّ ، فأنا (بحمد الله) أعقل من أن أتخذ منهن زوجة ، ولو كانت ابنة ماء السماء ، وأعلم العلماء ، وما أحسب ذا دين ومروءة ، يرضى أن يتزوج بمن رضيت لنفسها إهمال الدين ، وإسقاط المروءة ، بتعرّضها فى زينتها وفتنتها للرجال ، تستهويهم وتأخذ بأيديهم إلى النار ... بقى علىّ المتحجبة من بنات الأسر ، وهى التى لا سبيل إلى رؤيتها إلا ليلة الزفاف ، بعد أن يكون الغلّ قد استدار حول عنق ، والقيد قد أحكم إقفاله على يدى ورجلى ، ولم يبق لى إلا أن أقبل

بها ولو كان لها وجه قرد وأخلاق شيطان !

أفهذا من المعقول ؟

يريد المرء سفراً ، فيتحرى عن أخلاق رفيقه أياماً ، ليعلم أيوافقه أم يخالفه ؛ ويبتني أجيراً فيراه ويبحث عن أصله وفصله ، ويجرّبه أياماً ؛ ويعزم على أن يتزوج ، فلا يرى رفيقة حياته ومهوى قلبه ، وموضع حبه ، إلا بعد أن يتمّ كل شيء ؟

مع أن الشرع أباح له أن يراها ويجالسها[1] . . . ومع أنها تخرج إلى السوق فيراها (على خلاف الشرع) البائع ومن كان عنده ، ويقدم إليها القهوة ويحادثها ، ويراها عمال السينما ، ويراها ويراها ، فما الذي حاق بالآباء حتى هان عليهم كل محرّم ، وصعب عليهم ما أحلّ الله ؟

هذا هو المانع الثاني من موانع الزواج ، بل إن هذا الوضع هو الذي سبب ما نرى من تبرج النساء وحسورهن ، وعريهن على السواحل . . . ولا علاج له إلا بحجاب شامل (وذلك ما لا يستطاع) أو بسفور شرعي ، كالذي سماه صديق الأستاذ عز الدين التنوخي بسفور الراهبات، وذكر أن الحشويين الجامدين ، يقابلون من يدعو إليه بالسباب والشتائم ، وذلك هو الواقع ، فان هؤلاء قاعدون بالمرصاد لكل من يعرض رأياً في إصلاح حال المرأة الذي كاد يصل إلى حدّ العرى المطلق بل لقد بلغه فعلاً .. ولكنهم لا يأتون بأي رأى من عند أنفسهم ، ولا يهتمون بما يرون ، فهم هادمون ولا يبنون ، وهم مفسدون لعمل كل مصلح ولا يصلحون . . . ولله الحمد على أن ضعفت مُنّتهم ، وخفتت أصواتهم ، وبادت جماعتهم ، ونسأل الله أن يبدلنا بهم علماء يفهمون روح الاسلام ويعرفون حقائقه ، ويفهمون روح العصر ويعرفون حاجات أهله

الخلاف العائلي

فاذا يسر الله لامرىء سبيل الزواج ، وأنجاه من هذه الموانع ، عرضت له مشاكل ، ورأى من المتاعب مايندم معه على ما أتى ، ولو ذهبت تتقصى أحوال المتزوجين ودخائلهم في بيوتهم لوجدت أكثرهم متألماً شقياً ، ولهذا الألم أسباب يمكن تلافيها لو فكر فيها الزوج ، وعزم على التلافى .

أول أسباب الخلاف

أعرف أخوين : أما أحدهما فشيخ محافظ توفى رحمه الله من سنين طويلة ، وأما الثاني فأديب موسيقى على الطراز الجديد . تزوج الأول ، ولبث مع زوجه ستة عشر عاماً حتى توفى عنها ولم يكلمها على مسمع أهله كلمة ، وإنما كان يوجه الكلام إلى أخته سائلا حاجته ، أو يأمر أخته أن تقول لها ما يريد ، وألفت ذلك منه ورضيت به أو صبرت عليه . وكانت تخشاه تخشيتها الله أو هي أشد خشية . . وأما الثاني . . لا . بل إن أكثر من عرفنا من الأزواج (المجددين) تتحكم بهم نساؤهم ، فيأمرنهم وينهينهم ، ويشتمنهم و . . ويضربنهم ! وهم يخافونهن ولا يجرؤون عليهن . .

أى أن الأزواج بين رجلين ، رجل أهمل سلطته ، وأسقط عاطفته ، فكان في بيته سيداً ، ولكنه لم يذق طعم الحب ، ولا عرف السعادة الزوجية ، ورجل تبع عاطفته فأرضاها ، وأهمل سلطته فأضاعها ، فعاش في داره عبداً . . ، وتفصيل ذلك أن الزوج هو الذي يحكم على نفسه ، ويختار طريقه . فاذا دلل زوجه في الأيام الأولى ، ومثل لها (دور العاشق في الروايات الخيالية ، ومنحها قياده ، وأراها أنها حياته ، وأنها الآمرة الناهية عليه ، وتذلل لها وخضع ، (ولذة الحب في التذلل والخضوع) ألفت ذلك منه ، وتعودته . . فاذا طارت من رأسه سكرة الحب ، وأحب أن يحكم في الدار ، كما يحكم رب الدار ، وجد الأمر قد أفلت من يده ، فيبدأ الخلاف ، ثم لا ينتهى أبداً . وإذا هو ضبط نفسه في الأيام الأولى ، ولم يعط إلا بمقدار واستعمل عقله وسلطانه ، ألفت منه الزوجة ذلك ، فوجدت كل عطف منه بعد ذلك غنماً كبيراً . .

فالزوج العاقل الحازم من لم تلهه حلاوة العسل التي تدوم له شهراً ، عن مرارة العلقم التي تبقى دهراً طويلاً . ومن لم تشغله اللذة الجسمية العاجلة ، عن السعادة الروحية الآجلة ، فليتنبه لهذا الأزواج ، فمن هنا منشأ الخطر . .

حقوق الزوجين

ومن أسباب النكد الباقي ، والشقاء الدائم ، الخلاف على

(١) أي يراها غير حاسرة ويجالسها غير منفرد بها

حقوق كل واحد من الزوجين ، فمن الرجال من يأخذ أكثر من حقه ، ومن النساء من تقيم نفسها مقام الرجل ، وتفرض عليه سلطانها ، حتى إن الرعناء لتسأله : أين كنت ؟ ومن كلمت ؟ بل إن من النساء الحناوات المتحذلقات ممن يحسبن أنهن متعلمات ، من تحاسب زوجها على زيارته أهله ، وصلته رحمه ، وتغار عليه إذا كلم عمته أو زارها . . حتى أصبح الأمر فوضى لا ناظم له وظلمة لا نور فيها : مع أن الشرع الاسلامى (الذى لم يغادر صغيرة ولا كبيرة ، إلا بين وجه الحق فيها) قد حدد حقوق الزوجين ، فجمل من حقوق الزوج على زوجته أن تطيعه فيما لامعصية فيه ، وأن تصون عفافها ، وألا تخرج إلا باذن منه أو لضرورة ، وأن تحرص على إدخال السرور عليه ، وألا تكلفه مالا يطيق ولا تطالبه بالزائد من حاجة نفسها ، وأن تبذل جهدها فى أداء واجباتها الدينية ، وأن تمطيه زمام الرياسة المنزلية. ومن حقها عليه أداء مهرها كاملا إليها ـ الانفاق عليها بالمعروف ـ أن يجتهد فى تعليمها واجباتها الدينية ـ أن يكتم سرها ولا يتحدث به ـ حسن خلقه معها — احتمال بعض الأذى منها — ممازحتها ومداعبتها [1] — أى أن للرجل على الجملة رياسة المنزل (حين لم يكن بد لكل شركة أو جماعة من رئيس) وله السيادة فيه ، وحفظ كرامته ، وإدارة شؤونه الخارجية والاشراف على أموره كلها ، وله الحكم فى كسوة المرأة وخروجها ، وله تأديبها بالعدل ، ومن غير أن يخرج على ما أحل الله وذكر فى كتابه ، وللمرأة حق التصرف بأموالها ، وإدارة شئون المنزل الداخلية ، والنفقة عليها وضمان حاجاتها اللازمة ؛ ولها عليه أن يحرص على سعادتها وسرورها ، ويعاملها بالخلق الحسن ، والقول اللين ، ويتغاضى عن خطيئاتها ما أمكن التغاضى ، ويعلم أنها شريكة حياته ، وأدنى الناس إليه فلا يستأثر دونها بطعام أو شراب ، ولا يدعها فى المنزل وحيدة متألمة ، ويسهر فى المقاهى والملاهى ، ولا يقدم نفسه عليها فى كسوة أو متعة من متع العيش

المشاكلة بين الزوجين

وإن من أظهر الخلاف بين الزوجين ، ألا يكون بينهما مشاكلة ومماثلة ، كأن يكون فقيراً وتكون هى غنية ، فتعيره بفقره ، وتترفع عليه بمالها ، أو أن يكون من رجال الأعمال ، وتكون متعلمة ، على أن المتعلمة العالمة حقاً لا ينتظر منها إلا كل خير ، ولكن البلاء فى هؤلاء اللائى يحسبن أنفسهن متعلمات ، لأنهن كن قبل الزواج معلمات فى مدرسة أو مديرات ، وإن كن لايفتحن فى السنة كتاباً ، ولا يفهمن شيئاً ، ولا يعرفن إلا تنكيد حياة الزوج ، وإضاعة ماله فى الولائم والاستقبالات ، والكسوة والزينة ، هؤلاء هن البلاء الأزرق ، وخير منهن الأمية الجاهلة.

ومن أشنع أشكال الاختلاف بين الزوجين ، حال من يتزوجون بالأجنبيات ، فيرون منهن (على الغالب) ما يتمنون معه الموت الأحمر . وإنى لأعرف من الناس رجلا درس فى فرنسا وجاءمعه بفتاة زعم أنها من أكرم الأسر الفرنسية وأعرقها ، فتزوج بها ، فكان من أيسر ما تصنع أنهـا تذهب إلى السينما فترى الضباط الفرنسيين فتحن إليهم بصلة الدم ، فتكلمهم وتصادقهم ثم تدعوهم إلى دارها فلا يروع صاحبنا إلا الضباط قد ملأوا بيته. ثم انتهى أمرها بالفرار مع واحد منهم !

ومن العجب أن دماغين كبيرين تواردت خواطرهما على مسألة واحدة ، وبينهما الدهر الأطول ، وبينهما ما بين المشرق والمغرب فوقعا فيها على الصواب الذى نعرفه ولا نريد أن ننبه :

لما كانت القادسية ، ولم يجد الناس نساء مسلمات ، تزوجوا نساء أهل الكتاب ، فلما كثر المسلمات بعث عمر بن الخطاب إلى حذيفة بن اليمان بعد ما ولاه المدائن : « بلغنى أنك تزوجت امرأة من أهل المدائن من أهل الكتاب فطلقها » فكتب إليه : «لا أفعل حتى تخبرنى أحلال أم حرام، وما أردت بذلك؟ »

فكتب إليه عمر : « لا ، بل حلال ، ولكن فى نساء الأعاجم خلابة ، وإن أقبلتم عليهن غلبنكم على نسائكم »

فقال حذيفة : الآن ! وطلقها .

هذا حكم الرجل العظيم ، عمر ، وقد حكم به فى المدينة منذ ألف وثلاثمائة سنة .

وأما الثانى فحكم الرجل العظيم موسولينى ، حكم به المؤتمر الفاشى فى روما ، فى هذا الأسبوع ، حين كان من مقرراته منع الايطاليين من الزواج بالأجنبيات

فمن لم يعظه قول عمر ، فليعظه حكم موسولينى !

« البقية فى العدد القادم » دمشق **على الطنطاوى**

(١) حقوق الزوجين للأستاذ الشيخ محمود ياسين

كتاب المبشرين
الطاعن فى عربية القرآن
الشيخ ابراهيم اليازجى
لأستاذ جليل
— ٤ —

عمل (المضللون) بالقول الأوربى المشهور الملعون: (المآرب يبرّرُ الذريعة) فأشاعوا مشاعهم، وطبعوا فى (كتابهم) مكذوبهم: «هاشم العربى الشيخ اليازجى» مسيئين إلى صاحب (الضياء) فى حياته ومماته. وقد صدّق الناس من بعد ما رأوا الكلام فريتهم. وهأنذا أصدع[1] اليوم بالحق معلناً فى (رسالة الاسلام والعربيـة) براءة اليازجى مما قذف به. ومى برهانان دامغان؛ فقل للضالين المضلين أصحاب الكتاب الزور وذوى الكذب السخت[2] «قل: هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين»

البرهان الأول

كانت تلكم الاشاعة، ونشر المضللون قطعة من (مكتوبهم) فى مجلتهم التضليلية. فكتب حجة الاسلام الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله فى (مناره) مجلان غير مستأن ولا متثبت — هذه الجملة:

«نشرت مجلة البروتستنت المصرية نبذة فى الطعن فى القرآن نقلتها عن كتاب لهم يقال: إن للشيخ ابرهيم اليازجى يداً فى تصحيحه أو تأليفه أو ترجمته والزيادة فيه»

(١) فى (الكشاف): فاصدع بما تؤمر: فاجهر به وأظهره، يقال: صدع بالحجة إذا تكلم بها جهاراً كقولك: صرح بها من الصديع وهو الفجر، والصدع فى الزجاجة الابانة

وفى (الاساس): صدع بالحق: جهر به مفرقا بينه وبين الباطل

قال (اليازجى): ويقولون أمره أن يصنع كذا فصدع بالأمر يعنون أنه أطاع وأمضى ما أمر به، ولم يأت صدع فى شىء من هذا المعنى

(٢) كذب سخت وسختيت: خالص، وفى كتاب تهذيب الألفاظ: زعم أبو عبيدة أن سختا بالعربية والفارسية واحد

وقدحدا الامام على التسرع بما كتب غضبه المغضوب للدين، ومزاج كريم يشتعل بأدنى قدح ...

فلما اطلع صاحب (الضياء) على الذى فى (المنار) هاج أيما هيج بل كاد يجن؛ إذ فحواه عنده أنه عسيف[1] من العسفاء عند (المبشرين) و «تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها[2]» وأنه يجهل العربية — وما يعرفه منها هو رأس ماله فى الحياة — وأنه عدو للمسلمين — وهنا الخطب المهم — فسارع إلى إذاعة كلمة فى (ضيائه[3]) قال فيها:

«وقفنا نقلب الطرف فى هذا الكلام ونحن نستحضر ما كر علينا من سوالف الأيام، ونتمثل ما مر بنا من غرائب الأحلام، لعلنا نتذكر فى أى عهد كنا من الناقشين فى العقائد الدينية، وفى أى زمن كنا نؤلف الكتب فى الطعن على الأسفار السماوية. ومتى كنا نتعاطى حرفة التبشير بالأديان، وأى ثمرة لنا فى صرف بعض القوم عما اعتقدوه من الايمان. أمور يعلم كل من له أدنى معرفة بنا أننا من أبعد الناس عنها»

«نحقق لحضرة الرصيف الفاضل أننا براء مما اتهمنا به أو اتهمنا به لديه، وأننا من أبعد خلق الله عن هذه السخافات التى يتاجر بها قوم لاستدرار الرزق من أخبث موارده. وإن لم يكن له بد من ملازمة هذا الموقف والنضال بهذا السلاح فعنده من قسوس الانكليز والأمريكان ومن ينتمى إليهم من المنقسين — وكلهم معروفون لديه اسماً وجسما — من يكفيه استنزالنا إلى هذا المجال، وتكليفنا أن نعمل بضد ما طبعنا عليه»

هذا كلام اليازجى، وهو قول الجاد لا الهازل، والصادق لا الكاذب، وقد كان الرجل صادقاً، وكان ذا إباء وكبرياء، يعرف ذلك فى خلائقه من يعرفه، فلن يخدم المبشرين فى حال، ولن يسف إلى تلك «السخافات التى يتاجر بها قوم لاستدرار الرزق من أخبث موارده[4]» ثم إن اليازجى من طائفة (الروم

(١) العسيف: الأجير

(٢) قال الميدانى: يضرب فى صيانة الرجل نفسه عن خسيس مكاسب الاموال (٣) السنة (٥) الصفحة (٥٦٥)

(٤) ليسأل الجاهلون الأستاذ (قسطاكى الحمصى) فهو خليل (ابرهيم) وأدرى الناس بأخلاق (اليازجى)

وفى (أعلام الأستاذ الزركلى): «وكان (يعنى اليازجى ابرهيم)

الكاثوليك[1]) والمضللون من البروتستنت، والكاثوليكى حرب البروتستنتى، والبروتستنتى لان الكنيسة الكاثوليكية عدو مبين فقل لي : « عمرك الله كيف يلتقيان ؟ »

البرهان الثانى

أغلاط اليازجى فى إنشائه وفى تغليطه غيره ، فيها البركة ... لكنه لن يخطئ فيا أتخنه معرفة وفيها خطأ فيه الأدباء . وفى (كتاب التضليل) أغلاط نبه عليها هو نفسه . وكان إعلانه إياها وتلفيق ذاك الكتاب فى برهة واحدة ، ومستحيل أن يحرم الخطأ عاماً ويحلله عاماً تلبيساً وتدلساً كدأب مضال أو شعوذى وهذه أقوال (المضللين) وهذه أقوال (الضياء) :

١ — قال هاشم العربى الشيخ اليازجى (كتاب البشرين ، الصفحة (٦٩) : « يتردد إليها جماعة القسس »

قال الشيخ اليازجى (الضياء ، السنة (١) الصفحة (٣٥٧) : « ويقولون جماعة القسس بضمتين ، يريدون القسوس فيحذفون الواو ، لأن فعلا الساكن العين لا يُجمع على فُعُل »

(قلت) : فى (المصباح) : القس جمعه القسوس ، وفى (التاج) : جمع القس قسوس بالضم . وفى (اللسان) : القُسُس العقلاء ، والقسس : الساقة الحذاق ...

٢ — قال هاشم العربى الشيخ اليازجى (كتاب البشرين الصفحة (٨٤) : « إنه كان كسائر بنى جلدته » (يعنى سيد الوجود صلوات الله وسلامه عليه)

قال الشيخ اليازجى (الضياء السنة (١) الصفحة (٤٤٩) : « ويقولون : فعل هذا لمصلحة أهل جلدته يريدون قومه وأهل جيله — الجيل الصنف من الناس كالعرب والترك والروس — وقد أولع كتابنا بهذه العبارة ، وتناقلها بعضهم عن بعض من غير بحث ولا تنقيب عن أصل مغزاها ومراد قائلها »

(قلت) : تجادل الأستاذ قسطاكى الحمصى والأستاذ سليم الجندى فى هذه اللفظة فوافق الأول اليازجى على نقده وخالفه الثانى فيه قائلا : « قال فى اللسان وفى الحديث قوم من جلدتنا أى من أنفسنا وعشيرتنا » ولكل مقام مقال ، ولكل حال ألفاظ ، والقصد من إيرادنا قول البشر وقول (الضياء) الأعلام بأن اليازجى لا يستعمل شيئاً أنكره هو

٣ — قال هاشم العربى الشيخ اليازجى (كتاب البشرين الصفحة (٣٢١) : « ولسنا مكلفين بمعرفة تفسير هذه الآيات وإنما نحن مكلفون بالاعتقاد بأن الله لا شريك له ولا شبيه ومن هؤلاء مالك بن أنس »

قال الشيخ اليازجى (الضياء السنة (٧) الصفحة (٣٢٣) : « ويقولون : كلفته بالأمر فيعدون هذا الفعل إلى المفعول الثاني بالباء ، والصواب تعديته إليه بنفسه ، تقول : كلفته الأمر)

(قلت) : الأقوال العربية والمعجمات كلها تساند اليازجى ، ولم يعد هذا الفعل بالباء إلا في كلام المتأخرين من المولدين . وفى (الجمهرة) : تكلفت الشيء تكلفاً إذا تجشمته ، والكلفة من التكلف ، والتكلفة تكلفك الشيء وتحملك إياه

٤ — قال هاشم العربى الشيخ اليازجى (كتاب البشرين الصفحة (٣٩٢) : « فشرع (أى بحيرا الراهب) يفكر فى ما يفعله لردّ أهلها عن الشرك ويطالب رجلا منهم يستعين به على غرضه حتى عثر بمحمد »

قال الشيخ اليازجى « الضياء السنة (٥) الصفحة (٦٢٠) فى نقده (البؤساء) لحافظ : « وربما وقع له غير ذلك كقوله : (ألم تعثر فى طريقك أيها الراهب بغلام) والمنصوص عليه فى هذا المعنى عثر عليه لا به »

(قلت) : رويت فى الجزء (٢٦٦) من (الرسالة) — الصفحة (١٢٨٨) ما قاله اللسان والصحاح والأساس فى هذا الفعل ، ولا ريب فى خطأ البشرين

٥ — قال هاشم العربى الشيخ اليازجى (كتاب البشرين الصفحة (٣٢٧) : « وأنت إذا أمعنت فيه النظر وجدته »

رزقه من شق قلمه ، فعاش فقيراً ، غنى القلب ، أبي النفس »

وفى هذا الكتاب : « واستقر فى مصر فأصدر مجلة (البيان) ثم أصدر مشتركا مع الدكتور بشارة زازل مجلة الضياء شهرية فعاشت ثمانية أعوام »

قلت : اشتركا فى البيان ثم اختلفا ، وأنشأ اليازجى (الضياء) وحده ، وكانت تصدر مرتين فى الشهر . والناس للطبعة الثانية من (الأعلام) منتظرون

(١) للروم الكاثوليك فى بيروت مدرسة اسمها (المدرسة البطريركية) خدمت العربية خدمة عظيمة سبقت بها كل مدرسة في بلاد الشام . وكان من أساتذتها الشيخ ابرهيم اليازجى ، والشيخ ابرهيم الحورانى، و (الشيخ عبد الله البستاني) — رحمه الله — وأستاذ البيان والأدب فيها اليوم هو الشيخ ابرهيم المنذر ، وكلهم نصارى ، وكلهم كبار

قال الشيخ اليازجي (الضياء السنة (١) الصفحة (٣٥٤):
« ويقولون أمعن فى الأمر وتمعن فيه أى تدبره وتقصى النظر فيه ، وربما قالوا تمعنه ، وأمعن فيه النظر . وكل ذلك غلط لأن الامعان بمعنى الابعاد فى المذهب ، وهو لا يستعمل إلا لازما . يقال : أمعنت السفينة فى البحر ، وأمعن الطائر فى الطيران إذا تباعد ، وقد يستعمل بمعنى المبالغة فى الأمر مجازا ، يقال : أمعن فى الطعام والشراب ، وأمعن فى الضحك . وأما تمعن فلم يثبت وروده فى شىء من كلام العرب »

(قلت) يقال : أنعم النظر فى الشىء لا أمعن النظر فيه . قالت (النهاية) ومنه الحديث : أمعنتم فى كذا أى بالغتم ، وأمعنوا فى بلد العدو وفى الطلب ، أى جدوا وأبعدوا . وقالت : « وفى حديث صلاة الظهر: فأبردَ بالظهر وأنعمَ أى أطال الإبراد وأخر الصلاة ، ومنه قولهم : أنعم النظر فى الشىء أى أطال التفكير فيه » وفى اللغة (التمعن) غير أن معناه التصاغر والتذلل انقياداً كما فى النهاية واللسان والتاج

٦ — قال هاشم العربى الشيخ اليازجى (كتاب البشرين الصفحة ٧٣) : « ولما كان محمد فى بادئ أمره يداريهم »

قال الشيخ اليازجى (الضياء السنة (٧) الصفحة ٣٥٤) :
« ويقولون فعل كذا فى بادئ الأمر أى فى أوله وبدئه ولا معنى للبادئ هنا لأنه اسم فاعل والمقام يقتضى المصدر أو الظرف »

قلت : قالوا : « وافعل هذا بدءاً وبادئ بدء وبادئ بدي » وفى (التاج) جل الصور لهذا التركيب . وفى (اللسان) : « وبادئ الرأى أوله وابتداؤه ، وعند أهل التحقيق من الأوائل ما أدرك قبل إنعام النظر ، يقال : فعله فى بادئ الرأى . وفى التنزيل العزيز : (وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأى) قرأ أبو عمرو وحده بادئ الرأى ومعنى قراءته أى أول الرأى أى اتبعوك ابتداء الرأى حين ابتدؤا ينظرون وإذا فكروا لم يتبعوك » قال العكبرى : « بادئ هنا ظرف وجاء على فاعل كما جاء على فعيل نحو قريب وبعيد وهو مصدر مثل العافية والعاقبة والعامل فيه أربعة أوجه »

٧ — قال هاشم العربى الشيخ اليازجى: (كتاب البشرين ٨٩) : « ويشفع فيمن يعترف من أهلها الأشقياء التمساء بعدل قضاء الله عليه »

قال الشيخ اليازجى (الضياء السنة (١) الصفحة (٣٢٤):
« ويقولون رجل تعيس وقوم تعساء وهو من أهل التعاسة ، وكل ذلك خلاف المنقول عن العرب . والمسموع عنهم رجل تاعس وتعس بوزن كتف وقد تعس بفتح العين وكسرها [١] ، والمصدر التعس بالفتح [٢] والتعس بالتحريك ، ويعدى الأول بالهمزة والثانى بالحركة [٣] تقول : تعسه بالفتح ، وهو متعس ومتعوس لم يحك فيه غير ذلك »

(قلت) : كتب اللغة المعروفة المطبوعة ـ ماعدا الجمهرة ـ لم تذكر التعيس . ولم أجد هذه اللفظة إلا فى كتاب ابن دريد وفى رسالة الغفران فى بيت لأحد الجن . . قالت الجمهرة : « ورجل تاعس وتعس وتعيس » وقال الجنى (أى أبو العلاء..)

حتى إذا صارت إلى غيره عاد من الوجد بجد تعيس [٤]

وإذا صحت اللفظة فاليازجى ينكرها فهو لايقولها ولا يقول جمعها ، لايقول : التعساء .

٨ — قال هاشم العربى الشيخ اليازجى (كتاب البشرين الصفحة (٤٤٥) : « وغير ذلك من معائب الكلام »

قال الشيخ اليازجي (الضياء ، السنة (١) الصفحة (٤٥٢)
« ويقولون فى جمع المنارة منائر ، وصوابه مناور بالواو كما يقال فى جمع مفازة مفاوز لأن حرف المد إذا كان أصلا لايهمز [٥] ومثله قولهم معائب ومشائخ ومكائد بالهمز أيضاً وصوابهن بالياء »

قلت : قال ابن يعيش : « ألا ترى أنك لاتهمز ياء معيشة بل تتركها ياء على حالها فى الجمع نحو قولك معايش لكون الياء فيها أصلا ، متحركة فى الأصل » وقد استعمل كتاب البشرين فى الصفحة (١٤٨) لفظة معايش صحيحة لأن مناط القرآن فى

---

(١) قلت : فى (الاساس) : الكسر غير فصيح

(٢) كذا ، وعندى أنه تطبيع

(٣) قلت : فى (المصباح) : وتعس من باب تعب وتتعدى هذه بالحركة وبالهمزة . وفى (اللسان) قال الازهرى قال شمر : لا أعرف تعسه الله ، ولكن يقال : تعس بنفسه . وفى (التاج) إذا خاطبت بالدعاء قلت : تعست كمنع ، وإن حكيت عن غائب قلت : تعس كسمع . قال ابن سيدة وهذا من الغرابة بحيث تراه ...

(١) من قصيدة مطلعها :

مكة أقوت من بنى الدرديس فما لجنى بها من حسيس

وفيها :

إنا لسنا بعدكم فاعلموا برقع فاهتاجت بتر بئيس

برقع بالكسر اسم السماء السابعة لاينصرف (الصحاح)

(٢) قلت : شذت مصائب ومنائر . قال ابن جنى : همزة مصائب من المصائب. فى (المصباح) : الاصمعى : أرى جمعها على مصائب من كلام أهل الأمصار . وفى (اللسان) : سيبويه حمل ماهو من هذا على الغلط

العربية وجدها وهو يطالع (الكتاب) ليظهر أغلاطه — كذلك فاستبقاها كما رآها ولما جاء إلى شبيهتها في قاعدتها همز ، وبل له ما أجهله !

٩ — قال هاشم العربي الشيخ اليازجي (كتاب المبشرين الصفحة (٢١٥) : « إذا حانت صلاة من هذه الصلوات دعاهم إليها المؤذنون من مآذن مساجدهم إذ لا يجوز عندهم قرع النواقيس كما تفعل النصارى »

قال الشيخ اليازجي (الضياء السنة (٧) الصفحة ٥١٥) : « إنما النواقيس جمع ناقوس وهو كما فسره صاحب القاموس خشبة كبيرة طويلة تقرع بخشبة قصيرة يقال لها الوبيل إيذاناً بوقت الصلاة ، وكل أحد يعلم أن هذا النوع هو مما لا يعرف له وجود في جميع أوربة »

(قلت) : لو كان مترجم (مقالة في الاسلام) وذو الذيل هو اليازجي ما قال (النواقيس) لأن اللفظة في الأعجمية هي (Bell) وسال منشيء (المقالة) يجهل الناقوس في الشرق ، ولا يعني إلا الذي عرفه في بلاده . فلن يستعمل اليازجي ما نقده ، ورأى أنه وضع في غير مكانه

١٠ — قال هاشم العربي الشيخ اليازجي (كتاب المبشرين الصفحة (٣٠) : « فكم من قائد جيش زحف عليهم فعاد عنهم بالفشل »

قال الشيخ اليازجي (الضياء) السنة (٥) الصفحة (٥٦٤) : « ومثل هذا لا يتصور من الفشل لأن معناه الجبن والفزع والضعف »

(قلت) : يقصد كتاب المبشرين أنه رجع بالخيبة ، والفشل في الأقوال العربية والمعجمات كلها : الجبن والضعف والفزع وما أشبه ذلك ، وهو فشل ـ بكسر الشين وسكونها للتخفيف ـ والجمع أفشال . وفي (الأساس) : دعي إلى القتال ففشل أي جبن وذهبت قوته ، وعزم على كذا ثم فشل عنه أي نكل عنه ولم يمضه

١١ — قال هاشم العربي للشيخ اليازجي (كتاب المبشرين الصفحة ٣٢٠) : « أفتدري بكم من سنة قبل أن أخلق قد كتب التوراة »

قال الشيخ اليازجي في مختصر (كتاب نار القرى في شرح جوف الفرا) : « إن كم تختص بجواز جرما بعدها باضمار من

وذلك إذا دخل عليها حرف جر نحو بكم درهم تصدقت قصداً للمشاكلة بينهما . غير أن النصب هو المختار ولا يجوز عند الجمهور إظهار من لأن الحرف الداخل على كم عوض عن التلفظ بها »

قلت : لن يقول اليازجي « ولا يجوز » ثم يجيز ، وقد قال سيبويه : « وسألته (يعني الخليل) عن (على كم جذع بيتك مبني) فقال القياس النصب ، وهو قول عامة الناس ، فأما الذين جروا فانهم أرادوا معنى (من) ولكنهم حذفوها ههنا تخفيفاً على اللسان ، وصارت (على) عوضاً منها . ومثل ذلك : الله — بكسر الهاء وفتحها — لا أفعل ، وإذا قلت لاها[1] اللهِ لا أفعل لم يكن إلا الجر ، وذلك أنه يريد لا والله ولكنه صار (ها) عوضاً من اللفظ بالحرف الذي يجر وعاقبه . ومثل ذلك آلله لتفعلن إذا استفهمت ، أضمروا الحرف الذي يجر وحذفوا تخفيفاً على اللسان ، وصارت ألف الاستفهام بدلاً منه في اللفظ معاقباً »

وروى ابن يعيش في شرح (المفصل) قول (الكتاب) مؤيداً .

وقال شارح (الكافية) : فكأن الجار الداخل على كم داخل على مميزه فالجر عند الزجاج بسبب إضافة كم إلى مميزه كما في الخبرية ، والمجوِّز قصدُ تطابق كم ومميزه جراً ، وعند النحاة هو مجرور بمن مقدرة » وقال محمد بن مالك :

وأجِزَ ان تجره (من) مضمرا
إن وليت (كم) حرفَ جرٍ مظهرا

وقد جاء مثل (الصبان) في آخر الزمان يقول : « وقيل يجوز نحو بكم من درهم اشتريت » وقد قال قبل ذلك : « ظاهره منعُ ظهور من عند دخول حرف الجر على كم وهو المشهور لأن حرف الجر الداخل على كم عوض من اللفظ بمن المضمرة »

« الاسكندرية » (***)

---

(١) ها : هي التي للتنبيه ، قال سيبويه : قدم (ها) كما قدم قوم ها في قولهم : ها هو ذا ، وهأنا ذا

تنبيه

في القسم الثالث ذهب شيء من كلام أبي علي الفارسي فليقرأ : فاذا خولف باعراب الأوصاف كان المقصود أكمل لأن الكلام عند اختلاف الاعراب يصير كأنه أنواع من الكلام وضروب من البيان وعند الاتحاد في الاعراب يكون وجها واحدا وجملة واحدة

تسهيل الدراسة الدينية

للأستاذ داود حمدان

بمناسبة ما أثير من جدل حول تيسير قواعد اللغة العربية يصح للانسان أن يبحث فى تسهيل الدراسات الدينية أيضاً ، فانها فى حالها الحاضر من الصعوبة والعقم بحيث تستدعى البحث وكثرة التفكير ، ولعل هذه الكلمة تفتح الباب للباحثين . والله الموفق

لا شك أن الدراسة الدينيـة فى حالها الحاضر صعبة ، وغير مؤدية إلى فائدة ، لا سيما فى تعليمها العالى ، وبالموازنة بين الماضى والحاضر يظهر الفرق العجيب

لما كان الرسول عليه الصلاة والسلام يقوم بتبليغ الدين ، عملاً بقوله تعالى : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) كان الرجل يأتى إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو على دين مما يعرف الجاهليون إذ ذاك فيمكث عنده ساعة من زمان يتلو عليه النبى فيها بعض آى القرآن الحكيم ، فيقوم الرجل من عنده وهو مسلم حسن الاسلام ، مؤمن كامل الايمان ، عالم بما أوجبه الله وما حرمه عليه[1]

واليوم يذهب المسلم المولود من أبوين مسلمين إلى أعلى معاهد العلم الدينى فيشتغل بضع عشرة سنة ، ثم يرجع إلى قومه وقد زادت الفوارق بينه وبين الدين كما زادت بينه وبين الناس

وكان الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ، فيتلقفون القرآن ويتدارسونه ، فيملأون الأرض علماً وحكمة ، كما يملأونها طهراً وعدلاً وصلاحاً

واليوم يتخصص أوفرهم ذكاء ، وأكثرهم اجتهاداً ، وأصبرهم على الدرس ، سنوات عديدة وقصاراه أن يحصل بعض ما علموه ، ويتحلى بحفظ بعض ما قالوه . واليوم يدرس الدارس بضع عشرة سنة ويظل العامي أكثر منه ورعاً وتقوى

بهذه الموازنة يظهر بكل وضوح أن تعليم الدين فى الماضى كان مؤدياً أجل النفع ، وأعظم الفائدة ، وأنه فى الحاضر قليل النفع والفائدة ، بل ضار أعظم الضرر

فإلامَ يرجع السبب فى هذا الاختلاف بين الماضى والحاضر ؟

هـذا سؤال لم يكن أحد ليعيا بالجواب عنه إذا علم من أين كان يؤخذ الدين بالأمس ، ومن أين يؤخذ اليوم

إن المسلمين كانوا يأخذونه من القرآن ، ثم صاروا يأخذونه من غير القرآن ، وما القرآن عندهم — والحالة هذه — إلا مادة كمالية . ومهما أنكروا هذا بألسنتهم فهم ملزمون به من عملهم . ألا ترون أن طالب العلم الدينى يدرس كتب الفقه ويعرف أحكام الدين — فى زعمهم — ويدرس كتب التوحيد والعقائد قبل أن يدرس القرآن وتفسير القرآن؟ بل ربما لا يحضر دروس التفسير أصلاً ، وإن هو حضرها فلا يستطيع أن يأخذ منها حكما واحداً لأن طريقتها لا تعود الاستقلال فى الفهم ولأنه نشأ على ذلك

فى صدر الاسلام كان النبى عليه السلام لا مادة عنده للدين غير القرآن ، فمنه كان يعلم الناس ، وبتلاوته عليهم كانوا يسلمون لما يأخذهم من روعة بلاغته ، وصدق لهجته ، والشعور باعجازه . وبالقرآن كان الصحابة ومن بعدهم يبلغون الدين . وفى تلك الأوقات كان النابغون فى علم الدين أكثر من أن يحصوا ، بل تستطيع أن تقول إنه لم يكن أحد حينئذ يقلد أحداً فيه ، وإذا جهل أحد شيئاً فانما كان يرشده العالم به للدليل ولا يلقنه الحكم تلقينا

ولما فشا التأليف ، وأكثرَ المتعلمون من قراءة الكتب التى ألفها أصحابها فيما استنبطوه من الأحكام الفقهية ، والمجادلات المذهبية ، نقص معدل النبوغ ، ثم صار يزداد نقصاً كلما كثرت المؤلفات الفقهية وأقبل النـاس على دراستها . فلما كان العصر الخامس بدت تلك القولة المجرمة الأثيمة ، ألا وهى سد باب الاجتهاد ، وصرح بعض الفقهاء أن الاجتهاد بعد الأربعمائة منقطع ، وذلك لضعف ثقتهم بأنفسهم ، وسوء ظنهم بالناس . فضعفت الهمم ، وما زالت الأمة إلى الوراء حتى عصرنا هذا . فالمسلمون من العصر الخامس حتى اليوم ، بل من العصر الثالث لا يأخذون الدين إلا من كتب الفقه والكلام طبقة عن طبقة ؛ فكل طبقة تنظر فى كلام سابقتها وتشرح أو تعلق أو تؤول ، حتى وصلنا الدين بحالته الحاضرة وبعبارة صريحة : وصلنا وهو بعيد عن القرآن ألفا وأربعمائة سنة . إى والله ،

(١) فى الوحى المحمدى قريب من هذا المعنى

ألفا وأربعمائة سنة نحن بعيدون عن القرآن ، وإن كنا نتلوه للتبرك ، وذلك بسبب الالتواء في الدراسة . وقد صدق علينا المثل العامي : تمسك من الدين بذيله : نترك رأس النبع وهو القرآن، ونأخذ من ذلك الرشاش المتطاير منه إلى أفهام الناس . أفلا ينظر المسلمون إلى أى هوة وصلوا من جراء هذا ؟ !

كانوا عند ما لحق الرسول بالرفيق الأعلى أمة واحدة ، لا يعرفون لهم إماما إلا القرآن . وأصبحوا لا تحصى فرقهم ومذاهبهم وشيعهم . ولكل فرقة أو شيعة إمام غير القرآن . لا يقولن قائل إن السبب فى بعض الاختلافات كان سياسياً . فان الاختلافات السياسية كان ينبغى أن تموت بموت سببها ، ولكن بقاء الكتب ودراستها فيما بعد ، دون دراسة القرآن الكريم بعقل مجرد عن تأثير تلك الاختلافات ، هو الذى أبقاها

وكان المسلمون لا يتركون القرآن إلى سواه ، ولا يبحثون عن حديث الرسول فى قضية ما إلا إذا لم يجدوا لها نصا فى كتاب الله ، كما كان يفعل أبو بكر وعمر وسائر الصحابة . فاذا اضطروا إلى حديث أخذوه بكامل التحرى . وأصبحوا اليوم (ولديهم مئات الألوف من الأحاديث) يجعلونها فى مرتبة القرآن ويختلفون: هل ينسخ الحديث القرآن أو يقيد مطلقه ويفصل إجماله ؟ ! وصاروا يؤولون كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ليوافق كلاما رووه ، ولو حققوا لما رووه . وذهبوا إلى أبعد من هذا فأولوا القرآن ليوافق مذاهبهم ونحلهم ، وأقربهم اعتدالا أول آية التيمم لتوافق المذاهب المعروفة وعدها من المشكلات[1] ، ولم يجز لنفسه أن يؤول تلك المذاهب لتوافق القرآن . ولعل أصحاب المذاهب لو انتبهوا لمخالفة القرآن لرجعوا إليه

وكان الدين سمحا سهلا قليل التكاليف ، يستوى فى فهمه البدو والحضر ، والأذكياء والبلداء، والمتعلمون والعوام ، لكونه دينا عاما لا يختص بطبقة دون طبقة ، ولا بقبيل دون قبيل . فمن المعقول ألا يختلف فى إدراك عقيدته ، ومعرفة تكاليفه أقل الناس إدراكا عن أعلاهم ذكاء ، ولكن الاختلاف إنما يكون فى طرق الاستدلال . فالفيلسوف يستدل على وجود الله بفلسفته، والطبيب بما يرى من دقائق تركيب الجسم ، والحراث مثلا يستدل عليه بما يقع تحت حسه من نبات وحيوان وكيفية نشأته ونظام حياته — أقول كان الدين سهلا ولكن كتب العقائد هى التى جعلته صعباً عسير الفهم ، لأنها من الكبر والاتساع بحيث تحتاج إلى سنين لدراستها ، ومن الدقة والعمق بحيث يُعيي فهمها الأذكياء والعباقرة . وكذلك الفقهاء الذين فرعوا الفروع ، وفرعوا من الفروع فروعاً (وولدوا البنات من الأمهات ، كما يقول ضارب الرمل) حتى فرضوا المستحيلات ، فهؤلاء قد طمسوا على سماحة الدين ، وجعلوه كثير التكاليف ، كثير الحشو . وأذكر مما يحضرنى الآن مسألتين : قالوا : بعد أن يتوضأ المتوضىء أينشف أعضاءه أم لا ؟ وجعلوها مسألة خلافية . ومن العبث والغفلة أن يقال إن هذه المسألة تدخل فى حساب الدين ، فالقصد الطهارة وقد حصلت بالوضوء ، ولا ينظر الدين إلى ماوراء هذا . والمسألة الثانية أنهم أدخلوا فى الدين ما ليس منه كمسألة الأزياء والملابس ، فألف بعضهم كتاباً فى سنية العمامة . وما لبس النبى العمامة إلا لأن بيئته كانت هكذا تقتضى ، ولو نشأ فى بيئة أخرى تلبس غير العمامة للبس كما يلبسون ، لأنه عليه السلام ماجاء لتغيير الأزياء ، ولكن لتغيير العقائد

بهذا الحشو وأمثاله امتلأت كتب الفقهاء ، وبهذا وأمثاله يضيع الذين يتعلمون العلوم الدينية زهرة شبابهم ، وصفوة عمرهم وقوة تفكيرهم ، حتى إذا انتهوا منه كانوا بعيدين عن الدين مراحل عديدة ، مقدارها اليوم ألف وأربعمائة سنة[1]

لقد جرى إصلاح فى منهج دراسة الدين فى بعض المعاهد الدينية ، وينبغى أن يجرى الاصلاح أيضاً فى مادة الدراسة الدينية ، وذلك يكون بأمرين : الأول : دراسة اللغة العربية بطريقة سهلة غير طريقة الكتب التى تدرس الآن . والثانى : دراسة القرآن نفسه ، وأخذ الأحكام والأخلاق والمعارف الدينية منه بقطع النظر عن المذاهب ، وطريقة ذلك كما يلى :

---

(١) راجع تفسير المنار ج ٥ ص ١٢٠

(١) المعقول أن العلوم تترقى ، وأن علم السابق يكون نواة فى علم اللاحق ولكن هذا لا يكون فى علم الدين ، لأن القرآن أعلى من مستوى كل العقول . فاذا ترك درسه لن تصل العقول إلى مثل هديه ، ومقتضى ترقي العقول أيضاً أن كل عقل لاحق يدرس القرآن نفسه فيستخرج منه نفائس عجيبة

١ — فى دور التعليم الابتدائى

من اللغة يعطى التلاميذ جملا وقطعاً من منثور الكلام البليغ بقدر ما تتسع طاقتهم لحفظه ، ومن الغلط أن يختار لهم من أقوال العصور المتأخرة ، فان القصد أن يقربوا من لغة القرآن ، وتتجنب الألفاظ الغريبة . وكل ما شا كل ألفاظ القرآن فهو مأنوس وليس بغريب . وكلما ارتقى التلاميذ زاد لهم فى المقدار الذى يحفظونه . وعند شرحه يشرح بكلمة أو كلمتين ؛ ويستطيع المعلم الحاذق أن يعين للتلاميذ موقع الكلمة من رفع أو نصب الخ باختلاف الجمل ، وبالتكرار تنطبع فى ذاكرتهم ، فيتعودون النطق الصحيح بسهولة ، وبممارستهم الكلام البليغ يتربى فيهم الذوق العربى . وبعد الثالث الابتدائى تشرح لهم الجمل شرحاً نحوياً بسيطاً ويزاد كلما ارتقوا . ومن الرابع فصاعدا تكون اللغة الفصحى لغة الدراسة فى جميع المواد ولغة التخاطب ، ويستعملون ما حفظوا من الكلام البليغ . وليس هذا غريباً بين العرب ، حتى ولا بين غيرهم ، فان الانكليزية لغة الدراسة والتعليم فى جميع مدارس الهند ، وليست أسهل من اللغة العربية . هذا من اللغة.

ومن القرآن يحفظ التلاميذ أكبر قسط يمكنهم على الترتيب: من سورة الناس فصاعدا . وتختار لهم الآيات التى فيها أحكام التكاليف وتشرح لهم بايجاز . وتختار لهم آيات أخلاقية وتشرح بايجاز

٢ — فى دور التعليم الثانوى

من اللغة يعطى التلاميذ الشيء الكثير من منثور القول ومنظومه على أن يكون من أقوال العصر الأول والثانى ، ويشرح لهم شرحاً يشمل النحو والمعانى بتحليل تتحمله عقولهم ، ويزاد كلما ارتقوا . ومن القرآن يحفظون قدراً كافياً مرتباً أو مختاراً ويدرسون آيات الأحكام بتوسع ، ويقدم الألزم فالألزم ، وتؤخر مثل أحكام الطلاق واللعان إلى السن المناسبة ، ويعودون الاستنباط بأنفسهم ، ويدرسون قسطاً وافراً من آيات الآداب والأخلاق والعبر ، والآيات الكونية والاجتماعية ، ويحفظون شيئاً من الأحاديث المختارة فى الأدب والاجتماع ، وتكون لغة الدراسة والتخاطب اللغة الفصحى كما سبق

٣ — فى دور التعليم العالى

(وهذا لا يكون إلا فى معاهد العلم الدينى ، لأن غيرها لا تدرس الدين عادة فى الصفوف العالية) فى هذا الدور تدرس آداب اللغة العربية بتوسع ، وأعنى الآداب نفسها ، لا تاريخها ، فان دراسة تاريخ الآداب شيء قليل الفائدة ، وتشمل دراسة الآداب دراسة الحديث الشريف على أنه نمط من أنماط الكلام البليغ . ويدرس القرآن كله بلا استثناء دراسة وافية تؤخذ منها العلوم والمعارف الاسلامية ، والبدائع اللغوية ؛ ويراعى فى هذا الدور أن يكون التدريس مجرد إرشاد لطريق الاستنباط وتطبيق القواعد . ويطالب الطلبة بالاستنباط بأنفسهم ، وبمعرفة الخطأ والصواب بعرضه على مقاييس العلم والأدب . ويدرس الحديث على أنه مادة من مواد الدين تؤخذ منها الأحكام والحكم والمواعظ، ولكن ينبغى أن تكون شروط صحة الحديث غير الشروط الحاضرة فيحذف أولا كل ما نشأ أو يظن أنه نشأ عن أسباب سياسية ، أو لتأييد فرقة ، أو بقصد الهدم كالاسرائيليات ، ثم يجعل للمعنى حظ من الاعتبار كما للرواية ، أى ليس كل ما استكمل شروط الرواية كان صحيحاً حتى يستكمل شروط صحة المعنى أيضاً . وفى هذا الدور يدرس النحو فى بعض الكتب المعتبرة المؤلفة قديماً تثبيتاً لما تلقنوه من القواعد أثناء الشرح ، وزيادة فى البحث ، وفى نهاية هذا الدور أو فى دور التخصص تدرس بعض كتب الفقه والأصول والتوحيد للاطلاع والبحث . لا لتأثر خطواتها وتقليدها

بهذا تسهل دراسة الدين وتؤتى أكلها باذن ربها ، ويلاحظ هنا أن الكلام فى دراسة الدين وأنه ليس المقصود أن تقتصر الدراسة فى المدارس على مادتى اللغة والقرآن فان مواد العلوم الأخرى لها مكانها من برامج الدراسة

ليس المجال متسعاً للتفصيل والشرح فهذه اقتراحات يمكن نقدها وتحسينها والزيادة عليها ، ولكن لا يمكن قط أن يقال : إن دراسة كتب الفقه أجدى فى الدين من دراسة القرآن

وأحب أن ألفت النظر إلى أنه ليس بيننا وبين التابعين الأولين فى علوم القرآن إلا إتقان اللغة العربية ، وأنها ليست صعبة كما يتصورون ، وأن ثلاث سنين تكفى لاتقان علومها إذا هذبت

البحث عن غـــد

للكاتب الانكليزى روم لاندو
للأستاذ على حيدر الركابى

— ٥ —

الفجر فى سورية

المجاهر

إن للسياسة أثراً بليغاً فى تفكير السوريين لا يجاريها فيه شىء، فان سورية كلها تشكو من مرض واحد هو شدة الحيوية السياسية . وهى الحيوية التى ما زالت فى الشرق الأدنى مطلقة لا تقيدها عوامل ضبط النفس أو الشعور بالمسئولية المدنية (Civic Conxionsness)

إنه لمن الصعب جداً معرفة الفروق الرئيسية التى تفصل الحزب الحاكم عن المعارضين الذين لايسمح لهم بأن يمثلوا فى مجلس النواب . ومع ذلك فان الطموح الشخصى وميل البعض إلى الشعوذة قد حملا كلا الفريقين على الاعتقاد بأن الفوارق بينهما عظيمة كما أن كل جهة راحت تتهم الأخرى بسوء الائتمان وتزعم أنها هى الممثلة الوحيدة للوطنية الحقة — وبهذا تقيم الأحزاب البرهان على أنها تحافظ على التقاليد الشرقية تمام المحافظة

ومن أعظم ما أدهشنى فى سورية الرغبة الشديدة عند رجال السياسة فى الاعلان عن آرائهم . ومع أن البعض نبهنى إلى أنى لن أحظى من السوريين إلا بتصريحات عامة وغامضة فقد وجدت السياسيين يندفعون فى الحديث بعد مضى خمس دقائق أو عشر على بدء اجتماعى بهم ويصرحون بما يزيد على مطلوبى، فكان علمهم بأنى رجل محايد لا أهتم بالسياسة كثيراً يدفعهم إلى الاعتراف أو الشرح أو الاتهام . وعلى كل حال فقد كان لهذه الاعترافات عندى أهمية كبرى من الناحية النفسية إذ أنها أطلعتنى على بعض الأمور التى سيكون لها أثر فعال فى حياة العرب السياسية فى المستقبل وإن كانت هذه الأمور نفسها غير واضحة تماماً الآن

وقد وصلت الصراحة ببعض السياسيين إلى حد أنهم بينوا لى الوسائل التى يودون تسخيرها للنيل من سمعة الحزب المستولى على الحكم . وبالرغم من أن تهديداتهم كانت فارغة وأنها ربما لن تتجاوز حد الكلام إلا أنها كانت دليلا قاطعاً على فقدان روح المسئولية فى الأسلوب السياسى المتبع . فالمعارضون يعتبرون القابضين على زمام الحكم فى عداد الخونة، وهؤلاء يعتقدون أن الواجب يدعوهم إلى اتخاذ أى تدبير كان ماداموا يعتقدون فيه الصلاح . وعلى هذا فان كلا الفريقين يسير على غير بصيرة فى طريق ينهى عنه العقل السليم ويجمل ادعاء كل منهما الاخلاص فى العمل على نفع الأمة وزعمه أنه مستعد للموت فى سبيلها كلاماً بلا معنى

لقد ظهر لى أثر العاطفة المتطرفة فى السياسة بجلاء لما زرت أحد أعداء الحكومة وكان من قواد الثورة على الفرنسيين عام ١٩٢٥ . ولو لم يؤكد لى أشخاص مختلفون بأنه كان يقود الحملة تلو الأخرى ضد الفرنسيين لما صدقت قط أن هذا الرجل كان فى يوم من الأيام مصدراً عظيما لقلق القيادة العسكرية الفرنسية فقد استقبلنى عند مازرته فى ساعة متأخرة من الليل بجلباب من الحرير الأبيض الفاخر الوشى بخيوط حمراء وذهبية وكان يقطن (شقة) حديثة فخمة . وهو خريج جامعة ألمانية مشهورة ولكنه يتكلم الانكليزية بسهولة وعذوبة تتناسب مع سكناه فى منزل جميل وارتدائه الحرير الأبيض لاستقبال الضيوف الأجانب ذكرت لمضيفى بعض رجال الحكومة فانفجر واتهمهم بالخيانة

طرق تعليمها كما قال الأستاذ الامام محمد عبده

ولا أحدثكم بعد عن الفوائد التى نجنيها من إتقان اللغة العربية ودراسة القرآن ، فان الهداية والتقوى تكون ملازمة للعلم بأحكام الدين الملازمة ذكرها فى آية واحدة أو آيتين متجاورتين ، ولما يغمرنا من الشعور ببلاغة القرآن وسلطانه على النفوس ، ثمرة ذوقنا اللغوى الذى نكتسبه من ممارسة اللغة . أما الفوارق المذهبية والشيع المختلفة فانه يقضى عليها باذن الله ، ويصبح المسلمون — كما كانوا — أمة واحدة يتعاونون على البر والتقوى . والله الموفق

« فلسطين » داود حمدان

وسوء الائتمان، وعند ما سألته عن الوسيلة الناجعة لإزالة الفساد المالى من حياة سورية السياسية أجاب على الفور وبلا تردد :

— « يجب أن نقتل هذه الفئة المسيئة أولا »

فأخذتنى الدهشة وسألته :

— « ومن تقصد بذلك » ؟

— « الذين بيدهم الحكم فهم لا يعملون إلا لتحقيق مصالحهم الخاصة »

— « ولكن ، ليس من المعقول أن ترغب فى قتلهم لمجرد اعتقادك أنهم غير نزيهين »

— « القتل هو الطريقة الوحيدة لتعليمهم النزاهة فى الحكم. يجب أن نقتلهم ، وسنقتلهم عند ما يحل الميعاد »

— « وهل تعتقد حقاً أن القتل ما زال فى هذا العصر الحديث أحسن وسيلة للتهذيب السياسى » ؟

— « نعم ، ففى الشرق الأدنى لم يزل القتل أحسن واسطة. إنه ليس من المؤكد أن ننفذ القتل فى هذه السنة أو التى تليها ولكنك عند ما تعود إلى سورية بعد بضعة أعوام ستشهد بعض التبدلات الخطيرة، وربما وجدت بعض الأشخاص الذين تعرفت إليهم هذه المرة قد انتقلوا إلى غير هذا العالم »

لقد تفوه بهذه العبارات القاسية بكل هدوء، مثله فى ذلك مثل البط البرى الذى لا تؤثر المياه فى أجنحته عند ما يغطس فى البحيرة . وقد اتضح لى أنه لا يعترف بأية صلة بين الدعوة التى أخذ يبشر بها وبين ما يترتب على تطبيق وسائلها من عواقب مخيفة، فهما فى نظره أمران لا ارتباط بينهما .

مما لا شك فيه أن لشخصية هذا الرجل جاذبية قوية يعترف بها أعداؤه أنفسهم . وكانت حقيقته تخفى على الناس بفضل الجاذبية وبفضل طريقته فى الكلام عن أهم معتقداته بلهجة عادية كأنه يشرح أمراً بسيطاً . لقد وخط الشيب رأسه ، ومع ذلك فقد كانت حركاته كحركة الفتيان تدل على قوة العضل ومرونته . إنى صدقت القصص التى رواها لى عن عمله مع لورنس إذ كانا يشتركان فى نسف القُـطُـر العثمانية والتمتع بنشوة الحرب والقتل

يتحلى هذا الرجل بكل الصفات الخيالية التى تجمل فى الثائر العربي فتنة للزائر الأجنبى ، وخصوصاً إذا كان هذا الزائر جاهلاً بما هو مخبوء وراء ذلك السحر الخارجي . إنى لأذكر فى هذه المناسبة العبارة التى قالها رجل بريطانى عقب زيارته لمفتى فلسطين: « يا لها من عيون بريئة ! يا له من وجه صبوح جميل ! » لم تكن عيون مضيفى فى دمشق بريئة ولكنه كان يتغنى بالآداب الاجتماعية التى لقنته إياها المدنية الغربية ، ومع ذلك فان تمدينه الظاهر الذى يتنافى مع ما يخفيه من غرائز أولية ربما كان عائقاً يؤخر إصلاح الشرق أكثر من الوطنية المتطرفة المصحوبة بالنية الحسنة التى يتصف بها فخرى البارودى . ومع أن هذا المضيف قد استنشق الهواء فى جامعات أوربية مختلفة وكان يتنقل بين أثاثه الفخم بكل ثقة واطمئنان فهو لم يتعلم بعد أن القتل لم يعد هو الوسيلة الوحيدة لتعليم السياسيين الأخلاق . إن أمثال هذا الرجل ليعرقلون المساعى المخلصة التى يبذلها المستنيرون من العرب

لقد أدركت عند ختام زيارتى دمشق السبب الذى جعل سورية تخرج هذا العدد الكبير من قادة السياسة فى البلاد العربية، كما أدركت الداعى لاعتبارها ركناً من أركان الحركة العربية الحديثة : إن فى العقل السورى لفطنة ، وإن فى أكثر رجال السياسة فى سورية لمضاء فى العزيمة لم ألحظه فى مصر؛ وخيل إلى فى فلسطين أنه موقت يزول بزوال الظروف الحاضرة . إن جميع الصفات التى تميز الخلق العربى بارزة في شخصية السوريين بكل وضوح وجلاء، ومما لا شك فيه أنهم سيلعبون دوراً رئيسياً فى حياة الشرق الأدنى المستقبلة

إن طبيعة السوريين والظروف التى أحاطت بهم جعلت منهم شعباً ثائراً ، ولهذا كان منتظراً أن يعجز الفرنسيون عن إدارة سورية فى جو هادئ . غير أنه لا يمكن اعتبار فرنسا وحدها مسؤولة عن تمرد السوريين وما أنتجه من حركات منذ عام ١٩٢٠، كما أنه ليس من المؤكد أن تنتهى المنازعات الداخلية بعد نيل سورية استقلالها التام عام ١٩٣٩ إذ أن السوريين فى أشد الحاجة إلى كثير من التهذيب السياسى والاعتياد على ضبط النفس ليصونوا البلاد من التفكك الداخلى . إن أمثال الدكتور الكيالى يجب أن يجدوا ويجتهدوا لكى يجعلوا الصداقة الأبدية مع فرنسا التى يدعو إليها المسيو إده في لبنان بأعلى صوته غير ضرورية لسورية

« يتبع »

على حيدر الركابى

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ - ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ٤١ —

رسائل القراء إليه :

المحامي الشاعر الأستاذ ابراهيم ... شاب له خلق ودين ، وفيه اعتزاز بالعربيـة والاسلام ؛ فهو من ذلك يحب الرافعي وينتصر له ، ويتتبع بشوق وشغف كل ما ينشر من كتب ومقالات . ولـكنه مع ذلك يحب العقاد وينتصر له ، ووراء صاحب مذهب في الشعر ورأي في الأدب ، جديراً بأن يتأثر خطاه ويسير على نهجه. وليس عجيبا — فيما أظن — أن يجتمع الرأي لأديب من الأدباء على محبة الرافعي والعقاد في وقت معاً ، كما أنه ليس عجيبا أن يتمادى الرافعي والعقاد أو يتصافيـا ما دام لـكل منهما في الأدب طريق ومذهب ؛ ولن يمنع ما بينهما من العداوة ، أو من الصفاء ، أن يكون لـكل منهما قراؤه المعجبون به ، أو يكون لهما قراء مشتركون يُعجبون بما ينشىء كل منهما في فنون الأدب ؛ وإنما العجيب أن يبلغ إعجاب القارىء بالـكاتب الذي يـؤثره إلى درجة التعصب ؛ فلا يعتبر سواه ، ولا يعترف لغيره أن يكون له مكان بين أهل الأدب ...

على أن شأن صاحبنا المحـامي الشاعر الأستاذ ابراهيم مع الرافعي والعقاد يبعث على أشد العجب وأبلغ الدهشة ... إنه يحب الرافعي ويـؤثره ، ويعجب به إعجابا يبلغ درجة التعصب ؛ وإنه يحب العقاد كذلك ويعجب به ويتعصب له ... لـكل منهما مكانه من نفسه ، مكانٌ لا يتسع إلا له ، ولا يزاحمه فيه خصمه ؛ ولـكنه يحبهما معاً ، ويعجب بهما معاً ، ويتعصب لهما معاً !

رأيان يتواثبان ، وشخصيتان تتناحران ، وإسراف في التعصب لـكل منهما على صاحبه ؛ فأين يجد نفسه بين صاحبَيْه اللذين يؤثر كلاً منهما بالحب والاعجاب والاستاذية ؟

صورة طريفة وقفتُ عليها فيما وقفتُ بين رسائل الرافعي !

هذه رسالة من الأستاذ ابراهيم إلى الرافعي يقول فيها [١] :

« سيدي ، إنني أحبك ، وأعجب بك ، وأتعصب لك ؛ ولكن موقفك من العقاد ياسيدي ... ليت شعري لماذا تتخاصمان ؟... لقد كنت على حق ... ولـكن العقاد على حق ... هل تأذن لي أن أكون رسول السلام بينكما ؟ »

ثم لا تمضي أيام حتى يعود فيكتب إلى الرافعي رسالته الثانية :

« معذرة ... إنك لتتجنى على العقاد تجنيا ظالمـا ، فما لك وجه من الحق في عدائه والحملة عليه . لقد عقمت العربية فلم تنجب غير العقاد ... وإنك أنت ... إنك كبير في نفسي ، كبير جداً ، وإني لأقلب تاريخ العربية بين يديّ فلا أجد غير الرافعي ... أنت ... والعقاد ... أين ترى يكون اللقاء ؟ »

وعلى هذا المثال قرأت لصاحبنا المحامي الشاعر بضع رسائل بين ما خلف الرافعي من أوراق ، تملأ النفس عجبا ودهشة . وآخر ما وصل إلى الرافعي من رسائله ، رسالتان ، كتب إحداهما في المساء ، وكتب الثانية في صباح اليوم التالي ؛ ولولا خط الـكاتب ، ونوع الورق ، وخاتم البريد ، لما حسبتهما إلا رسالتين من شخصين لو أنهما التقيا في الطريق لتضاربا بالأكف ... !

على أن الرافعي مع ذلك كان يرد على رسائله ! ووددت لو ينشر صاحبنا بعض رسائل الرافعي إليه !

***

والآنسة الأديبة ف . ز. معلمة في إحدى مدارس الحكومة كان أبوها زميلا للرافعي في محكمة طنطا ، وكان بينهما صلة من الود ، فلما مات لم تنس ابنته صديق أبيها ، فكانت تستعينه في بعض شؤونها ، ومن ثمة نشأت بينهما مودة ، فكانت تراسله ويراسلها ، ومن رسائلها إليه كان له علم جديد في شئون وشئون .

صحبته إلى زيارتها مرة في ليلة من ليالي الشتاء ، مع الصديقين كامل حبيب وسعيد الرافعي ؛ فلقيناها مع بعض صديقاتها ، وكانت جلسة طالت ساعات ، أعتقد أن الرافعي قد أفاد منها بعض معانيه في قصة « القلب المسكين ! »

***

(١) ليست الرسائل تحت يدي في اللحظة التي أكتب فيها هذا الفصل ، ولـكن ما أحكيه بعد هو ترجمتها في نفسي كما قرأتها منذ قريب .

. . . وقد أنشأت هذه الرسائل بين بعض قرائه وبينه صلات عجيبة من الود؛ فهو منهم أب وصديق ومعلم ومشير؛ وجلس على « كرسي الاعتراف » فترة غير قصيرة من حياته، تفتحت فيها عيناه على كثير من حقائق الحياة لايبلغ أن يصل إليها من رحل وطوف. وكان له فى كل دار أذن، وعلى كل باب رقيب عتيد! ولست بمستطيع أن أفسر سرّ هذه الثقة العجيبة التى ظفر بها الرافعى من قرائه؛ ولكنى أستطيع أن أجزم بأنه كان أهلا لهذه الثقة؛ فما أعرف أنه باح بسرّ أحدٍ فسماه أو عرّف به، وما أطلع على رسائل قرائه أحداً غيرى إلا قليلا من الرسائل كان لايرى بأساً من إطلاع نفر قليل من أصحابه عليها لغرض مما يستجرّه إليه بعض الحديث فى موضوعها؛ بل إن كثيراً من هذه الرسائل قد أخفاه عنى - وما كان بينى وبينه حجاب أو سرّ - فما عرفت خبرها إلا بعد موته. ويستطيع أصحاب هذه الرسائل أن يطمئنوا إلىّ؛ فستظل أسرارهم - فى يدى - مصونة عن عيون الفضوليين، فلن أتناول الحديث عنها إلا من حيث يدعونى الواجب لجلاء بعض الحقائق في هذا التاريخ.

وكان له مراسلون دائمون . . يجدون الكتابة إليه جزءاً من نظام حياتهم، فلا تنقطع رسائلهم عنه، ولا يخفى عليه شىء من تطوّرات حياتهم، وقد أكسبهم طول العهد بالكتابة إليه شيئاً من الأنس والاطمئنان إليه كما يطمئنون إلى صديق عرفوه وجرّبوه وعايشوه طائفةً من حياتهم؛ وإن القارىء ليلمح فى هذا النوع من الرسائل الدّورية التى يبعث بها إليه هؤلاء الأصدقاء الغرباء، مقدار ما أثر الرافعى فى حياتهم منذ بدأتْ صلتهم به، فتطورت بهم الحياة تطورات عجيبة؛ وأدّى الرافعى إليهم دَينه وأثر فيهم بمقدار ما كان لهم من الأثر فى أدبه وفى حياته الاجتماعية. وإنى لأضرب مثلا لواحدة من هؤلاء الأصدقاء:

فتاة من أسرة كريمة في دمشق، نشأت فى بيت عز وغنى وجاه، وهى كبرى ثلاث نشأن نشأة يفاخرن بها الأتراب؛ ثم تقلبت بهن الحياة فاذا هن بعد الغنى والجاه ناسٌ من الناس . . واضطرت الكبرى أن تخرج إلى الميدان عاملة ناصبة لتعول أسرتها، وكان لها من ثقافتها وتربيتها مُعينٌ ساعدها دون أختيها فى ميدان الجهاد؛ وعلى أنها كانت أجمل الثلاث وأولاهن بالاستقرار فى بيت الزوج الكريم فقد سبقتها أختاها إلى الرفاء والبنين والبنات وظلّتْ هى . . وما كان ذلك لعيب فيها ولكنه سرٌّ لم يلبث أن انكشف لعينيها: لقد كانت هى وحدها من دون أختيها التى تستطيع أن تعول أسرتها لأنها عاملة . . . وتألمتْ حين عرفت السرّ ولكنها كتمت آلامها وظلت « صابرة »، ومضت الأيام متتابعة والأمانىّ تخلف موعدها؛ وتحركت فيها غريزة الأمومة ولكنها قمتها بإرادة وعنف ومضت تصارع الطبيعة وتتحدى القدر بعزيمة لاتلين؛ ولكنها لم تلبث أن أحسّت بوادر الهزيمة بعد طول الكفاح فشرعت قلمها العذب وكتبت رسالتها الأولى إلى الرافعى بامضاء « الصابرة »

وقرأ الرافعى رسالتها ثم قص علىّ خبرها وتندّت عيناه بالدموع: يالها من فتاة باسلة!

وأجابها الرافعى على رسالتها بتذييل صغير فى حاشية إحدى مقالاته في الرسالة . . وعادت تكتب إليه وعاد يجيبها وتوالت رسائلها ورسائله وقد كتم اسمها وعنوانها عن كل أحد - وكانت كتبته إليه في ورقة منفصلة في إحدى رسائلها لتمزقه وحده إن عناه أن يحتفظ برسائلها - وكان لها الرافعى كما أرادت: أباً وصديقاً ومرشداً ومشيراً؛ ولم يأبَ عليها فى بعض رسائله أن يتبسط فى الحديث إليها عن قصة «القلب المسكين» لعلها تجد فيما يكتب إليها من شئونه عزاء وتسلية.. وتمزّتْ المسكينة عن شىء بشىء، وثاب إليها الاطمئنان والشعور بالرضا. وبدا فى رسائلها لون جديد لم يكن فى رسائلها الأولى. وأخذت تكتب إليه عن كل شىء تحس به أو تراه حولها، وتستشيره فيما جلّ وماهان من شئونها، فى سفرها، وفى إقامتها، وفى رياضتها، وفى عملها، وفى يقظتها، وفى أحلامها . . فى كل شىء كانت تكتب إليه، سائلة ومجيبة، ومخبرة ومستشيرة، حتى فى صِلاتها مع صديقاتها وأصدقائها، وفى الخطّاب الذين يطرقون بابها يطلبون يدها . . ولم يكن يضنّ عليها بشىء من الرأى أو المشورة . .

وكان للصابرة جزاء ما صبرت، وتحققت أمانيها على أكمل ما تتحقق أمانى إنسان، وجاءها العروس الذى لم تكن أحلامها

تتطاول إليه فى منامها ، وبرق فى إصبعها خاتم الخطبة ، فانبهرت منه عيون ! لا أريد أن أذكر من صفات خطيبها حتى لا أعرّف بها وبه ، وليس من حق أن أكشف ما تريد هى أن يظلّ مستوراً ... لو قلت إن خطيبها كان وزيراً لما بعدْتُ !

واستمرت تكتب للرافعى والرافعى يجيبها ... حتى رسائل خطيبها إليها كانت تبعث بها إلى الرافعى ليشير عليها كيف تجيب، وحتى برنامجها قبل الزفاف وبعده كان بمشورة الرافعى ورأيه ...

وجاءته آخر رسالة منها ، مؤرخة فى ٣/٤/١٩٣٧ (نعى الرافعى فى ١٠/٥/١٩٣٧) تقول فيها :

« الصديق الكريم ...

« ما أحلى دعوتك يا صديقى وما كان أشدها تأثيراً على نفسى ! لقد شعرت وأنا أقرؤها بسرور عميق ، وتركز فى ذهنى أن هذه الدعوة مقبولة ... ما أسعدنى إذا صرت فى المستقبل أما

« أعتقد أنك تعرف تماماً أن حنينى للزواج فيما مضى وتمردى وثورتى على هذه الحياة ، لم تكن إلا لأنى رأيته وسيلة للحصول على الطفل ؛ فقد تنبهت فىّ غريزة الأمومة بشكل هائل ؛ تصور يا أستاذى ، صرت أكره الأطفال لأنى ليس لى بينهم ولد ؛ وكنت إذ أرى أمًّا تعانق طفلها وتضمه إلى صدرها أحس بألم مرير يحز بقلبي ويكاد يقطعه . وكثيراً ما كنت أتشاغل وأشيح بوجهى حتى لا تقع عينى على هذا المنظر . لست حسودة والله ، ولكن شدة إحساسى كانت تجعلنى بهذا الوضع ... أما الآن فأنا مسرورة لأقصى حدود السرور ، وأتمنى لو أنثر الخير والسعادة على الجميع ... ...

« ... والله يعلم أن ليس لى أى غاية مادية من وراء هــذا الزواج ، وليس قصدى منه إلا الحماية والستر ، لأنى مللت ومرض قلبي من فضول الناس ... »

وكانت على نية زيارة مصر لتزور الرافعى مع زوجها ، اعترافاً بحقه عليها ، ولكن القدر لم يمهله حتى يحين الموعد ، وحان أجله قبل أن ينظر بعينيه الفتاة التى تبدناها على بعد الدار وشغلته أحزانها بضع سنين ، فلما ابتسم لها القدر وتحققت أحلامها ناداه أجله وما شاركها ابتسامة الفرح وتهاني المسرة ... !

تقول له فى رسالتها المؤرخة ١٥/١/١٩٣٧ :

« الصديق الكريم ...

« ... ولماذا أخشى هذه المقابلة يا أستاذ ! وهل أنت مخيف لهذه الدرجة ... ! على كل حال إذا وجدت ما يرعبنى فسأختبئ وراء (زوجى) ولا بد أنه يحسن الدفاع عنى . لا ، لا ، سألبس درعاً متينة تقينى (شرّ) هذه المغناطيسية القوية ، ولكنى أخاف يا أستاذى أن يكون الحــديد أكثر انجذاباً ، وأكون حينئذ أسأت من حيث أردت الاحسان ... صحيح أننى معجبة ، ولا أزال ، وسأبقى دائماً ، ولكن ألا ترى أن الاعجاب و ... قد يتفقان أحياناً وقد يختلفان ؟ ثم أليس ! ... معان كثيرة وأساليب عديدة ... ؟

« تريد رأيى فى صاحب القلب المسكين ؟ أنت تعرفه جيداً فلماذا تريد إحراجى ... ؟

« الجمال ليس مدار بحثنا ، وليس له أهمية قل أو كثر ، ومع ذلك فصاحب القلب المسكين يتمتع بقسط وافر منه . إسمع ، سأبدى رأيى . لا لا ، ما بدّى أقول ، أستحى ... ! »

وكانت تعرف من أمره مع (فلانة) ما قص عليها فى رسائله وفى رسائلها حديث كثير عنهــا ، وقد زارتها مرة عن أمره لتنبئه بخبرها ...

وأعتقد أن فى رسائله إليها ما يكشف بعض الغموض فى قصة الرافعى و (فلانة) ويكون فيه برهان إلى براهين لدينا ؛ فحبذا أن تتفضل السيدة الكريمة بالنزول عن حقها فى هذه الرسائل فتهديها إلينا لتتم لنا بهذه الحلقة المفقودة سلسلة التاريخ ! إنها أديبــة وعالمة ، وإنها بذلك لتعرف حق التاريخ وحق الأدب عليها فى هذه الرسائل ، ولها علينا ما تشترط فنُوفيه ، فلعل صوتى أن يبلغ إليها فى مأمنها . ضمن الله لها سعادتها وحقق لها ما بقى !

***

هذه قصــة فتاة يجد القارىء بين أولها وآخرها أشتاتاً من تاريخ الرافعى ؛ وفيها مثال يبين معنى ما سميته (النقلة الاجتماعية) فى حياة الرافعى بمــا كان بينه وبين قرائه من صلة الرسائل . على أن هذه القصة بخصوصها كان لها من عناية الرافعى حظ أيُّ حظ. وقد كان على أن يكتب ــ بما اجتمع له من فصول هذه القصة ــ

الى شباب القصصيين

كيف احترفت القصة

قصة السير « هيو والبول »

للأستاذ أحمد فتحي

— ١ —

تنقل إلى القراء فى هذا المقال وما يعقبه سلسلة فصول تنشرها إحدى الصحف الأدبية الكبرى فى لندن ، على أسابيع ، متضمنة جواب استفتاء وجهته إلى تسعة من كبار القصصيين الانجليز ، راجين أن ينتفع شبابنا من عشاق القصة وكتابها بهذه الفصول المترجمة بكل أمانة وإتقان

فى أوائل السنة القادمة : أى بعد بضعة أسابيع ، أرجو أن يُتاح لى الاحتفال بانقضاء ثلاثين سنة على ظهور قصتى الأولى

وإن يكن قد مضى على هذا الحادث الهامّ فى تاريخ حياتى كلُّ هذا الزمن الطويل الذى يجعل من العسير أن أستدعى ذكرياته على وجه التحقيق ، فاننى أستطيع أن أذكر كلّ شيء بغاية الوضوح !

وحين يسألنى الشبان ، كما يفعلون كثيراً ، عن طريقة لفت الجمهور إلى قصصهم الأولى ، وعما صنعت أنا نفسى فى مثل ذلك ، يعود بى خيالى طائراً إلي الوراء ، حتى ليُخَيَّلُ الى أنه الأمس القريب ، حين عدت إلي بيتى فى « رِشلِسِى » ووجدت ما سيجده القراء مفصّلاً فى هذا المقال ...

* * *

من المحقق أن القصة الأولى التى أخرجتها لى المطبعة لم تكن أوّلَ أعمالى القصصية . فلقد بدأتُ أعالج كتابة القصة منذ طفولتى المبكرة . ولكننى لم أضع قصتى الناضجة الأولى إلا حين كنتُ فى « ليفربول » ، بعد أن فرغتُ من دراستى فى « كيمبردج »

ولقد كان سفرى إلى « ليفربول » بسبب أن أبى كان يحبُّ لى أن أكون قسيساً ! وأن أتنكّر « لادّعائي » الكتابة ! ولهذا التحقتُ باحدى البعثات الدينية لرجال البحرية ، وامتطيتُ ظهر السفن لأداء واجبي كرجل من رجال الدين . واتصلت بكثير من النوتيّة المرحين فى أماسى الآحاد السعيدة . غير أننى لم أصادف نجاحاً يُذكر! بسبب ما كنت أُحِسُّه من اندماجى مع مشاعر فتيان البحار ، وبسبب أننى لم أكن سعيداً أبداً لايمانى بأنى سأكون « قسّيساً » فاشلاً ، مما بعث فى نفسى مضاضة وحزناً !

ولقد عاونتنى الأمسية التى كنت أقضيها فى بيتى على كتابة سبعة فصول من قصتى الأولي ، وكان اسمها « الدير » ، وقد ثبت عندى أنها كانت بشيراً بأخرى كتبتها بعد ذلك بأمد اسمها « الكاتدرائية » ، وبعد هذه الفصول السبعة ازدحمت فى ذهنى شخصيات كثيرة من أبطال قصة « الدير » وأخذت تختلط وتختلط حتى فقدت قيمتها ومميزاتها . ولقد علّمنى ذلك شيئاً . والحق أن الفصل الأول من هذه القصة قد احتفظ به ذهنى حتى جعلت منه « الفصل الأول » فى قصة أخرى كتبتها بعد ذلك باسم « الفضولى » !

ولما أدرك أبى أننى لا يمكن أن أكون قسيساً ، ظن أننى قد أصلح لأكون مدرساً ! ومِنْ ثَمّ وجهنى إلى ألمانيا وفرنسا لأتعلم لغة كلٍّ من البلدين العظيمين . ولكننى لم أتعلم لغة هذه ولا تلك ، وإنما كتبت قصة طويلة كاملة اسمها « تروى هانتون » !

* * *

مقالة بعنوان « الصابرة » جمع لها فيما جمع من نثار الأفكار قدراً غير قليل ، وما أخّره عن كتابتها إلى أن وافاه الأجل إلا انتظار الخاتمة فيما أظن ، وإلا شدة احتفاله بهذا الموضوع . وهكذا نجد أن شدة احتفال الرافعى بموضوع ما يكون سبباً فى تسويفه عن كتابته أو عن تمامه :

كان يحتفل بكتابة « أسرار الاعجاز » فلم يتمه ، وبعقالتى « الزبال الفيلسوف » و « الصابرة » فلم يكتبهما ؛ ولكن التاريخ لم ينس له .

شبرا — محمد سعيد العريان

* * *

ظن بعض أصدقاء الآنسة الادبية أمينة . ش أننا نعنيها بقولنا فى الجزء السابق من هذه المقالات : « إن فتاة أدبية من أسيوط كتبت إلى الرافعى تشكو اليه أن أباها يعضلها ويذود الخطاب عن بابه حرصاً على بعض التقاليد »

فنعتذر للآنسة الأدبية من سوء ظن أصدقائها بما كتبنا ، ونؤكد لهؤلاء الأصدقاء أنها غير المعنية منا بهذا القول

ليس فى وسع الألفاظ أن تعبر عن كيفية انكبابى على الكتابة ... وبعد أن فرغتُ من هذه القصة كنت شديد الايمان بأنها من روائع الفن القصصى ! وهذا ما لا أعتقده الآن فى شيء من كتبي ! فأرسلت بها إلى دار « آرثر بنسون » للنشر ، فقد كان أحد أصحابها معى فى « كيمبردج » ولقد تلقيت منه فى « كيمبرلند » كتباً عدة عن هذه القصة ، يقول فى أحدها :

« إني لأخشى أن تكون قصتك رديئة ! ولكن هنالك شيئاً واحداً أعتقده تماماً : ذلك أن ليست لك أية مقدرة على الابتكار. قد تصبح ناقداً يوماً من الأيام ؛ ولكن النقد الأدبي لن يكفل لك أكثر من حياة بئيسة ! »

ولقد بلغ من ثقتى بالرجل أنى أحرقت قصتى هذه . على أننى انتفعت كثيراً من صورها — فيما بعد — فى قصة أخرى سميتها « الصبر » ...

والتحقت بعمل جديد ، مدرساً فى كلية مدينة « إبسم » ولقد توجهتُ إليها وحيداً ، فقد كانت على مقربة من « لندن » وفيها كنت أرجو أن أبدأ حياتى الأدبية

والحق أننى إلى تلك اللحظة لم أتلق كلمة تشجيع واحدة لأعمالى الأدبية من أى إنسان ! . وفى « إبسم » كتبت قصتى الأولى التى أخرجتها المطبعة للناس باسمى . وقد اخترت لها اسم « الحصان الخشبي » وكنت قد أظهرت على نصفها أستاذاً كانت تلوح عليه أمارات الذكاء ؛ ولكنه ردّ علىّ أوراقها مع قوله : « لست يا « والبول » قصصيًّا على أى حال ...! »

وبرغم هذا فهما بلغ من قلة ثقة الناس بى ؛ فلقد كنت وطيد الثقة بنفسى ! ولقد بدا لى عجيباً جدًّا أن يكونوا جميعاً بهذا العمى ! ولقد أصبحت الآن ، بعد هذه السنين الطويلة ، أعجب لما كان لى من ثقة بالنفس لم يكن يشجع عليها شيء !

واعترض طريق حياتى رجل بادن يقال له « مامّى » أبجّل الآن وأحيّي روحه المرح لأنه كان أول من تفضل علىّ بالتقدير . ومع أن تقديره ذاك بدا لى فى ذلك الحين طبيعيًّا ، بل حقًّا من حقوقي ، فانى الآن لأعجب لهذا التقدير من الرجل ؛ فى أي تربة نبتت ؟!

كان « مامّى » ضخم الجسم شاحباً غائض دم الوجه . وكان يشرك « كرتس براون » فى وكالة أعمال أدبية . وقد أبدى لى رغبته فى استخدامى لعمل خاص بتلك الوكالة الأدبية على أن يوظف لى جنيهات قليلة كلّ أسبوع . وبهذا الروح المرح قذفت بعمل التدريس الذى كنت أمقته . واكتريت حجرة أرضية صغيرة فى « شلسى » أجرها الأسبوعى ريال واحد ! وهكذا بدأتْ حياتي الأدبية . .

كانت فكرة « مامّى » أن أضع كتاباً يبحث فى طرق توجيه الناشئة . غير أنه لم يكن عنده ، ولا عندى ، رأى ما فى الموضوع ! . غير أن الرجل ظلّ يدفع لى المال الذى وعد به عاماً كاملاً . وهو شديد الثقة بى ؛ وأخشى ألا أكون قد صنعت شيئاً يحقق تلك الثقة العمياء ! !

أكملت قصة « الحصان الخشبي » وكان علىّ بعد ذلك أن أبحث عن ناشر . . وإنى لأذكر كيف كتبتُ أسماء كافة الناشرين فى « بريطانيا العظمى » على رقعة طويلة من الورق . وكنت أظن حينذاك أننى سأبعث بالكتاب إلى كل هؤلاء الناشرين تباعاً ، بعد أن أنتزع عنه اسمى وأضع مكانه اسماً مستعاراً هو « م . س » لأننى كنت قد قرأت الكثير عن العبقريات المبتدئة ، وعلمت أن العبقرى الناشيء لابد أن تُردّ عليه قصته التى تحمل اسمه المستعار — بدلا من اسمه المجهول — مرات كثيرة ، قبل أن يحين يوم حظه السعيد ! وكان أول ناشر وقع عليه اختيارى هو « سمث إلدر » . . لأنه كان قد نشر أعمالاً ناجحة كثيرة . وكان يخيل إلي أن كتابى يجب أن تظل آمالى فيه معلقة بهذا الناشر بضعة أسابيع . . !

ولقد كنت فى تلك الأيام سعيداً إلى غير حد ، إذ كان يسيراً جداً أن أعيش بمائة وخمسين جنيهاً فى العام . كنت طليقاً ، وكان لى أصدقاء فى لندن ؛ وإن لم يكونوا بكثرة أصدقاء واحد من رجال الأدب بعد . وإنى لأذكر كيف كان يروقنى أن أروض بالسير فى « طريق الملك فى شلسى » وكيف كنت أقول لنفسى حين أبصر السابلة : « سيأتى يوم يقف فيه هؤلاء الناس وسط

طريقهم ويشيرون إليّ وهم يقولون « هذا هو والبول يمشي هناك ! »

وكان إلى جانب النهر مطعم كنت أستمرىء فيه وجبات طعامى ، وكان الفنانون يجيئون فيحتلون منضدة متوسطة ، وهم يضجون فى مرح . ولقد كنت أشعر بأن جوهم يحتضننى أيضاً . وكثيراً ما كنت أغشي مرقصاً أو داراً للتمثيل ، كلما كان ذلك في طاقة نقودى . ولم يكن لى من الرغبات ولا المخاوف شيء فى الحياة ! !

وعدت إلى غرفتى يوماً فوجدت خطاباً من الناشر ، يقول فيه بلغة بالغة حدّ العظمة والكبرياء « إنهم سيطبعون كتابى » ولقد قرأت هذا الخطاب مرات ومرات . ثم أصابتنى حمى الفرح !. ويستطيع المؤلفون أن يقولوا لك إن سعادة فى الدنيا لا يمكن أن تقاس إلى سعادة المؤلف بقبول الناشر إخراج كتابه الأول ! وفى الحق ، لقد مرت بى إلى ذلك الحين لحظات كثيرة من السعادة ، ولكنها جميعاً لم تكن تعدل سعادتى بذلك الخطاب

ووثبت إلى الطريق والخطاب فى يدى ، وهرعت إلى المطعم المتيد واندسست بين الفنانين الجالسين ؛ ورغم أنى لم أكن أعرف أحداً منهم فقد حدثتهم بما صادفنى من حسن الحظ . فشربوا نخبي ، وبعد الغداء اصطحبونى إلي « استديو » أحدهم ، ومن هذه اللحظة ؛ أحسست أن حياتى الحقيقية قد بدأت !

***

بعد ذلك توجهت لزيارة دار « سميث إلدر » للنشر والتأليف بالمستر « ريجنالد إلدر » . وإنى لا أتصور الآن أن فى دار من دور النشر مثل ما كان فى غرفته من الفخامة والعظمة والأبهة ! وقد كان رجلا طويلا له سالفتان من شعر كثّ تتدليان إلي جانب صدغيه ، كما كانت تبدو عليه الهيبة التى كانت تلازم رجال النشر فى تلك الأيام !

ودعا لى الرجل بالتوفيق ، وبعد ذلك عرّج على حديث سوقىّ ! قال إن الوقت عصيب بالنسبة للناشرين ، ولهذا لم يكن فى وسعه أن يدفع لى شيئاً من المال عن النسخ الثمانمائة الأولى من كتابى .

وبعد بيع هـذا العدد من النسخ يكون لى حق النشر فى ثمن ما يباع . ولم يسترع قوله اهتمامى ، إذ لم يكن يعنينى شيء سوي أننى لن أدفع شيئاً !.

ولقد كان « ريجنالد سميث » رجلا طيبا ، كما يبدو من اسمه . فأخرج « الحصان الخشبى » فى غلاف رائع بالألوان . وبعد شهرين فقط رأيت فى محل أحد باعة الكتب النسخة الأولى من كتابى . وبعد أسبوع من ظهور الكتاب كنت أجاس مع « المستر تشارلس ماريوت » فى « الكورنول » وهو مؤلف كثير من أحسن القصص التى كتبت عن « الكورنول » قدمت إليه واحدة من النسخ الست الأصلية من « الحصان الخشبى » .

وبعد ستة أشهر أخبرنى الناشر بأن ثمانمائة نسخة من كتابى — بالضبط — قد نفدت . وكنت قد أنفقت ثلاثة جنيهات فى كتابة النسخ الأصلية على الآلة الكاتبة . ولهذا كنت إلى ذلك الحين محتملاً خسارة هذه الجنيهات الثلاثة . ولكن لو لم يكن من الغرور والفخر لذكرت أن الكتاب كان يباع دائما . وأننى تلقيتُ بعد وقت قصير حصتى فى ثمن النسخ التى بيعت ذلك العام

وهنالك شيء أظنه على غير قليل من الطرافة ، هو كيف أننى انقلبت من قصصىّ هاوٍ فاشل إلى مؤلف محترف بكل معنى الاحتراف ، وهذا ما لم أفهمه أبدا

وبالرغم من أن قصتى « تروى هانتون » لم تكن قصة مؤلف محترف متمكن على ما أذكر ، وأننى ارتكبت فيها كل الأخطاء الممكنة من حيث الفكرة والأسلوب والبناء ، فان قصتى « الحصان الخشبي » التى كتبتها بعدها مباشرة ؛ كانت أحسن ما كتبتُ من قصص مُجَوَّدة . وقد لا تكون مكتوبة بيد مرنة طويلة الخبرة بدقائق الفن ؛ ولهذا السبب فأن قيمتها الأدبية التافهة لم تكن شيئاً يذكر ؛ ولكن . . . بعد أن تعلمت هذه الدقائق الفنية لم تعد لى هذه التفاهة فى التفكير !

وعلى أى حال فقد مضت سنون سعيدة جداً قبل الحرب ، لم يكن التزاحم فيها بين القصصيين قد بلغ من العنف ما بلغه اليوم .

ولم تكن الصحف الكبرى تمنى بنشر روائع الفن القصصي . ولهذا لم يبرز من القصصيين العباقرة سوى أفراد قلائل جدا ، مثل « مريدث » و « هاردى » و « هنرى جيمس » ، فى حين كان معظم كتاب القصة مشغولين بقص حكايات يستمدون أبطالها من شخصيات الحياة العملية بقدر الامكان . ولم تكن هنالك اتجاهات نظرية معينة فى الفن القصصى إلا بقدر محدود ، كما أنه لم يكن هنالك من يعنى بشئ من وسائل الدعوة الخاصة على وجه الاطلاق !

ولقد كان للحياة فى هذه السنين منظر ساحر خلاب بصفة عامة . فاذا أنت كتبت عن شخصية سعيدة ثم اختتمت قصتك ختاماً سعيداً أيضاً ، فانك تكون بذلك فناناً أميناً على الحق فى فنك . وإذا حملت على بعض مظاهر السلوك الخلقى أو السياسى ، فانك بذلك لم تكن قد تورطت فى موضوع ردىء !

تركت « الدر سمث » بعد أن نشرت لى كتابى الثانى ، لأنى كرهت أن أحرم ثمن النسخ الثمانمائة الأولى من كل كتاب من كتبي : وصادقت « مارتن سيكر » ذلك الناشر النبيل الذى كان فى ذلك الوقت يدعى « د . ه . بورنس و كومبتون ما كنزى وفرانك سونيرتوس وفرانسيس برت يونج وجلبرت كانان » وليس فى وسع بيانى أن يعبر عما ندين به للصديق « مارتن سيكر » فلقد كان صديقاً وفياً . يتولى مهمة الناشر فى إخاء ومودة ، وإنه ليسعدني أن أذكر أنه حينما غامر بنشر قصتى « الصبر » ؛ لم يأسف على هذه المغامرة ! !

القاهرة — احمد فتحى

بين الشرق والغـــرب

لباحث فاضل

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

(ثالثاً) : (كذلك لا يعترض علينا بالجانب العلمى من الثقافة الاسلامية لأنها نتيجة الأخذ بأساليب الفكر اليونانى)

انتهى الكاتب إلى أن الجانب العلمى من الثقافة الاسلامية نتيجة الأخذ بأساليب الفكر اليوناني . ولماذا لا يكون هذا الجانب نتيجة للأخذ بأساليب الدين الاسلامى وتعاليمه ؟

١ — « الذين يتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا ... »

٢ — « أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت ... »

٣ — « وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فنه يأكلون »

٤ — « فلينظر الانسان مم خلق، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب »

هذه آيات بينات اعتقدها المسلم لا بالسيف ولا بغيره، ولم تدخل فى معتقده عن طريق العاطفة والمسايرة بل دخلت عن طريق العقل فقط . ألا ترى أن فى كل حرف فيها دعوة صريحة إلى التفكر فى مخلوقات الله ؟ ولماذا دعاهم إلى هذا التفكر ؟ ليعتقدوا بعظمة الله أم يهتدوا بوجوده ؟ لاشك بأنه للاهتداء إلى الوجود لأن التعظيم يكون لشىء يعتقد بوجوده وهم لم يعتقدوا بعدبذلك. سمح لهم بالشك فى كل شىء والتفكر فى كل شىء ودعاهم إلى تحرير عقولهم من قيود العبودية الزمنية . وبعد هذا ألا تعتبر هذه الدعوة أساساً علمياً، لأن استعمال العقل فى التفكر فى مخلوقات الله هو الأسلوب العلمى بعينه . أفيكون اليونان أصحاب الفضل فى ذلك فيأخذ عنهم فلاسفة المسلمين هذا الجانب العلمى أم يكون الدين الاسلامى هو الأصل الأول؟ اللهم لا يكون اليونان وفلاسفتهم أصحاب هذا الفضل إلا إذا أخذ القرآن بأساليب الفكر اليونانى

أو إلا إذا اعتبر متكلمة المسلمين وفلاسفتهم فلسفة اليونانيين مصدراً أوليا فى معتقدهم وكان القرآن مصدراً ثانوياً ، والحقيقة تكذب هذا وذاك . وهم ما استعانوا بالفلسفة اليونانية إلا بعد أن تشربت قلوبهم معتقدهم الدينى ، وما كانت لهم الفلسفة إلا أداة منطقية لا علمية ، والمنطق غير العلم إلا إذا امتزجا (قبل أيام)

(رابعاً) : (انتهى متكلمة المسلمين إلى أن العالم حادث وانتهى الغربى إلى أنه قديم) ، هذا ما قاله . والمقصود من هذا واضح ، وتقرير هذا القول يحمل الناس على تقرير التفاصيل بين العقلية العلمية للغرب وبينها لمتكلمة المسلمين . هذا صحيح لو كان الكلام صحيحاً ، ولو عنى متكلمة المسلمين بكلمة حادث ما عناه حضرة الفاضل . فانا نعلم وغيرنا يعلم بأن كلمة (حادث) هنا لا تعنى ولا تدل على تاريخ زمن معين كأن يقال كذا آلافاً من السنين ، وإنما عنى متكلمة المسلمين بهذه الكلمة أن العالم حادث بالنسبة للخالق ، أى أن الخالق قديم بالنسبة لمخلوقاته ، فقرروا القدم الذى لا حد له إلى الله وقرروا الحدثية إلى مخلوقاته

(خامساً) : وبعد ذلك فتكلمة المسلمين (انتهوا إلى أن الخالق مطلق التصرف فى الكون منفصل عنه ومدبر له ، وأنه السبب لكلّ ما يحدُث والعلة الأولى والأخيرة لكلّ ما يكون وسيكون) . هذا ما قاله حضرة الفاضل ، فهل نفى بهذا القول طبيعة العقل العلمى لهؤلاء المتكلمة ؟ أليس الدين الاسلامى المرجع الأول لهؤلاء المتكلمة ؟ فلماذا نأخذ الناحية السلبية من هذا القول ولا نقرر بأن الدين الذى اعتمدوا عليه كأساس أولى فى مذاهبهم الكلامية قد دعاهم إلى أن يسعوا فى مناكبها ويأكلوا من رزقه وهو الذى دعاهم إلى ألا يلقوا بأنفسهم إلى التهلكة ؟ فاذا كانوا قد اعتقدوا تلك الناحية السلبية فقط من قوله تعالى : « والله خلقكم وما تعملون » ، فهل يتناسب هذا الاعتقاد مع حقيقة الواقع وهم أنهم جعلوا للعقل حقه فى تقرير مصير صاحبه ؟ ثم هل يتفق هذا القول مع كثير من أقوال متكلمة المسلمين كالنظّام والجاحظ وغيرهما فى الشك وفى تقدير العقل إلى أبعد حدود التقدير ؟

ثم نراه قد منح العقلية الغربية منحة تأباها وقرر لها مذهباً

تنفر منه لأن العقل لا يقره فقال: (انتهى الغربي إلى أن إرادة الله مقيدة بنظام الكون وأفعاله قائمة على عنصر اللزوم والاضطرار).

أى كلام هذا؟ وكلام من هو؟ ومن قال بأن الغربي يعتقد هذا إلا إذا فقد الجانب العلمي من قوى تفكيره؟ للكون سنن ولنظامه نواميس فمن أقرها ومن وضعها؟ أليس هو الله؟ ومن يفكر بأن إرادة الله هي التي تسيطر على هذا الكون؟ أفيكون خالق الشيء مقيداً به وتكون إرادته متعلقة به؟

فاذا كان بقاء هذا النظام الكوني دليلاً على شيء فهو أن إرادة الله لم تتغير وأنه أراد الكون على حاله. فاذا تغير هذا النظام الذي أراده الله اعتقدتم بأن هذا النظام مقيَّـدٌ بإرادة الله إذاً فلتنتظروا

(سادساً): فى نظر الغربي (أن في قدرة الانسان تغيير المقدر له عن طريق معرفة النواميس المحكمة فى وجوده)

أهذا كلام يقال؟ فلا هو منطق ولا هو علم، ولا هو حقيقة ولا هو خيال. رجل لا يعلم ما قُدِّر له فكيف يكون قادراً على تغييره؟ ثم هب بأنه علم ماقدر له كأن أوحى الله له بذلك أفيكون قادراً على تغيير ما أراد الله وتكون إرادة الانسان فوق إرادة الله؟ نحن لانفهم من هذا القول إلا أنه كفر من ناحية دينية وكفر آخر من ناحية عقلية؛ وكفرٌ واحد عظيم في حدِّ ذاته فكيف بالكفرين؟

إذا كانت علوم الغرب دليلاً على عقليتهم فالى أى حد انتهوا فى علومهم؟ كان يقال قديماً بأن مَن بحث في العلوم الطبيعية ابتعد عن الخالق، واليوم يقال بأن كل من امتهن هذه الصنعة وسلك هذا الطريق فلا شك بأنه يسير بخطى واسعة نحو الخالق إن كان كافراً به

فهؤلاء علماء مادة الحياة كما عجزوا عن تفهم سر شيء ازدادوا إيماناً بأن قدرة عليا فوق قدرتهم واتفقوا على غير موعد بأن إرادة الخالق قد أخضعت كل النواميس لها، ونحن ما علمنا ليومنا هذا إلا ما أراد الله لنا أن نعلم. أفيذهب بنا الغرور إلى حد تقييد الله بشيء خلقه؟

(سابعاً): (ثم المسيحية هي التي سادت أوربا فى العصور الوسطى فنزعت بها منزع التفكير المعروف) الواقع يقرر عكس هذا، إذ ليس فى الدين المسيحي ما يقرر ذلك الجمود فى القوى الفكرية كالذي ساد فى العصور الوسطى

نحن نعلم بأن المسيحية وجدت فى الشرق فكانت سبباً إلى حد كبير فى توجيه منازع التفكير المختلفة من روحية واجتماعية وخلقية فقامت بنصيبها من الأصلاح، وسارت المسيحية بتعاليمها إلى الغرب ذاته وكانت حاله أسوأ حال فهذبت من نفوس أقوامه ما ساعدتها طبيعتهم الخشنة وعقليتهم السميكة. وخنقت المسيحية في الدير والكنيسة تراث اليونان والرومان وغيرهم فقدمت للتاريخ العلمي خدمة لا تقدر بقيمة. وبعد هذا لم تكن المسيحية ولم تكن روح النسك الشرقيـة التي جاءت معها سبباً فيما ساد العصور الوسطي من فوضى واضطراب وقصور فى النواحى الثقافية والعلمية. أيتهم الشرق بأنه سبب ذلك ولايتهم الغرب وأقوامه هم الذين وجهوا تعاليم الديانة المسيحية وجهة مادية؟

ثم ما هى العقلية التى جاءت بصكوك الغفران وما هى الطبيعة التى تقبلت الشرائع القوطية؟ أجاءت مع المسيحية من الشرق أم نبتت فى الغرب ومن بنات أفكار أقوامه، وهذا هو الواقع.

(ثامناً): (فان شارل مارتل أنقذ العقلية الغربية من العقلية الشرقية حين كانت تغزو أوروبا على يد العرب) لو جاء بهـذا الكلام أحدٌ من الغرب لعذرناه، فطبيعة الانسان كثيراً ما تغالط نفسها فتنكر الفضل على مستحقه. ولكن أن يأتى هذا الكلام من شرق عربي فهذا مالا يُصدق.

حقيقة صـد شارل مارتل تيار العرب، فترى ماذا صـد مارتل وماذا منع عن أوروبا؟ أمنع روح النسك؟ والعرب لم يعرفوا بذلك لا فى الشرق ولا فى الغرب؟ أم أنه صد عن أوربا سبعة قرون من ينابيع الفكر والعلم والثقافة؟ وهذا ما أقر به علماء الغرب ومؤرخوهم قبل أن ينكره أحد من الشرق والعرب. سلوا مؤرخي النهضة الأروبية واستفتوا كتبهم عن أثر الأندلس فى تلك النهضة، ألم تكن جامعاتها وحلقاتها قبلة للطلاب من كل ركن فى أوربا؟ فلماذا تأثروا بالعلم ولم يتأثروا بالنسك؟ ألأن العلم أسهل اقتباساً من النسك أولأن العلم كان لديهم ولم يكن النسك؟

أفيكون مارتل بعد هذا قد أنقذ العقلية الجرمانية وهي كما يعلمها طلبة التاريخ من العقلية الشرقية يأتى بها العرب، أم يكون مارتل قد أنقذ الجهل من العلم قروناً؟

فردريك نيتشـــــه

للأستاذ فليكس فارس

— ٢ —

« إن من الحب ما ينشأ عن الحياة الجسدية حاجة ملحة متقلبة كالحياة نفسها، وفى النساء كما فى الرجال أناس حبهم أشبه بالجوع والظمأ يتهافتون على أية مائدة ويرتوون من أى ينبوع . وماذا عساه يفهم من الحب من يرى المحبوب مائدة وينبوعاً ؟ قلّ من الناس من يدرك أن مَنْ أنكر على المحبوب شخصيته التى لا تستبدل فقد أنكر هو ذاته شخصيته التى يحس بها »

« لا صلاح لأمة فسدت منابت أطفالها ، وهذه عبر التاريخ ماثلة لعيان من يريد أن يرى

أفما كانت كل الأمم التى اندثرت واستبعدت تمر أولا فى مرحلة تدنى الأخلاق وانطلاق الشهوات عابثة بأشرف ما خلق الله فى الانسان ؟ »

« سوف يأتى يوم ، وهو غير بعيد ، تتنبه المدنية فيه إلى أن الرجل المتفوّق الذى ينشده العلماء فى الغرب لن يخلق لهم من التمرين لقوى العقل وقوى الجسد ولا من فحص خلايا الزوجين بالمجهر حتى ولا من تلقيحهم بالمواد الكيماوية أو تطعيمهم بغدد القرود

إن الرجل الكامل أو الأقرب إلى الكمال إنما هو ابن الحب الكامل ، فالمحبة وحدها هى السبيل المؤدى إلى إدراك الحق والقوة والجمال

لتدع العالم المتمدن يفتش فى علومه ونهضة مفكريه عن هذا الحب الذى تخيله ماركس متجلياً فى الحرية التامة للناس فى أهوائهم فجاءت البلشفة تثبت انخداع هذا الفيلسوف فى نظرياته ، ليفتشوا أنهم لن يتصلوا فى تجاربهم إلا إلى العبر الزاجرة المؤلمة

أما نحن أبناء هذا الشرق الذى انبثق الحق فيه انصباباً من الداخل بالالهام لا تلمّساً من الخارج ، فلنا المسلك المفتوح منفرجاً أمامنا للاعتلاء والخروج إلى النور بعد هذا الليل الطويل إذا نحن أخذنا بروح ما أوحاه الحق إلينا

لا بترقية الزراعة والصناعة ، ولا بنشر التعليم والتهذيب ، ولا بجعل البلاد جنة ثراء وتنظيماً تنشأ الأمة ويخلق الشعب الحر السعيد

إن الجنين الذى يحمل أسباب شقائه وهو فى بطن أمه لا يمكنه أن يصير رجلا حراً قوياً يفهم حقيقة الحياة ويتمتع بالعظمة الكامنة فيها

إن الاهتمام بإيجاد الطفل الصالح أولى من العمل لاعداد العلم والتهذيب لطفل نصقل مظاهره صقلا وتتحطم كل محاولة للنفوذ إلى علّته المستقرّة فيه منذ تكوينه »

« ليس الفقير المتسوّل ، ولا العليل المتألم ، ولا الشيخ الهرم يتمشّى بلا سند إلى قبره . ليست المرأة المستعبدة بلقمة ولا الفتاة المخدوعة المنطرحة على أقذار المواخير ، ليس كل هؤلاء الناس الأشقياء فى الحياة بأشقى من الأطفال يجور عليهم آباؤهم وأمهاتهم قبل أن يقذفوا بهم إلى الوجود ويرهقوهم بالقطيعة والاهمال بعد أن يدرجوا عليها بأقدامهم الناحلة المتعثرة ...

الرجل الذى يمسخ حبه الواحد شهوات متعددة، والمرأة التى

(ناسما) وأخيراً ، وهذا أبعد ما استبعدنا أن يأتى به الدكتور العالم وهو أن العلم يتلون بروح الأمة ، فكتب الرياضيات والطبيعيات وحقائقها فى فرنسا هى غيرها فى ألمانيا، لأن لكل لوناً خاصاً فى الحياة . فالنظرية الآرية تختلف فى كل قطر على هذا الأساس الذى أتى به لأن روح الأمتين مختلفة . ولربما كانت نظرية الحمار فى بلاد الانكليز نظرية الدب فى روسيا لأن روحيهما مختلفان

هذا بعض ما لاحظناه على المقال المذكور ولو كان مجرد رأى لما حاولنا الجدل فيه ، ولكن الكثير منه يتصل بالأمة العربية والأمم الاسلامية وبعضه يتصل بالحقائق التاريخية

أما الرأى من حيث هو فيما لا يتصل بهذا أو ذاك فميدان المناظرة فيه واسع فسيح وهذا ما لم أقصده فى هذا المقام والسلام

(***)

التى تتقصف متهتكة ماسخة هيكل نسمات الله مركماً لنفايات البشر من عبَّاد الخيانة والطيش ، إنما هما آدم وحواء مطرودَين من الجنان إلى أرض الجهود المضيَّمة والآلام المحتَّمة ، ومَنْ يدرى أن حديث معصية الأبوين ليس رمزاً لخيانة الحب ، تلك الخيانة التى تنزل اللعنة بمرتكبيها وبأبنائهم من بعدهم ...

ويلٌ للرجل الذى يهدم بيديه سعادته وسعادة أبنائه، وويلٌ للمرأة التى تدنس منبت أطفالها »

* * *

ليس فى تمهيد موجز كهذا مجالٌ لبحث فلسفة نيتشه التى شغلت كبار كتاب القرن التاسع عشر ولم يزل الفلاسفة يكتبون عنها إلى اليوم ، غير أن ما تناولناه إلماماً من نظريات نيتشه يكفينا لتحديد ما يجب أن نغفله منها دون أن ننتقص من قدر هذا العبقرى لأنه اقتحم أسرار الكون معتمداً ذاته فعاد عن هذه الأسرار مدحوراً . وهل من كاتب قبله أو بعده تمكن من حل ألغاز الوجود والوقوف منها عند عقيدة صريحة تستغنى عن الايمان بالقوة الخفية المتعالية عن التعليل والتحليل ؟

حَسْبُ نيتشه فى موقف حيرته ، وما هي بالدرجة الوضيعة على سلم التفكير، أن يهتك سريرته أمامك دون أن يلجأ إلى إعمال السفسطة لإيجاد وحدة ظاهرية وتناسبٍ مزّيف فى صرح تفكيره ، حسبه أن اندفع وراء المثل الأعلى الكامن فى « إرادة القوة » تبعاً لتعبيره وفى نفس الانسان الخالدة تبعاً لعقيدة المؤمنين ، فبسط أمام المفكرين من مشاهد المجتمع ومن مسالك الأرواح على معابر الأرض ما لم يلمحه سواه من المنشئين

إن ما نراه بحاجة إلى الوقوف عنده من فلسفة نيتشه فى كتاب زرادشت الذى لم تفته قضية اجتماعية لم يقل فيها كلمة كان لها دويها فى العالم الغربي ، إنما هو هذه المبادئ التى تجتث ما غرست قرون العبودية فى أوطاننا من استكانة حولت إيمانها إلى استسلام فى حين أن روح شرعتها يهيب بالنفس إلى الجهادين فى سبيل الوطن والانسانية جمعاء

إن الدين الذى يهاجمه نيتشه إنما هو صورة لأصل شوهها الغرب ، وما علَّم هذا الدين أن الحياة معبر على المؤمن اجتيازه وهو مُعرِضٌ عن كل ماحوله مغلق أبصاره على باب قبره . بل علم أنّ الحياة مرحلة من أشواط الآزال والآباد وما تطهر أنفسٌ لم تحترق أجسادُها ولم تُمهِّد صلاحاً لباقياتها باصلاح زائلاتها

ليس نيتشه إذاً مبدع فكرة التكامل للانسان على الأرض فان التكامل مبدأ جعلته الأديان السماوية أساساً لكل وصية تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر ، غير أن الدين قد أراد للانسان تكاملاً روحياً يهيئه إلى إدراك بارئه وراء المحسوس فى حين أن نيتشه ، وقد أنكر مالا تقع الحواسُ عليه ، أراد أن يفلت الانسانُ من حدود إنسانيته على هذه الأرض فيجعلها جنةَ خلدٍ يستوى عليها بجبروته إلهاً . . .

وقد عزب عن هذا الفيلسوف أن المخلوقات كلها فى سلسلة الوجود لا تملك الانعتاق من حدود أنواعها، ومهما كرّت القرون وتعاقبت الأجيال لا يمكن للجماد أن يفلت من مملكته إلى مملكة النبات، ولا للنبات أن يجتاز حدود مملكة الحيوان، ولا للحيوان أن يجتاح مملكة الانسانية .

لذلك كان الذاهب فى طلب إنسان يتفوق على الانسانية كالمحاول استنبات الشجرة حيواناً أو استبدال الحيوان إنساناً .

لقد كرت القرون على مبدأ التاريخ الذى نعلم وعلى مالا نعلم من حقبٍ كرّت ما وراءه ، والانسان لم يزل هذا المخلوق الدائر أبداً ضمن حلقة إنسانيته .

لقد كان نيتشه من المتقدين باستحالة الأنواع حين صرخ بلسان زرادشت وهو يخاطب الحشد فى الساحة العمومية :

« لقد كنتم من جنس القرود فيما مضى . على أنّ الانسان لم يفتأ حتى اليوم أعرق من القرود فى قرديته »

ولكنه بالرغم من هذا يصرّح بأن هذا النوع القردي وهو الانسان لم ينسلخ عن أصله، فكيف زين له خياله أن فى هذا النوع إنساناً فائقاً لا يزال كامناً منذ البدء ينتظر قدوم فيلسوف فى أواخر القرن التاسع عشر يستجلى هذا الجبار ويمده بارادة جديدة تتسلط لا على الحاضر والمستقبل فحسب بل على ما مر وتوارى أيضاً فى عاصفات الأحقاب ؟..

إن بدعة الانسان المتفوق إنما هى فى تقديرنا تشوق نفس شعرت بأنها كانت وستكون ، وقد ضرب الالحاد حولها نطاقاً فتوهمت أنها ستبلغ فى هذه الحياة ما ليس من هذه الحياة .

إن نيتشه يعلن إلحاده بكل صراحة ويباهي بكفره؛ غير أننا لا نكتم القارىء الكريم أن ما قرأناه بين سطوره ، وقد مررنا بها كمن عليه أن يتفهم كل معنى ويستجلى كل رمز ، يحفزنا إلى القول بأننا لم نر كفراً أقرب إلى الايمان من كفر هذا الفكر الجبار الثائر الذي ينادى بموت الله ثم يراه متجلياً أمامه فى كل نفس يخفق بين جوانح الناس من نسمته الخالدة ، فان هذا الملحد ، بالرغم من اعتقاده بأن الجسد هو أصل الذات وأن الروح عرض لها وبان كلا الروح والجسد فانيان ، لا يملك نفسه من الهتاف وهو يؤكد عودة كل شيء واستمرار كل شيء فيقول :

— أواه كيف لا أحن إلى الأبدية وأضطرم شوقاً إلى خاتم الزواج ، إلى دائرة الدوائر حيث يصبح الانتهاء ابتداء . إننى لم أجد حتى اليوم امرأة أريدها أماً لأبنائى إلا المرأة التى أحبها لأنى أحبك أيتها الأبدية !

إنى أحبك ، أيتها الأبدية

أين هذه الهتفة الرائعة تصدو فى أعماق روح تتطيَّر من الزوال من ابتسامة الملحد الصفراء وهو لا يرى وراءه وأمامه إلا العدم والزوال ، بل يكاد يرى وجوده خدعة وخيالاً كاذباً

إن فلسفةً لا تستنيم لفكرة الفناء ولا ترى فى النهاية إلا عودة إلى بداية ليست بالفلسفة الجاحدة ، فالفكر المؤمن بانسانية عليا تتدرج إلى الكمال حتى ولو قال بألوهيــة الانسان على الأرض لا يمكنه إلا أن يؤمن فى قرارة نفسه بكمال مطلق تتشوق روحه إليه ما وراء هذا العالم

ولا بد هنا من إيراد تاريخ موجز لحياة هذا الفيلسوف ، وليس فى حياته القصيرة وهى مليئة بالآلام من الحوادث مايستحق التدوين غير المراحل التى مر عليها تفكيره فتأثر بها . وهل نيتشه إلاَّ فكرة وهل حياته إلاَّ وقائع ميادينها السطور والصفحات ؟

ولد هذا العبقرى الثائر سنة ١٨٤٤ فى بلدة روكن من أعمال ألمـانيا وكان أبوه واعظاً بروتستانياً من أسرة بولونية هجرت بلادها فى القرن الثامن عشر على أثر اضطهاد شرَّد منها أشياع كنيسة الاصلاح

وما بلغ فردريك الخامسة من عمره حتى مات أبوه فـكلفت أمه تربيته وتربية أخته فأرسلته إلى مدرسة نومبورغ ثم انتقل منها سنة ١٨٦٤ إلى كليتى بون وليبسيك حتى إذا بلغ الخامسة والعشرين من عمره سنة ١٨٦٩ تجلى نبوغه فعين أستاذاً للفلسفة فى كلية بال

بعـد سبع سنوات أى سنة ١٨٧٦ ظهرت عليه أعراض « الزهرى الورانى » فحكمه صداع شديد أضعف بصره فبقى باقى الدروس حتى سـنة ١٨٧٩ إذ اضطر إلى الاستعفاء ليذهب متنقلا بين روما وجنوا ونيس وسيل ماريا وهو يعمل الفكر ويكتب مصارعاً علتـه عشر سنوات ، فلا هو يبرأ منها فيحيا ، ولا هى تجتاح دماغه الجبار فيموت إلى أن جاءته سنة ١٨٨٩ بالفالج مقدمة للجنون فتوارى سنة ١٩٠٠ بعد أن سبقته إلى الموت عبقريته العليلة وإرادته الوثَّابة الجبَّـارة

« يتبع » فليكس فارس

التاريخ في سير أبطاله

ابراهام لنكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادى خذوا معانى العظمة فى نسقها الأعلى من سيرة هذا العصامى العظيم ... ...

— ٢٥ —

لم يتردد الرئيس في العمل على إبطال قرار فريمونت على الرغم مما بدا له من تحمس الرأى العام له ومظاهرته إياه فيه على نحو ما بينا ؛ ولقد كان من أبرز خلال أبراهام أنه كان لا يعرف التردد أو النكول إذا هو عقد النية على أمر اقتنع بصوابه واطمأن إلى نفسه ووثق من مقدرته على الاضطلاع به ؛ وما جرب عليه من عملوا معه أنه صمم قط على رأى ثم انصرف عنه ، ولذلك كانوا إذا عزم أذعنوا طوعاً أو كرهاً فما لهم من ذلك بد ...

وتصرف لنكولن تصرف السياسى الحكيم ، فكتب إلى فريمونت يسأله أن يعدل قراره وأن يظهر للناس كأنما يفعل ذلك من تلقاء نفسه ؛ ولكن فريمونت لم يذعن لذلك وكبر عليه أن يتراجع ؛ فلم ير الرئيس بدًّا من أن يعلن قراراً عدل به قرار فريمونت غير عابئ بما كان من مخالفة الرأى العام له ولا وجل من تصايح الصائحين من دعاة التحرير ... وبذلك العمل الحازم الحكيم قضى الرئيس على نذير من نذر الفرقة والتنابذ ، وكسب بذلك وقوف ولاية كنتولى إلى جانبه ...

ولا تحسبن الرئيس كما تقول عليه خصومه ومخالفوه فى الرأى من أنصاره ، قد اتخذ بذلك سبيلاً رجعية ؛ كلا ، إنما هى السياسة الحكيمة تقضى عليه ألا يتنكب الطريق التى رسمها منذ شبت الحرب ، ألا وهى جعل المحافظة على الوحدة أساس هذا الصراع القوى ؛ أما مسألة العبيد فما هو بمتغافل عنها وإنما هو يؤثر الأناة حتى تتهيأ الفرصة ...

هذا ما كان من أمر فريمونت ؛ أما ماكليلان فلقد ظل يدرب جيشه على حدود فرجينيا وهو لا يفتأ يرسل إلى الرئيس يطلب فرقاً جديدة ، ولا يفتأ يتبرم بأى استفهام يأتيه من قبل الرئيس عما هو عسِيٌّ أن يفعله ؛ ولقد كان هذا القائد الشاب يكره من الحكومة تدخلها فى شؤونه ؛ بل لقد كان يزدري أعضاء مجلس الوزراء ويرميهم بالغباء ، أو كما يقول إنه شاهد أكبر نوع من الأوز فى ذلك المجلس

وبلغ به الذهاب بنفسه حدًّا جعل الناس يظنون به الظنون حتى ليحسبونه يتطلع إلى الرياسة ، فهو ينتظر لا يعمل عملاً حتى تواتيه الفرصة إلى انقلاب يأتى به على غرة ... ولكن الرئيس على الرغم من مسلك ماكليلان يعينه قائداً عامًّا للقوات بعد أن يترك سكوت العمل لكبر سنه

ولا يقف صلف ماكليلان عند حد ، فلقد ذهب الرئيس مرة إليه يستنبئه عن أمر ، فتركه القائد لحظة ينتظر قبل أن يلقاه؛ وشاع ذلك فى الناس، وأشارت إليه الصحف ، وانعقدت الآراء على استنكاره ، ولكن الرئيس لم يعبأ بما حدث ، فما كان هو بالذى تلهيه المسائل الشخصية عما هو فيه ، ولقد رد على ذلك بقوله « إنى لأمسك لماكليلان زمام جواده إذا هو جاء لنا بانتصارات » .

ولكن حدث بعد ذلك أن ذهب الرئيس ومعه كبير وزرائه إلى مكان القائد فلم يجداه ، فجلسا ينتظران حتى رجع ؛ وأنبأه بعض الجند بانتظارهما إياه ؛ فصعد إلى غرفته وأرسل إليهما رسالة يأسف فيها لعدم استطاعته أن يراهما لأنه متعب ! واستشاط سيوارد من ذلك غضباً، ولكن الرئيس راح يهون الأمر عليه . . على أنه كف بعدها عن زيارة ذلك القائد المدل بنفسه . .

وقدر على الرئيس فضلاً عن ذلك أن يلاقى العنت من الرأى العام كما يلاقيه من أكابر قواده ، ومن أمثلة ذلك ما كان من موقف الناس إزاء قرار فريمونت فلقد بالغوا يومئذ فى إعنات الرئيس وإحراجه . . حتى كان موقف آخر فعادوا إلى غيهم يأخذون على الرئيس مسالك القول والعمل ، وكان ذلك الموقف نتيجة لما أدت إليه الحوادث بين حكومة الاتحاد الشمالى وبين الحكومة الانجليزية . .

كان لنكولن يخشى أن تسوء العلاقات بين حكومته وبين انجلترة ، إذ كانت الأنباء تنذر بذلك ؛ فكثير من رجال الحكومة الانجليزية كانوا يرون أن تعترف حكومتهم بالاتحاد الجنوبى كحكومة مستقلة حتى يتسنى لانجلترة أن تدخل سفنها الموانيء الجنوبية وعلى الأخص موانيء القطن ، دون أن يكون فى ذلك

تصادم مع الحصار المضروب عليها من الشماليين . . وأخذت الصحف الأنجليزية تدعو إلى ذلك وتلح فى الدعوة غير عابئة بما ينطوي عليه ذلك من التحدى لأهل الشمال .

واشتد غضب حكومة الاتحاد الشمالى بقدر ماعظم فرح الجنوبيين ، إذ كان كل فريق ينظر باهتمام شديد إلى ماعساه أن يحدث من جانب انجلتره . . وبلغ من استياء سيوارد أنه كتب احتجاجاً إلى الحكومة الأنجليزية ، لم يخفف من حدته ما أدخله عليه الرئيس من تعديل ، فلقد كان يحرص الرئيس أشد الحرص أن يفوت على الجنوبيين مايأملونه من انضمام انجلترة إليهم .

وفى هذا المأزق الحرج يأتى أحد القواد البحريين عملا تزداد به الأمور تحرجا حتى ليحسب الناس أن الحرب واقعة بين انجلترة والولايات المتحدة ما من ذلك بد ...

وبيان ذلك أن القائد البحري ولكس داهم سفينة انجليزية كانت تحمل رسولين من قبل الولايات الثائرة أحدهما إلى انجلتره والآخر إلى فرنسا أبحرا ليسعيا لدى الحكومتين الانجليزية والفرنسية أن تأخذا بيد الاتحاد الجنوبى . . . وأرغم ولكس الرسولين على النزول فأسرهما على الرغم من احتجاج قائد السفينة الانجليزية

ووصلت الأنباء إلى وشنجطون فراح الناس يعلنون إعجابهم بالقائد ولكس ويثنون على عمله ، وما لبث أن انهالت عليه رسائل الأعجاب والثناء ؛ ولقد أثنى عليه فيمن أثنوا المجلس التشريعى نفسه ، وكثير من الزعماء ورجال الصحافة ؛ وهكذا انحاز الرأي العام إلى جانب ولكس كما انحاز إلى جانب فريمونت من قبل لتزداد بذلك الأمور تعقدا وخطرا ...

أما عن موقع النبأ فى انجلترة فلك أن تتصور مبلغ ما أثار من سخط واستنكار ، فى ظروف كتلك التى نتحدث عنها ، وكذلك كان للنبأ فى فرنسا موقعه الشديد وأثره السيء

اعتبرت انجلترة هذا العمل من جانب القائد ولكس إهانة موجهة إلى العلم البريطانى الذى كان يخفق فى سارية تلك الجارية التى كانت تحمل الرسولين وقدمت لندن إلى وشنجطون احتجاجها وأنذرتها أن تقابل العدوان بمثله إلا أن تسرع بتقديم الترضية الكافية ، ولن تقنع انجلترة بأقل من إطلاق الرسولين وعدم التعرض لهما ثم الاعتذار عما حدث ...

عندئذ اشتد هياج الولايات ورأت فى إنذار انجلترة إياها معانى الاذلال وسوء النية وقبح استغلال الحوادث ؛ وأصر الناس على المقاومة مهما يكن ثمنها . وأمدت انجلترة حامية كنده وأخذت الولايات تزيد فى قوة ثغورها الشمالية ، وفى الجملة لم يبق إلا إعلان الحرب . على أن بعض العقلاء استطاعوا أن يطيلوا الوقت المحدود للانذار بضعة أيام عل أهل الولايات وخصومهم فى انجلترة يرون حلا تحقن به الدماء

وأخذ الوقت يتصرم ولكن أهل الولايات مصرون على موقفهم لايثنيهم عنه شيء ! ورئيسهم ووزراؤه يفكرون فى هذا الخطر الداهم ، وكان سيوارد يميل الى خوض غمار الحرب ضد هؤلاء الانجليز الذين تنطوى قلوبهم على الحقد والحنق منذ خلعت الولايات الأمريكية نير انجلترة فى عزة وإباء

وهكذا يجد لنكولن نفسه فى شدة ما مثلها شدة . . . فهو بين أن يجارى الرأى العام وبذلك يجر على البلاد حربا خارجية طاحنة تأتى مع الحرب الداخلية القائمة فى وقت واحد ، أويطلق الرسولين ويقضى على أسباب الخلاف بينه وبين انجلترة وبذلك يجنب بلاده خطرا محدقا ، وإن تعرض بعدها للوم اللائمين وسخط الساخطين واتهامات المبطلين . . .

ولكنه لنكولن الذى لا يعرف الخور والذى لا يطيش فى الملمات صوابه . . . إنه الرجل الذى تزداد عزيمته مضاء بقدر ما تزداد الحادثات عنفا وخطرا ، والذى تزداد قناته صلابة كلما ازدادت الخطوب فداحة والأعباء ثقلا واستفحالا . . .

عقد اراهام مجلس وزرائه وأخذ يناقش الأعضاء ويناقشونه وهومن أول الأمر لا يؤمن بعدالة ما فعله ولكس ؛ وبعد جهد استطاع أن يحمل المجلس على قبول رأيه ثم أعلن بعدها فى شجاعة وحزم اطلاق الرسولين ، وأجاب على إنذار الحكومة الانجليزية برسالة متينة جاءت دليلا قويا على حكمته وبعد نظره ، رسالة احتفظ فيها بكرامة بلاده وعزة قومه، وجنبها بها فى الوقت نفسه خطرا ما كان أغناها عنه يومئذ

وارتاحت انجلترة لما فعل الرئيس وأثنى رجالها على حنكته وشجاعته ! ولكنه لاقى فى بلاده من السخط والاستياء مالايقوي على مواجهته غيره ، وأوشكت مكانته فى القلوب أن تتزعزع ، وراح يرتاب فيه المتحمسون ويصفون عمله بالجبن والخور . . . ولكنه فيما بينه وبين نفسه يعتقد أنه أسدى صنيعاً إلى قومه لا يدركه إلا العقلاء ، الذين لا يحملون فى كل وقت للعواطف

سلطانا على أعمالهم . . . . قال مرة يرد على الساخطين « لقد حاربنا بريطانيا العظمى مرة لأنها فعلت عين ما فعله الكابتن ولكس ؛ فاذا مارأينا انجلترة تحتج على هذا الفعل وتطلب إخلاء سبيل الرسولين فواجبنا هو ألا نخرج على مبادئنا التى ترجع إلى عام ١٨١٢ . . . . يجب أن نطلق هذين السجينين وحسبنا حربا واحدة فى وقت . . . . »

ومضى العملاق بعدها فى سبيله يؤدى للانسانية رسالته ؛ وإننا لنرى هذا الجبار الذى درج من بين الأحراج والأدغال يحمل العبء وحده فى الواقع . . . بل إنه كما ذكرنا ليلاق مما يفعل كثير من أكابر رجاله أعباء تضاف إلى أعبائه ولكنه معود حمل الأعباء ومواجهة الأنواء

وإنه ليسأل نفسه: ألم يأن لهؤلاء الرجال أن يعملوا كما تطلب الظروف ؛ وماذا على فريمونت لو كان رجع إلى الرئيس، ثم ماذا على ما كايلان لو أنه خفض جناحه وألان جانبه وأخذ الأمور بالشورى . . ؟ ولكن ها هو ذا قائد آخر يفعل مثل مافعل فريمونت، وذلك هوهنتر الذى كانت له القيادة فى كارولينا الجنوبية ؛ وكان هنتر أكثر جرأة من فريمونت أو على الأصح أكثر نزقا فلقد أعلن أن سكان فرجينيا وفلوريدا وكارولينا الجنوبية من العبيد أحرار بعد اليوم إلى الأبد . . . .

ولم يسع الرئيس إلا أن يعجل بنقض هذا القرار فى غير مجاملة أو هوادة ، فلقد كان هنتر خليقا أن يعتبر بما كان من أمر صاحبه فريمونت وكان مما أعلنه الرئيس قوله : « إن حكومة الولايات المتحدة لم تخول للقائد هنتر ولا لأى قائد أوشخص سواه من السلطان مايعلن معه تحرير العبيد فى أية ولاية من الولايات، وإن هذا الاعلان المزعوم، سواء كان حقيقيا أوزائفا، هو إعلان باطل »

ولا يكاد الرئيس ينتهى من نزق إلا ليواجه نزقا غيره ، فهاهو ذا وزير الحربية كامرون يرسل رسالة إلى بعض الضباط شبيهة بما أعلنه فريمونت وصاحبه . . ولولا أن تدارك الرئيس الأمر لأحدثت من سوء الأثر مايصعب بعد علاجه ؛ ولقد أبرق الرئيس إلى مكاتب البريد لترد نسخ تلك الرسالة المطبوعة وحال بذلك دون وصولها إلى وجهاتها . .

ولما أن يئس الرئيس من ما كايلان وقدمضى عليه أكثر من عام وهو لايعمل أكثر من تدريب جنده ولا ينفك يطلب فرقا جديدة ؛ رأى أن الموقف يقضى عليه أن يدرس فنون الحرب والتعبئة ! أليس هو بحكم مركزه القائد الأعلى للقوات البرية والبحرية ؟ وإذاً فعليه أن يتعلم فن الحرب اليوم كما تعلم مسح الأرض من قبل وتخطيطها وكما تعلم القانون حتى حذقه ، بل وكما تعلم القراءة والكتابة قبل ذلك جميعاً وهو بين مطارح الغابة

شمر الرئيس عن ساعده وراح يدرس ويتعلم لا يني ولا يكل ساعات طويلة من النهار وساعات من الليل؛ الخريطة مبسوطة أمامه، ومعلموه من الحربيين يتناولون العمل معه واحداً بعد الآخر حتى فهم بعض الفهم وأصبح له شىء من الرأى ! يالله من هذا العبقرى الجبار الذى يحمل على كتفيه ما كان ينوء بحمله أطلس أو آخيل !

واستطاع الرئيس بعد مدة أن يدلى للقواد برأى فى فنهم، ولكنه كان حذرا يعرض الفكرة ويترك القطع بصحتها للقائد المرسلة إليه. ولقد كتب مرة إلى أحدهم برأيه ثم شدد عليه ألا يتقيد به قائلا إنه يلومه أكبر اللوم إن هو تحيز له أو تردد عن العمل بما تمليه عليه خبرته إذا كان ذلك الرأى لا يتفق وهذه الخبرة . . .

على أنه يكتب إلى ما كايلان نفسه ذات مرة مشيرا عليه بما يجب أن يعمل ، فى خطة مرسومة على أساس فنى ، ولما رد ما كايلان عليه برفض تلك الخطة لم يقره الرئيس ، وعاد فكتب إليه يسأله أسئلة تدل على فهم دقيق وإلمام شامل ، ويدع له أن يجيب على تلك الأسئلة الفنية إجابة صريحة نزيهة والرئيس مستعد بعدها أن يقره .. ثم نحا كما إلى إخصائيين، فما زال الرئيس يدلى لهم بحججه ويريهم أن خطته أضمن وأسلم من خطة القائد ما كايلان ، ولكنهم آخر الأمر أقروا خطة ما كايلان ، فلم يسع الرئيس إلا أن يذعن وإن كان لا يزال يرى وجاهة آرائه ..

(يتبع) الخفيف

الكميت بن زيد

شاعر العصر المرواني

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

— ٧ —

منزلته الشعرية

كان الكميت شاعرا عالما جمع من الثقافة العلمية مالم يجتمع لشاعر فى عصره ، حتى قال بعضهم : كان فى الكميت عشر خصال لم تكن فى شاعر : كان خطيب بنى أسد ، وفقيه الشيعة ، وحافظ القرآن ، وثبت الجنان ، وكان كاتبا حسن الخط ، وكان نسابة ، وكان جدليا ، وهو أول من ناظر فى التشيع مجاهرا بذلك ، وكان راميا لم يكن فى بنى أسد أرمى منه ، وكان فارسا ، وكان شجاعا ، وكان سخيا دينا

وقال أبو الفرج الأصبهانى : أخبرني عمى ، قال حدثنى محمد بن سعد الكرانى ، قال حدثنا أبو عمر العمرى عن لقيط ، قال : اجتمع الكميت بن زيد وحماد الراوية فى مسجد الكوفة ، فتذاكرا أشعار العرب وأيامها ، فخالفه حماد فى شىء ونازعه ، فقال له الكميت : أتظن أنك أعلم منى بأيام العرب وأشعارها ؟ قال : وما هو إلا الظن ، هذا والله هو اليقين ، فغضب الكميت ثم قال له : لكم شاعر بصير يقال له عمرو بن فلان تروى ؟ ولكم شاعر أعور أم أعمى اسمه فلان بن عمرو تروى ؟ فقال حماد قولا لم يحفظه ، فجعل الكميت يذكر رجلا رجلا من صنف صنف ويسأل حماداً هل يعرفه ؟ فاذا قال لا ، أنشده من شعره جزءا جزءا حتى ضجرنا ، ثم قال له الكميت : فانى سائلك عن شىء من الشعر ، فسأله عن قول الشاعر :

طرحوا أصحابهم فى ورطة ... قَذْفَكَ المقلةَ شطر المترك

فلم يعلم حماد تفسيره ، فسأله عن قول الآخر:

تدريننا بالقول حتى كأنما ... يدرين ولدانا تصيد الرهادنا

فألجم حماد ، فقال له : قد أجلتك إلى الجمعة الأخري ، فجاء حماد ولم يأت بتفسيرها ، وسأل الكميت أن يفسرهما له ، فقال : المقلة حصاة أو نواة من نوى المقل يحملها القوم معهم إذا سافروا ، وتوضع فى الاناء ويصب عليها الماء حتى يغمرها ، فيكون ذلك علامة يقتسمون بها الماء ، والشطر النصيب ، والمترك الموضع الذى يختصمون فيه فى الماء ، فيلقونها هناك عند الشرب ، وقوله (يدريننا) يعنى النساء ، أى ختلتنا فرميننا ، والرهادن طير بمكة كالعصافير .

وذكر ياقوت أن ابن عبدة النساب قال : ماعرف النُّسّابُ أنساب العرب على حقيقة حتى قال الكميت النزاريات ، فأظهر بها علماً كثيراً ، ولقد نظرت فى شعره فما رأيت أحداً أعلم منه بالعرب وأيامها .

وأخرج ابن عساكر أنه كان يقال : ماجمع أحد من علم العرب ومناقبها ومعرفة أنسابها ماجمع الكميت ، فمن صحح الكميت نسبه صح ، ومن طعن فيه وهن .

وقال أبو عكرمة الضبى : لولا شعر الكميت لم يكن للغة ترجمان ، ولا للبيان لسان .

وقد عنى ابن الأعرابى بدرس شعر الكميت ، ولم يكن يعنى إلا بالشعراء الفحول الذين يعرفون الأنساب ، أو يمتون بعرق إلى الأساليب الجاهلية ؛ ولم يعن ابن الأعرابى بدرس شعر الكميت فحسب ، بل كان يذكر به من يغفلون عنه حين يعرضون عليه ماعرفوا من معانى الشعراء .

وأخرج أبو عكرمة الضبي عن أبيه قال : أدركت الناس بالكوفة يقولون : من لم يرو :

« طَرِبْتُ وماشوقاً إلى البيض أطْرَبُ »

فليس بهاشمى ، ومن لم يرو :

« ذكر القلبُ إلْفَهُ المهجورا »

فليس بأموى ، ومن لم يرو :

« هلاَّ عرفتَ منازلاً بالأبرقِ »

فليس بمهلبي ، ومن لم يرو :

« طَرِبْتَ وهاجَكَ الشوقُ الحثيثُ »

فليس بثقفى .

فهذا كله إلى مانقلناه عن معاذ الهراء يظهر لنا كيف كانت طائفة كبيرة من العلماء والأدباء تتعصب للكميت وشعره إلى هذا

الحد من التعصب ، ومانظن أن نظرهم فى هذا كان يجاوز جانب اللفظ والمعنى فى شعر الكميت ، فلا ينظرون إلى شيء آخر بعدهما يسمو به الشعر أكثر مما يسمو بهما ، ويمتاز به الكميت ابن زيد على شعراء عصره جميعاً .

وكان يوجد إلى جانب هذه الطائفة المتعصبة للكميت طائفة أخرى من الأدباء والشعراء تتعصب عليه وتقدح فى شعره ، ومن هؤلاء المتعصبين عليه بشار بن برد ، وكان يقول : ما كان الكميت شاعراً ، فقيل له كيف وهو يقول :

أنصفُ امرىءٍ من نصف حيٍّ يسبنى
لعمرى لقد لاقيتُ خطباً من الخطبِ

هنيئاً لكلبٍ أن كلباً تسبنى
وأنى لم أردُدْ جواباً على كلبِ

لقد بلغتْ كلبٌ بسبىَ حظوةً
كفتها قديماتِ الفضائح والوصبِ

فقال بشار : لا بَلْ شانئك ، أترى رجلا لو . . . ثلاثين سنة لم يستملح منه شيء ؟

وقد كان مذهب بشار في الشعر إيثار اللفظ السهل على العويص ، وكان فى هذا قدوة من أتى بعده من الشعراء المولدين ، والكميت يخالفه فى هذا المذهب مخالفة تامة . قال محمد بن أنس الأسدى ، حدثنى محمد بن سهل راوية الكميت ، قال سمعت الكميت يقول : إذا قلت الشعر فجاءنى أمر مستو سهل لم أعبأ به حتى يجيء شيء فيه عويص فأستعمله

ومن هنا يجىء تحامل بشار على الكميت . وعندى أنه لا يصح أن يقدح فى الشعر أن تكون ألفاظه سهلة أو عويصة ، فلكل من ذلك مقامه فى طباع الشعراء وتمكنهم من اللغة وغريبها ، وكذلك ما يحيط بالشاعر من ظروف الزمان والمكان وغيرها

وممن كان يتعصب على الكميت أيضاً رؤبة بن العجاج ، وقد ذكر المبرد عن رؤبة أنه قال : قدمت فارس على أبان بن الوليد البجلى منتجعا له ، فأتانى رجلان لا أعرفهما فسألانى عن شيء ليس من لغتى فلم أعرفه ، فتغامزا بى ، فتقبضت عليهما فهمدا . ثم كانا بعد ذلك يختلفان فيسمعان منى الشيء فيكتبانه ويدخلانه فى أشعارهما ، فعلمت أنهما ظريفان ، وسألت عنهما فقيل لى : هما الكميت والطرماح

وكان ذو الرمة يرى فى الكميت ما يراه فيه رؤبة بن العجاج ، وقد أتى الكوفة فلقيه الكميت فقال له : إنى قد عارضتك بقصيدتك ، قال أى القصائد ؟ قال : قولك :

ما بالُ عينك منها الماء ينسكبُ
كأنه من كلى مفرية سربُ

قال : فأى شيء قلت ؟ قال قلت :

هل أنتَ عن طلب الأيفاعِ منقلبُ
أم كيف يحسن من ذى الشيبة اللعِب

حتى أتى عليها ، فقال له : ما أحسن ما قلت ، إلا أنك إذ شبهت الشيء ليس تجىء به جيداً كما ينبغي ، ولكنك تقع قريباً ، فلا يقدر إنسان أن يقول أخطأت ولا أصبت ، تقع بين ذلك ، ولم تصف كما وصفت أنا ولا كما شبهت . قال : وتدرى لم ذاك ؟ قال : لا ، قال : لأنك تشبه شيئاً قد رأيته بعينك ، وأنا أشبه ما وصف لى ولم أره بعينى ، قال : صدقت هو ذاك

وليس هذا من رؤبة وذى الرمة إلا تعصباً على الكميت من أجل أنه كان حضريا ، وأنهما كانا بدويين يذهبان فى الشعر مذهب أهل البدو . وقد ذكرنا أن الكميت كان يجمع فى شعره بين أدب الحاضرة والبادية ، فكان من جهة اللفظ والأسلوب كسائر شعراء البادية فى الاسلام والجاهلية ، وكان من جهة الغرض الذى يرمى إليه فى شعره حضريا يذهب فى ذلك مذهباً جديداً يليق بشاعر مثقف يمثل ثقافته ، وهو فى هذا يخالف شعراء عصره إذ كانوا يذهبون فى أغراض الشعر مذهباً بدوياً جاهلياً لا أثر فيه للثقافة الاسلامية ، ولا تتفق غايته مع الغاية التى كان يجب أن تكون غاية الشعر فى هذا العصر

والشعر عندنا كما يوزن بألفاظه ومعانيه يوزن بأغراضه ومقاصده ، فلا يصح أن يكون الشعر الذى له غاية سامية فى الحياة كالشعر الذى لا يراد منه إلا اللهو والعبث ، وليس جد الحياة كهزلها ، ولا حقها كباطلها ، فليكن جد الشعر فوق هزله ، وليكن حقه فوق باطله ، وليكن الكميت فى هاشمياته فوق شعراء عصره جميعاً

عبد المتعال الصعيدى

من أهل فلسطين

وطن يعذب في الجحيم

للأستاذ أحمد محرم

خُلُقُ (العروبةِ) أن تجدَّ وتدأبا ... وسجيّةُ (الإسلام) أن يتغلّبا

لا تلكَ تخفض من جناحَيها، ولا ... هذا يُريدُ سوى التفوّق مطلبا

رَفعَ النفوسَ عن الصَّغارِ، وصانها ... عن أن تخافَ عدوّه أو تَرهبا

دِينُ الفتوّةِ والمروءةِ، ما طغت ... لُجَجُ المنـايا حَولَه فتهيّبا

المؤمنونَ على الحوادثِ إخوةٌ ... لا يعرفون سوى (الكتاب) لهم أبا

سَلْهُمْ عَلى شَرَفِ الأبُوّةِ هل رَعوا ... ما سنَّ من أدب الحياة وأوجبا؟

بَيْتٌ تفرّق في البلادِ، وأُسرةٌ ... صَدعَ الزمانُ كيانَها فتشعّبا

وَهَنَ البناء، فعاثَ في فجَواتِه ... عادي الفساد مُدَمّرًا ومُخرّبا

لَبّيْكَ يا (وطنَ الجهادِ) ومرحبا ... لَبّيْكَ من داعٍ أهابَ وثَوّبا

لَبّيْكَ إذ بلغَ البلاء، وإذ أبَى ... جدُّ الزّمانِ وصَرفِه أن نلعبا

مَنْ ذا يرى دمَـهُ أعزَّ مكانةً ... من أن يُخضَّبَ من (فلسطين) الرُّبى؟

كَبُرَتْ حينَ عفا الوفاءُ، وما عفا ... في أرضها أثَرُ (البُراق) ولا خبا

إني أرى (المعراجَ) عند جلاله ... وأرى (النبيّ) وصحبَه والموكبا

وَطَنٌ يُعذَّبُ في الجحيم وأُمّةٌ ... أعزِزْ علينا أن تُصابَ وتُنكبا

بِقلوبنا الحَرّى، وفي أحشائنا ... ما شَبَّ مِنْ أشجانها وتلهّبا

وبِنا مِنَ الألمِ المبرّح ما بها ... وأرى الذي نلقى أشدّ وأصعبا

نتجرّعُ البلوى، ونَدرعُ الأسى ... نرعى لإخوتنا الذّمامَ الأقربا

إنّا لنعلمُ أنّ آكلَ لحمهمْ ... سيخوضُ منّا في الدّماء ليشربا

جعلوا الكفاحَ عن العروبةِ حَزْنَهمْ ... وتَعهّدُوه، فكان حَزْنًا طيّبا

يَسقُون ما زرعوا دمًا في مُخصِبٍ ... لولا الدّمُ الجاري لأصبحَ مُجدبا

(البيتُ) يَطرَبُ من أنين جريحهم ... أرأيتَ في الدّنيا أنينًا مُطربا؟

إنّ الذي زعمَ السلامَ مُرادَه ... جعلَ الدماءَ سبيلَه والمركبا

إن كان قد غَمرَ الزمانَ وأهلَه ... كذبًا، فمن عاداته أن يكذبا

رَكِبَ الرياحَ إلى القويّ، يروضُه ... شرِسًا، يقلّبُ نابَه والمخلبا

طارت بِه، وفؤادُه في روعةٍ ... يتلمّسُ المَهوى ويبغي المهربا

أرأيتَ إذ سكبَ الدّموعَ غزيرةً ... يأبى الحياءُ لمثلها أن يُسكبا؟

مُتصنِّعٌ، باسم الضّعيفِ يُريقُها ... وهو الذي تركَ الضعيفَ معذّبا

ما كانَ أصدقَ نُسْكَهُ لو أنه ... رَحِمَ البريءَ، ولم يُحابِ المذنبا

يَهذي بذكرِ العدلِ في صلواته ... أرأيتَ عدلاً بالدّماء مُخضّبا؟

(رُسُلَ العروبةِ) هلْ سألتم جُرحَها ... ما بالُه استعصَى؟ وماذا أعقبا؟

***

جُرحٌ تقادمَ عهدُه، وتفتّحتْ ... أفواهُه تدعو الأساةَ الغُيّبا

أنتم أساةُ الجرحِ، فاتخذوا له ... من طِبِّ (شيخِ أساتكم) ما جرّبا

وَصفَ الدّواءَ لكم، وخلّفَ عِلمَه ... فيكم، فأينَ يُريدُ منكم من أبى؟

يا قومُ لستُم بالضّعافِ فغامِروا ... وخُذوا مطالبَكم مِراعًا وثُبًا

أفما كفاكم قوّةً من دينكم ... ما جمّعَ الإيمانُ فيه وألّبا؟

يا (آلَ يعرُبَ) مَنْ يُريني (خالدًا) ... يُزجي الخميسَ، ويَستحثُّ المِقنبا؟

مَنْ شاءَ منكم فليكنْهُ، ولا يَقُلْ ... ذهبَ القديمُ، فإنّه لن يذهبا

السّرُّ باقٍ والزّمانُ مُجدِّدٌ ... والسيفُ ما فقدَ المضاءَ ولا نبا

رُدّوا المظالمَ عن محارم أُمّةٍ ... ردّتْ ظنونَ ذوي الجهالةِ خُيَّبا

لم يُعطِ أوطانَ العروبةِ حقَّها ... من كانَ يطمعُ أن تُباعَ وتوهبا

أحمد محرم

جحيم

للأستاذ عبد الحميد السنوسي

أتخافين في اقترابك مني ... واقترابي مصارع العشاق ؟
أم تخافين أن ترانا عيون الـ ... ـناس في خلوة وطيب عناق ؟
أم تخافين ألسن الناس تمشي ... في هوانا بالسوء عند التلاقي ؟
أم تخافين لوم من ليس يرضيـ ... ـه لقائي واللوم مر المذاق ؟
لو سما غيرنا إلى أفق الحب ... ولاقوا في حبهم ما نلاقي
لاستراحوا من التهامز والغمز ... فقرّتْ قلوبهم والمـآقي
ضللتهم شكوكهم فاستباحوا ... ما استباحوا من الدم المهراق
وبقينا كما ترانا صديعين ... على الدهر في جحيم باق
لِمَ مَنَّيْتِني إذا كنت تخشين ... لقائي وتنكرين اشتياقي ؟
لِمَ جددت باللقاء الأماني ... ثم عذبتني بهذا الفراق
لِمَ أوريت باللقاء حنيني ... ثم أسلمتني إلى أشواقي ؟
لِمَ عجّلت في اللقاء بتودّ ... يعي فودعتني بهذا التلاقي ؟
أتسرين بالضرام إذا ما ... شب في أضلعي وفي أحداقي
أم تسرين بالمدامع تجري ... إن دمعي دم الفؤاد المراق !
عبثاً أرتجي لقاءك ما دمـ ... ـتِ تخافين خلوة المشتاق
عبثاً أرتجي لقاءك ما دمـ ... ـتُ على القرب والنوى في احتراق

أين عيناك

للأديب محمد هاشم الموصلي

يا حبيبي تطاول البعد واربدّ ... ت سمائي بحالكٍ من غمام
أين عيناكَ تقرآن بعينيّ ... سطور الشقاء والآلام
وأرى فيهما بريق أمانيّ ... فيغفو قلبي على الأحلام
أبداً تعتري فؤاديَ ذكرا ... كَ فاهتز من أسى وهيام
كلما أوشكتْ تحور إلي البر ... ء جراحي تجدّدتْ بابتسام
يا نجيّ في وحدتي وسميري ... ورُؤى مقلتي وطيف منامي
طف بقلبي كما تطوف الأمانيّ ... وهدهد جرح الغرام الدامي
ثم كفكف مدامعي فعيوني ... ليس ترقا من لوعة وغرام
وارْوِ من مورد الحنان بقايا ... مهجة لم تُرَعْ من الأسقام

(حمص) — محمد هاشم الموصلي

كيف يعيشون ....؟

للاستاذ رفيق فاخوري

من لي بقلب كالصفاة مُغْلق ... غفلان من سجن الهموم مغلق
خالٍ - كجوف العير - مما ينفع ... ليس له وليس فيه مطمع
من العلوم والفنون أصفى ... فما يحير الدهر منه حرفا
لا يعرف الكتب ولا الدروسا ... أفرغ من فؤاد أم موسى
إنما يطف به الغباء يعلق ... وإن يلامسه الذكاء يزلق
من لي بمال تالد ما تعبت ... يدٌ بجمعه ولا رجلٌ سعت
أنفقه في طاعة النفس متى ... شئت ولا أعرف من أين أتى
يسحرني في الكيس حسن شكله ... يعجبني في السوق صدق فعله
أحمد آبائي عليه ألفا ... أغرف باليدين منه غرفا
بيأسه أطول من يطاول ... بسيفه أصرع من يصاول
أشرى به جاهاً وعزاً أغلبا ... وسؤدداً فوق السُّها مطنَّبا
ونسباً متصلاً بيعرب ... ما خالطته لوثة من أجنبي
لو أن لي هذا الذي وَصَفتُ ... لعشتُ في قومي كما أردت
سبحان من قد سوّد البهائما ... وخصّ بالمكرمة السوائما

رفيق فاخوري



والله لا يستحي من الحق

قرأ ابن كثير في رواية شبل : « لا يستحى » بياء واحدة ، وهذه تميمية ، كما قال الأخفش ، واستحيا حجازية ، « ووزنه على هذا (يستفع) إلا أن الياء نقلت حركتها إلى العين وسكنت ؟ وقيل المحذوف هي العين وهو بعيد » كما قال العكبرى ، وفي (الأساس) : « واستحييت منه ، واستحيت ، وأنا أستحى منه » وفي (الصحاح) : « يقال : استحيت بياء واحدة ، أعلوا الياء الأولى والقوا حركتها على الحاء » قال سيبويه : « وإنما فعلوا ذلك حيث كثر في كلامهم » وفي (القاموس) : «واستحى منه » وفي (التاج) كلام مستفيض في هذه اللفظة، وفي (اللسان): « واستحيا واستحى حذفوا الأخيرة كراهية التقاء الياءين . الأزهرى : للعرب في هذا الحرف (يعنى الكلمة) لغتان » واستحيا هي الفصحي ، واستحى فصيحة

(***)

جائزة واصف غالى باشا

أرسل واصف بطرس غالى باشا إلى المسيو فرنسوا بيارى رئيس جمعية « فرنسا ومصر » كتابا قال فيه : —

« بمناسبة الذكرى الثالثة لانشاء هـذه الجمعية رأيت تنويها بما تبديه فرنسا من الاهتمام الخاص نحو مصر أن أرسل إليكم تحويلا بألف جنيه عسى أن يكون في وسع الجمعية أن تنشيء من إيراد هذا المال جائزة لمكافأة الأعمال الفنية والعلمية والأدبية التى تزيد في إنماء العلاقات والروابط العلمية والأدبية والاقتصادية بين البلدين، أوتنشيء نوعامن المباراة بين الطلبة الفرنسيين والمصريين في موضوعات تتناول عمل فرنسا واشتراكها في أى فرع من فروع الحياة المصرية . وما أوسع مجال هذا العمل منذ الحروب الصليبية إلى الآن . وإنى أعرض عليكم هذا الرأي كعضو في الجمعية تاركا لكم حرية العمل كما تشاءون »

ومن المعلوم أن واصف بطرس غالى باشا انتخب منذ حين قريب عضوا في اللجنة الفخرية في هذه الجمعية

مكتبة الأزهر

تحتوى مكتبة الأزهر على أعظم مجموعة من المؤلفات العلمية القيمة بعد مجموعة دار الكتب المصرية . إذ أن فيها الآن نحو ١٦٠ ألف مجلد في مختلف العلوم والفنون قديمها وحديثها، وأكثر هذه المجلدات من تأليف فحول العلماء في مصر والبلاد الاسلامية الأخرى في العصرين القديم والحديث

ويكاد يزيد المخطوط من المؤلفات في هذه المجموعة النادرة من الكتب على نصفها . فهو لا يقل بحال عن ثمانين ألف مجلد

ويستطيع من يرى تلك المخطوطات في المكتبة الأزهرية أن يلمس ما لها من قيمة، فهي تعطى صورة كاملة للخطوط في مختلف الأمم والعصور الماضية . فهذا أندلسى ، وذاك كوفى ، وذلك فارسى ، وهذه كتابة على رق غزال ، وتلك سطور في رقاع يرجع تاريخها إلى ما قبل قرون وأجيال

وبين الكتب المخطوطة في مكتبة الأزهر كتاب « غريب الحديث » للامام أبي عبد الله القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٣ هـ وهو مكتوب بخط أبي الخطاب الحسيني بن عمر العابدى ؛ وقد فرغ من كتابته سنة ٣١١ هـ أى قبل بناء الجامع الأزهر بثمانية وأربعين عاما

وقد تشرف جلالة الملك فأبدي اهتماماً خاصًا بهذا الكتاب الذى يكاد يكون أقدم مؤلف مخطوط في بابه ، وتكاد النسخة الموجودة منه في الأزهر تكون مقطوعة النظير حتى أن جلالته أوصى بالمحافظة عليه

ويلى هذا الكتاب فى قدم العهد بكتابته مؤلف مخطوط آخر هو « رسالة في الحاسد والمحسود » ألفها أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، وكتبها بخطه على بن هلال المتوفى سنة ٤١٢ هـ . أى أن هذه الرسالة قد مات كاتبها منذ ٩٤٤ سنة

وفى المكتبة مجموعة من المصاحف المخطوطة مختلفة الأحجام والخطوط ، ومنها مصحف يرجع تاريخ كتابته إلى أوائل القرن الرابع الهجرى ، وهو مكتوب بالخط الكوفى على رق غزال من القطع الكبير

ومنها مصحف كتبه على بن أمير حاجب بخطه سنة ٧٢٢ هـ وأتم كتابته فى ستين يوماً ، وهو فى مجلدين كبيرى الحجم ، فى كل منهما نصف القرآن . ويمتاز هذا المصحف الخطى النادر بما فى أوله من إحصاء دقيق بعدد حروف القرآن ، وآياته ، وسوره ورموز القراءة ، والسجدات والسور التى تشتمل على الناسخ والمنسوخ ، وكيفية نزول القرآن ، وجمعه وبيان بعض القراءات

حول تيسير قواعد الاعراب

لقد شاءت الآنسة الفاضلة (أمينة شاكر فهمى) أن ترد على بعد أن نبهتها إلى تلك الأخطاء الظاهرة فى ردها الأول ، ومنها أنها لا تزال تدعى أنى غيرت الاعراب وأبقيت القواعد على ماهى عليه ، مع أنى غيرت القواعد أولا ، ثم غيرت الاعراب ثانياً ، وإنى بعد هذا لا يسعنى إلا أن أختار السكوت فيما بينى وبينها ، والسكوت فى بعض الأحيان قد يكون خير رد

(أزهرى)

دراسة التصوف فى أوربا

يحلو لكثير من المشتغلين بدراسة التصوف الاسلامى أن يقارنوا بينه وبين التصوف فى العصور الوسطى فى أوربة ، وبينهما وبين التصوف الهندي ، وهى بحوث لا تخلو من لذة ، ويزعم بعض المستشرقين أمثال الأستاذ فون كريمر أن التصوف الاسلامى يرجع فى بعض نواحيه إلى النرفانا ، ويماثلونها (بالفناء) عند الصوفية من أهل الاسلام ، وينقض هذا الرأى الأستاذ رينولد نيكلسون — وهو اليوم أعظم المشتغلين بهذه الناحية — ويرى أن الزهد الاسلامى مستقل عن أى تصوف آخر ، ويميل لهذا الرأى الأستاذ ماسينيون وهو أيضاً من أقطاب الباحثين فيه

وعلى الرغم من كثرة الكتب فى هذا الباب ، فان هناك عددا وفيرا لازال رهن المخطوطات ، ومبعثرا فى دور كتب أوربا ؛ ومن المشتغلين اليوم بهذا الفرع من الدراسة الأستاذ آرثر حنا أربرى (وكان من قبل أستاذا بكلية الآداب بالجامعة المصرية) فنشر بضع مخطوطات منها كتاب (المواقف والمخاطبات) لمحمد بن عبد الجبار النِّفرى (المتوفى سنة ٣٦٠ هـ) ، وطبعه فى سلسلة جب التذكارية ، وأرفق النص بترجمة له ، ودراسة وافية — بالانجليزية — عن الألفاظ الصوفية التى استعملها المؤلف ، واصطلاحات المتصوفة ومقدمة فى حياة النِّفرى .

وأسلوب النفرى فى غاية العمق ، كما أن كثيرا من عباراته تكاد تكون غامضة مبهمة تتطلب خبرة غير قليلة ودراسة قوية للتصوف ، أما المخاطبات فبينه وبين الحق ، كما فى قوله (أوقفنى فى العلم وقال لى : حجبتك بعلمك فى حجاب من علمك فاعرفتنى ، فان لم تخرج من علمك إلى معرفتك فأنت فى حجاب من العلم) وابن عبد الجبار النفرى يتكلم عن ناحية الالهام وعن الذات الالهية ، ومواقفه بين يدى الحق مثل موقف العز والانتقام والخوف ثم تعتريه حالات تطرأ على نفسه فيذكرها

كذلك نشر الأستاذ أربري من قبل فى مصر كتاب التوهم للحارث بن أسد المحاسبي (سنة ٢٤٣ هـ) وهو أشبه مايكون برواية طريفة فى ذكر الجنة والنار ، وكان ابن أسد الحارثى هذا من معاصرى احمد بن حنبل (راجع تاريخ بغداد ج ٨ ص ٢١١ – ٢١٦) وأسلوب المحاسبي فى هذا الكتاب أميل للناحية الأدبية ، والقطعة التالية منه تبين أسلوب الكتاب ومرمى المؤلف ، يقول « وتوهم حين وقفت بالاضطراب يرعد قلبك ، وتوهم مباشرة أيديهم على عضديك وغلظ أكفهم حين أخذوك ، فتوهم نفسك محتوثة فى أيديهم وتوهم تخطيك الصفوف ، طائر فؤادك ، فتوهم نفسك كذلك حتى انتهى بك إلى عرش الرحمن فقذفوا بك من أيديهم ، وناداك الله عز وجل بعظيم كلامه ، « أدن منى يا ابن آدم » فَغَيَّبَكَ فى نوره » وقوله فى موضع آخر حيث الصراط « فتوهم نفسك وقد انتهيت إلى آخره فغلب على قلبك

النجاة ، وعلا عليك الشفق ، وقد عاينت نعيم الجنان وأنت على الصراط » . .

ويشتغل الأستاذ أربرى هذه الأيام فى إخراج مخطوط آخر للمحاسبي ، وهو يجد لذة فى إخراج أمثال هذه المخطوطات التى ليس من شك فى أنها تلقى ضوءاً جديداً على دراسة التصوف ، وتنير السبيل للباحثين فيه .

وهناك من المستشرقين المهتمين بهذه الناحية الأستاذ ميشيل أزين بلاتشيوس الاسبانى ، وهو يمكف منذ أمد بعيد على دراسة التصوف الاسلامي، والفلسفة الاسلامية وخاصة ما كان منها متعلقاً بمسلمى أسبانيا ، وقد نشر منذ أمد بعيد رسالة قيمة عن ابن مرّة (بالاسبانية) عالج فيها مبادئه وآراءه ، وأفكاره السياسية ، وبسط فيها الفكرة الشيعية التى أثرت عليه فجعلت منه داعياً وفيلسوفاً .

المستشرقون والحياة الشرقية

فى الخامس من شهر سبتمبر الماضى انعقد بمدينة بروكسل مؤتمر المستشرقين ، حيث ألقى فيه الأستاذ (بروجلماون) — وهو من علماء الاستشراق المعروفين بحثاً وافياً عن تطوّر الشعر العربى فى نصف القرن الأخير ، وألمّ فيه ببعض شعراء مصر . واهتمام المستشرقين بدراسة الأدب العربى ليس بالشئ الجديد ، وإن كان — على أية حال — يشير إلى عناية هؤلاء القوم بدراسة الشرق فى نواحى تفكيره المختلفة . وفى عصوره القديمة والحديثة على السواء

ودراسة المستشرقين لأقطاب الفكر العربى دراسة تخلو من كل مغمز ، قوامها تحليل ما يكتبه هؤلاء ، وعرض آثارهم الفكرية على العالم الغربى والمهتمين بتتبع الأمور فى بلاد الشرق . ومنذ أمد قريب نشر الأستاذ كراتشوفسكى المستشرق الروسى مقالا عن الأدباء المحدثين فى مصر وسورية ، كما نشر من قبل الأستاذ جب سلسلة من الأبحاث القيمة الدقيقة فى مجلة مدرسة اللغات الشرقية بلندن ، تناول فيها أدباء مصر ومؤلفاتهم ، كذلك نشر الأستاذ كبفيار عدة بحوث عن شاعر العراق المرحوم جميل صدقى الزهاوى ، وترجم إلى الألمانية بعض قصائده والمتتبعون لما يكتبه الدكتور بروكلمان يرون أنه فى الملاحق التى أضافها لكتابه القيم Jeschichte der Arabischen Litteratur قد تناول كثيرين من أدباء العربية فى مصر والشام والمهجر أمثال العقاد وهيكل والمازنى وطه حسين والزيات ومنصور فهمى وسلامة موسى وجبران خليل جبران وميخائيل نعيمة واليازجى وغيرهم مشيراً خلال ذلك إلى إنتاجهم الفكرى فى الترجمة والتأليف

ولما طبع المرحوم شوقي بك روايته (مجنون ليلى) ترجمها باذن منه الأستاذ أربرى Arbry وكان إبان ذلك الوقت أستاذاً بكلية الآداب بالجامعة المصرية ، ولقد حافظ المترجم فى ترجمته هذه على الروح الأصلية فجاءت آية فى بابها ، ومثالا يحتذى فى دقة الترجمة ، وإدراك المعانى كما تدل على أصالة شعرية وطبع موهوب، ولعل البعض يسأل عن علة اختيار هذه الرواية بالذات؛ والجواب على ذلك أن الأستاذ ممن لهم ولع بدراسة التصوف الاسلامى وفى رواية مجنون ليلى تتجلى روح قل أن تنبه لها إلا القليلون ، تلك هى أن ليلى عاشت عذراء وماتت عذراء طاهرة رغم زواجها

وقصارى القول أن عناية المستشرقين بنقل روائع الأدب العربى الحديث إلى لغاتهم الأوربية أو الكتابة عن أقطاب الفكر فى مصر والشام وغيرهم من المعاصرين لها دلالتها على حيوية الأدب الحديث ، كما أن فيها إطلاع الغرب على النهضة الفكرية فى الشرق

ع . ع



شيء من لا شيء أيضاً

مدت سينما ستوديو مصر عرض فلمها الأول لهذا الموسم (شيء من لا شيء) أسبوعاً آخر ، دالة بذلك على أن الاقبال عليه كان عظيما في الأسبوع الأول . وهذا صحيح ، فقد أقبل المتفرجون والمتفرجات زرافات ووحدانا ومن كل فج من فجاج القاهرة والضواحي لرؤية باكورة إنتاج ستوديو مصر في هذا الموسم ، ومصدر ذلك الاقبال الذي شاهدناه بأعيننا هو أن الجمهور اعتاد من هذا الاستوديو الكبير أفلاماً ممتازة بين زميلاتها المصرية ، قوية بالنسبة لغيرها ، في الوضوع والاخراج والتمثيل والمونتاج . وقد يجوز لنا أن نعترف لهذا الفلم بأنه حقق الأمل ولكن إلى حد ، لأنه وإن كان قوياً في بعض النواحي ضعيف في أكثرها ، ولا سيما الفنية منها . وذلك ما نأسف له كثيراً ، ونهتم له كثيراً في الوقت عينه . وما دمنا كذلك فلا يلمنا لائم إذا نحن عرضنا لتعداد بعض ما في هذا الفلم من عيوب ، بعضها ظاهر لاحظه الجمهور كما لاحظناه ، وسجله نقاد آخرون كما سجلناه ، والبعض الآخر تسنى لنا أن ننفرد بتسجيله حتى يتنبه المسؤولون إليه ويعنوا بتلافيه في الأفلام القادمة

الرواية : خيالية شرقية مقتبسة من ألف ليلة وليلة ، وهي في الأصل غنية بالمواقف المؤثرة والمناظر المضحكة والعبارات الرائقة وفي رأينا أنها صالحة لأن يصنع منها سيناريو جيد

السيناريو : كان ضعيفاً مع الأسف الشديد ، فليست له وحدة تجلو الموضوع من جهة ، و (التقطيع) فيه مقتضب وغير متمش مع أصول القصة من جهة أخرى ، وقد كان ذلك مثار دهشة النقاد جميعاً لأن أفلام الاستوديو السابقة كان لها سيناريات أقوى وأمتن وأدق من هذا السيناريو

الاخراج العام : لعله أحسن ما في هذا الفلم . وهذه شهادة طيبة للأستاذ بدرخان مخرجه ، فقد راعى فيه الفن كل المراعاة

تصميم الديكور : لم يكن به عيب ، ولكن أغلبه التقط من زوايا غير مناسبة ومجموعة الديكور في (شيء من لا شيء) خير من سائر مجموعات الأستوديو السابقة بلا استثناء .

الملابس : لم نفهم فيها شيئاً ، وكانت خليطاً غريباً من ملابس العرب والمسلمين والروس والأروام في وقت معاً ، ولعل مرجع ذلك أن الرواية خيالية ، وتنسيق الملابس كان اجتهادياً

الحوار : كان سخيفاً مع أن واضعه من مشاهير كتاب الحوار . وقد علمنا أنه كان بكتابته سجماً ، وقد بينا أثر السجع على انتباه الجمهور في العدد الماضي فلا داعي لإعادته . ونحن نرجو بشدة ألا يتكرر مثل هذا .

الأغاني : لم يصادفها التوفيق قط ، وكان تلحينها (أوبرا) مزيفة ، وفي مناسبة الأوبرا ومناسبة الغناء الارتجالي العادي ، وكانت فاترة ولاسيما أغاني بطل الفلم عبد الغني السيد الذي سمعنا له مقطوعات في الاذاعة أقرب إلى طبيعة صوته وأدنى إلى الجودة وبراعة التلحين من مقطوعاته بالفلم .

التمثيل : وفق الأبطال المضحكون الثلاثة كل التوفيق في إضحاك الجماهير . ولكنهم فشلوا كممثلين سينمائيين . فقد كانوا يتبعون طريقة المواقف المسرحية الاستعراضية ، وكانوا يكثرون من (القفش والتنكيت) وكان لهم في بعض المواقف (تهريج) غير محمود وإن كنا نظن أنه أعجب كثيراً من الناس . وقد طغى الجانب الفكاهي على الجانب الفنائي ، وفشلت نجاة على وزميلها عبد الغني السيد في أداء دوريهما فشلاً ذريعاً ، والمسئول عن ذلك هو المخرج دون سواه ؛ ويكفي أن نقول إن وجه عبد الغني السيد لم يكن يعبر عن شيء قط ، وكانت حركات فمه أثناء الغناء غير متفقة مع مخارج الكلمات التي ينطقها !

المونتاج : أصيب الفيلم من جرائه بتلف كبير واقتضبت لقطات كثيرة دون سبب ظاهر . مثال ذلك عبد الغنى السيد حين عاد إلى غرفة حبيبته من الخارج فوجد بها الأمير عنتر يحاول أن يقبلها ، فقد رأيناه يدخل الغرفة ، ثم رأيناه مباشرة (نازل طحن) فى الأمير عنتر ورجاله بسيف من سيوف الشيش لم يعرفه المسلمون دون ريب من قبل هذا الفيلم ! ولولا المونتاج لكان الفيلم أقوى كثيراً مما هو الآن

كلمة أخيرة : ويطول بنا الكلام إذا نحن توسعنا فى ذكر سائر العيوب ولذلك نكتفى بما قدمنا ، راجين من حضرات الاخوان الذين يخصهم هذا الكلام من رجال الاستديو أن يطالعن بعناية ، ويجتهدوا فى تلافى هذه العيوب فى الأفلام القادمة ولعل ذلك يكون قريباً إن شاء الله ، ان نريد إلا الاصلاح ما استطعنا وما توفيقنا إلا بالله .

والت دزنى

واخيراً ! ! .

لاشك أن رواد السينما يعرفون رجلا اسمه « والت دزنى » يقدم لرواد السينما من وقت لآخر قطعا من الرسوم المتحركة الملونة نالت إعجابهم وتقديرهم لأنها فى الحق بلغت الذروة فى جمال رسومها وألوانها . . .


مناظر من رواية الأميرة الصغيرة والأقزام السبعة

استمر والت دزنى هذا يعمل ثلاث سنوات فى الخفاء أنفق خلالها مليوناً من الجنيهات المصرية وبمساعدة ٥٠٠ فنان أنتج « الأميرة الصغيرة والأقزام السبعة »

وهى أعظم فلم عرفه العالم فى هذا النوع

بهجة الحياة

رأت شركة ر . ك . و . راديو أن تشارك الأمة المصرية أفراحها بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك فقررت عرض رواية « بهجة الحياة » أعظم رواية مضحكة أنتجتها شركات السينما للآن تمثيل إيرين دن ودوجلاس فيربنكس الصغير ؛ وهذه الرواية عرضت في لندن ٤ شهور متوالية، وفى نيويورك ٧ شهور وفي باريس ٣ شهور ، وفى روما ٥ شهور ! !


إيرين دن فى أحد مواقف « بهجة الحياة »

وقد نالت هذه الرواية نجاحا لم يسبق له مثيل فى العالم ، ويكفى أن نقول : إنها أضحكت كل مدينة بأسرها حينما عرضت فيها ونالت إيرين دن بعد تمثيلها هذه الرواية لقب أعظم ممثلة مضحكة أما دوجلاس فيربنكس الصغير فقد أصبح من كبار ممثلى السينما بعد أن أضحك أوربا وأمريكا !

ومن أظرف ما يروى عن هذا الفلم أنه حين عرض في نيويورك أغمى على ٣٧ شخصاً من شدة الضحك فى الحفلة الأولى ، وكانت هذه أقوى دعاية عرفتها السينما لفلم ما !



6 ème Année, No. 278

Lundi - 31 - 10 - 1938

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٢٧٨ « القاهرة فى يوم الأثنين ٨ رمضان سنة ١٣٥٧ — ٣١ أكتوبر سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

إحيـاء الأدب العربى

للأستاذ عباس محمود العقاد

نشرت الصحف اليومية أن صاحب المعالى محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف « يعنى الآن بدراسة طائفة من المشروعات التى ترمى إلى بعث كتب الأدب العربى القـديم ، وصوغها فى أسلوب عصرى يقرب من ذوق الطلاب ومريدى الأدب ، وإن الوزارة تفكر فى نشر المخطوطات المجهولة التى تتصل بالأدب المصرى وفيها فائدة للطلاب »

* * *

وإن الوزير الاديب ليصنع خير صنيع إذا وجه وزارة المعارف هذه الوجهة النافعة ، ولديها ولا ريب وسائلها الوافية . فالآداب العربية مشحونة بالذخائر النفيسة التى عليها طابع الذهن العربى والحياة الشرقية لا يشركها فيها أدب من آداب الأمم الأخرى بمثل هذه الخصائص أو بمثل هذه الوفرة . وعندنا فى الـكتب المطبوعة والمخطوطة ثروة من أدب النوادر والفكاهات والأمثال والآراء الموجزة والملاحظات النفسـية لا تجتمع فى أدب أمة أخرى . وأحسب أن الأجوبة العربية التى اشتهرت بالأجوبة المسكتة لو ترجمت كلها إلى اللغات الأوربية لغطت فيها على شهرة الأجوبة اللاكونية المنسوبة إلى إسبرطة والمأثورة بين الأوربيين

بالإيجاز والإفخام والمضاء ، وتشبه هذه الأجوبة الأمثال والحكم والمشورات والنوادر التي يسوقونها بغير تعقيب ولا تفسير ، ولكنها كبيرة المغزى عظيمة الايحاء عند التأمل فيها والتدبر في أغراضها . ويقترن بما تقدم كله سير « الشخوص » التاريخية التي ظلمناها بإهمالها واستصغارها ، وإن في كلمة من بعض كلماتها ، وفي حيلة من بعض حيلها ، وفي خطة من بعض خططها ، ما يسلكها بين أعظم الشخوص العالية التي تحيا في سجلات التاريخ بكلمة أو بمشورة أو بخليقة من خلائق السيادة والسياسة

هذه ثروة يسرف من ينبذها وهو في حاجة إليها ، ويسهل علينا جداً أن نضمها بوفرتها بين أيدي الناشئة المصرية فتغنم منها الفوائد الذهنية وتغنم منها الثقة النفسية في زمن كثر فيه المتحدثون بفضائل الأجناس والفضائل والأعراق

وقد نحصر الأسباب التي تحول بين الناشئة وبين هذه الثروة فاذا هي لا تخرج عن سبب من الأسباب الآتية وهي :

١ — التطويل والحشو

٢ — التشتت والاختلاط

٣ — صعوبة المفردات والمصطلحات

٤ — العبارات النابية التي كان المؤلفون في جميع الأمم القديمة يقحمونها بين أخبارهم ولا يتورعون من التصريح بها لأنها من جهة لا تصل إلا إلى أيدي القليلين من نساخ الكتب للتعلم والاستفادة ، ولأنهم من جهة أخرى كانوا يعيشون في زمن الفطرة التي لا تتحرج من بعض ما تحظره لباقات الحضارة وكناياتها

وجميع هذه الأسباب علاجها ميسور وعناؤها غير كبير

فالتطويل علاجه الاختصار ، ونعني بالاختصار هنا حذف أجزاء وإبقاء الأجزاء الأخرى بنصها العربي القديم ، لأن المقصود بالإحياء هو هذا النص لا مجرد الحكاية ولا فحواها . وقد يجوز أن نختصر حكاية لا تهمنا حوادثها إذا كانت الحوادث هي المقصودة بالوعي والصيانة . أما إذا كان المطلوب هو نمط الأداء وأسلوب التعبير والنظر في وضع الجمل والمفردات فينبغي أن يكون الاختصار بطريقة أخرى غير طريقة التلخيص وتغيير الكلمات ، ليعلم الطالب وهو يقرأ الكتاب أنه يقرأ المؤلف القديم لفظاً ومعنى ولا يقرأ كاتباً حديثاً ينقل المعاني من ذلك المؤلف القديم

وأما التشتت والاختلاط فليس أيسر من ردها إلى نسق واحد ونظام متلاحق . ولا ضير هنا من جمع مؤلفين عدة ومؤلفات شتى في كتاب واحد إذا اتفقت الموضوعات والمناسبات مع الاشارة إلى أسماء المؤلفين وأسماء الكتب في ذيل كل فقرة ، وإلحاق المنقولات بترجمة وجيزة للمؤلف وبيان وجيز عن الكتاب

أما صعوبة المفردات والمصطلحات فعلاجها الأوفق في رأينا هو التفسير دون التغيير ، وأن يترك ما هو صعب لمن هم أقدر على فهمه من الطلاب ، وأن يقصر الناشئة الصغار على السهل السائغ في المعنى وفي التركيب ؛ ولتدرس الكتابات المغلقة على النحو الذي تدرس به روايات شكسبير اليوم في الجامعات والمدارس الثانوية ، أي مقرونة بالحواشي والهوامش ومقصوداً بها علم اللغة حيناً والاحاطة بالفحوى حيناً آخر ، وذلك أفضل من نقلها إلى عبارة أخرى تخرج بها من نطاقها وهو نطاق الأدب القديم

وأسهل الأسباب التي ذكرناها علاجا هو سبب العبارات النابية والأخبار « المكشوفة » كما نسميها في اصطلاحنا الحديث ، فهذه كلها تحذف حذفا من الكتب التي يتداولها الطلاب ولا يسمح بالاطلاع عليها في المدارس ولا في الأسواق العامة إلا لمن يريدها من الباحثين والمنقبين عن أطوار الشعوب ودقائق التاريخ

* * *

بقي أن نعرف ما هي الكتب التي يشملها الاختيار والاحياء ؟ وفي أي عنوان نلتمسها إذا طلبناها — مثلا — في إحدى المكتبات ؟

أفي عنوان الأدب وحده أو في غير ذلك من العناوين والأبواب ؟

والرأي ، فيما أحسب ، أن نوسع الاختيار حتى يشمل جميع الأبواب ولا ينحصر في باب الأدب وحده بمعناه المشهور

فرب كلمة عارضة في رحلة من الرحلات تصف مدينة أو رجلا أو شعبا من الشعوب هي أدخل في باب الأدب من رسائل المنشئين البلغاء

ورب قصة في سياق تاريخ هي أدب صميم وخيال محض ليس فيها من التاريخ بقدر ما فيها من الابداع والافتنان

ورب شاهد في تفسير آية أو حديث يحتاج إليه الأديب أضعاف حاجة الفقيه

في سبيل الاصلاح

المشكلة الكبرى

في حياتنا الاجتماعية

للأستاذ علي الطنطاوي

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

سقت إليك في الفصل الماضي طرفاً من حديث المشكلة، وانتهيت بك إلى الكلام على المشاكلة بين الزوجين، وأنها ركن كبير من أركان السعادة الزوجية، فاذا لم تكن مشاكلة، وكان بينهما اختلاف في الغنى أو العلم أو الجاه كانت الحياة الزوجية موتاً بطيئاً. على أنه لا بأس أن يكون الزوج هو الأعلى في جاهه أو ماله أو علمه، ولكن البأس كل البأس حين يكون الأدنى، لأن الغنى والعلم والجاه من وسائل السلطان، فاذا كانت المرأة زاحمت الرجل على سلطانه، ونازعته رياسته ففسد الأمر، واضطرب حبل الودّ. وأحسب أن مبدأ الكفاءة في الزواج (في الفقه الاسلامي) هو الدواء لهذا الداء

وأنا متحدث إليك في هذا الفصل عن سائر أسباب الخلاف بين الزوجين، ولست أزعم أني متقصيها كلها أو محيط بها، فذلك ما لا أقدر عليه، ولكني ذاكر منها ما انتهى إليّ خبره

موقف أهله وأهلها

فمن ذلك موقف أهله وأهلها، فانه من أظهر أسباب الخلاف بين الزوجين، وأكثرها انتشاراً بين ظهرانينا، حتى أنه يبلغ منا العجب حين نسمع أن داراً تجمع بين الكَنّة والحماة، ولا تجمع إليهما النكد والشقاق والبلاء تصبّه على الزوج صبّاً ... فلا يكاد يروح إلى داره ليجد فيها الراحة بعد تعب النهار، والهدوء بعد الكدح المضني، والكدّ المميت، حتى تستقبله المعارك والشكايات والدسائس، وما أكثر القراء به عالمون ... فيحار في أمره: لا يدري أيسوء أمه وهي التي حملته جنيناً، وربّته صغيراً، وأحبّته وجعلته أملها في حياتها، أم يسوء زوجه وهي التي هجرت أهلها وفارقت عشها لتجعله أهلها من دون أهلها وأمنها ومفزعها، ثم إنها قد تكون بريئة لا ذنب لها ويجد أن أمه لا ترضى عنه حتى يفارق زوجه — وييتّم أولاده — وزوجه لا ترضى عنه حتى يطرد أمه، ويعصى ربه، وهما خطّتان أهونهما أصعب الصعاب، وخيرهما من شرّ الأمور ... وليس إلى إقناع إحداهما من سبيل، لأن للمرأة منطقاً خاصاً، يجعل بينها وبين الرجل هوة لا يلتقيان معها أبداً، ويدع الرجل وإقناع ألف رجل أسهل عليه من إقناع امرأة واحدة ...

والخلاف بينهما أزلي ثابت لا تتغير أسبابه. فالأم ترى أنها هي سيدة الدار لأنها الكبرى، ولأنها الأصل، وأن على الكنة التي أحضرتها بيدها واختارتها برأيها، أن تطيعها، وتعمل بأشارتها؛ والزوجة ترى أن الأم عجوز قد مضى زمانها، وذهبت أيامها، وأصبحت كالموظف المتقاعد، له مرتب وليس له أمر ولا نهي، وأنها هي السيدة في الدار، وأن لها الرأي في إدارتها.. ثم إنهما تختلفان على قلب الرجل، فالأم التي عرفته وليداً، وربته طفلا ويافعاً، وكان لها وحدها — لا تطيق أن تراه وقد صار لغيرها، ولا تقدر أن تبصر نفسها فريدة في غرف الدار، كأنما لم يكن لها ولد لأن ولدها خال بزوجته ... والزوجة التي أعطت زوجها قلبها كله وحبها وحياتها ولم تجعل له شريكاً فيها، لا تستطيع احتمال هذه الشركة بينها وبين هذه العجوز،

ورب مجاز في استخدام لفظ مهجور تحتويه المعاجم يكون مفتاحاً لأسرار التشبيه والتعبير عند واضعيه الأولين

ورب شتيت متفرق بين كتب الجغرافية والنبات والطب والكيمياء يتألف منه رأي جميع لا يستغني عنه المقتبس والمستفيد

فالاقتصار على ما اشتهر من كتب الأدب يفوت علينا شوارد هذه الأبواب ويضيق علينا الأفق الذي نملك توسيعه إلى غاية مداه

فكل ما صلح للاقتباس والاطلاع فليقتبس من أي كتاب ومن أي باب، وإذا كنا لا نأخذ كل ما في باب الأدب فليس صواباً أن نغلق كل ما عداه من الأبواب

إن المطلب عظيم ومستطاع، وعند وزارة المعارف وسائله من المصادر ومن العاملين، وكل عناء مبذول فيه هو عناء دون الفائدة المرجوة منه للجيل الحاضر ولمقبل الأجيال

عباس محمود العقاد

ولا يقنعها إلا أن يكون الزوج خالصاً لها ...

وما يقال في الأم يقال مثله في الأخت ، بل إن الأخت إذا كانت عانساً لم تتزوج ، وإذا كانت على بقية من شباب ، تكون أشد على الرجل من أمه ، لأنها أقل منها حباً وحناناً عليه ، وأكثر غيرة لمكان الصبوة من نفسها ، ولأنها ترى امرأة غريبة تستمتع بالزواج الذي حرمت هي منه ، ويكون هذا الزوج أخاها ، غلبتها هذه الغريبة عليه ، وحرمتها عطفه وحبه ، فيكون حرمانها مضاعفاً ...

هذا وليس ينفرد أهل الزوج بإدخال الألم عليه ، وتنغيص حياته الزوجية ، بل يشارك في ذلك أهل الزوجة ، يكرهون فتاتهم على الزواج بمن لاتريده ، لعلو سنه عن سنها ، أو قبحه وجمالها ، فلا يحفلون إرادتها ولا يبالونها لأنهم يرونه غنياً ، فهم يبيعونها منه بيعاً ، أو صاحب جاه فهم يجعلونها وسيلة إلى الانتفاع بجاهه ، بل ربما زوجوا الفتاة بنت خمس عشرة ، بالشيخ أبي الستين ، ولم يستأمروها ولم يروا رأيها ، وربما زوجوها من الرجل القبيح . ولقد قال عمر (الرجل الملهم) فيما أحتفظ من قوله : « لا تكرهوا فتياتكم على الرجل القبيح فأنهن يحببن ماتحبون » ... فتدخل الزوجة دار زوجها وهي له كارهة ، فلا يأتي منها إلا مساءته وإتعابه ، إن لم يسقها صباها وعجزه إلى أن تتصل بغيره من الفتيان أو تموت سلا وكمداً .

هذا طريق ، ولأهل الزوجة طريق آخر إلى إفساد الحياة الزوجية ، هو التقصير في تربية فتاتهم أولاً ، وعجزهم عن ضبطها وتأديبها ثانياً . فاذا كانت الزوجة سيئة الخلق رعناء ، فانها تدع دار زوجها لأتفه الأسباب ، وتذهب مناضبة تشكو إلى أهلها وتستعديهم ، فاذا كان أهلها عقلاء ردوها إليه ، وأصلحوا ذات بينهما ، ولاموها على خلوة بها ، كما يلومونه على خلوة به ، فيؤلف الله بهم بين القلبين ، وتعلم الزوجة أنه لاملجأ لها إلا دار زوجها ، ولا منجى لها إلا حسن خلقها فترضى وتستقيم ، وأما إذا كان أهلها جاهلين فانهم يغضبون لها غضبة الجاهلية فيعينونها على طلاقها ويزيدون في عنادها فيخربون بيوتهم بأيديهم ، ويسوقون الشقاء إلى فتاتهم ، ويكونون شراً عليها وعلى زوجها ووبالاً ...

ودواء هذا الداء أن يبحث الرجل عن أخلاق الأسرة ، وأسلوبها في تربية بناتها ، وحال أمها مع زوجها ومبلغ طاعتها له ورضاه عنها ، قبل الاقدام على الزواج ، فاذا اطمأن إلى ذلك وصاهر عاقلا حازما ، وكان الزواج برأي الفتاة ورضاها ، من غير احتيال عليها ولا إكراه لها ، فقد أمن من جانب أهلها ، ووثق عليه جانب أهله ... والمصيبة بهم أشد ... والعلاج أن ينفرد عنهم بزوجته . فاذا لم يستطع ذلك ، فعليه بالحزم في الأيام الأولى ، وأن يعرف لأمه حقها ، فان زوجه تطيعه وتتخرج عليه وتتربى على ما يأخذها به ، أما أمه فلا سلطان له عليها ... ولا عليه بعد ذلك أن يرضي زوجته فيما بينه وبينها ، ويعوضها بما فقدت من السيطرة في الدار ، بما يدخل السرور على قلبها ويملؤه رضى وأملا والسبل إلى ذلك شتى

المشاكل المالية

أولها هذا (الجهاز) فكم ثار من أجله من خلاف ، وكم هدم من أسر ، وكم أصاب من بلايا ... يتنافس القوم من أجله في إغلاء المهور حتى تبلغ المئات من الجنيهات ، فتبور سوق الزواج ، وتكسد البنات ، ثم إذا كتب الله على الزوج أن يدفع هذا المهر الفاحش ، لم يكن دفعه غنما للأب ولا لفتاته ، لأن عليه أن يدفع مثل ما دفع الزوج أو قريباً منه ، ثم يشتري بذلك كله أثاثا ومتاعا ، وما شئت من الخرثي[1] الذي لا ينفع في دنيا ولا آخرة ، فمن خزانة محفورة منزّل فيها أدق الأصداف ثمنها سبعون جنيها ، ومن مقاعد وأرائك على نحوها ثمنها مائتان لكنها لاتقيم على الاستعمال عاما واحدا ، ومن ستائر للنوافذ ثمن إحداهنّ عشرة جنيهات ، ومن أوان فضية وقوارير كولونية تصف على المناضد صفا ، كصف الجند ثم لاتفتح أبدا ، والمناضد (نسيت المناضد) وثمن إحداهنّ عشرات الجنيهات ، وغير ذلك مما لا أعرفه ولا أذكر اسمه وإن كنت قد رأيته في دور الحمقى والمغفلين ...

ولقد عرفت شابا مستور الحال أراد الزواج فطلبوا منه أربعمائة دينار ذهبي ، فباع داراً كانت لأبيه ، وأعدّ المهر ، فسلمه إلى أم الزوجة ، وضمت إليه أمها ثلاثمائة من عندها لتشتري بها جميعا (جهازاً) لابنتها ، فلما بلغه ذلك طار عقله وذهب يقنع أم الفتاة أن تشتري لها بذلك داراً (عمارة) يكون لها ملكها

(١) الخرثي : المتاع الذي لا فائدة فيه

وربيعها وتبق على الدهر فقبلت ومرت أيام فبانه أنها قد عدلت عن ذلك وأنفقت المال كله في الجهاز ... فسألها عن السبب فاذا السبب أن البنت بكت وقالت : هل أنا دون ابنة فلان ، وقد جهزوها بكذا ..؟؟ قالت الأم : « فقطع قلبي بكاؤها ، فلم يسعني إلا أن أفعل ما تريد ... »

وتم العقد واستأجر الزوج داراً فخمة (على نسبة الجهاز) فلم تمض إلا شهور حتى ركبه الدين ، فاضطر إلى استئجار دار تليق به ، ويحتملها مرتبه ، فلم يبق فيها مكاناً لهذا (الجهاز) فذهبوا يبيعونه ؛ فلم يأتهم بأكثر من مائة وعشرين ، وقد كان ثمنه سبعمائة ...

ومن مشاكل الجهاز أن الزوجة تجده رأس مالها ، وقنيتها في حياتها ، فتحافظ عليه محافظتها على روحها ، وتنكره أن يدعى إلى الجلوس على مقاعده ضيوف زوجها ، أو أن يدخل غرفته زوار أهله ، وقد لا يكون في الدار غرفة للاستقبال سواها ، لأن الناس يجعلونها أبداً للاستقبال . فتبدأ المشاكل ... وقد تنتهي بالطلاق ... رأينا ذلك مراراً

وعندي أن الدواء إبطال الجهاز بالمرة ، وأن يفرش الرجل داره كما يريد ويستطيع ، ويُشتري بالمهر القليل الذي يدفعه الزوج عقار تملكه الزوجة ويسجل باسمها ، أو حلية ذهب تبقى لها محتفظة بثمنها

***

والمشكلة المالية الأخرى نفقات المرأة وكسوتها . وقد قدمت القول بأن كسوة النساء (إلا الضروري منها) تبذير من عمل إخوان الشياطين وإسراف لا جدوى منه ، وسبيل إلى كل ما يكره الرجل وتأبى العادات والمروءات وينكر الدين، من أجل ذلك قال عمر الذي ينظر من وراء الغيب بعينين من إلهام وتحديث « استعينوا على النساء بالعرى » وليس يرى العرى المطلق ، بل النزاهة عما يضيع المال والعرض معاً ...

أقص عليك قصة امرأة واحدة، فيها وصف لنساء كثيرات، تلك هي امرأة موظف كبير مرتبه ثلاثمائة ليرة سورية ، وهو مبلغ في دمشق ضخم، تخرج من دارها كل يوم في عربة أو سيارة لا تستطيع لثقلها أن تمشي ، فتطوف على بيوت الناس ، فأصبحت تعرف عشرات من الأسر الغنية المبذرة . فلا يمر أسبوع لا تدعى فيه إلى عرس أو حفلة إلا كانت زوجها كسوة جديدة . لأن من العار عليها أن ترى بثياب قد سبق فرئيت فيها من قبل . فتشتري الازار والرداء (أو ما يقابله في الاصطلاح النسائي فما أعرف ماذا أقول ...) والحذاء والجوارب ، ويتراوح ثمن ذلك (كما حدثني المسكين وحلف لي) ما بين ستين وتسعين ليرة سورية فلا يقوم مرتبه كله بكسوتها . فيستدين ليتم لها ما تريد وينفق على نفسه وأولاده . حتى هذه الدين وأصبح مضطراً إلى بيع أملاكه المرهونة ...

ومن النساء من لا تبلغ في الاسراف هذا المبلغ ، فتكتفي بنصفه أو ثلثه ، ولكن مرتب الموظف المتوسط نصف مرتب صاحبنا أو ثلثه ، فتبقى النسبة على حالها ؛ أما الموظفون الصغار كالدرسين الذين يأخذون خمسين ورقة في الشهر وأربعين وثلاثين والصناع وصغار التجار ، فتصور أنت موقفهم من نسائهم ، فما يبلغ القول تقرير الحقيقة ووصف الواقع

ولست أزعم أن النساء كلهن عمياوات لا يبصرن حالة أزواجهن ، وأن قلوبهن قد قدت من حجر فلا تشفق ولا تحزن، بل إن في النساء عاطفة وحساً ، ولكنهن يألفن حالة ، فلا يطقن أن يراهن أحد على حالة دونها ، ويستحيين من صاحباتهن ورفيقاتهن ... ووراء هذه المشكلة الحزم في الأيام الأولى من الزواج (وهو رأس الأدوية كلها) وتقليل الاختلاط ، والاقتصاد في زيارة الناس ومصاحبتهم، وليس من بأس بعد ذلك أن يخصص الزوج لزوجته مبلغاً من المال لكسوتها يدفعه إليها مشاهرة ، ويدعها تفعل فيه ما تشاء ، على أن تقنع به ، ولا تسأله من بعده درهماً واحداً لكسوة أو ثياب . ولقد جرب هذه الطريقة كثير من الرجال فوجدوها صالحة مؤدية إلى الراحة والاطمئنان

مشاكل أخرى

إن من طبيعة المرحلة التي تجتازها اليوم أمم هذا الشرق الاسلامي : مرحلة الانتقال ، أنه يلتقي فيها عصران ، ولكنهما لا يأتلفان فيتحدان ، ولا يختلفان فيتباينان ، فينشأ عن ذلك هذا الازدواج في الحياة ، فيعيش قوم في عصر مضى ، وقوم في عصر لم يأت ، فكيف يلتقي الزوجان وبينهما عصر مديد ... هو يعيش محافظاً ، وهي تريد التجرد مما يحافظ عليه . هو متدين وهي رقيقة الدين ! إن كل شيء يحتمل ، ضياع المال والتعب

والشقاء ، ويجد الانسان عزاءه عنه في انتظار ثواب الله ، في الآخرة ، يجد عزاءه في الدين ، فاذا ضاع الدين فأين يجد العوض منه والعزاء فيه ؟

لذلك كان أول ما يجب على الزوج أن يفكر فيه ، هو أن يختار زوجه من طبقته ورأيه ، محافظة أو تجديداً ، وإلا كان الزواج شراً كله

هذا أصل يتفرع عنه فروع كثيرة ، أولها : تأدية حق الله في العبادة ، والمحافظة على الصلوات ، والرجوع إلى أحكام الدين فيما يختلف فيه من أمور الحياة ، إلى غير ذلك مما يراه المسلم رأس الأمر وملاكه ويسميه المجددون (المتجردون) رجعية وجموداً .

وثانيها : خروج المرأة من دارها ، وحالها عند الخروج وزيها وزينتها ، وتبرجها في الأسواق وتيممها السينمات ودور اللهو ، وعرض مفاتنها على الرجال ، وما إلى ذلك مما يسميه المسلم وقاحة ورذيلة وقلة حياء ... ويدعوه المتجردون مدنية وتقدماً ...

وثالثها : الاتصال بالناس ، وتخصيص الأيام الكثيرة لاستقبالهم ، وإضاعة الأموال في إكرامهم وتعطيل أعمال الدار ، وتربية الأولاد في سبيلهم — وما يجره الاختلاط الكثير ... الذي ينفر منه العقلاء ، ويرونه فساداً لا خير فيه ، وبابا لا يلج منه إلا كل ضرر ، لأن النساء لا يقبسن من النساء إلا السيء المكروه ، ويراه أهل التجديد واجباً لا بد منه ، وفرضاً لا تكون المرأة متمدنة محترمة ... إلا به !

ورابعها : اتباع (المودة) والايمان بها إيماناً لا شك فيه ، والخضوع لها خضوعاً أعمى ، والتعامي عما تجر على الأسرة والأمة من ضرر . وهذه ثمرة من ثمرات الاختلاط المرة ، يراها العقلاء سخافة وحماقة ، ويعدها أهل التجرد والتجدد من فروض العين !

***

ومن هذه المشاكل الفرعية الخلاف على تربية الأولاد حين تحكم المرأة عاطفتها فتأبى على الأب أن يؤدب ابنه أو يأخذه بالحزم ، وهذا فضول من المرأة لا معنى له .

على أنها قد تثور الثائرة بين الزوجين لغير ما سبب واضح ، كأن يكون الزوج متألماً في نهاره أو مصاباً بمصيبة لا يحب أن يسوء بها أهله ، فيدخل مقطباً من حيث لا يشعر فتحسب الزوجة أن ذلك موجه إليها ، فتغضب وتمرض ، فيألم الزوج في نفسه ، ويظن أنها رأته في مصيبة فأعرضت عنه بدلاً من أن تعطف عليه وتواسيه ، وينأى كل واحد منهما عن الآخر ، ويوسوس له الشيطان حتى يصبحا متنافرين حقاً ، وهذا مشهور يتكرر تمثيله دائماً ، وداء يعتاد الأزواج في كل حين — ودواؤه الناجع كلمة يقولها أحدهما يشرح بها حاله ، وقهر لهذه الكبرياء الخبيثة التي تمنعه من هذه الكلمة

كلمة الختام

وبعد فهذا كله سهل يُتداوى منه بشيء من الحكمة والحزم فما دواء حماقة الآباء في إغلائهم المهور ، وتمسكهم بهذه العادات الباطلة ، حتى أدى ذلك إلى «أزمة الزواج» التي اشتدت وعمّت؟

ومتى نجد الأب الذي يملك في نفسه من الجرأة ، وفي رأسه من العقل ، وفي صدره من الدّين ، ما يكسر به هذا السدّ الذي يمنع عن الأمة كل خير وسعادة ، ويعيد لنا سعيد بن المسيب في قصته التي رواها الرافعي (رضي الله عن الاثنين) ؟

هل فسد الزمان حتى ما نجد في أربعمائة مليون مسلم (سعيداً) واحداً ؟

« دمشق » على الطنطاوي

مصر وعلاقتها بالخلافة

للدكتور حسن ابراهيم حسن

أستاذ التاريخ الاسلامى بكلية الآداب

خاض الجند العرب غمار الفتن السياسية التى قامت بين الخلفاء الأمويين والخارجين عليهم ، وكذا بين العباسيين ومناوئيهم . وكان لتدخلهم أثر ظاهر فى هذه الفتن . وسنأتى بوصف موجز لها لنبين ما كان لدخول جند مصر فى غمارها من أثر

ناَلب محمد بن أبى حذيفة على خليفة عبد الله بن سعد بن أبى سرح على مصر وإخراجه إياه من الفسطاط إلى خلع عثمان ، وأسعر البلاد بنار الثورة التى انتهت بقتل عثمان وتولية على بن أبى طالب ، وما تلا ذلك أيضاً من الحوادث التى قامت بين حزب على وحزب معاوية ، وقيام الدولة الأموية . ولا غرو فقد كان لجند مصر فى هذه الحوادث كلها نصيب وافر ، ناهيك بما كان من قتل عثمان الذى تمّ على أيدى الثوار من مصر دون غيرهم من عرب البصرة والكوفة

وفى عهد يزيد بن معاوية ، دعا عبد الله بن الزبير إلى نفسه (سنة ٦٤ هـ) وصادفت دعوته نجاحاً عظيما فى بلاد العرب والعراق . إلا أن تنصّل محمد بن الحنفية بن علىّ بن أبى طالب عن مبايعة ابن الزبير، ومبايعة يزيد بن معاوية لعدم وثوقه بأهل الكوفة الذين خذلوا أباه وأخويه من قبل ، وخروج الكيسانية مع المختار ابن أبى عبيد الثقفى ، ودعوتهم لمحمد بن الحنفية ؛ كل هذا فتّ فى عضد ابن الزبير ، وآذن بانحلال أمره

صادفت دعوة ابن الزبير فى مصر بعض النجاح ، فشد أزره أنصار العلويين اعتقاداً منهم أنه يدعو لأهل البيت ، ولحق به كثير من المصريين ، وسألوه أن يبعث إليهم والياً من قبله ، فبعث عبد الرحمن بن جحدم الفهرى ، فدخل مصر فى شعبان سنة ٦٤ هـ فى جمع من الخوارج من أهل مصر وغيرهم الذين انضموا إلى ابن الزبير فى مكة . فاضطر عرب مصر من شيعة بنى أمية إلى مبايعته على كُرْه

ولما بويع مروان بن الحكم فى ذى القعدة سنة ٦٤ هـ كاتبه شيعة الأمويين فى مصر سراً ، فسار فى كثير من الأشراف وبعث ابنه عبد العزيز فى جيش إلى أيلة (عند العقبة) ونشط ابن جحدم لحربه ، وأشار عليه بعض رجاله بأن يحفر خندقاً (موقعه الآن بجهة القرافة) فتم حفره فى شهر واحد ، وفى ذلك يقول ابن أبى زمزمة الشاعر :

وما الجِدُّ إلاَّ مثل جدّ ابنِ جَحْدمٍ
وما العزمُ إلاَّ عزمُه يوم خندقِ
ثلاثون ألفاً قد أثاروا ترابه
وخدّوه فى شهرٍ حديث مصدّقِ

وبعث ابن جحدم الجيوش والمراكب لحرب مروان وابنه عبد العزيز ، فانهزمت جيوش والى ابن الزبير ، ولم ينفعه خندقه ، ودخل مروان عينَ شمس ثم الفسطاط فى أول جمادى الأولى سنة ٦٥ هـ . وبنى الدار البيضاء لتكون مقراً له ، وبايعه الناس إلاّ نفراً ظلوا على تمسكهم ببيعة ابن الزبير ، فضرب أعناقهم[(١)] وكانوا ثمانين رجلا من المعافر . وقتل أيضاً سيّد لخم (الأكدر ابن حمام بن عامر بن صعب) فأتى زهاء ثلاثين ألفا من لخم ، وهم مدججون بالسلاح ، ووقفوا بباب مروان ثائرين فتوسط بعضهم فى الصلح وانصرف الثائرون . واتفق أن توفى عبد الله بن عمرو ابن العاص فى اليوم الذى قتل فيه الأكدر (١٥ جمادى الآخرة سنة ٦٥ هـ) . فلم يستطع القوم أن يخرجوا بجنازته لتألب الجند على مروان ، فدفن فى داره[(٢)]

لقد كان للجند العرب فى مصر أثر ظاهر فى الفتن التى انتهت بقتل عثمان وعلى أيديهم وحدهم تمّ ذلك . ولما انتشر أمر ابن الزبير فى الحجاز والعراق وامتدّت دعوته إلى مصر حيث لاقت قبولا من نفوس العلويين أُخذَت له البيعة على يد واليه عبد الرحمن بن جحدم الفهري ، ولما بويع مروان بن الحكم سنة ٦٤ هـ كاتبه أنصار الأمويين فسار إلى مصر وانتصر على أتباع ابن الزبير ثم دخل الفسطاط سنة ٦٥ هـ ، وبايعه الناس إلا نفراً قليلا أمر بضرب أعناقهم

(١) الكندى : الولاة والقضاة ص ٤٠ — ٤٥ ، والمقريزى : الخطط ج ٢ ص ٣٣٧ — ٣٣٨

(٢) الكندى ص ٤٥ — ٤٦

كذلك كان للجند العرب فى مصر نصيب فى النزاع الذى قام بين العباسيين والأمويين، ذلك النزاع الذى انتهى بقيام الدولة العباسية . فلما أتى مروان بن محمد مصر فارا من وجه العباسيين لم يستطع أن يصد صالح بن على الذى تعقبه إلى مصر ، ولم يقو على مقاومته العباسيون ، لما كان من تألب الجند عليه في هذه البلاد ، فقد خرج القبط بسمهود ، وخالفه عمرو بن سُهَيل ابن عبد العزيز بن مروان ، وتابعه قوم من قيس ، ونزلوا فى الحوف الشرقى ، وأظهروا العصيان . ولما علم جند مصر بمسير مروان إليهم أجمعوا على منعه ، فلما قدم (٢٢شوال سنة ١٣٢هـ) لبس أهل الحوف الشرقى السواد لباس العباسيين ، وحذا حذوهم أهل الاسكندرية والصعيد

وعلى الرغم من هذا كله فقد استطاع مروان أن يدخل الجيزة ، ومن ثم شرع فى محاربة الجند العرب في الحوف الشرقى وفى الاسكندرية والصعيد ، وفى قمع فتنة القبط فى رشيد ، ثم قدم صالح بن على العباسى (١٠ ذو الحجة ١٣٢ هـ) فى إثر مروان ، فسار هذا إلى بوصير ، في كورة الأشمونين (من مديرية بنى سويف) فوافاه صالح بن عدىّ فى جيوشه وقتله (الجمعة ٢٣ ذى الحجة سنة ١٣٢ هـ) ثم تعقب ذوى قرباه والمائلين له فى هذه البلاد ، ودخل الفسطاط (٢٣ المحرم سنة ١٣٣ هـ) ، وبذلك زال سلطان بنى أمية وتوطدت دعائم الدولة العباسية[١] . ولا شك فى أن لقيام جند العرب فى مصر فى وجه مروان أثرا ظاهرا فيما أحرزه صالح بن على العباسى من نصر معجل على مروان ، مما أدى إلى زوال سلطان بنى أمية زوالا لا رجوع بعده

* * *

استعمل العباسيون اسم الشيعة أداة لازالة الخلافة الأموية ، فلم يكد يتم تأسيس الدولة العباسية حتى قام النزاع بينهم وبين العلويين الذين أخذوا يكيدون لهم بالسيف حيناً وبالحيلة حيناً آخر . وفى خلافة المنصور (١٣٦ ، ١٥٨هـ — ٧٥٤ ، ٧٧٥م) دعا محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على المعروف بالنفس الزكية إلى نفسه سراً، وتلقب بأمير المؤمنين. ثم ظهر فى سنة ١٤٥هـ بعد أن صادفت دعوته نجاحاً عظيما[١] فى مكة والمدينة ، حيث اعترف الناس بامامته ، وأفتى الامام مالك بأحقيته بالخلافة من أبى جعفر . ومن المدينة أرسل أخاه إبراهيم إلى البصرة لنشر دعوته

ولكن محمداً لم يعش حتى يرى نتيجة دعوته ، فقد مات على يد ابن موسى العباسى ، فدعا أخوه إبراهيم إلى نفسه ، وشد أزره كثير من فقهاء البصرة وغيرهم من ذوى الرأى والجاه ، وانضوت المعتزلة والزيدية تحت لوائه وعاونه الامام أبو حنيفة وراسله سراً . وبهذا كله تمكن إبراهيم من الاستيلاء على واسط والأهواز وفارس[٢]

بيد أن حياته آلت إلى ما آلت إليه حياة أخيه من قبل . فقد قتله عيسى بن موسى (الاثنين أول ذي الحجة ١٤٥ هـ — ٧٦٢ م) فى موقعة باخمرا التى بين الكوفة وواسط[٣] . ولقد ظهرت دعوة ابن عبد الله فى مصر وتابع كثيرون من أهل هذه البلاد ابنه على بن محمد الذى أنفذه أبوه لنشر الدعوة[٤]

غير أن والى المنصور على مصر استطاع أن يحبط أعمال علىّ وأعمال من ناصروه ، وظل على ذلك حتى وصل إلى مصر خبر وفاة إبراهيم بن عبد الله فسقط فى يد الشيعة ، وانطفأت جذوة الثورة . ولا يعلم المؤرخون ما آل إليه أمر على بن محمد بن عبد الله[٥]

كذلك كان لجند مصر نصيب كبير فى الفتنة التي قامت بين الأمين وأخيه المأمون شأنهم فى الفتن الخارجية التى كانت تنشب بين الخلفاء والخارجين عليهم أو المنافسين لهم ، وغدا اشتراك هؤلاء الجند فى الثورات مألوفاً لديهم ، حتى فى الأحوال التى لم يكن لمصر ثمت ما يدعو إلى الاشتراك فيها

ولسنا ندرى ما الباعث الحقيقى الذى كان يدفع هؤلاء القوم إلى الزج بأنفسهم فى غمار هذه الثورات . ولا شك فى أنه لم يكن لهذه الثورات علاقة ما بالعصبية العربية التى جاء الاسلام ماحياً

(١) الكندى : شرحه ص ٩٤ — ٩٧

(١) يحيى بن الحسين (مكتبة ليدن) مخطوط رقم ١٩٤٧ ورقة ١٥ أنظر كتاب « الفاطميون فى مصر » للمؤلف ص ٤٥ — ٤٦

(٢) يحيى بن الحسن (ليدن) مخطوط رقم ١٩٤٤ ورقة ١٥ ا وما يليها

(٣) أقرب إلى الكوفة منها إلى واسط وتبعد عن الأولى بسبعة عشر فرسخا . راجع ياقوت : معجم البلدان

(٤) المقريزى ج ٢ ص ٣٣٨

(٥) الكندى ص ١١٤

لها ، وإن كانت قد ظهرت فى مواطن كثيرة بعد الاسلام [١] . ويظهر أن الجند العرب كانوا لا يزالون مرتبطين بدار الخلافة بروابط الجنسية أكثر من ارتباطهم بمصر نفسها ، إذ لم تكن القومية المصرية قد شملت بعد المصريين من القبط والعرب جميعاً . غير أن الأمر الذى يسترعى النظر ما رواه الكندى من أن مصر كانت حين قام النزاع بين الأمين والمأمون فى أمن ودعة ، وكذا كانت راضية عن واليها جابر بن الأشعث الطائي ، وعن حكمه ، وأن هذا الوالى كان محبوباً لدى الخاصة والعامة فى هذه البلاد [٢]

على أنه سرعان ما احتدم النزاع بين الأمين والمأمون بسبب ما كان من خلع الأمين أخاه المأمون وترك الدعاء له على المنابر وتوليته عهده ابنه موسى بدلا منه حتى غضب العرب فى مصر وغيرها ، وتكلموا فى خلع الأمين لنكثه العهد الذى تركه أبوه الرشيد وأودعه الكعبة الشريفة ، وهذا كاف وحده لإثارة سخط الناس عليه . وظهر فى مصر السرى بن الحكم الذى استغل هذا الظرف لنفسه لإعلاء شأنه ورفع ذكره ، إذ كان منذ أتى مصر فى أيام الرشيد خاملاً لا حيثية [٣] له . فدعا إلى المأمون فبايعه نفر يسير . ولكنه ظل على نشاطه فى نشر الدعوة حتى دعا المأمون أشراف مصر إلى بيعته فأجابوه سرا . وأتى كتاب هرثمة بن أعين أحد قواد المأمون المعدودين إلى وكيله على ضياعه بمصر وهو عباد بن حيان ، فقرأ هذا الكتاب (كتاب هرثمة) على ملأ من الجند فى المسجد ودعاهم إلى خلع الأمين فأجابه السواد الأعظم منهم وخلعوه (جمادى الآخرة سنة ١٩٦ هـ) ، ثم بايع الناس عبادا على ولاية مصر ، وأخرجوا والى الأمين من الفسطاط فثبت المأمون عبادا فى هذه الولاية . [٤]

ولما علم الأمين بما حدث فى مصر من خلعه وإخراج عامله كتب إلى ربيعة بن قيس (رئيس قيس بالحوف) بولايته على مصر وكتب إلى اليمانية يطلب إليهم أن يقوموا بمعاونة قيس هذا فأظهروا دعوة الأمين وخلع المأمون ، وخرجوا إلى الفسطاط ، ودارت بين الفريقين مناوشات وحروب كان النصر فيها فى جانب أنصار المأمون . على أنه لما بلغ قيسا قتل الأمين (المحرم سنة ١٩٨ هـ) (وبيعة المأمون تفرقوا — شأنهم فى الفتن التى اشتركوا فيها . [١]

هذا ما كان من أمر اشتراك عرب مصر فى الفتن الخارجية وهى فتن سياسية فى جلتها وإن كانت قد أُلبست لباس الدين ، ليكون تأثيره فى النفوس أقوى وأشد

ولا يعزب عن بالنا ما كان من الانقسامات المذهبية التى شطرت العالم الاسلامى شطرين : سنة وشيعة . ولقد كان لكل من هذين المذهبين فى مصر أنصار وأعوان ، كما كان بها أيضاً أنصار لمذهب الخوارج الذين اعتزلوا علياً ، فضلا عما كان لظهور المذاهب الأربعة من التأثير فى مصر حيث ساد مذهب مالك فى القرن الثانى للهجرة ، وظل على ذلك نحو قرن ثم ساد بعده مذهب الشافعى ، وبقى على ذلك إلى اليوم ، وإن كان التأثير من هذه الناحية لم يظهر فى ثوب عدائى مصحوب بفتن وحروب

وعلى الجملة فقد كان عمل الجند العرب فى مصر ينحصر فى عدة أمور

١ — القيام بالفتوح الخارجية لتأمين مصر من الغرب والجنوب

٢ — الاشتراك فى الغزوات البحرية التى قام بها الخلفاء الأمويون والعباسيون ضد الدولة الرومانية الشرقية أو القضاء على المحاولات التى بذلتها هذه الدولة حيناً بعد حين لاسترداد مصر

٣ — قمع الثورات الداخلية التى كان يقوم بها المصريون فى وجه الولاة

٤ — الاشتراك فى الفتن التى قامت بين الخلفاء والخارجين عليهم أو المنافسين لهم

وطالما انقسم العرب فى مصر على أنفسهم إلى فريقين : فريق يناصر الخليفة وفريق يناصر الخارج عليه والمنافس له

هذا إلى ما كان من قيامهم فى وجه الولاة والعمال إذا ما اشتطوا فى جمع الخراج ومن انقسامهم على أنفسهم بسبب ما كان من ظهور الاختلافات المذهبية فى المدينة وفى دمشق وبغداد

---

(١) مثال ذلك النزاع الذى كان بين النزارية والمضرية ، وهو من أهم العوامل التى ساعدت على نجاح الدعوة العباسية

(٢) الكندى ص ١٤٦

(٣) الكندى ص ١٤٨

(٤) الكندى ص ١٤٨

(١) الكندى : كتاب الولاة ص ١٤٩ — ١٥١

التعليم والمتعطلون فى مصر

للأستاذ عبد الحميد فهمى مطر

الثقة بين رجال التعليم

قبل أن يتناول بحثنا المدرسة المصرية الحالية ، وما وقع فى تكوينها من أخطاء ، وما يجرى بين جدرانها من نقائص وعيوب وما نقترحه فى سبيل إصلاحها التى بالغرض من وجودها من مقترحات — لا بد لنا من التحدث إلى القارئ عن بعض الأمور الأساسية المتصلة بها اتصالا مباشراً لما لها من أثر فعال فى تكوينها وتأثير قوى فى كيانها . وهى أمور من الأهمية بحيث نرى أن من واجب طالب الاصلاح وضعها دائماً نصب عينيه ، فرجال التعليم على اختلاف طبقاتهم يألمون أشد الألم مما يصيبهم من أذى وحرج بسبب ضعف الثقة بهم الذى تظهر آثاره من آن لآن ، ويتردد صداه من وقت لآخر فى كل مكان . ولكن لعل ذلك كله بدأ منا وانتهى إلينا ، فكنا نحن مع الأسف الشديد السبب المباشر فى وجوده والعاملين دائماً على استمراره

إن ضعف الثقة بين الرئيس والمرؤوس مسألة قديمة ، وهى

وقد ظل عرب مصر على ذلك إلى أيام المأمون الذى غالى فى عقوبتهم ، وضرب عليهم الذلة والمسكنة فاستكانوا . ناهيك بما كان من إسقاط المعتصم العرب من الديوان ، فلم يشتركوا بعد ذلك فى فتن سياسية ولم تعد لهم كلمة ، واستعاضوا عن الاشتغال بالحروب والسياسة بالزراعة وكسب العيش عن طريق غير طريق العطاء ، وساروا فى مناكب مصر وانتشروا فى المدن والقرى ، واختلطوا بالسكان الأصليين اختلاطاً تاماً ، فانحطت العصبية العربية فى مصر وفى غيرها من البلاد ، ولم يحكم مصر بعد ذلك وال من العرب إلا عنبسة بن إسحق (سنة ٢٣٨هـ — ٢٤٢هـ) اللهم إلا ما كان من دخول هذه البلاد تحت سلطان الخلفاء الفاطميين مدة قرنين وتسع سنين (٣٥٨ — ٥٦٧هـ)

حسن ابراهيم حسن

لم تقتصر على وزارة التعليم فحسب ، بل انتشرت فى جميع دواوين الحكومة المصرية ، فأزعجت الموظفين وجعلتهم جميعاً يفرون من المسئوليات ، ويلقون على غيرهم التبعات ، وأفقدتهم التعاون والتضامن فتعطلت الأعمال وساءت الأحوال حتى نهض المثل السائر : يوم الحكومة بسنة ، وأصبح معروفاً عند الخاص والعام .

وكانت وزارة المعارف من أقدم الوزارات التى تمسكت بذلك وحرصت عليه حتى هان أمر كل مرءوس على رئيسه ، وأصبح كل منهما يرى فى الآخر عدواً يحاول اقتناصه والايقاع به ، وبرزت إلى الوجود بين المتحذلقين منهم مسألة الأوامر الكتابية ، فكل كلمة تصدر عن رئيس لا تكون ذات قيمة إلا إذا كانت مكتوبة ممهورة بتوقيعه ، وكثيراً ما رأينا أحد المدرسين يتحدى ناظر مدرسته بقوله : « أكتب إلىّ رسمياً » فينزعج الناظر من ذلك ويخشى تلك الكتابة التى قد تجر عليه النكبات ، إذ كثيراً ما أدت إلى الانقسامات بين صفوف المدرسين ، وإلى الاضطرابات والارتباكات ؛ وكثيراً ما قامت الوزارة وقعدت وأرسلت بمفتشيها لاجراء التحقيقات وتحديد المسئوليات كما يقولون . لذا نرى معظم نظار المدارس يعاملون المدرسين عندهم بكل حذر . بينما نرى بعض المدرسين والمرءوسين يحصون على ناظرهم كل صغيرة وكبيرة ، حتى إذا جد الجد وجاء دور التحقيق بينهم أبرزوا ما حوته مذكراتهم من حركات الناظر ومخالفاته شهوراً طويلة . فهل فى جو مثل هذا الجو يمكن أن يطمئن الوالد على تربية ابنه وتثقيفه وتنشئته تنشئة خلقية فاضلة !

ظهر ضعف الثقة بين الرؤساء والمرؤوسين فى قانون نظام المدارس العتيق المعمول به من قديم الزمن فى مواضع عدة نذكر منها على سبيل المثال تحريمه على ناظر المدرسة أن يكاتب أية مصلحة أخرى إلا عن طريق الوزارة ، فكان ناظر المدرسة بالفيوم مثلا الذى يرغب فى مكاتبة مجلسها البلدي لزيارة التلاميذ وابور المياه أو وابور الثلج لا يمكن أن يفعل ذلك رسمياً إلا إذا كتب للوزارة بذلك ، وهى فى دورها تخاطب بلدية الفيوم . وناظر مدرسة قنا الذى كان يرغب فى زيارة تلاميذه آثار الأقصر لا يستطيع ذلك إلا عن طريق الوزارة وهكذا . كذلك كان يحرم القانون على ناظر المدرسة تناول طعام الغداء بين تلاميذه بالمدرسة من نفس

الأصناف وبنفس الكميات التي يأكلونها حتى ولو كان ذلك على نفقته الخاصة حسب التعريفة المقررة، وذلك مخافة أن يحابيه طباخ المدرسة فيما يأكله من الطعام. في حين أن القانون إلى جانب ذلك يحرم على الناظر في موضع آخر مغادرة المدرسة أو تركها في أية لحظة من لحظات اليوم المدرسي لأي سبب من الأسباب حتى ولو كان لتناول طعام الغداء

وفي قانون نظام المدارس مادة أخرى تحرم على المدرس أن يعطي درساً خاصاً لتلميذ عنده في الفصل حتى ولو كان هذا التلميذ داخلاً في امتحان عام كامتحان البكالوريا أو الابتدائية بعيداً عن مدرسته وأساتذته. فاذا علمت أن هذا المدرس هو أعرف الناس بمواضع ضعف هذا التلميذ وهو أعلم طبيب بالطرق الناجعة لعلاجه لاتصاله المباشر به وإشرافه اليومي عليه وعلمه بعقليته وتعرفه لأسباب ضعفه تبينت مقدار تعنت المشرع في ذلك ومقدار عدم ثقته بالمدرس. لأن الذين نشأوا على هذا التشريع وقتلوه بحثاً يعللون ذلك بأن المدرس ربما يتأثر بالعلاقة الجديدة التي تنشأ بينه وبين هذا التلميذ إذا سمح باعطائه درساً خاصاً فيحابيه في أثناء الدرس العام أو يعمل على نجاحه آخر العام الدراسي إن كان ممن يمتحنون بالمدرسة، هذا بالرغم من أن أوراق امتحان النقل جميعها توضع عليها أرقام سرية لا تمكن أي مدرس من أن يعرف أوراق أي تلميذ، فعلام هذا التحوط وعلام كل هذا الخوف؟

أما الأرقام السرية في الامتحانات فحدث عنها وعن أهميتها ولا حرج، فقد كانت في بادىء الأمر توضع على جميع الأوراق التي يدون عليها التلاميذ إجاباتهم في الامتحانات العامة كامتحان الشهادة الابتدائية وشهادة الدراسة الثانوية، ثم انتقلت عدواها إلى أوراق امتحان النقل في جميع مدارس التعليم العام في أنحاء المملكة المصرية بناء على قرار وزاري خاص فأصبحت هي السر الهائل من أسرار لجان الامتحان الذي إذا حاول أي إنسان كشفه لأي غرض كان عرض نفسه لأشد العقوبات ولأعظم النكبات، ولا يتولاها إلا من عرف بحفظه للأسرار وكتمانه لها كتماناً تاماً. ولكم وجدت لها ضحايا من رجال التعليم بين آن وآخر من الذين لا يعملون باحكام على كتم مكنوناتها وصون أسرارها المتيدة. وبالرغم من نظر الرسميات لها هذه النظرة فهي في نظرنا اللطمة التي تصيب سنوياً صميم الثقة العامة برجال التعليم، وهي الصفعة القوية المؤلمة التي يصفعون بها جميعاً في كل عام مرتين من غير أن يعيروها أدنى اهتمام بعد أن اعتادوها ودرجوا عليها. ولكنهم لو تأملوها لأدركوا أن هذا التحيز الذي يتهمون به، وتلك المحاباة التي يرمون بها، ويخشى من أجلها على تلك الوريقات أو الشهادات التي يتسلمها الطلبة، والتي أصبحت اليوم تافهة القيمة لا تقدم الشخص في حياته ولا تؤخره، وأن تلك الروح المقوته التي يوصفون بها — ماهي إلا لطخة في جبينهم لا يقرها إنصاف ولا عدل. بل هي نكبة من النكبات التي أصيبت بها الثقة العامة برجال التعليم يندى لها جبينهم وتحترق لها أفئدة المخلصين منهم على مدى الأيام، وسيظل الضمير العام لرجال التعليم متألماً، وسيظلون أبداً وراء صفوف الهيئات والطوائف الأخرى وعز عدم اكتراثها، وستظل مصر مجافية لروح التجديد والاصلاح في تكوين ناشئتها ما دام هذا النوع من العمل قائماً؛ فهي الامتهان للكرامة بعينها والقضاء على الثقة بكامل معانيها، ولن تقوم لرجال التعليم قائمة إلى أن يتخلصوا من هذه الوصمة التي أصابت ضميرهم وصميم الثقة بهم. وإنها لبدعة دنلوب تحمل بين جنبيها التناقض الصريح في جعل المدرسين أنفسهم يمتحنون الطلبة الامتحان الشفوي في اللغات حيث يكون من السهل معرفة التلميذ للممتحن ومعرفة الممتحن للتلميذ. ومع كل ذلك فقد تمسكنا بها تمسكا كبيراً وحافظنا عليها ونقلناها من الامتحانات العامة إلى أنواع الامتحانات جميعها؛ وقد غلونا فيها وعمدنا إلى تنظيمها وتعميمها حتى شملت جميع المدارس وبعض كليات الجامعة مع الأسف بعد أن كان الواحد منا قديماً يأخذ معه في منزله أوراق الطلبة فيصححها باطمئنان على مهل ثم يعيدها، كما يفعل القاضي بالقضايا، وكما يفعل المهندس بالمقايسات والرسوم المختلفة، وكما يفعل سائر الموظفين في باقي الأعمال الهامة التي لها مساس كبير بمصالح الجماهير، والتي بالرغم مما نسمعه كل يوم من ضبط المختلسين والمرتشين لم يفكر أحد قط في جعل البحث فيها سرياً كما يجري عندنا، حتى لقد أصبح المدرس الذي يقوم طول العام على

تعرف عقلية تلميذه ومقدرته ليس فقط ممنوعا من إبداء رأيه في نقله من فرقة إلى أخرى ، بل هو فوق ذلك متهم في أمانته ، متهم في ذمته ، متهم في أخلاقه ، مصاب في كرامته ، فهل يصح بعد انتزاع هذه الثقة الغالية منه أن يؤتمن على تكوين الفضيلة وبث الأخلاق الحسنة في تلاميذه وأبنائه !!...

اللهم انها نقمة حلت بالتعليم وأهله نسألك أن تزيحها عنهم حتى تعود الثقة بالمعلمين الذين يصفهم الناس إلى اليوم بهتاناً وزوراً بأنهم ورثة الأنبياء ، مع أنهم جردوهم من أثمن الفضائل وأغلاها .

ولقد كان لانتزاع الثقة العامة من رجال التعليم الأثر البالغ في رجال السلطة التعليمية العامة الذين ينتخبون من بينهم فضعفت الثقة بين المراقبين والمساعدين ، وبين المساعدين والمفتشين ، وبين المفتشين والنظار والمدرسين الخ ... وأصبح الواحد منهم يخشى الآخر ويحذره ويعمل ما استطاع على الهرب من المسئولية وإلقائها كلما جد الجد على غيره ، فأصيب الكثيرون منهم بالضعف والخور وفقدان الشخصية . وصار كل منهم يتلمس حرفية القانون فينفذها فقط مخافة أن يقال له يوماً إنه خالف القانون وصار كل تفكيره منصبا على ما هو مكلف به من غير أن يفكر في إصلاح أو تجديد ، لأنه يرى بعيني رأسه أن المتحمسين للتجديد المندفعين في تياره بما جبلوا عليه من حب للعمل والغيرة عليه كثيراً ما ينالهم الأذى من وراء ذلك إذا وقعوا في أتفه مخالفة للقانون حتى ولو كانت تلك المخالفة في صالح العمل وتقتضيها مصلحته. ونتج عن ذلك نتيجتان وخيمتان :

أولاهما : الجمود الفكري الذي استحوذ على المدرس في فصله والناظر في مدرسته . حتى صار الواحد منهم لا يعبأ بمعرفة شيء عن أصول التربية الحديثة ومستلزماتها ولا يهتم بالتمشي مع أصولها خوف ما يقع عليه من المسئولية والأذى إذا حاول الشذوذ عما رسم له بتطبيق نظرية حديثة أو فكرة جديدة، وأصبح لسان حال كل منهم يقول « لماذا أتعب نفسي وأهتم بأي شيء قد يجر على مالا تحمد عقباه ؟ فما على إلا أن أردد كل عام الدروس التي رددتها من قبل أو أن أعمل العمل الذي كنت أعمله في الأعوام السابقة في سبيل الحياة وأكل العيش »

وثانيتهما : إعدام التعاون بين أعضاء المجموعة الواحدة، كل يفكر في نفسه غير مبال بغيره حتى لقد يمر العام كله على مدرسين في مدرسة واحدة لا يعرف أحدهم اسم الآخر كما قد يمر العام على مدرسين في فصل واحد لا يتذاكرون شيئاً عن أحوال تلاميذهم أو أخلاقهم أو عقلياتهم . وليس هناك أمر من الأمور يعرض عمل أية مجموعة أو طائفة من الناس للخيبة كفقد رابطة التعاون والتضامن بينهم ، وخصوصاً إذا كان ذلك بين جدران المدارس التي يجب أن يكون التعاون غرضاً من أغراضها الأساسية . فالمسألة أصبحت قاصرة على أن كل واحد منهم يعمل عمله المتكرر الممل المعاد سنة بعد سنة بدون تأمل في إصلاح ولا تفكير في تجديد وأنى لهؤلاء أن يبعثوا بملكة التأمل والتفكير في تلاميذهم إذا كانوا قد أصبحوا هم أبعد الناس عنها !!

عبد الحميد فهمي مطر

لا كرامة لنبي في وطنه!

ولي الدين يكن يتجاهله المصريون

للأستاذ كرم ملحم كرم

مما يؤلم أن ليس لأديب مصر ولي الدين يكن صدى مسموع في وادي النيل وهو الذي ملأ وادي النيل صيحات وأغاريد، فالمصريون إخوانه لا يحفلون به كما يحفلون بسواه من رجال الأدب والعلم، فكأنه لم يكن، مع أن ولي الدين بلغ مكانة في الأدب والبيان يحن إلى بلوغها عدد وافر من بني قومه. ومعظم هؤلاء الذين يكتبون اليوم في مصر لا يجيدون الكتابة كما أجادها ولي الدين. فان لولي الدين في الانشاء أسلوباً لم يسبقه إليه منشىء، وما جاراه فيه مقلد، فارتقى إلى ذروة سامية كان فيها نسيج وحده. فنفحنا بلغة القرآن كما نفحنا جبران خليل جبران بلغة التوراة، وظهرت لنا فيه الفخامة، والتشبيه البكر، والرقة، والبلاغة. وقد يكون في بيانه أقدر كاتب عرفته مصر، فما في أسلوبه تقعر ولا تحذلق ولا ترهل، بل قوة ورسوخ، قوة مصدرها القلب، ورسوخ لحمته الاخلاص؛ فليس يكتب ولي الدين ليملأ فراغاً بل ليجود بما تزخر به نفسه من عواطف وأشجان.

وإن يكن ثمة أديب يدل إنشاؤه عليه فهو ولي الدين، ففيما يكتب تجري نفسه: فيما يكتب الأنفة، وولي الدين أنوف. فيما يكتب الجرأة، وولي الدين جريء؛ فيما يكتب ثورة على الظلم وولي الدين ثائر على الظلم. فيما يكتب العظمة، وولي الدين عظيم. في أصله وفي قلمه. فان إنشاءه إنشاء ملوك، وهو من حفدة أصهار الملوك والسلاطين

لقد استمان المنفلوطي بعواطف سواه لما كتب، فزخرف ونمق؛ وذلك حسبه، على حين أن ولي الدين خلق، وهذا هو المنشئ البليغ. كتب ما يحسه بلغة رفيعة وجيزة تنطلق كالسهم فلا انحناء ولا التواء؛ ومع كونها لغة ما قل ودل فانها تتوج بالزخرف كالعروس

ولولي الدين في الأدب أنداد جروا مجراه في الأنفة والسمو والنبل. ومن هؤلاء أبو فراس الحمداني، والشريف الرضي. أبو فراس طمع في العرش الحمداني والشريف الرضي في الخلافة. وبين ولي الدين وبينهما شبه متعدد الوجوه في عواطفه وشعره

ولي الدين عانى وحشة المنفى، وأبو فراس ذاق مرارة الأسر. أبو فراس عاش ومات مقهوراً، وولي الدين عاش ومات مقهوراً. شعر المتنبي طغى على شعر أبي فراس، وشعر شوقي طغى على شعر ولي الدين. على حين أن قصيدة أبي فراس: «أراك عصي الدمع شيمتك الصبر ...» تساوي ديواناً. ولا جدال في أن صاحبنا أبا الطيب يتمنى لو تكون له، إلا أن عواطف المتنبي بعيدة كل البعد عن رقة أبي فراس في غزله بعد رقة شوقي عن طبع ولي الدين

فلسنا نحس ونحن نقرأ شوقي قلبه يجول في السطور. فما هنالك غير شاعر ينقر العود ليطرب سامعه، وربما ليرفعه إلى أعلى ذروة من عالم الطرب؛ على حين أن ولي الدين في شعره الغزلي يثب وثباً إلى القلب ويتلاعب به ويملكه ويذله ويدعوه إلى الاقرار مكرهاً بأنه فعل فيه فعله، وبأنه تأثر كل التأثر به، وبأن ما في هذا الشعر يحاكي عواطفه وميوله؛ فهذه نفسه مسبوكة في أبيات من الشعر ذوات قواف وأوزان، بينما هو يقف أمام شوقي وقفة الاعجاب، وقفة الاحترام والخشوع، فيتأثر عقله لا قلبه، شأن كل منا أمام الأهرام وقلعة بعلبك وخرائب تدمر، فنعجب بالصانع والمبتكر دون أن يكون لهذا الاعجاب صلة بالقلب. فالقلب يظل مستقراً في زاويته لا تهتز منه الأوتار، على حين أن تغريدة بلبل وزقزقة عصفور تحتلان منه الصميم

وهذا موقف أبي فراس من المتنبي: المتنبي شاعر القوة وأبو فراس شاعر المهجة المقروحة، والاثنان لا يلتقيان. فالمتنبي لما عاد من مصر بالاخفاق، واحتل قلبه اليأس لم يفكر في سوى الهجو، في غير ضرب المصا، فما جرى في منظومه قلبه بل حقده، بل أعصابه الثائرة وحنقه. فأطلقها تتلى كالرجل الجياش:

عيدٌ بأية حال عدت يا عيدُ ... بما مضى أم لأمرٍ فيك تجديد؟
أما الأحبة فالبيداء دونهم ... يا ليت دونك بيد دونها بيدُ

وهذا شعر ، ولكنه شعر حجري مقدود من الجلمود !

وأبو فراس يئس كالمتنبي لدى وقوعه فى الأسر ، ولا نكير فى أنه كان أشد من المتنبي يأساً وقد نزعت منه حريته وبات تحت رحمة ملك الروم . على أن هذا اليائس لا يضرب بالعصا وهو ينظم الشعر ، فلا يقول كالمتنبي :

لا تشتر العبد إلا والعصا معه ... إن العبيد لأنجاس مناكيد

بل ينشد :

أقول وقد ناحت بقربي حمامة : ... أيا جارتا هل تشعرين بحالى ؟

معاذ الهوى ماذقت طارقة النوى ... ولا خطرت منك الهموم ببال

أيضحك مأسور وتبكي طليقة ... ويسكت محزون ويندب سالى؟

لقد كنت أولى منك بالدمع مقلة ... ولكن دمعي فى الحوادث غالى

وهذا الشعر يائس ، ولكن القلب يتكلم فيه ، لا الحنق ولا العصا ، وليس منحوتاً فى صخر !

***

فى طليعة الشعراء العاطفيين فى مصر اسماعيل صبرى وولى الدين . وما اشتملت العاطفة إلا فى الأيام الأخيرة فى صدر شوقي . ولقد اندفع إليها مضطرا. حمله عليها أبطال رواياته. فلا يسمنا القول أن شوقي شاعر عاطفى لكونه أنطق ليلى العامرية ومجنونها بالغزل والنسيب . فالموقف جره إلى ما كلف نفسه إياه . فنطق بيانه لا قلبه . كان مصوراً لا حساساً يعطينا من كبده

وفى هذه الناحية اختلف ولى الدين عن شوقى : ولى الدين كان عبد العاطفة . وكل شعر شذ به عن العاطفة كبا فيه . والدليل شعره السياسى . فأين هذا الشعر من القصائد المصهور فيها قلب ولى الدين ؟

فبينا أنت إزاء ولى الدين العاطفى فى حضرة شاعر من الطبقة الأولى إذا بك تجاه شعره السياسى أمام شاعر من الطبقة الثانية بل الثالثة ، وأين قصيدة :

الله فى وجدى وفى مأملى ... من لى بعود الزمن الأول

قد كنت أشكو عذلى فى الهوى ... وها أنا أثنى على عذّلى

مللت عذب اللوم جهلاً به ... لو كنت أدرى الحب لم أملل

من قصيدته فى تهنئة سيد مصر يومذاك عباس حلمى الثانى :

هلمو بنا نحو الأمير نسلم ... سلام على عباس مصر المعظم

ألا إن فى الأكباد شوقاً مبرحاً ... إليه فقد كادت من الشوق تدمى

فى القصيدة الأولى تكلم قلب ولى الدين فأسمعنا أروع الشعر ، وفى الأخرى تكلم لسانه بما تقضى به المجاملات فمدا سجيته ولم يكن من الظافرين .

وهذه حال ولى الدين فى قصائده كافة : يجلى فى شعر العاطفة ويكبو فيما جاوز هذا الشعر . ولسنا بحاجة إلى الأمثال وهى موفورة فى كل قصيدة من نظم الرجل . وأى جسامة فى الفرق بين قصيدته :

أعلمت الهوى الذى أخفيه ... أى سر فى القلب لم تعلميه؟

هو مأواك منذ كان وهل يحـ ... ـجب شىء فى البيت عن ساكنيه

وقصيدته فى رثاء أحمد خيرى بك :

ياروح خيرى حين جدّ الرحيلْ ... قفى قليلا وكفانا الدليل

الموت قد بت الذي بيننا ... لم يبق منه غير حزن طويل

فلا صلة بين القصيدتين ولا قرابة : فكأن هذه من نبع وتلك من نبع آخر . وعلى المرء أن يعالج ما خلق له ، وولى الدين على سمو منزلته فى الأدب ، وهو ممن يمشون أبداً في الطلائع والنظائر ، لم يدرك الفوز فيما لم ينشأ عليه . لقد تفوق فى شعر العاطفة وكان عليه أن يملأ به ديوانه فحسب ، لا أن يجرى على ما ليس فيه !

***

ومع أن من حق مصر أن تفاخر برجل موهوب من أبنائها كولى الدين فانها لتحدق إليه شزراً كأنما يضيمها أن تتعرف إليه على حين تغبطها سائر البلاد العربية على أديب فريد فى نثره وفريد فى شعره العاطفى فى هذا العصر

يقول الناقمون على الرجل إنه ساير الانكليز فوقف عليهم قلمه ، ورحب باحتلالهم وادى النيل ، وجوابنا أن الانكليز ساعدوا على ترقية مصر، فان يدهم فى عمرانها غير منكورة عليهم. وفئة محترمة من زعماء مصر ، وبينهم من تربعوا فى العرش المصرى وكانوا منه كالسوار من المعصم ، اعترفت للانكليز باليد البيضاء على وادى النيل . فان يكن ولى الدين جارى هذه الفئة فلا عليه. وقد سمعنا النحاس باشا نفسه ، زعيم الوفد المصرى، يتدفق بالشكر لانكلترا على أثر إبرام المعاهدة المصرية الانكليزية !

وثمة من ينعى على ولى الدين عبثه بالتقاليد ، إذحارب الخليفة ، وتزوج مسيحية ، وأطلق على أبنائه أسماء غربية ، فانكره ذووه ومالوا عنه فعرف البؤس المرير :

تمودّ كلٌّ بؤسها ونعيمها وعشنا على بؤسى ولم نتمودّ

على أنه ماشأن الأدب فى حياة الأديب الخاصة ؟ هذه فى واد وهو في واد . وإذا جئنا ندين الأدباء فى حياتهم الخاصة اضطررنا إلى حذف تسعة أعشارهم من السجل . وهو مجهود سخيف !

ولقد بسم الحظ لولى الدين ، ولكن ما بسم له حتى مات ، وهذا نصيب المنكود من دنياه . كان ولى الدين من مؤيدى السلطان حسين كامل . فلما تولى السلطان حسين عرش مصر قرّب إليه الأديب الموهوب ؛ غير أن الموت زاحم مولى مصر على ابنها البار فدهمه داء الربو فات وهو فى حلوان ، وقيل إنه مات بالسل

* * *

ومهما يكن فليس ولى الدين ممن يجيب الاغضاء عنهم وله على البيان العربى يدٌ طاهرة . عدا أن محاولة طمسه لن تأتى بفائدة ؛ والغد كفيل بأن يحييه . فما أبقى ولى الدين من آثار أدبية يضمن له الخلود . فليس من أديب فى مصر يأتى فوراً تلو شوقى سوى ولى الدين ، أى إن إنكاره وغمط فضله لا يؤثران فيه ، بل يدلان على نية فاسدة . وإننا لننزه القوم فى مصر عن التحزب فى الأدب ، ويكفيهم أن يعلموا أن التحزب العباسى قضى على تسعة أعشار منظوم بشار بن برد وظل بشار من الخالدين !

« بيروت » كرم ملحم كرم

مصـــــدر الهتلرية

منذ أعوام أصدر مستشار الرخ كتابه « كفاحى » متضمناً السياسة التى عول على السير بمقتضاها ، وهى سياسة صريحة لامراوغة فيها ولامداورة . فهل كان هتلر هو خالق هذه المبادئ وواضع تلك السياسة ؟

يرى فريق من المتتبعين لتطور السياسة الألمانية فى نهاية القرن الماضى أن كل ماجاء به دكتاتور ألمانيا إنما هو مأخوذ عن المبادئ التى وضعها الأستاذ هنريك فن تريتشكى أستاذ التاريخ الحديث في جامعة برلين وبثها فى محاضرات ألقاها على القوم فى فريبرج وليبزج وبرلين ، أيام كانت ألمانيا تحرز النصر تلو النصر على الدانيمرك والنمسا وفرنسا (أعنى فى المدة ما بين ١٨٦٦ — ١٨٧٢) ووقت أن كانت تحتاج ألمانيا إلى روح من (مركب النقص) تدفعها على الدوام لأن تتبوأ القمة بين دول أوربا

يقول الأستاذ همبدن جاكسون فى بحث نشره عن نظريات تريتشكى : « يحتمل أن تكون آراء تريتشكى قد استمدت مباشرة من كتاب (كفاحى) ، لولا أنها ظهرت قبل أن يعرف الوجود هذا الكتاب بنصف قرن » ولقد كتب تريتشكى يقول : « إن الحكومة هى القوة ، ووظيفة الحكومة الجوهرية هى شن الغارات ، وبدونها لا تكون هناك حكومة قط ، فلولا الحرب ماكانت الدولة . وينبغى أن يجعل المرء شعاره على الدوام : (إن الحروب دواء الأمم المريضة) كما أنه فى الساعة التى تقول فيها الحكومة : (إن كيانى ووجودى فى خطر) ينبغى أن يغفل المرء البحث عن مركزه الاجتماعى ، وأن يتناسى كل حزب خصومته ، وينكر كل فرد ذاته ، وأن يعتقد أن ليست حياته بشىء إن هى قيست بخير المجموع . وفى هذه اللحظة ذاتها تتجلى عظمة الحرب التى تقول بوجوب تلاشى الضعيف ، أما المثل الأعلى للسياسة فهو الذى ينشد الحرب بينما تنفر منها المادية . ما أبعد الأخلاق عن الواقع حينما تحقر شأن الغلبة فى الكيان الانسانى »

ولقد حذا هتلر حذو تريتشكي فما حاد عن تعاليمه قيد شعرة، فقال عن المعاهدات: « ليس في وسع أية حكومة أن تجعل مستقبلها رهن مستقبل حكومة أخرى، فلكل دولة الحق في أن تعلن الحرب متى شاءت، كما أن لهـا الحق في أن تنقض أية معاهدة متى رأت فيها غلا لها. إن لـكل زمن معاهدة »

لم يقتف هتلر خطى الزعيم المدرس المتوفى عام ١٨٩٥ في السياسية فحسب، بل اتبعه في جميع نواحي الحياة السياسية والاجتماعيـة، فمن قبل أعلن تريتشكي رأيه في المسألة العنصرية الجنسية فقال « إن كلمة « نبيل » لا تفيد إلا معنى العنصرية، ولا يمكن فهمها إلا على أساس اعتقاد أن المميزات الشخصية إنمـا يتوارثها الخلف عن السلف، وأفضل ما في الجنس الآرى صفة الشجاعة، فرجاله دائما على أهبة امتشاق الحسام للذود عما كسبوه بقرائحهم » كما أنـ رأى هتلر في النساء قد سبقه إليه تريتشكي من قبل في قوله: «ليس للمرأة من وظيفة في الحياة غير الزواج وتدبير المنزل. إن الجميع — حتى الذين لا يميلون بطبيعتهم للخير العـام — يكرهون استخدام المرأة في المصانع » ويقول تريتشكي عن الجيش: « ليس له من حق في إبداء الرأي، وإنمـا هو قوة فعالة تنفذ ما يُلقى إليها. أما إذا خُوّل الحق في إعلان رأيه اضطرب الأمن. وليس ثمّ بلاء أنكى على الدولة من جيش يتناقش، ثم يفترق شيعا وأحزابا »

وهذه الـكلمات التي ننقلها هنا، جاءت في محاضرة له ألقاها عام ١٨٩٢ م، وفيها ما يميط اللثام عمـا أحاط مسألة التطهير التي جرت في يونية ١٩٣٤ م عند ما قتل هتلر الجنرال فون شليخر، وقادة فرق القميص الأسمر الذين حاولوا أن يكون لهم رأى في إدارة دفة الحـكم

أخذ تريتشكي يدعو إلى احتقار الجنس السامي، ويذكي غضب عشرائه ويستثير حماسة طلابه في تهديد اليهود لألمـانيا في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر حيث يقول: « والآن حيث أصبح في ميسور الآريين تصريف الشؤون المالية فقد انتهت مهمة اليهود ولم تعد لهم ضرورة. بل لقد أصبح خطرهم شراً جسيما يهدد كيان الدولة بانحلال قواها، ويحمل هذا الأمر في طياته نذير قيام جنسيات مختلفة » غير أن تريتشكي لم يستطع أن يضع حداً فاصلا « لليهودي الخالص » Pur sang وبين الذين يمتُّون للجنس الجرماني بنسب فقال: « وأستطيع — إلى مدى بعيد — ألا أجد غير وسيلة واحدة لانقاذ هذا النشاط، تلك هي تنمية مجهودنا القومي التي ينبغي أن يكون طبيعة ثانيـة بجانب طبيعتنا، وأن نلزم أنفسنا برفض كل ما لا يحمل الطابع الجرماني، فيعم الخير الجميع؛ في ساحة اللاهي وصالات الموسيقى وفي قراءة الصحف؛ أما حيث يوجد القذى اليهودي فعلينا أن نبتره بتراً، فان استطاع الديش بعـد ذلك فتبِعَةُ هذا اللوم واقعة على المتساهلين معهم، المترفقين في بغضهم للجنس السامي »

ويرى تريتشكي أن حاجة ألمانيا إلى المستعمرات من المسائل التاريخية والسياسية والاقتصادية فيقول: « إن حربنا المقبلة الناجحة، ستنجلي عن الحصول على المستعمرات بأية وسيلة، فحاجتنا تاريخية لأن الألمان قاموا بأكبر مشروع استعماري عرفه التاريخ منذ عهد الرومان، ألا وهو استعمار الوثنية من الألب حتى نيفا Neva؛ ثم هي مسألة معنوية لأن الأمم العظيمة في التاريخ ترى واجبها في طبع القبائل البربرية بطابعها، والآن (١٨٩٢) نرى أن أوربا منهمكة في إيجاد أرستقراطية عامة للجنس الأبيض على سطح الكرة الأرضية. كذلك هي مشكلة سياسية لأن الدولة التي ليست لها مستعمرات ستنتهي إلى مركز حقير، حتى ولو كانت قوية من ناحية أخرى، وخلاصة الموقف الألماني تتمركز في سعيه لأن يتكلم الناس قاطبة لغته حتى تكون لغة المستقبل »

هذه هي آراء تريتشكي، وهي نفسها آراء هتلر

(ع. ع)

أســـلوب العقاد

للأستاذ سيد قطب

نصف الحياة اضطرابٌ ونصفها أوزانٌ

هذا هو مذهب العقاد فى الحياة ، وهو مذهبه فى الفنون ، وهو رائده فى التعبير ... الشعر حركة فى الضمير ، وهزة فى الشعور — وهذا هو الاضطراب — وهو بعد ذلك لفظ مقروء وجرس مسموع — وهذه هى الأوزان — فاذا اضطربت العواطف واشتجر الشعور وماجت الأحاسيس ، فيجب — لتكون فناً — أن تضبطها الأوزان وتحدها الألفاظ ، ويحكمها التعبير

من فهم هذا المذهب على حقيقته ، فقد فهم أسلوب العقاد ، وتنبه إلى الدقة فى ترتيب المعانى وتنسيق العبارات ، وفى إيراد الألفاظ المعبرة عن المعنى بلا زيادة ولا نقصان

التعبيرات الطائرة ، والأساليب المزوقة ، والجمل المتراقصة ، كل أولئك لا نصيب له فى شعر العقاد ، لأن الشعر أقدس لديه من أن يكون ثوب مهرج ، أو قفزات بهـلوان ! وهو كذلك مالك لريشته ، متنبه لتعبيره ، فلا مجال لغير الدقة والقصد والاحكام

هذا كله من جهة، ومن جهة أخري أن الأحاسيس والمعانى التى يضطلع بها الأسلوب فى شعر العقاد ليست رخيصة مبتذلة ، ومعظمها ليس متداولا متعارفاً ، وهى على العموم ليست « ملقاة على قارعة الطريق » . فالأسلوب فى شعر العقاد إذن يضطلع بعبء لا يضطلع به عنه سواه ، وهو عبء من نتـاج الانسانية الممتاز ، ومن ثروة الفن العالى ، ومن الخلاصات النفسية ، فمن حق هذا الأسلوب أن يتريث ويتأنى ، وأن يكون له وقار من وقار المعانى التى يحملها ، وجلال من جلال الأحاسيس التى يصورها ، وأن ينظر فيه أولا إلى مقدار الذخيرة الفنية التى يفيض بها ، وأن تـكون الموسيقية الممتازة فيه هى موسيقى المعانى والأفـكار والآفاق الجديدة التى يرتادها فى هدوء وعمق وسموق ، لا الموسيقية اللفظية الرخيصة وحدها ، وهى ليست بذات بال

وما أقول هذا لأن شعر العقاد تنقصه هذه الموسيقى اللفظية ففيه الـكثير منها ، بل فى هذا الشعر مجموعة من القصائد التى تتوفر فيها هذه الخاصة ، قلما يوجد نظيرها فى دواوين الشعراء الموسيقيين ، كما أن الرصانة والجزالة فى عامة شعر العقاد ملحوظة واضحـة .

وإذا شاء أحـد أن يأخذ على بعض من ينتسبون للمدرسة الحديثة من الشبان قصوراً فى التعبير ، أو عدم عناية بالديباجة العربية السليمة ، فما هو واجد من ذلك شيئاً فى شعر العقاد بالذات ، ودون هؤلاء دواوين العقاد كلها إذا أرادوا

ولكن جماعة ممن يبيحون لأنفسهم أن يقتعدوا مقعد النقاد بلا مؤهلات ، يقسمون المواهب الانسانية تقسيما غريباً ، ولا يسمحون أن يحتاز إنسان لنفسه موهبتين أو أكثر ، كأنما يخشون نفاد هذه المواهب التى بين أيديهم ! فمن كان شاعر معان وأحاسيس ، فما هو بشاعر موسيقى وتعبير ، والعكس بالعكس ، إلا من يشاء لهم «الانصاف البديع» أن ينالوا أكثر من قسط، وهؤلاء يجب أن يكونوا من خصوم العقاد !

ومن هنا كان العقاد — عند هؤلاء — كاتباً ولم يكن شاعراً، فاذا سمحوا له بقسط من الشاعرية ، فليكن هذا القسط فى المعانى والأفكار ، وليبق الأسلوب والتعبير وقفاً على طائفة خاصة من غير المغضوب عليهم ، أو من أولئك الشعراء المريحين الذين لا يتعبون هؤلاء المحترمين فى فهمهم وفى التسلق إلى مستواهم الرفيع، ولتختلف المقاييس حسب اختلاف الأهواء، فتارة يكون الأسلوب الجيد هو الجزل الرصين ، حين يستعرضون للعقاد بعض القصائد السهلة الرشيقة ، وتارة يكون الأسلوب الجيد هو العذب اللذيذ حين يعرضون للعقاد بعض القصائد المتينـة الرصينة ، ولو أنصفوا أنفسهم وأراحوها لقالوا : إن الأسلوب الجيد هو غير أسلوب العقاد فى كل حالة ، لأن هـذا ما يرضى نقصهم وقصورهم حيناً ، وحقدهم وتمنتهم أحياناً !

وهأنذا أفتح الجزء الأول من ديوان العقاد ، وهو الجزء الذى ابتدأ به حياته الشعرية ، وانتهى من نظمه وهو فى الرابعة والعشرين ، وأختار هذا الشعر بالذات ، لأن الشاعر فى إبانه لم تكن قد استقامت له بعد طريق البيان ، ولم يكن مالكا

لريشته وألفاظه ، وكان خليقاً أن يقصر ويعذر فى التقصير

ولكن شيئاً من هذا لا تلمحه فى ديوان الشاعر المبتدئ ، بل إننى لأريد أن أفهم كيف يكون الأسلوب العربى الرصين المشرق ، إذا لم يكن كالقطعة الأولى فى الديوان الأول بعنوان « فرضة البحر » ، حين يقول :

قطبَ السفين وقبلة الربان   يا ليت نوركِ نافع وجدانى
يرجى منارك بالضياء كأنه   أرِق بقلب مقلق ولهان
وعلى الخضم مطارح من ومضه   تسرى مدلهمة بغير عنان
كمطارح الأفكار فى لجج على   لجج من الشبهات والأشجان
تخفى وتظهر وهي فى ظلمائها   باب النجاة وموئل الحيران

* * *

أمسيتِ أحداقُ السفائن شُرَّع   صور إليك من البحار روان
كالبيت يجمع بعد تشتيت النوى   شمل الأحبة فيه والاخوان
جوديُّ كل سفينة لم يبنها   نوح ولم تمخر على الطوفان
فيها التقى بر وبحر واستوى   شرق وغرب ليس يستويان
بسطت ذراعيها تودع راحلا   عنها وتحفل بالنزيل الدانى
زمر توافت للفراق فقاصد   وطنا ومغترب عن الأوطان
متجاورى الأجساد مفترق الهوى
متباينى اللهجات والألوان
فانظر إلى تلك الوجوه فإنها   شتى ديار جمعت بمكان
فى فرضة متقاصر عن متنها   موج أشم أحم ليس بوان
موج يطيف بها وقدران الكرى   فيها طواف الضيغم الغرثان
ألقت مراسيها السفائن عندها   وتحصنت منها بدار أمان
فكأن ضوء منارها نار القرى   لو كان يُبعث ميت النيران

بل كيف يكون الأسلوب العربى المشرق إذا لم يكن مثل قصيدة « عزاء » فى الصفحة الثانية من الديوان الأول حين يقول :

يا شاكيا وصبا أحاط بنفسه   أربِع عليك لكل يوم كوكب
حمّل فؤادىَ ما يؤودك حمله   إنى لأجلدُ للهموم وأصلب
أنت النعيم لناظرىَّ وخاطرى   عجبا وحقك من نعيم ينحب
يشكو من الدنيا الألى لولاهمو   ما كانت الدنيا تحب وترغب
إما بكيتَ فلستَ أول شارق   يجلو العيون وقد حواه الغيهب
قد كنت تبلغ ماتريد وتشتهى   لو أن للأيام عينا ترقب
لا يذهبن بك القنوط فربما   عاد الصباح وأنت لاه تطرب
دمع الشبيبة لا حرمتَ ثمارَه   يروى به اللب الغضيض فيخصب

فأما حين يطلبون الرصانة وقوة الأسر وجزالة الأسلوب ونخامة التعبير ، فان الجزء الأول من ديوان العقاد يجيبهم إلى طلبتهم فى عدة قصائد أذكر منها « وقفة فى الصحراء » وفيها يقول :

هضابكِ أم هذى أواذيّ عيلم   وهل فيك من ورد لغير التوهم
تخايلتِ كالدنيا وأقفرت مثلها   فلا تخدعينى إننى لست بالظمى
أيا ربة الآل الخلوب وإنما
إلى الآل ركب الناس جمعاء فاعلمى !
خلوتِ فلا آثار حىٍّ ثوابتٌ   عليك ولا آثار ميت معظم
نبا بكِ عن حال العمار وضده   شماسٌ فلم تبنى ولم تتهدمى
تشابهت الأيام فيك فلم يكن
إلى السعد يومٌ أو إلى النحس ينتمى
صحارى من الدهر الفسيح جديبة   كعهدك لم تعبس ولم تتبسم
لَفيكِ وإن طال الزمان غوارب   على الناس أخفى من غوارب أنجم
أضاءت عليها النيرات ولم تزل   هنالك فى ليل من الغيب أيهم

* * *

إلى أى ركن فيك يلجأ هارب   وفى أى ظل من ظلالك يحتمى
تسدين أرجاء الزمان بحاصب   من النار موار العجاجة مظلم
تثور كأفواج الدخان تطلعت   إلى عُلُو من قاصى قرار جهنم
إذا ما رآها الوحش ولى كأنها   من النقع تجلى عن خميس عرمرم
يلوذ ببطن الأرض والأرض جمرة
خياشيمه م القيظ يبضضن بالدم
ويذهل حتى يغفل الليث صيده   ولا تفرق الغزلان من ناب ضيغم
وما سكنتها الوحش إلا لأنها   أحب إليها من جوار ابن آدم !
وقفت عليها والمطايا تقلنا   مطايا تخود قبل ذاك وجرهم
ذميلاً وإرقالا وما تستحثها   سياط سوى الرمضاء أيان ترتمى

فقلنا بأوجار الضباع فأكرمت على البعد مثوانا ولم تتقدم
كرامة مضطر ويارب طارئ يكرمه من لم يكن بالمكرم

هذه أو قصيدة « ليلة نابغية » حين يقول :

إلى أى قولى قائل أنت أميل ؟ وعن أى حاليك المشية تسأل؟
عرفت مدى شطر وشطر جهلته فحسبك من بلواك مالست تجهل
تنوص على الأوجاع بُهراً كأننى برىء من الأوجاع لا أتملل
فيالك من قلب إذا ما تململت قلوب الورى لم يدن عنك التملل
تماق إلا بالمحال رجاؤه وأقسم لا يلهو ولا يتأول
ضمنتَ كدُفّاع الضرام لواعجاً أأنت لنيران اللواعج هيكل ؟
فيا من يرانى والفؤاد كأنه إذا الليل أغضى قاتل يتزمل
ويا من يرانى والنجوم كأنها نواظر من خوف المنية تقفل
كأن الفضاء لم ير الشمس مرة ولم يسر فيه بدره المتهلل
أبيت وبى ليلان : ليل صباحه يرجّى وليل مدبر الصبح مقبل
أضمد جرحى باليدين وفيهما جراح يغشيها التجبيع المسلسل
وأحمل نفسى وهى ولهى طليحة إذا التام منها مقتل سال مقتل
إذا أدبر الليل استرحت وإنما يوكل بى الليل الذى هو أطول

* * *

عفاء على الأضواء ما ذا انتساخها الل
يالى وليـلى آخر الدهر مسبل
فياشهب خطى بالرجوم على الدجى
وياصبح فاسممنى ويا ناس فانقلوا
مثولت سراجا ياشموس إذا خبا سراجى وليلى قاتم الجنح أليل

فأما حين يطلبون السلاسة والعذوبة ، فما أكثر ما يجيبهم ديوان العقاد الأول وحده إلى ما يطلبون ، وأقرب ما تقع عليه العين قصيدة الحب الأول ونقتطف منها قوله :

يهنيك يازهر أطيار وأفنان الطير ينشد والأفنان عيدان
طوباك لست بانسان فتشبهنى إنى ظمئت وأنت اليوم ريان
هذا الربيع تجلى فى مواكبه وهكذا الدهر آنا بعده آن
تفتحت عنه أكمام السماء رضى وزفه من نعيم الخلد رضوان
وشائع النور فى البستان باسمة والأرض حالية والماء جذلان
الشمس تضحك والآفاق صافية
جلواء والروض بالأثمار فينان
وللنسيم خفوق فى جوانبه وللطيور ترانيم وألحان
فى كل روض قرى للزهر يعمرها
ياحبـذا هى أبيات وسكان
مستأنسات سرى ما بينها عبق كما تراسل بالأشواق حبان
الورد يحمر عجبا فى كمائمه والياسمين على الأغصان ميسان
وللقرنفل أثواب ينوعها عن البلور صناع الكف رقان
وللبنفسج أمساح ممسكة كأنه راهب فى الدير محزان
وحبذا زهر الليمون يسكرنا منهن جام خلا من مثله الحان
والليل يحييه والأطيار هاجعة بلابل وشحارير وكِرْوان
مؤذن الطير يدعو فيه محتسبا فيستجيب له بر وغيان
والصبح فى حلل الأنوار طرزه
فى الشرق والغرب أسحار وأصلان
كأنما الأرض فى الفردوس سابحة
يحدو خطاها من الأملاك ربان
ضاق الفضاء بما يحويه من فرح فكل مافى فضاء الله فرحان

... الخ ... الخ

وعلى قيد صفحات من هذه القصيدة الرائقة الرائعة تجد « ليلة الأربعاء » وفيها يقول :

شف لطفاً عما وراء السماء نور بدر مفضض اللألاء
رق سجف السماء حتى كأن الـ عين تتلو هناك سر الفضاء
وسرى الطرف فى الفضاء فما يثـ
نيه ثان عن خوض ذاك الفضاء
وربا النور كالعباب فما فى الـ كون غير الظلال من ظلماء
تلك أولى لوائح الصيف والصيـ ف بهيج فى الليلة القمراء
يمن الله سميه من رسول يطرق الأرض وافداً من ذكاء
مولد الأرض فهى تلبس فيه كل عام مطارف الأضواء
أضرم الجو بالمشاعل كالظا فر يعدو فى إثر جند الشتاء

إلى أن يقول فى عذوبة رقيقة :

ليلة الأربعاء بالله عودى وأعيدى ياليلة الأربعاء

ليلة أرسل الزمان بها عفـ ـوا فجاءت كحكمة البلهاء

قد نسينا الصباح حتى ذكرنا ه بنور من بدرها الوضاء

فوصلنا مساءها بصباح ووصلنا صباحها بمساء

وشربنا ونحن مرضى من الهم دواء أنعم به من دواء

ثم يقول من هذه القصيدة :

أين لا أبعد المهيمن داراً لك يامن أجله عن ندائى

أذكرتنى بك الكواكب والبد ر ونفح الرياض والصهباء

أنت أقصى منى ضمار لوشئـ ـت لبانت فى غبطة وهناء

أنت شمس لهيبها فى فؤادى أنت نور لظاه فى أحشائى

أنت عندى كليلة القدر فى الدهـ ـر ولكن لن تستجيب دعائى

تتجلى فى كل حسن فأرعا ك وأنسى محاسن الأشياء

... الخ

* * *

تلك نماذج مختلفة من أساليب العقاد فى أول ديوان يصدره منذ خمسة وعشرين عاما مرن فيها على النظم ، واستجابت له التراكيب وسلس له التعبير ، وتهيأ له خلالها ما يتهيأ لأى شاعر عادي من المران والدربة والاتقان .

فاذا استغنينا بالجزء الأول وحده ، فنحن واجدون للعقاد كثيرا من شعر الأساليب الفخمة الجزلة ، والأساليب الرصينة المتينة ، والأساليب العذبة السلسة ، وكل ما يعنيه الأسلوبيون ببدائع الأسلوب . ودع عنك ما وراء أسلوب العقاد من معان وفكر وأحاسيس وعوالم واسعة من الفن الفريد

فماذا يريد إخواننا الرافعيون ؟

إنهم ليستفشون ثيابهم ويضعون أصابعهم فى آذانهم ، ويذهبون ويتجنون وينكرون ، وما على العقاد ولا على المدرسة الحديثة منهم ، بل لا كانت هذه المدرسة إذا كانت تنظر إلى رضاء الرافعيين !

« حلوان » سيد قطب

العـــزلة

للشاعرة ايلا هويلر ويلككس

بقلم السيدة فلة فهمى

إضحك ، يضحك معك العالم

إبك ، تبك وحدك

على الأرض الحزينة الهرمة أن تنشد سرورها ،

لكن لديها من الهم الكفاية .

غن ، تردد غناءك التلال ،

ولكن تنهداتك تتبخر فى الفضاء .

يلتقط الصدى الصوت الطروب

لكنه يحجم عن الصوت الحزين

* * *

إن تبتهج ، سعى إليك القوم ،

وإن تحزن ، ولوا عنك .

إنهم ليرغبون في أكبر قسط من لذاتك

بينما هم فى غير حاجة إلى هموم نفسك .

كن طروباً ، يكثر أصدقاؤك

وكن حزيناً ، تفقدهم جميعاً .

ليس هناك من يعف عن رحيق خمرك

لكن عليك وحدك أن تكرع علقم الحياة

* * *

أولِمْ تزدحم قاعاتك

صُمْ ، ينصرف عنك العالم .

إنجح وامنح ، فذلك يعينك على الحياة

لكن ليس من يستطيع أن يحمل عنك آلامك

هناك مكان فى قاعات السرور . . .

لكل من يقطع مرحلة الحياة الشاقة ،

لكن علينا أن نجتاز واحداً فواحداً

ممر الألم الضيق . . .

فلة فهمى

الفهم

وصلته بالحكم الأدبي

للأديب محمد فهمي عبد اللطيف

قرأت فيما قرأت للمرحوم الرافعي كلاماً يقول فيه : إن الذوق الأدبي في شيء إنما هو فهمه ، وإن الحكم على شيء إنما هو أثر الذوق فيه ، وإن النقد إنما هو الذوق والفهم جميعا !

وهذا الذي قاله الرافعي كلام يتهالك في أوله ، بقدر مايتماسك من آخره . نعم فقد أخطأ الرافعي إذ حسب أن الذوق الأدبي في شيء إنما هو فهمه ، فإن الفهم شيء والذوق شيء آخر ، وإذا كان الذوق يستلزم الفهم كما يقولون ، فأن الفهم كثيرا ما ينفك عنه فلا يستلزمه ولا يقتضيه . ولقد يتأتي للشخص أن يفهم الأثر الأدبي على خير ما يكون الفهم ، ومع ذلك لا يقع من ذوقه أدنى موقع ، كما هو حال كثير من علماء النحو ورجال اللغة ! ! ولكن الرافعي مصيب من غير شك إذ يرى « أن النقد إنما هو الذوق والفهم جميعا » فأن الناقد إنما تتم له الأداة ، ويصح له أن يحكم على الأثر المنقود ، إذا ما فهم ألفاظه ومعانيه ، ووقف على إشاراته ومراميه ، وتلمس له كلَّ وجهٍ يستقيم عليه منطوقاً ومفهوماً ، وكل مدلول يقتضيه صريحاً واستلزاما

تلك حقيقة هي من الوضوح إلي حد البداهة ، ولكن الدكتور طه حسين نقل كلاماً عن الشاعر الفرنسي بول فاليري زعم فيه : أن موت الأثر الفني إنما يأتي من فهم الناس له ، فأنت إذا ما قرأت كتاباً وفهمته فقد قتلته وقضيت عليه . فهناك إذن جهادعنيف بين القارئ والمقروء، فاذا فهم القارئ فقدغلب، وإنما الأثر الفني الخليق بهذا الاسم هو الذي يغلب القارئ ويعجزه ، ولكن دون أن يضطره إلى اليأس والقنوط ، ومن هنا كان النثر بطبيعة تكوينه أقرب إلى الموت وأدنى إلى الفناء لأنه أقرب إلى الفهم ، وأدنى إلى الهضم ! والدكتور طه لا يميز الناقد في هذه الثمرة عن أي قارئ آخر، بل ولا يرضى له أيضا بفهم « الأثر الفني الخليق بهذا الاسم » ليتم لذلك الأثر البقاء كما يقول ، ومن ثم فقد طار إلى الأوج بقصيدة « المقبرة البحرية » لصاحبه فاليري ، وكل دليله في ذلك أنها استغلقت على النقاد فلم ينفتح لهم فيها باب الفهم ، على الرغم مما بذلوا في الفهم ووسموا في التأويل ، وكأني بالدكتور الفاضل قد فاته أن اللغة — في أرق أوضاعها وفي أحط أوضاعها — ليست إلا سبيل الفهم ، والفهم إنما هو أساس المعرفة ، والمعرفة إنما هي قوام الحياة ، وصلة الانسان بالعالم . ثم كأني بالدكتور الفاضل قد نسى أنه من قبل ذلك ردَّ كتاب رسائل الأحزان للرافعي ، وكانت حجته في ذلك أنه قرأ الكتاب فلم يفهمه وهو لا يستطيع أن يحكم على شيء استغلق عليه فهمه ، وتعذر دركه !

ومهما يكن من شيء فان هذا الذي نقله الدكتور طه على أنه من طريف أوربا له شبيه طريف في تاريخ الأدب العربي ، فقد حدَّث ابن سنان الخفاجي قال : جرى بين أصحابنا في بعض الأيام ذكر شيخنا أبي العلاء بن سليمان المعري ، فوصفه واصف من الجماعة بالفصاحة ، واستدل على ذلك بأن كلامه غير مفهوم لكثير من الأدباء ، فعجبنا من دليله وإن كنا لم نخالفه في المذهب وقلت له : إن كانت الفصاحة عندك بالألفاظ التي يتعذر فهمها فقد عدلت عن الأصل في المقصود بالفصاحة التي هي البيان والظهور، ووجب عندك أن يكون الأخرس أفصح من المتكلم ، لأن الفهم من إشاراته عسير بعيد ، وأنت تقول : كلما كان أغمض وأخفى ، كان أبلغ وأفصح . وعارضه أبو العلاء صاعد بن عيسى الكاتب وقال : صدقت . إننا لانفهم عنه كثيراً ممايقول، إلا أنه على قياس قولك يجب أن يكون ميمون الزنجي الذي نعرفه أفصح من أبي العلاء ، لأنه يقول ما لا نفهمه نحن ولا أبو العلاء أيضاً ، فأمسك !

وسواء أأمسك الدكتور طه كذلك الرجل أم لم يمسك ، فما يعنينا ذلك ، وليس من وُكدنا أن نطيل في تفنيد دعوى باطلة لايمسكها دليل من عقل أو فهم ، وما كنا لنعرض لها بذكر لولا أن رأيناها قد جازت عند بعض الناس . وإننا لنمضي فنقرر بأنه إذا كان الحكم فرع التصور كما يقول المناطقة ، فان الفهم لا شك دعامة من دعامات الحكم الأدبي ، وشرط أساسي لا بدَّ منه في تقدير الكلام والحكم على الأثر المنقود ، كما هو شرط

فى الحكم على أى شيء آخر ، وقديماً قيل : يكفى من حظ البلاغة ألا يُؤتى السامع من سوء إفهام الناطق ، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع ، ولا جرم أن الناقد إذا لم يفهم ، واستباح لنفسه أن يحكم ، فهو إما مسيء إلى نفسه وفنه ، وإما مسيء إلى صاحب الأثر المنقود ، فاذا كتب الله له السلامة من الأساءتين فذلك شيء بقضاء وقدر ، ولا صلة له بتقدير الفن ومقاييسه ، ولا يد فيه ولا عمل لمواهب الناقد وملكاته !

هذا وللجاحظ كلام حلو مستقيم يدخل فى هذا الباب ، فلا بأس من إيراده وإن كان مرده إلى جهة القائل لا إلى جهة الناقد . قال أبو عثمان : «قال بعض جهابذة الألفاظ ونقاد المعانى: المعانى القائمة فى صدور الناس ، المتصورة فى أذهانهم ، المختلجة فى نفوسهم ، والمتصلة بخواطرهم ، والحادثة عن أفكارهم — مستورة خفية ، وبعيدة وحشية ، ومحجوبة مكنونة ، وموجودة فى معنى معدومة ، لا يعرف الانسان ضمير صاحبه ، وحاجة أخيه وخليطه ، ولا معنى شريكه والمعاون له على أمور ، وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره ، وإنما يحيى تلك المعانى ذكرهم لها ، وإخبارهم عنها ، واستعمالهم إياها ، وهذه الخصال هى التى تقربها من الفهم وتجليها للعقل ، وتجعل الخفى منها ظاهراً ، والغائب شاهداً ، والبعيد قريباً ؛ وهى التى تخلص الملتبس ، وتحل المنعقد ، وتجعل المهمل مقيداً ، والمقيد مطلقاً ، والمجهول معروفاً ، والوحشى مألوفاً ، وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الاشارة ، وحسن الاختصار ، ودقة المدخل ، يكون ظهور المعنى . وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح ، وكانت الاشارة أبين وأنور ، كان أنفع وأنجع فى البيان ... والدلالة الظاهرة على المعنى الخفى هو البيان الذى سمعت الله يمدحه ، ويدعو إليه ، ويحث عليه . بذلك نطق القرآن ، وبذلك تفاخرت العرب ، وتفاضلت أصناف العجم ... والبيان اسم لكل شيء كشف لك عن قناع المعنى ، وهتك لك الحجب دون الضمير ، حتى يفضى السامع إلى حقيقته ، ويهجم على محصوله ، كائناً ما كان ذلك البيان ، ومن أى جنس كان ذلك الدليل ، لأن مدار الأمر ، والغاية التى إليها يجرى القائل والسامع : إنما هو الفهم والإفهام ... وقال على بن الحسين رضى الله عنه : لو كان الناس يعرفون جملة الحال فى فضل الاستبانة ، وجملة الحال فى صواب التبيين لأعربوا عن كل ما تخلج صدورهم ولوجدوا من برد اليقين ما يغنيهم عن المنازعة إلى كل حال سوى حالهم ، وعلى أن درك ذلك كان يعدمهم فى الأيام القليلة المدة ، والفكرة القصيرة المدة »

ولعمرى لقد أصاب الجاحظ شاكلة الصواب فى قوله : إن الغاية التى إليها يجرى القائل والسامع إنما هى الفهم والافهام ، فالمسألة قسمة بين القائل والناقد ، فاذا كان من الواجب على الأول أن يقول ما يفهم ، فان من الواجب على الثانى أن يفهم ما يقال ، ومن ثمّ كان طلبهم فى الشاعر الحاذق بالصناعة أن يكون شعره مفهوماً واضحاً يسبق معناه ولفظه ، وكان شرطهم فى الناقد إذ كان يدعى علم الشعر ويتحقق بالأدب ، أن يكون يفهم معانى الشعر ، وله دربة بالغامض والظاهر منها . وهذا رأى قويم تقع به مهمة البيان موقعها من جهة ، ومن جهة أخرى يستطيع الناقد أن ينهض بمهمته ، وأن يخدم الأدب والفن كما يجب ، فيميز بين الخبيث والطيب ، ويفصل بين الشريف والأصيل ، ثم هو يقضى فى ذلك ونفسه مطمئنة ، ورأيه عن ثقة وتثبت . وقد أجاد الآمدى وأفاد فى هذا المعنى إذ يقول فى صدر باب من كتابه الموازنة :

أما بعد : فانى أدلك على ماتنتهى إليه البصيرة ، والعلم بأمر نفسك فى معرفتك بأمر هذه الصناعة — يريد صناعة النقد — والجهل بها ، وهو أن تنظر ما أجمع عليه الأئمة فى علم الشعر من تفضيل بعض الشعراء على بعض ... فأن علمت من ذلك ماعلموه ، ولاح لك الطريق التى بها قدموا من قدموه ، وأخروا من أخروه ، فثق حينئذ بنفسك ، واحكم يستمع حكمك ، وإن لم ينته بك التأمل إلى علم ذلك ، فاعلم أنك بعفردك عن الصناعة... لأن كل امرىء إنما يتيسر له مافى طبعه قبوله ، ومافى طاقته تعلمه ، فينبغى أصلحك الله أن تقف حيث وقف بك ، وتقنع بما قسم لك ، ولا تتعدى إلى ماليس من شأنك ولا من صناعتك ! !

على أننا إذ نقول الفهم ، فما نعنى فهماً كالذى يقصد إليه عالم

كالعكبرى مثلا إذ يقول فى مقدمة شرحه للمتنبي :

« وأما بعد ، فانى لما أتقنت الديوان الذى اشتهر ذكره فى سائر البلدان ، وقرأته قراءة فهم وضبط ... ورأيت الناس قد أغربوا فيه بكل فن وأغربوا ، فمنهم من قصد المعانى دون الغريب، ومنهم من قصد الأعراب باللفظ القريب ، ومنهم من أطال فيه وأسهب غاية التسهيب ، ومنهم من قصد التعصب عليه ، ونسبه إلى غير ما كان قد قصد إليه ، فاستخرت الله تعالى وجمعت كتابى هذا ... وجعلت غرائب إعرابه أولا ، وغرائب لغاته ثانياً ، ومعانيه ثالثاً ..» نعم ! نحن لانمنى هذا الفن من الفهم وما هو على غراره من الأساليب التى انتهجها القدماء فى شرح الآثار الأدبية ، لأن فهم الآثار الأدبية ليس هو بتفسير الغريب ، وإعراب المشكل من التراكيب ، والتنبيه على مذاهب الاستعارات والكنايات وما إلى ذلك من اصطلاحات أهل البيان ، فما هذه كلها إلا مجهود ضئيل قد يأتى بشيء ولكنه لا يأتى بكل شىء ، وإنما الوضع الصحيح لفهم الآثار الأدبية الذى يولد فينا الذوق الأدبى ، ويقوى فينا الشعور بالجمال ، ويصل بنا إلى مقصد الشاعر أو الكاتب ، هو أن نستنطق الأثر الأدبى فى كل ما يلابسه ويحيط به ، وأن نتبين ما هناك من ميول وأهواء ، ونزوع واتجاه ، فى كلام المؤلف ، وشعر الشاعر ، وبيان الخطيب فان من وراء هذا كله أشخاصاً ينطقون ويشعرون ، فاذا ما خالطنا هـــذه الآثار وما زجناها ، أحطنا بظواهر أصحابها وبواطنهم ، واتصلنا بأسرارهم ودخائلهم ، وعرفنا خصائصهم وطبائعهم ، واهتدينا إلى أخلاقهم وميولهم ، ووقفنا على سلوكهم وأوضاعهم ، وفى هذا كله مافيه من ثقافة للذوق ، ومتاع للعقل، ثم فيه ما فيه من إفادة للناقد ، وتسهيل عليه فى درك الحقيقة التى ينشدها ، والصواب الذي يسعى إليه .

وهنا سؤال لا بد منه ، وقد يكون القارىء فطن إليه من قول العكبرى : « ومنهم من قصد التعصب عليه ، ونسبه إلى غير ما كان قد قصد إليه » ، فأن القائل قد يقصد فى قوله إلى شىء ، ولكن الناقد يذهب بفهمه إلى شىء آخر ، ما دام اللفظ يتحمله ، والتعبير يتسع له ، ثم إن الأفهام تختلف ، والنقاد يختلفون فى استخلاص المعنى من اللفظ ، « فمنهم من تكفيه اللمحة البـادرة ليتنبه إلى النكتة اللطيفة والتلميح البعيد المستظرف فى عروض كلام الكاتب فيمدّ ذلك له من القلائد ويفهمه حسبما أراد به وقصد إليه ، ومنهم من يحسبها جلة جرى بها قلم الكاتب عن غير تعمد ، إذ أنه يرى فيها شيئاً يشبه وجهاً محجوباً بستر صفيق فلا يدرى أحسن هو أم قبيح ، ومنهم من يمرّ بالكلام ولو سألته ماذا أراد به كاتبه لعجب من سؤالك ! إذ أنه لم يرَ فيه شيئاً استوقف خواطره ، وعلى حسب ذلك الفهم وذلك الشعور ينتقد ويحلل[1] » ويقدّر ويحكم ، وأنت لو نظرت إلى النقاد الذين انتقدوا المتنبي مثلا ، لعجبت من مدى خلافهم فى تفهم معانيه ، والوقوف على أغراضه ، وهو نفسه يصوّر ذلك فى أبرز صورة إذ يقول :

أنام ملء جفونى عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم

إذن فماذا يكون حظ « الحكم الأدبى » من فهم الناقد ، وكيف يقع موقعه من الحق والصواب ما دام للناقد أن يذهب بفهمه على ما رغب ، وما دامت أفهام النقاد تختلف فى الدرجة والطاقة على حدّ تمييز الملميين !

والجواب على هذا السؤال سهل قريب ، والتعليل له أسهل وأقرب ، فان الأمر ليس منوطاً برغبة الناقد يذهب فيه مذهبه ولكن هناك قيود والتزامات ، فالفهم المعتبر عنـدهم فى تكوين الحكم الأدبي ، والذى يجب أن يتوجه إليه الناقد بكل ما عنده من علم وزكانة ، إنما هو الوقوف على غرض القائل وما يرمى إليه ، وإلى غير هذا الهدف لا يباح له أن يصوب النظر ، إذ المقصود إنما هو الحكم للقائل أو عليه ، والوقوف على حظه من العبقرية الفنية، وليس مما يصح فى منطق العقل أن نحكم على رجل بغير مقصوده ، وأن نؤاخذه بغير ما يريده !

إن من الواجب على القاضى فى عرف القانون أن يحاول جهده الكشف عن نية المتهم فيما ارتكبه ليحكم عليه فى غير ما حيف ولا جنف ، والناقد لا شك له مكانة القاضى ومهمته ، فمن الواجب عليه كذلك أن يفهم كلام القائل « حسبما أراد به وقصد إليه » ، والسابقون من النقاد قدعبّـدوا السبل إلى ذلك ، فاهتموا بالتغلغل فى شخصية الشاعر أو الكاتب ، والكشف

---

(١) منهل الوراد ج ٣

عما أحاط به من العوامل والمؤثرات ليكون ذلك فى هداية الناقد ومعونته على فهم القائل حق الفهم ، ولذلك يقول «سانت بوف» : إن من أراد أن يكتب عن شاعر أو كاتب فليبحث حياته وسيرته بحثاً دقيقاً ليعرف كيف كان يعيش فى منزله وفى الخارج حتى يمكن تصويره فى جميع صوره ، ومن المأثور عن هذا الناقد الكبير أنه كان يهتم بقراءة رسائل الذين كان يرغب فى الكتابة عنهم الخصوصية وكذلك مفكراتهم واعترافاتهم لأنهم يظهرون فيها غالبا بمظاهرهم الحقيقية

ثم هناك ناحية هامة لا نحسبها تخفى على القارئ الفطن ، وهى أننا إذا تركنا الناقد يفهم فى الكلام كما يشاء ، ويحكم على الأثر المنقود حسبما يذهب إليه فهمه وتصوره ، فان حكمه — والحال هذه — يكون على مواهبه هو ، ومدى إدراكه وفهمه، لا على مواهب القائل ومدى ما عنده من الفن والعبقرية . ولاشك أن هذا تعطيل لمهمة النقد ، وخروج بالحكم الأدبى عن وضعه ، ومن ثمّ فقد أخذ الوهم بعقول بعض الناس فزعموا أن النقد لا حقيقة له ، لأنه ليس إلا فهم الناقد لا فكرة القائل ، بمعنى أننا إذ نكشف عن معنى فى تعبير أدبى ، فلسنا نكشف فى الواقع عن معنى قصد إليه الشاعر أو الكاتب ، ولكنا نكشف عن معنى انقدح فى ذهننا وتمثّل لفهمنا ! وقد يكون هذا المذهب صحيحاً أو غير صحيح ، ولكنا لاشك نرده على أصحابه إذ نطلب من الناقد أن يكون فهمه إنما هو لمقصود القائل وما يرمى إليه ، وهذا أمر هين على الناقد المستكمل الأداة المتدرب بالمران

محمد فهمى عبد اللطيف

فردريك نيتشه

للأستاذ فليكس فارس

— ٣ —

ذلك كان فردريك نيتشه ، مجسّم القوة المفكّرة التى دارت بها النائبات وحاصرتها الأوجاع وتصادمت مع تيارات الفلسفات التى كانت تهب فى ذلك العهد فى ألمانيا وفى أوربا بأسرها حاملة للعالم مبادئ تضعضع العقل وتهز المجتمع بتقويضها كل عقيدة تقيم أمام الانسان غاية لحياته

فقد كانت أفكار فيختته وشللينغ وهيغل وشوبنهور تهب جميعها ناشرة فى أوربا مزيجاً من مذاهب القدرية والعدمية ووحدة الوجود والارادة الحرة ، فقال شوبنهور إن روح الوجود قوة طائشة عمياء أدركت نفسها فى عقل الانسان وشعوره فوجم حائراً وفى نفسه ظمأ فى صحراء لا ماء فيها غير وهج السراب ، ولم يجد هذا الفيلسوف من علاج لهذه العلة غير التمرد على الحياة نفسها بترك ملذاتها والالتجاء إلى الزهد وانتظار الفناء فى ما يشبه النيرفانا وهى القوة التى تتلاشى كل شخصية فيها

وكانت الفلسفة الدينية تقاوم هذه التيارات للاحتفاظ بالعقيدة المسيحية بأبحاث لاهوتية ينسجها حول تعاليم عيسى رهط من المفكرين كنوبمن وكوردليج وكارليل وشلير ماخر وبيارلروو وجان باينو وشارل سكريتان وأضرابهم فزجّوا بالانجيل فى مآذق مجادلات ليست منه وليس منها فى شئ . وهل خطر لذلك المعلم الانسانى وهو يدعو إلى تطهير النفس ومقاومة الظلم والأخذ بالرحمة وإقامة الاخاء بين بنى الانسان أن ينشىء مدرسة للتعليل عن مظاهر الكون ومنشأ الروح والانعكاسات من الآفاق والانطباعات فى السرائر ؟ بل هل خطر له أن يبحث علاقته بالله وعلاقته هو وحده أو هو وأبو الخليقة كلها بروح القدس ؟

* * *

وأخذ نيتشه بهذه التيارات تهبّ من كل جانب على فكره الوقّاد تلهبه الآلام وتثير تشوّقه إلى حال يعلل فيها سبب وجوده وهدف صبره وجهاده

إن الرجل المتمتع بصحة الجسم وبشئ من العزم يكتفى من هذه الحياة بما تعطيه ، فاذا آمن بالله واليوم الآخر وقف عند إيمانه هذا مرتاحاً إلى ضميره ، وإذا أخذ بفلسفة الجحود رضي بهذه المرحلة من شعوره بذاته وطلب أوفر تمتع بأقل جهد

ولا يسطو القلقُ الفكرى بخاصة فى حالة الحيرة من أمر هذه الحياة إلاَّ على الانسان الذى يؤدى ثمناً باهظاً من أوجاعه لكل لذّة يختلسها كالسارق من قوّته الأسيرة فى ضعفه الجائر

إن مثل هذا الانسان إذا عززته القوة الخفية بالحس المرهف ، يطالب الدنيا ببدلٍ لِما يبذل فيها فيستنطق نفسه والآفاق ليعلم ما إذا كان لهذه الانسانية المعذَّبة المجاهدة ما يبرر محنتها وجهادها

وفردريك نيتشه كان ذلك الانسان فما أرضته من الفلسفة اللاهوتية تلك الأحاجى التى أحيطت المسيحية بها، وما كان ليرضى من جهة أخرى بهذه القوة الهوجاء التى صوّرها شوبنهور موجدةً لانسان لم يُعط له إلا التصوّر لاقامة أشباحٍ تتراقص حوله وهى غير كائنة إلا فى وهمه

ونظر نيتشه إلى الوجود فرأى وراء صوره المتحولة مادة تتعالى عن الاندثار ، فنشأت فيه فكرة العودة المستمرة، وبدأت صورة زرادشت ترتسم فى ذهنه حتى استكملها فأنشأ كتابه فى أوقات متقطعة من سنتى ١٨٨٣ و ١٨٨٥ فى فترات كانت تسكن فيها حِدّة دائه أو هو يسكنها بما كان يتناوله من جرعات الـكلورال المخدر . وهو نفسه يقول : إنه كتب كلاً من الأجزاء الثلاثة الأولى من زرادشت فى مدى عشرة أيام كان فيها مأخوذاً بالهامه خاضعاً لقريحة تحكمت فيه فلم يستطع مقاومتها حتى أرهقته إرهاقاً

إذا نحن عرفنا هذا تجلت لنا العوامل التى ألقت على زرادشت وشاح الأحلام ، فان نيتشة يقبض فى فصوله على مشاعر قارئه ليجبر به على رؤى يتسامى الخيال فيها إلى أوجه مفلتاً من رقابة القوى الواعية فكأنه يسير بعطالمه فى عالم أحلام تبعث أشباحها من انطباعات القوى الواعية ولكنها تتبع فى مرورها وحركاتها ما تحسبه تضمضماً فى عالم القوى الساهية المجهولة

لقد ماشينا نيتشه فى حلمه وهو يستعير لمقله الباطن أو لسريرته أو لفكرته الساهية اسم زرادشت الفارسى الذى قال بالخير والشر كقوتين تتنازعان حياة الانسان ، فرأينا زرادشت المزيف لا يقلد الأصلى باتخاذه اتباعاً له وباقتباسه لهجة حكماء الشرق إلا ليعارض فكرة الخير والشر قائلاً : إنها نشأت دخيلة على الانسانية ، وأن ليس لهذه الانسانية أن تتفوق على ذاتها إلا بانكار الخير والشر وتحطيم ألواح الشرائع المقدرة لقيم الأعمال ، لأن كل شعب اشترع لنفسه ما لا يتوافق واشتراع جاره

ولكن نيتشه المتابس خيال زرادشت فى رؤياه لم يتنبه إلى أنه يرتكب تناقضاً بيناً فى دعوته إذ ينكر ما يراه من خير وشر طلباً لحالة جديدة يراها هو خيراً يريد أن يتسلح به للقضاء على شر ينكر وجوده

ولو كانت الحقيقة كامنة وراء الخير والشر كما يدعى زرادشت الجديد، أو بتعبير آخر لو أن هنالك حقيقة مجردة عن الخير فلماذا يطلب زرادشت هذه الحقيقة وهو يعلن أنها الخير كل الخير للانسانية إذا هى أدركتها ؟

* * *

إن تحديد الخير والشر فى الـكلمات العشر إنما هو أساس كل شرعةٍ تـكفل حق الفرد ونظام المجموع

لقد تتناقض الأحكام التى تسنها الحكومات والجماعات فى مجال الأزمان مستوحاةً من حالةٍ موقتة تدفع إليها حاجةٌ ملحّة ، فتُكتب ألواحٌ تستبدَلُ بتبدُّل الوضع والملابسات ولكنَّ السننَ التى تستلهم من الشريعة الوحى بها لا يمكن أن تتعارض إذا هى سلمت من دخيلات الأوضاع الانسانية . وكلُّ شرعةٍ أصيلة تحتفظ بطابع مصدرها تتوافق حتماً وكلُّ شريعةٍ تحدَّرت مثلها من ذلك الأصل

إنّ زرادشت الجديد لم يجُـلْ فى مسارح حلمه فاتحاً لسريرته مجالات التفكير إلاَّ وهو يحتفظ بانطباعاتٍ من تواريخ الأمم القديمة الوثنية وبصورٍ متناقضة من القوانين التى أبدعتها حكومات الغرب وجماعاته ونقاباته الصناعية والمالية فتمثلت هذه السننُ أشباحَ ألواحٍ تتراقص عليها ألوانُ البِدَع ، فما وسع زرادشت إلاَّ أن يثور عليها ويدعو أتباعه إلى تحطيمها

أما اللوحان الأوّلان وكلمة عيسى بأن يعامل الانسان أخاه بما يريد أن يعامله أخوه به والشريعة الأحمدية التى جاءت على أساس هذا المبدأ بخير الـكلّيات تُستنبط منها الأحكام لـكل جماعة ولـكل زمان ، فان زرادشت لم يبحثها، مع أن نفسه كانت تصبو إليها لشعوره بوجودها وراء أقنعة النظم التى أسدلها الغرب على مجتمعاته . وإذ كان لم يتميزها فما ذلك إلا لأن دماغه كان

يتصدع بما حشر فيه من فلسفة اليونان القديمة ومن مشاحنات أعلام عصره الذين شغلوا بالجدل والمماحكات المنطقية المجردة حتى أتوا بنظريات تورث الدوار وتبلبل الفكر فيضطر من ألمّ بها إلى نبذها جميعاً لأنها كدود القبور يلتهم بعضها البعض الآخر بعد أن تتغذى من جيفة لا حياة فيها

وفي هذا الحلم يسير زرادشت هادماً كلّ ناموسٍ ونظامٍ لينبيء الناس بالخلود وبقاء الذات في وجودٍ شبّهه بالساعة الرملية ينقلب أبداً قسمها الفرغ لاستفراغ قسمها الممتلئ

ولا يطمئنّ القارىء في الظفر من زرادشت بما يثبت هذه العقيدة الراسية على خلود مبهم وعودة أشد إبهاماً لأنه لن يظفر منه بغير صور يلمحها لمحاً في بيان شعري يتلبس الفلسفة دون أن يكون فيه أثرٌ لأي استقراء أو لأي تعليل فيخرج من استغراقه وهو لا يدري أيقصد نيتشه من العودة المستمرة مايتوهمه الملحدون من خلود الآباء في الأبناء أم هو يرمي إلى عودة الشخصية بالذات ناسية ماضيها تاركة في كل مرحلة من مراحلها جثة تتلوها جثة على مدى الأحقاب .

لقد تمرد نيتشه أمام العدم كما قلنا وخفيت عنه حقيقة الدين الذي أخذ به الغرب عن عيسى فأحاطه بالمعميات كما خفيت عنه حقيقة ما أنزل على محمد فشوّهه هذا الغرب بالافتراء والتشنيع تعصباً وجهلاً فوقف مفكراً جباراً لا يستسلم لفكرة العبث في غاية الكون ولا يرضى بالنظم الاجتماعية التي أوجدتها المدنية وأسندتها إلى الدين. وهكذا هبّ يطلب للانسانية إلهاً منها يسودها، وللأرض معنى أبدياً يحول كل زوال فيها إلى خلود مستمر التجدد بين الخفاء والظهور في محدود غير محدود ...

ولو تسنى لنيتشه أن ينفذ حقيقة الايمان الذي دعا عيسى إليه مكملا ما جاء به موسى لكان تجلى له إيماناً بالقوة ترفع الضعفاء لا بالضعف يسلط عليهم الأقوياء ، ولو تسنى له أن يستنير بما جاء به الاسلام من مبادىء اجتماعية عملية عليا تماشي ما جاء به عيسى ولا تنقضه لأدرك أن في الدين الحق دستوراً يهدم كل ما أراد هو هدمه من صروح الفساد في المجتمع، ويوجد الانسان المتصف بمكارم الأخلاق محباً للحياة والقوة والجمال والحرية دون أن يكسر حلقة الانسانية ويحاول الانطلاق منها وهو لا يزال يلبس تراب الأرض ويرسف في أغلالها

ولكن نيتشه باندفاعه إلى معارضة الفلاسفة من معاصريه وبثورته على التفكير الديني والتفكير المطلق في آن واحد رأى أن التكامل النبيل عطف الألوهية الراسخة في الأذهان والتخلص من عقابها الصارم يقتضي الاعراض عن الزائلات والاستكانة إلى السلطة واعتبار العقلية الجنسية ملطخة بأوضار الخطيئة فثار على هذه الألوهية المزيفة التي ما عرفها الشرق في أي دور من أدوار وحيه ، وهكذا كفر نيتشه بالله فأعلن موته واختناقه برحمته

هذا هو جحود نيتشه في تعاليم زرادشت وهو في تقديرنا إذا نحن استترنا بالدين الحق كما تدركه ذهنيتنا السامية جحودٌ يتجه إلى غير الإله الواحد الأحد رب الناس أجمعين .

بل إننا إذا ذكرنا القاعدة المثلى التي وردت في حديث للنبي الكريم على قولٍ أو في كلمة لأمير المؤمنين عمر على قول آخر ، وهي « إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً »

إذا ذكرنا ذلك ، يتضح لدينا أن نيتشه قد ذهب إلى أبعد مدىً في الامتثال للوصية الأولى وقد فاتته الوصية الثانية وهي وصية راسخة في أرواح أبناء هذه البلاد الشرقية العربية ، فليس إذاً في عظات زرادشت ما يزعزع عقائدنا أو ينال من إيماننا ، بل إن فيها ما يتمشى والمبادىء العليا التي اتخذها السلف الصالح أساساً لاقامة عظمة الدين على عظمة الحياة .

(البقية في العدد القادم)

فيلكس فارس

الكميت بن زيد

شاعر العصر المرواني

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

تشيعه

يقوم التشيع على أساس اعتقاد انحصار الخلافة عن النبي صلى الله عليه وسلم في علي وقرابته من بني هاشم ، وهو بعد هذا ذو درجات مختلفة في الغلو والاعتدال ، فيصل في الغلو إلى حد تكفير الصحابة الذين حالوا بين علي والوصول إلى حقه في الخلافة ويصل في الاعتدال إلى حد الرضا عن الشيخين أبي بكر وعمر دون غيرهما ممن حكم بعدهما

وكان الكميت أول من ناظر في التشيع مجاهراً بذلك ، وقد قال الجاحظ ما فتح للشيعة الحجاج إلا الكميت بقوله :

فان هي لم تصلح لحيّ سواهمُ   فان ذوي القربى أحق وأوجب

يقولون لم يورث ولولا تراثهُ   لقد شركت فيها بكيل وأرحب

وهو يرد في هذا على من يقول إن النبي صلى الله عليه وسلم لايورث كما يورث غيره ، فيقول إنه لولا تراثه وأن آل بيته أحق بالخلافة لأنهم ورثته لكانت لتينك القبيلتين وغيرهما من القبائل العربية نصيب في الخلافة ، وكان الناس كلهم سواء فيها

ولكن الكميت لم يكن يغلو في تشيعه إلى ذلك الحد من تكفير أصحاب رسول الله ، وكان يتورع في شعره عن لعنهم وإن كانوا مخطئين في نظره ، وهو إنصاف من الكميت لم يكن يعميه عنه خصومة الرأي . ويظهر أن هذا الانصاف كان طبعا له مع كل مخالفيه في الرأي ، وقد ذكرنا ما كان بينه وبين الطرماح ابن حكيم من المودة والألفة ، وكان الطرماح من شعراء الخوارج. ويجب أن نستثني بني مروان من هذا الاعتدال في خصومته ، لأنه كان يغالي في خصومتهم كثيرة من الشيعة ، ولعل السبب في ذلك أن خصومتهم كانت هي القائمة في عهد الكميت ، أما خصومة غيرهم فكانت خصومة قديمة لا معنى لاحيائها والغلو فيها . وقد أفرط بنو مروان في خصومتهم لبني هاشم ، فأفرط الكميت في خصومتهم كما أفرطوا وغالى فيها كما غالوا .

وقد ذكر الكميت أبا بكر وعمر رضي الله عنهما في بعض هاشمياته فتحرج في أمرهما بعض التحرج ، وقال في ذلك :

أهوى علياً أمير المؤمنين ولا   ألوم يوماً أبا بكر ولا عمرا

ولا أقول وإن لم يعطيا فدكا   بنت النبي ولا ميراثه كفرا

الله يعلم ماذا يأتيان به   يوم القيامة من عذر إذا اعتذرا

وكانت فدك قد بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهلها سنة سبع من الهجرة يدعوهم إلى الاسلام ، فصالحوه على نصف الأرض ، فقبل منها ذلك وصار نصفها خالصا له ، لأنه لم يوجف على ذلك بخيل ولا ركاب ، فكان ينفق ما يأتيه منها على أبناء السبيل ، وفعل ذلك الخلفاء الراشدون بعده ، فلما ولي معاوية أقطعها مروان بن الحكم فوهبها مروان لبنيه ، ولما ولي عمر بن عبد العزيز ردها إلى ما كانت عليه في عهد رسول الله والخلفاء الراشدين ، فوليها أولاد فاطمة رضي الله عنها ، ثم أخذت منهم بعده ، ثم ردها المأمون إليهم سنة عشرين ومائتين ، وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم تصدق بها على فاطمة رضي الله عنها

وأما منع أبي بكر وعمر وفاطمة ميراثها فقد اعتمد فيه أبو بكر على ما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة » برفع صدقة على أنه خبر المبتدأ قبله ، والشيعة يروونه بالنصب على أنه حال لا خبر ، وتقدير الكلام على هذا — لا نورث ما تركناه حال كونه صدقة — ويفهم من هذا أنهم يورثون غيره

وقال الكميت في ذلك أيضاً :

نفى عن عينك الأرق الهجوعا   وهمٌّ يمتري منها الدموعا

دخيـل في الفؤاد يهيج سقما   وحزناً كان من جذل منوعا

لفقدان الخضارم من قريش
وخير الشافعين معاً شفيعا

لدى الرحمن يصدع بالمثانى
وكان له أبو حسن قريعا

حطوطاً فى مسرته ومولى
إلى مرضاة خالقه سريعـا

وأصفاه النبى على اختيار
بما أعيا الرفوض له المذيعا

ويوم الدوح دوح غدير خم
أبان له الولاية لو أطيعا

ولكن الرجال تبايعوها
فلم أر مثلها خطراً مبيعا

فلم أبلغ بها لعناً ولكن
أساء بذاك أولهم صنيعا

فصار بذاك أقربهم لعدل
إلى جور وأحفظهم مضيعا

أضاعوا أمر قائدهم فضلوا
وأقومهم لدى الحدثان ريعا

تناسوا حقه وبغوا عليه
بلا ترة وكان لهم قريعا

فهو فى هذا أيضاً يأخذ عليهم ما فعلوه فى الخلافة مع على رضى الله عنه ، ولكنه لا يصل فى أمره إلى لعنهم ، ولا يغمط ما كان لهم من العدل فى الحكم كل الغمط ، وإن كان يرى أنهم أساءوا فى ذلك وضلوا عن الحق ، وهذا غاية ما كان يمكن أن يقوله الكميت فيهم لترضى تشيعه ، ويلائم بين شعره وعقيدته . وغدير خم موضع بين مكة والمدينة قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه « اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله » وقال أيضاً « من كنت مولاه فعلى مولاه » فقال عمر رضى الله عنه : طوبى لك ياعلى ، أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة

هذا ولا يزال المسلمون يتنازعون في كتب الكلام على هذا النوال الذى لا يفيد شيئاً فى هذا العصر ، وقد خرج الأمر من أيدى بنى هاشم وقريش جميعاً ، ولا معنى لهذا النزاع بعد مضي تلك الأزمنة التى كان له معنى فيها ، ولكنه الجمود علي تلك الكتب هو الذى يجعلنا نعكف عليها ، وإن كانت تزرع بين المسلمين حقد بعضهم على بعض ، وتفرقهم أحزاباً وشيعاً فى وقت هم أحوج فيه إلى الاتحاد والتحاب . وأمل الله يرزق المسلمين من المصلحين من يجمع كلمتهم بعد افتراقها ، ويربى فيهم خلق الانصاف والتسامح ، حتى تصفو بينهم هذه الحياة ، ويسود بينهم الاخلاص والمودة ، ولا يحملون من اختلافهم فى الرأى سبباً فى الانقسام والتفرق ، لأن هذا الخلاف لا بد منه ، وهو إذا خلا من ذلك الغلو توسعة ورحمة .

عبد المتعال الصعيدى

الى شباب القصصيين

كيف احترفت القصة

قصة الانسة «ج. ب. ستيرن»

للاستاذ احمد فتحى

فى تعاون خبيث بين عقلى الواعى والباطن ، يبدو لى دائماً أننى كنت — حتى الثامنة عشرة — قد أرصدت عمرى كله لاخراج قصتى الأولى . ولكننى حين أرجع البصر فى الوضوع ؛ أتبين أنني لم أخرج هذه القصة الأولى إلا بعد أن بلغت الحادية والعشرين . وإن أبعث للانسان على استدعاء صور الماضي أن يكون قد كتب قصته الأولى وهو لم يودع من عمره سوى ثمانية عشر ربيعاً ، وأن تكون قصته تلك على جانب من الأمانة الفنية، كما أذكر من أمر قصتى الأولى « بانتومايم » !

وحين أنظر الآن إلى القصص الأولى لكثير من الكتاب المعاصرين ، أجدها تتساوى فى السطحية والضآلة وإظلام آفاق التفكير . فما أجد بينها واحدة كانت خليقة أن تبشر بخير ، غير أنها جميعاً تنطق أفصح النطق بما أحب أن أدعوه « فوضى السخرية ! » ... والحقيقة أننى كنت أميل كثيراً إلى القصص الساخر إلى ما قبل ظهور قصتى الأولى بسنوات . وهذا اللون الساخر نفسه من ألوان الفن القصصى ، كان صورة من أظهر صور العصر . وكم كنت أرقص طرباً كلما قرأت شيئاً لأحد من أعلامه ، ولا سيما كاتب « برونللا » وهو «لورنس هاوسمان» وكاتب « مهرج العصر » وهو « إرنست داوسن » !

ولقد كانت تلك سنى حياة ساخرة عابثة مرتجلة ! .. ولربما أسفت عليها الآن وحننت إليها حنيناً ...

وتأثرت بطراز هـذه القصص الساخرة فكتبت على غرارها كثيراً من القصص ، أذكر منها واحدة اسمها « بائع الأحلام »

وكان هنالك كاتب اسمه « بارى » وآخر اسمه « لوك » وإنى لأذكر كيف كان أبي فى أحيان كثيرة يقول لى « آه ... حينما تستطيعين أن تكتبي مثلما يكتب « لوك! » ثم يهز رأسه فى قنوط؛ دون أن يتم العبارة ..!

على أن أعلى مثال للقصة الساخرة كان ولم يزل ؛ ماثلاً فى « كرنفال كوميتون ما كنزى » وقيمتها الخالدة ترتكز على ما فيها من دراسة صادقة حية لشخصية البطل ، ولكنني لم يكن يعنيني كثيراً منها ومن أمثالها من قصص هذا الطراز الساخر سوى بعض العبارات الملونة التى تتمتع بقسط أوفى من قوة الافصاح وصرامة التعبير . وإني لأذكر حين كنت فى مستقبلى أتحدث إلى إحدى صاحباتى ممتدحةً قصة « الكرنفال » كيف أن صديقتى قالت فى أسلوب رائع من النقد الفنى « أجل ... هذا المؤلف يستطيع أن يكسو الصفحة من الورق منظراً طبيعياً ساحراً » ... وقد أغـْلى هذا من طمى ، وحسبتنى مستطيعة أن أ كسو — أنا الأخرى — صفحتى منظراً طبيعياً ساحراً ! جملت أتخيَّله ، بألوانه ، وظلاله ، ومشاهده ، ولم تكن هـذه المحاكاة يسيرة ولا قريبة المنال ، فأن التزامها كان يقتضيني ثلاثة أمثال ما يلزمنى من الوقت !

كنتُ إلى أن بلغت الحادية والعشرين ، أعـنَى بكتابة المسرحيات وحدها . لأننى كنت أودُّ حينذاك أن ألعب أدواراً فى مسرحياتى إذا أخرجـَتْ ! وكذلك كنت أكتب الأشمار ، ومن قصائدى واحدة اسمها « هنا مضحكون آخرون » لا أزال أرويها إذا ألحَّ عليها طلب حار ؛ ولكنه لا يوجد ! كما أننى كتبتُ ثلاث أقاصيص قصيرة حملتها بنفسي إلى محرر « المجلة القصصية » وكان فى ذلك الوقت « ر. سكوتلاند ليدل » . ولقد كان — على غير توقُّـع منى — إنساناً لطيفاً . انصرفتُ من حضرته بعد أن وعد بنشر أقاصيصى ، وبعد أن أمضينا وقتاً طيباً فى حديث طيب . وفى بضعة الشهور التالية لم أسمع شيئاً عن هذه الأقاصيص ، ثم لقيت الرجل مصادفةً فى شارع « أ كسفُرد » وما كاد يرانى حتى أخبرني بأن أقاصيصى جميعها قد ظهرت فى مجلته ، وأنه كان الأيسر أن أترك له عنوانى كي يبعث إلى بثمن ما نُشر لى !

وبعد ، فقد أستطيع التحدث عن بدء كتابتى « القصة » بمعناها الصحيح . ولحسن الحظ أن الثامنة والأربعين تنظر إلي الحادية والعشرين بعطف وإشفاق ، وفى غير فزع ! كان الدافع لى على الـكتابة هو تلك الخاتمة الفاجعة الأليمة التى انتهى بها « حُـبِّى » الذى حسبت أن لا نهاية تنتظره ! والذى كان غراماً شعرياً إلى غير حد !

كان « تشارلس » غضّ السنّ ، جذاباً ذكيّ الفؤاد . . . التقينا في بعض حدائق « ميدنهد » ثم أهدى إلى نسخة من كتاب «لورنس» المسمى «ما كيافيلي الجديد» . ذلك الكتاب الذي ترك في نفسي أبعد الأثر بفصوله الرائعة ، وبأنه هدية من حبيب القلب !

كان مغرماً بالطائرات ، ولقد حملني مرة على متن إحداها في مساء ساحر ، وعدنا إلى بيته بعد أن انتصف الليل بساعتين ، ولقد تلقاني قومه في شيء من عدم الارتياح ، والشك في مستقبلي ككاتبة ! وعلى أي حال فان والدته من فورها قد أخذت تعلمني كيف ترقع سراويل الرجال !

دامت خطبتنا عاماً . ولم يكن هنالك من المتاعب سوى افتقاري إلى المرانة في البيت . فقد نشأت في بيئة فتيات يهوديات من عائلات طيبة . ولم تكن هذه البيئة دينية على وجه الاطلاق. وإنما كانت تتميز بالزهد وتتشبث بأهداب الطهارة . وإني لأذكر العبارة التي كانت الفتيات يستعملنها دائماً فيما بينهن ... « إنك لن تظفري بزوج أبداً مالم تظلي نقية . . . وعذراء ! » وربما لم تكن هذه العبارة تمنيني وحدي ، ولكنها كانت تغني في جوى أنا ... ربما ؛ حقاً ؛ إنها لم تزل تغني في جو حياتي إلى الآن ! ..

إن شباب هذه الأيام ، على قلة ثروتهم ، يعرفون جيداً كيف يجيبون على سؤال شاب حار الدم ، خطب لنفسه فتاة يحبها ، وقد أمضى وقتاً طويلا وهو لا يستطيع الاقتران بها لعجزه عن التغلب على بعض العوائق الاقتصادية ! . أجل ، إن شاب اليوم يستطيع أن يقطع برأي حاسم في مثل هذه المسائل . ولكن ، حين عرضت لي نفس الظروف لم أستطع أن أصنع شيئاً ، بل لم أعلم ماذا يراد أن يصنع بي . وقد ندر ما كنت أتحدث وخطيبي في هذا الصدد ، بصفة غير مباشرة . وهذا من أظهر الفروق الملحوظة بين تلك الأيام ، وبين أيامنا هذه ! !

واعترف لي الفتى بأنه كانت له عشيقة ، امرأة جميلة ، ولكنها ليست « خاصة » ! وكانت تكبره في السن .

« بالتأكيد ياتشارلس ، كان هذا قبل الآن ... » هذا ماقلت له ، دون أن أعلم أنني كنت وراء مطلب عسير ، هو النقاء التام في الجسد ، كما في الروح ! !

لم يرض أبي عن هذه الخطبة من أول الأمر ، وكثيراً ما كان يقول لي « ليس في خلق هذا الفتى شيء من الثبات ، هل هو على شيء من الثبات ؟ كلا ! .. »

وكنا نلتقي ، كعاشقين مضطهدين ، في ظل استياء أبي وتجهمه . ومضى عام كامل ... وكان « تشارلس » مهندساً بارعاً ولكنه كان قليل الصبر على عمله السئم الذي لم يكن يبشر باتساع في الرزق !

وفي بعض الأماسي ، حيث كنت أعيش معه ومع أمه ، صحب عشيقته إلى « دروري لين » وكان الصباح التالي مقروراً جهما . وكذلك كنت . وحين أقبل المساء اعترف لي بأنه لا يستطيع أن يحتفظ بأمانته لحبي أكثر من ذلك . وقذفني ببعض الألفاظ المؤلمة ! فأخذتني المفاجأة شر أخذة . ثم افترقنا بوسيلة تمثيلية أكثر مما كان ينبغي ! !

كيف أعالج بقية أيام حياتي ؟ ! . هذا هو السؤال الذي ألح على خاطري بعد فشل غرامي العظيم ! ولقد وثب إلى ذهني أنني لو استطعت أن أكتب قصة من روائع الفن فسأبعث الحسرة والأسف في نفس من نأى عني بجانبه ...

في مخدع أنيق في « برايتون » ، وبغير تحضير تقريباً ، بدأت كتب السطور الأولى من قصتي الأولى .

كان على حوائط المخدع أستار جميلة مسدلة ، وكانت نيران الموقد تتلظى في لهب ساطع براق . وإني لأذكر القليل من ظروف كتابة « بانتومايم » وإن طريقتي الآن هي أن أظل أدور حول موضوع قصتي شهوراً ؛ قبل أن أبدأ في تسجيل فصولها ؛ مع تسطير بعض الخواطر المبعثرة على أوراق منفصلة أجمعها في النهاية فتكوّن هيكل الموضوع الناضج الذي أخرجه للناس . وفي ذلك الحين لا بد أن أكون بدأت تسجيل فصول قصتي مباشرة ، لأسري عني الألم ، وأزجي الفراغ الذي كان يملأ حياتي ، والذي كنت أشعر به دائماً .

وعقدت في تلك الأثناء صداقة وثيقة مع فتاة في مثل سني اسمها « روز آلانيني » هي اليوم تحترف الكتابة باسم « لوسين ونيرايت » وكانت هي أيضاً قد بدأت كتابة قصة . وكثيراً ما كنا نكتب مجتمعتين قلماً إلى قلم ! وكثيراً ما كان يحدث في تروضنا بالمشي أن نقف بأسماء الناشرين الملقة على دورهم ؛ نفكر أي دور النشر الكثيرة هذه يحسن استقبالنا بعد حين ؟! ولقد

استقر رأينا على دار « بودلى هد » أخيراً ...

وحدث أن كنا فى بعض خلواتنا الفنية نكتب فى جوحالم حين طالعنا وجه رجل أبيض الشعر معقود الحاجبين ، عرفنا فيه « جون لين » ولم نشأ أن نصدمه باخباره بأننا نكتب « قصتين » سنعرض عليه أمر نشرهما فى القريب !

بعد فراغى من كتابة قصتى الأولى « بانتومايم » بعثت بها إلى والد « مارجريت هالستان » الذى كان قد أرضته مسرحية كتبتها منذ أربعة أعوام تقريباً حينما كنت فى « الأكاديمية المسرحية » واسمها « خادم الأجير » كانت مفزعة حقاً . وكانت له فى نشرها وجهة نظر خاصة .

وقرأ المستر « هرتز » قصتى فزعم أنها عمل فنى من الطراز الممتاز، وكان فى ذلك حسن الظن جداً، ولكنه لم يكن مصيباً . كان فى القصة الاجادة ولكنها لم تكن ترتفع إلى الدرجة الأولى . بل إنى لأقرر الآن أنها لم تكن أكثر من بشير بالتقدم . ولوأنه أتيح لى — الآن — أن أكتب رأيي فى نفسي — حينذاك — لما زدت على قولى : « لهذه الكاتبة استعداد حسن ، ولا يبعد أن تنبغ إذا استطاعت أن تقهر أخطاءها الشنعاء ! »

على أن الرجل قد كتب إلى يقول إنه قد أظهر على قصتى صديقاً له يدعى المستر « جيمس دوجلاس » وقد تفضل هذا بدوره فكتب إلىّ مطرياً يقول إنه قرأ القصة ، ثم دفع بها إلى صديقه « جون لين » . وظننت بذلك أننى أصبحت « فى عداد المؤلفين » الذى تعتمد عليه دار « بودلى هد » للنشر ! ولكن « جون لين » لم يلبث أن أعاد إلى قصتى مصحوبة بقوله « إن هنالك ناشرين يرضون بأن يقبلوا هـذا الهواء المزركش — على حد تعبيره — ولكن دارنا لا يمكن أن تفعل ذلك ! »

وانزعجت كثيراً ... فان قرار الرجل كان يبدو نهائياً بقدر ما كان يبدو فيه من تحقير ! ولم يكن لى من قوة الروح ما يبرر لى الظن بأن « جون لين » لم يكن يدرى عم يتكلم ! ولم يكن يتبين العمل الجيد حين يقدم إليه . أو لم ينشر « الكتاب الأصفر » ؟ ؟ أو لم يكشف الستار عن مئات العبقريات المغمورة

وعلى أى حال فانى لا أكاد أذكر من الذى نصح لى بأن أبعث بقصتى إلى « كالتروب » وأن أسأله عما إذا كانت رديئة إلى هذا الحد !

ولم أكن لقيت أبداً أكبر الأخوة الذين يحملون اسم « كالتروب » ولكن ، عندما كنت فى السادسة عشرة كان « دونالد كالتروب » ممثلا محترفاً ، وكان بطلا فى نظرى ، وكان فوق ذلك يهوى واحدة من زميلاتى بالدراسة اسمها « نيللى » وقد رغب وإياها فى إخراج إحدى مسرحياتى ، ولكن أخاه الاكبر « ديون » نصح له بالعدول ، وإنما وعد بمساعدتى إذا كتبت خيراً منها فى المستقبل ! !

ولقد تحقق وعده على الأيام . إذ قرأ لى « بانتو مايم » وما لبث أن كتب لى فى تظرف ورقة يقول إنه أوصى بي وصاة خاصة عند الوكيل الأدبى لأعماله ويدعى « جيمز بنكر » وكلفه أن يرعانى . غير أننى ، فى قلة صبرى وقلة تجاربى . لم يكن يرضينى منه أقل من أن يقول لى « إن الدنيا تحت قدميك جميعاً . تفضلى ياعزيزتى يسى ستيرن » ! !

ودعانى المستر « بنكر » للقائه . فلما ذهبت إليه وسألته سبب هذه الدعوة ، قال إنهم يريدون أن يكسبوا مالاً عن طريق ! وذكر لى أنهم يتبعون نفس الطريقة مع سواى وعدد لي أسماء اطمأننت إلى سماعها ، وتركت له القصة ، وجعلت أرتقب المستقبل !

واتفقت نهائياً على نشر القصة فى سبتمبر ١٩١٣ ، وظهرت للناس فى يناير ١٩١٤ . ولم تكن هذه سنة حسنة ليبدأ أى إنسان حياته العملية !

وأنا وإن لم أقرأ القصة قراءة كاملة منذ عام ١٩١٤ ، إلا أننى كثيراً ما أتصفح بعض فصولها بين الفينة والفينة ، فأجد فيها كثيراً من الهنوات التى أصبحت أنزه عنها أعمالى الأدبية ، غير أننى أجد فيها دائماً أشياء تبعث على الارتياح

وكثيراً ما أصادف من قرائى من يقول بأن « بانتومايم » قصتى الأولى والأخيرة ، وأننى لم أكتب مثلها أبداً !

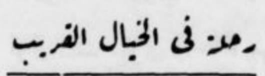
بل قد يسألنى بعض القراء « متى أكتب » قصة جيدة مثلها ؟ فأبتسم ، وأقول « أرجو... فى القريب » !

احمد فتحى



رسالة الشعر





فى الريف

للأستاذ ابرهيم ابرهيم على

بينما كنتُ ذاهباً فى السماء   حائماً كالشعاع فوق المساءِ
هائماً فى الوجود أنشُد نفسى   حيث تصفو، وأنفسَ الأصفياءِ

هارباً من حقيقة الأرض وحدى   سابحاً فى حقائق الأحلامِ
مؤنساً وحشتى ببهجة روحى   وبنبع الجمال والأنغامِ

أتملّى الوجودَ فوق ذراهُ   وأناغى النمال تحت الترابِ
وأرانى على جناحَىْ خيالى   فأرى الارضَ مثل لمع السرابِ

سارياً فى حماية الله ربى   طائراً فى مسارح الملكوتِ
لست أعدو محلقاً أتغنى   بعلاه فى منطقى وسكوتى

بينما ذاك جاذبتني قلبى   وجناحىَّ نزعةٌ للريفِ
وأنا الريفُ منبتى . وحياتي   من نسيمَىْ ربيعه والخريفِ

فتهاديتُ أملأُ الروحَ من فيـ   ـض الحياةِ التى يُفيضُ الوادى
ساكباً فى فؤاده من شجونى   آخذاً من شجونه فى فؤادى

عابداً فى جماله مجدَ ربٍّ   جمل الريفَ آيةً فى الجمال
خضرةٌ يغمر الضياء حلاها   ومروجٌ ملوّناتُ الظلالَ

ليس أبهى من مشرق الشمس فيها   تحت غيمٍ وشجوها فى الغروب
ولقد يغضب الشتاء قليلاً   فيَشِى الضوء بالجبين الغضوبِ

يا لبدع الغمام باللون عند الـ   ـلون (والطيفُ) ضاربٌ (بالقوس)
فاذا البدر ماجلته الليالى   أخذت ليلها من الفردوس

جنـةٌ غير أنها فى هوان   ضارب ظله على أهليها
كل من جاءها غريباً (تمنى)   وابنها وحده المعذَّبُ فيها

ساد فيها السلامُ ـ والسلمُ إلا   فى ظلال السيوف ـ ذلٌّ مقيم
تعتدى فوقها الذئابُ . ونرجوا   ورجاء الذئاب رأىٌ عقيم

أمّنوا فى حماكِ يا مصرُ شعباً   ثم عاشوا عليكِ عيشَ الطريد
ربَّ قوتٍ مرارة الجوع فيه !   وجياعٍ لم يشبعوا من ثريد

وبيوت كأنهن كهوفٌ   أو قبورٌ بنين للأحياءِ
أقسم النور لا يَراهُنَّ إلا   من ثقوبٍ كأعين الرقباءِ

أيباعُ الهواء فى مصر حتى   تحرمون الهواء تلك الدورا؟
ونفوسٌ أم هـذه حشراتٌ   ليت شعرى أدخلتموها الجحورا !

تلك أنشودة العصور الخوالى   لو ضميرُ الزمانِ كان سميعا
عجباً يا حمامة من بعيدٍ   نسمعُ اللحنَ منكِ يجرى دموعاً

بت أصغى إليه من كل قلبى   آمراً لُبِّىَ الذكاء العطوفُ
وعليـه من الأنوثة فيضٌ   وجمالٌ ، ونفحةٌ ، ورفيفُ

أأحييك فى العظائم عوناً !   أم أحييك باسماً للجروحِ ؟
فسلامٌ عليك يا ابنةَ مصر   وسـلامٌ إلى صديقةِ روحى

ابراهيم ابراهيم على

القبـــلة الأخيرة

للأستاذ ابراهيم العريض

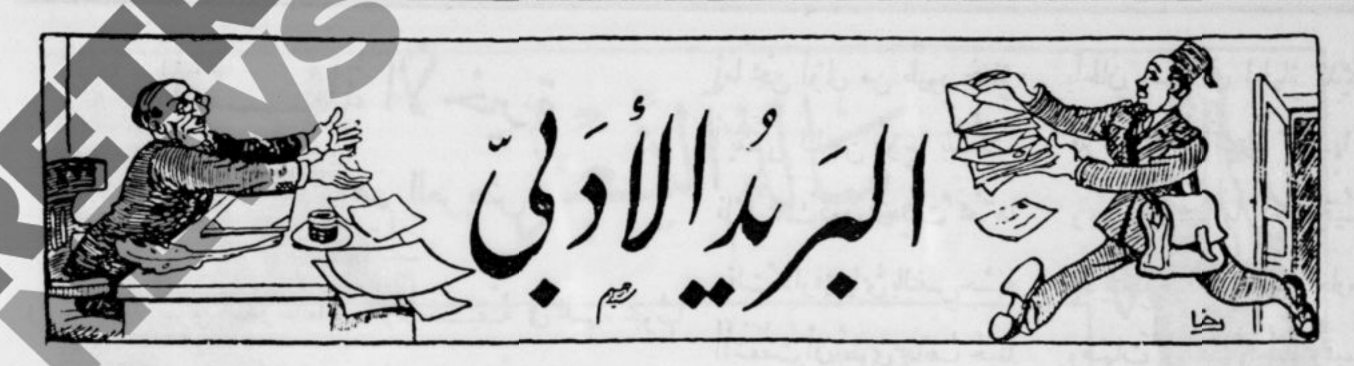
وقفنا .. ولما يُشرِقِ البدرُ طالعاً ولا سبقتهُ فى السماء نجومها
على جدوَلٍ قد صقَّلته يدُ الصَّبا فالتْ مع الأغصان فيه رسومها
وخرخرةُ الأمواهِ أثناء جريها على حجرٍ يرفضُ منه نظيمها
كترنيمة المانِي عند عُكوفهِ على ضوءِ نار فى صلاةٍ يقيمها
وكنتُ على مابى من الحزن واجماً وكانت هى الأخرى كثيراً وجومها
فلما رأيتُ الصمتَ طال على جوًى تُزكِّيهِ أحدانُ الدموع وتومها
وعهدى بها ما شافهتْنى بغنَّةٍ من اللحْن إلا واستبانى رخيمها
نطقتُ اسمها همساً لِترْفعَ رأسها إلىَّ فلم تفعل ولستُ ألومها
وأنِّى تُناغينى بسابق بِشْرها وأنفاسُها الحرَّى تكادُ تزيمها
فلمْ يكُ بدٌّ أن أُحدِّث بالذى يَسُرُّ وإنْ غال السعادةَ شومها
فقلتُ انظرى يامىُّ حولكِ للصَّبا تُراوِدُ أزهاراً فيزكو نسيمها
وللطير تشدو فى الغصون صبابة إلى إلفها – لا مسَّها ما يَضيمها
وللموج يصبو للتعانُقِ بعضُهُ إلى بعضِهِ من غير أيْدٍ يقيمها
وللغيم فى حِضْنِ الغمامةِ يرتمى كما يرتمى فى حِضْنِ خَوْدٍ حميمها
ترَىْ كل شىءٍ فى الحياة مسخَّراً إلى الحبِّ موقوفاً عليه نعيمها
يُخَيَّلُ لي أنَّ الطبيعةَ مثْلَنا تحِسُّ ولولا ذاكِ ما طابَ خِيمُها
رأتْ ما بنا من لوْعةٍ فتألَّقتْ كأحسنِ شىءٍ شُهْبها وسديمها
لِتنجابَ عن نفسى ونفسِكِ ظلمةٌ من اليأسِ لا يُفضى لصُبح بهيمها
فصعَّدتِ الأنفاسَ من حرَّةِ الجوى وقالت «بودى لو تعفت رسومُها
وأىُّ عزاءٍ لى إذا شطَّتِ النوى بأن خاتلتْنى فى السماء نجومها
أتعلمُ هـذا آخرُ العهد بيننا وتبغى سُلوَّى أى حال تَرومها
أما ضمَّنا وشكُ الفراقِ هُنيْهةً لنبكى حياةً زال عنا نعيمها
وإن كانَ بالحبِّ استتبَّ نظامُ ما نراهُ كحبَّاتٍ حلاها نظيمها
فما بالُنا نشْقَى كذا بودادِنا ونجْرعُ كأساً لا يُطاقُ حميمها
أما نحْن أوْلَى من طُيورِ خميلةٍ بألحانِ حبٍّ فى الحياةِ نديمها
أُيقضَى لنا من دُونِها بتَشتُّتٍ فترْضَى به إلا شقاناً يَضيمها»
فلمْ أَعالكْ دونَ أن مِلتُ نحْوَها وبينَ ضُلوعى ما يكادُ يقيمُها
وقلتُ «ارفِقِى يامىُّ بالنفسِ حِسْبَة فديْتُكِ خوفاً أن تطيشَ حلومها
أأشْفَقْتِ أن تُطوى صحائفُ حُبِّنا وهيهاتَ فى عَينىَّ خُطَّ رقيمها
أبَى لىَ قلبٌ طالَ فيكِ وجيبُه وعينٌ هواها حيثُ أنتِ يَشيمها
بأن أتملَّى جُرْعةً من زُجاجةٍ إذا لم يكُنْ ذكراكِ دوْماً نديمها
أأسلوكِ ؟ لا واللهِ حتَّى يعودَ لى شبابى وأحْلَى الذِكرياتِ قديمها
ولو عادَ لى حقاً إذاً لقضيْتُهُ كمهْدِكِ بى فى لوْعةٍ أستديمها
وهل أشبهتْ دنياىَ إلا قلادةً بديعًا دراريها .. وأنتِ يتيمها»
فأدنتْ فماً مثلَ الأقاحِ منوَّرًا تُودِّعُ . والأحشاء دامٍ كلُومُها
وقد أرْسَلتْ من شَعْرِها حولَ وجْهِها فَفاحَ كعَرْفِ الياسَمينِ شميمها
وضمَّتْ على الصدْرِ اليدَيْنِ كأنما هنا لِكَ شىءٌ بالعذاب يسومها
فقبَّلتها ما أسْعفَ النفسُ الَّذى احتَبَستْ جنوناً قُبلة أستديمها
وأشرقَ نورُ البدْرِ من خلفِ غيْمةٍ فغادرْتُها ... والنفسُ ولهى تَرومها

«البحرين» ابراهيم العريض

أســـيران

للأستاذ عبد الحميد السنوسى

أيها الطائر الحبيس ترنم كما تشاء
أنت فى أفقها النـدى كما كنت فى السماء
حولك السحر دافق ما ترنمت ، والسناء
أنت فى ظلها الظليل كما كنت فى الخلاء
حولك الورد باسم أبد الدهر فى نماء
كلما صحت شاديًا أقبلت تسمع الغناء



أحكام الشريعة الاسلامية في تعديل القوانين

قدم نائبان محترمان اقتراحاً هاماً يتضمن (١) مراعاة الشريعة الاسلامية كلما أريد تعديل فى القانون القائم (٢) رد القوانين القائمة بقدر الامكان إلى أحكام الشريعة الاسلامية (٣) إدخال عنصر يمثل الفقه الاسلامى فى لجنة تعديل القوانين ... وقد سبق أن بدأ الدكتور السنهورى النضال من أجل هذه الغاية ، وقد وافق مؤتمر القانون الأخير على حسبان الشريعة الاسلامية مصدراً عظيماً من مصادر التشريع العام الذى يحرص كل الحرص على خير الانسانية وتوزيع العدالة بين أفرادها . والذى نرجوه فى هذه الحركة أن تقوم كلية الشريعة بنصيبها فى العناية بهذا الأمر فتصل أسبابها بأسباب كلية الحقوق وتقرر دراسة القانون المقارن بها وتوسع مدى دراساتها الأخرى حتى يتيسر لخريجيها مشاركة إخوانهم خريجى الحقوق فى دائرة اختصاصهم وبذا يتسع مجال المستقبل لأبنائها وتحيا الشريعة الاسلامية على أيديهم .

كتاب المسيو هريو عن مصر

نشر فى الأسبوع الماضى بباريس كتاب المسيو هريو عن سياحته فى مصر وفيه مقدمة باهدائه إلى محمود فخرى باشا وزير مصر المفوض عن باريس منوهة « بالشكر والامتنان والصداقة »

وقد قدم المسيو هريو إلى معاليه نسخة ممتازة من هذا الكتاب راجياً أن يتولى رفعها إلى جلالة الملك فاروق

شعر سافو بين أوراق البردى المصرية

ذكرت جريدة « كوردييرى لاسيرا » أن الأستاذ فوليانو اكتشف شعراً من نظم الشاعرة الاغريقية سافو . ويقيم البرفسور فوليانو عادة فى برلين ولكنه يدرس آداب اللغة اليونانية فى جامعة ميلانو

وكان فى المدة بين سنة ١٩٣٤ و ١٩٣٧ يدير البعثة الأثرية التى اشتغلت فى مصر فى منطقة تبتونتس وإحدى المدن بالفيوم وكان من نتائج أعمال هذه البعثة أن حمل الأستاذ فوليانو إلى ايطاليا ١٢ ألف ورقة من أوراق البردي وجدت فى أم البريجات . ويقال إن الجزء الأكبر من هذه الأوراق جاء من محفوظات إحدى الأسر الغنية التى عاشت فى العهد الواقع بين الامبراطورين طيبريوس وكومودس

وكان الأستاذ فوليانو يشتغل منذ ذلك الوقت بدراسة دقائق هذه الأوراق فوجد قطعا هامة من بينها هذه القطعة المجهولة من شعر سافو الذى يوجد نصفه الآن فى برلين حيث تنسخ قبل نشرها على العالم

ملء آذانها غنـــا ؤك ما ذاع فى الفضاء

لست مثلى تضيع ألـــحانه كلها هبــاء

وإذا ما ظمئت جا ءتك بالماء : أى ماء !

لست مثلى إذا تغَنَّى تغني بلا رجاء

وتوافيـك فى الصبا ح وتلقاك فى المساء

لست مثلى يحن فى كل يوم إلى اللقاء

حولك الخـــلد كله فلم النوح والبكاء

ليتنى ما حييت فى أفقها أنهـل الضياء

ليتنى ما حييت فى جوها أنشق الهواء

ليتنى ما حييت فى سمعها أسكب الغناء

ليتنى ما حييت من كفها ألقط الغذاء

ليس من يشتكى الحيا ة كمن يشتكى الفناء

فدع النوح لا تخل إننا فى الأسى سواء

عبد الحميد السنوسى

هتلر والسامية

لعوامل اقتصادية وسياسية أخذ الزعيم هتلر ينمى الغرور القوى فى نفوس الألمان بترديد ما زعمه (رينان) ومن ذهب مذهبه من تقسيم الناس إلى آريين وساميين، وقولهم إن الآريين يمتازون فى أصل الخلقة بالعقل والاصالة والكفاية والسمو. ويرمى من وراء ذلك إلى تبرير ما يصنع مع اليهود من الاضطهاد والمصادرة والطرد، وتسويغ ما يطمح إليه من سيطرة النازية على شعوب الشرق. وفكرة هذا الامتياز لا تعتمد على أصل من العلم ولا سند من الواقع، على فرض أنك تستطيع وضع الحد الفاصل بين الآرى والسامى. أما إذا علمت ما تقتضيه طبيعة الوجود من المزج الدائم بين الاجناس والتداخل المستمر بين الأمم، وعرفت اختلاف العلماء فى موطن الآريين: أهو فى وسط أسبانيا أم حول بحر البلطيق، فلا يداخلك الشك فى أن الفكرة خرافة لا تنبت إلا فى رأس مستعمر ماكر أو متعصب حاقد. والذى يعنينا من هذه الفرية أن هتلر جعل المصريين فى الجنس الذى حكم عليه هو بالتأخر، ورماها بالعجز والزمانة والانحطاط فى كتابه (كفاحى) (صفحة ٦٥٦ من الأصل) ونسى هذا السياسى المتعصب تاريخ المدنية وماقدمه الفراعنة والعرب للعالم من عبقريات الذهن وروائع الخيال وآيات الهداية. ولكن الدكتاتورية طغيان؛ والطغيان يتجاوز الحدود فى كل شىء فلا يقف عند علم ولا منطق ولا عدالة

من نثر الأستاذ قسطاكى الحمصى

قرأت فى (الرسالة) الغراء خطبة الأستاذ الفاضل السيد أسعد الكورانى فى الحفلة التى أقامها الأدباء والكبراء فى حلب تكريما لصاحب السعادة الأستاذ (قسطاكي بك الحمصى) وقد اطلعت على كتاب كريم بليغ كان الأستاذ قسطاكي بك قد بعث به إلى صاحب له أهدى إليه رسالة فى مبحث علمى، فرأيت أن أتحف به القراء مضافا إلى ما رواه الأستاذ الكورانى من نثر هذا السرىّ العالم الأديب الكبير

ياصديقى وعزيزى

وصلتنى كلمتكم . . . فسرحت طرفى منها فى روضة بلاغة نقّطت أزهارها الغمائم، بل فى عالم فضل جمع شتيت العوالم. ونقلتنى سطورها الوجيزة إلى الهند والصين، ورفعتنى آياتها المعجزة إلى أعلى علّيين. وأبعدت بى فى المكان والزمان، حتى حادثنى كهنة مصر وفلاسفة اليونان. بل جاوزت بى عصور الخلق الحيوانى وأحقاب ظهور النبات، بل تمدت ما قبلها من الدهور السحيقة لتكوّن الجمادات. ثم حلقت بى على أجنحة الفكر وأقدام الخيال، فجوّلت فى العوالم الشمسية، ومن لى بشرح ذيالك التجوال. وعاينت باعين العلم ما تعجز عن إدراكه أعيان الحس من آيات الجمال. ثم حدرتنى إلى عالمنا السيّار، وسايرتنى إلى آخر الأعصار. وعرّفتنى جماعة من الحكماء الكبار كبا كون ونيوتن وسبنسر ودروين وكنت ولامرك وهيكل علَم المتأخرين، وكثيراً من أضرابهم من تطأطئ لفضلهم شوامخ الرءوس، ويقال عند ذكر أسمائهم: لا عطر بعد عروس. فياحبذا كلمتك وما أوجزت، ولله درك ولله أنت. لازلت تدير علينا من صهباء فضلك كؤوسا، وتطلع لنا من سماء معارفك بدورا وشموسا

حلب فى ٢٥ شباط سنة ٩٢٢ — قسطاكى الحمصى

ذلك كتاب العلم والفضل والأدب والوجاهة فى مدينة سيف الدولة، وعماد الدين وابنه نور الدين، وابرهيم هنانو، وابن يعيش، واحمد بن الحسين القائل:

نحن أدرى وقد سألنا بنجد ... أقصير طريقنا أم يطول ؟
وكثير من السؤال اشتياق ... وكثير من رده تعليل
كلما رحّبت بنا الروض قلنا: ... (حلب) قصدُنا، وأنت السبيل

القارى.

غاندى وتشكسلوفاكيا

كتب غاندى فى جريدته (هاريجان) فصلا بمناسبة المشكلة التشكسلوفاكية عاد فيه إلى مثُله العليا يجترها ويبدىء فيها ويعيد، ومن رأيه أن أوروبا قد باعت روحها من أجل التمتع بهذه الدنيا فترة قصيرة أخرى من الزمان. ومن رأيه أيضاً أن السلم الذى جاء ثمرة لمؤتمر ميونخ هو فوز للقوة كما إنه هزيمة لها فى الوقت نفسه... ثم استولى على غاندى وسواسه الصوفى فعاب على التشك إذعانهم للقوة بعد أن تخلت عنهم فرنسا ومن ورائها انجلترا. وكان من رأيه أن يشهروا فى وجه الألمان سلاح

المقاومة السلبية دفاعاً عن الشرف الوطني ، لأنه إذا كان من الشجاعة أن يقضى المرء في محاربة عدو يفوقه في القوة والعدد ، فانه يكون أكثر شجاعة إذا رفض أن يحارب ورفض أيضاً أن يذعن . وما دام الموت هو النتيجة في الحالتين فخير للانسان أن يكشف صدره للعدو ليقتله ، من أن يمد إليه يده ليقتله ، أو يعلأ جوانحه بالحقد عليه » — وروح العصر الذي نعيش فيه تسمى كلام غاندي تخريفاً لأن غاندى يريد أن يرى الناس كلهم فلاسفة . ونحن لا نشك في أن هذه الفلسفة الغاندية هي علة شقاء الهند وسبب فشلها في نضالها ضد الأنجليز . ورحم الله المتنبي حيث يقول :

وإذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تكون جباناً

نادى الشباب الانجليز

في سبتمبر الماضي فكر رجال التربية الانجليز في تأسيس ناد للشبان الذين هم دون العشرين ولا يقلون عن الخمسة عشرة سنة، وقد تأسس هذا النادى العجيب بالفعل وعقدت أولى جلساته في مساء الرابع من اكتوبر الحالي فكانت جلسة غريبة جمعت الأخلاط والأشتات من الشبان والشابات من جميع الطبقات ، وستعنى وزارة التربية الانجليزية بجلسات هذا النادى فتعين لكل منها مرشداً Chairman من أبرز رجال الفكر في انجلترا فيحاضر الأعضاء في موضوع خاص يختاره هو من الموضوعات التي تهم الشباب والتي تؤهلهم دراستها لفهم الحياة الصحيحة والفروض في المحاضر أنه لا يفرض آراءه على الأعضاء ولذا فهو مستعد لمناقشتهم بعد المحاضرة ولا بأس من النزول على وجهة نظرهم إذا كانوا هم المصيبين . ووزارة التربية تنشد من وراء هذا النادى تنشئة الشباب على حرية الرأى والاتصال المباشر بزعماء الفكر في البلاد ، وبتغير أعضاء النادى في فترات قصيرة ، وليس في ذلك تفويت الفرصة على من لا يحضر الجلسة لأن الأحاديث تذاع كلها من محطة الاذاعة البريطانية فيصغى إليها جميع الأعضاء الآخرين

في قول الامام العكبرى

أورد من قول العكبرى في الفعل (استحيا) ما فيه الايضاح الشافي لأن (رسالتنا) الكريمة ، لسان حالها يقول مقال صاحب (الكشاف) : « أنضج رأيك إنضاجاً، ولا تخدجه إخداجاً[1] »

قال الامام العكبرى : « لا يستحي : وزنه (يستفعل) و (عينه ولامه) ياءان ، وأصله الحياء ، وهمزة الحياء بدل من الياء ، وقرئ يستحى بياء واحدة ، والمحذوفة هي (اللام) كما تحذف في الجزم ووزنه على هذا (يستفع) إلا الياء نقلت حركتها إلى (العين) وسكنت[2] ، وقيل المحذوف[3] هي (العين) وهو بعيد » (***)

المؤتمر التمهيدى للشباب العربي

تلبية للنداء الذى وجهه إخواننا العرب في المهجر إلى العالم العربي ، أجمع فريق من الشباب — يمثل مختلف الهيئات وشتى النزعات — على عقد مؤتمر تمهيدى للشباب العربي يبحث في أهم شؤون القضية العربية من جهة ، ويكون بمثابة خطوة أولى لعقد مؤتمر عربي عالمي من جهة أخرى

ولا ريب أن من أهم ما يضعف الحركة القومية العربية هو انقسام أبناء الوطن الواحد إلى أحزاب متنابذة متشاكسة وعدم الاهتمام برفع مستوى الشعب الثقافي والاقتصادى ، وإنقاذه من الأمية والبؤس ، وإيقاظ الوعى القومى الشامل ، بوسائل فعالة تتجلى آثارها في ارتباط الأواصر ووثوق الصلات بين منظماته الشعبية المختلفة ، فيؤدى اشتراكها في الحركة الوطنية — وهي في هذه الدرجة من الوعى والشعور المشترك — إلى نمو تلك الحركة واتساع أفقها

ولقد درست اللجنة التحضيرية للمؤتمر التمهيدى للشباب العربي هذه القضايا واتفقت بالاجماع على برنامج شامل يبحث في أهم عناصر الحركة القومية العربية لتكون أساساً لأعمال المؤتمر التمهيدى

واللجنة التحضيرية تأمل أن تاتى جوابكم الكريم على دعوتها لحضور هذا المؤتمر حال وصول هذا البيان إليكم ، كما أنها ترجوكم إذا أردتم المساهمة في بحث نقط من نقاط المنهج المرفق بهذه الدعوة أن تبعثوا بكلمتكم إليها قبل موعد انعقاد المؤتمر بعشرة أيام على الأقل ليتسنى لها ترتيب أعماله وتنظيم شؤونه

وسيعقد المؤتمر في مدينة دمشق في الرابع والعشرين من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٣٨ الموافق لعطلة عيد الفطر المبارك

منهج المؤتمر التمهيدى للشباب العربي

أولاً : المؤتمر قوى شعبي عربي

ثانياً : يعتبر المؤتمر أن القومية العربية هي مظهر الشعور

(١) من المجاز : أخدج أمره لم يحكمه ، وأنضجه أحكمه ، وكل نقصان في شيء يستعار له الخداج (الأساس)

(٢) تحذفت في هذا الفعل (استحيا) لالتقاء الساكنين بعد أن قلبت ألفا

(٣) قد يكون تطبيع والأصل المحذوفة



هكذا تكلم زرادشت

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

صديق الأديب النابغة فليكس فارس علم من أعلام البيان في الشرق العربي ، عرفته العروبة على منابرها في سوريا ولبنان خطيباً مفوهاً يدعو لاحياء الثقافة العربية ؛ وعرفته لغة الضاد ذائداً عن حياضها أمام تيار العجمة الدخيل ؛ وعرفه الشرق العربي رسولا يرفع رسالة غيبيات الشرق أمام يقينيات أوربا الجارفة و « رسالة المنبر إلى الشرق العربي » التى أصدرها منذ عامين صرخة مدوية إلى الضمير العربي تظهر لك فليكس فارس على حقيقته . فهو ينظر للعالم من ناحية ارتضاها شعوره فسكن إليها عقله ، وقبلها وجدانه فنزل عندها فكره . فهو شاعر في تفكيره وفنان في منطقه وداعية في علمه ؛ ولهذا تقع على الشيء الكثير من المفارقات في كتابه ، تلك التى أجليناها في نقد مستفيض نشرته لنا مجلة « العصبة » في العدد الثاني والثالث من السنة الرابعة . ذلك أن فليكس فارس رجل يؤمن بخيالات الأمس ويعيش في ذكريات الماضي ، فهو يعيش في الحاضر بكيانه المادي، أما عقله وروحه فهماً في الماضي ، ينظر إليه بمنظار ناصع مكبر ؛ أما الحاضر فنظاره أسود مصغر ، ولهذا نجده يهيب بأهل الشرق أن يخلعوا عنهم رداء مدنية الغرب التى لبسوها في العصور

الشامل للشعب القاطن في البلاد العربية المرتبط بجامعة اللغة والثقافة والآلام والأماني والبيئة الجغرافية

ثالثاً : يعتبر المؤتمر أن الحركة القومية العربية هي الافصاح العملي عن شعور التضامن الذى يشمل العرب في شتى أقطارهم ، وهو يرى أن من أهم عناصر الحركة القومية العربية ما يلي :

أولاً : التحرر من الاستعمار الأجنبي بالوسائل التالية :

ا — إيقاظ الوعي القومي بين سائر أفراد الشعب ومكافحة الدعايات الأجنبية

ب — تضامن العرب في سائر أقطارهم للحصول على استقلالهم وحريتهم

ج — تحقيق التنظيم الشعبي الحر ضمن أهداف الحركة القومية العربية

د — تأمين حرية الفكر والكلام والاجتماع وسائر الحريات العامة والفردية للعرب في كل قطر من أقطارهم

ا — نشر الثقافة بين جميع أفراد الشعب

ب — تعميم التعليم الابتدائي الاجباري المجاني ، وتوحيد برامج التعليم في الأقطار العربية

ج — إنشاء مؤسسات ثقافية شعبية في كل قطر من الأقطار العربية والسعي للتقرب بينها

د — تحرير المرأة بتعليمها وتثقيفها

ثالثاً : إنقاذ الشعب العربي من الفقر والبؤس بالوسائل التالية :

ا — الانتعاش الاقتصادي العام

ب — تشجيع الانتاج الوطني الزراعي والصناعي وحفظ ثروة البلاد الطبيعية

ج — توثيق العلاقات الاقتصادية بين الأقطار العربية والعمل على رفع الحواجز الجمركية بينها

د — رفع مستوى حياة الشعب

رابعاً : إيجاد صلة وثيقة بين العرب وإخوانهم في المهاجر ودعوتهم للمساهمة العملية في إنهاض البلاد اقتصادياً وثقافياً واجتماعياً وسياسياً

الأخيرة وأن يرجعوا لفطرتهم التى تفجرت منها فى الماضى أنوار الموسوية والعيسوية والمحمدية

هذا هو صديقى فليكس فارس كما عرفته من مطالعة كتابه « رسالة المنبر »

ولقد ترجم أخيراً أثرين عن اللغة الفرنسية ، أولهما قصة لألفريد دى موسيه ، وثانيهما كتاب زرادشت لفردريك نيتشه

وترجمة هذين الأثرين من قبل صديقنا فليكس فارس مدعاة لنا للتساؤل عن الأسباب التى دفعته لترجمتهما !

يقول أديبنا النابغة فى تمهيد لقصيدة « رولا » لألفريد دى موسيه وقد نشرتهـا له المقتطف فى عدد مايو من هـذه السنة : « إن فى بذل البيان لتفكير الغير كثيراً من التضحية لكاتب اندغم تفكيره فى بيانه ، لأن هذا البذل يستلزم إقامة حاجز بين القوة المبدعة مما كمن فيها تذكاراً وتنسيقاً ، علماً بالاستقراء وعلماً بالحس الباطنى ، وبين قوة التعبير تصويراً وتلويناً وتنغيما . وفى هذا الفصل من الجهد ما لا يدركه إلا من يمانيه ، ولا يعانى هذه المشقة كل من يقتحم الترجمة إطلاقاً ؛ فان من الترجمة ما لا تتعدى الاقتدار على النسخ ، وليس هذا النوع ما نعنى ، فالمترجم الذى ينقل كتاباً يبحث فى صناعة أو مسألة اقتصادية لا يكون عمله إذا هو امتلك ناصية اللغتين إلا عبارة عن كتابة ما سطرته الريشة من الشمال إلى اليمين بكلمات يخطها القلم من اليمين إلى الشمال ، ولمثل هذا العمل قيمته ولا نكر ، غير أنه جد بعيد عن مجال البيان الأدبى ، وليس فيـه غير أثر الجهد والاطلاع والدقة ، إذ لا يمكن أن يتضمن شيئاً من شخصية المترجم الأدبية

شتان إذن بين من يترجم ومن يسلخ إنشاءه عن تفكيره ليكون هيكلا سوياً من البيان تحتله روح مؤلف مبدع فنان »

ومهما يكن قيمة هذا الرأى فان فيه عنصراً من الحق فى بيان منحى الترجمة عند أديبنا . إذن فلنا أن نتساءل — ويكون لتساؤلنا محله — عن العناصر التى تكافأت بين هذين الأثرين البيانيين وبين نفس المترجم ، حتى كبد نفسه جهد إسكات ما فيه من القوة المبدعة ، وعمل راضيا على إعارة بيانه بلغته لتفكير غيره ؟

إن فى الإجابة على هذا السؤال حل مشكلة ترجمة أديبنا لهذين الأثرين دون غيرهما من تراث الأدب والفكر الغربى !

أما « الاعترافات » فهى قصة حب « ألفريد دى موسيه » ل « جورج صاند » وهى تمتاز بعمق الاحساسات وزخور الشاعر ، ولكن فكرتها وخيالها ضعيفان . ذلك أن « ألفريد دى موسيه » كان « رومانيا » يغلب شعوره عقله وإحساساته تفكيره ، ومن هنا كان لايقدر على التحليق فى أجواء الخيال ... وهذا الطابع الذى يسم « الاعترافات » هو الذى تجاوب مع نفس المترجم ، ذلك أنه من طراز المؤلف فى طابعه الشخصى

هذا إلى أن القصة وإن لم يكن لها مقام يذكر فى تاريخ الفن القصصى ، فان أديبنا المترجم فتن بمـا فيها من إحساس صادق ووصف جميل ، هو كل ما للإعترافات من ميزة . ومن هنا نجد أن المترجم نزل عن بيانه لموسيه راضياً . ذلك أن الصور والإحساسات التى منها توسيمه فى كتابه قريبة من نفس المترجم ليست غريبة عنه ، فهذا موسيه يرى مع فليكس فارس أن داء العصر — الذي حاول موسيه أن يصوره فى مستهل كتابه فأخفق — نتيجة للمدنية الآلية . وهذا الداء ظاهرة من ظواهر اليوم فى جيل شباب هذا الشرق العربى ... ومن هنا أعتقد أن المترجم رأى في الاعترافات علاجاً أدبياً لداء العصر . ومن هنا نري أن فليكس فارس لم يترجم كتاباً بترجمة « الاعترافات » إنمـا وجد فى ألفريد دى موسيه من يعبر عن إحساساته وأفكاره تعبيراً صادقاً فى « الاعترافات » فنقلها للعربية وكأنه ينشئها من نفسه

إذن فليس لنا أن نعيب على المترجم نقله كتاب «الاعترافات» إلى العربية ، مهما كان رأينا فى الاعترافات ، ذلك أن الأفكار والاحساسات المبثوثة فى « الاعترافات » تنبع من صميم نفس المترجم . فكل اعتراض عليها اعتراض على طبيعة بشرية !

أما كل ما يمكن أن يدار من البحث حول ترجمة الاعترافات فهومقدار نصيب الترجمة العربية من روح الأصل الفرنسى، ونحن نعتقد اعتقاداً أولياً أن المترجم مهما يكن مقدار تصرفه فى الترجمة ، فان روح الاعترافات فى أصلها الفرنسى لا شك قوية واضحة فى الترجمة ، ذلك أنها لا تنزل من القدرة على الترجمة وإنما تنزل من روح المترجم

أما كتاب « زارازوسترا » لفردريك نيتشه ، فان بعض

الصعوبة يبدو للنظر إذا حاولنا أن نثبت وحدة المزاج بين الفيلسوف الألماني والمترجم العربي ، ذلك أن المؤلف مشهور بتجديفه والمترجم مؤمن مشهور بإغراقه فى التدين ... وأين الإلحاد من الإيمان ؟

ولكن لو نظرنا للبواطن ، فاننا نجد وحدة فى المزاج بين المؤلف والمترجم ، هذه الوحدة تقوم على الاغداق والطبيعة الفنية ، ذلك أن نيتشه فلسفته ليست نتيجة لقريحة فلسفية إنما هى تجربة الدنيا أملت على طبيعته الفنية ما أملت ... ومن هنا كان نيتشه فناناً أكثر منه فيلسوفاً . وروحه الفنية قديمة، وللطابع العبري نتيجة، لتأثره بالآداب العبرية التى تبحر فيها . وهذه الروح السامية Semitischen هى التى أخذ بها المترجم ، بما فيها من الحقائق إزاء الوحدة المتجلية للكون فى روح الفيلسوف الفنان . ومن قبل التفت الأديب الناقد عباس محمود العقاد فى دراسة مربعة له للمتنبي إلى أوجه الشبه بين نيتشه والمتنبي ، ورأى لهما فلسفة فى الحياة واحدة ، تتناول سننها وصروفها ، ولا تتناول مصادرها ومصائرها . ولقد وقف العقاد وقتئذ حائراً فى تفسير أوجه الشبه بين شاعر العرب الكبير ومفكر ألمانيا وفنانها الكبير ، وهو لو ذهب من ناحية الطبيعة الفنية يعلل أوجه الشبه بين الرجلين مستعينا بالعوامل التى تكافأت مع هذه الطبيعة ، لكان نجح فى بحثه أضعاف ما نجح .

مضى صديقنا فليكس فارس يترجم عن نيتشه كتابه ، مأخوذا بهذه الروح ، ونحن نظلم أنفسنا ونظلمه ونظلم الحقيقة إذا ذهبنا نقارن بين كتاب زارازوسترا فى أصله الألماني وبين ترجمته العربية ، لأن أديبنا المترجم رجل أنصب تفكيره فى بيانه عن طريق الاشتراك بين العلة والمعلول ... ومن هنا كانت ترجمته سلخ لتفكيره عن انشائه — كما يقول هو — ليكون انشاؤه هيكلا سويا من البيان تحتل روح مؤلف مبدع صاحب بيان وفن كفردريك نيتشه . ولما كان السلخ غير مستطاع فى كل الحالات كانت أفكار المترجم تتسرب إلى تفكير نيتشه فتختلط به أو تجعل مفهوم كلامه ينحرف بعض التحريف حتى يجوز المكافأة لنطق المترجم ، وآثار هذا الانحراف جلية في الترجمة ، تارة فى صورة تصرف، وطورا فى صورة تفسير وتأويل . ومن هنا كان لنا أن نعتبر الترجمة تحمل طابعاً شخصياً يتصل بالمترجم ، لا عند بيانه فحسب بل بتكافئ ومنطقه إلى حد كبير

ولا أدل على هذا من تصرف المترجم فى كلام نيتشه وتأويله وتخريجه عباراته تخريجا يبعدها كل البعد عن مفهوماتها .

يقول نيتشه فى فصل « بين غادتين فى الصحراء » على لسان « زارازوسترا » نشيداً يستهله بقوله :

إن الصحراء تتسع وتمتد فويل لمن يطمح إلى الاستيلاء عليها ! يالمهابة !

يالبداية تليق بمهابة صحراء إفريقيا !

تليق بأسد أو نذير يهيب بالناس إلى مكارم الأخلاق

إنها لروعة لم تسط عليكما يا صديقتى عند ما أتيح لى أنا ابن أوربا أن أجلس عند أقدامكما تحت ظلال النخيل .

حى على الصلاة ! »

فهنا « أسد الصحراء » رمز « للنبى » رمز « لانبعاث الفضائل العليا وتمردها على الجحود والتضعضع فى الحياة ! . . . و« سلام » رمز « لحى على الصلاة ! » .

هذا ما يقرره صديقنا فى مستهل الترجمة ، ولو ذهب لتدعيم تأويله إلى عالم أخصائى فى فلسفة نيتشه هو الدكتور « روبرت رينجر » أستاذ الفلسفة بجامعة فينا — الذى يظهر أنه يوافق صديقنا المترجم بعض الموافقة فى تأويله — إن صح ما نقله المترجم عنه ! ...

ولكننا لو راجعنا الدكتور « رينجز » وخاصة مجلده الضخم عن نيتشه ، فاننا لا نجد وجهاً فى كتاباته يتفق مع تأويل أديبنا النابغة فليكس فارس .

ومع هذا فرأى الدكتور رينجر « لا يقدم ولا يؤخر فى الموضوع ، ذلك أننا نجد تفسير هذه الرموز جلية فى كتاب «زارازوسترا» من مطالعة النشيد فى ضوء روح الكتاب عامة . ونحن نقدر أن « أسد الصحراء » رمز للعقل الانسانى الطموح إلى نيل حريته وبسط سيطرته على حياته ؛ أما الصحراء فنفهمها على أنها الحياة المتحررة . أما صرخة الأسد أمام غادات الصحراء فهى صرخة الارادة فى الانسان الطموح لنيل حريته ، وغادتى الصحراء ، هنا هما فضائل الحياة ، ولكن أى حياة ؟ ... ترجع الحياة المستعبدة .

(البقية فى العدد القادم) اسماعيل احمد أدهم



رد على رأى

الأستاذ توفيق الحكيم

فى إنهاض المسرح المصرى

نشرت «الأهرام» الغراء فى الأسبوع الماضى خلاصة المذكرة التى قدمها أديبنا الكبير الأستاذ توفيق الحكيم إلى لجنة رقية التمثيل العربى ، فاطلعت عليها اللجنة المذكورة وأقرتها . وخلاصة هذه المذكرة هى أن الأستاذ يرى أن الملاحظ فى حركات ازدهار المسرح فى جميع الأزمنة وجميع البلاد أنها كانت نتيجة عوامل ثلاثة :

أولاً — رقى الجمهور الذى يرتاد المسرح

ثانياً — قيمة الكتاب الذين يكتبون للمسرح

ثالثاً — خطر النقاد الذين يذيعون أعمال المسرح

ولا ريب أن « الناقد القديم » يشكر أديبنا الكبير على مساهمته فى معالجة هذا الموضوع الدقيق بتحقيق أدبى استنباطى يسرنا أن يكون أكثره متفقاً مع ما نشرته الرسالة فى أعدادها الماضية حول هذا الموضوع

ولكننا نخالف الأستاذ الحكيم فى قصره إنهاض المسرح على مراعاة العوامل الثلاثة السابقة دون أن يعنى قليلا أو كثيراً بالعوامل التمثيلية البحث التى هى الأصل — كما هو معروف — فى نهضة المسرح وفى تحقيق العوامل التى ذكرها الأستاذ الحكيم وهذه العوامل هى (المسرح) و(الاخراج) و(التمثيل) بمستلزماته المتعددة ؛ وهى ما أسميناه فى مقالاتنا السابقة (العرض) . وقد قلنا فى صدده ما نصه[1] : « ولكن قيمة البضاعة هى أهم العوامل فى جذب (العميل) بلا مراء . وكلما ازداد احتواؤها على الميزات والخصائص التى يرغبها ويريدها ، ازداد إقباله عليها وتشجيعه لها وأنجح الفرق لدينا هى التى تميزت إدارتها بفهم مزاج الجمهور وميوله . ومع ذلك فهناك بدهيات عامة يتفق عليها الجميع دون مراعاتها إنهاض حقيقى للمسرح ... » الخ

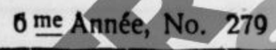
ويخالف الأستاذ كذلك فى بعض ما اقترح لانهاض المسرح من وسائل عملية سريعة فقد قال فى صدد (تهذيب النقد الفنى) : « أما النشر فى المجلات فيوزع جزء كبير منه على أصحاب الصحف المجهولة الذين يهددون ويتوعدون ويخشى من لسانهم البذىء . فطريقة الدعاية فى الفرقة إذن عتيقة وينبغى أن تستبدل بالنشر فى أمهات الصحف اليومية فقط ليلة التمثيل ، على أن يعنى بالنقد العالى كوسيلة من وسائل الاعلان . وذلك بأن يتفق مع أربع جرائد يومية كبرى ومجلتين أسبوعيتين أدبيتين كبيرتين على أن يلحق بكل منها أديب كبير معروف يعين بالذات يكتب فى كل أسبوع مقالا أدبياً عن المسرح وتتولى الفرقة دفع أجره من حال الدعاية . بذلك تضمن الفرقة أن ستة كتاب كبار مسموعى الكلمة يكتبون عن أعمالها فى ست صحف كبيرة بمعدل مقدور كل يوم وتلك دعاية واسعة النطاق لا تعدلها دعاية أخرى ، دعاية يصل صداها إلى كل الآذان المهذبة ... الخ »

ونحن لا نحب أن نعلق على هذا الكلام بأكثر من رجائنا الأستاذ الكبير أن يذكر لنا أسماء ستة من كبار الكتاب المعروفين فى استطاعتهم التحدث عن المسرح الحديث الذى يسيغه ويسير به جمهور عال ومؤلف نابغة ! فاذا فعل كنا لحضرته شاكرين !

(الناقد القديم)

[1] ص ١٠١٩ من العدد ٢٧١ من الرسالة





6 me Année, No. 279

Lundi - 7 - 11 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٢٧٩ « القاهرة فى يوم الأثنين ١٥ رمضان سنة ١٣٥٧ — ٧ نوفبر سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

صفحة

من مآسى الحياة

شـــيطان !

كان الناس منذ عهد قريب يقرأون فى القصص الغربية أفانين من فجور النفس وتحة الهوى و بغى الفتنة ، فتغيض عيونهم من الدمع رحمة للزوجة التى أعمتها الغواية ، وللزوج الذى أشقته الخيانة ، وللطفل الذى أيتمه الطلاق ؛ ثم يُسَرَّى عنهم أنها فجائع إن تكن فى الغرب فنحن فى الشرق ، وإن تكن من زور الخيال فنحن فى حقيقة الواقع . حتى عشنا معيشة أوربا ، وفتحنا دورنا لـكل طارق، وصدورنا لـكل متودد، فأصبح ما يجرى هنا صورة لما يجرى هناك ، وما كان معدوداً من خداع الفن صار جارياً على نظام الطبيعة !

عرفت زوجين شابين تعارفا بالجمال وتآلفا بالحب ، ثم عاشا على اختلاف الدار والجنس معيشة أهل الجنة: صفاء غير مشوب، وولاء غير مكذوب ، ورخاء فى ظلال النعيم والأمن يبسط المشاعر، وينشر الأنس ويجمّل الحياة

كان الزوج مثلاً فى الإخلاص والرعاية لزوجه ، فلا يفكر إلا فيها ، ولا يسعى إلا لها ، ولا يفهم وجوده إلا مضافاً إليها ومتصلاً بها . وكانت الزوجة آية فى الوفاء والطاعة لزوجها ،

تقاسمه هم العمل ، وتساهمه دعة المنزل ، وتبادله رجاء المستقبل ، وتتقلب معه فى الشدة والخفض غير متبرمة ولا متجهمة . وكانا معاً بهجة الأسرة وأنس الأصدقاء ، فلا يخلو بيتهما من سمر ، ولا ليلهما من زيارة ، حتى أصبحا فى بيئتهما الخاصة مثلاً مضروباً فى الزوجية الموفقة والحياة السعيدة

وكانت حياتهما الأوربية تقضى عليهما أن يكابدا التعرف العارض والخلاط المستمر . والعصمة من شرور الأخلاق فى مثل هذه الحال لا تجد لها مناطاً إلا ثقة الزوج فى الزوج ، واطمئنان النفس إلى النفس . وثقة الرجل المثقف فى المرأة المثقفة أصبحت فى المجتمع الحديث من القضايا المسلمة والأمور المفروضة. فلا ينبغى أن تحوم حولها شبهة ، ولا يقوم عليها جدل

وكان فيمن يختلف إلى بهوهما الأنيس الباش فتى من أهل الرواء ، خداع الملامح ، خلاب الأحاديث ، يعد نفسه فى الطراز الأول من ثقافة الفكر والخلق . تقلب طويلا بحكم منصبه فى البيئات الدبلوماسية المختلفة ، فحذق الكلام والهندام ، ومهر الغناء والرقص ، وأحكم النظرة التى تنفذ ، والبسمة التى تقول ، واللفتة التى تعجب ؛ وامتلأ ذهنه من صور الدنيا وحوادث الناس ، فكان جميل المحاضرة عذب الفاكهة حتى ليستولى على المجلس فلا يترك فيه مسمعاً إلى أحد . وكان مَذّاعاً يتمزى على زملائه ، ويتبجح بالحظوة عند رؤسائه ، ويلقى فى روع السامع أن له المكانة المرفوعة والكلمة المسموعة والغد المضمون . فاستطاع بكل أولئك أن يخدع الزوجين بمظهره عن جوهره ، فكبر فى نفس السيد ، وحلا فى عين السيدة

***

ودخل هذا الفتى جنة الزوجين دخول إبليس ، فحرك فيها السموم وسَفَى عليها الكدر ! فلا الزهر نفاح باسم ، ولا النسيم رخىّ أرج ، ولا الجو بهيج طلق ، ولا العش الصادح فى أفياء الشجر ناعم آهل ! وسوس الشيطان لحواء قال لها : إن السعادة فى بيت غير هذا البيت ، والثروة عند رجل غير هذا الرجل ، والجاه فى منصب غير هذا المنصب ! وهذه المزايا التى لك على الأتراب فى الجسم والفكر والطبع لم يجملك بها الله لتحبسيها فى هذا القفص الشعرى الذى تهدهده الأحلام على نغمات الحب والأمل . ليست الحياة كلها شعراً يا حواء ! وإن بجانب النفس الشاعرة نفوساً أخرى هواها فى المال واللهو والسلطان والعظمة. ومن زعم أن نعيم الدنيا فى الغزل، وزينتها فى الرياض، وبهجتها فى المنى، فقد أنكر المعروف وتجاهل الواقع. وكان الشيطان المُغْوِى حدِّث نساء، فعرف كيف يندس بالخديعة إلى الزوجة الضعيفة ، فأصغت إلى نزغاته بأذنها ثم بقلبها. ثم أصبحت فإذا زوجها مسؤوم، وبيتها موحش، وعيشها تافه ؛ وأحست برباط الزوجية يشتد على حناياها اشتداد الوثاق على ضلوع الأسير . لم تعد الجنة فى عينها هى الجنة ، ولا آدم فى قلبها هو آدم ! وأوهمها الخيال أو الخبال أن النعيم المقيم هو فى أكناف إبليس على متون السحب وربى الجبال وشطئان الأبحر. ولكن عشر سنين قضتها مع الزوج الوفى فى نشوة متصلة من الحب المواسى لا يمكن أن تخفت أصداؤها العذبة فى لحظة . فكانت كلما تخلصت من فعل الغواية صارحت زوجها بأنها تحب هذا الفتى حباً غطى على بصرها و بصيرتها فهى لا ترى ولا تفهم. وسألته يوماً أن يحتال لبرئها من هذا الخبل، فاتفقا على أن ترحل إلى أوربا تنشد فى أجوائها المختلفة السكينة والسلو، حتى إذا أقبل الصيف وتعطل العمل لحق بها زوجها ، فربما انجاب الغشاء عن العين والقلب فأبصر الأعمى ورشد الغوى ! ولكن الفاجر علم بسفرها المفاجئ فطلب إجازة طويلة من الوزارة التى يعمل فيها وتبعها إلى مصيفها وهى وحدها توازن فى هدوء العزلة بين ماضى الزوج الواضح ومستقبل الحبيب المبهم ، فأسقط من يدها الميزان ، وأيقظ فى نفسها الحيوان ، وأفسدها على نفسها وعلى زوجها وعلى أهلها فساداً لا يرجى معه صلاح !

ثم امتدت يد القدر تحل عقدة الرواية، فإذا الزوج وحيد يعانى غصص الألم ، والزوجة مطلّقة تتجرع مرارة الندم ، والشيطان الرجيم يقطع البحر عائداً إلى منصبه الكبير فى وزارة الخارجية يشارك فى أمور الدولة على هذا الخلق ، ويتصل بالأسر المخدوعة على هذا الوجه .. !

احمد حسن الزيات

في رمضان

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازني

ليقل من شاء ما شاء ، فاني أعتقد أن الله تعالى يغفرلى ذنوبى وخطاياى جيماً جزاء لى على صبرى فى رمضان . ومن كان له أولاد كأولادى ، وخدم كخدمى ، فان هؤلاء شفاعة كافية له بلا نزاع ، وإذا كان القارئ لا يصدق ، ولا يؤمن كايمانى بشفاعة هؤلاء لى ، فلينتظر حتى تقوم الساعة وينصب الميزان

عددت أبواب الغرف وما إليها فاذا هى عشرون ، ومنها تتألف جوقة موسيقية لا تفتر ولا تهدأ فى ليل أو نهار ، وقد يئست من حمل خادمتنا العجوز التى حملتنى طفلا — على كتفها أو ذراعها لا فى . . . — على تزييت هذه الأبواب ، وما أكثر ما قلت لها إنى أشفق على هـذه الأصوات الرخيمة أن تبح ، فكانت تتبسم — أو تظن أنها تبتسم — وتقول : « الله يخليك يا سيدى ! » . فأقول لها : « لا تخافى على فان عمر الشقى ، باق أى طويل ، ولمن غيرى يكون وجع القلب ؟ كلا : لا تخافى ، وإنى لفى أمان من الموت ما بقيت لى ، فاذا ذهبت أنت بعد عمر طويل ، فان هناك الأولاد . . . ؛ كلا . لا خطر على من هذا الردى العادى اراصدلغيرى ، المتربص بسواء »

فتدعولى بطول العمر ، ولـكنها لا تزيت الأبواب ! وقد حاولت أن أنهض أنا عنها بهذا العبء ، فكادت تدق عنقى ، فكففت بعد ذلك ، وروضت نفسى على السكون إلى هذه الموسيقى

ومن طرائف هذه الخادمة العجوز أنها لا تكاد تسمع ، أو تبصر ، فهى لا تكاد تفهم . وأنا رجـل خفيض الصوت جداً ، وأحتاج أن أكلها ـ فما من هذا مفر فى بعض الأحيان ـ فأنادى أحد الأبناء الأفاضل وأقول له — وأنا أعلم أن هـذا يسره — انقل عنى بصوت عال ، فيفعل ، ولـكن اللعين يصيح فى أذنى أنا ! ! ثم يقع على الأرض من الضحك

ويكون الولدان الصغيران فى المدرسة ، وتكون بى حاجة الى كلام الخادمة ، فاذا أصنع ؟ لقد جربت عبث الصياح ، فأن أقول لها « هاتى قهوة » . فتغيب شيئاً ثم ترتد إلى ، وتدعونى أن « أتفضل » فأتعجب ، وأسأل نفسى : « ماذا يا ترى ؟ هل شرب القهوة يستدعى أن تجرنى هذه العجوز إلى غرفة أخرى ؟ » وأطيع ، وأخرج ، وأتبعها ، فاذا هى قد أعدت لى طشتاً وإبريقاً وسجادة للصلاة ! !

لهذا صرت إذا احتجت أن أطلب منها شيئاً ، أكتب لها رقعة بما أريد ، تذهب بها إلى البقال أو النجار ، أو الجيران ، ليشرحوها ويبينوا لها ما فيها ، وما أكثر ما يعابثها البقال ! !

ولا أستطيع أن أنهرها ، أو حتى أن أظهر لهـا الغضب أو الامتعاض ، أو الضجر ، فقد ربتنى صغيراً ، وليس هذا ذنبى ، ولـكنها تمدنى « ملـكا » لها ، وترى أن هذا يخولها حقوقاً على ، فالبيت كله بيت « ابنها » بما فيه ، ومن فيه ، ومن كان لا يعجبه هذا فلينفلق !

على أن مصيبة الأولاد أدهى ، تكون الساعة الخامسة صباحاً ، فأسمع نقراً على الباب ، فأفتح عينى وأقول « تفضل .. تفضلا ... تفضلوا ... أو تفضلن » فيدخل اللعين الصغير الذى نسميه « ميدو » — وهى عندنا صيغة التصغير لعبد الحميد — فيدور بيننا هذا الحوار

— بابا

— نعم ياسيدي

— صباح الخير أولا

— صباح الخير ياسيدى . خير إن شاء الله ؟

— الساعة كم الآن ؟

— الساعة ؟ أو ليس عند ماما ساعة ؟

—عندها ساعة . ولكنها قالت لى البارحة إنها خربت ووقفت

— هى قالت ذلك ؟ وحضرتك صدقتها ؟

— وهل ماما تـكذب ؟

— أعوذ بالله ! ! مستحيل ياســيدى . وهل يكذب إلا الكذاب ؟

وأخبره أن الساعة الخامسة فيقول

— أنا ذاهب إلى المدرسة

فأصيح ، وأستوى قاعداً ، « أى مدرسة يا أخى ؟ وهل صارت المدارس فى عهد هيكل باشا تفتح قبل الفجر ؟ أما إن هذه لبلية ! رح يا أخى ، رح نم ! »

فيقول « بس اسمع يا بابا »

فأقول وأنا أعيد رأسي إلى المخدة « سامع . تفضل »

— بقي الافندي قال لنا « يجب أن نكون موجودين في منتصف الساعة الثامنة، وأن من يتأخر عن هذا الموعد لا يشترك في الرحلة »

فأشتهي أن أقول في هذا « الافندي » أشياء كثيرة . وأقولها فعلا ، ولكن في سري ؟ كما كانت تفعل حماتي . أي نعم حماتي ، فقد كانت في هذا قدوة ، ومثلا يحتذى . وكانت إذا سخطت على إنسان ، توسعه ذماً ، وسباً ، ولعناً ، في سرها ! وكانت تجد في هذا شفاء لغليلها ، فتبتسم ، وتتنهد ، وتضع يدها على قلبها وتقول « أيوه كده ! الحمد لله ! كنت سأطق »

وأقول للغلام « ولكن أين نحن من هذا الموعد ؟ اذهب ، ونم »

فيقول : « لا يا بابا ، لئلا أتأخر ! »

فأقول: « يا أخي ، وما ذنبي أنا إذا تأخرت حضرتك »

فيقول : « إنما أردت أن أسألك هل أصوم ؟ لأني أكلت في السحور مع ماما »

فأهز رأسي ، وقد فهمت ، ذلك أن ماما لا بد أن تكون هي التي أوعزت إليه أن يبكر فيسألني هل يصوم أو لا يصوم وأقول له:

« إنك صغير ، جداً ، والصيام غير مفروض عليك ، ثم إنك ذاهب لتلعب ، وتنط ، فستجوع بسرعة ، فيجب أن تأخذ معك طعاماً وإلا مت من الجوع »

فيسألني « وماذا آخذ معي ؟ إنهم لم يعدوا لي شيئا »

فأغتنم هذه الفرصة ، وأقول له « يا عبيط ! كيف تقول إنهم لم يعدوا لك شيئاً ؟ أو تتهم ماما بمثل هذا الاهمال ؟ »

فيسألني « هل تعني ... ؟ »

فأقاطعه وأقول بصوت كالهمس « اسمع ، لقد هيأت لك ماما كل شيء ، ولكنها لم تخبرك حتى لا تخرج قبل الأوان ، ثم لتفاجئك فتسرك ... ماما لطيفة ، أليست كذلك ؟ (فيهز رأسه موافقا) ولكني صرت أخشى الآن أن تتأخر ، وقد قال لك الأفندي إن من يتأخر لا يشترك في الرحلة ، فاذهب إلى ماما ، وأيقظها بلطف ، وصبحها بخير ، وارج منها أن تعطيك ماهيأت لك ... وستثني لك أنها صنعت شيئاً ، لأنها تعتقد أنك بكرت جدا ، وساعتها كما تعلم واقفة ، فأفهمها أن الوقت قد أزف ، وخذ ما تعطيك ... والآن اذهب ، ومع السلامة ، وإن شاء الله نراك ونراها بخير »

فيذهب مسرورا ، فأنهض خفيفا ، وأمشي إلى الباب على أطراف أصابعي ، وأوصده بالمفتاح ، لأني أعرف ما يحل بي إذا تركته مفتوحا !!

والمثل يقول « جن الذي نجا من الموت ! » فلا تمضي دقائق حتى أشفق أن يتهشم الباب ، ويتحطم رأسي ، فلا يسعني إلا أن أفتحه ، فتدخل ماما ، كالأعصار وتصيح بي :

« ما هذا الذي صنعت ؟ تغري الولد بي ، فيوقظني في هذه الساعة وأنا صائمة !! »

فأقول : « ساعتك واقفة ؟ أليست كذلك ؟ »

فتقول ، وهي تغالب الضحك « يعني إيه ؟ »

فأقول، وأنا أعود إلى السرير « يعني دقة بدقة، والبادي أظلم ! »

فتقول : « راجع إلى السرير ؟ تقلقنا وتنام ! شيء جميل ! »

فأقول: « من الذي أقلق صاحبه ؟ »

فتقول: « إنك أنت سبب القلق والمتاعب كلها في هذا البيت »

فأقول : « غفر الله لك يا امرأة ! اذهبي وتوبي إلى الله واستغفري لذنبك عسى أن يرحمك »

فلا يجدي هذا النصح ، وينتهي الأمر بأن أجمع المخدات المبعثرة في الغرفة ، وأعيدها إلى حيث كانت ، وأنا أنهج من التعب ، وأتمثل بقول الشاعر :

« ومن ظن أن سيلاقي الحروب وأن لن يصاب ، فقد ظن عجزا »

وهكذا ، وهكذا ، إلى آخره ، إن كان له آخر . فالحق أن أجري عظيم في رمضان !

ابرهيم عبد القادر المازني

مصر وعلاقتها بالخلافة

للدكتور حسن ابراهيم حسن
أستاذ التاريخ الاسلامي بكلية الآداب

من ولاة العصر العباسي الذين عرفوا بالخير والعدل واكتساب محبة الأهلين موسى بن عيسى [١] الذي ولى مصر ثلاث مرات. فقد اشتهر بالعدل في البلاد وتحبب إلى النصارى فأذن لهم ببناء الكنائس التي هدمها سافه على بن سليمان وقد أشار عليه بذلك قاضياه الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة، بحجة أن إرجاع الكنائس المستحدثة في الاسلام من مستلزمات عمارة البلاد. ومما يدل على عناية هذا الوالى بالعمارة ما كان من زيادته في جامع عمرو [٢].

وكان عنبسة بن إسحاق (٢٣٨ — ٢٤٢ هـ) آخر من ولى مصر من العرب. وكان من أحسن الولاة الذين ولوها في هذا العصر، مما حدا بالمؤرخين إلى القول بأنه أظهر من العدل مالم يسمع بمثله في زمانه. وقد بلغ من تورعه وبغضه للمظاهر أنه كان يروح من دار الامارة إلى مسجد العسكر ماشياً. وكان آخر من أموا الناس في المسجد. وقد بنى المصلى الجديد سنة ٢٤٠ هـ إذ رأى أن المصلى القديم ضاق بالمصلين. وكذلك حصن دمياط وتنيس بعد أن أغار عليها الروم سنة ٢٣٨ هـ فبقيت دمياط في يد المسلمين إلى أن استولى عليها الصليبيون سنة ٦١٦ هـ [٣]

على أن عدل عنبسة وورعه لم يكسباه حب الناس جميعا، فقد كان مكروها من البعض لاعتقاده بمذهب الخوارج مما دفع بالفضل ابن يحيى إلى أن ينحى فيه باللائمة على الخليفة لتوليته إياه مصر. وما قاله أيضا من شعر يتهم فيه هذا الوالى بالتراخى عن طرد الروم من هذه البلاد وقت استيلائهم على دمياط وتنيس كما تقدم

مَن فتى يبلغ الامام كتاباً عربيا ويقتضيه الجوابا
بئس والله ما صنعت إلينا حين وليتنا أميرا مصابا
خارجيا يدين بالسيف فينا ويرى قتلنا جميعا صوابا
مر يمشي إلى الصلاة نهارا وينادى السحور، ضل وخابا

ومن هنا نتبين كيف كان اعتقاد عنبسة بمذهب الخوارج — إن صح أنه كان يعتقد به — سبباً في الحط من شأنه وإظهار ما أتاه في حكمه من عدل وما أظهره من ورع، بمظهر العسف والظلم حتى أدى ذلك بالفضل إلى اتهام هذا الوالى بالقعود عن نصرة المسلمين حين أغار الروم على مصر، فقال الفضل للخليفة المتوكل:

أترضى بأن يعطى حريمك عنوة وأن يستباح المسلمون ويحربوا
حمار أتى تينيس والروم وثب بتينيس رأى العين منه وأقرب
مقيمون بالأشتوم يبغون مثلما أصابوه من دمياط والحرب ترتب
فما رام من دمياط شبرا ولادرى من العجز ما يأتى وما يتجنب
فلا تنسنا إنا بدار مضيعة بمصر وإن الدين قد كاد يذهب [٢]

لم يل مصر بعد عنبسة وال من العرب كما تقدم، فقد وليها بعده يزيد بن عبدالله (٢٤٤ — ٢٥٣ هـ) من موالى المنتصر العباسى وكان كغيره من الأتراك من السنيين الثلاة. وكان شديداً صارماً وأتى في عهده بكثير من الاصلاح وقضى على كثير من معايب المجتمع، فمنع النداء على الجنائز وضرب من نادى عليها، وعطل الرهبان وتتبع العلويين فلحقتهم منه شدائد وأهوال

وورد إليه كتاب الخليفة المستعين بالاستسقاء لقحط كان في العراق، فاستسقى الناس في يوم واحد. وفي عهده خرج بالاسكندرية رجل يقال له جابر بن الوليد واجتمع إليه خلق كثير من العرب والقبط والنوبيين فاستولى على الكريون وسنهور وسخا وسمنود، فأنفذ الخليفة مزاحم بن خاقان مدداً لواليه على مصر. وظلت ثورة جابر ابن الوليد على حالها طوال عهد يزيد بن عبد الله الذي صرف في ربيع الأول سنة ٢٥٣ هـ وولى بعده مزاحم بن خاقان فواقع جابر بن الوليد في أرض الجيزة والفيوم حيث أسر في جنْبَويه من كورة البدقون (المكتبة الجغرافية

---

(١) ابن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس.

(٢) الكندي ص ١٣٢ و ١٣٤ و ١٣٧

(٣) الكندى ص ٢٠١ و ابن دقاق ج ٥ ص ٨١

(١) الكندى ص ٢٠١ ابن دقاق ج ٥ ص ٥٣ المقريزى خطط ج ١ ص ٢١٤، ٣١٢

(٢) الكندى ص ٢٠١، والبيت الرابع من المقريزى خطط ج ١ ص ٣١٤

مائة صورة من الحياة

للأستاذ علي الطنطاوي

١٣ — دكتور!

سألني اليوم صديق لي من المدرسين :

— ألا تعرف قصة المسيو تريس ؟ إنها إحدى العجائب !

قلت : لا والله ، فأي شيء هذا المسيو تريس ؟ وما هي قصته ؟

قال : رجل فرنسي تخرج في إحدى دور المعلمين الأولية ، ولكن الأبواب سدت عليه في بلده ، وضاقت به الحيل ، فلم ينل وظيفة ، ولا استطاع أن يحصل شهادة ثانوية (بكالورية) ، فشد رحاله إلى الشام ، فكان فيها معلماً ...

قلت : ليس في هذا عجيب ، بل العجيب أن يكون غير هذا !

قال : لم أبلغ بك مستقر العجب بعد ... لقد درس هذا الرجل سنين ، ثم خطر له يوماً خاطر ، فقال لي :

— لقد سمعت أن المسلمين يحجون ...

قلت له : نعم

قال : أفلا تخبرني عن حجهم ، كيف يكون ، وما هي صفاته ، وكيف تكون الرحلة إليه ، وما هو خبر المحمل الذي كان يذهب به كل عام ؟

في أسئلة أخرى هذا سبيلها قال صديقي فقلت له : إني لا أعرف إلا طرفاً من هذا ولكني آخذك إذا شئت إلى من يرشدك إليه . وأخذته إلى رجل كان جمالا يرافق الحج . فأنبأه بما يريد ، فلما كان بعد أيام جاءني المسيو تريس ، وقد كتب ذلك في كراسة عرضها علي لأنظر فيها . فنظرت فاذا هي أعجوبة الدهر التي يعجز عن مثلها صاحبنا أبو العبر[1] حين كان يقف على الجسر في بغداد فيكتب كل مايسمع ، فاذا ملأ الصحيفة قدها قداً تخالف بين أجزائها ، ثم قرأ ما يجيء فيها ، فيجيء بكلام ليس في الدنيا أحمق منه ... وإذا هي كراسة مضحكة عجيبة يعد صوابها ولا يحصى خطاؤها ، على أنها في زعم صاحبها دراسة للحج عند المسلمين ، سمى فيها الجمل الذي يحمل (المحمل) باب السلام ، وسمى إمام الحرم المكي (أمين الصرة) وجعل تبوك على أبواب مكة ... ومثل هذا الهذيان ...

قال صديقي : فرددتها إليه ردا جميلا ، وتخلصت منها وعاد الرجل إلى بلده ، ومرت شهور طويلة ، وإذا أنا بالبريد يحمل إلي الرسالة مطبوعة ، مكتوباً عليها :

الأطروحة التي نال بها مؤلفها شهادة الدكتوراه من جامعة باريس !!

علي الطنطاوي

(١) هو أبو العباس بن محمد بن أحمد وينتهي نسبه بعلي بن عبد الله ابن العباس — تحامق لما رأى الحماقة أجدى عليه وجعل كنيته أبا العبر وجعل يزيد فيها كل سنة حرفا حتى مات وهي (أبو العبر طرد طيل طليري بك بك بك !)

ج ٦ ص ٢٨٢ ، ٨٣ — المقريزي خطط ١ ص ٧٣) وبعث به إلى العراق في رجب ٢٥٤ هـ [1]

هذا وكان عامل مزاحم بن خاقان على الشرطة أزجور التركي فقد منع النساء من دخول الحمامات ومن زيارة للقبار وسجن النوائح ومنع من الجهر بالبسملة وأمر بتمام الصفوف عند الصلاة وعهد إلى رجل من العجم فكان يستعمل السوط في تنفيذ هذا الأمر . ومنع من استعمال المساند والحصر للجلوس في المسجد ومن التثويب ومن أن يؤذن المؤذن يوم الجمعة في مؤخر المسجد . ثم صرف أزجور عن الشرطة في ذي القعدة سنة ٢٥٣ هـ وولي مصر أحمد بن مزاحم باستخلاف أبيه له فجعل أزجور على الشرطة ثانية ثم وليها أحمد إلى أن مات (١ من ربيع الآخر سنة ٢٥٤هـ) فولي مصر أزجور وظل على ولايتها إلى رمضان من هذه السنة فوليها بعده أحمد بن طولون

حسن ابراهيم حسن

(١) الكندي ص ٢٠٢ — ٢١٠

الحقائق العليا فى الحياة

للأستاذ عبد المنعم خلاف

الإبداع . الحق . الجمال . الخير . القوة . الحب

«ألفاظ إذا نطقت بها تتحرك لها فى نفسى دنيا كاملة !»

تلك أعمدة الكون الخفية ، تسكن قممها عقول المتأملين ، وتسجد على أقدامها قلوبهم . قد أسبغ خالق الكون وواهب الحياة على العقول والأرواح ظلالاً من تكريمه واحترامه حين أوجد لها هذه الحقائق ، وأوحى لها أن تتعرف إليها كما أوحى إلى الأجساد أن تتعرف إلى التراب والماء والغذاء والهواء ...

وليت شعرى ! هل تسعفنى خواطرى الدائعة الدوران حول هذه الحقائق فتحضرنى جيمها وأنا أكتب عنها ؟

إنى أبدأ الكتابة الآن وليس فى نفسى إلا صور مبهمة منها . أما تركيز أفكارها وتجميعها وتجنيدها وعرضها ، فأمر أسأل « الحق الأول الأكبر ! » أن يتولى هو بفنه الخالق « إخراجه » من قلمى العاجز كما يخرج النخلة السحوق من النواة الضئيلة !

***

وإن تعجبوا فعجب لجاد الأقلام وطين الألسنة حين يتولاها الجشع فيحاولان أن يمسكا السيالات التى لا تمسك !

وليت شعرى ! متى يأتى الانسان الذى يستطيع أن يقول كل ما فى رأسه بألفاظ ترضيه وتترجم عن التيارات العميقة المتلاطمة فى قرار قلبه ؟

إنه لا شك الانسان الأخير الذى يختتم به وجود الانسانية هنا على الأرض ... ولعلها ما تلاحقت أنسالها فى الأرض إلا لتقول « الأسماء كلها » التى علمها الخالق أباها آدم ...

فالانسان الأخير هو آدم ثان جاء ليختم الدورة التى بدأها آدم الأول ... هو الانسان الذى صبت فيه كل جداول البيان وسكنت فيه كل أطياف المعانى ، فوعى كل كلمة نفسية ولفظية اختلج بها قلب أو فكر أو لسان ...

هو الانسان الذى يأتى بعد أن لم يبق شىء فى عالم الآفاق وعالم الأنفس إلا وجد له لفظاً إنسانياً يصوره ويحدده ...

هو ابن الانسانية الواحدة الماثلة التى تنقلت فى الدهور والأحقاب فوقع عليها كل الضوء وكل الظلام ! !

١ — الإبداع :

أنا الآن فى « الرستمية[1] » على أديم الأرض مباشرة ، وتحت السماء مباشرة ... حافى القدمين مجرودهما ، جاث على الركبتين معقورهما ، شاخص العينين محرورهما ، مرهف السمعين مشدودهما ، صامت الشفتين معقودهما ... فى الظلام الصارم ! والريح تصفر فى كل مايحيط بى من مبان ومنافذ وأشجار ... وبنات آوى تعوى وتمترك على قرب منى ... وكلاب الرستمية وكلاب تلك القرية الماثلة على رأس تعريجة من تعاريج نهر «ديالى» تتبادلان نباحاً دائماً متشابهاً هو عندى نغم يهيىء فى نفسى جواً معنوياً لليالى القرى والخيام . . والنوم ذائع السلطان منشور الأعلام على مبانى « دار المعلمين الريفية » ، وعلى أجساد ساكنيها من الطلاب والمعلمين . . وكل ما فى جسمى ونفسى يقظ : كل خلية وكل شعرة ، وكل قوى جاذبة أو دافعة ، وكل خاطرة جديدة عابرة أو مخزونة غابرة ، مستجمع أرواح آبائى وأرواح أنسالى . . فى خيالى ، وجميع حياتى الذاهبة فى الأزل والآتية فى الأبد !

أنا فى ساعة خيال أو عقل ، وفى جد أو مجانة ؟ لا أدري . لا أدرى إلا أن الرحى الدموية الحمراء التى فى صدرى تدور دوراناً لا عهد لى به من قبل ...

أنا أيتها الأكوان الناطقة والصامتة الموغلة فى الصمت ، أحاول أن أتكلم عنك بين يدى أبى وأبيك ! بالكلمة التى أعيانى النطق بها كما أعيا كل كائن يحسها حقيقة شائعة فى نفسه ولكن لا يستطيع البيان ...

أدير فكرى وكل حواسي فى الدنيا لأجد ابتداء القول ، فلا أظفر إلا بالاستغلاق ؛ وإن كنت أظفر بامتلاء أوعية أخرى لا سلطان للبيان على نقل ما فيها . .

---

(١) ضاحية فيحاء من ضواحى بغداد

كل فراغ حياتى مملوء بخواطر مستبدة بى ، ألاق بها الحركة والركود ، والنور والظلمة ، والبحر والصحراء ، والنملة والجمل ، والعلم والجهل ، والسلامة والسقم ، وكل شيء ، وكل شيء ، وكل شيء ...

فاعذرونى أيها الفارغون !

واطلبوا التوفيق لقلمى المسكين الذى يتصدى للنار ليكتب فيها عنها ...

ويتصدي للريح العصوف ليحملها قبل أن تحمله وتذروه مع الهشيم ...

***

الايمان ؟!

يالله من ابتذال الألفاظ الكريمة ونزولها من لمات الفكر العالى وسبحات الروح، إلى رؤوس الأغبياء والجامدين والمحدودين!

ويالله من جناية التجسيم والتشبيه على المعانى التى حياتها فى أن تكون مطلقة متفردة منساحة فى محيطات ربها انسياح الكهرباء والجاذبية والاشعاع !

ويالله لغذاء الملائكة إذا ولغت فيه الكلاب والخنازير والقردة !

وأواه من الذين ينظرون إلى الألفاظ الحية نظرهم إلى الحجارة والصخور !

أخذوا هذه الكلمة التى لا يمكن أن يكون قد نطق بها ناطقها الأول إلا بوحى ، وصاروا يلوكونها كما يلوك الملقنون بعض الألفاظ يلقونها على أجساد الموتى ...

أخذوها من معادنها ومناجمها العميقة فى قلوب الأنبياء وخواطر الأصفياء وألقوها فى أفواه التماسيح والقردة، فصارت تمض وتقهقه بها ممسوخة فى غير موضعها ، كموسيقى الجنازات .

أخذوها كما يأخذون الوردة النضورة المعطورة من غصنها ، فلا يزالون يبتذلون شذاها على أنوفهم المزكومة ، وحريرها بين أصابعهم القاسية ، حتى يمزقوها فلا يبقى منها فى أيديهم غير جثة مسحوقة يلقونها فى التراب ...

أخذوها من نصابها فى قلوب الأنبياء وخواطر الأصفياء . ووضعوها على قلوبهم الضيقة كما توضع الشموع على القبور ...

صيروها ملكا لكل بليد أبله ، تموت وتنطفىء على شفتيه الكلمات المنيرة كما تموت العروس فى جلوتها ...

ثم وضعوها فى قواميسهم وكتبهم بجانب هذه الجمادات والجيف : تراب . رصاص . ذهب . حديد . ممدة .. !

فيا موحى المعانى ! حررنى من ألفاظهم الميتة الجامدة النافقة، واحلل عقدة من لسانى حتى أبين ممناك فى قلبى . وما أهول ممناك فيه !

الطبيعة كلها أوتار مرنة، وكلمات مبينة ، وأصابع مشيرة ، يسمعها ويقرؤها ويراها ذلك الراهب الذى سجنته بين ضلوعى !

وأناملى الآن تحاول أن تشير إليك بالقلم والمداد فى رموز أغنى بها وأبكى !

ليس الكلام هنا شيئا يذكر بجانب الفكر ، وليس الفكر شيئا يذكر بجانب الوجدان ...

ولكى أكتب عن ممناك كتابة عارف ... لا بد لى من من جسد آدم الذى لامسته يدك ، وعمر نوح الذى طال فيه سرك ، وعقل ابراهيم الذى سمى أمامه نورك ، وأذن موسى التى رن فيها صوتك ، وإنشاد داود الذى ترقرق فيه نغمك ، ويد عيسى التى كان معها إذنك ، وكمال محمد الذى انطلقت منه إلى الانسانية كلماتك الخاتمة ...

أجل ! لا بد لهذا أن أغتسل بالبحر كله، وأتوضأ بالشعاع كله، وأتوج بالشمس والقمر والنجوم .. ثم أندمج فى كل شيء لأتسمع إلى الهمسات والأحاديث الدائمة بين العوالم والأكوان عن الظاهر الباطن ، والأول الآخر ... المتكبر ! الذى أذابها وأفناها انتظار لمحة لوجهه ذى الجلال !

ولكن يا طين آدم ! مالك ولهذا العلو الشاهق ؟

يا خنفساء الغبراء ! لا تحلقى بجو النور . . .

يا جُعَل ! إن شذا الورد يخنقك . . . فلا تطلب سكنى الرياض . . .

كيف يقوى على سنا الرب قلب	ليس يقوى على سنا المربوب !
والكمالات لا تناهى لدى الله	فلا بد من بقاء الغيوب

أجل يا « يا كثير » !

ولكن الذى يتصدى لكبرياء الالهية ، إنما يحاول أن يبلغ أقصى حدوده وأدنى حدودها ليعود فيقول كلمة تريح ذلك الراهب السجين ، وتكون مشاركة منه فى عزف اللحن الدائم

مع أوتار الطبيعة ، وفى تسجيل الكلمات البينة مع أقلام الطبيعة ... حتى يرى بعد ذلك كلمته هذه طائرة بجوها الموسيقى ، تخفق بجناحيها فى رئات الناس ، وترقص فى ضياء عيونهم ، وتأ كل من حبات قلوبهم ، وتغرد فى منطقة الصمت من أفئدتهم !

***

قد لا يدرك الايمان على حقيقته إلا المؤمن الأخرس الأصم . . . الذى لم يقل ولم يسمع إلا الكلمات النفسية التى لا تصب بقوالب من الألفاظ الضيقة التى قد تكون منحرفة الوضع أو مبهمة الدلالة أو ناقصة الموسيقى . ولكل معنى فى النفس جو موسيقى يجب أن يصحبه فى اللفظ

وإنى أرثى للذين لم يعرفوا الآلهية إلا من ألفاظ الكتب ! ولأن الناس صاروا يأخذون عقيدتهم فى الآلهية من الكتب ومن الأفواه ، اختلفوا وتفرقوا وتباينت الصور التى فى رؤوسهم منها . ولو أنهم أخذوها مباشرة من الطبيعة الواضحة الواحدة ، التى ليس فى كلماتها انحراف فى الوضع، ولا إبهام فى الدلالة ، ولا نقص فى الموسيقى . . . لاتفقوا وتلاقوا على فهم المعنى الواحد الذى يملؤها ، كما كانوا أول زمانهم قبل تشعب الكلام بهم ووجود ميراث من الكلمات الملوثة التى تمحو طابع الفطرة البسيطة التى لا تعرف الرموز ولا تستغني بها عن النماذج الواضحة التى تملأ الطبيعة

ويا لله من جناية الناس على وسائل إنقاذهم ورفعهم من حضيضهم !

إن الملهمين والعلماء يفتحون لهم أبواب أقفاصهم وسجونهم حتى ينطلقوا ويفروا منها إلى الطبيعة . ومن الطبيعة تنفذ عقولهم إلى خالقها وصاحب المشيئة الغالبة عليها . ولكن الأغبياء والمحدودين من الدعاة يعودون بهم ثانياً إلى الأقفاص والسجون ويسدون أبوابها بالأوثان والأنصاب والصور والرموز ، ويلهونهم بالخرافات

وعندئذ تموت وتنطمس الكلمات الحية المنيرة ، فينطقون بها ويخيل إلى رائيهم من ذوى البصائر أنهم يلفظون حجارة أو جثثاً ميتة للمعانى الكريمة . . .

وإذا انقلب الوضع فصار الراعى يهتدى بالقطيع ، فهنالك ضياع الجميع . . .

***

وهنا أسأل :

لماذا لا تخدمون الايمان أيها الكتاب الموهوبون فتخدموا بذلك أقلامكم وتخدموا الحياة والفن ؟

لماذا تلسعكم النار وتتحول أقلامكم إلى عقارب تلفونها بسرعة من أيديكم إذا ما سجل أحدكم كلمة مؤمنة ؟

أنا أعرف السبب . أعرفه وأعزو إليه كل هذا الضعف : هو أنكم تأنفون من أحاديث العوام والعجائز والفقراء الذين جعلوا الايمان غذاءهم وعزاءهم لأنهم فقدوا كل شيء سواه . فهم يمتزون به ويتزيدون فيه بأحلام المحرومين . فمن هنا تراكمت فى نفوسكم « عقد نفسية » خفية فى العقل الباطن تعقل أقلامكم عن الخوض فى المعانى العامية . . .

ولكنى أعيذ فطنتكم أن تجعلوا يد البستاني مرآة للبستان . .

وإنكم إذ تتحاشون الحديث فى الايمان لمحرومون من منابع الالهام الدائم ، وحياة اللذة بالشعر ، وحياة اللذة بالعلم ، وحياة اللذة بالقوة ، وحياة اللذة بالمجد الشخصي ، واحترامكم لأنفسكم !

أتدرون أنكم لا تسبحون إلا فى الضحضاح من المعانى المكشوفة الدائرة حول الظاهر من الحياة الدنيا، وأنكم تدورون فى هذا الضحضاح دوراناً مضحكا » ؟

أتدرون أنكم باهمالكم رصد الأفق الذى تلتقى فيه كل الحقائق والجمالات والكمالات والرائعات من عالم الخفاء وعالم الظهور ، قد ضيعتم أعلى نغم وعطلتم شعركم من أعذبه ؟

هبوا أنكم لم ترضوا بحديث بعض المأثورات من كتب الدين عن الالهية، فلماذا لا تحدثون أنتم الانسانية بحديثكم الشخصى عنها وهى تملأ كل نفس عالمة أو شاعرة ؟

وهبوا أن بعض الأنجاس ولغوا فى هذا النبع ، فهل معنى ذلك أنه تنجس عند الذين يعرفون من أين ينبع وإلى أين ينتهى ؟

كلا ! لن تذهب مسؤولية ذوى الطباع الرحبة فى التكلم للحق إذا تكلم فيه الجامدون أو الدجالون ، بل إن مسئوليتهم تبدأ من هنا . . .

وإن الذى يخرج من الدنيا كاتبا أو شاعرا أو فنانا أو عالما أو متأملا، ثم لا يترك فى ميراثه حديثا عن « ملك الأكوان ! » لاريب أن يحكم عليه الحق بأنه أعمى، لأنه مر على حجرات جدرانها كلها مرايا فلم يرها ولم يحدثنا عنها . . .

« بغداد — دار المعلمين الريفية » عبد المنعم خلاف

مقالات فى كلمات

للأستاذ محمود غنيم

العدل المطلق

أسرفت القوانين على اختلاف أنواعها فى توخى العدالة ، ولكن يظهر أن تحقيقها لا يزال يقتضى الانسانية انتظار زمن طويل ، إن لم نقل : إن ذلك مستحيل

أرأيت ذلك الذى يطيح القصاص برأسه جزاء إثم اقترفه ؟ لقد حكم القضاء بإدانته مرتاح الضمير ، معتقداً أنه أقر الحق فى نصابه ، وقابلت أنت الحكم بالهتاف للعدالة ، ونسيت أن لهذا الحكم العادل ناحية فيها ظلم صارخ . ما ذنب أطفال هذا المجرم الذين أسقطهم القضاء من حسابه ، فحرمهم كاسبهم ، ورماهم باليتم من غير إثم اقترفوه ؟ أغلب الظن أن القصاص العادل مهد لهؤلاء الأطفال البرآء سبيل الاجرام ، فكأنه استأصل شراً وأنبت شروراً ، وأراح الانسانية من وجه ثم أتعبها من وجوه

ما ذنب المرأة يلقى زوجها فى أعماق السجون باسم القانون ، فتتضور تلك الحرة جوعاً ، أو تأكل بثديها ؟ وقد تكون حياتها — وهى البريئة الطليقة — أشأم من حياة زوجها — وهو المذنب السجين — ؟

وكم تكون دهشتى كلما تذكرت حكم الفقهاء فى طلاق السكران المتعدى ! إنهم يوقعون طلاقه تغليظاً عليه ، كأن مسألة الطلاق لا تعنى إلا إياه ، وليس الرجل فيها إلا طرفاً من طرفين ، بل من عدة أطراف ، إذا لم نسقط من حسابنا شريكته فى الحياة وأطفاله الصغار . ألسنا بذلك نكون قد قضينا على زوجة ، وشردنا بنين ، لأننا أردنا أن نلقى على رجل سكران درساً أشك كل الشك فى قسوته ؟ أجل ، فمن الجلى أن الرجل هنا يرتكب أخف الضررين ، ففى استطاعته أن يتزوج لأن أمر زواجه موكول إليه ، أما الزوجة المنكودة — التى لم تعاقر الكأس ولم تغش الحان — فعليها أن تنتظر ثم تنتظر ، لأن أمر زواجها ليس إليها

كانا يهتف للمساواة ويعتبرها ضرباً من ضروب الانصاف ، ولكنى ألاحظ أن ذنباً واحداً قد يقترفه اثنان ، معيشة أحدهما فى السجن لا تختلف عنها كثيراً فى منزله ، بينما يؤثر ثانيهما الانتحار على أن يقضى فى السجن سحابة نهار . فهل تعتبر توحيد الحكم عليهما من العدل فى شىء ؟ ثم ماذا تقول إذا كان أحدهما متعطلا لا كسب له ، وكان للثانى عمل يدر عليه الربح الوفير ؟ لا شك أننا فى هذه الحالة نكون قد حكمنا على الثانى بغرامة فادحة ، لم يصب الأول منها قليل ولا كثير

ولقد يتخاصم المتخاصمان أحدهما فى سعة من الرزق يستطيع أن يستعين بجيش من مهرة المحامين ، بينما ثانيهما مقل لا يستجيب له إلا من يقنع بالأجر الطفيف ، وهكذا يسوى القانون بينهما فى كل شىء ، ويغفل هذه الناحية الحساسة ، ذات الأثر البالغ فى تكييف الحكم ، وتكون النتيجة أن ينتصر باطل الأول على حق الثانى باسم العدل والقانون

وبعد فلست أجهل أن القوانين لا تنظر إلى الأفراد بمقدار ما تنظر إلى المجموع ، وأنها كثيراً ما تضحى بمصلحة الفرد فى سبيل الصالح العام ، ولكننى أبحث عن العدل المطلق ، العدل الذى لا يشحذ مديته على كبش من كباش الفداء

اللذة السلبية

عرفت بالتجربة أن من أطيب الأوقات التى تمر بالانسان تلك الأوقات التى ينسى فيها نفسه بسفر طويل وإن كان لغير غرض ، أو بإمعان فى تفكير وإن لم يكن من ورائه طائل ، أو بانهماك فى « لعبة » وإن كانت غير ذات جدوى . وعلى أن الانسان لا يفيد من ذلك فائدة يستطيع أن يرجع إليها ما يشعر به من لذة ، فهل مصدر تلك اللذة هو مجرد نسيان الانسان نفسه حيناً من الدهر ؟ إن صح ذلك فأحر بنا أن نطلق على هذه اللذة اسم « اللذة السلبية »

أغلب الظن أن ذلك صحيح ، وعليه يكون مجرد الشعور بالحياة عبئاً على الأحياء ، ويكون الاحتيال على التخلص منه بين فينة وأخرى داعية سرور وارتياح . ومما يدعم هذه النظرية

تلك اللذة التي يشعر بها المخمور ، وماذا يفيد المخمور من جرعات الراح التي يتجرعها بين تنفض الأسرة وتقطيب الوجه ، إلا فترات غيبوبة ينسى فيها نفسه ، ويعدم شعوره ، ويفارق حيويته إلى حين؛ حتى إذا ذهبت نشوته ، وتسرب إليه شعوره ، ودع نعيمه ، وعاد إلى دنيا الهموم ؟

إذا وافقتني على ذلك استطعنا أن نحل ذلك اللغز الذي حير الأفهام من قديم الزمان ، وهو « متى يستشعر النائم لذة النوم » إن قلت: قبله ، قلنا : لا يستشعر الانسان لذة شيء قبل مباشرته، وإن قلت: أثناءه، قلنا: لاشعور للنائم . وإن قلت : بعده ، قلنا : ما شعور الانسان بلذة شيء فات ؟ أقول : إذا وافقتني على تلك النظرية استطعنا أن نعتبر لذة النائم من نوع اللذة السلبية ، أعني تلك اللحظات التي غرق فيها في السبات ، فغاب عن الوعي ، واطرح أعباء الحياة ، وتخلص من نير الشعور

ولعل من هذا كان حظ الانسان من الآلام النفسية يتناسب مع مبلغ حدة شعوره ودقة إحساسه طردا وعكسا ، فان ذا الحس المرهف أشد حيوية من غيره . والمشاهد أن أشد الناس تمتعا بالحياة هم أقلهم حظا من التفكير والاحساس ، لأنهم إلى الموت أقرب منهم إلى الحياة . ومن قديم قيل :

والعيش خــــير في ظلا ل النوك ممن عاش كدا

غير أنني أخشى إذا تمشيت مع هذه النظرية أن أنحدر إلى القول بأن الموت هو السعادة الأبدية

اللذة والألم

هل تحسب أن بائع العطور يستشعر ما تستشعر أنت لها من رائحة زكية ؟ إن الانسان ليجلس في بستان برهة من الزمان ، فتصاب أعصاب حاسة شمه بالشلل ، حتى مايفرق بين ورد وريحان ، أو فل وياسمين

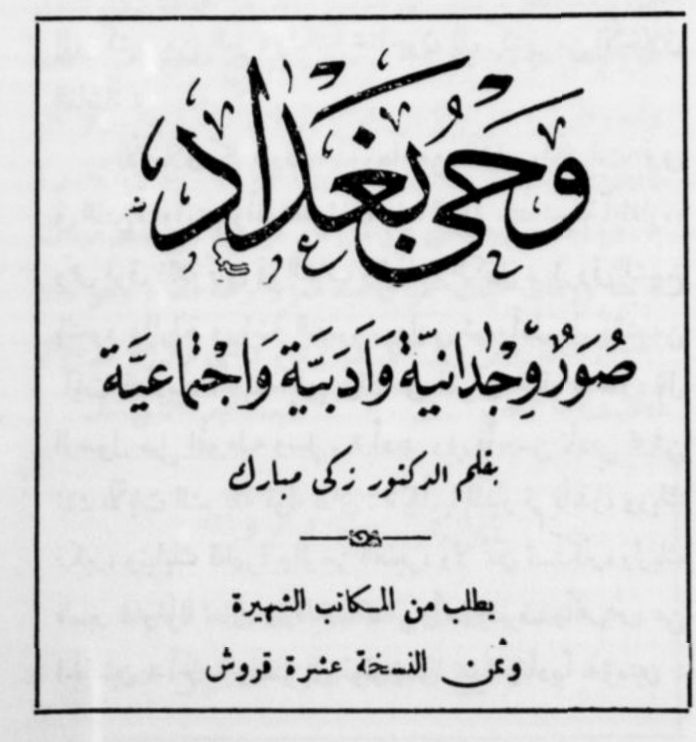
هذا مثل مادي يبين لنا تصريف اللذة والألم في الحياة ، فالنظر الجميل إذا أدمنت التحديق فيه أصبح مألوفا عاديا لايحرك مشاعرك ؛ والطعام الشهي إذا أكثرت تناوله فقد جاذبيته ، بل قد يصل إلى درجة تعافه معها النفوس . ولقد يظفر الموظف بأجازة يوم فيشعر بغبطة لا حد لها ، ثم يسامح بعد ذلك شهورا فتفقد المسامحة سحرها ، بل إن الألم الذي يستثقل وطأته الانسان يتسمم به الجسم على مر الأيام ، ويخف حمله بطول المران عليه

إذن لا بد من ألم الجوع والظمأ حتى يستشمر الانسان لذة الشبع والري ، ولابد من جحيم الفراق حتى يشعر بنعيم الوصال ، ولا بد من حرارة العمل حتى يحس برد الراحة ، بل لا بد من المرض حتى يدرك الانسان أنه صحيح معافى . بعد هذا نستطيع أن نقول بملء الفم : إن الألم شرط في إحداث اللذة ، وإن النعيم المحض لم يكتب لمخلوق في هذه الحياة ، وإنما تعنى به الكتب المقدسة البررة الصالحين في دار الخلود . ومن هنا التمس الناس السعادة من قديم الزمان في كل مكان فأعياهم التماسها ، لأنهم يبغونها صرفا غير مشوبة بشائبة ، ولم يفطنوا إلى أن الألم شرط في إحداثها ، ومقوم من مقوماتها

اللذة والألم متكافئان ، حظ الناس منهما واحد ، مهما تفاوتت أقدارهم في الهيئة الاجتماعية ، وتفاوت حظهم من الجاه والمال ، غاية مافي الأمر أن لكل منهما صورا وأشكالا متباينة وإن كان الشعور به في قرارة النفس واحدا

فعزاء للفقراء ، وليعلموا أنهم هم وأرباب المال والجاه . على قدم المساواة

« كوم حماده » محمود غنيم



التعليم والمتعطلون فى مصر

المدرسة وتكوين الاخلاق

للأستاذ عبد الحميد فهمى مطر

قيمة الأخلاق وتكوينها

كان خير ما وصف به النبى صلى الله عليه وسلم قول الله تعالى « وإنك لعلى خلق عظيم » وقوله : « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » وفى هذا الدليل القاطع والحجة القوية على ما للأخلاق الكريمة من أثر فى الحياة . والأخلاق الكريمة لا يحتاج إليها الانسان فى الزعامة أو القيادة أو الرياسة فقط، ولكنه يحتاج إليها فى جميع الأعمال والمهن والحرف على اختلاف أنواعها، لما يجرى فيها من معاملات بين الناس وأخذ ورد، ومد وجزر، تتطلب جميعها الحكمة وحسن التدبير والحسنى فى القول ، والصدق والأمانة فى العمل . ولا غرو فالأخلاق الكريمة عماد تكوين الأمم وأساس نهضتها ورقيها . وفي ذلك يقول المرحوم شوقى بك :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فان همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ويقول المغفور له سعد زغلول باشا : « نحن لسنا محتاجين إلى كثير من العلم ، ولكننا محتاجون إلى كثير من الأخلاق الفاضلة »

والأخلاق كما تورث بذورها عن الآباء والأمهات تربى فى النشء. وأمتنها وأقواها ما نشأ عليه الطفل منذ نعومة أظفاره، وهى فوق ذلك تربى فى الشاب واليافع والكهل ، بل وفى الشيخ بالتعود والمرانة ورياضة النفس . وليس شىء أدل على ذلك من آيات التأديب المختلفة التى نزلت فى القرآن الكريم حتى قال الرسول صلى الله عليه وسلم . « أدبنى ربي فأحسن تأديبى » فمن تلك الآيات الشريفة قوله تعالى : « يا أيها المدثر قم فأنذر، وربك فكبر، وثيابك فطهر، والرجز فاهجر، ولا تمنن تستكثر، ولربك فاصبر » وقوله تعالى : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » الخ . وانظر إلى قوله تعالى تعليما وتأديباً للمؤمنين : « وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى، وبعهد الله أوفوا » وإلى قوله « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين، إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا »

كل تلك الآيات المحكمات وغيرها تدل دلالة واضحة على أن الآداب تكتسب بالتعليم والمرانة والتعويد . فاذا فاتت الطفل فرصة تأديبه وتعويده الأخلاق الكريمة فى منزله فيجب ألا تفوته تلك الفرصة فى مدرسته حتى يستقبل الحياة العملية مزوداً بالزاد المثمر المنتج وحتى لا تضيع عليه فرصة ذهبية هى أولى الفرص بالتأديب والتمرين . وهى فوق ذلك أحسنها وأثمنها وأغلاها . ولقد أيد ذلك الرأى علماء التربية والباحثون فأقاموا الدليل تلو الدليل على أن الأخلاق تربى فى الانسان وتقوى فيه بالتعويد ورياضة النفس . وقديماً قالوا فى الحكم والأمثال « الحلم بالتحلم، والكرم بالتكرم»

فلم يبق إذن شك فى ذلك وليس فيه ما يدعو إلى البحث والتنقيب إنما الذى يدعو إلى البحث والتنقيب هو :

أولا — معرفة تلك الأخلاق الكريمة التى يجب أن يتصف بها الانسان فى حياته

ثانياً — طرق غرس تلك الأخلاق وتعهدها وما فعلت المدرسة المصرية فى هذا السبيل وما لم تفعل

ثالثاً — معرفة ما يتصف به شبابنا فى الوقت الحاضر من صفات لا تناسب نهضتنا ولا تتفق مع ماضينا وقوميتنا بما يقعد بهم عن الاقدام على الأعمال الحرة فيؤثر تأثيراً سيئاً فى حياتنا الاجتماعية والاقتصادية ويؤدى إلى عرقلة سير النهضة القومية . وأخيراً بحث الطرق العملية المؤدية إلى استئصال ذلك

الأخلاق المطلوبة

مما لا شك فيه أن الأخلاق القويمة التى نصت عليها الشرائع السماوية كالصدق والأمانة والجد والاستقامة والصبر وفعل الخير وإحقاق الحق والعدل والمساواة فى حرية الرأى والشورى ... الخ هى الأسس التى يجب أن يعنى بها كل مصلح، والتى يجب أن يبثها فى ولده كل والد ، وفى تلاميذه كل مدرس . على أن هناك أموراً

خلقية أخرى قد تؤدى إليها المحافظة على الأمور السابقة وتعودها كما يلزمنا المجتمع الحاضر وأحوال المدنية الحاضرة وأساليب الحياة الحالية بالعمل على خلقها فى نفوس أبنائنا فرادى وجماعات حتى يتمكنوا من الخوض فى معترك الحياة والنهوض بهذه الأمة نهضة حقيقية فعالة ويرفعوا رأس بلادهم ويثبتوا أقدامها بين الأمم الراقية .

هناك تكوين الشخصية القوية، وهذا يستلزم تقوية إرادة الفرد بمختلف الوسائل وتنظيم حياته وتوجيه نشاطه ، وتوزيع العمل واللهو على أوقاته ، ويستلزم تعويد الفرد على أن يكون ذا رأى مستقل يدافع عنه فى صراحة وجرأة وقوة ، ويستلزم أن يكون الفرد ذا جاذبية خاصة أساسها حسن المعاشرة والمجاملة وعمل الخير مما يحبب فيه معاشريه ، ويجذب إليه كل من يحتك به ويعامله ، ويستلزم أن يتعود تحكيم عقله فى ميوله وأهوائه ، فكلما استطاع الانسان كبح جماح شهواته والتغلب على أهوائه وميوله ، ارتفع بنفسه فى عالم الفكر وسما بروحه سمواً يجعله قوى الشخصية مؤثراً فى غيره تأثير المغناطيس فى الحديد

وهناك غرس فكرة النظام واحترام القانون فى نفوس الناشئين منذ نعومة أظفارهم حتى يعتاد الفرد ذلك من صغره من غير أن يحتاج إلى رقيب يحاسبه ويتتبعه أو إلى دافع خارجى غير نفسانى يدفعه ، ويستلزم ذلك تربية الضمير وتقويته حتى يكون كل إنسان رقيباً على نفسه يحاسبها دائماً على كل صغيرة وكبيرة . حدثنى صديق اعتاد أن يسمر بعض الليالى عنـد أحد الوزراء السابقين الذين تلقوا علومهم العالية في بلاد الانجليز : أن ذلك الوزير قص عليه قصة صغيرة وقعت له فى تلك البلاد فى أحد أيام الصيف ، وكان قد سافر إليها للنزهة والترويض . وتتلخص تلك القصة فى أن أحد أصدقائه الانجليز دعاه يوماً للصيد فخرج معه إلى مكان ناء بعيد عن أعين الناس ، ثم دعتهما ظروف الصـيد إلى الافتراق فافترقا كل يطلب صيده ، فلما وجد المصرى نفسه وحيداً وقد هجمت عليه جموع من الطير التى يعلم أن القانون يحرم صيدها لم يتردد فى إعمال بندقيته وخرطوشه فيها حتى صاد منها كمية كبيرة معتقداً أنه فاز برزق عظيم وأنه سيسر صديقه به . ثم ما لبث أن التقى الصديقان ، فكانت دهشة الانجليزى عظيمة لما رآه يحمل الطير المحرم صيده ، وأخذ يلومه على ارتكابه مخالفة قانونية ، فأجابه السيد المصرى بأن الفرصة كانت سانحة لذلك وأنه لم يره أحد ، فما كان جواب صديقه إلا أن قال له : ولكنك يجب أن تكون أميناً على تنفيذ القانون فى كل مكان وزمان سواء أكنت وحيداً أو معك غيرك ، ثم أعطاه درساً عملياً فى احترام القانون ، فذهب به إلى أقرب مخفر للشرطة فسلم الطيور كلها هناك ودفع عنه فى الحال الغرامة التى يجب دفعها نظير ارتكاب تلك المخالفة

هذا درس عملى عظيم إذا توخت مثله المدرسة فى تربيـة أبنائها على احترام القانون والنظام العام أنتج أحسن الثمرات ، وجاد بأطيب الخيرات والبركات. ثم لماذا نذهب بعيداً وعندنا من أمثال ذلك فى صدر الاسلام الشىء الكثير ؛ فلقد خرج عمر ابن الخطاب ذات ليلة يتفقد أحوال رعيته ، فلما تعب اتكأ على جدار فى جوف الليل وإذا امرأة تقول لابنتها : يا بنتاه قومى إلى اللبن فامذقيه بالماء . فقالت : يا أماه أو ما علمت بما كان من عزمة أمير المؤمنين ؟ فقد أمر مناديه فنادى لا يشاب اللبن بالماء . فقالت : قومى إلى اللبن فامذقيه بالماء فانك بموضع لا يراه عمر ولا منادى عمر . فقالت الابنة : والله ما كنت لأطيعه فى الملأ وأعصيه فى الخلاء . كل ذلك وعمر يسمع تلك المحاورة فقال لمولاه أسلم : « علم الباب واعرف الموضع » . ثم مضى ؛ فلما أصبح الصباح قال : « يا أسلم ، إمض إلي الموضع فانظر من القائلة ومن المقول لها ؟ وهل لهما من بعل ؟ » . فذهب ورجع فأخبر عمر ؛ فدعا ولده وقال : « هل فيكم من يحتاج إلى امرأة فأزوجه . ولو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه منكم أحد ؟ » . فقال له عاصم : « أنا يا أبتاه لا زوجة لى فزوجنى » . فزوجها من عاصم فولدت له بنتاً وولدت البنت عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، وهو ذلك الخليفة الذى يضرب به المثل فى الورع والتقى والزهد وإحقاق الحق وإقامة العدل

عبد الحميد فهمى مطر

العقيـــدة الشعرية

للأستاذ أحمد خاكي

يفرّق النفسيون فى العصر الحديث بين الايمان العلمى والايمان الشعري . أما الايمان العلمى فهو الذي يقوم على قواعد المنطق من فرض واستنباط واستقراء، ومن إثبات القضايا أو نفيها. إنه هو الايمان الذى يقوم على الواقع قبل كل شيء ، فهو يصدر عن الأشياء التى تقع فى الحس ، وهو الايمان الذى قام على تثبيته أمثال بيكون ، وديكارت وهو الذى أقام العلم والفلسفة بما واتى حياتنا المادية من تقدم . أما الايمان الشعرى فيختلف عن ذلك كل الاختلاف ، فهو يقوم على جملة من الآثار النفسية تثبت فى نفس الفرد عن طريق العادة أو التخيل أو التصوّر ؛ فهو لا يرتكز على حقيقة محسوسة ملحوظة ، بل هو فيض خيالى مما تصوره الغريزة أو الرغبة أو الفطرة . وهو بعد ذلك ضرب من اللعب إذا أحسن التعبير عنه كان فناً له خطره

الايمان العلمى هو الذى يدفعنا إلى درس النجوم وعلاقات بعضها ببعض ؛ ولكن الايمان الشعري هو الذى يحبب إلينا النظر إلى تلك النجوم . الأول نتيجة لدراسة منطقية خارجة عن نفس الانسان ، أما الثانى فهو نتيجة لآثار العوامل الخارجية فى نفس الانسان . الأول يمدنا بالقيم العلمية التى تكاد تثبت فى كل زمان ومكان ، والثانى بالقيم الأدبية أو الجمالية التى يختلف تقديرها باختلاف المقدّر والزمان والمكان

ولقد ازدهرت نظرية اللاشعور أو العقل الباطن في هذا القرن حتى أظهرت لنا نوعاً من العقائد الأدبية يعتنقها الشعراء فى قرارة أنفسهم دون أن يحسوا بوجودها . وأظهرت لنا كذلك أن الشاعر أو الأديب أو المتفنّن قد يكون صاحب عقيدتين فى وقت معاً : أولاهما علمية تتصل بحقائق الحياة، والثانية شعرية تتصل بالخيال . وكان لهذه الفكرة خطر في النقد الحديث ، لأنها قلبت أوضاع النقد، وثارت بالتقدير العلمى القديم، ونبهت النقدة إلى أن يتدسسوا فى أطواء الشاعر حتى يروا معانيه التى كتبها بوحى من عقله الباطن دون أن يكون عليها سلطان من عقله الواعى. وحسبنا من كل ذلك أن نثبت أن الأدب يقوم على هذه العقائد الشعرية، وأن أكمل الشعر هو الذى يصادف مثل هذه العقيـدة الشعرية عند سامعيه أو قارئيه

ويولد الايمان الشعرى مع خيال الطفولة ، وهو كذلك يميز عقلية الهمج . ذلك بأنه يتصل بغرائز الفطرة الأولى : بالخوف والحب والعداوة والجنس . فاذا تقدمت البيئة الأدبية إلى مرتبة عليا من مراتب المدنية استملى المتفننون بذلك الايمان الشعرى فتناوه تمثيلا فى النحت والتصوير والموسيقى والشعر وأطلق عليه الناس بعد ذلك اسم الفن . وهو لذلك يميز الانسان فى أحط درجاته، ويميزه كذلك فى عصور الفن الزاهرة. فالانسان الأول كان يقيم عفريتاً يعبده ليرضى خياله المفزوع ، والانسان المتمدن ما يزال إلى اليوم يصوغ امرأة من الذهب والعاج ليرضى رغبته الملحة . والعفريت والمرأة كلاهما نتيجة لذلك الايمان الشعرى الذى ينكر الواقع ويمنو للخيال . كلاهما يتفجر من نفس العين، ولو أن هذا قد هذب وذاك ما يزال فى حاجة إلى التهذيب . وكلاهما نتيجة غريزة من الغرائز : الأول نتيجة الخوف ، والثانى نتيجة الحب الجنسى .

***

وقد ذهب النقدة لذلك إلى أن الشعر ليس من شأنه حقائق الأشياء ، وأن الحدود بين العلم والشعر ينبغى أن تكون ظاهرة لايعتدى أحدهما على الآخر. وليس عند هؤلاء شعراً مايعالج قضايا منطقية، بل ليس شعراً ما يعرض لنواحى الخلق العام . فان آفاق الشعر لا تمتد إلى حيث ينبغى أن يبدأ النثر . بل لقد أمعن الناقد الانجليزى Richards فى ذلك حتى قال إن الكذب آية من آيات الشعر (١) فالشعر من الوجهة النفسية يرتكن على الخيال لا على الواقع ، والعقيدة الشعرية هى الحالة النفسية المثلى لعمل الشعر ، وهى كذلك الحالة النفسية لاستيعابه .

وإذا نحن حاولنا أن نطبق تلك المعايير النفسية على الشعر العربى وجدنا أنها تستقيم لحد كبير . والأصل فى التشبيه والمجاز والاستعارة أن تكون خداعاً نفسياً . وليس الشعر شيئاً إلا إذا

(١) ذلك يتفق مع رأى المتأخرين من شعراء العباسيين فقد قالوا : أعذب الشعر أكذبه .

كان تشبيهاً ومجازاً واستعارة. على أن شعراء العرب قد علوا عن تلك المرتبة الأولى من مراتب القصيدة الشعرية، وبعضهم قد تخيل فأنطق الجماد، وبعضهم قد تدله فصور المرأة تصويراً نفسياً دقيقاً.

وإليك بعد ذلك بعض أبيات لابن خفاجة الأندلسي يصف فيها جبلاً حتى ترى معي إلى أي حد تنطبق هذه القطعة على الواقع وإلى أي حد تنطبق على الخيال:

وأرعن طماح الذؤابة باذخ ... يطاول أعنان السماء بغارب
يسد مهب الريح عن كل وجهة ... ويزحم ليلاً شهبه بالمناكب
وقور على ظهر الفلاة كأنه ... طوال الليالي مفكر في العواقب
يلوث عليه الغيم سود عمائم ... لها من وميض البرق حمر ذوائب
أصخت إليه وهو أخرس صامت ... فحدثني ليل السرى بالعجائب
وقال إلى كم كنت ملجأ قاتل ... وموطن أواه تبتل تائب
وكم مر بي من مدلج ومؤوب ... وقال بظلي من مطى وراكب
ولاطم من نكب الرياح معاطفي ... وزاحم من خضر البحار غواربي
فما كان إلا أن طوتهم يد الردى ... وطارت بهم ريح النوى والنوائب
فما خفق أيكي غير رجفة أضلع ... ولا نوح ورقي غير صرخة نادب
وما غيض السلوان دمعي وإنما ... نزفت دموعي في فراق الصواحب

وأحسب أن كل بيت من هذه الأبيات جدير بالتقدير. وهي جميعاً تكون وحدة جمالية لها أثر كريم في النفس. على أنها لا تنطبق على الواقع إلا قليلاً. فإذا أنت حاولت أن تتأثر عنصر الحقيقة من هذا الشعر لم تجد من هذا البيت وذاك البيت إلا أنه كان جبلاً عالياً مر كثير من الناس به في أيامه الخوالي. أما الجبل الذي يسد مهب الريح والذي يعتم عمامة سوداء من النسيم لها ذؤابات حمر من البرق؛ هذا الجبل الذي يسكن فيفكر، ويتحدث فيتفلسف، والذي ترجف ضلوعه من الأسى، وتذرف دموعه من الوجد؛ ذلك الجبل ما هو إلا خيال سام يصور الواقع لكنه فوق الواقع؛ وهو هو الذي نسميه شعراً.

وإنما تمتاز هذه القطعة من الشعر بالجمال لأن فيها وحدة تسوى بين أجزائها جميعاً، وفيها كذلك علو بالخيال من بيت إلى بيت، فهي تبدأ بشيء كالواقع لكنها تنتهي بشيء كالخداع.

على أنك تستطيع أن تقدرها إذا كنت في حالة نفسية خاصة، حالة نفسية تعترف بإيمان الشعر أو بالخداع أو بالخيال (سمه ماشئت)

لكنك لا تستطيع أن تقدرها إذا أنت وقفت بين البيت وبين البيت تحاول أن تتشكك في صدق المعاني وتحاول أن تنكر على الجبل أن يتكلم أو على الغيم أن يكون عمامة أو على الأيك أن يكون ضلوعاً

* * *

على أن ذلك الإيمان الشعري يمتلك النفس أكثر ما يمتلكها عند قراءة القصة أو عند مشاهدة الرواية المسرحية أو عند قراءة ملحمة طويلة في الشعر. فإذا أنت ذهبت إلى المسرح لتشهد «هاملت» أو «سان جان داراك» فلست بمدرك ما في كل ذلك من الجمال إلا إذا وهبت نفسك لتلك العقيدة الشعرية. وربما علمت أن «هاملت» لم تحدث في التاريخ، وأن بعض وقائعها قد يكون محالا، وأن شبح الملك المقتول الذي يظهر فيها إن هو إلا ابتكار أتى به الخيال؛ ربما علمت كل ذلك ولكن أحسبك لا ترضى — وأنت مأخوذ بسورة الجمال — عن إنسان يحاول أن يقول لك إن هاملت لم تحدث وإنها كلها لغو من عمل الخيال. ذلك بأنك تحاول وأنت تشاهدها أن تمارس ذلك الخيال ممارسة شعرية فيحلو لك أن تنسى عقيدتك العلمية، ويحلو لك أن تؤخذ أنت بالعقيدة الشعرية وأن تخدع لأن ذلك الخداع في نفسه جميل. وهذا هو الذي يحدث بين جنوبنا حينما نبكي عند رؤية المأساة، وهو الذي يضحكنا عند مشاهدة المهازل والمباذل على الستار الفضي

يروى عن سيدة أنها كانت تشاهد «عطيل» على المسرح. وحينما مضى الفصل الأول والثاني وجاء دور الوقيعة التي قام بحبكها ياجو تأثرت السيدة تأثرا شديدا لأنها رأت أن ياجو يغرر بعطيل تغريرا. فصاحت بعطيل: «إن هذا الملعون يخدعك أيها الأسود النبيل» وفعل مثل ذلك أحد النظارة حينما رأى القوم يأتمرون بيوليوس قيصر، فقد حاول أن يطلع قيصر نفسه على سر المؤامرة. ومثل السيدة والسيد كثير بيننا. بل في الحق أننا جميعا مثل ذلك لأننا نكون مأخوذين بنوع من أنواع الخداع حينما نشاهد القصة المسرحية

ومثل ذلك يقال عن القصص الأخرى والروايات وعن الملاحم الشعرية الطويلة، فعلى قارئ هؤلاء أن يكون له من الإيمان الشعري ما يطوع له أن يرى نواحي الجمال فيها وما يستطيع به أن ينكر الواقع وأن يحسب الخيال واقعا . وفي الحق أن هذا أظهر ما يميز البيئات الأدبية التي ازدهرت فيها القصص المسرحية والشعر والروايات الأدبية الأخرى . والقصيدة الشعرية هي التي تفسر لنا كيف كان الناس يؤمنون أيام شيكسبير بتلك القصص التي صاغها للمسرح مع ما في أكثرها من خروج عن جادة المنطق السليم . بل نحن لا نستطيع أن نفهم رجلا كشيكسبير إلا إذا قدرنا غرام بيئته بالشعر المسرحي وبالقصة المسرحية . ولا يمكننا أن نقدر كل ذلك حتى نزن عقائدهم الشعرية .

وفي الحق أن شيكسبير قد أفلح في خلق مسرحياته لأن القصيدة الشعرية ملكت نفوس الناس في عهد اليزابث . كان هؤلاء هم الذين يدفعون المال ليشهدوا المسرحيات، وكان هؤلاء عاملا هاما من عوامل الاخفاق أو النجاح . ولقد تميز هذا الجيل في تاريخ انجلترة بأنه كان يؤمن إيمانا شعريا عميقا بما يأتي عليه حتى لقد كان يتذوق الشعر ويستوعب قصص المسارح . وكذلك يمتاز رواد السينما في العصر الحاضر بتلك العقيدة الشعرية . والمسرحيات وروايات السينما في نفسها تقوم على خداع العقل وخداع النظر وخداع السمع، لكن شيئا منها لن يصح في روع الناظر أو السامع حتى يكون له قدرة على الإيمان الشعري .

احمد خاكى
المدرس بدار العلوم



جورجياس
او البيان

لأفلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ١٤ —

« تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجل محاوراته وأركنها وأجدرها جمعاً بأن تكون « إنجيلا » الفلسفة ! »

« رينوفييه »

«إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائما وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »
٢ — جورجياس : السفسطائي : « ج »
٣ — شيريفين : صديق سقراط : « سه »
٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »
٥ — كاليكليس : الأثيني : « ك »(١)

ط — وإذاً فقد رأيت بالمقارنة يا بولوس أن طريقة مناقضتك لا تشبه طريقتي في شيء . فأنت تفضل موافقة « الجميع » على موافقتي، وأنا أفضل اقتناعك وحدك وشهادتك وحدها، ولذلك قد عنيت بكلامك وتصويبك ولم أعن بالآخرين ؛ فليبق ذلك إذاً معروفاً فيما بيننا ، ولنمض الآن إلى اختبار النقطة الثانية التي كانت موضوع نزاعنا . أترى « العقاب » عند « الاجرام » أفدح الشرور كما ظننتَ ، أم ترى « الفرار من العقاب » هو الأفدح كما ظننتُ أنا ؟ أو فلنمض هكذا : ألست ترى أن كلا من « العقاب بعدل » ، و « لقاء جزاء الخطيئة » واحد ؟

(١) انتهى سقراط في العدد الماضي من إثبات أن ارتكاب الظلم أفدح من احتماله . وسنراه اليوم محاولا إثبات أن الفرار من العقاب أفدح من التقدم إليه « المعرب »

ب — بلى

ط — والآن هل تستطيع أن تقول إن كل ما هو عادل ليس « بجميل[1] » بقدر ما هو عادل ؟ فكر قبل أن تجيب !

ب — بلى يا سقراط فانى أعتقد أن الأمر كذلك

ط — فلنفحص ذلك أيضاً ، إذا فعل « فاعل » شيئاً ، ألا يكون ضرورياً أن يكون هناك « منفعل » يتأثر بفعل « الفاعل » ؟

ب — يلوح ذلك

ط — وذلك الذى يتحمل ما يفعل الفاعل ؛ ألا يجب أن يكون تابعاً له تماماً ؟ ولنأخذ مثلا : إذا طرق أحدهم ؛ ألا يجب أن يكون هناك « شيء » يطرق ؟

ب — بالضرورة

ط — وإذا طرق الطارق بشدة أو بسرعة ، ألا يكون الطرق على المطروق شديداً بالمثل أو سريعاً ؟

ب — بلى

ط — وإذاً فالنتيجة بالنسبة للمطروق كما يريدها الطارق !

ب — نعم

ط — وبالمثل إذا أحرق إنسان ، فيجب أن يكون هنالك « شيء » يحرق !

ب — حتما .

ط — وإذا أحرق الحارق بشدة وسبب ألماً شديداً ، فان المحترق يتأثر كما يريد الحارق ؟

ب — نعم

ط — وإذا قطع إنسان ألا يكون الأمر بالمثل إذ يكون هنالك « مايقطع » ؟

ب — بلى .

ط — وإذا كان القطع واسعاً أو عميقاً أو مؤلماً ، أفلا يقاسى « المقطوع » مايريده القاطع ؟

ب — ذلك واضح

ط — فلنر بالاجمال إذا كنت توافقنى على ماقلته توا فى جميع هذه الحالات : وهو أنه كما يكون فعل المؤثر تكون النتيجة فى المتأثر

ب — إنى أوافق

ط — وإذا كان الأمر كذلك فخبرنى : أتحمل العقاب فعل وإيلام أم انفعال وتألم ؟

ب — إنه بالضرورة « انفعال وتألم » ياسقراط

ط — فهو إذاً « ألم » من ناحية شخص « فاعل » ؟

ب — بلا شك لأنه « ألم » من ناحية من يعاقِب

ط — ولكن ذلك الذى يعاقِب بعقل وحق ، أتراه يعاقب بعدل ؟

ب — نعم

ط — وإذا فهل تراه يقوم فى عقابه بعمل عادل أم لايقوم ؟

ب — إنه يقوم بعمل عادل !

ط — وذلك الذى يلقى جزاء خطيئة ارتكبها ، ألا تراه يُعامَل معاملة عادلة ؟

ب — ذلك ظاهر

ط — وقد اتفقنا على أن العادل جميل ؟

ب — من غير تناقض

ط — وإذا فأمامنا رجلان ، أحدهما يفعل فعلا جميلا ، والآخر — وهو المعاقب — يتحمل ذلك الفعل ؟ !

ب — نعم

ط — ولكن إذا كان العمل جميلا فانه يكون حسنا ، لأنه إما أن يكون جميلا أو نافعاً

ب — ذلك محتوم !

ط — وإذا فذلك الذى يتحمله المعاقَب ويقاسيه شيء حسن

ب — يلوح هذا

ط — وهو يخرج منه على ذلك بنفع ؟ !

ب — نعم

ط — وهل هذا « النفع » هو النفع الذى أتصوره ؟ هل تهذب نفسه إذا عوقب بعدل ؟

ب — ذلك محتمل جدا

ط — وإذاً فذلك الذى يعاقَب يتخلص من رداءة نفسه وشرها

(١) ذلك لأن العدل « ترتيب » ، والترتيب نظام ، والنظام جمال ، بينما الظلم فوضى ، والفوضى قبح ، وإذاً يكون عقاب الظلم ارتدادا إلى النظام والجمال « المعرب »

ب — نعم

ط — أولا تراه يتخلص بذلك من أفدح الشرور ؟ لنختبر السؤال على ذلك النحو ؛ أذلك الذى يريد أن يجمع ثروة كبيرة ، أهناك — فيما تتصور — شر له غير الفقر ؟

ب — ليس من شر له غير هذا :

ط — وفى تركيب الجسم : أليس الضرر فى رأيك هو الضعف والمرض والتشويه وكل النقائص التى من ذلك النوع ؟

ب — بلى

ط — أو لا تعتقد أن للنفس هى أيضا نقائصها ؟

ب — بالطبع

ط — أو لا تطلق على هذه النقائص الظلم والجهل والجبن وأسماء أخرى مماثلة ؟

ب — بالتأكيد !

ط — وإذن فقد عرفت أن لهذه الأشياء الثلاثة : وهى الثروة والجسم والنفس ، ثلاثة رذائل وشرور ، هى الفقر والمرض والظلم

ب — نعم

ط — والآن أى هذه الرذائل أكثرها « قبحاً » ؟ أليست هى الظلم ، وأعنى به رذيلة النفس ؟

ب — من غير جدال

ط — وإذا كانت هذه الرذيلة أكثرها « قبحاً » ، فهى بالأحرى أكثرها « رداءة » ؟

ب — وكيف تقول بذلك يا سقراط ؟

ط — ذلك هو السبب . أليس أقبح الأشياء قبيحا هكذا لأنه يسبب « ألماً » أكثر ، أو « خسراناً » أفدح ، أو هما معاً ؟ ذلك ما قلناه من قبل !

ب — تماماً

ط — أو لم نعرف منذ هنيهة أن أقبح الأشياء هو « الظلم » أو هو بوجه عام « رداءة النفس » ؟

ب — لقد عرفنا ذلك حقاً

ط — أوليس أقبح الأشياء قبيحاً هكذا لأنه أكثرها ألماً وإيلاماً ، أو أكثرها خسراناً ، أو أكثرها جلباً للاثنين معاً ؟

ب — بالضرورة

ط — وإذن فالألم الأكثر فى أن نكون ظالمين وشرهين وجبناء وجهلاء ، وليس فى أن نكون فقراء ومرضى ؟

ب — يبدو لى أنه كذلك يا سقراط تبعاً لما قلنا .

ط — وإذاً يجب أن تكون « رداءة النفس » أقبح الأشياء ، لأنها تفوقها جميعاً بما تسببه من خسران هائل خارق للمعتاد ، ومن شر مسرف عجيب ، لا من الألم فحسب تبعاً لقولك

ب — ذلك واضح

ط — وذلك الذى يزيد هكذا بالخسران المفرط هو أفدح ما يوجد من الشرور ؟

ب — نعم

ط — وإذاً فالظلم والشره « ورداءة النفس » على العموم ، هى أفدح شرور العالم ؟ ؟

ب — ذلك ظاهر

ط — والآن ما هو الفن الذى يخلصنا من الفقر ؟ أليس هو الاقتصاد ؟

ب — بلى

ط — ومن المرض ؟ أليس هو الطب ؟

ب — بلى ، من غير نزاع

ط — ومن رداءة النفس وظلمها ؟ إذا كان وضع أسئلتى على ذلك النحو يحيرك فسأجملها هكذا : إلى من نذهب بأولئك الذين هم مرضى الجسوم ؟

ب — إلى الأطباء يا سقراط

ط — وإلى من نذهب بأولئك الذين يتركون نفوسهم فريسة للظلم والشره ؟

ب — أتريد أن تقول إننا نذهب بهم إلى القضاة ؟

ط — أليس كذلك كيما يلقوا جزاءهم ؟

ب — بلى

ط — والآن ألا نعاقب الناس ، عند ما نعاقبهم ، بحق لأننا نطبق « عدلا » خاصا ؟

ب — ذلك واضح

ط — وهكذا يحررنا الاقتصاد يا بولوس من الفقر ، والطب من المرض ، والعدالة من الظلم والشره !

ب — ذلك واضح

« يتبع » محمد حسن ظاظا

من مشاكل التاريخ

طبيعة الفتح الاسلامي (*)

للأستاذ خليل جمعة الطوال

اعتاد المؤرخون الأقدمون، وجاراهم فى ذلك بعض المحدثين أن يسموا وقائع الفتح الاسلامي «غزواً»؛ وفاتهم ما تحمل هذه الكلمة فى تضاعيفها من معانى النهب، والسلب، والعبث، والتمثيل، وما هو فى أحكام هذه الأمور من أنواع الجرائم والشرور التى نهى عنها الاسلام وتجافاها المسلمون فى فتوحهم. ولقد أطلق هؤلاء المؤرخون هذه الكلمة على الفتح الاسلامى سهواً وتساهلا، وما أحسبهم قصدوا بها هذه المعانى المستنكرة التى تؤدى إليها؛ فأخذها عنهم المتعصبون على الاسلام، والكارهون لهذا الدين الحنيف وفسروها بما أملته عليهم منازعهم وأحقادهم، ثم روجوا لها فى كتاباتهم، حاسبين أنهم بذلك قد قوضوا أركان الاسلام، وصدعوا بنيان حضارته، تلك الحضارة السامية التى ما زالت ولن تزال منارة العدل والانسانية والحرية

وأكثر ما يضحكنا من هذه البدع المضللة، والحملات الطائشة، ما جاء فى كتاب تاريخ آسيا لهربرت كوفين إذ يقول: «إن الديانة الاسلاميـة التى يقدمها مائتان وثلاثون مليوناً من الناس تنطوى على آثام اجتماعية تئن منها الانسانية، وإنها لم تقم إلا على حب الغزو والنهب!»

وما هرف به أيضاً العالم الأثرى كارمون جانو إذ يقول:

«إن الحضارة الاسلامية ليست إلا فظائع الغزو العربى»

ولئن كان لهؤلاء عذرهم فى جهلهم أساليب اللغة العربية وتجاهلهم حقيقة البلاد العربية وتاريخها، فما بال القارئ بمن يعيش فى بيئة هذه الأمة، ويقف على أساليب لغتها، وبدائع حضارتها، ثم لا يرى لها بعد ذلك حسنة إلا مسخها سيئة... بل سيئة تكاد ألا تكون فى مقدور بشرى مهما كانت درجة انحطاطه فى سلم المدنية، وحلقة التطور! وأعني بذلك الرجل المتحامل المتفرض الأب لامنس إذ يقول: «إن العربي أثبت فى فتوحه أنه جبان ضعيف فى الجندية، لا يفكر فى غير المغانم، وأن العرب ظهروا كما كانوا على عهد الرسول وسطاً فى القتال، وعلى استعداد للنهب، يحجمون أمام الخطر...

وأن لا قابلية لهم بشىء من أسباب الحضارة، بل الفضل لأولئك المتفسخين فى فارس والعراق والشام ومصر وغيرها، من الأقطار التى افتتحت، وأن الحروب الصليبية وقائع البسالة، وكان الصليبيون عجباً بأنظمتهم وترتيباتهم، وأن اليهود عوملوا فى عهد الحروب الصليبية فى الغرب معاملة حسنة»

عجباً! أفتنعم بكل هذه الوحشية ويظل فى الدنيا من يذكرنا بخير ويدرس تاريخنا باعجاب! ويشهد بحضارتنا بفخر وإكبار؟

وإننا إذ نحاول دحض هذه المفتريات، وإزالة هذا الكلف من وجه التاريخ، فلسنا نكيل لها الحق بالصاع الذى كالت لنا به التهم والشتائم، وإنما نستند فى تفنيدها إلى استفتاء التاريخ، واستنطاق الحق واستقراء الحوادث، ثم إلى شهادة من لا تجمعهم بالعرب صلات الرحم وعلائق الدم وأواصر القربى، ولا أية صلة تدفعهم إلى التحيز

إن الدعوة الصالحة لدين الله هي الأساس الذي ترتكز عليه دعائم التاريخ الاسلامى، ذلك التاريخ المجيد الذى لم ينصف قط بمنازع الأهواء، وأغراض المالم

ومن سمع بقوم يخرجون فى سبيل ربهم، يدعون أعداء الله إلى الله، فيلاقى هؤلاء فى طريقهم القتاد.. والأشواك، ويعفرون وجوههم بالطين والتراب، ويحرضون عليهم سفهاءهم وصبيانهم ينالونهم بمختلف أنواع المهانات والموبقات؛ فيهجرون أوطانهم وأملاكهم وأغنامهم، وإبلهم، ليشتروا بها نفوسهم! ثم يبيعون نفوسهم الموت ليشتروا بها وجه ربهم؟ من سمع بقوم تكون هذه حالهم وتظل نفوسهم مع ذلك متعلقة بأعراض الدنيا الزائلة، بمباهج الحياة الفانية...؟

إن الغزو — وما فى معناه — لا يكون إلا بين القبائل المتباعدة، والعشائر المتعادية، فيغزو بعضها بعضاً، طلباً لأخذ ثأر، وأملاً بكسب غنيمة، والكل يعلم حق العلم أن المسلمين

(*) صورة من كتابنا «تحت راية الاسلام» الماثل للطبع

لم يناهضهم بادئ بدء إلا أهلهم الأقربون، ومنهم لحمهم ودمهم، وعشيرتهم القرشية، وفيها عصبيتهم وفخرهم. ولسنا نعلم قط أن قبيلة كانت إلباً على غيرها فانقلبت فجأة وصارت حرباً على نفر من أفرادها، طمعاً في مغنم ... ! أو حبًّا في أخذ ثأر ... !

وأى ثأر يكون لكل من على، وأبى بكر، وابن الخطاب، ومن إليهم من المهاجرين عند إخوانهم القرشيين فينضموا إلى جانب محمد (صلى الله عليه وسلم) وهو من علمت بضعف بطانته وقلة عدته وعتاده للأخذ به ... ؟

ألأجل غنيمة يهجر الانسان بيته ووطنه وماشيته وثروته، ليكافح أهله، ويناوئ عشيرته ... ؟ كلا ... ! ثم كلا. لقد خرج هؤلاء على أهلهم من أجل دعوة سامية، وما قاتلوا وجاهدوا إلا في سبيل الذب عنها « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين »

أرأيت كيف أن الاسلام لا يبيح الاعتداء مطلقاً، ولا يوجب القتال فى سبيل الله إلا دفاعاً ... ؟!

لقد هاجر المسلمون عن بلادهم إلى يثرب هرباً بعقيدتهم السامية من أن يئدها الشرك، وهى لما تؤد للعالم رسالة الحق والتوحيد. وهناك فى يثرب تعاود النفوس عنجهية القبيلة، وشنشنة الجاهلية؛ ويكاد الشر أن يستفحل بين المهاجرين والأنصار، لولم يتدارك النبى (ص) الموقف فيقف فيهم منادياً: «يا معشر المسلمين: الله الله. اتقوا الله. أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله إلى الاسلام، وقطع به عنكم أمور الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر وألف بين قلوبكم»

أرأيت نبل هذا الخطاب وسموه؟ لم يقل أيها المهاجرون! ولا أيها الأنصار ... ! فليس فى الدين قبائل ولا عشائر، وإنما الجميع إخوة، ففيم إذاً نخوة الجاهلية، وحزازات الصدور، وشنشنة النفوس ... ؟ وفيم القتال فى غير سبيل الله ؟

ولقد اقترح بعض الصحابة على النبى بعد ما استقروا في المدينة أن يأذنوا قريشاً بالحرب، ويقاتلوها ويجزوها شراً بشر فيشفوا صدورهم مما تجد عليها، فدعاهم النبى إلى السكينة، وقال لهم: «لم يؤذن لى بالقتال بعد»

فأى إنسان بشرى تناله قريش بمثل ما نالت به النبى (ص) ويكون فى بطانة قوية أطوع له من بنانه، ثم تعرض عليه أخذ الثأر له فيدعوها إلى الهدوء والسكينة، لأنه لا يقاتل طلباً لثأر، ولا شفاء لغيظ، بل استجابة لأمر ربه، وهو لم يأمره بالقتال بعد

وظن بعض الجاهلين أن النبى إنما استمال اليثربيين بما توعدهم به من المغانم المادية، والاسلاب العظيمة، وهم فى ظنهم هذا أبعد ما يكونون عن الحق. وحاشا للنبى أن يشحن النفوس بمثل هذه الأمانى الباطلة الفانية « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » وإنما أغراهم بشىء أسمى من المغانم، وأسمى من الذهب والفضة؛ وذلك العلق النفيس الذى تشوفت إليه النفوس كان ... الجنة ...

ألا فانظر إلى هذا الموقف السامى الذى وقفه الرسول (ص) فى صفوف اليثربيين عند ما حاول أخذ بيعتهم، وقف صلى الله عليه وسلم وقال:

— أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم.

فمد البراء بن معرور يده، وكان سيد قومه وكبيرهم، وقال: بايعنا يارسول الله فنحن والله أبناء الحروب، وأهل الحلقة: ورثناها كابراً عن كابر.

وهم القوم بالبيعة فاعترضهم العباس بن عبادة قائلاً: « يامعشر الخزرج ! أتعلمون علام تبايعون هذا الرجل ؟ إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس. فان كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة، وأخذ أشرافكم قتل أسلمتموه فمن الآن فدعوه فهو والله إن فعلتم خزى الدنيا والآخرة. وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة »

فأجاب القوم: إنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف، فما لنا يارسول الله إن نحن وفينا بذلك ؟ . .

وكان المنتظر أن يمنيهم بخير الدنيا وجاهها، وكان المنتظر أن يمنيهم بما تمنى به القادة والساسة المتحمسين إذ يسوقونهم إلى ساحات القتال، ويعدونهم بشتى الوظائف والأموال؛ ولكن شيئاً من ذلك لم يكن، بل سكت هنيهة، ثم رد عليهم مطمئناً وقال:

الجنة ... !

لقد كان الفتح الاسلامى فتحاً دينياً مبيناً لا شائبة فيه للأهواء المادية ، وكانت تسيره عاطفة روحية سامية تمقت الغزو والنهب والسلب . وليس أدل على ذلك من هذه الكلمة السامية التى ترويها لنا كتب السيرة عن النبي (ص) حين كان يطوف بقومه في بدر ويقول : « والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً ، مقبلاً غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة ... » . فقال عمير بن الحمام وبيده تمرات يأ كلها : بخ بخ ، ما بينى وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء ! ... ثم قذف التمرات من يده ، وأخذ سيفه وقاتل حتى قتل

ولقد كتب الله للمسلمين فى هذه المعركة النصر على المشركين وأسروا منهم سبعين أسيراً ، وكان منطق الغزو يقضى أن يفتك بهم ، بل كان منطق الحرب ... يقضى أن يفعل بهم ذلك أيضاً لا سيما وقد ناله منهم قبلا الذل والمهانة ، ولكن الاسلام لا يقر أخذ الثأر ، ويأبى على المسلمين أن يقاتلوا لهوى وحقد فى نفوسهم ؛ ولهذا فقد قبلوا منهم فدية قانونية عادلة (لاتتجاوز مقدور أضعفهم) بل إن فيهم من أطلق سراحه بتعليم عشرة من أطفال المدينة القراءة والكتابة ، وهذه الفدية الجديدة تنافى ما أشيع من عداء الاسلام للعلم وحثه على الغزو

وكان من أسرى بدر سهيل بن عمرو ، وكان سهيل قد شنع بخطبه على الرسول ، فقال له عمر بن الخطاب : دعنى أنزع ثنيتى عمرو فيدلع لسانه ، فلايقوم عليك خطيباً فى موطن أبدا

وكان ذلك أقل ما يجب أن يفعله الرسول (ص) برجل شنع عليه بخطبه ، وهو لو فعله لما تجاوز العدل قط ، ولكن الرسول (ص) تنزه عن الحسد ، والحقد ، وتطهر قلبه بالاسلام من جميع أهواء النفوس فى الجاهلية ، فما كان منه إلا أن قال : «لا أمثل به فيمثل الله بى وإن كنت نبياً »

ياله من إيمان سام ! يعلو بالنفس عن أحقاد الدنيا ، ويحملها على اتصال بخالقها ، فلا تتدلى لحضيض الأهواء البشرية الفاسدة

فقد أدب الله نبيه فأحسن تأديبه ، وليس من الأدب قط أن يمثل الانسان بأخيه ولو كان نبياً ! ... ولذا أبى الرسول أن يمثل بسهيل بن عمرو ، بل رده إلى قومه عزيزاً مكرماً ، ليعلم البشرية بذلك درساً سامياً كاد جهلها به أن يرديها فى هوة الشقاء .

ولسنا نتبين جلال هذا الموقف ، وسمو هذا العفو ، إلا بمقارنتهما بتمثيل قريش وغدرها .. فمن ذلك ما حدث لقتلى المسلمين فى واقعة أحد « فقد طافت هند بن عتبة والنسوة اللاتى جئن الميدان معها ، تجدع آذان القتلى وأنوفهم ؛ ولما وصلت إلى حمزة بن عبد المطلب بقرت بطنه وأخرجت كبده فلاكتها فلم تسغها فلفظتها واتخذن من آذانهم وأنوفهم قلائد عدن بها إلى مكة »

وانظر إلى هذه الحادثة التى يتمثل فيها اللؤم والغدر بأجلى مظاهرهما ، والتى قابل بها المشركون القرشيون إخوانهم المسلمين بعد أن عفوا عن أسراهم ، وكان فى قدرتهم أن يمثلوا بهم ، ويجزوا أعناقهم عن أجسادهم ؛ فقد طلب أبو براء عامر بن مالك بن جعفر العامرى من النبي (ص) بعثاً يبشر قومه فى نجد ، وكان النبي يعرف غدر قريش والمشركين ، وكان يقدر سوء مصير هذا البعث الذى سيبعثه إليهم ، ولكن عامر بن مالك ما زال به حتى حمله على إيفاد هذا البعث ، فلقيهم عامر بن الطفيل عند بئر المعونة ففتك بهم جميعاً دون أن يبدؤوه بحرب أو عداء ، وهكذا قضوا فى سبيل الله يحملون إليه أرواحهم الطاهرة على أكفهم البريئة وكانوا (٧٥) شهيداً ، فتأمل ! ...

ولقد كانت هذه الحادثة ، وما تجلى فيها من ضروب التقطيع كافية لأن تستفز النفوس النافية ، والأحقاد الجاهلية والحزازات الدميمة ، ليأخذ المسلمون بثأرهم ، ولكن هيهات ! هيهات !

فعصر الثأر قد مضى وانقضى ، وليس لهم إلا أن يصبروا على هذا الكيد والبلاء

وفى غزوة دومة الجندل دعا النبي عبد الرحمن بن عوف وسلمه اللواء وقال له : « خذ يا ابن عوف ، سيروا جميعاً فى سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم »

فمن هذه الوصية الخالدة ، وما فيها من أسمى المبادئ الانسانية تتبينون حقيقة الاسلام وقاعدة جهاده ضد من كفروا بالله وناوؤا رسوله ، وأذلوا المؤمنين ...

« البقية فى العدد القادم »

خليل جمعة الطوال

إلى شباب القصصيين

كيف احترفت القصة

قصة الآنسة (ديلافيلد)

للأستاذ أحمد فتحى

لقد ظلت أول قصة كتبتها حتى اليوم بغير أن تنشر ، ومن ودى أن تبقى كذلك أبد الدهر دون أن تخرج للناس

ولقد كتبتها أيام كانت أحلام مثيلاتى من الطالبات منحصرة فى أن يتم للواحدة مرح الشابة « الأيرلندية » العابثة !. ومن المحقق أننى كنت متأثرة فى قصتى الأولى بهذه الروح . وإنى لأذكر عنها القليل جدا ، ومن ذلك القليل أن البطلة كانت تسمى « بليس » وأننى جعلتها تموت وهى غضة السن : أعنى لم تعدُ السبعين ! بينما كنت أنا بين الثانية عشرة والرابعة عشرة. ولم يكن الحب — فى تلك الأيام — ليخطر على بال إنسان لم يودع عشرين ربيعاً من عمره

على أن كثيراً من المشاهد التى كنت قد بنيت عليها هيكل تلك القصة ظل عالقاً بذهنى مدى عشر سنوات كاملة ، تقمص بعدها إهاب قصتى الأولى الجدّية « زيللا »

* * *

وربمـا كان من الخير أن أشير هنا إلى أن قصتى الأولى « زيللا » لم تكن أكثر من دراسة « سيكلوجية » لفتاة بين الرابعة عشرة والثامنة عشرة ، كان عليها أن تعانى اضطراب وراثة مختلطة تضطرب بين انجليزية وفرنسية

وحينما فكرت فى أمرها أول الأمر وأنا فى غرفة دراستى ، كنت أوثر أن تكون لها نفس صافية ، بينما تفتقر إلى الخلق الشخصى القويم ، حتى أنها تخدع نفسها بنفسها ، وينتهى بها الحال إلى أن تعود غير خليقة أن تؤتمن على أية حقيقة على وجه الإطلاق

ولم تكن القصة التحليلية — حينذاك — قد عرفت سبيلها إلى الذيوع ؛ ولاسيما فى الأوساط المدرسية ؛ وبذلك كان اختيارى الطبيعى لهذا الطراز محددا للمنهاج الذى التزمته ودرجت عليه فى مستقبل أيامى

ولقد علمت ، عامدة أو غير عامدة ، أن البطلة الأنموذج فيما كان تتاح لي قراءته من القصص ، لم تكن تعنى كثيراً بمطابقة الحقيقة ومحاكاتها . حتى أن تلك القصة العظيمة التى كتبتها « مارى كولنديلى » باسم « الطمام الأحمر » والتى ضمنتهـا كثيراً من أروع الشخصيات ، لم تخل من هفوة أوشبه هفوة ، فى تصوير بطلتها « راشيل » فتاة خيرة راجحة العقل . فان المؤلفة لم تشأ أن تبرز بطلة قصتها فى الصورة السمجة التى لا بد أن تكون عليها فى الحياة الواقعة ؛ وهذا سر ضعفها . بل لقد بلغ إبرازها بهذا الوصف الخير من الثقل حد الطغيان على باقى شخصيات هـذه القصة التى اختلط فيها الخير والشر مثـل اختلاطهما فى أفراد الجنس البشرى بغير استثناء !

ولقد أوليتُ هذه القصة « الطمام الأحمر » عناية فائقة ، لأنها كانت أول قصة عصرية حيوية أذكر أننى قرأتها بعين النقد وأعدت قراءتها مرات ومرات ، كما أصنع دائماً بالكتب التى أفضلها ، وبذلك استطعت أن أحللها بكل دقة ، فى حدود طاقة طفلة فى مثل سني حينذاك

ولقد وضح لى منذ ذلك الحين أن رغبات الناس وتأثراتهم حيال الظروف المختلفة أمر ليس من السهل أن يُقرأ ، أو يُكتبَ عنـه ، وأن تنزيه المؤلف لبطل قصته عن الأخطاء ، من أشنع الأخطاء ! وكذلك أنجيت بطلة قصتى « زيللا » من التعرض لمثل هذه المؤاخذة . والحقيقة أنه كان يروق لى أن أبرز نقائصها أكثر مما كان يروقنى إبراز ما فيها من فضائل ، فلم أكن أرغب مطلقاً أن أسمو بها عن المزالق الطبيعية التى يتورط فيها نظائرها من الشباب !

وبعد بضع سنين ، حين كانت القصة بين يدي الناشر ، كاشفته برغبتى فى تغيير اسمها باسم آخر رمزى هو « الحرباء » ولكنه ردّنى عن هذه الرغبة فى رفق ، زاعماً أن من القسوة على

البطلة أن أشبّهها بهذا الحيوان البارد المتلوّن !

على أنه قد يوجهنى أن أضيف إلى ما تقدم أننى حين كتبت « زيللا » لأول مرة ؛ وقبل أن أبدل فيها كثيراً أو قليلا ؛ كنت قد ختمت فصولها بمأساة فاجعة . وكذلك كانت تُختتم غالبية القصص التى قدر لى أن أقرأها إلى ذلك العهد . وعلى أى حال فقد كنت فى سنّ لايتورع فيها الانسان من أن يتسم للفواجع ! وإنما كنتُ فى الواقع أتوق من عاصرونى بمجمل الفكرة فى قصة « زيللا » تمهّد لتصوير البطلة فى موقف مفاجأة عنيفة يتلخص فى اقتحامها بيتاً وهو يحترق ، كى تنقذ طفلا ؛ فاذا بها تجد نفسها طعمة للنيران فتحترق وتموت !

وأظن أنى شعرت فى غموض بأن وجود هـذا الطفل فى ذلك البيت المحترق ، يعلل اقتحام الفتاة النيران بدافع غير سيّء ! حتى ولو لم يكن الدافع لهـا على ذلك هو روح بطولة ، وأؤكد أننى لم أتصرف تصرفاً كهذا فى حياتى ، مهما كان الدافع إليه مما يجعله — فى نظرى — على درجة عظمى من البطولة الحق ! !

على أننى قرأت بعد ذلك بأمد ، كتاباً للمستر « روبرت هيوبنس » اسمه « الجبان » انتهى أمر بطله إلى نفس تلك النهاية ذاتها ، غير أن الصورة النفسية فيه كانت أقلّ رداءةً ! كما أنى قبل أن أضع لختام قصتى فكرة احتراق البيت ، كنت أنوى أن أختتمها بانتحار البطلة ! وكانت خاتمة كهذه خليقة بإنجاح القصة فى نظرى !

***

وبعد أن لبثت هذه الخواطر الفجّة المتداعية متأرجحة فى ذهنى ست سنين أو سبعاً ؛ نتج منها آخر الأمر شيء له هيكل « القصة » ... على أن عملى لم يكن ليتجاوز تصوير بعض الشخصيات التى خالطتها وخبرتها من كثب وتأثرت بها فى مدارس الرهبنة

وإنى لأذكر جيداً أننى لم أنفق أكثر من ستة شهور أوسبعة فى تسجيل فصول هذه القصة تسجيلا نهائياً . على أنى لم أكن أكتب إلا فى أوقات فراغى ؛ وقد أخذت أوقات الفراغ هذه فى التضاؤل بعد أن وضعت الحرب أوزارها ، واستؤنفت الأعمال بهمة ونشاط

على أن فصول القصة لم تُكتب تباعاً ، وإنما كنت أشرع فى الكتابة حالما أحس الرغبة فى ذلك ، فأثبت الحلقات الضرورية ، بحيث أصل بين الصفحات كلما بدا لى أنها قد انفصل بعضها عن بعض . وهذه الطريقة — إذا جازت تسميتها كذلك — كانت كل ما فى وسعى ، لأنه لم تكن لدى أية فكرة إنشائية عن فن القصة ، بل لم يكن وجود مثل هذه الفكرة ليخطر ببالى . وإنى لأتصور أن قليلا من قصص الناشئة قد كتب بمثل ما كتبت به حرارة العاطفة . ولقد استمرأت الكتابة بسرعة وبقلة اكتراث ؛ وكان مضحكا أن أقرأ الفصول الطوال على أصدقائى فى صوت مرتفع ؛ وكان من هؤلاء الأصدقاء واحدة فقط تتنبأ لقصتى بصلاحيتها للنشر ، وربما لم يكن بين الباقين من آمن بصحة نبوءتها !

وفرغت من الكتابة فى « إيستر » عام ١٩١٦ حين كنت معتزمة الرحيل ، وقد كنت أؤمل أن أنتهى من أمرها قبل رحيلى ، وإنى لأذكر جيداً كيف كتبت بعض الصفحات الأخيرة وأنا جاثية إلى منضدة ، بسبب عـدم وجود مقاعد ساعتذاك فى بيت الغرباء الذى كنت فيه ، وما كدت أنتهى من الكتابة على هذا النحو حتى هرعت فلحقت القطار

***

وإنى الآن لأستدعى ذكريات صفحات هذه القصة بعد فراغى من كتابتها بقليل ، وكيف كنت لا أظن كلمة واحدة منها تحتمل الحذف ، فضلاً عن جريان القلم الأحمر على نصف صفحة كاملة مثلاً . وكذلك كنت شديدة الاعتداد بهذا العمل الأدبى الذى كتبته بأقصى سرعة تسمح بها حركة القلم على الورق ، حتى أننى كنت شديدة الاعتقاد بأن قصتى فوق التنقيح وفوق التصحيح

على أنى لا أزال حتى اليوم ، وبعد احتراف الكتابة عشرين عاماً ونيفاً ، كما كنت وثيقة الايمان بأن إعداد الفصول للنشر إعداداً نهائياً هو أصعب مراحل الانتاج الأدبى على وجه الاطلاق

ومن الخير أن اسمي المستعار الذي ظهرت به أعمالي الأولى كان من اقتراح شقيقتي ولكنه لم يكن من ابتدائها، إذ كان اختراع قصصي معاصر شهير، ولكنني وفقت إلى توقيع حرفي حسن هو « ا. م » ولم أكن أقصد به أن يخطىء الناس فيظنوني رجلا ولكنني استعملته متابعة لكاتب معاصر كنت ولا أزال أقدمه على سواه.

ونصحت لي إحدى الصديقات بالبحث عن ناشر؛ ولم تلبث هي أن قدمت قصتي إلى « وليام هاينمان » فوافق على نشرها على الفور. ولا أزال أحتفظ بذلك الخطاب الرقيق الذي بعث به إلي حينذاك.

ولم يكن لأمي علم بأنني وضعت كتاباً. ولقد كان عندها واحد من الأقرباء لا يفقه الأدب حين بلغتها برقية مني بأن كتابي قد وافق عليه الناشر! وبعد ساعة واحدة، وصلتها برقية أخرى علق عليها ذلك القريب الجاهل بقوله لأمي « لعلها تخبرك أن الأكاديمية الملوكية قد قبلت إحدى لوحاتها الزيتية » ؟!

وعلى أي حال، فقد كان اسم «زيللا» من وضع مكتب الناشر « هاينمان » وربما كان على التحقيق من وضع المستر «ف. تومسون» الذي كان يقرأ له كل ما يراد نشره!

وظهر الكتاب في مارس ١٩١٧. وصادف ظهوره نجاحاً فائقاً كباكورة أعمالي القصصية. وقد ظل الناشر نفسه يجهل اسمي الحقيقي حيناً طويلا بعد ذلك

ومما هو جدير بالاشارة أن المستر « هاينمان » قد تفضل — بعد ظهور الكتاب — فدعاني إلى الغداء، حيث قدمني إلى ثلاثة من مشاهير الأدباء المعاصرين، وهذا ما لم يكن يطمع في مثله ولا بعضه أي قصاص مبتدئ! ولكنني كنت صغيرة السن جداً كما كنت قليلة الخبرة بأمور الحياة الأدبية، فلم أومن بهذا الفضل! بل إن غداء المستر « هاينمان » قد ظل أول وآخر عهدي بالمجتمعات الأدبية إلى الآن!

***

وكلما أعدت قراءة قصتي الأولى « زيللا » بعد الطبع، استرعت نظري فيها جدة خاصة، أظنها الطابع المميز لمعظم الأعمال القصصية الأولى، كما تسترعي انتباهي أيضاً طريقة كتابتها التي أصبحت بها بعيدة المهد. والواقع أنها لم تكن قصة بالمعنى الصحيح بقدر ما كانت تسجيلاً تعقيبياً لما تميزت به البطلة من ضعف طبيعي جر على حياتها أسوأ العواقب. على أني أعتقد بأن استعراض شخصياتها لم يكن رديئاً. وكما أسلفت، أرى أن ضعف هذه القصة ينحصر في طريقة بنائها، وفي انعدام العقدة الفنية فيها، بحيث أنها كان من الجائز أن تختتم في منتصف فصولها، دون الاستطراد إلى مئات من الصفحات الأخرى.

ولكن ... بعد أن تم كل شيء أحسست بشعور دافق من الارتياح يغمرني. ولست أنسى أبداً تلك اللحظة السعيدة التي تسلمت فيها النسخ الخمس الأولى من قصتي هدية من الناشر ...!!

المترجم

احمد فتحي

التاريخ فى سير أبطاله

ابراهام لنكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادى ! خذوا معانى العظمة فى نسقها الأعلى من سيرة هذا العصامى العظيم ... ...

— ٣٦ —

وتعجب ما كايلان وتعجب الناس معه من هذا المحامى الذى يدلى برأى فى الخطط الحربية كأنه من أصحاب الحرب وممن لهم بفنونها خبرة ؛ وما عرف عنه أنه شهد حرباً من قبل ، اللهم خلا تلك المعركة الضئيلة التى اشترك فيها وهو فى صدر شبابه متطوعاً ضد الصقر الأسود ...

ولكن الذين يؤمنون بسر العبقرية لم يروا فى الأمر عجباً ؛ وكذلك كان الذين تربطهم بالرئيس صلة من كثب ، والذين رأوا رجاحة عقله وسلامة منطقه وقوة لقانته . ومن ذا الذى يقول إن الكتب هى التى أوحت إلى نوابغ العالم فى شتى مناحى الحياة ما أتوا به من المعجزات ... ؟ إنما يسير هؤلاء على نهج من فطرتهم وعلى هدى من نور عبقريتهم ...

وهل التوت الأمور على ذلك الرجل فى السياسة ولم تكن له بأسبابها من قبل صلة ؟ أو لم يحمل الذين أشفقوا أول الأمر من رياسته على محبته ثم على الاعجاب به ؟ وإذا كان هذا هو شأنه فى السياسة ولم يتعلمها فلم لا يكون كذلك فى أمور الحرب وهو قد استعان بالمعلمين الاخصائيين فى تعرف مداخلها بادئ الرأى ؟

أخذت الأزمة تشتد فى الميادين ، وذلك بتوالى الهزائم على أهل الشمال إذ كان هؤلاء ينقصهم القادة القادرون ، ولولا أن كان لهم لنكولن فى كرسى الرياسة يومئذ لحاق بهم الفناء ؛ والذين يتتبعون أدوار الحرب يشهدون أن النصر فى النهاية كان مرده إلى شخص الرئيس فلقد كان وحده جيشا مغالبا ، وكان وهو رجل الأمة وحده أمة فى رجل ...

وكان القواد فى الميادين يبذلون ما فى وسعهم لا يألون جهدا للوصول إلى النصر ، ولقد كان لبعضهم خطوات موفقة فى هذا السبيل ونذكر من هؤلاء جرانت الذى سوف يعظم شأنه حتى يصبح رجل هذه الحرب

أما ما كايلان فقد ظل على حاله يدرب جنده ويطلب المزيد من الفرق ، والرئيس صابر على ذلك لا ينفد صبره وإن أوشك أن ينفد صبر الناس ، فلقد كانوا يستعجلونه الزحف على رتشمند عاصمة الجنوبيين

ومع أن الرئيس قد أمره بالزحف فى نهاية يناير عام ١٨٦٢ أى بعد نحو تسعة أشهر منذ بدأت الحرب ، فانه لبث مكانه حتى شهر مارس ثم أخذ يتحرك ولكن فى بطء وحذر مما دعا الرئيس أن يطلب إلى وزير الحربية أن يستحثه ولكن ما كان أعظم دهشتهما حينما كتب إليهما ذلك القائد يطلب المزيد من الرجال ، وحجته فى ذلك أن العدو متكاثر أمامه

وفى مثل هاتيك الظروف التى كانت تتطلب من الرئيس ما أشرنا إليه من جهد يأبى القدر إلا أن يصوب إليه سهماً يصمى مهجته ويوشك أن يذهب بلبه ويزعزع فؤاده ، فلقد غالت المنية أصغر بنيه وهو صبى فى العاشرة من عمره . ولقد كان وأخاه يزوران مستشفى من مستشفيات الحرب فسرت إليهما العدوى ، ولم يقو الصغير على المرض فذوى كما تذوى الزهرة ولدت مع الصبح ولم يكن لها إلا مثل عمر الندى ...

لقد ارتاع الرئيس ووهى جلده أمام تلك المصيبة ورأى الناس ذلك الطود الأشم يتمايل ويتخاذل من الوهن وهو لا يستطيع أن يخفى عن الناس جزعه ولوعته ؛ وإنه ليجهش بالبكاء كما يجهش الصبى وفى عينيه حزن وحسرة وفى وجهه صفرة كصفرة الموت.. علم من الممرضة أنها فقدت زوجها وولديها فسألها ذلك العملاق الذى يحمل عبء قومه كيف تحملت تلك المصائب ؟ فأجابته أنها تحملت ضربات الدهر ضربة ضربة وأنها تثق فى رحمة الله فنه العزاء والسلوان ... وهنا يجيبها ذلك الرجل العظيم الشديد البأس أنه سيحاول أن يتعلم الصبر منها وأنه يثق أيضاً فى رحمة الله وأن الله سيهبه العزاء ثم يردف قائلا « أتمنى لو كان لى مثل إيمان الأطفال هذا الذى تتحدثين عنه » ... ويعبر عن مبلغ

حزنه بقوله « إنها أعظم محنة لاقيتها في حياتي . . لم كان هذا ؟ لم كان هذا ؟ » .

ولقد كان الرئيس لنكولن في محنة قومه ثبت الجنان حتى لتزعزع الجبال ولا يتزعزع ، ولكنه كان مع ذلك رؤوفا عطوفا يكره الحرب ويتألم منها أكثر مما يتألم الناس جميعاً ، ويتمنى أكثر مما يتمنى غيره أن تضع أوزارها في أقرب وقت ... ولذلك كان ينكر على المتشددين تشددهم ، ولا يقر أحداً على قسوة أو يطاوعه في صرامة ، فاذا أنس الرئيس من محدثه غلظة على العدو تجهم له وأشاح عنه ، في حين أنه كان يقبل على من يطلب إليه اللين والمغفرة وهو يقول له وللناس جميعاً أنه يمقت تلك الحرب من أعماق قلبه وإنه ما دخلها إلا وهو موقن أنها شر لابد منه ، وما أراد بها إلا أن تكون علاجاً لمعضلة باتت تهدد كيان بلاده .. أما أن تكون انتقاماً وعلواً في الأرض واستكباراً فليس هو من ذلك في شيء ...

وكثيراً ما كان يصدر من الأمر ما يتعجب منه القواد ولا يشايعونه الرأى فيه وإن نفذوا ما أمر به . ساقوا إليه في تلك الأيام شاباً حكم عليه أن يرى بالرصاص لوجوده نائماً في الخطوط وكانت عليه الحراسة ؛ فسأله الرئيس عن سبب نومه فعلم أن ذلك كان بسبب الاجهاد فانه كان متعباً من قبل وأخذ الحراسة بدل زميل له مريض . وهنا صرفه الرئيس ولم يرض أن يكون جزاء اجتهاده ومروءته الاعدام ... وما قيمة قوانين الحرب عنده ؟ إنما هو يستمد قوانينه من قواعد الانسانية ، ولذلك تراه يصيح بالقواد « إني لا جلد لي أن أفكر أنني ألقى الله ودماء هذا الشاب المسكين على يدى » ...

***

أجاب الرئيس ماكيلان إلى ما طلب وأمده بالرجال لكيلا يكون للقائد حجة عليه ، فلقد كان يشيع في الناس من أول الأمر أن عدم تحرك القائد إنما يرجع إلى أن الحكومة تضن عليه بالمال والرجال . . . ولقد كتب إليه الرئيس خطاباً كان مما جاء فيه « أحسب أن القوات التي سيرت إليك قد بلغتك ؛ وإذا كان الأمر كذلك فإنك الآن في الوقت الذي ينبغي أن تضرب فيه ضربة . . إن العدو بتأخرك يكسب نسبياً »

ولم يسع القائد إلا أن يصرح في رسالة له أنه واثق بعد من النتيجة وأنه أخذ في الزحف ، ولكنه في الوقت نفسه أخذ يشكو من المطر الهطال ومن الطرق الوعرة، فكان هذا هو جهد ما فعل ... وأخيراً لم ير الرئيس بداً من أن يبرق إليه في الخامس والعشرين من مايو يقول : « أظن أنه قد أزف الوقت لكي تهاجم رتشمند أو تدع هذا العمل جانباً وتأتي للدفاع عن وشنجطون »

فكأنما أراد ماكيلان في ذلك الوقت أن يكيد للرئيس ، أو كأنما أراد أن يحاول أن يحاول مشاكل جديدة يتخذ منها ذريعة لهذا الجمود فلقد كتب إليه ينتقد الموقف الحربي كله في جميع الميادين ولم يقتصر على شؤون الحرب ، بل راح ينتقد الحكومة في جميع شؤونها !

وتقدم القائد بعد ذلك نحو رتشمند تقدما بطيئاً ، فأدى ذلك إلى أن أرسل الثوار المدد إلى جيشهم الذى كان في طريقه لتهديد وشنجطون، وهنا لا يتردد ماكيلان في أن يرسل إلى وزير الحربية قائلا إنه يزمع أن يتراجع . ومما جاء في رسالته قوله : « إذا أنا نجيت هذا الجيش فأني أقول لك في بساطة إني في ذلك لن أدين لك بشكر ، لا ولا لأى شخص في وشنجطون ، فلقد بذلتم قصارى جهدكم لتحطيم هذا الجيش »

وكان القائد لى في ذلك الوقت يزحف على وشنجطون ، وكان على حمايتها بوب أحد قواد الشمال ومعه ثمانية وثلاثون ألفا من الرجال ولكن جيش لى كان أكثر عددا وأشد بأسا ؛ وتبين أن خير وسيلة لرد لى عن وجهته أن يبادر ماكيلان بالزحف على رتشمند لا أن يتراجع ويتباطأ كما فعل

ولما يئس الرئيس منه في هذا السبيل أرسل إليه يدعوه لحماية العاصمة ، ولكنه أبى أن يطيع حتى هذا الأمر وكتب يقول إنه سيجيبه إلى ذلك « إذا رأى الظروف تسمح به » وكان ذلك في شهر أغسطس ، ولقد عاد الرئيس فكتب إليه يطلب إليه القدوم بكل ما في وسعه من سرعة وأبرق إليه القائد هاليك يستحثه ولكنه لم يأبه بذلك كله ولم يصل إلا بعد شهر من هذه الدعوة ...

وكان أمرا طبيعيا أن تنزل الهزيمة بالقائد بوب وأن تبيت وشنجطون معرضة للسقوط ؛ ولقد عاود الذعر هذه المدينة على

نحو ما حدث غداة الهزيمة فى معركة بول رن ، بل لقد كان الموقف يومئذ أشد هولا ؛ إذ اختلفت وجهات النظر فى مجلس الوزراء واحتدم الجدل فى المجلس التشريعى ، وارتفعت الأصوات بطلب عقد الصلح مع الجنوبيين، الأمر الذى خيف منه أن يؤدى إلى انحلال العزائم ... ولكن لنكولن وحده بقى على عزمه وثباته يعالج الموقف بالصبر والحزم ويهيب بالرجال ألا يتخاذلوا وينكصوا على أعقابهم ...

ولقد كان للناس من هذا الصبر والثبات مثل ما يكون من النصر في معركة ، وبذلك تضاءل فزعهم وعادت إليهم الثقة ووقفوا إلى جانب رجلهم

ثم إن الرئيس ضم عدداً من الجيوش بعضها إلى بعض وجعل منها جيشاً جديداً وضمه تحت قيادة ما كيلان ، وطلب إليه أن يقابل لى بهذا العدد الهائل الذى بلغ مائتى ألف، فلم يفعل ما كيلان كما طلب الرئيس فأصاب أهل الشمال هزيمة أخرى فى شهر سبتمبر

وأخيراً التحم جيش ما كيلان وجيش لى فى معركة عنيفة هى معركة انتيتام ، فلم ترجح كفة أحدهما ، ولكن لى اضطر أن أن يوقف الزحف ، بل اضطر أن يعبر نهر بوتوماك الذى كان على أبواب العاصمة ، متراجعاً بذلك عنها ، فكان على ما كيلان ألا يضيع هذه الفرصة فيتعقب الجيش المتراجع ويعركه فى تراجعه ويوقع به هزيمة تفت فى عضده ، ولكنه قعد دون ذلك على رغم إلحاح الرئيس عليه أن يفعل ، وراح يطلب المدد من جديد . . . وأصدر الرئيس إليه أمراً أن يسير فى أثر الجيش المتراجع ولكن دون جدوى

ولقد بلغ من استهتار العدو بقوة الشماليين أن عبر أحد القواد الجنوبيين النهر بجنده وسار حتى اقترب من وشنجطون وألحق بأهل الشمال هزيمة منكرة ، وأحاط بجيش ما كيلان ، ولولا قلة عدد جنوده لأدى هجومه إلى كارثة ليس بعدها كارثة

على أن ما كيلان قد أساء إلى نفسه قبل كل شيء ، فلقد فقد منزلته عند الناس ، وبعد أن كان اللوم يوجه أول الأمر إلى الرئيس وحكومته أصبح يوجه إلى هذا القائد الذى أضاع كثيراً من الفرص بجموده ... وراح الناس يتهمونه بأنه يفعل ذلك لغرض فى نفسه، وهكذا أخذ يتضاءل شأنه حتى هان أمره على الناس وتأبى الرئيس أن يعزله ليبحث عن قائد غيره ...

وربما أُخِذَ على الرئيس طول صبره على ما كيلان ومصانعته زمناً على الرغم من تطاوله فى غير مبرر ؛ وبذلك يكون الرئيس هو الملوم فى ضياع الفرص أو يكون على الأقل شريكا لما كيلان فيما هو خليق به من اللوم ؛ ولكن الرئيس لم يكن غراً، فهو يعلم أن كثيراً من جنود ما كيلان مفتونون به ، يخلعون عليه من صفات العبقرية ومن معانى البطولة ما لا يتهيأ لقائد غيره . وكذلك كان لما كيلان أول الأمر فى قلوب الناس من غير الجند مكانة عظيمة ، وإذاً فلم يكن من الحكمة فى شيء أن يقف الرئيس منه موقف البغض والنفور فيؤدى موقفه هذا إلى فتنة فى وقت أن كانت البلاد أحوج ما تكون إلى الاتحاد ولم الشمل

على أن لنكولن كان بمصانعته ما كيلان على هذا النحو يظهره على حقيقته ويكشف للناس عن مواطن ضعفه ، بينما كان هو يبهرهم بقوة صبره ، تلك الخلة التى كان لها أعظم الأثر فى إنقاذ البلاد من الخطر فى تلك الأيام العصيبة ، وأى صبر هو أعظم من هذا الصبر فى زمن توالت فيه على الرئيس الهموم والشدائد ؟

لقد كان ابراهام يتلقى الأنباء عن عدد القتلى والجرحى وهو أكثر الناس إشفاقاً وجزعاً ، ولقد كان يسأل عن العدد من الفريقين المتحاربين لا من فريقه فحسب فيحزن لهؤلاء جميعاً ، كأبناء أمة واحدة

ولقد كان الرئيس يذرف الدمع على ما يصيب رجاله فى تلك الحرب الهائلة . ذهب ذات مرة إلى مقر أحد الجيوش فعلم بموت صديق له كان من جلسائه فى سبرنجفيلد ، فأسرع إلى العودة مضطرباً يداه على صدره كأنما يمسكه أن يتصدع، وعيناه تفيضان، وعلى وجهه شحوب وكدرة ، وإنه ليسير بين الجنود لا يلتفت إلى تحياتهم فلا يردها من شدة الغم وتكاد لا تقوى على حمله رجلاه ..

وفى تلك الأيام كان لا يفتأ يقرأ شكسبير، ففى مآسيه عزاء لنفسه الحزينة . على أن عينيه تغمان ذات مرة على تساؤل أم ولهى تقول : « لقد سمعتك أيها الأب الكاردينال تقول إننا سنرى ونعرف أصدقاءنا فى السماء . ولئن كان هذا حقاً فلسوف

الكميت بن زيد

شاعر العصر المرواني

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

هاشمياته :

تكاد الهاشميات أن تكون كل ما بقي من شعر الكميت . وقد كان للكميت شعر كثير بلغ إلى موته خمسة آلاف ومائتين وتسعة وثمانين بيتاً ، ولا أدرى كيف ضاع هذا القدر الكثير من شعر الكميت ، ولعل شهرة الهاشميات هي التي غطت على غيرها من شعره ، فشغل الناس بها عنه .

ومن هاشمياته لاميته التي تبلغ تسعة وثمانين بيتاً ، وقد ابتدأها بقوله :

ألاَ هل عَمٍ في رأيه متأمِّلُ
وهل مُدْبِرٌ بعد الإساءة مُقْبِلُ

فافت به أهل عصره من الهزل إلى الجد ، وأرسلها صرخة قوية في آذان أولئك الغافلين ، ليصحو من غفلتهم ، ويتنبهوا إلى الخطر المحدق بهم ، وهو في هذا ينسي شخصه ونفسه ، ولا يفكر إلا في مصلحة أمته ، ولا شك أن من ينظر إلى هذا المطلع وخطره يدرك الفرق الشاسع بينه وبين المطالع العابثة التي اعتاد شعراء العربية أن يفتتحوا بها قصائدهم .

وقد مضى بعد هذا يضرب في هذه اللامية على هذا الوتر فقال :

وهل أمة مستيقظون لرشدهم ... فيكشف عنه النعسةَ المتزملُ
فقد طال هذا النوم واستخرج الكرى ... مساويهم لو كان ذا الميلُ يعدل
وعطلت الأحكام حتى كأننا ... على ملة غير التي ننتحل
كلام النبيين الهداة كلامنا ... وأفعال أهل الجاهلية نفعل

إلى أن قال :

فتلك أمور الناس أضحت كأنها
أمورُ مُضيعٍ آثر النومَ بُهَّل

ثم أخذ يوجه صرخته إلى خاصة الأمة وساستها ، بعد أن صرخ بذلك في دهمائها وعامتها ، فقال :

فياساسة هاتوا لنا من حديثكم ... ففيكم لعمري ذو أفانين مِقول
أأهل كتاب نحن فيه وأنتم ... على الحق نقضي بالكتاب ونعدل
فكيف ومن أنى وإذ نحن خلفة ... فريقان شتى تسمنون ونهزل
بُرينا كبرى القدح أوهن متنه ... من القوم لا شارٍ ولا متنبل

إلى أن قال :

فتلك ملوك السوء قد طال ملكهم
فحتام حتام العناء المطول
رضوا بفعال السوء عن أمر دينهم
فقد أيتموا طوراً عداء وأثكلوا

كما رضيتْ بخلا وسوء ولاية ... لكلبتها في أول الدهر حومل
نباحا إذ ما الليل أظلم دونها ... وضرباً وتجويعاً خبال مخبلٌ

وما ضرب الأمثال في الجور قبلنا
لِأجورَ من حكامنا المتمثل

تحلُّ دماء المسلمين لديهمُ ... ويحرم طلع النخلة المتهدِّل
وليس لنا في الفيء حظ لديهمُ ... وليس لنا في رحلة الناس أرحل
فيارب هل إلا بك النصر يُرتجى ... ويارب هل إلا عليك المعول

ثم انتقل إلى تذكير الناس بمقتل الحسين رضي الله عنه ، فقص من أمر هذه الحادثة الأليمة ما يثير الشجن في النفوس ، وعاؤها غيظا وسخطا على هؤلاء الملوك ، وفي هذا يقول :

ومن عجب لم أقضه أن خيلهم ... لأجرافها تحت المجاجة أزمل
همَاهِمُ بالمستلئمين عوابس ... كحدآن يوم الدَّجن تعلو وتسفل
يحلِّئن عن ماء الفرات وظله ... حسيناً ولم يُشهر عليهن مُنصل

أرى ابني ثانية » . فانظر إلى الرجل يضع الكتاب ويكب بوجهه على كفيه فيملأهما من روافد دمعه ...

ذلك هو الرجل الذي كان يقوم على شؤون هاتيك الحرب . فلله ما أقسى الأيام ! إن فؤاده ليكتوى بنارها كلها ؛ وإنه ليحس كل ضربة أو طعنة تصيب كل رجل غيره من الرجال ، ولكن عليه أن يحمل الأهوال ، وإلا فمن يحملها كما يحمل من الأبطال ؟

« يتبع » الخفيف

كأن حسيناً والبهاليل حوله لأسيافهم ما يختلى المتبقل

فلم أر مخذولا أجل مصيبة وأوجب منه نُصرة حين يخذل

يصيب به الرامون عن قوس غيرهم

فيا آخراً أسدى له الغي أول

إلى أن قال :

فان يجمع الله القلوب ونلقهم لنا عارض من غير مزن مكال

على الجرد من آل الوجيه ولاحق تذكرنا أوتارنا حين تصهل

نكيل لهم بالصاع من ذاك أصوعاً ويأتيهم بالسجل من ذاك أسجل

ثم انتقل إلى مقصوده من الدعوة إلى بني هاشم بعد أن ألهب النفوس بذلك وحركها للثورة فقال :

ألا يفزع الأقوامُ مما أظلّهم ولمّا تجبهم ذات ودقين ضئبل

إلى مَفزَع لن يُنجيَ الناس من عمىً

ولا فتنة إلا إليه التّحوُّلُ

إلى الهاشميين البهاليل إنهم لخائفنا الراجى ملاذ وموئل

إلى أن قال :

فيارب عجل ما يؤمل فيهم ليدفأ مقرور ويشبع مرمل

وينفذ فى راض مقر بحكمه وفى ساخط منا الكتاب المعطل

فانهم للناس فيما ينوبهم غيوث حياً ينفى به المحل ممحل

وإنهم للناس فيما ينوبهم مصابيح تهدى من ضلال ومنزل

لأهل العمى فيهم شفاء من العمى مع النصح لو أن النصيحة تقبل

ثم أخذ يشرح موقفه من هذه الدعوة الهاشمية ، ويلائم بين حاله فى هذه الدعوة الحارة فى شعره ، وحاله فى إحجامه عما يبذله غيره من نفسه في سبيل تأييدها ، ويبين أنه إنما ينتظر بذلك الثورة الكبرى التى تقضى على دولة بنى مروان ، فلا يبخل وقتها بشيء من نفسه وماله ، ولا يرضى بذلك الاحجام الذي يلجأ إليه ، فقال :

لهم من هواى الصفو ماعشت خالصاً

ومن شعرى المخزون والمتنخل

فلا رغبتى فيهم تغيض لرهبة ولا عقدتى من حبهم تتحلل

وإنى على حبيهم وتطلعى إلى نصرهم أمشى الضراء وأختل

تجود لهم نفسى بما دون وثبة تظل بها الغربان حولى تحجل

ولكننى من علة برضاهم مقامىَ حتى الآن بالنفس أبخل

إذا سُمت نفسي نصرهم وتطلعت إلى بعض ما فيه الزعاف الممثل

أتتنى بتعليل ومنتنى المنى وقد يقبل الأمنية المتعلل

وقالت فعد أنت نفسك صابراً كما صبروا أى القضاءين يعجل

أموتاً على حق كمن مات منهم أبوجعفر دون الذى كنت تأمل

أم للغاية القصوى التى إن بلغتها فأنت إذن ما أنت والصبر أجمل

فان كان هذا كافياً فهو عندنا وإنى من غير اكتفاء لأوجل

ولكن لى فى آل أحمد أسوة

وما قد مضى فى سالف الدهر أطول

على أننى فيما يريد عدوهم من المرض الأدنى أسم وأسمل

وإن أبلغ القصوى أخض غمراتها

إذا كره الموت اليراع المهلل

ثم قال فى ختامها :

فدونكموها يال أحمد إنها مقللة لم يأل فيها المقلل

مهذبة غراء فى غب قولها غداة غد تفسير ما قال مجمل

أتتكم على هول الجنان ولم تطع لنا ناهياً ممن يلين ويرحل

وما ضرها أن كان فى الترب ثاوياً

زهير وأودى ذو القروح وجرول

عبد المتعال الصعيدى

فردريك نيتشـــه

للاستاذ فليكس فارس

(تتمـــة)

وفى اعتقادنا أن نيتشه قد فاق كل كاتب فى تصويره واجب الانسان نحو الحياة ، الدنيا لأن العلماء الماديين من جهة اعتبروا الحياة زائلة فما اهتموا لرقّ الإنسان الأدبى فيها قدر اهتمامهم باطالة حياته وإيلائه التنعم الأوفر بالجهد الأقل ، ولأن المفكرين المؤمنين ، من جهة أخرى ، ما كان بوسعهم أن يفكروا للأرض ويحصروا كل جهد فيها كأنها دارُ قرارٍ لأن العمل للأرض ليس إيمانهم كله بل هو نصف إيمانهم ، أما نيتشه فبعد أن أقفل على تفكيره وخياله كلّ نافذة يمكن للروح أن تتطلع منها إلى السماء ، وبعد أن تاقت نفسه إلى الخلود فاستنزله كمنى لهذه الأرض كما يقول جاعلاً هذا التراب وطنَ الانسان الدائم ، لم يسعه إلا توجيه كل قواه لتصوّر إنسانيةٍ تتمتع بكل ما يمكن اعتصاره من الدنيا وتبلغ عليها من الرقى مرتبة الألوهية

***

تلك حقائق لم تفت ثلاثةً من أعلام الشرق العربى أهابوا بنا إلى ترجمة زرادشت ونشره فى هذه البلاد لتسديد عزم الشبيبة فى هذه المرحلة التى يتوقف على نهضتنا فيها مستقبلنا واستعادة أمجاد تاريخنا . أولئك الثلاثة هم المغفور له السيد مصطفى صادق الرافعى فقيد الشرق والعروبة والاسلام، والأستاذ حافظ عامر بك قنصل مصر العام فى الآستانة مؤلف رسالة الحج التى كان لها دوىٌّ فى أوساط المفكرين، والأستاذ احمد حسن الزيات القابض على آداب الغرب باطلاعه وتفكيره والرافع عَلَمَ الآداب الشرقية بقلمه ، وقد تفضل الأستاذ المشار إليه فنشر فى مجلته الرسالة أكثر من ربع الكتاب فى مدى سنة، ولولا تقديرنا أن الزمان سيطول على نشره برمّته لما كنا بادرنا إلى طبعه كاملا مستقلا

إن ما دعانا وأصحابنا المشار إليهم إلى تقرير ترجمة زرادشت هو أننا نظرنا إلى فلسفته من الوجهة اللامسة للمبادىء الدينية الاجتماعية التى نتجه إلى أحياء حضارتنا القديمة على أساسها ، وقد رأينا أن هذا المؤلف الفريد فى نوعه ليس من الكتب التى تنقل إلى بياننا لما لها من قيمة فلسفية وأدبية فحسب، بل هو من الكتب التى يجدر بالناشئة العربية درسها كما يدرسها طلاب الجامعات فى كل قطر أوربى ، فان كتاب زرادشت قد أثر التأثير الأكبر فى تطور الحركة الفكرية فى أواخر القرن التاسع عشر فى عالم الغرب ، واشتمل من المبادىء على ما كان ولا يزال محور الخلاف المستحكم بين ذهنيته وذهنية الشرق العربى بوجه خاص . ولقد مضى على ظهور هذا الكتاب زهاء نصف قرن ولم يكن العالم العربى فى ذلك العهد على اتصال وثيق بالحركة الفكرية الغربية ، فلم يسمع فى هذه البلاد بنيتشه وفلسفته إلا بمقالات موجزة ، وكل ما عرف عنه هو أنه يدعو إلى التحرر من ربقة الأوهام واطراح الزهد واليأس والاتجاه إلى إيجاد الانسان المتفوق .

ولعل المفكرين يسلمون معنا بأن خلوّ المكتبة العربية من هذا المؤلف الفريد الذى ترجم إلى جميع اللغات الحية فاتخذ أنموذجاً بين أبنائها للصراحة والاخلاص فى طلب الحقيقة يعد نقصاً فى هذه المكتبة ويسجل قصوراً علينا ، لذلك اقتحمنا إعارة بياننا لكتاب زرادشت الذى قالت فيه الموسوعة الكبرى إنه لا يعد أروع ما كتب نيتشه فحسب ، بل أروع ما كتب فى اللغة الألمانية على الاطلاق .

ولا بد فى ختام تمهيدنا من لفت المفكرين إلى فصل من كتاب زرادشت عنوانه « بين غادتين فى الصحراء » وفيه نشيد لخيال زارا « صفحة ٢٥٤ » فاننا وقفنا عنده ملياً لأنه من نوع البيان المستغرق فى الرمزية فلا يفهمه القارىء إلا بحسه الكامن وقد لا يتفق اثنان على تأويله تأويلا واضحاً جلياً .

ولو أننا ترجمناه بالحرف لجاء كأحد الرسوم التى ابتدعها أنصار التكعيب يقف الشاهد أمامها فلا يدري أجبلا يرى أم شجرة أم إنساناً .

لذلك اضطررنا إلى ملء بعض الفراغ بين الخطوط ، وإلى الالتجاء لكسر النتوءات عند نقل بعض المكعبات المبهمة الصارمة، فجاء هذا النشيد أقرب إلى البيان المألوف دون أن يخرج عن أصله الرمزي الذى يحتاج إلى كثير من الاستغراق فى تفهم معانيه وخفنا أن نكون تجاوزنا حد الخطوط الأصلية فى النقل

فرجعنا إلى عالم معروف من علماء الغرب ممن أحاطوا بفلسفة نيتشه وذهبوا إلى حد بعيد فى تحليلها وهو حضرة الدكتور روبرت ريننجر الأستاذ فى جامعة فينا نعرض عليه ما رأيناه فى رموز نشيد الصحراء، ونسأله إقرارنا على ما أصبنا فيه وتصحيح ما قد نكون ضللنا فى تبيانه ، فوردنا جوابه مؤرخاً فى ١٩ أبريل من هذه السنة وفيه يقول :

« إننى أرى خلاصة معنى النشيد فى فقرته الأولى المكررة فى آخره وهى : إن الصحراء تتسع وتمتد ، فويل لمن يطمح إلى الاستيلاء على الصحراء » فان نيتشه قد رمز بالصحراء إلى الوجود القاحل الذى لا غاية له ، وقد أتيت على بحث هذا الرمز فى كتابى « جهاد نيتشه من أجل معنى الحياة وغايتها »

«أما سائر ما فى النشيد فأراه يرمى إلى وصف أجواء الصحراء المتمتعة بالحرية وهى بابتعادها عن المعمور تولى أبناءها الحياة الساذجة الطاهرة على نقيض ما تورثه ثقافة أوربا الشمالية من الخشونة والكثافة

أما كلمة « صلاة » فقد أصبتم فى ترجمتكم إياها « حىّ على الصلاة »

« هذا وقد يكون النبى محمد هو المرموز إليه بأسد الصحراء ونذيرها على حسب تأويلكم »

لقد سرنا وأيم الله أن يوافقنا هذا العالم على تأويلنا وإن يكن ذهب فى تفسير اتساع الصحراء وامتدادها إلى غير ما ذهبنا إليه ، فقد كنا صارحناه بأن ما فهمناه من اتساع الصحراء وامتدادها وتهديد من يطمح للاستيلاء عليها إنما هو انبعاث الايمان الحق بالفضائل العليا وتمردها على الجحود والتضعضع فى الحياة

وقد كان دليلنا على صحة مذهبنا ما ورد فى النشيد من صراحة تؤيدنا خاصة فى الفقرة الأخيرة وهى :

« ارتفع يا مظهر الجلال ، ولتهب مرة أخرى نسمة الفضيلة

« ويا ليت أسد الفضائل يزأر أيضاً أمام غادات الصحراء، فانه أقوى ما ينبه أوروبا ويحفزها إلى النهوض

« وهأنذا ابن أوربا لا يسعنى إلا الخشوع لدى هذه الآيات البينات »

للعالم الأوربى تأويله ولنا تأويلنا ، وللصحراء فى بلاد العرب رموزها فلندع للأزمان تأويلها ولنكرر ما جاء فى نشيد الجاحد الطامح إلى الخلود

« إن الصحراء تتسع وتمتد ، فويل لمن يطمح إلى الاستيلاء على الصحراء »

إن عبير الشرق لا يضوع من نشيد الصحراء فحسب — بل هو يفوح من كل حكمة ينطق بها زرادشت أمام مشاهد التضعضع الأوربى ، ولسوف يقف رجال العلم من أبناء الضاد عند كثير من أقواله فيعرفون فيها آية من الآيات التى أوحيت لأنبيائهم أو ألهمت لحكمائهم أو حديثاً لذلك الأمى الأعظم الذى تناول أدق القضايا الاجتماعية فردها إلى مكارم الأخلاق ليحلها جميعاً

إننا ونحن نخط هذه الأسطر نتذكر صديقنا فقيد الشرق المغفور له السيد مصطفى صادق الرافعى الذى قل من جاراه فى تفهم دين الله والشعور بالقومية العربية ووحدة الانسانية . إننا لنذكره ونحس بما كان يمكننا أن نستمده من ثقافته العريقة ومعارفه الواسعة من آيات وأحاديث وحكم يتجلى فيها ما أجمع مفكرو الغرب على الخشوع أمامه من نظرات زرادشت الصائبات فى اتجاهات العالم المتمدن وفى طلب رقى الانسان والاهابة به إلى العمل فى الأرض كأنه خالد عليها لا يموت

غير أننا إذا كنا حرمنا الآن من هذه النجدة فى كتابة تمهيدنا هذا فلن تحرم البلاد أعلاماً يقومون بهذا الواجب نحو مهبط وحى الله ومنبت العباقرة من السلف والمعاصرين

فليكس فارس

من أصداء البحر

بين عشية وضحاها

للأستاذ إبراهيم العريض



— ١ —

على شاطِئِ البَحْرِ – فى قَرْيَةٍ تَلوحُ بعُزْلَتِها الدائمَهْ
كأنَّ الدُجى لفَّها بالسُّكونِ فما بَرِحَتْ دهرَها نائمَه
تُطِلُّ عليها عَروسُ النهارِ فتَلبثُ فى جوِّها حالمَه
وللبدرِ فى أفقِها قُبلَةٌ تَطولُ ... ولكنَّها ناعِمه
بِناءٌ يُذكِّرُ سُكانَها بِشامخِ أبنِيَةِ العاصِمه
يُقيمُ بهِ نائبٌ – أمْرُهُ مُطاعٌ – وسطوتُه غاشِمه
فلوْ أيقظَ البحرُ أمْواجَهُ لمرّتْ بأعتابِهِ لاثِمه
كذلكَ كانَ شُعورُ السوادِ من الذُلِّ نحوَ اليدِ الحاكِمه
وأكْواخُهمْ وسْطَ هذا الإطارِ تَموجُ بألوانِها القاتِمه

***

وتفتحُ نافذةَ القصرِ خَوْدٌ مساءً وتُمعِنُ إشباعَها
فيحلو لها أنْ ترى الشمسَ تَسْجُدُ سجدةَ شُكرٍ لمَنْ زانَها
وهَبْها توارتْ وراءَ الغُيومِ فهلْ تُنكِرُ الأرضُ إحسانَها

ويَعرِضُ مِرآتَه البحرُ حتى تُجمِّلَ – سافِرةً – شانَها
وأمواجُه فى هُدُوءٍ أمامَ الـ نَعيمِ تُلثِّمُ أردانَها
فلا هُوَ يترُكُها تستقِرُّ ولا هِىَ تهجُرُ شُطآنَها
وتُبصِرُ فى قارِبٍ فِتيةً تَمُدُّ إلى الصَيْدِ أشطانَها
فيَغمُرُها فرَحٌ بالحياةِ فتُعلِنُ للقصرِ عِصيانَها
وتخرجُ نشْوى على رملِهِ تُرَدِّدُ كالطيرِ ألحانَها

***

وتركبُ فى زَوْرَقٍ كالهِلالِ يعُومُ بها نجمةً زاهِرَهْ
فتأخُذُ فى جذفِهِ باليدَيْنِ وفى صدرِها موْجةٌ زاخِره
ويلثِمُ فاها نَسيمُ الأصيلِ فينْدى بأنفاسِها العاطِره
إلى أن تغيبَ وراءَ السديمِ بعيدًا بأحْلامِها الطائِره
ويُدرِكُها أوّلُ الليلِ عندَ فنارٍ يغضُّ لها ناظِرَه
فتشهدُ مركزَها فى الظلامِ ومن حَولها الأفقُ كالدائِره
وتلمحُ من بُعُدٍ قصرَها يُدِلُّ بأنوارِهِ الباهِره
فتَثْنى أعِنَّتَها للرُجوعِ ... ولكنَّها ترتمى خائِره
ويستَيْقِظُ البحرُ بعدَ الهُجوعِ ليُملىَ إرادتَهُ القاهِرَه

***

ويُشرِقُ إحساسُها فى الصباحِ مَليًّا على همَساتِ البشَرْ
فتمْلِكُها رِعْشَةٌ للذى يمُرُّ على ذِهنِها من صُوَرْ
وتذكُرُ ما كانَ من حظِّها ومن حَظِّ زَوْرَقِها المُنكسِر
وكيفَ تقومُ بها موْجَةٌ وأخرى على جانِبَيْها تمُر
فتصرُخُ صرْخَتَها للحياةِ وفى حَلْقِها نفَسٌ يُحتَضَر
فتمتَدُّ كفٌّ لإنقاذِها من الغيبِ ... ذلكَ ما تذْكُر
وتشعرُ بالدِفْءِ تحتَ اللِحافِ فتعجَبُ كيفَ احتوتْها السُرُر
وتفتحُ ناظِرَها بعدَ لأيٍ على شَبَحٍ قائمٍ ينتظِر
يُناشِدُها وعلى ثَغْرِهِ بنانٌ تُشيرُ بأنْ تستقِر

***

وتَستَغرِقُ الخَوْدُ فى نَوْمِها وتأخُذُ حظًّا من العافِيَه

ويفترُّ في شفتيها دمٌ   كطلٍّ على وردةٍ زاكيه

وتحتَ يديها يزِلُّ النصيفُ   عن برعُمَيْ صدرِها ناحيه

ومِلؤهُما عِزّةٌ بالجمالِ   جمالِ أنوثتِها الغافيه

فيحنو عليها الفتى في خشوعٍ   ويسترُ أطرافَها العاريه

ويعزفُ لحنًا على عودِهِ   يُذكّرُ عهدَ الهوى ناسيه

وينبعثُ النغمُ العذبُ من   تَململِ أوتارِهِ القاسيه

إلى أن تُفيقَ فتاةُ القصورِ   وتَطرِفَ أهدابُها ثانيه

فتبسطُ راحتَها كالغريقِ   وفي ثغرِها قُبلةٌ طافيه

ويسألُها عن عهودِ الصِبا   وأترابِها في القُرى .. مَنْ هُمُ

فتُغضي حياءً ... وفي رِقّةٍ   تَبوحُ له بالذي تكتُمُ

« يداكَ تجودانِ لي بالحياةِ   فشكرًا على الجودِ يا مُنعِمُ !

وهبتُكَ قلبي . تُخذْني إليكَ   ومُرْني أُطِعْكَ بما تحكُمُ »

وتلبثُ في صمتِها بُرهةً   ليفهمَ منها الذي يفهمُ

ولكنّهُ لا يُحيرُ الجوابَ   كمَنْ رابَهُ أمرُها المُبهَمُ

فتنطقُ باسمِ أبيها لهُ   وتبسمُ ... يا حُسنَ ما تبسِمُ

فينفِرُ منها نفورَ الظليمِ   وقد ثارَ في مُقلتيهِ الدمُ

« أأنتِ ابنةُ النائبِ المُستبدِّ   وأهواكِ .. إنّي إذنْ مُجرِمُ »

فترجعُ للقصرِ عندَ الأصيلِ   طريدةَ آمالِها الخائبه

قضتْ يومَها حافلاً بالشعورِ   كأحفلِ أيّامِها الذاهبه

فتشعرُ مِثلَ شعورِ الغريبِ   وإن لم يطلْ عهدُها غائبه

فترنو إلى البحرِ ... حتّى تَراهُ   يُسيّرُ في موجِهِ قاربه

فتنشِدُهُ حُبَّها لو يُصيخُ   وتُذري له دمعَها عاتبه

أيا حاسرًا زندَهُ للبحارِ   تذوبُ له حسرةً كاعبه

أسأتَ بيَ الظنَّ حتى خجلتُ   ولم تكُ في نيّتي شائبه

ضربتَ بحُبّيَ عُرضَ الجدارِ   وأنكرتَ مِن سُؤددي جانبه

وغاظكَ أنَّ أبي ظالمٌ   ألستَ بظلمِكَ لي صاحبه

وتخنقُها عَبرةٌ في النعيـ   ـمِ تُلهِبُ من لونِها شاحبه

ويمضي لطيّتِهِ ضاحكًا   يُؤدّي ـ على بؤسِهِ ـ واجبه

— ٢ —

توالتْ على القصرِ عشرونَ عامًا   أسابيعُها مثلُ أعيادِها

تُوافي الفتاةَ عروسًا، فزوجًا،   فأمًّا، تَحِنُّ لأولادِها

وأعلقُهُم بحشاها ابنةٌ   فدتها الأهالي بأكبادِها

تغنّي .. فتُصغي إليها الطيورُ   وتطربُ من حُسنِ إنشادِها

وتلمحُ صورتَها في المياهِ   فتضحكُ من قولِ حُسّادِها

ولو أنّها نزلتْ في الجِنانِ   لأزرتْ بأجملِ أورادِها

يخِفُّ إليها نسيمُ الربيعِ   يُذكّرُها يومَ ميلادِها

ووالدُها غائبٌ في البلادِ   يقومُ بتنظيمِ أجنادِها

فيكتبُ مُستملِحًا لو تسيرُ   إليهِ فيحظى بإسعادِها

وتصحبُها أُمُّها للسلامِ   على زوجِها .. وهيَ لا تبتسِمْ

فقد علّمتْها صروفُ الزمانِ   بأنَّ الطلاقةَ شيءٌ يُذَمْ

يذمُّ . ولابنتِها نظرةٌ   تبشُّ إلى كلِّ وجهٍ ـ وفم

وتجري بها الفُلكُ وسْطَ البحارِ   وأمواجُها دائمًا تلتطِمْ

فتُلقي بها تارةً كالدلاءِ   وترفعُها تارةً كالعَلَمْ

إلى أن يلوحَ لها ـ حيثُ لاحَ   قديمًا ـ فنارٌ يُنيرُ الظُلَمْ

فتذهلُ واجمةً ... كالذي   يرى شبحًا في ثناياهُ دَمْ

وتذكرُ حُبًّا خلا في الوجودِ   لِشخصٍ طوى صفحتيهِ العدم

فتبسمُ .. لكنَّ في نفسِها   مرارةَ ذكرى تثيرُ الألم

على أن ذاكَ الفتى لم يمتْ   فقد صارَ نابغةً في الفنونْ

تلقّى من الكونِ إلهامَهُ   ومثّلَ آياتِهِ في اللحونْ

فما هيَ إلا الضحى في امتدادٍ   وما هيَ إلا الدجى في سكون

كأنّ على يدِهِ العودَ طفلٌ   يبثُّ الورى شجوَهُ بالأنين

يرنُّ .. فتقطرُ منهُ القلوبُ   وتأخذُ موضعَها في العيون

ويُصغي إليهِ المحبُّ الغيورُ   ويُدرِكُ في الحبِّ سرَّ الجنون



العيد الألفي لمدينة القاهرة

قررت الحكومة الاحتفال بانقضاء ألف عام على تأسيس القاهرة كما ذكرنا من قبل، وننشر اليوم أن البيان الرسمي الذي بني عليه هـذا القرار يتضمن أنه في العام القادم سينقضي ألف عام هجري على تأسيس مدينة القاهرة . وقد عزمت بعض الهيئات والمعاهد في أنحاء مختلفة على أن تحتفل بهذا الحادث التاريخي الذي يهم العالم الاسلامي أجمع . وقرر معهد المباحث الاسلامية بمدينة بومباي وهو من أهم المعاهد الاسلامية في الهند أن يشترك في الاحتفال بهذا الحادث ، وسيضع كتاباً يحتوي على وثائق خاصة بتاريخ القاهرة لم تنشر من قبل ، وهي مستقاة من مخطوطات عربية في حوزة المعهد المذكور، على أن تقدم نسخة من الكتاب مجلدة تجليداً فخماً إلى حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك فاروق الأول

ولا حاجة إلى تبيان ما ينتظر أن يكون لمثل الاحتفال الذي نحن بصدده من الشأن في الشرق الاسلامي بوجه خاص . لذلك رأى مجلس الوزراء أن يقرر احتفال الحكومة الملكية بانقضاء ألف عام هجري على تأسيس القاهرة ، وأن يعهد إلى لجنة خاصة في اتخاذ الاجراءات اللازمة لوضع برنامج لذلك الاحتفال وجعله خليقاً بعصر في عهدها الجديد

بعثة الامام الشيخ محمد عبده

أصدر صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر قراراً بتعيين الدكتور محمود البهي قرقر والدكتور محمد ماضي خريجي بعثة الشيخ محمد عبده ، مدرسين في كلية أصول الدين : أولهما لتدريس الفلسفة، وثانيهما لتدريس التاريخ الاسلامي، وهما حاصلان على درجة الدكتوراه في هذين العلمين من جامعة هامبرج في ألمانيا ، وقراء الرسالة يعرفون الأستاذين بأبحاثهما الجليلة في الأدب والاجتماع

وتنعطفُ الأمُّ نحوَ الرضيعِ   وفي صدرِها جدولٌ من حنين
ويحلُمُ بالمجدِ طرفُ الجَبانِ   وإنْ ذاقَ في المجدِ كأسَ المنون

لِأنَّ المعانيَ مِنْ كلِّ لونٍ   تفوزُ بِجلوتِها في الرنينْ
ويُبْصِرُها وهوَ في مَحْفِلٍ   يُوَقِّعُ أنغامَـــهُ في الغزَلْ
وقدْ حوَّلَ الصمتُ تلكَ العيونَ   شِـفاهاً تدُلُّ على ما تَدُلّ
فيذكرُ زورقَها في الظلامِ   ومَشْهدَها تحتَ نابِ الأجَل
فيشعُرُ بالوخزِ ـ وخزِ الضمير   ـ على قطعِهِ حبلَها المتَّصِل
فينْشِدُ ... والعودُ بينَ يديهِ   يُرَجِّعُ كالطفلِ ما يرتجِلُ :
« أما كنتَ حاضرَنا يا هِلالُ   عشيَّةَ ضاقتْ عليها السُبُل
فألفيتُ نفسيَ وسْطَ الغِمارِ   وأدركتُ فيها بقايا الأمَل
كأنِّي ـ وقد حضنَتْها يدايَ   ـ أودُّ لها في ضُلوعي محَل
ولو نزلتْ في صَميمِ الفؤادِ   لعزَّ على غُلَّتي أن تُبَلْ »
وتطرَبُ مِنْ لحنِهِ البنتُ حتّى   تُناشِـــدَهُ أنْ يعيدَ الغزَل
وتسألُ عن شأنِهِ مَنْ يكونُ   فتجْـــذِبُها أمُّها بالعجَل
وتهمِسُ في أذْنِها دُونَ أنْ   يَرَى الحَفْلُ ما مسَّها من خجَل:
« بُنَيَّةَ ! هذا فتًى مِنْ قُراكِ   تعرَّفَ بي في الصِبا المُرْتحِل
وخُيِّـــلَ لي أنَّهُ ميِّتٌ   ولـكِنْ لِلهِ شَـأناً أجَل
أغرَّكِ مِنْهُ النسيبُ الجميلُ   على ثغْرِهِ يُشْتَهَى كالقُبَل
دَعيهِ . فعَبْدي بقلبٍ طَواهُ   ـ على فنِّهِ ـ مُقْفِرًا كالطَلَلْ »

« البحرين »   ابراهيم العريض

مسألة شكسبير وبيكون

من أنباء لندن أن البحث في كنيسة وستمنستر مدفن العظماء عن قبر أدموند سبنسر الشاعر الانكليزى الذى كان معاصرا لشكسبير لم يجد شيئاً، وقد قام بهذا التفتيش جمعية فرنسيس بيكون وغرضها منه أن تبرهن على أن الاسمين هما لمسمى واحد ، وأن الذى اشتهر باسم شكسبير هو فى الواقع فرنسيس بيكون لا غيره

وكان هذا الحفر بناء على وثيقة مؤرخة سنة ١٦٠٠ قيل فيها أن أدموند سبنسر دفن فى الكنيسة وأن عددا من معاصريه أبنوه بقصائد دفنت معه . وان خط رثاء شكسبير لسبنسر يثبت أنه خط بيكون . وقد أخرجت بضعة توابيت يظن أن تابوت سبنسر أحدها ولكن أهل الشأن لم يسمحوا بفتحه إذ لم يثبت أنه لسبنسر ، وهو مصنوع من الرصاص

شريعة عربية

روى الأديب المهذب (ح ، ح) فى بحثه (مصدر المتاربة) فى (الرسالة) الغراء قول (تريتشكى) : « فلولا الحرب ما كانت الدولة ، وينبغى أن يجعل المرء شعاره على الدوام أن الحروب دواء الأمم المريضة » ومقالة (نظرية) الجرماني هذه هى شريعة العربية وقد شرحها الكلحبة العرنى فى بيته :

إذا المرء لم يغش الكريهة أوشكت
حبال الهوينى بالفتى أن تقطّعها

وفى معانى (الجهاد) ما يزيد هذا البيت إيضاحا . وقد قال عربى : كان سلطان العرب ما قاتلوا ، فلما تركوا الحرب واتدعوا ذهبت ريحهم (***)

أمة عربية تزول

أذاعت شركة الأنباء الايطالية « ستيفانى » فى جميع أنحاء العالم هذه البرقية :

روما — تلقى الدوتشي من كبار الشخصيات العربية فى ليبيا — كالأمير سليمان القرفيلى ، ومفتى ليبيا وقضاة طرابلس ودرنة وطبرق ، ورئيس المحكمة الشرعية — برقيات تعرب عن خالص شكرهم وشكر أهالى ليبيا العرب على ما منحت تلك البلاد من شرف اعتبارها جزءاً من إيطاليا ، وقد أضافت البرقيات أن عرب ليبيا لن ينسوا الخدمات التى أداها وما زال يؤديها الدوتشى لبلادهم وأنهم على استعداد للعمل معه مخلصين إلى النهاية فى جميع الظروف

ومعنى هذه البرقية التى نشرت على العالم العربى فلم يحفل بها أحد ولم تعلق عليها صحيفة — أن السلطات الايطالية اللوبية أرغمت أولئك العرب المساكين على أن يسدوا الشكر (خالصاً) إلى حكومة روما على تلك المنحة العظيمة التى قدمتها إليهم ، وهى خمسة ملايين من الايطاليين سيغمرون ليبيا ويحولونها إلى منطقة إيطالية خالصة ، ثم لا يكون للعرب بعد أن توزع أملاكهم على المهاجرين المستعمرين ، إلا قفار الصحراء الجديبة يعيشون فيها على الضر والفقر دون أن يكون لهم فى أمور البلاد السياسية والاقتصادية لسان ولا يد !

هذه فلسطين أخرى ولكن فلسطين تستطيع أن تقول وأن تعمل ؛ أما طرابلس فلا تقول ولا تعمل إلا ما يريده الحاكم بأمره

بس ...

قال الكاتب الكبير الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى فى مبحثه فى (العامية والفصحى) فى (الرسالة الغراء) : « وأما بس فلا مثيل لها ، ولا غناء عنها بغيرها فى اللغة العربية » وهو قول حق كله ، واللفظة عربية كل العربية ، وإن كان الأصل من فارس . وقد ذكر بهاء الدين العاملى فى (كشكوله) ، ونقل قوله الزبيدى فى (تاجه) : « بس كلمة فارسية ، وليس للفرس فى معناها سواها ، وللعرب حسب ، وبجل ، وقط — مخففة — وأمسك واكفف ، وناهيك ، ومه ، ومهلا ، واقطع ، واكتفِ »

أجل ، إن فى لغة (الجزيرة) كل ذلك لكن لم تظرف واحدة من أُلَيَّا الآنسات العشر — كما يرى الأستاذ المازنى — ظرف تلك الفارسية

ونطق باللفظة (اللسان) غير ذام ولا ناقد : « وبس بمعنى حسب فارسية » والفارسيات المتعربات أمرها يا أستاذاً فى العربية وأخبرنا السيوطى فى (المزهر) والخفاجى فى (شفاء الغليل) أن (الخليل) أودعها (العين) غير منسوبة إلى فرس ولا عرب : « بس بمعنى حسب » ونابغتنا (الخليل بن احمد) تلاميذ تلاميذه ، كلامهم على الراس والعين

وروي (المزهر) عن كتاب (المشاكهة) لمحمد بن المعلى الأزدى : « تقول لحديث يستطال : بس ، وعن أبى مالك :

البس القطع ، ولو قالوا لمحدث : بسا كان جيدا بالنا بمعنى المصدر أى بس كلامك بسا ، أى اقطعه قطعا ، وأنشد :

يحدثنا عبيـــد ما لقينا فبسك ياعبيد من الكلام

القارئ

جورج هويتفيلد

مضى قرنان من الزمان على موت جورج هويتفيلد أعظم خطباء الأنجليز وَوُعّاظهم فى القرن الثامن عشر . وقد هبت انجلترا وأمريكا تحتفل بذكرى الرجل المظيم الذى خطب عشرة ملايين منهم فعلمهم جيعاً الرحمة ومحبة الله والتفانى فى خدمة البشر والتجرد من زخرف الحياة وباطلها لتكون زخرفاً وجنة للجميع . وكثيرون منا لايعرفون هذا الرجل الذى شاد بخطبه وعظاته نصف ما فى انجلترا وأمريكا من ملاجىء ومستشفيات ودور للخير . حقا إن شهرة هو تيفلد لم تبلغ فى العالم من الذيوع ما بلغته شهرة لوثر أو كالفن أوويسلى ، وهذا لأنه لم ينشىء مذهباً جديداً أو فلسفة جديدة ، لكنه فى الحقيقة كان أخطب منهم وأنفع للخير العام، لأن خطبه الممتلئة بالحرارة والاخلاص لم تقد الناس إلى الحرب وإهراق الدماء والمذابح بل قادتهم إلى البر والمؤاخاة والعطف بينهم ، وإن من أظرف ما يروى من أخباره أن الرئيس فرنكلين كان يسمع عنه وكان لا يحبه ، فدعاه أحد أصدقائه مرة إلى اجتماع سيخطب فيه هو يتفيلد فذهب على كره منه . فلما سمع الشطر الأول من خطبته — وكان موضوع الخطبة الحث على جمع التبرعات لعمل خيرى — تحرك شىء من العطف فى قلب فرنكلين وعزم على التبرع بقليل من السنتات (السنت : مليمان) فلما بلغ الخطيب نصف خطبته ثار العطف فى قلب الرئيس أكثر فعزم على التبرع بدولارات، فلما فرغ هويتفلد هب فرنكلين فأفرغ فى صندوق التبرعات كل ما كان فى كيسه من السنتات والدولارات والجنيهات !

فهل من وعاظنا الأفاضل من يبلغ مبلغ جورج هويتفلد ؟

جورنج رجل ألمانيا الحديدى

ظهر هذا الكتاب بالانجليزية لمؤلفه هـ . و . ريان، وقد تناول فيه المؤلف حياة المارشال جورنج فأرخها تأريخا جيلا من يوم نشأته فى المدرسة القروية الحربية البروسية إلى عمله فى فرق الطيران الألمانى زمن الحرب ، إلى هجرته إلى السويد بعد هزيمة ألمانيا ، فزواجه هناك من زوجته كارين التى قاسمته شظف العيش وشدة الحيـاة ، التى وضعت فى حياته اللبنات الأولى للمجد والمستقبل الحافل . . . ومن أبرع فصول الكتاب تلك التى تتناول عهد الصداقة بين هتلر وجورنج . فقد عهد هتلر إلى صديقه تشكيل الحزب الوطنى الاشتراكى فقام بمهمته على أحسن الوجوه وشكل فرق القمصان البنية، وكان مبدؤه إعادة الثقة إلى الشعب الألمانى ثم بناء ألمانيا الجديدة . وقد حدث شغب فى ميونخ كادبؤدى إلى اعدام جورنج لولاأن صدرعفوشامل فأنقذت حياته وفى الحقيقة أنقذت حياة ألمانيا . ثم سلك سبيله إلى الريخستاج فصار أحد أعضائه البارزين . ولما صار هتلر مستشاراً عهد إلى صديقه بتنظيم الطيران فى ألمانيا وتدعيم اقتصادها فى وقت واحد فقام بالمهمتين أحسن قيام . وكون لألمانيا أسطولا جويا لم تشعر به فرنسا إلا فجأة فاذا هو ضعف قواتها الجوية عدداً وأهبة واستعدادا، ولولا هذا الأسطول ما جرأت ألمانيا على احتلال الرين غير عابئة بقوات أعدائها الكثيرين . وجورنج مع ذلك رجل مثل عملية وهو صاحب الصيحة الآرية المدوية كما أنه هو الذى طهر ألمانيا من اليهود

سياسة الغد

كتاب جليل الموضوع مستقل الرأى مستقيم التفكير ، أخرجه الأستاذ (مريت بك بطرس غالى) كما تخرج الطبيعة ثمرتها فى إبانها : عالج فيه الأستاذ الخطط السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى يجب أن تسير عليها مصر فى عهدها الجديد علاجاً بارعاً نزيهاً صريحاً لم يتقيد فيه بمذهب خاص ولا حزب معين . والكتاب لجلالة موضوعه ومكانة مؤلفه يستحق أن نعود إلى الحديث عنه بالتفصيل فى العدد المقبل

ناد أدبى للطلبة المغاربة بمصر

اجتمع الطلبة المغاربة بمصر بحثوا فى تأليف ناد ثقافى تعاونى وكونوا لجنة تحضيرية لوضع مشروع قانون أساسى له

وفى الساعة التاسعة من يوم الأربعاء ٢٦ أكتوبر تناقشوا فى مشروع القانون الذى قدمته اللجنة التحضيرية ثم وافقوا عليه ، وانتخبوا لجنة تنفيذية لتدير أعمال النادى وتحقق أغراضه الثقافية والتعاونية من الطلبة

محمد العربى العلمى سكرتير والمهدى بنونه مساعد له وعبد الكريم غلاب أمين الصندوق وأحمد بن المليح والعربى بنانى ومحمد المسقوى وعبد العزيز الوارثى أعضاء



هكذا تكلم زرادشت

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

بقلم الدكتور إسماعيل أحمد أدهم

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

إن نيتشه نفسه يوافقنا على هذا التفسير، فهو يقول ص ١٧ من الترجمة العربية :

« وهنالك في الصحراء القاحلة (أعني صحراء الحياة القاحلة) يتم التحول الثاني فينقلب الجمل أسداً لأنه يطمح إلى نيل حريته وبسط سيادته على صحرائه ...!

وفي هذه الصحراء يفتش عن سيد ليناصبه العداء كما ناصب سيده السابق، فهو يستعد لمكافحة التنين (الواجب) والتغلب عليه »

ولست أدري كيف غفل صديقنا المترجم عن هذا مع أن قلمه جرى به في الترجمة؟ وكيف تغافله الدكتور « روبرت ريننجر » إن صح ما ينقله صديقنا المترجم عنه

أما الفقرة الأخيرة من النشيد، والتي يجد فيها المترجم سنداً لتأويله على زعمه، فهذه الفقرة لا تؤيده في رأيه بعد أن وضح التفسير الصحيح وإنما هي تؤيدنا في تفسيرنا الذي ذهبنا إليه

أما ترجمة عبارة (سلاه) (حيّ على الصلاة!) ففيها نظرة؛ ذلك أن نيتشه كان إخصائياً في الآداب العبرية. ومعروف في الأدب العبري أن لفظة (سلاه) ترد في أواخر الأناشيد، والدليل على هذا قائم في سفر الأناشيد في العهد القديم وقد ترجم إلى (سلاه) عربياً في كلا الترجمتين اليسوعية والأميركية. هذا إلى أن نيتشه نقلها كما هي إلى الألمانية واختتم بها عبارات أناشيده. وظلت على نصها العبري في جميع التراجم مع ظهور مفهومها في اللغة العبرية للجميع، إذاً فليس هنالك وجه لأن يذهب المترجم ليفسرها بأن نيتشه يقصد بها (حيّ على الصلاة!)

أما تقدير الدكتور (روبرت رينجر) فلا قيمة له، ذلك أنه يعرف عن نيتشه أنه متصل بالآداب السامية، فلما وجد تفسيراً للكلمة في العربية وافق المفسر في رأيه، وهو لو درى أن نيتشه كان وقوفه مقصوراً على آداب العبريين، لعلم أن مفتاح الكلمة في لغة العبريين وليست في لغة العرب، ومن هنا كان له أن يرفض تفسير المترجم!

وهنالك في التمهيد الذي قدم به صديقنا المترجم مآخذ كثيرة نحصر الكلام هنا على أهمها وأكثرها مجانبة للواقع

يقول المترجم :

(يريد نيتشه خلق الانسان المتفوق — يعني السبرمان — جباراً كشمشون، وشاعراً كداود، وحكيما كسليمان. فهو يكاف الطبيعة مالا قبل لها به ويطمح إلى إيجاد جبابرة لا يصلحون لشيء في المجتمع لأن الحيوية لا تتصرف من مختلف نوافذها الجسمية في آن واحد دون أن تقبض على صاحبها لتوقفه من سلم الارتقاء على مرتبة معلقة بين الاعتلاء والانحطاط فيكون منه لا الانسان المتفوق بل الانسان « التافه » القصير الحياة والقاصر في كل عمل يباشره.)

وهذا الرأي يصح ولكن إذا كانت القوة الحيوية في الأحياء لا يمكن زيادتها فيهم حتى يكون من تصرفها من مختلف نوافذ الحياة مايجعل الحي يقف في مرتبة التفوق من سلم الارتقاء. من هنا لا يصح هذا الاعتراض على نيتشه، ذلك أنه يقيم فكرته في مجيء السبرمان من ازدياد القوى الحيوية عن طريق ترك المجال للتنازع للبقاء فيبقى القوى الأصلح. وتعمل سنة الانتخاب على

تثبيت صفة القوة فى سلالات هذا القوى الذى خرج منتصراً من معمعة التنازع على البقاء .

يقول المترجم :

(من تبصر فى أحوال الناس وطرائقهم فى الحياة ، لا بد له أن يسلم أخيراً بأن لكل شخصية حياتها بما كمن فى حوافزها ولكل شخصية ميتتها بما خفى من أدواء جسمها وعلل إرادتها وبما وراءها من مقدمات وحولها من نتائج)

وهذا الرأى فكرة أولية يؤمن بها صاحبها فليكس فارس وتدور من حولها آراؤه فى الشرق والغرب ، وهذه الفكرة فيها عنصر من الخطأ ، وموضع الخطأ عدم ملاحظته العوامل والمؤثرات الطبيعية والاجتماعية التى تترك أثراً ثابتاً فى فطرة الأحياء بتكافأ مع حوافزهم الطبيعية . وقد جلينا فى سلسلة مقالاتنا المدرجة على صفحات (الرسالة) عن الغرب والشرق كيف تنزل جميع آراء صديقنا من هذه الفكرة الأولية ، وشرحنا أوجه الضعف بتفصيل فيها ، فلا داعى هنا للافاضة .

يقول نيتشه :

(إن مافطرنا عليه هو أن نخلق كائناً يتفوق علينا ، تلك هى غريزة الحركة والعمل)

ويعلق على هذا الكلام المترجم بقوله :

(ما هذه الفطرة التى يراها نيتشه رافعة الانسان إلى التفوق على ذاته وأنساله إلا حافز الحب وفى أعماقه غريزة الانتخاب بحتذب الزوجين إلى انصال يشدد أحدهما فيه ماوهن فى بنية الآخر .)

وهو فى تفسيره هذا وتعليقه يحمل نيتشه أفكاراً لم تمر بخاطره فضلا عن أنه يخالف العلم الحديث بمقدراته .

يقول نيتشه إن غريزة الحركة والعمل فى الحياة تعمل لخلق كائن يتفوق على أبويه ، وهو فى هذا يماشى فكرة أن التطور مدفوع للارتقاء ، فاذا كانت الحياة هى الحركة والعمل ومجبولة على الارتقاء ، فاذن كل نتاج الحياة يتفوق على أصله . وهذه فكرة مستقلة بذاتها عن فكرة المترجم حين يقول: إن حافزة الحب بما فى أعماقها من غريزة الانتخاب الزوجى يجذب الزوجين إلى انصال يشدد أحدهما فيه ما وهن من بنية الآخر

ومع هذا ففكرة المترجم واهنة لو نظرنا إليه من ناحية العلم البيولوجى ، ذلك أننا نعرف من بحوث الأستاذ جوليان هكسلى المعروف أن المظاهر الخارجية فى الحياة وخصوصاً الصفات « النفسية » وعلى وجه خاص الحب لا يتعدى أثرها « إحكام الروابط النفسية بين الأحياء بعد أن يهبط الميل الفسيولوجى إلى درجة العدم » . من هنا لنا أن نقول إن حافز الحب مهما كان له من الأثر فى إحكام الروابط النفسية بين الأحياء فانه لا يتمدى دائرة المظاهر الخارجية للحياة ولا يصل بتأثيره إلى العالم الداخلى فاذن رأى صديقنا المترجم يخالف مقررات العلم البيولوجى الحديث وأمانة البحث تضطرنا إن نقول إن بعض الباحثين إلى الآن لا يزالون يحملون بعض الظاهرات الطبيعية فى التناسل على الصفات « الروحية » ذلك أن هذه الفكرة بقية من آثار الرأى العامى الشائع فى أن للمظاهر الروحية أثراً فى تكوين الجنين . ويستحسن أن يراجع المترجم بحوث الأستاذ جوليان هكسلى فى هذا الوضوع

ومن هنا نرفض كل مانقله المؤلف من فصل (منابت الأطفال) من كتابه (رسالة المنبر إلى الشرق العربى) مقدرين أنه لا صلة بينها وبين الأبحاث العلمية الحديثة فى البيولوجيا

يقول المترجم :

(إن الدين الذى يهاجمه نيتشه إنما هو صورة لأصل شوهها الغرب)

وهذه الفكرة تدور فى كلامه، ذكرها فى كتابه (رسالة المنبر) مراراً وردها فى مناظرته مى عام ١٩٣٧ وجاء يكررها على صفحات (الرسالة) أخيراً ، وها هو ذا اليوم يذكرها فى تمهيد يقدم به ترجمته لكتاب زارازوسترا . ومع كل هذا فالفكرة خاطئة فالغرب لم يشوه الدين الذي أخذه من الشرق ، وإنما كل مافعله أنه جعله يتكافأ مع طبيعته الحيوية الانسانية فأسبغ عليه صوراً ليست منه ، ولكنها من طبيعته ، فكان من ذلك صورة للدين تغاير الصورة التى هى عليها فى الشرق

إذن فالتعبير بأن الغرب شوه الدين تعبير خاطئ ، وصحة التعبير أن يقال إن الدين الذى أخذه الغرب عن الشرق كيفه على حسب طبيعته حتى يقبله، وهذا التكييف إن اعتبر تشويهاً فى نظر المترجم

هو فى الواقع خلع للثوب النبى عن الأديان وجعله إنسانياً !

يقول المترجم :

(إن الدين قد أراد للانسان تكاملا روحياً يهيئه إلى إدراك باريه وراء المحسوس فى حين أن نيتشه ، وقد أنكر ما لا تقع الحواس عليه ، أراد أن يفلت الانسان من حدود إنسانيته على هذه الأرض فيجعلها جنة خلد يستوي عليها بجبروته إلهاً ...)

ونحن نقول :

(إن نيتشه لم يفعل أكثر مما استلزمته عقليته الآرية وعقله الانساني المتحرر من تقاليد الماضى ، وهو لم يحاول أن يجعل الانسان يفلت من حدود إنسانيته بل عمل أن يرد الانسان لحقيقته فى عالم الطبيعة بعد أن حاولت الأديان أن تفلته من حدود الطبيعة وبجعله خاضعاً لما وراء الطبيعة ، حتى أصبح الانسان حيواناً ميتاً فيزيقيا)

إن وجهة النظر تفترق من اعتقاد ثابت بالغيب أو بانكار لها وإيمان باليقين الواقع ، ومن هنا فالفرق بينى وبين صديقى المترجم أنه رجل غيبي وأنا رجل ضد الغيبيات على خط مستقيم

والناحية الغيبية عند صديقى هى التى جعلته ينكر التطور كحقيقة بيولوجية إذ قال :

(إن المخلوقات كلها فى سلسلة الوجود لا تملك الانعتاق من حدود أنواعها مهما كرت القرون وتعاقبت الأجيال ، لا يمكن للجماد أن يفلت من مملكته إلى مملكة النبات، ولا للنبات أن يجتاز حدود مملكة الحيوان ولا الحيوان ، أن يجتاز مملكة الانسان

لذلك كان الذاهب فى طلب إنسان يتفوق على الانسانية كالمحاول استنبات الشجرة حيواناً أو استبدال الحيوان إنساناً

لقد كرت القرون على مبدأ التاريخ الذى نعلم وعلى ما لا نعلم من حقب كرت ما وراءه ، والانسان لم يزل هذا المخلوق الدائر أبداً ضمن حلقة إنسانيته)

ويؤسفني أن يرجع صديقى فليكس فارس عن أفكار عصره القهقرى إلى أفكار القرون الوسطى

يقول أمين الريحانى فيلسوف الفريكة فى خطاب لصديقه وصديقى فليكس فارس على صفحات المقتطف :

(ألا إن فليكس لصديق عزيز قديم . وقد طالما ترافقنا فى جادات العقل والروح واتفقنا ، بل كنا دوماً فى طليعة الحملات حملات الحرية والعلم ، على معاقل الظلم والظلام

وإنى لأرى فليكس اليوم فى غير تلك الطلائع والحملات ، إنى أراه اليوم واقفاً فى المؤخرة وهو يتلفت إلى الوراء ويجنح بعض الأحايين إلى جادات لا أثر فيها للعلم الحديث ، وللنزعات الفكرية الحرة ..!)

وإنى وإن كنت أوافق فيلسوف الفريكة فى الشطر الثانى من كلامه عن صديقى فليكس ، فاننى لأشك فى صدق الشطر الأول منه ، فى وقوف صديقنا فليكس في طليعة حملات العلم ، ذلك أننى لا أتصور إنساناً يقف فى طليعة حملات العلم ولو قبل الحرب العظمى ويكون منكراً للتطور . لقد كان فليكس فارس فى طليعة حملات الحرية فى سوريا قبل الحرب، ولكن لم يكن فى طليعة حملات العلم . هذه حقيقة يجب أن نعرفها . إن كانت للصداقة واجباتها فان للحقيقة حقوقها ...

بالأمس كنت أقلب بين يدى كتاباً عن نظرية التطور عند القدماء لأوتو فولنجر الكاتب الألمانى المعروف . وقد جمع مؤلفه فى القسم الثانى منه كل ما قاله كتاب العرب فى موضوع التطور واليوم انتبهت فاذا بصديقى فليكس يرى التطور ويتصوره بالصورة التى جمله عليها إخوان الصفا وابن مسكويه منذ قرون . فيذهب للرد عليهم جانحاً إلي صور من التأمل والتخيل أبعد ما تكون عن أساليب العلم والعلماء

لا شك عندى أن صديقى فليكس يسير فى المؤخرة من سير الزمن ، يعيش بعقله فى عصر سابق لقيام النهضة الحديثة

إن الشخص الذى يتحدث عن المواليد الثلاثة وعوالمها وعن عدم إمكان الجماد أن يفلت من حدود عالمه إلى عالم النبات ، وعن عدم إمكان النبات أن يفلت من كونه إلى مملكة الحيوان... إنما هو شخص يعيش بأفكاره فى العصور الوسطي ، ونحن لانرضى بمثل هذه الحياة لصديقنا ، ولكن ليس بيدنا من أمر!...

يقرر الصديق فليكس أن كرّ القرون وتعاقب الأجيال لا يُمَكِّنُ النوع من الانعتاق من حلقة نوعه ... فكأنى بالصديق أولا : من الذين يتصورون النشوء والتطور يجرى لطول الآماد وكرّ القرون وتعاقب الأجيال . ثانياً : أنه من الذين لم يقفوا على المباحث الحديثة فى التطور وخصوصاً تجارب

« مورغن » و « مطر » و « جوهانسن » حتى أنه يكرر القول بعدم امكان النوع أن ينمتق من حلقة نوعه

أما عن النصور الأول فقد نبه إلى فساده من قبل « شارلس روبرت دارون » في كتابه أصل الأنواع ، إذ قال فى الفصل الرابع (ص ٢١٨ من الترجمة العربية ، طبعة أولى و ج ٢ ص ٤٠ من الطبعة الثانية — ترجمة صديقنا اسماعيل مظهر) مانصه :

(إن كر الصباح ومر العشى ، ومضى الأزمان المتتابعة لايحدث فى الانتخاب الطبيعى أثراً ما إيجاباً أو سلباً . ولقد اضطررت إلى التكلم فى هذا البحث لأن بعض الطبيعيين أيقن خطأ بأني أعتقد أن لمضى الأزمان وترادف العصور ، الأثر الكلى والجولة الواسعة في تغيير صفات الأنواع ، على قاعدة أن صور الأحياء عامتها كانت ممعنة فى تغاير الصفات بتأثير سنة طبيعية مؤصلة فى تضاعيف فطرتها بيد أن مضى العصور وتلاحق الدهور لا يتعدى أثرها تهيئة لظروف ظهور التغايرات المفيدة لكائنات الحية وانتخابها انتخاباً طبيعياً واستجماعها ثم تثبيتها من طبائع الصور العضوية ، ولا جرم إن لذلك أثراً بيناً ، غير أنه بعيد عما يتوهمون ، كذلك بعد مضى الوقت طبائع الكائنات الحية من حيث تأثيرها الآلى ، إلى قبول تأثير الحالات الطبيعية قبولاً مباشراً »

لقد كان صديقى اسماعيل مظهر يرد على جمال الدين الأفغانى مزاعمه فى هذا الموضوع بنفس هذا الكلام منذ خمس عشرة سنة . واليوم يدور دولاب الزمن ، وأقف أنا من سيره أعيد كلام صديقى فى تصحيح مزاعم الصديق فليكس .

أما عن الأمر الثاني فصديقى فليكس يظهر تماماً أنه لم يقف على حقيقة البحوث التطورية الحديثة ، وهو قد ظن أن الخلاف الذى نشب فى أوائل القرن العشرين بين مدرسة لامارك ومدرسة دارون ومدرسة وزمان دى فريس حول مجرى التطور إن دل على شيء فانما على أن نظرية التطور واهنة .

والواقع أن التطور اليوم خرج من حدود النظريات وأصبح حقيقة أولية فى علم الأحياء ، وإن كان هناك من خلاف فهو حول تفسير التطور والعوامل والمؤثرات التى تدفع إليه .

وليس من شأنى هنا أن أنقل للصديق فليكس آخر الآراء الحديثة في تفسير التطور ، فليس خلافنا معه على التفسير إنما على التطور نفسه ، فان الصديق فليكس ينكره كحقيقة علمية وهنا موضع الافتراق بيننا .

وإنى وإن كنت من غير المشتغلين بمباحث الأحياء فان وقوفى على مباحثه وقوفاً تاماً يسمح لى أن أقول مع شكسبير إنى مستعد لدفع ألف أسترلينى لمن يثبت ولو من وجهة نظرية أن التطور ليس حقيقة علمية !..

إنى مستعد لدفعها وبعد ذلك إعلان إفلاسى و كسر قلمي .. كما قال فى مسألة مماثلة من قبل جوجول .

وذهب صديقى فليكس إلى الخلط بين الالحاد والعدمية بين Athié و Nihilism ، فهو يقول : « الملحد هو الذى يرى أمامه ووراءه العدم والزوال » وهو فى ذلك يوافق الأديب الناقد الأستاذ عباس محمود العقاد رأيه فى أن « الملحد من يجحد الحياة وهو من هنا يريد أن يقول إن نيتشه نظراً لأنه لم يجحد الحياة » فهو مؤمن !

غير أنى أرى أن هـذا الرأى فى الالحاد توسع فى فهم معناه إلى أكثر مما يحتمله معنى الالحاد ، فان الالحاد عندنا « الملحدين » حالة سلبية بالغيبيات ، وناحيتها الايجابيـة اعتبار اليقينيات أساس المعرفة .

وأظن أن هذا الرأى يتسق مع مفهوم الالحاد أكثر من رأى الصديق فليكس وفكرة العقاد .

وبهذه المناسبة أحب أن ألفت نظر الصديق فليكس إلى ذلك الحديث الذى جرى منذ شهرين تقريباً على المائدة فى داره بينى وبين الصديق الدكتور حسين فوزى والدكتور محمود عزمى وأديب حلب سامى الكيالى ، وكيف انتهى بنا الحديث إلى أن الالحاد حالة غير حالة العدمية

ومن هنا لا أجد بداً لرد فكرة اعتبار الالحاد والعدمية وجهتين من النظر لا تختلفان

العدمى هو الذى جحدته حياته فجحدها ، وكثير من الملحدين عدميون ، ولكن هذا ليس بدليل على أن الالحاد والعدمية مظهران من حالة واحدة

هذه ملاحظات سريعة على التمهيد ، نوطئ بها الكلام عن نيتشه وفلسفته وقيمة تفكيره فى عالم الفلسفة وأثرها فى ألمانيا

(أبو قير) اسماعيل أحمد أدهم



6 me Année, No. 280

Lundi - 14 - 11 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة

م

٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

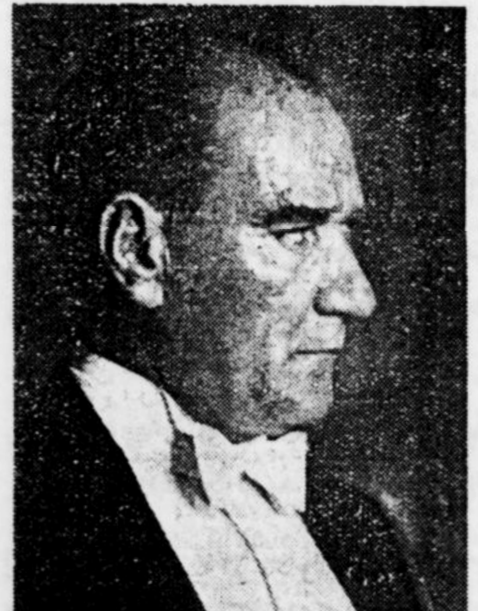
صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٢٨٠ « القاهرة فى يوم الأثنين ٢٢ رمضان سنة ١٣٥٧ — ١٤ نوفبر سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

الغازى كمال أتاتورك



ربما كان (كمال أتاتورك) أضعف من (مصطفى كمال) فى الدلالة على نشور دولة فى قائد، ونبوغ أمة فى رجل، وبلوغ حكومة فى زعيم، وتاريخ نهضة فى حياة فرد! فإن (مصطفى كمال) اسم على كل اولئك نقشته فى الآذان والأذهان الأقدار المصرِّفة والعبقرية الخلاقة فى مدى عشرين سنة! ولكن (أتاتورك) لقبٌ أطلقوه على النسر المحلق بعد ما قبض مخلبه وطوى جناحه، فلم يطر معه فى جو، ولم يقع به على فريسة، ولم يدل إلا دلالة الأبوة على الأسرة الطائعة والألفة الجامعة والرعاية الحنون!

لم يكن مصطفى كمال رحمه الله رجلاً من رجال المصادفة والحظ ، يرفعه إلى البطولة خلو الميدان ، ويدفعه إلى الزعامة غباء الأمة ؛ وإنما كان من الصفوة المختارة الذين يضع الله فيهم الهداية للقطيع الذي يوشك أن يضل ، والحيوية للشعب الذي يأبى أن يموت . والغالب في هذا الصنف من الناس أن يكون مستبداً برأيه حاكما بأمره ، لأنه يظهر والقوم في ضلال أو انحلال فيكون تفرده بالأمر تنبيهاً من الله وتوجيهاً من الطبيعة ؛ ومن ثمَّ كان المضاء والفداء والإيثار والعدل من أخص صفاته

جرت الطبيعة في تهيئة مصطفى كمال على منهاجها في تهيئة الأبطال ، فولدته في مهد الفقر ، وربّته في مدارج القرية ، وغسلته بأنداء الحقل ، وسقته من عرق العمل ، فقلح الأرض ، ورعى الغنم ، وتلقى من الطبيعة الصافية الحرة أخلاق البطل الذي رمى المنجل وأخذ السيف ، وانصرف عن قيادة القطيع إلى قيادة الأمة

تستطيع أن تقول : إن الوراثة المختلطة والنشأة القروية والبيئة المقدونية والأم الصالحة قد فعلت فعلها جميعاً في تكوين مصطفى كمال ؛ ولكنك لا تستطيع أن ترد إلى عامل من هذه العوامل ذلك القلق الروحي الذي استولى عليه في جميع أطوار عمره ، فتركه ثائراً لا يهدأ ، وطامحاً لا يرضى ، ودائباً لا يستقر . إنما هو سر النبوغ يذيع ، وقبس الإلهام يتقد ، وفيض الحيوية يزخر ؛ فهو راع قلق في المرعى ، وطالب ثائر في المدرسة ، وقائد متمرد في الجيش ، وزعيم مسيطر في الحكومة

رأى مصطفى طغيان عبدالحميد يخنق الحرية ويزهق النفوس ويرهق الضمائر ، فقاومه وهو يافع في جماعة (الوطن) ، وهاجمه وهو شاب في جمعية الاتحاد والترقي ، وقضى على تراثه كله وهو كهل في المجلس الوطني الكبير . ثم كان في كل عمل تولاه يمضي مُضيَّ الأمر المقدور ، فلا يتقيد برؤسائه الألمان ، ولا بزملائه الترك إذا رأى الفوز في خطته أو الصواب في رأيه

وعصفت الحرب الكبرى بغليوم وبوحيد الدين ، ومزقت معاهدة (سِفْر) رقعة الأمبراطورية العثمانية بين الحلفاء ، فكان لكل حليف درة من تاج محمد الفاتح ، حتى لم يبق للخلافة إلا موضع العرش . ونزل الخليفة ووزراؤه على حكم القادرين فاعترفوا بالضيم واستكانوا للمذلة . واعتقد الناس أن (الرجل المريض) قد لفظ نَفَسه فلا حسٌّ ولا حركة . ولكن الشعوب الحربية يتنخلها الانتخاب الطبيعي فلا تموت بالصيحة كما تموت الشعوب الوديعة ، فبقيت الروح التركية تضطرم وتثور في مصطفى كمال ورفاقه الميامين على شعاف الأناضول ، فجمعوا فلول الجيش المحطم وكرُّوا به على اليونان فكبكبوهم في البحر ، وضعضعوا عزائم الأحلاف فهادنوهم في (مودانيا) مهادنة النصر ، وعاهدوهم في (لوزان) معاهدة الاستقلال .

وبُعثت تركيا من جديد على صرخة كمال وأنصاره كما يبعث المقبور على نفخة الصور ، عارية من دنياها القديمة ، منقطعة عن ماضيها الغابر ، فاستبدلت الجمهورية بالخلافة ، والقبعة بالطربوش ، وفصلت بين الدنيا والدين ، وكتبت من الشمال إلى اليمين ، وأدارت ظهرها للشرق ، وساوت بين الرجل والمرأة في الحق ، وسجلت نفسها في عصبة الأمم من مواليد هذا القرن !

قالوا : إذا كان محمد من جهة البشرية معنى العرب ، فان مصطفى كمال من هذه الجهة معنى الترك . ووجه الشبه في زعمهم أن أتاتورك أحيا وجاهد وأصلح وشرع ، وأن مبادئه ستنطبع في العقلية التركية فلا تصدر إلا عنها ولا تسير إلا عليها ؛ وقد فاتهم أن نهضة محمد يسددها قرآن ويسندها وحي ، وأن نوطتها في القلوب آتية من اقتناع العقل لا من شدة السلطان ؛ وقد انتقل العرب على هُدَى قائدهم الأعلى من حال إلى حال لا يقاس ما بينهما من البعد والاختلاف بما بين حالي الترك ، ومع ذلك ظلوا في طريقهم الواضح إلى الله ثلاثة عشر قرناً ونصفاً لا ينكصون ولا يضلون . فليت شعري أيظل الترك في طريقهم إلى الغرب بعد أن همد الصوت المُهيب وسقطت العصا المهددة ؟ إن الناس ليختلفون في الجواب عن هذا السؤال . ولعل كثرتهم يعتقدون أن التغلب على العقائد المغروسة والتقاليد الموروثة والآثار الماثلة لا يتيسر في مثل هذه المدة . ولكن المختلفين والمتفقين كلهم لسان واحد في أن كمال أتاتورك أعظم من أنجبت تركيا شجاعة قلب وبراعة ذهن وأصالة رأى وطهارة يد وسلامة ضمير

تغمده الله برحمته ، وجعل ثوابه كِفاء لصدق جهاده وحسن نيته

احمد حسن الزيات

بقية السحر والمثنوية

للأستاذ عباس محمود العقاد

في كتاب حديث باللغة الانجليزية عن الآثار الدينية بمصر ذكر المؤلف معانى المعابد القديمة وطواف المسلمين بها فى المواسم وفى غير المواسم يلتمسون قضاء الحاجات أو يطلبون وقاية الأبناء والأعزاء ، ويعلقون على جدرانها خيوطاً أو خلقاناً تتصل بأصحابها كرامة الصنم أو القديس القديم ، وقال المؤلف بعد ذلك ما معناه أن هؤلاء المسلمين ولاشك هم من عنصر الفراعنة الأقدمين ، وأن هذه العقائد هى سلسلة الوراثة من الآباء إلى الأبناء والأحفاد

ومثل هذا التفسير يجوز لو كانت العقائد مما يورث فى الدماء وراثة تشريحية كما يقولون فى مصطلحات العلم الحديث ، ولكن العقائد لا تنتقل هـذا الانتقال ولا تبقى إلا بآثارها فى المجتمع أو بأساسها من النوازع النفسية الخالدة ، وليس منها الايمان بولى مخصوص أو بمكان محدود . بل ذلك هو حكم العرف والتقليد

لقد لاحظنا كثيراً فى الصعيد أناساً يذهبون إلى أصنام الفراعنة ولا سيما آلهة النسل — يطلبون الذرية ويفرضون على أنفسهم النـذور ، ويتلون بعض العزائم والدعوات . ولاحظنا كثيراً أناساً من المسلمين يطوفون بغـير المعابد الاسلامية دفعاً لمرض أو اتقاء لبلاء ، فلم يخطر لنـا أنهم يصنعون ذلك بفعل الوراثة المتغلغل فى التركيب على غير علم من ذويه ، وإنما خطر لنـا أنها بقية من السحر وبقية من الايمان بعناصر الشر تساور الناس من جميع الأديان

فالمسلمون والنصارى واليهود والمجوس والبوذيون يلجأون إلى السحرة للتعوذ من الشرور ، ولا يقول أحد إنهم أبناء أمم قديمة كانت تدين بهذا الدين أو ذاك ، ولـكنهم فى الواقع يؤمنون بالسحر اليوم كما كانت الأمم القديمة تؤمن به على السواء فى أفريقيا وأوربا وآسيا والأمريكتين وكل صقع من أصقاع العالم . ولو بقى فى أستراليا مثلا رجل واحد يلجأ إلى ساحر ليحميه بالرقى والتعاويذ لما جاز أن يقال إن هذا الرجل من نسل المصريين الأقدمين لأنهم كانوا أمة يسود فيهـا طائفة من السحرة والكهان . بل كل ما يجوز أن عقيدة السحر لها مرجع واحد من نوازع النفس الانسانية ، وهو خوف المجهول والايمان بوجود عناصر شريرة تصيب الناس ويتأتى لهم اتقاؤها بالطلاسم والهدايا والقرابين ، على أيدى السحرة من ذوى الصلة بتلك العناصر أو تلك الأرواح

فالمسلم المصرى الذى يلجأ إلى صنم فرعونى لا يتوجه إلى ذلك الصنم لأنه يعبده أو يحس فى نفسه نوازع الوراثة من قبل الآباء والأجداد ، ولـكنه يتوجه إليه كما يتوجه إلى ساحر يخدم الشياطين ويصون الناس عن أذاها بجعل معلوم ، ومن دأبه أن يتوقع الشرور من جانب الشياطين ، فكيف يتفق على مهادنتها ومسالمتها إلا أن يكون الاتفـاق على أيدى وسطائها المقبولين وسفرائها المقربين ؟ إن الاتفاق مع شيخ من الشيوخ الصالحين قد يطول أمره، وقد يكون إشهارا للحرب يستميت فيها الشيطان ثم ينهزم آخر الأمر بعد التنكيل بمن أثاروه وناوأوه . ولم هذا التطويل وهذه المجازفة ؟ وماذا يجدى المتوسل المسكين أن ينهزم الشيطان فى نهاية المعركة على يد الشيخ الصالح ؟ أليس أحكم من ذلك وأدنى إلى النجاح أن تهدئ من ثورة الشيطان بالتوسل إلى سفرائه المعروفين ؟

تلك هى الحالة العقلية أو الحـالة النفسية التى تحفز بعض المسلمين إلى ابتغاء المعونة من الساحر أو من الصنم الفرعونى المهجور

ونقرب هذه الحالة بعض التقريب فنسأل : ماذا يصنع الفلاح المصرى اليوم إذا علم أن منسراً من اللصوص هجموا على داره فانتزعوا منه طفله وحيوانه وأنذروه باحراق زرعه ؟

إنه لا يؤمن بحكومة مشروعة لأولئك اللصوص ، ولا يحبهم ، ولا يرضى عن وجودهم ، ويعلم أن الطريق المشروع هو تبليغ الحـكومة ، وأن الحـكومة إذا دخلت فى حرب سجال مع أولئك اللصوص فالغلبة لها لا محالة ، واللصوص مقبوض عليهم في يوم من الأيام بغير جدال

ولكن ما العمل إذا قتل اللصوص طفله وحيوانه وحرقوا زرعه وداره قبل وصول الحكومة إليهم ونجاحها فى القبض عليهم ؟ أليس الأجدي من ذلك أداء « الحلاوة » المفروضة والتماس السلامة من هـذا الطريق القريب ؟ وهل يقدح ذلك فى طاعته للحكومة وإخلاصه للقانون وكراهته لمنسر اللصوص ؟ ؟

هذا بعينه هو أسلوب المسلم المصرى فى التفكير حين يمن له أن يحمى نفسه وأبناءه من أذى الشياطين أو أرباب الكفر القديم .

إنه يؤمن بالله ويعرف أنه هو الاله الوحيد الحقيق بالطاعة والعبادة ، وأنه إذا توسل إلى ولى من أوليائه الصالحين فهو منتصر فى نهاية المعركة لا محالة ، ومطمئن إلى جانب الله مالك الملك وقامع الانس والجن والمردة والشياطين .

ولكن ما العمل إذا قتل الشيطان ابنه أو مسه بطائف من الخبل قبل انهزامه فى المعركة التى يشنها عليه ولى الله ؟ أليس الأجدى من ذلك أداء « الحلاوة » المعلومة وكتابة الحجاب المطلوب وتسليم الأتاوة وكفى الله المؤمنين القتال ؟ ؟

فالسحر هو مهادنة بين المؤمن وعناصر الشر إيثاراً للدعة والايجاز فى علاج الأمور، وليس فيه إيمان بإلـه قديم ولا تراث من دم موروث فى العروق .

***

ويشبه الايمان بالسحر الايمان الخفى بالمثنوية فى نفوس الجهلاء وبعض المتعلمين .

لقد كانت مدام دى ستايل تقول إنها ملحدة ولكنها تعتقد وجود الشياطين ، أو إنها فقدت رجاءها فى الخير ولكنها لم تفقد خشيتها مما فى العالم الظاهر والباطن من شرور .

والمسلم اليوم يؤمن بالله ، وأن إبليس رسول الشر فى هذه الدنيا غير مشلول الحركة ولا مغلول السواعد ، فقد يصيب من أراده بالضرر ثم يكون المرجع فى دفع ذلك الضرر إلى الله .

ولم يكن هـذا اعتقاد الأقدمين من جميع الأمم مصريين وهنديين وفرساً وعرباً وأوربيين وأمريكيين .

بل كان اعتقادهم أن للشر إلهاً مناهضاً لاله الخير يتصاولان ويتصارعان ، ولـكل منهما معابده وكهانه وشعائره وصلواته ، ومنهم من كان يصلى ويتقرب لاله الشر دون إله الخير . لأن إله الشر هو المخيف المؤذى الذى لا يكف عن الاساءة إلا بمهادنة وقربان ... أما إله الخير فلا خوف منه ولا انقطاع لخيره ، إذ هو مطبوع عليه انطباع زميله على النكاية والايذاء .

بطلت هذه العقيدة وخلفتها عقيدة التوحيد ، ولكنها ذات رجعات وعقابيل تظهر فى المتقدين والملحدين . فأما المتقدون فمثالهم أولئك الجهلاء الذين يتوجهون إلى صنم فرعونى قديم ، وأما الملحدون فمثالهم مدام دى ستايل التى تخاف العفاريت والشياطين ولا تخاف الله . وفيما تقدم كله تفسير لما أشكل فهمه على الأستاذ مورتون مؤلف الكتاب الذى أشرنا إليه .

عباس محمود العقاد

الحقائق العليا فى الحياة

للأستاذ عبد المنعم خلاف

الإيمان . الحق . الجمال . الخير . القوة . الحب

« بعض الألفاظ إذا نطقت بها تتحرك لها فى نفسى دنيا كاملة ! »

١ — الإيمان

أعجب لفنان لا يؤمن وهو دائماً يقلب حواسه فى الطبيعة !

ألا يحس الرباط الجامع بينها وبين قلبه ؟

أهو يعجب إن رأى صنعة إنسانية تحاكى نماذج الطبيعة ، ولا يعجب من النماذج الحية نفسها ، التى تقذفها الأرحام وتتفتح عنها الأكمام ، وتنسجها ظلمات الأرض ، وتصبغها أضواء السماء ؟

ألا يعجب من يقظة القوانين الدائمة الصيانة للذرة والمجرة وما بينهما ؟

أنا أدعو كل ملحد إلى شىء واحد : أن يعيد النظرة مرة ثانية فى أبجدية الحقائق ، وأن يستحضر روح طفل يفتح عينه لأول مرة على الحياة فيرى فيها كل شىء جديداً : الحياة الماثلة فى الطبيعة المجردة لا فى الطبيعة « المحفوظة فى علب » كما يعبر الأستاذ توفيق الحكيم

أدعوه أن يترك الألفاظ الاصطلاحية التى ساقها الجدليون وأهل الخلاف ، فدخلت إلى فكره واحتلته وخنقت الأصوات الطبيعية التى تنبعث فيه منادية إلى الأوليات والمبادئ الفطرية دائماً . بل إنى أدعو كل ذى لب وقلب : أن ابتدئ حياتك ! كن طفلاً من جديد ... أنظر إلى الدنيا بعين ريفى أبله فوجئ بزينة المدينة ... إنس ألفاظ الناس وتعاليمهم . إن كثيراً من معلوماتك دخلت إليك وأنت قاصر لا تميز الخبيث من الطيب . إنهم خدعوك فى الحق وخدعوك فى الباطل . فليس كل الحق عندك حقاً ، وليس كل الباطل كذلك ... وقد بنيت أحكامك بعد أن كبرت واستقللت على أشياء لم تتأكد من صحتها ولم تختبرها بكل عقلك وإلهامك . فأعد النظر فى كل شىء تظفر بلذة عظمى : لذة انكشاف حقيقة نفسك ودنياها لك

لقد أتى « ديكارت » أبو الفلسفة الحديثة بالعجب العجاب حين أعاد النظر فى نفسه ودنياها من جديد ... إنه جدد حياة الفكر البشرى كله حين جدد حياة نفسه فهدم كل ما فيها ثم أعاد ما يستحق البناء منه وذرى أنقاض الباطل فى الريح وفى وجه الشيطان ...

سترى الناس لا يسيرون على الجادة ، ولكن يتفرقون على بنيات الطريق ودروبه المسدودة أو الموصلة إلى التيه ... أو أنهم يستدبرون وجه الطريق ويستقبلون قفاه ... أو أنهم يتخذون قطاع الطريق أدلاء ومرشدين ورواداً ...

إن الطب يدعو إلى صحة الأجسام بتصفية الفضلات والزوائد والأخلاط المضادة ...

فلماذا لا تصفى كل ما فى نفسك لتذهب فضلاتها وزوائدها وسمومها . . ؟

إن هذا يذكرك نفسك دائماً ولا يدعك تذهل عنها بالاشتغال بقشور حياتها وبالنزاع الكاذب عليها ، ولا يشغلك عن مواكب الحياة التى تمر أمامك فى كل لحظة

إنه مسح لزجاجتها حتى تكون شفافة صادقة الوصف والنقل لما وراءها ...

والذهول عن النفس بالخبز والذهب والحديد ، فقدٌ لها وإهدار لحياتها الحقيقية ، وسوء فهم لطرق إمتاعها . وإن طعم الحياة لا يذاق إلا بالتيقظ الدائم لها فى كل لمحة و نَفَس

والانسانية هى هذه النقطة ، لأن الحيوان فى ذهول دائم يسير مكباً على وجهه لا يتيقظ إلا إلى مشتهاه . ولذلك غلب الذهول عن الشئون الوضيعة ، على عقول الفلاسفة والفنانين الصادقين ، لأنهم دائماً فى شغل بصيد الخواطر التى تقفز وتحوم حول حوامهم وأفكارهم

ومتى ابتدأت حياتك شعرت بنفسك ثم شعرت بيد قاهرة خفية تدفعك من غير إرادة منك ولا استشارة لك إلى هذه الدار العجيبة الكبيرة الماثلة : الدنيا . وتلك اليد هى مناط الايمان . يجن العقل ولا يستطيع أن يتصور أن الطبيعة خالية منها أو خارجة عن طوعها ...

فالايمان أن تقذف بنفسك دائما فى أحضان هذه القوة القاهرة الحامية لحقائقها وقوانينها وأن تكون معها كما يكون الطفل مع أبيه: يلوذ به ويعوذ، ويعتز ويفرح، ويفتخر وينتسب.

الايمان هو استمداد القلب قوته وحياته من واهب الحياة وقيوم الدنيا . فالانسان به مسند ظهره إلى جدار السموات والأرض ، مُحْتَمٍ بقوانينها ، مسلط عليهما ، سائر دائما فى صف مجدهما وحقهما : مجد الحياة وميزان العمل فيها ، شاعر أنه قوة خادمة للإلهية عاملة ناصبة للتعمير وإقرار الحياة فيهما ، فهو أنه قيوم صغير نائب عن القيوم الأكبر ، تتجدد فيه الحياة بتجدد خواطره ويتدفق فيه فيض مستمد منها يحيا به كل الحيوات ...

ثم هو فى مخاطبة دائمة مع المشيئة الغالبة العالمة المبدعة التى تلتقى عندها الخلائق

وإن إدراك معنى من معانى الالهية فى خفقة من خفقات الروح أمر يحطم الحدود الضيقة التى يعيش فيها الانسان ، ويجعله يتسع للعالم كله ، فيرى الخلائق جميعها تلتقى وتزدحم وتنصب فى قلبه ... فمن من المتأملين لا يريد أن يرى الدنيا جميعها فى لحظة خارجة عن حدود الزمان ؟

من منكم يا راصدى الدنيا يأبى لنفسه هذا الاتساع وهذا الادراك لكل شئ فى موضعه الحقيقى بين يدى الاله ، سواءأ كان صغيرا صغيرا كالذرة ، أم كبيرا كبيرا كالمجرة ؟!

قولوا ياموصدى أبواب العلم فى وجوههم وفى وجوه الناس !

أجيبوا يا مدمرى سعادة الانسان ومهدرى معناه ومضيعيه فى الأشواك والصخور بين السعالى والغيلان !

أجيبوا يا مشرديه فى أودية التيه ، وخاطفيه من أحضان أبيه وقاذفيه إلى قرار اللعنات والطرد والحرمان والفقد الذى ليس معه عزاء !

أجيبوا فانى لا أفقه ما ترمون إليه إلا أن تكونوا قطاع طرق الرحمة ومطاردى الانسانية من فراديس سعادتها .. ولن تكونوا بذلك إلا شياطين ممسوخة لا تظهر فى أثوابها ، أو مأجورين للشياطين تدفع لهم أجورهم من الشهوات !

أجيبوا يا باحثين عن فراديسهم وهى فى قلوبهم ... ولكن بينهم وبين أن يعيشوا فيها شئ واحد : هو أن يؤمنوا أنها فى قلوبهم قبل أن يروها وبعد أن يروا الحقيقة الكبرى التى تملأ الأكوان فلا يجحدوها ...

أجيبوا ياصانعى الألفاظ ومبلبلى خواطر الناس وجالبى شقائهم الدائم بالعمى عن كل شئ يضىء والصمم عن كل شئ يصيح !

إنهم يبحثون عن سعادتهم فيما وراء قلوبهم ، ولذلك يهدمون كل شئ ويقتلعون كل شئ من مكانه ويفتحون كل « قمقم » كما يفعل الذى يبحث عن متاع ضائع ثمين أليم الفقد ...

كل هذا لأنهم اخترعوا طائرة وسيارة وراديو وتلغراف . . لذلك أغضوا عن البعوضة والبعير ، ونسوا خالقهما وما بينهما .. نسوا الذى اخترع الآلة العجيبة التى فى رؤوسهم ، وهى التى اخترعت هذه الأعاجيب التى بها يفتنون ..

يقول توماس كارليل ما معناه « إن رفع اليد إلى أعلى لا يقل عجباً عن طيران جسم فى الجو، وسماع الصوت من قرب لا يقل عجباً عن سماعه من آخر الأرض »

فالبدأ المعجز موجود منذ الخليقة يراه كل ذى فكر يعبد الحق الأصيل ولا ينساه إذا رأى محاكاة له

***

والايمان وصاية واسعة المسئولية على كل شيء : يشمل رعاية النفس والقربى والرحم والوطن والانسانية والحيوان والجماد ... نعم الجماد فله على المؤمن أن يضعه موضعه فى الفكر وأن يجمله ويسخره ويتأمله ويسبغ عليه من حياته هو ...

فالمؤمن ليس فرديا أنانيا ضيقا حياته له وحده . حتى عياله ؟ إنه يلازم لجيش المبدأ الذى يعمل له ، هو متجرد من سلطان كل شيء ، لأن معه كل شيء ؟ إذ كان على موعد مع ما يفنى منه هنا حيث يتلاقيان عند ملتقى كل شيء، عند الله الذى إليه تصير الأمور فله عين ممتدة البصر وراء الفانى تصبر معه وتعرف مقره النهائى ، فلا يشعر فقده ولا يحرم رفده لأنه معه على اتصال فيما وراء الحجب والكثافات ... فأيما سمو وخلود للنفس يشبه هذا فيما بين يدى عشاق الخلود من الفنانين والعلماء ؟ فمن يتبع الخلود فليلتمسه عند ملتقى كل شيء وكل ظل وكل ضوء وكل صوت . ما بين المؤمن وبين الالهية شيء من الحب لا يقاس معه شأن آخر من شئون الحب فى قليل ولا كثير ... لأنه يدرى أن أباه

الحقيقي هو واهب الحياة وحافظها والقائم عليها والمنظم لآلائها في جسده. وليس لأبويه من ذلك الحب شيء إلا لأنهما سبيل شعوره بهذه الرحمة والحب من الالهية التي أوجدته ليتمتع بأفانين الدنيا وأفانين النفس، وإنه ليرجع إليه في كل أمر سار أو ضار بفرح طفل أو حزنه، وإنه ليدرى أن لضحكه ودموعه صدى عنده. وشتان بين معتقد هذا وحسه وبين من يرى نفسه وحيداً بين معارك الدنيا وحرب الشر والخير، ليس معه عين أبيه ترعاه!

إن الثاني يدخل إلى الدنيا ويراها داراً من غير صاحب يملكها ويتعهدها. فهي عنده شيوع ليس لأحد فيها حرمة إلا بمقدار قوته، فيأخذ منهـا جهرة إن وسعه الجهر، وخلسة إن أحس القهر. لا حدود أمام أطماعه. وأطماعه غير محدودة، والانسانية عنـده قطعان آبدة متوحشة لا رحمة بينها ولا حب إلا في نطاق الضرورة.

وأي شقاء للنفس إذا لم تعرف أن للدنيا مالكا! إنه شقاء يوحي بالجريمة في صور فظيعة فاجعة كجريمة «نيرون» في حرق «روما» بأهلها. وكجرائم «جوف فوشيه» وزير نابليون، الذي استعمل كل ذكائه في التنكيل والتخريب وخدع نفسه إذ كتب على قبره «الموت نوم أبدي»، وكجرائم الفوضويين والمعطلين والدهريين الذين يرتكبون كل شنيعة على حساب العدم

* * *

لا يدخل نفس المؤمن شيء إلا بعد استئذان إيمانه. وما عرفت سلطاناً لشيء على النفس مثـل سلطان الايمان كما غرسه وعمقه القرآن. وإن النفس لتلاقى به كل شيء، فان كان من عوامل البطش استمدت من جبار السموات مدداً عليه، وإن كان من عوامل الرحمة استمدت من الرحمن صوراً من رحمته

وإن المؤمنين ليصبرون على غزو الشبهات لعقولهم ولا يدعونها تصل إلى قلوبهم. وهم أكثر الناس انقذافاً بالشبهات لأنهم ليسوا أغبياء ولا عجزة مغفلين عما في الدنيا من الأحاجي والألغاز؛ فعقولهم دائماً في احتكاك مع حقائق الحيـاة وما فيها من الآراء والمذاهب والأديان وفي تعجب دائم قد يصل بهم إلى درجة الحيرة «ولم تزل الحيرة سمة العارفين»

ولم أر إلا واضعاً كف حيرة … على ذقن أو قارعاً سن نادم

* * *

نهاية إدراك العقول عقـال … وغاية سعى العالمين ضلال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا … سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

قالوا وقلنا دعاوى ما تفيد لنا … إلا الأذى واحتجاجاً في الداجاة

وإنهم ليعلمون أن الله راض لهم الفتنة ليصفيهم، ولا يأخذ منهم إلى قدسه وسبحات عرشه إلا من يثبت على اتجاهه إليه برغم حجب الغيب الكثيفة من جهة وبرغم أضاليل الحياة وتناقض بعض صورها في ظاهر بعض العقول القاصرة، وبرغم همزات الشياطين ونزغهم «وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون»

«إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون»

وإنهم ليكتمون ما عساه يصيبهم منها في صدورهم علماً منهم أنها أمراض طارئة في عصر الشك الذي يصيب كل باحث كما أصـاب الغزالي أبا الزهد والمعرفة حتى تكسرت عنـه العقائد الموروثة» كما يقول في كتابه: «المنقذ من الضلال»، فيرون تحصين الناس منها حتى تبرأ قلوبهم ويهديهم الله إليه بعد جهادهم فيه، فيعرضوها بعد ذلك مع دوائها وبراهين كذبها وبطلانها وعلماً منهم كذلك أنهم ما أوتوا علمهم كل شيء، وأن أساطين العلم المادي لم يعرفوا إلى الآن ما هي المادة التي هي أول ما يدرك.. دع عنك ما خفي في عالم الآفاق وعالم الأنفس، وعلماً منهم كذلك أن أكثر الناس ليسوا مثلهم متفرغين للتفكير في الحقائق ومقابلة بعضها ببعض، وإنمـا أكثرهم يأخذون الحقيقة أو الشبهة أو الأضلولة فيعيشون بها طول حياتهم، وقد يموتون عليها إلا أن يتداركهم الله بمن يغسل قلوبهم من الشبه والأضاليل

* * *

تلك ذخيرة الايمان في قلب! فأين منها تفريغ الالحاد للقلوب من كل معاني عزائها وهنائها وقوتها وخلودها؟ أين منها ملؤه لها بكل معنى أثيم أو تافه أو فان؟ يا ويل من أراهم فارغي القلوب وقد صاروا الآن لا عدد لهم!

لقد ضاعوا لأنهم فقدوا ميراث عزائهم ولم ينالوا الدنيا

وعندي أن كل ملحد واجب عليه إخلاصاً لالحاده أن يكون مجرماً سفاكا أنانياً وحشياً حتى يحقق مقتضيات إلحاده

فلا فائدة من الأخلاق والعلوم والبدوات ما دام القلب فارغاً من الله . وقد قلنا فى مقال « حرمة البيان » « ما هو الحق ؟ ما هو الشرف ؟ لولا الله ، كل المعايير ساقطة باطلة مبلبلة إذا لم تكن فى يده هو . . . كل الصدق كذب ... وكل الخير شر ، إذا لم يقله لنا هو ... ! »

لعمر الحياة لو كان الايمان كذباً لكان أهدى من الصدق ! وما دام الانسان يطلب السعادة والراحة فلماذا لا يطلبهما هنا ؟ لماذا يخطئ معنى دوامهما ؟ افرضوه كذباً ... فهل برئت حياتكم من الكذب ؟ إنها مجموعة أكاذيب مات منها حكاؤكم غيظاً أيها الناس !

إنه قياس أدركه الأقدمون واختار العقلاء منهم ما عبر عنه شاعرهم بقوله :

إن صح قولكما فلست بخاسر أو صح قولى فالخسار عليكما

وما دمتم تقيسون قيمة الشىء بالنفعة ، فأيما شىء أنفع من معنى الايمان فى حياتكم ؟ إنه أعظم معنى جلب النفع للبشرية . وقصة تقدم الانسانية هى قصة المؤمنين منها ؛ فانهم هم الذين تسلموا قيادها مرحلة مرحلة لأنهم أحسوا الايمان بالقيوم الأكبر فأحسوا الوصاية نيابة عنه على القطيع القاصر ، وحملوا أعباءه ونهضوا بها نهوض الجليدين الصليبين الذين لم يستول عليهم ضعف البشر لأنهم أولو العزم الذين فى قلوبهم ذلك المعنى الحديدى الذى لا يفلت منه شىء : وهو الصبر ! « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » فكل معانى شرف الانسانية شعب وفروع من تلك الأرومة

ولذلك لو تغيرت فكرة الالهية يجب أن تتغير موازين الخير والشر . ولكم فى ضمير الانسانية إيماناً عميقاً بالخير من غير سبب ظاهر، وكفراً عميقاً بالشر من غير سبب ظاهر؛ وقد أدى ذلك الفيلسوف الانجليزى « باركلى » إلى أن يأخذ من هنا برهانه على أن هناك عقلا أعظم قد أقر موازين الخير والشر فى القلوب كما هما ، لأن الخير والشر عنده كذلك

« الرستمية » عبد المنعم خلاف

التعليم والمتعطلون فى مصر

للأستاذ عبد الحميد فهمى مطر

هناك غير ذلك حب التضحية والايثار ، وفى هذا يقول الله فى كتابه الكريم : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » وهذا يستلزم أن يمرن الفتى أو الشاب أو الرجل على عمل الخير والاحسان إلى الغير فى القول والعمل وأن يقلل من التفكير فى شخصه ومصلحته الخاصة . وأن يتعفف عن العمل لنفسه فقط . وفى هذا يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « أحب لأخيك ما تحب لنفسك » ويقول سنيكا : « لو أعطيت الحكمة كاملة لنفسى على أن أستأثر بها وأمنعها عن إخوتى بنى الانسانية لكرهت الحكمة »

ولا شك أن تمرين الانسان نفسه على حب غيره ومساعدته مع التقليل من حب نفسه يدفعه إلى الاحسان المستمر . وإلى البذل ثم إلى التضحية وإيثار غيره على نفسه . وهو أعلى مراتب السمو الانسانى .

ومن أحسن الامثال التى يمكن أن تضرب فى التضحية والايثار ما قرأناه عن أمة اليابان الفتية وإقدام أبنائها على بذل المهج والتضحية بالنفوس فى سبيلها . من ذلك أن الحكومة أعلنت عن « طوربيد » اخترعه أحد المخترعين يستلزم دخول إنسان فيه يوجه إلى هدفه إذا ماقذف ، فاذا اصطدم بالهدف بارجة كان أونسافة أو غواصة انفجر بمن فيه فقتله فى الحال. ولكنه فى الوقت نفسه يفتك بهدفه فتكا ذريعا ثم أعلنت عن حاجتها إلى أربعمائة شخص لهذا الغرض المهلك . فتقدم إليها سبعة آلاف شاب يطلبون تلك التضحية عن طيب خاطر . وفى تاريخنا الاسلامى أمثلة كثيرة من التضحية والايثار فلقد ورد عن سيدنا على بن أبى طالب زوج فاطمة ابنة الرسول أنه قال لها يوماً : جهزى لنا طعاماً . فقالت : والله ليس عندى غير الماء . فقال لها : إذن أمسك اليوم صائماً . ثم قال لها فى اليوم التالى : جهزى لنا طعاماً يافاطمة . فقالت: والله ليس عندى غير الماء. فأمسك صائما ثم تكرر ذلك فى اليوم الثالث . وفى اليوم الرابع خرج إلى السوق

فرهن بعض الأشياء عند يهودي واشترى بما أخذه من نقود دقيقاً وسمناً وعسلاً وأحضره إليها . فجهزت الطعام ولما جلسا للأكل دق الباب فقام فوجد رجلا يبكي فقال له: ما خطبك؟ قال: لي عشرة أيام لم أذق الطعام . فعاد فأخذ إليه ثلث الطعام . ولما جلس مع زوجه إلى الأكل دق الباب ثانية فقام فوجد امرأة ومعها طفل رضيع يبكيان فقال: ما خطبك ؟ قالت: لهذا الطفل اليتيم خمسة أيام لم يذق الطعام . فذهب فجاءها بالثلث الثاني من طعامه . ثم عاد فجلس مع زوجته للأكل فدق الباب ثالثة فذهب فوجد رجلا مسلماً كان قد أسره الكفار ثم هرب منهم ولم يتذوق الطعام منذ خمسة عشر يوماً فجاءه بالثلث الأخير من الطعام ، ثم خرج إلى المسجد جائعاً ، فوجد رسول الله جالساً فابتسم لما رآه وقال له : لقد أنزل الله فيك قرآناً قال : وما هو يارسول الله ؟ فقرأ « ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً » فسر عليّ بذلك سروراً عظيما . وكان هذا نعم الغذاء الروحي . بأمثال هذه القصص والحوادث يجب أن يتعلم الناشئة كيف يكون البذل ، وكيف يكون الايثار

ثم هناك بعد ذلك تعويد الناشئ الاعتماد على النفس والتغلب على الصعاب بالمكافحة والمثابرة وهو خلق نجد شباب اليوم أشد ما يكونون حاجة إليه في معارك الحياة ومنافساتها القوية ، ويستلزم أن يمرن الفتى على الصبر على المكروه واحتمال الشاق والمثابرة على العمل فلا يتبرم إذا أخفق ولا ييأس إذا فشل . بل يتابع عمله ويستأنف جهوده مستبشراً بالمستقبل مملوءاً أملا وثقة بالنجاح والوصول إلى هدفه عاجلا أو آجلا مهما لقي من عنت أو إرهاق جاعلا نصب عينيه مثله العليا حتى يفوز بما يبغي . فقد قال نابليون بونابرت : « لامستحيل على قلب الشجاع » وإن أخوف ما أخاف على شبابنا ضعف العزائم وقلة الاقدام وعدم المثابرة . ولو أنهم قرأوا شيئاً من تاريخ المخترعين والمصلحين والمجاهدين . وما لقيه من عنت وإرهاق هؤلاء وأولئك من أمثال نيوتن وجاليليو وباستير وجان دارك ومصطفى كامل وفريد وسعد زغلول ؟ بل لو أنهم قرأوا مالقيه صاحب الرسالة الاسلامية في سبيل دعوته من عنت وإرهاق واضطهاد وعذاب وتشريد لعرفوا حقا كيف تكون قوة الايمان وكيف تنجح المثابرة والمصابرة

وتلك صفات إذا غرست في الفتى ، وتعهد المشرفون على تكوينه وتربيته تغذيتها وتقويتها بالمثل الصالحة أنتجت الانتاج المفيد المثمر ، وإن في قول العلامة بوفون « ليست العبقرية إلا الصبر الطويل » لدليل آخر على ذلك

وهناك فوق كل ما تقدم خلق آخر جدير بأن يعنى به العناية كلها في وقتنا الحاضر وهو خلق غير فردي ، بل خلق جمعي يبث بين الجماعات المكونة لطوائف مختلفة في سبيل مصلحة الجماعة وفائدتها . ذلك هو التضامن وهو الذي يقول فيه الحديث الشريف « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » ولقد أصبح هذا الخلق ضرورياً لمختلف الطوائف لأنه من الأمور التي يبنى عليها نجاحها في معترك الحياة ، وإن طوائف العمال في مختلف الممالك لم تنجح النجاح الباهر الذي أدى بها إلى تسلم مقاليد الحكم كما حصل في انجلترا إلا بتضامنها وتعاونها وتساندها . وإن في اشتراك جماعات الطلبة في عمل واحد لا يقوى عليه فرد واحد منهم كما هو الحال في معظم أنواع الألعاب الرياضية لطريقة ناجحة تعودهم هذا الخلق المفيد . تلك هي الأخلاق التي يجب على كل والد أن يتولى غرسها في ولده ، كما يجب على كل مدرسة أن تتعهدها وتنميها وتشجعها في أبنائها . وإنه لما يؤسف له حقاً أن المدرسة الحالية توجه أشد عنايتها إلى الكتب ودراستها والمناهج واستيعابها وملء عقول التلاميذ بمحتوياتها ليؤدوا فيها الامتحان المطلوب منهم في آخر العام من غير أن تعنى العناية المطلوبة بتكوين النشء التكوين الخلقي الذي تتطلبه الحياة . يقول صمايلز في بدء كتابه عن الأخلاق « الأخلاق من أمهات القوى في هذا العالم . وهي في أبهى مظاهرها تمثل الطبيعة البشرية في أرقى أشكالها . لأنها تظهر الانسان وهو في أرقى خلاله ، ثم إن النوع البشري خاضع مسخر للرجال ذوي الكد والاستقامة المتشبعين بالأخلاق الراقية والأغراض الصادقة الخالصة ، لأن الاعتقاد في مثل هؤلاء والثقة بهم والتشبه بأعمالهم غرائز في النفس . أولئك هم دعائم ما في هذا العالم من خير ، ولولاهم لكان الوجود في هذا العالم عبثاً ، ولئن كانت العبقرية تحرك الاعجاب فان الأخلاق ضامنة التوقير والاجلال . ذلك أن هذه منشؤها قوة العقل ، وهذي منشؤها قوة القلب ، والقلب عادة صاحب السيطرة في الحياة .

فالعبقريون في المجتمع بمنزلة الذهن من الانسان ، وذوو الأخلاق بمنزلة الدمة . وبينا أولئك يعجب بهم إذ هؤلاء يهرع إليهم » وقال أيضاً : « كم من أناس لا يملكون من الدنيا سوى أخلاقهم ، وهم بفضلها كصاحب التاج العدل بتاجه ، وليست طهارة الأخلاق وحسنها من مستلزمات ذوي العقول المثقفة بالمعارف . فقد يجتمع التفوق العقلي والأخلاق السافلة فيبذل المتعلم المثقف لذوي المقامات الرفيعة . ثم يتغطرس على ذوي المنازل الوضيعة » وقال جورج هربرت : « قليل من الحياة الصالحة خير من كثير من العلم والمعرفة » ثم قال صميلز في موضع آخر « ليس الاستعداد العقلي ولا التفوق الذهني بنادرين في العالم ، ولكن هل يعتمد على الاستعداد العقلي وحده؟ وهل يؤتمن التفوق الذهني ؟ كلا . اللهم إلا إذا رافقهما الحق فهو الخلة التي تضمن لصاحبها التبجيل والتعظيم ، وتحمل غيره على الثقة به ، وهو أساس كل فضيلة ، ويظهر في معاملة المرء وسلوكه ، وهو الاستقامة والاخلاص في العمل وله نور يسطع في كل قول وفعل ، هو الباعث على ثقة المرء بنفسه والحامل للناس على الثقة به ، والمرء ذو المكانة في العالم هو الذي يصح الاعتماد عليه ، هو الذي إذا قال إن له علماً بشيء كان عالماً به حقاً ، وهو الذي إذا قال إني فاعل شيئاً فعله حقاً ، وهكذا يحصل الواثق بنفسه على ثقة الناس به واعترافهم بقيمته » وقال مرتن لوثر : « ليست سعادة الأمم في كثرة أموالها ؛ ولا في قوة استحكاماتها ، ولا في جمال مبانيها وشاهق قصورها ، إنما سعادتها في أبنائها المثقفين ورجالها المهذبين الذين استنارت بصائرهم واستقامت أخلاقهم ، فهؤلاء قوتها الأساسية وعظمتها الجوهرية » فهل بعد هذا كله يحق للمدرسة أن توجه كل جهودها إلى الثقافة ودراسة ما في بطون الكتب إعداداً للامتحان من غير أن تكترث بمادة الحياة الأساسية وهي الأخلاق ؟ وهل بعد هذا ننتظر من خريجي مدارسنا أن يقوموا على العمل ، وأن يسيروا في حياتهم السيرة الحميدة المطلوبة وقد أهملتهم هذا الاهمال

اهمال المدرسة للأخلاق ونتائجه

وإني لا أستطيع أن أفسر إهمال المدرسة في تقوية أخلاق النشء والعمل على تكوينهم تكويناً خلقياً عالياً إلا بأمور ثلاثة :

الأول : اندفاع المدرسة في تيار السياسة التعليمية التي رسمت لها عملياً من قبل وجعل النجاح في الامتحان في نهاية العام الدراسي هو الغاية التي ليس وراءها غاية من غير أن يفكر ولاة الأمور وقادة التعليم فينا تفكيراً جدياً عميقاً فيما يستدعيه الاصلاح الحقيقي للمدرسة وما يتناسب مع نهضتنا الجديدة وقوميتنا .

الثاني : صعوبة ما يستدعيه العلاج الخلقي المدرسي من درس وفحص وتمحيص وما يستلزمه من مرونة في العمل وعدم الوقوف عند الخطة الآلية التي تسير عليها المدرسة الحالية من حيث قياس الأعمال بالدرجات في الامتحانات ونتائجها . وما يستدعيه فوق ذلك من السلطة المركزية من الديوان العام إلى أيدي المشرفين الفعليين على المدارس . وهو الأمر الذي لا زال يقاوم إلى اليوم

الثالث : عدم ثقة القابضين على زمام الأمر في الوزارة بالمشرفين على المدارس والقائمين بالأمر فيها مما حال بين أولئك وبين ثقة غيرهم بهم . فأدى ذلك إلى انحطاط مستوى رجال التعليم الأدبي ونفوذهم في الهيئة الاجتماعية وفي هذا ما فيه من النزول بالمدرسة إلى مستوى لا يليق بها .

من أجل هذا أهمل تكوين الخلق في المدرسة فانحطت الأخلاق العامة وتدهورت وصرنا اليوم نواجه في شبابنا حالة سيئة لا يرضاها وطني محب لبلاده : نرى شبابنا عاطلا خلوا من حب المغامرة والاقدام والنزول إلى ميدان العمل والكفاح في الحياة مليئا بأنواع الخنوثة والطراوة ، وعدم القدرة على المثابرة والنضال واتجه همه إلى العمل بيمض عادات الفرنج التي أصبح كثير من الفرنج يستقبحونها ويمقتونها كالخلاعة والرقص وحب اللهو والدعارة ، وصار أحب شيء إليه التأنق في الملبس وارتياد محال اللهو والفجور والتهتك في الطرقات ، وارتكاب المحظورات والمحرمات ، والعمل على الحصول على المال اللازم لذلك بالتدليس والغش والنصب والتزوير والاحتيال ، مع الخروج على المبادىء العامة المقررة في الأسرة والمدرسة ، فالصغير يريد أن يرغم الكبير على الاستماع لأمره وتنفيذ رأيه ، والتلميذ يرغب في أن يقود أستاذه وناظر مدرسته كما يشاء هواه . وقد ساعده على ذلك ما نعرف نحن كما يعرف غيرنا من رجال التعليم من مآسي كثيرة وقعت في المدرسة بسبب أخطاء خلقية كبيرة ارتكبها الطلبة

وأرادت المدارس أن تقمعها بالعقوبة الرادعة ولكن الوزارة عن طريق الشفعاء السوء كانت تهمل رأى المدارس بل كانت تجبرها أحياناً على القيام بعكس ما تراه بالانتصار للمخطئين والخارجين على حدود الآداب والفضيلة مما أدى فى بعض الأحايين إلى نقل ناظر المدرسة أو بعض المدرسين الذين لا يروق لهم ذلك .

ولم يقف الأمر عند المدرسة بل انتشرت الفوضى الخلقية انتشاراً مخيفاً يشفق على هذه الأمة منه عقلاؤها . ويكفى أن ندلل على تمسك الكثيرين من المتملين بأهداب الفضيلة وكرم الأخلاق مما يقع تحت حسنا ونظرنا فى المجتمع المصرى فى كل يوم وفى كل لحظة : فهلا سمعت برجل الصحافة الذى يهاجم أشراف الناس وأبرياءهم ، وهم هادئون آمنون فينهش أعراضهم ، ويقذفهم بأشنع التهم وأخس السباب ، حتى إذا ما استدعاه أحدهم ونقده الجنيه أو الجنيهين ، انقلب فى يوم وليلة مادحاً له معتذراً عما سلف منه بمختلف الأعذار السخيفة ، فاذا ما نفحه شيئاً جديداً بعد ذلك كال له من المدائح ما يجعله فى مصاف الأبطال والمجاهدين ؟

وهلا سمعت بذلك الموظف الذى يدين بمركزه الكبير لوزير من الوزراء فتراه يتردد على منزله كل يوم ليقدم له فروض الطاعة والولاء وليقوم بخدمته فى كل ما يطلبه منه مهما جل أو قل ، ثم هو فوق ذلك يخضع لهواه فى كل صغيرة وكبيرة مهما كلفه ذلك من الشطط والانحراف عن جادة الحق والعدل ، فاذا تبين منه قليلا من الانتقاد أو الامتعاض من موظف آخر صغير لسوء فهم أو التباس فى أمر أسرع فأنزل به السخط وألبسه ثوب الذل وصادره فى رزقه وكرامته مهما كان ذلك الموظف الصغير مخلصاً فى عمله مؤدياً لواجبه مستقيماً فى حياته محتفظاً بكرامته . والأدهى من ذلك أننا نجهد ذلك الموظف الكبير الذى ظلم الناس وداس كرامتهم متابعة لهوى سيده ينقلب فى طرفة عين عليه إذا ما زحزحت الظروف ذلك الوزير عن مركزه ، وحل محله غيره يخالفه فى الرأى . فموظفنا العظيم لا ينقطع عن زيارات سيده السابق ولا يقطع علاقته به فحسب، ولكنه فوق ذلك يتحامل عليه وعلى أعماله أمام سيده الجديد إرضاء له ، وهو فوق ذلك يحاربه بكل قوة ، وينقلب عدواً لدوداً له . وبذلك يكسب عطف سيده الجديد ويضمن الرقي على يديه . وهل بلغك خبر ذلك المحامى النابه الذى يوكله أحد المتقاضين فى قضية له ، وينقده نصف الأجر ظاناً أنه سيعمل فى صفه بأخلاص ، فاذا به يتصل بالخصوم ، ويأخذ منهم من المال كل ما تصل إليه يده ليهمل فى حقوق موكله فتضيع عليه حقوقه ؟ وهلا قرأت فى الجرائد اليومية حيل المحتالين والنصابين وحوادث التزوير والتدليس ، والاعتداء على العفاف والطهر مما يتزايد ضرره كل يوم وتملأ به الجرائد صفحاتها ومع ذلك فهناك فوق ذلك والأسفاه كثير مما لا يصل إلى تلك الجرائد ! هذه بعض الحال السيئة التى وصلنا إليها ، وهى تنخر فى عظام الأمة نخرا ، بينما قادتنا وساستنا لاهون عنها ، مع أن معظمهم قد ذاق الأمرين منها واكتوى بنارها ، فجدير بهم أن يعنوا بها قبل عنايتهم بأى أمر آخر مهما كان هاما . وإنى لأرى محلا للعناية بها وإصلاحها غير المنزل أولا ، والمدرسة ثانيا ، وإذا كان المنزل أساسه وقائده وحاكمه هو المرأة ، وتربية المرأة متوقفة كذلك على المدرسة ، فقد صارت المدرسة عندنا هى الحجر الأساسى فى تكوين الأخلاق وإصلاحها .

يقول صميلز فى كتابه الأخلاق : « وهكذا اضمحلت رومة ثم لحقها الدمار لما عم أبناءها فساد الأخلاق ، واستولى عليهم حب اللهو والخمول ، حتى كانوا فى أواخر أيامهم يرون العمل لا يليق إلا بعبيدهم . أمسك أبناؤها عن التحلى بما تحلى به آباؤهم الأولون من فضائل الخصال فسقطت الدولة ولم تكن أهلا للبقاء . وهكذا تسقط الأمم الخاملة المنهمكة فى اللذات ، الراتعة فى بحبوحة الترف ، والتى تستنكف العمل الصالح ، تسقط لامحالة ويخلفها فى عظمتها الأمم الحية العاملة » ثم يقول فى موضوع آخر « ومجمل القول أن سلامة الأمم والحكومات تتوقف على سلامة الأخلاق ولن تكون أمة عظيمة من أفراد فاسدى الأخلاق ، مهما لاحت عليهم آثار الحضارة والرقي . ولكنهم لا يلبثون أن يتلاشوا متى صادفتهم عقبة أو غشيتهم شدة . ولن يكونوا ذوى قوة حقة ورابطة متينة وسلامة تامة إلا إذا اتصف كل فرد منهم بالصفات الجميلة والخصال الحميدة والأخلاق الفاضلة » .

عبد الحميد فهمى مطر

رد على مقال

ولي الدين يكن

وشعره السياسي

للأستاذ محمد مجاهد بلال

قرأت في العدد ٢٧٨ من الرسالة فصلا للأستاذ كرم ملحم كرم عن ولي الدين يكن، فسرني أن يتحدث أديب من بيروت عن ولي الدين؛ فان ولي الدين لا يذكره المصريون، كأنه لم يعش بينهم ولا يتحدثون عنه، كأنه لم يكن شيئاً ذا بال. ويرحمه الله فهو القائل (... وليس رجل ينكره معارفه ويتجافاه أقرب أقاربه إلا الأديب، فهو إذا برّز على أقرانه حسدوه وإن قصر عنهم حقروه)

ومن الحق أن أقول إنني لم أكد أفرغ من قراءة المقال حتى أحببت أن أقول شيئاً في ولي الدين، لا لأن الأستاذ كرم حبّب هذا الشاعر إليّ، فاني أحب ولي الدين من قبل، وقد كتبت عنه أكثر من مرة، وإنما لأن الأستاذ له رأي في شعر ولي الدين السياسي لم أستطع فهمه، فهو يقول:

« ولي الدين كان عبد العاطفة، وكل شعر شذ به عن العاطفة كبا فيه، والدليل شعره السياسي؛ فأين هذا الشعر من القصائد المصهور فيها قلب ولي الدين؟ فبينا أنت إزاء ولي الدين العاطفي في حضرة شاعر من الطبقة الأولى إذا بك تجاه شعره السياسي أمام شاعر من الطبقة الثانية بل الثالثة »

ولقد جرى في أكثر حديث الأستاذ معنى هذا الكلام واتضح أنه حكم على شعر الرجل السياسي حكما لا أقول قاسيا وإنما هو بعيد عن ولي الدين

والغريب أن الأستاذ حين أراد أن يقيم الحجة على رأيه تجاهل شعر ولي الدين السياسي كله ولم يذكر منه إلا هذين البيتين:

هلمو بنا نحو الأمير نسلم	سلام على عباس مصر المعظم
ألا إن في الأكباد شوقا مبرحا	إليه فقد كادت من الشوق تدمى

مع أن هذين البيتين لا يدخلان في باب الشعر السياسي بقدر ما يدخلان في باب التهنئة والمديح!

أحب الآن إذاً أن أعرض لشعر ولي الدين السياسي وأن أعرض له في شيء من الايجاز، فاني أعلم أن صفحات الرسالة معدودة ووقت فراغي محدود

***

شعر ولي الدين السياسي جله عذب وجله قد نطق به (وقلبه مصهور) وأظن أن القلب لا يصهره حب الغواني فقط — كما يفهم من مقال الأستاذ — وإنما تصهره الآلام جميعا مهما كانت مصادرها. والذي يعرف تاريخ ولي الدين وحياته بين القاهرة والآستانة وسيواس يعرف أن شعره السياسي لم يكن عبثا وإنما كان ينطق به وعواطفه ملتهبة وقلبه ملتاع.

لقد كان ولي الدين أصدر بالقاهرة جريدة سماها (الاستقامة) فمنعت حكومة الآستانة دخولها إلى الممالك العثمانية واضطر أن يوقف صدورها ويودعها بقصيدة جاء فيها:

ولي أمل أودى الزمان بنجحه	وخيبه سوء الظنون فخابا
ولو شئت وفيت الليالي حسابها	عليه ولكن لا أشاء حسابا

ومنها:

فمن مبلغ عني الغضاب الألى جنوا

بأني امرؤ ما إن أخاف غضابا

أذم فلا أخشي عقابا يصيبني	وأمدح لا أرجو بذاك ثوابا
علام أحابي معشرا أنا خيرهم	ومثلي إذا حابي الرجال يحابى

إلى أن قال:

ولما غدا قول الصواب مذمما	عزمت على أن لا أقول صوابا

فجافيت أقلامي وعفت (استقامتي)

ورحت أرجي للسلامة بابا

فهل من الحق أن ننكر في هذه الأبيات قلب ولي الدين وعاطفته وهل من الحق أنه قد كبا فيها؟ لا أظن.

وهذه أبيات من قطعة أخرى قالها ولي الدين في منفاه:

فؤاد دأبه الذكر	وعين ملؤها عبر
ونفس في شبيبتها	وجسم مسه الكبر
وآمال مضيعة	ووقت كله هذر
وعيش عذبه مضض	وعمر صفوه كدر
أما ياليل من صبح	لمن سهروا فينتظر

ومنها :

علام نلوم أعداء على شر إذا قدروا

بلوناهم لدن شبوا أنفناهم إذا كبروا

نصحناهم فما انتصحوا زجرناهم فما ازدجروا

لقد صلدت قلوبهم كأن قلوبهم حجر

إذا ائتمروا على كيد فانا سوف نأتمر

فمن نخشى وفوق العر ش مهما يفتر بشر

فهل من الحق أن ننكر فى هذه الأبيات أيضاً قلب ولى الدين وعاطفته ؟ وهل من الحق أنه قد كبا فيها ؟

وانظر إلى ولى الدين وهو يصور رجال العصر الحميدى وقادته فى أبيات لا تقل جمالا عن سالفتها :

كفى حزناً أن الرجال كثيرة وليس لنا فيما نراه رجال

تحكم قوماً لا يسالون قائلا وإن قام كل العالمين فقالوا

إذا ارتقبوا أمراً فذلك منصب أو اطّلبوا شيئاً فذلك مال

بنال تسوس الأسد شر سياسة وما ساس أسداً قبل ذلك بنال

***

أما بعد : فالأستاذ كرم موافق على أن ولى الدين يجيد ويسمو ويبرع ويروع حين يصهر قلبه ، فهل حالات ولى الدين التى دفعته إلى أن يقول هذا الشعر الذى قدمتُه لا تصهر قلبه؟ وماذا ننتظر من رجل تحولت آماله آلاما سوى أن نسمع منه صدى قلبه المصهور ، ومن رجل منفى سوى أن ينطق بما يكابد ويعانى ، ومن رجل حر أبى — يرى حريته مكبوتة ولسانه معقوداً — سوى أن يترجم لواعجه وفواجعه ؟

إحدى اثنتين : إما أن يكون ولى الدين يجيد ويروع حين يصهر قلبه — كما يرى الأستاذ — وإذاً فهذه الأبيات جيدة رائعة ، وإما أن هذه الأبيات ليست جيدة ولا رائعة — كما يرى الأستاذ كذلك — وإذاً فولى الدين لا يجيد ويروع حين يصهر قلبه

فليختر الأستاذ لنفسه إحدى السبيلين

« طهطا » محمد مجاهد بهول

تفتيش المعارف

كتاب المبشرين

اغلاطه اللغوية

لأستاذ جليل

كتاب (المبشرين) أغلاطه فى اللغة وغير اللغة — يا أخا العرب — كثيرة . وهذا نموذج من تخليطه اللغوى :

١ — فى الصفحة (٤٧١) : « أهل المدينة القربى من الفتيل »

قلت : قالت العربية : الأقرب ، ولم تقل فى مؤنثه القربى كما لم تقل فى الأظرف والأكرم والأشرف : الظرفى والكرمى والشرفى ، وهذا باب مرجعه السماع . وإذا جاءت فى (أفعل التفضيل) أل غابت من . قال المفصل : « وتمتوره حالتان متضادتان لزوم التنكير عند مصاحبة من ، ولزوم التعريف عند مفارقتها » وبيت الأعشى :

ولست بالأكثر منهم حصى وإنما العزة للكاثر[1]

قال فيه شارح الكافية : « من ، فيه ليست تفضيلية بل للتبعيض أي لست من بينهم بالأكثر حصى كما تقول مثلا : أريد شخصاً من قريش أفضل من عيسى (عليه السلام) فيقال : محمد (عليه السلام) الأفضل من قريش ، أى هو أفضل من عيسى من بين قريش » وقال صاحب (الخصائص) وشارح (المفصل) فى البيت مثل ذلك

٢ — فى الصفحة (٤٣٥) : « واستنزلهم على حكم يهودى خائن متمسلم ، اسمه سعد بن معاذ » وجاءت (متمسلم) فى الصفحة (٣٦٥) أيضاً

قلت : لا يقال : تمسلم الرجل أى أسلم أو انتحل الاسلام ظاهراً إن كان كتاب المبشرين قصد هذا المعنى . وتمسلم فى العربية معناه تسمى بمسلم ففى (القاموس المحيط) : « ويقال : كان يسمى محمداً ثم تمسلم أى تسمى بمسلم » وأسلم من هداه الله وتسلم : دان بدين العدل والمساواة . قال (لسان العرب) :

(١) الحصى : العدد الكثير تشبيهاً بالحصى من الحجارة فى الكثرة

« كان فلان كافراً ثم تسلم أي، أسلم ، وكان كافراً ثم هو اليوم مسلمة يا هذا »

٣ — فى الصفحة (٣٩٧) : « أشد أذى لهم وأبلغ نكاية عليهم »

قلت : يقال : نكى فيه ونكاه لانكى عليه ، والأقوال العربية وكتب اللغة كلها تخطىء البشرين . قال (الصحاح) : نكيت فى العدو نكاية إذا قتلت فيهم وجرحت ، قال أبو النجم : (ننكى العدا ونكرم الأضيافا) وفي (النهاية) : أو ينكى لك عدواً ، ومثل ذلك فى اللسان والتاج والأساس والمصباح ، وقد يهمز ، لغة فيه

٤ — فى الصفحة (٢١) : « ثم أبادهم بنو اسرائيل عن بكرة أبيهم » وفى الصفحة (٤١٠) : « وإهلاك أهل قرية عن بكرة أبيهم »

قلت : ليس لكلام البشرين معنى وأصل هذا القول : (عن بكرة أبيهم) مثل ، والأمثال لا تغير ، وقد ذكرته كتب الأدب واللغة وأوضحته ، قال (مجمع الأمثال) : « جاؤا على بكرة أبيهم ، قال أبو عبيد : أى جاءوا جميعاً لم يتخلف منهم أحد، وليس هناك بكرة فى الحقيقة . وقال غيره : البكرة تأنيث البكر وهو الفتى من الابل، يصفهم بالقلة أى جاؤا بحيث تحملهم بكرة أبيهم قلة . وقال بعضهم : البكرة ههنا التى يستقى عليها أي جاءوا بعضهم على أثر بعض كدوران البكرة على نسق واحد . وقال قوم : أرادوا بالبكرة الطريقة كأنهم قالوا : جاءوا على طريقة أبيهم أى يتقيلون أثره . وقال ابن الأعرابى : البكرة جماعة الناس يقال جاءوا على بكرتهم وبكرة أبيهم أى بأجمعهم . قلت : فعلى قول ابن الأعرابى يكون على فى المثل بمعنى مع أى جاءوا مع جماعة أبيهم أى مع قبيلته؛ ويجوز أن يكون على من صلة معنى الكلام أى جاءوا مشتملين على قبيلة أبيهم . هذا هو الأصل ثم يستعمل فى اجتماع القوم وإن لم يكونوا من نسب واحد . ويجوز أن يراد البكرة التى يستقى عليها وهى إذا كانت لأبيهم اجتمعوا عليها مستقين لا يمنعهم عنها أحد ، فشبه اجتماع القوم فى المجىء باجتماع أولئك على بكرة أبيهم »

وأورد المثل الصحاح واللسان [١] والأساس [٢] والتاج من المعجمات ، وكتاب (جمهرة الأمثال) لأبى هلال العسكرى ، وكتاب غاية الأرب فى معانى مايجرى على ألسنة العامة فى أمثالهم ومحاوراتهم من كلام العرب للمفضل بن سلمة ، ووردت هذه المصنفات بعض ما كتبه الميدانى في شرح المثل .

٥ — فى الصفحة (١٦٠) : « إلى أمر جسدانى فقط » وفى الصفحة (٢٠٣) : « بعلاذ جسدانية »

قلت : النسبة إلى الجسد جسدى ، وإذا كانت العربية لم تجز الجسمانيات — كما قال ابن أبى الحديد فى شرح النهج — وفيها الجسمان بمعنى الجسم فكيف يكون حالها مع الجسدانى والجسدانية؟ وليس الجسدانى نسبة شاذة كما قال صاحب (أقرب الوارد) بل هى خطأ ، وجريدة الشاذ الطويلة فى باب النسبة معروفة ...

٦ — في الصفحة (٢٩٤) : « لكثرة ما انتشب بينهم من الحروب مهدوا »

قلت : انتشب مطاوع أنشب أى اعتلق ، وأنشبه هو فيه أى أعلقه فأنشب ، وأنشب البازى مخاليبه فى الأخيذة . وانتشب حطباً جمعه ، وانتشب طعاماً له ، ذلك ما قالته العربية ، ولم تقل : أنشبوا فيهم الحرب فانتشبت ... وقد جاء فى اللغة وهو من المجاز — ناشبه الحرب أى نابذه ، ونشبت الحرب بينهم نشوباً اشتبكت .

٧ — فى الصفحة (٢٣٢) : « لا يحل فيه صيد الوحش ولا قنص الطير ولا اختضاد الشجر »

قلت : في اللسان والتاج : « اختضد البعير أخذه من الابل وهو صعب لم يذلل لخطمه ليذل وركبه ، حكاها اللحيانى ، وقال الفارسى : إنما هو اختضر » وقالت اللغة : خضد الشجر وخضده أى قطع شوكه ، وخضد العود أى ثناه فانخضد وتخضد وسدر

(١) فيه : ابن جنى : عندى هو من قولهم : بكرت فى كذا أى تقدمت فيه ، ومعناه جاؤا على أوليتهم أى لم يبق منهم أحد بل جاءوا من أولهم إلى آخرهم .

(٢) فيه : وأصله حديث الدهيم . (قلت) قال اللسان : قيل للداهية دهيم أن ناقة كان يقال لها الدهيم . وغزا قوم من العرب قوما فقتل منهم سبعة إخوة فحملوا على الدهيم فصارت مثلا فى كل داهية . وفى النهاية : جاءت هوازن على بكرة أبيها : هذه كلمة للعرب يريدون بها الكثرة ووفور العدد وأنهم جاؤا جميعا لم يتخلف منهم أحد .

مخضود ومخضد وخضيد، وفى الحديث فى شجر المدينة : حرمتها أن تعضد [1] أو تخضد . ومن حديث الدعاء : تقطع به دابرهم وتخضد به شوكتهم . وهذا مجاز [2]

٨ — فى الصفحة (٣٥٨) : « تذييل على الثلاثة فصول الأولى من المقالة » ومثل ذلك فى الصفحة ٤٧٦

قلت : أخطأ المبشرون فى (الثلاثة فصول) قال شارح المفصل : « فالطريق فيه أن تعرف المضاف إليه بأن تدخل فيه الألف واللام ثم تضيف إليه العدد فيتعرف بالاضافة على قياس غلام الرجل » وفى (أدب الكتاب) : « تقول : ما فعلت ثلاثة الأثواب ولا يجوز العشرة أثواب » قال ذو الرمة وروى الشاهد المخصص وشرح المفصل :

أمنزلتى مىّ سلام عليكما هل الأزمن اللاتي مضين رواجع
ولا يرجع التسليم أو يكشف العمى ثلاث الأثافى والرسوم البـــلاقع

وقال الفرزدق وهو فى شرح المفصل :

ما زال مذعقدت يداه إزاره يسمو فأدرك خمسة الأشبار

وقد قالوا : (الثلاثةُ الكتُب) والكتب وصف كما فى أدب الكتاب و (الثلاثة الكتبِ) شبهوا ذلك بالحسن الوجه كما فى المخصص ، وهذا شاذ ، وعند الكوفيين قياس كما قال الرضى . و (الثلاثة كتبا) ناصبين على التميز كما فى شرح الكافية .

٩ — فى الصفحة (٣٨٢) : « حتى نجعت فيهم هذه الأكذوبة » ومثله فى الصفحة (٣٨٧)

قلت . هذا الكلام خطأ إذ لم يستعمل الفعل (نجع) فى العربية لشئون الشر وأمور الضر ، وأصل الفعل وحقيقته بوضحان معناه . قالت اللغة : نجع الطعام فى الانسان : هنأ أكله أو تبينت تنميته واستمرأه وصلح عليه . ونجع فيه الدواء : نفعه وعمل فيه . ونجع فى الدابة العلف ، وماء ناجع ونجيع إذا كان مريئا ، وماء نجوع كما يقال : ماء نمير ، والنجعة طلب الكلأ ومساقط الغيث وقال الأعشى :

لو أطعموا المن والسلوي مكانهم ما أبصر الناس طعما فيهم نجعا

ومن المجاز : نجع فيه الوعظ والنصح والخطاب وانتجعت

فلانا أى طلبت معروفه . وفى المقامات الحريرية : فناشدناه أن يعود، وأسنينا له الوعود. فلا وأبيك ما رجع، ولا الترغيب له نجع

١٠ — فى الصفحة (١٢٦) ما كان يجهل ما لزخرف الخطابة من فعل السحر وسلب الألباب فلذلك لم يهمل شيئا من بهرج البيان وزخرف الخطابة فيما ادعاه من الوحى »

قلت : أرادوا أن ينجدوا فغاروا ، قصدوا ببهرج البيان زينة البيان أو حسنه أو جماله (وهو ما يعنيه الأصل الانكليزى وما تدل عليه العبارات قبله وبعده) والبهرج فى العربية هو الردئ قال الأساس : كلام بهرج وعمل بهرج وكذلك كل موصوف بالرداءة . وفى اللسان : « واللفظة معربة وقيل : هى كلمة هندية أصلها نبهلة وهو الردىء نقلت إلى الفارسية فقيل : نبهرة ثم عربت فقيل : بهرج ، ومكان بهرج غير حمى ، وقد بهرج فتبهرج. ومثل ذلك فى الجمهرة والنهاية والتاج . وقول (أقرب الموارد) : « تبهرجت المرأة تزينت » — خطأ ، والأصل الصحيح تبرجت « وتبرجت المرأة تبرجا أظهرت زينتها ومحاسنها للرجال » كما فى التاج . وفى (الكتاب) الذى جاء يهدى الناس ويهذبهم : « ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى »

١١ — فى الصفحة (٢٥٦) : « مدعاة إلى الشك ممترة للضعفاء » .

قلت : قول المبشرين ممترة — خطأ ، ولهم فى العربية المزلة والمضلة [1] والمزلقة ، وقد أرادوا أن يقيسوا فوقعوا فى المأثور وفى تاريخ بغداد أن بعضهم : « طلب [2] النحو فذهب يقيس فلم يجيء فقال : قلب وقلوب ، وكلب وكلوب ، فقيل له : كلب وكلاب » .

١٢ — فى الصفحة (٩٥) « يؤيد الأحكام الشفاهية »

قلت : فى (الكتاب) : « إعلم أنك إذا أضفت (نسبت) إلى جمع أبداً فانك توقع الاضافة على واحده الذى كسر عليه ، فاذا لم يكن له واحد [3] لم تجاوزه حتى تعلم » فالنسبة إلى الشفاه شفىّ

---

(١) تقطع (٢) الصحاح ، الجمهرة ، تهذيب الألفاظ ، مفردات الراغب ، النهاية ، اللسان ، التاج

(١) بفتح الزاى والضاد وكسرها
(٢) أروى الخبر أملوحة غير مصدقة
(٣) من لفظه ، قال شرح المفصل : تقول فى النسب إلى محاسن محاسنى لأنه لا واحد له من لفظه . وهـذا مذهب ابن مالك فى الألفية « وعبارته فى التسهيل — كما ذكر الأشمونى — : وذو الواحد الشاذ كذى الواحد القياسى فيقال فى اللامح لمحى » وأبو زيد لاينسب إلى الواحد الشاذ

أو شفهى أو شفوى ، وقد أنكر الأخيرة الجوهرى ، وأثبتها الأزهرى . وتجمع الشفة على شفاه وشفوات وكلمه مشافهة ومشافاة » كما فى المصباح

١٣ — فى الصفحة (٢٣٤) : « أو أن يرجع إليها منشد »

قلت : مقصود الكتاب يقتضى الناشد ، وفى أكثر كتب الأدب واللغة ، الناشد الطالب والمنشد المعرّف . قال التبريزي في شرح المعلقات : « يقال : نشدت الضالة إذا طلبتها وأنشدتها إذا عرفتها » ومثل ذلك فى الصحاح والأساس والنهاية ، وروي الأساس والجمهرة (والبيت للمثقب العبدى) :

يصيخ للنبأة أسماعه إصاخة الناشد للمنشد[1]

وفى اللسان : « قال أبو عبيد : المنشد المعرف ، والناشد هو الطالب . ومما يبين لك أن الناشد هو الطالب حديث النبى (صلى الله عليه وسلم) حين سمع رجلا يَنشد ضالة فى المسجد فقال : (يا أيها الناشد ، غيرك الواجد) معناه لا وجدت. وقال ذلك تأديباً له حيث طلب ضالته فى المسجد . وفى (التاج) : وقال كراع فى المجرد وابن القطاع فى الأفعال ، وأنشدتها بالألف : عرفتها لا غير

١٤ — فى الصفحة (٢٣٥) : « وكادت مذاهبهم (أى القرامطة الباطنية) تقلب الاسلام ظهراً لبطن »

قلت : شرّقت هذه الجملة وغرّبت مقصودهم . قال الميدانى في (مجمع الأمثال) : « قلب الأمر ظهراً لبطن ، يضرب فى حسن التدبير ، واللام فى (لبطن) بمعنى على ، ونصب ظهراً على البدل أى قلب ظهر الأمر على بطنه حتى علم ما فيه » وفى اللسان والتاج والمصباح: قلب الشىء ظهراً لبطن: اختبره . وفى الأساس : ومن المجاز : قلبت الأمر ظهراً لبطن ، وضربوا الحديث ظهراً لبطن ، قال عمر بن أبى ربيعة :

وضربنا الحديث ظهراً لبطن وأتينا من أمرنا ما اشتهينا

وفى النهاية : وفى حديث معاوية لما احتضر وكان يقلب على فراشه فقال : إنكم لتقلبون حوّلا قلّبا إن وُقى كبة النار : أى رجلا عارفاً بالأمور حتى ركب الصعب والذلول ، وقلبها ظهراً لبطن . وكان حسن التقلب . وفى (نجعة الرائد) للشيخ اليازجى فى فصل فى الفحص والاختبار : واستقصيت فى التنقير ، وتقصيت فى التفتيش ، وقلبت الأمر ظهراً لبطن

١٥ — فى الصفحة (٢٥) : وجه النجاشى جيشاً إلى اليمن لينقذ من فيه من النصارى من اضطهاد ملكهم الملقب بذى النواس وكان يهودياً »

قلت : الملك المقصود فى هذا الخبر يقال له ذو نواس (لا ذو النواس ولا أبو النواس ...) وقد ذكرت ذلك كتب التفسير والتاريخ[1] والأدب واللغة ، قال الكشاف فى (قتل أصحاب الأخدود) : فسار إليهم ذو نواس اليهودى بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فأبوا فأحرق منهم اثنى عشر ألفاً فى الأخاديد . وفى خزانة البغدادى ، قيل : إن خلفا الأحمر كان له ولاء فى اليمن ، وكان أميل الناس إلى أبى نواس فقال له يوماً : أنت من اليمن ، فتكنَّ باسم ملك من ملوكهم الأذواء ، فاختار ذا نواس[2] ، فكناه أبا نواس بحذف صدره ، وغلبت عليه . وفى (الجمهرة) النوس مصدر ناس ينوس نَوسا وهو الاضطراب وبه سمى ذو نواس ملك من ملوك حمير لذؤابتين كانتا تنوسان على ظهره

قلت : قد يكون لكلمة نواس فى الحميرية غير هذا المعنى

١٦ — فى الصفحة (٣٧) : إذ بين هاتين الأمتين عظيم مشابهة. وفى الصفحة(٥٣): فكان لقريش شديد انصباب عليها[3]

قلت : إضافه الصفة إلى موصوفها خطأ ، قال شارح المفصل: الصفة والموصوف شىء واحد لأنهما لعين واحدة ، فان كانت الصفة والموصوف شيئاً واحداً لم يجز إضافة أحدهما إلى الآخر . وقد ورد عنهم ألفاظ ظاهرها من إضافه الموصوف إلى الصفة والصفة إلى موصوفها والتأويل فيهما على غير ذلك[4] . وقال

---

(١) الأسماع جمع السمع

(١) فى المروج ، وفى التنبيه للمسعودى : ذو نواس

(٢) فى أخبار أبى نواس لابن منظور : نواس وجدن ويزن وكلاع أسماء جبال لملوك حمير ...

(٣) ومثل ذلك فى الصفحات: ٤، ٨١، ١٤٧، ١٨١، ١٩٦، ٣٥٩

(٤) فى هذا الشرح : ومنه قولهم : (جائبة خبر) ومعناه خبر يجوب الأرض من بلد إلى بلد فلما قدمها وأزالها عن الوصفية احتملت أشياء وترددت فيها فأضافها إلى الخبر إضافة بيان ، ومثله (مغربة خبر) يقال : هل جاءكم مغربة خبر يعنى خبراً طرأ عليكم من بلد سوى بلدكم فهو لذلك غريب ، فلما قدمها احتملت الخبر وغيره فأضافها إلى الخبر على ما تقدم لتلخيص أمرها وتبيينه ، والهاء فى جائبة ومغربة للمبالغة كعلامة ونسابة

الدماميني : إعلم أن إضافة الموصوف إلى صفته والصفة إلى موصوفها لا تنقاس

وقال الشيخ عبد الله البستاني (رحمه الله) : لا يجوز أن يضاف اسم إلى مرادفه ولا موصوف إلى صفته ولا صفة إلى موصوفها لأن الغرض من الاضافة المعنوية التعريف أو التخصيص ولا يتعرف الشيء بنفسه ، ولا يتخصص بها ، فان سمع عن العرب الخلص ما يوهم شيئاً من ذلك أول وقيل : إنه شاذ لا يقاس عليه؛ وإن سمع عن المتأخرين حكم عليه بأنه غلط لا يجوز استعماله

١٧ — فى الصفحة (٤٠١) : كان قد نفى الاعجاز عن القرآن تضمينا فى مواضع متعددة[1] من الكتاب نفسه

قلت : أخطأوا فى قولهم (تضمينا) حسب قصدهم التعسف والحال يقتضى — كما يريدون — لفظة الالماع أو التلميح أو التلويح أو الايماء وماضارع ذلك . ففى اللسان ضمّن[2] الشيء الشيء أودعه إياه كما تودع الوعاء المتاع والميت القبر وقد تضمنه هو . ومثل ذلك فى الجمهرة والصحاح والأساس والتاج والمصباح

١٨ — فى الصفحة (٩١) : وحذره ما يحيق به ويقومه من التهالك إذا لم يكف عما هو فيه

قلت : التهالك فى الجملة خطأ ، والمبشرين فى العربية الهلك والهلاك والتهلكة والمهلكة والانهلاك والاهتلاك . وقد أوضح « الأساس » معانى التهالك : تهالك على الشيء إذا اشتد حرصه وشرهه ، وأنا متهالك فى مودتك ، وتهالكت فى هذا الأمر إذا كنت مجداً فيه مستعجلا ، ومر يتهالك فى عدوه : يجد ، وتهالك على الفراش تساقط عليه ، وتهالكت فى مشيتها : تفيأت[3] وتكسرت . ومثل ذلك مفرقاً فى الصحاح والنهاية ومفردات الراغب والجمهرة واللسان والتاج وشرح المفضليات لأبى القاسم الأنبارى

١٩ — فى الصفحة (٣٤٢) : أن الشيعة يجعلون عليا ندا لمحمد ، والسنية ينكرون أن عليا أو واحدا من الأنبياء كائنا من كان يمكن أن يكون ندا لمحمد

(١) متعددة هنا خطأ وسيأتى إيضاحها

(٢) فى التاج والمضمن من الشعر ما ضمنته بيتا . هذا من اصطلاحات أهل البديع ومن البيت ما لايتم معناه إلا بالذى يليه . هذا من اصطلاحات أهل القوافى وليس ذلك بعيب عند الأخفش . والمضمن من الأصوات ما لا يستطاع الوقوف عليه حتى يوصل بآخر ، وفي التهذيب : هو أن يقول الانسان : قف فل بإشمام اللام إلى الحركة

(٣) فيأت المرأة شعرها : حركته خيلاء وتفيات لزوجها تكسرت له وتميلت غنجا « الاساس »

قلت : الند المثل المخالف ، وقد اجتزأ بعض كتب اللغة بقوله : الند المثل وهو فى الكتاب الكريم والحديث والأقوال العربية النظير المناوئ . قال الكشاف فلا تجعلوا لله أنداداً : الند المثل ولا يقال إلا للمثل المخالف المناوئ ، قال جرير :

أتيماً تجعلون إلى ندا ... وما تيم لذى حسب نديد

وناددت الرجل خالفته ونافرته من ند ندوداً إذا نفر وقال فى (الفائق) : الند والنديدة مثل الشيء الذى يضاده فى أموره ويناده أي يخالفه . وفى الحديث فى كتابه لأكيدر : وخلع الأنداد والأصنام ، وذكرت النهاية قول الفائق فى الند . وقال اللسان والتاج والمصباح مقال الكشاف . وقال لبيد (والبيت فى الجمهرة والصحاح واللسان والتاج) :

لكيلا يكون السندرى نديدتى ... وأجعل أقواما عموما عماعما[1]

وأما قول (سال) إن الشيعة يجعلون عليا نظيراً لمحمد فمن خلط المربانيين فالشيعة فرق لا يعلم عددها إلا الله والامامية منها ثلاث وسبعون فرقة كما يقول الرازى فى رسالته (اعتقادات فرق المسلمين) وإن عني سال بالشيعة إخواننا الامامية أصحاب الانتظار فقولهم وقول إخواننا الجماعية فى سيد الوجود (صلوات الله وسلامه عليه) واحد . وقد أوضح ذلك علامتنا الكبير (الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء) فى مؤلفاته

الاسكندرية

* * *

(١) فى الجمهرة : وأشتم أقواما . (العماعم) الجماعات المتفرقة أي أجعل أقواما مجتمعين فرقا ، والعماعم جمع العم : الجماعة وقيل الجماعة من الحى . السندرى شاعر كان مع علقمة بن علاثة وكان لبيد مع عامر بن الطفيل فدعى لبيد إلى مهاجاته فأبى

من مشاكل التاريخ

طبيعة الفتح الاسلامى

للأستاذ خليل جمعة الطوال

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

يقول درمنغهم في كتابه حياة محمد : « ... وكان محمد يفضل اهتداء رجل واحد إلى الله على جميع غنائم الدنيا »

وهل فى تاريخ الحروب والأديان وصية بلغت من السمو الأنسانى مبلغ هذه الوصية التى أوصى بها النبى (صلى الله عليه وسلم) معاذ بن جبل الأنصارى حين سيره على رأس وفد إلى اليمن ، وقال له : « يسر ولا تعسر ، وبشر ولا تنفر، وإنك ستقدم على قوم من أهل الكتاب يسألونك ما مفتاح الجنة ، فقل شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له »

تلكم هى ضالة المسلم المنشودة بعد أن تجرد قلبه من حب المال ، ومتاع الدنيا . وتلكم هى الطريق إلى هذه الضالة : شهادة فلجت الشرك ، وإيمان زعزع الأصنام

الجنة هي ضالة المسلم التى أخرجته إلى ربه مجاهداً للحصول عليها . الجنة التى لا تشرى بالصكوك ، والتى لا تنفع فيها الأموال . الجنة التى ليس فى استطاعة بشر أن يلجها وإن غفر له جميع أهل الأرض، إلا أن يكون مؤمناً بالله ، وبرسله والأنبياء، الجنة التى ليس للمرء فيها أن يغفر لأخيه ، وأن يحل ذنوبه وخطاياه ، إلا أن يغفر له الله وهو خير الغافرين

أسر المسلمون فى غزوة بنى المصطلق عبد الله بن أبى ، وحاول عمر بن الخطاب قتله، فقال له الرسول (ص) : فكيف يا عمر إذا تحدث الناس وقالوا إن محمداً يقتل أصحابه ...

ثم سمع ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي عزم ابن الخطاب ، فجاء النبى (ص) وقال له : بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه ، فان كنت فاعلاً فرنى به فأنا أحمل إليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبر بوالده مني . وإنى لأخشى أن تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى أنظر إلى قاتل أبي يمشى فى الناس فأقتله فأقتل رجلا مؤمناً بكافر فأدخل النار.

فقال له الرسول : إنا لا نقتله بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا

تلكم هى روح الفتح الاسلامى السامية

الله أكبر ! رجل يتقدم لقتل أبيه متطوعاً ، ليحمل رأسه بيده إلى الرسول صلى الله عليه وسلم لكيلا لا يكون عليه غضاضة في دينه ، إن هو رأى غيره يقتله ، فتحمله عزة الجاهلية على الأخذ بثأره ، فيقتل مؤمناً بكافر ، ويدخل النار !

سبحانك ربى ! أية قوة جَمَعْتَ فى رسالتك هذه ، حتى استطاعت أن تحول النفوس الضارية إلى شعلة روحية سامية أضاءت الكون وقد كان ظلاماً حالكا !

أيُحسنُ النبى صلى الله عليه وسلم ويترفق برجل طعن فيه ، وشنع عليه ، ويظل مع ذلك فى الدنيا من بتهمه ، ويفترى عليه ..

هذه هى روح الفتوح الاسلامية على عهد النبى صلى الله عليه وسلم التى لم يعرف التاريخ قط فتوحاً أرحم وأشرف وأعدل منها. وأما روح الفتوح الاسلامية الأخرى ، فحسبكم دليلا عليها هذه الوصية المثلى السامية التى أوصى بها الصديق قواده حين سيرهم لبث الدعوة إلى الاسلام : « لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأة ، ولا توقدوا نخلا ، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ، ولا بقرة ، ولا بعيراً ، إلا لمأكلة

وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له :

وسوف تقدمون على قوم : يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام ، فاذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها

لقد كان الفتح الاسلامى فتحاً روحيًـا مبيناً ، خضعت له الجزيرة بأسرها دون أن تجري الدماء فيها أنهاراً، فتحاً دام تسع سنوات لم يقتل فيها إلا (٢٤٠) من المشركين و(٢٥٨) من المسلمين . فلا عجب إذا اتصف بهذه الروحانية السامية ، لأن الروحانية كانت العامل الأكبر فيه . فمن أين جاء الجاحدون بهذه الغزوات الدامية التى امتلأت بها كتبهم ، وبحت بها حناجرهم ؟ من أين جاؤوا بهذه الغنائم والأرزاق والأسلاب التي أغرت المسلمين على التمادى فى الغزو والنهب والسلب ؟!

إنه فتح كان الدين غايته ، ولولا الدين لكان له غير هذا الشأن

كتب عدى بن أرطأة عامل العراق إلى عمر بن عبد العزيز يقول : « إن الناس قد كثروا فى الاسلام ، حتى خفت أن يقل الخراج » فكتب إليه عمر يقول : « والله لوددت أن الناس كلهم أسلموا حتى نكون أنا وأنت حراثين نأكل من كسب أيدينا »

أما والله لو أن حاكما كتب إلى حكومة بلاده ، يصف لها قلة خراج ولايته ، لما تحرجت تلك الوزارة عن عزله ، ولاجتمعت الأمة بأسرها تعالج تلك الأزمة الاقتصادية المخيفة ، ولكن الاسلام إنما جاء لهدى القلوب ، لا ليبتز الجيوب « فان الله إنما بعث محمداً هادياً لا جابياً »

قال عمر بن عبد العزيز فى خطبة له : « وددت أن أغنياء الناس اجتمعوا فردوا على فقرائهم حتى نستوى نحن وهم وأكون أنا أولهم » اهـ . ولسنا بحاجة إلى التعليق على هذه الجملة الموجزة وعلى ما تنطوى عليه من الكره لا للغزو والنهب والسلب فحسب ، بل لجميع متاع الدنيا

تلكم هي حجة الخصوم فى حب الاسلام للنهب والغزو ، قد سقطت بين أيديهم ، قصاصة ورق ، تتلاعب بها الرياح وأمواج الحقيقة ...

أما القول بأن العرب كانوا وسطاً فى القتال فلا يدل إلا على جهل صاحبه بالفطرة العربية ، وبأخلاق سكان الصحارى الموحشة ، والبرارى المقفرة ، التى يقوى فيها الذئب ، وتصول السباع . ومن شك فى تبريز العرب وبصرهم بأحوال القتال ، فليستنطق ربوع الأندلس والهند وفارس وأفريقيا ، بل وفرنسا ، يوم كانت خيول مصر وقحطان تسرح فى شرق البلاد وغربها . وكان مجرد اسم العرب يوقع الرعب فى قلوب الأعداء لما كان يبلغهم من أنباء فروستهم وبطولتهم ...

بقى أمر الحروب الصليبية ، وقول من قال إنها كانت حروب البسالة والشهامة وأن الصليبيين كانوا عجباً بأنظمتهم وترتيباتهم . ولسنا نزيد فى دفع هذا الكلام الغث على إيراد شهادات وأقوال بعض المستشرقين الكبار ، وذلك لنكون بعيدين عما يدفع الغير لاتهامنا بالتغرض والتحيز

يقول ديسون : « آن لنا أن نتناول الحروب الصليبية بالبحث تلك الحروب التى بذرت روح العداء بين الاسلام والمسيحية ... فلقد مشى فيها أقوام كان همهم السلب والنهب والسرقة والقتل ، وزاد فى ذلك ما وجدوه فى طريقهم إلى القدس من وعثاء السفر والمشقات . والحقيقة أن الصليبيين — عدا من كان فى جيوشهم من اللصوص والمجرمين — قد ظهروا للعالم كبرابرة مخيفين ، وقد أظهروا فى آسيا صنوفاً من الوحشية والفظائع لم تعهدها قط هذه البلاد التى كان قد مر عليها أربعة قرون آمنة فى ظل نظام عربى لم تر له من قبل مثيلا

وقد اقتحم الصليبيون القدس فى ١٥ يولية ١٠٩٩ وقتلوا فى اليوم نفسه عشرة آلاف من المسلمين التجأوا إلى جامع عمر ظناً منهم أنه يحميهم من وحشية أعدائهم ، ولم يكفهم هذا قط ، ولا نقع غليل نفوسهم المطشى للدماء بل راحوا فى الأسبوع نفسه يقتلون من المسلمين واليهود والمسيحيين (غير الكاثوليك) ما يناهز (٦٠) الف نسمة

وكان خلفاء الصليبيين كأجدادهم فظاعة وعسفاً حتى لقد وصفهم بعض كتاب المسيحية وصفاً مؤلماً ، وقال أنهم ليسوا من المسيحية الغراء فى شيء ..

وقال الأب ريموند داجيل : « لقد اشتد القتل فى هيكل سليمان ، وكثرت فيه الجثث حتى أن الجند الذين قاموا بهذه المذبحة لم يعد بامكانهم أن يطيقوا الرائحة التى كانت تتصاعد من جثث القتلى » .

وقال روبرت ل موان : « لقد بدأت مذبحة الترك فى ١٣ ديسمبر ولم يكف ذلك اليوم لقتل جميع الأسرى فأجهزنا على البقية فى اليوم التالى » .

وقال ميشو : « تعصب الصليبيون فى القدس تعصباً لم يسبق له مثيل حتى شكا منه الكتاب المنصفون من مؤرخيهم ، فكانوا يكرهون العرب على إلقاء أنفسهم من أعالى البروج والبيوت ، ويجعلونهم طعاماً للنار ، ويخرجونهم من الأقبية ، وأعماق الأرض ، ويجرونهم فى الساحات ويقتلونهم فوق جثث الآدميين. ودام الذبح فى المسلمين أسبوعاً حتى قتلوا منهم على ما اتفق على روايته مؤرخو الشرق والغرب سبعين ألف نسمة ، ولم ينج اليهود كالعرب من الذبح فوضع الصليبيون النار فى المذبح الذى لجأوا إليه ، وأهلكوهم كلهم بالنار ... »

وجاء فى تاريخ الأمير حيدر : « ... أخذ ريشارد قلب الأسد سبعمائة من أسرى المسلمين وقتلهم على رأس تل عكا ، بمرأى من عساكر صلاح الدين ، وبقر عسكره بطون المقتولين ليروا إن كان فيها شيء من الجواهر والذهب ، ظنا منهم أنهم ابتلعوا

شيئاً منها ، وحباً بالانتفاع بمآثرهم يتخذونها دواء يستشفون به . »

وجاء في التاريخ العام للافيس ورامبو : « .. بلغت دماء المسلمين التى سفكها الصليبيون فى المسجد الأقصى حداً فظيعاً بحيث كان الفارس منهم وهو راكب تصل إلى رجليه دماء المسلمين التى سفكت فى ذلك الحرم المقدس ، وسالت كالسيل المنهمر !! ... »

وكتب ريكولدوس حوالى عام ١٢٩٤ فى مدح المسلمين قائلاً : ومن ذا الذى لا يعجب بحماستهم وخشوعهم فى صلاتهم ، ورحمتهم الفقير وبتقديسهم اسم الله والأنبياء والأماكن المقدسة ، وبحسن عشرتهم ، ولطفهم مع الغريب ؟ »

ولله درغوستاف لوبون إذ يقول « كان يشعر ظاهر الصليبيين بأنهم يقصدون خدمة دينهم بالاستيلاء على القبر المقدس ، ولكن الواقع أنهم كانوا منحلين من جوهر الدين ، وأقرب إلى نزع شماره متى رأوا مغنماً لهم ، أو فاحشة يأتونها

شهادات فى الفتح والحضارة الاسلامية : —

جاء فى مقالة : للعالم الفرنسى ليوتي — نقلاً عن الأهرام —

« وإذ كان فريق من ذوى الأغراض الملتوية ، يزعم أن الاسلام — بفتوحه — يمت على التدمير والفوضى والتعصب ، فأنى بعد أن قضيت بين المسلمين مدة من الزمن فى الشرق والغرب ولم أكتف بما قرأته عن الاسلام فى الكتب — أقول إن جميع تلك المزاعم لا نصيب لها من الصحة : » ...

وقال العالم الأمريكى لوثرب ستودارد ، فى كتابه (حاضر العالم الاسلامى) : ما كان العرب قط أمة تحب إراقة الدماء ، وترغب فى الاستلاب والتدمير ، بل كانوا على الضد من ذلك أمة موهوبة جليلة الأخلاق والمزايا ، تواقة إلى ارتشاف العلوم ، محسنة فى اعتبار نعم التهذيب ، تلك النعم التى قد انتهت إليها ، من الحضارة السالفة ، وإذ شاع بين الغالبين والمغلوبين التزاوج ووحدة المعتقد ، كان اختلاط بعضهم ببعض سريعاً . وعن هذا الاختلاط نشأت حضارة جديدة ، وهى جماع متجدد التهذيب اليونانى والرومانى والفارسى . وذلك المجموع هو الذى نفخ فيه العرب روحاً جديداً ، فنضر وأزهر ، وألفوا بين عناصره ومواده بالعبقرية العربية والروح الاسلامى ، فاتحد وتماسك بعضه ببعض . فأشرق وعلا علواً كبيراً ، وقد سارت الممالك الاسلامية ، فى القرون الثلاثة الأولى من تاريخها أحسن سير فكانت أكثر ممالك الدنيا حضارة ورقياً وتقدماً وعمراناً ، مرصعة الأقطار بجواهر المدن الزاهرة ، والحواضر العامرة ، والمساجد الفخمة ، والجامعات العلمية المنظمة ، وفيها مجموع حكمة القدماء ، ومخزن علومهم ، يشعان إشعاعاً باهراً . وظل طيلة : هذه القرون الثلاثة يرسل على الغرب النصرانى نوراً ... »

ويقول هربرت جورج ولز : « ساد الاسلام لأنه كان أفضل نظام اجتماعى وسياسى تمخضت عنه الأعصر ، وكان حيثما حل يجد أمماً استولى عليها الذل والكسل ، وتفشى فيها الظلم والعسف ؛ ويجد حكومات متفسخة غاشمة ، مستأثرة مستبدة ، لا تربطها برعاياها أية رابطة ، فمد إلى البشرية يد المساعدة والانقاذ ... » .

وقال سيديو « إن الاسلام هو الدين السامى الذى استطاع أن يسير فى فتوحاته دون أن يترك وراءه أثراً للجور ، وكانت ترحب به جميع الأمم المغلوبة على أمرها لحكم الروم والفرس ... »

أفبعد هذه الشهادات الصريحة تقوم ضد الفتح الاسلامى حجة ، وينهض دليل ؟

هذه صورة من كتابنا « فى الدفاع عن الاسلام » الماثل للطبع ، وسنتقدم فى الأعداد المقبلة بكلمة أخرى نصور فيها الحضارة الاسلامية الزاهرة ، ومبلغ ما وصلت إليه من التقدم والرقى ، وما ذلك إلا نصرة للحق ، وخدمة للعلم ، والله خير الناصرين .

شرق الأردن خليل جمعة الطوال

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

للأستاذ محمد سعيد العريان

١٨٨٠ — ١٩٣٧

— ٤٢ —

مقالات منحولة

كثيراً ما تدعو الدواعي كاتباً من الكتاب إلى إنشاء مقال لايذيله باسمه ؛ ويكاد يكون من الشائع المألوف أن يقرأ القراء مقالاً في صحيفة من الصحف غير معزوّ إلى قائله، أو مرموزاً إليه رمزاً ما؛ ولكن من غير المألوف أن ينشيء كاتب من الكتاب مقالة أو فصلا من كتاب، أو كتاباً بتمامه، ثم ينسب ماينشئه إلى كاتب غيره. وللرافعي في تاريخه الأدبي حوادث من مثل ذلك ؛ فثمة مقالات، ورسائل، وكتب متداولة مشهورة، يعرفها القراء لغير الرافعي، وهي هي من إنشائه وكدّ فكره وعصارة قلمه، ولكنه آثر بها غيره زهداً عنها أو التماساً للنفع من ورائها. ولو أني أردت أن أستقصي ما أعرف من ذلك لأغضبت كثيراً من الأحياء أحرص على رضاهم وأخشى غضبهم ؛ ولقد كنت على أن أطوى هـذا الفصل حرصاً على مودتهم، ولكني وقد وضعت نفسي بهذا الوضع لأكون مؤرخاً بعيداً عن التهمة — لم تطب نفسي بكتمان الشهادة، فاذا لم يكن بوسعي أن أذكر كل ما أعرف، فحسبي اللمحة الدالة والاشارة الموجزة، وللحديث بقية إلى حين، ومعذرة إلى أصدقائي ...

* * *

في سنة ١٩١١ أصـدر الرافعي كتاب تاريخ آداب العرب فتقبله الأدباء بقبول حسن، وكتبت عنه المقالات الضافية في كبريات الصحف، ولـكن ذلك لم يكف الرافعي ؛ ففي ذات يوم قصد إلى جريدة « المؤيد » فالتقى هناك صديقه المرحوم احمد زكي باشا فأهدى إليه كتابه ورجاه أن يكتب فصلاعنه ؛ فقال زكي باشا: « وماذا تريدني أن أكتب ؟ » قال الرافعي : « تقول وتقول... » قال زكي باشا : « فاكتب ما تشاء وهذا إمضائي ...! » وجلس الرافعي إلى مكتب في دار الجريدة، فكتب ماشاء أن ينسب إلى صديقه في تقريظ كتابه، ثم دفعه إليه فذيله باسمه ودفعه إلى عامل المطبعة ...

وقرأ الناس في اليوم التالي مقالاً ضافيا بامضاء « أحمد زكي باشا » في تقريظ « تاريخ آداب العرب » شغل الصفحة الأولى كلها من الجريدة. ولـكن أحدا من القراء لم يعرف أن كاتب هذا المقال هو الرافعي نفسه، يثني على كتابه ويطري نفسه !

ولهذه الحادثة أخوات مع زكي باشا نفسه ؛ فانه لمـا أنشأ الرافعي نشيده « اسلمي يامصر ... » قرأ القراء مقالاً في الأخبار بامضاء احمد زكي باشا، يثني على النشيد ويطري مؤلفه، ولم يكن كاتب هذا المقال أحداً غير الرافعي ؛ بل إن أكثر المقالات التي راها القراء في الـكتيب الصغير الذي نشره الرافعي عن نشيده هذا [1]، هو من إنشائه أو من إملائه !

وقد ظل هذا (التعاون) وثيقا بين المرحومين زكي باشا والرافعي إلى أخريات أيامهما ؛ ومنه أن زكي باشا كان على نية إعداد معجم لغوي كبير قبيل وفاته، وكان للرافعي في إنشاء هذا المعجم أثر ذو بال، وفيه فصول كتبها الرافعي بتمامها وأعدها للإمضاء ... ولكن المنية أعجلت المرحوم أحمد زكي باشا عن إصدار هذا المعجم، وأحسبه مازال محفوظاً بين مخلفاته المخطوطة

* * *

ويتصل بسبب إلى هذه المقالات التي كان ينحلها الرافعي صديقه زكي باشا، ما نحل أخاه المرحوم محمد كامل الرافعي من شرح ديوانه الذي أصدر منه جزءين ١٩٠٣ — ١٩٠٤ ؛ فان شارحهما هو الرافعي نفسه، وفيهما عليه ثناء وإطراء

* * *

في الحادثتين السابقتين إشارة إلى بعض الأسباب التي كانت تحمل الرافعي على أن ينحل أصدقاءه بعض ما يكتبه ؛ وهنالك أسباب أخرى :

في سنة ١٩١٧ وقعت في طنطا جريمة قتل مروّعة ؛ وكانت القتيل امرأة عجوزاً مسموعة بالغنى والشح والكزازة، تزوّجها قبيل مقتلها شاب من الشباب العابثين طمعا في مالها، فلم يلبث معها إلا قليلا ثم وقعت الجريمة !

وتوجهت التهمة أول ما توجهت إلى زوجها الشاب، ثم

(١) نشيد سعد باشا زغلول، المطبعة السلفية

انصرفت عنه إلى أختها وزوج أختها فسيقا إلى قفص الاتهام ، وكانا شيخين عجوزين فيهما بلاهة وغفلة ، فلم يستطيعا الدفاع عن نفسيهما ، وهيّئا بغفلتهما وبلاهتهما الفرصة للمجرم الحقيقي أن يحوك حولهما الشبكة وأن يصوّب عليهما أدلة الاتهام لينجو هو من العقوبة ...

كان المجرم الحقيقي معروفاً للجميع ، ولكن المحكمة بما اجتمع لديها من براهين مصنوعة لم تجد أمامها غير هذين البريئين المغفلين فألقت بهما إلى السجن المؤبد ؛ وقضيا في السجن بضع سنين !

شيخان على أبواب الأبدية ، يساقان إلى ظلام السجن ليس من ورائه إلا ظلام القبر ، ولم يقترفا جريمة أو يرتكبا إثماً ... ولكن القانون قد قال كلمته ، والقانون حق واجب الاحترام ؛ فلم تبق إلا الرحمة الانسانية شفيعاً من قسوة القانون ...

وسعت أسرة السجينين إلى المحامي الأديب الأستاذ حافظ ع تطلب إليه أن يكتب استرحاماً في أمرهما إلى أمير البلاد ، لعل في عطفه مايأسو الجرح ويخفف وقع المصاب ، وجعلت له أجراً على ذلك مائة جنيه !

وماذا يقول المحامي في قضية فرغت المحكمة من أمرها وقال القضاء كلمته ؟

ليس هذا سبيل المحامي الذي يرتب القضايا ويستنبط النتائج ويستنطق الصامت ويستوضح الغامض ؛ لقد فات أوان ذلك كله فلم تبق إلا كلمة الشاعر الذي يخاطب النفس الانسانية فيجتلب الرحمة ويستدر العبرة ويحسن الاعتذار عن البشرية من أخطائها فيذكي العاطفة الخابية ويوقظ الاحساس الراقد ويتحدث إلى القلب الانساني حديث الوجدان والشعر والعاطفة ...

وقصد الأستاذ حافظ إلى صديقه المرحوم الرافعي ، ليضع القضية بين يديه ويسأله أن يكتب الاسترحام إلى أمير البلاد ، وسمى له أجرة إن توفق في مسعاه

وقرأ الرافعي القضية وأحاط بها من كافة نواحيها ، ثم شرع قلمه وكتب ... وبلغت صيحته حيث أراد فأفرج عن السجينين في مايو سنة ١٩٢١

وتناول الرافعي أجرته على ذلك من المحامي سبعة عشر جنيهاً واستبقى المحامي لنفسه ثلاثة وثمانين ...

في هذا الاسترحام الذي كتبه الرافعي في بضع وأربعين صفحة ونحله صديقه المحامي ليطبعه باسمه ، لون من أدب الرافعي غير معروف لقرائه ؛ فيه تحليل نفسي بديع ، وفيه شعر إنساني يبلغ الغاية من السمو ؛ وفيه منطق واستنباط وملاحظة دقيقة لا تجد مثلها في أساليب الأدباء

وقد ظل هذا (التعاون) الأدبي متصلاً بين الرافعي وصديقه الأستاذ حافظ إلى ما قبل موت الرافعي ؛ ولكن هذا (التعاون) قد خرج من نطاق القضايا والمحاكمات إلى نطاق أدبي آخر ليس من حقي أن أتحدث عنه اليوم[1] ... وعند الأستاذ الزيات بقية الخبر ، تحدث به الرافعي إليه في مجلس ضمنا نحن الثلاثة ...

***

وفي شهر ديسمبر من سنة ما، قصد الأستاذ جورج إبراهيم إلى صديقه الرافعي ، يطلب إليه أن يعد كلمة عن المسيح لتلقيها فتاة مسيحية في حفلة مدرسية في ليلة عيد الميلاد ...

وكتب الرافعي المسلم كلمة مسلمة في تمجيد المسيح فدفعها إلى صديقه ... وألقتها الفتاة في حفل حاشد من المسيحيين المثقفين فخلبت ألبابهم واستحقت منهم أبلغ الاعجاب

وفي الشهر التالي كانت هذه الخطبة المسيحية الرافعية منشورة في « المقتطف » منسوبة إلى الفتاة . وكانت عند أكثر القراء المسيحيين إنجيلاً من الأناجيل

تحت يدي الآن النسخة الأصلية من هذه الخطبة مكتوبة بخط الرافعي ، وهي النسخة التي بعث بها إلى صديقه الأستاذ جورج ليدفعها إلى الفتاة ؛ وفي صدرها بخطه إلى صديقه : « هذا ما تيسر لي على شرط الفتاة ، فنقح فيه ما شئت ، واضبط لها الكلام . والسلام »

وفي آخرها يتفكه مع صديقه («وعلى الأرض السلام، وفي الناس المسرة » والمضرة ، والمعرة يا عم جورجي[2])

***

وكان الأستاذ عبد الرحمن البرقوق — صهر الرافعي — من تلاميذ الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده المقربين ، وكان أدنى منزلة إليه من كثير من تلاميذه ، على أن تأثره به كان من الناحية الأدبية وحسب ، على حين كان تلميذه المقرب المرحوم السيد رشيد رضا مخصوصاً بالرواية عنه في الناحية الدينية ، فكلاهما من تلامذة الأستاذ الامام ولكن لكل منهما نهجه وشرعته

(١) حدثني حديث هذه القضية الأستاذ الأديب جورج ابراهيم صديق الرافعي وملازمه من لدن نشأته

(٢) ننشر هذه الخطبة في العدد التالي من الرسالة إن شاء الله

فلما هم الأستاذ البرقوقي أن يصدر مجلة البيان[1] — وكان السيد رشيد رضا قد سبقه باصدار مجلة المنار — قصد البرقوقي إلى الرافعي يقول له : « إنني لا أتصوَّر كيف يصدر العدد الأول من (البيان) وليس فيه كلمة أو حديث أو مجلس من مجالس المرحوم الأستاذ الامام ، وأنا كنت أدنى إليه مجلساً من رشيد رضا الذي لا يصدر عدد من مجلته — المنار — إلا وفيه حديث أو خبر أو مجلس من مجالس الشيخ محمد عبده ! »

قال الرافعي : « فابدأ العدد الأول بما شئت من حديثه أو مجالس درسه ! »

قال البرقوقي : « ولكني لا أجد عندي ما أرويه عن الامام ؛ لقد ترك الشيخ في نفسي أثره ولكنه لم يترك في ذاكرتي من حديثه ومجالسه شيئاً يستحق الرواية ! »

قال الرافعي : « ... ولا بد من ذكر شيءٍ عنه في البيان ؟ »

قال : « بلى ، وإلا غلبني رشيد رضا واستطال عليَّ عند قرائه بأنه هو وحده تلميذ الامام وراويه ! »

وضحك الرافعي وأطرق هنيهة ، ثم تناول قلما وورقة وكتب ...

وصدر العدد الأول من مجلة البيان ، وفيه حديث يرويه البرقوقي عن الشيخ محمد عبده في مجلس من مجالس درسه ؛ بأسلوب من أسلوبه وروح من روحه وبيان في مثل بيانه ؛ وما قال المرحوم الامام شيئاً من ذلك ولا تحدث به ، ولكنه حديث مصنوع وضعه الرافعي على لسان الأستاذ الامام ونشره البرقوقي ليقضي لبانة في نفسه ...

... ألقى إليَّ الرافعي هذا الحديث ساخراً ، ثم دفع إليَّ العدد الأول من مجلة البيان وهو يقول : « اقرأ ؛ أترى هذا الحديث من مهارة السبك بحيث يجوز على القراء أنه من حديث الأستاذ الامام ؟ »

وضحكتُ وضحك الرافعي وعاد يقول : « ولكن تمام الفكاهة أن السيد رشيد رضا لما قرأ هذا الحديث المصنوع ، التفت إلى جلسائه قائلاً : « وأي حديث هذا حتى يبدأ به البرقوقي مجلته ؟ لقد كنت حاضراً مجلس الشيخ ، وسمعت منه هذا الحديث ، ولكني لم أجد له من القيمة الأدبية ما يحملني على روايته ... »

... واستمرَّ هذا (التعاون) أيضاً بين الرافعي والبرقوقي طول المدة التي كانت تصدر فيها مجلة البيان ، فأيّ مقال قرأت من أعداد هذه المجلة فشككت في نسبته إلى مُذَيّله باسمه ، فاحمله على أنه مما كتب الرافعي من الأدب المنحول ...

ويدخل في هذا الباب كثير من المقالات كان الرافعي يكتبها بأسماء طائفة من ناشئة المتأدبين ؛ ليدفع عن نفسه في معركة ، أو يدعو إلى نفسه لمنم ، أو ليعين صاحباً على العيش ، أو ليوحي إلى (صاحب الامضاء) إيحاء يدفعه إلى الاستمرار في الأدب والأمل في أن يكون غداً من الكتاب المشهورين . . . وليس يمنيني في هذه الناحية أن أسمي أحداً أو أشير إليه ، إذ كان الذي كتبه من ذلك ليس له من القيمة الأدبية ما يدعونا إلى الحرص على تصحيح نسبه ، وأكثره لغو مما يُنشر في بعض الصحف لملء الفراغ

محمد سعيد العريان

* * *

١ — إلى الأخ الأديب على نور الدين بالمنصورة : وساوسك يا صديقي لا تقوم على أساس ، فطب نفسا ورض قلبك على الاطمئنان ، فليس في ظروف قضيتك ما يحملك على هذه الأوهام جميعا ، وأنت في حاجة إلى الاستجمام والراحة لتصح نظرتك إلى الحياة والناس !

٢ — إلى الأستاذ الفاضل إبراهيم على أبو الخشب : ليس عندي علم فيما تسألني غير الاستنتاج ، ولست أجد لنفسي بذلك حقا في الدخول بين الرافعي وحافظ ، أو بين حافظ والامام — على أن الصداقة بين الرافعي وحافظ يرجع تاريخها إلى سنة ١٩٠٥ ، أي بعد نشر ديواني الرافعي وحافظ . تحياتي وأشكر لك

٣ — الأديب وديع سليمان — نابلس : فلانة هي التي ظننت وأشكر لك رأيك

٤ — الأديب محمد يوسف الرفاعي — بصرة — العراق : شكرى لك ولاخوانك . في كتاب « حياة الرافعي » الذي يصدر قريبا جواب ما سألتني

(١) مجلة البيان : هي مجلة أدبية كان لها في حلبة الأدب قبيل الحرب صولة وسلطان ، وهي غير البيان التي كان يصدرها المرحوم ابرهيم اليازجي

كلمة أخيرة

بين العقـــاد والرافعي

وبيني وبين الرافعيين

للأستاذ سيد قطب

من بين الرسائل التي تلقيتها في أثناء كتابة هذه الفصول رسالة يقول فيها كاتبها الأديب « صلاح الدين الصدفي » بعد كلام كثير :

« . . . ونحن يا سيدي من سكان الريف الذين كثيراً ما يتأثرون بالآراء المتداولة ، والاشاعات المفتعلة ، وقد كنا نعتقد أن العقاد كاتب سياسي من الطراز الأول ، ولكنا نفضل عليه في الكتابة الأدبية آخرين ، أسهل منه في الفهم ، وأعرف لدى الجماهير ، ثم تابعنا كلماتك فاستطعت أن تشوقنا إلى قراءة مؤلفاته النثرية على ضوء جديد ، ولكنا إلى أمد قريب كنا لا نميل إلى الاعتراف بشاعرية العقاد ، فإن كان شاعراً فهو شاعر الفلسفة والتأمل لا شاعر العاطفة ، وإذا سلمنا أن له في شعر العواطف شيئاً ، فما كنا نصدق أنه شاعر غزل . وأخيراً انكشفت عنا هذه الحجب التي بثتها فينا دعايات مغرضة ، وإذا بنا نفهم أن العقاد هو كل أولئك ، وأنه ممتاز في جميع مناحي الشعور ، متفوق في كل هذه الاحساسات، وأسفنا على ضياع زمن طويل، لم نتنبه فيه إلي خصوبة هذا الانتاج الوفير . . . »

هذه الرسالة جماع ما ورد إلي في رسائل متفرقة ، وفي هذه الفقرات القصيرة ما يبرر البسط والتوسع الذي عالجت به « غزل العقاد » خاصة ، وإن كنت أحس أن في القول متسعاً وأن غزل العقاد وشعره عامة ، يصلح لدراسات مستفيضة ، ولشروح وتآليف تجمل منه ـ كما يستحق ـ مذهباً قائماً ، معروف المعالم ، واضح السمات .

وشعر العقاد فن خصب ، صالح للدراسة على أنماط مختلفة من الطرق والأوضاع ، فتستطيع أن تدرس فنونه كل فن على حدة كما صنعت في «غزل العقاد» وتستطيع أن تدرس اتجاهاته وتلتمس لها أمثلة من مختلف فنونه ، كما صنعت في محاضرتي عام ١٩٣٤ عن « وحي الأربعين » . وحينما اتجهت في الدراسة وجدت مادة جديدة ، وذخيرة فنية ، لأن العقاد صاحب طبيعة وصاحب فلسفة معينة في الحياة .

وقد اخترت أن أعرض « غزل العقاد » لأن الغزل عامة ، وعند العقاد خاصة ، معرض لجميع القوى النفسية التي تجيش بالشعر ، وتحفز للتعبير ، وفيه تستطيع أن تدرس نظرة الشاعر للكون والحياة وأغراضهما الأصيلة وآمالها الخالدة ، وتقف على رأيه في المثل العليا والأخلاق والفضائل ، وتميز إحساسه بالمرأة والفنون والجمال ، على نحو ما رأى القراء في الفصول السابقة .

ثم لقد كان هناك دافع آخر لاختيار الغزل فلقد كان حدثني عن الرافعي في غزله أو ما كتبه هو على أنه غزل ، وكان أمامي لاثبات رأيي في كلا الرجلين طريقان : الأول أن أعرض ما قاله الرافعي في هذا الباب وأفنده ، وهذا عمل أعتقد أن لا غناء فيه ولا جدوى منه لي ولا للقراء ، فقد قرأت كل ما كتبه الرافعي في هذا الباب ، فإذا هو خواء مقفر من كل عاطفة وإحساس ، فإذا أنا عرضته ، فانما أعرض قطعة من صحارى النفوس ليس فيها ندى ولا حياة ، ولن يصبر القراء معي — إذا أنا صبرت على قطع هذا القفار الموحش المتشابه الأرجاء . ويحسبي وحسبهم ما استعرضه من مثل هي نماذج لكل ما هناك

والثاني ـ وقد اخترته ـ أن أعرض غزل العقاد ، فأكشف عن هذا العالم الحي المائج المضطرب بشتى الانفعالات والاتجاهات ثم يخلص بنا القول فيه إلى أن كل ما تجده هنا لا تجده عند الرافعي ، لأن العقاد والرافعي مختلفان متناقضان

ولقد شاءت الظروف أن يكون العنوان : « بين العقاد والرافعي » فتوجد رابطة بين اسمي هذين الرجلين ، لا وجود لها في أدبهما ولا اتجاههما ولا في شيء مما يصح فيه التشابه والارتباط

والواقع لقد كان في هذا الجمع بينهما ظلم لكليهما : فأما العقاد فمظلوم ـ ولا شك ـ أن يقرن اسمه إلى اسم الرافعي ، وبينهما هذه الهوة السحيقة الفاصلة ، الهوة التي تفصل بين الصورة الفنية ترمز إلى معنى وتكاد تجيش بالحياة ، وتهمس بالنطق والتعبير والنقوش التي تراها على أبواب المساجد ونوافذها : خطوطاً متعرجة أو مستقيمة ودوائر ومثلثات ومربعات كلها من عمل

المسطرة والبركار، ولا شيء وراءها غير المهارة فى اللعب والتزويق

فعشاق الصور الفنية محال أن يلتفتوا إلى هذا العبث على أبواب المساجد وأمثالها من شغل « الأربسكة » المعروف عند النجارين، مهما بلغ التفنن فى نقوشه وألوانه، وعشاق « الأربسكة » لا يتطلعون إلى فهم الصور الفنية بحال من الأحوال

والرافعى كذلك مظلوم — ولا شك — أن يقرن اسمه إلى اسم العقاد؛ فيطالبه النقاد حينئذ بالحياة والحركة والعمق، أو يطالبونه برأى معين فى مسائل الحياة الكبرى وفى نواحى الاحساس والشعور، وارحل فى عالم آخر غير هـذا كله، عالم الأخشاب المنقوشة والشرفات المزركشة، والأصباغ والألوان.

وما زلت كلما عـدت إلى قراءة شىء من كتابة الرافعى، يمتد بى الخيال إلى « البهلوان » الذي « يتقصع » فى مشيته ويضع يده فى خاصرته، ويأبى أن يسير فى الطريق بخطوات سهلة كما خلقه الله !

* * *

أما شأن الرافعيين مى، فشأن الرافعى مع العقادسواء بسواء. كنت أعرض لهم الحياة الناجحة المائجة، فيعرضون لى النصوص والألفاظ؛ وكنت أحاول أن أفتح أبصارهم وأفتق إحساسهم، وأفهمهم أن فى الدنيا شيئاً غير التعبير المزوق، وغير اللفتات الذهنية القريبـة، والمعانى اللولبية، والجمل الذهنية المتراقصة، فيأبوا إلا أن يعودوا إلى هذا العبث العابث فى لف ودوران

ولست على استعداد أن أستعيد ما قلت وقالوا، فقد أنفقوا — على ما يظهر — كل رصيدهم فى هذه الكلمات المكرورة المعادة التى كتبوها، وما هذا بعجيب، فما لهم رصيد سوى بضع جمل وبضعة تعبيرات، وما كان لهذا العالم المصنوع الذي يعيشون فيه، ولا ينفذون منه أبداً إلى ضجة الحياة، أن يكون له رصيد مذخور سوى الخواء والافتقار

ولكننى أريد أن أعرض لبعض ما قاله مندوبهم الأخير، وأعاد به ما قالوه واحداً بعد الآخر فى جهد وإعياء شديد

لقد أخذ يردد نغمة العوام فى الموتى والأحياء، ويعتمد على شعور هؤلاء العوام فى تقدير موقفى وأنا أتحدث عن العقاد الحى، وموقفهم وهم ينافحون عن الرافعى الذى مات

والمسألة — فى ظاهرها — كما يقولون، ولكن الواقع غير ذلك، فأنا فى دفاعى عن العقاد أمجد وأشرف من دفاعهم عن الرافعى، إذا كان مناط الحكم فى هذا ما يناله كلانا من ربح أو خسارة، على النحو الذى يفهمونه هم من الربح والخسارة

فماذا يكلفهم الدفاع عن الرافعى؟ إنه لا يكلفهم شيئاً، بل على العكس يكسبهم حسن الأحدوثة — لدفاعهم عن رجل ميت — عند عوام القراء والأدباء فى هذا البلد وهم بحمد الله كثيرون؛ ويكسبهم — كما يريدون — سمعة الدفاع عن الدين، وأتباعه بالملايين فى مصر والبلاد العربية؛ ويكسبهم محبة الأسلوبيين والعاجزين عن التحليق فى الأجواء الفنية العالية، وهؤلاء يكونون تسعين فى المائة من القراء بل من الأدباء، ولا يتعرضون لخطر واحد مما يتعرض له أنصار العقاد

أما الدفاع عن العقاد فيكلفنى التعرض لغضب الكثيرين من ذوى النفوذ فى هذه الوزارة وفى كل وزارة، ومن بينهم كثير من رؤسائى فى وزارة المعارف نفسها، لأن العقاد رجل لم تبق له قولة الحق صديقاً من السياسيين، وكثير ممن يظهرون صداقته يكنون له غير ذلك لأنهم ينفسون عليه شموخه واعتداده بنفسه وتعاليه على الضرورات

ويكلفنى خصومة الأدباء من المدرسة القديمة والحديثة على السواء. فأما أولئك فسبب سخطهم معروف، وأما هؤلاء فلأنهم ينفسون على العقاد أن يعطيه ناقد بعض ما يستحق من تقدير، ومن لا يعرف هـذه الحقيقة فأنا — وقد أتاحت لى الظروف الاطلاع على داخلية كثير من الصحف والأدباء — أعرف ذلك وأعرف أن الكلمات التى يقدر فيها العقاد لا تجد طريقها سهلا للظهور فى الصحف على اختلاف أهوائها ونزعاتها السياسية، واختلاف المشرفين عليها من الأدباء وغير الأدباء

ويكلفنى خصومة كثير من ناقصى الرجولة — وهم أعداء العقاد الطبيعيون — وكثير من ناقصى الثقافة الذين لا يفهمون العقاد فيحملونه تبعة عدم فهمه ولا يكلفون أنفسهم عناء الدرس والثقافة. وكثير من مناقى الطباع الذين يستملقون أمام كل أدب حى. وكثير وكثير ممن يؤلفون أكثرية القراء فى هذا البلد المنكوب...

وقد يفهم هؤلاء النفعيون أن للعقاد الآن نفوذاً ننتفع به؛ فلهؤلاء أقول: إن للعقاد نفوذاً نعم، ولكنه لا يستخدمه

فى قضاء المصالح وتنفيذ الأغراض ، إنما يحتفظ به لنفسه فى إبداء آرائه ، واستقلال شخصيته ، وتحطيم من يستحق التحطيم وبناء من يستحق البناء

وذلك بغض النظر عن طبيعتى الخاصة فى الانتفاع بنفوذ الأصدقاء ، ذلك الانتفاع الذى يبدو غير مفهوم ، حينما كنت أناصر العقاد وهو خصم الوزارات القائمة ، وأوقع على ما أكتبه بامضائى الصريح ، فى أحرج الأوقات

فخرافة الموتى والأحياء لا يرددها هؤلاء ، إلا كما يرددها الأميون والعوام

وقد استكثر مندوبهم الأخير أن أقول : إن العقاد انتصر على الوفد وعنده عدة المال وعدة الحكم وعدة الماضى الوطنى وكل عدة تؤهل للنجاح .

والذين يعيشون فى ظلام الجحور يحق لهم أن يعجبوا لهذا الكلام . أما الذى وقف على صنوف محاربة الوفد للعقاد وهو فى إبان سطوته ، وعرفوا أنها لم تقف عند الخصومة الشريفة فى سلاح ولا وسيلة ، والذى يذكر الظروف التى خرج العقاد فيها على الوفد وما تلاها ، فانما يعلم أننى اقتصدت فى هذا المقال !

الذى يعلم أن هذه الخصومة وصلت إلى حد محاربة العقاد فى اللقمة ، فلم تكتف بمحاربة الصحف التى يعمل فيها حتى يكف عن الكتابة الشهور الطوال ، بل كانت تدفع لأصحاب المكتبات مئات الجنيهات حتى لا تبيع كتابا للعقاد ، وأى كتاب ؟ إنه كتاب سعد زغلول الزعيم الأول لهؤلاء الخصوم ؟

والذى يعلم أن هـذه الخصومة هاجت وماجت لأن العقاد ألقى محاضرة من محطة الاذاعة الحكومية — على عهد الوزارة الصديقة — ولأن هناك مبلغا يدفع قيمة لهذه المحاضرة ، فاما أن تكف المحطة عن محاضرات العقاد وإما أن تعاقبها الحكومة باهمال تحصيل الضريبة !

والذى يعلم أن هذه الخصومة كانت تلجأ إلى أصدقاء العقاد لتتخذ منهم جواسيس عليه وتدفع لهم ثمن هذه الجاسوسية علاوات وترقيات ومكافآت ، فلم يسلم من هذا الاغراء إلا القليلون من خواص العقاد !

الذى يعلم هذا وسواه ، ويعلم أن العقاد خرج والوفد فى عنفوان قوته الأدبية والمادية ، وجرؤ على ما لم يجرؤ عليه إنسان قبل ، فحطم قداسة الأصنام ؛ ولقح هذا الجسم الضخم بجراثيم الفناء التى ظلت تعمل عملها حتى خر بعد ذلك فى الميدان

الذى يعلم كل ذلك لا يستكثر ما قلت ، إلا أن يكون كصاحبنا يعيش فى صومعة لا ينفذ إليها الضياء

وحكاية الدين والأدب ، التى لجأ فيها ، وجعلها محور الحديث ، وقد تهكمت عليها من قبل ، لأنها لا تناقش بغير التهكم ، فأريد أن أفهم إذا نحن سرنا على هذه القاعدة العجيبة ، وأسقطنا من حسابنا الأدب غير الدينى فى الأدب العربى كله ، ما ذا يبقى لنا بعد ذلك من هذا التراث الضخم ؟ اللهم إلا قصيدة البردة وبانت سعاد وبعض الأدعية والأوراد !

وصاحبنا أستاذ الكيمياء فى كلية الطب ـ هكذا كتب أخيرا ليهددنا بعلمه الغزير وينكر علينا علمية التفكير وعلمية الأفكار ، ويشرح خواص الذهب الوارد فى بيت الرافعى . ومع هذا يطاوعه علمه أن يقول : إن الكيماويين يصفون الذهب بأنه فلزنبيل ، والذى وصل إليه علمى القليل أن هؤلاء الكيماويين يصفون الذهب بأنه فلزنبيل لأنه لا يتفاعل مع الأكسجين ولا مع كثير من الأحماض ، ويصفون معدنا كالحديد مثلا بأنه فلزنشيط لسرعة تفاعله ، لأن مدار وصفهم للفلزات قائم على أساس التفاعل لا الثمن ، ولا أدرى من أين أتى صاحبنا بهذا القول الفريد !

ولست أعنى بهذا أن أناقش الكلام الطويل العريض الذى فسر به أبيات الرافعى ، فسواء كان الذهب نبيلا أو خسيسا ، فسيبقى شعر الرافعى وأدبه كله يدور حول الصور الذهنية الكابية ويتيه فى القفر الجامد اليباب

***

وبعد فقد رأى الناس مما كتبه هؤلاء وما كتبه الرافعى قبلهم ، أنه ليس من اليسير عليهم فهم العقاد ، وأنه ليس من مصلحة العقاد أن يفهموه ، فما هم بمستطيعين فهمه حتى يسف هو ويقفر ويمسخ خلقاً غير هذا الخلق الباسق الجبار .

ولقد اطمأن العقاد إلى مكانه من الشهرة ومقامه من الخلود ، فما يعنيه أن يثلبه ألف رافعى ، وما ينقصه أن يقول فيه هؤلاء الرافعيون .

وفى نهاية هـذا البحث أجد لزاماً على أن أشكر للرسالة وصاحبها إفساح هذا المجال ، وأرجو أن أكون قد أفدت القراء بقدر ما استغرقت من فراغ . والسلام .

حلوان

سيد قطب

جورجيـــاس
او البيان
لافلاطوله

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ١٥ —

« تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجل محاوراته وأ كلها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة ! »

« رينوفييه »

«إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائما وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »

٢ — جورجياس : السفسطائى : « ج »

٣ — شيريفين : صديق سقراط : « سه »

٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »

٥ — كاليكليس : الأثينى : « ك »[1]

ط — وأى هذه الأشياء التى تتكلم عنها تعتبر أجلها ؟؟

ب — أية أشياء ؟

ط — الاقتصاد والطب والعدالة ؟

ب — أعتبر العدالة أجل الثلاثة يا سقراط .

ط — وما دامت هى أجلها ، فهي إذاً تلك التى تنتج أعمق اللذات أو أعظم المكاسب أو هما معاً .

ب — نعم .

ط — وإذاً فلابد أن نكون بين أيدى الأطباء ، وأن نترك نفوسنا لملاجهم !

ب — لست أعتقد فى هذا !

ط — ولكن الانسان يربح من العلاج ، أليس كذلك ؟

ب — بلى

ط — ذلك لتخلصه من شر كبير ، فهو يفضل أن يتحمل الألم وأن يستعيد الصحة !

ب — من غير شك .

ط — وفى هذه الظروف ، متى نكون فى أفضل حالات الصحة ؟ أعند ما نكون بين أيدى الأطباء ، أم عندما لا يكون بنا مرض قط ؟

ب — ظاهر أن ذلك يكون عند ما لا يكون بنا أى مرض

ط — ذلك لأن السعادة لا تقوم فى الواقع ـ كما يلوح ـ فى أن نتخلص من الشر ، بل فى ألا يكون لدينا شر قط .

ب — ذلك صحيح .

ط — وأى الرجلين يكون جسمه أو نفسه مصابة بالشر ؟ وأيهما يكون أشقى من الآخر ؟ أذلك الذى نعالجه ونخلصه من شره ، أم ذلك الذى لا يعالج ويبقى بشره ؟

ب — يبدو أنه ذلك الذى لا يعالج

ط — أولم نقل إن من يلقى جزاء خطيئته يتخلص من أفدح الشرور وهو رداءة النفس ؟

ب — قلنا ذلك حقا

ط — وقلناه لأن العقاب يجعلنا حكماء ، ويضطرنا لأن نكون أ كثر عدلا ، مادامت العدالة طباً لرداءة النفس

ب — نعم

ط — وإذاً فأشقى الناس هو ذلك الذى لا رذيلة أو رداءة فى نفسه ، لأنا قد رأينا أن « رداءة النفس » أفدح الشرور

ب — من غير أدنى شك

ط — ويأتى بعده من نخلصه من « رداءته » !

ب — يلوح هذا !

ط — وذلك الذى نخلصه هو الشخص الذى ننبهه ونعلمه ، ونوبخه ونعنفه ، ونقدمه ليلقى جزاء فعلته !

---

[1] (١) قال سقراط فى ختام العدد الماضى إن « العدالة » هى التى تحررنا من الشرة والظلم، وإن الاقتصاد والطب يحررانا بالمثل من الفقر والمرض . وسنرى اليوم كيف يواصل حديثه فى إثبات أن تحمل العقاب أسعد للنفس من الفرار منه ، وذلك ما يعتبر شديداً وعنيفا على الناس لا سيا فى عصرنا المادى الراهن . « المعرب »

ب — نعم

ط — وذلك الذى يعيش كأشقى ما يعيش الناس ، هوذلك الذى يحتفظ بظلمه بدلا من أن يتخلص منه

ب — نعم

ط — أوليست هذه تماما حالة الشخص الذي يرتكب أفظع الجرائم ، وينهج أظلم المناهج ، ثم ينجح فى وضع نفسه فوق الانذار والعقاب والتأديب ، كما فعل — تبعا لقولك — « أرشليوس » وكما يفعل الطغاة الآخرون من خطباء وسلاطين ؟

ب — يلوح ذلك .

ط — إن هؤلاء ياعزيزى بولوس قد سلكوا تقريبا نفس السبيل الذى يسلكه من يصاب بأخطر الأمراض ، ولكنه يعمل على إهمال سؤال الأطباء عن أمراضه الجسمية ، وعلى الفرار من علاجهم ، لأنه يخشى — كما يفعل الأطباء — من أنهم إذا عالجوه بالنار والحديد فأنهم يسببون له شراً . ! ألست تتصور حالتهم على ذلك النحو ؟

ب — بلى .

ط — والسبب فيما يلوح جهلهم ثمن الصحة وحالة الجسم السليم . وإذا شئنا أن نحكم تبعا للأصول التى اتفقنا الآن عليها فانا نقول إن من يسمون لتجنب العقاب يسترمون تماما أن ينهجوا نفس هذا السبيل يابولوس ! ذلك أنهم ينظرون للألم ويغمضون أعينهم عما فيه نفع لهم ولا يعرفون كم يجب أن يشكو المرء من السكنى مع نفس مؤذية فاسدة ظالمة كافرة ، أكثر من شكواه من السكنى مع جسم مريض معتل .! ، ومن هنا تراهم يعملون كل ما يمكنهم عمله لكيلا يكفروا عن خطيئتهم ولا يتخلصوا من أفدح شرورهم ، فيحصلون لأنفسهم الثروة والأصدقاء والمهارة التى تمكنهم من إقناع الناس بالكلام ! ولكن إذا كانت مبادئنا صحيحة فانظر أنت ماذا ينتج عن ذلك البحث ، أم تريد أن نخرج منه نحن بالنتائج ؟[1]

ب — نعم ، إذا سمحت !

ط — ألا ينتج عنها أن أفدح الشرور هو أن نكون ظالمين وأن نعيش فى الظلم ؟

ب — بلى ، كما يتضح

ط — أولم نعرف من الناحية الأخرى أن الانسان يخلص نفسه من ذلك الشر إذا لقى جزاء خطيئته ؟

ب — ذلك ممكن !

ط — وأن عدم العقاب لا يفعل أكثر من الابقاء على ذلك الشر ؟

ب — بلى !

ط — وإذاً لا يكون ارتكاب الظلم من حيث فداحة الشر إلا فى المنزلة الثانية ، ولكن الظلم الذى لم يلق جزاءه هو أول الشرور وأفدحها ؟

ب — يلوح هذا

ط — أولم نك ياصديقى العزيز فى نزاع بشأن هذه النقطة ؟ لقد كنت تقول إن « أرشليوس » سعيد لأنه ارتكب أفظع الجرائم وفر من كل عقاب ، وكنت أزعم — على النقيض — أن « أرشليوس » وكل من لا يعاقب على خطيئته يكون بالطبع أشقى الناس وأتعسهم ، وأن من يرتكب ظلماً يبقى دائماً أكثر شقاء وتعاسة من ذلك الذى يتحمله ، وأن من لا يلقى جزاء خطيئته يظل أشقى من ذلك الذى يكفر عنها أليست هذه هى النقطة التى تحدثت عنها ؟

ب — بلى

ط — ألم يتضح أن الحق فى جانبي ؟

ب — يلوح هذا !

ط — ذلك هو المعقول ، فاذا كان هو الحق يا بولوس فما عسى أن تكون فائدة البيان ؟ إنه يجب فى الحق — وتبعاً للمبادىء التى اتفقنا الآن عليها — أن نتجنب قبل كل شيء ارتكاب الظلم نظراً لأن ذلك يكون فى نفسه شراً كافياً . ألست ترى ذلك صحيحاً ؟

ب — بالتأكيد !

ط — وإذا ما ارتكب أحد ظلما ، وكان هو المرتكب له بنفسه أو شخص آخر ممن يهمهم أمره ، فيجب أن يذهب عن طيبة خاطر إلى القاضى حيث يكفر عنه بأسرع ما يمكن كما تذهب

(١) سيعود أفلاطون هنا إلى وظيفة البيان الحقة مرة ثانية لأنه كان يفهمها فهما آخر غير فهم السفسطائيين والهرجين كما قلنا فى مقدمة المحاورة كان يعتقد ويعلن أن الخطيب يجب أن يتعلم العدل ويحصر بيانه فى إعلانه للناس وتعليمهم إياه « المعرب »

إلى الطبيب ، ويجب أن يعجل بالذهاب خوفا من أن يزمن معه مرض الظلم ولا ينتج إلا قرحة لاتشفى ، وإلا فاذا نستطيع أن نقول خلاف ذلك يابولوس إذا ظلت مقدماتنا صحيحة ثابتة ؟ أليست هذه هي الحالة الوحيدة التي تتفق فيها نتائجنا معها[1] ؟

ب — وماذا نستطيع أن نقول خلاف ذلك ياسقراط ؟

ط — وإذن لكيما ندفع عن أنفسنا اتهام الظلم عندما نكون قد ارتكبنا خطيئة ، أو ارتكبها والدانا أو أبناؤنا أو أصدقاؤنا أو وطننا فان البيان لا يكون له عندنا أى استعمال يابولوس إذا لم نقبل على النقيض وجوب اتهام أنفسنا أولا ، ثم والدينا وأصدقائنا فى كل مرة يرتكبون فيها ظلما ! وإذا لم نوافق على وجوب عدم إخفاء خطايانا على الاطلاق ، وعلى ضرورة إظهارها فى وضح النهار كيما نكفر عنها ونستعيد بذلك صحتنا ! ، ثم إذا لم نقبل تقوية أنفسنا وغيرنا حتى لا نتراجع ، وحتى نتقدم بشجاعة وبعين مفتوحة كما نتقدم أمام الطبيب ليبتر أعضاءنا أو ليكويها بالنار ! وإذا لم نسلم بوجوب اتباع الحسن والجميل دون النظر إلى الألم ، وإذا لم نرض بأنه إذا كانت الخطيئة التي ارتكبناها تستحق الضرب فلنتقدم إليه ، أو السجن فلنمد أيدينا للقيد ، أو التعويض فلندفعه ، أو النفى فلننف ، أو الموت فلنتحمله ، وإذا لم نك أول من يقف فى وجه أنفسنا وأقاربنا ونستعمل البيان فقط لتخليصنا من أفدح الشرور — وأعنى به الظلم ، وذلك بالكشف عن أخطائنا ! فترى هل يجب أن نقول هنا نعم أو لا يابولوس

ب — يبدو لى أن ذلك غريب يا سقراط ولكنه ربما كان نتيجة لما قلناه من قبل !

ط — وإذا فيجب إما أن ننكر ما قلناه ، وإما أن نسلم بهذه النتائج !

ب — نعم ، إنه لكذلك[2]

« يتبع » محمد حسن ظاظا

---

(١) يجب إذاً أن يذهب الجانى ليعترف بجريمته أمام القضاء وليلق جزاء ما جنت يداه ؟ أليس فى ذلك أساس « الاعتراف » فى المسيحية ؟ أوليس فيه من الحكمة العالية ما يسمو على كل حكمة ؟ ولكن منذا يستمع لافلاطون ؟ أين مجرمو اليوم من تلك المبادىء ؟ إن السياسيين ليجرمون فى حق أمم وأجيال بأسرها ولكنهم مع ذلك يكذبون ويدعون أنهم أصلحوا ! ! « المعرب »

(٢) وهكذا يبلغ أفلاطون الذروة فى هذه المبادىء ، وسنرى فى العدد القادم ما هو أسمى « المعرب »

الكميت بن زيد

شاعر العصر المروانى

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

وللكميت أربع هاشميات أخرى غير هذه الهاشمية اللامية السابقة ، وقد اتجه فى مطالعها اتجاهاً جديداً ينكر فيه الاتجاهات العابثة التي اعتادها الشعراء فى مطالع قصائدهم ، وهى هاشميته الميمية التي تبلغ (١٠٢) من الأبيات ، وثلاث هاشميات بائية تبلغ الأولى منها (١٣٨) من الأبيات ، وتبلغ الثانية (٦٧) بيتاً وتبلغ الثالثة (٢٨) بيتاً

وقد قال فى مطلع هاشميته الميمية :

من لقلب متيم مستهام ... غير ما صبوة ولا أحلام
طارقات ولا ادكار غوانى ... واضحات الخدود كالآرام
بل هواى الذى أجن وأبدى ... لبنى هاشم فروع الأنام

وقال فى بائيته الأولى ، وهى التي ذكرنا أنه عرضها على الفرزدق فأعجب بها ، وفضله على الشعراء جميعهم ، من بقى منهم ومن مضى :

طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب ... ولا لعباً منى وذو الشوق يلعب
ولم يلهنى دار ولا رسم منزل ... ولم يتطربنى بنان مخضب
ولا أنا ممن يزجر الطير همه ... أصاح غراب أم تعرض ثعلب
ولا السانحات البارحات عشية ... أمر سليم القرن أم مر أعضب
ولكن إلى أهل الفضائل والتقى ... وخير بنى حواء والخير يطلب

وقال فى مطلع بائيته الثانية :

أنى ومن أين آبك الطرب ... من حيث لا صبوة ولا ريب
لا من طلاب المحجبات إذا ... ألقى دون المعاصر الحجب
ولا حمول غدت ولا دمن ... مر لها بعد حقبة حقب
ولم تهجنى الظؤار والمنزل الـ ... ـمقفر بروكاً ومالها ركب
جرد جلاد معطفات على الا ... أورق لا رجعة ولا جلب

ولا مخاض ولا عشار مطا فيل ولا قرح ولا سلب
مالى فى الدار بعد ساكنها ولو تذكرت أهلها أرب
لا الدار ردت جواب سائلها ولا بكت أهلها إذ اغتربوا
ياباكى التلعة القفار ولم تبك عليه التلاع والرحب
أبرح بعن كاف الديار وما تزعج فيه الشواحب النعب
هذا ثناء على الديار وقد تأخذ منى الديار والنسب
وأطلب الشأو من نوازع الا هو وألق الصبا فنصطحب
وأشغل الفارغات من أعين الـ ـبيض ويسلبنني وأستلب
إذ لمتى جثلة أككفها تضحك منى الغوانى العجب
وصرت عم الفتاة تنتب الـ ـكاعب من رؤيتى وأنثب
فاعتتب الشوق من فؤادى والشـ ـعر إلى من إليه معتتب
إلى السراج المنير أحمد لا يمدلنى رغبة ولا رهب

وقال فى مطلع البائية الثالثة :

طربت وهل بك من مطرب ولم تتصاب ولم تلعب
صبابة شوق تهيج الحليم ولا عار فيها على الأشيب
وما أنت إلا رسوم الديار ولو كن كالخلل المذهب
ولا ظعن الحى إذ أدلجت بواكر كالاجل والربرب
ولست تصب إلى الظاعنين إذا ما خليلك لم يصبب
فدع ذكر من لست من شأنه ولا هو من شأنك النصب
وهات الثناء لأهل الثناء بأصوب قولك فالأصوب
بنى هاشم فهم الأكرمون بنو الباذخ الأفضل الأطيب

فالكميت فى كل هذه المطالع ثائر على شعراء العربية الذين اتخذوا افتتاح القصائد بالنسيب عادة لهم ، ولا يعبأ بما يتكلف لهم فى ذلك الاتجاه الذى جد عليه أولهم وآخرهم ، بل يهزأ بسؤالهم الديار ووقوفهم على الأطلال وبكائهم التلاع القفار ، لأنه لا فائدة فى سؤال من لا يجيب ، ولا معنى لبكاء الديار وهى لا تبكى أهلها إذا اغتربوا عنها .

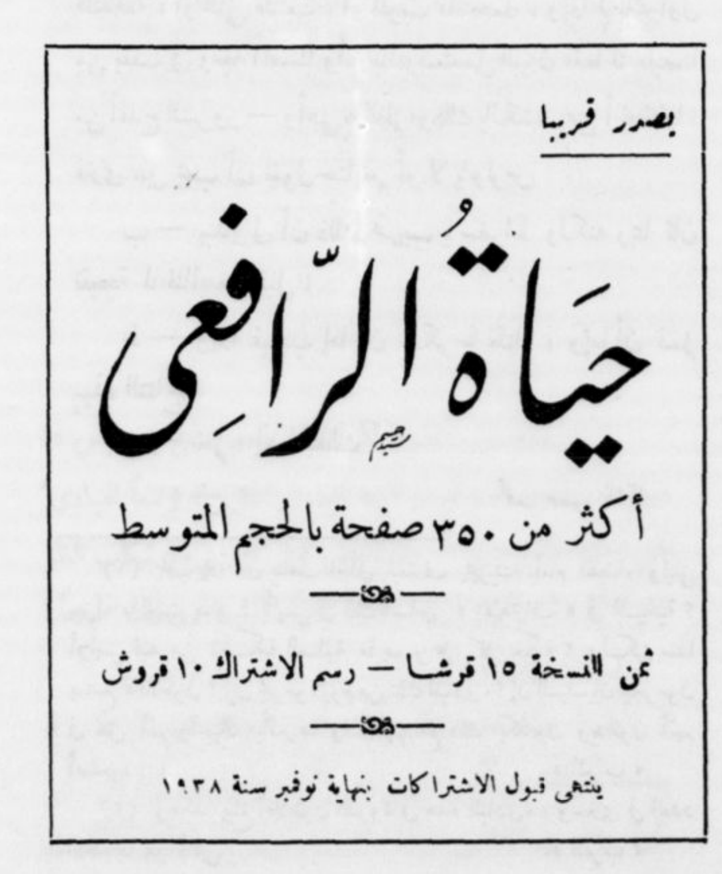
والحق أنه لم يكن هناك معنى فى قصائد المدح لافتتاحها باظهار الهوى إلى غير الممدوح ، لأن هذا من الفضول الذى يجب أن يقلع عنه كغيره من كل فضول ، والواجب أن يذهب فى هذا إلى مثل ما ذهب إليه الكميت من حصر قصده فى الممدوح وحده ، وعدم العناية فى شعره بغيره ، والاتجاهات فى ذلك كثيرة لا تقف عند هذا الاتجاه الذى وقف عنده الكميت فى شعره ، وإن كان قد اتبن بعض الافتتان فيه

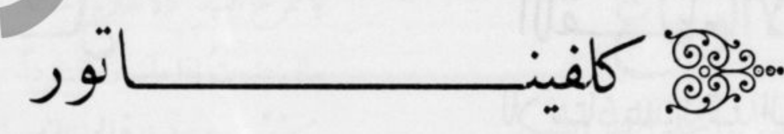
وقد جاء أبو نواس بعد الكميت فقلده فى هذه الثورة على ذلك التقليد الشعرى ، وعابه فى بعض مطالع شعره كما عابه الكميت فى مطالعه ، ومن ذلك قوله :

صفة الطلول بلاغة القدم فاجعل صفاتك لابنة الكرم
لا تخدعن عن التى جعلت سقم الصحيح وصحة السقم
تصف الطلول على السماع بها أفذو العيان كأنت فى الحكم
وإذا وصفت الشىء متبعاً لم تخل من غلط ومن وهم

ولكن التجديد فيما فعله الكميت لا فيما فعله أبو نواس ، لأن أبا نواس لم يزد على أن استبدل بالنسيب فى المطالع وصف الخمر ، ولا فرق عندى بين افتتاح القصائد بهذا أو ذاك ، لأن كلا منهما أجنبى عن القصيدة ودخيل فيها ، وما وصف الخمر إلا نسيب فيها كالنسيب فى النساء سواء بسواء ؟

عبد المتعال الصعيدى





Kelvinator

جهازات للتبريـــــــد بالكهرباء

سهـــــلة الاستعمال . نظافة تامـــــة

وفر محسوس فى الاستهلاك الكهربائي

ثلاجات كهربائيـــــة للمنازل

ثلاجات كهربائية تجارية لحفظ :

اللحـــــوم . الاسمـــــاك . الخضـــــر

الفاكهة . الألبان ومشتملاتها . البقالة

آلات لعمـــــل الجيـــــلاتي . آلات لحفـــــظ الجيـــــلاتي

آلات لتبريد الميـــــــــــاه . جهازات لتكييف الهواء الخ .

خابرونا عن أى طلب للتبريد بالكهرباء وبدون أى ارتباط ولامسؤلية من طرفكم نفيدكم برجوع البريد وشرفونا بزيارتكم

الشركة المساهمة المصرية للمحاريث والهندسة منضما إليها موصيرى ، كوريل وشركاهم

مصر : ١٤٠ شارع عماد الدين تليفون ٤٦٣٣٩ — الأسكندرية : ٧ شارع محطة مصر تليفون ٢٧٢٥٧

الطفل

لشاعر الهند رابندرانات طاغور

بقلم السيدة الفاضلة «الزهرة»

النعاس الذي يهوم على عيني الطفل . . . هل يدري أحد مأتاه ؟

أجل . فقد زعموا أنه هناك في تلك النيمة البديعة الفاتنة ، الراقدة في ظلال الغاب الذي تضيئه الحباحب بأنوارها الخافتة . . . حيث برضت برعمتان دقيقتان، يخيم بين تلافيف أوراقهما الناعمة ، مرود عجيب صيغ من سحر حلال ليكحل طرف الطفل . . .

من هناك يجيء النعاس، ويداعب أجفان الطفل وهو راقد في مهده

الابتسامة التي ترف على ثغر الطفل وتطوف حول شفتيه وهو راقد في مهده . . . هل يعلم أحد من أين تجيء ؟

أجل . فقد زعموا أن موجة ذهبية من موجات نور الهلال عند أفوله مست حافة إحدى سحب الخريف المتبددة ، فولدت هناك أول ابتسامة ، وكان مولدها في حلم الصباح المغتسل بالأنداء . . . من هناك تجيء الابتسامة التي ترف على ثغر الطفل وهو نعسان .

النضارة الرقيقة الناعمة التي توفر أعضاء الطفل بأثمارها ، وتزين ملامحه بأزهارها ، فتضحك عن الأقحوان ، وتتنفس عن الريحان . . . هل يدري أحد أين كانت مخبوءة من قبل ؟

أجل . فإنها حين كانت الأم عذراء فتية قد انطوت في حنايا قلبها بعناية تجسمت فيها أبلغ أسرار الحب وأجل خفايا الحنان . . . هناك كانت النضارة الرقيقة الناعمة التي تتفتح أكمامها في صباح وجه الطفل ويترقرق ماؤها على ديباجة خده.

« الزهرة »

اللقاء الأول

للأستاذ عبد الحميد السنوسي

هل تذكرين لقاءنا لما التقى ... طرفي وطرفك فالتقى القلبان

في ليلة صخابة وضَّاءة ... من كل مبتهج بها زوجان

أقبلتِ مثل الفجر يفترس الدجى ... فاذا العيون جميعهن روان

تمشين مشرقة الجبين محاطة ... بالسحر في جمع من الخلان

فتلفتتْ عيناي نحوك وانثنى ... قلبي وأفلت من يديَّ عناني

ومشيتُ نحوك واجفاً مترددًا ... فكأنني أمشي إلى بركان

متثاقلاً في خطوتي متعثِّرًا ... متهيبًا مستهترًا في آن

ثم اتجهتُ إلى الرفاق محييًا ... وجلست منك على شفير دان

وطفقت أهذي في الحديث لعلني ... أخفي الجوى وأصد من هيماني

فسألتِهم عمَّنْ أكون ورنَّ في ... أذني سؤالك كالحيا الهتان

ورنوتِ في خفر إليَّ ورقة ... لما علمت من الصحاب مكاني

وأتى الشراب مصفقاً فدعوتني ... للشرب خجلى فالتقى الكاسان

وشربتُ من فمك الجميل المشتهى ... راحًا فهيَّج صبوتي الراحان

وتجاوبت في النفس أصداء المنى ... وسرت حميا الخمر في جثماني

وخشيت أن تطغى عليَّ لواعجي ... فمضيت في هذري وفي هذياني

أنا من تسامى للكمال فلم أجد ... إلاك في هذا الوجود الفاني

أنا من تدلَّه في هواك وإن أكن ... لم أقض في دنياك غير ثوان

أنا من بعثتِ الروح فيه فجاءة ... ودعوتِه فسعى من الأكفان

أنا من علمتِ ومن جهلتِ حنينه ... فتركتِه في ملتقى الوديان

يشدو فيذهب شدوه في عاصف ... داوي الصدى طاغ على الآذان

أبدًا ينوح ولو سمعت نواحه ... لشجاك ما يلقى من الأشجان

فلكم بكيتُ فما وجدتُ مشاركاً ... لي في الأسى يبكي لما أبكاني

ولكم ضحكت وما ضحكت وإنما ... أخفيت في الضحك ما أشجاني

واضيعة الألحان إن لم تسمعي ... حتى الصدى واضيعة الألحان

عبد الحميد السنوسي

الوداع

للأستاذ أمجد الطرابلسي

إلى دمشق وأحبابي فيها أهدى
آخر ما نظمته تحت سمائها ...

ماذا أقول لإخوانى وأصحابى ؟ لعلَّ صمتى قبلَ البَيْنِ أحرى بى !
يالوعةَ الوجــد في دارى ومرتبعى ! ماذا ... إذا احتجبتْ دارى وأحبابي ؟
يا قلبُ ويحك ! هـذا البين قد تعبت غربانُه ... قُتلت من شرّ نعّاب !
ألم يكن عهدُنا ـ والدهر ذو ترةٍ ـ هزءا بهزء ، وألعاباً بألعاب ؟
أيامَ دأبُ الزمانِ الغرّ مظلمتى لهواً ، وسُخريتى من ظلمه دابى !
أيامَ يُذهق لى الأكوابَ مترعة سُمَّا ، فأجرعُ كالصهباء أكوابى
فما لحصنِك قد خارتْ جوانبُهُ ؟ كالبيت فى القفر لم يُشْدَدْ بأطناب
يظلُّ فى عصَفَات الريح مُصطفقاً يئنُّ أنَّ الثكالى إثرَ تنحاب
يميل والعاصفَ المجنونَ مُرتنحاً كالراقصات تهادى بينَ شُرّابِ !
قلبى ، رشادَكَ ! لا يفزعْكَ أن صهلت خيلُ النوى تستحثُّ الركبَ فى بابى
أهلى حَوالَىَّ ... ماذا أنت قائله لهم قبيلَ نوًى كالليل فى الغاب ؟
قلبى ! أعِنــدكَ أن تشكو لهم حُرَقاً تشويك من لاعج فى الصدر مِلهابِ
فافغرت ـ على ماطال من وجعى ـ فاً بشكوى لصحب أو لأغراب !
ولا سجدتُ لغير الله فى زمَنى ولا وَقعتُ على أيدٍ وأعتابِ
ولا بسطت يدى للذلّ أقبله ولو علمت لديه كل آرابى
هُوَ الشبابُ ! فلا كان الشبابُ إذا لم يستسغ رشفاتِ العزّ فى الصّاب !
لا عاشَ إمَّا حنا للبغى هامَتَهُ أو ضمَّ برديه فى الدنيا على عاب !

* * *

دمشقُ يا فرحة الدنيا وبسمتها ويا مراتعَ تهيامي وتلعابى !
يا ممرح الغيدِ كالأحلامِ حائمة ومسرحَ الصيد من صحبى وأترابى
مالى عدوتُ إذا ماسرت منفرداً لم ألقَ غيرَ جميل فيكِ جذاب ؟
كأنَّ عينىَّ قبل اليوم ماوقعت على جمالك هذا الرائع السابى !
كلُّ طريف تروع القلبَ جِدتُهُ يا طولَ شغل فؤادِ الهائم الصابى
يا منبعَ الحسن والإحسانِ ! كم سكرت من راحِ ذلك أحنانى وأهــدابى
ما زلتُ أعشق فيك الحسن فى دَعَــةٍ حتى عشقتُ جراحاتى وأوصـــابى !
أمَّ الميامين ! قد غنَّت ملاحمَها فيك البطولات فى شجو وإطراب
وجرَّرت من ذيولِ المجد سابغة على بطاحك فى تيهٍ وإعجاب !
دمشق أنتِ التى فجَّرتِ من كبدى ينبوعَ شعْرِيَ يجرى ... أيَّ سكّاب
كاجرى (بَرَدَاكِ) العذبُ منفجراً ما عاقه طولُ أزمانٍ وأحقاب
مازال فوقَ مشيبِ الدهر منسرباً يجرى كطفل على الآلام وثَّاب
أدرت لى من كؤوس الحسنِ ألعبها بأنفس وخيالاتٍ وألبـــاب
أرضٌ سماءٌ رياضٌ أنهُرٌ أُفقٌ حُسْنٌ أفانينُ . ماعدّى وتحسابى !
شدَوتُ فيك لحوناً كأنَّها عجَبٌ رتَّلْتُها بين أفراحى وأتعابى
ما كانَ أضيعَ ألحانى يرُدِّدها بعدى صداها كأن الريح تهزابى
غداً ... سأمضى ولــكن أينَ مُنْصرفى لا الدار دارى ولا الأحباب أحبابى !
لا (نَيْرَبٌ) تتَصَبَّاني خمائلهُ أو (غُوطة) تتلقانى بترحاب !
غداً سأَلفِتُ جيدي لاأرى أحداً حولى يشاطرنى همِّي وتطرابى
إلاَّ خواطرَ من وَجدٍ يعذبنى صبْراً ، ويلهب صدرى أى إلهاب
وذكرياتٍ عن الأحباب مائلة من واضحٍ خَضِلِ الألوان أو كابى
غداً . سأركبُ بنت اليم راقصة على مُتونِ دَفوعِ الموج عَبّاب
تَشُقُّ بى مسبح الحيتانِ مائسة كأفعوان على البطحاء مُنساب
فى ليلةٍ كطيوفِ الجنّ راعبة مجنونةِ الموج والإعصار مغضاب

خلفَ الغيوم ظلامٌ خلفه أمَدٌ … من خلفِهِ الغيبُ في صمتٍ وإضباب

من خلفِهِ القدَرُ الفجّاع ملتثما … عن العيون، كميناً خلفَ حُجّاب

غداً ... إذا هبَّ طامي اليمّ يقذفنا … غيظاً بموجٍ له كالهُضْب غلّاب!

وحارَ في أمرِهِ الملّاح وانبعثت … حَوْلَيَّ أصوات نُوّاحٍ ونُدّاب

وحوّمَ الموتُ، في كفّيْهِ منجلُهُ … وَرفَّ فوق ضحاياه على قاب

أقول للوكب: ما شغلي بهولكم … وفي فؤادي أعاصيري وتصخابي؟

***

أينَ السبيلُ؟ وهذا الليلُ معتكرٌ … لا كوكبٌ فيه لمّاعٌ ولا خابي!

أمضي غداً نحو آفاقٍ تمجّ دماً … وجاحمٍ يبتني الإنسانُ لهّابِ!

حيثُ الرُّعاة على القطعانِ جائرةٌ … تسوقها خلفَ أطماعٍ وأسلاب

تُلقي بها للرّدى المنهوم هيّنةً … سِربًا يموتُ على أشلاءِ أسراب!

تذيقها الجوعَ ألواناً مُلوَّنةً … كيما تُسلّمها بالظفر والنابِ

كيما تقيمَ على أشلائها نُصُبا … من مفخرٍ كدويّ الطبل كذّاب!

زعامةٌ أبدعوها فتنةً عجبًا … على ظهورِ صعاليكٍ وأوشابِ

تستعبدُ الناس، إذ تعمي بصائرَهم … في عصر نورٍ وعرفانٍ وآدابِ!

دعوا الشعوبَ تآخَى قبلَ مصرعِها … لا تلعبوا بقلوبٍ أو بأعصـاب!

لا تستفزّوا بها الأحقادَ نائمةً … أو ترفدوا اللهبَ الخابي بأحطابِ

لا تهدموا الكون كي تبنوا تعاظمَكم … وتستطيلوا بشاراتٍ وألقابِ

لولا كم كان هذا الخلقُ في دَعةٍ … يستمرئ السلمَ في أمنٍ وإخصاب

***

إيهِ دمشقُ! أرى الأيّامَ مُثقلةً … تحبو إليكِ بإطماعٍ وإرهاب

برغمي اليومَ أمضي عنكِ مُغتربًا … والليلُ حولكِ داجٍ غيرُ مُنجاب

ماذا تجيءُ به الأيّامُ؟ لا بصري … يجلو الغيوبَ، ولا وهمي بنقّاب

أراكِ في ظلمةِ الأحداثِ واقفةً … على روابيكِ منها شرُّ جلباب

تستنبئين الليـالي وهي صامتةٌ … صمتَ الرّدى فوق أرماسٍ وأنصابِ!

ليلٌ ثقيلٌ تهادَى شهبُهُ فزعًا … من حادثٍ مُستكِنٍ فيه ريّاب

لؤمُ السياسة قد جرّبتِهِ زمنًا … كم بارقٍ فيه للأبصارِ خلّاب

إن السياسةَ في تدجيلها شَبَحٌ … للذكرِ في كفّ فتّاكٍ وسلّاب!

وأختكِ القدس ما زالت جراحتها … تنصبّ منها دماها أيَّ تصباب

لم يرحم البغي في أكواخها ولدًا … في حجرِ أمٍّ، ولا شيخاً بمحراب!

ويلَ اللئيم! أما راضت شكيمتَه … بالأمسِ صفعةُ صِدقِ العزمِ غضّابِ

ذئبٌ على الحَمَل السّاجي فإن زأرت … أُسـودُ العراكِ تولّى أيَّ هرّاب!

أمسى يواري عن الأبصار خزيته … ببرقع السلم خوفَ الهزءِ والعابِ

هذا السلام ذبيحًا فوق مَدرجه … فكيف أنقذته يا شرَّ كذّاب!

***

عفواً بلادي! سأمضي عنك، لا كبدي … حرّى، ولا مضجعي بالمُقلَقِ النـابي

ماذا أخافُ وأنتِ الخلدُ أجمعُهُ؟ … هل في خلودِكِ من حظٍّ لمرتاب؟

ألستِ من حطّمَ الأجيالَ صَمدَتُهُ … وصارعَ الدهرَ فردًا غيرَ هيّاب

تأتي الخطوبُ وتمضي عنك مُتعبةً … وأنتِ في عزمة الرّئبالِ في الغابِ!

كم فيكِ للفاتح المأفونِ من حُفَرٍ … غطّيتها برياحينٍ وأعشاب

ثوى بها فتناسى الدهرُ سيرتَه … وأنتِ باسمةٌ من غيرِ إجلاب

***

يا أهلُ، عُذْرَكم! ماذا أقول لكم … في موقفٍ بفؤاد الصخرِ لعّاب!

أرى القوافي تُعاصيني وأعهدها … كأخضرٍ زاخر الأمواج صخّاب!

تنهلّ من خافقي كالوبلِ مندفقاً … من مُزنةٍ في أكفّ الريح مسكاب

خلف الجفون دموعٌ جِدُّ حائرةٍ … لولا الحياءُ لقد أوحت لكم ما بي

مثل السجين على القضبان منعكفاً … يفري الحديد بأظفارٍ وأنياب

تجري دماه عليها وهو ينقضها … هيهات يظفر! ما للسجن من باب!

«بريس»

أمجد الطرابلسي



معرض « بونابرت فى مصر »

أقيم فى متحف « الأورانجرى » بحديقة « التويلرى » فى باريس معرض يحتوى على أهم ما له علاقة بالجنرال بونابرت قائد الحملة الفرنسية فى مصر . وقد كثر إقبال زائرى هذا المعرض لمشاهدة الصور والتماثيل ورسائل قائد الحملة ، وقد خطها بيده ، ورسوم الضباط والعلماء والفنيين الذين رافقوا الحملة . ويرى زائر المعرض أيضاً رسوم المماليك وملابسهم وسروج خيولهم وسلاحهم الثمين ، كالطبنجات ، والمدارات التى يضعونها فى مناطقهم أوعلى جوانب سروج خيلهم ، واليطقان ، والسيف المدلى من السرج . وكان نصل السيف ماضيا يؤثر تأثيرا شديدا فى المضروب به ، وقد قال « لارى » كبير أطباء الحملة إنه رأى للمرة الأولى فى حياته ، فى موقعة الصالحية ، تأثير سيوف المماليك : فكثيرون من الجرحى كانوا قد فقدوا أعضاءهم كلها أو جانبا كبيرا منها بضربة سيف

وكان للمماليك أربعة وعشرون قائداً يحمل كل منهم « بيرقا » كان الصدر الأعظم التركى أو حاكم مصر يسلمه إليه حينما ينعم عليه بلقب « بك »

وفى المعرض نماذج من تلك « البيارق » ويعلو كل بيرق كرة مذهبة أو صفيحة معدنية عليها كتابة . ويعلق فى عصا البيرق الطويلة أذناب الخيل . وكان عدد تلك الأذناب يدل على أهمية المنصب عند الأتراك فى ذلك العهد

وفي المعرض صورة كبيرة تمثل معركة الأهرام ويرى الناظر فيها السيوف المصلتة وغلافاتها والمدارات والخيول وسروجها والبيارق وغير ذلك تنغطى وجه الأرض ، وقد كانت تلك المعركة قاضية على سلطة المماليك فى مصر والنظام الذى وضعه فيها السلطان سليم الأول العثمانى من نحو ثلاثمائة سنة

كتابة التوراة والانجيل وأوراق البردى المصرية

ألقى السير فريدريك كنيون محاضرة ألقت ضوءا جديدا على تاريخ كتابة التوراة وذلك بفضل اكتشاف أوراق البردى فى مصر . ومصر هى الدولة الوحيدة التى أمكنها الاحتفاظ بهذه الأوراق السريعة التلف

وقال المحاضر إن الآثار المهمة التى يرجع إليها فى تحديد تاريخ كتابة التوراة اكتشفت سنة ١٨٨١ . ولكن منذ ثلاثة أعوام كان شاب من طلبة العلم يبحث فى مكتبة رايلندز فى مدينة منشستر فعثر على مجموعة أوراق من البردى تركت فى مكانها نحو ثلاثين أوأربعين عاما . ودقق فيها فوجد بينها قطعة صغيرة تحتوى على بضع آيات من انجيل القديس يوحنا مكتوبة فى النصف الأول من القرن الثانى للميلاد

ولو أن هذه الورقة الصغيرة وجدت قبل خمسين عاما لوضعت وقتئذ حدا لخلاف شديد كان ناشبا فى شأن التاريخ الذى كتب هذا الانجيل فيه . فهى تدل على أن هذا الانجيل كان منتشراً فى قرية ريفية صغيرة من قرى مصر سنة ١٤٠

وعثر الطالب نفسه سنة ١٩٣٦ على أقدم قطعة معروفة من التوراة ممزقة من السفر الخامس من أسفار موسى كتبت فى القرن الثانى قبل المسيح

فهذه الاكتشافات وأمثالها قربت إلى حد محسوس الشقة بين التواريخ التى كتبت فيها أسفار التوراة وتواريخ أقدم المخطوطات الموجودة منها

أسبوع الكتاب الألمانى

خطب الدكتورغوبلز وزير الدعاية فى فيمار بمناسبة « أسبوع الكتاب الألمانى » ومما قاله إن مبيعات دور الطباعة والنشر فى ألمانيا فى خلال السنة الماضية زادت مرة أخرى وبلغت هذه

الزيادة ٢ ، ١١ فى الكتب العلمية و ٤ الكتب الأدبية . وصدر فى الأشهر الستة الأولى من هذه السنة ٣٨٥٢ كتابا (فى سنة ١٩٣٧ ٢٣٢٧ كتابا) فتكون الزيادة ٨ ، ٦٥ فى المائة ويوجد فى ألمانيا الآن نحو ٤ آلاف مكتبة فى المعامل . ثم أعلن الدكتور غوبلز إنشاء صندوق معاشات للمؤلفين الألمان وقال إنه سينظم معرض عظيم للكتب بعد وقت قصير

بين الرافعي والكرملي

جاء فى كتاب الأستاذ الكرملي إلى المرحوم الرافعي الذى نشره الأستاذ العريان فى الرسالة مسائل يستفتيه فيها وطلب إلى القراء أن ينشروا ما يرون من رأى فيها ولعله يأذن لى أن أقول شيئاً فى بعضها ... قال الأستاذ الكرملي : فى صفحة ٨ ورد ذكر (المصنع) والعرب لم تنطق به ، على أن القياس لا يمنعه ألا يتخذ الكاتب البليغ الكلمة التى جرت على أسلات السلف وهو (الطراز)؟

والذى أرى أن الكلمة التى هى أولى أن يتخذها الكاتب البليغ وجرت أيضاً على أسلات السلف هى كلمة « المعتمل » فقد جاء فى فتح البارى على البخارى للعلامة ابن حجر فى الجزء الثانى ص ١٠ ... أنه سمع أبا سعيد الخدرى يحدث أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أرأيت لو أن رجلا كان له معتمل وبين منزله ومعتمله خمسة أنهار فاذا انطلق إلى معتمله عمل ماشاء الله فأصابه وسخ أو عرق فكلما مر بنهر اغتسل منه الحديث ... فالمصنع لم تنطق به العرب والطراز لا يدل إلا على الموضع الذى تنسج فيه الثياب الجديدة ليس غير، أما المواضع التى تصنع فيها أشياء أخرى غير الثياب فلا يطلق عليها الطراز إلا على سبيل التوسع والتجوز .

أما « المعتمل » فهو يشمل كل المواضع التى يعمل فيها (العامل) .

وقال الأستاذ الكرملي أيضاً : وفى تلك الصفحة : (تراها ـ أى الطاقات ـ عطرة بيضاء) وأنا لم أجد إلى الآن فى شعر أو نثر من وصف جمعاً مؤنثاً سالماً لعاقل أو لغير عاقل بوصف مفرد مؤنث . . الخ . أقول إن هذا السؤال قد أجاب عنه الرافعي قبل أن يطبع كتابه وحى القلم فقد جاء فى مقالته لحوم البحر . . وترد الأمواج نقية بيضاء كأنها عمائم العلماء » علق على هذه الجملة فى الهامش قال : يرى بعضهم أن مثل هذا الوصف خطأ ، وأن الصواب أن يقال « بيض » ، ولسنا من هذا الرأى وقد غلط فيه المبرد ومن تابعوه لغفلتهم عن السر فى بلاغة الاستعمال مرة فى الوصف بالمفرد ومرة فى الوصف بالجمع انظر « الرسالة سنة ثانية ص ١٤٨٧ »

« الرشيدى »

برنرد شو والمدارس والتعليم

وجهت مجلة عالم المدرسين الانجليزية استفتاء عاما إلى علماء رجال الفكر فى انجلترا عن المدارس والتعليم وما إليها من شئون وحصرت الاستفتاء فى تسعة أسئلة تسلمت إجابة (شو) منها فكانت إجابة عجيبة صريحة لا تصدر إلا عن شيخ الأدباء الفنىّ الجبار الذى يزدرى كل شىء فى العالم ولا يعجب بأي شيء . سئل شو عما يقدر اليوم أكثر من حياته المدرسية أو الجامعية الماضية فأجاب فى بساطة وسخرية : لا شيء . فقيل له : وماذا تأسف عليه من هذه الحياة ؟ فقال إنه لا يأسف إلا على ذهابه إلى المدرسة أو الكلية !!

وسئل عما إذا كان أحد من مدرسيه قد أثر فيه فوجهه إلى الخير أو الشر ؟ فنفى أن يكون أحد منهم قد ترك أثره فيه وأنهم لم يكونوا يحبونه مطلقاً ولم يكونوا يفقهون من وسائل التربية السيكاوجية كثيرا ولا قليلا

وسئل عن الكتب التى تركت طابعها فى نفسه أكثر من غيرها فى طور طفولته، فذكر أنه قرأ كل ما تيسر له من الكتب إلا كتب الأطفال التى كان يمقتها ، ثم أورد الكتب التى ما يزال صداها يملأ ذاكرته فكانت ثلاثة هى رحلة الحاج لجون بنيان وألف ليلة وليلة وروبنسون كروزو

ونفى فى سؤال رابع أن يكون لفئة المدرسين فى هذا العصر طابع خاص يلفت إليهم النظر ، ويميزهم من سواهم من سائر الناس . ثم أجاب عن شطر آخر من السؤال ، فقال إن المدرس سجان برغمه للأطفال الشياطين يحبسهم سحابة النهار حتى لا يصيبوا أمهاتهم بالجنون



١ – سياسة الغــــد

للأستاذ مريت بك بطرس غالى

٢ – التصوف الاسلامي

للدكتور زكى مبارك

كتابان قيمان لأستاذين جليلين أولهما ابتكار فى السياسة والآخر ابتكار فى الأدب . ومن يمن الطالع وحسن التوفيق أن (مطبعة الرسالة) قد افتتحت جهادها فى خدمة الثقافة بطبع هذين الكتابين . وقد تلقت الأندية السياسية والصحافة اليومية كتاب الأستاذ مريت بك بما هو أهله من التنويه والتقدير والبحث ، وستجد الصحف الأدبية والمقامات العلمية فى كتاب الدكتور مبارك كشفاً جديداً لناحية مجهولة من أدبنا العربى يستوجب التسجيل والشكر . وإنما نكتفى اليوم بنشر مقدمتى الكتابين بياناً لغرض الكاتبين وتمهيداً لما سنكتبه عنهما فى عدد قادم .

— ١ —

قال الأستاذ مريت بك :

من عادة الكتاب فى الشئون العامة أن يستهلوا حديثهم بأن يصبغوا أحوال بلادهم بألوان سوداء قاتمة ، كى يتخذوا من ذلك وسيلة لإقدامهم على معالجتها ؛ وما كنت لأعدل عن هذه العادة

وسئل عن الجمع بين الجنسين فى التعليم إلى سن الرابعة عشرة ثم ما بين الرابعة عشرة والثامنة عشرة ، هل هو مع الجمع أو هو ضده ؟ فقال إنه لا يصلح للحكم فى هذه المسألة على أنه لا يرى فى الجمع أى بأس لا سيما للأبنـاء الذين ليس لهم أخوات والبنات اللاتى ليس لهن إخوة

وسئل عما يلاحظ فى شباب هذا الجيل من الفظاظة والكسل وانعدام روح المجازفة، فاعترف بكل ذلك، لكنه فضل شباب هذا الجيل من هذه الوجهات على شباب عصره ، بل فضلهم على نفسه هو حينما كان طفلاً وشاباً

وسئل عن هذه الفروع المملة من التعليم والتى لا تسيغها نفوس التلاميذ : هل ينبغى مع ذلك أن تكون جزءاً مما يفرض عليهم تعلمه ؟ فقال : « حسن ! وهل يسيغ أحد من التلاميذ جدول الضرب مع شدة لزومه ؟ » . ثم أوصى بوجوب إثارة الرغبة فى نفس التلميذ ليحفظ الجدول وما شابهه وإفهامه أنه بدون هذا الجدول لا يستطيع أن يتصرف فى النقود التى يعطيها له أبوه لينفقها وإلا يبعثرها هباء ؛ وبهذا يقبل الطفل على كل صعب مملول فيحفظه بدافع الرغبـة لا بدافع الرهبة والخوف من العقاب

وسئل عما عسى أن تكسبه الأمة أو تخسره فى حالتى تعميم المدرسة الابتدائية أو المدرسة الأولية كخطوة أولى لتعليم الطفل . ويظهر أن (شو) أميل إلى تعميم المدرسة الابتدائية لأن هناك (نهاية صغرى) من المعلومات التى يجب تلقينها للأطفال لا يمكن ولا يصح بأى حال أن ينقص منها شىء ما داموا سيحيون فى جماعة إنسانية متمدينة

وبقى السؤال الرابع ... وهو أعجب الأسئلة كلها لأنه يتعلق بالخط ! وهل من المهم أن يكون فرعاً من فروع التعليم المدرسى قائماً بذاته ؟ وقد حتم (شو) أن يكون الخط كذلك . غير أنه رأى أن تزود المدارس بصور من خط ميكائيل أنجلو ليضاهي التلاميذ خطوطهم بها .. وهـذا ما لم نفهمه من (شـو) فخط أنجلو لا يصلح مطلقاً أن يكون خطا لأبناء هذا الجيل من الـكاتبين بالحروف اللاتينية ، وكان الأجدر به أن يحتم تدريس الخط كفرع من فروع التعليم المدرسى وحسب

لولا أن أحوالنا الحاضرة أضحت تنطق بنفسها عما نحن عليه ، وقد شُغل فكرنا جميعاً بعلامات الضعف فى النظام السياسى والقومى ، ومظاهر التفكك الاقتصادى والاجتماعى . وشاهدنا فى السنتين الأخيرتين على الأخص اهتماماً عظيما بمشاكلنا الداخلية فى جرائدنا ومجلاتنا ومحاضراتنا وفى حديث الناس عامة ؛ وترجع هذه الظاهرة الجديدة فى حياتنا القومية ، على ما أظن ، إلى أننا على أثر اكتساب حريتنا الوطنية انتقلنا إلى عصر جديد فى تاريخنا ، حتى بدأنا نشعر بأن مستقبلنا القومي أصبح الآن فى أيدينا ، وليس لأحد سوانا أن ينظمه ويكونه . وقد غطت قضية الاستقلال خلال العشرين عاماً الماضية على شئوننا الداخلية إلى حد ما ، وصرفتنا عنها بحيث خيل إلينا أنها على درجة من الرقى مقبولة . وكم كانت خيبتنا عظيمة حين عدنا من الشئون الخارجية إلى الشئون الداخلية ، فوجدناها فى منتهى الضعف والتقهقر

وحالة مصر فى الحقيقة لا تدعو إلى الاطمئنان : فأمامنا اضطراب مستمر فى الحياة القومية ، وأزمة محققة فى الآداب العامة ، ومشاكل اقتصادية واجتماعية قد تصل فى القريب العاجل إلى الحد الأقصى من الخطورة . وليست تلك العوامل بخافية على أحد . وقد أوجدت عند بعضنا شيئاً من التشاؤم فى المستقبل ، وانتشر القلق فى صفوف الشعب ، من فلاحين يشعرون به ولا يفهمون أسبابه ، إلى مثقفين ومتعلمين يرون الأخطار فى جلاء ويتوقعون تضخمها فى السنوات القادمة . غير أن علامات الضعف والتفكك لا تظهر على صورة واحدة لكل منا ، ولم نبحث وراء تلك الدلائل الخطيرة والعديدة عن الأسباب الأصلية التى عملت على تكوينها وظهورها . وكان لعدم تعودنا مواجهة تلك الشئون المعقدة أن أخذنا ندرسها ونتناقش فيها منفصلاً بعضها عن بعض ، ولم نفطن إلى وحدة الحياة القومية وإن بدت مختلفة المظاهر سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً

زد على ذلك أن عدم الاستقرار السياسي والإداري يجعل الوزارات التى تتوالى على كراسى الحكم غير قادرة على أن تعد برنامجاً للإصلاح والتقدم ، وتواصل تنفيذه منسقة بين مختلف التدابير الحكومية وغير الحكومية . حتى أن سرعة التقلب السياسي وكثرة المشاكل الوطنية وتعقدها تبعد رجال السياسة والادارة عن الأغراض البعيدة التى كان يجب عليهم ألا يفارقوها أبداً ، وتجرهم نحو المجادلات الحزبية والمسائل الوقتية أو الثانوية ؛ فتظهر تلك المجادلات وهذه المسائل بمظهر هام جداً كلما قربت وضاق الوقت عن حلها ، مما يؤدى إلى قرارات غير محكمة وحلول غير كاملة ، فتبقى سياسة الدولة عديمة التواصل كثيرة التردد والتقلب

وليس الغرض من هذا البحث أن ندرس جميع المسائل التى تواجه الدولة المصرية فى الوقت الحاضر ، ولا أن نستعرضها واحدة بعد أخري ونقترح حلاً وتدبيراً لكل منها ؛ بل الغرض أن نلقى نظرة إجمالية على كافة مظاهر النشاط القومي مع التدقيق فى العوامل الأساسية التى أدت إلى تضخم مشاكلنا ومصاعبنا ثم نرسم بعض الخطط العامة التى يحسن العمل على مقتضاها لمعالجة هذه الأخطار . وإلى جانب ذلك نبين حاجتنا الحيوية إلى الوحدة والتناسق والتواصل فى سياسة الحكومة لتكفل تقدم الأمة سياسيًا وقوميًا ، وتضمن علاج ما يمكن علاجه من أحوالنا الاقتصادية والاجتماعية

وإذا كانت سماء مصر ملبدة بغيوم الأخطار الخارجية والمصاعب الداخلية ، فجدير بنا ألا نرهب هذا أو نخشاه ، ولنطمئن على كل حال إلى ما في قلوب المصريين من عزم وشهامة وإخلاص فى خدمة الوطن . ولقد اتفق أول عهد مليكنا المحبوب مع شروق شمس الاستقلال الوطنى الذى قضى الشعب المصرى قروناً يتطلع إليه ، فأصبح عهد « فاروق الأول » حلقة اتصال بين مفاخر مصر القديمة وآمال مصر الحديثة ، والله نسأل أن يهدينا سبيل التقدم والفلاح ؟

ظريفة !...

هذا ما ستنبئك به مرآتك . وستسمعين كل الناس يهمسون من حولك بهذه الكلمة عند ما تنتخبين ثوبك الذي أنت فى احتياج إليه من عند :

شملا

زيارة منك لمحلات شملا تجعلك تتأكدين من صحة أقوالنا

— ٢ —

وقال الدكتور زكى مبارك :

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

أما بعد فهذا كتاب التصوف الاسلامى ، وهو كتاب شغلت به نفسي نحو تسع سنين ، وأنفقت فى تأليفه من الجهد والعافية ما أنفقت ، فى أعوام لو ابتلى بمثلها أصبر الصابرين وأشجع الشجعان لألقى السيف وطوى اللواء ، فقد كنت فى حرب مع الناس ومع الزمان ، وياويح من ابتلته المقادير بافك الناس وغدر الزمان !

ولكن الله عز شأنه لم يخلق الشر إلا لحكمة عالية ، فقد قويت عزيمتى بفضل ما عانيت فى حياتى من ضروب الاضطهاد ، واستطعت أن أقيم الدليل على أن الظلم قد يعجز عن تقويض عزائم الرجال .

وهل كان من هواى أن أسرف على نفسى مثل الذى أسرفت فأقضى عشرين سنة فى الحياة الجامعية بين القاهرة وباريس كانت كلها نضالاً فى نضال ؟

هل كان من هواى أن تخلو حياتى من الهدوء والطمأنينة فلا أصبح ولا أمسى إلا فى عراك وكفاح ؟

هل كان من هواى أن أنتهى إلى ما انتهيت إليه فلا يكون لى من نعيم الحياة إلا ما أصوّره بقلمى من حين إلى حين لأوهم نفسى أنى اعايش الأحياء ؟

تباركت ياربى وتعاليت ! فلولا لطفك وتوفيقك لما استطعت بفضل الجد أن ألقى أهل زمانى بالاستطالة والكبرياء .

ومن هم أهل زمانى ؟

هم الكسالى الظرفاء الذين حرمهم الله نعمة البلاء بإقذاء العيون تحت أضواء المصابيح .

***

ينقسم هذا الكتاب إلى قسمين : التصوف فى الأدب ، والتصوف فى الأخلاق .

وقد كان هذا الموضوع فيما يظهر غامضاً أشد الغموض ، فقد طلب مجلس الأساتذة بكلية الآداب أن نقدم له مذكرة نشرح بها الغرض من هذا الكتاب ليقبل أو يرفض جعله موضوع رسالة لامتحان الدكتوراه . وقد أجبنا يومئذ بأننا نريد أن نبين كيف استطاع التصوف أن يخلق فنّا فى الأدب ومذهباً فى الأخلاق ، وهو موضوع يستحق الدرس بلا جدال .

وكان مجلس الأساتذة على حق ، فقد كنا فى حيرة مظلمة الأرجاء ، وكنا لا ندرى كيف نتوجه ، وكل ما كنا نملك حينذاك هو الاطلاع على العناصر وتصور مالها من أهمية لو وضعت فى نظام واضح مقبول .

ولكن السبيل إلى ذلك كان فى غاية من العسر والصعوبة ، فقد كنا جمعنا ألوفاً من الجذاذات لا ندرى كيف نربط بعضها ببعض ، وكيف نسوى منها رسالة للدكتوراه فى الفلسفة تستوفى الشرائط الجامعية .

وتجسم الخطر حين نظر المؤلف فرآه يخترق المصاعب وحده بلا هادٍ ولا معين ، فقد كان ظفر بإجازة الدكتوراه قبل ذلك مرتين ، مرة من الجامعة المصرية ومرة من جامعة باريس ، وكان ذلك كافياً لأن ينصرف عنه الأساتذة ويتركوه يكتب ما يشاء كيف شاء .

ولكن أولئك الأساتذة الذين اعتمدوا على كفايته العلمية لم يتركوه بلا حساب ، فقد تدخلوا فى تصميم الرسالة وخرّبوها بأيديهم مرتين ، فخرج منها كتاب نشر منذ سنين هو كتاب (المدائح النبوية فى الأدب العربى)

والشر قد يكون باباً من الخير فى بعض الأحيان .

***

نوقش هذا الكتاب بجلسة علنية فى مساء اليوم الرابع من أبريل سنة ١٩٣٧

ناقشته لجنة عنيفة قهرت المؤلف على التواضع ، وهو خلقٌ لم يعرفه من قبل ، واقترحت أن يحذف أشياء وأن يضيف أشياء .

وقد رجع المؤلف إلى الكتاب فنظر فيه من جديد وأضاف إليه طائفة من الفصول فى الأدب والأخلاق ، وحرر بعض الهوامش التى تحدد ما كان يحتاج إلى تحديد فى بعض المواطن ، وانتفع باقامته فى العراق فتعقب الصلات بين التصوف والتشيع، وقد أعانه ذلك على إمداد كتابه بحيوية جديدة سيرى القارىء شواهدها وهو ينتقل من بحث إلى بحث .

***

هذا ، وقد يجد القارىء ما يثيره فى مواضع كثيرة من هذا الكتاب . فان وجد ما يشوكه ويؤذيه فليرجع إلى ما شاكه وآذاه بالدرس والتأمل مرة أو مرتين أومرات ليوافق أويعترض على هدًى وبصيرة . وليتذكر أن الدراسات الفلسفية لا تقوى ولا تجود إلا إن سلمت سلامةً تامةً من الرياء وتخوف العواقب

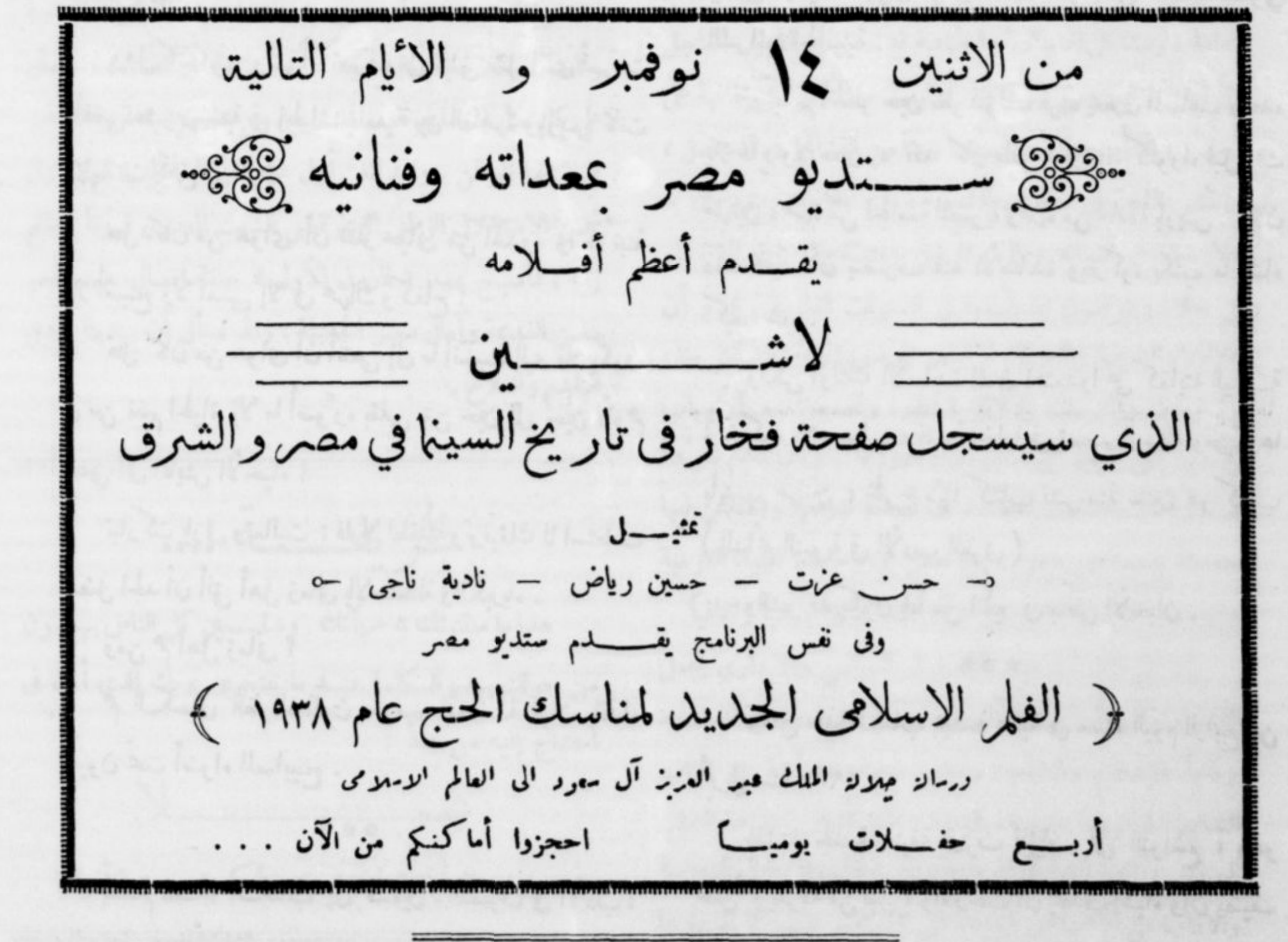
والمؤلف يرجو أن يتذكر القارىء أيضاً أن الصوفية كانوا من أقطاب الحرية الفكرية ، فمحاربة هذه الحرية باسم الغيرة عليهم خطأ لا يقع فيه رجل حصيف

وفى ختام هذه الكلمة الوجيزة أدعو الله تباركت أسماؤه أن يسبغ على هذا العمل الخالص لوجهه الكريم حلة القبول، إنه قريب مجيب .

زكى مبارك

أفاعى الفردوس

ديوان من الشعر الجيد الحي ، أصدره الشاعر اللبنانى إلياس أبوشبكة، وقد كتب الأستاذفليكس فارس عنه مقالا تحليلياً سننشره فى العدد القادم .





6me Année, No. 281

Lundi - 21 - 11 - 1938

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولي رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مص
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٢٨١ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٩ رمضان سنة ١٣٥٧ — ٢١ نوفبر سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــــرس

من مآسي الأخلاق

بعد عشرين عاما في الجهاد

في اليوم الثالث عشر من شهر نوفبر سنة ١٩١٨ بُعث نبي الوطنية سعد زغلول ، وأُوحي إليه أن يذهب هو وإخوته إلى جون بول يدعونه إلى الحق ، كما أُوحي إلى موسى أن يذهب هو وأخوه إلى فرعون يدعوانه إلى الإيمان . وجون بول كان يزعم كما زعم فرعون أن له ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحته . فقال له سعد قوله اللين لعله يخشى أو يتذكر ، فأبى واستكبر ، ثم طغى وتجبر ، فهدَّد وشرَّد ، ثم قتَّل ونكل ؛ فسلط الله عليه وحدة الأمة النبيلة فرمته بأُسُودها وأشبالها ، بنسائها ورجالها ، بصليبها وهلالها ؛ فلم يجد بدًّا من التسليم لقوة الروح وسطوة الإيمان وغلبة الحق ، فنزل عن الحماية ، وساوم على الاستقلال ؛ فما زالت الأمة تداوره وتصابره حتى استردت حقها المسفوه بفضل الزعامة الرشيدة والرأى الجميع والقلوب المؤتلفة والفرص المواتية

وولى الأمر بعد الرسول الوطني خلفاؤه الأربعة الراشدون ، فأحسنوا الولاية ووصلوا الجهاد وصدقوا العهد ، حتى بنى مروان ، وقُتل عثمان ، فشتَّتِ الوحدة ، وتشعث الرأى ، وتصدعت القيادة ،

وذاق الناس بعضهم بأس بعض، وحمل كل فريق على كل فريق بالأذى والهُجر، يرميه بالفسوق والمروق، وينبزه بالجبانة والخيانة، حتى أُصيبَ الرأى العام بنوع من الأفَن لا يستقيم معه منطق ولا يبلغ عليه جهاد!

***

هـذان سرادقان نصبا فى مكانين متقاربين فى ساعة واحدة لغاية واحدة، فماذا رأى الرائى وسمع السامع فى حفلين أقيما لتمجيد الجهاد والتضحية، وتجديد الاتحاد والألفة؟ رأى فريقين كانا فى حومة الشرف وميدان الشهادة إخوان سلاح فى معسكر واحد، يتحملون مكاره الرسالة كالأنبياء، ويهشون للقاء الموت كالشهداء، ويجهلون أن لهم أنفساً بشرية تبغى المتاع وتطلب السلطان. فأصبحا بعد النصر فِرَقاً فى يد الهوى، يعادى بينهم الحق كما يعادي بينهم الباطل، ويجرى عليهم من أنفسهم أضعاف ما كان يجرى عليهم من العدو

رأى ذلك وسمع خطيبين يعبر كل منهما عن رأى فريقه، فلم يدعا فى مفردات اللغة كلمة تدل على الفشل والفلول إلا تراشقا بها على تصفيق الأيدي وتصديق الألسن من كل جانب. فإذا أخذت بشهادة كل فريق على صاحبه — ولا يخلو الفريقان من شهود عدول — حكمت ولا بد بأن الأمة إنما كانت تسير إلى غايتها من الحرية والاستقلال على هـدى سليقتها الموروثة، تدعوها الانسانية الطموحة، وتحثها الرغبة الملحة، وتساعدها المشاكل الدولية

أما القادة والأدلاء فقد وقفوا على جانبي الجيش يتنافسون فى الرياسة، ويتحاسدون على الجاه، فتتعارض المطامع، وتتناقض الخطط، ولا يكون من وراء ذلك للمجاهدين إلا الضلال أو التقهقر

ذلك حكم الواقع إذا صدقت شهادة كلا الحزبين على أخيه؛ وإلا فهو عَكَرُ الأخلاق المشوبة رسب بإذن الله إلى حين؛ فلما انقضي جهاد العدو واطمأنت النفوس إلى وساوسها وأهوائها، ثار ما فى القاع، من الأكدار والأطماع، فانقلب الأمر نزاعاً على ولاية الحكم، وصراعاً على قسمة الغنيمة!

***

قالوا إننا أمة تبدأ وحدة وتنتهى آحاداً، وتفشل جماعة وتنجح أفراداً، وتضعف قادة وتقوى أجناداً؛ فليت شعرى حتّام يصدق هـذا القول فى أمة تزعم أن لها قومية متميزة، ومدنية مستقلة، وعقلية متجانسة، وثقافة متحدة؟؟...

احمد حسن الزيات

تحية المهد الملكى المبارك

على حواشى الفردوس من دار المُلكِ السعيدة تَطُوف أمانىُّ شُعوب، وتهفو عواطف قلوب، وتلهج ألسنة صادقةٌ بالدعاء، وتفيض جوانح زاخرة بالولاء، وتتنزّل الدعوات والتهنئات على مطلع البـدر، كما تتنزّل الملائكة والرُّوح فى ليلة القَدْر!

***

وعلى كِلَلِ الورد من مَهْدِ الاميرة الوليدة تَشِع هالاتٌ من نور الحب، وتَشِيعُ نفحاتٌ من سرور الشَّعب، وتتلاقى بسمات المِلكين العظيمين، لأُولى ثمرات القلبين الكريمين، وتَرِفُّ نسمات الرضا الجميل، من عِطاف الوادى وضفاف النيل!

***

فِرْيالُ يا حلية العرش ودرَّة التاج الفريدة! إنك وحدة الحب الملكى الصادق والحب الشعبى المكين، وإن مولدك مظاهرة سماوية من أعياد الدنيا والدين: عيدِ نزول القرآن، وعيد الجمعة الأخيرة من رمضان، وعيد افتتاح البرلمان، وعيد الفطر والإحسان!

***

كذلك عهد أبيك العظيم يا فريال: جمالٌ وجلال، ويمن وإقبال، وشباب وآمال، وقلب كله لله، ورأس كله للوطن!

أتاتورك

للأستاذ محمود غنيم

طاف الحِمام بساحل الأتراك
صبراً « فروق » قد احتسبت فتاك
ما مات فرد يوم ووري بل هوى
من أفقه فلك من الأفلاك
صاد القضاء النسر وهو محلق
واهاً لنسر عالق بشراك

مات مصطفى كمال ، وليس عجيباً أن يموت فى هذه السن الباكرة، إنما العجيب أن يتدبه الأجل فوق ذلك! إن ثمانية وخمسين ربيعاً عمر قصير إذا أضيفت إلى رجل من عامة الرجال ، أما إذا أضيفت إلى عاهل الترك فانها بمثابة قرون وأجيال . لو كان هذا الرأس من ماس لذاب ؛ ولو أن تلك الأعصاب من حديد لاعتراها البلى ؛ ولو أن هذا الجسم قلة من قلل الجبال ، لأسلمه العمل المضنى إلى الانحلال .

مات مصطفى ، وأسدل الستار على ذلك الوجه الذى قدت عضلاته من الجرانيت ، وانطفأت هاتان العينان بل الكوتان اللتان تشمان السحر والمناطيس ، وتنفذان إلى أعماق القلوب ، وتنمان عن إرادة من فولاذ .

مات الرجل الذى كان معبود قوم ، وقذى فى عيون آخرين . مات الثائر الذى حكم القضاء الجائر باعدامه ، فلم يصبه سهم من سهامه . مات الذى طالما نصبت المؤتمرات شركاً لاغتياله ، فلم يقع فى حباله . مات الذى ناهض السلطان ، ودوخ اليونان ، وحارب الحلفاء فى صف الألمان ، فلم يجد الموت إليه سبيلا ، كأنما هو فى جفن الموت والموت وسنان .

مات مصطفى ميتة ابن الوليد على فراشه ، لم يقطع شلو من أشلائه ، ولم تسل قطرة من دمائه ، فلا نامت أعين الجبناء !

كانت أمة محلولة العرى ، مفككة الأوصال ، أنهكها من الداخل استبداد الخلفاء ، ومن الخارج انتصار الحلفاء ؛ غريبة فى أوربة بدينها وعاداتها ، لا هي من الشرق ولا هى من الغرب ، فجمع مصطفى تلك الأشلاء المتناثرة ، ووائم بين هذه الأطراف المتنافرة، حتى استقام له شبه هيكل من العظام ، كساه لحما ، وركب له أعصابا ، وشق فيه حواس ، ثم نفخ فيه من روحه ، فاذا هو بشر سوى ، مقطوع الماضى عن الحاضر ، لا يمت أوله إلى آخره بآصرة من الأواصر ، فلاغرو إذا قلنا : إن مصطفى كمال ، طراز وحده فى الرجال . وإننا لنجور عليه وعلى الحق معه إذا قارناه بموسولينى فى الجنوب أو بهتلر فى الشمال ، فان المعجزة إنما هي فى إحياء الميت ، أما إحياء الحى فليس من المعجزات فى شيء . فان كان هناك فقيد يستحق التخليد ، تضاف إلى اسمه البلدان ، وتقام له التماثيل فى كل مكان ، فهذا هو مصطفى كمال ، لا غيره من أشباه الرجال الذين تنحت لهم التماثيل من الصخر ، وكان جديرا بها أن تصاغ من الشمع ، ثم تسلط عليها أشعة الشمس

لم يكن الأثر الذى أحدثه مصطفى كمال قاصرا على رقعة من الأرض ، ولكنه غير اتجاهات الأفكار ، وامتد إلى النظم التى تواضع عليها البشر ، فقلبها رأسا على عقب . إنه لم يؤمن بسنة التطور فى إنهاض الأمم ، ولم يعترف للزمان بعمل فى تكوين الشعوب ، بل قال بالطفرة ، ثم شفع القول بالعمل ، فدفع بأمته من خلف ، فى قسوة وعنف ، ثم سار وأوغل في سيره ، والناس فى شك من أمره . ولشد ما شده العالم حين رآه يجتاز السبيل ، ويتخطى المقابيل ، بالغاً بأمته حيث يريد فى سلام واطمئنان ، والزمان ينظر إليه فى خجل ، لأنه أسقطه من حسابه ولم يعترف له بعمل

كان مصطفى مثالاً حياً للرجل الثائر ، أظلته الثورة من مهده إلى لحده ، ما حل على رأى إلا جرّحه ، ولا سيم خطة إلا فندها ، ولا حارب تحت لواء قائد من القواد، إلا وجه إليه مرير الانتقاد . ثار في طفولته على فلح الأرض ورعى الأغنام ، وثار فى شبابه على عبد الحميد ثم على وحيد ، وثار فى كهولته على العادات والتقاليد . وليست عظمة الرجل فى أن يثور ، فان الثائرين فى الرجال كثير ، وما أيسر الانتقاد ، وأسهل الهدم على من أراد ! ولكن مصطفى لم يكن هادماً فحسب ، بل كان هادماً بانياً ، يبنى الجديد على أطلال القديم ، ولا يعمل المعول حتى يضع التصميم

أراد مصطفى استقلال بلاده فلم يلجأ إلى الكلام ، إلا بمقدار ما يمهد الكلام للحسام ، ولم يلجأ إلى الاستجداء ، لعلمه أن الاستقلال أخذ لا إعطاء ، ولكنه أسمع الغاصب المحتل صوت

احتجاجه عن طريق المدافع المدوية، والسيوف المقعقعة، فكان صوتاً يخترق حجاب السمع، وكان أذاناً يطرق الصم من الآذان.

وما كان لمصطفى بفلول جيوشه الحديثة العهد بالانهزام أن يطارد المحتلين، وأن يكبح جماح الجيران الطامعين، ولكنها العقيدة المتغلغلة فى الصميم، إذا اقترنت بالحق الصراح، والرغبة المدججة بالسلاح، لم يقف فى طريقها شىء، بل اجتاحت هى كل شىء، ولم تذر من شىء أتت عليه إلا جعلته كالرميم

وهكذا استطاع مصطفى أن يخلص الأوطان، من احتلال الغاصب وجشع اليونان؛ ولكن ماذا يفيد جلاء الغاصبين، والبلاد واقعة تحت نير السلاطين باسم الدين؟

على رسلك يا مصطفى، إن طريق الدين شائك وعر المسالك فلا تجرح فيه عواطف الأتراك، بل عواطف المسلمين أجمعين. إياك والتعرض للخلفاء، فان للخليفة قوة أربعين من الأولياء. إن المسلمين لا بد لهم من إمام، وإن الخلافة ركن من أركان الاسلام. بمثل هذا تعالت الأصوات، من مختلف الجهات، ولكن لمصطفى أذناً صماء، لا تصيخ إلى النداء. هو لا يريد الخلافة، فليكن ما يريد، ثم يضرب الضربة القاصمة، فيطوح بالخليفة فى مجاهل الأرض، وتتطاير شظايا عرشه فى الفضاء. أما الفقهاء فلهم أن يبدوا ما يحلو لهم من الآراء، وأما الصحف والكتاب، فلهم أن يحكموا هل أخطأ أو أصاب

ترى ماذا كان يكون من أمر الخلافة لو طرحها كمال على بساط البحث، وانتظر فيها قرار المتضلعين من رجال الدين؟ أغلب الظن أنها كانت تسلك الأدوار التى سلكتها من قبل مسألة خلق القرآن فى عهد بنى العباس، تتناطح حولها الحجج، وتتقارع البراهين، ثم ينتقل التناطح من الحجج إلى الرءوس، والتقارع من البراهين إلى السيوف والتروس، ثم لا ينتهى الأمر، أو ينتهى إلى لا شىء؛ ولكن مصطفى يعرف ذلك، ويعرف بجانب ذلك أن منطق الواقع يغير وجوه الرأى، ويحول اتجاهات الأذهان، ويحمل على التسليم والاذعان. وكأنى به جالسا على أحر من الجمر، وأعضاء المجلس الوطنى يتداولون الآراء فى مسألة الخلافة، حتى إذا نشب الجدل وطال النقاش ساعة من نهار، لوح لهم بحبل المشنقة فصدر القرار

ليت شعرى ما ذا فعل مصطفى؟ أتراه افتات على عروش الخلفاء، أم أجهز على جريح لا يرجى له الشفاء؟ أهى نزعة من نزعات الالحاد، أم التخلص من عضو دب إليه الفساد؟ للتاريخ وحده أن يحكم؛ غير أنى أبرئ من الالحاد مترجم القرآن، ومعز دين الاسلام، ومرغم الأجانب على احترام الجمات، وإنما هو النفوذ الدينى أمى استماله، فوجب استئصاله؛ ذلك النفوذ الذى تغلغل فى كل مصلحة، واعترض طريق كل إصلاح، والذى لم يوسم به عصر دون عصر، أو يسلم من شره مصر دون مصر. ذلك الذى جعل مصطفى يرمى رجال الدين لا بالدين، حتى إنه ليقول فى فورة من فوراته النفسية: «لوددت لو أستطيع أن أقذف بالأديان جملة فى أعماق البحار»

وما كان لمصطفى ليضطغن على الاسلام لذاته، ولو لم يحترمه دينا لاحترمه مقوما من مقومات القومية التركية، تلك القومية التى كانت هدفه الوحيد بعد أن أغمد سيفه وعاد من الميدان

على أن مصطفى بشر يخطئ ويصيب، وقد يكون جار ليعدل، وانحرف عن الجادة ليصل إلى الطريق القويم. وإنك لن تخيط الثوب حتى تحدث الابر فيه ثقوبا. ورحم الله القائل «إنا لن نصل إلى الحق حتى نخوض الباطل خوضاً»

ليس الرجل العظيم جديراً بهذا اللقب حتى يكون عظيما فى كل شىء، وقد برهن مصطفى على أنه رجل سلم كما أنه رجل حرب. ما كاد يخلص من قيود وطنه بالتحطيم، حتى تناول داخليته بالتنظيم، فأظهر فى ذلك ما لم يكن ينتظر من رجل تخرج فى الميدان، لم يعتد إلا حمل السلاح وإطلاق النيران. انظر إليه يقوم «بتتريك» كل شىء، ويتعصب لقوميته حتى إنه ليحظر التعليم بغير اللغة التركية، ويقصى فى سبيل ذلك كثيراً من معاهد الجاليات الأجنبية. ثم انظر إليه لا يمنعه تعصبه الأعمى لقوميته أن يستعير من الغرب الحروف اللاتينية، فيفرضها فرضا، ويطوف حاملا سبورته مبشرا بها فى الأندية والمسارح. ثم انظر إليه يفرض القبعة على الرءوس، ويقذف بالقلبق والطربوش وغير هذين من الأغطية المختلفة الأشكال، التى كانت تجعل من الأتراك شبه «كرنفال». إن مصطفى القائد خبير بعلم النفس، مدرك تمام الادراك الارتباط الذى بين النفوس، وبين أغطية الرءوس،

فمل مصطفى ذلك كله فى ثوان ، وإن قوماً لا يزالون إلى الآن ينتظرون حكم الفقهاء فى ترجمة القرآن ، وهم كلما هموا باستبدال لباس بلباس ، انتظروا حتى يحكموا الدليل والقياس

إن سر عظمة مصطفى هو في أنه رجل عملي ، لا يعرف المناقشات البيزنطية . ما يحتاج إلى قرون ، ينفذه فى لحظة بقوة القانون . وإنه ليؤثر الاقدام على الخطأ على التردد فى الصواب ، بل إنه ليحيل الخطأ صواباً بشدة اقتناعه وسرعة اندفاعه . بذلك استطاع أن ينفذ برنامجاً واسعاً من الاصلاحات ، وأن يعلن الجمهورية ، وأن يلغى الألقاب ، وأن يقضى على نفوس كرادلة الاسلام ، وأن يحقق غير ذلك من الأغراض التى لم تحققها الثورة الفرنسية إلا بعد عشرات من السنين ، أروت فيها خشب المقصلة بدماء الملايين .

وبعد ، فهل لنا أن نضيف مصطفى كمال إلى نابليون بونابرت وإلى محمد على باشا ثم نعتبر هؤلاء دليلا على أن رجال الميدان بما تعودوا من سرعة البت وصرامة الأحكام — أصلح لحكم الشعوب من رجال القانون الذين يتحرون المنطق فى الأحكام ، ويطيلون البحث فى فقه الألفاظ ومدلول الكلام ؟

وهل لنا أن نعتبر هؤلاء دليلا على أن الحكم الدكتاتورى العادل هو أصلح أنواع الحكم التى تساس بها الدول ؟ إننى لأميل إلى ذلك كل الميل . بيد أنهم يقولون : إن الدكتاتور يبنى نفسه على أنقاض غيره ، ويقوى شخصيته على حساب إضعاف شخصيات الآخرين . ولئن صح ذلك فاننى لأشفق على تركيا الفتاة ألا تجد خلفاً لمصطفى ، أو تجد خلفاً يشغل زاوية من زوايا كرسيه العريض ويترك سائره شاغراً

« كوم حماده » محمود غنيم

من ذكريات لبنان

راهب الوادي

للأستاذ على الطنطاوى

كنت فى بيروت فملت صخبها وضوضاءها وأحسست أن قلبي جائع لايشبعه إلا الجمال، ونفسي عطشى لايرويها إلا الحب ، وتمنيت أن أعيش يوماً فى الجنة ... وما أقرب الجنة من ساكنى بيروت تلوح لهم من شرف السماء كما تلوح الفراديس لعيني العابد المتبتل ... وتبدو لهم بذراها المكللة أبداً بالثلج رمزاً للصفاء والطهر ، وهاماتها المرفوعة الشمخرة صورة للعظمة والمجد ، وصخورها المائلة التى تتلو على الدنيا سورة الخلود ، وسفوحها الحالية بأشجار الصنوبر والسرو التى تصف الحياة الباسمة ، والجمال الباقى ، وقراها الضائعة فى الضباب المعطر ، وغاباتها السكرى بالنشيد الحلو ، وشعابها ومساربها التى يمرح فيها الحور العين ، والولدان المخلدون ، آمنين فى مثابة العشاق ، وحمى المحبين ، وأوديتها العميقة عمق السر فى نفس الصب المدله يحب أن يذيعه ثم يضنّ به فيختزنه فى صدره ، الرهيبة رهبة الأزلية عند أبناء هذا الوجود الفانى ... الساحرة سحر المجهول الذى يحبه الناس بمقدار ما يخافونه !

وكانت الدنيا تخطر فى حلل الربيع ، وكانت الطبيعة فى عرس، فخرجت مع فئة من تلاميذى نؤم دنيا الأحلام ، وجنة المستعجل، وذهبنا نصعد فى الجبل على غير ما طريق ، بل لقد تنكبنا الطرق عمداً ونأينا عن السبل المسلوكة ، والقرى العامرة ، لنرى الطبيعة العذراء ، ونبصر الجمال البكر ، لا الذى ازدحم عليه الواردون ، فلم نكن نبلغ الذروة بعد طول الجهد ، ونحسب أننا قد وصلنا حتى تظهر لنا من ورائها ذرى وظهور فنعود إلى التسلق طربين ، والطبيعةُ ، ويح الطبيعة ، تعرض علينا من فتونها ألواناً ، وتغرينا بالحب ما وسعها الاغراء ، فلم تلبث أن أيقظت فى نفوسنا بنات الهوى ، وشياطين الغرام ، فاذا نحن نفتش فى أثناء نفوسنا عن ذكرى حب قديم ، أو أمل بحب جديد . . . وإذا نحن نحس بهذه

العاطفة المبهمة التي يبعثها الجمال في النفوس الشاعرة ، فنزهد في المال والجاه والمجد ، ولا نطلب من الحياة إلا خلوة هادئة على صخرة من هذه الصخور . نقضى فيها العمر كله مع من نحب في قبلة واحدة ... وهل يتسع عمر الانسان (ليت شعري) لأكثر من قبلة واحدة ؟

* * *

لبثنا صاعدين ساعات طوالاً ، والطرق تتسع بنا أو تضيق ، والقرى تبدو لنا خيالاتها كأنها الأمل الباسم يومض نوره من خلال الأمل الطاغي ، وهي متكئة على أكتاف الصخور ، أو نائمة في حجر الجبل نومة الطفل المدلل في حضن أمه الرؤوم ، والمشاهد تتبدل لنواظرنا أبداً ، فلا تترك جيلاً إلا إلى ما هو أجمل ، فلا ندري فيم نتأمل ، وأين ننظر ، كالذي يشهد معارض الفن الجميل فيحار أين يقف ، وعلى أي لوحة يلقى البصر ...

إن لبنان معرض الفن العلوي الذي أبدعته يد الله ، فمن لم ير لبنان (لبناننا المشرق النقي الطاهر ، ولبنان القوم المرح الشاعر) لم ير من دنياه شيئاً !

* * *

بلغنا من الصعود ما لا نطيق أكثر منه ، فنظرنا إلى أقدامنا ، فاذا تحتنا أودية وأودية لا ينال البصر أدانيها ، وإذا هي غارقة في الضباب ، ومحجوبة بالسحاب الذي علونا عليه فصار جريه من تحتنا ، وإذا هي مهولة مخيفة ، ولكنها سبيلنا مالنا من الهبوط إليها بد ، بعد أن أضمنا الطريق وبلغنا هذه الذرى الخالية ، فتوكلنا على الله وأخذنا نهبط فزعين ، ولم يكن ثمة من طريق فكنا نثب من الصخرة ، وننحدر في المسيل ، ونتزحلق على الحصى ، والوادي العميق لا يزال كما كان غارقاً في الضباب ، كأنه صورة مبهمة لاحت لشاعر ، أو فكرة غامضة أو مضت في رأس عالم ، وكنا كلما هبطنا درجة فتحت لنا صفحة جديدة من كتاب الجمال السرمدي ، فلا نكاد نقرأ منها حرفاً ، لأن لنا من حيرتنا وتعبنا وفزعنا ما يشغلنا عن تلاوة آيات الجمال ...

حتى إذا مضت ساعات وآذن النهار بالرحيل ، بلغنا قرارة الوادي ، فاذا هو خال موحش يبدو لنا كأنه قبر ، وإذا الأشواك والأزهار والأوراد قد حفت به متشابكة مؤتلفة حتى لا سبيل إلى بلوغه ، ولم تكن قد مستها يد بشرية مدمرة ، فبقيت على طبيعتها متعانقة لم يفسد ألفتها شيء ، ولم يعبث بجمالها عابث ، فدرنا حولها نفتش عن مجاز نجوز منه ، فوجدنا بعد لأي طريقاً ضيقاً ملتوياً ، فسرنا فيه نلتوي معه حتى بلغنا الأعماق ...

كان الوادي ضيقاً عميقاً كأنه فجوة صغيرة ، فنظرنا في جوانبه فلم نلق أثراً لانسان فرفعنا رؤوسنا فاذا نحن نبصر على الجانبين جداراً هائلاً من الصخر ، لا يبلغ البصر أعاليه ، وإذا نحن في بئر عميقة نائية عن الدنيا ، لم تبلغها الحضارة بخيراتها ولا بشرورها بعيدة عن البشر لم يصلوا إليها ، ولم يعلموا بها فأيقنا أنا قد كشفنا سراً من أسرار الطبيعة في هذا الجبل . وكم للطبيعة فيه من أسرار لم يكشفها إلى اليوم أحد ! ... وملكتنا رهبة المكان فسرنا صامتين ، وابتعدت عنهم أنقب في جوانب الوادي ، فاذا أنا بسلسال ماء يهبط من الذرى العالية يقطع مئات الصخور والحدور ، حتى يستقر في هذا الوادي ، كأنه رسالة الحياة وهديتها إليه فذهبت أتبع مجراه ، وأتقصى أصله ، فاذا أنا ألمح داراً متوارية وراء صخرة من الصخور الضخمة ، وإذا أنا أسمع صوتاً يختلط بخرير الينبوع ، ويرن صداه الخافت الفاتن في سكون الوادي الضيق ، فيهز من القلوب حباتها ، فأعجب من هذا الصوت وأقبل عليه على حذر فاذا أنا أتبين فيه هذه الأغنية اللبنانية الخالدة ، التي تحمل عبقرية الأجداد ، وصورة آلامهم ومسراتهم ، وخوالجهم وهواجسهم ، فيتلقاها الأحفاد ويزيدون عليها آلامهم وآمالهم فلا تنتهي أبداً ، بل تبقى دائماً نشيد الشعب ، بل أغنية القلب ...

عَ اليادل يادل يادل ... ...

لَطْلَع عَ راس الجبل	وَشْرِف على الوادى
وقول يا مرحبا	نَسْم هوا بلادى
يارب يطوف النهر	ويعتلى الوادى
لَمْيل زنودى جسر	وَمَرِّق البنية

* * *

يارايحين على حلب	حبي معاكم راح
يامشايين العنب	فوق العنب تفاح
كل مين حبيبه معو	ونا حبيبي راح
يارب نسمة هوا	ترد الحبيب ليا

فهزني الغناء فأقبلت على الرجل يدفعني الاستطلاع والفضول ويرديني الفزع وخشية المجهول ، وأثبته نظرا فاذا شيخ هم أبيض اللمة واللحية بأسمال بالية، فلما رآني وثب مرتاعاً رفمل من لم ير إنساناً قط وقذف في وجهي بصرخة هي إلى صراخ الوحش النافر أدنى منهـا إلي صياح الناس ، وولى هاربا ، نخفته ، ولكني تجلدت، وتبعته فررت بأرض مزروعة ورأيت عدداً من الشاء نفرن مني لما أبصرنني ، فأدركته عند باب الدار ، فجعلت ألطف به وأكلمه ، وهو ينظر إليّ وقد امحت وحشيته الأولى وصار وجهه كوجه طفل بريء ، وجعل يصغي إلى كلامي ، شارد البصر يحاول أن يتفهم معناه ويردد بعض الكلمات بصوت خافت رهيب، فوقع في نفسي أنه مجنون ، أو أنه قد نسي الكلام وكان الليل قد بسط على الدنيا جناحيه ولم يبق لنا بد من المبيت في هذا الوادي ، فعدت ألطف بالشيخ وأكلمه حتى انطلق لسانه فتكلم ...

قال :

... نعم خالفت إرادة السلطان ، وفررت بها إلى هذا الوادي. أليست ابنة عمي؟ أليس الحب يؤلف بين قلبينا ؟

فهممت أن أسأله عنها ، ولكني وجدته لا يعي الكلام وخفت إن أنا سألته أن يفوتني حديث قد لا أسمع مثله أبداً فسكت وعاد هو يقول :

لقد عشنا سعيدين لا نرى أحداً ولا يرانا ، نزرع هذه الأرض فنأكل من ثمرها ، ونسوق هذه الماشية فننال من ألبانها ولحومها ، وكنا أسعد الناس ، ولكنها ماتت ، ماتت منذ أربعين سنة فماتت معها نفسي . وهذا هو قبرها ...

وبكى الشيخ فأبكاني ثم قال :

إني أعيش من بعدها بلا حياة ، أنا ميت ، فاقض فيّ ما أنت قاض . خذني إلى السلطان عبد الحميد ليقطع رأسي ، لم يبق لي من الدنيا أرب بعد أن ماتت ... لقد عشت بحبها ، وأموت على حبها وهذا يكفيني ...

ثم قام مسرعا فاختفى بين أدغال الوادي ، وترك لنا بيته وطعامه وشرابه فلبثنا فيه ننتظر الصباح

« بغداد » علي الطنطاوي

التعليم والمتعطلون في مصر

للأستاذ عبد الحميد فهمي مطر

خطة الإصلاح الخلقي

والآن وقد كشفنا عن الضعف الخلقي الذي تفشى في شبابنا بسبب إهمال المدرسة للناحيـة الخلقية نرى لزاماً علينا أن نرسم للمدرسة خطتها التي نعتقد أنها إذا سارت عليها أمكنها أن تصلح من شأن أبنائها . ولسنا ندعي العصمة من الخطأ في ذلك ولكن هذه الخطة هي التي هدانا إليها اجتهادنا وتفكيرنا .

فعلى المدرسة أن تخصص مدرساً لكل عدد من التلاميذ لا يزيدون على العشرين يراقبهم ويدرس أحوالهم ، ويكون لكل واحد منهم سجل خاص يدون فيه جميع المعلومات الصحية والخلقية والعلمية المتعلقة به وتحتفظ المدرسة بهذا السجل منذ بداية التحاق التلميذ بها . وعلى هذا المدرس أن يكون مركز الاتصال بين مدرسي هـذا التلميذ الآخرين وإدارة المدرسة من جهة ، وبين ذويه وأهله من جهة أخرى ليتعرف كل شيء عنه ، وليباحثهم جميعاً في أمره وفي تنظيم حياته وفي ترقية حاله وفي إصلاح معوجه كلما لوحظ فيه انحراف عن الصراط المستقيم . وإنا نرى أن التعاون في ذلك بين المدرسة والمنزل من المسائل الجوهرية التي تقي التلميذ شر الشطط والانحراف عن جادة الحق بما يفرض عليه من رقابة شديدة ساهرة تقدم له المساعدة التي يتطلبها ، وتبذل لذويه الارشاد اللازم لصون صحته وأخلاقه ، وتشرف على تنظيم أوقات فراغه وسيره في سبيل التقدم المطرد والنجاح المضمون ، فيسير نحو الرجولة المنشودة . وهو فوق ذلك أمر يلزم ذويه بالعناية به والاهتمام الدائم بأمره وملاحظته والسهر على تقويمه . وبالرغم مما يلقيه هذا الواجب الجديد الثقيل على المدرس من عبء ومجهود متعب فانه يخفف عن المدرسة كثيراً من أعبائها وإجراءاتها الصورية المتعبة غير المثمرة التي تقوم بها مثلا في حالة تغيب التلميذ أو مرضه أو تأخره أو تأديبه الخ ..

وفوق هذا فاننا نعلم أن كثيراً من التلاميذ الذين يتملون بالمدارس الابتدائية والثانوية يضطرون بحكم بعد المدرسة عن منازلهم أن يقطنوا وحدهم فى مساكن كثيراً ما تكون قذرة وغير لائقة لعدم وجود من يعنى بأمرهم . وليس هناك من يشرف على أحوالهم المعيشية ، أو يرقب عن كثب أحوالهم الخلقية فيرشدهم إذا أخطأوا ، ويردهم عن غيهم إذا حادوا عن الصراط المستقيم ؛ وفى هذا إفساد لكثير من الشبان من الوجهتين الصحية والخلقية . وإن فى وجود هذا المدرس المشرف لضماناً كبيراً يحول دون ذلك لأن فى إمكانه أن يفحص أحوال تلاميذه خصوصاً منهم من لايعيشون تحت رقابة أهليهم . ويصح أن يجمع عدداً من المتقاربين فى أحوالهم المالية والمعيشية فيساعدهم على سكنى منزل واحد وعلى إيجاد خادم يقوم بخدمتهم فينظم بذلك حالتهم المعيشية ، ويشرف إشرافاً تاماً على تكوينهم الخلقى . فلو أن المدرسة عنيت بهذا الأمر حق العناية وحققت هذه الرقابة الدائمة على تلاميذها لخدمت الأخلاق والفضيلة والقومية المصرية خدمة كبرى ، ولأدى هذا العمل إلى رفع المستوى الخلقى والقومى إلى حد كبير ، ينهض بمصر نهضة قوية ، ويضعها فى مصاف البلاد العظيمة . والنجاح فى ذلك شرط أساسى يتلخص فى أن يعمل المدرسون هذا العمل الجليل عن طيب خاطر وأن يعتبروه خدمة وطنية عظيمة تقدرها البلاد قدرها . ولا بد لهؤلاء المشرفين من أن يخفف عنهم عبء العمل المضنى فى نواح أخرى

ثم إن على المدرسة فوق ذلك أن تعنى عناية تامة بالرياضة البدنية المصحوبة باجراء تدريبات عسكرية نظامية مستمرة . وعليها أن تدرب أبناءها جميعاً على المخاطرات واقتحام العوائق وتذليل الصعاب كالفروسية وغيرها كالسباحة والتجديف وركوب الخيل وأنواع المهارة الرياضية . وعليها أن تشعر الطالب بأن الألعاب الرياضية والتدريب العسكرى وأعمال الفروسية من ضروريات الحياة التى يجب على كل واحد أن يأخذ منها بقسط وليست زينة تبرزها المدرسة فى حفلاتها الرياضية السنوية فحسب لتباهى بها أترابها ولتظاهر بها على غيرها ، فاذا انتهت أيامها ماتت الرياضة بالمدرسة حتى تبعثها بعد عام أو عامين فكرة إقامة حفلة أخرى كما هو واقع اليوم، فكل تلميذ يجب أن يقدم على الألعاب الرياضية ويزاولها كل يوم بممارسته لغيرها من الأعمال المدرسية الأخرى . والواجب أن تخصص المدرسة نصف ساعة على الأقل يومياً للتدريب والتمرين الشخصى وأن تكون صفاً عسكرياً نظامياً عاماً يومياً، ويجب أن يخصص للتدريب العسكرى فوق ذلك جزء من العام فى شهر يناير كأسبوعين أو ثلاثة بصفة خاصة

وليس الغرض من ذلك تقوية الجسم واعتدال الصحة فحسب، بل هناك فوق ذلك غاية أخرى لا تقل أهمية عن هذه وهى تكوين الخلق القويم بتعويد الطالب مغالبة الصعاب والاحتمال والصبر وحب النظام واحترامه وإطاعته وحب التضامن والتعاون مع غيره من أترابه وإخوانه . وهذه كلها أمور تتطلبها الحياة الاجتماعية اليوم وتدعو إليها النهضة القومية . ويعقب ذلك مباشرة الاهتمام بمسائل الرحلات والاكثار منها فلا يصح أن ينقضى أسبوع من غير أن تقوم المدرسة برحلة رياضية فى الهواء أو فى الصحراء أو فى النهر أو البحر أو فى الحقول الخضراء اليانعة ، حيث يدرس التلاميذ بطريق غير مباشر طرق المواصلات وطبيعة الجهة صحراوية أو إقليمية أو بحرية وما يجرى فوق سطح البحر أو تحته مما ينتفع به الناس . هذا إلى الرحلات العلمية التى يجب أن يقوموا بها لدراسة طبيعة البيئة المحيطة بهم ، وما يجرى فيها من صناعات وتجارات وزراعات . فالواجب على المدرسة أن تجعل من نفسها قطعة من الحياة الاجتماعية العامة المحيطة بها ، وعلى المدرسة كذلك أن توجه عنايتها إلى خلق المشروعات الاقتصادية والخيرية بين جدرانها . وإن فى قيام التلاميذ بحركة مقصف داخلى بها حيث يقوم بعضهم بشراء مستلزماته وبيعها وإيجاد سجلات لذلك وتدوينها ، كما أن في قيامهم بصنع بعض الأدوات المنزلية البسيطة من الخيزران والجلد والقش الخ وبيعها فى أسواق خيرية يقيمونها — لعملا نافعاً يستحق الاهتمام والتشجيع .

وناهيك بما يمكن أن يقوموا به فوق ذلك من أعمال البر والاحسان إلى اليتامى والفقراء والمساكين مما يبعث فى نفوسهم الشفقة والرحمة . وهو أمر نادر الوجود بالمدرسة المصرية اليوم بينما نجده عملا ضرورياً فى كل مدرسة أجنبية . وعلى الأخص فى مدارس البنات إذ يغرسون فى قلب البنت العواطف الكريمة: عواطف الرحمة بالضعيف والشفقة على المسكين ، والبر بالعاجز

واليتيم . وإن من أوجب الواجبات إدخال هذا النظام سريعاً والعمل به لما يخلقه من جو كريم ملؤه العطف والحنان ولما يربيه فى الصغار من حب للبذل والجود فى سبيل الخير . و كثيراً ما سمعنا عن مدارس أجنبية بين ظهرانينا تقوم بعمل الكسى وتوزيعها هى والحلوى فى أيام الأعياد على الفقراء والمساكين . وإذا كانت المدرسة المصرية قد استحدثت فى سنيها الأخيرة نظام توزيع الجوائز على المتفوقين علمياً من أبنائها فجدير بها أن تخص البرزين من تلاميذها فى كرم الخلق والحدب على الضعيف والعطف على البائس المسكين . وأن تخص أقوم التلاميذ أخلاقاً وأكثرهم رجولة . جدير بها أن تخص هؤلاء أيضاً بالتشجيع وأن تمنحهم الجوائز والمنح تشجيعاً لذوى الأخلاق الفاضلة وتنبيهاً لغيرهم إلى ما تستحقه تلك الأخلاق من تكريم وتقدير . وليكن لنا فى قرين الملكة فكتوريا أسوة حسنة . فلقد كان رجلاً طيب القلب ، طاهر الفؤاد ، يقدر الأخلاق الكريمة حق قدرها فكان كلما قرر مكافأة سنوية لمعهد من المعاهد جعلها لأرقى الطلبة خلقاً ، ولمن يؤمل فيه أن يكون رجلاً كبير القلب طاهر الفؤاد عظيم الشمائل ، ولم يكن يجعلها لأذكى الطلبة أو أنبههم أو أكثرهم مدارسة للكتب ، أو أنبغهم فى العلوم

ثم إن على المدرسة بعد هذا وذاك أن تحبب أبناءها فى القراءة ومدارسة الكتب وتذوق ما فى بطونها . وعليها أن تتخير لهم الكتب المناسبة لعقولهم فتكثر للأطفال من القصص الصغيرة المليئة بحوادث التضحية والبطولة وأبطال الرجال وقادتهم ، وأن تضمنها ما كان لعظيم أخلاقهم من سر فى بطولاتهم . فلكم يحلو للطفل أن يحدثه أستاذه أو كتيبه عن بعض المواقف العظيمة فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، أو عمر بن الخطاب ، أو عمر بن عبد العزيز . وكم يحلو له أن يقرأ شيئاً عن مصطفى كامل أو سعد زغلول ، أو جان دارك ، أو غاندى ، أو غيرهم من الأبطال المليئة حياتهم بالنوادر والقصص اللطيفة التى تحفز الطفل إلى التقليد والنسج على ذلك المنوال فيشب معجباً بأعمال البطولة النادرة ويتمنى فى نفسه دائماً لو أتيح له أن يكون كواحد من هؤلاء الأبطال . ولا شك أن هذا يدفعه فى شبابه بل طول حياته إلى الأعمال العظيمة ، كما أنه يحول بينه وبين كل رذيلة أو عمل حقير . وفى المدرسة الثانوية يجب أن يكون فى صلب جدولها درسان على الأقل أسبوعياً للمكتبة لكل طالب يكلف فيهما تحت إشراف مدرسه بدراسة تاريخ حياة بطل من الأبطال ليكتب عنه ويحاضر فيه إخوانه ويسمر معهم متحدثاً عن سيرة بطله وأعماله ونوادره وأحواله . وفى بطون التاريخ كثير من الأبطال السياسيين وغير السياسيين من المستكشفين والمخترعين وجبابرة العقول والفلاسفة . ولا شك فى أن متابعة سير هؤلاء ومدارسة أحوالهم من أشهى وألذ ما يخاطب به عقل فتى تستهويه البطولة والعبقرية ، كما أنى لا أشك فى أمنية كل شاب أن يصير بطلا كأولئك الأبطال مما يحفزه فى أن يسير سيرتهم وينهج نهجهم . بهذا العمل لا نكون قد حققنا غرضاً واحداً ، بل عدة أغراض ، إذ نعود الطالب الاعتماد على نفسه فى البحث والدرس كما نعوده تذوق القراءة والمطالعة واعتيادها ، وحصر أوقات فراغه فيها ، ونغرس فيه فوق ذلك حب البطولة وتقديرها والسعى المتواصل إليها .

وياحبذا لو عملت المدرسة من ناحية أخرى على تحبيب تلاميذها فى الفنون الجميلة من موسيقى وتصوير وشعر ، وذلك بأن يدرس المشرف صاحب سجل التلميذ ميول التلميذ منذ بدء اتصاله بالمدرسة واتجاهه ، ثم يحاول أن يقوى فيه تلك الميول حتى يتجه به إلى أحد هذه الفنون فيسير فى تعلمها لأنها لا تربى فى الانسان الذوق السليم فحسب ، ولكنها تصرف الشاب عن الاتجاهات الفاسدة وتجعله يعرف كيف يقضى أوقات فراغه فى هوايته التى جذبته إليها من غير أن يتأثر بقرناء السوء أو يفكر فى غير اللهو البرئ لا اللهو الفاسد الذى يجر كثيراً من الشبان إلى الدمار والهلاك

إذا قامت المدرسة بكل ذلك، ولن تقوم به إلا إذا تخلصت من قيودها الحالية، فانها تكون قد حققت الغرض الأسمى من وجودها لأنها أحاطت أبناءها بسياج متين من الأخلاق الفاضلة وأعدتهم إعداداً حسناً للكفاح الدائم ، والنضال المستمر المنتج فى الحياة ، ذلكم الكفاح والنضال اللذين يكونان الرجال ذوى العقول المثقفة والضمائر الحية ، والأخلاق الطاهرة القويمة ، مما يكفل لهم النجاح فى أعمالهم والنهوض بأمتهم . وليس للأمة عدة تتكئ عليها فى هذا السبيل غير المعلمين الأكفاء الأمناء الذين يقدرون واجبهم تمام التقدير ويسهرون على أدائه خير أداء تعاونهم فى ذلك الأمهات المثقفات العارفات بطرق تنشئة الأطفال على الفضيلة وقيادتهم قيادة صحيحة إلى الحياة الفاضلة السامية . ولن يتوج هذا النجاح

إلا بسهر الحكومة سهراً فعالاً على حماية أبناء البلاد وعنايتها بناشئتها ومعونتها المنزل والمدرسة معاونة صادقة فى سبيل الطهر والفضيلة وواجبها المحتوم فى ذلك يقضى عليها بأن تسن تشريعاً خاصاً يحرم على الأطفال والشبان قبل سن محدودة ارتياد محال اللهو والمقاهى العامة ومحال القمار وغيرها مما يفسد الأخلاق ويقضى عليها إذا كانت لا تستطيع أن تقضى على المحال المفسدة وتحمى جمهور الشعب من مفاسدها. وواجبها المحتوم يقضى عليها أن تنشئ مراكز متعددة للألعاب الرياضية فى مختلف جهات المملكة يلتحق بها الشبان بعد انتهائهم من المدرسة فيقضون فيها أوقات فراغهم وتكون مكاناً لتسليتهم وسمرهم وتقوية أجسامهم بدلا من تلك المقاهى العامة التى انتشرت فى كل مكان وأقل ما يقال فيها أنها تعلم الكسل وتعود الاهمال وتباعد بين الرجل المتزوج وأولاده مما له أثر سيئ جداً فى حياتنا الاجتماعية والمنزلية

وإنى أسأل الله أن يوفق العاملين إلى استئصال تلك الآفات الاجتماعية حتى تصبح أمتنا خير أمة أخرجت للناس

عبد الحميد فهمى مطر

الفـــن

للفيلسوف الفرنسى هنرى برجسون

ما هو الغرض من الفن ؟ لو قدر للحقيقة أن تصطدم بحواسنا وضميرنا ، ولو كان فى مكنتنا أن نتصل اتصالاً مباشراً بالأشياء وبأنفسنا ، إذن لكنت أعتقد بأن الفن شيء غير ضرورى . أو بعبارة أوضح لكنا نصبح جميعاً فنانين ، لأن أوتار نفوسنا ستهتز حتما بالاتحاد مع الطبيعة ؛ ولكانت عيوننا تؤازرها ذواكرنا ، تقتطع من الفضاء آيات من روائع الفن لتثبيتها على صفحة الزمن ؛ ولكان نظرنا يلتقط فى طريقه أجزاء من التماثيل منحوتة فى رخام الجسم البشرى الحى لا تقل روعة عن التماثيل الأثرية القديمة ؛ ولكنا نسمع نفحات حياتنا الباطنة تتردد فى أعماق نفوسنا كأنها ألحان موسيقية ، تارة مرحة وأطواراً مشجية، وفى الغالب غريبة غير مألوفة . كل ذلك يوجد حولنا، كل ذلك يوجد فينا ، ومع ذلك فاننا لا نميز بجلاء شيئاً من ذلك كله. إنه يوجد بين الطبيعة وبيننا، أو بالأحرى يوجد بيننا وبين ضميرنا الذاتى وشاح مسدول ، وهذا الوشاح براه العامة من الرجال كثيفاً ولكنه فى نظر الفنان والشاعر خفيفاً حتى ليكاد يكون شفافاً عارياً . فأية حورية من الجن قد حاكت خيوطه الناعمة ؟ وهل نسجته خبثاً ودهاء أو مودة وتحبباً ؟ إن الحياة فرض واجب لا بد منه . والحياة تحتم علينا أن نتناول من الأشياء التى تكتنفنا ما نحن فى حاجة إليه فى علاقاتنا بها . إن الحياة موقوفة على العمل والمثابرة . والحياة هى ألا يقبل المرء من مؤثرات الأشياء المرئية إلا ما كان نافعاً ملائماً لطبيعته بحيث يتسنى له أن يجيب على اختلاجات هذه الأشياء برجعة متناسبة . وأما ماعداها من المؤثرات فيجب أن تضمحل وتتلاشى أو لا تصل إلينا إلا مضطربة مشوشة . . . إننى أنظر وأعتقد بأننى أرى، وأصغى وأعتقد بأننى أسمع ، وأدرس نفسى وأعتقد بأننى أقرأ فى أعماق فؤادى . بيد أن ما أراه وما أسمعه فى العالم الخارجى ليس إلا ما تستخلصه حواسى لإنارة طريق عملى . إن ما أعرفه من نفسى ليس إلا ما يتجلى للنظر ، أى ما يشترك فى العمل . وإذن فان حواسى وضميرى لا تكشف لى إلا عن ناحيــة موجزة من نواحى الحقيقة العملية . ففى الرؤيا التى تمثلها لى حواسى وضميرى من الأشياء ومن نفسى، تتلاشى الفروق التى لا ينتفع منها الرجل، وتتضاعف المشابهات التى يستفيد منها الرجل ، وتتجلى أمامى السبل التى سيطرقها عملى وهى السبل التى سلكتها الانسانية بأسرها وقطعتها من قبلى . إن الأشياء رتبت طبقاً للفوائد التى يمكننى أن أستخلصها منها ، وهذا الترتيب هو الذى أشاهده أكثر مما أشاهد لون الأشياء وشكلها . لا شك فى أن الرجل أرفع مكانة وقدراً من الحيوان من تلك الناحية ، وإنه لقليل الاحتمال أن تفرق عين الذئب بين الجدى والحمل ؛ فكلاهما فى نظر الذئب فريسة مستساغة ، وكلاهما سهل المنال ، وكلاهما صالح للالتهام . أما نحن فاننا نفرق بين العنزة والخروف ، ولكن هل ترانا نميز بين عنزة وعنزة وبين خروف وخروف ؟ إن فردية الأشياء والكائنات تغيب عنا كلما تبين لنا أن فى جلائها نفعاً مادياً، بل فى الأحوال التى نتبين فيها تلك الفردية (كما فى الظروف التى نتبين فيها الفرق بين رجل ورجل آخر) فان أعيننا لا تلتقط تلك الفردية بالذات ، أى بعض التآلف الغريب الذى يوجد بين

الأشكال كما يوجد بين الألوان ، ولكنها تلتقط لمحة أو لمحتين تسهيلاً للتحقق العملي من وجود الشبه بينهما

ومجمل القول أننا لا نري الأشياء في ذاتها وإنما نقتصر في أغلب الأحيان على قراءة ما هو مكتوب على البطاقات الملصقة بها . وهذا الميل الناشئ عن الحاجة يزداد كذلك تحت تأثير الكلام والنطق ، لأن الألفاظ (فيما عدا أسماء الأعلام) تعبر كلها عن الأنواع . إن الكلمة التي لا تعبر إلا عن ماهية الشيء المألوفة المادية ولا تدل إلا على مظهره المبتذل تنساب بين الشيء وبيننا فتحجبه عنا وتخفي شكله عن أعيننا إن لم يكن هذا الشكل قد توارى خلف الضروريات التي كانت السبب في خلق تلك الكلمة . ولا يقتصر الأمر على الأشياء الظاهرة وإنما يتعداه كذلك إلى حالاتنا النفسية التي تتواري عنا وتختفي وراء جوهرها الذاتي . عندما نشعر بالحب أو بالحقد ، وعند مانشعر بالسرور أو بالكآبة ، فهل شعورنا بالذات هو الذي يصل إلى ضميرنا بآلاف التموجات الشاردة وآلاف الأصداء العميقة التي تجعل منه شيئاً من خصائصنا الذاتية المطلقة ؟ إذن لكنا نصبح كلنا روائيين ، وكلنا شعراء ، وكلنا موسيقيين . ولكننا في أغلب الأحيان ، لا نرى من حالتنا النفسية إلا انبساطها الظاهر . إننا لا ندرك من مشاعرنا إلا مظاهرها الغريب عنا ، والذي حدد اللفظ معناه كلية لأنه يكاد يكون متشابهاً دائماً ، وظروفه تكاد تكون واحدة عند جميع الرجال . وهكذا فان الفردية تغيب عنا حتى في شخصنا . إننا نتحرك في وسط محيط من الاعتبارات والرموز كأننا بداخل دائرة محاطة بسياج تتبارى فيه قوتنا مع سواها من القوات ؛ فاذا ما سحرنا العمل وجذبنا إلى المجال الذي اختاره ، في سبيل مصلحتنا ، أخذنا نعيش في منطقة متوسطة بين الأشياء وبيننا ، خارجة عن الأشياء وخارجة عنا كذلك . بيد أن الطبيعة توجد ، على سبيل اللهو ، نفوساً أكثر انفصالاً عن الحياة . إنني لا أتكلم عن ذلك الانفصال المقصود الثابت بالبرهان والناتج عن التفكير والفلسفة ، وإنما أتكلم عن انفصال طبيعي يعد غريزياً في تقويم الحس والضمير، ويتجلى في الحال بطريقة بريئة للنظر والسمع والتفكير . فاذا كان هذا الانفصال تاماً ، وإذا كانت النفس تكف عن الاشتراك في العمل بواسطة حاسة من حواسها ، أصبحت تلك النفس نفس فنان لم ير العالم مثلها منذ الأزل . وإنها لتسمو في جميع الفنون معاً ، أو بمعنى أصح تصهر جميع الفنون في بوتقة لتخلق منها فناً واحداً ؛ وتنظر إلى الأشياء في سذاجتها وطهرها الأول . وكذلك تكون الحال في الأشكال والألوان وأصوات العالم المادي وأدق حركات الحياة الداخلية . بيد أننا لو فرضنا ذلك لكنا نحمل الطبيعة فوق طاقتها . ثم إذا نحن دققنا النظر في الذين اختارتهم الطبيعة من بيننا لتجعل منهم فنانين فاننا لا نلبث أن نتأكد من أنها لم تأت ذلك إلا عفواً عن غير عمد، وأنها لم ترفع الوشاح الذي يسترها إلا من جانب واحد ، ونسيت أن تقيد الشعور بالحاجة في اتجاه واحد . ولما كان كل اتجاه يقابله ما نسميه حاسة ، فان الفنان ينقطع عادة للفن بواسطة إحدى تلك الحواس وبتلك الحاسة فقط . من هنا نشأ تنوع الفنون . ومن هنا أيضاً نشأ تخصص الميول . فمن الناس من يتعلق بالألوان والأشكال ؛ ونظراً لأنه يحب الألوان لمجرد الألوان ، والأشكال لمجرد الأشكال، ويميز كلا منها لذاتها لا لذاته، فان الحياة الداخلية لتلك الأشياء هي التي تتجلى أمام النظارة خلال أشكالها وألوانها فيدخلها رويداً رويداً في إحساسنا المضطرب القلق من تلك المفاجأة . إنه ينزع عنا ، ولو لفترة قصيرة ، تلك القيود التي تربطنا بأوهام الشكل واللون التي ما فتئت تعترض أعيننا وتحول بينها وبين الحقيقة . وإنه ليستطيع بذلك تحقيق أكبر مطمع للفن وهو — بالنسبة لموضوعنا — إزاحة الستر الذي يخفي الطبيعة عنا . ومنهم من ينطوون على أنفسهم ويقفون جهودهم على البحث عن الشعور وعن حالة النفس على ما هي عليه من سذاجة وطهر ، خلال آلاف الأعمال المتولدة التي تعبر عن الشعور ، أو من الكلمة التافهة الاجتماعية التي تعبر عن حالة نفسية فردية وتستكملها . وإنهم — لكي يستحثونا على محاولة مثل هذا المجهود في أنفسنا — يجتهدون في إطلاعنا على شيء مما وقعت عليه أعينهم وبعبارات منتظمة موزونة يقولون لنا — أو بالأحرى — يوحون إلينا بأشياء لم توضع الألفاظ للتعبير عنها . وسواهم يبالغون في تعمقهم ويمعنون فيه ؛ فتراهم تحت ستار هذه الأفراح وتلك الأحزان التي يمكن التعبير عنها بالألفاظ ، يتمسكون بأشياء لا علاقة لها ألبتة بالكلام ، أو ببعض نغمات من نغمات الحياة والتنفس هي أعمق في صدور الرجال من أدق مشاعرهم لأنها تمثل الناموس الحي الذي يختلف باختلاف الأشخاص، ويعبر عن كبتها ووجدها ، وعن حسراتها وآمالها . فاذا استخلصوا تلك النغمات وضاعفوها فانهم يفرضونها علينا ويلفتوننا إليها ، ويعملون على

فن القـــراءة

للأديب نصرى عطا الله سوس

القراءة فن له قواعد وأصول . ومهما جد القارئ واجتهد فلن يحصل على ثمرة مجهوده إلا إذا اتبع تلك القواعد والأصول اتباعاً دقيقاً . وكلامنا هذا لا ينصب على كل ما يقرأ ، بل على الأدب وحده باعتباره أثمن وأرفع أنواع القراءة ؛ ولا على كل من يقرأ ، بل على من يعتبر الكتاب صديقاً ومرشداً ومعلماً ، ومن تضطرم فى قلبه جذوة الشوق إلى المعرفة وفهم الحياة والتمتع بها إلى أقصى حد ممكن واكتناه أسرارها

***

ينبع الأدب من قدس أقداس النفس ، يضمنه الأديب زبدة حياته ، وصفوة اختباراته ، وما يضطرم فى قلبه من آلام وآمال وما يصطرع فى ذهنه من آراء عن حقيقة الحياة والموت والقدر واللذة والألم والطبيعة والخالق وغيرها من مشكلات الحياة التى لن تحل أبداً . والأديب هو ذلك الشخص الدقيق الاحساس الرقيق الشعور الذى يتأثر بكل عوامل الحياة أتم التأثير وأقواه ، والذى منحته الطبيعة القدرة على التعبير عن آرائه وإحساساته التى دفعت به إلى الكتابة . والكتاب الجيد من أثمن النعم التى تتيحها الحياة لمن حبته الذوق والفهم ، لأنه خلاصة حياة عظيمة غنية واسعة الآفاق بعيدة النور؛ وهو ينبوع عذب، فيه رى وفيه حياة لأثمن وأرفع ناحية من نواحى الطبيعة الانسانية . فالكتاب الجيد يعمق ويهذب شعورنا ويوسع آفاق نفوسنا ويقوى قدرتنا على التفكير ويفتح أعيننا على أنواع من الجمال لم نكن نعرفها أو نحس بها . والانسان مهموم بحب الحياة ، ود لو عاش أعماراً مضاعفة وتذوق كل مانفيض به الحياة من لذات وآلام ، ولكن العمر شحيح . ومن جهة أخرى فالحياة بخيلة لا تتيح أو تسمح لكل إنسان أن يقلب أبصاره بين آفاقها ويخوض بحارها باحثاً عن دررها . لم تتح الطبيعة هذا إلا لأشخاص معدودين جعلت كل واحد منهم أشبه بقيثارة تستنطقها كل أنغامها ، وهم الأدباء والشعراء . وبقراءة ما خلف هؤلاء نشبع حب الحياة فى نفوسنا . فالكتب تضيف أعماراً إلى أعمارنا ، وهى سياحة فى المكان والزمان . فالقارئ الجالس على كرسيه فى غرفة ضيقة يطوف بذهنه فى فجاج الأرض كلها ، بل يرقى إلى السماء ويتملى أنوارها ، ويرتد إلى الماضى السحيق يحدق فى كهوفه وظلماته ، ويتقدم إلى المستقبل البعيد يتملى بهاءه وجلاله . فاذا كان الأدب على هذه القيمة والأهمية فكيف نقرأه ؟

١ — أول شروط القراءة هو حسن اختيار الكتاب، فالعمر لا يتسع لقراءة كل ما كتب فى لغة واحدة — ناهيك بأدب أمتين أو ثلاث — ولا كل ما كتب يستحق القراءة . والملاحظ أن الأدباء — وهم أحسن من يجيدون القراءة — لا يعيرون أهمية كبيرة لما يكتب فى عصرهم ، بل يوجهون كل اهتمامهم إلى الكتب التى أثبت الزمن قوتها وحيويتها وقدرتها على البقاء . والزمن وحده هو الذى يحكم للكتاب أو عليه ؛ والزمن وحده هو الذى حفظ لنا هوميروس وأفلاطون وشكسبير وأضرابهم ، لأن أدبهم يشتمل على عناصر الحياة الجوهرية التى لا حياة بدونها . وكم من أديب عاش ومات فى غمرة النسيان ! وكم من

الاندماج فيها عفواً وبغير ما دافع منا كما يندمج المتفرج فى حلبة الرقص دون أن يشعر ، ويحملوننا بذلك على أن نهز فى خبيئة نفسنا أوتاراً متحفزة ترقب من يلمسها لتصدح وترتفع نغماتها

فسواء أكان الفن رسماً أو تصويراً أو شعراً أو موسيقى فلا غرض له إلا أن يبعد الرموز النافعة والاصطلاحات المشروعة المسلم بها فى المجتمع وكل مايستر الحقيقة عنا ليقف بنا إزاء الحقيقة بالذات وجهاً لوجه . إن الجدل بين المذهب الوجودى والمذهب المثالى فى الفن نشأ من نزاع على تلك النقطة . فلا شك فى أن الفن ليس إلا مظهراً جلياً مباشراً للحقيقة ، بيد أن هذا السمو فى الادراك يستلزم القطيعة مع العرف المصطلح ، ونزاهة غريزية محصورة فى الحس أو الضمير ، كما يستلزم كذلك شيئاً من اللامادية فى الحياة وهى ما اصطلحوا على تسميته دائماً بالمذهب المثالى ، بحيث يمكن القول ، بغير ما تورية أو مجاز ، بأن المذهب الوجودى هو فى العمل بالذات، بينما المذهب المثالى هو فى النفس، وأنه لا يمكن العودة إلى تلمس الحقيقة إلا بقوة الخيالية دون سواها

هنرى برجسون
ترجمة سليم سعدة

أديب تألق ثم خبا ! وكم من أديب يعيش على فضول الكتاب والقراء . علينا أن نهمل كل هؤلاء وأمثالهم وأن ننتخب ما نقرأ من بين أحسن ما كتب . هذا إذا أردنا أن نحيا حياة ذات قيمة .

٢ — العامل الثانى هو إجادة القراءة . فهناك قراء يوجهون كل همهم إلى الاحاطة Comprehensoin وينسون الاجادة Apprehensoin ، والمنصران قلما يجتمعان إلا فى القليل النادر . وقراءة كتاب واحد قراءة تفهم وإمعان أجدى من قراءة عشرة كتب قراءة سطحية . إن الكتاب — كما قلنا — هو زبدة حياة المولف ، والقارئ النابه لا يتجه إلى مجرد القراءة العابرة ، بل إلى تكوين صلات وعلاقات مع المؤلف . فلنجعل نصب أعيننا صداقة المؤلف يجب أن نفهم الكاتب كما نفهم صديقاً : نحيط بظروف حياته : آماله وآلامه ، أحلامه وهمومه ، فكهاً أو وقوراً ، متفائلا أو متشائماً ، وهكذا ... والخلاصة أنه يجب أن نفتح قلوبنا ليصب الكاتب فيها دمه ونترك ذلك الدم يجرى حاراً فى عروقنا

٣ — العامل الثالث هو نظام القراءة ، فكثير من القراء يتبعون فى مطالعاتهم سبيلاً ملتوية : كتاب من الشرق وآخر من الغرب ؛ كتاب حديث وآخر قديم ؛ وهكذا دون ضابط ولا نظام . وهذا المسلك قلما يثمر بل الواجب أن نختار كاتباً معيناً ونقرأ كل ما كتب ، لأن كتب الكاتب ما هى إلا جوانب متعددة لشخصية واحدة ، ولا حق لنا أن نتحدث عن كاتب أو نصدر عنه حكما إلا إذا درسنا أدبه دراسة وافية كاملة . ويجب أن نتبع فى هذه الدراسة نظاماً خاصا ، فيجب أن ندرس كتبه حسب ترتيب كتابتها ، فلا نتناول إنتاجه فى أوان شيخوخته ، ثم فى أوان شبابه الأول ، ثم فى أوان نضجه ، بل يجب أن نبدأه بقراءة باكورة إنتاجه ، ثم ما تبعه ، ثم ثالث كتاب أخرجه ، وهكذا ... وبهذا فقط يتاح لنا أن نعرف تأثير الحياة والتجارب فى تطور شخصية الكاتب : كيف شق لنفسه طريقاً إلى فلسفته ؟ وكيف خاص إلى آرائه عن مشكلات الكون ؟ هل ابتلته الحياة بالفتور واليأس ؟ هل شك فى عدالة الكون وعاف الحياة ؟ أم هل انجلت عن ناظريه عمايات الصبا وغواياته ودعا إلى الحياة الفاضلة مؤمناً بالله مبرراً سلوكه مع الانسان ؟ هل بقى ساخراً لا يعرف لنفسه فلسفة ولا يخلص إلى عقيدة حتى ذهب فى طريق من ذهب ؟ وما أثر ظروف حياته من فقر وغنى وصحة ومرض فى نفسه ؟ هل تغلب عليها واحتفظ بنضارة قلبه وسلامة روحه ؟ أم تركها تتسرب إلى أدبه وتكسبه لونها الخاص ؟ هل تأثر بروح عصره وجارى سلفه ومعاصريه أم أثر هو فى روح العصر ووجه الأدب فى طرق جديدة وتناول بالنقد والتفنيد ما استهجنه ودعا إلى مثل جديدة ؟ وما أسباب كل هذه المسائل ودواعيها ... ؟ هذه كلها موضوعات يهتم بها القارئ الحصيف ، ولكن لا يمكنه أن يكون رأياً عادلا عنها إلا إذا قرأ بنظام . بهذا فقط يتأتى لنا دراسة الحيـاة نفسها دراسة شاملة تفهمنا روحها وطبيعتها وفلسفتها . إن التفكير المجرد قلما يخلص بالمرء إلى نتائج سليمة ، وعلماء النفس فى الوقت الحاضر يدرسون مخلفات الأدباء بهذه الطريقة التى أسلفنا ويكونون نظرياتهم على هدى تلك الكتب ، ذلك لأنها تنبع من صميم الحياة الواقعية ، والحياة أعمق وأشمل من أن يحكم المرء عليها وليس وراءه إلا تجاربه ؛ والفلسفة قلما تسعف الانسان بعقيدة تنير حياته وتجملها ، بل هي غالباً تبتليه بضروب الشك فى قيمة الحياة والحيرة فى معناها . ولكن الأدب وحده ينبع من أعماق الحياة ويصور ما نعانيه ونحسه من آلام وآمال ، وهو الصورة الحقيقة الصادقة للحياة كما هى . بعكس الفلسفة فهى سياحات « فكرية » فى عالم المجهول ، وما من مذهب فلسفى إلا ومذهب آخر يناقضه ، وكل له دعائمه وبراهينه ؛ فلا عجب إذاً أن يترك علماء النفس كتب الفلسفة إلى الأدب يهتدون بهديه فى تكوين نظرياتهم

٤ — العامل الرابع هو المقارنة : كيف يمكننا بعد ذلك أن نقدر الأديب تقديراً صادقاً ونصدر حكمنا له أو عليه ؟ لا يمكننا أن نفعل ذلك إلا إذا درسنا معاصريه وتبينا أين يتفق معهم وأين يختلف عنهم ، لأن ظروف الحياة التى أثرت فيهم واحدة لأنهم أبناء عصر واحد ، ولكنها أثرت فيهم تأثيراً مختلفاً ، وسبب هذا الاختلاف هو تباين طبائعهم ومشاربهم ، وبالمقارنة والموازنة بين المعاصرين يتسنى لنا أن نميز الأديب الكبير من غيره . فدراسة معاصرى شكسبير مثل بن جونسون ومارلو وبومنت وفلتشر ،

توضح لنا عظمته وجلاله . وإذا درسنا وروبيدس وسوفوكاس ألقى كل منهما نوراً ساطعاً على شخصية الآخر . وكذلك إذا درسنا شارلس دكنز مع وليم ثاكرى ، وتنسون مع براوننج ، والأخطل وجرير والفرزدق ، وبشار وأبو نواس ، وأبو تمام والبحتري ، وهكذا ...

٥ – بقى أن نشير إلى عنصر هام من أهم العناصر التى تمكن القارئ من الاستفادة التامة مما يقرأ وهو الصبر والتجاوب مع الكاتب . وكم من قارئ يترك الكتاب بعد قراءة صفحة أو اثنتين لأن الكاتب يختلف عنه ميولا ومشرباً ، وليس أخطر على القارئ من اقتصاره على قراءة ما يتفق ونظرته إلى الحياة .

ومن ملاحظات الكاتب الألمانى أميل لدفيج أن القراء فى العصر الحاضر يطالعون الكثير من القصص لا لغاية إلا تبرير آثامهم وزلاتهم بحجة أن أبطال القصة سلكوا نفس المسلك ، وهذا جبن وخور . والواقع أن الكتاب الذي يهاجم أفكارنا وعقائدنا يفيدنا أكثر من غيره . والمعركة بين الكتاب والقارئ ليست بأقل متعة أو جدوى من معركة شريفة بين شخصين إذ يجتهد كل فى تبرير رأيه بإظهار براهينه وأدلته ويحاول إفحام خصمه بتفنيد مستنداته، وفى ذلك ما فيه من إذكاء الفكر وشحذ الذهن ومعاودة النظر فى الآراء والأفكار والمعتقدات وتبديلها أو تعديلها على هدى نتيجة المعركة . فلم لا نسلك المسلك نفسه مع الكتب؟ ولعل هذا يجدى مع الكتب أكثر مما يجدى مع الأشخاص ، لأن النفس الانسانية مزيج من الخير والشر، وقد يعمد الانسان إلى هزيمة خصمه بأى ثمن — حتى التضحية بالحق — مدفوعاً بالأثرة وحب النصر والفخر ، ولكنه لا يسلك هذا السبيل مع الكتب خصوصاً إذا كان أصحابها قد ماتوا من زمن

يقول الفيلسوف الانكليزى « باكون » :

« لا تقرأ كي تناقض أو تفند ، ولا كى تؤمن وتسلم جزافاً، ولا كى تجد موضوعاً للحديث والمناقشة ، بل كى تتبصر وتتأمل »
والتأمل ضرب من الصلاة ... والصلاة جنة الروح !

نصرى عطا الله سوس

الأحـــلام

هل فى حقائق الحياة الثابتة ما يفوق الحقيقة التى تؤكد لنا أن الأحلام تصح ؟!

إن هذا العالم المدهش المجيب الذى يتجدد كل يوم أمام أنظارنا الحائرة ؛ بل إن هذا العالم المفعم بالروائع والآيات الفائقة حد التصديق فى الأمس القريب ، يجيش بربوات الأحلام التى لا تلبث أن تتحقق اليوم ، وبتوج محققها هامة التفكير الطويل، والانتظار المتقب المستطلع ، والكفاح الوجيع الصبور ، والفشل الذى يعقب الفشل ، ثم الفوز المبين أخيراً !

وما من معجزة تحيط بنا — فان الطائرات وآلات الصور المتحركة وأجهزة الجهر (الميكروفون) والأسلاك البرقية واللاسلكية والقطارات والسفن — قد كانت فى أحد الأيام حلماً تحركت به بعض الخواطر ، وهمس فى طائفة من الضمائر الانسانية

ولقد كان العالم يهزأ بالحالم ويسخر ويشك فى أمره أعواماً مديدة ؛ إلا أن الحالم لا بد أن يبوء بالفوز

وقل من جد فى أمر يطالبه واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

وقد يرى الحالم أن الناس سينظرون من خلال الحجر ، أو يتكلمون عبر البحر ، أو يحلقون فوق السحاب ، أو يبصرون شيئاً على بعد عشرة آلاف ميل ، فيتم ذلك جميعه . وقد يحلم أنه يتناول قطعة من الرخام ويصوغها فى قالب يأسر الألباب على مر الأحقاب ، أو أنه يرسم صورة سيدة ذات ابتسامة رصينة مفكرة ويجعل الناس يتأملون هذا الابتسام بخشوع لا يليه تقادم العهد وكر الأزمان

وقد يحلم أنه يكتب شيئاً يستنزف الدموع من مآقى الذين لم يولدوا بعد ؛ أو أنه يؤلف قطعة من الموسيقى تدوى فى أروقة الدهور ... فيتم له ذلك كله ...

إن المجاهد فى سبيل فكرة عظيمة أو مقصد نبيل ؛ والمخترع الذى يكد فى معمله والعالم الأديب الذى يستخرج ودائع الغيوب ويحل دقائق الأشكال ويزيل معترض الأشكال ؛ والشعب الذى يكافح لنيل الحرية ؛ إن كلا من هؤلاء لا يحلم عبثاً ، كما أن الجنس البشرى الذى يحن إلى الأصلح والأبقى ، ويتوق فى قرارة النفس الانساني إلى حياة وادعة تفيض بالأمن والسعادة لا يحلم سدى، لأن الأحلام تصح وتتحقق

ترجمة : (الزهرة)

ولى الدين يكن

للأستاذ كامل يوسف

اطلعت على مقال الأستاذ كرم ملحم كرم عن المرحوم ولى الدين بك يكن. وبما أننى اتصلت بأسرة الشاعر اتصالا كليا أثناء إقامتى بحلوان فاسمحوا لى أن أصحح ماقيل من أنه مات مسلولا . والحقيقة أنه كما ذكر الكاتب كان يشكو الربو ، وكان يلجأ إلى تخفيف وطأته عليه بحقن المورفين ، وقد أدمن على تعاطيه حتى ضعفت صحته فمات من الانفزيما، وورث ابنه الشاعر الكبير فولاد يكن هذا الداء وأدمن عليه حتى قضى على صيته الأدبى الذى كان يبشر بمستقبل باهر

كان المرحوم ولى الدين بك يكن ثائراً على القديم فى كل شئ، وكتاباته التى كان ينشرها فى المقطم تحت اسم « زهير » وجمت فيا بعد فى مجلدين شاهد على ذلك . وتجديده فى الشعر والنثر لا ينكره أحد . وله مؤلفات عدة كلها تدور حول كفاحه فى سبيل الحرية ومناهضة الظلم . وكان أبى النفس فكان يرفض أن يبيع ضميره ؛ وطالما حاول أصحاب النفوذ إغراءه بالمناصب العالية والخير الوفير نظير إيقاف حملاته عليهم ، ولكنه أبى أن يبيع ضميره ورضى بحياة البؤس ، ولا يصدق إنسان أن أثاث منزل ولى الدين بك يكن كان كأحقر منزل رجل عادى وهو سليل أصهار العظماء ، وذلك كله فى سبيل تحقيق غايته من نصرة الحرية والمظلوم ومحاربة القوة الغاشمة

ولولي الدين يكن مؤلفات كثيرة طبعت، ونشرت وله مؤلفات لم تنشر ، وقد جمعت السيدة زوجته (وهى أرمنية) بعض أشعاره ونشرتها على أمل أن تحصل منها على شئ يقوم بحاجة الأسرة الفقيرة، ومن مؤلفاته رواية تمثيلية تدور وقائعها فى تركيا على تحرر تركيا الحديثة وإعلان الدستور وعن الدسائس والمظالم فى عهد السلاطين ، وهى الأشياء التى خبرها ولى الدين بك بنفسه وأجاد الكتابة فيها. وكنت اتفقت مع أسرة الشاعر على تنقيحها لتمثيلها على المسارح المصرية لولا ما حاق بالأسرة من نكبات، منها خيبة كريمته الوحيدة (وكانت تسمى فكتوريا أحيانا وزينب فى أحيان أخرى) فى زواجها على الدوام ، ومنها النكبة التى حلت بابنه الشاعر فولاد إذ انحدر إلى هوة إدمان المخدرات

وكان مما لاشك فيه أن ولى الدين بك يكن سيخلد ذكره فى شخص ابنه فولاد يكن ، وهو من الشعراء المصريين الأفذاذ الذين كتبوا بالفرنسية ، وقد أعجبت بنبوغه الكونتس ڤالنتين دى سان بوا حفيدة لامارتين (وهى من كبيرات الكاتبات والشاعرات بفرنسا) فاحتضنته ، وقدمته لدور النشر فى باريس فنشروا له ديوانه البديع « أغاريد شاب شرقي » وهو ديوان شعر يفيض بالعاطفة والجلال والجمال، تقرأه فتجد فيه روح أهازيج شكسبير، وقد نقده كبار الكتاب فى فرنسا وأعجبوا به ، وقال عنه الكاتب الفرنسى المشهور « بول ريبو » إنه يفيض بالروح البيرونية نسبة إلى بيرون ، ونعتَ الشاعر بأنه همزة الوصل بين مصر وفرنسا . وكان فولاد قوة هائلة فى العمل الأدبى ، فقد كتب تاريخ « سعد زغلول أب الشعب » فى أسبوع ونشر فى فرنسا . وله ديوان كبير اسمه « أغنية الأرض » وهو ملحمة كبيرة مكونة من عشرين ألف بيت عن الحياة وتطوراتها وتاريخ البشرية حتى اليوم . وقد أرسل هذا الديوان لفرنسا لنشره ، ولكن منع ظهوره تخلى الكونتس دى سان بوا عنه لما ساء صيته الأدبى من إدمانه على المخدرات وتركه الأدب والاتجاه إلى التسول مما أحزن قلوبَ جميع من لمسوا فى هذا الشاب النبوغ المبكر

ومن الظريف أن يقارن الانسان بين الشاعر الوالد والشاعر الابن ، فقد نظم ولى الدين بك قصيدة عن كليوبترا ، كما نظم ابنه فولاد قصيدة عنها فى ديوانه « أغاريد شاب شرق » ولا أنكر أننى أعجبتُ بخيال صديقى فولاد ومعانيه وحسن أسلوبه، ويمكننى أن أقول إن الولد بز أباه فى هذا المضمار

وقد اشتغل فولاد فى الصحف الفرنسية مدة طويلة ، ولكنه أعلن عليها الحرب وناهض أصحابها فى اعتقاداتهم الفكرية ، وكانت نتيجة ذلك أن منع من التحرير فى الصحف الفرنسية ، وأنشأ له جريدة أسبوعية لم تعمر طويلا . وكان له قدرة هائلة فى الأدب. وكان يترجم شعر العقاد وشوقى شعراً بكل سهولة؛ وكان إذا نظم لايترك مكانه قبل أن يكتب نحو مائتى بيت ، ولكن الداء قضى على كل هذه المواهب . عزى الله الأدب عنه وعوضنا منه خيرا

كامل يوسف

عضو بالمعهد الفلكي البريطانى

من روائع أدب الغرب

الانســـان

L'HOMME

لشاعر الحب والجمال لامرتين

للأديب حسين تفكجي

— ١ —

« أرسل إليك يا صاحبة السمو ، قبل أن أضع رأسي على الوسادة ، الكتاب الصغير الذي تفضلت باعارتي إياه البارحة ، ويكفيك أن تعرفي أنني لم أنم وبقيت ساهراً ، حتى لاحت تباشير الصباح ، وخرجت طيور الفجر من أعشاشها ، لأتمم قراءته ولأطلع على ما احتواه بين جلدتيه ، من روائع المعاني ، وجميل القول . سوف لا أتنبأ لك بشدة تأثيره في أذواق الجمهور من القراء إذ يكفي أن أجمل من نفسي ذلك الشعب الذي سيطلع على هذا الكتاب لأقول : إن هناك رجلا ، وسيشغل الكثير من صفحاتنا »

« من كتاب تاليران إلى الأميرة تاللمون »

— ٢ —

« وعقب مدة قليلة أثار هذا الكتاب فضول الطبقات الراقية في الروسية . فان النبيلات تجادلن وتسابقن لاقتناء نسخة منه ؛ فالتي خانها الحظ ولم تحظ باقتناء هذه النسخة ، كانت تكتب في دفترها مقاطع من أجمل الأشعار التي قالها لامرتين ، وتجبر نفسها على حفظ أشياء منها . فالسعيد من اقتنى كتاباً من (التأملات) إذ كان يحرص عليه كمن يحرص على مفتاح النجاح وطريق السعادة »

« من مذكرات أتون شي »

— ٣ —

يا لجريمة لامرتين الفظيعة ! فهو سبب نصف جنوننا ، فنساؤنا يردن أن يكن أمثال إلفير

« فكم أصابنا البرد وألزمنا الفراش أياماً طويلة ، لأننا أردنا أن نتمثل شعره ، فسرنا على شاطىء البحيرة الزرقاء ، نتأمل جمال القمر في السماء ، وبدائع أمواج الماء ، وروائع الطبيعة على الغبراء ، في الليالي الباردة التي كانت تحمل إلينا معها نسيم الليالي الثائرة التي قطعها لامرتين ، بينما عوامل الأمراض تنازعنا قوانا وتتسلط على أجسامنا »

« إن لامرتين واللورد بيرون ، أدارا رؤوس نساء الجيل الحاضر ، ولفتا أنظارهن إلى عظمة الوجود والحب »

« الكونتس داش »

— ٤ —

أيها الشاعر الباكي ، أيها الناظم الشاكي ، أيها المؤلف الغائب عن عيني ، إنك رمز الجبن والخوف

« فما أشبهك بورقة خريف جففت يد القدر خضرتها ، وجردتها من رائع نضرتها ، تناقلها نسمات النهار الباردة بين وديان غير معروف مداها ، وجبال غير مفهوم منتهاها ، تحط دون أن تعرف أين ، وترقب النسيم ليرفعها من مكانها إلى حيث لا تعرف إلى أين !

ما ذا يحوي شعرك من جمال ؟

ما الذي يضم بين أبياته من نضرة ؟

لا شيء !

ما معنى الشاعر المحتضر ؟

قصيدة يأس من الحياة وخوف من النضال من أجل الوجود . أيها الحيوان الباغم ، لست أول نائم على أريكة خضراء ، فقد سبقك كثيرون ، ولكنك كنت موفقاً في التعبير عما تكنه جوارحك

« موريس ألبر »

* * *

آراء متناقضة ، سطرتها أقلام كتاب متباينين ، لتقدير مزايا ومساوىء شاعر ، فمنهم من تأمل في قطعة الخلود ، وعرف في شعره معنى الحياة ، وفهم بين أبياته مفهوم الحقيقة ؛ ومنهم من حمل على هذا الشاعر الباكي الذي لا يرى فجر الحياة إلا من وراء منظار أسود ، ولا يتأمل وجه البسيطة إلا بالنشيج والبكاء . فكل ما يقع تحت عينيه يرمز إلى ذلك الحب الذي قضى وحل اليأس مكانه في سويداء الفؤاد

نحن لم نأت بهذه الآراء لنوازن بينها ، ولنميز بين حسنها وقبيحها ، بل أتينا بها لأنها تعبر عن موجة الأفكار التي اجتاحت عصره ، وعن الأثر الذي أحدثه كتابه الصغير « التأملات » الذي أصدره الشاعر ، فنترجم قطعة من شعره سماها « الانسان » وأهداها إلى اللورد بيرون الشاعر الانكليزي الذي قتل في حرب استقلال اليونان ، والذي كان لامرتين معجباً بشعره ، مأخوذاً بروعة ألفاظه إذ قال : اللورد بيرون في نظري هو أكبر شاعر

عرف الطبيعة فى زمننا الحاضر . إن من شعره ما يسكرنى ، وإن من بيانه ما يسحرنى ، إذ وجدت فى أقواله خيوط أمل تربط أصواتاً تجيش فى صدري ، وتفور فى سويدائى »

ولكن بالرغم من أن تفاؤل لامرتين يقابله شك بيرون ، فان الشاعر لم يجد مانعاً من أن يرسل هديته إلى نقيضه فى أقواله لأنه أراد أن يجره إلى أفكار أقل شيطانية من أفكاره الأولى فهل أصاب أو أخطأ ؟ لا نعرف ! بل نحكم عليه بعد قراءة الشعر الذي أرسله إلى الشاعر الشاك

الانسان

— ١ —

أنت الذي يجهل العالم اسمك الحقيقى ، أيها الروح الخفى الشاك . مهما كنت يا بيرون شيطاناً أو ملاكاً ، عبقرية ميمونة أو مشؤومة ، فان أغانيك تصوب إلى نفسي بريق الأمل ، وتحمل إلى روحى دعة الحمل

أعشق فى أشعارك الخالدة أنغامها الغريبة كما أعشق ضوضاء العاصفة المحتدمة ، الذى يمتزج بهدير الصاعقة ويعلو مع أصوات الشلالات المنحدرة

إلى الليل تأوى ، وإلى الرعب تلجأ

ما أشبهك بجبار الفضاء ، وملك الصحاري ! بالنسر الذى يكره السهول ولا يهوى سوى الصخور الوعرة ، التى ألبستها يد الشتاء ثوبها الناصع ، والتى تفتتت تحت ضربات الصواعق المتوالية . يجد لذته على شواطئ غطيت بحطام البواخر الغارقة ، وملئت بأشلاء السفن المحطمة . ويذهب عنه حزنه مرأى الحقول المخضبة بدماء المعركة . بينما البلبل الغريد ، ينشد أسقامه ، ويغنى آلامه ، وهو يبنى عشه على شوطئ السواقى الجاريات ، بين الحقول الزاهرات

يجد النسر لذته فوق قمم الأنوس ، التى تخترقها الذرى الحادة كأسنة الرماح ، فيشق فضاءها بجناحيه ، تاركا ظله يرتسم فوق الهوات الفاغرة فاها . وهنـاك وحيداً يصيخ لصيحات الفريسة المتمالية التى تحيط به أعضاؤها المختلجة ، فوق صخور تقطر زواياها دماً . وعندما تحتدم رياح العاصفة ينام مسروراً فوق بقاياها

— ٢ —

ما أشبهك بنسر السماء هذا يا بيرون !

فان أصوات اليأس أجمل أغانيك

الألم هدفك ، والرجل ضحيتك

سبرت بعينك كالشيطان غور الهوة طيأتها نفسك ، غمرت بعيداً عن الآلـه والأضواء ، بعـد أن ودعت أملاً راحلاً . فأنت مثله اليوم تسيطر على الأرجاء المظلمة ، والأصقاع المعتمة . فاجعل عبقريتك التى لاتقهر تملو بلحن جهنمى ، وتنشد أنشودة الظفر تحت ظلال عرش إلـه الشر

— ٣ —

ولـكن أية فائدة تجنى من نضال النهاية المحتمة ؟

بأى شيء يدفع العقل المنيد القدر ؟

ليس له كالمين ، إلا أفق محدود !

فلا تسدد جيل أنظارك إلى أبعد من هذا المدى ، ولا تقدح زناد فكرك دون نفع وسدى ، فتجد كل شيء منا يفر . الـكل ينطفئ كالشمع . الـكل يمحى من الوجود . ولـكن كيف ؟ ولم ؟ من يعرف ؟ فان يديه القادرتين قبضتا على الوجود والبشرية ، ونشرتا فى حقولنا الغبار ، وجعلتا الأهواء والظلام والأنوار . فهو يعرف ما يعمل . وهذا يكفى فالـكون تحت إمرته ويده ، وليس لنا سوى اليوم الذى نعيش فيه

إن جريمتنا هى أننا بشر ، فينا فضول المعرفة .

ولـكن الجهل والخضوع هما قانونا هذا الوجود .

بيرون ! إن هذه الـكلمات قاسية عليك .

ولـكن لم التراجع أمام الحقيقة ؟

إن شرفك أمام الاله هو أنك صوغ يديه ، فاشعر واخضع فى سجنك المقدس .

أنت ذرة محمولة ، تموج فى هـذا النظام العالى ، فتمم إرادته بطاعتك ، لأنك مخلوق بارادته ، وحياتك تمجد هذا الوجود الذى تموت فيه ، حيث مصيرك .

أواه بعيداً عن الاتهام . قبّـل ذلك الرسف الذى تحاول تحطيمه، واهبط من صفوف الآلهة التى تذهب جرأتك ، فالـكل جيد ، والـكل جميـل ، والـكل عظيم فى مكانه . فى ناظر خالق الوجود تحوى الحشرة عالما بنفسها .

— ٤ —

ولـكنك تقول إن هذا القانون يثير عداءك ، ولا يبدو فى نظرك عن هوى غريب ، وشرك نصب ليكبو العقل فى كل خطوة يخطوها .

لتعترف بذلك يابيرون دون أن تحاكمه .

ما أشبهني بك . فعقلي انغمر في الظلمات ، ولكن ليس على أن أشرح لك حقيقة العالم ، فالذي أبدع الوجود يلقنك الدرس الواقي .

كنت كلما سبرت عمق الهوة ضعت في فيافيها .

وفي هذه الدنيا لم أر سوى الألم يرتبط بالألم، والنهار يتبع سير النهار ، والشقاء يلازم ظل الشقاء ، والانسان السخيف بطبيعته ، اللامتناهي بنذوره ، إله زل من عليائه، يفكر في سمائه .

حرم مجده القديم ، فاحتفظ من مقدراته الضائعة بالذكرى

وغور ميوله السحيق يتنبأ عن عظمته المقبلة .

إذا علا أو سفل ، فالانسان سر عميق .

مقيد في سجن الحواس ، على هذه الأرض . أسير يشعر بان له قلبا ولد يتنشق نسيم الحرية .

فياله تعساً يتملل بالأماني .

ويريد سبر غور العالم ، بناظريه الضعيفين

ويود أن يعشق دائما لولا أن ما يحب سريع الفناء .

كل فان يشبه طريد جنة عدن ، عندما طرده الإله من الجنة السماوية ، فلمح بنظره الحدود المشؤومة التي تحيط به ، فجلس باكيا على الأبواب المغلقة دونه . سمع من بعيد ، من المسكن الآلهي زفرة الحب الخالدة ، ونغمات السعادة ، وأغاني الملائكة المقدسة ، تصل إلى أحضان الآله لتمجد فضائله ، فهبط من السماء ، ثم أطلق نظراته من عنانها ، فوقعت على مصيره المؤلم ...

— ٥ —

يا لبؤس من يسمع أناشيد عالم يهواه وهو ناء في منفى الحياة السحيق !

يرى الطبيعة تناضل خمر الخلود التي ارتشفها

يتأرجح كالحلم ، عندما يرى الحقيقة ضيقة في مكانها ، والمستحيل واسعا في فضائه ، والروح مثقلا بالميول لا يجد مأوى يغرف منه حباً وعلوماً أبداً . والرجل في محيط الجبال والنور ، ظمآن ، لا يروى غله ، فيسكر بالأحلام ، كي تعذب رقدته ، ويعود إلى نفسه إذا ما فاجأته يقظته

— ٦ —

وا أسفاه ! ما كانت آخرتك ؟ وما هي مقدراتي ؟

فقد شربت مثلك ، كأس الشك مترعة

وعيناي كعينيك ، فتحتا الأجفان دون أن تنظرا !

فبيناً فتشت عن كلمة الوجود . طلبت أسبابه من الطبيعة . سألت آخرته من كل مخلوق . واستفهمت من الفلم حتى ألم . فرجع طرفي كليلا ، ونظرى حسيراً ، قبل رؤية قرار هوة العالم

كشفت غطاء الأزمان التي هرعت ، وأرجعت الأجيال التي مرت ، ماراً بالبحار ، مردداً أقوال الفلاسفة ، ولكن العالم بقي أمامي ، كما هو أمام علماء اللاهوت « كتاباً مغلقاً »

ولأتبين كنه الطبيعة كنت أفر بروحي إلى أحضانها

وخيل إلى أني أجد معنى لهذه اللغة الغامضة ، فدرست القوانين التي تدور حبها ، أجرام السموات ، فكان نيوتن يمتد عيني في مجهولها المنيرة. تأملت بقايا رفات المواهل ، ورأيت رومة متدثرة في ظلمات قبورها المقدسة ، والقديسين وقد أقضت مضاجعهم. وزنت بيدي رفات الأبطال ، وطلبت منه معنى الخلود الذي يأمله كل البشر ، ولكن لم أجد في هذا الغبار الفاني معنى الخلود

ماذا أقول ؟

لازمت سرير الموتى ، لتفتش نظراتي عن معناه في العيون المحتضرة

وعلى هذه الذرى التي توجتها الثلوج مدى الدهر

وفوق هذه الأمواج التي خططتها عواصف الرياح

ناديت دون مجيب

اقتحمت عثار الأحجار وظننت كالعرافة أن الطبيعة بمشاهدها النادرة سترى إلينا باحدى عجائبها، فأحببت أن أغمر نفسي في هذه الرغبات الصامتة التي تتوالى

ولكني ، في سكوتي وهياجي ، فتشت عبثاً عن كنه هذا السر المظلم ، فرأيت في كل مكان إلها لا أفقهه . رأيت الشر أثر الخير دون خبرة ، ودون هدف يسيران كالصدفة ، رأيت في كل مكان الشر يختار ، فجدفت بحق السماء دون معرفة ، فرن صوتي ولاحق السماء كالصدى المدوى ، ولكنه لم يرهب القدر ، ولم يغضب المصير

« البقية في العدد القادم » صبحي تكمجي

مقدمة المنهج الجديد

لتدريس الدين في مدارس الشام

للأستاذ الشيخ بهجة البيطار

« في مصر اليوم ميل قوى إلى الاقتراب من سائر البلدان العربية ، وتوحيد برامج التعليم فيها جميعاً . كما أن في مصر نهضة إسلامية قوية ، امتدت إلى ديار الشام فحفزت وزير معارفها الجليل إلى إجابة طلب الأمة وتلبية نداء مؤتمر العلماء ، فزاد ساعات الدروس الدينية في المدارس الابتدائية والثانوية ، وأصلح مناهجها ، وهذه هي المقدمة التي كتبها عالم الشام (كما كان يسميه الامام السيد رشيد رضا) الأستاذ الشيخ بهجة البيطار بتكليف من الوزارة لمنهج الدين في المدارس الثانوية ، اقترحت عليه نشرها في الرسالة لأن فيها دليلا على حركة فكرية جديدة في بلاد الشام ومن مبدأ الرسالة تسجيل الحركات الفكرية ولأن فيها عوناً على ما نريد من توجيه برامج التعليم في الأقطار العربية ، ولأنها بعد هذا كله فصل على قيم »

على الطنطاوى

الاسلام دين عام لجميع الشعوب والأقوام « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » والقرآن هو الذى هدى مَن دانوا به من الأمم إلى جميع ما تمتعوا به من صنوف النعم ، وهو الذى أظهر على أيديهم تلك المدنية الزاهرة ، التي جددت ما اندرس من المدنيات البائدة ، وأوجدت أصول مخترعات الأمم المعاصرة . وبناء على هـذا الأساس ، نوجّه أنظار الأساتذة الكرام وأفكارهم إلى ما يأتي : —

١ — بيان أن القرآن الحكيم هو الذى هدى السلف إلى الجمع بين مصالح الروح والجسد ، فهم بعد أن سمت عقولهم بالتوحيد ، وزكت نفوسهم بضروب الأخلاق والعبادات ، عُنوا أشد العناية بالعلوم والفنون النافعة التي عدّها الاسلام من الفروض ، وأوجبها على الأمة إيجاباً لا هوادة فيه . قال تعالى : « قل انظروا ماذا في السموات والأرض » وهذا النظر على عملي ينتج أفضل النتائج والثمار ، وقال : « وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه » وهذا التسخير تسخير تمكين وانتفاع ، واكتشاف واختراع ، وقال : « هو الذى خلق لكم ما في الأرض جميعاً » وهذا خطاب عام لهذه الأمة يدعوهم ويوجه نظرهم إلى ما خلق تعالى في جوف هذه الأرض من الكنوز والمعادن ، ويرشدهم إلى الاستفادة منها ، ويثبت أن جميع ما استحدثته أمم الغرب في هذا العصر من القوى البرية والبحرية والجوية ، ومن قوى الكهرباء ، وسائر ما ظهر في الوجود من المخترعات والمكتشفات ، هو مما أرشد إليه الاسلام، فردُّه ردّ لنصوص القرآن ، وتعطيل لأحكامه ، وتجريد لهذه الأمة من كل ما يعزز قوتها وينمى ثروتها ويحمى حوزتها ويدفع عوادى الشر عنها . وأى جناية على الاسلام وأهله أشد من هذه الجناية ؟

٢ — بيان موافقة تعاليم القرآن وهدايته ، لمصالح البشر في كل زمان ومكان ، وأن مثل هذه الآيات الكريمة السابقة هي التي أرشدت سلفنا الصالح إلى ما في السموات من أسرار ومنافع ، وما في الأرض من كنوز وذخائر ، فارتقت عقولهم وأفكارهم بالعلوم الالهية ، والفنون الصناعية ، إرتقاء سادوا به الأرض ، وساسوا به العالم سياسة هي في نظر المطلعين على تاريخ الأمم القديمة والحديثة أفضل مثال للعدل والرحمة ، ثم بيان أن شقاء البشر الحاضر العام لأمم الحضارة وما فيها من فوضى الآداب والاجتماع ، لا يزول إلا باتباع هداية الدين

٣ — تطبيق ما في القرآن الحكيم من المواعظ والعبر ، على حال أهل هذا العصر والاتيان بالشواهد والأمثال على ذلك ، وبيان الفرق بين ماضي المسلمين وحاضرهم ، وحجة القرآن الكريم عليهم

وهذا كله من موضوع علم التفسير : تذكر هذه الآيات الكريمة بمناسباتها وتفسر بالظاهر المتبادر منها ، بأسلوب ينطبق على أذواق الطلاب وأفهامهم ويحملهم على العمل بها في أنفسهم وفي أممهم

٤ — مما يجب بيانه في دروس التوحيد قولُ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه « إنما تُنقض عُرى الاسلام عروة عروة ، إذا نشأ في الاسلام من لم يعرف الجاهلية » وهنا يبين أن العرب كانوا في جاهليتهم مؤمنين بوجود الله تعالى ، موحدين له في أفعاله من خلق ورزق وإحياء وإماتة ، وتصريف لجميع الأمور . وهذا هو المسمى « توحيد الربوبية » ويستشهد لذلك بالآيات الكريمة كقوله تعالى « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولُن الله » و كقوله : « قل من يرزقكم من السماء والأرض ... الآية » و كقوله : « قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله ... الآيات »

وإنما كان شركهم فى توحيد الألوهية ، أى فى توحيد العبادة ، وهو أنهم لم يقصروا عبادتهم بأنواعها على مستحقها وهو الله وحده كالدعاء والخوف والرجاء ، والاستعانة والاستغاثة ، والذبح والنذر ليقربوهم إلى الله على زعمهم ، قال تعالى : « ألا لله الدين الخالص ، والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ... الآية » وقال تعالى : « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ... الآية » فردّ الله عليهم هذا الزعم الباطل بهذه الآيات نفسها ، وبالآيات السابقة فى توحيد الربوبية « ولئن سألتهم » « قل من يرزقكم » وأقام عليهم الحجة بما أقروه من انفراده تعالى بأفعال الربوبية ، على ما أنكروه من وجوب إفراده تعالى بالعبادة

ومن صنيعهم أنهم كانوا فى الشدائد يخلصون لله فى الدعاء كما قصّ علينا من شأنهم بقوله : « فاذا ركبوا فى الفلك دَعَوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم إلى البر إذاهم يشركون »

٥ — من المهم بيان أن الخوف نوعان : خوف عادة كالخوف من عدوّ أو سبع مثلاً ، وهذا خوف طبيعى لا محذور فيه ، وخوف عبادة ، كالخوف من تصرّف غائب أو ميت ، بعباد الله ، كتصرّف الله بمخلوقاته ، وهذا فيه كل المحذور لأنه يتضمن اعتقاد أن لبعض المخلوقات قدرة على التصرف بأنفس الأحياء وأموالهم ، كقدرة الله تعالى ، وهذا يخالف الحس والواقع ، ويناقض عقيدة التوحيد بأفعال الله تعالى . وهكذا سائر الصفات منها طبيعى ومنها غير طبيعى ؛ فمن الطبيعى مثلاً خوف موسى عليه السلام من عصاه لما انقلبت حيّة « قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى » ومن غير الطبيعى حب بعض المخلوقات حب عبادة ، كما يحب المؤمن ربه ، قال تعالى « ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله » أو خشيتُه كما يخشى المؤمن ربه ، ومن شواهده قوله تعالى « إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية » ومن الأول أيضاً (أى الطبيعى) : « أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله » ومن الثانى (أى دعاء العبادة) : « وأن المساجد لله ، فلا تدعوا مع الله أحداً » وهكذا الاستعانة والاستغاثة ، منها ماهو عادى طبيعى كاستعانة الناس بعضهم ببعض فيما يقدرون عليه ، ومنه قوله تعالى : « فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه » ، فهذا داخل فى دائرة الأسباب والمسببات ، ومنها ما هو فوق قدرة البشر ، كشفاء المرضى فى الدنيا وإدخال الجنة فى الآخرة ، فهو خاص بمن هو على كل شىء قدير ؛ ومنه قوله تعالى : « إياك نعبد وإياك نستعين » ؛ فيجب التمييز بين الأمور الكسبية والأمور الغيبية . فالأولى يمكن طلبها بأسبابها ومن القادرين عليها ، والثانية عبادة ، وهى لا تكون إلا لله وحده ، فيُلجأ إليه فى طلبها ويُتوكل عليه فى تحصيلها . وليُنتبه لهذا الفرق فانه عظيم

٦ — بيان أن عرب الجاهلية كانوا أربع فرق : فرقة كانت تدعو الجن ، والثانية الملائكة ، والثالثة تعبد الرسل والصالحين ، والرابعة وهى أحط الفرق الأربع كانت تعبد الأوثان التى نحتتها على مثال الصالحين . وهذا البيان ، من افتراق المشركين إلى أربع فرق قد بينه القرآن ، وكلّم كل فرقة بحسب ما تعتقد وردّ عليها ، وإليك الآيات التى تدل على ذلك :

الأولى : الفرقة التى كانت تدعو الجن « ويوم يحشرهم جميعاً ، ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ، فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعاً ولا ضرا » ؛ وقال تعالى فى شأن هذه الفرقة أيضاً : « وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له (اخترعوا) بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون » ؛ وقال تعالى فى شأن دعاة الملائكة والرسل والصالحين وهما الفرقتان الثانية والثالثة : « قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ، أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، إن عذاب ربك كان محذوراً » ولا يمكن لعاقل أن يزعم أن الأصنام كانت ترجو رحمة أو تخشى عذاباً

وقال تعالى فى شأن الفرقة الرابعة وهم عبدة الأوثان الذين نحتوها على مثال الصالحين : « إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين ، ألهم أرجل يمشون بها ... الآيات » وجميع هذه الفرق كانوا يعتقدون أن الخالق لكل شىء هو الله تعالى ، وأن دعاءهم لمن يدعون ليقربوهم إلى الله زلفى ، كما حكى الله تعالى ذلك عنهم جميعاً بقوله : « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » وقد تقدم ذلك . ومن هنا يتبين خطأ من يظن أن الآيات نزلت فيمن كانوا يعبدون الأصنام وحدهم ، وقد علمت أن القرآن الكريم تكلم مع كل الفرق

٧ — يراجع تفسير هذه الآيات الكريمة قبل إلقائها على الطلاب في كتب التفاسير المعتمدة ، ليعلم سياقها وسباقها ، والأسباب التي نزلت فيها وما فسرها به من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم أو الصحابة أو التابعون لهم باحسان كتفسيري إمام المفسرين ابن جرير ، والحافظ المحدث بن كثير . ثم تفسر بأسلوب سهل خال من المصطلحات ، فيكون الأستاذ قد جمع في تفسيرها بين القديم والحديث على أصح الوجوه وأحسنها .

أما الآيات الكونية فيرجع فيها أيضاً إلى ما فسرها به العلماء من محققي هذا العصر .

٨ — نشرح في دروس الفقه أركان الاسلام الخمسة التي وردت في حديث « بني الاسلام على خمس » ويبين معنى كلمة التوحيد التي هي ركن الدين وأساسه الأعظم ، وأنها (أي لا إله إلا الله) منفطة لجميع آلهتهم (أي العرب قبل الاسلام) هادمة لأنواع عباداتهم ، ومثبتة لعبادة الله وحده الذي وحدوه بربوبيته (أي بأفعاله) ولم يوحدوه بألوهيته (أي بعباداتهم له كما تقدم) فمعنى (لا إله) هو نفي لكل معبود في الوجود وإبطال لعبادته ، وكلمة (إلا الله) إثبات لعبادة المعبود بحق وحده وهو الله تعالى ، ولو كان معناها (لا خالق إلا الله) أو ما هو في معنى ذلك من أفعال الربوبية كالرزق والاحياء والاماتة لما استكبروا عن النطق بها ، لأن هذه الأفعال لم يدعوها لآلهتهم ، وتقدم بيان هذا في توجيهات التوحيد ، فيجب على الأساتذة أن يشرحوا هذه الحقيقة لأنها أصل الأصول وحقيقة الحقائق .

٩ — بيان المقاصد الدينية والحكم الاجتماعية للصلاة والزكاة والحج والصيام ، وتبين أيضاً فوائد العبادات في معترك الحياة العملي والجهاد القوي . (فالصلاة) الروحية البدنية التي هي فرض عام على كل مكلف ، تنهي عن الفحشاء ؛ وأشد الفواحش والمنكرات فتكاً وهتكاً هي تلك الجيوش المنوية التي فتحت بلاد الشرق لها عقولها وجسومها وجيوبها كالخمر والميسر والزنا والربا والانتحار ، فكثير ممن أضاع الصلاة واتبع الشهوات وقع في هذا التيار الذي أسلمه إلى الجنون أو المنون ، فكان ذلك من أشد المصائب على الوطن . (والصيام) الذي يدعو إلى إمساك المعدة عن الطعام ، وسائر الأعضاء عن الآثام ، وصرف جميع القوى والمواهب فيما خلقت له ، يعلم الثبات على خلق (أي مبدأ) قويم لا محيد عنه . فالصائم الذي يغلب عقله شهوته ولا يخون دينه بالأكل نهاراً — سراً أو علانية — لا يمكن أن يخون وطنه أو يخدع في أمره فيبيعه بثمن بخس من غير أهله . (والزكاة) إعطاء نصيب معلوم من المال للفقراء والمساكين الذين أقعدهم العجز عن العمل ، دون الكسالى المتسولين القادرين على الأكل من كسب أيديهم (وبقية الأصناف الثمانية في آية : إنما الصدقات للفقراء والمساكين ...) فاذا حفظت الزكوات والوصايا لمستحقيها ووزعتها عليهم جمعيات التعاون على البر والتقوى ، ذوات الاختصاص بتمييز المستحقين من غيرهم ، كانت هذه أفضل طريقة تجمع بها الأموال من المحسنين لإطعامهم وإيوائهم وتعليم أبنائهم . (والحج) أعظم مؤتمر إسلامي حر ، وأكبر نقابة في الدنيا تبحث في شؤون المسلمين ومصالحهم ، وتوازن بين ماضيهم وحاضرهم ، وتدافع عن حقوقهم وحرياتهم ، وتؤلف بين شعوبهم وقبائلهم . ثم هو فريضة الاسلام والركن الاجتماعي العام الذي يربط أفراد الأمة الاسلامية بعضهم ببعض ، ويشد أواصر التآخي والتراحم بينهم ، وينزع الضغن والحقد من بينهم فيصبحون بنعمة الله إخواناً .

١٠ — المعلمون ورثة الأنبياء في تعليمهم وأخلاقهم ، ومن شأن أساتذة الدين أن يكونوا من أكمل البشر وأفضلهم في آدابهم وأعمالهم ومعاملاتهم ، ويجب أن تتجلى فيهم مزايا العبادات المذكورة في هذه المقدمة وفوائدها ، وأن يكونوا هم صورة كاملة لها ، فهم القدوة الصالحة التي ينشدها الطلاب والمدارس ، والمثل العليا تستملى من صفاتهم وأعمالهم ، لا من الكتب التي بين أيديهم فحسب . والرجاء في أساتذة الدين أن يصحبوا طلابهم في المصلى والمسجد (لا في المقهى والملهى) ويكونوا أئمة لهم في بعض الصلوات ، ومؤتمين بهم في البعض الآخر ، ولا يرى الطلاب من معلمهم مأخذاً لهم يتمسكون به (كعادة التدخين الضارة مثلاً) بل يجب أن يلاحظ رؤساء المعارف كافة والمعلمون منهم خاصة ، وأساتذة الدين على الأخص ، أنهم ليسوا أشخاصاً عاديين لأنهم يربون أرواحاً ويصلحون إصلاحاً ، فبهم يقتدى ، وبهديهم يهتدى ، وليذكروا قول المصلح الأعظم صلى الله عليه وسلم « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة . »

محمد بهجة البيطار

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق
وأحد أعضاء لجنة (تنقيح المنهج)

من الأدب المنحول

فى عيد ميلاد المسيح

المرحوم مصطفى صادق الرافعى

« قلت فى العدد الماضى إن صديقا من أصدقاء الرافعى طلب إليه مرة أن يعد كلمة عن المسيح لتلقيها فتاة مسيحية فى حفلة مدرسة أجنبية فى ليلة عيد الميلاد ...

« وكتب الرافعى كلمة فى تمجيد المسيح فدفعها إلى صديقه. وألقتها الفتاة فى حفل حاشد من المسيحيين ، فكانت عنـد أكثرهم إنجيلا من الانجيل ... »

« فهذه هى الكلمة التى عنيت » سعيد العريان

أيهـا السادة :

ملك من ملائكة الرحمة ، يهبط من سماء الله آتياً من حدود الأبد ، ولجناحيه حفيف طالمـا أنست به نسمات الجنة ، وتعلقت بأطرافه أرواح أزهارها الخالدة ، كأنها معانى الورد فى لفظ عطر الورد ...

صفَّ جناحيه العظيمين ثم خفق بهما خفقة ، فانزوت له سماء وسماء ، وأسلمه فضاء إلى فضاء ؛ فإذا هو فى ذؤابة هذا الـكوكب الأرضى ؛ فوقف هناك عند الحد الذى أقامه الله بين المعنى الخالد والمعنى الفانى ، الحد الذى يبتدىء منه ضوء الشمس رقيقاً مستشمراً من رحمة الله ، فيكون للمخلوقات الأرضية نوراً وحياة معاً ، وهو فى أصله لهب ماحق لو ألقيت فيه كرة الأرض لاستحالت فى لحظة واحدة شعلة واحدة

هناك حيث تزدحم الأقدار ، على مداري الليل والنهار ، وقف الملك الكريم ولا تزال على قوادم جناحيه مسحة زاهية من نعيم الخلد ، ولا يزال فيها روح من ريحان الجنة ... وقف ينظر فاذا الأرواح الانسانية صاعدة من الأرض فى زحام ، منهزمة من شرور الناس أىَّ انهزام ، متقهقرة إلى ربها بعد المعركة بلا نظام.

فصرف وجهه ناحية ثانية ، فاذا دعوات المظلومين ، وأنات المحزونين ، وتأوهات المساكين ، وزفرات الوالدات والوالدين

فانفتل إلى ناحية غير الناحيتين ، فاذا الحياة الأرضية كأنها خيط وضع من مقراض الفناء بين شفتين ، أو غريق يخبط فى لجة بين ساحلين ، ولا يدرى قبره فى أى الساحلين ، أو المحكوم عليه بالموت أوقف بين سيفين ، ولكن الموت واحد فى السيفين .

فلم يبق من الجهات الأربع إلا جهة واحدة فتحول إليهـا الملك ، فاذا هناك فى أقصى الأفق معنى الرحمة الانسانية وقد انكمش وتضاءل وأخذ منه الهزال كأنه مريض ، أو كأن الحزن على الناس قـد أذابه فقطع الرجاء منهم وانزوى فى ناحية ينتظر نهاية هذا القدر المنصب من السماء على الأرض .

جزع الملك من ذلك وكاد ، وهو قطعة من الخلد ، يداخله الخوف ويخالجه الشك وتمسه بعض آثار الحيـاة الفانية ، فقال ما بالى قد تبللت أجنحتى من رشاش هذه الدموع وهذه الدماء ، وما بال هذا العالم الآخر ليس فيه إلا متألم لميت أو متألم لحى أو متألم لنفسه ، وما بال الحياة قد أمست من شدة بؤسها وكدرها وهمومها تطحن أكثر مما يطحن الموت ؟ هل بقى شىء إلا النفخة فى الصور ، وبعثرة من فى القبور ، ووقوف الفلك الدوَّار فلا يدور ، وانطفاء نور الأرض فلا ظلام ولا نور ؟

وقف الملك الـكريم أربع سنوات وأشهرا [1] وهو ينتظر يوما يرى فيه السماء مسفرة الوجه برضا الله ونعمته ، بعـد غضبه ونقمته، فلماسطع ذلك اليوم المضىء وأبرقت بفجره أسارير السماء هز الملك جناحيه على المشرق والمغرب وانتفض فى جو الأرض انتفاضة ملائكية أطفأ بردها غيظ القلوب المتأجج الذى تشاتمت به أفواه المدافع زمنا طويلا ، وهب نسيمها الآتى من الجنة فدفع إلى ناحية الجحيم كل روائح البارود ودخان القنابل ولهب النار

ثم ضحك الملك مسروراً فانتثر من ضحكه الابتسام على كل الشفاه ، وأصبح جو الأرض من مطلع الشمس إلى مغربها وهو يتلألأ كأنه ثغر طفل يضحك فى وجه أمه .

وسمع الملك حمد الناس وشكرهم وتهنئة بعضهم بعضا ، ورأى الأرض وقد سكنت بعد غليانها وأقبل أهلها يصلحون ما فسد ، ويبنون ما تهدم ، ويديرون فى الأرض حركة جديدة ويسخرون العناصر لبناء الطبيعة الاجتماعية أو لهدمها كما كانوا يفعلون

(١) يشير إلى سنى الحرب ، وأحسبه أعد هـذه الخطبة في عيد الميلاد من سنة ١٩١٨ « العريان »

نظرة خاطفة

تطورات الأدب الحديث

للاستاذ فؤاد الطوخي

لو بعث أعرابي في الجاهلية وقرأ ما تفيض به أقلام الكتاب في هذا العصر لأعجزه فهم المعاني والمرامي ، بل لأعجزه فهم التراكيب والأساليب، ولخرج من مطالعته وكأنه لم يقرأ ولم يفقه شيئاً . ذلك لأننا نكتب بلغة الغرب وندرك الأشياء بعقول هي أقرب ماتكون إلى عقول الغربيين، ونستمد منهم العلم ونستوحيه، ونرتوى من مناهلهم ونغترف ، ولا يزال العالم العربي كله يترسم خطاهم ويلف لفهم ، ويعاونه على ذلك مرونة اللغة ، فهي تتسع لمختلف الأساليب وشتى التراكيب ، ولا ينقصها الابانة عن معانى الغرب كما أبانت عن معانى الشرق .

وهذا التطور الناشيء من طغيان أدب الغرب على اللغة قد تقلت موازينه على التطورات الطبيعية التي تصيب اللغات من توالى الأجيال وما يلابسها من اختلافات في عالم الفكر وأساليب الحكم وصعود في المشاعر الانسانية وهبوط . وما الأدب الرفيع إلا دعامة من مقومات الأمة ، ومظهر من مظاهر حياتها ونزعاتها؛ بل ترجمان نهضتها يكشف عن أسرارها ويظهر ما كمن في نفسيتها وما استتر . فلما تهيأت أسبابه إبان النهضة المصرية الحديثة في عهد الخديو اسماعيل لم يكن بين المصريين من يعرف الصحافة أو يستسيغها ، فنشطت جماعة من أدباء سوريا وممن كان الاستبداد التركي قد أرغمهم على الهجرة إلى أرض الفراعنة — إلى غرس بذور الأدب ، فرحب بهم اسماعيل باشا وشجعهم على إصدار الصحف والمجلات وإنشاء فرق التمثيل وقرض الشعر وتأليف الكتب الأدبية . واتصلت مصر بسوريا اتصالاً أدبياً وثيقاً ، ولسنا نقول إنهم أجادوا فيما أخرجوه للناس بادىء ذى بدء ، ولكن معظم تلك الأقلام على اختلاف ألوانها لا يروقك منها اليوم إلا النذر اليسير . ولم ينزل المصريون إلى هـذا الميدان إلا بعد فترة من الزمان . وكان الأزهر الشريف يومئذ يغط في الجمود غطيطاً حتى جاءه جمال الدين فأحيا مواته ونفخ فيه من روحه ، وغادر مصر بعد قليل وقد أسلم راية النهضة إلى الأستاذ الامام العظيم الشيخ محمد عبده ، فعمل مع من التف حوله من تلاميذه الأخيار على إعلاء كلمة الأدب ، وأرسل من صحن الأزهر الشريف شعاعاً من النور لم يلبث أن بسط رواقه على بعض الأرجاء. ومنيت هذه النهضة بصدمات عنيفة يوم أرغم نصيرها ومحييها الخديو اسماعيل على اعتزال الحكم، وعاد الجمود ولكن لا يمكث طويلا، وإنما يمكث إلى أن تدور دورة الأيام وتهدأ الأعصاب ويستجم الأدب قوته ويستعيد سيرته، إذ هيهات أن يحول حائل دون نمو شجرة أحكم زرعها وقوى أصلها. وما هي إلا عاصفة أثارها العرابيون حتى نفض الأدب عنه غبار الهدأة وخرج يتلمس مكانه تحت الشمس ، وكان الشيخ محمد عبده فارس هذا الميدان أيضاً فجال بقلمه وصال، بل كان رئيس الوزارة نفسه البارودى شاعراً وكاتبا ، وملأ عبد الله نديم الميادين والطرقات بخطبه وقصائده وأزجاله ، وعالج آل المويلحى فنونا من الأدب لا تزال بلاغتها تهز القلوب وتثير الشجون . وجاء الاحتلال فجاء معه الجمود للمرة الثالثة ، ولكن لا ليستقر أيضاً وإنما ليهدأ قليلا ريثما يعود الأدب من جديد ملكا ذا سطوة وبأس مناديا بالحرية مصورا شعور الأمة بمقت الحكم الأجنبي . وفى ذلك الحين بدأ نجم شوقى يعلو ويلمع ، وتلاه حافظ ، وتربع على دست الصحافة الشيخ على يوسف فى دار « المؤيد » ثم تلاه الاستاذ الامام أحمد لطفى السيد فى دار « الجريدة » وكانت لا تزال الصحافة السورية راجحة الكفة قوية الشكيمة . وأناخت على الأدب الحرب العظمى بكلكلها ولكن ما جاءت سنة ١٩١٩ حتى وصل الأدب ما انقطع ، ولا حق ما سابق ، وهب أقوى

فقال : الآن أصلحت بين الناس وأصلحت الناس للناس ، ثم رمى بطرفه إلى الجهات الأربع فاذا معنى الرحمة قـد ملأها واستفاض عليها ، فهز جناحيه صاعدا فى فلك النور ، وفى أذنيه تهليل الناس وصلواتهم ، حتى إذا انتهى إلى أفقه الأعلى كانت الكلمة الأخيرة التى دخلت معه إلى سماء الله هي نفس الكلمة الأولى التى خرجت من سماء الله

« وعلى الأرض السلام وفى الناس المسرة »

سلطانا وأكبر نفوذا . فازدادت المجلات والجرائد المصرية دون السورية زهورا وانتشارا ، واتسع مجال التأليف ، وتعددت نواحي التفكير .

وأبرز ما يبدو في الأدب العربي الحديث هو الحيرة وعدم الاستقرار والخلو من الوحدة والتجانس والتماثل ؛ فهو لم يعد بعد طور التكوين ولم تقم له شخصية جلية فهو في ذلك إنما يتمشى مع روح الأمة ومشاغلها وأمانيها ، ففي مصر مثلا كان أكبر مايشغل الأذهان ويتغلغل في النفوس هو السعي في سبيل الحرية ، فانطبع الأدب بهـذا الطابع وظهر أثره في الصحف والمجلات والخطب والتقارير وما إلى ذلك ، فتغنى الشعراء بأناشيد وطنية تمس نواحي الأمل تارة ، ونواحي الألم تارة أخرى ، وكلما تطورت المواقف تطور معها الأدب وجرت بها أقلام الكتاب من حيث يشعرون أو لا يشعرون .

ومن العجب العجاب أن الأدب الرفيع قد لاقي من صنوف التنكيل والمقاومة من جبروت الحكومات المستبدة ، ومن استهتار الجمهور به ومن إغضاء أغنيائنا عن تعضيده ما لو حدث في غير مصر لتحطمت الأقلام ونضبت الأفهام ، وساد الظلام ، ولكن كتابنا استبسلوا واحتملوا الفواجع في سبيل الاعراب عن آرائهم الحرة ، فنالوا تقدير العارفين وخلدوا في تاريخ مصر المجاهدة صحائف من نور . على أنه لن يمر زمن طويل ، ما لم تتأثر مصر بمؤثرات دولية ليست في الحسبان ، حتى تهب من أقصاها إلى أقصاها إلى الأخذ بأسباب الاصلاح ويتبع ذلك تطور وتجديد في عالم الفكر وعالم القلم ، وتدور رحى المعارك الصحفية على الأعمال لا على الأشخاص ، وعندئذ تبرز الشخصية المعنوية للأمة وتبرز معها شخصية الكتابة والكتاب فتستقر في قرار مكين وتصبح في مأمن من زعازع السياسة ومنازع الأغراض فلا يعصف بها استبداد ، ولا يلويها عن قصدها حب في سيطرة أو استعباد

على أنه رغم تلك الاضطرابات العامة والقلاقل الجمة ، فان مصر بحمد الله قد ظفرت بطائفة من الكتاب لا تقل علماً وأدباً وقوة ومنافسة عن أمثالهم في أعظم الأمم المتحضرة المجاهدة ، وما ذلك إلا لما هم عليه من ذكاء نادر وعلم وافر ومضاء في العزيمة وقوة في الشكيمة . وإذا حق لمصر أن تفخر بأبناء الجيـل الحاضر فمن الانصاف أن تضع في مقدمتهم الأساتذة الكرام « العقاد ، والزيات ، وهيكل ، وطه حسين ، والمازني ، وزكي مبارك ، وسلامة موسى » وغيرهم .

والظاهر أن الحكومة قد فطنت إلى ضرورة تشجيع الأدب فقررت منذ عام وبعض عام منحهم جوائز على موضوعات يتبارون فيها ، فـكانت فكرة موفقة ، ولا نعلم لماذا لم تستمر في ذلك ! ولعلها تذكر أن من أكبر الأسباب التي دعت إلى ظهور طائفة كبيرة من الأدباء والشعراء الخالدين في العالم العربي ، الصلات القيمة والمنح الكريمة التي وهبها إياهم الخلفاء تقديراً لنبوغهم وتشجيعاً لغيرهم . ولسنا بملتمسين غير العدالة — إن لم يكن الحق — إذا نحن وجهنا نظر حكومتنا إلى ضرورة منح المجلات الراقية في مصر إعانات كفيلة بتوطيد دعائمها حثاً لها على الاستزادة من خدمة قرائها تعميماً للثقافة وتعضيداً للعلم ، ولها في ذلك أسوة بالمدارس الحرة ودور المسارح والملاهي

فؤاد الطرزي

بين الفن والنقد

للأديب محمد فهمي عبد اللطيف

تدرج الطبيعة بالانسانية فى مدارج الرقى والكمال ، وتنهج بها مناهج السمو والتطور ، فتحرص على النافع وتختار الأصلح ، وتجدد دائماً ! فتنقل الناس من حال إلى حال ، وتخرج بهم من وضع إلى وضع ، وما أداتها فى هذا إلا الشخصيات العظيمة ، والنفوس الكبيرة ، والارادات القوية الوثابة ، التى تحمل فى أطوائها عظمة الطبيعة نفسها ، فاذا هى في أعمالها وحياتها ومواهبها برامج سامية للجنس ، وشرائع عالية للنوع ، وعوامل ناهضة بدهماء الناس من ظلمة الخمول ، وحمأة الانحطاط ، ومُثل رفيعة تثير بروعتها فى النفوس أعمق الخواطر ، وتلهمها الانشاء والخلق والابداع !

وما الأدب فى وضعه الشامل ، ومادته المتصلة بكل شئ إلا دنيا حافلة ، وإنسانية كاملة ، فهو — كما يقول مكسيم غوركى — مرآة الحياة تنعكس على زجاجته المصقولة ، فى هدأة الحزن أو ثورة الغضب ، سائر مشاكل الحياة وشعابها المترامية ، وخيوطها المشتبكة ، ومناحيها المتنائية ، كما تنعكس كذلك على أديمه الشفاف كافة رغباتنا وشهواتنا ومشاعرنا وآمالنا ، والجداول العميقة الراكدة لحماقتنا وطيشنا ، وسعادتنا وشقائنا ، وشجاعتنا وفرقنا ، أمام الغد المجهول ، والمصير المحتوم ، ومعانى الحب والبغض لدينا ، وسائر معايب نفاقنا وعار أكاذيبنا ، ومهانة خداعنا ، وركود أذهاننا ، وآلامنا التى لا ننتهى منها ولا تنتهى منا ، وجلة آمالنا الخفاقة الملهبة لشعورنا ، المتنزية فى خواطرنا ... وبالاختصار هو كل ما يحيا به العالم وسائر ما يعتمل وينبض فى قلوب البشر ...

فدنيا الأدب هى دنيا الناس تامة كاملة ، يصوغها لنا الأسلوب المهذب ، ويرسمها التعبير الفنى الجميل ، وإن النهج الذى تسلكه الطبيعة فى دنيا الناس للسمو بالانسانية ، والترقى بالعالم ، هو هو بعينه النهج الذى يحتذيه النقد فى دنيا الأدب لخدمته وصقله وتهذيبه واختيار الأصلح منه ... كما تفعل الطبيعة تماماً فى دنيا الناس المادية المحسوسة ، وما النقد إلا رسالة من رسالات الطبيعة وعمل من أعمالها ، فمن المعقول أن يحتذيها فى مهمته ، وأن يكون على غرارها فى وضعه ، فهو — على ما يجب أن يكون — إرادة قوية تكشف وتوضح ، وتختار وتميز ، وتنفى وتثبت ، وتزجر وترشد ، قد تبتر الضعيف ، وقد تحابى القوى ، وما قصدها فى ذلك إلى البطش والانتقام ، ولا إلى المداهنة والمحاباة ، ولكنها تقصد إلى صقل الخواطر ، وتهذيب المشاعر ، وتطهير الأفكار من مظاهر البساطة الأولى التى تكون للماس إذ يخرج من أحافير الأرض ، فما تزال تتعهدها بذلك حتى تقيمها على الوجه الصحيح النافع ، فاذا هى سمو بالانسانية ، وصلة بالحياة ، ومادة للخلود ، ومبعث الروعة والجلال على مدى الدهر وطول الأيام ...

والأدب والنقد يهدفان إلى غاية واحدة ، ويتعاونان فى مهمة متفقة ، فالأدب — كما يقول الرافعى — يقدّر لهذا العالم قيمته الانسانية بأضافة الصور الفكرية الجميلة إليه ، ومحاولة إظهار النظام المجهول فى متناقضات النفس البشرية ، والارتفاع بهذه النفس عن الواقع المنحط المجتمع من غشاوة الفطرة ، وصولة الغريزة ، وغرارة الطبع الحيوانى ؛ والنقد من وراء الأدب فى هذا كله ، يصح له هذا « التقدير » من جميع جهاته ، ويسدده على طريقه القويم ، ويدله على الصور الرائعة التى يصح أن تكون مثلاً أعلى لما نطلبه من جمال الحياة وجمال العواطف ، ومن ثم كان النقد — كما يقول شوقى — حارس الأدب ، ومكمل الكتاب والكتب ، ومن ثم أيضاً كان النقد أساساً لكل نهوض أدبى مثمر ، فاذا ما رأيت أدباً مهذباً يغمر أصحابه بالحياة ، ويؤدى لهم غذاء العواطف والعقول ، ويملأ نفوسهم باليقظة والحكمة والاحساس ، ويرفعهم عالياً إلى الكمال الانسانى ، ثم رحت تلتمس السبب فى ذلك فلن تجده إلا النقد ، ثم النقد ، ولا شيء غير النقد ...

قال لى أديب كنت أبسط له هذا الرأى : ولكنك تعلم ياصاحبى أن أهل الفن قوم خلقهم الله أحرار المواهب ، فهم يطلبون حرية الفكر ، وذلك عندهم كل شيء ، ولعلك تذكر فى ذلك قول ملتون الخالد « أعطنى حرية القول ، وحرية الفكر ، وحرية الضمير ، ولا تعطنى شيئاً غير ذلك » والنقد إنما هو ضرب من ضروب الحجر على هذه الحرية وحبسها عن التحليق فى سماء الفن وجو الحياة الفسيح ، ولاشك أن الفنان إذا ما فقد حريته

فقد فقد عبقريته ، وتلاشت شخصيته ... ثم أنت تعلم أن حياة الفن إعجاب وتقدير ، وأن الفنان فى حاجة كبيرة إلى العطف والثناء والمدد والبخور ، ولكن النقد كثيراً ما يرهق أعصاب الفنانين — وهى الدقيقة المرهفة — بصلف الأستاذية ، وعنت الحزازة وعبث التطفل ، وكثيراً ما هوى فنانون صرعى هذا الطغيان أو قل هذا اللؤم ، وكثيراً ما أحجم كرام فضلاء عن الظهور فى الميدان ضناً بأعراضهم أن ترتع فيها الألسنة الضراة ، وصوناً لآثارهم أن تبتلى بلئيم لا ينصف ، أو جاهل يتعسف . وقديماً قيل : أحق الناس بالرحمة عالم يجرى عليه حكم جاهل ! وهذا ما يجعلنى أعتقد أن النقد عداوة للأدب ، وتهجم على كرامة الفن ، وأنه طاغية مستبد ، يهدم ويثبط ، ويندفع فى جبروته واستبداده لا يلوى على شىء ولا يحفل بشىء ولا يفيد فى شىء ... وهذا ما جعلنى أيضاً أرتاح لصنيع ألمانيا يوم حرمت النقد الأدبى ، ووقفت به عند عرض الموضوعات وبسطها دون التعليق عليها أو إبداء أى رأى . ولقد كان وزير الدعاية الألمانية على حق إذ يقول فى بيانه الذى أصدره فى ذلك الصدد : إن الفن لا يفقد شيئاً إذا ما بعد أولئك النقدة الأغرار من الميدان ، إذ العظمة الزائفة تسقط من غير أن يسقطها النقد ، أما أصحاب العظمة الحقيقية فيجب أن يسمح لهم بحرية الابتكار ، والاحتفاظ بكرامتهم الفنية ، ويجب أن تصان العبقرية الصحيحة من كل ما يؤذيها ويمهد لسقوطها !

ولقد يبدو هذا الكلام طريفاً لبعض الناس ، وأذكر أنى سمعت صداه فى ندوة أدبية ، وقرأت كلاماً بمعناه فى إحدى الصحف ، ولكنه فى الواقع أفن من الرأى لا يصح فى عقل ، ولا يستقيم فى منطق ، فان النقد ليس مصادمة لحرية الفنان فى شىء ولكنه نهوض بهذه الحرية إلى الأوج ، وارتفاع بها عن العبث ، وتقويم لها على المبادىء القويمة ، والرغبات النافعة ، وإذا كان له أن يقف بالفنان عند حدود ، أو يلزمه بقيود ، فليست هى إلا الحدود الفنية ، والقيود التى هى معالم الفن نفسه ودعائم كيانه ، وبالتزامها يسمو وينهض ، وبمراعاتها ينمو ويفرع . فاذا ما أباح لنفسه أن يتعداها وأن يستهين بها ، هان أمره ، وهاض شأنه وذهبت شخصيته ، وانبهت رسالته ، كتلك القيود التى يتملص منها بعض الناس ، من تفريط فى حق اللغة ، وعدم العناية بالأسلوب ، والاستهانة بأوضاع العرف والأخلاق ، والتقاليد والدين !

ثم لماذا يناهض النقد الأدب ؟ والنقد والأدب صنوان يجمعهما الفن إلى أصل واحد ، ويربطها رباط العصبية والقرابة ، أو على الأقل رباط الود والصداقة ، فاذا ما نظر النقد إلى الأدب وهو ينصح له ، أو يسخر منه ، أو ينكر عليه ، أو يعجب به ، فما هو فى هذا كله إلا الصديق الحدب ، والرفيق المخلص ، من واجبه أن يصور الأدب أمام نفسه بأغلاطه ومساوئه ، وصوابه ومحاسنه ، وأن يرى فى ذلك الرأى الصريح المخلص ، كما يفعل الأدب تماماً إذ يصور الحياة أمام نفسها بأغلاطها ومساوئها ، وصوابها ومحاسنها ، وأن يحكم فى ذلك برأيه وتقديره ، ولا عيب على النقد فى صنيعه هذا ، كما لا عيب على القاضى إذا ما أعلن كلمة الحق ، والواصف إذا ما قرر حقيقة الموصوف ، والصديق إذا ما صارح صديقه بالذى فيه ، ولكن العيب ألا يؤدى ذلك جهده ، ويهمل له وسمه ؛ وإن من خطل الرأى أن نحسب النقد عداوة للأدب ، وتهجماً على كرامة الفن ، وأنه طاغية مستبد لا يحفل بشىء ولا يفيد فى شىء ... فأن الطبيعة ليست بقاسية من ذهابها بالزبد ليبقى ما ينفع الناس ، والطبيب ليس بمتجبر ولا بمستبد إذا ما بتر العضو الفاسد لينجو المريض . والصائغ لا يقصد الشر إذا ما تناول حجر الماس بالاحراق والصهر والصقل ليخلص جوهره وتنجلى لمته ، وكذلك قل فى النقد إذا ما وضع الحق فى نصابه ، ودافع عن الفن فى نسقه الأعلى ، وعمل على تخليصه من شوائب الفضول والدعوى المزورة والمآرب المتهمة ، وإن من انقلاب الأوضاع والاستهانة بالحقائق أن نحسب التهذيب عداوة ، والصراحة تهجماً ، والتطهير هدماً وتثبيطاً ، وإذا كان بعض الأدباء لا يفيدون من النقد صقلاً وسمواً وتهذيباً وإرشاداً فليس الذنب ذنب النقد ، ولكنه التفريط منهم فى الانتفاع بالرشد والاصاخة إلى النصيحة ، وما هم إلا كالمريض ، يصف الطبيب له الدواء ، ويقدر عليه الغذاء ، ويقرر له ما يأتى وما يدع ، ولكنه يستهين بهذا كله ، وما يزال حتى ينوء بعلته ، ويتلف بدائه ، ثم يتبجح فيلحى الطبيب ! !

على أننا إذ نقول النقد ، فأنما نعنى ذلك الفن الجليل بقواعده المقررة ، وأصوله المحررة ، وغايته الشريفة ، وهو شىء أسمى من التقييم والتقريظ والاستجداء ، وأنبل من العبث والغرور والتفيهق ،

وأرفع من الشتم والحسد والحزازة وكل اعتبار شخصى ، وإن من اختلاط الأمر أن نحسب كل هذه من باب النقد ونعتبرها منه ، وما هى إلا اعتبارات رخيصة ، وسفاسف تافهة ، وشرور وآثام شأنها مع النقد شأن الأعشاب الضارة فى الروضة المطار . والنقد برىء منها ، بل إنه ليناهضها كما يناهض كل أذى وشر .

ولقد صدق شوقى إذ يقول : « من نقد على غضب أسخط الحق، ومن نقد على حقد احترق وإن ظن أنه حرق ، ومن نقد على حسد لم يخف بغيه على أحد ، ومن نقد على حب حابى وجمح به التشيع ، وإنما النقد فن كريم ، وهو آلة إنشاء ، وعدة بناء ، وليس كما يزعمه الزاعمون معول هدم ولا أداة تحطيم ... »

ثم إننا إذ نقول الناقد فلسنا نريده من أولئك المزورين الأدعياء الذين ليس لهم أداة النقد ، ولا عندهم وسائله ، ولكنا نمنيه من أهل النظر المميز ، والمتأمل الفاحص ، أولئك الذين لهم قدرة الحكم ، وفيهم قوة الصواب ، وعندهم وسائل الترجيح ، وغايتهم الانصاف ، وشأنهم خدمة الفن ، وهم من ضميرهم فى يقظة تلقى فى روعهم دائماً أن الناقد مستهدف يعرض عقله وثقافته وحكمه على الناس ، فاذا لم يخلص للحقيقة ، ولم يفطن إلى مواقع الصواب فى كل هذا عرّض نفسه للزراية والسخرية ، وتدلى بعقله وفنه إلى أسفل ...

والقوم فى أوربا يفهمون النقد بهذا المعنى ، ويجرون فيه على هذا الاعتبار ، والناقد لا يقوم فيهم إلا بهذه القوة وعلى هذا الشرط ، ولذا نجد النقد عندهم قد أزهر وأثمر ، وأفاد ونفع ، فهو مجلى العبقريات ودعائم النبوغ وظل التأليف ، وعضد الفن ، يذعن له الأدباء فى ارتياح واطمئنان ، ويرمقونه بالاجلال والاكبار ويصيخون لكلمته بالوعى والانتفاع ، وبهذه الروح الطيبة استطاع « تين » أن يخلق « ستاندال » ويرفع من « كانت » [1] ، ويدين تسعة أعشار الطبقة الراقية من الفرنسيين فى القرن التاسع كما يقول بعض المؤرخين !

أما عندنا ، فوعدنا بذلك بقية المقال .

محمد فهمى عبد اللطيف

---

(1) مما يروى أن ستاندال الروائى المشهور بطريقته النفسية كان مبغوضا لدى النفر القليل الذى عرفه فكتب تين مقالا امتدح فيه طريقة ستاندهال فلم يمض على ذلك يومان حتى كان اسمه طلاع الأرض ، وكذلك يرون أن أوغت كانت الفيلسوف المشهور لم ينل ماناله من الصيت والذكر إلا بعد أن قرظه تين وأثنى عليه .

الكميت بن زيد

شاعر العصر المروانى

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

وقد سلك الكميت مسلكا متقاربا فى قصائده الأربع ، فهو فى ميميته يتخلص من مطلعها إلى ذكر بني هاشم فيقول فيهم :

بل هواىَ الذى أجنُّ وأُبدى   لبنى هاشم فروعِ الأنامِ

للقريبين من ندًى والبعيديـ   ـن من الجور فى عُريِ الأحكام

والمصيبين باب ما أخطأ النا   سُ ومرسى قواعدِ الاسلام

إلى أن يقول فيهم وفى خصومهم من بنى مروان :

ساسةٌ لا كمن يرعى (؟) النا   سَ سواءً ورعيةَ الأنعام

لا كعبد المليكِ أو كوليدٍ   أو سليمان بعدُ أو كهشام

رأيهُ فيهم كرأى ذوى الثـلـ   ـةِ فى الثائجاتِ جُنحَ الظلام

جزُّ ذى الصوف وانتقاء لذى المخـ   ـة نعقاً ودعدعاً بالبهـــام

من يمت لا يمت فقيداً ومن يحـ   ـي فلا ذو إلٍّ ولا ذو زمام

فهمُ الأقربون من كلِّ خيرٍ   وهم الأبعدون من كل ذام

ثم يتخلص من ذكرهم إلى ذكر جدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيمضى فى مدحه وذكر مناقبه الشريفة :

أسرة الصادق الحديث أبى القا   سم فرعِ القُدامس القدّام

خيرُ حىٍّ وميتٍ من بنى آ   دم طرًّا مأمومهم والامام

إلى أن يقول فيه :

أبطحى بمكة استثقب الله   ضياء العمى به والظلام

وإلى يثرب التحول عنها   لمقام من غـــير دار مقام

هجرة حولت إلى الأوس والخز   رج أهل الفسيل والآطام

غير دنيا مخالفاً واسم صدق   باقياً مجده بقاء الســـلام

ثم يأخذ بعد هذا فى ذكر باقى أصولهم فيقول :

ذو الجناحين وابن هالة منهم   أســـد الله والكمى المحامى

لا ابن عم يرى كهذا ولا عـ   ـم كهذاك ســـيد الأعمام

والوصى الذى أمال التجوبـ   ـى به عرش أمة لانهدام

كان أهل العفاف والمجد والخيـ   ـر ونقض الأمور والابرام

نالنا فقده ونال ســـوانا   باجتداع من الأنوف اصطلام

وأشتت بنا مصادر شتى   بعد نهج السبيل ذى الآرام

إلى أن يقول :

وأبو الفضل إن ذكرهم الحا ... وى وبئ الشفاء للأسقام
صدق الناس فى حنين بضرب ... شاب منه مفارق القمقام

وأبو الفضل هو العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد كانت الشيعة إلى عهد الكميت يدا واحدة إلى أن تفرقوا فى عهد العباسيين إلى علويين وعباسيين ، فعادى بعضهم بعضاً بعد أن آل الملك إليهم ، واستأثر به بنو العباس كما استأثر به بنو مروان قبلهم. وقد أخذ بعد هذا كله فى الحديث عن نفسه فى هذا الأمر الذى أخذها به ، واستسهل صنوف البلاء فى سبيله ، فقال :

فيهم كنت للبعيدين عما ... واتهمت القريب أى اتهام
وتناولت من تناول بالغيـ ... ـبة أعراضهم وقل اكتتامى

إلى أن يقول :

ولهت نفسى الطروب إليهم ... ولهاً حال دون طعم الطعام
ليت شعري هل ثم هل آتينهم ... أم يحولن دون ذاك حمامى

وقد أراد أن ينتقل من ذلك إلى ذكر ناقته ووصفها على عادة الشعراء قبله ، ولكنه يجعل ذلك فى ختام قصيدته ولا يبدأ به فى أولها كما كانوا يبدءون به ، فلا يؤثره بهذا على مقصوده الذى ملك عليه مشاعره ، وفى هذا يقول :

إن تشيع بى المذكرة الوجنا ... ء تنسى لغامها بلغام
عنتريس شملة ذات لوث ... هوجل ميلع كتوم البغام

إلى أن يقول فى الختام :

ما أبالى إذا تحن إليهم ... نقب الخف واعتراق السنام
بقض زور هناك حق ضرورى ... ن ويحيى السلام أهل السلام

وكذلك يسلك الكميت ما يقرب من هذا المسلك فى بائيته الأولى ، فقد تخلص من مطلعها إلى ذكر حال نفسه وما يلاقيه فى سبيل رأيه فقال :

بنى هاشم رهط النبى فاننى ... بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب
خفضت لهم منى جناحى مودة ... إلى كنف عطفاه أهل ومرحب
وكنت لهم من هؤلاء وهؤلا ... مجنا على أني أذم وأقصب

إلى أن قال :

يعيبوننى من خبهم وضلالهم ... على حبكم بل يسخرون وأعجب
وقالوا ترابى هـواه ورأيه ... بذلك أدعى فيهم وألقب
على ذاك إجرياى وهى ضريبتى ... ولو جمعوا طرا على وأجلبوا

وأحمل أحقاد الأقارب فيكم ... وينصب لى فى الأبعدين فأنصب

ثم أخذ فى ذلك الحجاج الذى جمع فيه بين الشعر والعلم ، ولعله هذا كان أول عهد العرب بذلك الأسلوب فى الشعر :

بخاتمكم غصباً تجوز أمورهم ... فلم أر غصباً مثله يتغصب
وجدنا لكم فى آل حاميم آية ... تأولها منا تقى ومعرب
وفى غيرها آياً وآياً تتابعت ... لكم نصب فيها لذى الشك منصب
بحقكم أمست قريش تقودنا ... وبالفذ منها والرديفين نركب
وقالوا ورثناها أبانا وأمنا ... وما ورثتهم ذاك أم ولا أب
ولكن مواريث ابن آمنة الذى ... به دان شرق لكم ومغرب
يقولون لم يورث ولولا تراثه ... لقد شركت فيه بكيل وأرحب
ولا كانت الأنصار فيها أدلة ... ولا غيباً عنها إذا الناس غيبوا
فان هى لم تصلح لقوم سواهم ... فإن ذوى القربى أحق وأقرب

إلى أن قال :

فيالك أمراً قد أشتت أموره ... ودنيا أرى أسبابها تتقضب
يروضون دين الحق صعباً محرماً ... بأفواههم والرائض الدين أصعب
وقد درسوا القرآن وافتلجوا به ... فكلهم راض به متحزب
فمن أين أو أنى وكيف ضلالهم ... هدى والهوى شتى بهم متشعب

ثم أخذ فى مدح بنى هاشم فقال :

فيا موقداً ناراً لغيرك ضوؤها ... ويا حاطباً فى غير حبلك تحطب
ألم ترنى من حب آل محمد ... أروح وأغدو خائفاً أترقب
أناس بهم عزت قريش فأصبحوا ... وفيهم خباء المكرمات المطنب
خضمون أشراف لهاميم سادة ... مطاعيم أيسار إذا الناس أجدبوا

إلى أن قال :

وقد غادروا فينا مصابيح أنجما ... لنا ثقة أيان نخشى ونرهب
أولئك إن شطت بهم غربة النوى ... أماني نفسى والهوى حيث يسقب

ثم ختم ذلك كله بوصف ناقته كما فعل فى ميميته فقال :

فهل تبلغنيهم على بعد دارهم ... نعم ببلاغ الله وجناء ذعلب
مذكرة لا يحمل السوط ربها ... ولأياً من الاشفاق ما يتعصب

إلى أن قال :

كأن حصى المعزاء بين فروجها ... نوى الرضخ بانى المصمد المتصوب
إذا ما قضت من أهل يثرب موعداً ... فمكة من أوطانها والمحصب

عبد المتعال الصعيدى

إلى شباب القصصيين

كيف احترفت القصة

قصة المستر فرانك سونيرتن

للأستاذ أحمد فتحي

إن ثلاثين عاماً قد تصرمت بعد إخراج قصتي الأولى سنة ١٩٠٩ . ولذلك فإني أعتذر من عدم تذكري سوى القليل من محتوياتها

كنت في ذلك الحين أعمل في بعض مكاتب النشر ، أراجع « البروفات » ، وأحرر بعض الرسائل إلى المؤلفين ورجال الطباعة لقاء خمسة وثلاثين شلناً في الأسبوع

وكان من عادتي أن أتناول وجبات طعامي في بعض مشارب الشاي ، أو في مطعم رخيص في « سانت مارتن لين » يقال له مطعم « سانت جورج » . وبعد أن أفرغ من عشائي تتشعب بي المسالك ، فإما أن أذهب إلى ملاهي للتمثيل ! أو أمضي إلى حيث أسمع محاضرة واحد من الأعلام ، وأتوجه إلى بيتي لأكتب بعض الخواطر على منضدة تخيط عليها أمي الثياب ، ويرسم عليها أخي بعض الصور لبعض المجلات التي تصدر من أجل الناشئة !

ولم تكن آمالي معلقة باحتراف القلم بل كان من ودي لو أغدو صحافياً لا قصصياً . غير أني كتبت قصة طويلة كاملة وأنا في الثامنة عشرة ، ثم أحرقتها ! وأتبعتها بأخرى وأنا ابن عشرين ولكنها كانت قصيرة جداً ، وكان اسمها « الطريق الحق » عرضتها على ستة من رجال النشر قبل إحراقها . غير أن واحداً من هؤلاء الناشرين جميعاً لم يرفضها بطريقة تبعث على اليأس ، بل أعادوها إليّ مصحوبة بكلمات التشجيع ، وبعد تجربة أخرى ، كتبت قصتي الأولى الناجحة « القلب السعيد » !

وكانت قصة « القلب السعيد » على ما أذكر تنتظم طائفة من الشخصيات ، منها البطل ، وهو شاب مرح موفق في مثل سني وشقيقته ، وصديق له ، وحبيبته ، وأمه ، وأبوه الذي كان يغشى حقيقة حاله غموض كثير . . . كما كان من الشخصيات الملحوظة كذلك فتاة خادم في مشرب ، ورجل آخر غير موفق إلى خير

لم تكن لي شقيقة ، ولا أب ، ولم أكن أعرف — في ذلك الحين — مثل تلك الفتاة الخادم في مشرب الشاي ، ولا مثل ذلك الرجل الذي يخطئه التوفيق على الدوام ، وأما الأم فقد كانت تختلف تماماً عن أمي ، التي كانت أقل النساء إيثاراً لنفسها ، وأقلهن حظوة بالسعادة ! وهكذا لم يكن في القصة من شيء قد استوحيته الحقيقة الماثلة سوى البطل الشاب المرح الموفق . وكذلك لا تعدم الحياة وجود أمثاله على الدوام !

كان هذا الشاب أجنبياً عن البلاد ، يشتغل في وكالة لبعض الأعمال الخارجية ، وقد عرفته من طريق أخي الذي كان صديقاً له ، وكان يعول أخته ، ويجهد أن يعين حبيبته على أمور حياتها . وقد حدث أن خرج وإياها في نزهة ، وانتهى بهما المطاف إلى مشرب للشاي ، حيث اتفق أن رأته يقبل الفتاة خادم المشرب . ولقد جرّت عليّ هذه الأزمة الأخيرة — في القصة — تعنيف صديقة كانت على وشك الزواج ، إذ ساءها أن بطل قصتي لم يكن على شيء من متانة الخلق ولا الثبات على حب واحد !

ولست أدري ماذا حدث لقصتي بعد ذلك من حيث تسجيل الحوادث ولا أظنها كانت متأثرة بواحد من كتاب السلف ، عدا « لويزا آلكوت » التي كنت قد قرأت له أقاصيص متتابعة منذ عام ١٨٩٤

وحين ألتفت إلى الوراء ثلاثين عاماً ، يبدو لي أن مؤلف « القلب السعيد » رجل آخر لا يحمل اسمي ولا يمت إلى بسبب . وإن صورته الشمسية لتنطق بأنه كان ذا رأس مستطيل ، غزير الشعر ، وأنه كان بارز عظمتي الوجنة ، قصير النظر برغم بريق عينيه ، كما أنه لم يكن من النوع الذي تسهل قراءة عواطفه وخلقه من صورته ومظهره الخارجي ، سوى ما كان يبدو عليه من إمارات الجد والوقار ؛ التي يتميز بها علماء الشباب ، ولكنه — إذا صدقت

ذا كرتي — لم يكن على شيء من الجد ولا الوقار ! كما أنه لم يكن من العلماء بحال !

***

كتبت « القلب السعيد » في الأمسية وأيام العطلات الأسبوعية ، خلال أربعة شهور أو خمسة ، وكما صنع «شيكسبير» في قصته « بن جونسون » لم أكن أعمد إلى تجفيف سطر واحد !

وكما أن فرصة النشر لم تكن حينذاك أكثر من وهم يتأرجح ويضطرب في ذهني ؛ كذلك كانت هذه الفترة من الزمن أهنأ أيام حياتي ... فقد كان من الفكاهة المستملحة أن أخترع أناساً لا أعرفهم ، وأروى عنهم قصة فضفاضة الفصول ، ثم أعمد إلى تسجيل الاختراع والحديث في سطور ! ولقد سمعت بعد ذلك أنني طالما ضحكت في كتاباتي ضحكا طليقاً ؛ ولكني كنت أضحك من غير أن أعني ... ومن المحقق على أي حال أن كتابتي على تلك الحال لم تكن منجاة لي من الجمود أو الاستخذاء ! لأن الكاتب كلما كان مرحاً ، وكلما كان له أصدقاؤه وملاهي حياته ، وكلما كان مستمتعاً بمحاسن أيامه إلى غير حد — كان غير ذي حاجة إلى إجهاد خياله لافتعال المفاجآت والحوادث . على أن تفكيري كان حاداً بالتأكيد ، ولكنه لم يكن علمياً منظما . وكان تكوين جسدي متيناً . غير أن سلسلة من الأمراض الموهنة قد تركتني سقيم الجسد هزيلا ، غير قادر على مباشرة الألعاب الرياضية ، وكل حظي منها لم يكن — فيما سلف — أكثر من العبث بكرة صغيرة في شوارع « لندن » الخلفية ! غير أني كنت كثيراً ما أتروض بالسير على القدمين ، كما كنت أتطلع في سعة ، وأفكر في إتقان ، وأغشى مدينة « لندن » وريفها بين رفقة يفوقونني خبرة بالحياة ، كما كنت قليل الحفل بالمستقبل !

***

أستطيع أن أقرر أني لم أتوخ في كتابة « القلب السعيد » نهجاً خاصاً أدين به في الحياة الواقعة نفسها . كانت تروق لي نظرية « الاشتراكية » بيد أنني لم أكن أتحمس لها تحمساً فعلياً ولقد كنت في تلك الأيام ، حين كان رزقي خمسة وثلاثين شلناً في الأسبوع ، كما أنا اليوم ... بعد أن اتسع رزقي كثيراً ... شديد الايمان بأن كل إنسان إنما هو الذي يصنع دنياه الخاصة ! بغض النظر عن موارد رزقه . كما كنت ولم أزل شديد الايمان بأن السعادة إنما هي ذخيرة شخصية ، تصونها الطبيعة المرحة السامية أكثر مما تصونها الاعتبارات الاقتصادية ! وهذه الطبيعة المرحة هي التي جلوتها في شخص بطل « القلب السعيد » فلقد شرق في الأرض وغرب في غير كبير اهتمام وفي غير ما صراع أو جهاد ! ولكنه كان يتعقب الحب الذي يجده القارئ في آخر القصة ، ومثله الأعلى لم يكن يعدو الزواج السعيد ، وبيت الأسرة ، والأطفال ، في قناعة بالقليل ورضى بالواقع !

وحدث في عام ١٩٠٨ أن المستر « فيشر آنون » الناشر المعروف ، أعلن مسابقة قصصية عامة ، أرصد للفائز الأول فيها جائزة قدرها مائة كاملة من الجنيهات . وكان هذا القدر من المال خليقاً أن يسيل له لعاب مثلي ... ولذلك أنجزت كتابة قصتي « القلب السعيد » وتقدمت بها بين المتسابقين . وأعقبت ذلك نتيجة محتومة مرتقبة ، ولقد كان يرضيني أن أكون عاشر الفائزين إلا أنني لم أربح ... وكانت صدمة لي ، ولكنها لم تكن شديدة القسوة ، وبعد ذلك أتيح لي حظ نادر ...

كنت — كما قدمت — أعمل في ذلك الحين بمعض مكاتب النشر : أقرأ « البروفات » وأحرر بعض الرسائل ، وكان رئيسي في ذلك العمل رجل اسمه « فيليب لي وارنر » كان يعمل معي قبل ذلك في مكان آخر ، وكان قد قرأ لي من قبل قصتي القصيرة « الطريق الحق » . وقد اتفق أن سألني بعد فشلي في المسابقة ماذا أكتب ، فلما رويت له خبر المسابقة ودخولي بالقصة الأخيرة وفشلي ، طلب أن أطلعه على تلك القصة ، فأجبت رغبته . وبعد أن قرأها دفع بها إلى ثلاثة من أصدقائه الذين يعتد برأيهم . وإني أقرر هذا حتى لا يتوهم بعض البعيدين عن محيط النشر أن فيه سبيلا إلى التحايل . . . وبعد أن تلقى الرجل آراء أصدقائه هؤلاء طلب إلى إحداث بعض التحوير في القصة ، واعداً بنشرها بعد ذلك . ومن عجائب المصادفات أنه كاشفني بذلك في نفس اليوم الذي كنت أحيي فيه عيد ميلادي الرابع والعشرين !

***

تحدث كل الأصدقاء بحسن حظى ، وكانوا جميعاً يشكون في نجاح قصة أنا كاتبها . وقد جاء نجاحها مناقضاً عن كفايتى ! والحق أنه كان لى على الدوام أصدقاء يقفون فى صفى لمواجهة ما يكتنفنى من أخطار الغرور فى النفس ! ولم أكن أغضب لهذا أبداً . بل على العكس من ذلك ، كنت دائماً أعترف بما كانوا يغمروننى به من صفو المودة .

ولم يكن الكتاب « القصة » عملاً جيداً تماماً . فلقد كان مكتوباً فى سرعة فائقة وفى قلة اكتراث . وكان بذلك أبعد ما يكون من صفات العمل الأدبي الجدى ، وأبعد ما يكون من الجدارة بالكتابة عنه ، أو مديحه ، ولكنه على أى حال كانت تميزه ظاهرتان ينبغى أن يعنى بهما كل شاب يريد أن يكتب قصة؛ فقد كانت فيه جدة أصيلة ملحوظة ، فضلا عن اندماج المؤلف فى الشخصيات التى خلق منها أبطال قصته !

وبعد ظهور الكتاب ، بهرنى ما استقبلته به الصحف التى تحفل بفن القصة ، والحق أنها كانت رفيقة به كريمة عليه . فقد امتدحته كأنما يتفرد كاتبه بعبقرية من طراز خاص ! وقارنته بأعمال « ديكنز » الخالد ! وأسرفت فى التنويه بما فيه من أصالة وطرافة . بل لقد بلغ من كرم محرر « المانشستر جارديان » أنه قال « ... لقد بدأ المستر فرانك سونيرتن — أنا — أعماله الأدبية بإحدى الروائع . فقد جعل أبطال قصته في ارتباط وثيق ، كما أفاض عليهم حيوية ملحوظة ؛ وكل ما فى كتابه يعتبر هدية ممتازة إلى الفن القصصى من الشخصيات ، والطبيعة ، والحوار . وليس بعد ذلك من شىء يجعل القصة جديرة بالنشر ، خليقة بالاقبال !

ونفدت سبعمائة نسخة من الكتاب فى موسمه الاول ولم يكن هذا أمراً مرضياً تماماً . ولكنه لم يكن فى تلك الأيام نتيجة سيئة . فقد بلغ نصيب الناشر من ثمن هذه النسخ ثلاثين جنيها . بينما أخرج « أرنولد بينت » كتابه الأول فلم يكسب أكثر من جنيه واحد بعد أجر من وقع فصوله على « الآلة الكاتبة » ! واستأنفت الكتابة بعد ذلك ، لأن الناشر تلقى تشجيعاً كافياً لأن يتفق معى على نشر قصة أخرى . وهذه أيضاً حقيقة لها حظ من الأهمية . فان القصة الأولى للكاتب إن لم تكن أكثر من محاولة غير ناجحة ، فان قصته الثانية خليقة أن تكون بداية طيبة لاحترافه هذا الفن !

وأنا الآن لا أكتب قصصى بالسهولة التى كنت أكتب بها منذ ثلاثين سنة . والواقع أن الانسان كلما تقدمت به السن تزايد شعوره بصعوبة التمشى مع كل الأساليب ! وشعوره بتضاؤل استقلاله وحقوقه كمؤلف . ولكن ، حينما كنت أكتب قصتى « موسم الفكاهة » ، وأنا ابن ثلاث وخمسين سنة كنت أحس بذلك النشاط الذى كان لى حين كنت أكتب « القلب السعيد » قبل ذلك بثلاثين عاماً كاملة .

وحين شرعت فى كتابة هذا المقال لم أكن قد تصفحت كتابى الأول منذ ظهوره ، ولكنى وجدتنى مضطراً إلى ذلك حين هممت بتدوين هذا الفصل ، لأكتشف ذلك الموضوع الذي دارت عليه فصول كتابى الأول الذى أشعر بأنى مدين له ، إذ مهد لى السبيل إلى فن من الحياة لقيت فيه ألواناً من السعادة .

فرانك سونيرتن

جنون الأقوياء

للأستاذ عبد الرحمن شكري

ملكوا الأرض واستباحوا حِمَاها   واستطالوا بِجِنَّةِ الأقوياء[١]
وسعوا ينشرون في الأرض سرا   مُنْكَرًا في شريعة الأتقياء
تارة في الخفاء بالمكر يَعْدُو   ن وطوراً في جهرة العظماء
أهْوَنُ الوِزْرِ مَا أَتَوْنَ جهاراً   من صيال وقسوة وبلاء
والذى في الخفاء أقتل للنفـ   ـس وأقسى لصوله في الخفاء
إن رأوا نقص أنفس في خصوم   استزادوه بالأذى والدهاء
أفسدوا أمرهم ودسوا دُعَاةً   كى يَهِيجُوا تشاحن الأشقياء[٢]
واستمالوا سمع اللئيم بلؤم   زاده خِسة على الأدنياء[٣]
كصيال الشعوب بالمكر والكيـ   ـد وإنْ أحرزت صفاتِ العلاء
حَلَّلُوا للوشاة أن تشتفى من   لاعِجِ الحقد بالأذى والعداء
خدعتهم أرصادهم أم رأوا أَنْ   سماحا بشرهم كالجزاء[٤]
مَكَّنُوهُمْ مما أرادوا من الشـ   ـر جزاءً نَخوتِهِمْ والرياء
ذاك أنَّ العدوَّ أرخصُ شأناً
مِنْ تَحَامِى الإجحاف في الإيذاء[٥]
قَرَّظُوا العلم والحضارة جهراً   وتقَاةً لله أو للقضاء[٦]
ثم ساسوا بالختل في السر ما شا   ءوا وشاءت جوامح الأهواء
لا رقيبٌ على الخفاء ولا الصو   لةِ فيه ولا عديمِ الحياء
عدموه للكفر بالله والنا   س سوى ما رجوا من الآلاء

(١) جنة أي جنون بكسر الجيم
(٢) هؤلاء الدعاة هم عمال السياسة الذين يعملون في السر
(٣) أى يدرسون أماكن الضعف في أخلاق الأمم ويحاربونهم ويستدرجونهم ويخدعونهم ويؤثرون فيهم بأساليب السياسة الخفية من طريق أوجه الضعف في الأخلاق
(٤) الارصاد الجواسيس
(٥) تحامى الاجحاف التفادى من الظلم وتحامى متعدية وتفادى لازمة والمعنى أن العدو أهون من أن يمنعوا عمالهم السياسيين من إرضاء شهوات أحقادهم (٦) تقاة تقوى بضم التاء

عَلَّمَ العِلْمُ صائلا إنما النا   س كَنَمْلٍ سَوَاؤُهمْ كَسَوَاء
زعموا زعمهم وسموه علماً   واستطالوا بلؤم ذاك الذكاء
وأباحوا لِحِقْدِ كل وَلِيِّ   مُثْلِجًا نار إحنة الأحشاء[١]
ثم قالوا وسَطَّرُوا في ضمير   إنه من ضرورة الأشياء
قِسْ على ما بدا من الشر جهراً   في حروب ونزوة وعداء
ما أَجَنُّوهُ وهو أبلغ في الكِذْ   ب وفي كل قسوة واعتداء[٢]
وقديماً جُنَّ القَوِىُّ بما طا   ع له من تزلف الضعفاء[٣]
وضعوه في منزل الله كُفْرًا   فطغى واستباح سفك الدماء[٤]
ورأى الخير والفضيلة ما شا   ء وإنْ كان من أذى الأدنياء
ورأى الشر والكبائر ما عا   ف وإنْ كان سيرة الأبرياء
وكذا المرء وهو ليس وَلِيَ الـ   ـحُكم يطغى بنصرة اللؤماء[٥]
وسواء شعب وفردٌ وذو السلـ   ـطان أو سادر من الدهماء[٦]
صنعوا الشر حِسْبَةً ولوجه الـ   ـله ، شاهت وجوههم من رياء
أو لحقدٍ قد مَوَّهُوهُ بخير   وتباهوا بحسن ذاك الطلاء
أو برأى الأحرار صاغوا قيودًا
واستباحوا في الناس سفك الدماء[٧]
وجنون القَوِىِّ أقبح من قو   ة وحش يقوى بغير ذكاء
إيهِ لغز الحياة هل دورة الـ   ـشر والخير غير ذات انتهاء
لعبة ما أراه أم خَبَلُ الأ   نفس أم نزوة من الحمقاء
إحَنٌ في الحياة مثل خطوط   نسجوها في البُرْدَةِ السِّيرَاء[٨]

(١) الولى الناصر المخلص الموالى أى أباحوا لعمالهم السياسيين أن يشتفوا بأعمالهم في السر (٢) أجنوه أى أخفوه
(٣) مثل بعض الفراعنة أو امبراطرة الرومان مثل كاليجولا أو غيرهم وطاع ثلاثى لازم بمعنى دان له أما أطاعه فرباعى متعد
(٤) لأنهم كانوا يقدسونهم في العبادة
(٥) أى أن جنون الطغيان والقوة ليس مقصوراً على الامبراطرة والفراعنة بل يشمل كل من يجد نصراء يستعز بهم حتى ممن صغرت مرتبته
(٦) ويستوى في جنون القوة والطغيان الشعوب والأفراد، والسادر المستهتر الخليع والدهماء عامة الناس
(٧) برأى الأحرار أى باسم الديمقراطية أو الوطنية
(٨) السيراء المخططة بكسر السين وفتح الياء

فقدت نُهزَةَ الفنون هو الفنُّ   كنَخلٍ يشتار أَرْىَ الشقاء (١)

هل لِسِحْرِ الفنون أنْ دَلَفَ الدهـ   ـر وساغ الأنامُ لُؤْمَ البقاء (٢)

سحرها يترك اليَبابَ عمارًا   حافلا بالنعـــيم والآلاء (٣)

ويُحِيلُ الخسيسَ من معدن العيـ   ـش شريفاً بصنعة الكيمياء (٤)

عبد الرحمن شكرى

فلسطـــين

للأستاذ عبد اللطيف النشار

أتلك فلسطينية الكرْم فاسقنى   سلافاً غذاها بطن واد مطهر

سقانى نجيب جرعة فتمثلت   مناظر من شتى عصور وأدهر

كأنى أماشى الناصرىَّ وصحبه   إلى هيكل نائى الجوانب نير

لحطم ماالستعلى بها من زخارف   وهوّن أمر التائه المتجبر

تضاءلت الأحبار فى ذرواته   أمام عزيز ليس بالمتكبر

وذلت أنوف شامخات إلى الذرى   وضاق الثرى منه بكنز مبعثر

فلسطين هذى لايتيه بها الغنى   فبشر بذل كل خد مصعر

ومستضعف فيها قليل نصيره   يعود على الدنيا بنصر مؤزر

فلسطين هذى تنكر اليأس أرضها   وماهو فى أرض سواها بمنكر

رأيت بها الأموات تحيا فجاءة   أأرض فناء تلك أم أرض محشر

وعينين عمياوين دنياهما الدجا   تبلجتا مثل الصباح المنور

وأبرص تؤذى العين رؤية جسمه   فقرت به العينان من حسن منظر

وما كان عهد الله فيها لينقضى   ولا كان عهـد الله بالمتغير

عبد اللطيف النشار

(١) نهزة فرصة ويشتار يجمع العسل أو مادته والأرى العسل أو المادة التى تصير عسلا والمعنى هو أن الفنون فى الحياة تستخرج من آلام الحياة أقاصيص وعبرا وحكمة تصير لذة فنية تهون شقاء الحياة

(٢) دلف تقدم أى هل يسير الدهر والعيش سيرتهما لكي تتمكن الفنون من ابتكار سحر جمالها وهل يرضى الأنام بلؤم الحياة من أجل لذة الفنون

(٣) اليباب القفر المجدب (٤) أي أن للفنون كيمياء تحول مظاهر الحياة الخسيسة إلى مظاهر رائقة جيلة ثمينة فكأن الفنون فى عالم المحسوسات والمعقولات هى حجر الفيلسوف المنشود فى عالم الماديات

مناجاة صورة ..!

للأديب رفيق فاخورى

إليك أبثُّ رسيس الهوى   وأكشف عن جرحه فأذن

لديك الضماد فدَاوِ الجريح   ومُدَّ يد الراحم المحسن

تعهَّدْ جراحى ونحِّ الطبيب   فإن البــلاسم لم تغننى

لحاظك منها أشعّ الحياة   فيا عجبًا كيف لم تحيني

وهذا المحيَّا الحبيب الرواء   أثار شجونى فأشــقينى

وثغرك وهو معين الظماء   أجـــدَّ غليلى ولم يسقنى

***

جـــلاك المصوّر لى آية   حجبت سناها عن الأعين

وقلت : ألا فاسرحى فى الخيال   وهبّى على قلبى المـــدجن

هبوب الحياة على الهامدين   وعرف الورود على المجتنى

وصونى بهاءك عن لامس   وحسنك عن ناظر ممعن

***

نفارك أحــلى فلا تركننّ   إلى الناس يومًا ولا تسكن

فإنى أخشى عليك الغرام   وأشفق من دائه المزمن

على ناظريك دلال الصبا   ووجهك روض النعيم الجنى

وأنت ـ على قدرة فى الجنون ـ   أرقُّ وأندى من السوسن

ومثلك يغوى الخلىَّ البرئ   ومثـــلى عن صبوة لا ينى

***

تمتع بحسنك يا فاتـــنى   فعود صبائك قد ينحنى

وقد يخلق العمر هذا الجمال   وتذهبــــه غولة الأزمن

وتسرى الكهولة فى مائس   يطير له القلب إذ ينثنى

« حمص » رفيق فاخورى



عصمت اينونو

انتخب المجلس الوطني فى أنقرة القائد (عصمت إينونو) رئيساً للجمهورية التركية، وهو من نوابغ الترك، وقد قالت الصحف الغربية والشرقية إنه أعظم رجل عند القوم اليوم. ومما يعرف عنه أنه ذو أخلاق عالية، منها التواضع والحياء، وهو من بيت تقوى ودين، وأبوه ورع صالح، وقد ورث عنه شيئاً كثيراً، وبينه وبين أسرة عربية في فلسطين قرابة. وأذنه عن لغو الناس صماء ... ومن قول الأمير شكيب أرسلان فيه — وقد لاقاه فى لوزان حين ذهب إليها رئيساً للوفد التركي بعد الانتصار وذاك الصيت الحربي وكانت له فى المؤتمر تلك الشهرة السياسية:

« وجدت أعضاء الوفد التركي جميعهم يحملون حقداً على العرب حاشا عصمت باشا »

فهل تتلاقى فى عهد هذا الرئيس قلوب ألف بينها الاسلام وكادت تفرقها حوادث الأيام؟

***

ماذا يرى ج. ب. بريستلي؟

لخصنا للقارئ فى الأسبوع الماضى رأى برنرد شو فى شباب هذا العصر ووسائل التعليم فيه. وكان أهم ما عرض له شو أنه لا يعترف لأحد من معلميه في شرخ شبابه بفضل عليه، وأنهم كانوا آلات شيطانية لكبت غرائز التلاميذ وكف أذاهم عن أمهاتهم لا غير، وأنه لا يذكر مدرسته الأولى بخير سواء أكانت مدرسة أو جامعة، وهو يفضل تعميم المدرسة الابتدائية كرحلة أولى لتثقيف النشء ولا يرى مانعاً من تدريس المواد الجافة لأنها تنفع فى المستقبل وضرب لذلك مثلا بجدول الضرب وأوصى بضرورة لباقة المدرس فى تدريس هذه المواد، ثم تكلم عن الجمع بين الجنسين في غرفة الدرس فلم ينكره بل حتمه، وذكر الكتب التى كان لها أكبر الأثر فى توجيهه الأدبي فخص ألف ليلة وليلة والكتاب العربى الخالد ورحلة الحاج لجون بنيان وروبنصون كروزو لديفو وختم حديثه بضرورة تعليم الخط على أن يكون مادة مستقلة

وقد اطلعنا بعد ذلك على رأي ج. ب. بريستلي فرأيناه يعتذر عن الاجابة عن هذه الأسئلة (بالقطاعى!) لأن الأسئلة (القطاعى) أو التى لا رابط بينها تربكه، ثم هو لا يستطيع أن يبدى رأيه بصراحة فى مدرسى المدارس إطلاقاً لأن أباه الذى ما يزال حيًّا يرزق ما يزال مدرساً فى مدرسة أولية كذلك ... وفى قوله هذا جزء من رأيه ... وقد ذكر أن أبناءه تلاميذ فى مدرسة داخلية وقد اختارها لهم لا عن تفكر وتفضيل، بل مدفوعاً بتيار العصر والعرف! أما أحسن ما يجب أن يتحلى به المدرس فهو أن يكون ذا حماسة لفنه ومقدرة طبيعية على النقد بحيث يؤثر فى تلاميذه وينمى فيهم غرائز النقد والذكاء والبصر بالأشياء. ثم نعى على المدرس أن يكون متحذلقاً موحشاً ... ولا جرم فهذا المدرس يكون قليل الثقافة قليل الخبرة، وعلى ذلك يكون أخيب المدرسين!

وبريستلي يحبذ الجمع بين الجنسين فى التعليم على شريطة أن يفصل بينهما بعد الرابعة عشرة. أما ما يؤخذ على شباب هذا الجيل من الكسل والفظاظة وانعدام روح المجازفة، فهو لا يرى ذلك ولا يوافق عليه ويعزو القليل منه الملاحظ فيهم، إلى روح العصر نفسه، لأن روح العصر حببت إلى الناس الترف والعيش على هامش الحياة دون التوغل فى أعماقها، ولذا لا يلومهم على أنهم قُنَّع ... لأنهم إذا عدوا طور الشباب إلى طور الرجولة أقبلوا على مصاعب الحياة وتمرسوا بها، فلو علمناهم قليلا من النظام لظفروا بكل ما واجههم فيها

١٣ نوفمبر والأدب

ممـا يؤسف له أن تصدر مجلاتنا الأدبية وليس فى واحدة منها إشارة إلى ١٣ نوفمبر. ولسنا نستثنى الرسالة من تلك الملاحظة بل نحن نكاد نخصها بها لأن ١٣ نوفمبر هو يوم فاصل فى حياتنا

ومع ذلك فقد صدرت الرسالة مساء ذلك اليوم وليس فيها إشارة إليه ... والمجلات الأدبية تعد ثبتا للحوادث وسجلا لتوقيات الأمة، ولم يكن أولى من الرسالة بأن تكون كذلك . ثم نحن نبحث عن صوت الأدباء فى ذلك اليوم فلا نكاد نسمع لهم ركزا ، مع أن اليوم هو يومهم قبل أن يكون يوم الساسة الذين أقاموا السرادقات ليطعن بعضهم بعضا وليوجه بعضهم إلى بعض أقذع ألوان السباب والتشهير والشتم، وهم فى ذلك ينسون أنهم قادة أمة وزعماء شعب وكان أليق بهم ألا يظهروا بهذ المظهر الزرى . ولكن المسئول عن هذا هم الأدباء لأنهم سمحوا للسياسة بأن تطغى على الأدب فى هذا اليوم المقدس الرهيب الذى يحمل للأمة ذكرى جهادها .. وتلك ملاحظة عسى أن تنفع فى السنة الآتية د . غ

(الرسالة) : وقع عيد الجهاد في يوم الأحد ، وهو يوم خروج الرسالة من المطبعة، فلم تستطع أن تقول كلمتها في العيد؛ فلعل في ذلك عذرا لدى الأستاذ

دار العلوم وكلية اللغة العربية

الذى ينكر فضل دار العلوم فى نهضة اللغة العربية فى الشرق الحديث هو ضال جاحد قلبه ، ولكن الذى ينكر أن كلية اللغة العربية هى شئ عظيم جدا فى حياة الأزهر الحديث هو رجل لا يتصل بنهضة هذا البلد ولا يدرى عن أطيب ثمارها شيئاً ... فكلية اللغة العربية التى لا يدخلها إلا حامل ثانوية الأزهر والتى يدرس الطالب فيها لباب هذه اللغة وآدابها ثم يعود فيتخصص فى التربية أو علم النفس أو أدب اللغة أو التاريخ على نخبة من جهابذة العلماء المصريين من رجال الجامعتين ودار العلوم ... هذه الكلية هى منشأة جديرة بالاحترام والفخر والعطف ... ومصر مع ذلك فى حاجة إلى المعهدين معا ، وكنا نطمع فى أن تشتد أواصر المحبة والعلم بينهما بجامع الثقافة ووحدة الغرض ، لا أن تدب عقارب الغيرة بينهما فينتقص أحدهما الآخر من أجل مناصب التدريس فى معاهد الحكومة .. ونحن نرى أن تتدارك الحكومة هذه الحالة فتجعل مناصب التدريس الخالية فى معاهدها قسمة عادلة بين المعهدين . . . على أن لنا رأيا فى ضم المعهدين سنبديه فى حينه

عناية وزارة المعارف العراقية بحركة الترجمة والتأليف

قالت جريدة الأخبار البغدادية : —

وجهت مديرية التربية والتدريس العامة بوزارة المعارف فى بغداد كتاباً إلى كل خريج مدرسة عليا من الشباب الدارس فى خارج العراق يتضمن تنبيه معالى الأستاذ رضا الشبيبى وزير المعارف فى تنشيط حركة الترجمة والتأليف، وقد رجت من هؤلاء الشبان المتعلمين أن يقوم كل منهم بتعريب الكتاب الذى يختاره فى موضوع اختصاصه على أن يكون فى نشره فائدة علمية فى خدمة الثقافة فى العراق والبلاد العربية عامة . على أن يقوم المترجم بأعلام مديرية التربية والتدريس بالكتاب الذى وقع عليه اختياره قبل الشروع فى الترجمة .

وفيما يلى نص كتاب وزير المعارف فى هذا الصدد :

لوحظ أن حركة الترجمة والتأليف العامة فى البلاد ضئيلة الانتاج، ولما كانت هذه الوزارة حريصة جداً على تشجيع الانتاج العلمى وعضد حركة الترجمة والتأليف بجميع الوسائل المستطاعة نرى أن تذيعوا على كافة خريجى الجامعات والمعاهد العلمية العالية سواء كانوا موظفين فى هذه الوزارة أو غيرها أن هذه الوزارة على استعداد أن تعاضدهم فى نشر ما يقومون بترجمته من الكتب القيمة كل فى موضوع اختصاصه إما بشراء حق الترجمة إن قبل تقرير الكتاب فى المدارس أو بغير هذه الطريقة. هذا على شرط أن تقتنع هذه الوزارة بأن العمل يؤدى إلى خدمة نهضتنا العلمية أو الفنية فى العراق .

أمة عربية تزول !

كان للكلمة الوجيزة التى كتبناها عن مصير طرابلس الغرب تحت حكم الدوتشى (حامى الاسلام !) صدى قوى فى البلاد العربية فثارت النفوس بالاستنكار، وتحركت الألسن بالاحتجاج، وتردد ذلك كله فى الصحف الحرة اليقظى ، وسنقتطف منها نبذا تدل على قوة الوحدة الشعورية فى الأقطار العربية :

قالت جريدة (الرأى العام) العراقية تحت عنوان (طرابلس - رقة ضحية الاستعمار الايطالى) بعد أن نشرت قرار المجلس الفاشستى بضم طرابلس الغرب إلى إيطاليا :

« إننا نقف موقف المتفرج على ما يراد بقوم هم من العروبة فى الصميم ، وقد كتبوا صفحات نضالهم ضد القوة الاستعمارية الغاشمة بدمائهم الكريمة ، فأية غضبة أعلناها فى سبيل طرابلس الغرب العربية وهى تتمزق إرباً؟ وأية مظاهرة قمنا بها لنعلن سخطنا ولو بالمظاهرات على هذه الهمجية التى تفرضها دولة مستعمرة هى من ألد أعداء العرب على قطر عربى استنجد بنا ألف مرة ومرة وناشدنا النجدة والمعونة؟

لحد هذا اليوم نخلع على بعض رجالات العرب صفات البطولة لمواقف مجيدة كانت لهم ضد الاستعمار الايطالي أيام الدولة العثمانية غير العربية ، أفلا يكون شيء من ذلك أثناء وجود دول عربية ذات مراكز قوى إن لم تتمكن من حشد الجيوش وجمع الجموع فهي غير عاجزة عن رفع صوتها وإعلان احتجاجها على الأقل ؟ أو يعيش رجال من العرب على حساب البطولة « العربية » في أيام العهد « العثماني » غير العربي وهم أتباع ، بينما لا تكون لهم تلك البطولة عينها أو بعضها وهم سادة وزعماء في بلدان عربية منبعثة من جديد ؟ وما معنى هذا ؟ وأية قومية عربية هذه ؟

لا مفهوم للوحدة العربية التي نتغنى بها إذا كانت طرابلس الغرب أول ضحايا الاستعمار الوحشي من البلدان العربية لا مدلول لها في منطق « الوحدة » ولا يعنينا أمرها بشيء ، ولا تهزنا مأساتها الدامية . لا مفهوم للوحدة العربية ما دمنا لا نهاجم المستعمرين والمفترسين البلدان العربية على حد سواء . إن هذا الأمر بعيد جداً عن الوحدة بل عن الوطنية « ما دمنا نقول بوطن واحد عربي » بل بعيد عن صفات العروبة ومزاياها .

وقالت في موضع آخر :

في جزء غال من أجزاء الوطن العربي المقدس يعيش شعب عربي أبي في بحران من الظلم الفادح والاستبداد العنيف .

شعب أعزل من كل شيء غير قوة الإيمان ، شعب فقد كل شيء غير الشرف ، لا يزال يقاوم الخطر الذي يكتسحه ، ويرد عن العروبة الداهية التي تدهمها ، شعب من هذا الطراز يعتقد أن على العرب واجبا نحوه يجب أن يؤدوه ، وفرضاً له يجب أن يقضوه

إن تأييد الشعب العربي الطرابلسي البرقاوي في نضاله ضد الاستعمار الايطالي الفاشستي أمر محتم على كل عربي يتألم لألم إخوانه العرب ويخشى المصير الذي صاروا إليه ، لأن عطف العالم العربي على المناضلين الطرابلسيين وتأييده لهم يزيدهم قوة فوق قوتهم وإيماناً على إيمانهم

ويفهم في الوقت نفسه المستعمرين أن قضية الطرابلسيين هي قضية العرب أجمعين ، وأن على الذي يريد صداقة العرب أن يصادق إخوانهم الطرابلسيين لا أن يتزلف إليهم بيد ويبعاش بالأخرى باخوانهم . . .

حول مقال

سيدي الأستاذ الزيات

تحية وسلاما وبعد فقد قرأت يا سيدي ضمن ما أقرأ لك ما كتبته تحت عنوان « شيطان » في عدد الرسالة الغراء رقم ٢٧٩ . والحقيقة أنك قد أتيت على وصف هذه المأساة أدق وصف وحللت شخصياتها أوضح تحليل . وأغلب الظن بل ومما لا أشك فيه أن هذه الصورة ليست من نسج الخيال إنما هي بنت الحقيقة ، وليس من الغريب أن تقع أمثال هذه المآسي في بلدنا هذا بل إنها واقعة فعلا في معظم البيوتات المصرية سواء منها الكبيرة أو دونها كل على قدر ما نال . وقد أصبح هذا الداء هو « داء العصر » ولا بد أنك ياسيدي الفاضل ترى معي أنه داء عضال لا يرجى برؤه إلا إذا لحظته العناية وقيض الله له نطاسيا بارعا يستخرج المصل الكافي لقتله — وهذا حسبنا — أو على الأقل يكون واقيا لبقى المجتمع شره الوبيل

وإني لأضع هذه الرسالة في عنقك فلأنت خير من يرسل لرفع لوائها وينفث في الأمة روح المرونة والتوازن بين عادات الغرب الضارة وبين عاداتنا الشرقية الكريمة كي تصلح الشئون ويسعد القوم

والسلام عليكم ورحمة الله

قارئ

توحيد برامج التعليم في الشرق الاسلامي

نشرت الصحف مقالا للأستاذ الجليل محمد العشماوي بك عن توحيد برامج التعليم في الشرق العربي تناول فيه تاريخ الثقافة العربية بعد الاسلام مشيرا إلى الوحدة في الأصل والطريقة والتفكير والغاية التي كان يسير عليها التعليم في مدارس بغداد والبصرة ودمشق والقاهرة وتونس ، ثم ذكر نهضة العلوم الحديثة وتبدل روح العصر وما ينبغي لمصر أن تقوم به لتضطلع بحق بالزعامة التعليمية في الشرق العربي فاقترح أن أن تعنى المدارس المصرية بدراسة أحوال هذا الشرق وعاداته وتاريخه ودعوة بعض أفراده من شعوبه المختلفة للدراسة في مصر على نفقة المعاهد المصرية وغير ذلك من الوسائل التي تسهل توحيد البرامج في بلدان الشرق فيما بعد ، والتي لا يمكن تنفيذ المشروع بدونها . والمشروع بعد هذا جميل وليس خيالياً كما يظن دعاة استقلال القومية المصرية أو المعارضون لفكرة اتحاد الشرق العربي لأنه لا يضر وطنيتنا في شيء ، بل هو يقويها ويزيد في مقوماتها ويفتح أمام شبابنا ميادين فسيحة لخدمة إخواننا وبني عمومتنا في الممالك الشرقية . ونحن لا نشك في نجاح هذا المشروع ما دام قد نال عناية الرجال المسؤلين



أفاعي الفـــــردوس

ديوان الأستاذ الياس أبو شبكة

بقلم الأستاذ فليكس فارس

ديوان يحوى ثلاث عشرة قصيدة من شعر الأستاذ إلياس أبو شبكة نشرته جريدة المكشوف البيروتية فاسترعت نبراته الأسماع، واستوقفت معانيه تفكير المتأملين

إلياس أبو شبكة نسيج وحده بين شعراء العرب اليوم. ولا أقصد بهذا الوصف أن أرفعه فوق أترابه، فهو وإن كان فى الطليعة من نسور الخيال، لا يسبقهم تحليقاً، ولكنه يند عن سربهم نافراً من خطوط الأنوار فى أجوائهم إلي مسارح النيوم السوداء فلا يدور إلا فى مقاصف الرعود، ولا يطوى جناحيه إلا ليحط قوادمه على أدواح الغابات الموحشة أو على فوهات البراكين

أبو شبكة نسر ثائر مروع لا تستهويه سقسقة الجداول ولاعيون الأزهار ولا ناهدات الأثمار على الأماليد، وليس فى إنشاده تغريد بلبل أو غناء شحرور. إن للنسر صرخات مدويات لا يأنس لها إلا من يتعشق ولولة الرياح على القمم، وهدير الأنهار فى الأغوار

سمعت أبا شبكة يرسل أوائل صرخاته فى القريض وأنا أحول أنين بلادى الخافت إرعاداً أطلقه من قمم المنابر، فكأننى سمعت جباراً إنشاده قرقعة سلاح، وأشعاره خطب قيودها دروع لازرد أغلال

ولو أن أبا شبكة لم يمد جناحيه إلى آفاق الدنيا ولم يطلق نظراته على مجالات الشعر فى المجتمع الانسانى، لو أنه حصر تشاؤمه وثورته فى حدود بلاده ولم يصطدم بالمواثر من آمال متقدميه، وقد ملأت منعطفات المصاعد كأنها أشلاء، لكان هذا الشاعر يتيه اليوم على أرض الناس لا أرض أجداده، لكان اختار له منفى أو اختير له منفى

من أوائل قصائد هذا الشاعر أبيات وجهها إلى منذ أربع عشرة سنة يشكو بها الحياة وهو لما يزل على عتبة الشباب وقد نشرتها جريدة الشعب، ويلذ لى بل أرى من دعائم بحثى أن أقتطف منها بعض أبيات:

قال مفتتحاً:

أشكو إلي قلبك يا سيدى ... قلباً ثوى فى حظلى الأسود
أطلقته طفلا ولما نما ... أصبح محتاجا إلى مرشد

وقال:

فارس، ما للحر من راحة ... فى وطن يرتاح للأعبد
ويل الشباب النضر من قلبه ... إذا أضلوه ولم يهتـــد
يا شاعر الآلام هذا دمى ... ذوبته شمعاً على معبدى
هذى شكاتى ياخطيب العلى ... أرفعها للرجل الأوحد
وجدت فى نفسك مالم أجد ... فى أنفس مخمدة هجد
لامست فى أنّاتها ثورة ... أخمدت النار ولم تخمد

***

هذه الأبيات يزفر بها صدر فتى لم يبلغ العشرين، فيها شرارات من اللهيب المندلع اليوم من كل بيت يرسله أبو شبكة، وإننى لأغتفر له الآن إغراقه فى وصفى بالرجل الأوحد لأنه كان وهو يتلفت إلى فى ثورته يناجى ما كمن فى نفسه من مُثل يهفو إليها

وقبل أن أعرض لديوان « أفاعى الفردوس » أرى أن أقف عند قصيدة الحجر الحى التى أنشدها صاحب هذا الديوان أمام تمثال المغفور له « فوزي المعلوف » فى حفلة إزاحة الستار عنه فى السنة الماضية، فأقتطف منها نماذج لاستقرار الالهام وتطور البيان

أطبق جناحيك معقوداً لك الظفر ... فقد وصلت وشوط المجد مختصر
ماضر وكرك أن تأتيه منطفئاً ... ما دام قلبك فى جنبيه يستعر
عيناك فى الحجر المصبوب ساهرة ... يقظانة فيهما أحلامك الغرر
تواجه الليل هول الريح صاخبة ... ماضرك الذئب جوعاناً ولا النمر

نيران عبقر في عينيك إن مردت ... هوج الدجى فعلى عينيك تنصهر
مهما طغى الليل لا تشقيك زوبعة ... إلا على جانبي وقبيك تنصهر
يقظان والناس عمى في مراقدهم ... سيان ناموا على ذل أم احتضروا
عار علينا تنام الليل هانئة ... عيوننا وعباب الليل معتكر
لم يبق من رومة إلا صغائرها ... ومن قياصرها إلا دمى كسر
رفعت عنك ستار الناس منتفضاً ... أيحجب الخلد من يفنى ويندثر
هذى الستارة كانت في تشددها ... عليك آخر قيد شده البشر
كأنها وهي تنضى خلعة كذبت ... من الفناء لحاء عنك ينقشر
منذ ابن مريم والأكفان هاوية ... عن النبوغ وصخر القبر منحدر
كم في بلادك من نفس تود على ... وقح عورتها أن تسدل الستر

وبيت الختام هو هذا :

لرب حيٍّ غدا في قومه حجراً ... ورب ميت غدا حياً به الحجر

هذا أنموذج من شعر أبي شبكة أخذناه من الأماليد ومن الجذوع وكلاهما صلب كالأرز ينقصف عوده ولا يلتوى

وإلى الشعراء الآن مقتطفات من ديوان أفاعي الفردوس ، الديوان الحامل أسلوباً لا يمكن لأحد أن ينكر جدته وروعته . وقد جاء أبو شبكة بطابع مستحدث في الشعر العربي سيبقى هو عميده الأول حتى في الزمن الذي سيكثر فيه أشياعه ويفوقون فاتح وهاتك أستاره

لم يشأ شاعرنا أن يتقدم بديوانه دون تمهيد نثري بسط فيه رأيه في الشعر فجاء بنظرات صائبات تسلسلت في درس عميق يطل فيه من شخصية شاعر حكيم له ثقافته واطلاعه الواسع وأحكامه كشرقي مستقل في مبادئه لا يؤخذ بالتيار الغربي الذي يجتاح إلهام عدد وفير من الشعراء في هذا العهد

اسمع أبا شبكة كيف يواجه مسألة الاستلهام في أوطانه :

« وإنني لأسأل ماذا ترانا نستطيع بهذا القاموس الضيق ، هذا القاموس المتورد ، نتشبث به للتعبير عن أعمق حقائق النفس فترفع الكلفة بيننا وبين اللغة ولا نتورع عن سلوك مهامه غائمة كأننا في حلم؛ وقد يخيل إلينا ونحن نسلك هذه المهامه أننا نسير في الطريق الشعري السوى بينما نحن في الحقيقة لا نحاول إلا الخروج عن أنفسنا مستعبدين لنظريات خاطئة بل مضرة نحرر منها حتى مبدعوها أنفسهم »

إلى أن قال مستنتجاً :

« فالمدارس الشعرية سجون، ونظرياتها قيود، والشاعر لا يعيش في جو العبودية هذا؛ فالطبيعة هي جوه الفسيح تتكيف إحساساته بتكيف المظاهر المتقلبة فيه، وإذا خرج الشاعر عن هذا الجو خرج عن نفسه وكذب على نفسه »

هذا ما يقوله أبو شبكة عن المدارس الشعرية التي حسن لدى الغربيين أن يدعوها مدارس. وإنا نرى الفرصة سانحة في معرض هذا البحث لنقول كلمة موجزة عنها وعن الخطأ في تصورها وتسميتها

إذا صح أن نطلق مدارس على المذاهب العلمية والفلسفية فهل يصح أن نطلق هذه التسمية على أساليب الشعراء في بيانهم وعلى ما تستلهمه الأنفس من سرائرها ومما حولها من المشاهد ؟

إن أتباع المدارس العلمية والفلسفية ينقسمون أرهاطاً على عقائد معينة تختلف إحداها عن سائرها اختلافاً بيناً ، فهنالك طرائق وأوليات يسلم بها أشياع كل مدرسة كأنها قانون إيمان إن جنح عنه واحد منهم خرج حتماً من رهطه ليدخل في رهط مدرسة أخرى. وأين في الشعر مثل هذا الاجماع مادامت السليقة وحدها هي المتحكمة في خواطر الشاعر وإحساسه ولهجته وطريقة بيانه ؟

لذلك يقول لك أبو شبكة :

« إن بول فاليرى الذي جاءنا بنظريات خلقت في الأدب الغربي جيلا مضعضعاً لم يحد عن صراط « ماليرب » ولم يتمرد على القاعدة الكلاسيكية في النظم؛ وإني لأجد في شعر فاليرى أبياتاً يستطاع دسها في شعر لامارتين»

إن التضعضع الذي يشير أبو شبكة إليه إنما تشاهده بين فئة المتأدبين والمتشاعرين في كل أمة، لأن المشتهرين في كل نوع من أنواع الفنون ينتصبون في خيال محاولي الابداع مثلا عليا يطالبونها بخلع العبقرية عليهم كمكافأة لتقليدهم وتصنعهم

أما الفنان الحقيقي فإن طابع شخصيته يتغلب على جميع المؤثرات التي تدور به والخاطرات التي تتسرب إلى سريرته من مطالعاته، فهو يريك أبداً سيماء في إنشائه، ويسمعك نبراته في موسيقى بيانه ، حتى ولو تجلت في أقوال من تقدموا وعاصروه من أهل فنه

إذن ليس في الفن — وأخص منه البيان على الاطلاق — ما يصح أن يدعى مدرسة؛ وإن كان هنالك من هم بحق أساتذة، فليس لهؤلاء الأساتذة تلامذة بمعنى التلمذة الصحيح، إذ ما يمكن لطالب الأدب أن يستفيد من أدب معلمه سوى تقليده والسير في ركابه إذا لم يكن لهذا الطالب شخصيته المستقلة التي تجرى في مسالكها مقتبسة من كل ما يدوى في أجواء الأدب من نبرات العبقرية دون أن تجارى أحداً وأن تقلد أحداً

من الذين تسنموا ذروة الشعر في النهضة الحديثة شعراء تنفى



كلمتان فى الفرقة القومية
وفى رواية كرنفال الحب

ليس فى الأدباء ، ولا بين أكثرهم تشاؤماً من الفرقة القومية وأشدهم يأساً من استصلاحها — من يتمنى لها الراحة الأبدية، بل بالعكس كلهم يرجو أن تعصف بهـا عاصفة خريف تهيء قابليتها لحياة جديدة فى ربيع مقبل

لتشاؤم الأدباء ويأسهم أسباب وجيهة أوضحوها فى شتى المناسبات ، ولكن القائمين بأمر الفرقة كانوا يختلقون الأعذار لهؤلاء « المتذمرين المستائين » يعزونها فى الغالب إلى أغراض ذاتية ، فى حين أن ليس هناك متذمر أو مستاء ، كما طاب لمدير الفرقة أن يحرف الوصف تخفيفاً لوقع التشاؤم واليأس فى النفس ، أو أغراض ذاتية ، بل هناك كثرة من الأدباء يائسة كل اليأس من استصلاح هذه الفرقة القومية

ليس بمستغرب أن يفيض مدير الفرقة بالأحاديث ينشرها فى الصحف محشوة بالوعود الحلوة والأمانى الزاهرة ، بل المستغرب أن يكرر هذه الوعود على نسق واحد فى مطلع كل موسم للفرقة وعند اختتامه ذاهلا عن أدباء غيورين على هذه المؤسسة الأدبية يراقبون سير أعمالها حباً لها ، لا سيما وراء غرض كما يتوهم حضرة مديرها الهمام

أما سمعته يقول فى جريدة البلاغ: « يمكننى أن أؤكد أن الفرقة القومية سائرة فى طريقها ، ونحن نعمل لاستكمال كل نقص لاحظناه فيها ؛ ونحن نعلم الآن العيوب التى فينا وسنعمل على علاجها بالقدر المستطاع حتى تصبح الفرقة قادرة على تأدية الرسالة التى تأسست من أجلها » وأنت لو ناقشته الحساب على هذه الأقوال لسمعت منه قولا فى المخرجين والممثلين والمؤلفين والمعربين

الاشارة إليهم عن ذكرهم، وقد كان لكل منهم طابعه الخاص، فما كان أسلوب حافظ ليشبه أسلوب شوقي مثلا، غير أنك تجد عشرات من الشعراء قلدوا الأول وعشرات قلدوا الثانى فنظموا على وتيرة كل منهما دون أن يبلغ واحد منهم مرتبة أمير الشعراء أو مرتبة شاعر النيل .

وإننى لا أزال أذكر ما شاهدته من ظاهرة التقليد هذه أيام إعلان الدستور حين تسنم المنابر عدد قليل ممن استوحوا الساعة فألهموا البيان الهاماً، إذ لم تمض أسابيع حتى غصت المنابر بالمتلذين فكنت تسمع أصوات أمراء المنبر وتشهد حركاتهم تقليداً، فمنهم من هو صورة مشوهة للريحاني، ومنهم من تلبس خيال الغلاييني أو محاعص أو . . . ولكننى لم أر واحدا من هؤلاء المقلدين الذين استنامت شخصيتهم الباهتة للاستهواء بلغ مقاماً له شأنه في مراتب الخطابة

وهنالك ظاهرة أخرى فى الفن الغنائى قد تدهشك إذا أنت انتبهت لما يسمعك إياه المذياع كل يوم من أصوات عديدة لأم كلثوم تخرج من حناجر عشرات المغنيـات ، ومن أصوات عديدة لعبد الوهاب يسمعك إياها عدد من المغنين يتزايد يوماً فيوما .

هذه هي المدارس فى الفن، وما هى إلا عبارة عن تجمع كتل من المقلدين حول الأفذاذ النابغين، فما أقل عدد الهاتفين بأصوات تعلق دماء القلوب فى نبراتها ، وما أكثر الصخور الصماء تدوى فى فراغها الأصوات تقذف بنبرة لتخنق نبرات .

هذه كلمة أؤيد بها نظرية صاحب ديوان «أفاعى الفردوس» فى إنكار المدارس فى الفن ، أو بالحرى فى إظهار هـذه المدارس على حقيقتها . وما كان أبو شبكة إلا من الثائرين على التقليد والحدود ، وهو فى شعره أصل مستقل لا يعرف لشعوره حداً إلا ما ينشأ من شعور نفسه

« البقية فى العدد القادم » فليكس فارس

أشد مما قاله مالك فى الخمر بأسلوب شعرى يلف به اللعنات بلفائف من حرير، ويتعمد تحاشى ذكر لجنة القراءة صاحبة الرأى فى إقرار الرواية قبل تمثيلها كما يتحاشى ذكر أعماله وهو المسؤول الأول والأخير عن تقديم الرواية وعن إعطاء الحساب عن وقعها فى نفوس الناس ومبلغ أثرها فيهم

أكتفى الآن بهذه الكلمة لأقف عند الرواية التى اختارتها الفرقة لحفلة الوسم ، الوسم الذى قال فيه مدير الفرقة قبل أزوفه « إننا ننظر للمستقبل أكثر مما ننظر إلى الحاضر »

الرواية واسمها « كرنفال الحب » تأليف شارل ميريه وتعريب الأستاذ محمد خالد (كذا) تدور حول فتاة ربتها فى الدير أمها المثلة رامية من وراء ذلك إلى جعلها صالحة للزوجية فالأمومة كيلا تذوق طعم الحياة التى ذاقتها هى . فلما شبت الفتاة وزايلت الدير تعرفت فى بيت أمها بشاب علقت به وذهبت معه إلى أقصى حدود اندفاعات الشباب

يتقدم كهل غنى فى طلب يد الفتاة من أمها ، فتفرح لهذه السعادة ، فتستدعى ابنتها لتزف إليها بشرى الحظ السعيد فتجيبها الفتاة بأنها تحب شاباً وهو يحبها وأنه سيتزوج بها ، ولكنها عند ما تفاتح الحبيب بالزواج يداور ويتهرب من المسؤولية فتثور ثائرتها ثم تطرده من بيتها وقتما تصام عن سماع اعترافها له بأنها ستصبح أماً وأن ابنه ينبض فى أحشائها ، وتعود إلى أمها تعلن لها رغبتها فى الزواج من الكهل الغنى مشترطة أن يتم الزواج فى أسبوعين

ترقد الزوجة على جرح الحب ، وتوهم الزوج أن ولدها من صلبه . وفى حفلة رقص تنكرية يظهر الحبيب لجاءة لحبيبته وهو متذرع بذرائع إذكاء العاطفة النسائية وغيرتها الدائمة الاضطرام ، فتلتهب فيها شعلة الحب القديم وتتخاذل فيها فروض الزوجية أمام دواعى الحب

تثور الظنون فى صدر الزوج وهو كهل ، وعاقل ، وحكيم ، وإذ يتأكد أن زوجته ما برحت تكتم الحب الأول وتحن إلى حبيب الشباب ، وهى تفتديه بكل ما تملك ، يعمل على استصلاح سيرة حبيبها الأفاق فينجيه من ورطة مالية كادت تؤدى به إلى السجن ، ويجمع بينهما فى بيت واحد ، ثم يعلن إخلاء السبيل لهما يتمتعان بثمرة الحياة لأنهما شابان متحابان .

هذه خلاصة لموضوع الرواية الذى أتجنب التعليق عليه لأنه يمثل ناحية من صور الحياة الباريسية طاب للفرقة عرضها فى مستهل موسمها . فاختيار الرواية منوط بمدير الفرقة ، والمدير يقول إن للفرقة رسالة وإنه عامل على تحقيق الرسالة . فهل رأى ووجد فى هذه الرواية « الكرنفال » جميع المزايا التى تحقق رسالة الفرقة وتوائم المزاج المصرى ؟ وهل هو الذى فرض ترجمتها تحقيقاً للخطة التى اختطها وأعلنها فى أحد أحاديثه فى جريدة البلاغ إذ قال ما نصه « إن عمل الفرقة الآن يمكننا من توزيع العمل بانتظام ، وترجمة الروايات بناء على طلبنا ، وذلك بأن نمهد إلى شخص معين بترجمة إحدى الروايات التى نراها صالحة لأن تمثل على المسرح » أو أنها فرضت عليه فتقبلها طائعاً راضياً ليقول كعادته « والله يا سيدى هذا اختيار لجنة القراءة وليس اختيارى أنا » ليتنصل من كل تبعة ومسؤولية ؟ ؟ أرجو أن يجيب حضرة المدير على هذه الأسئلة لينير لنا السبيل .

***

أما المسرح فقد ظهر فيه روح جديد ، وإن سرنا أنه شمل الاخراج والاضاءة وحركات الممثلات والممثلين إلا أنه ساءنا بطغيانه على طبيعة التحدث فجعلها تفتعل النسق الباريسي فى كر الكلام ولفه وإطلاقه بسرعة إلى حد أننى كنت أفقد جملاً بأكملها تضيع المعانى معها .

أريد ألا أنسى أن المخرج فرنسى ، والرواية فرنسية ، ومزاج المدير مزاج فرنسى ، فلا بدع أن تملو السحب الفرنسية جو مسرحنا المصرى . وهذا يفسر لنا معنى اقتصار الفرقة على تمثيل أربع روايات فى هذا الموسم ، منها اثنتان معربتان ، وواحدة مقتبسة فى وسع المخرج الفرنسوى استيعابها وإخراجها على وجه صحيح ووضع فنى مستحب .

ابن عساكر



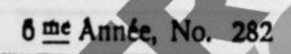


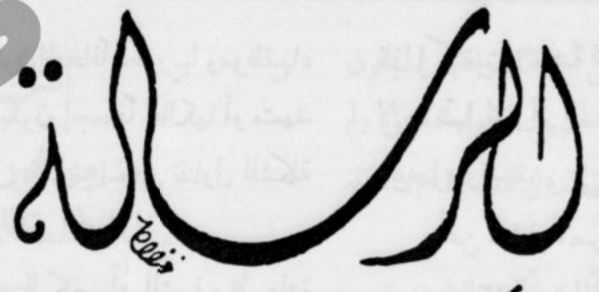
6 me Année, No. 282

Lundi - 28 - 11 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة





ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٢٨٢ « القاهرة فى يوم الأثنين ٦ شوال سنة ١٣٥٧ — ٢٨ نوفبر سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

إصـــلاح الصحافة

للأستاذ عباس محمود العقاد

من وعود خطاب العرش الأخير أن « تعنى الحكومة بما يرفع مستوى الصحافة ويحفظ كرامتها، ويكفل فى حدود القانون حريتها ، وأن تعرض على البرلمان مشروعاً لهيئة الصحافة ينظم ما لها ولرجالها من حقوق وامتياز، وما عليهم من تكاليف وواجبات»

وهذا عمل واجب ، ولكن كيف يكون ؟

إصلاح الصحافة والصحفيين أمر محمود مطلوب ، ولكن من هم الصحفيون قبل كل شىء ؟

هذه أول صعوبة فى المسألة ، لأن إنشاء هيئة للصحفيين ليس كإنشاء هيئة للمحامين أو للأطباء أو للمهندسين ؛ إذ كل طائفة من هذه الطوائف لها شروط محدودة ومؤهلات معلومة لا يقع الخلاف عليها . أما الصحفيون فليس من السهل تعريف الصحفى الذى يجب أن يحسب منهم على وجه يبطل فيه الخلاف

فهل الصحفى هو مالك الصحيفة ؟ أو هو المحرر فى مكتبها ؟ أو هو المراسل لها من الخارج، أو هو مدير أعمالها ؟ أو هو الكاتب أو المحصل أو الوكيل أو متعهد البيع الذى يتصل بها ؟

كل أولئك يعملون فى الصحافة وينتظمون تحت عنوانها ، وليست مصالحهم مع ذلك متفقات فى جميع الأحوال ؛ فما هو

من مصلحة مالك الصحيفة قد يكون إجحافاً بمحرريها وموظفيها، وما هو من مصلحة المحررين قد يكون إجحافاً بمالكها أو متعهد بيعها ، وقد تتسع الشكلة بين الفريقين حتى تتناول الشكلة « الأبدية » القائمة بين المال وأصحاب الأموال

فأما إذا قلنا إن الصحفي هو الكاتب أو المشرف على مادة الكتابة فما هو شرط الكاتب في صحيفة يومية ؟ وما هو شرط الكاتب في مجلة من المجلات على اختلاف أغراض هذه المجلات ؟

قد تكون الصحيفة قانونية فهي في حاجة إلى كفاءة محام ، أو طبية فهي في حاجة إلى كفاءة طبيب ، أو مدرسية فهي في حاجة إلى كفاءة معلم . وقس على ذلك سائر الصناعات والموضوعات

بل ربما كانت كفاءة الطبيب حين يكتب في صحيفة طبية ألزم من كفاءة الطبيب حين يعالج المرض في مستشفاه ، لأن الكفاءة في الرجل الذي ينشر علمه على الألوف ألزم منها في الرجل الذي يقصده أفراد مسؤولون عن الثقة به والذهاب إليه . وإذا سهل الاتفاق على صفة المحرر الذي يتصدى للكتابة الطبية أو الفقهية، فما هي الصفة التي تشترط في السياسي وفي الأديب ؟

لا نقول إن حصر المرشحين للكتابة في الموضوعات الفقهية أمر ميسور مأمون العواقب ، فإن المتفق عليه أن طائفة من رؤساء المذاهب القانونية لم يكونوا من أهل القانون في التربية والنشأة ، وإن كان هذا الحكم لا يسرى على كبار الشراح والمفسرين

ولكننا نريد أن نقول إن الاتفاق ميسور على الصفة الواجبة في الفقيه ، غير ميسور على الصفة الواجبة في السياسي والأديب

فثلاثة من كبار ساسة العالم الآن كان أحدهم نقاشاً والثاني حداداً والثالث ابن أسكاف أخفق في صناعة أبيه

وغير هؤلاء وزراء ورؤساء وزارات كان منهم الاقتصادي والمحامي والمعلم والصانع الصغير

فاذا كانت هذه شروط قادة الأمم فما هي شروط الكاتب في صحيفة سياسية ؟ وما هي شروط الكاتب في صحيفة أدبية ؟

على أننا ندع الكفاءة للمادة التي يكتبها الصحفي ، وننظر إلى الكفاءة التي لا غنى عنها لمن يمارس الصناعة الصحفية

فليس كل قانوني ضليع بقادر على ترويج صحيفة قانونية ولو كان أقدر الباحثين في مذاهب التشريع ، لأن صناعة الصحافة غير صناعة الفقه القانوني ، وغير وضع الشرائع وتطبيق الأحكام ،

فاذا اكتفيت بالصنعة العلمية فقد تستثنى بذلك صنعة الصحفي التي لا بد منها لترويج الصحيفة ولفت الأنظار إليها وتنظيم إدارتها وبيعها ، وقد تقضي على الصحافة وأنت تريد لها الكرامة والارتقاء

ونحن هنا في مصر لم نعرف بعد مدارس الصحافة، ولم نبلغ بعد ما بلغته الأمم الأوربية من شيوع التعليم وذيوع الثقافة العامة ، فكيف تكون الصعوبة عندنا إذا كانت صعوبة الاهتداء إلى « الصحفي المطبوع » لا تزال قائمة في أمة كالأمة الانجليزية ؟ وأين تذهب صحافتنا إلى جانب الصحف الانجليزية التي تطبع الملايين وتجمع من الموارد ما يضارع موارد بعض الدول الصغار ويقرأها أناس كلهم أو جلهم متعلمون مثقفون ؟

قال ويكهام ستيد الصحفي الذي زاول الكتابة في أكبر صحف العالم : « لن تخرج صحيفة من الصحف بغير مجهود مكتب التحرير أي مجهود الصحفيين الخبيرين فمن هم الصحفيون الخبيرون ؟ لقد بذلت شتى المساعي لتدريب الصحفي على صناعته، وقامت مدارس للصحافة ، ثم لا يزال مشهوراً مقرراً بين الكثيرين أن الناجح في الصحافة لا يجوز امتحان نجاح ولا يحصل على درجة مدرسية ولا على رخصة من رخص الحرف والصناعات ، ولعله وهو يشتغل بجلب الأخبار وبيع الأخبار لا يبدو في مرتبة أرفع من مرتبة البائع الجوال الذي يجمع الدريهمات في الطرقات بالنداء والصياح، إلا أن « الوظيفة » التي يؤديها الصحفيون تخولهم مكانة اجتماعية فوق مكانة أناس ينحصر همهم كله في اصطياد العيون والأسماع . فمن أين لهم هذه المكانة ؟ ... أحسب أن مرجعها الأخير إلى إدراك الجمهرة العامة بالبداهة الفطرية أن عمل الصحافة الحق إن هو إلا رسالة أو مهمة ، وأنها شيء فوق الحرف وغير الصناعة، وسط بين الفن وبين دعوة التبشير ، وأن الصحفي الحق موظف غير رسمي وظيفته أن يخدم مصالح الجماعة الانسانية ، فهو بهذه الشارة يولد ولا يصنع ، وقد يفتقر إلى التدريب والاختبار ولكنه لا يوجد في الدنيا تدريب أو اختبار يجعله صحفياً صالحاً مالم تكن في نفسه تلك الشرارة الحية التي تميز بين الصحفي الحق والآلة الصحفية ... وليس أحمق بل ليس أفجع في بعض الحالات من تخيل بعض الناشئين أنهم متى أفلحوا في المدرسة أو الجامعة وأنسوا من أنفسهم قدرة على صوغ الكلمات فهم خلقاء أن

يفلحوا في الصحافة إذا ظفروا بعمل من أعمالها، ولعلهم يضيعون سنوات من أعمارهم قبل أن يعلموا أنهم أخطأوا الطريق ولم يدركوا « المهمة التي بغيرها لا يكون العمل في الصحيفة إلا مذلة خاوية من السلوى القلبية »

هذا ما يقوله خبير من أكبر خبراء الصحافة الانجليزية عن مؤهلات الصحفي بين أناس فيهم من أبناء الجامعات والمدارس العامة والفنية عداد من عندنا من عارفي الحروف الأبجدية، فكيف يكون الحال بيننا يوم نأخذ في انتقاء الأعضاء الصالحين « لهيئة » الصحافة؟ وماهي شروط العلم والاختبار التي تفصل بين الأصلاء والأدعياء؟ وما هو ضمان البقاء في تلك الهيئة مع ضمان حرية الآراء، وحرية الاغضاب والارضاء؟

في البلاد « الفاشية » قانون صريح يجيز للوزير المختص أن يصدر قراراً حكومياً بفصل الصحفي فاذا هو مطرود من جميع صحف البلاد، محرم عليه استئناف ذلك القرار إلى مراجع القضاء

وفي البلاد الديمقراطية يباح لمن يشاء أن يكتب وأن ينشئ الصحف وأن يشتغل بأعمال الصحافة دون احتياج إلى إذن من الحكومة أو رخصة باصدار الصحيفة

فأين نقع نحن بين الطرفين النقيضين؟! أصحفيون موظفون في دواوين الحكومة؟ أم صحفيون لا يحسبون حساباً لغير قانون الأخلاق الذي يدين به جمهرة القراء؟

لسنا فاشيين ولسنا بالغين من الحرية الديمقراطية مبلغ الولايات المتحدة وبلاد الانجليز، فلنكن وسطاً بين هؤلاء وهؤلاء، ولنترك بقية من درجات الارتقاء يرتقيها الصحفيون مع ارتقاء القراء أجمعين، حتى يكون القراء هم الحكم الفاصل في آداب الكتابة الصحفية فلا نحتاج في كل شيء إلى نصوص القانون وزواجر الحاكم، إذ ليس من الانصاف أن تطلب من الصحفي أدباً فوق أدب قرائه مجتمعين، فاذا كان أدبهم كافياً ففيه الغنى عن الزواجر الحكومية، وإذا كان به نقص أو تخلف فالأولى علاج هذا النقص والتخلف قبل كل شيء، لأن علاج الصحافة وحدها ليس باليسير وليس بالمفيد

عباس محمود العقاد

انحنى

للشاعرة أيلا هويلر ولككس
بقلم الآنسة الفاضلة « الزهرة »

انحنى وتسامى بي عن هذا المربأ يا جوزفين
انحنى وأشرفي من المرتفعات الذهبية، والهضاب السرمدية.
أو لست ترين كيف أجاهد لادراك القمم السنية، ولكن لافتقاري إلى الأجنحة أراني عاجزاً عن بلوغ تلك الأنجد التي أتوق إلى الجري في غلاء أمجادها بكل قوي نفسي

إني ألتمس طريقي، دون أن أستشعر الحزن والوحشة. لأن عوامل الشباب والأمل والصحة تجعلني أظل سعيداً. ولكن وهج الأشعة الساطعة كثيراً ما يبتلي أعيننا بالجهَر والبهَر فلا ننظر، وإذا نظرنا كنا عميان لا نبصر. وأنا أتمسس التلاع والروابي، محاولا تسور يفاع رفيعة، لا أستطيع الاهتداء إليها، ولذا أود أن تعلمي أن حاجتي القصوى تهيب بك أن ... تنحني وتتسامى بي عن هذا المربأ

لم يمض وقت بعيد مذ كنا نطأ معاً يفاع هذه الطريق عينها. وأنت تعلمين كيف كانت تلك الصخور المنوبة تنفه نفسينا بل كيف كانت تلك المنحدرات التي حسبناها سهلة قريبة تعقل أقدامنا بالتعب المعيي والمزاولة المؤجلة، وتصدف بنا عن الجادة. فانحني وتسامى بي عن هذا المربأ.

أما أنت فلم يعوقك احتفال تشمير، ولم يلبثك تأهب معاد، بل واصلت سيرك إلى الأمام في رصانة، وصعدت إلى فروع العلى في هدوء وأمن، وتركتني هنا — غير مختارة — ياحبيبتي جوزفين وسأقنع إلى النهاية باللبث في هذا المكان لأن الحياة تفيض بالوعود..

ولكن ياصديقتي، ألا تحققين غايتي القصوى فتنحني وتتسامى بي عن هذا المربأ؟ لقد غدوت قوية حكيمة مع أنك كنت ضعيفة ساذجة وقد أوتيت دقة في الحس، وصرت تدركين كل مطالب النفس، وتشعرين بأدق خوالجها وحاجاتها.

وأعرف أن العام الذي قضيته في جوار خالقك، قد جملك خطيرة النفس، رفيعة الأهواء، مبرورة المقاصد، شريفة المساعي؛ وأوقن أنك تشهدين كفاحي، وتبصرين ما يصهر نفسي من حنين وتوق إلى تفرع ذرى المعالي وتوقل معارج المكارم.

فانحني وارفعيني إلى القمم السرمدية

« الزهرة »

الحقائق العليا فى الحياة

الايمان . الحق . الجمال . الخير . القوة . الحب

« ألفاظ إذا نطقتها تتحرك لها فى نفسى دنيا كاملة ! »

للأستاذ عبد المنعم خلاف

٣ — الايمان

الايمان والفلسفة :

قالت عقلية القرن التاسع عشر المزهوة بالكشوف العلميـة والناقمة على قضايا بعض الأديان وقيودها وخرافاتها التى تراكمت عليها بتوالى العصور : إن العلم والايمان لا يجتمعان . وقد سارت فى تفسير كل شىء خارج عن حدود المـادة والمخابير والمعامل ، بتأويل مادى وآلى ، وطغت الفلسفة المادية على الفلسفات التجريدية، وأفرغت الطبيعة من «الارادة، والعقل» وجعلتها رهينة بالصدفة وأعطت للزمن حكم التصفية والتوجيه ، وأعطت القوى العمياء قوة الاختيار حتى قالت « إن الوظيفة تخلق العضو ! » وكفرت بحقيقة « السببية » والارتباط بينها وبين « المسببية » ... إلى آخر ما زخرت به كتب هذه الفلسفات مما يصل فى بعض الأحيان إلى درجة الهذيان .

وقد كان يجوز أن نقبل هذه الفلسفات التى تسند إلى القوى العمياء بعض « الفاعلية » لو أنها جعلت وراء هذه القوى إرادة واحدة منظمة مختارة موجهة . ولكنا لا نقبل بحال أن تكون هـذه القوى فاعلة بذاتها مستقلة عن ذلك النظام العام الموضوع بتدبير محكم ، وإلا رجعنا بعقولنا إلى درجة أشبه بطور الوثنيات القديمة التى كانت تعبد بعض القوى قصورا من عقولها عن إدراك قوة كلية عامة تدبرها جميعها »

وإن أول سؤال يرد على عقل متوسط هو : ما هو العامل الموفق بين فاعليات هذه القوى المتضادة العمياء هـذا التوفيق الدائم المطرد البديع لو أن الأمر كان كما يزعمون من تسلط تلك القوى العمياء على الكون ؟

والغلط الفاحش المغرور الذى لا يقبـله العقل العام المتزن ، أن تتخذ حياة الأرض ، وهى ما هى من الصغر والضآلة ، مقياسا للحكم على العالم كله فرشه وحشوه وعرشه !

وقد وصل هذيان هذه البلبلة إلى حد فظيع من الرجم بالغيب باتخاذ الفروق التى تساق فى الأصل لملء بعض الفجوات التى بين حقائق العلوم كأساس مسلم للحكم عليه ، مثلما اتخذوا الأثير ، وليس هو أكثر من فرض فرضه بعض العلماء ليحل به بعض مشاكل الطبيعة ، ولا يزال هـذا الفرض بين رفض وإثبات إلى اليوم .

ويتعجب العقل البسيط السائر مع أبجديات الطبيعة من أن يصل تفكير بعض الناس — بله كبار الفلاسفة — إلى مثل ما وصل إليه من هدم الحقائق بالفروض !

***

ليس المقصود من الحياة الفكرية ألا يرضى العقل بالأوليات الظاهرة المسلمة وأن يمعن فى الغوص والتعقيد ليخرج بفروض غريبة شخصية ليحل بهـا مالا يفهمه من قضايا الكون كما هو الطابع الغالب على الفلسفات ، وإنما المقصود من الحياة الفكرية أن يكون التأمل فيها ممهدا للاثبات والعلم اليقينى . فلا يفلت الخيال فى حالة الصحو كما يفلت فى حالة النوم أو التخدير ... وما من شك فى أن عصور الفلسفة كلها لم تفد الانسانية بمقدار ما أفادتها الطريقة التجريبية التى دعا إليها فرنسيس بيكون فانها الطريقة التى قفزت بالانسانية إلى أسباب رقيها السريع فى القرنين الأخيرين ، لأنهـا تركت عالم الأحـلام والبدوات والفروض الشخصية التى قد لا تفهم إلا فى رءوس القائلين بها وقد لا تكون ناضجة الفهم فى رءوسهم أيضاً ... واتخذت البديهيات البسيطة والمركبة أساسا بنت عليه صرح العلم الحديث

ولقـد كان جزاء هؤلاء الذين يسرفون فى اتباع الظنون والفروض ويتركون البسائط المعقولة بالبديهة إلى الأوهام ، أن يعيشوا منكدين أشقياء متشائمين مرضى مضروبين بالشك والألم والبلبلة والشذوذ منفيين من الحياة ! وهاهم أولاء أبو العلاء وشوبنهاور ونيتشه أمثلة تضرب فى ذلك ...

(البقية على صفحة ١٩٥٠)

فى غار حـــراء

للدكتور عبد الوهاب عزام

هذا يوم الأحد رابع عشر ذى الحجة سنة ست وخمسين وثلاثمائة وألف ، ونحن فى البلد الأمين مكة وقد قضينا مناسك الحج ...

قلت لبعض الرفقاء : هلم إلى غار حراء . فأخذنا سمتنا صوب الشمال ضحوة النهار ، منا الراكب ومنا الراجل ، وملء القلوب اشتياق وسرور ، وعلى الوجوه التهلل والبشر

بلغنا جبل النور — جبل حراء — بعد أربعين دقيقة . وملنا مع الدليل ذات الشمال فاذا امرأة تنحدر من السفح مسرعة تصيح : « أنتم غادين ؟ » فقلنا : ما تبغين ؟ قالت : هنا الطريق . فاتفقنا على أن تهدينا السبيل إلى الغار . ونظرنا إلى الجبل فاذا السفح ينتهى إلى قمة شاهقة ملساء ، قطعة واحدة من الصخر قائمة

سارت قاطمة أمامنا مصعدة خفيفة سريعة لا تبالى الشوك والحصى وأطراف الصخور الحديدية كأنها أروى ترتع على السفح

سارت فى طريق مملة يبين فيها بين الحين والحين تمهيد الانسان ؛ هنا حجارة مرصوصة يرتقى عليها الصاعد ، وهناك جدار صغير من حجارة مركومة أو مبنية تعصم المرتقى أن يزل عن الطريق

تتابعنا صاعدين جاهدين منحنيين على المرتقى الصعب، وما فى النفوس من رفعة الذكرى أجل وأرفع، وما يبهر النفس من رهبة المكان أبهر وأروع ، مما يثقل الجسم فى توقل هذا الطود العظيم . وكأنما نرتقى في التاريخ وعبرته، ونصعد فى جلال الحق وعظمته، ونطمح إلى السماء ، لا إلى قنة حراء . ألسنا مقدمين على مشرق النور ، ومطلع الحق ، ومهبط الوحى ، وملتقي السماء والأرض ؟ لكأن هذه الأشعة المرتدة عن هذه القمة الملساء العالية بقية من نور الحق تتألق فى حراء ، أو آى من القرآن لاتزال ترددها الأصداء

صعدنا ثم صعدنا حتى انتهينا إلى صخرة مُظلة، فأوينا إليها قليلا نستجم ونمسح العرق . ثم رقينا تتلوى بنا الطريق ذات اليمين وذات الشمال حتى بلغنا مستوى فيه حوض كبير طوله ثمانية أمتار وعرضه ستة وعمقه أربعة، بعض جوانبه الصخور، وبعضها جدار من الحجر ، تجتمع فيه مياه المطر . وقد صادفنا فيه ماء صافيا باردا فشرب من شرب وتوضأ من شاء ، وجلسنا هناك جلسة شربنا فيها الشاى واسترحنا ، وجمعنا قوانا لبلوغ القمة



بعثة الجامعة المصرية صاعدين إلى قمة حراء يتقدمهم الدكتور عزام

على ذروة الجبل بقية جدار محيط بمستوى ضيق فى وسطه صدع فى الصخر . يزعم العامة أن عند هذا الصدع شُقّ صدر الرسول . وللعامة فى الأمكنة المقدسة أوهام يصلونها بمواضع من الأرض والجبال والأبنية والأشجار . وكأن السلطان عبد العزيز رحمه الله صدّق هذا الزور فأمر أن تبنى على المكان قبة عالية كان ارتفاعها ثمانية أمتار . فلما جاء الوهابيون هدموا القبة والجدار إلا بقية

وقفنا على الذروة نسرح العيون حولنا بين جبال وأودية ونري مكة وجبالها وقلاعها ودورها

هذه قمة حراء فأين الغار ؟ جنوبى هذه القمة درجات هابطة على السفح منحوتة ومبنية ، هبطنا زهاء ثلاثين درجة ثم سرنا قليلا نحو اليمين إلى صخرة هائلة مائلة على الجبل ، وتخللنا مسلكاً

ضيقاً قصيراً بينها وبين السفح إلى مستوى صغير، فاذا أمامنا سفح منقطع ينحدر إلى أرض سحيقة، وعلى يميننا قمة حراء التي كنا فوقها، وعلى يسارنا الغار: غار حراء العظيم! فجوة ضيقة تميل على مدخلها صخور تدعم بعضها حجارة مبنية. فأما سعة الغار فرقد ثلاثة متجاورين، وأما علوه فقامة رجل، وفي نهايته صدع ترى منه الأرض والجبال إلى مكة.

هنا فر محمد بن عبد الله بنفسه — فر إلى ربه من ضوضاء الحياة وأكاذيبها، من مظالم الناس ومفاسدهم، من باطل العقائد وزورها — أوى إلى هذا الجبل، إلى هذا الغار، إلى قلب الخليقة! هنا طود أشم يطل على أودية ألحت عليها الشمس المحرقة ليس بها من معنى الحياة إلا نبت ضئيل، وليس بها من ذكرى الحياة إلا أثر السيل بعد المطر. ووراء الأودية جبال شامخة تتداول عين الرائي؛ وعلى بعد مكة، بين هذه الأودية والجبال وتحت هذه السماء الصاحية حقائق لا يشوبها تمويه ولا تزوير، ولا يلحقها تبديل ولا تغيير، ولا يمسها رياء ولا نفاق.

فرّ محمد إلى هذه الحقائق لا فرار الراهب يترك الناس لينجو بنفسه، ولكن كما يلجأ إلى الشاطئ من يحاول إنقاذ إخوانه الغرقى. هنا جمع محمد نفسه وفتح قلبه وناجى ربه، وهنا تجلى الله لهذه النفس الزكية، وأضاء على هذا القلب الطاهر، هنا جاء الوحي ونزلت الآية: «اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الانسان مالم يعلم» وهي فاتحة القرآن، وغرة الاسلام، ومسجلة سعادة الانسان. لله ما وعى هذا الغار من آيات! وياعجبا كيف ثبت على هذه الرجفات، و «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله!». قلت من قبل في شعر الصبا:

لعل جبال مكة لا يزال يجلجل فوقها هذا المقال
ويخفض رأسها ذاك الجلال وما نسيت بغار حراء ذكرى

والآن أقول: ألا يسمع هنا ذلك الصوت مدويا مردّدا؟ ألا يرى هنا هذا النور طائفا بحراء متلألئا؟ ألا يجد الواقف هنا روحا من الايمان، ويسمع وحيا من القرآن؟

خرج محمد صلوات الله عليه من هذا الغار، من حضن هذه الخليقة وهو أشبه شيء بها؛ خرج حقيقة من حقائق الله نقيّة جليّة صريحة، لا تبديل ولا تزوير، ولا لبس ولا تغرير، ولا اخفاء ولا اضطراب. خرج قانوناً من قوانين الله التي تسيِّر الشمس والقمر والنجوم، وتمسك السماء والأرض، يمضي قُدماً إلى الغاية المقدورة مضي النجوم في حبكها، والشمس في فلكها

تمثل الرسول هابطاً من حراء وقد حمل عبء النبوة واضطلع بأمانة الرسالة، وأفضى الله إليه بوحيه وكلفه هداية خلقه

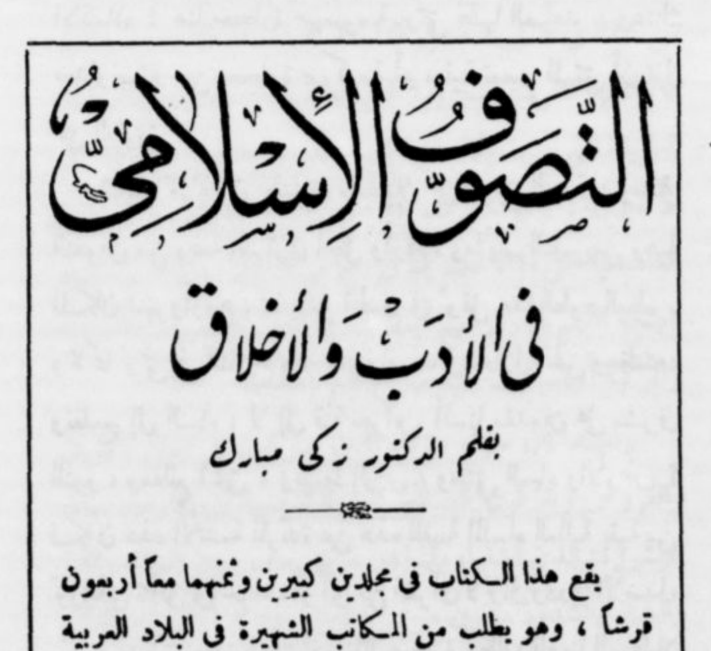
ليت شعري أهبط ونفسه قريرة هادئة كما ينزل النور من الشمس والقمر، أم نزل ونفسه جائشة مجلجلة كما ينزل الغيث بين الرعد والبرق؟ لست أدري، ولكنه نزل ديناً جديداً، وعصراً وليداً، وتاريخاً مديداً، وإصلاحاً شاملاً، وهدى كاملاً، ورحمة للعالمين

أيها الغار! يا مولد الحق، ومطلع النبوة، ومأوى محمد! لولا أن محمداً الكريم هنا لقبلت أحجارك واكتحلت بترابك

أيها الغار! من لي فيك بخلوة، من لي بخلوة فيك!

ناداني صحبي: هلم فقد حان الرجوع، فعدنا إلى مكة.

عبد الوهاب عزام



على الخبير سقطت

للأستاذ قسطاكى بك الحمصى

أطلعني بعض الأصحاب الأفاضل على العدد ٢٧٧ من مجلة الرسالة الوضيئة، وقد رأوا فيها اسم هذا العاجز مذكوراً في مقالة على كتاب المبشرين جاء في حاشية منها استشهادى بأخلاق ونزائع الأخ الحبيب بل أستاذى الجليل الشيخ ابرهيم اليازجي رحمه الله فلم أر بداً من إجابة طلب الأستاذ العلامة صاحب المقالة، وقد دلني قوله على يقين حضرته بما كان بين الامام وبيني من متين الود والاخلاص ومسترسل الأحاديث واتصال المكاتبة مدة ربع قرن أو تزيد

ولقد أورد حضرة الصديق الفاضل صاحب الرد على المفترين مانشره في الضياء الامام اليازجي رداً على صديقه وصديق الامام صاحب المنار — طاب ذكرهما — مافيه بلاغ

على أنى وفاء بمهدى عند الوداع الأخير لذلك الامام الجليل بترديدى قول الشريف :

لادَرَّ دَرِّى إن مطلتك ذمة في باطن متغيب أو بادى

وكرامة لتحقيق بغية هذا الأستاذ الجليل أشفع الحجة بالحجة فأقول :

إن الشيخ اليازجي لفرط شغفه بلغته العربية كان منصرفاً عن جميع الملاذ الدنيوية لا يطرب لشيء كطربه لأحاديث اللغة والفنون ، وقد جذبه ذلك الشغف إلى إجلال القرآن واحترامه إجلالا واحتراماً لا يفوقه فيهما أكابر أئمة المسلمين ، لأنه هو عماد اللغة العربية وركنها الشديد ، وهي التي أفنى أيام حياته كلها في حبها . وكان رحمه الله يقول : لولا القرآن لماتت اللغة العربية، وبموتها تنقرض الأمة العربية وتتداخل في أصول جيرانها الأقوياء والعياذ بالله . وقال لي يوماً في عرض الحديث عن الطاعنين في لغة القرآن كلاماً أذكر معناه وإن تبدلت الألفاظ :

من المعلوم أن القرآن أنزل لدعوة قوم إلى عبادة الله والايمان برسالة محمد ، وكانوا هم وكثير غيرهم من قبائل العرب عباد أصنام ، وهم أهل لغاتها ، ولم يكن لهم ومئذ كتب لغة وقواعد نحو وصرف، ولا يعرفون من ذلك سوى أشعارهم وأحاديثهم وما يروونه من أقوال خطبائهم وفصحائهم ، فلو رأوا في لغة القرآن عوجاً أو أمتاً ومحمد يتحداهم بفصاحة لغة كتابه وفيه: «قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » وكثير من أمثال هذه الآية . أقول لو رأوا فيها أغلاطاً تخالف متداول لغاتهم لأنكروها عليه وهم لم يقفوا في معاداته وإنكار رسالته عند حد ، فقد قالوا عنه أوله؛ إنه شاعر مفتون وساحر ومجنون ، وأمثال هذا من القحة والشتم فما الذى صدهم عن المجاهرة في الطعن على لغة الكتاب بعد كل التحدي المؤلم الذى كان يتكرر في آياته؟ فان زعم الطاعنون اليوم أن أولئك قد طعنوا ولم يصل إلينا كلامهم أجبناهم أن الكتاب ذكر قولهم فيه إنه مجنون، وهل هناك نعت يعد أشد إيلاماً من هذا النعت؟

وجملة القول أن الامام الشيخ ابراهيم اليازجي كان يرى في المطاعن المذكورة نقص اطلاع أصحابها على علوم اللغة وقواعدها وتشعبها في القبائل الكثيرة من العرب . والكتاب كما هو معلوم لم ينزل لأهل قبيلة أو قبيلتين من أفصح القبائل العربية بل لجميع العرب ، كما أن واضعى القواعد العربية وجامعى لغاتها لم يحيطوا في كتبهم بكل ما تداولته جميع تلك القبائل ، بل اقتصروا على الأفصح تارة وحيناً على الأشهر والأعم لتكون اللغة في ميسور المتعلمين ، وهم مع كل احتياطهم وأخذهم بالأحزم لم يجمعوا إلا نحو الثلث من ألفاظ اللغة كما روى كثير من أكابر العلماء كأبي عمرو بن العلاء وابن سيرين وغيرهما . وقل مثل ذلك في قواعدها. قال ابن جنى: أخبرنى فلان عن فلان عن أبي حاتم سهل بن محمد السجستانى في كتابه الكبير في القراءات قال : قرأ على أعرابي بالحرم «طيبى لهم وحسن مآب» فقلت له طوبى، فقال طيبى، فأعدت فقلت طوبى فقال طيبى ، فلما طال على قلت طوطو قال طى طى . أفلا ترى إلى هذا الأعرابي كيف نبا طبعه عن ثقل الواو إلى الياء ولم يؤثر فيه التلقين ؟

وقال: سألت يوماً محمد بن العساف كيف تقول ضربت أخوك. فقال أقول ضربت أخاك . فأدرته على الرفع فأبى وقال لا أقول ضربت أخوك أبداً

وحكى الكسائي أن قضاعة تقول مررت بهْ والمالُ لهْ وأنه فاش في لغتها

ونحن نعلم أن بعض العرب قالوا مررتُ بأخواكَ وضربت أخواكَ ، وكل هذه وغيرها لغات كثيرة موثوق بها وردت عن العرب. والقرآن ورد على سبع لغات منها، فالطعن في لغته أو لغاته ضعف وقوف على لغات العرب وأقوال العلماء والشراح وهو أمر مفروغ منه

وقال ابن جني: قلت مرة لأبي بكر أحمد بن علي الرازي رحمه الله وقد أفضنا في ذكر أبي علي ونبل قدره ونباوة محله : أحسب أن أبا عليّ قد خطر له وانتزع من علل هذا العلم ثلث ما وقع لجميع أصحابنا . فأصغى أبو بكر إليه ولم يتبشع هذا القول

فاذا كان ابن جني وهو الامام الجليل بين العلماء المتقدمين والمتأخرين يقول عن أستاذه أبي علي الفارسي وما أدراك من هو ؟ إنه انتزع من علل العلم ثلث ما وقع لجميع العلماء إلى عهده وهو يخشى أن يكون قد اشتط في هذا الحكم، فما عسى أن يبلغ علم هؤلاء الطاعنين في لغة القرآن من علم أبي علي الفارسي وابن جني وأمثالهما من المتقدمين وفلاسفة الاسلام وشراح القرآن ؟

هذا الكلام وأمثاله دار كثيراً بيني وبين الشيخ إبراهيم اليازجي ، وكل من نقل عنه وأذاع حرفاً مخالفاً لما رويته من مذهبه أعلاه أعده كاذباً مختلقاً مفترياً يستوجب اللعنة من الله والناس

وفي الختام أكرر الشكر لحضرة الأستاذ العالم الأجل الذي استشهدني فوفقني لنفي الافتراء البحت، وأشكر لصاحب الرسالة الأديب الفاضل إفساحه صفحة منها لكلامي . لابرح خير معوان لنشر الفضائل ، ولا زالت رسالته لأفصح اللغات أم الرسائل

« حلب » قسطاكي الحمصي

ليلى المريضة في الزمالك

للدكتور زكي مبارك

صديقي ...

سألتني أن أكتب كلمة عن ليلى المريضة في الزمالك، فأثرتَ في صدري لوعة محرقة كنت أرجو أن تصير بفضل الكتمان والتناسي إلى الخمود

وماذا يهمني من أمر تلك الانسانة الظلوم ؟

إن الدنيا كلها سخفٌ في سخف ، والحب كله بلاء في بلاء ، فلتمض تلك الذكريات إلى جحيم النسيان والجحود

وقد تعلمت في حياتي أشياء ، وكان أثمن ما تعلمت هو اليأس من وفاء القلوب

وأقسم بالله وبالحب ما خططت هذه العبارة إلا وأنا أقاوم طغيان المدامع ، فمن الحسرة واللوعة أن أنفضَ يدي من العواطف بعد أن جعلت الكتابة في العواطف مذهباً أدبياً له أنصار وأشياع في سائر الأقطار العربية

ولكن خيبتي في الحب لها أسباب

وآه ثم آه ، من الاعتراف بالخيبة !

ليت ضلالي في هواي كان دام حتى أخرج من دنياي وأنا موصول العطف على اللاح !

فان سألتَ عن أسباب القطيعة بيني وبين ليلى المريضة في الزمالك فاني أحدثك بأن تلك الأسباب ترجع في جملتها إلى سبب واحد هو العظمة الحقيقية التي فطر الله عليها قلبي

ومعاذ الأدب أن أكون من المفتونين أو المخدوعين ، فلي قلب ماعرف الناس مثل جوهره النفيس في قديم أو حديث

هو قلب فطر على الحب والعطف والوفاء

وقد شاء هـذا القلب أن يبسط حنانه على ليلى المريضة في الزمالك .

فماذا صنعت تلك الحمقاء ؟

***

لا تسأل كيف كنا إلى خريف سنة ١٩٣٧

كنا عاشقين

وما أسعد العشاق !

كنا نعرف أطايب الخلوات على شواطىء النيل

وما أسعد من يستصبحون بظلام الليل على شواطىء النيل !

كان قلب ليلى أصغر من قلبي

ولكنها مع ذلك كانت تملأ قلبي ، وهو قلبٌ يرضى بالقليل في بعض الأحيان

وكنت أتلقى القليل من عطف ليلى بالحمد والثناء

والذوق كل الذوق أن تفرح بالقليل من الملاح

كانت ليلى تَعِد وتخلف ، وكنت أرى إخلافها من الدلال

وكنت أروضها بنفسى على الاخلاف ، لأني كنت أحب أن أخلق منها دُمْيَةً روحانيةً أعاقر في محياها كؤوس النبل والصفاء

وكان ما أردت وأراد الحب العذريُّ حيناً من الزمان

أردنا مرة أن نؤلف رواية ...

فهل ألفنا الرواية ؟

ليتنا ألفنا الرواية !

آه من ليلى ومن زماني !

* * *

ودامت دنيانا في قَبض وبَسط ، وبُؤس ونعيم ، إلى مساء اليوم الثامن عشر من الشهر التاسع سنة ١٩٣٧

فى ذلك المساء تفضلتْ ليلى فدعتنى إلى تناول العشاء لتمنحنى القبلة الموعودة قبل رحيلى إلى العراق

وكانت لحظة من الحياة لن أنساها ما حييت ، وإن كدَّرتها ليلى بعد ذلك

أحبك يا ليلى ، أحبك لتلك اللحظة التى بلبلت نجوم السماء

أحبك يا ليلى وإن صيَّرتِ حياتى بؤساً فى بؤس ، وشقاء فى شقاء

أحبك يا صغيرة القلب ، ويا ضعيفة العقل ، ويا قليلة الوفاء

أحبك يا مثال النزق والطيش والجنون

أحبك لتلك اللحظة القصيرة التى بددت أضواؤها ظُلمات قلبي

* * *

وفى اليوم التالى رحلتُ إلى بغداد وأطياف الزمالك تؤنس روحي

ثم سمعتْ ليلاى فى الزمالك أنى تعرفت إلى ليلى المريضة فى العراق

فماذا صنعت الحمقاء ؟

أرادت أن تنتقم منى ففتحت أبواب قصرها للواغلين من أدعياء الأدب والبيان

ولم تكتف بذلك ، بل أعلنت غضبها علىّ فى رسائل نشرتها فى مجلة الصباح

وأسرفت الشقية فى الحمق فنشرت فى مجلة المصور أخبار سهرة تناول فيها السامرون عندها أكواب الصهباء

وكانت الشقية تعلم أن ذلك سهمٌ سيصيب صدر حبيبها فى العراق

ولكنى تجلدت وتماسكت ، وكتبت إليها أعتب فى رفق ولطف

فأجابت الحمقاء :

« هل كنت تنتظر أن أضع يدى على خدى إلى أن ترجع من بغداد ؟ »

خبر أسود !

خبر أسود !

خبر أسود !

كذلك هتفتُ كما يهتف الفلاح المصرى حين ينزعج ، وعبارات الفلاحين تسبق إلى لسانى حين يثور غضبي

إن ليلى المريضة بالزمالك لا تريد أن تضع يدها على خدها حتى أرجع من بغداد ، وهى تعرف أنى هاجرت إلى العراق لغرض نبيل هو توثيق علائق المودة بين مصر والعراق

وهل تفهم المرأة هذه المعانى ؟

آمنتُ بالله ، وكفرتُ بالحب !

* * *

أما بعد فقد انتهى ما بينى وبين ليلى المريضة فى الزمالك ، وقد حرمتُ على نفسى رؤية الزمالك إلى أن أموت ، فحدثونى

يا رفاق عن أضواء الزمالك وأيام الزمالك وليالي الزمالك ، حدثوني كيف يغني الكروان في الزمالك . حدثوني كيف تكون أشجار الزمالك في الليل . حدثوني كيف يثب النيل ليقبل أقدام الزمالك ، حدثوني كيف تصبر عني ليلاى في الزمالك . حدثوني كيف تغيب الشمس عن الزمالك . وكيف يطلع القمر على الزمالك . وكيف تثور عواصف الحب والبغض في الزمالك

حدثوني ، حدثوني ، حدثوني

انتهى حُلم الحب ، وانتهت أيام الزمالك ، وانقضت ليالي الزمالك

تلك الزمالك لم تكن إلا قطعة من وطني ، ولو شئتُ لقلت إنها قطعة من كبدي

في الزمالك تعلمت طب الأرواح والقلوب

وبالزمالك شقىَ روحي ومرض قلبي

فأين السبيل إلى الرجاء ؟ بل أين السبيل إلى اليأس ؟

أحبك يا غادة الزمالك ، أحبك ياغادرة ، وأعشق ضلالي في هواك النبيل وهواك الأثيم

ليلاى ، ليلاى

ما زال روحي الظامئْ يحوم على وِرْدك النمير ، فارحمي الطائر الذي يرفرف حول حماك في السَّحر والضحى والأصيل ، ويخفق بقلبه وجناحيه كلما لدَعه الشوق إلى صهباء الرضاب

أنا مشتاق إلى الكوثر الممنوع الذي كانت قطراته تُسكر روحي وتمقِر فؤادي

أنا مشتاقٌ إلى النار التي كوتْ كبدي ، فمتى أواجه تلك النار المَشُوف ؟

سأقبِّل قدميك حين أراك ياشقية ، ولكن متى أراك ؟ متى أراك ؟

أفي الحق أننا نتخاصمنا إلى آخر الزمان ؟

أفي الحق أن عربدة الهوى لن تعود ؟

لقد شمت فينا الشامتون ، فمتى يندحر الشامتون ؟

إنني واثق بطهارة قلبك ياشقيـة ، ولولا ذلك لأصليتك نار العقوق .

فحدثيني متى ترجعين إليّ ؟ متى ترجعين ؟ متى ترجعين ؟

* * *

ليلى ، ليلاى التي خرجت من حماها كما خرج آدم من الفردوس ، ليلاى أجيبي

مضت أعوام وأنا أتلقى منك تحية رمضان ، فأين تحية رمضان ؟

إن الناس يذكرون موتاهم في هـذه الأيام يامعبودتي ، وأنا قتيل الهوى ، فمن يذكرني إذا اصدفت عني ؟

لا تؤاخذيني بمـا جنيت في حب ليلى المريضة في العراق ، فما كانت ليلاى هناك إلا صورة من صور الطهر والنبل والعفاف

أحب ليلاى في العراق ، وإن تأذيت بذلك فاصنعي ما تشائين

* * *

أيتها الحمقاء في الزمالك

لا أحب أن أراك إلا يوم تعرفين أني صاحب الفضل على جميع الملاح ، فلولا قلمي ولولا بياني لصارت الصبابة ألعوبة من الألاعيب

أنا أنتظر الجزاء الحق على وفائي وإخلاصي

أنتظر أن تكون دنيا الصباحة والملاحة طوع يدي

فإن لم تفعلي — وستفعلين — فودعي دنيا الرفق والحنان

ليلى ، ليلاى

إلى صدري ياعروس الزمالك

إلى صدري ياجارة النيل

إلى صدري العاشق الوفي الأمين

زكي مبارك

من دموع القلب !

« مهداة إلى الأستاذ أنور المطار »

للأستاذ على الطنطاوى

« هل تذكر يا أنور ، يوم جزنا بمقربة الدحداح ونحن طفلان يتيمان فى طريقنا إلى المنزلين الصغيرين المتجاورين فى (السبانة) فوقفنا ساعة على القبرين المتدانيين نزور أبوينا ... ثم ذهبنا مسرعين لنودع آلامنا صدر الأم ؟

أتذكر ما قلت لى يومئذ عن حبك أمك وتعلقك بها ، وما قلت لك ؟ أتذكر أننا اتفقنا على أن الحياة مستحيلة علينا بعد الأمهات وأننا سنبقى معهن أبداً وشملنا جميع وعقدنا متصل ؟ لقد كان ما ظنناه مستحيلا يا أنور ... لقد ماتت أمى وأمك واحتواهما ذلك القبر الذى حوى أبوينا من قبل وعشنا بعدهما ... لم نعد نملك منهما يا أنور إلا دموعا حرى فى العين وحسرات لاذعات فى القلب ... لقد غابتا إلى الأبد ! » (على)

لست أدرى ما الذى يحملنى على ذكر الماضى ونبش عظامه النخرة ؟ وما الذى يغرينى بأن ألتمس مكان أحلامى من الواقع ... وأنا أعلم أن الماضى قد ذهب بمسراته وأحزانه ولم يبق فى يدى منه إلا هذه الذكريات التى طالما حاولت أن ألقى بها فى الزاوية المظلمة من نفسى لتنام فيها إلى الأبد ، فكانت تستفيق كلما أردت نسيانها فتسود صفحة الحياة فى ناظرى حتى لا أرى فيها جميلا ولا بهيًّا ... وأنا أعلم أن أحلامى التى بنيتها بقطع قلبى ، وأنقاض أيامى ، ورويت رياضها بدمع عينى ، قد جف زهرها ، وصوّح نبتها ، وانهارت أمام عينى دفعة واحدة ، كما ينهار بيت من ورق اللعب ضربته كف إنسان ... فأيست منها وذهبت أعيش بقلب محطوم وكبد مكاومة ، فأضحك وأمزح حتى ليظنني الناس أسعد الناس وأنا أشقاهم وأخيبهم أملا ، وأشدهم ألماً ...

فلماذا أعود الليلة إلى الماضى التى ماتت أيامه ، وماتت أحلامه ومات ناسه ؟

* * *

كنت أطل من شرفتى فى الفندق على شارع الرشيد فى بغداد الذى يمثل الحياة ويفسرها ويصور حقيقتها أكثر من تصوير الأدباء وتفسير الفلاسفة ، بل إن ساعة واحدة تشرف فيها على شارع الرشيد أجدى عليك فى فهم الحياة من دراسة عشر سنين فى هذه الكتب ...

وماذا فى الكتب إلا الحيرة والضلال ؟ ومنذا الذى تبلغ به الحماقة وتفيض على نفسه حتى يدعى أنه فهم الحياة من الكتب ؟ أنا أحد صرعى هذه الكتب وضحاياها فسلونى عن خيبتى وخسارى؟

قالت الكتب : إن المستقيم أقصر الخطوط فاسلكه تصل ، واستقم تبلغ غايتك ، فسرت قدماً فاصطدمت بأول جدار لقيته فشج رأسى وقعدت مكاني ، واستدار غيرى والتوى كما تستدير طرق الحياة وتلتوي فوصل

قالت الكتب : كن فاضلا واحرص على مكارم الأخلاق فهى السبيل ، فوجدت أهل الرذيلة هم الذين يصلون ، ورأيت أسفل الناس أخلاقاً صار أستاذاً للأخلاق فى أكبر مدرسة ، فعجبت من سخر الحياة !

وقالت الكتب : الحق ، وقالت الحياة : القوة ... وقالت الكتب : الفضائل . وقالت الحياة : الشهوات . وقالت الكتب... ولكن لم يكن إلا ما قالت الحياة !

ونظرت إلى شارع الرشيد ، فاذا السيارات من كل جنس ولون ، والعربات من كل شكل ونوع ، والدراجات والعجلات ، كلها يعدو يريد أن يصل أولا ، وكلها يزاحم ، وكلها يزأر ويصيح ويهدد ، ولكنها إذا بلغت الغاية رأت أنها لم تصل إلى شىء فعادت أدراجها تزاحم وتعدو وتصيح ...

فقلت : كذلك الحياة ... سباق وتزاحم ، ولكن ما هى الغاية ؟ لا شىء ... !

* * *

ودخلت الغرفة وأغلقت علىّ بابى ، وأردت أن أفىء إلى عزلة أسكن فيها نفسى ، وأجد فيها راحتى ، ولكن الباب قرع ، وجاء السيد حيدر الجوادى ، الرجل الذى ملك على الدكتور زكى مبارك أمره ، وأطربه وأعجبه حتى غدا لا يصبر عن سماعه حينًا

رآه ، وحتى اضطره إلى الغناء فى المكتبة العامة ، وقال له : غنِّ هاهنا فوالله ليتحدثن بها الناس وليقولن إن زكى مبارك ابتدع الغناء فى المكتبات ... جاءنى فغنانى (أبوذية) من (أبوذيات العراق) التى ما أظن أن إنسيا أو جنيا عرف نغمة أشجى منها وأسرع إلى القلب وصولا ، وأشد للألم تصويراً . هى قطرات من الدمع صورت نغما . هى خفقات القلب صيغت نشيدا . هى... هى خلاصة الفن العبقرى الذى يصور الألم العبقرى ... فهز نفسى هزا عنيفاً ، فتح صفحاتها جميعا ووصل ماضيها بحاضرها ، وأسلمها إلى ذهلة عميقة — لذة ممتعة — ولكنها أليمة موجعة ، ذكرت (العتابا) تلك الأغنية التى ترن بها أبداً أودية لبنان ، وتنحدر أصداؤها على سفوحه وحدوره ، ولا يدرى أحد من هو الذى وضعها ونظم مطلعها وألف لحنها ، (العتابا) الخالدة التى يشترك فى تأليفها العصر الجديد والعصر الغابر ، ويزيد فيها كل جيل أدواراً فيكون منها الصورة الصادقة لعواطف الشعب وهواجسه وأمانيه وذكرياته ، تلك التى تعيش فى ترنيمة السواقي المتكسرة على الشماف والصخور لتبلغ قرارة الوادى ، وفى نشيد الرياح فى الأودية البعيدة ، وفى همس الأوراق فى غابات الصنوبر الضاحكة ، وفى عطر كل زهرة ، وصمت كل صخرة ، وأشعة الشمس المطلة من وراء الذرى للسلام ، والمشرفة من آخر الأفق للوداع ، وفى نور القمر الذى يغمر لبنان بفيض من الشعر والحب والسحر ، وتعيش فى كل ذروة من لبنان !

***

رجعتنى هذه (الأبوذية) إلى سالفات أيامى ، فذهبت أعرض صور حياتى فيها وهى تمر بى متتالية متعاقبة كمناظر السينما ملتفة بضباب الماضى ، فأرى مآسيها المغسولة بالدموع وفواجعها الدامية ولكنى لا أرى منظر بهجة ولا سرور ... فهل أرى البهجة والسرور بعد أن أشرفت على الثلاثين ؟

كنت أفكر دائماً فى المستقبل ، وأنتظر المستقبل ، فها هو ذا المستقبل قد صار حاضراً ، فهل وجدت فيه إلا الخيبة والألم ؟ لقد جربت الصناعات والفنون ، وطوفت فى البلدان ، فما أفدت من ذلك كله إلا أنى تركت فى كل بلد قبراً لأمل من آمالى . لقد أضعت الحب والمال ، وأضعت المجد الأدبى ، حتى هذه الألحان التى تدور فى نفسى ضاعت منى ... فلم أستطع أن أسمعها الناس أغانى وأصواتاً ، ما سمع الناس إلا أقصر أغانى وأقبحها ، وتلك هى مقالاتى التى نشرتها ، فتى يسمعون أجمل ألحانى وأطولها ؟

فى المستقبل !

يا ويح نفسى ! هل بقى لى مستقبل إلا الموت الذى غدوت أحبه وأناديه لو كان يسمع النداء ؟

***

لقد وجدت المستقبل عدماً فهل علىّ من لوم إذا عدت إلى ماضىّ أعيش فيه ؟

فى هـذا الماضى دفنت أمى ، وفيه دفنت أبى ، وفيه دفنت أحلامى ... لقد أحببت كثيراً وتألمت أكثر مما أحببت ، ولكن الحب الحقيقى الواحد الذي انطوى عليه قلبى ، والألم الفرد الصادق الذى عرفه ، هو حبى أمى ، وألمى لموتها ، وكل ما عداهما حب كاذب ، وألم عارض

إني لأنسى البلاد كلها حتى منازل حبي ، وربوع هواى ، ولكنى لا أنسى أبداً ذلك الزقاق الضيق الذى يمتد من العقيبة فى دمشق إلى رحبة الدحداح ، لأن سعادتى ولدت فى أول هذا الزقاق ، وماتت فى آخره حين مات أبى وأمى ...

فيارب ارحمنى بالنسيان ، وأين منى النسيان ؟

إنى لأنظر إليها الآن وهى مريضة على فراشها ، كأنما كان ذلك منذ ساعة ، فيبكى قلبي ولا أستطيع أن أكتب عنها حرفاً . لا أحب أن أنشر أحزانى حتى لا تلوكها ألسنة الناس ، فليبق الألم فى صدرى أحمله وحدى ... أنا لا أصدق أن هذه السنين السبع قـد مرت على ذلك الحادث ... أأنا أعيش سبع سنين لا أرى فيها أمى ، وقد كنت آلم إن غبت عنها يوماً ؟ أأعيش وهى نازحة لا تعود بعد عام ولا عشرة ، لا تعود قبل يوم القيامة ؟

اللهم صبراً فانى والله ما أطيق الصبر !

يقولون إن المصيبة تبدأ صغيرة ثم تكبر ، ولكن مصيبتى بأمى تنمو فى نفسي كل يوم !

لم أعد أجد فى الحياة ما يغريني بها ، ويرغبني فيها ؟ وماذا فى الحياة ؟ كل لذة فيها مغشاة بألم ، فيها الربيع الجميل ، ولكن فيه بذور الصيف المحرق ، والشتاء القاسى . وفيها الحب ، ولكن لذة الوصال مشوبة بمخافة الهجر . وفيها الصحة والشباب ، ولكنهما يحملان الهرم والمرض . فيها الغنى ، ولكنى ما عرفته وما أحسبني سأعرفه أبداً .

لقد كرهت الحياة ، وزادها كراهة إليّ هؤلاء الناس ، فلم يفهمنى أحد ولم أفهم أحداً . إن حزنت فأعرضت عنهم مشتغلاً بأحزانى قالوا ، متكبر ، وإن غضبت للحق فنازعت فيه قالوا ، شرس ، وإن وصفت الحب الذى أشعر به كما يشعرون قالوا ، فاسق ، وإن نلت كلمة الدين قالوا ، جامد ، وإن نطقت بمنطق العقل قالوا ، زنديق ، فما العمل ؟ إليك يا رب المشتكى فما لى فى الدنيا بعد أمي صديق !

تلك هي التى كانت تقبلني على علاتى ، والناس لا يقبلون إلا محاسنى . تلك التى كانت تحبنى أنا ، والناس يحبون أنفسهم فىّ . تلك هى الحبيبة الوفية التى لا تهجر ولا تخون ، تلك هى دنياى ، فوا أسفى ، إن دنياى قد احتواها التراب !

لم يبق من آثار هذا العالم الحافل بالاخلاص والحب إلا قبر منعزل وساقية صغيرة ، تميل عليها شجرة صفصاف ، وهذا كل شيء . . .

إنى لأقدس ذكرى هذه الشجرة ، وأخشع لها . إن حركات غصونها لتحرك فى نفسي عالماً كاملا ، ولـكنها لا تبالى ذكرياتى ولا تحفلها . إنها قائمة تحنو على اللص الفاتك ، كما تحنو على المحب الثاكل ، وتؤوى المجرم الهارب ، كما تؤوى الشاعر المتغزل ، فما أضيع ذكريات المحبين عند الطبيعة ، وما أضيعها عند الناس !

لقد انصرف عنى السيد حيدر الجوادى ، ونام عني أصحابى ، وتركونى أتجرع غصص آلامى وحيداً ، فمن هو الذى يعطف علىّ ، ويشاركنى حمل الآلام ؟ لقـد أيست من الطبيعة ومن الأصحاب ، فهل تسعدني أنت يا أيها المحسن المجهول الذى لا أعرفه أبداً ؟ أنت يا من يجوز مع الشمس بمقبرة الدحداح يزور حبيباً له طواه الرمس ، هل تمر على غريب متألم فتحيي عنه هذه البقعة وتعطف على ذكريات له فيها ، هى أعز عليه من الحياة ، لأنها كانت جمال الحياة ؟ هل تترفق فى سيرك وتتئد وتعلم أن فى هذه الرمال التى تطؤها أطلال قلب كان من قبل عامراً سليما . . . ترفق فانك لو ملـكت حاسة تدرك بها الذكريات لرأيت في هذه البقعة ما بين رمالها وترابها ، بقايا قلب محطوم ، بقايا دامية حزينة شاكية ، ولسمعت نشيجها

ما تصدع هذا القلب من هجر الحبيب ، ولا هدته أحداث الغرام ، ولـكن عصفت به عاصفة من موت الأم فهدت أركانه ، فاسكب على بقاياه قطرة من الدمع تحييها بها ساعة ، أو قل كلمة تسعد بها روحه الحزينة ، ثم توجه إلى القبر المحبوب ، إلى قبر أمى وأبى أيهـا الصديق المجهول ، فاسأل الله لنا كلنيه الرحمة والغفران ، فما بقى لى بعدهم أحباء ، ولا بعده دنيا . . .

لقد تركت تحت أقدامك قلبي وحبي يا أيها المحسن المجهول ، فارفق بهما . أسعد هذا اليتيم الضعيف ، وإن كان الناس يدعونه شيخاً ، وإن كان فى الثلاثين من عمره !

رب ، رحمة لهذا اليتيم الضعيف ، ابن الثلاثين !

« رب اغفرلى ولوالدى ؛ رب ارحمهما كما ربياني صغيرا »

(بغداد — المدرسة الغربية) علي الطنطاوي

غريب اللغة فى الميزان

للأستاذ عبد القادر المغربى

من مشاكل الحياة ما لا يمكن حله، أو لا يرضى الناس أن يتلقوا حله من شخص واحد مهما علت منزلته فى العلم والفضل لما يصادم ذلك من التحزب للرأي، والمنافسات بين المتنازعين، حتى ينزلوا أخيراً على حكم الجماعات التى لا تجد النفوس (غالباً) حرجاً من التسليم لها والرضى بحكمها

ومن هذا القبيل مشكلة إيجاد كلمات جديدة نحتاج إليها فى نهضتنا الحديثة، سواء أكانت تلك الكلمات أعجمية الأصل، أو عربية لكنها غير مأنوسة الاستعمال، فان ضجيج النزاع يشتد حول تلك الكلمات ويري كل من المتنازعين أن يحكم ذوقه غالباً، وعلمه أحياناً، فى قبول هذه الكلمة، وعدم قبول تلك. والتشاؤم بكلمات اللغة يرجع فى الأعم الأغلب إلى أمور أربعة:

١ — كون الكلمة من أصل أعجمى أو عامى

٢ — كون الكلمة غريبة غير مأنوسة الاستعمال

٣ — كون الكلمة مأنوسة المعنى مكروهة اللفظ ككلمة (ضيزى)

٤ — كون الكلمة على العكس مأنوسة اللفظ لكنها مكروهة المعنى كالكلمات الدالة على ما يستحى من ذكره

ويهمنا من هذه الأقسام القسم الثانى: وهو كون الكلمة غريبة لا يعنى بها إلا المتخصصون فى اللغة لكن استجدّ فى لغة حياتنا اليومية فراغ لا يسده إلا بعض تلك الكلمات الغريبة، فكيف نصنع؟ هل نستعملها غير مبالين أذواق القراء؟ أو نهجرها غير مبالين إهمال مصدر من مصادر تنمية اللغة، ولا تعطيل معدن نستخرج من شذراته مادة لتلك اللغة التى يخشى أن تقضى عليها الألفاظ الأعجمية

وعندى أن ليس كل غريب اللغة مما يحسن هجرانه وترك الانتفاع به، بل إن من كلماته ما استجمع شروط الفصاحة وإنما يعوزه الاستعمال فيُصقل ويصبح مأنوساً مألوفاً

ومرادى بالغريب هنا ما يجهله عامة متأدبى هذه الأيام. فهذا ما نريد أن نردد القول فيه، ونميّز بين ما نحن فى حاجة إليه وما نحن فى غنية عنه

هذه كلمة (سياسة) لا نستعمل معها مرادفها وهى كلمة (إيالة) فان إيالة الرعية وسياسة الرعية شىء واحد؛ بل ربما كانت (الإيالة) أشهر من (السياسة) فى استعمال أهل اللسان الأولين: آل البلاد والرعية أولاً وإيالةً، وتأوّل البلاد (من التفعّل)؛ ويقلبونها أحياناً فيقولون (تألّى) ومنه قول الشنفرى فى بيتيه المشهورين (وأمّ عيالٍ قد شهدت تقوتهم الخ)

وقد عنى بأم العيال رفيقه فى اللصوصية (تأبط شرا) إلى أن قال (أىٌ أولٍ تألّت) أى أية سياسة مشؤومة ساستنا بها تلك الأم فى توزيع الزاد علينا

وقد يقال أيضاً إن فعل آل إيالةً أعرق نسباً وأشد أصالة فى المعنى المراد من فعل ساس سياسة

ذلك أن السياسة تستعمل حقيقة فى سياسة الدواب، ومن سياسة الدواب نقلت إلى معنى سياسة الرعية، بينا كلمة (إيالة) خاصة بسياسة الرعية وإدارة مصالح البشر، ولكن هل يشفع كل هذا بها، فترزق الحظ وتحيا بالاستعمال، أو يتشاءمون بها ويهملونها إلى حين؟

(بِزّيزَى) بكسر الباء وزايين معجمتين أولاهما مشددة بينهما ياء ثم ألف مقصورة، تقول العرب: (رجعت الامارة أو الرياسة بزيزى) أى ما عادت تؤخذ بالاستحقاق والكفاية بل بالقوة فمن عز وقوى عليها بزها وسلبها مستحقها. فكلمة (بزيزى) من فعل (بز) المأنوس والمشهور لاستعماله فى المثل السائر (من عز بز) أي من قوى سلب. فما أحوجنا إلى إحياء هذه الكلمة وما أكثر المقامات التى تعرض للكاتب أو الصحفى ويتفقد كلمة (بزيزى) فلا تخطر له

ولا أري كلمة (فوضى) تسد مسد (بزيزى) إذ أن بينهما فرقاً لا يخفى على البصير

فهل يرضى كتابنا عنها ويفسحون لها المجال على أسلات أقلامهم ؟ أم يتأففون بها كما تأففوا بالايالة :

وكلة (أبهل) ما الرأى فى إحيائها من رمسها ؟ يقال : أبهل الوالى رعيته إذا تركهم يفعلون ما شاؤوا . وكثيراً ما أصبح الأمر فوضى فى أطراف المملكة أو فى بعض بواديها بسبب عجز الحاكم أو بسبب سوء إيالته (أى إدارته) فهذه الحال هى الابهال تبهل الحكومة بلدا وتعجز عن ضبطه فتعم الفوضى فيه، ففعل (أبهل) من أجدر كلمات اللغة بالحياة وأولاها بالاستعمال

يقول قائل إننا نشعر بالاستغناء عن كلة الابهال وتصاريفها ما دام لدينا تعابير أو جمل مركبة نستعملها مكانها

نعم ولكن إذا تدوولت واستعملت استجد فى نفوسنا شعور وألفة لها : مثل كلة (هيأة) فى قولنا (هيأة المحكمة) و (هيأة كبار العلماء) ، فان كلة رجال القضاء والقانون كادت تجمع على أنه لا تقوم مقامها كلة سواها مع أن الحاكم والحكام كانوا فى غنية عنها أكثر من ألف ومائتى سنة . وهذا كالسيارات والتليفونات فى بلاد كمصر مثلا كانوا يعيشون من دونها، أما اليوم فلم تعد تستتب للناس حياة ولا يطيب لهم عيش إذا حصل إضراب وعطلت السيارات والتليفونات عن العمل

* * *

زارنى بالأمس زائر كريم من كتاب الصحف وجرى بيننا ذكر الحاجة إلى أوضاع جديدة تقوم مقام تلك الأعجمية . فأجبته ما الفائدة من إجهاد أنفسنا فى وضع كلمات عربية جديدة إذا كنتم تأنفون منها بسبب شىء من الغرابة أو الثقل تجدونه فيها فما أسهل إيجاد الأوضاع علينا. ولكن ما أصعب قبولها عليكم

قال : وما مثال ذلك؟ قلت: قد يكون للدولة جيش مختلط من وطنيين وغير وطنيين فهل تقبلون أن نطلق عليه اسماً كانت تعرفه العرب وهو (البريم) ؟ وأصل معنى البريم خيط ثخين يفتل من عدة خيوط مختلفة اللون . فالعرب منذ القدم سموا الجيش المتعدد الأجناس (بريماً) تشبيهاً له بالبريم أعنى الخيط المذكور . فقال: ينبغى قبول كلة البريم لخفتها وإحكام وضعها. أما (البزرى) و (الابهال) فلا . ثم أخذ يجادل ويحتج لنفسه بقول الأستاذ (أحمد أمين) وهو :

« إن علينا اليوم أن نختار الألفاظ التى تناسب العصر ويرضاها ذوق الجيل الحاضر »

قلت : وقال الأستاذ (عزام) ما ملخصه :

« إن علينا اليوم ألا نجعل الذوق حكما فى اللغة لأنه يقتصر على المألوف من الكلمات ويعد ما عداه ثقيلا نابياً . وعلى الكاتب ألا يجعل نفسه أسيراً تتصرف به الأذواق الخاصة ، بل يستملى فطرته فتملى عليه من الكلمات ما يلائم الذوق العام . الألفاظ أجل من أن يتحكم فيها الذوق وحده . الحاجة الملحة خلاقة الألفاظ . وهذه الحاجة لا تبالى بالأذواق ؛ فكم من كلة أجنبية ثقيلة استعملها كتاب العرب وألفتها أذواقهم : كالبرو بوغندا والأرستقراطية والميتافيزيقية الخ . وما دام هناك معان شديدة وجب أن يكون إزاءها ألفاظ شديدة، ولامندوحة لنا عن استعمال تلك الألفاظ لمعانيها كما نستعمل الألفاظ اللينة لمعانيها أيضاً . ونكون فى عملنا هذا أحراراً دون أن تأخذنا رحمة بالأذواق ، وكما يعالج لين الحضارة بالرياضات الخشنة القاسية ينبغى أن يعالج لين اللغات بالألفاظ الخشنة القاسية أحياناً . وإن حاجتنا اليوم إلى الابداع تسوغ لنا أن نتخير من الألفاظ ما نشاء ثم نطبع ذوق الأمة على مشيئتنا هذه . وما أشد حاجتنا إلى كثير من الألفاظ الجديدة التى إذا استعملناها أعانتنا فى الافصاح والابداع . نعم إذا كان للمعنى الواحد عدة ألفاظ حق للذوق أن يختار منها أحلاها وأرشقها لا أن يعمد إلى أسمجها وأثقلها فيؤثره على المألوف إغراباً وتنطعاً اهـ »

وقول الأستاذ عزام هذا يشبه ما قلته مراراً : من أن كلمات اللغة فى المعاجم تحكى الأدوات المنزلية فى المنازل : منها اللطيف المرهف الذى يصفف فى محاريب الدار (صالونها) ،ومنها الضخم الجافى الذى يخبأ فى أقبيتها وسراديبها ، ولكل أداة وظيفة لا تستعمل فيها الأداة الأخرى ؛ فللصديق الزائر متكأ الحرير ومروحة الريش وأكواب السكر ؛ وللص الدار الهراوة ويد الهراس ومشحوذ الخنجر

وشتان بين خشونة هذه ونعومة تلك، كما أنه شتان بين كلمات (الجِعْظَارِيّ) و (الجَوَّاظ) اللذين استعملهما النبي (صلى الله عليه وسلم) فى قوله (أهل النار كل جَعْظَرِيّ جَوَّاظ) وبين كلمات (كَيِّس فَطِن حَذِر) التى استعملها (صلى الله عليه وسلم) فى حديث (المؤمن كيّس فطن حذر)

وكلمة (ضوطار) من كلمات أو أدوات المعاجم القديمة، فهل نستثقلها ونهجرها لثقالتها؟ أم ندّخرها كما تدّخر الهراوة للص فنخبأ (الضوطار) للرجل الذى ينزل ميدان السياسة ولا سلاح له يضمن له الفوز إلا الجهـل والمخرقة فنلقّبه بضوطار السياسة كما لقبه بذلك الشيخ جمال الدين أو الشيخ محمد عبده فى جريدتهما (العروة الوثقى)

***

جاء فى صحف الأخبـار أن الطيار (فلان) حاول أن يبلغ بطيارته أعلى قمم جبل هملايا وهى قمة (أفرست) وبعد قيامه بما أخذه على نفسه ذكر أنه علا بطيارته فى الهواء الملاق والمحاذى لسفح الجبل عدة مئات من الأميال صعداً قبل أن يبلغ القمة المذكورة وقبل أن يبلغ الفضاء الذى فوقها. فالهواء المحاذى للجبل ماذا يسمى؟ يسمى (نفنفاً). فهذه الكلمة نحتاج إليها للتعبير عن الهواء الذى لا يكون مطلقاً فوق الجبال وإنما يكون محصوراً بينها ومحاذياً لسفوحها، فلا مندوحة للطيارين عن استعمال كلمة (النفنف) فى لغة الطيران ومن استثقلها كان أثقل منها لعمرى.

يقول الطيار: ثم جاوزت النفنف وأصبحت فى الهواء المطلق فوق قمة (أفرست) فماذا نسمى هذا الهواء أو هذا الفضاء الذى طرت فيه؟ نسميه (اللوح) ونقول له إن طيارتكم بلغت اللوح أو أخذت تسبح فى اللوح. و(اللوح) بضم اللام الهواء بين السماء والأرض.

يقول المتشائم بغريب اللغة: إن اللوح فيها غرابة فهل من كلمة غيرها تؤدى معناها؟

نعم كلمة (سُمَّهى) بضم السين وتشديد الميم وألف مقصورة فى الآخر.

فيقول: هـذه أشد غرابة من تلك وفيها ثقل ليس مثله فى كلمة (اللوح) فلنوطن أنفسنا إذن على قبول (اللوح) وصقلها بالاستعمال.

يقول الطيار إنه عاد فارتفع بطيارته إلى أقصى مناطق الهواء بحيث أصبح التنفس عسيراً عليه. فماذا نسمى الهواء ثمّة؟

نسميه (السُّكاك) بضم أوله، وفسره علماء اللغة بالهواء الذى يلاقى عَنان السماء، وفسروا (العنان) بالذى يبدو لك من السماء إذا نظرتها، والذى تراه منها هو زرقتها، والزرقة أقصى طبقات الهواء أو مناطق الهواء، فى بادىء النظر، فالسكاك إذن هو الذى يكون فى أعلى أو أقصى طبقة فى اللوح

فيحسن أن ندخل فى لغة الطيران هذه الكلمات الثلاث:

(النفْنَف) هو ما بين الجبال

(اللوح) هواء الفضاء بين السماء والأرض

(السكاك) هواء أعلى طبقات اللوح

ونكون أهملنا كلمة (السُّمَّهى) مستغنين عنها باللوح لثقالتها التى ينفر منها المتشائمون. ويطرب لها اللغويون المخصصون.

وحاصل القول أن كلمات المعاجم أدوات كأدوات المنازل: منها الضخم الثقيل، ومنها المرهف الخفيف. فعلى الكاتب اللبق أن يستعمل كلاً فى محلّه اللائق به. وسلام

«دمشق الشام» المغربى

بيت المغرب فى مصر

للأستاذ سيد قطب

هيأ عقد المعاهدة بين مصر وانجلترا الدولة المصرية الحديثة، أن تنتهج سياسة شرقية عربية كانت تطمح إليها من قبل، فيحول دون انتهاجها أولا مشاغل الوطنية باستكمال الاستقلال، وثانياً تيارات السياسة الاستعمارية المضادة للوحدة العربية الشرقية

وتطرد مظاهر هـذه السياسة الجديدة فى التفكير المصرى الآن، وتتحقق بوسائل عملية لم تكن بارزة من قبل

فالأزهر اليوم يرحب بالبعثات الشرقية عامة، وهو وإن كان من قبل مثابة طلاب هذه البلاد، إلا أنه في هذه الأيام يشملهم برعاية خاصة، تتوجها رعاية الفاروق المظيم لهذه البعوث التى تفضل جلالته بحمل الانفاق على الكثير منهما من جيبه الخاص

والجامعة تزخر بالكثيرين من أبناء البلاد الشقيقة، وتسهل لهم الطرق لاستكمال دراستهم بها

ودار العلوم تهم بانشاء قسم داخلى للاخوان الشرقيين بها، مبالغة فى توفير أسباب الراحة والدراسة المنظمة لهم

وفى الوقت ذاته تتجه مصر إلى جاراتها العربية للنظر فى توحيد البرامج أو تقريبها على الأقل، ويعقد مؤتمر فى تونس للثقافة العربية قوامه الأساتذة المصريون

وكذلك تمد مصر يدها بخيرة أبنائها لهؤلاء الجيران الكرام، يحملون إليهم العلم والنور والخبرة فى شتى الشئون

هـذا كله فى عالم الثقافة، فأما فى عالم السياسة فان قضية فلسطين كانت محكا لتوثيق الروابط بين مصر والبلاد العربية كلها؛ وقد نالت هذه القضية عطف كل مصرى واهتمامه، وآخر مظاهر الاهتمام كانت فى المؤتمر البرلمانى ومؤتمر الجامعة. كما أننى أعلم من مصادر وثيقة أن الحكومة المصرية قدمت لحكومة لندن مذكرة خاصة بهـذا الموضوع، ضمنتها رأيها قوياً حازماً صريحاً، وإذا كانت لم تشأ نشر هذه المذكرة، فقد اختارت بهذا أن تتبع الطرق الدبلوماسية المناسبة للمعاهدة

***

فى خلال هذه اليقظة التى تغمر الضمير المصرى تجاه البلاد العربية، افتتح «بيت المغرب فى مصر» فكان افتتاحه فى هذا الأوان علامة من علامات التوفيق، ومظهراً من مظاهر الحيوية العربية الكامنة التى تنبثق فى أفضل المناسبات

وهو دليل جديد على الثقة بمصر، والتوجه إليها من أطراف الشرق العربى والمغرب العربى، هذه الثقة التى يحق للمصريين أن يفخروا بها، وأن يعنوا باستدامة أسبابها، وتمكين روابطها

وقد أحسنت مصر استقبال «بيت المغرب» واشتركت الحكومة والشعب بالحفاوة به وبسكانه، لتفتح قلبها اليوم لمثل هذه الصلات، بعد ما خلصت من قيود الاستعمار

ولقد كان لى من قبل حظ معرفة الرجل الوطنى العامل الذى يشرف اليوم على بيت المغرب بأقسامه الثلاثة (مقر البعثة، ومكتب التبادل الثقافى، ومعرض الفن المغربى) إذ كان يدرس بمصر عام ١٩٢٩ وكانت وجهتنا إذ ذاك مع نخبة من أكرم الاخوان المصريين والشرقيين أن نؤلف جمعية للطلبة من هؤلاء وهؤلاء، تمكن من الروابط بين الجميع، وتعمل للمستقبل فى توثيق العلاقات وتسهل للطلبة الشرقيين وسائل العلم والراحة فى مصر

وكان الأستاذ المكى الناصرى أشد المتحمسين للفكرة، وكنا نجتمع — غالباً — فى داره بمصر للمباحثات فى تحقيق هذا الأمل الكريم

فمن حسن الحظ أن يكون هذا الرجل هو الذى يتولى الآن تنفيذ فكرة «بيت المغرب» إذ هو أصلح رجل مغربى — فيما أعتقد — لتنفيذها، لسابق معرفته بالأوساط المصرية وسابق تفكيره فى مثل هذه المشروعات

***

ورؤيتنا لبيت المغرب حقيقة ملموسة، تثير فى نفوسنا التساؤل: متى يكون لكل أمة عربية بيت فى مصر على مثال هذا البيت الوطيد؟

إن اليوم الذى تكون فيه لكل بلد شرقى بعثة دائمة فى مصر على هذا المثال لهو اليوم الذى يتم فيه توحيد الثقافة والاتجاه بين هذه الأمم، فتتم لها العزة العربية التى نحلم بها فى المستقبل القريب — إن شاء الله —

«حلوان» سيد قطب

التاريخ في سير أبطاله

ابراهام لنكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادي ! خذوا معاني العظمة في نسقها الأعلى من سيرة هذا العصامي العظيم ... ...

— ٢٧ —

ولقد كانت هذه السنة الثانية للحرب أسوأ الأيام التي مرت بالرئيس طيلة حياته . وأي شيء أشد سوءاً من الهزيمة والخذلان ؟ وإن الرئيس ليخشى أن تنحل العزائم وتخور القوى وبخاصة حين أحس الناس أن الحرب لا بد أن يطول أمدها ويشتد سعيرها . وها هو ذا تهامس الأمهات بدأ يصل إلى مسمعيه . وليته كان تهامس الأمهات فحسب ، فان كثيراً من الرجال قد أخذوا يبدون تململهم وتذمرهم ويعلنون عن رغبتهم في وضع حد لهذه المحنة القومية ...

وكان مما يكرب الرئيس ويوجع نفسه أن كثيراً من الناس كانوا يلومونه ويرجعون سبب الهزائم إليه ؛ ويغفلون في ذلك عما كان يفعل قواده وعلى الأخص ماكليلان ، ذلك الذي كانت محبته والثقة به إحدى خطايا الجماعات

رجحت كفة الجنوبيين في البر ولكنهم في البحر كانوا أذلة ؛ ذلك أنهم لم يكن لهم مثل ما كان لأعدائهم من الجاريات المواخر فيه ؛ ولقد استطاع أحد القواد البحريين وهو فرّاجت أن يسير في تلك السنة بسفنه إلى نيوأورليانز فيصليها من ناره ويأخذها عنوة ، وكان انتصاره هذا وإذلاله أهل الجنوب على هذا النحو مما خفف على الشماليين بعض ما كانوا يلاقونه في البر من هوان وذلة ... ولسوف تكون تلك القوة البحرية في النهاية عاملا من أهم عوامل النصر ، الأمر الذي لم يفطن إليه أهل الجنوب إلا بعد فوات الفرصة ...

***

وبينما كانت الحرب تتأجج نارها وينفجر بركانها ، وتتواثب في البر والبحر شياطينها ، كان الرئيس يفكر في أمر هو أعظم ما فكر فيه من الأمر ... ولقد كان من أجل مواهبه أنه كان يتبين الأمور على حقيقتها مهما التوت عليه سبلها واختلطت وشائجها ، وهو في ذلك باق بنظره فيتبين حقيقة موقفه وموقف أعدائه ثم يسدد خطاه على هدى مما رأى دون أن تفوته صغيرة أو كبيرة مما تقع عليه عيناه ...

وتبين الرئيس موقفه فأخذ يتحفز ويستجمع قواه ليقدم ، ثم عزم وصمم فليس من الاقدام بد ؛ وليس لما عسى أن يلقى من المعارضة أي وزن عنده ... ومتى عقد ابراهام النية على أمر ثم تخاذل عنه أو تهاون في العمل على إنفاذه ..؟

صمم الرئيس أن يضرب الضربة التي طالما انتظر أن تواتيه لها الفرصة ... أجل، أراد الرئيس اليوم أن يضمن تاريخ البلاد ، بل وتاريخ الانسانية، أجل عمل قام به ألا وهو تحرير العبيد! وإنه لن يحجم اليوم أن يعلن رسمياً وفي مجال واسع ما سبقه إليه فريمونت وهنتر، ولن يتردد أن يأخذ بما رفض من قبل مهما يكن من الغرابة في موقفه ، ولكن أية غرابة وهو كفيل أن يوضح للناس قضيته وأن يحملهم على قبول حجته ؟

الحق أن الرئيس لم يغفل يوماً عن مسألة العبيد ، ولم ينس ذلك النظام المنكر البغيض الذي نشأ على مقته وازدرائه والذي طالما تمنى أن تنجو البلاد من آثامه.. ولكنه كان يحرص ألا تفسد مسألة العبيد عليه قضية الحرب ، ولقد كان محور تلك القضية كما مر بنا المحافظة على الوحدة ؛ فلما رأى تحرير العبيد قد أصبح عاملاً من عوامل نصرة تلك القضية وعنصراً من عناصر نجاحها ، لم يتردد ولم يخف ومضى قدماً إلى غايته ...

وكان الرئيس قد خطا خطوة في هذه المسألة في أوائل السنة الثانية من سني رياسته (٦ مارس سنة ١٨٦٢) وذلك أنه أرسل إلى المجلس التشريعي مقترحاً أن يصدر المجلس قراراً به تعوض الولايات التي تقضي على نظام العبيد فيها تدريجياً تعويضاً مادياً عادلاً ، وأصدر المجلس ذلك القرار ولكن الولايات المحايدة عارضته ورفضته وهي المقصودة قبل غيرها به ... ودعا الرئيس ممثليها وحاول إقناعهم ولكنهم لم يقتنعوا فمنيت الفكرة بالفشل ولم يفد

الرئيس منها إلا أنه تعرض لنقد هـذه الولايات ولومها ثم للوم دعاة التحرير من جهة أخرى لأنهم رأوا في الفكرة تردداً وتقاعداً وهم يريدون التحرير العاجل في غير تحفظ أو تراجع .

وكان الرئيس لا يزال يقلب الأمر على وجوهه فهو يخشى من التحرير العاجل الشامل أن يغضب الولايات المحايدة فتنضم إلى الاتحاد الجنوبي، وكان يعد ذلك، والحرب قائمة، كارثة ؛ ثم هو يخاف أن يتهم أنه ما أثار هـذه الحرب الضروس إلا من أجل نظام العبيد مع أن الدستور يقر ذلك النظام .

وهو في الوقت نفسه يرى أن تحرير العبيد سوف يدعوهم إلى التمرد على سادتهم في الجنوب فتضعف شوكتهم ، هذا إلى رفضهم العمل في فلاحة الأرض بعد ذلك فيضطر البيض إلى العمل مكانهم فتتضاءل جيوشهم وتضعف مواردهم، فضلاً عن أن التحرير من شأنه أن يكسب الرئيس وحكومته عطف الدول المتمدنة في أوروبا فلا تناوئه وهو فوق ذلك جميعاً يقضي على ذلك النظام البغيض الذي تنفر منه الانسانية وتستخذي له ، والذي مافتىء الرئيس ينتظر يوم الخلاص منه ...

ولكن يبقى بعد ذلك حكم الدستور في الأمر ، فالدستور يقر امتلاك العبيد، وإذا أقدم الرئيس على التحرير خرج بذلك على الدستور وهو الحريص على مبادئه العامل منذ اشتغاله بالسياسة على المحافظة عليه وتقديسه ... على أنه يجد مخرجاً من ذلك فالمسألة تدعو إليها ضرورة حربية وهو مستطيع أن يحمل الممثلين بسهولة على تعديل الدستور في هذه النقطة ...

بذلك لا يعوز الرئيس إلا الفرصة المناسبة وقد لبث يترقبها... ولهذا كان يرفض أن يشايع دعاة التحرير قبل أن تحين الساعة فلا عجب أن يرفض في مايو من تلك السنة ما فعله القائد هنتر ولكن ليفعله هو بعد حين ...

لبث الرئيس يترقب الفرصة ، وكانت البلاد يتزايد فيها الشعور بضرورة القضاء على العبودية ، ويتجلى ذلك الشعور في تلك العبارة التي كتبها قبل ذلك بنحو ثمانية شهور أحد الكتاب المؤرخين والتي جاء فيها « إن هذه الحرب الأهلية هي الأداة التي سخرها الله لاقتلاع جذور العبودية ، وإن أعقابنا سوف لا يرضون بنتيجتها إلا إذا كان مما تحدثه الحرب ازدياد عدد الولايات الحرة

هذا هو ما يتوقعه الجميع وهـذا هو الأمل الذي ينشده جميع الأحزاب »

وكانت أولى الخطوات العملية التي جاءت مظهراً لهذا الشعور أن أصدر المجلس في ابريل قراراً بالتحرير العاجل في العاصمة وما حولها ؛ ولما وقع لنكولن على هذا القرار قال : « عندما تقدمت باقتراح إلى المجلس عام ١٨٤٩ للقضاء على العبودية في هذه العاصمة ولم أكد أجد من يستمع إلى ذلك الاقتراح ، لم أكن أحلم أنه سوف يتحقق بمثل هذه السرعة »

ولقد كان هذا القرار بمثابة مقدمة لما سيتلوه في القريب من تحرير شامل عاجل للعبيد في الولايات جميعاً ، ذلك العمل الذي سوف يضاف إلى تراث الانسانية ويعد من مآثر البشرية في هذا الوجود

وكان على ممثلي الولايات المحايدة ، تلك الولايات الوسطى أن تعتبر بما جاء في هذا القرار ، لكنهم ظلوا على عنادهم على الرغم من أن الرئيس قد دعاهم إلى مؤتمر آخر في يوليو سرد لهم فيه وجهة نظره وأطلعهم على حججه

أخذ الرئيس يتحين الفرصة ولكن الموقف الحربي في صيف ذلك العام كان على مابينا من حرج وشدة ، فالقائد ماكليلان في زحفه على رتشموند متلكئ متردد ، ولقد تراجع في يوليو تراجعاً مهيناً مخجلا وإنه ليرفع عقيرته بالسخط على رجال الحكومة في العاصمة كما أسلفنا ، الأمر الذي تألم له الرئيس أشد الألم ووقع منه في غمة شديدة وحيرة

وأراد الرئيس أن يفرج عن نفسه فيعلن التحرير في تلك الآونة ، ولكن سيوارد أشار عليه أن يتريث ويرجئ المسألة إلى حين ، فانه إن فعل اليوم وأعلن التحرير عد ذلك منه ضرباً من اليأس وهو مهزوم مستضعف ... ورأى الرئيس وجاهة رأي صاحبه فآثر التريث والصبر قائلا: إن التحرير معناه يومئذ « آخر صرخة في الهروب »

وأخـذت الأصوات ترتفع من كل جانب بمطالبة الرئيس باعلان قرار التحرير ، ومن ذلك ما جاء في جريدة نيويورك تريبيون على لسان محررها جريلي وهو ذلك الصحافي العظيم الذي كانت تربطه بالرئيس صلة منذ بدأ يعظم شأنه في الحزب الجمهوري .

كتب جريلى فى عبارة صارمة يأخذ على الرئيس تردده ويطلب إليه فى لهجة أقرب إلى الأمر منها إلى الرجاء أن يعلن تحرير العبيد. ولقد عجب الناس حين رأوا الرئيس يرد بنفسه فى الصحيفة على محررها ومما جاء فى رده قوله « إذا كان هناك من لا يحافظون على الوحدة إلا أن يحافظوا على نظام العبيد فانى لست معهم، وإذا كان هناك من لا يحافظون على الوحدة إلا أن يقضوا على نظام العبيد فانى لست معهم! إن غرضى الأسمى هو أن أحفظ الاتحاد وليس هو أن أحفظ أو أقضى على العبودية. فاذا تسنى لى أن أنقذ الاتحاد دون أن أحرر عبداً واحداً فعلت ذلك، وإذا كان فى وسعى أن أنقذه بتحرير جميع العبيد فعلت ذلك ... وإذا استطعت أن أحافظ عليه بتحرير بعض العبيد وترك البعض فعلت ذلك أيضاً ...»

وكان جيش الجنوبيين يزحف على وشنجطون بقيادة لى وقد عبر نهر بوتوماك ونزل فى ولاية مارى لند، وأسقط فى يد الشماليين وباتت عاصمتهم فى ذعر وهلع . . . وحزن الرئيس وضاق صدره بما كيلان وأقسم لئن ارتد العدو ولحقت به الهزيمة ليعلنن قرار التحرير إثر ذلك

وأخيراً التحم الجيشان فى سبتمبر: جيش لى وجيش ماكيلان وارتد الجنوبيون عقب معركة أنتيتام التى أشرنا إليها وكان تراجعهم فى اليوم السابع عشر من الشهر

وفى اليوم الثانى والعشرين من هذا الشهر دعا الرئيس مجلس الوزراء إلى الاجتماع عنده، ولم يكن أحد من الوزراء يعلم الغرض من هذا الاجتماع، ولما اكتمل جمعهم فتح الرئيس كتاباً كان يقرأ فيه، وأخذ يقرأ فى صوت جهورى قصة فيه أعجبته وهو يضحك والوزراء يضحكون ويعجبون إلا أحدهم وهو ستانتون فكان يضيق بكثير مما يفعل الرئيس وبما يأتيه من ضروب المزاح، وهو لا يدرى أن مثل هذا الرجل فى تلك الشدائد أحوج ما يكون إلى أن يرفه عن نفسه ويخفف عنها بعض ما بها ... وإلا فكيف يستطيع أن ينهض بذلك الحمل الذى تنوء به الجبال؟ وكثيراً ما يكون ضحك بنى الانسان مغالبة منهم لما يجيش فى نفوسهم مما يصيبه الدهر عليهم من آلام وخداعاً منهم لأنفسهم عما بها ولو ساعة أو بعض ساعة

ولما فرغ الرئيس من تلاوة القصة غامت أسارير وجهه وبدت عليه أمارات الجد ودلائل الاهتمام والحزم، فأخرج من جيبه ورقاً طويلاً كتبه بخط يده وتلاه على الأعضاء فاذا هو قرار التحرير

أعلن الرئيس أن العبيد فى جميع الولايات بعد اليوم الأول من السنة الجديدة أحرار وأن الحكومة ستعترف بحريتهم وتساعدهم على بلوغها وأنها ستقوم بتعويض الولايات الموالية عما تطلقهم من العبيد . . . وبهذا الاعلان ضرب نظام العبودية ضربة سوف تكون القاضية عليه، وبه تحقق حلم طالما منى الرئيس به نفسه، ورأى ذلك النجار — الذى وقف فى صدر شبابه مرة فى مدينة أورليانز يشهد سوق العبيد — نفسه يقضى على ذلك النظام فيعلن باسم حكومة هو رئيسها أن عبودية بعد اليوم المحدد وأن الشعب الأمريكى جميعه شعب حر، وأن أمريكا دولة حرة وأمة حرة

أعلن الرئيس كلمته وأدى رسالته، وشهد ابن الغابة اليوم الذى يقف فيه موقف الآمر الذى ينطق باسم شعب فى أمر طالما شغل باله وبال الأحرار فى ذلك الشعب، ورأى العالم نوعاً جديداً من الحركات الكبرى تؤثر فى تاريخه وتضاف إلى سجله، حركة من تلك الحركات التى تنقل تاريخ الشعوب من فصل إلى فصل

وهزت البلاد من أعماقها فرحة عظيمة، وراح الناس يعلنون عن ابتهاجهم بالزينات ينصبونها والليالى يقيمونها ويملأونها بأفراحهم واحتفالاتهم ومظاهر حبورهم

وانهالت على الرئيس رسائل التهنئة والاعجاب يحملها البرق والبريد من أمريكا ومن خارج أمريكا ... فلقد تلفتت أوربا تنظر ما تفعله الدنيا الجديدة للمرة الثانية من أجل الحرية، فهذه الدنيا التى ولدت الديمقراطية فى القرن الماضى تئد العبودية فى هذا القرن وتضع اسم رجلها وهدية أحرارها لنكولن إلى جانب اسم بطلها ومحررها وشنجطون الذى انتزع لها استقلالها بحد السيف من الغاصبين من أعدائها

والرئيس صامت لا يعرف البطر كما لا يعرف الخور؛ يتلقى تهانى المهنئين وكلمات المعجبين بحزمه فى سكون وتواضع، وإنه ليحس ألا يزال بينه وبين يوم الراحة جهاد وجلاد يرى مظهرهما تلك الحرب التى ما فتىء يتزايد سعيرها ...

« يتبع »

الخفيف

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ — ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ٤٣ —

من شئونه الاجتماعية

لم يكن الرافعي عضواً في جماعة من الجماعات ، ولا منتسباً إلى حزب من الأحزاب أو طائفة من الطوائف ؛ إذ كان يؤثر الوحدة والاستقلال في الرأي . وكان من التعصب لرأيه والاعتداد بنفسه بحيث يأبى أن ينزل عن رأي يراه مجاملة لصديق أو خضوعاً لرأي جماعة ينتسب إليها ؛ وكان له من علته سبب آخر نبَّهتُ إليه عند الحديث عن نشأته . ثم إن الرافعي لم يكن رجلاً اجتماعياً يلتزم ما تفرض عليه الجماعة من تقاليد ويتخذ أسلوبَ الناس فيما يليق وما لا يليق ؛ فهو لا يعتبر إلا رأيَه أو حاجتَه أو مصلحتَه فيما يكون بينه وبين الناس من صِلات ، ولم يكن يعرف هذا (النفاق الاجتماعي) الذي يسميه الناس : التقاليدَ ، أو الأدبَ اللائق !.. فهو بذلك كان عالماً منفرداً يسير في نهجه إلى الهدف المؤمَّل على وحي الفطرة أو هَدْي الإيمان . سمِّ هذا شذوذاً في الُخلق ، أو سمِّه استقلالاً في الرأي وأسلوباً من التعبير عن الشخصية المتميزة بخصائصها ؛ فايعنيني هنا إلا إثبات هذه الحقيقة في التاريخ كما شهدتها في معاملاته وفي صِلاته بالناس ، وكما لمحتها في جملة من أحاديثه ...

... هذه الأسباب هي أهمّ ما كان يباعد بين الرافعي والاشتراك في الجماعات ، أو يباعد بينها وبينه !

على أن ذلك لم يكن يمنعه أن يكون هواه مع جماعة من الجماعات أو حزب من الأحزاب في وقت ما لسبب ما ، ولم يمنعه ذلك أن يكون عضواً في بعض الجماعات

وأول أمره في ذلك — على ما أعرف — أنه شرع وهو شاب لم يجاوز العشرين في تأليف جماعة من الشباب تدعو إلى نوع من الاصلاح الديني ؛ وكان معه على هذا الرأي صديقان من أترابه ، أذكر منهما الأستاذ عبد الفتاح الرق المحامي ؛ وقد اتخذوا (مسجد البهي) في طنطا مكاناً لاجتماعهم وتبليغ دعوتهم ، وطنطا ، كما قد يعرف كثير من القراء ، مركز هام من مراكز الثقافة في مصر ، وفي أهلها حفاظ وتحرج ، ولها صبغة دينية نشأت من أن فيها معهداً دينياً كبيراً في (الجامع الأحمدي) كان في وقت ما يشتد عدْواً في مسابقة الجامع الأزهر بالقاهرة . والأزهريون في طنطا ، كالأزهريين في القاهرة إلى عهد قريب : أكثر أهل العلم في مصر حفاظاً على القديم ، وأسرعهم إلى سوء الظن بكل إصلاح جديد ، من ذلك لقي الرافعي وصاحباه في دعوتهم ما لقوا من عِداء طلبة الجامع الأحمدي وعلمائه ، حتى هم الطلبة مرة أن ينالوهم بالأذى في أبدانهم ... فلم يجد الرافعي وصاحباه في النهاية بداً من التسليم ، وانحلت الجمعية الرافعية الصغيرة ...

حدثني الرافعي حديث هـذه الجمعية في خريف سنة ١٩٣٢ بعد ثلث قرن مما كان ؛ وكنت ذهبت إليه يومئذ في وفدٍ ثلاثة ندعوه إلى الاشتراك معنا في جماعة أنشأناها بطنطا في ذلك الوقت باسم « جماعة الثقافة الاسلامية » تدعو فيما تدعو إلى العمل على إحياء الشعور بمعنى القومية الاسلامية العربية ، واتخذت لذلك وسائل وشرعت نهجاً ؛ وكانت تضم فيمن تضم طائفة ممتازة من أهل الرأي والعلم والأدب ، لكل منهم صوت ورأي وجاه في قومه . . .

ولبى الرافعي دعوتنا بعد تمنع ، وانتظمت الجماعة على رأي واحد إلى هدف واحد ، فلما استكملنا الأهبة ، دعونا الشباب المثقفين في طنطا إلى اجتماع عام في نادٍ كبير ، وكان الرافعي من خطباء الاجتماع ...

صعد الرافعي إلى المنصة ، فوقف برهة يجيل نظره في ذلك الجمع الحاشد ، ثم انطلق في خطبته ...

وعلى أن الدعوة إلى الاجتماع كانت عامة ، وكان موضوعه هو الثقافة الاسلامية ؛ فانه لم يشهد هـذا الاجتماع من شيوخ (الجامع الأحمدي) ومدرسيه غير ثلاثة من الشيوخ ،

وطائفة غير قليلة من المدرسين غير الشيوخ ؛ ولم يفت الرافعى أن يلاحظ ذلك ؛ فمال فى خطبته إلى هذه الناحية ، ينعى على شيوخ الأزهر أن يتجاهلوا واجبهم فى مثل هذه الدعوة ، وأن يؤثروا القعود على الجهاد لله ! وكان فيما قاله : « . . . إن أديباً كبيراً من وزراء الدولة قد قالها مرة منذ ثلاثين سنة : لو قعد حمارى فى الأزهر خمس عشرة سنة لخرج عالماً . وما نحب أن يقولها اليوم أحد ليلحد فى كفاية طائفة من أهل العلم والدين هم أكرم علينا . . . ! »

قالها الرافعى فى حماسة وانفعال وفى لهجة خطابية صارمة ، فسمع المجتمعون همهمة عن يمينه وشماله ، أما عن يمينه فكان الشيوخ الثلاثة قد آذاهم ما قال الرافعى ، وأما عن الشمال فكان طائفة من المدرسين غير الشيوخ فى الأزهر قد خافوا أن تؤوّل كلمة الرافعى تأويلاً ينالهم بالشر من إخوانهم الأزهريين . . .

وعلى أن الرافعى كان برئ الصدر فيما قال ، ويعلم الأزهريون قبل غيرهم أن هواه معهم ، وعلى أن صدر كلامه وخاتمته لم يكن فيه ما ينبئ عن قصد الاساءة ، فان هذه الكلمة التى قالها قد أحدثت دوياً بين الأزهريين تهدد الجماعة فى نشأتها

وسعى ساع إلى شيخ الجامع الأحمدى (المرحوم الأستاذ محمود الديناري) فأنبأه أن الرافعى قد قال فى خطبته : « لو قعد حمارى فى الأزهر بضع سنين لخرج أعلم من شيخ الأزهر ... ! »

وكتبها كاتب فى رسالة خاصة إلى الأستاذ الجليل الشيخ محمد الأحمدي الظواهرى شيخ الجامع الأزهر ... ! »

وتسامع بها الشيوخ على ما حكاها الراوى فراحوا يتناولون الرافعى وجماعته بما وسعهم من التجريح فى أعراضهم ودينهم ومقاصدهم ، وقال قائل منهم : « وما حاجتنا إلى هذه الجماعة فيما تدعو إليه ؟ لقد انتشر الاسلام ومد ظلاله فى العالم على حد السيف فما يغنى غناءه فى هذه الدعوة كاتب بكتب أو خطيب يخطب ! » وامتدت هذه القالة الطائشة على لسان طائفة ...

وعرف الطلاب من الأمر ما عرفوا فأعلنت طائفة منهم الحرب ، وسعت طائفة فى وفد إلى مدير الدرية تطلب إليه أن يقمع هذه الفتنة بسلطانه ، واصطبغت المشكلة صبغة سياسية إذ كان للأزهريين يومئذ فى السياسة دولة وسلطان ...

وإذ اتصل الأمر بالسياسة فقد فزع طائفة من الموظفين المنتسبين إلى الجماعة فآثروا البراءة منها على الدفاع عنها ، وأشفقت طائفة على مصير الجماعة فأوفدت وفداً إلى الأستاذ الديناري شيخ الجامع يحقق له الرواية ويبدد سوء الظن ويعتذر ... ولكن شيخ الجامع رد الوفد رداً غير جميل وقال عن الرافعى ما قال ...

وجاء الخبر إلى الرافعى بما أحدثت كلمته ، فما أفزعه من ذلك إلا أن يصدق شيخ الأزهر ما نقل إليه منسوباً إلى الرافعى وإنهما لصديقان من زمان ... فكتب إليه :

« ... وإن شيخاً من علماء الجامع الأحمدى يزعم أن الاسلام قد انتشر على حد السيف ، وهذا كلام ، وسيبقى كلاماً ما دمت ساكتاً عنه ، فاذا عرضتُ له بالمناقشة فقد تغير وجهه ، لو كان وجه النهار لاسودّ ! »

وعلم شيخ الأزهر حقيقة الدعوى التى ادعاها خصوم الرافعى عليه وما زادوا فيها ونقصوا ، فكتب يعتذر إليه ، وكتب إلى شيخ الجامع الأحمدى ...

وكان الرافعى جالساً إلى مكتبه فى المحكمة حين جاءه الرسول يدعوه إلى مقابلة شيخ الجامع الأحمدى فرده ، وعاد يدعوه ثانية ويلح فى الرجاء فحدد الرافعى موعداً ...

وذهب إلى لقاء الشيخ فاستقبله العلماء بالباب فى حفاوة بليغة ، وسعوا بين يديه مهرولين إلى مكتب الشيخ ؛ قال الرافعى : « ووجدت الشيخ فى انتظارى وبين يديه (إعجاز القرآن) ؛ فما لقينى حتى قال : « أتعرف يا سيدى أننى مدين لك ؟ هذا كتابك لا أجد لى رفيقاً خيراً منه ؛ إنه زادى وعمادى . ثم عبث فى درج مكتبه قليلا فأخرج ورقة فيها شعر مكتوب ، فدفعها إلىّ وهو يقول : وهذه قصيدة أعددتها لأنشدها بين يدى المليك فى طريق عودته إلى القاهرة من مصيفه ؛ لا أجد من يصلحها خيراً منك ، فأنت أنت للشعر والبيان ! »

قال الرافعى : « وبدون هذا كانت تقنع نفسى وترضى ، ولكنها كانت وسيلة الشيخ إلى استرضائى بعد الذى قال عنى منذ أيام ؛ طاعة لأمر شيخ الأزهر ... ... ! »

تم الصلح بين الرافعى والأزهر ، ولكن الأزمة التى كانت ، لم تبق على الجماعة فانحلت بعد ما طار منها أكثر أعضائها من

الموظفين خشية التهمة بالسياسة ، وكان للسياسية يومئذ حديث طويل ...

ولم يشترك الرافعي على ما أعلم في غير هاتين الجماعتين

* * *

ولم تتهيأ للرافعي رحلة من الرحلات يفيد منها علماً أو تجربة طول حياته ، غير رحلة أو رحلتين — لا أذكر — إلى الشام ، لم يفارق مصر إلى غير الشام من بلاد الله ؛ فزار طرابلس حيث ما تزال أسرة الرافعي لها ذكر وجاه ، وزار لبنان حيث عرف صاحبة حديث القمر في سنة ١٩١٢

على أن الرافعي كان يحب الرحلة ويطرب لها ويتمنى لو أتيحت له ولكن موارده المحدودة كانت تقعد به ؛ ولما كان في بطانة المغفور له الملك فؤاد ، كان له جواز سفر مجاني في الدرجة الأولى على خطوط سكة الحديد المصرية ؛ فكان يعد حصوله على هذا الجواز ظفراً بأمنية عزيزة ، لأنه أتاح له أن يتنقل ما شاء بين البلاد من غير غرم ، فلا يكاد يستقر في بلد ، فيوماً في القاهرة ، ويوماً في الاسكندرية ، ويوماً في بور سعيد ؛ يفيد من هذه الرحلات ما يفيد لأدبه أو لبدنه وأعصابه . حدثني مرة أنه كان ينظم قصيدة من مدائحه الملكية فأحس شيئاً من التعب والملال ، فقصد إلى المحطة فاتخذ مقعده في قطار كان على أهبة السفر إلى بورسعيد ، فأتم قصيدته هناك ثم عاد ...

وقد كان هذا الجواز هو سبب ما بينه وبين الابراشي باشا مما فصلت مجمله في فصل سابق ، حين امتنع الابراشي باشا عن مد أجل هذا الجواز بعد انتهائه !

وكان يغبط الذين يجدون في طاقتهم أن يقضوا الصيف من كل عام في أوربا ويتمنى لو أتيح له ، ليفيد من ذلك شيئاً يجدي على أدبه . على أنه مع ذلك كان يرحل إلى أوربا أيان يريد ، ولكن في السيما ...

كان يسمي السيما : خارج القطر ! ويزعم أن في ذهابه لشاهدتها كلما سنحت له الفرصة غناء عن السفر ، فسواء عنده أن يرحل إلى أوربا في قطار أو باخرة ، وأن ترحل إليه أوربا بحالها في رواية يشاهدها على ستار السيما ؛ فلكليهما أثر متشابه في نفسه ؛ وذلك بعض مذهبه في فلسفة الرضا والسعادة !

وكم كان ظريفاً أن تسمعه يتحدث إلي صديق من أصدقائه قائلا : « هل لك أن تصحبني الليلة إلى خارج القطر ؟ » يلقي هذا السؤال بلا تكلف ولا قصد إلى الفكاهة ، لأن كلمة (خارج القطر) كانت عنده علما عرفيا على السيما لا يحتاج إلى تعليق !

* * *

وكان عجيبا في إيمانه بالغيب، وتناجي الأرواح ، وتنادي الموتى والأحياء ؛ وكان يؤمن بالسحر والعرافة ؛ وكثيراً ما كنت تسمع منه : «حدثتني نفسي ... أُلـقِي إلي ... هتف بي هاتف» وكان يعني ما يقول على حقيقته . جلست إليه مرة في منزله ، فأخذنا في حديث طويل ... وعلى حين غفلة سكت ، ثم قال : « كيف صديقنا مخلوف ؟ » قلت : « لم أره من زمان ! » قال : « إنه قادم الساعة ... لقد أُلـقِيَ إلي ... أحسبه الآن يصعد في السلم ... ! » فما كاد يتم حتى دق الجرس . وكان الأستاذ حسنين مخلوف هو القادم ، وسألت الأستاذ مخلوفا : أكان على موعد مع الرافعي ؟ فنفى لي كل ظنة !

وسألني مرة أخرى: « ماذا تعرف عن صديقنا م ؟ » قلت : « لا جديد من أخباره ! » قال : « يهتف بي الساعة هاتف أنه في شر ! » وفي صباح اليوم التالي كان نبأ شروعه في الانتحار منشوراً في الصحف ! ... وفي الرسائل التي تبادلاها بعد هذه الحادثة ما يبعد الظن بأن الرافعي كان يعلم شيئاً !

وكان بينه وبين رجل قضية ، فناظه ، وجاءني الرافعي يوما محنقاً وهو يقول : « سينتقم الله منه ! سينتقم الله منه ! قلبي يحدثني بأن القصاص قريب ! » وفي الغد جاءنا نعي الرجل ، وكنت مع الرافعي وقتئذ ، فتندت عيناه بالدمع ، وتناول سبحته وأخذ يتمتم في صوت خافت وشفته تختلج من شدة الانفعال !

هذه حوادث ثلاث رأيتها بعيني ، ولعلها من عجائب الأخبار عند بعض القراء ، وأحسبني قد رأيت له غير ذلك ، ولكني لا أتذكره الآن ...

وحدثني أن أباه كان مسافراً مرة إلى بلد ما ، وكان عليه صلاة ، فافترش مصلى وأخذ يصلي على رصيف المحطة ، وإنه لكذلك إذ جاء القطار ، قال : وكان أبي حريصاً على ميعاد هذه السفرة ، يخشى شيئاً لو تأخر عن موعدها ، وما كان بين موعد

قدوم القطار وسفره ما يتسع لصلاة الشيخ ؛ ولكن الشيخ استمر فى صلاته على وَنَى واطمئنان ؛ وما تحرك القطار إلا بعد أن فرغ الشيخ من صلاته ، واطمأن فى كرسيه ، وحيّا مودِّعيه ووصّى ؛ وكان سبب تأخير القطار شيئاً غير مألوف يتصل بشأن من شئون المحطة !

وأحسبه ذكر مرة فى بعض ما كتب كيف ثقل نعش أمه على كتفه ثم خفّ !

وأخبرني أنه لما مات أخوه المرحوم محمد كامل الرافعى استحضر روحه فلبت نداءه ، وكان بينهما حديث لا أذكره ؛ وحاول مرة أن يعلمنى وسيلة لتحضير الأرواح ولكني لم أتعلم !

وكان يحفظ كثيراً من الأدعية والدعوات لأسبابها !

ولما وقع في حب (فلانة) ونال منه الوجد بها ، لجأ إلى العرافين فى أمل يأمله ، فكتب تميمة فعلقها فى خيط فربطها فى سارية بأعلى الدار تتلاعب بها الريح ... قال : ولكن أمورا عجيبة مفزعة وقعت لى ولأهلى ولسكان الدار جميعاً فى خلال اليومين اللذين كانت التميمة معلقة فيهما ؛ فأيقنت أن ذلك من ذلك ؛ فان لكل تميمة غايتين : إحداهما ما تأمل وثانيتهما مما تخاف ، وكان ما وقع لى وما يتهددنى من شر أكبرَ عندى من الأمل الذى أرجو ؛ فندمت على ما كان ، وتسللت إلى السطح فحللت رباط التميمة وفضضت خاتمها ... قال : فما فعلت ذلك حتى عادت الأمور تسير على عادتها فى رفق وأناة ، وزال ما كنت أحذر وهدأتْ نفسى من ناحيته ؛ فما كان شأنى فى الحالتين إلا كراكب سفينة هبتْ عليها عاصفة ثم قرت ! ... قال : وما كان الذي وقع لى فى هذين اليومين مما يقع فى العادة ، ولا كانت نهايته ، وقد فضضت خاتم التميمة، بالنهاية التى تنتظر ..!

وكان يؤمن إيماناً لا شك فيه بأن يوماً ما سيأتى فيرتد إليه سمعه بلا علاج ولا معاناة ، لأن بشيراً من الغيب هتف بهذه البشرى فى نفسه وهى لا بد واقعة ! وقد مات وعلى مكتبه رسالة من صديقه الأستاذ فليكس فارس يشير عليه بتجربة لترد عليه سمعه الذى فقده منذ ثلاثين سنة أو يزيد ، ورسالة أخرى من صديقه الأستاذ حافظ عامر فيها شيء يشبه ذلك !

وأحسبه قال لى مرة أو مرات وكنت جالساً أتحدث إليه : « ارفع صوتك بالحديث لعل الساعة الموعودة قد حانت فأسمع ما تقول ! »

ولو أننى ذهبت أستقصى ما أعرف من مثل هذه الأخبار ما وسعني الوقت ، وفى بعض ما قدمت الكفاية لمن يلتمس أسباب العلم

***

وكان الرافعى ولوعاً بالرياضة البدنيـة من لدن نشأته ، يعالج أسبابها فى أوقاتٍ رتيبة ، وكان المشى الطويل أحبّ رياضة إليه

خرجت مرة فى جماعة من صحبي يوم شم النسيم للرياضة بُعيد الفجر ، وكان معنا ماؤنا وطعامنا وقد عزمنا أن نقضى اليوم كله فى الخلاء ، فلما صرنا على بعد ميل من المدينة والشمس لم تشرق ، لمحت الرافعى على بعد يخب فى مشيته على حافة قنـاة بين زرعين ؛ فلما دنوت منه رأيته يميل فيبدّل كفيه بأنداء الفجر على أوراق البرسيم فيمسح بها وجهه وهو منتبط مبسوط ؛ وأقبلت عليه أسأله ، قال : هذه رياضة تحلو لى كثيراً ، فما أتركها إلا لعارض ، بل إنى ليطيب لي أحياناً أن أخرج من البيت قبل الفطور لأجول هذه الجولة ، ثم أعود لأفطر وأخرج إلى الديوان .. قلت : وهذا الندى الذي تغسل به وجهك ؟ قال : إنه ينضّر الوجه ويردّ الشباب ! ثم سأل : وأنتم أين تقصدون ؟ قلت : هذه رياضة لا نقوم بها فى العام إلا مرة ، وإن معنـا لطعاماً وماء وحلوى ؛ فهل تصحبنا ؟

قال : وددت ولكن فى غير هذا اليوم . . . أسأل الله لكم العافية ! ونالنا فى هذا اليوم شر لم نتوقعه ، فعدنا قبل أن ينتصف النهار محزونين ! ...

وسمع الرافعى بما نالنا فقال : « هو ذلك ! إن الشر ليتربّص بالمسلم الذى يحتفل لهذا اليوم أكثر مما يحتفل لمطلع المحرم ! هذه وصية أب ! »

... وكان يعالج كثيراً من وسائل الرياضة غير المشى ، وقد أتقن أكثر تمرينات « صاندو » الرياضى الفرنسى المشهور . وقد اجتمعت على مكتبه مرة صورتا الشيخ محمد عبده وصاندو ؛ فاستـرعى اجتماعهما ملاحظتى ، فقال : « هاتان قوتان تعمل فى

نفسى : قوة فى روحى وقوة فى جسدى ! »

وكان سباحاً ماهراً ، وكانت له جولات فى السباحة يشهدها شاطئ سيدى بشر فى الصيف ، وكان يقصد هو وأسرته للاستحمام هناك جانباً من الشاطئ غير مطروق لمنفوانه وشدة موجه وكان يمزح ويسميه « بلاج الرافعى » إذ قل أن يقصد إليه للاستحمام أحد من المصطافين فى سيدى بشر غير الرافعى وأسرته

ولا يطعن فى قدرة الرافعى على السباحة أنه أوشك أن يغرق مرة ؛ كان ذلك قبل منعاه بأشهر ، وكاد يغرق معه طائفة من أولاده ، لولا أن أسرع حارس الشط لنجدتهم

وللرافعى صورة طريفة تصورها منذ بضع عشرة سنة ، وتمثله فى زى أبطال الرياضة المشهورين : عارى الجسد بارز العضلات ؛ ووددت لو حصلت على هذه الصورة !

وله مقالات مشهورة عن الرياضة البدنية ، نشرها مسلسلة فى مجلة « المضمار » الرياضية التى كانت تصدر فى القاهرة منذ بضع عشرة سنة

وكانت عنايته بالرياضة من أسباب قوته البدنية ، ومن أسباب قوته العصبية أيضاً ، ومن هاتين كان اصطبار الرافعي على العمل الشاق فيما يعالج من شئون الأدب

ولكنه وا أسفا ... قد مات بغير علة ، لأن القدر أقوى من احتيال البشر !

« شبرا » محمد سعيد العريان



من رحلة الشتاء

في مضارب عجيل الياور
شيخ مشايخ شمر

للآنسة زينب الحكيم

تركت بغداد فى مساء الاثنين ١٤ من مارس سنة ١٩٣٨ مستقلة القطار إلى كركوك والساعة التاسعة مساء، فوصلتها فى الساعة السابعة من صباح اليوم التالى ، ذلك لأن المسافة من بغداد إلى كركوك زهاء ٣٢٦ كيلو مترا ، وخط سكة الحديد هذه يمتد على ضفة نهر ديالة اليمنى ثم اليسرى ، وعرضه متر واحد ، ولا تتجاوز سرعة القطار عليه ٢٥ كيلو متراً فى الساعة . لأنه بنى على أسس واهية ، كالجسور الخشبية والقواعد الترابية . ولأن الأدوات التى استعملت فى إنشاء السكك الحديدية هناك لم تتغير منذ ذلك الوقت ، فقد بليت .



سيارة الرحلة فى كردستان
من الأسبوع الثالث من مارس إلى الأول من ابريل سنة ١٩٣٨

وإدارة سكة الحديد هى التى تقوم برعاية هذه السكك فى العراق، ولولا العناية التى تبذلها لكان سير القطر من أخطر الأمور ، ولأصبح السفر من جهات العراق النائية إلى بعضها عسيراً .

من كركوك أخذت سيارة إلى الموصل ، فقطعت ١٦٠ كيلو متراً فى جادات ولو أنها معبدة إلا أن المطر الغزير قد أتلف أجزاء كبيرة منها ، فكاد السير عليها يكون مستحيلاً .

بعد أن قضيت بضعة أيام فى الموصل رأيت فيهـا معالمها التاريخية ، والانشائية ، وجزءاً كبيراً من أطرافها (كبلدة تلكيف ، والشيخ عدى، والحمادية وغيرها) ، وبعد أن فرجنى على بساتينها الغناء ، ومبانيها الجديدة المشيدة ، وشوارعها المرصوفة الواسعة ، السيد خـير الدين بك العمرى رئيس بلدية الموصل ، أخذت السيارة منها إلى معاقل قبائل شمر العتيدة .

كنت قد أرسلت خبراً للشيخ عجيل الياور برغبتى فى زيارتى معاقله، فلما بلغنى خبر ترحيبه واستعداده لارسال سيارة من سياراته الخاصـة الفخمة تحملنى من الموصل إلى خيامه ، شكرت له ترحيبه ، واعتذرت من قبول الذهاب فى سيارته ، لأن سيارتى كانت حاضرة . فقبل العذر عن هذه ، ولكنه حتم أن يستقبلنى رجاله فى مناطق معينة من الطريق ، وأن يصطحبنا دليل منهم إلى الخيام ، خشية أن نضل .



مدخل شارع الفاروق من مبدأ فتحته
وهو أحد الشوارع الانشائية الواسعة بالموصل

قمنا بالسيارة صبيحة يوم الثلاثاء ٢٢ من مارس ١٩٣٨ من الموصل ووجهتنا « تل أعفر » — وتل أعفر هذه قرية فى وسط الطريق الذى طوله خمسون ومائة كيلو متر بين الموصل ومضارب قبائل شمر بالشلقاط .

تقع هـذه القرية على نهر دجلة الذى رأيت النساء يغسلن الأوانى والثياب على ضفتيه ، وأدهشتنى طريقة غسل النسوة للملابس ، إذ تمسك كل امرأة مطرقة خشبية لدق الثيـاب . ولست أفهم الصلة بين إزالة الأوساخ من الثياب وبين دقها بذلك المضرب الخشبى وهى موضوعة على صخرة سوى تمزيقها ، مالم يكن لديهن سر لانفهمه ! !

فى تل أعفر أبى مستقبلونا من رجال الشيخ عجيل الياور إلاأن نشرب الشاى. فأجلسونا فى شيخانة (مشرب الشاى) بسيطة، أحسن الموجود فى القرية ، وغير مزدحمة بالناس . بعد دقائق قدم لنا الشاى الأسود فى كوبات صغيرة ، وكان طعمه مثل الماء المذاب فيه (الشبة) الثقيلة جدا

ثم واصلنا المسـير ، ومعنا دليل الشيخ . أما عن رداءة الطريق فحدث ولا حرج ، المطر المنهمر يكاد يغرق السيارة بمن فيها ، أما العشب الأخضر النضر على جانبى الطريق ، والأزهار البديعة الألوان ، المختلفة الأنواع ، فتسبح كلها فى لجج متموجة . وظهر الجو كأنما خيم عليه ضباب متـكاثف ، إذ يسمع تساقط المطر ولا ترى وحداته لغزارته وسرعته

منظر من مناظر الطبيعة العظيمة الهائلة ، فضاء فى فضاء لا يحجب النظر فيه إلا الأفق ، ويجرى الانسان فيه بقوة العلم والاختراع . فلا ماء المطر على غزارته يستطيع إطفاء نار السيارة ، ولا السيارة تـكل عن مسابقة العواصف والمطر ، ولا إرادة الانسان بمستضعفة حتى تبلغ المرى

الطبيعة عاصفة ثائرة . والانسان جبار لاينثنى عزمه متى عزم

هانحن أولاء نترك الطريق الطينى المبلل بعد أن سرنا عليه ساعات ، ويشير الدليل بالسير على مروج خضراء غارقة فى المـاء ، وبدأ الخفاق يدق بقوة وسرعة ، فالعشب مرتفع ، ولا يؤمن معه العثار ، ولكن من ذا الذى يجرؤ أن يزيد من مخاوف السائق الكردى التعب ، الذى هدته وعورة الطريق ورداءة الجو ؟ !

سيرى على بركة الله أيتها الجارية ، وأى بركة تحدث لها ، إذا كان عليها أن تصطدم فجأة بسيل جارف كون نهراً عالياً ؟ ! إن للبادية لمخاطر ومفارقات ، وإن لرجل البادية لنظرا

أشار الدليل على السائق بتحويل اتجاهه ، وبشق الأنفس خرجنا من المأزق سالمين

هاهى ذى النفس تنتعش ، والصدر ينشرح ، فقد ظهرت بعض بيوت الشعر ، وفى مقدمتها الخيام البيضاء — خيام العلم والنور ، والكرم والضيافة — التابعة لشيخ المشايخ

وهاهي ذي عيون البدو ترمقنا من بعيد ، وسيارة الشيخ تسرع في استقبالنا ، ونصل إلى المضارب أخيراً ، فيزيل عناءنا بشر الشيخ وسجاياه العربية البدوية الكريمة : أهلا ومرحباً ، هاهو ذا المطر قد كف ، والسماء بدأت تنكشف ، والعاصفة أخذت تهدأ . إن في مقدمكم الخير بنزول الغيث فما أكرمه من مقدم .

فسلمنا عليه وجلسنا خارج الخيام ، على مقاعد من قماش ذات مسندين وظهر من الخشب (مثل ما نستعمله على ظهر الباخرة أو في الحديقة) فقلت في نفسي : غريب هذا في هذه البيئة ! وما أسمع إلا والشيخ صفوك بن الشيخ عجيل الياور وولي عهد ملك البادية يقول : —

You are wel comed. We are very happy to see you here.

« مرحباً بكم . إننا سعداء جداً برؤيتكم هنا »

قال ذلك في نطق صحيح ولهجة انجليزية أمريكية . فذهلت ! شيخ بدوى قح ، يرتدى الملابس البدوية والعقال ، وبينه وبين الحضر أميال وأميال ، أو إن شئت فقل بينه وبين العالم والحياة أجيال ، يكون هو هذا المتكلم الداعب في لباقة ولياقة !؟ ياما في الدنيا عجايب !

وقلت : إنها مفاجأة ظريفة من رجل الصحراء ، فاستدرك مسرعاً وقال : بل من رجل البادية

قلت : وما الفرق بين الصحراء والبادية أيها المعلم اليقظ ؟

قال : إن الصحراء مجدبة ورمالها أخشن وترا كها أسمك . أما الأرض هنا (أي بين النهرين دجلة والفرات — موزوبيتميا Mosoptamia) فمن أخصب بقاع العالم

حقا لقد رأيتها كلها مغطاة بالعشب المترعرع بقوة ، ونبات القمح والشعير حسن النماء ، وشجر الزيتون مورق مورف ...

انصرفت إلى تفكيري الخاص برهة ، أعلل سبب تحول هــذه الصحراء إلى بادية ممرعة . وأسعفتني معلوماتي الجغرافية ، فتبينت أنه الرافدان بمــا امتازا به من روافد طمبية سميكة إبان الفيضان ، ولعدم تنظيم تصريف مياههما لقلة مشاريع الري ، تفيض هذه المياه المتدفقة عاماً بعد عام على المساحات الشاسعة جداً فيما بين النهرين وعلى جوانبهما الأخرى . فتتشبع الأرض سنوياً بالمياه ويمتزج رملها بالطمى ، فأصبحت بقاعاً من أخصب وأصلح البقاع الزراعية في العالم

ولذلك لون التربة أغبر بين الصفرة والحمرة والسمرة ، فلونها مخالف لما نراه في صحراء ليبيا أو قرب غزة والعريش مثلا

هذا تصحيح من رجل البادية عرفه بالتجربة العملية وليس من الكتب ، ورجل البادية ولو أنه محدود التفكير إلى حد كبير لبيئته وظروفه ، إلا أنه كما لحظت حاد البصر نافذ البصيرة متوقد الذكاء كريم ، له استعداد قوى للتقدم ، ولكنه شديد الرضى سريع التسليم



منظر من حديقة الطيارين بالموصل
ويرى السيد خير الدين بك إلى اليمين . وهو رئيس البلدية
وله الفضل في الانشاءات الحديثة بالموصل

ومن أهم ما لفت انتباهي اعتماده على القدرة الإلهية ، أو على من يتوسم فيه رعاية مصالحه ؛ وكل البدو في هذه المناطق خاضعون للنظام المشائرى البحت ، ويأبون تدخل الحكومة في فض مشكلاتهم من أي نوع ، ولو فرض وكان لبعضهم مشكلات تصل إلى المحاكم في بغــداد أو غيرها مثلا ، فشيخ مشايخ شمر أو ابنه ، هو الذي يمثــل هؤلاء أمام الجهات المختصة ويدفع عنهم ويفض هذه القضايا . ولهذه الاعتبارات وأشباهها تخضع القبائل لرئيسهم خضوعاً تاما ، وهو يسهر على مصالحهم . ويسرني أن أذكر بعض المشروعات الاصلاحية التي بدأت فعلا بين هذه القبائل البدوية في المقال التالي

زينب الحكيم

من روائع أدب الغرب

الإنسان

L'HOMME

لشاعر الحب والجمال لامرتين

للأديب حسين تفكجي

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

— ٧ —

ولكن ذات يوم وقد غرقت فى خضم السعادة، وأتعبت السماء بشكواى المرة، غمرنى نور سماوى يبارك ماشئمت، فخضعت دون مقاومة إلى صوت أوحى إلى نشيد الحق الذى تفجر من قيثارتى:

المجد لك فى الأزمان والخلود

أيها العقل الخالد والارادة العليا

أنت الذى يعرفك الوجود

وتذكر كل صباح أسماؤك الحسنى

فنفختك البدعة انحدرت نحوى

وظهر من كان طيات العدم لمينى !

عرفت صوتك قبل أن أعرف نفسى

فرميت بروحى حتى أبواب الوجود

هأنذا العدم يحييك قبل أن يولد

هأنذا ! ولكن من أنا ؟ ذرة مفكرة

من يستطيع قياس المسافة بيننا ؟

أنا الذى أستوحى منك خلقه السريع

دون علم من نفسى ، أدار حسب هواك

ماذا يجب على نحوك ؟ أيها الخالق العالى ؟

المجد للانهائى العظيم

الذى أبدع الكل من نفسه

لتسر أيها الخالق العظيم ، لما خلقته يداك

فأنا أتيت لأتمم أوامرك العليا

ضع ؛ أطلب ، افعل ، فى الأزمان والمكان

وسخرنى لأسبح بعظمتك فى يومى ومكانى

فدائى ، دون شكوى ، دون أن تسألك

بسكون ، تسرع لتمجد عظمتك

وكهذه الأجرام الذهبية التى فى حقول الفراغ

أنبع بكل هوى ، ظلك الذى ينير لى الطريق

غارقاً فى النور أو ضائعاً فى الظلام

سأمشى حيث تدلنى

مختاراً منك لأهدى العالم

وعاكساً عليهم نوراً غمرتنى به

فأرتمى محاطاً بأسرى النجوم

وأقتحم بخطوة جبارة هوة السموات

أو معتزلا وحيداً مهملا من نظراتك

لا تبدع منى أنا المخلوق المجهول

إلا ذرة منسية على شاطئ العدم

أو نقطة من الغبار تحملها الرياح

فأفخر بمصيرى لأنه صنع يديك

وأذهب إلى كل مكان لأرد إليك واجباً

وبقلب مفعم بحبك أخضع لقانونك

حتى انتهى إلى درك القبر هاتفاً :

« المجد لك »

— ٨ —

يا ابن الأرض البسيط ، مصيرى ونهايتى لغز

ما أشبهنى بقمر الليالى ، أيها السيد العالى ، ينير الطرقات المظلمة ، حيث تقوده يداك ، يعكس من جهة أنواراً خالدة ، ومن جهة أخرى ، يغمر فى الظلمات القاتلة

الرجل هو نقطة مشؤومة جمعت بقدرة إلهية نهايتين

كلما تقدمت خف شقائى فأعبد دون أن أراك حكمتك البالغة

المجد لك يا من خلقتنى وأبدعت أجل الوجود

وفى هذه الأثناء ، رازح تحت أثقال سلاسل الجسد ، من المهد إلى اللحد تقودنى الخصومة . أسير يغمرنى ظلام حالك فى طريق صعبة المسالك . غير عارف أيان أحل أثقالى ، وجاهلا أيان أحط رحالى . أردد أنشودة الطفولة التى انحدرت كمياه شلال تجتمع لتتمكر .

« المجد لك » فقد اختارنى الشقاء حين قذفت على هذه الغبراء وأمسكتنى بيمينك ، تتقاذفنى كألعوبة حية

أطعمتنى مجبولا بالدموع ، خبز التعاسة وأسقيتنى مزن غضبك

هتفت : « المجد لك » ، ولكنك لم تنصت إلى ندائى ، فأرسلت إلى الأرض نظرة حيرى ، وانتظرت فى السماء يوم عدلك ولكنه قام أيها السيد العالى ، ليزيد آلامى

« المجد لك » البراءة مجرمة فى ناظريك

شىء وحيد بقى لى تحت هذه السموات ، مزجت بنفسك أيامنا والشجون. حياتها حياتى . وروحها روحى، وكثمرة ما زالت ناعمة على غصنها ، تأملها ناظرى ترفع من حضنى قبل أن تينع .

أردت أن تكون الضربة هائلة . ولكنك سددتها بهدوء ، لتجعل الفؤاد منى حساساً

فكنت أقرأ فى أساريرها ، التمثل فيها جلال الموت مصيري

وأرى فى نظراتها ، نبراس الحياة ، الذى بعد عنى

فكانت يد الحمام تتقاذف منها الزفرات

ولكنها أبداً ، كانت تردد همسة الهيام

فكنت أهتف لشروق الغزالة ، أيتها الشمس أمهلى يوماً

كمجرم يطلب رحمة ، تحت ظلمات متكاثفة

هبط حياً ، دركات اللحد

ورأى شعلة براقة تتنازعها أيدي الحياة والموت ، فينحنى نحوها ، ليحفظها فيراها تخبو ثم تلفظ الأنفاس

فكنت أود أن أحفظ الروح قبل أن تسير فى طريق السموات

كنت أفتش عن كنهه فى ناظريها المحدقين بالفضاء

هذه الزهرة ، سيد الوجود ، نشرت شذاها فى أحضانها

وبعيداً عن هذا العالم المترع بالضوضاء رحات قاتلة آلامى

فاعف عن يائس جذف بحقك فى ساعة غضب

فانى أجرؤ وأطلب الغفران

المجد للسيد العالى

من خلق الماء للخرير ، والنسيم للسريان

والشمس للنور ، والانسان للألم

— ٩ —

لقد كلت حكمتك بحق

فالطبيعة المديمة الشعور تخضع دون إدراك

اكتشفتك وحدى عند ما مستنى الحاجة

فأنا أقدم لك نفسى ضحية بكل خضوع وإرادة حرة

فوحدى أطعتك بذكاء

وحدى أنمت نفسى فى هذه الإطاعة

وصرت أنفذ فى كل مكان ، وتحت كل سماء

قانون طبيعى وأمر إلهى

فأنا أعبد فى مقدراتى ، حكمتك العالية

وأخضع لإرادتك فى آلام تجيش فى صدرى

المجد لك . المجد لك

صيرنى إلى الذل ، أو اقذفنى إلى العدم

فسوف لا تسمع منى سوى كلمة :

« المجد لك أبداً »

— ١٠ —

وهكذا ارتفع صوتى نحو القبة الزرقاء ، فقدمت المجد إلى السماء ، والسماء تنى ما بقى

— ١١ —

اصمتى يا قيثارتى

وأنت الذى تمسك بيديك قلب البشرية الخفاق « بيرون » تقدم وخذ منها شلالات أنغام منسجمة فقد خلق الله العبقرية لتمجد الحقيقة

صعد نحو السماء نغماتك ، يا مرتل الجحيم

فالسماء نفسها ، ترسل للمعذبين ، هذه النغمات

فيمكن أن تفنى من صوتك شعلة حية ، تنزل حتى قرارة نفسك

ويمكن أن قلبك الحساس ، تحت تنقلات مقدسة ، سيسر من هذه النغمات

فيخترق ظلام الليل ، برق وضاء

فتفيض علينا ، من نور يغمرك

— ١٢ —

أواه ! إذا كانت قيثارتك مجبولة بالدموع ، تزفر تحت أصابعك رنات الألم ، فمن أعماق الظلال الخالدة ، كالملاك الهابط من عليائه ، يطوى الجناح ، ويرتفع نحو نور النهار ، لينصت إلى نغمات مقدسة أصداء هذه القبة الزرقاء ، أصوات أوتار نار مذهبية ينصت إليها الآلهة ، وهى ترتفع من ساراقان

تشجع أيها الطفل الهابط من صفوف الآلهة

فانك تحمل على جبهتك الطابع العالى

وكل رجل ينظر إليك ، يرى فى عينيك الشعاع الخابى لنور السموات

ملك الأناشيد الخالدة ، اعرف نفسك بنفسك

واترك « لولد الليل » الشك والتجديف

وابغض كلمات ينشونك بها. فلا مجد حيث لا فضيلة

تعال وخذ مكانك فى مجلسك الأول ، بين أطفال أتقياء ، من المجد والنور ، الذى أراد الله تصويرهم بزفرة مختارة

لقد أبدعهم ...

للغناء ، والدعاء ، والرضاء

صبحى تفكجى

الحقائق العليا فى الحياة

(بقية المنشور على صفحة ١٩٢٤)

إن شوبنهاور قد كذب كذبة بلقاء ، وخرف خرفا عبقريا ! حين زعم أن العالم معدوم لاوجود له إلا فى تصورات الانسان .. وحين أسند العمى والهوج إلى « روح الوجود » وحين زعم أنها لم تدرك نفسها إلا فى عقل الانسان وشعوره ، ولذلك أراد أن يغيظها بتمرده عليها وترك مهاته التى هى لذاتها فى واقع فلسفته ... وكان الأولى بشجاعته هذه أن يقضى على جسمه جملة واحدة حتى يغلق باب المتاع الذى فيه أمام روح الوجود المتعطشة إلى إدراك نفسها فيه وتمتعها بذلك الادراك ...

إن أقل ما يجب عقلياً « لروح الوجود » وخالق هذا الكون العجيب أن يتصف بصفات الانسان العادى المتوسط المحترم بين الناس — بله السوبرمان — فكيف يسلبون الشيئة الغالبة على الكون الصفات الضرورية لبعض ما أوجدته !؟ كيف يعطى الخالق ما لا يملك هو من صفات التدبير ؟

مهما فلسف الانسان فلن يستطيع أن يهدم الايمان العام بحقيقة « السببية » البديهة المستقرة فى كل نفس إنسانية أو حيوانية استقرار وجود تلك النفس .

ومنذ عهد «طاليس» إلى الآن ما استطاع فيلسوف أن ينزو فطرة الانسانية فى إيمانها بهذه الحقيقة وينتزعها من إلهامها؟ ولئن كان بعض الشذوذ والانحراف يحمل بعض المتأملين على الاعتقاد بأنه هدمها فى نفسه هو ، فلن يحكم العقل العام عليه إلا بالجنون!

إن الطفل حين يلتقم ثدى أمه لأول مرة بعد ولادته ليحس الشبع لأعظم مفحم لأكبر فيلسوف يهدم تلك الحقيقة ... بل إن إدراك البذرة للانبات فى الظلام والثرى المبلل لأدعى إلى اعتبار تلك الحقيقة من الالهامات الفطرية فى كل الكائنات الحية .

والذي يزعم نفسه عاقلاً قادراً على أن يحكم على « روح الوجود » بما يريد ثم فى الوقت نفسه يسلبه — عز وتعالى عما يصفون ! — قوة الحكم والتدبير والادراك لجزاؤه . . . ما جزاؤه ؟ إن اللغة تضيق عن نعت له يرضى غيظ السموات والأرض من دعواه ! جزاؤه أنه قال ما قال وذلك حسبه لعنة...

«ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق »

« من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ »

فما بالك بمن ينكره بتاتاً أو يرميه بالطيش والهوج !

ومما يجب أن يلتفت إليه أن أجرأ الناس على الشك فى الخالق أوالالحاد فى ذاته وصفاته كان مبعث جرأتهم السكر والتخدير...

والسكر نوعان كما بينا فى مقالنا « حنظل وتفاح » : سكر باللذة وسكر بالألم . وجرأة السكارى باللذة جرأة سطحية ، جرأة طيش وسخرية واندفاع كجرأة الخيام والنواسى . ولكن جرأة السكارى بالألم جرأة غيظ وحقد وعناد وتمرد وقنوط وجحد . وهؤلاء هم أثقل شراً وأكبر لعنة

فالمعرى وشوبنهاور ونيتشه غضبوا على الحياة ونظامها وأدمنوا الآلام ، وصاروا يناقشون الخالق مناقشة الند للند ... فلا الخير خيره ولا الشر شره كما رسمهما هو فى الطبيعة والشريعة وإنما الخير والشر ما يرسمون هم وأضرابهم

وقد أطفأ الأولان شعلة الحياة فى جسديهما ، ودعوا إلى إطفائها فى أجساد الناس جميعاً ، حتى تخرب الأرض وتفنى إنسانيتها

وماذا كانت تكون النتيجة لو أن الناس كلهم كانوا رهبان تمرد وعصيان كالمعرى وشوبنهاور ؟ وكأنى بالانسانية وقفت موقفهما قائلة للخالق : هاك الحياة التى أحييتنا مردودة عليك منطفئة الشعلة ! دونك الأرض بحيوانها وشجرها ومرافقها لا نريد . لا نريد ! وها نحن أولاء رهبان شر أيها الاله إلى أن نموت !

ولكن الانسانية التى فى فطرتها وإلهامها الايمان والطاعة والعبادة لا تنفك تطرد من حياتها هذه الدعايات الشاذة السامة كما يطرد أفرادها عن أجسادهم البثور والقروح والدمامل ، ولا تزال سامعة مصغية واعية لذلك الصوت الذى يدوى بهذه الكلمة: « يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا ! » . ولا تزال سائرة مأخوذة إلى غايتها فى سلاسل من الضرورات والرغائب . بل لا تزال جنان الحياة وأناسيها تنشد قائلة وهى سائرة على الطريق :

« وأنا ظننا أن لن نعجز الله فى الأرض ولن نعجزه هرباً »

« وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به ؛ فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً »

« ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا »

* * *

ما هي حدود الإيمان فلسفيًا ؟ إنها في رأيي هذه :

أنا إنسان صحا من غيبوبة عدم لا يعرف مبتداها ، فأدرك نفسه وفتح حواسه على ذلك البيت الهائل البديع : الدنيا ، فتساءل بما فيه من إلهام السببية البديهية : من خلقني هكذا بديعاً كامل الأدوات لحياتي في هذا البيت ؟

ثم تساءل : ومن خلق هذا البيت العجيب الهائل بأرضه وسمائه وهوائه ومائه وإنسانه وحيوانه وقواه وقوانينه الدائمة الصيانة له ؟

ثم تساءل : ومن أدخلني في هذا البيت من غير أن يستشيرني؟

ثم تساءل : ومن سيخرجني من هذا البلد من غير إرادة مني كذلك ؟

تلك الأسئلة الأربعة هي أبواب الإيمان بخالق . ومن بين الأجوبة عرف الانسان صفات هذا الخالق من وحدة وعلم وحكمة وقدرة وقهر وقدم وبقاء وإرادة وغيرها من الصفات ، ثم أحس الاعجاب بذلك الخالق المبدع ، ثم أحس الحب كل الحب له ، لأنه أكرمه ونعمه حين أخرجه من العدم وأسبغ عليه الحياة مع أدوات الاطلاع عليها ، ثم أدام الفكر فيه . ومن الحب والفكر نشأت العبادة ...

أما كنه ذات الخالق وزمانه ومكانه وشئونه وغاياته وأسرار صنعته ، فأولئك أمور يستطيع الانسان أن يدركها حين تستطيع النملة الصغيرة أن تدرك المحيط الهادي ! ولله المثل الأعلى ...

تلك هي حدود الإيمان بخالق ، في تفكير بسيط متزن لا لجوء فيه إلى غيبيات وسمعيات ، وإنما إلى مقدمات عقلية هي « قدر مشترك » في عقل الفيلسوف وعقل الفلاح ، والمتمدن والمتوحش وهي ما يمكن سلوكه من الطرق إلى تبيين جذور الإيمان ، بالتفكير . ولا داعي بعد ذلك إلى ما لا يفهمه العقل العام المشترك بين زنوج إفريقية وأقزام الاسكيمو وفلاسفة الشرق والغرب .

ولكن ما هو مصير الانسان ؟

ذاك سؤال يكاد يكون له قيمة الأسئلة الأولى عند كثير من الناس غير أن هناك فارقاً كبيراً بين قيمة الجواب عليه وقيم الأجوبة على الأسئلة الأربعة . ذلك لأن الجواب عليه متفرع من الأجوبة السابقة ولا يصح إلا إذا صحت هي . بل قد يكفي بعض العقول ويريحها من حيرتها أن تؤمن بالخالق وبالحياة الدنيا فقط ولو لم يكن هناك مصير آخر يحيا فيه الانسان . لأننا لا نستطيع أن نبحث في غايات الخالق لعجزنا عن ذلك البحث « وإنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً » « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون »

وتكفي الحياة والانعام بها على من خرج إليها وأحسها ، سواء كان على نعمى أو بؤسى ، وازعاً للإيمان بالخالق وحبه والتقرب إليه . أما الحساب على الخير والشر ، فالخير جزاؤه فيه والشر جزاؤه فيه .

وهذه نزعة صوفية متطرفة تشذ عن العقل العام ، والقدر المشترك ولا تتحاكم إلى سنن الخالق وقوانينه في الفطرة ولا تطلب منه أن ينفذ ما كتبه على نفسه وقد « كتب ربكم على نفسه الرحمة : ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه »

ذلك استطراد لجأنا فيه إلى الاستشهاد بالقرآن مخالفين ما اتبعناه في بحثنا هذا الذي لا يستند إلا إلى التفكير وحده ، لأننا في منطقة تسليم وخير مطلق عن تلك النفوس التي ترى أن تفني في إرادة الخالق « إما الى جنة إما إلى نار »

ونعبده من غير شيء من الهوى ولا للنجا من ناره وعذابه

« واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه »

* * *

ونعود فنقول : إن كل ما في الأرض من قرائن يدل على أن الانسان هو المقصود بالخلقة فيها ، وما عداه فمخلوق له لينتفع به . وله من حياته الفكرية والنفسية ما يشعره بهذا القصد . فانها حياة سامية غاية السمو معقدة غاية التعقيد فيها جانب عظيم غير خاضع للحياة الحسية الأرضية ، ويكفي في سموها أنها حياة متيقظة لنفسها ومتيقظة للدنيا كلها باحثة عن أسرارها المخبوءة فيما وراء الأجرام والكثافات ، حالمة بصور علوية لكمالها هي وكمال الدنيا ، تزعم

أنها قادرة على تنقيح الطبيعة ، وإعادة الخلقة كلها على وجه آخر أكمل ! وقد وصلت بالفعل إلى بعض مفاتيح الطبيعة عن طريق العلم وهي تفكر الآن بجد للوصول إلى المفاتيح الأخرى ، وستصل

والقرآن يقول : « سنريهم آياتنا في الآفاق ، وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » وقد ابتدأت الآيات في عالم الآفاق وعالم الأنفس بأعاجيب ، فما بالك بما تنتهي إليه ؟ ويقول : « حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً فجعلناها حصيداً » وتأمل في قوله « وظن أهلها أنهم قادرون عليها » فإذا عرفت أن « الظن » هو الأفق الذي تحت العلم والجزم مباشرة تبين لك مقدار ما ستصل إليه قدرة الانسان في الآباد الآتية حتى يتوهم أنه قادر على الأرض.

فهل من المعقول بعد تلك القيمة العظيمة للانسانية أن تمضي من الحياة كما تمضي الحشرات والبذور من غير مصير علوي يتحقق فيه القصد من حياتها الأرضية التي خلق فيها كل ما في الأرض ؟ إن سنة التطور والترقي التي يقول بها العلم الحالي تأبى التسليم بهذه الخاتمة الأليمة لتلك الحياة الانسانية الرفيعة ...

تقول بعض الفلسفات : إن الحل لهذه المشكلة هو في القول بالرجعة المستمرة إلى الأرض بالحياة في الأفراد الآتين من النوع . فالكمال الذي ينشده الأفراد ويحلمون به سيتحقق في النوع . وكأن الانسانية في خيال هؤلاء هي المعنى الواحد في الأفراد . أما أجسام الأفراد فهي أثواب تنضوها الانسانية في الأجيال المتعاقبة وتلقيها جثثاً ميتة على طريقها إلى غايتها ...

ولكن في هذه الفلسفة إهداراً تاماً للفرد وارتداداً بالانسانية إلى أفق واطئ جداً هو أفق النبات والبذور ، دع عنك أفق الحيوان . ونظرة واحدة الى إخراج الأفراد من الأرحام بصور متعددة الوجوه وشكول مختلفة في العقول والنفوس — وهذا في الانسان فقط — تحملك على الجزم والاعتقاد بأن القصد في الطبيعة متوجه الى خلق الفرد بالذات وإحساسه على انفراد بالحياة التي فيه هو ، وأنه مخاطب وحده من « إرادة الحياة »

وإن هذه الفلسفة لتبعث القنوط في الفرد لأنه يشعر معها كأنه مسمار في نعل الانسانية ! وإنها لتبعث فيه الشرود والجوح في الحياة لأنه لا غاية فردية له من حياته ، ولا هو يدري الغاية من وجود الانسانية كلها ...

وإذا كانت الشيوعية لم ترضها الانسانية في الغايات الاقتصادية تفنى فيها جهود الأفراد للمجموع فناء مطلقاً فكيف ترضاها في غايات الحياة ؟

وفي قنوط الأفراد وفي جوحهم دواع إلى خسة النفس ودناءتها وثورتها على الحياة بحيث لا يرجى للانسانية بعدها ترق ولا اصلاح للحياة الجمعية .

الحق أن الفرد مقصود بالخلق ، مخاطب من واهب الحياة رأساً بما فيه من الادراك مراعى فيه تميزه بصورته ونفسيته ليشعر بفرديته وغايته الأنانية أولا . والقدر المشترك الذي بينه وبين الانسانية لا يحمله مطلقاً على الاعتقاد بأنه فيها كبذرة في نوع من الشجر ، ولا كمسمار في نعل ، ولا هو يشبه أخاه كما يشبه الغراب الغراب ، والنملة النملة ... فالفروق بين أفراد الأنواع الأخرى فروق ضئيلة لا تكاد تميز في الصورة ولا في الادراك بخلاف الانسان فان تنوع صوره الظاهرة والباطنة أمر محير !

« وبعد » فاني لأتساءل دائما : ما الذي أوجد في نفوس الانسانية ذلك الشعور الثابت بأنها لا تفنى ولا تنتهي حياتها بدخولها المقبرة ؟ ولماذا لم تحملها إرادة الحياة ، على غير هذا الشعور لو أن الأمر كان غير ذلك ؟

ثم لماذا نجد في خيالنا صورة لحياة كاملة لا قيود فيها للجسم ولا للروح ؟ من أين لنا هذه الصورة ؟ إن كل شيء قد حظي بكماله في دنياه بغير نزوع منه إلى حياة أكمل . مما يدل على أنه قد خلق للحياة هنا فقط ، بخلاف الانسان فانه يشعر كأنه طير مقصوص الجناحين لا يزال يحلم بالجو الذي خلق ليعيش فيه .

وكيف يؤمن مثل « أديسون » أو « ماركوني » بأنه يفنى فناء لا رجعة بعده بينما الأرض مملوءة بآثاره في الكشف والاختراع ؟

إن العلم يقول إن الأرض ستفنى بفناء الشمس أو انطفائها فأين يصير ما هنا من الفكر والعلم ؟ وماذا يفيد كمال النوع الانساني لو أن الحياة كانت للنوع لا للأفراد كما يقول نيتشه وأصحاب مذهب « الرجعة » ؟

ألا إن الموت « ولادة ثانية » كما يعبر الانجيل

هذا ولا يزال لحديث الآخرة بقية نرجئها الآن بعد ما طال الحديث ...

« الرستمية » عبد المنعم خلاف

يا فلسطين (*)

للأستاذ محمد بهجة الأثرى

إلى شهداء الحرية من أحفاد صلاح الدين ، إلى أشبال أسود حطين ، إلى المجاهدين المرابطين فى سبيل الله

الأثرى

إصبِرى فى الحادث المستفحلِ إنما العزةُ أنْ تستقتلِى

واسألى (نيرونَ) يُذْكِى نارَهُ فى سواد البأسِ نُورُ الأمَل

وانْهَدِى ما قارع الحقُّ هوًى باطلاً يومًا ولم ينخذلِ

لا تُراعِى من كَمِىٍّ مُبطِلٍ قوةُ الحقِّ سلاحُ الأعزَلِ

أو تَمُدِّى من يدٍ ضارعةٍ تسألينَ العدلَ من لم يَعْدِلِ

عَزَّ هـذا الحقُّ إلا بدمٍ جامحِ النزْوَةِ حُرٍّ يَغتلى

فأريقيـهِ رخيصًا هَيِّنًا يا فِلَسْطِين وإلاَّ تُوْكَلى

أحرزَ الغايةَ مَنْ حاوَلَها وحوى النصرَ الذى لا يأتَلِى

* * *

ليس ما دوَّى حديثاً أولاً عنكِ . كم مَرَّ له من مَثَل !

أيقظ الشجوَ : فمن قلبٍ هفا واهنَ العزم ، وجَفْنٍ مُسْبِلِ

غيرَ أنِّى ـ والهوى مختلفٌ ـ سرَّنى من حيث أحيا مأملى

كنتُ أخشى، والقُرى أضحتْ قِرى أنْ تكونى من كريم المأكَل

فاذا الدم أبيًّا يغتلى وإذا الروحُ عزيزاً يعتلى

وإذا القومُ الذى أيأسنى جامحُ الثورة ماضى المُنْصُلِ

من شبابٍ كشراراتِ الغضا وشُيُوخٍ كصَيَاصِى الجَبَلِ

وعَقيلاتٍ كأمثالِ الدُّمَى هِجْنَ أمثالَ الأُسُودِ الجُفَّلِ

سِرْنَ صدرَ الصفِّ سرباً باسِلاً يتحدَّيْنَ حِرابَ الجحْفَلِ

أىُّ معنى عبقرىٍّ لاحَ فى خوضِهِنَّ النارَ خوضَ البَطَلِ

يا وقاها اللهُ أنفاسَ الصَّبا كيف قاسَيْنَ سَمومَ الجُهَّلِ !

أيُّها الجيشُ الذى ناضَلَها قد عرفناكَ منيع المَعْقِلِ

فترنحْ نَشْوَةً أنْ رُعْتَها وهى عزلاءُ من ظُبًى أو أَسَلِ

واسترِ الوجهَ أو اكشِفْهُ فلا تخشَ أنْ يغشاه عارُ الخَجَلِ

معشرٌ مستوحشٌ ما هذَّبتْ من حواشيهِ وصايا الرُّسُلِ

* * *

إيه (جُونْ بولُ) . وما شئتَ فخُذْ فيهِ من مكر عَوِيصِ الحِيَلِ

قد كشفنا كلَّ كيدٍ مُختَفٍ وحللنا كلَّ عَقْدٍ مُعْضِلِ

ألصَّهايين ؟ فمَنْ هُمْ فى الملأ ؟ أوَ ليسُوا خَوَلاً من خوَل ؟

إنما أنت الذى ينصرُهُمْ يا عدوًّا جاء فى زِىِّ وَلِىِّ

لن تكونَ الدهرَ من أكفائِنا أبدًا فى هَيِّنٍ أو جَلَلِ

* * *

أبشرى إنَّ الصباحَ المُرتَجى يا فِلَسْطِينُ أراه يَنْجَلى

كيف لم ترتقبى من فَرَجٍ وَبنُوكِ الصِيدُ حرزُ المَوْئل ؟

أنا لم أحسَبْ ، وهذا روحُهُمْ أنْ تَظَلِّى تحت حكم السفَلِ

سنةُ الكونِ التى نعهَدُها أن يكون النُّجْحُ حظَّ الأمثل

* * *

ساعِفِى (بغدادُ) أنضاءِ الوغى من بنى العمِّ وراءَ (الكرمل)

رَحِمٌ مَوْصُولةٌ أوشاجُها لم يُقَطِّعْهَا نَكالُ الدُّوَلِ

طالما رامُوا تفاريقَ العصا والعصا تلقفُ كيد الدجَل

حَبَّهَا جامِعةً مَرْجُوَّةً من تُخُوم (الريف) حتى (المَوْصِل)

إنّى ألمَحُهَا ظافرةً تستقِلُّ التاجَ مَنضُور الحُلِى

للعِدا اليوم ، وهُمْ ينضُونَهُ لا تَظَلُّ الشمسُ فوق الحَمَلِ

وأرى فى مَطْلَعِ الآتى لنا منزلَ البدرِ ومَرْقَى زُحَلِ

خَلِّ عنكَ اليأسَ يَنْأَى جانبًا يا كليلَ العزمِ واصحبْ أمَلى

انطوى الماضى فلا تنشُرْ له صُحُفاً نَضَّاحةً بالعِلَلِ

وأتى يومُكَ يسعى دائباً فارتقِبْ شارقةَ المستقبل

« بغداد » محمد بهجة الأثرى

(*) من ديوان « ظلال الأيام »

إلى الدكتور زكي مبارك

ردا على قصيدته (وحي بغداد) التي نشرت بالرسالة

للأستاذ ابراهيم أدهم الزهاوي

ما كنت أعلم أن ثغر المغرم يفتر عن أمل الوجود الأعظم
حتى وجدتك في « الرسالة » منشداً ولرب إنشاد بغير تكلم
حببت لي طعم الغرام وإنه مرٌ بثغري مثل طعم العلقم
إن التي أحببتها بسقامها «حب» لكل مهذب لم يسقم
ما زلت أنشد في هواها شرداً يقطرن في وجه الصحائف من دمي
ما ضر«ليلى» أن تكون سقيمة إن كان ذاك السقم غير ميتم
فلسوف نبرئ داءها بدوائها ونعيدها لجلالها المتقدم
وبمالك يحدو بها أمثالكم تطأ السماء بخفها والمنسم
أقلامكم متيقظات للعلى تلقي السهاد على عيون النوّم
يهوي أبو الحسن الرضى يراعه فيزوره بتلطف وتبسم
نزلت حكومتك التي أصدرتها في قلبه برداً بقلب المسقم
لم ترض دون العبقرية للذى هتك الحجاب على بنات الأدهم
إن «الشريف» لشاكر لك خدمة وأبو الشريف ومن إليه ينتمى
خلدته وخلدت فى تخليده ولو انه من همِّ كل مترجم

***

قد سار فى الدنيا « الزكى » مباركا وحباله عن مصر لم تتصرم
صيت كأن الشمس قد نفخت به من روحها فسما سمو الأنجم
العقل تنهضه العقول فيستوى كالزرع تنبته غيوث الموسم
لله در يراعة فى كفه شماء مثل شعوره المتضرم

***

إن العراق ترنحت أعطافه لما لهجت بمجده المتحتم
وطن الجدود ومنتهى أمجادهم وقصيدة الدنيا التى لم تختم
دار الخلافة كل قلب نحوها من منجد فى سيره أو متهم
وكأنما أطلالها فى عينه آماله الكبرى التى لم تنجم
فخراً لدجلة أن تكون مقيمة أبداً على العهد الذى لم يخرم

***

وقف الزكى بيانه العالى على إنشاء جيل بالعلاء متيم
وكساه بالحلل الوضاء كأنما بالنور يكتب لا بحبر أسحم

***

يا أيها الوادى السعيد أعدته فأعدت خير مهذب ومعلم
كانت نوادينا تنير بنوره تفتر عن مثل الصباح المقدم
تلك الدعابات التى يأتى بها تشفى القلوب ولو جرت فى مأتم
يدرى اللبيب بأنها الجد الذى يأبى على الدنيا أداء المغرم
شافى جراحات المآسى لم يجد لجراحه بين الورى من مرهم
وكذلك القلب الكبير فانه وجدان قلب فى القلوب مقسم
ولدته مصر وكم حسام قاطع ولدته مصر وكم سنان لهذم
بلد إذا ما أفلست أيامنا جادت سحائبه بدرّ مغنم
طلعت شموس بيانه فتكشفت ظلماء عاشت ضعف عمر القشعم
سل ميت الآثار من أومي له فأتى يحدثنا بغير تلعثم
الله سدد للكنانة سهمها فتصيب مقتل كل خطب مرزم
بلد إذا ذكرته ألسنتا صفت كل القلوب لذكره المتبسم
للرافدين صبابة فى نيله ولنيله ضعف الشعور المضرم
قطران قد طبع الزمان هواهما من دون أقطار الأنام بميسم
عاشا لمجد العرب إن لمجدهم نبأ ستعلمه إذا لم تعلم

« بغداد » ابراهيم أدهم الزهاوى



آراء طريفة فى التربية والتعليم

تواصل مجلة (دنيا المعلمين) الانجليزية نشر إجابات زعماء الفكر على أسئلتها التسعة التى لخصنا للقراء إجابات برنرد شو وبرتراند رسل عنها، وقد أجابت مس دافنى دى موريير، وهى من كبيرات الأديبات هناك ومؤلفة ربيكا، ولن أكون صغيرة مرة أخرى، وفندق جامايكا، ورحلة يوليوس ...الخ فكانت إجاباتها متزنة وأكثر اعتدالا من إجابات شو ... وقد ذكرت مس دى موريير أنها لم تذهب إلى مدرسة ما، بل تعلمت فى منزلها على أيدى مدرسين خصوصيين وأنها لما بلغت الخامسة عشرة كانت تقرأ أمهات الكتب الأدبية والتاريخية وتدرسها بنفسها . . ولما سئلت عما تأسف لأنها لم تحصله ذكرت الأعمال المنزلية التى لم تخلق المرأة إلا لتتعلمها، وخصصت من ذلك الطبخ وأشغال الابرة والخياطة ولم تجحد أثر معلمها كما فعل شو ... وذكرت أنها قرأت أول ماشغفت بالقراءة كتب الأدب الكلاسيكى ثم شدت القصص فقرأت أحسن ما كتب أدباء قومها ... واستنكرت عادة منح التلاميذ مكافآت اعترافا بتفوقهم، لأن هذه المكافآت تولد فى نفوس أصحابها الغرور والزهو كما تولد فى نفوس الآخرين الحسد والحقد أو تجعلهم يعتقدون أنهم أقل من زملائهم ذكاء وأحط مرتبة ... ولم تستنكر مس دى موريه الجمع بين الجنسين فى فصل واحد إلى سن الرابعة عشرة، لكنها صرحت أن الجمع بينهما بعد هذا هو منكر يؤدى إلى آفات الغريزة الجنسية ومهاترات الغزل السمج بين الجنسين ... واستنكرت دراسة بعض المواد الجافة كاللاتينية والرياضيات المعقدة غير العملية وتعميمها فى المدارس ... ثم رفضت الاجابة عن بعض الأسئلة الأخرى

المسرح الأوربى

صدر أخيراً فى أمريكا كتاب ضخم عن المسرح الأوربى لمصنفه الأستاذ توماس . ﻫ . دكنسون تناول فيه تاريخ المسرح فى أكثر الممالك الأوربية —ما عدا انجلترا— منذ نهاية الحرب الكبرى إلى اليوم وما جد فيه من صنوف التجديد والتيارات الحديثة . ولم يكتب المصنف كل فصول الكتاب، بل قام بذلك إخصائيون ممن لهم اتصال بالحركات المسرحية فى كل من الممالك الأوربية، ومن هنا قيمة الكتاب ... ونستطيع أن نقول : إن المستر دكنسون لم يكتب إلا مقدمة الكتاب التى تناول فيها شرح الاتجاهات الحديثة فى المسرح الأوربى عامة والعوامل الاجتماعية التى خلقت هذه الاتجاهات ... وقد كتب عن المسرح الروسى الأديبان يوسف جريجور و ﻫ . و . ل . دانا، وعن المسرح الألمانى الأديب المؤرخ يوليوس باب، وعن المسرح الفرنسى العلامة أدموند.ى، وعن المسرح الايطالى سيلفيو داميكو، وكتب عن المسرح الاسبانى الأديبان دبى كاندو وجون جارن ... وفى الكتاب فصول ممتعة عن المسرح فى كل من تشكوسلوفاكيا وبولنده ويوغوسلافيا والمجر ورومانيا وبلغاريا والسويد ودنمركة ... أما لماذا لم يعقد فصل عن المسرح الانجليزى فذلك — فى رأى المصنف — أن هذا المسرح لم يجار نهضة التجديد التى عمت المسارح الأوربية وأن المقصود من الكتاب أن يكون دراسة لمسارح القارة تنفع المسرح الانجليزى — والكتاب جليل الفائدة فعسى أن يعنى به ممثلونا أو أن ينقله أحدنا إلى العربية

أين كان يكتب تشيكوف قصصه

كان تشيكوف الأديب الروسي الكبير طبيبا ولم يكن أديبا ثم نسى الطب واحترف الأدب، فنبغ فيه ولم ينبغ في الطب، وهو في ذلك مثل ولز الذي درس الكيمياء والصيدلة فجذبته صناعة القلم وآثر أن يفرغ لها، ومثل هذا يقال عن مؤسس المسرح الجديد الأديب النرويجي العظيم إبسن الذي درس الكيمياء ثم نزع إلى الأدب وتفرغ له، ويكاد يكون زعماء الأدب في العصر الحديث من العلماء وليسوا من الأدباء

هذه ملاحظة عارضة بدت لنا خلال دراساتنا لحياة تشيكوف تلك الحياة الحافلة الارستقراطية التي تختلف عما عرفناه من حياة زملائه وأنداده الأدباء الروس الذين ذاقوا من شظف العيش وهوان الأيام ما جمل آدابهم عصارة من البؤس وترجمانا للبائسين وأروع ما يلفت النظر من حياة تشيكوف هذا المنزل الريفي — أو الكوخ الهادىء المكون من غرفتين اثنتين — والمنعزل عن قرية فيسكينو — التي كان منزله الفخم بالقرب منها ... لقد بنى تشيكوف هذا الكوخ وسط حديقة من أشجار التفاح لتكون مهبط وحيه، ومرتع خياله الخصب، الذي أنتج للعالم تلك الثروة الهائلة من القصص والدراسات

حول كلمة « أنوثة »

حضرة الأستاذ الكبير صاحب الرسالة الغراء

تحيات طيبات، وبعد فقد قرأنا في العدد ٢٧٩ من مجلتكم الزاهرة قصيدة الأستاذ ابراهيم العريض « بين عشية وضحاها » الرائعة . ولقد لفت نظرنا كلمة « الأنوثة » في قوله

وتحت يديها نزل النصيف عن برعمي صدرها ناحية
وملؤهما عزة بالجمال جمال أنوثتها الغافية

وشككنا في وجود هذه الكلمة . ثم جاء « اللسان » يؤيد ما ذهبنا إليه . قال في مادة « أنث »

« ويقال تأنث الرجل في أمره وتخنث، والأنيث من الرجال، المخنث .

« والتأنيث خلاف التذكير وهي الأناثة »

أما كلمة « ذكورة » التي تقابل كلمة « أنوثة » فلم يذكر صاحب اللسان الا في موضعين لا يقابلان في معناهما « الأنوثة »

قال في مادة « ذكر » :

« التذكير خلاف التأنيث، والذكر خلاف الأنثى والجمع ذكور وذكورة وذكار ... »

وجاءت في مادة أنث أيضاً

« روى ابراهيم النخعي أنه قال « وكانوا — أي العرب — يكرهون المؤنث من الطيب ولا يرون بذكورته بأساً .

« وأما ذكورة الطيب فما لالون له، مثل الغالية، والكافور والمسك، والعنبر والعود .. » هـ .

ومعنى ذكورة الطيب، أي ما كان منه مذكراً، ولا يوجد إذن كلمة « أنوثة » وإنما « أناثة » وهي كلمة لا بأس بها، حبذا لو تقوم مقام تلك التي شاعت كثيراً، وحسب كثير من الناس أنها صحيحة .

« دمشق » صلاح الدين المنجد

بين السيكلوجية والطب

أخذت بعض كليات الطب في أوربا تدخل دراسة السيكلوجية في برامجها بما لها من الفائدة في تشخيص بعض الأمراض إن لم يكن في كل الأمراض . ويجمل بكلية الطب المصرية أن تحذو حذو هذه الكليات فقد انتشر السل في مصر كما انتشرت أمراض أخرى كالجنون والصرع وضعف الأعصاب، والطبيب الذي لم يدرس السيكلوجية الحديثة يعجز في أكثر الأحيان عن تشخيص هذه الأمراض، وقد أصدرت الدكتورة العالمة إليانور ا. مونتجومري كتاباً جليل الفائدة في هذا الباب بحثت فيه عن العلاقة بين السيكلوجية والطب، وهل يستطيع الطب أن يصف للعلل الأخلاقية كالجبن واللؤم وتمشق الاجرام من أجل الاجرام دواء مادياً غير العلاج الذاتي الذي تصفه السيكلوجية . . . وقد تناولت المؤلفة وظائف الغدد التي تتحكم في أخلاق الشخص وتقررها وذكرت أن الطب وحده هو الذي يستطيع أن يتحكم بدوره في هذه الغدد، ومن هنا العلاقة الكبيرة بين السيكلوجية والطب



أفاعي الفـــــردوس

ديوان الأستاذ الياس أبو شبكة

بقلم الأستاذ فليكس فارس

(تتمة ما نشر في العدد الماضى)

وإلى الشعراء الآن نماذج من قصائد الديوان الذى أردنا أن نرسم مصغراً عنه ببعض خطوطه :

شمشون :

هى قصيدة رمز فيها الكاتب إلى كل جبار فى الحياة تصرعه خدعة الضعفاء، وإلى كل شاعر تلعب الغواية بحياته دون أن تضلل قوة إلهامه فينتقم بهذا الالهام من نفسه ومن أعدائها .

اسمع الشاعر يخاطب دليلة ليصورها بقوله الرائع :

ملقّيه ففى أشعة عينيـ ـك صباحُ الهدى وليل القبور
وعلى ثغرك الجميـــل ثمارٌ
حجبت شهوة الردى فى العصير
ملقّيه فبين نهديك غامت هوة الموت فى الفراش الوثير
هوة أطلعت جهنمُ منها شهواتٍ تفجرت فى الصدور
ملقّيه ففى ملاغمك الحمر مساحيق معدن مصهور
يسرب السم من شفافتها الحـــرى إلى ملبس الردى في الثغور

ثم عد فاسمع كيف يصف دليلة عند ماجاءت ترقص أمام شمشون وهو مربوط إلى عمد الهيكل وقد دار به عداته الساخرون .

تزوير أدبى

عمد بعض المرتزقة من الناشرين إلى طبع قصة تافهة بعنوان « قتيلة الجوع » نسب تأليفها إلى الأستاذ توفيق الحكيم وكتب اسمه على غلافها، وذلك لكى يضمن رواجها بين العامة من القراء وقراء الرسالة عامة يعرفون الأستاذ توفيق الحكيم بفنه وأدبه ، ويعرفون مؤلفاته وقصصه جميعاً ، فما كان بنا من حاجة إلى نص هـذا الخبر لولا رغبتنا فى أن يلتفت إلى مغزاه القائمون على شئوننا لعلهم يجدون فى مثله ما يحفزهم للتفكير فى حماية الأدباء والمؤلفين من شتى الآفات التى تنوشهم من كل جانب !

العصور

صدر العدد الأول من مجلة العصور مصدقاً لما قدرناه لها فى أنفسنا من قوة التحرير وصدق الأسلوب وشرف النزع . وقراء الرسالة يعرفون صاحبها الأستاذ محمود محمد شاكر بقوة الأدب وقوة الدين وقوة الخلق، فهيهات أن يجدوا فى العصور إلا أثرهذه القوى مجتمعة فى قلمه الرصين واختياره الوفق . وإنا لنرجو للأستاذ الصديق أن يوفقه الله فيما نصب نفسه له من الجهاد الصادق فى خدمة الدين واللغة والثقافة

لماذا أنا مسلم ؟

أخرج الأستاذ الشيخ عبدالمتعال الصعيدي الطبعة الثانية من كتابه « لماذا أنا مسلم » ممتازة بكثير من الزيادات والتنقيحات. وقد وضع المؤلف هذا الكتاب على هيأة مناظرة بين قس من علماء المسيحية المبشرين، وبين شاب مسلم يفهم حقائق دينه فهماً صحيحاً : يوجه القس إلى الشاب المسلم الاعتراضات والشبه التى يتصيدها المبشرون لمحاولة تشكيك المسلمين فى دينهم ، فيرد عليه الشاب فى أدب ولباقة ، مفنداً تلك الشبهات والاعتراضات بمنطق سليم وعبارة فصيحة وحجج دامغة . وقد تناولت المناظرة أهم المسائل التى يتوهم فيها خصوم الاسلام مآخذ يأخذونها عليه

ويمتاز هذا الكتاب بحسن معالجة الموضوعات التى تناولها بأسلوب متسق وعبارة جلية وتدليل قويم

وهو يقع فى (٨٨) صفحة من الحجم المتوسط ويطلب من مكتبة الشرق الاسلامية ومطبعتها بشارع محمد على أمام دار الكتب المصرية

وإذا قينةٌ يخالجها السكر على مشهد من الجمهور
فتثنت تضاجع الجوَّ نشوى من تلوى قوامها المحرور
رقصةُ الموت يا دليلة هذى أم تُراها اختلاجة فى الحرور

ثم اسمعه يتكلم بلسان شمشون :

بددى يا زوابع النار أعدا ء إلهى ويا جهنم ثوري
وتنفس يا موقد النار فى صد ري وأغرق نسل الربا فى سعيري
وامصصى يا دليلة الخبث من قل بى فكم مرة مصصت قشورى

فى هيكل الشهوات

فى أحد الأبيات الأولى من هذه القصيدة ينجلى للقارئ معنى أفاعى الفردوس وهو العنوان الذى اختاره الشاعر لديوانه ، قال عن النساء :

فهن من حية الفردوس أمزجة يثور فيهن من أعقابها عصبُ

ثم يعود فيخاطب إحدى أخوات الشقاء قائلا :

أخاف فى الليل من طيف يسيل على موجات عينيك حيناً ثم يغترب
طيف من الشهوة الحمراء تغزله خمرُ الليالى وفى أعماقه العطبُ
ووجهك الشاحب الجذّاب ترهبنى ألوانه ينتشى فوقها اللهب
مازلت تنتصبين الليل فى جَهَد حتى تجمد فى أجفانك التعب
وما السواد الذى فى محجريك بدا إلا بقايا من الأحشاء تنتصب

سدوم

قصيدة تعد بحق من أروع منظوم أبى شبكة وكنت ترجمتها كلها إلى اللغة الفرنسية فنشرتها مجلة « لاسيمين » فقدرها كثيرون من الأجانب قدرها فقالوا لى : إن لهذا الشعر طابعاً مستقلا فهو وإن ضاهى شعر « بودلير » فإنه لا يمت إليه بسبب . وقلما يشهد الأجانب بروعة لنا دون أن يرجموها إلى أسلوب من أساليب إلهامهم :

فى صدرك المحموم كبريت إذا لعبت به الشهوات فجر أضلعه
فى صدرك الدامى مناجم للخنى أورثتِها نارَ الزرارى المزمعه
فبكل صقع من ضلوعك قسمة خُلِعَ على لهب الشباب موزعه

ثم يتحول الشاعر بعد وصف رائع لسدوم القديمة مخاطباً مدنية هذا الزمان قائلا :

إسدوم هذا العصر لن تتحجبى فبوجه أمك ما برحت مقنعه
كانت منكرة كوجهك عندما هبت عليها من جهنم زوبعه
قذفتك صحراء الزنى بحضارة ثكلى مشوهة الوجوه مفجعه
بؤرٌ مستترة الفساد بخدعة نكراء بالخز الشهى مرقعه

ويغير الشاعر فى القصيدة نفسها الوزن والقافية مخاطباً هذه المدنيـة :

أسليلة الفحشاء نارك فى دمى فتضرمى ما شئت أن تتضرمى
أنا لست أخشى من جهنم جذوة ما دام جسمى يا سدوم جهنمى
طوفت بى ميتاً بأروقة اللظى فحملت تابوتى وسرت بمأتمى
وعصبتُ بالشبق المجمَّر جبهتى فرفعتها فى عصرى المتهكمِ
علمتِنى لغةَ النبوة عند ما فجَّرت ألغام السموم بمنجمى
مهلاً كلانا يا سدومُ مسلحٌ فلظاك فى جسمى وثأرى فى فمى

الشهوة الحمراء

أنا أحدنا ليوم واحد وغدا يأتى فيخلفنى قوم بحبهم
سيعشقونك يوما يغنمون به ما غادرت منك ساعاتى لليلهم
وسوف تنسين (يا أخت الدما) فهم كما نسيتِ على رَغم الدماء فمى
عشرون قلبا شربت الحب من دمها وما شبعت ولم يشبعك شربُ دمى
إذن فسوف تظلُّ النفس جائعةً حتى يجف دم فى غفلها النهم

حديث فى الكوخ

أيها الفجر يا حبيب الشقيين ويا مشعل الهوى والشباب
أيها الكوخ والعيون سكارى بخمور لم تمتزج بعذاب
لا تجسى قلبى فلم يبق فيه من بناء الماضى سوى أخشاب

* * *

وانصرفنا وقبل أن أنواري عن جمال الشاطئ وعن ساكنيه
قلت للمرأة التى آلمتنى حين قالت الله ما يُشقيه
لى قلب أفرغته فاتركيه فى الهوى فارغاً ولا تملإيه

الطرح

وهى آخر قصائد الديوان

اسمع الشاعر يقول بلسان والد الجنين الساقط ثمرة متهرئة عن شجرة الحب :

حملت أمك القنوط إلى وجهى وكنت الرجاء فى أعماق
جئت فى سحنة السوخ فلم حطمت حلماً نما على أحداق
ألأنى بذلت حبى ولم أطعمك منه سوت الفتات الباقى ؟



الفرقة القومية ومديرها

« إذا وجد من هو أصلح منى لادارة الفرقة فانى على استعداد للنزول له عن وظيفتى مع معاونته بكل ما فى طاقتى »

هو ذا لب الحديث الذى نشره حضرة مدير الفرقة فى جريدة البلاغ دحضاً لاشاعة استقالته من وظيفته

فإشاعة الاستقالة هذه ليس مصدرها « أشخاصا يلذ لهم أن يذيعوا هذه الإشاعة لأنهم يريدون فيها شفاء لمرض نفوسهم الثائرة على كل ما هو كائن فى الوجود » بل مصدرها مدير الفرقة نفسه ، فقد سمعتها منه فى مرتين ، وقد قالها لى فى مناسبتين ، وقد تحققت بطلانها فى ساعتها كما تحققت غرضه من ترويجها وهو النيل ممن يتوهم أنهم يعملون على الحلول محله فى وظيفته

لا شأن لى فى الانحياز إلى هؤلاء المرضى فى نفوسهم الثائرة على كل ما هو كائن فى الوجود ، والإشادة بكفاءتهم وجدارتهم فى فهم فن المسرح وفيما يصلح لمزاج الشعب ويناسب ثقافته . ولا غرض لى فى التحزب لمدير الفرقة الصحيح المانى ، المتواضع كثيراً فى كل شىء ، والمتواضع كثيراً جداً فى فهم أبسط فنون المسرح ، وإنى ما أوردت هذه الحقيقة إلا لأسفر عن طرف من وجه واحد من وجوه تصريف الأمور

ثم يهتف بلسان الحياة قائلاً :

أملك المائتون فى رحمى الحب ... وسمّوا الزلال فى ترياقي
فطرحت الأقزام فى أسواقي ... عِبَراً للدمار فى المشاق
ورأيت الفردوس لفت أفاعيه ... غصـــونى وكشت أوراقى
وتراءت لى الطبيعة دنيا ... من كمال نسيقة الأذواق
فرأيت الجماد شبعان حباً ... كل صدر عليه ثدى ساق
إن فى الحب صورة الله لكن ... أين فى الخلق صورة الخلاق ؟

هذا هو الشعر يتغلغل فى تفكيرك وشعورك وذوقك فى آن واحد إلى أعماقها جميعاً؛ وكل شعر لا يتحد ثالوث الحكمة والشعور والموسيقى فيه إنما هو محاولة فاشلة

غير أن الشاعر الذي يريد أن يحكم موسيقى بيانه فى الدماغ المفكر والحس المرهف محكما يتوازى سلطانه فيهما لا يوفق إلى إيجاد الوحدة فى كل بيت من أبياته . إن هذه الوحدة وهذا الاتساق والتشابه من حيث الصياغة فى كل أجزاء القصيدة إنما يوفق إليها من نظم الحكمة آيات لها ترتيبها وتسلسلها أو من نظم دموعاً وابتسامات وحقداً ونزوات لأنه لا ينقر قيثارته إلا بمضراب واحد، أما من يستنطق أوتاره بهدوء التفكير وثورة العواطف فى آن واحد فليس لك أن تطالبه إلا بالاتساق فى الصورة الكاملة التى يقدمها لك لأنه يجمع على لوحته بين المتنافرات من الخطوط والألوان

إن شعر أبوشبكة يوقفك منه تجاه فيلسوف ومتشرع ومؤمن وكافر وطاهر وعاهر، ويوقفك من قصائده تجاه عراك بين الفكر والشعور والبيان ، فاذا ما شهدت هذه العناصر الثلاثة تتماشى على وتيرة واحدة فى كثير من أجزاء قصائده فانك لترى أحدها يسطو فى أماكن كثيرة على رفيقيه فيخضعهما لسلطانه

إن « أبوشبكة » لايهمه فى فنه إلا أن يصور لك منعكسات الكون على نفسه ، ونفسه تتنازعها خلجات قلبه وخاطرات دماغه، فهو يحس بأن الحياة المضللة قد أفسدت الانسان، ويشعر أن فى الانسان نسمة تتململ بين ماحبكت الأجيال حولها من قيود فيصور لك هذا العراك المنيف بين ما هو كائن وما يجب أن يكون.
وفى لوحات أبوشبكة من دقة التصوير ما لا تراه إلا نادراً فى لوحات الأقدمين والمعاصرين من شعرائنا، لأن ريشته تجود على القبح من ألوانها بقدر ما تجود على الجمال، فهو لا ينزلق بها على الشر انزلاقاً بل يثبتها فى مجالها حتى ينشبها فى أقصر الحقيقة فيأتيك بأروع ما يصور القبح ويصف الشرور والضلال

فليكس فارس

الخاصة بمدير الفرقة أو بالفرقة نفسها ، وعن الجو القاتم الذى استكنفه واستلبده هو بنيوم وسحب من أوهام وظنون صرفته عن غرض الفرقة الثقافى وجعلته يترقب برعشة الوجل النخاع اللب هبوب العاصفة وانقضاض الصاعقة

يحلو لى أن أعرب عن شعورى أن استقالة مدير الفرقة تعد خسارة فادحة ، وأزعم أنه قد يشترك معى كثير ممن قد يعتقدون اعتقادى ، إذ لا بد لكل عمل مستحدث من ضحية ، فالمدير الحالى خير كبش يقرب على مذبح المسرح، غير أن الأوان لم يأن بعد ، ولا عيد الاضحى بقريب

قد كان يتمنى مدير الفرقة أن يكون ضحية مقدسة فعلاً للمسرح ، كما هو مقدر لكل صاحب رسالة ، ولكن أين رسالة الفرقة القومية غير المكنونة على الورق ؟ أين رسالة مديرها وهل ظهرت براعيمها أو نبتت قرونها بعد ؟

بدأت الفرقة أعمالها بلهيب حزمة القش خبا وهجها ، وبردت حرارتها ، وبقى من رمادها لموسمها الرابع ثلاث روايات ، اثنتان معربتان وواحدة مقتبسة ! ومن يدري فقد تحمد فى العام القادم للفرقة القومية عملها المريض فى هذا العام لأنها قد تمن علينا باعادة تمثيل روايات مثلتها فى عامها الأول ، أو يطيب لها أن تتبنى الروايات التى مثلتها الفرق الأهلية كما تبنت فى هذا العام رواية « مجنون ليلى » وتهمل الروايات الجديدة الموضوعة كما أهملت الكثير من الروايات التى دفعت أثمانها لمؤلفيها وقبرتها فى مدافن الفرقة لعدم صلاحها فنياً أو إسكاتاً لمؤلفيها الأفاضل

كل شئ ممكن الوقوع ، وكل فرض فى هذه الفرقة جائز ، والذى يهمنا هو معرفة تشخيص العلة ثم العمل على مداواتها ؛ ولذلك نسأل أين علة الفساد ، أين عوامل الانحطاط ؟

أهى الجهل بأصول الفن أم الغربة عن روح المسرح ؟

أهى فى الأمة التى لا تتذوق الآداب والفنون الرفيعة ؟

أهى مرض الصحافة التى أفسدتها الفرقة بمال الاعلانات فصدت أقلام الأدباء والنقادعن خط كلمة فى غير امتداح مدير الفرقة والثناء عليه

أهى فى المؤلفين الذين انصرفوا عن الفرقة أو انكمشوا وتباعدوا عنها ضنا منهم بكرامتهم الأدبية أن تكون عرضة لممثلين أعلمهم أجهل من كر — مع استثناء واحد أو اثنين منهم — لهم الكلمة الأولى والأخيرة فى الحكم على صلاح الرواية للتمثيل أو عدم صلاحها ؟

أهى فى الأدباء الذين انصرفوا عن الفرقة لأنهم لا موائد لديهم كموائد هذا البربرى وذاك الحبشى طافحة بكل ما يطيب للعين والفم ؟

أم هى الاطماع بربح المال وجمعه من إعادة تمثيل روايات الفاكهة المحرمة ، والحب والدسيسة ، والمرأة المسترجلة الرائجة لفكاهتها وفهاهتها ، وادخار هذا المال لبناء مسرح خاص من مال الفرقة القومية الخاص ، لا من مال الأمة ، كأن مسألة الفرقة مسألة تجارية أو عزبة زراعية طاب لناظرها الأمين أن يظهر لسيده ومولاه مقدار ما ادخر من ربح مدة نظارته ؟!

قد تكون هذه العلل متجمعة هى بعض أسباب تدهور الفرقة ، ولكن العلة الدفينة فى نفس المدير دون سواه . هى فى نفسه وحده — وإنى أتعمد مؤقتاً تجاهل العلة المستوطنة فى لجنة القراءة وسأعود إلى شرحها قريباً — لأن حضرة المدير يعتقد اعتقاداً راسخاً أنه لا يوجد بين الستة عشر مليوناً من الأنفس من هو أصلح منه لادارة الفرقة ، وأنه إذا فرض المستحيل ووجد هذا الذى لم تلده أمه بعد، فان حضرة المدير — حفظه الله — « على أتم استعداد للنزول له عن وظيفته » على شرط أن يبقى معه « يعاونه بكل ما فى طاقته »

لست أحاول تقصى عوامل هذا الوهم الراسخ والاستمساك الأخطبوطى وتحليلها خشية أن تتفكك أو تنحل عناصر قدسية حضرة المدير النهادية المتساندة ، ولا الايغال فى استكناه بواعث الوهم واستنتاج النتائج ، بل أقول : إن رجلا كائناً من كان يقوم فى ذهنه مثل هذا الوهم الباطل القائم على الايمان المحدود لا يرجى صلاح للمسرح على يديه ألبتة . إن رجلا يؤمن إيماناً محدوداً أن كل ما يقدمه للناس هو أكثر مما يتذوقون، وأدسم مما يفهمون، وكفاية على ثقافتهم التى لا تستوعب ، ومداركهم التى لا تفقه سوى رواية اليتيمة ، وبناتنا سنة ١٩٣٧ وأضرابهما . إن رجلاً كهذا ، لا حيلة معه لمئة ناقد وألف ناصح ومشفق على النهضة الأدبية ، إذ ليس فى وسعهم أن يجعلوا ثقباً فى السماء كما يقول الفرنسيون فى أمثالهم ، ولا أن ينهضوا المقعد الذى قال له المسيح « قم احمل سريرك وامش » فقام ومشي .

لسنا والحمد لله فى زمن العجائب الخارقة، بل نحن فى زمن لا نقبل فيه التدجيل والخرافات، ولا عبادة الأصنام، ننظر إلى الماضى لماماً، بيد أن طموحنا إلى المستقبل عظيم نستمده فى طموح مليكنا الشاب الجليل ، ومن روح الأدب الجيل الذى لا يقر غير الروح الشاب.

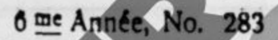
هل مدير الفرقة يعوزه الشباب ؟ هل لجنة القراءة فتية ينبض دم الشباب فى عروقها ؟ أو هو وهى شن وطبقة رضى الله عنهما ؟ ؟ سوف نرى .

ابن عساكر



6 me Année, No. 283

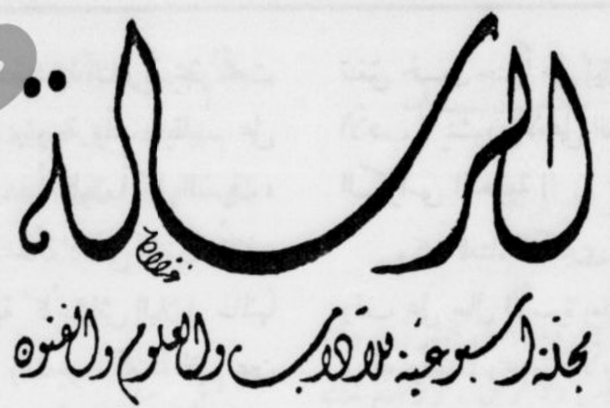
Lundi - 5 - 12 - 1938



بدل الاشتراك عن سنة

ص	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٢٨٣ « القاهرة فى يوم الأثنين ١٣ شوال سنة ١٣٥٧ — ٥ ديسمبر سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهــــرس

من مآسى الحياة

ليت للأوقاف عينا !

ليت للأوقاف عيناً تخترق الجُدُرَ وتشق الأستار فترى ماذا يصنع البؤس بأهله !! إنها وا أسفا تسمع ولا تبصر : تسمع ذلك البؤس الملحّ الوقح الذى يغضب ويصخب ويثور ، ثم يقتحم عليها الحجّاب والأبواب ومعه فوق لسانه الملحف بطاقة من كبير أو وساطة من موظف . وهذا البؤس الذى يدع لأهله قوة السعى وبراعة الحيلة لا يكون فى أكثر حالاته إلا طمعاً أو حرفة . أما ذلك البؤس الدفين الصامت الذى يستعين على ضحاياه بكبرياء نفوسهم فيسلبهم الحس والحركة ، ويمنعهم الأنين والشكوى ، فلا يراه إلا الله الذى فرض الزكاة ، وأوجب الرحمة ، وجعل على عباده خليفة منهم ينطق بلسانه ، ويرى بعينه ، ويحكم بأمره

إن فى بعض الدور ومن وراء الستور ظلالاً من الحياة الغاربة على أمثال الخيال من بنى آدم ؛ تنسم أنفاسهم الضعيفة بما بقى من أرواحهم الخافتة فى إسلام مؤمن واستسلام صابر . فاذا كشفتهم الحاجة للعيون حسبهم الجاهل أقوياء من الصبر ، أغنياء من التجمل ، حتى يستوفوا أجلهم المكتوب وتذهب بهم المنون وهم فى وحدة الفقر ، كما تذهب شمس الصحارى بأنداء الفجر

كان لنا جارٌ مدرس فى مدرسة شبرا الثانوية يجثم تحت جناحيه أربع بنات وثلاثة بنين وزوجة وأم ، يقلبهم على ما يشتهون من لذاذات العيش الغرير، فيأكلون أكل السرف ، ويلبسون لباس الترف ، ويلهون لهو المجانة ؛ حتى كانت غُرَف البيت من فيض النعيم ومرح العافية كأعشاش البلابل سالمتها الأحداث فى جنة من الحَب والماء والشجر . ثم لحظتهم عين الدهر فأصيب الأب بمرض السكر : وعقر إصبعه الحذاء ذات يوم فأصابته قرحة ساعية[1] . نقلوه إلى المستشفى القبطى فبتر الجراح رجله . وسعت عليه زوجه بالمال والأمل فلم تستطع أن ترد قضاء الله ولا أن تدفع عادى الموت . . . وانقلب المنزل الفرح المرح النشوان قبراً رهيباً يغشاه الحزن ، ويجلله السواد ، وتخيم عليه الوحشة . فلا زوار يتقدمون بالهدايا ، ولا سمار يفدون بالأنس ، ولا ولائم تشرق فيها النفوس والكؤوس كل جمعة

وبحثت الزوجة عما خلَّف الزوج الراحل فلم تجد غير ذلك المال الذى كان تحت يدها وقد أنفقته كله فى العلاج والجنازة . ونجمت حول بيتها الحزين رءوس الدائنين تندلع ألسنتها بالمطالبة الفاضحة . ففزعت إلى وزارة المعارف تسألها أن تسرع فى أداء ما لزوجها من الحق ؛ فأعطتها بعد لأى مكافأته على السنين السبع التى قضاها فى مدارسها . فقد كان من قبل مدرساً بأحد مجالس المديريات ، فلم يجتمع له الزمن القانونى لاستحقاق ورثته جزءاً من المال على سبيل المعاش . وذهب الغرماء بالمكافأة ، وبقيت الزوجة وحماتها وبنوها السبعة فى غشية الهم وصدمة الواقع ، يتلمسون نفساً من الكرب أو شعاعاً من الرجاء يطالعهم من قريب أو صديق فلم ينالوا . وتذكرت الأيم المسكينة أن زوجها كان يعلِّم ابن وزير الزراعة فلاذت به تسأله أن يساعدها بجاهه على تربية أولادها فى مدارس الوزارة ، فتخلص منها بخمسة جنيهات ثم أغلق من دونها بابه

كان بين الزوجين ماتة قرابة ؛ وكانت أسرتهما من الأسر الريفية التى ألوى بها الدهر المديل، فلم يبق منها إلا عجائز وأيامى يعشن على معونة الأستاذ الفقيد ، ثم موظف صعلوك فى شركة سنجر لم تره الأرملة إلا يوم الجنازة . وقد حملها بغروره على أن تنفق خمسين جنيهاً على ليلة المأتم ، لأن أقطاب التعليم وأعيان الأدب لا يمشون إلا على الطنافس الفارسية، ولا يجلسون إلا على الكراسى الذهبية !

وكان للفتاة الكبرى خاطب غنى من أصحاب أبيها . فلما وقف على حال الأسرة بعد كابها انقطع خبره فكأنما غابا معاً فى قبر واحد ! وعجزت الأم عن دفع المصروفات المدرسية لبنيها وبناتها ، فظلوا حولها فى البيت يندبون الميت ، ويبكون الحي ، ويسدلون على مأساتهم الفاجعة ستاراً من الصمت والعزلة حذر الشامت . فما كان بابهم ينفتح إلا لتجار الأثاث القديم يخرجون منه بصفقة بعد صفقة من الفرش أو المتاع

ولبثوا على هذه الحال ستة أشهر لم يدفعوا عنها شيئاً من كراء المسكن للحاج محمود ، حتى أدركته عليهم شفقة المؤمن ، فتنزل لهم عن الدَّين ونقلهم إلى غرفتين على سطح من سطوح منازله الكُثُر يسكنونهما من غير أجرة

وتركنا حى شبرا منذ خمس سنين فلم نعد نعلم من حال هذه الأسرة المنكوبة شيئاً

وفى صباح أمس الأول كنت فى ميدان باب الحديد، فتقدم إلىَّ صبى من باعة الصحف يحيينى وهو يبتسم . فتفرسته فاذا هو إبراهيم أوسط الأخوة الثلاثة ! فصحت به مستطار القلب من دهشة المفاجأة :

— ماذا فعل الله بكم يا مسكين ؟

— مرضت أمى بالروماتزم فلا تنهض ، وعميت جدتى من الحزن فلا تسعى ، وتزوجت أختى الكبرى من أحد السعاة فلم تصبر على عشرته غير ثمانية شهور . فهى تخيط بالأجرة ، وأختى الوسطى تدبر المنزل ، وأختاي فلانة وفلانة تخدمان ، وأخواى فلان وفلان يعملان، أحدهما صبى كواء، والآخر خادم بقال، وأنا كما ترى . وكل ما نكسبه فى اليوم لا يتجاوز ثمن الخبز !

* * *

ألا ليت شعرى هل تقيم الحكومة فى عهد الفاروق الصالح المصلح . الركن الخامس من الدين وهو الزكاة ، فتتحقق به أخوة الإسلام ، وتنجلى عن الناس هذه الآثام والآلام ؟

احمد حسن الزيات

(١) القرحة الساعية هى التى تمتد من موضع إلى موضع وهي خلاف الواقفة

القاهرة فى العيد

للدكتور زكى مبارك

لم يبق شك فى أن القاهرة أجمل مدينة فى الشرق ، وقد تكون فيها خصائص لا تعرفها باريس ولا برلين . وترجع تلك الخصائص التى تفردت بها القاهرة إلى ما فيها من اختلاف الألوان والأذواق ؛ فهى ملتقى للحضارات الشرقية والغربية ، و مجتمع للصحيح والعليل من العقائد والمذاهب . فالمسلمون ألوان ، والنصارى أشكال ، واليهود أخياف . وفيها مع ذلك ناس لا يدينون بغير التهالك على مطالب الشهوات والحواس

والمدنيّة المنيفة هى ذلك . هى اصطراع الشك واليقين ، والغىّ والرشد ، والهدى والضلال : وليست المدنيّة أن يهتدى الناس جميعاً أو أن يضلوا جميعاً ؛ وإنما المدنية فى تعقيد المذاهب ، واشتباك العقائد ، وتناحر الأجناس . هى تلك الصورة التى توجب أن تقوم الحانة بجوار المسجد ، وأن تدق أجراس الكنيسة بين المواخير ، وأن تكون فى الجامعات أركان يخلو فيها المقامرون ، كالذى كنا نراه فى أروقة السوربون

تلك هى المدنيّة . فلا تعجبوا إن رأيتم من رجال الدين من يلطخها بالسواد فى الخطب والعظات ، لأن رجال الدين لا يتمثلون سيادة الفضيلة إلا فى مكانين : الجنة والصحراء

وإنما كانت الجنة مجالاً لسيادة الفضيلة لأن أهل الجنة أعفتهم المقادير من النضال فى سبيل الأرزاق . والنضال فى سبيل الأرزاق هو الأصل فى خلق الضغائن والأحقاد ، وهو الذى بلبل أهواء العالمين فأغراهم بالقتال حول المذاهب الاقتصادية ، والمسالك المعاشية .

ومن فضائل الجنة أنها ستبيح الناس جميع ما يشتهون من رغائب الحواس ، وبذلك ينعدم القلق الذى يساور أصحاب القلوب والأذواق . ولعل هـذا هو السر فى خُلوّ الجنة من الشعراء والكتاب والمفكرين ، فما سمعنا أن الجنة ستكون فيها خطب أو قصائد أو مقالات أو مؤلفات ، لأن هـذه الفنون الأدبية ليست فى الواقع إلا صورة من ثورة العواطف والأذواق والأحاسيس ، وأهل الجنة أراحهم الله من هذا الجهاد

والبادية مجال لسيادة الفضيلة فى رأى أهل الدين لأنها توحى إلى القلوب معانى الزهد والتصوف فينعدم الطمع أو يكاد ، وبانعدام الطمع تزول أسباب الدس والكيد والزور والبهتان

* * *

هنا القاهرة

أليس كذلك ؟

بلى ، وأنتم جميعاً تعرفون !

كنا نسمع فى عهد الطفولة أن الشياطين تقيَّد فى رمضان ، ثم يحل وثاقها بعد ذلك

ولكن وزارة الأوقاف أو مشيخة الأزهر فى مصر تعرف أن الشياطين تنجو من الأصفاد والأغلال فى مكان واحد : هو القاهرة ، ومن أجل ذلك يترك الوعاظ أعمالهم فى الأقاليم التى قيدت فيها الشياطين ويفدون للوعظ فى مساجد القاهرة التى لم تقيد فيها الشياطين

وإنما كان الأمر كذلك لأن القاهرة مدينة عظيمة جداً من الوجهة الاقتصادية . والعظمة الاقتصادية هى الأساس لجميع المشكلات ، وهى مصدر الحروب ، وهى مثابة الشياطين

وعند النظر فى هـذه الدقائق نعرف كيف فطنت وزارة الأوقاف إلى سَوق الوعاظ إلى القاهرة فى أيام رمضان

ولكن هل شعرت الجارك بأقوال الوعاظ فى رمضان ؟

وهل يسر الحكومة أن تشعر الجارك بأقوال الوعاظ فى رمضان؟

ليتنى أملك حرية التعبير عما أريد أن أقول !

لو كنت أملك حرية التعبير لقلت : إن فى مقدور الحكومة أن تراقب الجارك فى شهر رمضان ، ولو فعلت لاستراح الوعاظ من محاربة الشياطين فى رمضان

ولكن الحكومة لن تفعل ، لأن هناك شيطاناً يصدها عن ذلك هو شيطان المدنية الذى يجعل حرية التجارة من الشرائع . وهذا الشيطان الأعظم هو الذى جعلنا نُزكى ونختال كلما تذكرنا أن القاهرة أعظم مدينة فى الشرق

* * *

أترك هذه الفلسفة وأشرع فى كلام آخر قد ينفع بعض النفع

أنا أقضي العيد في القاهرة ، وهي أول مرة أعرف فيها ملاعب القاهرة في العيد

فقد كنت في الأعوام السوالف أقضي العيد في سنتريس قبل أن يرزأني الدهر بموت أبي ، ثم شاءت المقادير ألا أعرف العيد فيما عدا ذلك إلا في باريس وبغداد ، فقد دخلت باريس أول مرة في يوم عيد ، ثم خرجت منها بعد أداء امتحان الدكتوراه في يوم عيد ، وأنا أواجه العيد في القاهرة بعد عيدين قضيتهما في بغداد ...

فهل يكون عجيباً — وهذا حالي — أن أفرح بالقاهرة في العيد ؟

أنا في عيد أيها الناس ، فدعوني ألهو وألعب يوماً أو يومين !

هذا هو العيد ، وتلك هي القاهرة

فاعذروني إن جننت وفتنت بالقاهرة في يوم عيد

لن أذهب إلى نادي المعارف في بغداد لأسأل عن رؤية الهلال، ولن أقضي مساء الشك بمنزلي في شارع الرشيد

وما الموجب لذلك ؟ لقد صمنا رمضان ثلاثين يوماً ولم يبق إلا أن نواجه الباسمين والباسمات في شارع فؤاد

إي والله ، هذا شارع فؤاد في ليلة عيد !

وهل ينتظر شارع فؤاد ليلة العيد ؟

وهل رأى الناس في مشرق أو مغرب شارعاً مثل هـذا الشارع في الحيوية والابتهاج والانشراح ؟

إن شارع فؤاد لا ينتظر ليلة العيد ، فجميع أيامه ولياليه مواسم وأعياد

ما ظنُّ القارئ بشارع يشهد بأن القاهرة أجمل بقعة في الأرض وأنها طليعة الفردوس ؟

ما ظن القارئ بشارع يتموّج فيه الحسن ويصطخب فيه الفُتُون ؟

ما ظن القارئ بشارع يراه أصحاب الأذواق من المعارض الدولية للصباحة والملاحة والجمال ؟

ما ظن القارئ بشارع هو الشاهد على أن القاهرة أصبحت أعظم مرجع من مراجع الشعر والخيال ؟

وما عسى أن أقول في شارع كان ولا يزال أعظم مصدر من مصادر الوحي لشعراء وادي النيل ؟

***

نحن في شارع فؤاد ، وهذا مشربٌ كُتِب على بابه بأحرف من النور الوهاج :

رمضان ولّى هاتها يا ساقي   مشتاقةً تسعى إلى مشتاق

رمضانُ ولّى ؟ رمضانُ ولّى ؟

وهو كذلك !

هاتها يا غلام !

وما أكاد أنطق بهذا اللحن الطرُوب حتى يدخل شيخ من أعلام رجال الدين فيقول : ما أتى بك ههنا يا دكتور !

فأجيب : أنا في ضيافة أبي حنيفة النعمان !

ويسارع الشيخ فيطلب كأساً من قهوة أبي الفضل لا قهوة أبي نُواس

ويتلبنى التجمل والتوقر فأطلب كأساً من قهوة أبي الفضل وأصدف عن قهوة أبي نواس

وما هي إلا لحظة حتى نشتبك في جدال مزعج ، ثم يتوافد أمثاله وأمثالي ، فتتحول الحانة إلى حلقة من حلقات الأزهر الشريف ، وينظر إلينا غلمان الحانة مبهوتين مذعورين

كيف تنقلب الحانة إلى مثل ما انقلبت إليه في ليلة عيد ؟

وكيف أعود شيخاً متمجرفاً متغطرساً لا يعرف غير جدال الفقهاء ؟

أيها الشيخ

صددت نفسي ، صدَّ الله نفسك !

ولكن لا بأس ، فتلك هي القاهرة التي يصطرع فيها الهدى والضلال ؟

***

خرجت من الحانة مصدوع الرأس من قهوة أبي الفضل ومن الجدال حول الحرام والحلال ، فأين أذهب ؟

أين أذهب ؟ أين أذهب ؟

هذا صديق خفيف الروح ، ولكنه أيضاً معمَّم وإن كان يحمل الطربوش ، ذلك بأنه يحمل فوق قلبه عمامة أضخم من

عمامة الشيخ الفَضالى ، وما رأيت الشيخ الفَضالى ولكن عمامته سارت مسير الأمثال . وكان هذا الصديق معمَّم القلب لأنه يمايش رجال الدين بالأزهر الشريف

وأين أذهب فى ليلة العيد مع هذا الصديق المطربش الرأس المعمم القلب ؟

هل أردّه إلى مشارب القهوة والشاى فى حى سيدنا الحسين ؟ أغلب الظن أنه يتشهى السهر بسقط اللوى بين شارع الألفى وشارع إبراهيم !

***

رباه ما هذا الذى أسمع ؟

لقد سمعت أشياء لم تكن تخطر فى البال . فهل أستطيع أن أصرح ؟

هل أستطيع أن أقول إن حى الأزهر صار قطعة من القاهرة تشتبك فيه نوازع الرشد والغى ، والهدى والضلال ؟

أنا أعرف أن الأماكن التى تصطبغ بالصبغة الدينية تنتفع من الاتسام بسمة الدين . ولكنى أنكر أن يصل الجشع ببعض الناس إلى الوقوع فى مهالك الانتفاع .

يجىء جماعة من جاوة أو من الهند أو من الصين للاستصباح بنور الأزهر الشريف فيحيط بهم ناس لا يؤذيهم أن يستغلوا سمعة الأزهر أسوأ استغلال

ولو كان هؤلاء المستغلون تجاراً لخف الأمر وهان . ولكنهم يتصلون بناس لهم فى المعاهد الدينية مكان ، ولهم مع رجال الدين صلات .

فهل يعرف هؤلاء الغافلون خطر ما يجنون على الأدب والوطنية حين يستبيحون « استغفال » بعض الوافدين على الأزهر من أهل جاوة والهند والصين ؟

إن من حق الحى الأزهرى أن ينتفع من صفته الدينية . ولكن من واجبه أن يراعى أصول الأدب والذوق فلا يفارقه زائر إلا وهو معمور القلب بأطيب الذكريات ، فمن العيب أن نشوه سمعة الأزهر وسمعة مصر لنحصل على منافع خسيسة لا ينصب لها ميزان .

وقد آن لشيخ الأزهر أن يعرف أنه مسئول عن كرامة ذلك الحى ، آن له أن يفكر فى تنظيم هيئة عالية من المطامع تشرف على الجوانب الاجتماعية والاقتصادية فى الحى الأزهرى ، فان لم يفعل فسيجنى عواقب الاهمال بعد حين .

أيتها القاهرة

ماذا تُظهرينَ وماذا تُضمرين ؟

إكشفى القناع قبل أن يمزقه القلم أقبح تمزيق

***

مضت ليلة العيد وجاء يوم العيد

الدنيا تموج بالمحاسن والمفاتن فى كل أرجاء القاهرة ، وكل ما كان فى القاهرة مباح إلا الحدائق

ولماذا ؟ لأن النعيم بحدائق القاهرة مقصور على أطفال الملاجىء فى يوم العيد

الحمـــد لله

« لا يزال فى القاهرة مجالٌ للطيبات »

أما بعد فقد انقضت أيام العيد ، وبقيتَ يا قلبى بلا عيد

أين أيامك ياقلبى وأين لياليك ؟

وما حظك من هذه المدينة التى تموج بالسّحر والفتون ؟

أ كل حظك أن يطوف بك العقل حول هذه الأشواك ؟

ليت عهدك بالغواية كان طال ، وليت الأقدار رحمتك من ثورة العقل فى هذه الأيام !

كُتبَ عليك يا قلبى أن تعيش بين أدغال المدنية ، حيث لا يحنو قلب على قلب ، ولا يأنس روح بروح ، ولا تأتلف نفس مع نفس ، إلا بروابط وثيقة من أصول المنافع ، وآه ثم آه من عصف المنافع بأهواء القلوب !

أتراني غدرت بك ، أيها القلب ؟

احذر أن يمرّ هذا فى وهمك ، فما كنتُ إلا أكرم صاحب وأشرف صديق

وهل غدرتُ بأحد حتى أغدر بك ؟

لقد عانيتُ فى سبيلك ما عانيتُ فطوّفتُ بالمهالك والمعاطب لأروى ظمأك المشبوب ، ولأريك مطالع الأهلة فى القاهرة والاسكندرية وباريس وبغداد

وما زلتُ أتلطف بك يا قلبي وأترفق ، وهل صادفتُ من صادقتُ من كبار الكتاب والشعراء إلا لأزفّ إلى رِحابك كرائم المعانى ؟

ولكنك — مع فضلى عليك — تلقانى باللوم فى بعض الأحيان

وإلا فما هى حجتك فى الهيام بعروس الزمالك ؟

عرفتُ حجتك يا قلبى ، أنت تريد أن تصدنى عن الحتف الذى ينتظرنى فى البلد الذى أعرف وتعرف

أنت تريد أن تصدنى عن « الحبيبة الوفية » التى ترسل بعض جدائلها المعطرة فى كل خطاب ولم تظفر منىّ بجواب ، شكر الله فضلها الجميل وعفا عنى

عرفت حجتك يا قلبى ، فأنت تريد أن تقول :

ويحسب نُسوانٌ من الجهل أننى إذا جئتُ إياهن كنتُ أريدُ
فأقسم طرفى بينهن سَويّةً وفى الصدر بونٌ بينهن بعيدُ

أتريد أن تقول ذلك ؟ وكيف وأنا أحب معك عروس الزمالك ؟

أحبها من أجلك يا قلبى ، وأحبها لأنها سمية الاسم الذى تعرف وأعرف

أحب التى هنا والتى هناك ، وأطلع كما يطلع القمر بكل سماء ، وأهيم هيام النسيم بجميع الحدائق والبساتين

ولكن متى تجيب صاحبة الجدائل المعطرة يا قلبى ؟

حدثنى متى تجيب ، فقد يحملها اليأس على الصدود

أيها الجمال

تحدث ولا تقل غير الحق

هل عرفتَ قلباً أشرف من قلبى ، وضميراً أطهر من ضميرى ؟

وأنت أيها الليل

هل عرف المحبون من أسرارك ما عرفتُ ؟ وهل استصبحوا بظلامك كما استصبحتُ ؟

« مصر الجديدة » زكى مبارك

مقالات فى كلمات

للأستاذ محمود غنيم

الحياة والأمل

قالوا : إن فرعون حينما أراد أن يبلغ الأسباب ، أسباب السموات فيطلع إلى إله موسى ، هيىء له تابوت ذو أربعة أعمدة ، ثم علق فى أسافل تلك الأعمدة أربعة نسور خماص ، وفى أعاليها أربعة حملان مسلوخة الجلود ، ثم استقل فرعون التابوت فانطلقت النسور تشق أجواز الفضاء ، تمنى نفسها عبثاً بذلك اللحم الغريض ، ثم كان من أمرها ما كان

وما أظن أننا فى هذه الحياة إلا أشبه بتلك النسور ، وما أظن الغاية التى نسعى إليها أقرب من تلك الحملان ، مع تعديل طفيف فى طرفى التشبيه ، فنسور فرعون تسعى وراء أمنيــة لا ينسنى تحقيقها ، ونحن كلما تحققت لأحدنا أمنية أسلمته إلى أخرى ، وهكذا يقضى الانسان عمره وراء سلسلة من الآمال متصلة الحلقات غير متناهيتها ، حتى يخر صريعاً وأمانيه حوله ، وقد حال بينهما من الموت سد منيع

هذا طالب ينشد شهادة ، وهذا حامل شهادة ينشد راتباً ، وهذا ذو راتب يريد أن يتضاعف ، إلى آخر تلك السلسلة التى لا تنتهى حلقاتها

ثم هذا شاب يريد أن يتزوج ، وهذا زوج يريد أن ينجل ، وهذا ناجل يريد أن يرى أنجاله رجالاً ، إلى آخر تلك السلسلة التى لا تنتهى حلقاتها

ثم هذا قائد يريد أن يكون وزيراً ، وهذا وزير يريد أن يكون أميراً ، وهذا أمير يريد أن يوطد نفوذه أو يوسع رقعة ملكه

قالوا لنابليون ذات عشية إذ كان يرصد فى السماء الأنجما
بعد افتتاح الأرض ماذا تبتغى ؟ فأجاب أنظر كيف أفتتح السما ؟

الحياة نار مشبوبة وقودها الأمل ؛ وهى قطار ، وهو بمنزلة البخار ، وإن للطبيعة فى خداع الناس عن هذا الطريق أفانين ، فهى تزين للانسان الغاية من الغايات ، فيدمى إخمصيه سعياً وراء

تحقيقها ، حتى إذا جاءها لم يجدها شيئاً ، فتلوح له بأخرى ، وهكذا يقضى الانسان حياته فى سعى متواصل ، وهى لا تتورع فى هذا السبيل عن خداع الناس بالحق وبالباطل ، وعندها لكل صنف من الناس صنف من الآمال يخلب لبه ويغريه ببريقه . أرأيت ذلك الشيخ المحطم الذى يقف بإحدى قدميه على حافة القبر ، والذى لا زوجة له ولا عقب يرث ما له من مال أو لقب ؟ لقد اخترعت الطبيعة له شيئاً يقال له طيب الأحدوثة ، وخلود الأسماء بعد الفناء ، فأجهدته فى شيخوخته المحطمة ولم تدعه يقضى أيامه المعدودة فى أمان واطمئنان

قرأت فى بعض المجلات أن الامبراطور غليوم لا يزال يمنى نفسه بالعودة إلى عرش ألمانيا ، وأنه لا يزال يترقب اليوم الذى يثوب فيه الشعب الألمانى إلى رشده ، فيستدنيه من منفاه ، ويسلم إليه مقاليد الأمور . ولعلك لا تعلم أن المحكوم عليهم بالاعدام لا ييأسون من الخلاص حتى ساعة التنفيذ ، ولهم فروض لا تخطر بالبال ، تنتهى كلها إلى غاية واحدة هى النجاة

إنها الطبيعة ، الطبيعة التى سلحت النساء بالنعومة والجمال لإغراء الرجال ، والتى سلحت الزهر بطيب العرف وألوان الطيف ليجذب الطيور فيشاطر الريح حمل حبوب التلقيح . هى هى التى حاكت لنا خيوط الآمال ، لنتعلق بها فيعمر الكون ، ويسير نحو الكمال

فليت شعرى ، ماذا يدعوها إلى ذلك كله ؟ أهو شيء لا نعلمه ؟ أم لا شيء ؟

الايمان بالحظ

قال صديقى فى تهكم : ألم يبلغك نبأ التعيينات الجديدة ؟

قلت : لا ، وماذا يعنيك من أمرها ؟

قال : إن بين المعينين مدرساً جديداً ، كان بالأمس لى من الأولاد ، فأصبح الآن من الأنداد

قلت : وماذا فى هذا ؟

قال : فيه شيء كثير ، فقد كان صاحبنا هذا هدفاً لسهام المعلمين — وأنا من بينهم — وكان المثل فى كساد الذهن ، وقلما وقعت عينى عليه إلا نائماً أو متثائباً . وكنت أعتبره « ترمومتر » الفصل ، ما فهم أمراً إلا اعتبرته مفروغاً منه مفهوماً من الجميع

قلت : هون عليك ياصديقى ، وماذا أنت فاعل إذا جاءك هذا المتثائب النؤوم غداً يفحص أعمالك ، ويقفك منه موقف المسؤول من السائل ، تتلقى إرشاداته ، وتتقبل نصحه بقبول حسن ؟

إنك ياصديقى لا تؤمن بالحظ ، أما أنا فانى مؤمن قوى الايمان به . أعتقد أن للجد (بفتح الجيم)، المرتبة الأولى فى تصريف الأمور ، وللجد (بكسر الجيم) المرتبة الثانية ، فلو شبهنا العالم بفلك لكان الأول بمنزلة الربان ، والثانى بمنزلة السكان

لعل التربة التى أنبتت نابليون — أنبتت من أمثاله عشرات لهم مواهبه ومقدرته على تعبئة الجيوش ، وتسلق الجبال ، واختراق البحار ، ولكن أحدا منهم لم يمهد له الحظ ما مهد لبونابرت من الأسباب . ولو أتيح له ذلك لكان نابليونا ثانيا يصرف ملوك أوربة تصريف قطع الشطرنج ، ويلعب بعجينتها كما يلعب الأطفال بالصلصال

إن الحظوظ والمصادفات تلعب دوراً هاما فى تاريخ الجماعات بله الأفراد . ومن يدرى ماذا يكون مصير مصر لو لم يقع مارك أنطوان فى حب كليوباطرة ؟ وماذا يكون مصير الاسلام لو لم يتح للمسلمين التغلب فى بدر ؟ بل ماذا كان يكون مصير البشرية جمعاء لو لم تهف نفس حواء إلى شجرة الحنطة أو التفاح ؟

إذا قلت ياصديقى : إن الرجال يسعدون أو يشقون بما يقدمون من أعمال ، فما بال الأطفال ، يولد أحدهم فى الغربال ، وتدق لثانيهم البشائر قبل مولده فاذا استهل وجد عرشا يمهد له ، وأمة تراض على طاعته ، وتتهافت عليه المراضع ، وترامت على أقدامه الحواضن ؟

إن الانسان ياصديقى ليقضى زهرة شبابه فى كد وتحصيل ، ثم يسعى حتى ينتعل الدم فى سبيل الوصول إلى منصب يدر عليه فى عام ما يتقاضاه بعض المطربين فى يوم من الأيام ، فهل كون المطرب صوته ، وخلق لهاته بيديه ؟

وماذا عملت الفتاة تخلع عليها الطبيعة مسحة من جمال ، فيتهافت على بابها من الخطاب وفود ، بينما لا تجد أختها زوجا من عود ؟

وبعد ، فاذا قلنا : إن الملوك قادوا الجيوش فتبوؤا العروش ، فعلى أى أساس شرف الله — جلت حكمته — برسالته أناسا من الدهماء ، فجعلهم أنبياء ، وبشر بهم قبل ميلادهم بمئات من السنوات ؟

قال صديقى : الآن آمنت

قلت : إذن استرحت

الذوق والشعر

تتناول قطعة من التفاح فتحس لها طعماً لذيذاً ، ثم لا يطالبك إنسان أن تقدم على لذتها دليلا ، ولو حاولت ما استطعت إلى ذلك سبيلا . وتشم عبير الزهر ، فتقول : إنه طيب ، ولو سئلت : لماذا هو طيب ؟ لم تحر جواباً . وتسمع عزف الموسيقى أو خرير الغدير أوسجع الطيور ، فتقول : صوت شجى ، ولكن لماذا هو شجى ؟ لست تدرى ولا المنجم يدرى . وتستطيع أن تقول مثل ذلك فى كل منظر جميل يقع طرفك عليه ، فلا يطالبك إنسان بتعليل جماله ، ولو فعلت لطال بك البحث والتدليل ، دون أن تنتهى إلى تعليل

ولكنك حين تستطيب قطعة من النظم طالبك النقاد بإيراد العلل والأسباب ، كأن طيب الشعر فى الذوق غير طيب التفاح فى الفم ، والزهر فى الشم ، والموسيقى فى السمع ، والحسن فى العين

إنه الذوق ، ثم الذوق وحده ، الذوق الذى يجعلك تنتشى طاماً وتعاف آخر ، هو الذى يجعلك تسيغ شعراً وتغص بشعر ؛ وهو الذي يقسم القافية إلى قافيتين ، إحداهما تشج الجبين ، والثانية أندى على الأكباد من العذب البراد ؛ وهو الذى يقسم دواوين الشعراء إلى قسمين ، أحدهما للخلود ، والثانى للوقود

لا يخضع الشعر لمنطق النقاد ، فاعتبر كل ما صح من أقيستهم فى ذلك سفسطة لا طائل تحتها . وكم من شعر هوجم واستعملت فى مهاجمته أسلحة الأقيسة والبراهين ، وآخر ناصرته تلك الأسلحة فمات الثاني فى مهده ، وبقى الأول خالداً ، تتداوله الرواة ، وتتناوله الشفاه ...

أرأيت لو قال لك قائل : إن صوت الجمل أشجى من صوت العصفور لأن الأول ألذ طعما وأكبر حجما ، وأوفر شحما ولحما ، أو قال لك : إن ريح البصل أطيب من ريح الزهر لأن الثانى مرير الطعم ، سريع الذبول ، لا يصلح الطعام بخلاف الأول . أرأيت لو قال لك قائل ذلك هل تصيخ إليه ؟ إنه لم يكذب ولكنه لن يجد له سميعاً

من هذا القبيل قولهم : إن هذا الشعر حافل بالمعاني الفلسفية ، والنظريات الكونية و ... و ... ثم هو مع ذلك لا يحرك مشعراً من مشاعرك ، ولا يمس وتراً من أوتار قلبك ، بل يسمعه النائم فلا يستيقظ ، والصاحى فينام . وهبه نافعاً كما يقولون ، فما مثله مع ذلك إلا كمثل « زيت الخروع » يستعيذ من شره الانسان ، وإن صحت به الأبدان

حاول ما استطعت أن تعلل سر الجاذبية فى الشعر ، فسوف يعييك البحث . لن تستطيع رجعها إلى لفظ ولا إلى معنى ، فرب لفظين مترادفين أحدهما يقيم البيت ، وثانيهما ينقضه من أساسه . ورب معنى واحد فى بيتين ؛ أحدهما يثير الاعجاب ، والثانى يثير السخرية والاستهزاء

أيها القارئ ، إذا تلاءم الشعر وذوقك فخذه ، وإلا فدعه ، فان قبح الأول لك مقبح ، أو حسن الثانى لك محسن ، فاهزأ بقوله ، واضحك منه ملء شدقيك ، ثم استفت قلبك

إننى أومن بالذوق ، ولكننى بجانب ذلك لا أجحد أن الأذواق تختلف ، وأن منها الفاسد الذى لا يصلح للحكم ، بيد أن الذوق على ما به من هنات لا يزال فى نظرى أصلح المعايير التى يقاس بها الشعر ، فينبغى أن نعول عليه ، وعليه وحده ، حتى نهتدى إلى مقياس محسوس تقاس به المعنويات ، كما تقاس الحبوب بالقدح والصاع ، والأطوال بالباع والذراع

« كوم حماده » محمود غنيم

في سبيل الإصلاح

داء الشـــــباب !

« الخوف من الكلام في هذا الداء هو الذي أوقعنا فيه »

للأستاذ علي الطنطاوي

... وهل داء الشباب إلا الميل الجنسي الذي يملأ نفوسهم ، ويسيطر على أرواحهم ، ويتراءي لهم في كل جيل في الكون ، شيطاناً لعيناً يقود إلي الهاوية وإبليساً من أبالسة الرذيلة ، يدعو إلى دين الهوى ، وشرع الشهوات ، ويحدر عقل من يستجيب له فينزل به من مكانه في الرأس إلى غير مكانه ، ويجعل صاحبه عبداً للجسم ، مؤتماً بالشيطان ؟

وهل يأتي ممن كان إمامه إبليس ، وشرعه هواه ، إلا قطٌّ في شهر شباط [1] . بل ما يبلغ والله أن يكونه ، فان القط تشمله الشهوة شهراً في العام ، وسائر أيامه للصيد والوثب والسعي للرزق وما خلق الله له القطط ، وعبد الشهوة من الناس تتعبده الشهوة في كل حين ... وللقط طريق واحد إلى بلوغ شهوته هو (الطريق الذي (شقه) الله لبقاء الجنس ، تبعاً للسنة التي سنها ، أما عبيد الشهوة من البشر فلهم مائة طريق . تسمة وتسعون منها تخالف سنة الله ، وقوانين الحياة ، وتأباها العجماوات ، ويترفع عنها الحمير ، ولا يرتضيها لنفسه (صاحب اللعنات) ابليس ... والقط في شهر الشهوة ، لا ينسى قِطيته ولا يدع صيد الفار ، ولا السعي للعيش ، والرجل إذا تعبدته الشهوة ينسى إنسانيته ، ويهمل الواجب عليه ، ويقعد عن المشي في مناكب الأرض في طلب الرزق ، بل لقد تبلغ به السفاهة والجهالة أن يفرّ من الحياة منتحراً جباناً ذليلاً ، لأن ... لأن امرأة لم تعطه من نفسها الذي يريد ، ولو عقل عقل القط لتركها إلى غيرها ، وليس يبالي القط مادام قد قام بقسطه من حفظ النسل ، أكانت صاحبته بيضاء مبرقشة أوسوداء حالكة ، ولم نعهد قطاً قطع نفسه بأسنانه ، أو ألقى بها في البركة ، حزناً على حبيبته القطة . والقط (بعد ذلك) يبقى عزيزاً ، يطارد القطة مرفوع الرأس ، مشدود العضل ، بادي القوة ، والرجل إذا استعبدته الشهوة يصبح ذليلاً حقيراً ، كافراً بالرجولة . فيهمل دروسه إذا كان طالباً لأن صاحبته (أو شيطانته) لم تدع له وقتاً ولا عقلاً للدرس ؛ وإذا كان موظفاً أنسته عيناها أمانة العمل ، وحرمة المصلحة ، وواجب الشرف ، وقدسية العدل ؛ وإذا كانت صاحبة سره في تجارته نسي التجارة ، وأضاع الأمانة والربح ، وأهمل السعي والعمل ... فلا يكون من وراء الشهوة إلا ذل النفس ، وموت الشرف ، والضعة والتسفل : المعلم سيد تلميذته ، والمدير أمير سكرتيرته ، والطالب عزيز حيال رفيقته ، فاذا جاءت الشهوة ، ذل المعلم فكان هو التلميذ وهي السيدة ، وذل المدير فكان هو الأجير وهي الآمرة ، وذل الطالب فكان من رفيقته بمثابة كلبها ... يتبعها ويبصبص لها !

أو ليس من الذل أن تكون حياتك معلقة بغيرك ، وسعادتك بيد سواك ، فأنت مضطر إليه ، وأنت لعبة في يديه ، إن أقبل عليك سعدت ، وإن أعرض شقيت ، وإن مال إلى غيرك اسودت أيامك ، وتمنيت الموت ؟

هذا والله الذل الذي لا ينفع معه المال الكثير ، ولا الجاه العريض ، ولا ... « ملك انكلترا وتوابعها ... » ، وهذه هي حقيقة الحب ، الحب الذي ألهه الشعراء !

* * *

على أن الحب في الأصل جيل مقدس ، وعلى الحب قام الوجود كله وائتلف وسار إلى غايته ، والشهوة نافعة لازمة لم تخلق عبثاً ، ولا أداة للشر ، بل خلقت حياة للجنس وعصمة من أن يمحي أو ينقرض ، ولسنا نحقر الحب ولا نذم الشهوة ، وإنما نذم الغلو فيهما ، وولوجهما من غير بابهما ، وأخذهما على غير الوجه الذي خلقه الله لهما ... نذم منطق الشهوة ، وللشهوة منطقها الذي يسلب الدين دينه والحكيم لبّه ، ويريه أن له الحق في كل النساء ، وأنه لم تخلق امرأة إلا للذته (هو) ومتعته ، ويصنع له إبليس أدلة هذه الدعوي فيقبلها بعقله الذي انحدر من رأسه ، ويتلقاها بأعصابه الهائجة المجنونة ، ثم يدله إبليس على سبل تحقيقها ، فيسلكها لا يبالي الدين ولا العرف ولا المروءة ولا شيئاً مما واضع

---

(١) أي فبراير ... أفليس من العجب أن عرب مصر لا يفهمون اسم الشهر حتى يترجم لهم إلى لغة الانكليز ؟

(الرسالة) كان العرب يعرفون الشهور بأسمائها الافرنجية وقد سردها صاحب العقد الفريد فيما سرد من سائر الأسماء

على إجلاله الناس ويتم إبليس عمله ، فيدخل فى رءوس نفر من الأدباء ، ثم ينطق بلسانهم ، ويخط بأقلامهم ، هذا الأدب الوقح البذىء ، أدب أبى نواس من الأولين، وآباء نواس من المصريين، الأدب الذى يستقر فى أدمغة الشباب استقرار صناديق البارود فى أصول البيوت ، فلا يلبث أن يتفجر عند الشرارة الأولى ، تخرج من عين امرأة ، فينسف عقل صاحبه ودينه ، وأخلاق الأمة وصيانتها ، ويقطع نسلها ويؤلف (المشكلة الكبرى) التى عرضنا من أسابيع إلى وصفها ... ولا نعدم مع ذلك من الناس من يعجب بهذا الأدب ويكبره ويسمى صاحبه بأسماء الجهابذة الأعلام من أرباب البيان وحملة الأقلام ...

وهل فى الأدب المكشوف ، إلا كشف سوأة من سوءات الفكر ، وعورة من عورات الضمائر ، يحرص العقلاء على سترها كما يسترون عورات الجسم ؟

أستغفر الله ما ذا أقول إن الناس قد كشفوا عورات الجسم على السواحل وفى المصايف ، وأبدوا كل سوأة ، وافتخروا بها ، ونعوها جمالاً وكمالا ، وصوروها وملأوا بها جرائدهم ومجلاتهم، أفيلام الشاب إن جن جنونه ، واشتعلت فى أعصابه النيران ؟

أخطبوا أيها المدرسون ما وسعكم الجهد ، واهرقوا ما انفسح لكم سبيل المراء ، وقولوا للشاب كن صيناً عفيفاً. إنها لن تجدى عليه خطبكم ، ولا يستقر فى نفسه هراؤكم ؛ إنه يخرج فيسمع إبليس يخطب بلغة الطبيعة الثائرة فى السوق على لسان (حال) المرأة المتبرجة ، وفى الساحل على لسان الأجساد العارية المغرية ، وفى السينما على لسان المناظر المتهتكة المثيرة ، وفى المكتبة على لسان الجرائد المصورة والروايات الخليعة الماجنة ، وفى المدرسة على لسان أصحابه الفساق المستهترين ... ولسان المدرسين حين يدرسون شعر أبى نواس المقرر رسمياً فى المنهج !

إن الشاب تتعبده الشهوة فيخضع لها ، لأن سهامها تنصب عليه من كل جانب ، فلا يطيق أن يتقيها ، فيصورها له خياله عالماً مسحوراً عجيباً ، وجنة فينانة غريبة ، فيتمنى دخولها ، فلا يجد من دونها حجاباً ، بل يجد من يسوقه إليها ، ويحفزه عليها ، فلا يخرج منها أبداً ، ولا عليه إن ماتت الأمة أو عاشت ، فهل فكر أحد من أطباء الأخلاق فى هذا الداء ؟

بناء الأخلاق ينهار ، وسوق الزواج يبور ، ونسل الأمة ينقطع ، والخازى والرذائل تتم وتنتشر ، والقادة والمصلحون وأرباب الأمر يرون ذلك كله ، فلا يبالونه ولا يفكرون فيه ، ولا يفتشون له عن علاج ... مع أن العلاج هين ميسور والعقاقير دانية قريبة ، لاينقصها إلايد تمتد إليها فتأخذها لتجرعها المريض وأين تلك اليد ؟

* * *

إن الله الذى وضع الشهوة فى النفوس جعل دواءها الزواج ، فاذا تعذر الزواج فهنالك طرق للوقاية من الفاحشة ، وهنالك السدود دونها والحجب : هنالك الدين ، فاذا علمتم الشاب دينه ، وعرفتموه ربه ، ونشأتموه على التوحيد الخالص ، والإيمان الصحيح حتى يعلم أن الله مطلع عليه ، لاستحيا من الله أن يأتى الفاحشة بسمعه وبصره ، كما يستحى أن يأتيها على مشهد من أبيه الذى يجله ، أو أستاذه الذى يحترمه ، ويعلم أن من حق الله عليه ، وقد أعطاه هذه الأعضاء وأنعم بها عليه ألا يستعملها إلا فى طاعته ... هذا أول سلاح تدرأ به المعصية ، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » أى لا يستطيع أن يزنى وهو مؤمن أن الله مطلع عليه ، ناظر إليه ، ولمنعه الحياء من الله إن لم يمنعه الخوف من العقاب

وهنالك الشرف ، فاذا ربيتم الشاب عليه ، وجعلتموه يحس به ويقدره قدره ، وأفهمتموه معنى المروءة وقيمة العرض ، لمنعه من الفاحشة ما كان يمنع الجاهلى الشريف ، من أن ينظر إلى جارته حتى يوارى جارته مأواها

وهنالك الصحة ، فلو عودتموه الرياضة ، وعرفتموه قيمتها ، وأنبأتموه أن الله جعل مع العفاف الصحة والسلامة ، ومع الفاحشة الضعف والمرض والمصائب السود لاقتصد فى اتباع الشهوة ، إن لم يكف عنها ، ولم ينظر إليها إلا من سبيلها ، وسبيلها الزواج

وهنالك طيب السمعة ، وحسن الذكر فى الناس ، وهنالك الكثير من الأسلحة والحجب

* * *

والعلاج كله فى يد وزارة المعارف وآباء الفتيات

أما وزارة المعارف ، فتستطيع أن تعنى بالأخلاق العامة ،

فتبذل جهدها فى مراقبة الجرائد والمجلات والروايات ، وتبث الوعاظ ينشرون فى الناس الفضيلة ويرغبونهم عن التهتك والعرى

وتستطيع قبل ذلك كله أن تهتم بأخلاق التلاميذ ، فتوكل بهم من يفهمهم (قبل سن البلوغ) حقائق الحياة الجنسية بأسلوب علمى يضرب فيه المدرس المثل بتلاقح الأزهار ، واجتماع الحشرات والطيور ، ويبين لهم بشاعة الفاحشة على مقدار ما يتسع له القول وأضرار (العادات السرية السيئة) ويكون حكيما فى بيانه، فلرب بيان مثل هذا ، يخلو من الحكمة ، فيقود إلى الرذيلة بدلا من أن يصرف عنها

وتستطيع وزارة المعارف أن تعلى من شأن درس الدين ، وتختار له من المدرسين من يكون قدوة فى سمته وخلقه وسيرته ، فان المدرس يفعل بسيرته فى نفوس الطلاب ما لا يفعل بمحاضراته وتدخل هذا الدرس فى الفحوص والامتحانات العامة ، وتجعل الطلاب (يرسبون) إذا قصروا فيه ، لأن الطلاب لا يمكن أن يعنوا بدرس لا (يرسبون) إن قصروا فيه

وتستطيع وزارة المعارف أن تلزم المدرسين بأن يكونوا مثالاً كاملاً للاستقامة والعفة والمروءة ، وأن يكونوا قدوة للطلاب صالحة ، فانا قد رأينا من ليس كذلك ، رأينا من يصحب طلابه إلى دور الفحشاء !

وتستطيع وزارة المعارف أن تضع القوانين الصارمة لحماية عفاف الطلاب من أنفسهم ومن غيرهم ...

أما آباء الفتيات الذين لا يزوجوهن إلا بيماً ، فهم رأس البلاء ، ولكنه لا ينفع معهم الكلام

***

أما أنتم يا إخوتى الذين يقرأون هذا الفصل من الشباب ، فانى أنصح لكم (وأنا شاب مثلكم) ، بأن تصرفوا ميولكم إلى جهة علوية ، فان الميل كالبخار المتصعّد من القدر قد يجد سبيله فيدير الآلة ، ويسيّر القاطرة، وقد يحتبس فتنفجر به القدر ، وقد يسيل على الأرض هدراً ، فأنا لا أحب أن تسيل ميولكم هدراً ، ولا أن تضيق بها نفوسكم حتى تنفجر ، بل أحب أن تتساموا بها فتسوقوها فى طريق الفن والإبداع

إن من يفكر فى المرأة ، ويزداد به الشوق إليها ، ولا يجدها زوجة لأن الآباء يضنون ببناتهم حليلات ويبذلونهن للناس خليلات ، يستطيع أن يصب شوقه فى القطعة من الشعر أو القصة من القصص ، أو أن يصور شوقه نغمة جديدة ، أو صورة بارعة يشعر إذا صنعها بمثل مايشعر به من بلغ — ما كان يريد — ويجد الاطمئنان ، ويمشى فى طريق النبوغ

وإن الشباب إذا دأب على المطالعة والبحث ، ورغب فى التفوق على رفاقه فى المدرسة ، أو الفوز على خصومه فى الجرى أو الملاكمة ، أو استغرق فى تجارة فشغلته ، أو صناعة فملأت حياته لا يجد فى نفسه بقية للشهوة ، إنما تستعبد الشهوة من كان فارغ الرأس واليد والوقت

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أى مفسدة !

***

وبعد فهذا داء عضال فتاك ، فأين أطباؤه ، وأين من يتنبه إليه ؟ أين الكتاب الباحثون فيه ؟ أين أولو الأمر المَعْنِيُّون به ؟ أين الغُيُر على الدين والأخلاق ؟ ألم يبق منهم أحد ؟ !

«بغداد — المدرسة الغربية» على الطنطاوى

كتاب المبشرين
من اغلاطه في العربية

لأستاذ جليل

— ٦ —

٢٠ — فى الصفحة (٧٠) : أما الكنيسة الغربية فقد كان فيها من تهالك داماسوس وأورسكينوس فى الشاحة على منصب الأسقفية ما أفضى إلى ...

قلت : فى القول : (من تهالكهما فى الشاحة على منصب كذا) — حذلقة بل عسلطة؛ ولو قيل : كان فيهامن تهالكهما على منصب كذا لاستقام الكلام ؛ فتهالك على كذا اشتد حرصه عليه ، والشاحّة التى أقحمت هنا الاقحام ، معناها الضنة ، والإحكام يقتضى فى هذا المقام (التشاحّ) — إن أريدذلك — لا المشاحة ، ففى الصحاح : فلان يشاح[1] على فلان أى يضن به . وفى اللسان والتاج : تشاحا على الأمر تنازعاه لا يريد كل واحد منهما أن يفوته وتشاح القوم فى الأمر؛ وعليه شح به بعضهم على بعض وتبادروا إليه حذر فوته وتشاح الخصمان فى الجدل كذلك

٢١ — فى الصفحة (٧٠) : أسقفية رومة

قلت : فى كتب التاريخ والأدب واللغة وغيرها (روميّة) لا رومة ، وهما روميتان إحداهما — كما قال ياقوت — بالروم ، والثانية بالمدائن[2] . وفى معجم البلدان : « ورومية من عجائب الدنيا بناء وعظما وكثرة خلق ، وهى اليوم بيد الافرنج وملكها يقال له : ملك ألمـان ، وبها يسكن البابا التى تطيعه الفرنجية ، وهولهم بمنزلة الامام متى خالفه أحد منهم كان عندهم عاصياً يستحق النفى والقتل ، يحرم عليهم نساءهم وغسلهم وأكلهم وشربهم فلا يمكن أحدا منهم مخالفته » وفى شعر القيسرانى فى نور الدين (رضى الله عنه) : « فؤاد رومية الكبرى لها يجب » وأما رومة فقرية بطبرية كما فى القاموس وفى اللسان موضع بالسريانية . ورومة أرض بالمدينة وفيها بئر رومة كما قال ياقوت وفى كتابه : « وفى الحديث : لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء ، وكان لرجل من بنى غفار بئر يقال لها بئر رومة ، وكان يبيع منها القربة بمُدّ ، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بِعنيها بعين فى الجنة ، فقال : يا رسول الله ، ليس لى ولعيالى غيرها لا أستطيع ذلك . فبلغ ذلك عثمان (رضوان الله عليه) فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم[1] »

٢٢ — فى الصفحة (٧٠) : فيخرج (يعنى أسقف رومية) فى المواكب والأبهة بالركبات والحفات مسرفا فى ترك العيش ولا إسراف الملوك

قلت : أرادوا أن إسراف الأسقف يزيد على إسراف الملوك فجاء مقصودهم معكوسا . وكان ابن الحريرى قد قال فى (الدمياطية) غدوت قبل استقلال الركاب، ولا اغتداء الغراب. فقال احمد الشريشى أي ولا مثل اغتدائه، فحذف مثل المنصوبة بلا وأقام اغتداء مقامها لأن (لا) لا تنصب المعارف ، أراد أن اغتدائى قبل أن يغتدى الغراب ، والغراب أكثر الطير بكورا ، وهذا إذا طلبت حقيقة معناه صار المشبه أقوى من المشبه به ، تقول العرب : فتى ولا كمالك ، يريدون أن مالكا أفضل من الفتى ، ومثله مرعى ولا كالسعدان وماء ولا كصداء[2] ، فهذا مذهب العرب فى ذكر (ولا) بين الشبهين ، وكلام العرب فلان أبكر من الغراب، لا الغراب أبكر من فلان ولا فائدة فى ذلك فاذا حققت لفظة (ولا) فى تشبيه الحريرى على ما يجب لها فى كلام العرب انقلب المعنى . ويستعمل أهل فاس فى مغربنا لفظة (ولا) فى تشبيهاتهم على حد استعمال الحريرى ، ولا يستعملها أهل الأندلس[3]

٢٣ — فى الصفحة (٣٢٣) يحترزون عن التشبيه غاية الاحتراز

(١) فى الكليات فى تفسير قولهم : (لامشاحة فى الاصطلاح) : يقال لا مشاحة فى الاصطلاح أى لا مضايقة فيه بل لكل أحد أن يصطلح على ما يشاء إلا أن رعاية الموافقة فى الأمور المشهورة بين الجمهور أولى وأحب

(٢) المدائن : مدينة كسرى قرب بغداد سميت لكبرها وبها إيوانه ، وقيل : هى عدة مدن متقاربة ، وفيها قبر سلمان (رضوان الله عليه)

(١) وسبلها . والحديث خرجه الفضائلى . وقد رواه المحب الطبرى فى (الرياض النضرة) وذكر فى كتابه أنها كانت ليهودى فاشتراها ذو النورين

(٢) ثلاثة امثال اوردها الميدانى وشرحها ، وذكرها ابو الحسن الاخفش فى حواشى الكامل وقال : تضرب هذه الامثال للشىء الذى فيه فضل وغيره افضل منه

(٣) ابن خلدون فى الجزء الأول : ... وأهل الاندلس اقرب منهم إلى تحصيل هذه الملكة بكثرة معاناتهم وامتلائهم من المحفوظات اللغوية نظماونثرا

قلت : احترز وتحرز إنما يعديان بمن لا بعن، ففي أقوال العرب وكتب اللغة[١] : احترز منه وتحرز أي تحفظ وتوقى كأنه جعل نفسه في حرز منه . ولم يجيء في كلام عربي مثل هـذا القول : احترز غاية الاحتراز بنيابة غاية عن المصدر ، ولم يذكره نحويون متقدمون ولا زاد هذا النائب أو النائبة .. متأخرون

٢٤ — في الصفحة (٢٤٦) : فالنصارى قد حرم عليهم دينهم السكر والزنى وفيهم مع ذلك من يباهي بارتكاب الفاحشة ومن يفتخر بادمان السكر[٢]

قلت : لم يقصد كتابهم بقوله يباهي ... الفاخرة بل قصد الافتخار كما قال من بعد : ومن يفتخر ... بالصواب يتباهى بكذا أو يبتهي به ؛ ففي الأساس: وأنا أتباهى به، ولى به افتخار وابتهاء قال أبو النجم :

ليس المحـاذر أن يعد قديمه والمبتهي بقـديمه — بسواء

وفي اللسان والتاج : العرب تقول : إن هذا لبهياي أي مما أتباهى به[٣]

٢٥ — في الصفحة (٣٨٦) : وتمرن سائرهم[٤] في حمل السلاح

قلت : في اللغة مرَن وتمرن على الشيء لا تمرن فيـه . قال الامام الجاحظ[٥]: أية جارحة منعتها الحركة ولم تمرنها على الأعمال أصابها من التعقد على حسب ذلك المنع . وفي الصحاح : مرن على الشيء مروناً ومَرانة تعوده واستمر عليه ، وفي الأساس : من المجاز مرنت يده على العمل ، ومُرّن وجهه على الخصام والسؤال

(١) الصحاح ، الأساس ، اللسان ، التاج

(٢) يقال : أدمن الأمر وأدمن عليـه : واظب كما في الأساس فهذا الفعل يتعدى بنفسه وبالجار لا كما قال اليازجي في الضياء (١) الصفحة ٤١٩) والصواب ترك الجار لأن هذا الحرف يتعدى بنفسه

(٣) في نجعة الرائد لليازجي : يقال : فخر الرجل بكذا وافتخر وتباهى

(٤) في الدرة : فمن أوهامهم الفاضحة وأغلاطهم الواضحة أنهم يقولون قدم سائر الحاج واستوفى سائر الخراج فيستعملون سائراً بمعنى الجميع وهي في كلام العرب بمعنى الباقي ، في كل باق قل أو كثر . وفي النهاية : والناس يستعملون سائراً بمعنى الجميع وليس بصحيح وقد تـكررت هذه اللفظة في الحـديث وكلها بمعنى باقي الشيء ، وفي الدرة وشرحها وفي التاج كلام كثير في هذه اللفظة ، وفي مجمع الأمثال : نزل رجل جائع بقوم فأمروا الجارية بتطييبه ، فقال : بطني عطري ، وسائري ذري ...

(٥) أبو هلال العسكري في كتابه ديوان المعاني : أخبرني بعض أصحابنا قال: ناطقت فتى من بعض أهل القرى فوجدته فتيق اللسان ، فقلت له : من أين لك هذه الذلاقة ؟ قال : كنت أعمد كل يوم إلى خمسين ورقة من كتب الجاحظ فأقرأها برفع صوت ، فلم أجر على ذلك مدة حتى صرت إلى ما ترى

وفي المخصص : مرّنت فلاناً على الأمر . ومثـل ذلك في الجمهرة واللسان والمصباح والقاموس وشرحه ، وأقوال العرب

٢٦ — في الصفحة (١٢٨) : كان الله يستأنف بلطفه إعلانه للناس على لسان أنبياء متعددين[١]

قلت : لا يعد من الـكلام (على لسان أنبياء متعددين) قال الأساس : بنو فلان يتعددون على بني فلان أي يزيدون عليهم ، وفي اللسان ، قيل : يتعددون عليه يزيدون عليه في العدد ويتعادون إذا اشتركوا فيما يعـادّ به بعضهم بعضاً من المكارم ، وفي الصحاح : وإنهم ليتعادون ويتعددون على عشرة آلاف أي يزيدون على ذلك في العدد

٢٧ — في الصفحة (٣٨٥) : وهم عدد قليل في قبائل العرب المديدة[٢]

قلت : المديدة الحصة — كما في اللسان — والعديد الكثرة ، والعديد العدد ، والعديد النـد والقرن ، والعديد الرجل يدخل نفسه في قبيلة ليعد منها وليس له فيها عشيرة ، وهو في عديد بني فلان أي يعد فيهم

فعديدة القوم مثل متعدديهم ...

٢٨ — في الصفحة (٩١) : وأفرغ جهده في كف محمد عن التمادي بالأمر

قلت : تمادى هو في الأمر ، وتمادى به الأمر ، قال المتنبي :

إلى كم ذا التخلف والتواني وكم هذا التمادي في التمادي[٣]

وشغـل النفس عن طلب المعالي ببيع الشعر في سوق الكساد

وفي اللسان : وتمادى فلان في غيه إذا لج فيـه وأطال مدى غيه أي غايته . وفي النهاية : ومنه حديث كعب بن مالك فلم يزل ذلك يتمادى بي أي يتطاول ويتأخر

٢٩ — في الصفحة (٢١٦) : لم يكن للقبلة من الأهمية عندهم ما صار لها بعد ذلك . وجاءت الأهمية في الصفحة (٢٨٠)

قلت : أرادوا أن يقولوا : من المنزلة أو القدر أو الخطر أو الشأن فقالوا (الأهمية) وهي لفظة منكرة عامية أوجردية لم تعرفها العربية في وقت وهي منسوبة إلى الأهم ، وهو اسم تفضيل من هم ،

(١) ومثل ذلك في الصفحات ١٥ ، ١٦٥ ، ٢٦٣ ، ٢٩٣ ، ٣٣٦

(٢) ومثل ذلك في الصفحتين ١٢٧ ، ٤٢١

(٣) العكبري : أي إلى كم أبلغ المدى في التقصير ، يستبطئ نفسه فيما يروم

وهو فى الحقيقة للفعل (أهم)(١) إذ ليس في اللغة همه الأمر بالمعنى الذى يعرف لأهمه وإن قالت كتب فيها وهمّ كأهم ، وفى كلامهم الأمر المهم ، ولم يقل جاهلى أو مخضرم أو إسلامى أو مولد متقدم أو مولد متأخر : الأمر الهام كما تقول العوام وفى مفردات الراغب : وأهمنى كذا حملنى على أن أهتم به قال الله تعالى : وطائفة قد أهمتهم أنفسهم .

وفى الأغانى فى سيرة أعشى همدان : فلم يبق أحد في المجلس إلا أهمته نفسه وارتعدت فرائصه . وفى الصحاح : الأمر المهم الشديد . وفى الأساس : ونزل به مهم ومهمات . وقال عبيد الله ابن عبد الله بن طاهر لعبد الله بن سليمان بن وهب حين وزر للمعتضد :

أبى دهرنا اسعافنا فى نفوسنا وأسعفنا فيمن نحب ونكرم
فقلت له : نعماك فيهم أتمها ودع أمرنا، إن المهم المقدم(٢)

فقولهم : فلان ذو أهمية ، وكان تزيد عند قومه أهمية ، ولم تكن لكذا أهمية — من الكلام المعتل

٣٠ — فى الصفحة (٦٩) . يتعنت بها كل من المتناظرين على الآخر

قلت : فى اللغة تعنته أى طلب زلته لا تعنت عليه . قال الأساس : وتعنتنى : سألني عن شىء أراد به اللبس على والمشقة . وفى النهاية فى حديث عمر : أردت أن تعنتنى أى تطلب عنتى وتسقطنى . وقالوا : أعنت عليه أمره أدخل الضرر عليه فيه . وفى النهاية : فيعنتوا عليكم دينكم أى يدخلوا الضرر عليكم فى دينكم . وقد قالت معجمات عصرية : وربما عدى تعنت بعلى ، وهذه التعدية غير محققة .

ومن أقوالهم فى النهى عن تعنت العلماء — والقول فى العقد —

إذا جلست إلى العالم فسل تفقها ولا تسل تعنتا

٣١ — فى الصفحة (٤٣٨) : فاضطرت هذه الشريفة أن تتزوج بالغلام ريثما يتهيأ للمولى أن ينكحها، فلما تهيأ له ذلك أظهر

قلت : ريثما فى هذا الكلام للحين الطويل كما تدل القصة فى كتابهم على ذلك ، وهو فى العربية للمدة القصيرة ، وأصله مصدر أجرى ظرفا(١) ، وأكثر ما يستعمل مستثنى فى قول منفى . ومن الأدلة على قصر المدة لهذا الحرف قول الشنفرى (أو خلف الأحمر) فى لامية العرب :

ولكن نفسا مرة لاتقيم بى على الذأم إلا ريثما أتحول

وقول أعشى باهلة فى رثاء المنتشر :

لا يُصعب الأمرَ إلا ريث يركبه
وكل أمر سوى الفحشاء يأتمر(٢)

وقول بعضهم :

ولى نفس حر لا تقيم بمنزل على الضيم إلا ريثما أتحول

وفى النهاية : فلم يلبث إلا ريثما قلت أى إلا قدر ذلك . وفى اللسان : عن الكسائى والأصمعى : ماقعدت عنده إلا ريث أعقد شسعى . ويقال : ما قعد فلان عندنا إلا ريث أن حدثنا بحديث، ثم مر أى ما قعد إلا قدر ذلك ، ومثله فى التاج وفى المصباح : ووقف ريثما صلينا أى قدرما . وفى المقامات الحريرية فى الصنعانية : فأمهلته ريثما خلع نعليه وغسل رجليه . وفى النجرانية : فأمسك ريثما يعقد شسع ، أو يشد نسع

للكلام بقية — الاسكندرية

(***)

---

(١) وقد يكون بناؤه من هذا الفعل فى شرح الكافية : وعند سيبويه هو قياس من باب أفعل مع كونه ذا زيادة ويؤيده كثرة السماع كقولهم : هو أعطاهم للدينار وأولاهم للمعروف وأنت أكرم لى من فلان وهو كثير ومجوزه قلة التغيير لأنك تحذف منه الهمزة وترده إلى الثلاثى ثم تبنى من أفعل التفضيل فتخلف همزة التفضيل همزة الأفعال وهو عند غيره سماعى مع كثرته

(٢) رواها ابن رشيق فى العمدة وابن خلكان فى الوفيات . وفيهما الادماج وهو نوع من الاستطراد

(١) قال الرضى : وأما إضافة ريث إلى الجملة نحو توقف ريث أخرج إليك فلكونه مصدرا بمعنى البطء مقاما مقام الزمان المضاف، والأصل زمان ريث خروجى أى مدة أن يبطىء خروجى حتى يدخل فى الوجود

(٢) يجوز استعمال ريثما بغير ما ولا إن كما فى البيت والأمر فى طبعة اللسان بضم الراء والصواب فتحها

من رحلة الشتاء

فى مضارب شمر

المشاريع الإصلاحية فى البادية

للآنسة زينب الحكيم

١ — بدأ الشيخ عجيل الياور شيخ مشايخ شمر منذ سنة ١٩٣٠ يستعمل نفوذه ليوطن البدو التابعين له فى قرى ، يطالب بأرضها لهم من الحكومة العراقية بحيث تكون وجهتهم احتراف الفلاحة ؛ وقد تمت هذه الصفقات لبعضهم فعلا ، وشجعهم الشيخ الياور بشراء بعض الآلات الزراعية من ماله الخاص ، مثل المحاريث التى استجلبها من ألمانيا عند ما زارها فى أثناء زيارته الأخيرة لأوربا

كذلك ساعدهم بشراء بعض المواشى ، وبذور النبات ، وغرضه من هذا كله أن يسهل لهم احتراف الفلاحة وتحبيبها إليهم . على أنى علمت أن هذه التجربة لم تسفر عن نجاح يوازى ما بذل من مساعدات وتشجيع . إذ وجد الشيخ أنه من العسير جداً استقرار البدو — ومن يستطيع أن يحد من حريتهم ؟! — ومع هذا استقر كثير من رؤساء العشائر فى بعض القرى التى كونوها

ولعله لا يخفى على فطنة القارئ أنه وإن كان ملك البادية يعطف على البدو من رعاياه ، ويعطى لهم باليمين ، فانه يأخذ منهم باليسار أتاوات وجعولا على محاصيلهم وأغنامهم وجمالهم وغيرها . وهذا السبب عينه مما ينفر البدو فى الاستيطان لكراهيتهم الخضوع للضرائب والتجنيد وما شابه ذلك

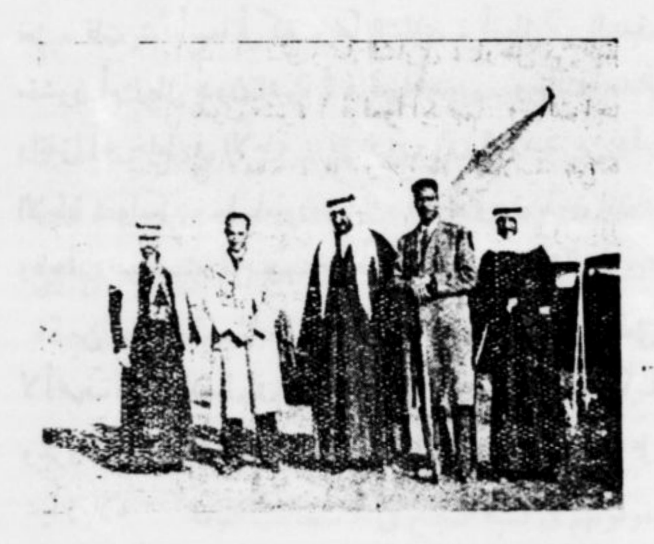
٢ — مدرسة ابتدائية

مما أثلج صدرى حقيقة ، وجود مدرسة ابتدائية فى وسط البادية . تأسست هذه المدرسة سنة ١٩٣٢ ، وبدأت أهلية حيث أنشأها الشيخ عجيل الياور على نفقته ، وبدأت بعدد قليل من الأولاد ، ولكنه عظيم بالنسبة لعوامل البيئة هناك . فافتتحت لخمسة وعشرين إلى ثلاثين ولداً من أبناء البدو ، ومن بينهم أولاد شيخ المشايخ بالضرورة ، يذهبون جميعاً لتلقى الدروس بالأمر

الشدد من الشيخ وأمره مطاع ، وإن خالف ذلك ميولهم الخاصة . وشجع الشيخ هؤلاء بمنحهم السكن والملابس

سارت المدرسة فى سبيل التقدم ، وسعى الشيخ لأن تدخل تحت إشراف الحكومة العراقية حتى تفوز بمنهج منظم ، وأساتذة فنيين ، وفعلا فى سنة ١٩٣٤ أى بعد سنتين من إنشائها ، صارت مدرسة حكومية تمدها وزارة المعارف العراقية بالمعلمين والأدوات المدرسية من حيث الأثاث (وهو عبارة عن خيام بيضاء كبيرة ، ومناضد ومقاعد لجلوس الأولاد ، وسبورات مع حواملها) . أما أدوات الطلاب فلا تزال على نفقة الشيخ

وصار عدد تلامذتها الآن من ٥٠ إلى ٨٠ تلميذاً ، يتناقص أو يتزايد العدد بين هذين الرقمين بالنسبة لتنقل العشائر للرعى



الشيخ عجيل الياور ، شيخ مشايخ شمر فى الوسط ، وفى طرف الصورة إلى اليسار ابنه الشيخ صفوك الياور ، وفى طرف الصورة الأيمن ، المدرس الأول بالمدرسة الابتدائية

ويوجد بين الأولاد بعض البنات ، وبالمدرسة ستة صفوف (أو فصول) وتتراوح أعمار التلاميذ بين ست ، وست عشرة . (وقيل لى : أحياناً يأتى إلى المدرسة أطفال فى سن الرابعة أو الخامسة)

ويدرس بها على منهاج المدارس الابتدائية العراقية ، واللغة الانجليزية هى اللغة الأجنبية التى يتعلمها التلاميذ ابتداء من الصف الخامس ، ويستمر تعليمها فى السادس

زرت هذه المدرسة فى خيامها البديعة ، وكان حادثاً فى حياة الأولاد وتجاربهم أن يروا سائحة مصرية ، فلحظت أنه بقدر

سرورهم بهذه المفاجأة ، كانت دهشتهم من سفر سيدة تلك المسافات البعيدة حتى وصلت إليهم . وكان شغفهم زائداً لسؤالهم إياى أسئلة شتى ، كما بدا لى على وجوههم ، ولكن كيف يجرؤون على مخاطبة سيدة !

كانت الدروس التى حضرتها فى مختلف الفرق متنوعة ، وكان أول درس حضرته:

(ا) درس حساب ، فبعد أن انتهى الأولاد من حل تمرين أعطى لهم فى دفاترهم ، وبعد تصحيحه أيضاً ، حبب إلىّ أن أعطيهم بعض التمارين العقلية ، فأدهشنى توقد ذكائهم ونشاطهم العجيب . وفى أثناء ذلك فاجأت التلاميذ باختبار ذكاء بسيط ، فقلت : تعلمون شيئاً عن الموازين مثل الرطل والأقة مثلا؟ فقالوا: نعم . قلت : وأيهما أكثر ربحاً للشارى ، أرطل من البندق مقشور أم رطل بدون قشره ؟ فرفعوا أيديهم . وسألت أحدهم واتفق أنه خلط فى الاجابة ، فلم يرض باقى التلاميذ عن هذه الاجابة ؛ ولكنهم نظاميون جداً ، فلا يجاوبون بدون إذن . وفاجأنى تلميذ صغير من بينهم قبل أن أسأل غيره، بالسؤال الآتى:

من فضلك، أيهما أكثر عدداً ٢ + ٢ أو ٢ × ٢؟ قلت: لعلى لا أعرف ذلك، فلنسأل باقى التلاميذ. فقال: لا، هذه بتلك. فضحكت وسررت من جرأة البدوى النجيب ، ولمست سمات الانتصار على محيا زملائه

وهل يرضى البدوى بالهزيمة ولو كان فى ذلك حتفه ؟!

هنا أريد أن أوجه نظر القارئ الكريم إلى أن مشروع اختبار الذكاء أو غيره من الحركات الحديثة فى التربية ، ليست مقصورة على عقل واحد أو جماعة واحدة ، وليست من اختصاص أمة دون أخرى

إن لكل أمة مقاييسها ، ولولم يكن لدى هؤلاء البدو مقاييس ذكاء خاصة يعرفونها ويفهمونها فيما بينهم لما عاملنى هذا البدوى وزملاؤه من نوع عملى وجملوها (دقة بدقة)

(ب) كان ثانى درس رأيته درس جغرافيا . دخلت الفصل وحييت التلاميذ ، وكانوا أكبر سنا من الفرقة التى رأيتها

وجدت خريطة كبيرة للقطر المصرى معلقة على السبورة ، وبدأ الأستاذ يناقش تلاميذه فى معلوماتهم عن بلادى ، فكان حسن ذوق ومجاملة لطيفة ، وانتهزت الفرصة وقلت : ربما لم يسبق لكم يا تلاميذ رؤية مصرية قبلى ؟! فقالوا : لا ، ونحن سعداء برؤيتك . فشكرتهم ، وقلت : أو كنتم تتخيلون المرأة المصرية كما رأيتم الآن ؟ قالوا : لا ، كنا ننتظر رؤيتها فى ثياب سوداء ، فإن من العيب أن تلبس المرأة الثياب الملونة ، ولا سيما ما كان منها أبيض . قلت : لماذا ؟ فقالوا : إن اللون الأبيض من سمات الرجل ، أما المرأة فلها الثياب السود . (لم أستطع الوصول إلى التعليل المنطقى منهم لهذا التخصيص ، ولعلها مجرد عادة نشأت من الاقتصاد فى الغسيل لقلة الماء والصابون فى الصحراء)



المدرسة الابتدائية بمضارب عجيل الياور فى الجزيرة قرب سنجار

قلت: وهل تريدون أن تسألونى شيئاً عن مصر؟ قالوا بشوق: نعم . كيف حال فاروق الملك الشاب ؟ وهل هو تقى ؟ وهل هو يشبه سيدنا غازى الأول ؟ وهل فرح بالزفاف الملكى ؟ (قد وصلتهم أخبار الزفاف كلها وسمعوا حفلاته بالمذياع ملك شيخهم)

أجبتهم عن كل أسئلتهم ، وقد أصغوا إليها فى شوق زائد وسرور وغبطة

(جـ) زرت التلاميذ فى أثناء درس فى اللغة العربية ، وكان مطالعة مع شرح بعض المعانى والإعراب . فسألت تلميذاً أن يُعرب « جلس التلاميذ بنظام » وحقا كانوا قد فعلوا ذلك ، وأردت أن أمتدحهم إذا ما فرغوا من إعراب الجملة ، فكان أول ما وجه المعلم أنظارهم إليه نطق الجيم فى جلس غير معطشة فقال :

هل لحظتم يا تلاميذى كيف تنطق السيدة المصرية الجيم فى جلس ؟ إنها خففتها وفق ما اتبعوه فى بلادهم

طلبت إلى الأستاذ أن يسمعنى التلاميذ بعض قطع شعرية مما يحفظون وبعض أناشيد ، وقد فعلوا ، أما الأناشيد فتلحينها ضعيف

ولما جاء دور المحفوظات استأذنت المدرس فى أن أختار أنا التلميذ ، وكان من بين التلاميذ شبيه لعنترة صغير ، فبتوارد الخواطر ، اخترت هذا الأسود ليسمعنا قطعة من محفوظاته . ولكن التلاميذ ضحكوا وتغامزوا فيما بينهم على هذا الأسود ، وعلى غرابة اختيارى ، واتهموا ذوقى . فقلت : أيها التلاميذ النجباء لماذا تضحكون ؟ ألا يذكر أحد منكم الفارس العربى المقدام الشاعر الهمام ، عنترة العبسى الذى كان يقول :

« لئن أك أسوداً فالمسك لونى » ؟

ويقول :

لئن يعيبوا سوادى فهولى نسب يوم النزال إذا ما فاتنى النسب ؟

ما أسرع البدوى إلى النخوة والشهامة ! لقد اعترف الأولاد بخطئهم حالا ، وقالوا فى نفس واحد : قم يا عنتر ونحن نتبعك . وقام هذا الأسود الصغير ، وألقى قطعة حماسية بالغة . ووالله لا أنسى أبداً منظر التلاميذ من خلفه ومن حوله ، وهم يشتركون معه فى الإلقاء الحماسى ، وكأنما تتحرك القناة فى أيديهم ، والأصائل تكر بهم وتفر لهزم العدو ، ولكسب شرف للعرب . بارك الله فى أبناء البدو الناهضين وقواك الله ياقبائل شمر

بعد هذه المعركة الحماسية قلت لتلميذ فى طرف الخيمة ، وقد شهدت على وجهه انفعالا : ماذا تريد أن تنال لو خيرت فى نيل أمنية ؟ قال فى غير توان : فرس أصيلة ، لأريك أنى أبز عنترة العبسى وأباه

فتوجهت إلى الشيخ وسألته : كم ثمن الفرس الأصيلة ؟ وعزمت أكيدا أن أترك للتلميذ ثمن الفرس لينال رغبته ، ولكن الشيخ لم يقبل ، ووعد أن يعطيه فرسا من عنده

(د) حضرت درساً إنجليزياً « مطالعة ، ومحفوظات ، وتركيب جمل » والتقدم الذى لحظته على التلاميذ كبير ، ولفت نظرى توقد ذكاء تلميذ من بينهم ، وشدة لمعان عينيه ، فسألت : من يكون هذا التلميذ ؟ فقيل لى : إنه ابن الشيخ عجيل الياور الذى ساح فى أوربا كلها مع والده بعد حضور حفلات تتويج ملك الانجليز

فسألته عما أعجبه أكثر من غيره من البلاد الأوربية ؟ فقال فى إيجاز وتأكيد : أعجبت بسويسرا لجمالها ، وانجلترا لتقاليدها ونظامها ، وألمانيا لاختراعاتها ونظامها ونظافتها . وهذا التلميذ موجود الآن بكلية فكتوريا بالاسكندرية هو وأخوه ، حيث أحضرهما إلى مصر ، أخوهما الأكبر الشيخ صفوك الياور ، وألحقا بهذه الكلية من بدء العام الدراسى . وكانت مفاجأته لنا بالزيارة حلماً تحقق . هذا ويجلس تلاميذ مدرسة البدو هذه لتأدية الامتحان النهائى لمرحلة التعليم الابتدائى ، فى الأماكن التى تخصصها الحكومة العراقية ، فيرحل التلاميذ عادة إما إلى لجنة الموصل أو سنجار

وقد وجد أن أولاد البدو فى مستوى أولاد الحضر ، بل يفوقونهم فى نسبة النجاح فى الامتحانات العامة

ما دخل العلم بيئة طيبة إلا أثمر فيها وأنتج نتاجاً حسناً . وإنى أعلق أهمية كبرى على هذه المدرسة فى إيقاظ البدو ، وأعدها أول نواة صالحة للأخذ بيدهم فى مدارج الحياة الانسانية الحقيقية

« للحديث بقية »

زينب الحكيم

للتاريخ السياسي

المفاوضــــات

وتأثير ألمانيا فيها

للدكتور يوسف هيكل

« تعقدت المشكلة التشيكوسلوفاكية في شهر أغسطس (آب) سنة ١٩٣٨ وأخذ تعقدها يزداد حتى كادت تفجر قنبلة الحرب العالمية . غير أنه كان لا يزال هناك أمل في إيجاد حل لهذه المشكلة عن طريق المفاوضات بين الحكومة التشيكوسلوفاكية وممثلي حزب السوديت . وبعرضنا لها نتكلم عن المناورات الحربية الألمانية ومهمة اللورد رنسيمان ، ونبين تطورات المفاوضات ، ونذكر تأثير خطاب الهر هتلر على مسيرها . »

غادر اللورد رنسيمان لندن إلى براغ في أغسطس (آب) ، موفداً من الحكومة البريطانية بالاتفاق مع الحكومة الفرنسية ، ليكون وسيطاً بين حكومة براغ وحزب السوديت . وكانت مهمته بذل الجهود لمنع فشل المفاوضات السائرة بين الدكتور هودزا رئيس حكومة تشيكوسلوفاكيا ، وممثلي الهر هنلاين رئيس حزب السوديت . وفي حالة فشل هـذه المفاوضات أعد اللورد رنسيمان مشروعاً من عنده ، يوفق به بين وجهتي نظر الفريقين المتنازعين ، ليضمن السلام ويبعد شبح الحرب العامة ، الذي كان يحوم في جو أوربا الوسطى .

ولما أخذ اللورد رنسيمان يدرس الوضعية في تشيكوسلوفاكيا ، جابهت ألمانيا العالم باستعداداتها الحربية الهائلة التي دعتها مناورات اعتيادية تاريخ ابتدائها ١٥ أغسطس (آب) .

وفي الواقع كانت التعبئة ، أي التجنيد ، لهـذه المناورات تعبئة عامة أقلقت الدوائر السياسية واضطرب منها الرأي العـام . إذ صدرت الأوامر بتعبئة جميع الأطباء والممرضات . وتلقى الرجال القادرون على حمل السلاح والذين لم يدعوا إلى الخدمة حتى ذلك الوقت ، الأمر بأن يكونوا في كل وقت مستعدين لتلبية أوامر السلطات ، وحظر على كل ألماني دون الخامسة والستين من العمر مغادرة ألمانيا إلى بلد آخر . وألغيت جميع أجازات العمال في السكك الحديدية ، وأبطلت معظم قطارات السفر لافساح المجال للقطارات العسكرية ، وصادرت السلطة معظم سيارات « الباصات » (أوتوبوس) . وأخذت إنشاءات الطرق نحو الحدود التشيكوسلوفاكية تسير بسرعة عظيمة ، وإقامة القلاع على ضفاف الرين وإتمام خط « سيكفريد » المواجه لخط « ماجينو » تجري بسرعة لم يسبق لها مثيل . ثم أرسلت الجيوش إلى حدود تشيكوسلوفاكيا ، واحتلت القوى العسكرية قلاع الرين والتشكنات المواجهة للحدود الفرنسية .

وكان الغرض من هذه الاستعدادات الحربية الهائلة ، غرضاً سياسياً هو التأثير على سير المفاوضات بين حكومة تشيكوسلوفاكيا وممثلي حزب السوديت ، والتهويل على حكومتي لندن وباريس ، لتفسحا المجال لتحقيق المطالب الألمانية .

في هـذا الجو الصاخب سارت المفاوضات بين الدكتور هودزا ، والهر هنلاين . وكان الأول ، أي رئيس الوزارة التشيكوسلوفاكية يستند في موقفه إلى تحالفه مع باريس وموسكو ، وإلى التحالف المعلى بين لندن وباريس . وكان الثاني أي رئيس حزب السوديت يستند إلى الهر هتلر . وكل منهما كان يعتقد أنه الأقوى ، وكل منهما كان يريد من الآخر أن يتراجع عن موقفه . ولهذه انقطعت المفاوضات مراراً ، ولم تستأنف إلا بفضل جهود اللورد رنسيمان وتسامح الحكومة التشيكوسلوفاكية . ورغم ذلك كانت نهايتها فشلا تاما . وإننا لذاكرون أهم تطوراتها :

قدم حزب السوديت الألمـاني مذكرة إلى حكومة براغ ، في ٧ يوليو (تموز) الفائت ، وعرض فيها الدخول في مفاوضات على أساس تحقيق المطالب التي جاء ذكرها في المذكرة وهي لا تختلف عن المطالب الثمانية التي أعلنها الهر هنلاين في خطابه الذي ألقاه في كارلسباد في ٢٣ ابريل (نيسان) سنة ٩٣٨. وكانت الحكومة حينئذ آخذة في وضع نظام الأقليات. وفي ٩ يوليو (تموز) اجتمع الدكتور هودزا مع مندوبي الهر هنلاين وباشروا المفاوضات . وفي ١٥ منه صـدر بلاغ رسمي مشترك يشير إلى أن الاتفاق تم على أن تكون مذكرة السوديت ونظام الحكومة بشأن الأقليات بمثابة أساس مفاوضات بين الحكومة والسوديت .

سارت المفاوضات ، وكان يحضرها مندوبو الأحزاب البرلمانية في تشيكوسلوفاكيا ، فظن الرأي العام أن الطرفين واصلان إلى نتيجة إيجابية تؤدي إلى الوفاق بينهما وزوال خطر الحرب العالمية .

ولـكن بينما كانت المناورات الحربية الألمانية على أشدها ،

والرأى العام متجه نحوها ، أعلن مندوبو السوديت ، فى ١٧ أغسطس (آب) ، عدم قبولهم النظام الجديد الذى وضعته الحكومة لتحسين حالة الأقليات . وأبلغوا اللورد رنسيمان بأنهم لا يرون فائدة من مواصلة المفاوضات مع الحكومة .

اهتم اللورد رنسيمان للموضوع ، وبذل جهودا فى إقناع مندوبى السوديت بضرورة العدول عن رأيهم هذا ، فطلب وفد السوديت مواصلة المفاوضات مع الوزارة فقط ، مفاوضة الند للند فى جلسات لا يحضرها مندوبو الأحزاب البرلمانية . فقبلت الحكومة طلب السوديت ، بعد تدخل الدكتور رئيس الجمهورية التشيكوسلوفاكيه واللورد رنسيمان فى الموضوع على أثر ذلك وافق مندوبو السوديت على مواصلة المفاوضات مع الوزارة ولكنهم أصروا على رفض الاقتراحات التى عرضت عليهم .

عمدت الحكومة إلى منح السوديت الألمان امتيازات جديدة كتعيين عدد كبير من رجالهم فى وظائف كبيرة مختلفة . غير أن حزب السوديت قابل هذه الامتيازات بالاستخفاف والامتعاض . وللوصول إلى اتفاق حاولت الوزارة التشيكوسلوفاكية فى ٢٥ أغسطس (آب) إيجاد قاعدة جديدة للمفاوضات ، غير أنه ظهر فى اليوم التالى أن الأزمة التشيكوسلوفاكيه بلغت حد الخطر ، إذ شقة الخلاف واسعة بين الطرفين يتعذرسدها ، لوقوف حزب السوديت موقف التصلب والتشبث بمطالبة كاملة غير منقوصة . وكانت ألمانيا تشجعه على هذا الموقف وتحثه على عدم التساهل . وأخذت الصحف الألمانية حينئذ تحمل حملة شعواء على تشيكوسلوفاكيا من أجل حوادث تافهة لا قيمة لها ولا أهمية . وكان ذلك دليلاً على أن ألمانيا لا تريد حل مسألة السوديت بمفاوضات حرة

وبسبب خطورة الحالة الدولية ضاعف اللورد رنسيمان نشاطه بإيعاز من لندن ، وبذل جهوداً لمتابعة المفاوضات . فاجتمع فى ٢٨ أغسطس (آب) بالهر هنلاين ، وقصد مساء ٢٩ أغسطس (آب) قصر الرياسة وقابل المسيو بنيش ومهد الاجتماع الهر هنلاين بالرئيس وشاع حينئذ أن ذلك الاجتماع يأخذ مكانه بعد ظهر ٣٠ أغسطس (آب) . غير أن هذا الاجتماع لم يتم ، وبدلاً منه اجتمع الرئيس بنيش بالدكتورين كورندت وسبيدوسكى من زعماء السوديت . وعرض عليهما اقتراحات جديدة للحكومة التى وضعت على أساس تقسيم البلاد إلى مناطق ذات حكومات مستقلة لها سلطات واسعة على مثال سويسرا . وقد أكدت المقامات المتصلة بيئة اللورد رنسيمان ، أن السوديت الألمان لا يرفضونها إذا تركوا وشأنهم ، ولم يقع عليهم ضغط من جهة الألمان . وفى ٢ سبتمبر (ايلول) اجتمع الدكتوران كوندت وسبيدوسكى برئيس الجمهورية من جديد ، وبسطا له آراء السوديت فى الاقتراحات الجديدة ، التى قدمها إليهم فى ٣ أغسطس (آب) ، وهى تدل على أن حزب السوديت لم يقرر رفض اقتراحات الحكومة بل أبدى فى صددها تحفظات كثيرة يتطلب الاتفاق عليها مفاوضات شاقة طويلة

وفى هذه الأثناء أى فى أول سبتمبر (ايلول) كان الهر هنلاين قد ذهب إلى « برخستكادن » لمقابلة الهر هتلر بإيعاز من اللورد رنسيمان . ولدى عودته ذهب المستر جوانكين ، مساعد اللورد رنسيمان ، إلى بلدة آش فى ٤ سبتمبر (ايلول) وقابل الهر هنلاين واطلع منه على ما دار بينه وبين الهر هتلر من حديث ، ثم عاد وأطلع اللورد رنسيمان على ما سمع من الهر هنلاين

وبعد عودة الهر هنلاين من ألمانيا اجتمع بمندوبى السوديت الذين كانوا يفاوضون الحكومة ، وعلى أثر ذلك نشر حزب السوديت فى ٥ سبتمبر (ايلول) بلاغاً له مغزاه ، طلب فيه تحقيق مطالبه الثمانية التى أعلنت فى كارلسباد ، حالاً وغير ناقصة

جدت حكومة براغ فى ٥ سبتمبر (ايلول) فى وضع اقتراحات جديدة لحل مشكلة السوديت ، راعت فيها تحقيق مطالب الهر هنلاين الثمانية ، حسما للنزاع ، وتحقيقاً للوصول إلى اتفاق سلمى .

وفى اليوم التالى قابل الدكتور بنيش زعماء السوديت وأسلمهم الاقتراحات الجديدة ، أو ما سمى « المنهاج الرابع » . وهذا المنهاج يحتو على تسع مواد توجز كما يلى :

١ — تمثيل الجنسيات والعناصر بالوظائف الحالية والمستقبلة نسبة لعددها

٢ — تعيين الموظفين فى الأقاليم من جنس أكثرية السكان

٣ — تجديد نظام الأمن بتقسيمه إلى بوليس الدولة وبوليس الأقاليم ، ويعين للأقاليم بوليس من جنس سكانها

٤ — مساواة لغات الأقليات باللغة التشيكية

٥ — القيام بعمل واسع النطاق فى سبيل إنعاش الحركة الاقتصادية فى المناطق الألمانية التى أصيبت بأشد أضرار الازمة . منها منح هذه المناطق قرضاً تبلغ قيمته خمسة ملايين جنيه بشروط متهاودة

٦ — تقسيم البلاد مقاطعات مستقلة استقلالا ذاتياً ومتساوية في الحقوق على أساس عنصرية السكان

٧ — إنشاء إدارة خاصة للاقاليم في جميع الادارات المركزية يديرها وطنيون ، لمعالجة المسائل المتعلقة بجنسياتهم

٨ — المحافظة على حقوق المواطنين القومية بقوانين خاصة ، ويكون للهيئات التمثيلية المختلفة حق الاعتراض على أي تدخل في حقوق أو مصالح الجنسيات التي تمثلها . وستكون سجلات خاصة لكل جنسية

٩ — اتخاذ احتياطات حالية للوصول إلى اتفاق على هذه النقاط التي لا تتطلب احتياطات تشريعية . أما فيما يتعلق بوضع قوانين جديدة ، فإن الحكومة ستحضرها بالاشتراك مع حزب السوديت الألماني . وستعرض المشروعات على البرلمان وتنفذ بأسرع وقت ممكن

قابل الألمان السوديت اقتراحات الحكومة هذه بارتياح ، وقبلوها في ٧ سبتمبر (إيلول) أساسا للمفاوضات ، لأنهم رأوا فيها تحقيقا يكاد يكون تاما لنقاط كارلسباد الثمانية ، فساد التفاؤل وعظم الأمل بالوصول إلى حل ودي . غير أنه في اليوم نفسه وصلت براغ أنباء حادث « ماهريش استراو » فأثارت غضب الألمان السوديت فقرروا قطع المفاوضات . أما حادث ماهريش استراو فيوجز فيما يلي:

وصل في ٦ سبتمبر (إيلول) كثيرون من ممثلي حزب السوديت الألمان إلى ماهريش استراو لمطالبة السلطة بالتحقيق في بعض الأخبار التي يؤخذ منها أن الألمان السوديت الذين كانوا قد اعتقلوا عوملوا في السجن معاملة سيئة . ولما دخلوا دار المحافظة تجمع الأهالي الألمان خارج الدار. فأعمل البوليس الركبان فيهم الضرب بالعصي والسياط لتفريقهم . ويقال إن البوليس ضرب اثنين من نواب السوديت على الرغم من تلويحهما بشهادتيهما القانونية

اهتمت حكومة براغ لهذا الحادث ، واتخذت التدابير لعدم تكرره ، ولتحسين معاملة المساجين الألمان . وطلب رئيس وزارة براغ مقابلة النائبين كوندت وروش ، فاجتمع بهما مساء ٧ سبتمبر (إيلول) ، ودارت محادثة سوى على أثرها حادث مهريش استراو وانتهت بالاتفاق على استئناف المفاوضات

وبينما كانت حكومة براغ جادة في حل الشكلة التشيكوسلوفاكية بالاتفاق مع السوديت الألمان بمنحهم مطالب زعيمهم الثمانية ، فاجأت جريدة التيمس ، المعروفة بعلاقتها الوثيقة مع حكومة لندن ، العالم في ٧ سبتمبر (إيلول) مقترحة في مقال رئيسي ، حل المشكلة التشيكوسلوفاكية عن طريق فصل الأقاليم السوديتية وضمها إلى ألمانيا . ومصرحة « بأن إرادة الأهالي الذين يعنيهم الأمر ستكون عاملا له أهمية فاصلة في أية تسوية يرضى أن تكون دائمة » وهذا الحل غاية ما يصبو إليه السوديت الألمان ، وما يرمي إليه الهر هتلر . غير أن السوديت الألمان لم يجرؤوا حتى ذلك التاريخ على طلبه ، ولم يأملوا تحقيقه

وبينما كانت المفاوضات تسير في براغ بصعوبة ومشقة ، ومن غير أن توصل إلى نتيجة إيجابية ، قرب يوم الاثنين الموافق ١٢ سبتمبر (إيلول) ، وهو تاريخ إلقاء الهر هتلر خطابه التاريخي ، الذي كان ينتظره الناس في جهات الدنيا الأربع . فأحالوا نظرهم عن تشيكوسلوفاكيا ، واتجهوا نحو نورمبرغ ، حيث انتقل إليها مركز النظر في المشكلة التشيكوسلوفاكية ، وحيث ألقى زعيم ألمانيا كلمته الخطيرة

كان خطاب الهر هتلر شديد اللهجة عنيفاً ، ولم يكن في الامكان في أحوال دولية عصيبة كأحوال شهر سبتمبر (إيلول) الفائت ، أن يلقي زعيم ألمانيا خطبة أشد لهجة من الخطاب الذي ألقاه في مؤتمر نورمبرك وكان « ضربة أصابت أساس سياسة التوفيق التي سار عليها المستر نيفل تشمبرلين » ، كما قالت النيويورك تايمس في ١٣ سبتمبر

فقد حمل فيه على الحكومات الديمقراطية حملة شعواء ، ملؤها السخرية والازدراء ، وهاجم حكومة براغ هجوماً عنيفاً بعبارات ملؤها الاهانة والتحقير . ومما قاله بصدد المشكلة التشيكوسلوفاكية:

« ... إني أعلن أن هذه المخلوقات المضطهدة (أي السوديت الألمان) إذا لم تحصل على حقها وعلى المساعدة التي تستطيع المطالبة بها فإنها ستنال هذا الحق وهذه المساعدة منا .. لقد سبق لي أن أعلنت أني لا أتحمل بعد الآن أن يظل هؤلاء الملايين الثلاثة مضطهدين ، وأرجو من رجال سياسة الدول الأجنبية أن يعلموا أن هذا ليس كلاماً بلا معنى » . وبعد أن ذكر الفوهور أن ألمانيا ضحت كثيراً في سبيل السلم قال « إن الشعب الألماني ليس مستعداً لأن يقبل آلام ثلاثة ملايين ونصف مليون أو يشترك في تحملها . إني أستطيع أن أؤكد لساسة لندن وباريس أننا عازمون على الدفاع عن مصالحنا في جميع الظروف . وإني أفضل أن أتحمل الضيق والخطر والاضطهاد على أن أعدل عن تحقيق هذا الواجب »

وبعد أن أبان الأعمال التي قام بها منذ ٢٨ مايو (مايس)

الأخير لتعزيز قوى ألمانيا الحربية قال: « لقد بذلت هذا الجهد لأضمن السلم، ولست على استعداد لأن أشاهد اضطهاد الشعب الألماني في تشيكوسلوفاكيا بهدوء لا حد له. إنهم يريدون الشروع في مفاوضات وتسويف الأمور ولكن ذلك لا يمكن أن يدوم »

« إن ما يريده الألمان هو حق تقرير مصيرهم بأنفسهم، وهذا ما يتمتع به كل شعب بدون شك. إني أريد أن ينتهي اضطهاد ثلاثة ملايين ونصف مليون من الألمان في تشيكوسلوفاكيا، فإن المسألة مسألة مواطنين ألمان، ولا أرغب في أن تنشأ على الحدود الألمانية فلسطين أخرى، فألمان تشيكوسلوفاكيا لن يظلوا بدون دفاع ولن يتركوا لأنفسهم ... »

وقد ختم الهر هتلر خطبته بقوله: « إننا لن نذعن بعد الآن لإرادة أجنبية، وإنني أقسم على ذلك وليساعدني الله »

أصر الهر هتلر في خطابه على وجوب إعطاء السوديت الألمان « حق تقرير مصيرهم » ولم يطلب صراحة فصلهم عن حكومة براغ وضمهم إلى ألمانيا، لعلمه حق العلم بأن الألمان السوديت إذا أعطوا حق تقرير مصيرهم يقررون الانضمام إلى الريخ الألماني، وليظهر للعالم بأن ألمانيا لا تريد التوسع في أوربا وإنما البلاد المأهولة بالألمان، خارج حدود الريخ، تريد الانضمام إليه

كان لخطاب الهر هتلر تأثير عظيم على نفسية الألمان السوديت وأنتج تغييرا أساسيا في مطالبهم القومية، إذ أعلنوا أن مطالبهم الثمانية المعلنة في كارلسباد لم تعد أساسا صالحا للمفاوضات. وطافت جموعهم في الشوارع طالبة الاستفتاء، وقامت مظاهرات نادي القائمون بها بالانضمام إلى ألمانيا، هاتفين: « شعب واحد ريخ واحد، زعيم واحد ».

أدى هذا الهياج إلى حدوث اضطرابات ومصادمات اضطرت الحكومة إلى إعلان الأحكام العرفية. غير أن ذلك لم يرق حزب السوديت فأنذر الحكومة في ١٣ أيلول وقدم إليها مطالب منها إزالة هذه الأحكام. وأمهلها ست ساعات، مهددا بعدم استئناف المفاوضات. وردت الحكومة على هذا الإنذار بأنها لا ترى مانعا من قبول مطالب الحزب إذا وجه الزعماء إلى الشعب نداء يناشدونه فيه احترام القانون والنظام، وجاء وفد منهم إلى براغ للمفاوضة في هذا الشأن.

لم يأبه حزب السوديت لرد الحكومة، بل أصدر بلاغا جاء فيه « أنه لم يعد من الممكن مواصلة المفاوضات على الأسس التي اتبعت حتى الآن. ولذلك أعفى الهر هنلاين الوفد من مهمته وشكره على جهوده ». وفي اليوم التالي طلب حزب السوديت رسميا من حكومة براغ أن يكون للألمان السوديت حق تقرير مصيرهم. ونقل الحزب مركزه من براغ إلى اشن ليكون قريبا من الحدود الألمانية.

وفي ١٦ أصدر الهر هنلاين بيانا قال فيه « إننا نريد أن نعيش عيشة الألمان الأحرار، إننا نريد أن نعود إلى الريخ ». وأخذت صحف الألمان تحمل حملة عنيفة على تشيكوسلوفاكيا، ومما قالته جريدة « فولكشر بيوباختر » صباح ١٧ سبتمبر (أيلول)، أن الوقت قد حان لإبعاد المسيو بنيش عن مسرح السياسة الدولية الأوربية وإزالة دولة من خريطة أوربا.

إن انقطاع المفاوضات أضاع الأمل في الوصول إلى حل سلمي دون تدخل الدول الأخرى »، وقال اللورد رنسيمان في الكتاب الذي أرسله إلى المستر تشمبرلن في ٢١ سبتمبر (ايلول) إن مسئولية قطع المفاوضات النهائية في رأيي، تقع على الهر هنلاين والهر فرنك، وعلى هؤلاء من مؤيديهم، داخل البلاد وخارجها، الذين كانوا يحضون على أعمال العنف وعلى الأعمال غير الدستورية»

أقلق خطاب الهر هتلر وما تبعه من اضطرابات وقطع المفاوضات في تشيكوسلوفاكيا، الرأي العالمي وبالأخص في لندن وباريس، ودعاهما إلى بذل آخر ما لديهما من جهود في سبيل حفظ السلام. فما هي هذه الجهود؟ وماذا كانت ثمرتها؟ هذا ما سنعرضه في مقال آخر.

يوسف هيكل

المستشرقون الايطاليون

فى مؤتمر بروكسل الدولى

للدكتور أومبرتو ريتزيتانو

نشرت «الرسالة» الغراء فى عددها (٢٧٤) مقالا بسطت فيه أعمال مؤتمر المستشرقين الدولى العشرين المنعقد بمدينة بروكسل فى الثلث الأول من سبتمبر الماضى بدار الأكاديمية البلجيكية. وقد لاحظت أن الدكتور مراد صاحب المقالة لم يذكر فى حديثه عن المؤتمر إلا ثلاثاً من المحاضرات التى ألقاها المستشرقون الايطاليون، بينما كانت لمستشرقي إيطاليا فى المؤتمر المذكور بحوث قيمة فى موضوعات طريفة، ولذلك أرى أن أتلافى هذا السهو على صفحات هذه المجلة المجيدة. ففى القسم الأول الخاص بالعلوم المصرية والأفريقية القديمة مثل إيطاليا الأستاذ بينئيو فراريو مدرس علم الآثار واللغات السامية والحامية فى جامعة مونتفيديو عاصمة الأورجواى بأمريكا الجنوبية، وكان موضوع محاضرته «الضمير فى اللغات الكوشية» المنتشرة فى بلاد الحبشة. وأعقبه فى هذا القسم نفسه المدير العام للشئون السياسية فى وزارة أفريقيا الايطالية بروما (وهو اسم أطلق حديثاً على وزارة المستعمرات) الذى أسهب فى الكلام عن الأبحاث الايطالية فى لغات السدامة الشرقية ومركزها بين اللغات الأخرى، ولخص فى نهاية خطابه النتائج التى وصل إليها الايطاليون فى هذا الميدان العلمى

أما فى القسم الرابع الخاص بالهند فقد مثل إيطاليا فيه الأستاذ أمبرجيو باليني من جامعة ميلانو، والأستاذ فيتورى بيزانى مدرس تاريخ اللغات الكلاسيكية المقارن بجامعة كاليرى بجزيرة سردينيا، فقرأ أولهما بحثاً من أبحاثه الطريفة استرعى الانظار، وألقى الثانى محاضرة عن «المهابهاراتا» وهو الكتاب المشهور عند الهنود — وعن تكوينه الاول

أما القسم الثامن الخاص بالعلوم الاسلامية، فقد اشترك فى الكلام فيه جم غفير من المستشرقين الايطاليين. ومن المعروف أن إيطاليا تهتم اهتماماً متواصلا بعلوم الشرق الأدنى نظراً لما لها من المصالح السياسية والتجارية والثقافية فى هذه الأصقاع. وهذا هو بلا شك السبب الأساسى الذى يدفع الايطاليين إلى الاسترسال فى دراسة هذا القسط من أقساط علم الاستشراق. فتكلم الأستاذ جويدى مدرس اللغة العربية وآدابها فى جامعة روما عن نشرته الحديثة عن مخطوطات الكندى المنقولة من نسخة أيا صوفيا رقم ٤٨٣٢، كما ألقت السيدة الدكتوره لاورا فينشيا فاليرى المدرسة بجامعة نابولى بحثاً عارضت فيه مشروع تيسير قواعد اللغة العربية وذكرت آراءها بصراحة فى هذا الموضوع الخطير الذي تعنى به وزارة المعارف المصرية فى وقتنا هذا — كما قام الأستاذ «بومبى» القانونى الايطالى من جامعة ميلانو، بذكر بعض الملاحظات الانتقادية فى مقارنته بين الكتابين المعروفين «بالمجلة» «ومرشد الحيران إلى معرفة أحوال الانسان» للمرحوم محمد قدرى باشا

أما فى الأدب العربى الأموى فقد تكلم من المستشرقين الايطاليين الأستاذ جابرييلى من معهد نابولى الشرقى، والدكتور ريتزيتانو كاتب هذا المقال، فتكلم أولهما فى خطبة فصيحة عن الشاعر الأموى «كثير عزة» وراويه جميل، والعلاقات الودية التى كانت بينهما. أما الثانى فقد تكلم عن الشاعر الأموى «أبو محجن نصيب بن رباح» وعن الضرورة القاضية بدراسة وافية لشعراء العصر الأموى المقلين لمعرفة شتى الأخبار الموجودة فى شذور إنتاجهم الشعرى المتفرقة فى مختلف كتب الأدب والتاريخ، كما اقترحت السيدة الفاضلة «أولجابينتو» نشر دراسات عن الرحالة الايطاليين ورحلاتهم فى الشرق الأدنى. ولعمري إن هذا المشروع ليستحق كل الاهتمام لأنه سيقدم مساعدة مهمة لعلم الخرائط الجغرافية ونقدها.

كذلك عرفنا الأستاذ بومباتشى من جامعة نابولى بكتاب قد سكنت ريحه عن النحو التركى ألفه راهب يسوعى فى القرن السادس عشر

ومما لا شك فيه أن علم الاستشراق فى أوربا وبصفة خاصة فى إيطاليا قد ازدهر ازدهارا عظيما فى الفترة الواقعة بين القرنين الثانى عشر والسادس عشر. وإن اهتمام بلدنا بالعلوم الشرقية يرجع إلى عناصر مختلفة من بينها الروح التجارية المتواصلة، والتبشير المذهبى الدينى فى بلاد الشرق؛ وعلى العموم الرغبة العلمية المستمرة. ولقد التفتت النهضة الايطالية نحو الشرق — الأدنى منه والأقصى —

الكونتس فالنتين دى سان بوا

للأستاذ كامل يوسف

جرى قلمي في كلمتي عن المرحوم ولى الدين بك يكن بذكر الكونتس فالنتين دى سان بوا ، وبما أنها من الدوحة الشاعرة التى أنجبت لامرتين شاعر الجمال والحب ، ومؤلف عشرات الكتب التى تفيض بالشاعرية والخيال الخصيب ، أحببت أن أكتب كلمة عنها لتعريف المصريين بها

فهى حفيدة لامارتين ، أو على الأصح ابنة ابنة أخته ، ورثت عن خال أمها الروح الشاعرية وسمو الخيال ، فكانت شاعرة من الطبقة الأولى لا يشق لها غبار . ويمتاز شعرها بالروح الصوفية . وهو ككل شعر صوفى مبهم يحتاج للشرح والتعليق حتى يدرك القارىء كنهه . وقد بدت هذه النزعة فى ديوانها الشعرى الذى اشتهرت به ؛ ويكاد يلمس القارىء لهذا الديوان روح نيتشه فى كتابه « هكذا قال زرادشت » ، بل إنه يسير على غطه في الأسلوب . وقد أبديت رأيى هذا فى عام سنة ١٩٢٨ للأدباء الذين كانوا يحيطون بها فلاقى منهم التأييد ، لأن الكونتس كانت تعجب بنيتشه كشاعر فذ ، خصوصاً فى سفره « هكذا قال زرادشت » وكانت لا ترى فيه فيلسوفاً له مدرسة فلسفية خاصة

وهذه الروح الصوفية هى التى حدت بها إلى الاقامة بمصر ، فهى زوجة وزير من وزراء فرنسا وزارت أسبانيا ، وشاهدت هناك جامع قرطبة ، فأعجبت بالفن العربى ، واتخذ هذا الاعجاب صورة فعلية فأرادت أن تلمس حياة الشرق وتختبر روحه ، فتركت فرنسا بما فيها من مدنية وجاءت إلى مصر باعتبارها المركز الروحى للبلاد الشرقية ، وكان هذا الولع بروح الشرق المتصوفة دافعاً لها على إصدار مجلتها الشهرية « فينكس » للدفاع عن أمم الشرق قاطبة . وقد أنفقت على هذه المجلة مالاً وفيراً ، وظلت أكثر من عامين وهى تسخر قلمها البديع لهذه الغاية السامية ولكنها لم تستطع الاستمرار فى إصدار مجلتها لنضوب مواردها من أملاكها بمقاطعة سان بوا بفرنسا ومن ربح مؤلفاتها الكثيرة ، وذلك عند هبوط سعر الفرنك فى سنة ١٩٢٨

وقد بدت الروح الصوفية عند الكونتس دى سان بوا فى أجلى صورها عند ما لجأت إلى أسلوب مبتكر للتعبير عن المعانى الباطنية للحقائق الظاهرة ، وقد أطلقت على هذا الأسلوب لفظ « الميتا كوري » وقد جاهدت كثيراً فى نشره فى فرنسا وأمريكا وأنفقت المال فى سبيل تقريبه للأذهان ، ولكن غموضه كان عقبة كأداء فى سبيل ذيوعه . وقد نشرت كثيراً من الرسوم بريشتها لإيضاح غاياتها ، ولكن العالم الأدبى لم يفهم ما تريده الشاعرة من هذه الحركة الصوفية . وقد حاولت أنا وصديق الشاعر فولاد يكن أثناء اتصالنا بها بحلوان أن نفهم هذه الحركة كما يجب ، فلم نخرج منها بأكثر من أنها نوع من الرمزية فى الشعر والرسم ترمى إلى إبراز المعانى الباطنة لمظاهر الأشياء . ولما رأت عدم استعداد العقول لفهم نظريتها — التى تقول إن فنانى الاغريق كانوا يعملون بها — اتجهت للدفاع عن بلاد الشرق المهضومة الحق ...

وقد أقامت الكونتس دى سان بوا بحلوان بقصر محمد بك أنسى بشارع سيد احمد باشا . وكانت دارها ندوة للأدباء زارها فيها الدكتور ماردريس المستشرق الفرنسى المعروف وقدم لها ترجمته الفرنسية لكتاب « ألف ليلة وليلة » وكتب الاهداء بالعربية : « هدية من الشيخ الماردريسى » . وكان أول من اتصل بها من المصريين الشاعر الكبير فولاد يكن ، وحدث ذلك على أثر زواجه من مدام (س) الفرنسية (وهى زوجة أحد كبار كتاب فرنسا) التى استقدمتها وزارة المعارف لتتولى نظارة مدرسة بنات الأسر الراقية . ومع أن هذا الزواج لم يطل فقد كان سبباً فى تعرف الأستاذ فولاد يكن بالكونتس ؛ وقد رأت فيه الشاعرة مواهب شعرية تنبئ عن مستقبل زاهر فى عالم الشعر فاحتضنته ،

فى دائرة الانتاج الأدبى حوالى منتصف القرن الماضى حين ثبت أن الحاجة ماسة فعلا إلى ضرورة الاستمرار فى هذه الناحية من نواحى العلم والأبحاث ، وإنى لا أتردد فى القول بأن كل الفضل يرجع إلى المستشرقين الثلاثة ميكيلى آمارى وجرارنا دواسكولى وانيازيو جويدى فى كثير مماشرع فيه ومما تم من التقدم وإيقاظ الهمم فى هذه الفترة . كما أنه كان من أسباب إنجاح هذه الحركة العلمية الجديدة المساعى القيمة التى قام بها هؤلاء الأنصار الثلاثة الذين استوفت أبحاثهم ودراساتهم وانتشرت فى العالم أجمع

دكتور
أومبرتو ريتزيتانو

وجمانه كابنها ، وأقام بمنزلها بحلوان يأكل ويشرب ويتريض معها كأنه فرد من أسرتها . وقد أنتجت هذه الصداقة ثمارها إذ قدمته لدور النشر الفرنسية فنشرت له بعض مؤلفاته الشعرية والنثرية مقدمة بقلمها البليغ

وكان يجتمع في دارها الأدباء . وقد قدمني فولاد يكن إليها كأديب ناشئ مهتم بالأدب السكسوني وخصوصاً فن برنارد شو الذي كنت أؤلف فيه في ذلك الوقت كتاباً عن آرائه في الحياة والأدب والفن والسياسة . وكانت تعرف عني هذا الاهتمام فكانت تدعوني « برنارد شو الصغير » . وقد قدمتني في إحدى حفلاتها الماسونية لاحدى زوجات سلطان تركيا المخلوع التي قدمت إلى مصر وألقت بنفسها في النيل عند قصر النيل . وكانت هذه الأميرة على غاية من جمال الخلق والخلق ، تركت في نفسي أثراً لا يمحى، إذ تمثل لدى في هذه اللحظة عظمة الملك ممثلة في شخص هذه السيدة الكريمة ؛ وهي في رزانتها وصمتها أبلغ منها وهي في أبهة العرش . وقد حدث أن ثارت بين أديبين مناقشة عن أدب هوجو ، وكان أحدهما يرى أنه فن مزخرف أجوف ، وكان يعارضه الآخر بأنه أدب حي ، وأبديت رأيي في هذه المناقشة بأسلوبي الفرنسي العاجز ، وكنت وقتئذ لم ينضج على بالفرنسية لانصرافي للأدب الانجليزي، فسخر من أسلوبي صديقي فولاد يكن، ونعته بأنه فرنسي صيني ، ولم ينجني من حملته عليّ إلا السلطانة ، فقد عطفت على بأن قالت : إن أسلوبي كإنسان لم يدرس الفرنسية بالمدارس لا بأس به . وقد حمدت لها هذا الموقف الذي خلصني من المأزق الذي تورطت فيه

وتشاء الصدفة أن أقرأ إبان تعرفي بالشاعرة الكبيرة قصة « روفائيل » ترجمة الأستاذ الكبير احمد حسن الزيات ، وأردت أن أذكر لها اهتمامنا في مصر بأدب جدها لامرتين، فذكرت لها أنني أقرأ ترجمة عربية لرفائيل تكاد في بلاغتها أن تكون صورة ثانية للأصل الفرنسي ؛ وذكر الاستاذ فولاد يكن تمكن الأستاذ الزيات من لغة العرب والفرنسيين مما جعل الترجمة تحفة من التحف في أدبنا المصري الحديث ، وقد أعجبت الكونتس بذلك كثيراً . ولكنها كانت لا ترى في « رفائيل » العمل الفني الذي يجب أن يخلد به اسم جدها بمصر ، وقالت في ذلك إنه مؤلف يسوده الاغراق في المبالغات مما جعله في مرتبة أقل من غيره من المؤلفات الأخرى ، وقد ذكر الدكتور منصور بك فهمي في مقدمته لترجمة الأستاذ الزيات مثل هذا الرأي ، وأن ذلك قد دعا لامرتين نفسه إلى إعادة النظر في مؤلفه هذا في الطبعات التالية فأبعد عنه بعض المبالغات العاطفية التي أخذها عليه النقاد

والكونتس دي سان بوا رسامة ماهرة ترسم بالزيت وتحفر على الخشب ويشوب رسومها الروح الصوفية ، وهي تزين دارها بهذه الرسوم. وقد بلغت براعتها في الرسم أنها كانت تحفر صورتها على الخشب فكانت ملامحها تنطق كأنها رسم فوتوغرافي . وقد انصرفت في السنين الأخيرة إلى التحرير الصحفي وتولت رياسة تحرير أمهات الصحف الفرنسية بمصر . ويمتاز أسلوبها الفرنسي بالجزالة الكلاسيكية ، وقد اكتسبت أثناء إقامتها بمصر صداقة الشخصيات البارزة في المجتمع المصري

وأختم كلمتي عنها بما تبديه من عطف على الشرقيين ، فقد كانت تغشى حفلات العرب الذين يعيشون في الخيام بقرية حلوان البلد الواقعة على النيل في الليالي القمرية ؛ وكانت تعجب بسمرهم ؛ وكانت تنثر على أطفالهم النقود ، لذلك كانوا يحفظون لها هذا الجميل . وقد أعربوا عن عرفانهم لهذا الجميل فأهدوا إليها كلبا من كلابهم الضخمة ، أطلقت عليه اسم « بطل » وكان هذا الكلب موضع عنايتها ، وكانت توكل إليه حراسة دارها ، وعند ما تركت حلوان وأقامت في إحدى فنادق القاهرة الفخمة أخذته معها ، وكانت تفخر به على الدوام لأنه (عربون) مودة لا يصح التفريط فيه

كامل يوسف

عضو بالمعهد الفلسفي البريطاني

حاشية : يأسف الكاتب لعدم إيراد أمثلة من شعر الكونتس ورسومها لأن مكتبته في طريقها إلى كوم حمادة حيث سيحل ترحاله .

الحالمون

ترجمة السيدة الفاضلة «الزهرة»

الحالمون هم الذين أقطعونا فى الدنيا جوانب العيش الخصب المريض، والخير الجم المستفيض، وأرشدونا إلى مبادرة السوانح، وفتحوا لنا أمصار الفرص البيض. ولعله لم يخطر لك ببال مطلقاً أن ما تردد فيه طرفك، وتمدّه من خاص ملكك فى هذا الكون الوسيع، منتسب إلى عطاء حلم رائع تحقق، ورؤيا مجيدة صدقت...

أدر الطرف حولك واسأل: مَنْ ذا الذى منحنا النعم المألوفة لدينا، والصنائع الشائعة بيننا؟ ومَنْ ذا الذى أسبغ علينا النور ليلاً، وحبانا بالمقدرة على الطواف حول العالم؟ ومَنْ ذا الذى أباد الوباء ومحق الطاعون، وأعاننا على قهر جميع العلل والأدواء؟

لقد ملأت جميع هذه المواهب الكبيرة صدر العالم، وتتابعت علينا تتابع القطر على القفر، فورثناها مع الهواء الذى نستنشقه، وتلك الصيحة الظافرة تنبعث إلينا من أروقة الزمن قائلة: «وجدتها! وجدتها!»

إن أرخميدس لم يقم بمظاهرة هائلة حين باح للعالم بسر الثقل النوعى، ولكنه قفز من حمامه فجأة، وراح يركض فى طرقات المدينة متهللاً، ويهيب بالناس قائلاً: «وجدتها! وجدتها!»

وكذلك كانت تلك الروح الزخارة، التى أنعشت دنيا العلم قاطبة، دون أن تضطرب بحب الكسب والنفعة الشخصية، فى كيان أى رجل ممن أثقلوا الكواهل بأياديهم التى يفرض لها الشكر ويتحتم، لأنهم بذلوها فى سبيل المصلحة العامة، وأضافوها إلى حصائل العمران من فيض سجاياهم البارة، بسخاء نفوسهم الأمارة بالخير، المطبوعة على المعروف كأنه غريزة فيها تشبه غريزة التغريد فى الطير، وعنصراً من عناصرها يحاكى الجمال والشذى فى الزهر... وكانوا جميعهم سعداء مغتبطين إذ مكنوا الانسان من حكومة نفسه، وضاعفوا قدرته على تصريف أموره والأخذ بناصيتها، وقد حملوا ألوية جهادهم، وبنود كفاحهم، وكلمات كبار «الجالدين» المستميتين من معشر الرومان، تتدفق من شفاههم، ولكن بروح من النبل الذى يبز كل ما اختلج من معانيه فى حياة أولئك الرومان الغرّ الميامين وكأنهم كانوا يخاطبون الانسانية بلسانهم قائلين:

«نحن الذين نوشك أن نموت موت الايثار والفداء نحييك يا قيصر!»

حقاً إن انتصاراتنا الباهرة على ويلات الحياة مسجلة فى سير كثير من أولئك المجالدين البررة. ولئن لم يكن الموت فى سبيل العرفان وآيات الجهاد من نصيبهم على الدوام، فان مثابرتهم الصامتة كثيراً ما كانت محفوفة بجرائر جسيمة تتحيف الصبر وتهد الأركان وتجعل الموت عذباً مستساغاً؟

وإننا لنعلم أن «وليم هارفى» حين أعلن فى محاضراته المتواضعة سير الدورة الدموية فى الجسم الانسانى، وفتح الأذهان لأول مرة لتفهم سر من أسرار الوجود العظيمة لم يكن يطمع فى منحة أعظم من إقبال الناس على أبحاثه وقبولها بروح العطف، بيد أن العالم أبى عليه هذه المنحة. وغاليلو لم يتطلب منفعة من اكتشافاته التى جلّت للأفهام حقائق كثيرة فى الفلسفة الطبيعية، بل كان جزاءه التهديد بالتعذيب، ووجد غنمه الأكبر فى نجاته من هول الخازوق والمذراء: آلة التعذيب بمط الجسم!

ولقد مات «تيخوبراه» فى أحضان الفاقة والشقاء لأنه قشع عن العقول البشرية غيوم الترهات والخزعبلات التى كانت تدفعها إلى الفزع من الأجرام السماوية والكواكب السيارة. وقد أحدث «دارون» وهو فى مرتقاه الرفيع، فوق ذروة تلال «كنت» ثورة عظيمة فى العقول لم يسبق لها مثيل فى كل ما أحدثه عالم من علماء الطبيعة. بل إن الراهب «مِندل» فى حديقة صومعته المشمسة، وبنحله وبيازلته قد بلغ حيث لم تبلغ جهود دارون فى كل ما توصل إليه لاكتشاف ناموس الوراثة.

ومع ذلك فقد لاقى هذان الرجلان الناجزة والعداء «مع أن راهب برن الشيخ» قد أسبغ مِنناً عظيمة كفلت الغذاء الصالح للانسان والحيوان، وأدخل على نتاج العالم الحيوانى والنباتى تقدماً لم يسبقه إليه أى إنسان بل أى جيل من الناس. وكل من يبنى

أن يجيء اليوم بسلالة جديدة من الماشية والأغنام ، أو نوعاً جديداً من الزهر والثمر والبر والحنطة، لابدله أن يتبع النواميس التي اكتشفها وفسرها الراهب الشيخ في حديقته ببلدة «برن» وكل ديون العالم تقصر عن الوفاء بحقوقه التي لم يتقاض لأجلها شيئاً من العالم ، أو يفرض عليه أجراً لها ، بل إنه لم يؤثر نفسه بامتياز من امتيازاتها أو يحتكر حقاً من حقوق اكتشافها،وذلك لأنه كان رجلاً من الرجال الذين يتمنون بالأحلام .

وكذلك كان الحال في الثروة المادية التي تنشط اليوم مئات الصناعات والحرف ، وتوطد دعائم حضارتنا ، ونحن لا نستطيع بحال من الأحوال أن نحصي أياديها لأنها لا تعد ، ولا تقف عند حد . على أن الاستفادة بها والتغني بذكرها هما جل ما يبغيه أولئك الأعلام الذين جدوا وسموا دون أن يتطلبوا جزاء ولا شكورا في سبيل الانارة والنهوض بالانسانية .

ولقد انتقل العالم من عصر الحديد إلى عصر الفولاذ فعصر الكهرباء واللاسلكي ، وجميع هذه الاكتشافات الأساسية التي غيرت وجه الوجود من عصر إلى عصر قد أغدقها علينا رجال أفاضوا شباب برم وسحب معلوماتهم وذكائهم كعطايا سمحة لأهل جيلهم. فنحن نشيد عمراننا على أسس وضعها أولئكم المجاهدون الصناديد الذين اتخذوا من ميادين النزال ومعامع الكفاح مدارس للبحث والتفكير والاستقراء ومعتملات للاختبارات والتجارب العلمية . ولقد قدم نيوتن ونابيرلمصرهما آلتين من أفضل ما جاءت به مستحدثات العلوم الرياضية فزودوا العلم بقوة عقلية تفوق كل وصف . وقد أثبت الطبيب دالتون تلك الصورة النهائية القطعية لنظريته العجيبة — نظرية تركيب الجوهر الذري . كما وضع العالم الانجليزي جول الأساس الراسخ لجميع الأعمال الباهرة التي تجري الآن في دائرة « استحالة الأقتدار » وقد ورث العلامة العظيم جيمس كلارك مكسوبل ثروة طائلة من أمالي الفلسفة الطبيعية فاستغلها في التمهيد لاكتشاف التموجات الأثيرية بعد أن تمكن من إدراك أبعادها وتقدير مساحاتها ومقاييسها . وتناول هنريك هرتز الألماني أعمال ذلك العلامة الانجليزي فتمكن من إشعاع أمواج اليكترماجنتيكيه (المغناطيسية الكهربية) بواسطة جهاز كهربائي للذبذبة وجعل العامل الأساسي لانتاج هذه الأمواج الشرر الصغير الذي كان يظهر من ثغرة صغيرة في أداة معدنية فيعبر الغرفة دون أن تكون هناك أية حلقة للاتصال غير الهواء . ولقد انسحق قلب دافيد ادوارد هو ، من جراء الفشل الذي صادفه في تجاربه اللاسلكية ، ولكن جيلاً من الناس الباحثين المستطلعين أفلحوا في تحقيق أحلامهم التجريبية حتى ظهر أخيراً المخترع الايطالي العظيم جوليلمو ماركوني وتناول أبحاث أسلافه ولم يزل بها حتى تمكن من زيادة الاشعاع وتحسينه وتنميته وضبطه ، وتوصل إلى إتمام اختراعه فلم يكد يشارف السابعة والعشرين من سني حياته حتى برهن على مخترعه عملياً وأذاع إشارته اللاسلكية الأولى عبر المحيط الأطلنطيقي ، وبذلك أكمل اللاسلكي أهم رحلة في حياته مثبتاً للملأ أنه كان سائراً به في الطريق الموصل إلى ذروة النجاح النهائي بعد أن تجشم صعوبات هائلة وذلل عقبات كبيرة .

ولا شك في أن أغلبنا يعرف عظم ما ندين به لصمام الحرارة « الترمونيكي » الذي اخترعه الأستاذ « فلمنج » ولا يخفى علينا أن ذلك الصمام ينبعث من كوكبة (هي المصباح الكهربائي) ولكن كم منا يذكر أن هذه الكوكبة لم تكن لتوجد لولا تلك الأنبوبة المفرغة التي ابتكرها سير وليام كروكس ؟ على أن هذه الأنبوبة التي كانت فكرة تتردد في مخيلة ذلك الرجل المستطلع ، صارت فيما بعد مهداً للخوارق التي بذت جميع ما سبقها من أعمال قوى الطبيعة الغامضة، فقد اكتشف فيها وبوساطتها أشعة «إكس»، وإن من العسير أن نذكر نصف المدهشات التي تأتت من هذه الأنبوبة العجيبة ...

إننا نعيش كل يوم على المواهب الباهرة التي قدمها لنا «هنري كافنديش» الذي اكتشف غاز الايدروجين ، وجوزيف بريستلي الذي اكتشف الأكسجين، والكيماوي الفرنسي لفوازييه الذي علمنا وظيفة التنفس ... ولكننا قلما نفكر في الأحلام الطويلة التي استرسل فيها جميع أولئك الفطاحل ، ولعلنا ننسى أن بريستلي فر إلى أمريكا قانعاً من الغنيمة بالسلامة في سبيل كرازته عن الأكسجين ، وأن الفرنسيين قضوا على حياة

لفوازييه بحد المقصلة الجهنمية مجاهرين بأن الجمهورية ليست فى حاجة إلى جمهرة الكيميائيين، وأن العدل يجب أن يأخذ مجراه

إن هذه الفيافى التى نجوس خلالها مترامية الأطراف وعرة المسالك ولكنها عظيمة حقاً لأن رجالاً مجدودين عظماء قد عبدوها وأخضعوها لسلطاننا حباً فى العلم والعرفان ، لا طمعاً فى الربح والكسب :

مقاديم وصالون فى الروع خطوهم ... بكل رقيق الشفرتين يمانى

إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم ... لأية حال أم بأى مكان

على أن هذا لم يكن قصارى جهدهم فان أولئك الناس الذين كانوا ينهضون للعمل مبكرين ويهجعون متأخرين ليكتسبوا من الطبيعة أدق أسرارها وغوامضها ويستغلون أعظم قوى اقتدارها من أسرار الذريات الكائنة ، قد رصدوا ساعاتهم للكد دون أن يعرفوا طعماً للراحة؛ وكانوا إذا تمت المعجزة على أيديهم وتمكنوا من استخدام الجوهر الفرد فى هد الرواسى وزلزلة الجبال وفى إفادة العالم — الذى يكونون جزءاً غير منظور منه — يقدمون هذه المعجزة دون قيد ولا شرط، ويطلعونها عليه طلوع الشمس التى تحفظ الحياة على الأرض . ونحن جميعاً نجنى ثمراته ونتقاسمها دون أن نبذل فى سبيل الحصول عليها فلساً واحداً . وهكذا تتتابع فصول تلك القصة العجيبة التى بدأت مذ شرقت أول شعاعة من شعاعات العلم والمحبة تبدد الظلمات الداجية والأطماع الأشعبية من العقل الهمجى والفكر المتوحش القاسى . وإننا لن نجد ما يتلو علينا فصول تلك القصة مراراً وتكراراً، بل إن أفصح من ذاك الذى تحدثنا به تواريخ الطب والجراحة الفائقة عطفاً وحباً ورحمة . فما من مصل مما يستعمل لشفاء الأمراض إلا وينتمى إلى ذلك المصل الواقى الذى منحه للعالم بسخاء دكتور جنر لحمايتنا من تبريح الجدرى . ولا تجرى عملية عظيمة على يد أحد الجراحين اليوم إلا ونجد الجراح والمريض يلهجان بحمد العزة الالهية من أجل جيمس سمبسون الذى جعل القيام بالعمليات الجراحية الخطيرة ممكناً ميسوراً بفضل اكتشافه جواهر المخدرات التى تفقد الاحساس بالألم . أما لويس باستور الذى علم الناس التحرز من المرض بالتطعيم وحفظ الأغذية والسوائل العضوية بالتعقيم فلم يتقاض على جهوده غير الثناء والشكران . وجاء جوزيف لستر واتبع أفكار باستور واستخدمها فى محو الألم ودرء السموم عن الأجسام فكان عدد الذين أنقذهم من الموت أكثر من الذين أبادهم نابليون، وضفر للسلم من أكاليل المجد فوق ما ضفرته الحرب لأعظم أبطالها الظافرين . وقضى حياته وهو يكد ويحلم ويحقق حلمه، وبفضله أصبح ميسوراً للجراحة اليوم القيام بكافة صنوف العمليات وأصبح الطبيب القادر على أداء تلك العمليات يفاخر بما أسدته إليه طريقة لستر من تفادى التسمم بل أصبح ينشرها الملأ فيكبر لها مشاهير الجراحين وينهل من فيضها جماعة الطلاب المتعطشين ويجعلونها قبلة أنظارهم

وأحسن وجه فى الورى وجه محسن

وأيمن كف فيهم كف منعم

ولقد كان لستر يتقاضى مبلغ خمسمائة جنيه من موسر يجرى له إحدى عملياته ، أما الأجر الذى كان يتقاضاه من فقير لاجئ إلى أحد المستشفيات الخيرية فلم يكن يتعدى عبارة «أشكرك ياسيدى» تتدحرج على شفتى ذلك البائس بصوت مختنق متهدج ؛ وكان الرجل العظيم يعود إلى بيته بقلب يطفح شكراً لله تعالى الذى آتاه القدرة على تخفيف بلاء الفلوكين

وإذا الرجال تصرفت أهواؤها ... فهواه لحظة سائل أو آمل

ويكاد من فرط السخاء بنانه ... حب العطاء يقول هل من سائل

بيد أن ظواهر هذا البذل الانسانى العظيم لا تقف عند هذا الحد لأن أولئك الرجال الذين يمسحون عنا أمراضنا لا يترددون فى الخطار بحياتهم دون ريث ولا إمهال

مسترسلين إلى الحتوف كأنما ... بين الحتوف وبينهم أرحام

آساد موت مخدرات مالها ... بين الصوارم والقنا آجام

ولا يوجد علاج أو وقاية من أمراض المنطقة الحارة إلا وقد ابتاعوه لنا بأعمارهم الغالية وأنفاسهم الثمينة ، فكان الواحد منهم يجرب علاجه فى جسمه قبل أن يجربه فى مريض . وتاريخ الطب حافل بآيات الشجاعة والولاء والبطولة التى لا تقل عما تفيض به أخبار أعظم الفاتحين

بل إننا حين نذهب بحديثنا إلى عصرنا الحالى العظيم — عصر

الهندسة العملية وإقامة الجسور والقناطر العجيبة ، وحفر الترع والقنوات المدهشة نجد الحالم من ورائها جميعاً ، ونجد السفن تجرى من محيط إلى محيط وادعة مطمئنة فى قناة باناما حين كانت الحياة الانسانية لا تساوى قيمة ربع عشرة أيام لعامل عادى ، ولولا أن رجلاً اسمه رولاند روس جلس يحلم ليلة بعد ليلة من خلال منظاره المكبِّر ثم عثر أخيراً على البعوضة التى تحمل جراثيم الموت وأخبر العالم أننا نستطيع أن نهزأ بالحمى الصفراء وبالحمى النافضة (الملاريا) لو فعلنا بهذه البعوضة ما فعله باستور بالطمام وليستر بالجراح لما حفرت ترعة بناما . وقد جنى مهندسوها وبناتها أرباحاً طائلة من ورائها، ولكن الرجال الذين ابتدعوها فى أحلامهم ورعوا فكرتها وسعوا لتحقيقها لم يأخذوا لأنفسهم شيئاً لأنهم كانوا من ذوى الأحلام وكأن الشريف الرضى كان يعنيهم حين قال

وركب سروا والليل ملق رواقه ... على كل مغبر المطالع قاتم

حدوا عزمات ضاعت الأرض بينها ... فصار سراهم فى ظهور العزائم

تريهم نجوم الليل ما يبتغونه ... على عاتق الشعرى وهام النعائم

وغطى على الأرض الدجى فكأننا ... نفتش عن أعلامها بالمناسم

وهكذا كان الناس يحلمون ويحققون أحلامهم فصيروا عالمنا أجل وأعظم من عالمهم، ومنحوا العالم قوة ليس وراءها مطامح لحالم؛ ولا فوقها منزع لأمنية ولا مرتقى لهمة ، وأصبح من الميسور للانسان الآن أن يجعل من هذه الحياة الدنيا فردوساً ينقش فيه صورة جنة الخلد ويفرش عليه محاسن النعيم الأبدى

(الزهرة)

الى شباب القصصين

كيف احترفت القصة

قصة السيدة ستورم جيمسن

للأستاذ أحمد فتحى

حين كنت فى جامعة « كترنج » عام ١٩١٤ ، تقدمت بأطروحة عن « القصة الحديثة فى أوربا » علمت أنهم سيكافئوننى عليها بدرجة جامعية أخرى فوق الدرجة التى أنا متقدمة لاحرازها، وكان ذلك مدعاة لسرورى بعض السرور فى ذلك الحين !

وكنت طوال سنى دراستى أعلق آمالى باحترافى التدريس ، وكان الأساتذة يملون هذه الآمال ويرعونها . ولست أدرى ماذا حدث بعد فراغى من الدراسة ووداعى للجامعة ؟ فقد تنكر عقلى لكل تلك الآمال العريقة ! وانقلب كالوحش وقع وشيكا فى الشرك ! وتملكته قوة جامحة غضبى . . . وحين ألتفت إلى الوراء أرانى وقد كنت بلهاء صغيرة غير مؤذية ، لا تدرى ماذا عساها أن تصنع ، ولا تكاد تتبين سبيلها السوى فى الحياة !

وتحت تأثير ظنونى الكبار بضرورات حياة يكفلها رزق ضيق لا يزيد على خمسين شلناً فى الأسبوع ، التحقت بنادى القراء ، وكانت لى فى تلك الأيام الطويلة فسحة من الوقت أنفقها فى القراءة. ولأول مرة كنت أقرأ وأقرأ غير مدفوعة باعداد أطروحة للجامعة ! ولقد كان كل شئ أقرأه يتيح لى اجترار بعض مانخزنه حافظتى. على أن القصص قلما كانت تشبع نوازع نفسى. ولقد تناولت أجزاء كتاب « تاريخ النهضة الايطالية » واحداً فواحداً ، وعشتُ بينها فى تأثر وحبور لا يوصف . وعلى الرغم من جهلى بالقيمة العلمية التى يمتاز بها ذلك الكتاب ، فانى مدينة له بدين لن أقوم بوفائه ما حييت !

وبعد تلك القراءات الكثيرة ، وفى تلك الأيام التى لم أكن أجد فيهـا الراحة الكافية لاستئناف القراءة ، كنت أكتب وحدى ... وكذلك بدأت تسجيل فصول قصتى فى بطء . وإنى لأود الآن أن أستدعى ذكريات حالتى النفسية والعقلية حين بدأت كتابة القصة ، فلست أدرى ماذا كان يروق لى أن أصنع ! ومن المحقق أننى لم أكن أتوق إلى تأليف قصـة ، ولا ابتكار شخصيات ؛ وفى الكناشة الضخمة — التى أحتفظ بها وحدها — صفحتان أو ثلاث تحوى مذكرات مبعثرة متناثرة كنت قد وضعتها نواة لقصتى الأولى ؛ وإن معظمها ليبدو لى الآن بلا معنى كما تحوى كذلك مذكرات قصيرة جداً عن شخصيات القصة ؛ التى ألاحظ فيها شيئاً واحداً فريداً ، هو أننى لم أكن قد وضعت لهـا فكرة تامة شاملة . . . على أن بعض هـذه المذكرات كان ينتظم النظريات الحيوية التى كنت أومن بها فى ذلك العهد

لا شىء يمتعنى على تصفح هذه القصة الأولى لأرى كيف ائتلفت من تلك المذكرات المتناثرة فصول كتاب كامل ومن الواضح أن رغبة الطبيعة فى أن تجعل منى كاتبة قصصية ، لم تكن أعظم من رغبة الجامعة فى أن تجعل منى مدرسة فيها ! فليس فى تلك القصة الأولى ثمت فكرة ناضجة ؛ بل بضعة مناظر مترابطة . وليس فيها شخصيات ؛ بل عظام جافة فى وادى عقلى لأفكار مجتمعة لى من سنى قراءاتى السقيمة ، مقتبسة من « العصر الحديث» متذاكرة من أحاديث التلاميذ . ولا أستثنى من ذلك سوي نسمات سرت إلى قصتى من سماء الوحى . . . ! إذ حدث أن تحرر ذهنى مرة من صلته بأفكار الناس ، متخذاً سبيله بين آمال الحرية الطليقة ، مما سأذكره مفصلاً فيما بعد !

وشبت الحرب فرحت إلى « ليفربول » وكان أن أحكم على الشرك الذى ظننتنى قد نجوت من أسره ! إذ تزوجت وغدوت ربة بيت لم أكن أرجع عن بعض أعماله إلا وقد أنجزت كل أجزائه ؛ وبقدر بغضى للخدمة أصبحت أكثر أمانة من أية سيدة يمكن كراؤها لذلك . وما كان فى وسعى أن أقرأ أو أكتب فى غرفة غير وثيرة إلى أبعد حد ... ! وقد كتبت النصف الباقى من قصتى فى فترات الراحة التى كنت أخلو فيها من عناء الأعمال المنزلية كالطبخ والغسل وتنظيف الأثاث وغير ذلك . ولم أكن قد أنجزت هذا النصف الباقى حين وضعت طفلى فى منتصف عام ١٩١٥ فى « هوبتى » . وبعد ذلك أهملت القصة على ركن من رف ظلت به خمسة شهور فى برد من الغبار !

وفى ديسمبر عدت ثانية إلى « هوبتى » ومعى طفلى وقصتى التى أقحمتها حقيبة ثيابى فى الدقيقة الأخيرة ساعة الرحيل . إذ خطر لى أننى سأكون فى سعة من الوقت تهيئ لى فرصة الكتابة. وكانت الحرب حينذاك مستأثرة بأصدقائى . . . محيطة كل شىء بالظلال من كل جانب . غير أن ذهنى كان صغيراً جداً وكذلك كانت سنى ، فلم أكن أتطلع إلى المستقبل بغير آمالى وحدها . . .

سرت عدوى « السعال » من شقيقتي إلى طفلي وهو في شهره السادس. غير أن إصابته لم تكن حادة عنيفة. على أنه كان يستيقظ مرات في الليل ليسعل. وذات ليلة كنت راكعة إلى جوار مهده أعنى به وهو نائم، وأتلهى بإضافة شيء إلى قصتي. وكنت ساعتئذ أكثر ما أكون تشتت بال ورهافة سمع. فحدث أن تمثل لي شاب سميته من فوري « بوسكت »؛ بلغ من شدة تصوري وجوده أن حسبته حقيقة ماثلة لا خيالاً طارقاً؛ بل لقد خفت أن يكون من لصوص الليل، غير أني ما لبثت أن هدأت إلى هدوئه، فقد بدا لي — هو نفسه — خائفاً! بوجهه المستدير، وقسماته الغامضة المعقدة. كما تبينت للوهلة الأولى نواحي ضعفه، وغير ذلك من طباعه وعاداته! واتفق أن استيقظ الطفل ليسعل فجأة؛ فأقبلت عليه وما زلت به أطايب خاطره حتى عاوده النوم، ثم رجعت إلى رجل خيالي « بوسكت » الذي لم يكن فارق ذهني بعد ... ! وظللت أستوحيه ما أكتب حتى صرخ الألم في ركبتي وأنا راكعة عليهما؛ وحتى تقاصت عضلات معصمي، وسرى البرد إلى جسدي فاقتادني راغمة إلى الفراش!

ولم أنجز الكتاب كله في ذلك الحين أيضاً ... ولكني أضفت إليه بعض العبارات في أيامي الأخيرة في «هويتبي». وحدث ذات مساء أن أطفئت الأنوار الكهربائية إيذاناً بغارة جوية من مناطيد « زبلن ». فالتمست في الظلام ورقة صغيرة جعلت أكتب عليها قطعة شعرية من القصة — إلى جانب أمي — على ضوء شمعة؛ وحين فرغت من نظمها كانت الأنوار قد عادت. فأخذت أقرأ الشعر لأمي، وأنا شديدة الايمان بأنه شعر رائع، وهي تزعم كذلك أنني شاعرة مطبوعة!.

وفرغت من الكتاب عام ١٩١٦ في « كترنج » ولا أستطيع الآن أن أستدعي الكثير من الذكريات عن ذلك العهد. غير أني كنت ولم أزل قليلة الفراغ كثيرة المتاعب. وعلى أي حال فقد انتهيت من كتابة القصة، ثم وقعتها على آلة كتابية عتيقة بالية، فاستغرق ذلك حيناً ...

وحين رحلت عن « ليفربول » في ربيع ١٩١٧، كان معي الكتاب مكتوباً بأحرف الآلة الكاتبة، بعد أن رفضه أحد الناشرين له «دكورث» وقد أرسلته من «ريدنج» إلى ناشر آخر. ومع أن الكتابة القصصية لم تكن تروق لي كثيراً، فقد لبثت أرتقب ما ذا يقدر لكتابي الأول، الذي هو محاولتي القصصية الأولى! وجه إلى المستر « فيشر آنون » الناشر المعروف — الدعوة للقائه، والحق أنني اضطربت لتلك الدعوة، وتهيبت ذلك اللقاء.

وقبل أن تتم المقابلة آثرت أن أمر بالرجل الذي يقرأ للمستر « آنون » ما يراد نشره، وقد تلطف الرجل في ورق حديثه، ولا أحسبه قد أشار علي بإحراق قصتي! ثم لقيت المستر « آنون » نفسه في غرفة مكتبه الأنيقة. وبعد حديث قصير اقترح علي أن أقدم إليه أعمالي القصصية « الستة » التالية! وما كان لي غير إقرار هذه الصفقة المقترحة من جانب واحد! غير أن فكرة كتابة قصة بعد أخرى — بدأت تفزعني. وحين هممت بالانصراف من حضرته شيعني إلى الباب، كأي جنتلمان مهذب رقيق الحاشية، وفي اللحظة الأخيرة قدم إلي نسخة من قصة « طريق النسر » مصحوبة بقوله « إني أعطيك هذا الكتاب لتقرئيه، ولترى كيف ينبغي أن تكتب القصة »

ومضى هذا الحادث عنيفاً. وتركت القصة في مكان لا أذكره، وافتقدتها فلم أعثر عليها إلا بعد حين، فأرسلتها إلى دار « كونستيبل » للنشر، وكنت في بعض ريف « هامشير » حينذاك.

وتلقيت من « كونستبل » أنهم راضون عن القصة، راغبون في لقاء المؤلفة، بيد أني كنت قد زهدت في هذا اللقاء، بعد ما حدث في لقائي للناشر السابق الذي أراد أن يعطيني درساً في الفن على يدي بعض كتبه! ومن الجهة الأخرى — لم أكن أود إنفاق أجر السكة الحديدية في سفرات لا أريدها! وكذلك كتبت إلى « كونستبل » أستفهم عما إذا كانوا جادين في رغبتهم نشر قصتي؟

وأعتقد أنني سررت حين علمت أن كتابي سيطبع وينشر حقاً! والواقع أني لا أكاد أذكر شيئاً عن ذلك، ولكني أرجح أني تلقيت الأمر في قلة اكتراث. وإن ذاكرتي لتختزن القليل من مشهد جلوسي في غرفة بمنزل « ميخائيل سادلر » في لندن، وإني لأتصور الغرفة الآن وطولها ميل أو أكثر، كما أتصورني وأنا أعبر طولها ذاك حابية على كفي وركبتي!. وبعد أن تناولنا الطعام تناولت قلمي فأجريته فوق بعض عبارات من القصة زعم صاحبنا أنها غير ملائمة. ولقد ساعد على اقتناعي برأيه السيء فيها زهدي في احتراف القصة. كما أنني تركته يستبعد كلمات من العنوان نفسه

وبعد أن تم التعاقد بيني وبين دار « كونستيبل » للنشر بأسابيع فجأتني حاجة عنيفة إلى المال، فكتبت إليهم أطلب نقوداً. في حين أنني لم أكن أعلم ماذا صنعوا بعد إتمام التعاقد؟ غير أنني كنت متأثرة بإحساس باطني جديد يخيل إلي أن تصرفي ذاك لم يكن أكثر من مشاكسة لا بأس بها! ثم إني قلت لنفسي

إنهم قبلوا نشر كتابي ... ولا بد أن يكون شيئاً ما ؟ . ولم يكن يتطرق إلى ذهني أن قبول نشر هذا الكتاب لم يكن أكثر من رغبة من الناشر في مساعدتي ! . .

وإن أي إنسان يتوهم أن الناشرين – عدا واحد أو اثنين – قوم غلاظ القلوب – لخليق أن ينكس رأسه خجلاً ، فقد تلقيت بعد خطابي عشرة جنيهات ، ومعنى ذلك أن دار « كونستيبل » للنشر قد زادت خسارتها مقدار هذه الجنيهات العشرة !!

وظهرت القصة في أوائل عام ١٩١٩ ، وعبثاً أحاول تذكر شعوري في ذلك الحين ، وأنا شابة صغيرة السن خاملة الذكر . وكل ما أذكره أنني لم أصادف في الأيام الأولى بعد ظهورها أحداً من الأصدقاء أستطيع التحدث إليه في شأنها . ولعل هذا لم يكن يعنيني كثيراً . . .

ولم يسرني كثيراً – في جهالتي – أن الصحافة قد احتفت بقصتي الأولى . وهي على أي حال لم تظفر بإطراء مسرف . ولكنها لقيت اهتماماً ملحوظاً . ولقد احتفظت حيناً طويلاً بما كتب بين المدح والقدح ؛ احتفظت بهذه الكتابات أربع سنين أو خمساً ، في حين أنني كنت أحرق كل شيء من الخطابات والصحف وسواها ، وكذلك أصنع الآن ، غير أنه يندر أن أحفل بما تكتبه الصحف عني وعن كتبي . وإن أترك بعد موتي قدراً كبيراً من الأوراق ، فإني أمزق خطاباتي بعد تحرير جوابها إلى أصحابها ، كما أمزق المذكرات التي أضعها لموضوعات كتبي ، وكذلك أصنع بمفكراتي الخاصة . كما أني أميط كل أثر لي عن وجه هذه الأرض التي سوف أرحل عنها جِدّ آسفة ....!!

ومن المحقق أنه يكون من بواعث ارتياحي أن أحرق كل نسخة أعثر بها من قصتي الأولى هذه ، وقد نسيت أن أذكر أن اسمها كان « الوعاء يغلي » . . . ومن دواعي اغتباطي أنني موقنة من أنها لم تكن عملاً أدبياً يستحق أن يباع للقراء ! ومن حسن الحظ أن حقوق الطبع بيدي ، فلن يتاح لهذه القصة أن يعاد طبعها أبداً ... إلا إذا عقدت مسابقة في أردأ القصص ! والحق أنها كانت رديئة إلى حد لا يصدقه إنسان . ولكنها قد لا تكون أردأ ما كتبت أنا ! وإن رداءتها المنقطعة النظير لتثبت أني لم أكن أبداً قصصية موهوبة . ولكن فيها درساً لا ينساه كاتب

مبتدىء لم ينشأ في أسرة يتكنفها جو أدبي. فلم يكن بجواري حين كنت أكتب قصتي الأولى إنسان واحد يحبوني بنصح أو تحذير. كذلك لم يكن لي من ذوق طبيعي في الأدب ، غير أنه كان بي جوع شديد إلى المعرفة ، شجع في أشنع أغلاطي كمؤلفة !..

كان رأسي بمثابة « الخلية » تضم « عسل » الرجال الآخرين. وكانت العلة في ذلك هي تلك البرامج الجامعية التي تنتهي بمثلي إلى نيل درجة علمية في اللغة وآدابها . فلقد لبثت ثلاث سنوات أقرأ وأقرأ وأقرأ ... من غير تمييز ! ومن غير أن أجد جواً صالحاً لكي أنضج بما استوعبت في قراءاتي المتعاقبة . وخلفت الجامعة بذهن تعصف به الأصداء ! من غير أن تهذب ملكة النقد الطبيعية في ذهني . والحقيقة أن كاتباً موهوباً لم يكن ليستطيع أن ينتج بمثل ما قدر لي من سهولة الانتاج ! فإن لي لمقدرة على التفكير المنظم والصبر ؛ ولكنها مقدرة قصيرة النظر ! تذكرني دائماً بحصان ركبته مرة واحدة في حياتي ، إحدى عينيه تالفة ، ويتوهم أنه يستطيع اجتياز أي حاجز !!

وبالرغم من نسياني كل شيء عن قصتي الأولى يخيل إلى أنه كانت تبدو فيها مهارة فنية خشنة غير صقيلة ؛ كانت لي في تلك الأيام ولم يتناولها أحد من الناشرين أو الصحافيين بحسبان أنها كتاب «شاب» ناشيء ، مما يجعلني أعتقد أنها كانت عملا ضئيلا جدا ، لا يمكن أن يجد مثله اليوم سبيلاً إلى النشر . ولو أن ناشراً أخرجه للناس لما لقي شيئاً من عناية النقد ولا التفات الصحافة

على أن الكاتب المبتدىء الآن قد أصبح عليه أن يقتحم ميداناً شديد الزحام ؛ يكون حسن الحظ لو لم يختنق فيه بعد بضع دقائق !. فإذا وفق إلى استرعاء الأنظار كان خليقاً أن يأمل في نقد ينتفع ببعضه . وهذا الزحام الشديد لا يمكن أن ينكره كاتب ناشيء قليل الأنصار . وإن خير آماله ليجب أن ينعقد بعقد صداقات نافعة في الجو الأدبي بأسرع ما يستطيع . فمثل هذه الصداقات خليق أن ينقذه من إضاعة وقته سدى مشتغلا بكتابة قصة لا يبلغ من أمرها أكثر من أن يسمع لأجلها بضع كلمات تافهة تلقى بعدها وهي ترسب آخر الأمر . ومتى علم ذلك الكاتب الناشيء كان جديراً ألا يرفض المشورة بعقد مثل هذه الصداقات محتجاً أن فيها تجنياً على روحه الفني ووقته . وعليه أن يذكر

دائماً أنه ينبغى له اختيار أخف الضررين ... ! ولقد أصبح رزق مثله فى ذلك الميدان وكثير غيره، أعسر مما أتيح لى منذ عشرين سنة. فإن كسب المال غدا أقل يسراً مما كان عليه فى ذلك الحين.

ومع هذا فماذا ربحت؟ عشرة جنيهات فى مقابل عمل ثلاث سنين!

بل إن هذا المبلغ لم أكسبه بالطريق العادي فى الواقع ...

وإني لآسفة حتى الآن على أنى لم أحترف التدريس!

ستورم جيمس

شجـــرة الذكرى

للأستاذ محمود الخفيف

وَيْحَ مَن شَجَّت بداه الشجَرَه ... وطوت أغْصَانَها المزدَهِرَه

ويح من أهْوَى بفَأْسٍ لا تنى ... تَركتْ أشلاءها منتثِرَه

قَطَعَتْهَا سَرْحةً طَيِّبَةً ... تَبْسُطُ الظلَّ وتؤتى الثمَرَه

* * *

جِئتُ والصيفُ على أهبته ... ويَدُ الدُّنيا تُعَفِّى أثَرَه

والخريفُ السَّمْحُ فى أعقابه ... يَتَقَصَّى فى هُدُوء خَبَرَه

يَسْأَلُ القَرْيَةَ عما ادَّخرَت ... لليالى المُرَّةِ المُعتَكِرَه

لا يَرَى غَيْرَ فُتورٍ سَابِغٍ ... فى نواحِيها وصَمْتٍ حَيِّرَه

أتُراها لَمَحَتْ فِى بُرْدِهِ ... شَبَحًا لِلْكُدْرَةِ المُنتظَرَه؟

أم تُرَى أذهَلَهَا ما مَسَّها ... من لظًى كانَتْ بها مُسْتعِرَه؟

* * *

جِئتُ كالحاجِّ وفى مُهْجَتِهِ ... فَرْحَةُ الناسِكِ يقضِى وَطَرَه

طُفْتُ بالقرية من أركانها ... كل حُسْنٍ أَتَمَلَّى صُوَرَه

أتقَرَّى أينما سِرْتُ يَدَ الدَّهْـ ... ـرِ وأحصى من قَرِيبٍ غِيَرَه

كُلَّمَا أبصَرَ طَرْفِى لِلبِلَى ... أثَرًا دبَّ إِلَيْهَا كَدَرَه

وإذا أبصَرَ فِيهَا طَارِفًا ... زادهُ العَيْشُ عليها أنكَرَه!

كُلُّ مَا غَـيَّرَ من صُورَتِهَا ... كَمْ تَمَنَّى عِندَهُ لو لم يَرَه!

* * *

مِلْتُ لِلبُسْتَانِ فى أطرافها ... مَلْعَبٌ ما كان أحلى مَنظرَه

فتوَقَّفتُ لَدى مَدْخَلِهِ ... وتَلَفَّتُّ أُرِيدُ الشَّجَرَه

لم أجِدْ غيْرَ فَضَاء بَلقَعٍ ... وَبَقَايَا أغصُنٍ مُنتَثِرَه

شَدَّ ما أوْجَعَ نَفسِى أن أرى ... ذلك المنظرَ أو أن أذكُرَه

مَنظَرٌ يَعرِف ما يَبْعَثُهُ ... من أسًى كُلُّ فؤادٍ خَبَرَه

طاف بالبستان مِنهُ وَحْشَةٌ ... فتَرَى الدَّوْحَ عَلَيها غَبَرَه

وترى الأطْيَارَ فى أنحائه ... سَاهِمَاتٍ ساءها ما غَيَّرَه!

* * *

سَرْحَةٌ كُنَّا نرى أيَّامَنَا ... من جديدٍ عندها مُخْضَوْضِرَه

ولقد كنتُ إذا ما جِئْتُهَا ... عَادَ مِن عُمْرِىَ سِنُّ العَشَرَه

رُحتُ ألْقَانِى لديها نَاشِئاً ... لا يرى فى العيشِ إلا زَهَرَه

يَعشِقُ الرِّيفَ ويهوِى شَمْسَه ... ويُنَاجِى فى اللَّيَالِى قَمَرَه

إبن عشر تضحك الدنيا له ... ليتـه لم يتجاوَز صِغَرَه

* * *

هذه الدوحة كانت مُلتَقًى ... ومَقِيلاً للصحاب البَرَرَه

كم جَعَلْنَا عندها موعِدَنا ... وزمانُ اللهو يُزْجِى زُمَرَه

فَنَهَلْنَا الوُدَّ عَذْبًا صافيًا ... لم يَشُبْهُ عَنَتٌ أو أثَرَه

زَمَنٌ قد أدبَرَت أنعُمُهُ ... هذه السَّرْحَةُ كانت مَظهَرَه

لمسَتْ كَفِّى جنانى عندها ... وتَبَدَّت مُقْلَتِى مُستَعْبِرَه

وَلَحَانِى صَاحِبِى مُسْتَنكِرًا ... وفؤادى مُنكِرٌ أن يَزْجُرَه!

* * *

كُلُّ مَوْتٍ يتراءى لبنى المو ... ت ترى الأعْيُنُ فِيهِ نُذُرَه

تَلمَحُ الأنفسُ فى غُمَّتِـهِ ... يَدَهُ العَابِثَةَ المُقتَدِرَه

والذى تألَفُهُ نَفسُ الفتى ... يَحْسَبُ النَّاقِصَ فِيهِ عُمُرَه

محمود الخفيف

من وحي العبر

آخر الأناشيد

للأستاذ أحمد فتحي

طابَ لِي الزُّهْدُ فابخلي أو فجودي
لا أبالي بالوصل أو بالصدود

قد تبرأتُ من حماقة عمرٍ ... ضاع بين السقام والتسهيد
وأست جرحي الليالي وأضحيـ ـتُ – كما تبصرين – جدَّ سعيد
ضاحكاً للحياة، أهزأ بالأحـ ـزانِ، في عزمةٍ، وبأسٍ شديد
ناعمَ البالِ، راضياً بخلاصي من فتون الهوى وأسر القيود
أتغنى كالطير، أملأ دنيا يَ بألحان صادحٍ غرِّيدِ!

ليس بالطارقي خيالك إن أغـ
ـفيتُ يقصي عن ناظريَّ هجودي
لا، ولا عائدي من الشوق طيفٌ يلهب الحبَّ في فؤادي العميد!
قد مضى الحبُّ؛ وانطلقت من الأسـ
ـرِ لظلِّ الطلاقة الممدودِ!
دونيَ الراحةُ التي كنت أرجو نعمٌ من راحةٍ؛ وعيشٌ رغيد
يا فتاتي: لقد صحا بعد ما أسـ ـقيته من سلافة العنقود
ذلك القلب؛ لم يعد لك سلطا نٌ عليه، فلتبخلي، أو فجودي!
أنصتي، لو وعيت رجع نشيدي أنا شاديك في غداة العيد
لا تشيحي عني بوجهك حتى تأخذي من فمي حديث الخلود
الأماني ... أحيـ(ـيـ)ـها في بياني والتحايا أرقُّها تغريدي!
وأنا الكافل الخلودَ لحسنٍ عبقريٍّ من مقلتين وجيد
ربما رجَّع الزمانُ قوافيَّ م وأصغت آذانه لنشيدي!

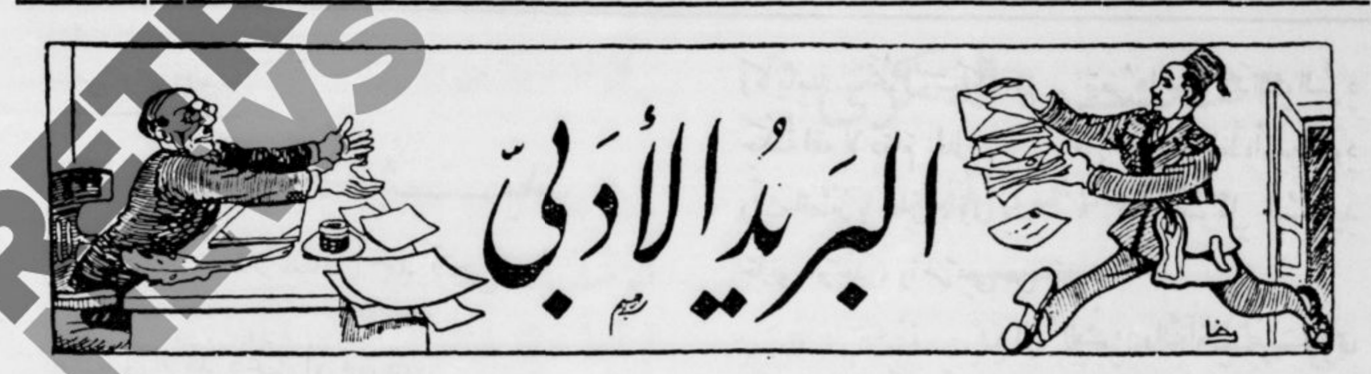
أنا شاديك في غداة العيد
فاسمعي حكمة الجوى واستعيدي
أنت أطفأت جذوة الحبِّ إذ أحـ ـببتِ تذكين نارها بالصدود
لا يرُعكِ التجنب مني ... والقِلى بعد فرط شوقٍ أكيد
غايةُ الشوقِ سلوةٌ واصطبارٌ وكذا النارُ أمرُها للخمود
وكأيامنا ... تحول وشيكاً ... بيضُها تيك بعد تلك السود
حكمة الله لا دوامَ لحالٍ ... من نحوسٍ في الحظ، أو من سعود
ولكِ الصبر يا فتاتي، ولي منـ ـهُ كفاء المؤمل المستزيد
جانبي الوجدَ، وامرحي من جديد
وإلى البشر والتفاؤل عودي
وابسمي يبتسم لك الزمن الجهـ ـمُ، ويغشى الحبور وجه الوجود
واغنمي صفوه وقد جاء يسعى عيدُ آمالك الحسان، وعيدي
وانشدي في الأنام «قيساً» جديداً
علَّ أن تبعثي الهوى من جديد
ما تزالين من شبابك في غضـ ـمِ ربيعٍ، يحكيه عمر الورود
لا تضيعيه في ابتئاسٍ ووجدٍ آفة الحسن لوعة التنكيد
أو تبالي هوايَ حين تقضّى فهواكِ الخليق بالتجديد!
يا ليالي غرامها: لا تعودي!
قد حنى الدهر بالتجاريب عودي
لا رعى الله من زمانٍ تقضى في كذاب المنى وخُلف الوعود
قد أقرَّ السلوُّ عينيَّ وأراحَ فؤادَ المعذب المعمود
فيم أذوي الشباب بالدمع والسهـ
ـدِ وأرضى في الحب طول الجحود؟
إنما الحسن فتنة تتبدى تخلس اللبَّ من حكيمٍ رشيد
وضلال الهوى اضطرابٌ من الفطـ ـنةِ بين الترغيب والتزهيد
وسموُّ الأرواح فضلٌ من اللـ ـهِ ووحيٌ من العزيز الحميد!
حبذا العمر في زهادة نفسٍ عزفت بي عن كل حسناء رُودِ!

احمد فتحى

مصرع قصيدة ... !

للأستاذ سيد قطب

أحسست مصرعها بنفسي بين التأوه والتأسي
وسمعت حشرجة الجريح تئن في أطواء حسي
هي من بنات الشعر لم تولد، ولم توأد لوكس!



المركزية في التأليف

فى الجامعة وفى وزارة المعارف (شركات) للتأليف ، تفرض مؤلفاتها فرضاً على الوزارة وعلى المدارس وعلى التلاميذ . وهذه الشركات قد بلغت من السلطان والثقة بالنفس والحرص على الغلبة بحيث صارت مناهج التعليم موكولة إليها تغير فيها وتبدل ، وتمحو وتثبت ، وتنقض وتبرم ، وبحيث قد أغراها ما أغرى على أن تتعارك وتتصارع وتتوسل بوسائلها لتضمن كل (شركة) لنفسها الغلبة على ما دونها من شركات التأليف والاحتكار ؟

وأولى هذه الشركات هى شركة الجامعة ؛ وثمة شركتان أخريان فى مكتب تفتيش اللغة العربية فى وزارة المعارف . وقد بلغ من تنافس هذه الشركات فى التأليف ما نسجل مظاهره فيما يأتى :

١ — وضعت لجنة تيسير قواعد اللغة العربية — وأعضاؤها من شركة الجامعة للنشر والتأليف ، منهجاً جديداً للبلاغة في السنة التوجيهية ، يقوم على أسس وأصول لا نعرفها من قواعد البلاغة . وإذا كان هذا المنهج جديداً في موضوعه على التلاميذ وعلى المعلمين جميعاً ، كان لا بد من كتاب ولا بد من مؤلِّف ... ونشطت (شركة الجامعة) لمهمتها ؛ ولكن نبأ جاءها أن إحدى الشركتين فى مكتب التفتيش تعمل ناشطة لاخراج الكتاب المرجو في وقت قريب لا تستطيع لجنة الجامعة أن تسبق إليه ؛ ولكن حرص الجامعة على أن يكون كتابها أسبق ظهوراً ، قد ألهم أساتذة الجامعة خطة ، فأصدروا قرارهم بوقف العمل بهذا المنهج حتى تفرغ الجامعة من إصدار كتابها . ومضى شهران من السنة الدراسية قبل أن يعلم التلاميذ والمعلمون فى السنة التوجيهية أن المنهج الذى أعدوا له ودرسوا منه قدراً ما قد وقف العمل به ..

٢ — وللسنة التوجيهية منهج فى الأدب وضعته كلية الآداب ، وألف له فيمن ألف اثنان من خيرة المعلمين فى وزارة المعارف . وراج كتابهما منذ العام الماضى رواجاً أغرى إحدي الشركتين فىمكتب التفتيش على مشاركتهما فى ثمراته ؛ فصدرت منه الطبعة الثانية منذ قريب وعلى غلافها اسم صاحب العزة المفتش الأول إلى أسماء كثيرة منها المؤلف ومنها صاحب التوقيع ...

وكانت شركة الجامعة تعمل عملها لاصدار كتاب فى الأدب التوجيهى حين جاءها النبأ بصدد كتاب المفتش الأول وزملائه ، فسعى ساعيها إلى وزارة المعارف يستعديها على (شركة مكتب التفتيش) . وفى اليوم التالي كان كتاب سرى من وزارة المعارف على مكاتب نظار المدارس جميعاً يمنعهم استعمال كتاب المفتش الأول ويتوعدهم بأقصى العقاب !

جاشت لفاتنة على الشطآ ن ذات رضا وأنس
نضجت محاسنها كما نضجت قطوفُ جَنًى بغرس
وحسبتها صينت على الـ أنظار من قطف ومس
فهممت أدعوها دعا ء الفن فى خطرات همس
شعرًا يسجل حسنها للكون فى أحناء طرس
وإذا الأيادى القاطفا ت تجول فى عبث وبخس!
يا ويل قطاف الجما ل بغير ما ورع ونطس
بيننا تحوم عليه فى تقوى كما ترنو لقدس !

***

وإذا التى جاشت بنفسى تثوى مضرجة بحسى !

« حلوان » سيد قطب

واحتج التلاميذ، واحتج المعلمون؛ وحق لهم أن يحتجوا ما داموا لا يجدون أمامهم كتاباً في منهج الأدب التوجيهي غير الكتاب الذي يحمل اسم المفتش الأول . ولكن شركة الجامعة التي تحرص على الغلبة في هذا التنافس العجيب قد التمست لذلك وسيلة قريبة، فأشارت بأن يوزع كل ما طبع من كتابها على التلاميذ قبل تمامه ملزمة ملزمة، وحسب المطبعة أن تسبق التلاميذ بدرس واحد ما دام هذا يحقق الغاية ويفوت على شركة مكتب التفتيش حق الانتفاع بالكتاب الذي ظنت بإصداره أنها ستستأثر بالسوق ..

هذان مثلان حسبنا أن نذكرهما باختصار وبلا تعليق؛ ولا نظن الفضوليين بعد ذلك يلحون في السؤال : لماذا تتغير مناهج التعليم بين عام وعام قبل أن تظهر ثمرة التجربة في منهج من هذه المناهج؟ فعل لهم في هذين المثلين جواباً لما يسألون!

(م . ١)

اللغة العربية في مدارس إيطاليا

أبدت الحكومة الإيطالية أخيراً رغبتها في إدخال اللغة العربية بين برامج التدريس في معاهدها بإيطاليا، فاتصلت ببعض الجهات الرسمية في مصر وطلبت إليها إمدادها بالمدرسين الفنيين وموافاتها بالمنهج الذي تقترحه . وقد أبدت هذه الجهات رغبتها في إجابة هذا الطلب، غير أنها ترى إرجاء ذلك إلى العام المقبل، نظرا إلى ابتداء العام الدراسي الحالي في مصر

ويؤخذ من البيانات الخاصة بهذا الموضوع أن الحكومة الإيطالية شرعت في تدريس اللغة العربية في مدارسها تحت إشراف بعض المستشرقين الإيطاليين . وقد طلبت إلى الحكومة المصرية، في الوقت نفسه، تقوية التعاون الثقافي بين البلدين واقترحت لذلك أن توفد أستاذا ليقوم بتدريس اللغة الإيطالية في كلية الآداب المصرية على أن يتقاضى مرتبه من حكومة بلاده، غير أن جامعة فؤاد الأول أبدت للحكومة الإيطالية شكرها على ذلك، معتذرة من عدم إمكانها إجابة هذه الرغبة، في الوقت الحاضر، لأن اللغة الإيطالية غير مقررة في مناهج الدراسة بكلية الآداب، ولأن أمر تقرير دراستها يرجع إلى مجلسي الكلية والجامعة . ثم ذكرت أنها ستعرض الموضوع على هذين المجلسين لاتخاذ قرار فيه .

الثقافة في خدمة السياسة

نشرت الصحف خبراً قد يبدو بريئاً في مظهره، ولكنه يحمل بين سطوره نتائج سياسية خطيرة . ذاك هو الخبر الخاص بالجهود التي أخذت تبذلها إيطاليا في سبيل توثيق العلاقات الثقافية بين مصر وإيطاليا خصوصاً في ميدان التعليم ..

وبديهي أننا نتمنى مخلصين إيجاد تعاون فكري وثيق بين جميع بلاد العالم . فمثل هذا العمل إذا تم بين الأمم، سيساعد بلا شك على إزالة أسباب الخلاف وسوء التفاهم التي أحدثت وهناً ظاهراً في الروابط التي تربط بلاد العالم بعضها ببعض . ولكن فيما يختص بإيطاليا، لا يسعنا إلا أن نحترس ونتحفظ . ومما يبرر موقف التحفظ الذي نقفه أن كل ما يحدث في إيطاليا من الأمور خاضع للسياسة، حتى العلم والأدب . والمعروف أن السياسة الإيطالية ترمي إلى غزو الشرق وإعادة الأمبراطورية الرومانية، بعد إخضاع الشعوب الشرقية واستعبادها . وما اقتراح إيطاليا إرسال مدرسين لتعليم اللغة الإيطالية في المدارس المصرية على حسابها الخاص، إلا مظهر من مظاهر هذه السياسة ووسيلة من شتى الوسائل التي تستخدمها الدعاية الإيطالية لتمهيد الطريق أمام السياسة الفاشية .

لقد ازدادت الأمور تحرجاً منذ قررت الحكومة الإيطالية تحويل لوبيا إلى ولاية إيطالية بحتة، وطرد أهلها العرب إلى قفار الصحراء، ليحل محلهم خمسة ملايين من الإيطاليين . وما هذه الاقتراحات الإيطالية الخاصة بالثقافة. إلا وسيلة لتخفيف وطأة الأثر السيء الذي أحدثته في نفوسنا مطامع إيطاليا في الشرق

مبادلات ثقافية! فليكن . ولكننا لا نسمح بحال أن تكون تلك المبادلات الثقافية شركاً للمطامع السياسية

(ع . ن)

دار العلوم وكلية اللغة العربية

نشرت الرسالة (العدد ٢٨١) فى البريد الأدبى كلمة بهذا العنوان تضمنت استنكار الخصومة بين المعهدين من أجل مناصب التدريس فى المدارس ، والاشارة بأن تسوى الحكومة بين خريجى المعهدين فى هذه الوظائف . والواقع أن دار العلوم فى مستقرها الطبيعى ، ومحاولة المنافسة آتية من جهة الأزهر ، فليس من الحق أن يطالب الأزهريون بالتدريس فى المدارس ، فى حين لم يطلب أبناء دار العلوم بوظائف التدريس فى الأزهر . وليس من المساواة الحقيقية أن يعين الأزهريون فى وظائف التدريس بالمدارس دون أن يعين أبناء دار العلوم فى وظائف التدريس بالأزهر. هذا إلى أن الأزهر يولى بعض المدرسين من غير علمائه مهمة تدريس العلوم الحديثة بمعاهده ويهمل أبناء دار العلوم وهم أجدر بها

على أن دار العلوم فى عهدها الجديد تتفرد من بين جميع معاهد التعليم بدراسة اللغات الأجنبية والسامية وآدابها ، إلى جانب الدراسة المستفيضة للغة العربية وأدبها، وهذه الدراسة لها أثرها فى خدمة العربية وإسباغ الجدة عليها وتجلية آدابها وتبرئتها من الجمود

وعلى أن دار العلوم أحد معهدى التربية اللذين تنظمهما وزارة المعارف لاعداد المعلم الفنى وتبذل الأموال والجهود لتوفير أساليب التربية الحديثة فيهما ، وجعلهما البيئة الصالحة لاعداد المعلم الذى تتطلبه حاجة الأمة فى نهضتها التربوية . فأن تجاوز الوزارة المعلم الذى تنشئه على عينها وتمده لمهمة خاصة إلى غيره ليس من حسن تصريف الأمور وإقرارها فى قرارها . ووزارة المعارف اليوم جادة فى وضع الأسس الثابتة للتعليم ، وقد بدأت هذه الأسس بتنظيم دار العلوم ومعهد التربية. إذ عليهما يقوم كل بناء فى التعليم (ع . ح . خ)

البحوث العلمية فى البحر الأبيض المتوسط

عقدت اللجنة الدولية للبحوث العلمية فى البحر الأبيض المتوسط اجتماعها السنوى فى باريس ثم أنجزت أعمالها فى اجتماع ثان عقدته فى موناكو برياسة الدكتور جول ريشار مدير متحف الابحاث المائية فى موناكو

وبعد أن تناول الأعضاء بعض المسائل الادارية انتقلوا إلى البحث العلمى فعالجوا مسألة بعض أنواع السمك وتوحيد المناهج لتحليل مياه البحر الأبيض المتوسط والقواعد العلمية لصناعة المأكولات المحفوظة فى ذلك البحر

وقدم رئيس كل وفد بياناً عن الأعمال التى تمت فى بلاده فتكلم الدكتور حسين فوزى مندوب مصر فقال إن المصلحة التى يديرها والتى تبحث فى هذا العلم فى مصر قد أطلق عليها بأمر جلالة الملك فاروق الأول اسم « معهد فؤاد الأول للأحياء المائية وصيد الأسماك » تخليداً لذكرى الراحل العظيم مؤسسها . وقد بسط الدكتور فوزى ما كان من تشجيع جلالة خليفته لهذا المعهد

واقترح الدكتور فوزي وضع الباخرة « مباحث » تحت تصرف البعثة التى ستوفدها اللجنة للقيام ببعض الابحاث فى شرق حوض البحر الأبيض المتوسط وذلك بجميع ضباطها وبحارتها مع اثنين من الاختصاصيين المصريين ، وقد تقرر أن تتولى مصر مفاوضة الدول الأخرى التى تريد الاشتراك فى هذه البعثة وذلك قبل الانعقاد القادم للجمعية العمومية للجنة فى مدينة البندقية

مسابقة التأليف

كانت وزارة المعارف قد أعلنت عن مسابقات فى مختلف العلوم والفنون والآداب ، ابتغاء حث رجال التعليم على البحث والدرس والتأليف

وقد بدأت الوزارة تتلقى رسالات فى هذا المضمار

وستبدأ الوزارة فى الشهر القادم فى تأليف لجان التحكيم لفحص هذه الرسائل توطئة لاعلان النتيجة

جيروم تارو فى الأكاديمية الفرنسية

انتخب المسيو جيروم تارو عضواً فى الأكاديمية الفرنسية فى الدور الأول بأكثرية ١٩ صوتاً ضد ١١ صوتاً نالها المسيو فرنان جريج . وكانت إحدى أوراق الاقتراع بيضاء

وقد ولد جيروم تارو فى ١١ مايو ١٨٧٤ فى سان جونيان بمقاطعة « فسيين العليا » . وقد كان مديراً لجامعة بودابست ثم انقطع إلى الكتابة والتأليف بالاشتراك مع شقيقه جان تارو . ونال الشقيقان جائزة جونكور سنة ١٩٠٦ لكتابهما « دنجلاى كاتب شهير » . وقاما برحلات كثيرة خصصا لها كثيراً من مؤلفاتهما ومنها : « فى بريطانيا » ، « فى فلسطين » ، « مراكش أو سادة الأطلس » ، « رباط أو الساعات المراكشية » . وقد نال جيروم وجان تارو سنة ١٩١٩ الجائزة الكبرى للآداب



عبقرية الشريف الرضى

تأليف الدكتور زكى مبارك

بقلم الأديب حسن حبشى

الدكتور مبارك من أكثر أدبائنا إنتاجا . لا يكاد يضع القلم من كتاب حتى يتهيأ لتأليف آخر . وهذه ناحية من النشاط محمودة . وإنه ليخيل لقارئ كتب الدكتور زكى أنه يضن بما يضطرم فى نفسه من خواطر ، وما يجول فى ذهنه من أفكار وآراء ألاّ يسجلها فى مؤلفات يطالعها الناس ، ومن هنا كانت كثرة ما كتب ، وقد اعترف هو نفسه بذلك فى مؤلفه هذا (ج ٢ ص١٩٧) فى الفصل الذى عقده عن حجازيات الشريف

وكتاب (عبقرية الشريف الرضي) والتصوف الاسلامى آخر مطبوعات الدكتور وليسا آخر مؤلفاته ، وأحسب أن لن يكون ثم كتاب أخير له حتى لايكون فى الوجود زكى مبارك

والمترجم له من فطاحل شعراء العربية، وهو مغمور إن قيس بأنداده الذين ذهبوا بالذكر والشهرة ، أما الرضى فلم يظفر إلا بضعة أسطر أو صفحات مبعثرة فى ثنايا الكتب الأدبية ، وببعض مقالات نشرت هنا وهناك ، وذلك على الرغم من الدور العظيم الذى مثله على مسرح السياسة والأدب فى عصره

تناول الدكتور زكى فى هذا السفر صاحبه الرضى من نواح عدة، إلا فى السياسة فقد مرّ عليها سريعاً، كما ألم ببعض مواقف الشريف وحوادثه، غير أنه كان يعرض أحيانا للرواية دون بحث أو نقد، وقد يكون ظاهرا فيها الوضع . أوَ ماترى ذلك فيما نقله عن صاحب التبيان (ج ١ ص ٢٧٨) من أن المرتضى نظم ذات يوم أبياتا فوقف به بحر الشعر ، فأشار على من يحملها إلى الرضى ليتمها فأتمها بقوله:

فردّتْ جوابا والدموع بوادِرٌ وقد آن للشمل المشتّ ورودُ

فهيهات من ذكرى حبيب تعرّضت لنا دون لقياهُ مَهامِهُ بيدُ

قال أبو الحسن النحوى : « فأتيت بها المرتضى ، فلما قرأها ضرب بعمامته الأرض وبكى وقال : يعزّ علىّ أخى يقتله الفهم بعد أسبوع » فما جاء الأسبوع إلا وجاء نعى الرضى . هذا ما نقله صاحب التبيان ، وجاء به صاحب العبقرية ، فانظر ماذا كان تعليقه ونقده عليها . قال : « ... وهذه نادرة يستبعدها الناس ، ولكنها طريفة ، إذ تجمل موت الشريف بالشعر شبيها بحال من يخنقه أرج الأزهار فيموت » أما كاتب هذا المقال فلا يرى فيما نقله الدكتور عن صاحب التبيان إلا قصة ظاهراً فيها الوضع ، وأية دلالة على موت الشريف قد اشتمل عليها البيتان السابقان ؟ ثم أين نقد الدكتور لهذا الوضع الظاهر ؟ أشهد لقد غلب خيال الشاعر على موقف الناقد فى تعقيب المؤلف . فان فى تعليق الأستاذ مبارك بهذه العبارة السابقة روحا من الشعر ، وعبيقا من الفن الأدبى

ألمّ الدكتور زكى بنواح عدة من الشريف الشاعر، وأحسب أن مقاله عن الجندى المجهول الذى استهل به كتابه ، إنما هو من المقالات التى تظهر فيها شخصية الرجل الذى يقدر كل التقدير منزلة الشريف، فهى رثاء للعبقرية الموءودة فى كل زمان، ونفحة من نفحات الاجلال للنبوغ المقتول، وللذكاء المحكوم عليه بالأهمال فى الشرق.

أفرد المؤلف فصلا عن (أسرار العلائق بين الرضى والصابى) مع ما بين الاثنين من اختلاف فى العقيدة ، وقد صور المؤلف فى مستهله قوة الصلة التى كانت تجمع بين أبى إسحق الصابى وأبى أحمد الموسوي والد الشريف ، ويعرض لأثر الكتاب فى هذا العصر (ص ٤٩ ج ٢) ، وإلى الألفة والتوافق فى المذاهب الأدبية ، وهـذا من الفصول القوية التحرير ، القوية العرض ، الدقيقة البحث فى هذا الكتاب ، وحجة الدكتور فى هذه الصداقة التى تجمع بين الاثنين أن الصابى كان يحبب للشريف أن يطلب الخلافة الاسلامية لنفسه ، وكان الشريف شاباً والشبان «يحبون أن يصلوا إلى قمم المجد فى يوم وليلة ، ويحنون عمن يزكيهم ويؤيدهم ويدعى لهم التفوق ، وقد تلفت الشريف وهو طفل فرأى شخصاً جليلاً يتنبأ له بمستقبل جليل فأحبه كل الحب » وفى هذا



الفرقة القومية

«مجنون ليلى» المدير ولجنة القراءة

لا مرية في أن لعزة النفس، وحب المجد، والأطماع الذاتية أثراً جليلا في حياة الرجل؛ ولا ريب في أن نصف العبقرية، هو الصبر يكلل هامة الرجل العامل الدءوب بإكليل الظفر. فنحن إن كنا لا نغالط ولا نتهاون في تسمية أعمال مدير الفرقة بأسماء لا تقبل أكثر من معنى واحد، فلأننا نرمي إلى دغدغة عزة نفسه وتشبثه بالمجد الذي يطمع أن يختتم فيه سفر حياته في الفرقة القومية، وإلى مداعبة صبره الدال على نصف عبقرية — كما يقولون — لم نر بعضها في أعماله بهذه المؤسسة الأدبية، نفعل ذلك لنستثير كوامن النخوة فيه فتدفعه — برغم شيخوخته — إلى العمل الكامل الذي يرضي النفس الأدبية ويغذي الروح الأدبي العام. ولهذا نعد اختيار رواية «مجنون ليلى» وتمثيلها على مسرح الأوبرا مأثرة طيبة نذكرها لحضرة المدير بالخير الكثير، على رغم أن له في هذه الرواية رأياً خاصاً كان ينفثه في المجتمعات الأدبية والأرستقراطية، فيقول فيها إنها مجموعة أناشيد تختلف بالأوزان والقوافي، وإن الحوار فيها هزيل سقيم، وإن الباعث على تأليفها نزوة قامت في رأس شوقي بك في أيامه

الفصل بالذات إيماءات خفيفة للنوازع والحوافز السياسية التي كانت سائدة في ذلك العصر. ولكم كنت أحب أن يعقد المؤلف فصلا أو فصلين يتناول فيهما الشريف الشيعي، وما هما بالكثير على شاعر اختلف المؤرخون — العرب والأوربيون على السواء — في مسألة تشيعه، ثم هي تتصل اتصالا وثيقاً بالحركة السياسية في عصره، وتصور ميل الشريف للفاطميين في مصر بقوله:

أحمل الضيم في بلاد الأعادي ... وبمصر الخليفة العلوي
من أبوه أبي، ومولاه مولا ... ي إذا ضامني البعيد القصي
لف عرقي بعرقه سيدا النا ... س جميعاً: محمدٌ وعليٌّ

لقد جاءت هذه الأبيات عفواً في كتاب (عبقرية الشريف) وكان الأمثل أن يتناول المؤلف مسألة تشيع الرضي، وقد عدها الكثيرون) ومنهم ابن الأثير في الكامل (ص ٨ ج ٨)، والمقريزي في اتعاظ الحنفا (ص ١٥) اعترافاً صريحاً من الشريف الرضي بصحة نسب الفاطميين إلى علي بن أبي طالب.

وفي كتاب الشريف مقدمة، وللمقدمات عندي أهمية قصوى فهي عرض موجز للكتاب، ولربما كانت المقدمات في بعض الكتب كتباً بذاتها لها قيمتها الأدبية والفنية والنقدية، كهذه التي يكتبها برنارد شو وألدوس هكسلي وغيرهما. أما مقدمة كتاب اليوم فهي إشادة بالكتاب والكاتب، وإن كانا في غير حاجة إلى ذلك، إذ أن المؤلف عد الرضي أعظم شاعر عرفته العربية لأنه كتب عنه، ولا يدانيه في مرتبته المتنبي الذي يرى الدكتور زكي أنه سيكون أعظم شاعر — هو الآخر — يوم أن يكتب هو عنه

وإني لأسأل الدكتور ماذا يكون موقفه إن هو أبصر هذه المقدمة في كتاب لشاب؟ أكبر الظن أنه كان يتناوله بسيف المحارب ومبضع الجراح

هذه أوجه النقد في كتاب (الشريف الرضي) الذي ألفه الدكتور وطلع به على أهل العراق في محاضرات سمعوها ثم قرأها من بعدهم الناطقون بالضاد في كل صقع وناد

وأسلوب صديقنا الدكتور أسلوب عربي قوي، لا عوج فيه ولا التواء، ينساب في كثير من المواضع كالجدول الصافي، كما أن مطالع جزءيه هذين يندر ألا يقع على تعابير ذاتية مبتكرة، فليقرأ الأدباء كتابه على أنه سفر بحث ونقد وأدب

محسن مبشي

الأخيرة لتأليف الروايات الشعرية البعيدة عن بساطة الطبيعة أو شيء من هذا المعنى . فاغضاء المدير عن رأيه وتنازله عن النقد الفني لروح الرواية ومبناها ، وسعيه إلى إبرازها على المسرح بعد إدخال بعض محسنات زخرفية عليها بالانشاد ، وإظهار جهود الفرقة بالاخراج البديع والأضواء المتناسقة ، قد أفاء على الرواية ظلا فنياً بارعاً لا أحسبه خالصاً لوجه الفن والأدب؛ وأكاد أسمع وسوسة شيطانى تقرر أسباباً نفسية خاصة بحضرة المدير وهي :

أولاً : الافلاس الأدبي . وثانيا : الكسل العبقرى . وثالثاً : حب الوقوع تحت تأثير أدبي ومعنوى إرضاء لطبيعة الشعراء فى الوحى والالهام ؟ !

ولما كان تبيان ذلك قد يستغرق منا صفحة قد يكون فى كتابتها الآن ما يقطع سلسلة الكلام عن إظهار علل انحطاط الفرقة وتدهورها ، فانا نرجىء هـذا الايضاح إلى ما بعـد . أما الآن فلا ينبغى أن يفوتنا أن نهنئ الممثل احمد علام الذى استطاع بلباقة و كياسة أن يبعث هذه الرواية من مرقدها ، وأن يجيد إجادة موفقة تقمص روح المجنون إلى حد حسبناه قد مسّه طيفُ جنةٍ مثله ، كما نمتدح اقتـدار الممثل الألمعى عباس فارس على إيفاء كل دور يمثله حقه الأكمل ، وأن نطمئن حضرة مدير الفرقة بأن رواية المجنون خـير رواية تدر الجنيهات لا القروش تترع خزانة الفرقة وتغمرها بالربح

***

حصرت ، فى مقال سابق ، علة انحطاط الفرقة وتدهورها فى مديرها الفاضل نفسه لاعتقاده أن ليس فى الأمة المصرية من هو أصلح منه لادارتها ، واستنتجت من هذا الزعم أن لا وسيلة فى صلاح يرجى من رجل محدود العقيدة ، وتعمدت تجاهل علة مستوطنة مستعصية فى لجنة القراءة إلى حين . وهأنذا أقول إن علة هـذه اللجنة هى من ذات نوع علة المدير ، أو هى جرثومة واحدة تقسمها قسمة عادلة خمسة أشياخ اكليريكيين ذهناً وعقلاً، لم يدخل « بعضهم » مسرحاً ولم ير تمثيلا أو داراً للسينما إلا فى القليل النادر

أردت استطلاع آراء هؤلاء السادة الأجلاء واحداً بعد واحد فأجاب الأول على سؤالى قائلا مانصه: «مهمة اللجنة تنحصر فى قراءة الروايات التى تقدمها الفرقة ، وإصـدار الحكم عليها إما بالقبول كما هى ، وإما بالقبول بعد التعديل ، وإما بالرفض»

قلت : هل تنظرون إلى الرواية إذا كانت مستكملة الخصائص الفنية المعروفة أم تستمعون إلى رأى مدير الفرقة؟ فقال:

« قد جرت العادة بأن مدير الفرقة هو الذى يتولى تقديم الروايات مشفوعة بتقارير عنها ، وهو على جلالة علمه، ونافى أدبه ونفوذ نقده يأخذ نفسه في هذا الباب بالتحفظ التام »

سألت: هل لرأى النقاد المسرحيين قيمة فى نظر اللجنة؟ فأجاب:

« الواقع أن النقاد المسرحيين إنما يبدون آراءهم بعد تمثيل الرواية حيث يكون الأمر قد انتهى وخرج عن يد اللجنة ، على أنه قد يحدث أحياناً أن نرجع بواسطة مدير الفرقة بالضرورة إلى رأى كبار المخرجين (؟) و كبار الممثلين (كذا) فيما إذا كان يمكن تمثيل الرواية على الصورة التى قدمت بها أو لا »

قلت : إذا أجمع النقاد على القول بعدم صلاح رواية مثلتها الفرقة فهل من الحق الأدبى والفنى تحدي النقاد وتخطى أقوالهم وإعادة تمثيل الرواية ؟ فقال :

« قلت إنه بمجرد إجازة رواية يخرج الأمر من يد اللجنة بتاتاً ولا تستطيع أن تعمل شيئاً »

قلت : من يكون المسؤول عن هذا إذا وقع، وقد وقع فعلا، فاعادة تمثيل روايات تزرى بسمعة فرقة أهلية متواضعة فضلا عن الفرقة القومية ، منها رواية اليتيمة وغيرها . . فقال:

« أرجو إعفائى من هذا السؤال »

قلت : ألا تريد أن تقول كلمة فى الدفاع عن لجنة القراءة وقد قبلت هذه الروايات المشلولة ، وفى الدفاع أيضاً عن مدير الفرقة وقد مثلها ثم أعاد تمثيلها ؟ فكرر الرجاء بأن أعفيه من الرد ومن الخوض فى هذا الموضوع ، وقد تفضل فحدثنى حديثاً ودياً خاصاً تناول فيه ناحية من « الأخلاق الحكومية » كما سماها لا أسمح لنفسى بنشره الآن

قلت : هل خطر للجنة أن توازن بين الروايات التى مثلتها الفرقة وبين الروايات التى تمثلها الفرق الأهلية وفرق الهواة لتعرف مبلغ تقدم الفرقة القومية على الفرق الأهلية ؟ فقال :

« إننا لا نقارن بين الروايات التى تقدم للفرقة وبين غيرها ، لأن المقارنة تقتضى فحص الروايات الأخرى وهى لم تقدم إلينا

قلت : أليس من واجب مدير الفرقة أن يفعل ذلك ليقدم

للناس، على الأقل، أحسن ما تمثله الفرق الأخرى . فأجاب بعد هنيهة من تفكير :

« ليس لأحد سبيل على أحد ، والفرقة القومية إنما تختار من بين الروايات التي تقدم لها ما هي ، وليس لها سلطان على من لا يقدم إليها روايته »

قلت : هل لا حظتم تقدماً في تأليف الروايات خلال السنوات الثلاث ، لأني أزعم أن الروايات التي مثلتها الفرقة في عامها الثالث أحط منزلة من الروايات التي مثلت في العامين الثاني والأول ؟

اعترض محدثي الفاضل على الشطر الثاني من السؤال قائلا « إني أجيبكم عن الشطر الأول فقط : على العموم يمكنني أن أؤكد لكم أنني شخصياً كنت من بضع سنوات في شبه يأس من نجاح التأليف التمثيلي في مصر . على أنني لم يرعني ، وخصوصاً في أثناء قراءة الروايات التي قدمت للمباراة في هذا العالم ، لم يرعني إلا أن أرى شبه طفرة في الروايات المؤلفة مما يدل على أخذ الفكر الروائي في نضوج بل في نضوج سريع . حقيقة أننا لم نبلغ الكمال ولم نقترب منه بعد ، ولكن يمكنني أن أقول إننا نمضي سراعاً إلى الكمال . ويحسن في هذا المقام أن أقول إن الجودة النسبية لم تقتصر على الروايات الست التي أجيزت ، بل إن هناك روايات أيضاً ، وإن لم تصل في نظرنا إلى مدى هذه ، فإن مؤلفيها ولا شك يستحقون الاعجاب والتقدير »

انتقلنا إلى الكلام عن أسباب صدوف كبار الأدباء من مؤلفين ونقاد عن الفرقة القومية ، وعبرتُ عن هذا الرأي بصراحة تؤلم اعتداد أعضاء لجنة القراءة بأنفسهم . فقال محدثي الفاضل بشيء من الحماس المتزن :

« لا شيء يبعد المؤلفين عن الفرقة القومية سوى تهيبهم كتابة الرواية المسرحية ووقوفهم في صف واحد مع الكتاب الناشئين »

أكتفي بهذا القدر من الحديث لضيق المجال ، تاركا التعليق عليه إلى المقال التالي، وبذلك يكون قد تيسر لي حضور تمثيل إحدى الروايات التي فازت بجائزة المباراة التي قال عنها وعن أخواتها حضرة محدثي الفاضل إنه رأى فيها شبه طفرة تدل على نضوج الفكر الروائي ومضيه سراعاً إلى الكمال

ابن عساكر

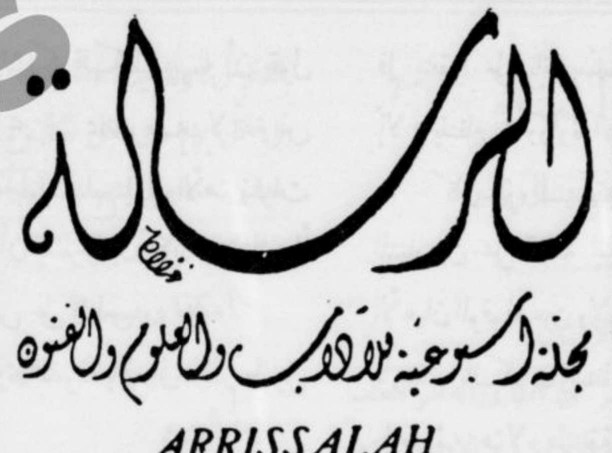


6 me Année, No. 284

Lundi - 12 - 12 - 1938

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولي رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٢٨٤ « القاهرة في يوم الأثنين ٢٠ شوال سنة ١٣٥٧ — ١٢ ديسمبر سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

من مآسي الحياة

بل ليت للأوقاف قلبا !

ذلك ما ابتدرني به رجل يهدف للخمسين أشمط الرأس أصهب الشارب جركسي البشرة، يترجم كلامه عن العزة، وينم هندامه على الفاقة، ويشير سَمْتُه إلى مسحة من الارستقراطية تتراءى ضئيلة على معارف وجهه وحركات يده

دخل عليَّ المكتب أول أمس في أدب كأدب البيوتات الكريمة الدارسة: سلام تحس فيه تواضع الملوك وكبرياء الملك؛ وبسمة متملقة تجرى على شفتيه الرقيقتين كأنها من طبيعتَيْها خِلقة؛ وأسلوب هذبته (الإتيكيت) فهو مختار اللفظ موزون الإشارة؛ ثم شكر لي المقال الذي افتتحت به عدد الرسالة الماضي وقال:

إذا كان طلاب الأوقاف الخيرية يتمنون أن تكون للوزارة عين، فإن طلاب الأوقاف الأهلية يتمنون أن يكون لها قلب. أولئك يشكون أنهم يبأسون من وراء عينيها فلا ترى، وهؤلاء يشكون أنهم يشقون بين يديها ولا ترحم ! وما دام المستحقون لا ينالون نصيبهم من الحق، فكيف ترجو أن ينال المعتفون نصيبهم من الخير ؟

كان الرجل يتكلم كلام الشاكى الكظيم يهمه أن يقول ولا يهمه أن يسمع. فتركته يستريح إلىّ بما فى نفسه، لا أعترض عليه ولا أصحح له، فإن علىّ أن أبلغ مسامع أولى الأمر زفرات الصدور المكروبة، وعليهم هم أن ينظروا إن كان مبعثها خطأ النفس على النفس، أو خطأ الناس على الناس.

قال محدثى وهو يضع سيجارته الملفوفة باليد فى مبسم طويل من الآبنوس:

— إذا عذرنا وزارة الأوقاف على أنها لا تسعف أولئك المنكوبين الذين انفرد بهم البؤس فى ظلام الدور، ومنعتهم الأنفة عن الخروج إلى النور، فكيف نعذرها على أنها تُدخل البؤس بيدها على قوم جعلهم أهلوهم فى ذمتها وأمانها، تحفظ لهم الملك وتثمِّره، وتبسط عليهم الرزق وتوفره؟ أنا ضحية من ضحايا الأوقاف الأهلية، اعتمدتُ منها على جُرُف منهار فهويت إلى قرارة الفاقة. لم أُهيأ للعمل الحكومى بشهادة، ولا للعمل الحر بصنعة؛ وإنما نشأت فى بيت جدى فلان باشا نشأة المترفين المدللين، أجيد ركوب الخيل، وأحذق أنواع الصيد، وأساهم فى تجميل حياة القاهرة بالسرف فى الملاهى، والقصف فى البيوت، والمقامرة فى السباق، والافتنان فى المظهر. وكان أبى رحمه الله ناظراً على ما وقف جدى على أسرتنا الكبيرة المتشعبة من الضياع والرباع، فكان يغرق رغباتى فى فيض من المال لا يغيض ولا يُخلف. فلما توفاه الله آلت النظارة من بعده إلى أرشد أعمامى، فانقبض عنى شئ من بسطة العيش. وكان لى بنون وبنات نشأوا فى نعمة أبى، كما ينشأ النبات الرِّبعى فى خصيب الأرض، فلم أرد أن يمس نضرتهم ذلك الضيق الذى جره علينا طمع الناظر، فبعت ما ورثت عن أبى، وعشت سنين على الخفض والسعة. حتى إذا لم يبق إلا الوقف أخذت أرُوض نفسى وأهلى على التدبير، فاختصرت المسكن، واختزلت الأثاث، وضيقت المطبخ، ورضيت أن أركب (التاكسى) وأن أجلس فى (النيوبار)... وليت ذلك يا سيدي دام! فإن كبار المستحقين شغبوا على الناظر فعزلوه، وتألبوا على خلفه فشلوه، واستحكم بينهم الشقاق فلم يتفقوا على ناظر منهم. ثم لم تنقطع أسباب هذا الخلاف، إلا «بتنظير» وزارة الأوقاف!

كان لجوء المستحقين إلى تنظير الوزارة، كلجوء القطين المتنازعين على قطعة الجبن إلى تحكيم القرد. فلم يَبق لهم على الأعيان الموقوفة عين ولا يد. وأدارتها الوزارة على المنهج الحكومى فأرهقتها بالكتاب والنظار والمفتشين والمراقبين والخبراء؛ ولكل واحد من هؤلاء طريقة فى العمل ورأى فى الإصلاح يتغيران بتغييره. فالبناء الذى أُقيم يُهدم، والمصرف الذى حُفر يُردم؛ ثم يُستأنف البناء والحفر فى مكانين آخرين! وهكذا دواليك: يتعاورُ البناء والتخريب، ويتعاقب الاقتراح والتجريب، حتى تذهب غلة الأرض بين نفقة الإدارة وحصة الوزارة! وأما الدور فهى قصور فسيحة ذات أسوار وحدائق رغب الناس عن سكناها لمخالفة طرازها لمقتضيات المدنية الحديثة. وأغفلتها الوزارة فلم تفكر فى تجديدها واستغلالها، ولا فى بيعها واستبدالها، وإنما تركتها لمعول الزمان فلا تؤجرها إلا مخازن للتجارة وزرائب للحيوان ومساكن للفعلة!

كان دخلى على عهد الناظر الطماع ستمائة جنيه فى العام، فأصبح على عهد الوزارة شيئاً لا أسميه! فهو سنة يكون ستين، وسنة يكون ستة، وسنة يكون مطلاً، وسنة يكون دَيناً! وأنا وزوجتى وأولادى نكابد غصص الحرمان فى ركن رطيب من إحدى دورنا الخربة؛ فالبنون لا يجدون عملاً لمكانهم من الجهل، والبنات لا يجدن أزواجاً لمكانى من الفقر، ولا نقضى أيامنا السود إلا على اقتراض من الجزار والبدّال والعياش والقماش، حتى ضاق بنا العيش، وعافنا الوجود، وأصبحنا إذا دخلنا أقضنا الهم، وإذا خرجنا أمَضَّنا الخجل...

يا سيدى! إن الوقف إن حفظ العين فقد أضاع الرَّيع. وليس لهذه الغاية الحمقاء وقف الواقفون. فسبيل الإصلاح فى عهد الصلاح أن يُحَل؛ فإن المرء أدرى بشأنه وأعلم بخيره، وليس من يعمل لنفسه كمن يعمل لغيره...

احمد حسن الزيات

تحيـــة الشتاء

للأستاذ عباس محمود العقاد

الحرية والأمان هما قصارى أمل الانسان

وكون الانسان آمناً فى سربه حراً فى عمله ورأيه هو المطلب الذى لا يتخطاه إلا وهو ظالم نفسه وظالم غيره ، إلا أن تكون سيادة على الآخرين برضى منهم وشهادة له بالاستحقاق ، وتلك غاية لا يطمح إليها كل إنسان

وللحرية من الطبيعة موسم ، هو الصيف

وللأمان من الطبيعة موسم ، هو الشتاء

فبركة الصيف هى الطلاقة ، وبركة الشتاء هى الطمأنينة ، وهذا إذا صلحت الأحوال ... فأما إذا فسدت فلا بركة فى صيف ولا شتاء

***

إذا لاح الصيف خرج الناس إلى المنازه ، وكرهوا الحدود والقيود ، فلا سقوف ولا أسوار ، ولا غطاء ولا دثار ، وإن الحرية كأنما الانسان نفس من الهواء ، لا يريد إلا نفساً من الهواء

وإذا لاح الشتاء فالرياح تزمجر ، والسماء تمطر ، ومن فوقنا حجاب ومن ورائنا حجاب ، ولا سرور إلا أن تسكن إلى الدفء الوثير بين الجدران

وهكذا تتمثل فى الطبيعة غاية مطالب الانسان : الحرية والأمان

والناس يزعمون أن البركة كلها فى الربيع ، وأنه موسم الزهر والفاكهة ، ومشهد الحب والجمال ، ومعرض المدينة والريف . فهل بقيت للشتاء بقية بعد هذه المحاسن والخيرات ، وبعد يقظة النفس ويقظة الدنيا ؟

والناس لا ينصفون ، أو لعلهم ينصفون وينسون . فبعد الربيع يبقى الشعور بالربيع ، ومن أوفى نصيبا من هذا الشعور ؟ أهل الربيع أو أهل الشتاء ؟ الذين يجدون الربيع سهلا غير مرقوب ، أو الذين يجدونه عسيراً بعد ارتقاب واشتياق ؟

ما عرف الربيع أناس كالذين اختبروا قسوة الشتاء ، فالشمس ضيف ثقيل فى بلاد الصيف القائظ ، وطلعة جميلة فى بلاد الشتاء الفارس ؛ والزهرة فتاة مبتذلة من فتيات الطريق عند من يشهدونها فى كل يوم وفى كل مكان ، وهي عروس خفرة و « رسولة » مبشرة عند من يشهدونها آونة بعد آونة ، ومقبلة مع الخير والحرية ومحاسن الأرض والسماء

أهكذا وحسب ؟

كلا . بل للشتاء أثر فى تقويم الجمال غير هذا الأثر فى تعريفنا بقيمة الربيع

للشتاء أثر فى أمم الشمال نلمسه فيما رزقته من حصافة وخيال ، فهو الذى علمها الشعر والفن ، وهو الذى علمها العمل والصناعة ، وهو الذى علم أقوامها أن يطلبوا شيئاً فوق الأمان والحرية ، ونعنى به سيادتهم على الأمم التى جاءتها حرية الطبيعة بغير عناء

تخيل رجل الشمال الثالج والريح تعصف ، والبرق يخطف ، والرعد يقصف ، والسماء لا شمس فيها ولا قمر ، والأرض لا زهر فيها ولا ثمر ، والنفس لا ترى لها مدى تمتد فيه إلا أن تثوب إلى سريرتها وتتغلغل فى طويتها ، وتخلق الصور وتناجى الأحلام وتأنس بالخواطر والأشجان

وتخيل هذا الرجل منفرداً فى كوخ منفرد ، ولا بد من انفراد فى ساعة من الساعات وفى أمد من الآماد

ألا ترى أنه خليق أن يعمر عالم السريرة بخلائق الخيال ، وأحلام الشوق والجمال ؟

ثم تخيل قوم هذا الرجل سنة بعد سنة وجيلا بعد جيل ، وكل سنة تضيف إلى قدرتهم على كفاح الشتاء قدرة جديدة ، وإلى حيلتهم فى دفاع البرد حيلة مفيدة ، وإلى عزيمتهم فى درء السيول والأمطار عزيمة رشيدة . فكيف تراهم يكونون بعد مائة شتاء وبعد ألف عام ، وبعد ما لا عداد له من أجيال وسلالات ؟

ثم تعلم أن الأعصاب هى خزانة الأخلاق الموروثة والقوة النفسية المذخورة ، فماذا تكون الأعصاب التى تفتلت على هذا الجلد وهذا الجليد ؟ وماذا تكون الطاقة فيها على استيعاب الشعور واختزان الأحاسيس وتصوير الأخيلة والأشكال ؟

ففى الشتاء تربية للخيال ، وتربية لوحى السريرة ، وتربية للأعصاب وتربية للأخلاق ، وفى كل أولئك استزادة من نصيب الشعور ، ونصيب الفهم ، ونصيب العزيمة ، ونصيب الخلق والابداع

ومن ثم يأخذ القوم من الربيع فوق ما يعطيه أهله المرضين عنه الجاهلين بقدره ، الناظرين إليه عن عرض كأنه زينة نظر فى ساعة صفو أو ليلة سمر ، فلا أعماق له وراء ذلك ولا أسرار

على أن الشتاء قد يفرط فى قوته وقسوته حتى لتبطل فيه كل حيلة الانسان فلا يبقى له غير حيلة الحيوان : جلد دب مسلوخ ، وإيواء إلى كوخ، كأنه كهف، أو كهف كأنه كوخ، وهكذا شتاء القبائل الحافين بقطب الشمال

وإن الصيف ليفرط فى طلاقته حتى تنقلب إلى مطاردة كأنها الملاحقة بالسياط الكاوية، فتبطل فيه كل حيلة الانسان، ولا يبقى له غير حيلة الحيوان : بركة ماء ، أو ظلال غابة غبياء ، وكذلك صيف خط الاستواء .

ولا بركة فى هذا ولا فى ذاك ، وإنما البركة فيما لم يجاوز الحدين من هذين الموسمين

* * *

وبعد فنحن نذكر بركات البرد والحر ، فهلا ذكرنا أناساً لا يجدون البركة فى أوان ، ولا فى مكان ؟

يقول حكيمنا :

لقد جاءنا هذا الشتاء وتحته فقير معرى أو أمير مدوج
وقد يرزق المجدود أقوات أمة ويحرم قوتا واحد وهو أحوج

هذا الواحد أولى بذكر الألوف ، لأنه واحد تجتمع منه ألوف ، ولن ينساه فى مستهل الشتاء إلا مخلوق يستحق النسيان ، بل يستحق الذكر بالسبة إن كانت قوانين أبناء آدم لا تذكره بالزجر والعقاب

ما تمنيت لمصر عملا من أعمال الأمم التى هدمت الديمقراطية إلا إعانة الشتاء التى يخرج كبراء الألمان لجمعها من الخاصة والعامة فى الطرقات والأسواق : ذلك عمل مجيد نحن به أولى ، ونحن إليه أحوج ، ونحن عليه أقدر، فيما يبدو لنا من تفاوت بين رخاء بلادنا وضنك البلاد الأخرى

فاذا ألهمنا أن نمين المحتاجين منا إلى معونة الشتاء فقد حق لنا أن نسبغ على شتائنا صفة الأمان الشامل ، وأن يشتمل علينا جميعاً راضين آمنين ... ونرجو أن نلهم هذه البرة فما فيها مشقة على قادرين ولا أشباه قادرين

وكل شئ تقال فيه كلمة ثناء ، حتى الشتاء

عباس محمود العقاد

رجال التربية والتعليم
فى وزارة المعارف
للدكتور زكى مبارك

الذى يقرأ الجرائد المصرية يتوهم أن وزارة المعارف عبارة عن بناية فسيحة الأرجاء ، يجلس فيها الموظفون هادئين وادعين يتبادلون التحيات والسجائر والشاى والزنجبيل

وإنما يكثر اللغط حول وزارة المعارف لأن موقعها بين سائر الوزارات، يشبه موقع كلية الآداب بين سائر الكليات. فوزارة المعارف تهتم بتعويد الناس على فصاحة الكلام فيكثر حولها الكلام الفصيح، بالنقد والتجريح ؛ وكلية الآداب تحرص على أن تتفلسف فيكثر فى نقدها المتفلسفون ، ولا يظلمك من يرد إليك بعض ما تنفق !

والحق أن وزارة المعارف فى هذه الأعوام لا تعرف الهدوء ، فهى نار تستعر فى الصباح والمساء

ومن كان في ريب من ذلك فليزر مكاتب الوكلاء والمراقبين والمفتشين ، فان فعل فسيعرف أن فى القاهرة مكاناً يشبه برج بابل فى أساطير الأولين

يستطيع من يهمه الوقوف على مصادر الحيوية فى وزارة المعارف أن يزور أى مكتب من تلك المكاتب ليوقن بأن الجد الصريح هو أساس العمل فى تلك الدار الفيحاء

احضر إن شئت إلى تلك الوزارة وفي يدك قلم وقرطاس لتدون ما تسمع من الجدل حول المذاهب التعليمية ، ولتدون ملاحظاتك الخاصة على مذاهب أولئك القوم فى الحياة ، وإنى لموقن بأنك ستخرج من ذلك بمحصول نفيس

ويحسن ألا تمر على مكتب وكيل الوزارة أو مكتب الوكيل المساعد ، فان الاستفادة من هذين المكتبين لا تضمن إلا لمن عرف سرعة الكهرباء فى إنجاز الأعمال

ويغلب على الظن أن الرجل الذى اسمه محمد العشماوى يملك شيئاً من مواهب الشعراء ، فسرعته فى تسوية المشكلات ليست إلا ضرباً من أعمال الشياطين

أماعوض إبراهيم فتظهر قدرته السحرية حين تصبح الأعمال كلها فوق كاهله حين يغيب الوكيل . وهذا الرجل من كبار الأكفاء ومن أعمدة وزارة المعارف ، وإن كان يتعرض لطغيان الألسنة من حين إلى حين

وفى برج بابل هذا ناس لا يتكلمون إلا قليلاً ، أمثال حسن فائق ومحمد حسين وصادق جوهر وأحمد عاصم والمجاتى ومحمد الدمرداش ، ولكن فى هؤلاء الرجال الصامتين خصوصية عجيبة ، فهم يعتقدون أن وزارة المعارف دارهم ، ولا يخطر فى بالهم أنهم موظفون ، وإنما يكافحون ويجاهدون وكأنهم يدبرون ملكهم الخاص ، وما وقع بصرى على هؤلاء الرجال إلا أحسست الغيرة تلذع قلبى ، فأنا أتمنى أن أملك بعض ما يملكون من قوة وإخلاص و يؤذينى أن يكونوا أصدق منى فى خدمة الواجب

ولكن برج بابل لن يكون كله صمتاً فى صمت ، وهل يصمت برج بابل ؟ هيهات !

هناك محمد فهيم الرجل البسام الضحوك الذى تلقاه فيغلب مشكلات التعليم كلها فوق رأسك، ويفرض عليك ألا تغادر مكتبه إلا بعد ساعة أو ساعتين . وهذا الرجل متعب جدا ، لأنه ينتقل بك من موضوع إلى موضوع، ويبلبل رأسك ولسانك بلا ترفق، فمن الحزم ألا تمر عليه حين تزور وزارة المعارف

وهناك نجيب حتاته ، وهو رجل لا تعرف أين يذهب . فهو يلطف حين يشاء، ويثقل حين يشاء، فان لطف — وهو الأغلب — طاف بك حول مشكلات كثيرة تمس التعليم وتمس المجتمع . وإن ثقل — وهذا قليل — سلم عليك بأطراف أصابعه كما يصنع مدير الجامعة المصرية

وهناك على الجارم — جعل الله كلامى خفيفاً عليه — وهو رجل كثير المزاح ، ولكن إقباله على الواجب يبهرك ويرضيك

وهناك محمد جاد المولى، وهو فى مظاهره ومخبره صورة صحيحة من الطيبات فى أدب القول وشرف النفس

وعندنا طموم مراقب المستخدمين، ومكانه فى وزارة المعارف يشبه مكان محمد الهراوى فى دار الكتب المصرية ، كلاهما يسأل عن الحساب ، مع أن الأدب عندهما فوق الحساب

وعندنا توفيق الحكيم الذى حوسب أمام مجلس التأديب منذ أيام ، وهو فى رأيى « أعقل » رجل فى وزارة المعارف بعد طبيب ليلى المريضة فى الزمالك

ولتوفيق الحكيم قصة وقضية ، وكيف لا تكون له قصة وقضية وهو صديق طه حسين ؟

هذا الرجل أعلن عداوته للمرأة بضع سنين ، ولم تمد عليه تلك العداوة بسوء ، فظن لغفلته أن العداوات كلها سواء فأعلن أنه يعادى المرأة ويعادى النظام البرلمانى ، ولكن النظام البرلمانى غير المرأة ، لأنه محروس برجال أشداء يقابلون الجميل بالجميل !

* * *

أترك هذا وأنتقل إلى أحاديثى مع عمدة برج بابل حفظه الله

فهل تعرفون من هو عمدة برج بابل ؟

هو المحدث البارع الذى لا يسكت أبداً والذي قضى الله أن ألقاه من يوم إلى يوم ؟

من هو عمدة برج بابل ؟ من هو ؟ من هو ؟ ألا تعرفون ؟

هو محمد رضا الذى يقيم بمصر الجديدة ويطرب لسماع القرآن بالألحان

ابتليت من هذا الرجل بداهية ، وابتلى منى بداهية :

ابتليت منه بداهية لأن لقاءه يوجب أن أكون صافى الذهن حاضر البديهة ، ومن المزعج أن أطالب بصفاء الذهن وحضور البديهة ، لأني لا أذهب إلى وزارة المعارف إلا بعد أن تكون أعمالى أخمدت ذهنى وأذوت نشاطى

وابتلى منى بداهية لأنى سأسجل عليه كل شىء ، وسأصنع معه ما صنعت مع الرجال الذين عرفتهم بوزارة المعارف المراقبية ، وأنا رجل رمته الأقدار فى ذاكرته بشذوذ عجيب ، فأنا أنسى الأعلام والأرقام بصورة مزعجة مخيفة ، وما قدمت كتاباً إلى رجل من أقطاب وزارة المعارف إلا سألت كاتبه الخاص عن اسمه بالضبط لأقيده فى ورقة قبل أن أخط اسمه على الكتاب ، ولكن ذاكرتى فى الحوادث والمعانى قوية إلى حد الشذوذ، فأنا أستطيع اليوم أن أدون أول محاضرة سمعتها بالجامعة المصرية سنة ١٩١٣ وأستطيع اليوم أن أدون جميع المحاضرات التى سمعتها فى جامعة باريس .

وأستطيع أيضاً أن أسجل الكلمات التى سمعتها من الدكتور هيكل باشا ، الكلمات التى تشهد بأنه يشجع التأليف بالقول لا بالفعل .

محمد رضا يتكلم فى كل وقت كما يتكلم الفرنسيون فى كل وقت

فهل أستطيع أن أعطيه درساً عساه يقتصد فى الكلام بعض الاقتصاد ؟

إليكم مادار بيني وبينه منذ أيام :

دخلت عليه وفي مجلسه رجلان نسيت اسمهما مع الأسف ، ولعل أولهما يسمى رفعت

وابتدأ فسألني عن الليسيه الفرنسية المصرية بمصر الجديدة ، فقلت إن مديرها هو المسيو دى كومنين ، أعظم أصدقائي في دنياي ، فاستطرد وقال : وما رأيك في ذلك المعهد بعد أن زرته مرتين ؟ فقلت : إن الغاية نبيلة ولكن تحقيقها صعب ، لأن هذا الرجل ، يريد أن يصل تلاميذه إلى البكالوريا المصرية والبكالوريا الفرنسية في وقت واحد

ثم انتقلنا بسرعة إلى الأصول التي يجب أن يراعيها أساتذة اللغة العربية في المدارس الأجنبية . فقلت إن الخطر كل الخطر أن يفهم تلاميذ تلك المدارس أن عندنا لغتين ، الفصيحة والعامية ، فهذا الفهم الخاطئ يشعر التلاميذ بأن اللغة الفصيحة لغة ميتة وأن مكانها يشبه مكان اللاتينية بالنسبة إلى الفرنسية والايطالية

وهنا يحسن أن نسجل ما اتفقنا عليه في ذلك الحوار الطريف

اتفقنا على أن التلميذ إذا كتب « محطة باب الحديد » فليس من واجب المدرس أن يشطب كلمة « محطة » ويضع مكانها كلمة « محط » بحجة أن هذا هو اللفظ المختار في كتب المطالعة المدرسية

وإذا كتب التلميذ « بائع متجول » فليس من حق المصحح أن يشطب كلمة « متجول » ويضع مكانها كلمة « جائل »

والتلاميذ جميعاً يقولون « قط » بضم القاف كما يقع على ألسنة الناس في أكثر البلاد العربية ، فليس من الحتم أن نصحح هذه الكلمة كل يوم وأن ننص على أنها بالكسر ، لأن سيرورتها مضمومة تشهد بأن الضم لغة من اللغات وإن لم تنص المعاجم على ذلك

وإذا قال التلميذ « فرشة » فليس من الواجب أن نفرض عليه أن يقول « فرجون » لأن الفرشة ذاتها مخففة من الفرجون

وإذا قال التلميذ « أجفف وجهي بالفوطة » فلا تفرض عليه أن يقول « القطيلة » لأن الكلمة الأخيرة مهجورة ومنسية وثقيلة ، ولا كذلك الكلمة الأولى فهي مأنوسة ومألوفة لجميع الناس .

وإذا قال التلميذ جلست على « السفرة » فلا تحتم عليه أن يقول « المائدة » لأن السفرة كلمة فصيحة وإن كان العرف نقلها من وضع إلى وضع .

وإذا قال التلميذ « الليالي القمراء » فلا تلزمه بأن يقول « الليالي القُمر » لأن الكتاب في العصر الحديث تسامحوا في هـذه القضية ، ولأن أسئلة الامتحان بوزارة المعارف جاء فيها مرة كلمة « الليالي القمراء » ولأن للشيخ النجار كتاباً اسمه « الأيام الحمراء » ولأننا نستثقل عبارة « الحدائق الغُنّ » ونستخف عبارة « الحدائق الغناء »

وإذا قال التلميذ « خَطوة » بالفتح فلا توجب عليه أن ينطقها بالضم ، لأن الفتح لغة سَنِيَّة وهو اليوم أسهل وأفصح

وإذا سكن التلميذ بعض أواخر الكلمات فلا تفرض عليه أن يراعي التحريك في كل وقت ، إلا إذا كان يهمك أن تختبره في الاعراب ، لأن من المستبعد جداً أن يكون العرب التزموا الاعراب في جميع المواطن ، وهم قد نصوا على أنه يجوز نصب الفاعل ورفع المفعول عند أمن اللبس ، ومعنى ذلك أن الاعراب لا يطلب إلا لتحديد المعاني .

وأغلبُ الظن أن العرب لم يلتزموا الاعراب إلا في موطنين اثنين : الشعر والقرآن .

وإنما التزموا الاعراب في الشعر لمراعاة الوزن ، والتزموه في القرآن لأن القرآن نظم نظماً غنائياً فهو في أغلب أحواله كلام موزون روعي في وزنه أن يصلح للترنم والترتيل

واتفقنا على أن اللغة العربية ليست بدعاً بين اللغات ، فالتعبير بها يختلف باختلاف أقدار المخاطبين ؛ والمدرس الحق هو الذي يفرق بين ما يعبر به وهو يلقي درساً في مدرسة أولية ، وما يعبر به وهو يلقي درساً في مدرسة ثانوية ؛ والمدرس الغافل هو الذي يتكلم بطريقة واحدة في جميع الفصول

واتفقنا على أن أساليب التعليم لا يجب أن تكون واحدة في جميع المدارس ، وإنما يجب أن نراعي مقتضيات الأحوال فنسلك في المدارس الأجنبية غير ما نسلك في المدارس المصرية

وأصول التربية نفسها توجب ذلك . إنها توجب أن تخاطب كل تلميذ بأسلوب خاص بعد أن تدرس نفسه حق الدرس ، لأن الناس يختلفون في العقول كما يختلفون في الوجوه . وهذا لا يمنع من أن تكون هناك سياسة عامة يعامل بها جميع التلاميذ

واتفقنا على أن مدرس اللغة العربية يحق له أن يكون أقرب الأساتذة إلى قلوب الطلاب ، لأن عنده فرصاً لا تتاح لسواه ، إذ كان يقدر بلباقته أن يجد في دروس المطالعة والمحفوظات

والأدب مجالاً لمحادثة الطلبة في معان كثيرة تتصل بالعقل والقلب والوجدان

ومدرس اللغة العربية يستطيع إذا كان من أصحاب المواهب أن يضع في صدور تلاميذه بذور الشوق إلى المشاركة الجدية في الحياة الأدبية والفنية والاجتماعية . وفي مقدوره إن أخلص لواجبه أن يدفع تلاميذه دفعاً إلى رحاب الواجب في خدمة الوطن الغالي . وهو يستطيع أن يخلق منهم رجالاً يفرقون بين المعاني الوطنية والمعاني الانسانية بحيث يصبحون فيما بعد من دعائم الحياة القومية

مدرس اللغة العربية مسئول قبل سواه عن خلق الروح المعنوي في المدارس لأنه يملك التعبير الجميل ، ولأنه ارتاض على سياسة القول ، ولأن لديه فرصاً كثيرة يستطيع بها توجيه التلاميذ إلى شريف الأغراض وكريم المعاني

* * *

ثم انتقلنا إلى موضوع شائك هو تحديد الفروق بين المدارس المصرية والمدارس الأجنبية

والظاهر أني أحب المدارس الأجنبية حبا يجعل ذنوبها حسنات ، وقد فصلت رأيي في حضرة رخا بك وارتضاه ، فما هو ذلك الرأي ؟

من بين أبنائي ثلاثة يتعلمون بمعهد الليسيه في مصر الجديدة . وهؤلاء الأبناء الثلاثة يختلفون عن أخيهم الأكبر الذي يتعلم في مدرسة مصرية . فأخوهم الأكبر يأخذ مصروفه على أسلوب رتيب لا يتغير ولا يتبدل ؟ أما أولئك الثلاثة فيزعجون المنزل بالمطالب المتنوعة في كل يوم ، وقد قاست أمهم ما قاست حين كنت بالعراق، فلما اختبرتُ الأمر بنفسي ضِقْتُ به ذرعاً لأول وهلة؛ ثم تبينت أن تلك المطالب المتنوعة هي شواهد الحيوية في الحياة المدرسية ، فالتلميذ لا يجد الفرصة ليهدأ ويسكن ، وإنما يشعر بالمسئولية تتجدد أمامه في كل لحظة ، فهو اليوم في حاجة إلى كتاب ، وكان بالأمس في حاجة إلى كراس ، وهو غداً في حاجة إلى ثوب جديد للحفلات ، وهو بعد شهر سيقدم إلى المدرسة ديناراً للاشتراك في رحلة مدرسية ، إلى آخر ما لا آخر له من موجبات اليقظة في المدارس الأجنبية

أقول إن هذه المطالب راعتني لأول وهلة ، ثم رأيت أن هؤلاء الأبناء حالهم أحسن من حال أبيهم ، الأب المسكين الذي يخترق شوارع القاهرة في كل يوم ولا يراها ، لأنه لا يمتطي تراماً أو سيارة إلا وهو مشغول بمطالعة الجرائد والمجلات أو مراجعة بعض الأوراق

أتروني على حق في استحسان هذا المذهب في التثقيف ؟

إن كنت مخطئاً فاعذروني لأن اتصالي بالأجانب حبَّب إليَّ الحركة وزهدني في السكون !

هل تصدقون أنني لا أستريح إلى الدعوة التي تكررها الجرائد في الصبح والظهر والمساء ، الدعوة إلى الوفاق والاتحاد والائتلاف ؟

هل تصدقون أني أعتقد أننا نختلف أقل مما يجب ، وأنه ينبغي ألا نعرف غير النضال والصيال ؟

هل تصدقون أن التجارب علمتني أن الراحة نذير الموت ؟

هل تصدقون أني نفرت من منزل جميل في باريس لأن أصحابه كتبوا على بابه عبارة تشير إلى أنه معروف بالهدوء ؟

هل تصدقون أني لم أسترح في بغداد إلا حين اهتديت إلى منزل تحيط به الضوضاء ؟

الحق أن مزاجي أفسدته المدنية الحديثة فساداً لا يرجى له صلاح ولكن هذه هي المدنية ، وهذا هو عقل العصر الحديث ، وأنتم تطلبون أن نروضكم على التخلق بأخلاق العصر الحديث

* * *

ثم ماذا ؟ ثم ماذا ؟

ثم انتقلنا إلى تعليم البنات فعرفنا بعد الأخذ والرد أن البنت في المدرسة المصرية تقتل قتلا بالدروس ، فلا تستطيع أن تكون بهجة البيت في المساء

والواقع أننا كنا أخطأنا في تقدير مناهج التعليم بمدارس البنات، فقد كانت البكالوريا واحدة للبنات والبنين مع أن المزاج يختلف بين النوعين أشد الاختلاف

وقد لوحظ أن البنات في المدارس الأجنبية يعاملن معاملة تقوم على أساس العطف والرفق ، والمفهوم عند الأجانب أن البنت إنما تتعلم لتصلح تمام الصلاحية لتكون ربة بيت .

ولوحظ أيضاً أن مديرات المدارس الأجنبية يحاولن أن يعرفن كيف تعيش العائلات التي تجيء منها التلميذات ليستطعن تلوين الحياة المدرسية بألوان مختلفات

وهذا شيء قد لا تعرفه المدارس المصرية لأن الصلات قد تكون مقطوعة بين المدرسة والبيت

والظاهر أنى لا أزال أستجيد الوصف الذى أطلقته على مدارسنا منذ أكثر من عشر سنين حين سميتها «مجازر بشرية» فنظام هذه المدارس لا يتيح فرصة للتعمق ، وإنما يلهى الطلبة بالقشور لكثرة ما يعرض عليهم من العلوم والفنون

وسيجيء يوم يعرف فيه الناس أن أسلافنا كانوا أبصر منا بالمذاهب التعليمية لأنهم كانوا يعرضون على الطالب علوما قليلة ثم يفرضون عليه أن يتعمق

ولو شئت لقلت إن المدارس الفرنسية تريح التلاميذ من الدروس يومين كاملين ، ومع ذلك لم يقل أحد بأن الفرنسيين تخلفوا فى الميادين العلمية

ولو شئت لقلت إن الامتحانات عندنا لا تزال جائرة الميزان، فليس من المعقول أن يكون تلاميذنا من الضعف والجهل بالمنزلة التى توجب ألا ينجح من كل مئة غير عشرين أو ثلاثين

وهناك مجموعة يعرفها جميع المعلمين ، وهى مجموعة الأسئلة الخاصة بالامتحانات العمومية ، ونظرة واحدة إلى تلك المجموعة تشعر المنصف بأن الممتحنين لا يرون التيسير من الأمور ذوات البال ، والأساتذة أنفسهم يحتاجون إلى تأمل يسير حين ينظرون إلى الأسئلة المسطورة فى تلك المجموعة ، فكيف يصنع التلاميذ وبينهم وبين أساتذتهم من الفروق ما تعرفون ؟

ولو شئت لقلت إن أسئلة الامتحانات العمومية يضعها رجال مكدودون من بين المفتشين والمراقبين ، والعقل يفرض أن يتفرغ لوضعها جماعة من الأساتذة ينقطعون إليها أسبوعاً أو أسبوعين حتى تسلم من العنت والارهاق

أحب أن يشعر التلميذ المتوسط بأن من حقه أن ينجح . أحب أن يشعر التلميذ الضعيف بأنه قد ينجح إذا ضاعف من نشاطه وبذل ما يملك من العافية فى الاستعداد للامتحان

ولكن هذه آمال لا تتحق إلا إذا غير الممتحنون ما بأنفسهم فعرفوا أن الشهرة بالشدة والعنف مطلب سخيف .

ثم ماذا ؟

ثم تحدثنا عن الصلة بين المدرسة والبيت ، واتفقنا على أن الواقع أننا نتكلم ولا نفعل

وأين المدرس الذى يجد من الوقت مايزور فيه بيوت التلاميذ؟

وأين الناظر الذى يجد فى جيبه ما يسعفه بأن يقيم للتلاميذ وآبائهم حفلة أو حفلتين ؟

لقد حاولت ذلك بنفسى ثم عجزت ، لأنى كنت أخرج من المدرسة مكدوداً لا أصلح لشىء

ولو شئت لصرحت بأن المدرسين يعجزون عن متابعة النشاط المدرسي ، لأن المناهج لا تقيم له أى ميزان ، وهو سخرة يقوم بها المدرسون بلا جزاء

* * *

أما بعد فهذه صورة لساعة لطيفة قضيتها مع الأستاذ رخا بك. فان أعجبته هذه الصورة فذلك ما أرجوه ، وإن رآنى أذعت ما لا ينبغى أن يذاع فليعرف أن هذا مذهبى ، وعليه أن يعقل لسانه حين يرانى

يا مصر

إنك تستعدين لأخطار عظيمة فى بناء الجيل الجديد، فاعرفى ما تأخذين وما تدعين، واحذرى أن يعتقد أبناؤك الأوفياء، أنهم لا ينالون منك حسن الجزاء

وأنتم أيها المدرسون

ثقوا بأن واجبكم الأول هو التغلب على المصاعب ، المصاعب التى تواجهكم فى الحياة الماشية والحياة المدرسية ، واعرفوا أن الاخلاص للواجب هو الكفيل بأن يرفع عن كواهلكم أثقال العيش وأعباء التعليم

إن التدريس مهنة لا يعرف فيها الراحة إلا من يتعب نفسه فى تأدية الواجب ، ولايشقى فى هذه المهنة إلا من يؤديها بتهاون واستخفاف

إن العناية التى تبذلونها فى إلقاء الدروس تمدى تلاميذكم بالجدوالنشاط، وتروضهم على النظام، وتغريهم بحب التفهم لما يسمعون وما يقرأون

وأنتم القدوة الصحيحة للتلاميذ، فاحذروا أن تمدوهم بالضجر واليأس . وتذكروا دائماً أن المدرس المنشرح الصدر ، المبتهج النفس ، هو وحده الذى يقدر على جعل المدرسة أحب إلى التلميذ من كل مكان

إن فى الدنيا متاعب كثيرة تنتظر رجال الغد من تلاميذكم ، فأعطوهم من ذخائر الأمل والبهجة ما يدفعون به متاعب الحياة فى الأيام المقبلات . والله بالتوفيق كفيل .

مصر الجديدة زكى مبارك

كتاب المبشرين

من أغلاطه في العربية

لأستاذ جليل

(بقية المقال السادس)

٣٢ — في الصفحة (٣٣٠) : مضطر على أفعاله

قلت : اضطر على كذا خطأ والصواب اضطر إلى كذا « ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره إلى عذاب النار » « وقد فصل لكم ما حرّم عليكم إلا ما اضطررتم إليه » وفي الجمهرة : والضرورة والضارورة واحد وهو الاضطرار إلى الشئ ، ومثل هذه التعدية في كلامهم وفي كتب اللغة . وفي كتاب الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري هذه الفائدة: ولهذا المعنى قال المحققون من أهل العربية إن حروف الجر لا تتعاقب حتى قال ابن درستويه : (في جواز تعاقبها إبطال حقيقة اللغة ، وإفساد الحكمة فيها ، والقول بخلاف ما يوجبه العقل والقياس) وذلك أنها إذا تعاقبت خرجت عن حقائقها ، ووقع كل واحد منهما بمعنى الآخر فأوجب ذلك أن يكون لفظان مختلفان لهما معنى واحد ، فأبى المحققون أن يقولوا بذلك وقال به من لا يتحقق المعاني . ولعل قائلا يقول : إن امتناعك من أن يكون للفظين المختلفين معنى واحد — ردّ على جميع أهل اللغة لأنهم إذا أرادوا أن يفسروا اللب قالوا : هو العقل ، أو الجرح قالوا: هو الكسب، أو السكب قالوا : هو الصب ، وهذا يدل على أن اللب والعقل عندهم سواء ، وكذلك الجرح والكسب، والسكب والصب، وما أشبه ذلك. قلنا ونحن أيضاً كذلك نقول ، إلا أنا نذهب إلى أن قولنا اللب وإن كان هو العقل فانه يفيد خلاف ما يفيد قولنا العقل . ومثل ذلك القول وإن كان هو الكلام والكلام هو القول فان كل واحد منهما يفيد بخلاف ما يفيده الآخر ، وكذلك جميع ما في هذا الباب

٣٣ — في الصفحة (٣٢٩) : في كل محرس من الليل

قلت : إن كان المراد الحرس فالحرس الدهر أو وقت من الدهر دون الحقب[1] . والذي يقال في هذا المقام هو الجرس أو الجرش ، ففي تهذيب الألفاظ لابن السكيت : مضى جرش وجرس من الليل ، وفي الصحاح : أي طائفة منه ، وفي المخصص مضى جرش من الليل والجمع جروش وأجراش ، وقد يقال بالسين وفي اللسان : وقد يقال بالشين ، وفي التاج : أتيته بعد جرش من الليل — مثلثة — ما بين أوله إلى ثلثه وقيل هو ساعة منه ، والسين لغة ، قال أبو زيد : مضى جرش من الليل أي هَوِيّ (أي هزيع من الليل أي طائفة منه ...)

٣٤ — في الصفحة (٨٠) : ثم حسن لخديجة وهي أرملة ذات شرف ونسب أن تتخذه فيخرج في تجارتها

قلت : في كلام العرب وأكثر كتب اللغة: الأرملة التي مات زوجها وهي فقيرة . قال المصباح قال الأزهري : لا يقال لها أرملة إلا إذا كانت فقيرة فاذا كانت موسرة فليست بأرملة . وفي الأساس : وأرملت ورملت[2] من زوجها ولا يكون إلا مع الحاجة . وفي اللسان والتاج ، قال ابن الانباري : سميت أرملة لذهاب زادها وفقدها كاسبها ومن كان عيشها صالحاً به ، ولا يقال إذا ماتت امرأته أرمل إلا في شذوذ لأن الرجل لا يذهب زاده بموت امرأته إذا لم تكن قيمة عليه ... والرجل قيم عليها ، وتلزمه مؤنتها ولا يلزمه شيء من ذلك . وفي القصيدة الطويلة — كما يسميها أديبنا الكبير الأستاذ الردمي — المنسوبة إلى أبي طالب في مدح سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى ، عصمة للأرامل

وأنشد ابن بري :

ليبك على ملحان ضيف مدفّع ... وأرملة تزجي مع الليل أرملا[3]

٣٥ — في الصفحة (١٣٢) : وقد تكرم عليه في آخر سنة من عمره بأن متعه بالنظر إليه

(١) الحقب هنا ثمانون سنة أو أقل من ذلك وهو بضم الأول والثاني وبضم الأول وسكون الثاني

(٢) قال : وهو من الرمل كأدقع من الدقعاء

(٣) لم يذكر المخصص في فصل (نعوت النساء مع أزواجهن) الأرملة وذكر الأيم والعزبة : فلانة أيم — بتشديد الياء — وقد آمت من زوجها وتأيمت ، والعزبة التي لا زوج لها وامرأة عزبة وعزب بغير هاء وصفت بالمصدر . وقال في باب (ذهاب المال ونفاده) : يقال للرجل ولولده إذا كانوا محتاجين هم أرملة وأرامل وأراملة ورجل أرمل

قلت : تكرم عليه خطأ ، والتكرم تكلف الكرم ، وتكرم تكلف الكرم قال المتلمس :

تكرم لتمتاد الجميل ولن ترى أخا كرم إلا بأن يتكرما

وتكرم عن كذا أى تنزه عنه وترفع . قال أبو حية :

ألم تعلمى أنى إذا النفس أشرفت على طمع لم أنس أن أتكرما

ولم يجىء فى كلام العرب ولا فى معجمات الألفاظ ولا فى معجمات المعانى تكرم عليه بمعنى أفضل عليه ، تفضل عليه ، أجدى عليه ، من عليه ، تطول عليه ، تندى عليه ، تسخى عليه ، أسدى إليه ؛ يدى عليه ، أيدى عليه ، أنعم عليه

٣٦ — فى الصفحة (٣٩٦) : أما الوعد فانه عرف من شدة انهما كهم على الملاذ الشهوانية

قلت : لا يقال فى العربية انهمك على الشىء بل انهمك فيه. ففى حديث خالد بن الوليد (رضى الله عنه) أن الناس انهمكوا فى الخمر . وفى الصحاح : انهمك الرجل فى الأمر أي جد ولج ، وكذلك تهمك فى الأمر . وفى الأساس: انهمك فى الباطل وفلان منهمك فى الني . ومثل هـذه التعدية في الجمهرة والنهاية واللسان والمصباح والتاج والمعجمات العصرية . والملاذ فى اللغة جمع ملذ وهو موضع اللذة . وفى الفائق : النبى صلى الله عليه وسلم : إذا ركب أحدكم الدابة فليحملها على ملاذها : أى ليسرها فى المواضع التى تستلذ السير فيها من المواطىء السهلة غير الحزنة والمستوية غير المتعادية[1] والشهوانية نسبة إلى الشهوان أو الشهوانى وهو شديد الشهوة ومنه قول رابعة : ياشهوانى . والشهوة اشتياق النفس إلى الشىء كما فى المصباح ، أو نزوع النفس إلى ما تريده كما فى مفردات الراغب . فماذا يعنى كتاب المبشرين بكلامه الطملماني ؟

٣٧ — فى الصفحة (٣٤٠) : قال الغزالى قد انتهى قوم فى الشطح (لعله يريد الشطط) والدعاوى المريضة إلى دعوى الاتحاد بالله وارتفاع الحجاب .

قلت : لا يريد الشطط بل يريد الشطح ، وإن من يجهل هذا المصطلح المشهور عند المتصوفة لجاهل . وهذه اللفظة إن لم تضمها العربية من قبـل فهى كلمة اصطلاحية . ولم يكتب فى التصوف كاتب ، ولم يؤلف فى طريقة القوم مؤلف، إلا ذكرا هذا الشطح كثيراً . ولن يسد شطط الشاطين ولا طائفة كبيرة من خلط المبشرين مسد الشطح . . . جاء فى التاج : اشتهر بين المتصوفة الشطحات وهي فى اصطلاحهم عبارة عن كلمات تصدر منهم فى حال الغيبوبة وغلبة شهود الحق عليهم بحيث لا يشعرون حينئذ بغير الحق كقول بعضهم أنا الحق، وليس فى الجبة إلا الله، ونحو ذلك . وفى التعريفات : الشطح عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى ، وهو من زلات المحققين ، فانه دعوى بحق يفصح بها العارف من غير إذن إلهى بطريق يشعر بالنباهة[2] ...

٣٨ — فى الصفحة (٤٣٧) فهذا الكلام يستلفت نظرنا من جهتين

قلت : استلفت خطأ ، وإن قيل : قال سيبويه فى (هذا باب استفعلت) : (وتقول استعطيت أى طلبت العطية ، واستعتبته أى طلبت إليه العتبي ، ومثل ذلك استفهمت واستخبرت أى طلبت إليه أن يخبرنى) . قلنا : جاء ما ذكره سيبويه ولكنهم لم يقولوا استلفته أى طلب لفته ؛ ثم اللفت في اللغة لىّ الشىء عن الطريقة المستقيمة، ولفته لواه على غير جهته — كما فى اللسان — فيكون معنى الجملة حسب بناء هذا الفعل ؛ (وهذا الكلام يطلب لىّ نظرنا على غير جهته من جهتين ..) وهناك نظران : نظر البصر ونظر البصيرة فأيهما المقصود ؟

٣٩ — فى الصفحة (١٥٣) ويعتقد المسلمون بعصمة الأنبياء

قلت : قالوا : اعتقد كذا بقلبه — كما فى الصحاح — ولم يقولوا اعتقـد بكذا . وفى المصباح : اعتقدت كذا : عقدت عليه القلب والضمير

٤٠ — فى الصفحة (٥٩) : على أنها كانت أيضاً تعلق فى الكعبة بأمر الأمة مكتوبة فى ثوب قبطي بماء الذهب

(١) المكان المتعادى غير المستوى (الأساس)

(٢) فى مقدمة ابن خلدون : وأما الألفاظ الموهمة التى يعبرون عنها بالشطحات ويؤاخذهم بهـا أهل الشرع فاعلم أن الانصاف فى شأن القوم أنهم أهل غيبة عن الحس ، والواردات تملكهم حتى ينطقوا عنها بما لا يقصدونه ؛ وصاحب الغيبة غير مخاطب والمجبور معذر ... (قلت) كاد ابن خلدون ينقلب صوفيا ، والواردات فى كلامه جميع الوارد وهو من اصطلاح المتصوفة، وهو كل ما يرد على القلب من المعاني الغيبية من غير تعمد من العبد كما فى التعريفات

قلت : اضطر (سال) أن يقول فى (ثوب قبطى) حتى يوضح فى لغته اللفظة . ولو كان مترجم (المقلة) وذو الذيل ممن شدا من العربية شيئاً لجاب الكلمة التى وضعتها اللغة أو التى أوردتها كتب الأدب فى خبر المعلقات والتعليق وهى القباطى ومفردها القبطية . قال ابن رشيق فى العمدة : « وكانت المعلقات تسمى المذهبات، وذلك لأنها اختيرت من سائر الشعر فكتبت فى القباطى بماء الذهب وعلقت على الكعبة . وقال صاحب العقد : « . فكتبتها بماء الذهب فى القباطى المدرجة[1] وعلقتها فى أستار الكعبة[2] »

والقبطية فى الشعر القديم وفى الحديث . جاء فى الفائق : كسا (صلى الله عليه وسلم) امرأة ، قبطية[3] فقال مرها فلتتخذ تحتها غلالة لا تصف[4] حجم عظامها . ومن حديث عمر (رضى الله عنه) لا تلبسوا نساءكم القباطى[5] فانه إلا يشفّ ، فانه يصف

***

أجتزىء بما أوردت من أغلاطهم وسائرها سيظهر فى وقت ، فى كتاب

«الأسكندرية» ***

---

(١) أدرجه : طواه

(٢) قال ابن الأنباري فى طبقات النحاة : إن هذا لا أصل له . وقال أبو جعفر احمد بن محمد النحاس : أن حمادا هو الذى جمع السبع الطوال ولم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقة على الكعبة .

(٣) بالضم والكسر والضم أكثر عند صاحب القاموس والكسر أكثر عند صاحب الصحاح

(٤) لا نعلم ما وراءها لأنه إذا عم حجم الأعضاء لرقته والتصاقه باللابس فكأنها تصفه (الزمخشرى)

(٥) بتشديد الياء وتسكينها القباطى ثياب إلى الدقة والرقة والبياض تعمل بمصر نسبت إلى القبط (التاج ، الأساس)

سر العالم

لشاعر الهند رابندرانات طاغور

ترجمة الأديب عبد الوهاب مصطفى بحلاق

عندما مرت الدهور، وتردد النحل على حدائق الصيف، وابتسم القمر لزنبقة المساء، وبعث البرق قبلاته النورانية للسحب، ومرح ضحكاته فى الفضاء.. وقف الشاعر فى ركن مشحون بالأشجار مكلل بالسحب ، وظل قلبه صامتا كالزهرة ... يستطلع خلال أحلامه كما يفعل الهلال، ويهيم كما يفعل نسيم الصيف لغير ما غرض:.!

وفى إحدى ليالى إبريل عندما بزغ القمر كفقاعة ماء من أعماق الغرب ... وكانت إحدى الفتيات مشتغلة برى النبات وأخرى تطعم غزالها، وثالثة ترقص لطاووسها بدأ الشاعر يغنى:

« آه ... أنصتوا لأسرار العالم ... إنى أرى أن الزنبقة شاحبة مصفرة لأنها تحب القمر ... وزهرة اللوتس تسحب قناعها أمام شمس الصباح، والسبب جلى لو أنعمتم التفكير. ومعنى طنين النحل فى أذن الياسمين الصبوح قد عزب عن خاطر العلماء ولكن الشاعر يعلم .. ! »

وذهبت الشمس فى تورد الحياء ، وصعد القمر متمهلا خلف الأشجار ، وهمست ريح الجنوب لزهرة اللوتس أن الشاعر ليس بساذج كما يظهر منه. فشبك الفتيات والشبان أيديهم وصاحوا:

« لقد انكشف سر العالم .. ! »

ثم نظر بعضهم فى عين بعض وأنشدوا :

« ليطر سرنا أيضا على أجنحة الريح .. ! »

عبد الوهاب مصطفى بحلاق

رسالة من باريس

بعض الدكاترة الفخريين

الذين منحوا الدكتوراه الفخرية فى فرنسا هذا العام

للباحث الأديب مصطفى زيور

– ١ –

سيدى رئيس تحرير الرسالة وأستاذى العزيز

ولا يغضبك من تلميذك أن يذكرك بعهد كرت عليه الأيام، وطواه الدهر فى صفحات بدأ يعلوها الاصفرار. فكم فى مثل هذه الذكريات من العذوبة ما ترق له النفس، وتذوب حنانا، وسل فى قسوة الحاضر سحر الماضى، فنرضى ونبتسم ... ثم ينسينا التلهفَ على الماضى حسنُ الظن بالمستقبل. وهكذا تدفعنا دائما مناعة النفس ضد التبرم بحقائق الحاضر أن نلوذ بما نتصوره سحر الماضى، حتى ترهقنا الحقيقة ونرى قلم الزمان يجر رقما جديدا فى حساب الأعمار، فنديِر إليه ظهورنا ونتعلق بآمال المستقبل

فاذا أنكرت من تلميذك حديث الحنان ومنطق العاطفة، وإذا اتهمته بسوء النية فى إثارة حديث الأعمار، فهو يدفع عن نفسه بأن التلميذ غير مسئول إذا اصطنع حديث العاطفة — ولو لم يكن هذا فى فطرته — إذا كان أستاذه هو صاحب ذلك الأسلوب الموسيقى فى ترجمة «آلام فرتر» و «رفائيل»؛ وهو متأهب بعد ذلك أن يسل حسام المنطق الجاف، منطق العقل الخالص، يعالج به مشكلة الأعمار ويقيم الدليل على أنه لم يكن ماكراً خبيثاً فى إثارتها، وهو الذى لا يقنع بتلك الحجة البائسة تساق للسلوة عما مضى من الشباب، فى قولهم إن مع المشيب نضوجا وحكمة، فما كانت هذه الحكمة فى الغالب إلا خمودا فى جذوة الحياة، وفرقا من اعتناق ثائر الأنظار تضطرب من تحتها الأرض. لا يقنع تلميذك بهذا بل هو مصطنع لسان الطب يعالج به مشكلة الأعمار فيقول: إن ما يختلج أعضاء المرء من الحيوية لا يقاس بما مر من السنين على نزوغ هذه الحيوية. وقديما قال الفرنسيون: وما عمر المرء إلا عمر عروقه On a l'age de ses artères وهو مايعبر عنه بلغة البيولوجيا الحديثة (أو قل علم الحياة حتى يرضى عنى أنصار ترجمة المصطلحات العلمية) بأن مبلغ الطاقة الحيوية فى المرء موقوف بما عليه إفراز غدده الصماء كما وكيفاً، وبما تطيقه مجموعته الاشتراكية بالفعل وبالقوة. فاذا كانت المقاييس الحديثة لنشاط هاتين المجموعتين قد أدت إلى تقرير مبادئ جديدة فى حساب الأعمار يستند إليها علم حديث يدعونه بيوتيبولوجى Biotypologie يرمى إلى تمييز الشخصية الحيوية للأفراد لتوجيههم فى معترك الحياة، بأن يدلهم على ما يصلحون له وما يطيقونه؛ وإذا كنا نرى هذا البحث الجديد قد جعل من بعض الشيوخ شبابا ومن بعض الشباب شيوخا، أفلا يرى معى أستاذى أن لا بأس على الشيوخ إذا كان نشاطهم شابا، وأن يخفف الشباب من غلوائه إذا كان نشاطه متقاعدا هرما؟

فاذا لم يرضك منى حديث المنطق بعد حديث العاطفة، وهممت أن تجرى قلمك الأحمر على هذا اللغو تحذفه من كلمى كما تعودت أن تفعل معى قديما فى «كراسة الانشاء» فانى أهيب بك أن تسمح لى بالاستئناف أمام أستاذى أحمد أمين، فلعله يكون أقل صرامة فى الحكم، وقد سمعته يشير إلى تلك الظاهرة النفسية التى تدفع بالكاتب إلى الحرص على آثار قلمه والاعتزاز بها الغث منها والسمين، كما تحرص الأم وتحب فلذات كبدها، الدميم منهم والجميل

وبعد فهأنذا أفى بوعد قديم فأكتب «للرسالة» صفحات أردت أن أشير فيها إلى بعض تيارات الفكر العلمى الحديث فى الغرب، التى تعينها تلك المظاهر الدولية تعلن لحاملى لوائها تقدير الأوساط العلمية، فتجيزهم جوائز فخرية مثل جائزة نوبل أو الدكتوراه الفخرية تمنحها لهم الجامعات

وقد كان منح الدكتوراه الفخرية Honoris causa هذا العام فى الجامعات الفرنسية حادثاً جللا بالنسبة لمصر، فقد رأينا لأول مرة أديباً مصرياً ينال هذا الشرف وهو الدكتور طه حسين بك. ولست أشك أن غيرى كتب فى الجرائد المصرية يبين خطر هذه المنحة. وحسبى أن أشير إلى أن الجامعات الفرنسية ضنينة بأجازاتها فلا تمنحها لغير العلماء الذين ثبت فضلهم على العلم؛ فلم نر إينشتين يُمنح الدكتوراه الفخرية من باريس

إلا سنة ١٩٢٩ بعد أن نال جائزة نوبل مرتين. وها نحن أولاء نرى بين العلماء الذين فازوا بهذا الشرف هذا العام اثنين من العلماء هما « تزنت جيورجي » و « كارر » قد سبق أن فازا بجائزة نوبل الأول للطب والثاني للكيمياء لقيامهما — منفردين — بأبحاث خطيرة في مسألة الفيتامين كما سأبين بعد

وليس في عزمي أن أقدم إلى قراء الرسالة الدكتور طه حسين بك كما سأقدم إليهم العلماء سورنسن ، وتزنت جيورجي ، وكارر من بين العلماء الذين فازوا بالدكتوراه الفخرية من فرنسا هذا العام، فإن عميد كلية الآداب ليس في حاجة إلى أن يقدم إلى صحف الأدب العربي ، كما أنه ليس في عزمي أن أتناول بهذه المناسبة مؤلفاته الأدبية بنقد أو تحليل ، فلم يكن الأدب من عملي ولم أكن يوماً من الأدباء

وحسبي أن أردد ما قاله ممثل الجامعة الفرنسية في عميد كلية الآداب من المقابلة بينه وبين أديبهم الفرنسي رينان، فقد قال : إن رينان كان أديباً فذاً ولكنه كان إلى ذلك مؤمناً قوى الايمان بمستقبل العلم نصيراً له ؛ وكذلك الدكتور طه في مصر فهو إلى صفاته الفنية في الأدب قد بث فيمن حوله روحاً علمية صحيحة وأنفق من الجهد في نصرة الروح العلمية والأخذ بمنهجها ما يجعله حقيقاً أن يحتفل به العلماء قبل الأدباء . ومن أجل هذا فإني أسجل له تحيتي هنا

العلامة سورنسن S. P. L. Sörensen

يمتاز هذا الكيميائي الدانمركي بعبقرية مبتدعة في طرائق البحث التجريبي واختراع الوسائل الفنية التي يدعونها بتلك الكلمة اليونانية الأصل « تكنيك » ؛ ولعل العلماء المبرزين في هذا النوع من النشاط العلمي أقل حظاً من غيرهم في ذيوع الشهرة وجريان أسمائهم على أفواه المتعلمين ؛ ذلك لأن هذه الوسائل وما يتصل بها من الأجهزة تبقى في العادة داخل المعامل يستغلها الباحثون في الكشف وتحقيق الفروض، فاذا ما انتهى إلى جمهور المتعلمين شيء منها فهي نتائج هذه البحوث : قانون طبيعي، أو نظرية جديدة في تفسير طائفة من الظواهر تحمل اسم قائلها ولكنها غفل من اسم مخترع الوسائل التي أدت إلى هذا الكسب الجديد في ميدان المعرفة . ومع ذلك فان هذه الوسائل كثيراً ما كانت تكأة لفتوح خطيرة في العلم بل تكأة لعلم بأسره ؛ فكثير منا يعلم مثلا أن جاليليه هو أول من أقام الدليل على صحة نظرية كوبرنيك في دوران الأرض حول الشمس وحول نفسها ، ولكن كم منا يعلم أن هذا الجهاز البسيط المقرب للأبعاد المدعو تلسكوب، والذي خرج من خلاله كل محصولنا الحالي في علم الفلك بل كل هذه الثورة على جدل القرون الوسطى النظري وتوجيه العلم نحو الملاحظة والتجريب ، كم منا يعلم أن المنظار المقرب يحمل اسم جاليليه ؟ ثم كم من الأطباء في العالم الذين يستعملون كل يوم منذ أكثر من قرن ذلك الجهاز المدعو « ستتوسكوب » أي السماعة الطبية ويقيمون تشخيصهم على ما يسمعونه خلالها ، كم منهم يعلم أنها تحمل اسم الطبيب الفرنسي الكبير « لَيْنِك » مؤسس فن التشخيص السمعي ؟

اتجه نشاط سورنسن بعد بحوث في الكيمياء المدنية نحو دراسة المكون الرئيسي للمادة الحية : المواد الزلالية المسماة في الاصطلاح الدولي بروتيد ؛ بدأ باستخلاصها في حالة النقاء أي خالصة من المواد الأخرى العالقة بها مما مكنه ومكن غيره من الباحثين من دراسة خصائصها الكيميائية والفيزيقية ؛ أجرى عليها تجربة التحليل الغشائي ، أي النفاذ خلال الأغشية وهي أجسام من أصل نباتي أو حيواني ذات ثقوب دقيقة (مثل جلود الحيوانات) لا تسمح لغير الجزئيات الدقيقة مثل جزئيات اللح الذائبة في الماء باختراقها ، بينما الجزئيات الزلالية لا تنفذ منها . ونتيجة هذا التحليل الغشائي أن الجزئيات الغريبة العالقة بالجزئيات الزلالية تنفذ خلال هذه الأغشية تاركة الجزئيات الزلالية في حالة النقاء . وهكذا تبدو لنا المحلولات المحتوية على مواد زلالية كأنها تسلك مسلك المحلولات الغروية (نسبة إلى الغراء) أي تلك المحلولات التي تختلف عن المحلولات العادية — المسماة بالمحلولات البلورية مثل محلول الملح — بكبر حجم جزئياتها مما يمنعها من اختراق تلك الأغشية ، والتي تختلف عنها أيضاً بأنها لا تترك بعد تبخير السائل الذائبة فيه دقائق متبلورة بل تترك جسما يشبه الغراء

ولكن هذه الحقيقة ، حقيقة وجود المواد الزلالية وبالتالي المادة الحية على الحالة الغروية تحمل نتائج غاية في الخطورة؛ ذلك أننا نعلم أن المحلولات الغروية تنفرد بصفات خاصة يرجع إليها السبب في ثبات هذه المحلولات أي بقاء الجزئيات منتشرة في السائل لا تسقط ، فاذا ماحدث اضطراب في هذه الصفات فان جزئيات المحلول الغروي تتهالك بعضها على بعض أي تفقد ثباتها فينهار المحلول الغروي . ولما كانت المادة الحية توجد على الحالة الغروية فان بقاء الحياة واستمرارها يترجم عنه من الناحية الفيزيقية

بثبات الحالة الغروية ، وفناء الحياة أو اضطرابها يترجم عنه من الناحية الفيزيقية بانهيار الحالة الغروية

أما أهم هذه الصفات التي يرجع إليها ثبات الحالة الغروية فهو وجود شحنة كهربائية من نوع بعينه تحملها الجزئيات المنتشرة فتدفعها إلى التباعد بعضها عن بعض فتمنعها من التهالك . فاذا ما أدخل على المحلول الغروي جسم يحمل شحنة كهربائية مضادة لشحنته لا تلبث جزئيات المحلول الغروي أن تتجاذب مع هذا الجسم الغريب وفقاً للقانون الطبيعي الذي يقرر التجاذب بين جسم موجب وآخر سالب، وبالتالي ينهار المحلول الغروي ؛ وهذا ما يحدث بين السموم المفرزة من الجراثيم وبين الجزئيات الزلالية في الأنسجة الحية . ومما يجدر ذكره أن تقدم الكائن الحي في السن وانحداره نحو الهرم يقابله تغير في الصفات الغروية الخاصة بأنسجته ينتج عنه تباطؤ في نشاطها ؛ وهكذا يمكننا أن نقرر دون خشية الخطأ أنه في اليوم الذي تتم لنا فيه معرفة جميع الصفات الغروية نكون قد كشفنا الغطاء عن جميع معميات الظاهر الفسيولوجية في الصحة والمرض

ومن المسائل التي استرعت اهتمام سورنسن مسألة الوزن الجزيئي للزلاليات، أي وزن أصغر جزء له نفس صفات الجسم الذي يتركب من عدد كبير من هذه الجزئيات ؛ فاستعان بالضغط « الأسموزي » أي الضغط الذي يحدثه دفع محلول على جدار غشاء إذا وجد من الناحية الأخرى من هذا الغشاء محلول ذو تركيز يختلف عن تركيز المحلول الأول . وبواسطة قانون « فان تهوف » الذي يبين العلاقة بين الضغط ودرجة الحرارة المطلقة والتركيز الجزيئي يصبح من السهل استنتاج الوزن الجزيئي . أدت هذه الطريقة سورنسن ثم « أدير » إلى تقدير الوزن الجزيئي لزلال البيض : ٣٤٫٠٠٠ وبضعف هذا العدد لزلال الدم . وقد حققت التجارب التي أجريت بواسطة طرق فيزيقية أخرى هذا العدد كما حققت أن المواد الزلالية المختلفة لا تختلف في وزنها الجزيئي إلا بأنها حاصل ضرب هذا العدد في أعداد صحيحة . وليس في ذلك غرابة، فنحن نعلم أن المواد الغروية تتكون من وسط منتشرة فيه دقائق مؤلف كل منها من عدد معين من الجزئيات قد يختلف من مادة غروية إلى أخرى . ومهما يكن من أمر هذا الاختلاف في الوزن الجزيئي فان ما يسترعي النظر حقاً هو ضخامة حتى أصغر قيمة وجدت للوزن الجزيئي في الزلاليات وهي ١٧٫٠٠٠ (يلاحظ أنها نصف ٣٤٫٠٠٠) ؛ ذلك لأننا لا نعرف جسماً يقترب وزنه الجزيئي من هذه القيمة مما يدل على شدة التعقيد في تركيب المواد الزلالية ؛ ومع ذلك فان تحليل هذه المواد إلى عناصرها الأولية لا يؤدي إلا إلى أربعة عناصر بسيطة هي الكربون والهيدروجين والأكسجين والأزوت، ثم في معظم الحالات أيضاً الكبريت . إذن فالتعقيد لا يأتي من ازدحام عدد كبير من العناصر الأولية، بل من النظام الداخلي في ارتباط هذه العناصر . كيف تتركب إذن هذه المواد؟

إذا أجرينا على المواد الزلالية تحليلا تخمريا أي بواسطة الخمائر مثل خمائر الأمعاء فانها تنحل في النهاية إلى عدة أجسام بسيطة التركيب إلى حد ما، يدعونها الأحماض الأمينية أي أجسام يجتمع بها وجود وظيفة حمضية بجانب وظيفة أمينية (وهي وظيفة قلوية تحتوي على الأزوت منتشرة في المواد العضوية) ؛ وعلى ذلك كان من السهل أن يتحد حامض أميني مع حامض أميني آخر بأن ترتبط الوظيفة الحمضية لأحدهما مع الوظيفة الأمينية للآخر، كما أنه يمكن أن يتحد هذا الجسم المزدوج الجديد مع حامض أميني ثالث بنفس الطريقة وهكذا . وقد تمكن فيشر من تركيب نحو ثمانية عشر حمضاً أمينياً بعضها مع بعض فنتج لديه أجسام لها كثير من خصائص المواد الزلالية. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فان الأحماض الأمينية نفسها يمكن تركيبها من أجسام بسيطة . وقد كان لسورنسن الفضل في دراسة وتركيب أحد هذه الأحماض الأمينية الهامة وهي الأرجينين، كما كان له فضل ابتداع طريقة للتقدير الكمي للأحماض الأمينية في محلول يحتوي عليها

للبحث بقية مصطفى نظيف

للتاريخ السياسي

جهود المستر تشمبرلين وما ادت إليه

للدكتور يوسف هيكل

« علمتني التجارب أن الضعف في القوة العسكرية يعني الضعف في السياسة . » تشمبرلين — ٦ أكتوبر

إن خطاب الهر هتلر في نورمبرك وما تبعه من اضطرابات في تشيكوسلوفاكيا ، وقطع المفاوضات بين حكومتها وحزب السوديت الألمان، أقلق الرأى الدولى ولاسيا فى لندن وباريس . فقام المستر تشمبرلين ، رئيس الحكومة البريطانية ، بالاتفاق مع المسيو دلاديه رئيس الحكومة الفرنسية ، يبذل جهود شخصية لم يكن أحد يتوقعها منه ، لابعاد شبح الحرب العالمية وتثبيت السلام . وإننا في عرضنا لهذه الجهود نتكلم عن مباحثات برختسكادن ومشروع لندن ، ونذكر مطالب الهر هتلر الجديدة ، ونبدى ما تلاها من الذعر الدولى ، وما تم في مؤتمر مونيخ

مباحثات برختسكادن ومشروع لندن

اشتدت خطورة الحالة في تشيكوسلوفاكيا في ١٣ سبتمبر (ايلول) وخشي حدوث حرب أهلية بين التشيك والألمان السوديت على أثر انتشار الاضطرابات بين المنصرين في كثير من المقاطعات السوديتية ، وذلك ممـا كاد يؤدى إلى تدخل الجيوش الألمانية ، وبالتالى إلى مساعدة الجيش الفرنسى لحكومة براغ . وهـذه الأعمال الحربية إن وقعت ، لا تلبث أن تصبح حربا عالمية بتدخل الدول الأخرى عملا بالمحالفات التى تربطها مع براغ وباريس من جهة ، ومع برلين من جهة ثانية

وبمـا أن النظام الدكتاتورى الذى يضع مصير البلاد فى قبضة رجل واحد قلل الانتفاع من النظام الديبلوماسى الاعتيادي ولاسيا فى ساعات الأزمات، لذلك قرر المستر تشمبرلين، بالاتفاق مع حكومة باريس ، الذهاب إلى ألمانيـا ، ومقابلة الهر هتلر ، ليتحقق ما إذا كان لايزال باقيا أى أمل فى حفظ السلام . فأرسل إليه فى ١٤ سبتمبر (ايلول) برقية قال فيها :

« نظرا الازدياد تحرج الحالة أرى أن آتى لمقابلتكم بقصد السعى لايجاد حل سلمى . وفى عزمى أن آتى بطريق الجو ، وإنى مستعد للسفر غدا . فأرجو أن تخبرنى عن أقرب وقت تستطيع فيه مقابلتى ، وعن المكان الذى نجتمع فيه » . فرد الهر هتلر على هذه البرقية بقوله إنه مستعد لمقابلة رئيس الوزارة البريطانية غداً فى برختسكادن

طار المستر تشمبرلين إلى ألمانيا صباح ١٥ سبتمبر (ايلول) فوصل برختسكادن الساعة الرابعة . وبعد تناول الشاى مع زعيم ألمانيا أخذ رجلا الدولة يتباحثان . ولم يحضر مباحثاتهما هذه التى دامت ثلاث ساعات غير المترجم

خلال هـذه المحادثات أبان الهر هتلر بوضوح وتأكيد ، وجوب إعطاء السوديت الألمان حق تقرير مصيرهم ، والعودة إلى الريخ إذا كانوا يريدون ذلك. وإذا لم يعطوا ذلك الحق فان ألمانيا تأخذه لهم بالقوة .

وقد تذمر الهر هتلر من تهديدات بريطانيا له فأجاب المستر تشمبرلين على ذلك أنه يجب التفريق بين التهديد والانذار . وقد يكون للهر هتلر سبب معقول من التذمر لو أن المستر تشمبرلين مكنه من التفكير فى أن بريطانيا لاتدخل ضده فى حرب مهما كانت الظروف ، ولكن عملياً توجد حالات إن وقعت تضطر بريطانيا إلى دخول الحرب ضد ألمانيا .

ظهر للمستر تشمبرلين أن الهر هتلر كان يتأهب إلى اكتساح تشيكوسلوفاكيا مما جعله يسأله لماذا مكنه من السفر إليه مسافة طويلة، مادامت نتيجة ذلك ضياع وقته فقط. فأجاب الهر هتلر على ذلك أنه لو أن المستر تشمبرلين يؤكد له هناك (أى فى ألمانيا) وفى ذلك الوقت ـ أن الحكومة البريطانية تقبل مبدأ حق تقرير المصير ، لكان (أى الهر هتلر) مستعداً لبحث الطرق والوسائل لتنفيذ ذلك. ولكن إذا كانت الحكومة البريطانية لاتعتبر هذا المبدأ، فان من الحق ألا تكون هناك فائدة من متابعة المحادثات . غير أن المستر تشمبرلين لم يكن حينئذ وفى ذلك المكان فى حالة تمكنه من إعطاء مثل ذلك التأكيد ، فأعلم محادثه أنه يريد العودة للمشاورة مع زملائه فى هذا الشأن ، إذا امتنع الهر هتلر عن القيام بأعمال عدائية ريثما يتمكن من معرفة جوابهم . فوعده الهر هتلر بذلك .

***

عاد المستر تشمبرلين إلى لندن صباح ١٦ سبتمبر (أيلول)، معتقداً أن لا شيء يحول دون احتلال الجيوش الألمانية تشيكوسلوفاكيا إلا منح الألمان السوديت حق تقرير مصيرهم في وقت قريب. وكان ذلك، في رأيه، الأمل الوحيد في الوصول إلى حل سلمي.

وفي اليوم نفسه، وبطلب من المستر تشمبرلين عاد اللورد رنسيمان من براغ إلى لندن. ولما سأله الصحفيون عن رأيه في الموقف أجاب: «كنت أود لو أنني أعرف عن الموقف ما تعرفون، وأخشى ألا يكون عندي من المعلومات ما أفضي إليكم به غير القول بأن الحالة دقيقة جداً وأنها بين يدي الله».

وفي مساء ذلك اليوم عقد مجلس الوزراء البريطاني جلسة، حضرها اللورد رنسيمان. وفي هذه الجلسة عرض رئيس وزارة بريطانيا لزملائه ما سمع من الهر هتلر، وما حمل من فكرة عن موقف الجيش الألماني إزاء المشكلة التشيكوسلوفاكية. وفي هذه الجلسة أيضاً أوقف اللورد رنسيمان الحكومة على الحالة في تشيكوسلوفاكيا وأبدى لها ما يعتقده من حل حاسم لمشكلتها.

بعد أن عرض اللورد رنسيمان سير المفاوضات ووضع مسؤولية فشلها على الهر هنلاين ومعاضديه داخل البلاد وخارجها قال: «مع ذلك فانني أعطف على قضية السوديت. إنه من المؤلم جداً أن يخضع الشعب لحكم شعب غريب» ثم أبان أنه حين وصوله كان زعماء السوديت المعتدلون لا يزالون يرغبون في حل يبقيهم داخل حدود الدولة التشيكوسلوفاكية، لتأكدهم أن الحرب ستقضي على بلادهم لأنها ستكون ساحتها. وقد حاول اللورد الوصول إلى مثل هذا الحل ولكنه لم ينجح، لتصلب أتباع الهر هنلاين وإيجادهم العراقيل أمام تحقيق الحلول المعروضة. لهذا أخذ اللورد رنسيمان يدين بأن المقاطعات المأهولة بأكثرية كبيرة ألمانية يجب أن تعطى حالاً حق تقرير مصيرها، وأنه إذا كان لابد من إلحاق بعض الأقاليم بألمانيا، وهو يعتقد بضرورة ذلك، فانه يجب أن يكون حالا ومن غير تأخر. لأنه وجد — حسب رأيه في ترك الحالة غير جلية — خطر حقيقي: خطر حرب أهلية. ولذلك يرى وجوب اتباع سياسة سريعة حاسمة. أما إجراء الاستفتاء في المقاطعات التي تكون أكثريتها الساحقة ألمانية، فما هو إلا عمل شكلي إذ الأكثرية من سكان هذه المقاطعات تحبذ الانضمام إلى ألمانيا. والاستفتاء لا يؤدي في هذه الحالة إلا إلى تهييج شعور الجمهور، وبالتالي إلى نتائج سيئة. لهذا فان اللورد رنسيمان يوصي بضم هذه الأقاليم التشيكوسلوفاكية إلى ألمانيا

أما الأقاليم التي فيها النسبة الألمانية قليلة فانه يوصي باعطائها الاستقلال الذاتي ضمن حدود الجمهورية التشيكوسلوفاكية

وبعد أن عرض اللورد رنسيمان مسألة الحدود، تناول الأوجه السياسية التي تتعلق بسلامة الجمهورية التشيكوسلوفاكية وبتحسين علاقتها مع مجاوريها الملاصقين، ولتحقيق ذلك يوصي:

١ — منع الأحزاب والأشخاص في تشيكوسلوفاكيا الذين يشجعون اتباع سياسة الخصومة لجاوريها، من متابعة تحريضهم حتى ولو باتخاذ وسائل قضائية ضدهم

٢ — تغير حكومة براغ علاقاتها السياسية الدولية كما تعطي تأكيداً لجاوريها بأنها لا تريد مهاجمتهم في أي ظرف من الظروف، أو بالاشتراك في أي اعتداء عليهم تنفيذاً لمعاهدات مع دول أخرى. ومعنى ذلك إلغاء حكومة براغ لمحالفاتها الدفاعية مع فرنسا والروسيا

٣ — ضمان الدول الرئيسية — الذين يهمهم السلام في أوربا — حدود تشيكوسلوفاكيا في حالة التعدي عليها، غير المحرض عليه

٤ — عقد معاهدة تجارية بين تشيكوسلوفاكيا وألمانيا إن كان ذلك مفيداً لاقتصاديات البلدين

***

كان لتقرير اللورد رنسيمان تأثير عظيم على الحكومة البريطانية. وقبل أن تضع خطتها النهائية، رأت من الضروري استشارة الحكومة الفرنسية، فدعا المستر تشمبرلين المسيو دلادييه رئيس وزارتها، والمسيو بونيه وزير خارجيتها إلى لندن للتشاور مع الوزراء البريطانيين في ١٨ سبتمبر (إيلول)

اجتمع الوفد الفرنسي بالوزراء البريطانيين، وأبان له المستر تشمبرلين مطالب الهر هتلر ورأى الحكومة البريطانية فيها، وأوقفه على ما وصل إليه اللورد رنسيمان. وقد تم الاتفاق بينهم على مشروع لحل النزاع الألماني التشيكوسلوفاكي يضمن تحقيق مطالب زعيم ألمانيا ويحتوي على النقط التالية:

١ — فصل المناطق المأهولة بأكثرية ألمانية عن تشيكوسلوفاكيا وضمها إلى الريخ .

٢ — عدم إجراء الاستفتاء ، للصعوبات التي تنجم عنه ، والاستعاضة عنه بالتنازل عن المقاطعات التي كان يجب إجراء الاستفتاء فيها .

٣ — تأليف لجنة دولية ، تكون تشكوسلوفاكيا أحد أعضائها ، لتعيين الحدود التشيكية الجديدة والاشراف على تبادل السكان .

٤ — تعهد حكومة بريطانيا بالاشتراك بضمان دولي للحدود التشيكية الجديدة بدلا من معاهدات الدفاع الحالية .

وافقت الوزارة البريطانية بالاجماع على هذا المشروع ، أما في فرنسا فاعترض عليه أربعة من الوزراء . وفي ٢٠ سبتمبر (ايلول) أرسلت حكومة براغ ردها على مشروع لندن إلى الحكومة البريطانية ، أبانت فيه الأسباب التي تدعوها إلى عدم قبول التنازل عن الأرض السوديتية . وأشارت إلى أنها لا يمكنها فقط قبول الاقتراحات الانكليزية الفرنسية التي وضعت دون موافقتها ، وطلبت أن يكون الخلاف بين تشيكوسلوفاكيا وألمانيا موضع التحكيم ، وفقا لمعاهدة عام ١٩٢٦ المعقودة بين هذين البلدين ، وأن تعيد حكومتا لندن وباريس النظر في المسألة ؛ غير أن سفيري بريطانيا وفرنسا زارا الرئيس بنيش في الساعة الواحدة والربع من صباح ٢١ سبتمبر (ايلول) وألحا عليه بضرورة قبول مشروع لندن ، وقد أفهماه أن الحالة في بريطانيا لا تمكنهما من دخول حرب دفاعاً عن تشيكوسلوفاكيا ، وبالتالي فان الحكومة الفرنسية لا تستطيع نجدة حليفتها . فقضت حكومة براغ ما بقي من الليل في درس الحالة . وفي الصباح أصدرت بياناً ذكرت فيه الأسباب التي اضطرتها إلى قبول مشروع لندن . ومما جاء فيه ، أنه « لم يسع رئيس الجمهورية والحكومة إلا قبول اقتراحات الدول الكبرى لأننا وجدنا أنفسنا بلا معين » .

على أثر ذلك اضطرب الرأي العام في تشيكوسلوفاكيا ، وقامت في البلاد مظاهرات وطنية ، واحتشدت الجماهير أمام قصر الرياسة صارخة « فليحي سيروفي ، وليحي الجيش » . فأطل الجنرال سيروفي مفتش الجيش العام من شرفة قصر الرياسة وألقى خطاباً قال فيه : « إنكم لا تعلمون الأسباب التي حملت الحكومة على اتخاذ القرارات الأخيرة . إني أحب الجمهورية بقدر ما تحبونها . إننا لا نستطيع أن ندفع بالشعب إلى الانتحار » . فأجابت الجماهير « إننا نفضل الانتحار ولا نريد أن يمس شرفنا . نريد الكفاح » . . . وكانت النساء على الأرصفة يشهقن بالبكاء ، والدموع تتساقط من أعين رجال البوليس .

وفي صباح ٢٢ سبتمبر (أيلول) استقالت وزارة الدكتور هودزا وأعلن تأليف وزارة قومية برياسة الجنرال سيروفي ، رجل تشيكوسلوفاكيا القوي .

ورغم مطالب بولندا وهنغاريا التي زادت تعقيد المشكلة التشيكوسلوفاكية فان الدوائر السياسية ظنت أن الأزمة الدولية قد انفرجت بقبول تشيكوسلوفاكيا مشروع لندن الذي هو عبارة عن تحقيق مطالب الهر هتلر . واعتقدت أن طيران مستر تشمبرلين إلى ألمانيا للمرة الثانية في ٢٢ سبتمبر (ايلول) مكلل بالنجاح . فهل تحقق ظن هذه الدوائر ؟ هذا ما سنعرفه في المقال المقبل

يوسف هيكل

في اللغة

المؤنث والمـــــذكر
في اللغات السامية
للأستاذ عمر الدسوقي

« نقدم إلى قراء الرسالة كاتبا جديداً من نوابغ الشبان الذين جمعوا بين الثقافتين الشرقية والغربية وهو الأستاذ (عمر الدسوقي). فقد تخرج في دار العلوم سنة ١٩٣٢ ثم أرسل إلى انجلترا للتخصص في اللغات السامية ، فدرس منها الحبشية والحميرية والآرامية والعبرية ، ودرس إلى جانب ذلك اللغات الفرنسية في انجلترا وجرنوبل بفرنسا ، والألمانية بانجلترا وجامعة « بن » ، ودرس أيضا الفلسفة في جامعة لندن ، وحاز بكالوريوس الشرف في اللغات السامية من معهد اللغات الشرقية بلندن . وقد وعد الاستاذ أن يخص الرسالة ببحوثه القيمة في المواد التي تخصص فيها »

ما الفكرة التي حدت بالساميين إلى تأنيث بعض الأسماء وتذكير بعضها الآخر ؟

وهل كان هذا التقسيم معتمداً على فكرة تشبعت بها أذهانهم وتصوراتهم أم كان ذلك عفواً ومن غير قصد ؟ لماذا كان الذهب مذكراً والفضة مؤنثة ، والكرسي مذكراً والمائدة موئثة ، والبيت مذكراً والدار مؤنثة ، والقمر مذكراً والشمس مؤنثة ؟ تسأل علماء اللغة وكتب اللغة فلا تجد جواباً شافياً ، اللهم إلا هذا التقسيم القديم ، وهو انقسام الاسم إلى مذكر ومؤنث ، والمؤنث إلى حقيقي وغير حقيقي ومعنوي ومجازي ولفظي ؛ ولكن لماذا لحقت تاء التأنيث وأخواتها المؤنث غير الحقيقي ؟ أو لماذا اعتبروا بعض الأسماء مؤنثاً ولو لم تكن بها إحدى علامات التأنيث ؟ هذا ما سيدور عليه البحث الآن : —

نجد في اللغات الأوربية الهندية مذكراً ومؤنثاً ، وألفاظاً لاهي بالمذكرة ولاهي بالمؤنثة ، وهي ما تسمى بالانجليزية Neuter ، وأن بعض اللغات الأوربية قد اقتصر على المذكر والمؤنث كالألمانية والفرنسية ، ونجد بعض كلمات في الانجليزية مؤنثة أو بعبارة أصح تعتبر مؤنثة ، مع أنها بعيدة عن فكرة التأنيث من حيث « الجنس » أي فمثلاً كلمة Ship أي سفينة مؤنثة ، وكلمة moon أي قمر مؤنثة ، وكلمة engine أي آلة مؤنثة ، ولكنها كلمات قليلة لعلها أثر من آثار الماضي . أما اللغات السامية فقد اتحدت على تقسيم الاسم إلى مذكر ومؤنث ، واتحدت في الأسماء التي تؤنث ، وهذا ما جعل المستشرقين — ما عدا نولدكه وفنسنج — يقولون إن الساميين قد قاموا بهذا التقسيم حينما كانت لغتهم لا تزال لغة واحدة Proto-Semitic ، وإن نظرتهم إلى الأشياء كانت نظرة عميقة جعلتهم يتخيلون فيها الذكر والمؤنث .

اعتبر العرب بعض الأسماء مؤنثة وإن لم تكن بها علامة تأنيث ، ولا تدل على مؤنث من حيث الجنس كالدار والنار ، والذراع والأصبع ، والسوق واليمين ، والأرض والأذن والعين والسن والشمس والحرب ، وهذا ما يسمى مؤنثاً مجازياً ؛ ونجد من هذا النوع خمسة عشر اسماً في جسم الانسان ، وأحد عشر اسماً من أسماء الآلات ، وأحد عشر اسما لأجزاء السماء والأرض ، واسمين للأمكنة ، وخمسة للحيوانات [1] . ويلاحظ أن هذا المؤنث المجازي يخرج تدريجيا في بعض اللغات السامية من المؤنث إلى المذكر ؛ فمثلاً كلمة « رحى » وكلمة « كأس » نجد كلاً منهما في العربيـة والسريانية مؤنثة وفي الآرامية مذكرة ، ومؤنثة تارة ومذكرة أخرى في اللغة العبرية . وخذ مثلاً كلمة « شمس » تجدها مؤنثة دائماً في اللغة العربية ، ومذكرة دائماً في الآشورية ، ومؤنثة تارة ومذكرة أخرى في الآرامية والعبرية [2]

أما في الحبشية فقد تطورت هـذه الكلمات تطوراً آخر ، فحينما نسي الناس الفكرة الأصلية للمؤنث والمذكر حدث خلط حتى في الكلمات المنتهية باحدى علامات التأنيث [3]

ويظهر أن هذا الانتقال من المؤنث للمذكر لم يتبع في كل حال انتقال الكلمة من معناها الأصلي إلى معنى جديد كما حدث في كلمة « دار » حين أصبحت في العبرية « دور » بمعنى الجيل ، وانتقلت بذلك من المؤنث إلى المذكر ، بل ربما كان هذا الانتقال لضعف فكرة التأنيث كما في « رحى ، وكأس » .

(١) أنظر كتاب Wright الجزء الأول ص ١٨١ ، ١٨٢
(٢) أنظر كتاب Winsing - Some Aspects of Gender in the Semitic languages.
(٣) أنظر كتاب Dillmann, Ethiopic Grammar ص ٢٧٢

وقد استرعى نظر بعض العلماء وجود بعض علامات التأنيث لا في الاسم الدال على مؤنث حقيقي فحسب، ولا في الأسماء التي اعتبرها الساميون مؤنثة لفظاً، بل في بعض المصادر وبعض الجموع، وكثير من الكلمات التي تدل على الكثرة والقوة.

فنجد الألف المقصورة علامة من علامات التأنيث كما في سلمي وحبلى، ولبلى؛ ونجدها في جمع فعيل، كصريع وصرعى وجريح وجرحى، وقتيل وقتلى، وميت وموتى ... الخ. ومعنى هذا أنه لا فرق في العلامة بين صيغة المؤنث وصيغة الجمع.

ونجد الألف الممدودة علامة من علامات التأنيث كما في شقراء وزرقاء وصحراء، وورقاء، ونجدها في جمع فعيل بمعنى فاعل إذا كان وصفاً لعاقل معتل اللام أومضعفاً مثل أغنياء وأشداء وأقوياء؛ ونجدها كذلك في جمع فعيل بمعنى فاعل وصفاً لعاقل غير معتل اللام ولا مضعفاً مثل كرماء وجبناء، وبخلاء وسمداء وعظماء؛ وهذان الجمعان من جموع الكثرة.

ونجد أيضاً التاء علامة من علامات التأنيث كما في فاطمة وسكينة؛ وتجدها كذلك في بعض أوصاف الذكور للمبالغة كعلامة وفهامة ومجانة، وراوية ونابغة، وداهية وقعدة، وجثمة[1]، وضجمة ونؤمة، وفي العبرية «قوحِلة» وهو الذي يؤم الناس في الصلاة. ونجد أيضاً هذه التاء تلحق الجموع لفاعل وفَعلة، وخائن وخونة، وعامل وعملة، وكاتب وكتبة، وكامل وكملة، وطمام وأطممة، وغلام وغلمة، وصبي وصبية، وجهبذ وجهابذة؛ وفي العبرية «أو رحاه» جماعة المسافرين.

وتأتي هذه التاء في المصادر كتجارة وزراعة وصباغة، وحمرة وزرقة ودكنة وعذوبة ونباهة، ومجادلة ومسابقة ومخاصمة، ودحرجة ووسوسة وبعثرة وزمجرة، وتلبية وسيطرة

والتاء في السريانية كعلامة للمبالغة والكثرة والمصدر والمؤنث ليست نادرة ولكنها تأتي مع «آن» وذلك موجود بالعربية أيضاً؛ فنتدنا في المصدر غليان وفيضان وخفقان، وفي الوصف عطشان وظمآن، وفي الجموع إخوان وفرسان وشجعان وفتيان وغلمان وولدان وسودان وحمران[2]، وهي الصيغة المألوفة في الحبشية لجمع العقلاء ونعوتهم؛ ونجدها في العبرية بأسماء التفضيل دلالة على بلوغ النهاية «ريشون» الأول، و«آحرون» الآخر و«حيصون» الخارج، و«حيخون» الداخل، و«عليون» الأعلى ... الخ

وتأتي في الآرامية علامة لجمع المؤنث. ويقول الأستاذ مولر Müller إنها كانت أول الأمر «آت» كما في مسلمات وقانتات، وأصبحت «آن» قياساً على جمع المذكر في الآرامية وعلامته الياء والنون

وليست هذه العلامات قاصرة على المؤنث والجمع والمصدر، ولكنها تلحق الكلمات الدالة على أمور معنوية: مثل رحمة، ورأفة، وشفقة، وقسوة، وغلظة، وكرة، وحياة، وشقاوة، وسعادة وبلواء وبأساء وبغضاء، والعلامة هنا تدل على «شدة» ومتانة في المعنى entensity كما يقول العلامة فنسنج Winsing، ويقول أيضاً إنها تلحق المصغر لتفخيمه وتعظيمه مثل حديا وعجيلى وحميا[1]

يدلنا كل هذا على ما يأتي :—

أولاً: ليس للمؤنث علامة خاصة به من حيث كونه مؤنثاً باعتبار الجنس

ثانياً: وجود صلة وثيقة بين المؤنث والجمع والمصدر والأسماء الدالة على الكثرة والقوة والأمور المنوية

ثالثاً: هذه الصلة هي دلالة الجميع على بلوغ النهاية وتركز الفكرة ومتانتها

رابعاً: وعلى هذا فالفكرة التي حدت بالساميين إلى تأنيث بعض الأسماء تأنيثاً حقيقياً أو غير حقيقي هي دلالة هذه الأسماء على بلوغ النهاية في بابها أو لعظمها[2] وما عليك إلا أن تقرأ صفحة من أحد معاجم اللغة في باب الهاء لترى ذلك واضحاً جلياً: فالقهقهة شدة الضحك، والكمه العمى ولد به الانسان، والكنه جوهر الشيء وغايته، والكهة الناقة الضخمة المسنة العجوز...الخ[3]

وسأبين في المقال الآتي إن شاء الله لماذا نظر الساميون هذه النظرة المملوءة إكباراً وتعظيماً للمؤنث.

محمد الدسوقي
بكالاريوس الشرف في الآداب من جامعة لندن
ومدرس بحلوان الثانوية

(١) الجثمة: البليد النوام (٢) جمع أسود وأحمر

(١) المجبلى: الخطوة السريعة، والحيا: نشوة الخمر

(٢) أنظر كتاب الأستاذ Brochelmann وهو Précis de Lirquis-tique. ص ١٢٧

(٣) القاموس المحيط، طبعة بولاق، باب الهاء، ص ٢٨٦

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ — ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

- ٤٤ -

الخاتمة

مات الرافعي فانطوت صفحة من تاريخ الأدب في مصر وانقرض جيل من أدباء العربية كان له مذهب ومنهاج؛ ولكن الرافعي الذي مات وغيَّبتْه الصفائح قد خلَّف وراءه تراثاً من الذكريات والآثار الفنية ستتعاقب أجيال قبل أن يفرغ الأدباء من دراستها والحديث عنها؛ وإنها لذكريات تثير في كل نفس ما تثير من عوامل الكره أو المحبة، وإنها لآثار...

أما هذه الذكريات، على ما تبعث في نفوس طائفة من الأدباء من معاني الغضب أو معاني الرضا، فقد أثبتُّ منها في هذه الفصول ما قدرت عليه؛ وليس يعنيني ما تترك من أثر في نفس قارئها، إذ كانت غايتي التي أحرص عليها هي جلاء هذا التاريخ لقراء العربية كما أجد صورته في نفسي وأثره في وجداني، متجرداً ما استطعت من غلبة الهوى وسلطان العاطفة وتحكم الرأي؛ لأضع بين يدي كل قارئ — اليوم أوغداً — المادة التي تعينه على الدرس والحكم والموازنة

وأما آثاره الأدبية فقد فصَّلت الحديث عن بعضها في بعض ما سبق من هذه الفصول، وإلى القارئ جملها مرتبةً على التاريخ الزمني:

١ — ديوان الرافعي: ثلاثة أجزاء، صدرت بين سنتي ١٩٠٣ و ١٩٠٦، وقدم لكل جزء منها بمقدمة في معاني الشعر تدل على مذهبه ونهجه، وهي مذيلة بشرح يُنسب إلى أخيه المرحوم محمد كامل الرافعي وهو من إنشاء المترجم نفسه

٢ — ديوان النظرات: جزءان، صدرا بين سنتي ١٩٠٦ و ١٩٠٨

٣ — ملكة الإنشاء: كتاب مدرسي يحتوي على نماذج أدبية من إنشائه، أعدَّ أكثر موضوعاته وتهيأ لإصداره في سنة ١٩٠٧، ونشر منه بعض نماذج في ديوان النظرات، ثم صرفته شئون ما عن تنفيذ فكرته فأغفله، وقد ضاعت (أصوله) فلم يبق منه إلا النماذج المطبوعة في ديوان النظرات

٤ — تاريخ آداب العرب: صدر في سنة ١٩١١ بسبب من إنشاء الجامعة المصرية، وبراه أكثر الأدباء كتابَ الرافعي الذي لا يعرفونه إلا به

٥ — إعجاز القرآن: وهو الجزء الثاني من تاريخ آداب العرب، طُبع ثلاث مرات، أخراها في سنة ١٩٢٦ على نفقة المغفور له الملك فؤاد

٦ — حديث القمر: أول ما أصدر الرافعي في أدب الانشاء، وهو أسلوب رمزي في الحب تغلب عليه الصنعة، أنشأه بعد رحلته إلى لبنان في سنة ١٩١٢، حيث التقى لأول مرة بالآنسة الأديبة (م. ى) فكان بينهما ما كان مما أجات الحديث عنه في بعض الفصول من قصة حبه

٧ — المساكين: فصول في بعض المعاني الإنسانية ألهمه إياه بعض ما كان في مصر من أثر الحرب العامة أنشأه في سنة ١٩١٧

٨ — نشيد سعد باشا زغلول: كتيِّب صغير عن نشيده: «اسلمي يا مصر!» الذي أهداه إلى المرحوم سعد زغلول في سنة ١٩٢٣، طبع المطبعة السلفية بالقاهرة؛ وأكثر ما في الكتاب من المقالات هو من إنشاء الرافعي أو إملائه

٩ — النشيد الوطني المصري: «إلى العلا...» ضبط ألحانه الموسيقية، الموسيقار المشهور منصور عوض

١٠ — رسائل الأحزان: كتاب أنشأه في سنة ١٩٢٤ يتحدث فيه عن شيء مما كان بينه وبين فلانة، على شكل رسائل يزعم أنها من صديق يبثه ذات صدره

١١ — السحاب الأحمر: هو الجزء الثاني من قصة حب فلانة، أو الطور الثاني من أطواره بعد القطيعة، صدر بعد رسائل الأحزان بأشهر

١٢ — المعركة تحت راية القرآن: هو كتاب «الجديد

والقديم » وفيه قصة ما كان بينه وبين الدكتور طه حسين لمناسبة كتابه « فى الشعر الجاهلى » ، صدر في سنة ١٩٢٦

١٣ — على السفود : قصة الرافعى والعقاد ، نشرته مجلة العصور فى عهد منشئها الأول الأستاذ إسماعيل مظهر ، ولم تذكر اسم مؤلفه ورمزت إليه بكلمة « إمام من أئمة الأدب العربى »

١٤ — أوراق الورد : الجزء الأخير من قصة حبه ، يقوم على رسائل فى فلسفة الجمال والحب أنشأها ليصور حالا من حاله فيما كان بينه وبين فلانة، ومما كان بينه وبين صديقته الأولى صاحبة حديث القمر

وتعتبر كتبه الأربعة : حديث القمر ، ورسائل الأحزان ، والسحاب الأحمر ، وأوراق الورد — وحدةً يتمم بعضها بعضاً ، لأنها جميعاً تنبع من معين واحد وترمى إلى هدف واحد وإن اختلفت أساليبها ومذاهبها

١٥ — ؟ ؟ ؟ : كتاب لا أسميه ، أنشأه فى صيف سنة ١٩٣٥ ، استجابة لرأى صديقه فلان وإليه ينسب !

١٦ — وحى القلم : مجموع مقالاته فى الرسالة بين سنتى ١٩٣٤ و ١٩٣٦ إلى مقالات أخرى ، طُبع منه جزءان

* * *

وله عدا ذلك كتب لم تطبع أهمها ما يأتى :

١ — الجزء الثالث من تاريخ آداب العرب : تام التأليف والتصنيف تقريباً

أسرار الإعجاز : فيه فصول تامة التأليف ، وفصول أخرى أجمل فكرتها فى كلمات على ورق أو أشار إلى مصادرها ، وكان الرافعى يعتدّ بهذا الكتاب اعتداداً كبيراً ، وهو جدير بذلك حقاً ؛ وقد أطلعنى — رحمه الله — على فصول منه ، كما تحدّث إلىّ عن نهجه فى تأليفه ، وأذكر أن نهجه فيه كما يأتى :

ا — يتحدث فى صدر الكتاب عن البلاغة العربية ، فيردها إلى أصول غير الأصول التى اصطلح عليها علماؤها منذ كانت ، ويضع لها قواعد جديدة وأصولاً أخرى

ب — ويتحدث فى الفصل الثانى عن بلاغة القرآن وأسرار إعجازه ، مسترشداً فى ذلك بما قدم فى الفصل السابق من قواعد

ج — ويتناول فى الفصل الأخير من الكتاب ، آيات من القرآن على أسلوب من التفسير يبين سر إعجازها فى اللفظ والمعنى والفكرة العامة ؛ ويعتبر هذا الفصل الأخير هو صلب الكتاب وأساسه ؛ وقد أتم الكتابة — إلى آخر يوم كنت معه — عن بضع وثمانين آية على هذا النسق ؛ وقد نشر منها فى الرسالة بضع آيات مفسرة على ذلك النهج ، جملها فى بعض أقاصيصه [1]

٣ — ديوان أغانى الشعب : وهو ديوان من الشعر جعل فيه لكل جماعة أو طائفة من طوائف الشعب نشيداً أو أغنية عربية تنطق بخواطرها وتعبر عن أمانيها ؛ وقد أنجز الرافعى طائفة كبيرة من هذه الأغانى نشر بعضها وما يزال سائرها بين أوراقه الخاصة ومؤلفاته التى لم تنشر . وأكثر الأغانى فى هذا الديوان مأنوس اللفظ رشيق المعنى مما يجمل وقعه فى النفس ويخف جرسه على الأذن .

٤ — الجزء الثالث من وحى القلم ؛ وفيه سائر المقالات التى كتبها، سواء منها ما نشر فى الرسالة وغيرها من المجلات والصحف، وما لم ينشر من قبل

٥ — الجزء الأخير من الديوان : وهو مجموعة كبيرة من شعره بين سنتى ١٩٠٨ و ١٩٣٧ ، بما فيه من شعر الحب ، والمدائح الملكية التى أنشأها للمغفور له الملك فؤاد

هذا إلى شتيت من المقالات والرسائل الأدبية أنشأها لمناسباتها ومنها كثير من مقدمات الكتب المطبوعة ، بعضها منسوب إليه وبعضها منحول مجهول النسب !

* * *

وعلى كثرة ما ألف الرافعى وأنشأ من الكتب والرسائل والمقالات والشعر ، فانك لا تكاد تجد كتاباً من كتب الرافعى فى دكان من دكاكين الوراقين ، اللهم إلا نسخاً من كتاب وحى القلم فى مكتبة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، التى طبعته قبل نعى مؤلفه بأشهر

أما المطبوع من سائر الكتب فقد نفد من السوق ، وأما غير المطبوع منها فمازال ورقات وقصاصات على مكتبه ، وإنى لأخشى أن يمضى وقت طويل قبل أن نتنبه إلى ضرورة العناية بهذه المؤلفات التى خلفها الرافعى ورقات مخطوطة يكاد يبليها الاهمال والنسيان أو يسبق إليها العث والقوارض

ولدى الدكتور محمد الرافعى مشروع لاحياء تراث أبيه ،

(١) اقرأ فى قصة « سمو الحب » تفسير قوله تعالى . « وراودته التى هو فى بيتها ... » الآية

من رحلة الشتاء

فى مضارب شمر

أكبر بيت من الشعر فى الجزيرة (موزو بتميا)

للآنسة زينب الحكيم

زرت جملة من بيوت البدو عاليها ومتوسطها وفقيرها . فوجدتها كلها تتحد فى نوعية النسيج التى صنعت منه ، وفى النظم التى اتبعت فى إقامتها منذ القدم

أما الفروق التى بينها ، فمن حيث الحجم وازدياد الأثاث ، وإن محتويات تلك الدياز بسيطة ساذجة بوجه عام ، ولا تشمل إلا أهم الأدوات الضرورية للحياة المتقشفة . على أن من أ كبرها وأعمرها وأ كثرها تحضراً ، دار ملك البادية شيخ مشايخ شمر

زرت هذه الدار ، فاذا بها دار طويلة عريضة ، متينة الأوتاد قوية الحبال ، مهفهفة الجوانب . كلها من نسيج صوف الأغنام

لست أدرى أيجد الوسائل لتنفيذه أم تحول دونه الحوائل وتمنع منه الضرورات !

على أنى أكاد أو من بأن هـذه ليست هى الوسيلة للمحافظة على تراث الرافعى ؛ فليس من الوفاء للرافعى وحسن الرّعية لأولاده أن نحمل عليهم هذا العبء وما انتفعوا من أبيهم بأ كثر مما انتفع كل أديب وكل مسلم وكل عربي فى مصر وغيرها من بلاد العربية .

هل عرفت الحكومة المصرية أو عرف الأدباء فى مصر ما عليهم لأسرة الرافعى من حق قبل أن نحمل عليها هـذا العبء إلى ما تنوء به من أعباء ؟ إنه عقوق وكفر وإنكار للجميل !

« شبرا » محمد سعيد العريان

***

١ — إجابة لرجاء القراء فى سوريا ولبنان والعراق ، قد جعلنا آخر الأجل لقبول الاشتراكات فى كتاب « حياة الرافعى » أول يناير سـنة ١٩٣٩ ، وهو قريب من موعد صدور الكتاب إن شاء الله

٢ — ليس ما نشرناه فى الرسالة من هـذه الفصول هو كل « حياة الرافعى » فان ما ينشر فى صحيفة غير ما ينشر فى كتاب « العريان »

والجمال ، على شكل دهليز طويل مقسم إلى حجر ، وهذا التقسيم إما بالنسيج أو بالحصير (السمار) ، وأرضها مفروشة بالأكلمة أو بالسجاد العجمى الجميل أو بالحصير ؛ ويتبع هذه الدار على مسافة قريبة جدا منها دور أخرى ، منها مايختص بالمطبخ أو بالمخازن الخ

وصف الحجرة التى استقبلتنى السيدات فيها

خباء من الشعر فى أحد أطراف الدار عن يمين الداخل إليها طالما تخيلناه وتمنينا رؤيته ، وضع فى الجهة اليسرى منه نوع من السرير العريض ، عليه فراش وثير مغطى بغطاء من الحرير الخالص اللون . وإلى جانبه (شلت) زرابى مبثوثة على الأرض المغطاة بالسجاد العجمي ، وتحت السرير حقائب وصناديق ، تبينت فيما بعد أن بها ملابس وحليا ، وحلوى تقدم للزائرات



الشيخ عجيل الياور وأولاده بين زوارهم من المصريين أمام بيت من بيوت الشعر الكبيرة فى الشلقاط بالجزيرة

كانت السيدة الأولى التى استقبلتنى ابنة الشيخ عجيل الياور ، وهى فتاة رائعة الحسن : لون خمرى جميل ، وخد أسيل ، ولحظ كحيل ، ووجه مستدير عليه وشم قليل. إذا تكلمت فكأنما صوتها موسيقى الجنة العذبة الشجية قد انبعثت إلى عالمنا ، دلال فى وقار كالنسيم إذا سرى ، وكالزهر إذا تمايل

اسمها ملك وهى ملك حقا ، تفيض رقة إذا حودثت ، وتذوب عاطفة إذا استلهمت ، حياء فى غير تعمل ، وشمم فى غير تكبر . عرفتنى بعدد من زوجات أبيها وأخيها ، كلهن كحيلات الطرف أو متكحلات ، يغطى الوشم الأخضر أجزاء من وجوههن وأجسامهن ، فنهن من غطت كل ذقنها برسومه ، أو زججت

حاجبيها به ، ومنهن من وشمت شفتيها بحيث لا تظهر حمرتهما ، وإنما اندمج لون الوشم مع لون الشفاه فصار اللون أخضر داكنا. وبعضهن طرزن قبب أعينهن برسوم غريبة ، هذا والحناء تخضب أناملهن وأكفهن وكعوبهن

أما « ملك » فكانت في زينتها وأناقتها تفوقهن جميعاً رقة ودقة وملاحة

سألتها كيف تمضي أوقاتها ، فقالت إنها لا تعمل شيئاً (هذا لأنهـا ابنة ملك البادية بالضرورة) قلت : ولكن ألا تضجرين ؟ قالت: بلى، ولكن هنا ما كينة خياطة أخيط عليها أحيانا . قلت : وهل تقرئين وتكتبين؟ قالت في غضاضة وألم : لا، إنهم لم يعلمونى . قلت : وهل لك شقيقات؟ قالت: لا، أنا وحيدة. قلت : إذن تفضلى معى إلى مصر وأكون أختا لك والدار دارك أنت . توهجت وجنتاها بالدم العربى النقى ولمعت عيناها ، وانحبست أنفاسها ، ثم قالت فى حرارة: لا يسمحون (تعنى أباها وأخاها) قلت: قد يسمحان، قالت : قولى لهما

وفعلاً سألت أخاها (لأن والدها كان قد سافر إلى بغداد) إذا كان ممـا يتمشى وتقاليدهم أن تسافر البنت إلى بغداد أو إلى مصر مثلا ، فقال: هذا ضد نظام العشائر. فسألته لماذا لا تتزوج « ملك » فقال : هي لا تريد ، ومن جهة أخرى حتى يتيسر من يناسب مقامها (فهمت من سياق الحديث أن الزواج هناك يجرى على أساس سياسى بحيث تصير بعده مصاهرات صداقة واكتساب قوة للعشيرة)

الملابس

أعجبت بثياب تلك البدوية ، فعزمت على أن أرتدى زيًّا كاملا منها حتى أصوَّر به. وأسرعت فأخرجت من صندوق تحت السرير، ثوبين من الحرير أحدهما أحمر والآخر أخضر ، بأردان طويلة واسعة . فارتديت هذين الواحد فوق الآخر

ثم ارتديت معطفاً من الجوخ الثمين يقارب طول الثوبين ، وردنه طويل واسع مفتوح إلى نصف الذراع ، ثم ارتديت معطفاً ثانياً من الجوخ أيضاً أقصر من الأول وعلى نظامه فيما عدا ذلك ، وهما مزركشان بتطريز جميل . ووضعت على رأسى نوعين من الغطاء ، أحدهما رفيع والآخر سميك ، وحليت معصمى بجملة من الأساور الذهبية ، ووضعت على رأسى حليات ذهبية ، وعلقت فى شعرى قرب أذنى مثلثين من الذهب الخالص المطعم بالأحجار الكريمة ، لا يقل الواحد منهما عن نصف رطل

وطوقت جيدى بطوق من الذهب فى إحدى أطرافه حلية ذهبية دقيقة الصنع جميلة المنظر جداً . وفوق هذا كله ارتديت العباءة الصوفية الشفافة ، ثم العباءة الصوفية الثقيلة التى تستعمل فى الشتاء

شعرت أنى مشلولة الحركة ، ثقيلة الخطى ، لا أستطيع التنفس ، عكس ما تتمتع به صديقتى « ملك » البدوية التى تمتاز بخفة الحركة ورقتها . والانسان ابن العادة

الطعام الذى تناولته فى مضارب شمر

من أهم ما كنت أرقب مشاهدته ، تناول الطعام على الطريقة البدوية فى البادية ، ولمـا كان وصولى إلى مضارب الشيخ عجيل الياور بعد الظهر ، فانهم بالضرورة لم يعزموا على بتقديم الغداء ، ولا ينبغى أن نتصور أن أهل البادية يستطيعون إعداد طعام بالسرعة التى يؤدى بها هذا العمل فى الحضر

ويصعب جداً على نفس البدوى أن يظهر بغير المظهر اللائق به ، لا سيما أمام الزوار الأجانب ، أو أبناء العشائر الأخرى

وقد قدَّم لنا الشيخ الشاى الحار اللذيذ مع اللبن على طريقتنا نحن ، فكان أول فنجان من الشاى استسغت طعمه من مدة طويلة ، وقدم معه أنواعاً من البسكوت الجاف الأفرنجى

العشاء

وفى المساء ، حوالى الساعة الثامنة ، دعينا إلى تناول العشاء فى خيمة بيضاء كبيرة أقيمت فى وسطها مائدة أنيقة الترتيب أفرنجية . وكان الندل من العرب النجديين السود البشرة ، يقدم ألوان الطعام على أحدث نظام ، قلت : يا حضرة الشيخ ، ما لهذه النظم والقيود أتينا . قال : فى الصباح تأكلون على الطريقة البدوية . قلت: ولكننا نسافر فى الصباح الباكر ، قال: لا ، بل تبقون ثلاثة أيام على الأقل ، قلت : شكراً ، ولكن وقتنا محدود ، فقال : إذاً يكون الرحيل بعد الظهر

وجاء الصباح ، وجلسنا حول مائدة الإفطار ، وكانت أيضاً

على أحدث نظام أوربي أنيق ؛ فقلت : حقاً لقد خسرنا القضية في هذه الرحلة ياحضرة الشيخ ، قال : لا ، الغداء سيكون بدوياً فلا تخافي ، وحقاً لقد كان

الغداء البدوي

انتشرنا بعد تناول طعام الفطور في البادية نستجلي مباهجها ، ونستكشف أزهارها ، ونجمع أنواعها الغريبة ، ونبحث عن الكمأة «الكمه» — وهي نوع من الفطر يوجد تحت الأرض ، يشبه البطاطس ، ولا ورق له ولا فروع — يستعملها البدو كنوع من الخضار يطهى مثل البطاطس . ويجفف منه كميات كبيرة لفصل الصيف المجدب

عند الساعة الثانيـة عشرة ظهراً دعينا لركوب السيارات ، وإذا بها تسير بنا من حيث خيام الشيخ إلى قلب البادية ، فقطعنا نحو عشرة أميال على بساط سندسي جميل على أرض مستوية ثابتة ، حتى وصلنا مجرى ماء يجري في مساحة طويلة وسط البادية . (كونته سيول الأمطار الغزيرة) وهناك وجدنا عبيد الشيخ ، قد فرشوا سجادة عجمية نفيسة حمراء اللون ، قرب مجرى الماء . ووضعت صينية كبيرة فضية وعليها حَمَل محمر ، ومعه أرز الزعفران المزخرف بالكشمش (أي الزبيب)

قال الشيخ : هكذا يكون أكل البدو ، وضرب بيمناه في الأرز المحشى به الحمل ، وأخذ منه كمية طيبة إلى فمه ، ثم بدأ يوزع علينا من اللحم الشهي . فكانت أكلة بدوية بحتة ، بين مظاهر الطبيعة الخلابة ، والنفوس العربية الكريمة والأيدي السخية

تفضل الشيخ فسمح لي باستخدام صحن خاص أضع فيه الكمية التي أستطيع أكلها ، وما كدت أنتهي منها حتى أمر النَدل أن يضع لي كمية أخرى ، وما أرى إلا وقد حمل المغرفة وملأها بالأرز وفتات اللحم ، وينوي وضعها في صحني ، فقلت له : لا أريد مزيداً ، أشكرك ، فظل ممسكا المغرفة بيده الممدودة نحوي وقال : ولكنه أمرني (يعني أن سيده قال له ضع طعاماً للسيدة) ومن سلوكه وتوخيه تنفيذ أمر شيخه المطاع ، شعرت ضمناً أنه يقول «من لم يمت بالسيف مات بغيره» ، وكبشة الندل كانت «غيره» على التحقيق . ما أشد إصرار البدوي ، وما أقوى عزيمته . قلت : حسن أطع أمر الشيخ بارك الله فيك . فوضع ما بالمغرفة في صحني وصار جذلاً



الآنسة زينب الحكيم بالوسط والشيخ صفوك الياور إلى اليمين بالبيداء مع الصيد

بعد أن تناولنا الفاكهة ، وغسلنا أيدينا بالماء الدافئ والصابون ، انطلقنا للصيد . وكانت محاولات الرماة كلها غير صائبة ، ما عدا الشيخ صفوك الياور ، فقد رأى ثلاثة من طير الحبارى الكبيرة ، فقال : لأرمينها ونحن في السيارة ، أسرع يا سائق ولا تتوقف أبداً أو تبطئ . وها هوذا يصيب طائرين من الثلاثة ، حملنا واحداً منها معنا هدية لأصدقائنا في أربيل ، فإن هذا الطير لذيذ الطعم بعد الطهي

وبذلك انتهت زيارتنا للبادية مع شديد الأسف

« الحديث بقية » زينب الحكيم

طاقة أفكار

للأديب محمد فهمي

إن أبطال التاريخ هم أفرادٌ متحمسون للمُثُل العليا إلى درجة الجنون . ومجنونٌ واحد من هذا النوع في مصر يغير مجرى تاريخها . . .

الثقة المائلة بالنفس والايمان بها إلى غير حد هما مفتاح العظمة .

ثلاثة لا يصح أن يطلبها في الحياة عاقل : الراحة . السعادة . الوفاء .

لقد عاد الغرب إلى الوثنية ، ومعبوده تمثال من الذهب على صورة المرأة .

يُخَيَّل إلى أن كل ما يقوله الفلاسفة والحكماء عن الحقيقة كذب صراح ليس بينه وبين الحقيقة أية صلة ، والدليل على ذلك أنهم منذ آلاف السنين للآن لم يتفقوا على رأى فى تعريفها ، وحتى آراء الشخص الواحد وحكمته تتغير وتتبدل حسب حالاته النفسية وانفعاله بالبيئة ثم هي لا تثبت كلما تمادت به السن . أما الحقيقة (إذا كانت حقا هناك) فما زالت بِكراً محجبة ما دخل خدرها مغرم !

لو فهم الفنان الحياة لما صار فنانا .

ينظر الفنان إلى الناس وكأنهم أشباح تعيش فى عالم الوهم والخيال وينظر الناس إلى الفنان كأنه طيف بشر يعيش فى عالم أوهامه وخيالاته ...

لولا نصفنا الأسفل لصرنا ملائكة .

ابحثوا عن النفوس الشريفة بين المغمورين .

يصعد البارزون فى الحياة والمجتمع عندنا على جثث صرعى المثل العليا .

إذا عشقت الحياة وضحيت فى سبيلها بكل شيء غمرتك بالرضا وهناء العاشقين . وأما إذا ازدريتها ومضيت صاعداً نحو « المثل الأعلى » عدوها اللدود جردت خنجرها وطعنتك من الخلف . فاذا أصابتك قتلتك وإذا أخطأتك صرت معبود الملايين . فاذا بها تسعى إليك ذليلة خاشعة تتمرغ عند قدمي معبودها الجبار . ولكن حذار أن تصغى لتوسلاتها، إنها تضمر لك الانتقام الهائل المروع . فاذا انخدعت هوت بك من حالق فاذا أنت سخرية الملايين !

الطمع رأس الفضائل كلها، والنفوس الشريفة تحققه بالوسائل الشريفة فيكون طموحاً والنفوس الدنيئة تسعى إليه بدنىء الوسائل .

الطمع هو الذى يقود الانسانية إلى الأمام . فالطموح إلى السيطرة والطمع فى امتلاك الشرق والغرب هو الذى قاد الاسكندر من مقدونيا إلى الهند — فامتزجت ثقافات وولدت ثقافات . وهو الذى قاد قيصر إلى أنحاء أوربا حتى بريطانيا « انجلترا » فنشر لواء الحضارة الرومانية بين البرابرة . وهو الذى قاد ويقود الأوربيين فى مشارق الأرض ومغاربها وسيَّر ويسير الحضارة والانسانية إلى الأمام

القناعة داء الشرق العضال فمن لى بطبيب يداوى هذا العليل ؟!

لأن تكون كل فضائلك القناعة والزهد فى الحياة فأنت أبعد الناس عن الفضيلة ؛ فان المشهورين بالقناعة والزهد من السلف الصالح وأبطال الاسلام كانوا على قناعتهم أكبر الطامعين فى ثواب الله ورضائه ، ومن أجل هذا قاموا بأعمال جليلة من الفتوحات والغزوات . وهم فى هذا يتفقون ورجال الغرب الذين قادهم طمعهم فى السيطرة والجاه إلى التحكم فى أمم الشرق ولا فرق غير أن طمع الأولين كان فى نعيم آجل ، وطمع الأوربيين فى نعيم عاجل

ما يتعلمه الشيخ من الشاب هو تجاهل الأمر الواقع فى طلب المثل الأعلى وازدرائه المستحيل

أقارن بين الشباب والشيوخ فأرى كفة الأولين أرجح ، فالشباب يفتقرون إلى الحنكة وخبرة الحياة وهذا ما سيكتسب بطول العمر . أما الشيوخ فينقصهم الحماس والثقة التى لا حد لها وهذا ما فقدوه إلى الأبد

الحياة كالمرأة ، لكي تنال رضاها يجب أن تفعل من أجلها كل شيء

الكبر فى الرجل زراية وفى المرأة وقاية

إذا رأى الثور مظاهرة من الجماهير تهتف بطلب الحرية

رد على باحث فاضل

بين الغرب والشرق

للدكتور اسماعيل أحمد أدهم

تتبعت فى شىء غير قليل من الامعان والتدبر ما كتبه « باحث فاضل » على صفحات « الرسالة » أخيراً تحت عنوان « بين الشرق والغرب » تعليقاً على ما جاء فى المقالين الأول والثانى من مقالاتى فى الردّ على ما أثاره صديقنا الأديب النابغة « فليكس فارس » من اعتراضات استمدها مما قاله فى مناظرة جرت له معنا منذ عام أو أكثر ، وذلك فى صلب مقال نشرته له « الرسالة » وجهها لفنان مصر « توفيق الحكيم » بمناسبة ما كتبه عن الشرق والغرب فى قصته « عصفور من الشرق » .

وقد راعنى من كتابة باحثنا الفاضل تخبطه فى أمور لا أعتقد أن لها سبباً غير ضعف كفاية التأمل والقياس العلمى عند الجيل الحاضر من كتاب العربية ، فقد انساق باحثنا إلى مواقف ما كان ليقفها لو كان التأمل والقياس عنده اكتملت أسسهما من المنطق العلمى . والمسألة بعد لم تخرج بيني وبين باحثنا المفضال عما كان بيني وبين الصديق « فليكس فارس » ، خصوصاً وأن الكثير من أجزاء مقال الباحث مقتلمة من المادة التى جابهنا بها مناظرنا « فليكس فارس » ، والتى كانت مقالاتنا فى « الرسالة » بياناً مفصلاً لزيفها ، وأنها لا تثبت لكى تقف على قدميها لترجح رأياً . لأنها تحمل في طياتها أدلة ضعفها . وبعد فباحثنا الفاضل حاول أن يكون فى كتابته منطقياً على قدر الامكان، فجاء فى الشطر الأول من تعليقه بكلام يرد فيها كلامنا إلى أصولها الأولى وخطوطها الأساسية ، ويفصل فيها برأى عنده ، هو الحد الفاصل على ما يرى بين اعتقاد له فى الشرق واعتقاد لنا فى الغرب .

والمسألة لم تخرج عن كونها قضية إن احتات الجدل من ناحية المنطق الشكلى من حيث هو إدارة الكلام فى صور من الأقيسة لاثبات وجهة من النظر معينة، إلا أنها من ناحية الواقع لا تحتمل الجدل ؛ ذلك أنهـا أولية من الأوليات التى تنزل من مواضعات فكرنا الحديث من حيث لقح بالمنطق العلمي . ونحن فى ردنا على ما أثاره باحثنا الفاضل من اعتراضات ظنها تقوّمُ وجهة نظر فى تفاضل الشرق على الغرب ، فاننا نرجو أن نفصل الكلام بعد فى موضوع الغرب والشرق موجهين البحث إلى وجهه الصحيح بعد أن تشعب وطال باعتراضات استلزمت ردوداً منا وكلاماً .

وأول شىء ننظر فيه مع باحثنا المفضال فى أساس المفاضلة ، وهل تقوم على أس من شطر العالم إلى شرق وغرب كما هو فى تقويم البلدان . أما باحثنا فهو يرى هذا ، فلكل من الشرق والغرب عنده عادات وطبائع تباين الأخر ، ولقد اتسع مدى هذا التباين حتى ألبس العقلية فى كل منها مظهراً خاصاً تميزت به عن الآخر . » ونحن من جهتنا نتفق إلى حد ما مع مفهوم هذا الكلام ، ولكن نقطة الافتراق أننا نرى طابع العقلية الانسانية كان يتأثر فى كل من الغرب والشرق في عصور التاريخ بمد وجزر العقليتين الشرقية والغربية فى حالة جزر ، ويقابل ذلك مد من جهة العقلية الشرقية فان عوالم من الغرب كانت تدخل فى منطقة المد الشرقي فتتأثر بطابع العقلية الشرقية ، وأحياناً

والاستقلال — ظن أنهم جائعون يطلبون الملف والشمير وهكذا لا يعرف الجاهل من الحياة إلا أنها أكل وشرب :

آه . ما أسهل أن ينصح الانسان غيره ولكن ما أصعب أن يعمل هو بهذه النصائح :

الوفاء . الشرف . الأمانة . فضائل يكثر التحدث بشأنها والتحسر عليها والنعى على المجتمع لاغفاله أمرها، وماذلك إلا لأن هؤلاء الذين يتحسرون عليها لا يذكرونها إلا إذا كانوا هم فى حاجة لأن يعاملهم بها الآخرون، أما عندما تطالبهم هذه الفضائل بالعمل بها فانهم يشيحون عنها بوجوههم ثم ينسون أن غيرهم لا يفعلون إلا مثل ما فعلوا

الحب شيطان جميل

قل لمن يطلبون الراحة فى الحياة . مهلاً فانها تنتظركم ولسوف تملونها ... هنالك فى القبر

« القاهرة » محمد فهمى

كان يحدث العكس . إذاً فيجب أن نكون محتاطين في قبول الأساس الجغرافي في تقسيم العالم إلى شرق وغرب . لأن الشرق كان يمتد في بعض عصور التاريخ فيشمل بقاعاً من العالم الغربي ، كان يصل إلى سفوح جبال البرانس بأسبانيا وسلسلة جبال الكرابات والطونة في البلقان ولمباردیا في إيطاليا ، كما أنه كان يتقلص في بعض العصور فينحسب إلى الصحراء العربية في الشرق الأدنى والصحراء الكبرى في أفريقيا . وهذه مسائل ملحوظة من التاريخ لا تحتاج إلى بيان ، فمن هنا يتضح أن كلامنا عن التفرقة بين الشرق والغرب إلى ما يمكن له من طابع للغرب وطابع للشرق أدق ما يمكن أن يكون أساساً لبحث الفروق الكائنة بين طبيعة العقل الشرقي وطبيعة العقل الغربي . والموضوع بعد ذلك راجع لمفهوم الشرق والغرب من علم تقويم البلدان ، ولكن ليس بالصورة القاطعة التي تستخلص من التحديد الجغرافي الصرف ، وإنما على وجه مرن يتفق والواقع الملموس .

وبعد فيتبين أن ما حارفيه باحثنا الفاضل في تحديد لفظي الشرق والغرب من كلامنا واضح ليس فيه موضع للبس أو غموض أو إبهام . أما أنه يرى بعد هذا كله أن كلمتي الشرق والغرب مجهولتا المعنى والتحديد في كلامنا ، فلسنا نرى لكلامه هذا وجهاً ، وهو الذي بعد أن انتهى من تلخيص رأينا في طبيعة العقلية الغربية وطبيعة الذهنية الشرقية ذهب يقول : (إلى هنا أحسن الكاتب صنعاً — يعني بذلك دراستنا لطبيعة العقلين الشرقي والغربي — ولو أنه لم يتعد مدلول هذا، يعني بذلك أننا لو وقفنا عند هذا الحد ولم نعمل على كسب تحليلاتنا العقلية صفة الشعبيات لكان بحثه (بحق) أوفى ما يكتب في بحث مظاهر العقليات) ولسنا نعرف كيف يتفق رأيه في اعتبار بحثنا أو فيما يكتب بحق في بحث مظاهر العقليات من حيث تتناول الفروق الكائنة بين طبيعة العقل الشرقي والعقل الغربي مع قوله إن مفهومي الشرق والغرب بقيا مجهولي المعنى في كلامنا ...

إذن لنا أن نصرف النظر عن هذا الكلام الذي يخترمه التناقض والاضطراب ، ولننظر فيما يعيبه علينا من إكسابنا العقليات مظهر الصفات الشعبية ، فهو يرى أن ليس ثمة فرق أساسي بين طبيعة العقليات جميعها . وعلى هذا فالصورة الذهنية لكل شعب — عنده — يغلب أن تكون مرآة للشكل المتكون من تفاعل خصائص ذلك الشعب التاريخية مع البيئة . وباحثنا الفضال في رأيه هذا يفترق عنا عند نقطة أساسية ، ذلك أننا نرى أن هنالك فروقاً بين عقليات الشعوب ، فطبيعة العقل الألماني غير طبيعة العقل الفرنسي ، وطبيعة العقلين الألماني والفرنسي غيرها بالنسبة لطبيعة العقل الانجليزي. ذلك أن طبيعة عقل شعب ما ليست سوى خصائص ذلك الشعب منعكسة من مرآة نفسه ...، وطبيعة عقل الشعب يتلون بها العلم تلوناً كبيراً ذلك بحكم أن العلم نتاج ذو شكل خاص للعقل الانساني ، وهذه حقيقة تنكشف لمن يتعمق في المسائل العلمية الصرفة . وأنا شخصيا بحكم اختصاصي في العلم الرياضي لي أن أتكلم عن هذه الفروق في مادة تخصصي ، وكل ما لي الآن أن أفعله هو أن أنقل لباحثنا الفضال بعض السطور من كتابنا « الفيزيقا والرياضة والمنطق » الذي نشره غوستاف م . فيشر عام ١٩٣٠ بالألمانية عن لیزبغ وينا ، وذلك عن الصفحة ٢١٨ فقد جاء هنالك ما ترجمته :

(إن التمايلين اللذين نلمسهما في علم الرياضة، من حيث رجوع أحدهما بوتيرة سير الاستدلال الرياضي للحدس Intiution والآخر للمنطق logic — مرده ما هنالك من فروق بين طبيعة الذهن الألماني من الجهة الأولى والذهن الفرنسي من الجهة الأخرى .)

وقد جاء في هامش كتابنا هذا تعليق على هذه الفقرة ننقله كما هو مترجماً للعربية :

(أما قطب أن التمايلين الأساسيين في علم الرياضة راجع لطبيعة العقلين الألماني والفرنسي وما بينها من فروق فذلك حقيقة أولية لا يتنازع عليها ، غير أنه يجب أن نلاحظ أن هنالك من الرياضيين في ألمانيا من تأثر بالعقلية الفرنسية وطابعها الخاص ، أذ كرمن هؤلاء شيخ المدرسة التحليلية في الرياضة جوتفريد ويلهلم ليبنتز ، فقد كان المذكور تلميذاً لديكارت ، وكانت عقليته عقلية فرنسية صرفة . أما في فرنسا فهناك قد تأثروا بطرائق العقلية الألمانية نذكر منهم البروفسور شارل هيرميت من دهاقنة العلم الرياضي البحث في القرن التاسع عشر ، والمسألة بعد ذلك راجعة في العموم إلى طبيعة العقلين وخصائصهما .)

وإني لأذكر أنني منذ مدة لا تتجاوز ربيعاً واحداً من عامنا هذا كنت في زيارة الصديق حسين فوزي في مكتبه بادارة الابحاث الألمانية، وكان على مكتبه بضعة أعداد من مجلة «نيتشر» الجديدة: وفي أحدها وقفت على مقال لعالم ألماني كبير على ما أذكر هو رئيس لمعهد وبلهلم للبحث العلمي يقرر فيه أثر الدم السامي في العلوم الوضعية ، وأنه يجنح إلى صور يعليها من الخيال على العلم فتعرقل سير العلم الصحيح . وهذا كلام إن لم نتفق مع صاحبنا عليه في تفاصيله فلا يمكننا أن ننكر أن فيه من وجهة عامة عنصراً من الحق ، أي من جهة التجريد الذي هو طبيعة الذهن السامي .

إذا صح هـذا ، من أن العقليات تكتسب الصفة الشعبية كثيراً على عكس ما ذهب إليه باحثنا الفاضـل في تعقيبه على ما كتبناه سقط كل ما أقامه على هذا الوجه من آراء

وبعد فللباحث الفضال سقطات استوجبها عدم تعمقه في مدلول عباراتنا والنظر إلى ما وراء ألفاظها الظاهرة ، فهو يتساءل قائلاً : متى بدأ الانسان يتحسس الخالق في شر مخلوقاته ، أهو الشرق مصريا كان أو أشوريا أو كلدانيا أو عربيا أم بدأ به اليونان والرومان والسكسون ؟ والسؤال على هذا الوجه لامعنى له بالنسبة لنا ، لأن الأصل فيه تحسس الخالق بآثاره في مخلوقاته ، فالخالق هنا أصل والمخلوقات أو الطبيعة فرع . ونحن نقدر أن مثل هذا النظر كان من خصائص العقل الشرقي !.. وليتأمل بعد موضع كلامه باحثنا الفضال !...

غير أن السؤال لو وضع في صيغة أخرى تتفق مع نظرة العقلية الغربية للأشياء لكانت إفادته : متى بدأ الانسان النظر في الطبيعة ؟ ومتى انتهى من نظرته هذه إلى الخالق ؟ أهو الغربي أم الشرق نظر على هذا الوجه ؟ فان السؤال يستقيم له إجابته من أن مثل هذه النظرة من خصائص العقلية الغربية

والواقع أن باحثنا الفاضل يلزمنا عسيراً مثل هذه الاعتراضات ووجه العسر أنها تضطرنا لأن نعيد القول ونكرره ونتكلم في الأوليات

ووجه آخر من أوجه اعتراضات الـكاتب ، ذلك قوله : إذا كان الشرق قد أدخل العنصر الروحي في تقدير المعاملات بين الناس فهل يتنافى ذلك مع العقل السليم ؟ وهل يتهم بعد ذلك بأنه قاصر ؟

لا ... أيها الباحث ! ولكن قبل كل شيء يجب أن تنتبه إلى هذه الحقيقة وهو أننا لم نقل إن الشرق يدخل عنصراً روحيا بين الأشياء حتى تنحلنا هذا الرأى ، وكل ما قلناه إن الشرق يدخل العنصر الغيبي في الأشياء لأن نظرته غيبية acculte فجعلتها أنت العنصر الروحي ... وشتان بين العنصرين ، وأين كلامك من كلامي هذا !...

ثم مسألة أخري ... قلنا إن الغرب اتجاهه في النظر للأشياء البدء من العالم المنظور ، أعني عالم الطبيعة ، وهو ينتهي منه إلى العالم غير المنظور إن كان هنالك ثمة وجه لمثل هـذا الانتهاء . ولـكن باحثنا الفاضل يتساءل متى بدأت هذه العقلية في الغرب بحثها عن الخالق عن طريق الطبيعة ، وهو يجيب أن الشرق هو الذي سبق الغرب بمثل هذا الاتجاه ، وما كان الغرب إلا مقلداً لها ومتأثراً بهـا وبأسبابها . وهذا وهم عريق في الخطأ ، وناحية الخطأ أن الباحث الفاضل توهم أن معنى النظر في العـالم المنظور والبدء منه أن ينتهي منه الانسان للعالم غير المنظور . والمسألة لم تخرج عن أن صاحبنا ينظر لـكلامي من ناحية عقليته الشرقية وهنا موضع الداء في كلامه

« البقية في العدد القادم » اسماعيل أحمد أدهم



التاريخ فى سير أبطاله

ابراهام لنكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادى ! خذوا معانى العظمة فى نسقها الأعلى من سيرة هذا العصامى العظيم ......

— ٢٨ —

وكان على الرئيس ورجال حكومته بعد قرار التحرير أن يبذلوا غاية جهدهم ليضعوا حداً لتلك الحرب ، فان انتصار أهل الجنوب معناه القضاء على كل شىء ، فبه تصبح الحرية مجرد أمنية وتصير الوحدة ضرباً من الوهم ...

ولقد انقضت تلك السنة الثانية للحرب والجنوبيون أرجح كفة ، ففيها أرغم ماكيلان كما رأينا على التراجع وكان من رتشمند عاصمة الجنوب على بضعة أميال ، وفيها حلت الهزيمة بالقائد بوب وهو يدافع عن طريق العاصمة الشمالية ، وكذلك انتصر الجنوبيون فى الميادين الغربية ؛ ولقد كان مرد تلك الانتصارات إلى كفاية قوادهم وحسن نظام جنودهم ...

وفى نهاية تلك السنة حل محل ماكيلان فى قيادة الجيش الرابط على نهر بوتوماك ، فى طريق العاصمة ، قائد آخر هو بيرنشيد ؛ ولقد برهن هـذا القائد الجديد على كفايته فى بعض الأعمال الحربية من قبل ، ولذلك اتجهت الأنظار إليه فى مركزه الجديد ، وراح أهل الشمال يعلقون الآمال على تغيير القيادة ، أن كان قد ألقى فى روعهم أن ما حل بهم من الهزائم فيما سلف إنما يرجع إلى سوء تدبير ماكيلان ...

ولكن فى الجيش عدد كبير من الجند قد آلمهم أن يفارقهم قائدهم أو أن يحال بينهم وبينه على هذا النحو ، لذلك لم يحسنوا لقاء القائد الجديد أو لم يشعروا تحت رايته بما كانوا يشعرون تحت راية ماكيلان من حماسة

وزحف القائد الجديد على رأس جيش ليحتل فردريكسبرج على الضفة الأخرى للنهر ، حيث كان يرابط لى قائد الجنوبيين العظيم ؛ ووقف القائد الشمالى تجاه خصمه يفصل بينهما نهر بوتوماك ، وقف ينتظر أن توافيه هناك تلك المعابر المتنقلة التى لا بد له منها ليعبر النهر ولكن المعابر وصلته متأخرة فاستطاع خصمه القوى أن يحصن المرتفعات حول المكان ، فلما أخذ يعبر النهر هو وجنوده انصبت عليهم النيران الحامية من كل صوب ، ونظر القائد فاذا كثير من جنده حوله صرعى لا يقل قتلاهم عن الجرحى ، فكان لا بد أن يتراجع وكانت هزيمة جديدة تضاف إلى سلسلة الهزائم فى ذلك العام المشئوم ...

وحمل الجرحى إلى وشنجطون فضاقت بهم المستشفيات حتى لقد حول عدد كبير من الكنائس وغيرها من الأبنية إلى أمكنة للجرحى ، وطافت النذر بالمدينـة ، وانعقدت فى جوها سحب الغم مركومة سوداء ، وأخذت الناس غاشية من الحزن ورجفة من الذعر زاغت لهما الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ...

وأخذت الأنظار تتجه إلى البيت الأبيض وليس فيهـا من معانى الأمل بقدر ما فيها من معانى اللوم والغيظ ، وكأنما كانت ترف من حوله أرواح القتلى فتلبسه كآبة وتشيع فيه ما يكرب النفوس ويؤلم الصدور ...

وأخذ يظهر فى العاصمة حزب جديد ترمى أغراضه إلى وضع حد لهذه الحرب بأية وسيلة ، وألفى الرئيس نفسه بين تيارين ، فهنا من ينادون بوضع حد لتلك المحنة ، وهنا من يطلبون إعادة ماكيلان إلى القيادة والسير فى الحرب ولكن فى سرعة وحمية وإقدام ، وغير هؤلاء وهؤلاء قوم يطالبون بتغيير القواد والبحث عن وسائل جديدة تكفل النجاح ، وقوم آخرون خيل إليهم أن الفرصة قد سنحت لهم لاعلان رأيهم فى مسألة تحرير العبيد وكان رأيهم ألا يمس ذلك النظام بما يغير من أصوله ...

وتراءى إلى الناس فضلا عن مزعجات الحرب وشائعاتها أن المجلس التشريعى منقسم بعضه على بعض ، وأن مجلس الوزراء نفسه قد شاع الخلاف بين أعضائه ، ورأى الناس مما يشاع ويذاع أنهم على حافة الكارثة ...

ولكن السنديانة ثابتة على رغم العاصفة لا تنال الريح العاتية شيئاً من ثبوت أصلها وسموق فرعها . أو لم يك فى الغابة منبتها

وكان فيها غذاؤها وربها ؟ . . . أجل ، إن رجلا واحدا هو الذى بقى أمام هذه الشدة رابط الجأش صارم العزم قوى الايمان، وذلك هو الرجل الذى ألقت عليه الأقدار عبء قومه دون غيره من الرجال فكانت كأنما اختارته عن بينة مما تبيت وتدبر !

وقف ابراهام عزيزاً لايهون ، صلبا لا يلين ، بصيرا لا يطيش حلمه ، أميناً لايخون العهد الذى قطعه على نفسه ، مؤمنا لن يقعد حتى يتم رسالته أو يموت ... وكان موقف الرئيس هذا هو كل ما بقى للقضية من عناصر القوة ... ولكن أية قوة لعمرى هى أعظم وأبقى من تلك القوة ؟ ألا إن الظروف التى بالغت فى قسوتها على الاتحاد وأنصاره قد عوضتهم من جهة أخرى خير العوض بأن جعلت على رأسهم ذلك الرجل العظيم ...

وليت شعرى ماذا كان عسيا أن يحدث من أول الأمر لو لم يكن على رأس البلاد هذا الذى درج من بين أدغالها ؟ بل ماذا كان عسيا أن يحدث فى هذه الآونة الدقيقة التى لم يكن للبلاد فيها من عاصم إلا الصبر كأعظم ما يكون الصبر ؟ وأى صبر هو أشد وأبلغ من صبر ذلك الطود الراسخ الأشم ؟

وكان من قواد الحرب يومئذ قائد يدعى هوكر وهو فى المرتبة الثانية من بعد بيرنسيد ، راح فى ذلك الوقت يذيع فى الجند أن البلاد أشد ما تكون حاجة إلى ديكتاتور يقضى على المنازعات ويرغم الأحزاب أن تحبس هذرها وتدفن خلافها ، وأن الجيش لن يقوده إلى النصر إلا مثل ذلك الرجل الذى يقبض بيد قوية على أزمة الأمور فى الدولة وفى الميادين جيعاً ! ... ولقد ذاعت أفكار هوكر حتى لقد اجترأ ضابط كبير أن يعلن « أن الجيش وعلى رأسه ماك الصغير يستطيع أن يطهر المجلس التشريعى والبيت الأبيض » ... قالها فى غير تحرج وإن كان قد ألقى القبض عليه من أجلها ...

وكتب لنكولن إلى هوكر يعاتبه على ما يذيع من أفكار ويحذره العاقبة ويعينه قائداً لجيش بوتوماك ، ومما جاء فى خطابه قوله : « إنك لن تستطيع أنت ولا نابليون — إذا قدر له أن يبعث — أن ترجع بخير من جيش هذه هى روحه ... ألا حذار من التعجل ، حذار من التعجل ، ولكن أقدم فى نشاط وحية لا تخبو وا كسب لنا النصر »

انتهى العام الثانى لهذه الحرب الهائلة ، وقد لاقى الشماليون ما لاقوا من الهزائم ، ولاقى الرئيس من عنت الظروف والرجال ما لاقى ، وحل العام الثالث فلاقى الرئيس فى مستهله وفود المهنئين بالعام الجديد وباليوم الذى يحل فيه موعد التحرير ، والرئيس مشغول بالحرب وما تتطلب من الرجال والمال ... وها هو ذا يعلق الآمال على ما عسى أن يفعل هوكر ويسأل نفسه ترى ماذا سيكون نصيب القضية فى هذا العام

وزار الرئيس ميدان القتال على نهر بوتوماك وقضى هناك أسبوعاً يشرف بنفسه على الجيش ثم عاد إلى العاصمة يمنى نفسه بالفوز الذى يضع حداً لهذا القلق الذى تزايد حتى عم الرجال جميعاً

وتحرك جيش بوتوماك فى إبريل من تلك السنة ولكنه مالبث أن هزم هزيمة منكرة فى شانزلورزفيل ، بعد أن أبلى فى المعركة بلاء حسناً أول الأمر ... ثم انقطعت أخبار الجيش عن العاصمة بعد الهزيمة حتى بات الناس فى حيرة شديدة ... ورضى لنكولن من الغنيمة بالإياب ، فكان يمنى نفسه أن يعود الجيش إلى موقفه الأول فيمنع الطريق إلى العاصمة . . . وأخيراً وصلته رسالة من القيادة أن الجيش قد عاد إلى موضعه ، ولقد تسلمها الرئيس وقرأها فتندت جفونه ، وهو يقول لمن حوله من أصحابه : ماذا عسى أن يقول الشعب ؟ ماذا عسى أن يقول الشعب ؟ واشتد به الغم حتى ما يفلح كلام فى الترفيه عنه ...

وركب الرئيس وجماعة من صحبه زورقاً بخارياً إلى حيث رابط الجيش، فاستطلع واستفهم القائد عن سبب الهزيمة ثم رجع إلى المدينة وقد عقد النية على أمر ... أعلن الرئيس ما يشبه الأحكام العرفية ، فحد من حرية الصحافة ومن حرية القول ، وأنذر من يعمل على عرقلة قضية الاتحاد أنه سوف يقدم إلى المحاكم العسكرية لتنظر فى أمره ، ولم يعبأ الرئيس فيما فعل بالنقد الشديد يوجه إليه من كل جانب ، فلقد كان مستنداً إلى أحكام الدستور الذى يخول له أن يتخذ عند الخطر ماتتطلبه مصالح البلاد من الأحكام

وحل الورق محل الذهب والفضة فى المعاملة إذ كانت الحكومة فى حاجة إلى المال لتنفق منه على هذه الحرب الضروس ، ولقد التجأت من أجلها إلى القرض . . . وعمت الضائقة حتى شملت الناس جيماً وهكذا ظهر للناس أن هذا العام الجديد أشد هولاً مما سبقه

ولكن هذه الشدة لم تأت بالغرض منها ، فلقد وجد أعداء الحرب وأعداء القضية فيها فرصة لنشر آرائهم ، وسرعان ما تألفت في نواح كثيرة من البلاد جمعيات سرية تعمل على مقاومة الرئيس وحكومته بكل ما يمكن من الوسائل

وجهر فريق من ذوى الرأى والمكانة بمقاومتهم هذه السياسة ومن هؤلاء ولندنجهام وهو نائب عن أهايو فى المجلس التشريعى .. ولقد أخذ هذا الرجل يعمل فى نشاط وقوة على معارضة كل مشروع فى المجلس يراد به نصرة قضية الحرب ، وفى خارج المجلس راح يطلق لسانه فى الرئيس بكل فاحش من القول فتارة يسميه « الملك لنكولن » وتارة يسخر من ذلك الرجل الذى يريد « أن يخلق الحب بالقوة ، وأن ينمى شعور الأخاء بالحرب » وتطرف ذات مرة فهتف بسقوطه فى مجتمع احتشد فيه عدد من الديمقراطيين الذين أعجبوا به

وكان برنسيد يقود الجيش فى الجهات التى تقع فيها أهايو مدينة ذلك النائب ، ولقد أعلن القائد أن كل شخص يعمل ضد الحرب وقضية الاتحاد جزاؤه أن يقدم إلى محكمة عسكرية لينال عقابه على يديها ... ورد ولندجهام على هذا بخطاب حامى احتشد الناس فى تلك الولاية لسماعه ودعا الناس إلى رفض هذا القرار وعصيانه ؛ ولم يسع القائد إلا أن يقبض عليه ويسوقه إلى المحكمة العسكرية فقضت بحبسه فى أحد الحصون هناك ...

وارتفعت الأصوات بالاحتجاج على هذا الفعل الذى يتجلى فيه خنق الحرية، فغير لنكولن حكم الحبس بالنفى إلى خارج مناطق النفوذ الشمالى ، وأرسل ذلك النائب المتمرد إلى الولايات الجنوبية فى حراسة نفر من الجند

تكاثفت السحب واكفهر الجو ، ولم يعد يرى الناس بصيصاً من نور الأمل ، فيئسوا من النصر ، وتحرجت الأمور حتى ما يعرف لنكولن نفسه ماذا يفعل ! . . . ألا هل من قائد يكسب معركة واحدة فيعيد الرجاء إلى النفوس ، والأمن إلى الخواطر ، والعزم إلى القلوب ؟

إن هزيمة الشماليين فى شانسلو رزفيل كانت أقسى ما لاقوا من المحن ، حتى لقد عد مايو وهو الشهر الذى وقعت فيه الهزيمة شر الأيام هولا فى تاريخ تلك الحرب الأهلية الكبيرة ... ولقد كانت خسائر الشماليين فى تلك المعركة بعد ما ذاقوا من الهزائم من قبل ، مما يثبط الهمم ويحل العزائم بينما خرج منها الجنوبيون ولم يخسروا كثيراً اللهم إلا إذا ذكرنا خسارتهم الفادحة بموت قائدهم جاكسون الذى خر صريعاً من رصاصة طائشة أصابته من يد أحد جنوده ...

ها هو ذا الرئيس يفكر ويدور بعينه يتلمس القائد الذى يفلح مسعاه بعد أن خابت مساعى القواد ... ألا من له بهذا القائد ؟ من له بهذا القائد ؟ ... ولكن أين جرانت ؟ إنه هو الرجل ، وإن قلب الرئيس ليلتفت إليه فى هذه المحنة كأنما يلتفت من إلهام . لقد برهن جرانت على كفايته فى بعض المواقع وإن لم تكن بذات بال ، وحسبه النصر فيها على أى حال ، ولعله لا يتخلف عنه النصر إذا ألقيت على عاتقه القيادة فى غيرها من المعارك الكبيرة ... لقد استطاع أن يستولى على حصنى هنرى ودونلسن على نهر المسيسبى فى فبراير من عام ١٨٦٢ سنة الكروب والهزائم واستطاع كذلك أن يحمل الجنوبيين فى أبريل على التراجع فى معركة حامية حدثت فى أبريل من تلك السنة

وكان الرئيس لا يعرف جرانت معرفة شخصية ، ولكن هاتيك الانتصارات فى أوقات عز فيها النصر تنم عن كفاية ، وتدل على بطولة ، وإن عين الرئيس البصيرة لتستشف من وراء تلك الأخبار الرجل المرجو ... وإذا فليرسل الرئيس إليه وليعطه الراية ولينتظر النصر على يديه

ولكن بعض الرجال يأتى إلى الرئيس من أنباء ذلك الرجل أنه بابنة المنقود مولع حتى ما يفيق منها إلا قليلا ، فاستمع إلى الرئيس وقد هداه قلبه الذي لا يكذبه ودلته بصيرته التى لا تخطئه، استمع إليه يقول لهؤلاء الناس « أرجو أن تدلونى : أى نوع من أنواع الويسكى يشرب ذلك الرجل لأرسل منه دنا لكل قائد من قوادى الآخرين » !

أيقن الرئيس أن سوف تنقشع السحب ويتنفس الناس الصعداء ، فلئن لم يكن لهم إلا ثقتهم فى رجلهم ، لقد امتدت عيناه البصيرتان إلى القائد الذى يكون فى ميادين القتال مثل إبراهام فى البيت الأبيض ، رشيدا لا يزوغ بصره ، قويا لا يكل عزمه ، ثابتا لا يخف حلمه ، حكيما يعرف ما يأخذ مما يدع ، جريئا مؤمنا يرى الحياة الحقيقية فى أن يموت فى سبيل مبدئه ...

« يتبع » الخفيف

خطرات فى الحياة والموت

عند رؤية جمجمة

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

رحيقك يا كأس النهى والمشاعر ومهبط سر الله بين السرائر (١)

أكأس الحجا أين الرحيق ترشفت علالاته نشوى النهى والبصائر (٢)

أجرّعه ثغر من الموت ظامئ طوى ماطوى من فطنة وخواطر

حوتها عوادى الدهر إلا أقلها إذا خط لفظ فى بطون الدفاتر

بدا الناس جيلاً بعد جيل كأنهم تهاويل سحر أو سمادير ناظر (٣)

وما تدرك الألبـاب منهم عديدهم إذا استجمعتهم بين ماض وحاضر

كأن لم يكلح منهم إذا الموت غالهم وميض الثنايا أو بكاء المحاجر

ولم يعرفوا الآلام تحسب أنها ستخلد فى جسم إلى الموت صائر

فأين مضت أحقاد قوم كأنها لهيب جحيم خالد فى السرائر

وأين ولوع بالجمـال كأنه زعيم بتخليد الوجوه النواضر (٤)

وأين فعال يحسب الناس أنها على جبهة الأيام من وشم قادر

وأين جيوش دكت الأرض خيلها مضت حيث لا تمضى خواطر شاعر

وأين الغزاة الفاتحون وقد بدوا كانبعث الأشباح نفثة ساحر

فهل أنت ممن قد جنته سيوفهم وداسته خيل تحتها بالحوافر

أم ازدان تاج قد لبست بحكمة بها اسطعت تصريف الصروف الدوائر

وهل أنت ممن دبر الشر لبه وأحكم زهو النفس جر الجرائر

أم الخـير ما حنت إليه نوازع لديك وإن لم تحتقب خير غادر (١)

لقد كنت وكر اللب لو أن عاديا من الموت لم يهبط عليك بكاسر (٢)

بك ارتاع مسعود إذا ارتاح يائس بذكرى الردى يرجو علالة صابر

قد اختلف الأقوام فى العيش والردى فمن ظافر يهوى الحياة وخاسر

هنيئاً لكل ما يرى من علالة بحسن حياة أو بنجوى المقابر

وما عالت نفس الفتى بمنية ستطوى هموم العيش طى الدساكر (٣)

سوى رغبة فى العيش يرهب صرفه فيعدو على البؤمى بذكرى الغوابر (٤)

بذكرى الحتوف الجاليات على الورى من الراحة الكبرى أجل البشائر

عبد الرحمن شكرى

(١) الخطاب موجه إلى الجمجمة والمراد بالرحيق رحيق الفكر والادراك
(٢) كأس الحجا أى الجمجمة
(٣) التهاويل: الصور والرسوم والنقوش، والسمادير ما يرى الوسنان أو الأعشى من الأشباح
(٤) زعيم بكذا: أى كفيل به

(١) احتقب: ادخر أو حمل معه يقال احتقب خيراً أو شراً
(٢) الكاسر: الطائر المفترس والمراد بوكر اللب الجمجمة والوكر عش الطائر
(٣) الدساكر: جمع دسكرة وهي في هذا المعنى بيوت للهو والشراب وتأتى بمعنى القرى الصغيرة
(٤) البؤمى بياء في آخر الكلمة البؤس

(تنبيه) في قصيدة (جنون الأقوياء) الصواب ما أتوه لا ما أتون وقسوة وحش ويقسو لا قوة ويقوى، والنحل لا النخل

الليـــل

للأديب حسن حبشى

أيها الليلُ: أيها الكاهنُ الصا | متُ مِنْ فَجْرِ عُمْرِكَ الوَسْنَانِ
نَشأت فى ظِلال صَمْتِكَ أحْلا | مِى فكانت كالزَّنبقِ الفَيْنَانِ
وَاكتستْ مِنْ جلالِ رَوْعَتِكَ الكبْرِى
تهاويل حُسْنِهَا الفتَّانِ
وَتبدَّتْ كغادةٍ نَسجَ الحُسْـ | ـنُ لها تاجَ رِقَّةٍ وَحنَانِ
شَاعَ فِي النَّفسِ نورُهَا، وَمحا لأ | لاؤُها ظُلمَةَ الفؤادِ العَانِي
أتُرَاها يَدُ المَسِيحِ أزالَتْ | كُلَّ يَأسٍ مِنْ خَاطِرِي المُدْجَانِ؟
كم سُكونٍ يَفوحُ بالعِطْرِ رَفَّافاً
وبالشِّعْرِ والهَوَى الرَّيَّانِ
ولَكَمْ فِيكَ نَغمَةٌ رَقَصَ القَلْبُ
لها هَاتِفاً بشَتَّى المَعَانِي
أتُرَى هَذِهِ النُّجُومُ نوافيسٌ | بمِحْرَابِ أُفقِكَ الفتَّانِ
من بَنَاهُ وَشَعْشَعَ النُّورَ فيهِ | سَاحِرَ الحُسْنِ فِتنَةَ الأذهَانِ
أيُهذا الظَّلامُ يا أُفُقَ الفكْـ | ـرِ، وَيَا مَعْبَدَ الأمانِي الحِسَانِ
إنَّما أنتَ هَيْكَلٌ جَثَمَ الظَّنُّ | عَلى بَابِهِ جَهُولَ البَيَانِ
لم تَطَأْ قُدْسَ أرْضِهِ أو تَجُبْهُ | غَيْرُ أوْهَامِ شَاعِرٍ فَنَّانِ
نَظَمَ الحُبَّ والجَمالَ نَشِيداً | وَقَّعَتْهُ يَدُ الهَوَى فِي الأَغَانِي
وتَغَنَّى يا لَيلُ فى صَمْتِكَ المُشْـ | ـجِي طَرُوباً بِمُسْكِرِ الأَلْحَانِ
بَعْدَ مَا حَطَّمَتْ هَوَاهُ المَنَايَا | وَرَمَتْهُ بِكَالِحَاتِ الأَمَانِي
وَطَوَى صَفْحَةَ الشَّبَابِ على كُرْ
هٍ، وأغضَى على شَبَاةِ السِّنانِ

حسن حبشى

الى صاحبة السمو الأميرة فريال

بسمة المـــنى

للأستاذ ابراهيم مأمون

يا ابنةَ التاجِ مِنْ أبيكِ مثالٌ | هو فى الصِّيدِ مضربُ الأمثالِ
هو وحيُ السماءِ فى نهضة الدِّيـ | ـنِ نمته جلائلُ الأعمالِ
عصم الشعبَ من نيوب العوادى | وأعزَّ الحمى بالاستقلالِ
ولدى مَهْدِكِ الطهورِ رءومٌ | هى غرسُ الندى ونَبْتُ الكمالِ
أنجبتكِ العُلا وظلّكِ الطهـ | ـرُ وما زلتِ فى أعف ظلالِ
وغدت مصر فى رحابكِ فِرْدَوْ | ساً لولدانها، وللأطفالِ
انظروا ضاقَ المبرّةِ يمتـدّ | فيكسو طفولةَ الأقلالِ!
فاض نور المهادِ حتى كساهم | نضرةَ النورِ ضافيَ الأذيالِ
بين أيديهم الأمانيُّ تسعى | فى ثغور المنى وحسن المآ
خطروا أمس بالبلادِ يطوفو | نَ ومن نورهم سنا الإجلالِ
فإذا مصرُ من سناهم نعيمٌ | وإذا هم مطالعُ الأقبالِ
لو رأيت الجنانَ قلتَ هم الوِ | لدانُ، أو هم فرائدٌ وغوالِ
هبة الله للمليكين «فريا | لُ» فأنعِمْ بما حَبَا ذو الجلالِ

***

يا ابنة التاج: خلف ركبكِ ركبٌ | حولَه الدهرُ والملوكُ موالى
فاملئي المُلْكَ مِنْ أريجِ المعالي | واجعلى المهدَ غابةَ الأشبالِ
كتب الله أن يعزّ بك الطهـ | ـرُ وتعتز صاحبات الحجالِ
نهض الدين بالفتاة قديماً | وسقي الوائدينَ كأسَ النكالِ
فاحشرى الدينَ فى ظلالك يصطـ | ـفُ وفي الدين أعظم استقبالِ
ربّما كنتِ كالبتول مكاناً | تضربينَ الأبطال بالأبطالِ
ربما كنتِ مريمَ ابنة عِمْرا | نَ تحلّين فوق كل منالِ
حفصة الأمس سايرت أبويها | ومشى الدينُ خلفها فى احتفالِ
حفظت عزةَ الكتاب من الدهـ | ـرِ وصانته من يد الأهوالِ



احمد زكي باشا والرافعي

في المقال رقم ٤٢ من مؤلف الأستاذ محمد سعيد العريان في « مصطفى صادق الرافعي » أن « زكي باشا (شيخ العروبة) كان على نية إعداد معجم لغوي كبير قبيـل وفاته ، وكان للرافعي في إنشاء هذا المعجم أثر ذو بال ، وفيه فصول كتبها الرافعي بتمامها وأعدها للامضاء »

والذي أعرفه حق المعرفة ، للصلة التي كانت بيني وبين احمد زكي رحمه الله ، أن ذلك المعجم كان مجموعة من الجزازات على الطريقة الافرنجية ، وهي الطريقة التي حذقها احمد زكي دون غيره من أهل اللغـة عندنا فيما أعلم . وقد اتفق لي غير مرة أن أنظر في هذه الجزازات فكانت من خط أحمد زكي أو من خط كاتبه الخاص . هذا وقد وقع لي أن أطلع على مسودات القليل المدون من هذا المعجم ، فاذا الخط خط احمد زكي . ذلك ما أعرفه وربما غابت عني أشياء ، أو ربما كان احمد زكي يستشير الرافعي كما كان يستشير غيره من المشتغلين باللغة ، وليس في ذلك مغمز .

أما حديث المقالات التي كان يكتبها الرافعي يمدح فيها نفسه ثم يستدرج احمد زكي إلى توقيعها فمن الغريب أن يمدها الأستاذ العريان مما انتحله احمد زكي وهو من تأليف الرافعي .

والحقيقة أن هذه المقالات مما أراد الرافعي، لسبب في نفسه ، أن ينسبه إلى أحمد زكي .

ب . ف

الأستاذ محمد محمود باشا

قال صاحب المقام الرفيع الأستاذ محمد محمود باشا رئيس الوزراء في خطبته الغراء في الاسكندرية[1]: « نحن الآن نجتاز (أوقاتٍ) ملأى بالأحداث والعبر » . وصاحب المقامات المشهورة أبو محمد الحريري في (ملحة الاعراب) يقول :

(١) يوم رفع الستار عن تمثال الخديو اسمعيل

والحيراء فيأتنا نُهــاها	وأشاحتْ عن شِرعة الجهَّال
نِصْف دين السماء يُؤخذ عنها	ومِن الله والنبيِّ أمالي !
أنتِ في الدين ينهن وفي الحر	ب لجُندرك في صفوف القِتال
قد حشدْنا لدى الزفاف الغراء	ين وركب الملوك والأقيال
وسألتُ البيان ترديد ما قا	ت فأغضى وما استجاب سؤالي
وإذا بي أجيل في مولد الطهـ	ر قصيداً في عزة وتعالي
سوف ألقاه بالقصيد حَفيا	فوقَ ماتعهدُ اللّغى من الأقوال
والبيان الموهوب لا يعرف العو	نَ ، ولا ملجأ إلى التسآل
أنا لا أعرف الخواطر تنسا	ب سواء ولا اتفاق المقال
ربَّما تجمع السباقَ المذاكي	ولـكلٍّ ميزانه في المجال !
ربما يعرض الأديب أديباً	فتراه كناحت التمثال
والدراري وإن نُظِمن عقودا	مَيَّزتهنّ قدرة اللآل
والقوافي إذا اتحدن بحوراً	ضل فيهن سابح الأوشال
فتياتِ البلاد قد بسم الدهـ	ر وزالت فوادح الأغلال
هذه مصر ترتجيكنّ للمجـ	د وحمل اللواء غير أوال
إيه ثَبِّتْن للحنيف لواءً	وأزِنَّ الطريق بالأعمال
واستَعِدْن التاريخ في صحف الغيـ	ب كما كان في السنين الخوالي
تلك « فريال » في التقى فتمشيـ	ن إليها على تُقًى واعتدال
واتخذن الكتاب في نهضة الشر	ق دليلاً تُزِلْنَ كل اعتلال

* * *

يا مَليكيَّ كنانة الله في الكو	ن رسا الملك في أصول الجبال
فاهنآ تهنأ البـــلاد بفريا	ل مدى العمر في السنين الطوال
طلعتْ مطلع الجلال على الشر	ق فكانت لمصر أيمنَ فال

ابراهيم مأمونه

وكل ما كسِّر في الجموع … كالأسْد والأبيات والربوع
فهْو نظير الفرد في الاعراب … فاسمع مقالي ، واتبع صوابي

وقال الناظم في الشرح : « وفي جمع التكسير ما يوجد في آخره ألف وتاء فيتوهم المبتدئ[1] أنه من قبيل جمع المؤنث السالم الذي لا تفتح تاؤه في النصب ، وذلك مثل أبيات وأقوات وأموات فهذه الجموع الثلاثة من نوع جمع التكسير ويدخل تاءها النصب »

والأستاذ محمد محمود باشا من الفصحاء المعربين إذا خطب . وكان الشاعر العظيم (أحمد شوقي) يقول لي : « إنه من الشنوفين بالعربية » لغة آبائه الكرام العرب ، وقد صادق الأستاذ الرئيس — ولم يعاد كدأب كثير من عمال السلطان — كتب اللغة والأدب . والكبير المشهور تقلده الناس مخطئاً ومصيباً ؛ ومن أجل ذلك كتبنا هذه الأسطر

القارئ

دار العلوم وكلية اللغة العربية

حضرة الأستاذ الكبير صاحب الرسالة الكريمة .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

قرأت — بإعجاب يمازجه الشكر — ما كتب تحت العنوان الآنف ، في عدد الرسالة رقم ٢٨١ ، وشاركني في عرفان هذا الجميل كل أزهري .

وقد أتاح لي إعلانَ هذا الشكر ما كتبه حضرة (ع . ح . خ) في العدد (٢٨٣) رداً على الكلمة السالفة ، إذ أورد حضرته شبهات ليس من الخير أن تمضي بلا جواب .

يرى حضرته أن محاولة المنافسة بين المعهدين آتية من جهة الأزهر ؛ وأنه ليس من المساواة الحقيقية أن يعين الأزهريون في وظائف التدريس بالمدارس ، دون أن يعين أبناء دار العلوم في وظائف التدريس بالأزهر ؛ وأن أبناء دار العلوم أجدر بتدريس العلوم الحديثة ، والأزهر يوليها سواهم ؛ وأن دار العلوم في عهدها الجديد تنفرد من بين جميع معاهد التعليم بدراسة اللغات الأجنبية والسامية وآدابها ، إلى جانب الدراسة المستفيضة للغة العربية وأدبها ، دراسة تبرئها من الجمود ؛ وأن دار العلوم تنشأ في كنف الوزارة وعلى عينها . الخ .

وأكبر الظن أن حضرة (ع . ح . خ) هذا لا يمت إلى دار العلوم بنسب قريب ؛ إذ لو كان من صميم أبناء الدار الكريمة لعرف أن في مختلف المعاهد الدينية : الابتدائية والثانوية ، عدداً ليس بالقليل من أبنائها ، يعرفون من حسن زمالة إخوانهم الأزهريين ما ينكره حضرته ، ويشاركونهم فيما لهم وما عليهم ، إلا في الرواتب ، فان حظ أبناء الدار منها أسعد . وإذا كان حضرة الكاتب يريد بالعلوم الحديثة التي ذكر الجدارة بدراستها : العلوم والآداب ، فجوابه عند حضرة صاحب العزة خالد بك حسنين ورجاله ، لا عند الأزهريين الشيوخ .

فأما كلية اللغة العربية ، فالدراسة فيها إلى رجال من الأزهر يتولون دراسة العلوم الأزهرية في كتبها القديمة ، يزاملهم صفوة من خير رجال الدار ، على رأسهم أستاذ الأساتيذ : أحمد بجاني ؛ ويتولون دراسة الانشاء ، وفقه اللغة ، وأدب اللغة ، للفرق العالية ، ويشاركهم بعض من لا يذمون مشاركته من الأزهريين في الفرق الأخرى .

ويستأثر بالدراسة في تخصص التدريس رجال من أعضاء البعوث : أبناء دار العلوم وأبناء الجامعة ، لا يشاركهم فيه أزهري واحد في كاتا سنتيه ؛ وهم أنفسهم الذين يقومون على تمرين طلابه ، وامتحانهم ، وتخريجهم . فان لم يكن في كل أولئك ضمان لتبرئة الأدب من الجمود ، فلا أبرأه الله إلى يوم القيامة ... ولئن نامت عين الوزارة عن هذه الجهود المشتركة ، إنها لنؤوم . .

ولقد تجنى الكاتب على الأزهريين في رميهم بالتعدي ومحاولة المنافسة ، كما بالغ في الآمال التي يبنيها على المهد الجديد لدار العلوم . ولو راجع ذاكرته ، لذكر أن الاتفاق بين الأزهر والوزارة على حلول كلية اللغة محل دار العلوم بالتدريج ، حديث مفروغ منه . كما أنه لو رمى بنظره بعيداً ، للمح أن دار العلوم الحق تنقرض ؛ وأن المهد الجديد سيميل بها عن مقامها الكريم إلى التعاليم الغربية الجامحة التي تباعد بين القديم الخالد ، وبين ناشئة الأمة ورجال مستقبلها . ومن لنا بدار العلوم ؟ ! !

عذيرك من خليلك من مراد … أريد حياته ، ويريد قتلي[1]

وأما بعد ، فان بين الأزهريين وبين الخلص من أبناء دار العلوم من الروابط والصلات ما لا يدفعه تهافت الواغلين ، ونزوات الطائشين ، من أبناء المعهدين : كلية اللغة العربية ، ودار العلوم .

أزهري

---

(١) المبتدئ في ذلك الزمان في اللغة مثل أستاذ في كلية أوجامعة اليوم .

(١) « الرسالة » : روى الأستاذ الكاتب هذا البيت على هذا النحو وهو لدريد بن الصمة وصوابه :

أريد حياته ويريد قتلي … عذيرك من خليلك من مراد

حول المركزية في التأليف

قرأت في الرسالة بتوقيع (م . ا) نقداً لمناهج الأدب وتأليف الكتب للمدارس ، فلا يسعني إلا أن أصحح ما تورط فيه الكاتب من خطأ قد يكون تلقفه من أفواه النـاس من غير أن يراجع الكتب قبل أن يخط حرفا .

ونحمد الله أن الحملة ليست موجهة إلى المادة العلمية في الكتب، وإنما هي راجعة إلى اشتراك المفتشين والمدرسين ، ولكن ماذكره الكاتب من أن بعض المفتشين اشترك باسمه في كتبنا فهو تجن وتحكم. ولوكان في الوسع أن أقول : كتب فلان وأرشده فلان، وحقق معه المراجع العلمية فلان ، لندم كاتب الرسالة فيما خاض مع الخائضين

وأما كتاب السنة التوجيهية الذي ألفه اثنان من زملائنا في العام الماضي فهو واحد من الكتب التي اشتركنا فيها ، ومادام الكاتب المقنع قد جار على الحقيقة وظلم الناس ، فأنا مستعد أن أضع أمام عينيه في إدارة الرسالة نسخة قديمة ونسخة جديدة من التي اشتركنا فيها ، وعليه أن يراجع الموضوعات موضوعا موضوعا القديم منها والحديث ، وأنا واثق أنه سيعود إلى ما كتب بالتصحيح إن كان يقصد وجه المصلحة العامة .

حسنين حسن مخلوف

المعاهد العلمية الاسلامية في الهند

جاء من عليكرة أن اللجنة العامة للمعارف في الهند اجتمعت في جامعة عليكرة الاسلامية للنظر في تنظيم التعليم في الهند . وقد بسط الدكتور ذاكر حسين للجمعية برنامجه الخاص بالتعليم وهو يتلخص في أن تجعل الحكومة التعليم مجانياً وإجباريا في المدارس الابتدائية للأولاد لمدة ثمانية أعوام والبنات لمدة ستة أعوام ، وأن يفرق بين البنين والبنات في المدارس المشار إليهـا ، وأن تكون لغة التدريس في كل مدرسة لغة المقاطعة التي فيها المدرسة، وأن يتعلم التلميذ صنعة يدوية أو فنية ، وأن ينشأ فرع لاخراج المعلمين من الطلبة المسلمين ، وأن تساعد الحكومة المدارس الأهلية، وأن يكون التعليم الديني إجبارياً في المدارس

ومن أنباء كلكوتا أن رئيس وزراء البنغال السيد فضل الحق رأس حفلة افتتاح المدرسة الاسلامية العليا في كلكوتا . وقد ألقيت خطب ترحيب عديدة من منـدوبي المدارس الاسلامية فرد رئيس الوزراء وقال : إن الضرورة كانت تقضي بفتح مدرسة لتعليم لغة الأوردو وأثنى على الثقافة والأدب البنغالي . وتألف بعد ذلك موكب سار مع الوزير إلى باب المدرسة ففتحه السيد فضل الحق بمفتاح من الفضة

بين مصر ولبنان

حضر الأستاذ السيد محمد عمر منيمنه مدير الكلية الشرعية على رأس بعثة الكلية لمصر؛ وقد وفق لأخذ قرار مجلس الأزهر الأعلى بمعادلة شهادة الكلية الشرعية الثانوية الأزهر ، وأدخل خمسة طلاب في كليات التخصص في الأزهر، وثلاثة في دار العلوم العليا ، وواحدا في جامعة فؤاد بكلية الآداب .

والأستاذ محمد عمر منيمنه مدير الكلية الشرعية يسعى لدى المراجع الرسمية لتكون الكلية الشرعية في بيروت مشمولة بالرعاية الملكية والمعاضدة السامية الخاصة فندعو له بالتوفيق ...

الاذاعة المدرسية وتفاهة المكافآت

أشرنا مراراً إلى الجهود الجبارة التي تبـذل في جميع الممالك الغربية ولا سيما انجلترا من أجل الاذاعة المدرسية ؛ وأشرنا مراراً إلى الميزانية الضخمة التي تمدها انجلترا سنويا لهذه الاذاعة ونحن هنا في حاجة إلى ستين إذاعة — لا غير — ثلاثون منها للمدارس الابتدائية والثلاثون الأخرى للمدارس الثانوية ، وكلا الاذاعتين صالحتان لجميع السكان غير التلاميذ — فلو أن الوزارة جعلت مكافأة الاذاعة الواحدة جنيهين لكان المبلغ المطلوب لهذه الاذاعات الستين مائة وعشرين جنيها ... ولكن وزارة المعارف تقول: لا لا ! هذا المبلغ يرهقني ! اجعلوا مكافأة الاذاعة الواحدة خمسين قرشاً فأدفع لكم عن الاذاعات الستين ثلاثين جنيها ، وأنا لا يهمني أن تنفق انجلترا على إذاعاتها المدرسية تسعين ألف جنيه فانها دولة غنية وهي تعنى بالتربية الصحيحة أكثر مني !

ومع ذلك فالوزارة تطمع في اشتراك كبار رجال التربية في الاذاعة المدرسية ولو بالمجان !

بين الإسلام واليهودية

كتب إلينا الدكتور م . ه . يقول : إن ما يبديه العالم الاسلامى اليوم من روح العداء لليهود يخالف تقاليد الاسلام . فقد ظل اليهود خلال القرون العصيبة آمنين فى حمى المسلمين بالأندلس وتركية ومصر وسورية، وذلك لقوة الرابطة بين العرب واليهود فى أصل الجنس وأصل الدين وأصل اللغة وأصل الوطن . وكان الأحرى بأبناء العم أن يعطفوا على السامية المضطهدة فى بلاد الدكتاتوريات القائمة على عصبية الجنس واللون ومجافاة الانسانية والدين ...

ونحن نؤكد للدكتور م . ه . أن ليس بين المسلمين واليهود إلا فلسطين . ونقصد باليهود هنا الصهيونيين الذين يريدون أن يجعلوا من فلسطين وطناً قومياً لهم على حساب العرب . أما اليهود المصريون والعراقيون وغيرهم ممن لا يدين بالصهيونية، ولا يساعد على هذه اللعبة الانجليزية، فانهم يعيشون مع المسلمين فى كل مكان على وفاق تام وأخوة شاملة

اللغة الأجنبية ومعلمو اللغة العربية

جاء فى الأهرام بتاريخ ٤ ديسمبر سنة ١٩٣٨ تحت عنوان (تنفيذ خطة الاصلاح فى معهد دار العلوم) أنه قد « استقر الرأى على إنشاء قسم لتعليم اللغات الأجنبية وآدابها لخريجى دار العلوم على أن تكون الدراسة ليلية . وسيذاع فى الأيام القادمة بيان بأغراض هذا القسم ونظام الدراسة فيه ، على أن يبدأ العمل فيه من منتصف الشهر الحاضر »

وهذا إصلاح جدير بالثناء يتقبله خريجو الدار بنفوس راضية مطمئنة متشوقة إلى الكمال ، راغبة فى الاستزادة من العلم . فاللغات الأجنبية الآن من أعظم مناهل الثقافة فى العلوم والآداب؛ وهم شديدو الرغبة فى ورود مناهلها ، ولديهم الاستعداد للاستفادة منها، حتى تجدى عليهم فى أدبهم ورسالتهم التى يودون أداءها على أحسن الوجوه وأكملها

ولكن ليس كافياً أن تفتتح الوزارة قسما لتعليم اللغات الأجنبية وآدابها ، وتنادى المعلمين : هلموا إلى هذا القسم ، فاذا هم إليه يوفضون ، ومنه يستفيدون مادة جديدة ؛ ثم إذا هم يصدرون عنه وقد حمدوا الورد والصدر ، ورووا نفوسهم من معينه ، وتحببوا ريّا من غيره ؛ وإذا هو أصبح طيب الأثر لديهم عظيم الجدوى على علمهم وأدبهم وصناعتهم

لا . ليس هذا كافياً ، بل لابد أن تنظر الوزارة إلى الموضوع من ناحية أخرى : تلك هى أنهم ينوءون الآن بعملهم ، فلا يتوقع لهم أن يصلوا إلى الفائدة المرجوّة ما لم يجدوا الوقت فسيحاً يمكن لهم من إتقان عملهم الأصلى أولاً ومن التحصيل المثمر ثانياً

إن المعلم الابتدائى مثلا يقوم بتدريس ٢٤ حصة فى الأسبوع؛ وقد يكون لديه عمل إضافى كمكتبة المدرسة ، فيشغل نفسه بالتحضير والتدريس والتصحيح وغير ذلك من الأعمال الاضافية ؛ ثم لا يجد وقتا للاستجمام وتجديد المعلومات والاطلاع على ما يجد من البحوث ؛ مع أنه كان أولى من غيره بالبحث والاطلاع والانتاج ؛ ولكن عمله الأصلى يأكل وقته ويلهيه عن العناية بشأن نفسه ، بل يورثه الكلال والأسقام

كنا فى لجنة امتحان لا تزيد على عشرة معلمين من خريجى دار العلوم ؛ ولعل القارئ يأخذه العجب إذا علم أن ستة من هؤلاء كانوا على الطعام يتناولون أدوية تساعد على الهضم وتنظيم عمل المعدة وهم فى سن تمد عند غيرهم سن الشباب ؛ ولكن الذى خبر المهنة وأحس متاعبها يعجب كيف لا يصطحب العشرة جميعهم قارورات الدواء إلى مقر الامتحان !

إنى لأعرف كثيرا من معلمى اللغة العربية أقبلوا على تعلم اللغة الانجليزية حتى نالوا منها قسطا كبيرا جديرا بأن يفيدهم لو بقى فى نفوسهم ، وهيهات أن يبقى مع تتابع أعمالهم المرهقة

وهذا واحد منهم تعلم ستة أشهر بمدرسة أجنبية ، وحصل من اللغة الانجليزية فى هذه المدة القصيرة ما لم يحصله التلميذ فى ثلاث سنوات . أتدرى ماذا من أمره بعد ذلك ؟ لقد قضى سنة يتردد على أطباء العيون والمعدة والأسنان والمفاصل والأعصاب . أما ما عرفه فما لبث أن استحال ضبابا غائما ، ثم تصاعد بخاراً دائبا

إذا كانت الوزارة تعتزم الاصلاح حقا ، فلتتخذ الوسيلة لذلك بتخفيف العبء عن معلمى اللغة العربية ؛ ولتجعل أقسام اللغة الأجنبية فى المدن الكبرى متعددة ليسهل على كل معلم أن يرد القسم القريب من مسكنه ؛ حتى يحفظ وقته ، ويحصل أكثر ما يستطاع

ولا يجولنّ بخاطر أحد أن المعلمين يرجون التخفيف بطرا وتجنيا . لا بل إن كل نقص فى الكم يقابله تحسين وتجويد فى الكيف . فلتسلك الوزارة السبيل القاصدة تحمد غبها وتجد خير النتائج إن شاء الله

مدرس

حول بيت للكميت بن زيد

قرأت فى العدد ٢٨١ من مجلة (الرسالة) الكريمة ما كتبه الأستاذ البحاثة الشيخ عبد المتعال الصعيدى عن « الكميت بن زيد ، شاعر العصر المروانى » وقد ورد فى هذا الفصل بيت من هاشمية الكميت الميمية ذكر الأستاذ أن الشاعر قاله فى بنى هاشم وفى خصومهم بنى مروان ، ورواه على الوجه التالى :

ساسة لا كمن رعى (؟) الناس سواء ورعية الأنعام

وإذا مارجع حضرته إلى هاشميات الكميت بتفسير أبى رياش أحمد بن إبراهيم القيسى [1] المطبوعة فى ليدن عام ١٩٠٤ م بعناية المستشرق جوزيف هورووفتس [2] ، رأى هذا البيت على وجهه الأصلى الصحيح كما نذكره :

ساسة لا كمن يرى رعية النا س سواء ورعية الأنعام

هذا ما أردت تبيانه وعرضه على الأستاذ الصعيدى عن طريق (الرسالة) الغراء والسلام ...

« الأعظمية — بغداد » (ص)

موقف مصر تجاه فكرة العروبة

تلقينا بعد الفراغ من طبع هذا العدد مقالا لصديقنا الأستاذ الجليل ساطع بك الحصرى وجهه إلى الدكتور طه حسين بك رداً على ما جاء فى الحديث المنسوب إليه فى جريدة المكشوف البيروتية حول موقف مصر من فكرة العروبة ، فأرجأناه مضطرين إلى العدد المقبل

فرنسس برت ينج والحياة المدرسية

لخصنا للقراء آراء برنرد شو وويلز ومس دى موربير فى المشاكل المدرسية التى استفتتهم فيها مجلة عالم المدرسين الأنجليزية ، وقد نشرت المجلة فى عددها الأخير رأى الأديب الكبير فرنسس برت ينج ، وأهم ما ذكره الأستاذ هو أسفه على أنه بدأ تحصيله كبيراً وشكا من ضعف حافظته ، واعترف بما كان لترجمة الأنجيل الانجليزية من الأثر العظيم فى توجيهه الأدبى . . . ثم أنكر أثر مدرسيه فيه ... وإلى هنا يتفق أولئك الأدباء الأربعة فى هذه النقطة ... ولم يخصص كتاباً كان له فيه أثر يذكر ، بل كانت كل الكتب لديه سواء ، وذلك أنه كان يقرأ منهوماً لا يبقى على شىء ولا يفضل شيئاً على شىء . . . ونحن نعلل ذلك بمزاجه الدينى الفج ، وإن يكن اليوم من أكبر الأدباء الأنجليز . . . وقد أوصى المدرسين أن ينموا قوة الملاحظة فى تلاميذهم وأن يحببوا إليهم الحياة بكل ما فيها على أن يعرفوا حقائقها . . . ولم ينكر الجمع بين الجنسين فى المدرسة إلى الرابعة عشرة واستحسن التفريق بعد ذلك ، فيكون برنرد شو هو وحده الذى لم ينكر الجمع بعد هذه السن مع أنه أكبر أدباء العالم الأحياء سنا. ونعى ينج ما يتهم به تلاميذ هذا العصر من الفظاظة والغرور ومحبة العيش على هامش الحياة . واستحسن أن يعمم التعليم الابتدائى لكل التلاميذ على أن يكون مرحلة أولى فى تثقيفهم ؛ وحبذ تعليم الخط على أن يكون مادة مستقلة ؛ ثم أنكر أن يعلم التلاميذ المواد الجافة التى لا تصلها بالحياة العملية صلة المنفعة .

(١) ص ١١

(٢) لعل هذه الطبعة التى بين يدى من الهاشميات هى التى أشار إليها الدكتور زكى مبارك فى كتابه « المدائح النبوية فى الأدب العربى » ص ٧٣ بقوله : (تلك منزلة الكميت عند القدماء فإن سألتم أين منزلته فى العصر الحديث فإنا نذكر أنه آخر من يهتم به أساتذة الأدب فى المعاهد العلمية . وقد سبق المستشرقون إلى إحياء شعره فطبعوا هاشمياته فى ليدن سنة ١٩٠٤ وكتب لها أحدهم مقدمة وتصحيحات باللغة الألمانية)



الفرقة القومية

مديرها ولجنة القراءة

كلمة عن رواية طبيب المعجزات

أرجو ألا يداخل مدير الفرقة شك في تجنبنا الشخصيات فيما نكتب، سواء أكان أصحابها من رجال الادارة أو لجنة القراءة أو اللجنة العليا أو طائفة الممثلات والممثلين أو غيرهم، لأن لكل شخصية في نظرنا حرمة وكرامة، ولأننا جميعاً سنزول، أما الفرقة القومية للتمثيل فستبقى، لأنها في نظر الحكومة التي أنشأتها، وفي نظر النواب والشيوخ الذين يعتمدون ميزانيتها، وفي نظر الأدباء الذين يغارون عليها، مؤسسة أدبية لها خطرها في الثقافة العامة. فاذا كنا أهملنا اسم الأستاذ عضو لجنة القراءة الذي تحدث إلينا حديثه الشائق (؟) ونهمل أيضاً ذكر اسم حضرات الأساتذة الذين أدلوا إلينا بآرائهم؛ وإذا كنت تعمدت إخفاء اسمي الصريح عن القراء والاستعاضة عنه «بابن عساكر» فلكي أستبعد كل مظنة، وأنفي كل شبهة أو تأويل، ولأبرز قدر المستطاع رغبات الغيورين على الفرقة، الراغبين في حياتها حياة تتوائم ونهضتنا الأدبية، الوجلين أن يدب إليها السوس المزمن وهي في المهد، فتنالها الشيخوخة بعدوى من روح شيوخها القائمين عليها

هو ذا غرضنا بأوضح تعبير. فاذا طاب لمدير الفرقة — وهو وحده المسؤول عنها — ألا يحمل دعوتنا إياه إلى رؤية خلايا الفساد تنتشر في جسم الفرقة، على محملها الصحيح، أو إذا أحب أن يغضب فيعمد إلى استدعاء محرر باحدى المجلات كما فعل فيقول له في سياق الحديث: «لقد يصل بي الأمر إلى أن أعطل الفرقة وأقفل أبوابها وأقدم تقريراً إلى وزارة المعارف أقول فيه إن التجربة قد فشلت»

إذا طاب له ذلك فهو وشأنه، ولكننا نستبعد إقدامه على تنفيذ تلك الفكرة، فهي فضلاً عن أنها تثير الضحك، تهدم جميع ما بناه في سني حياته الأدبية. ثم هو يعلم جيداً أن وزارة المعارف لن توافقه على إلغاء الفرقة القومية بجرة قلم استرضاء لخاطر مديرها الموتور من تألب أدباء البلد وفنانيها عليه، وتفكههم في مجالسهم بتصرفاته الدالة على بُعده البعيد عن فن الرواية والمسرح، وأنه أقحم على هذا الفن إقحاماً لا مبرر له

نعود الآن إلى أحاديث أعضاء لجنة القراءة فأقول: لقد تفضل حضرة الأستاذ.. فأجاب على سؤالي بقوله: «مهمة لجنة القراءة هي قراءة الروايات التي تقدم إليها وفحصها من جميع النواحي، أعني النواحي الفنية، والخلقية، والاجتماعية، واللغوية؛ فاذا أجازتها فذاك وإلا رفضتها. على أنه قد يكون في بعض الروايات عيوب من ناحية من هذه النواحي ممكن علاجها. وحينئذ ترد إلى المؤلف أو المترجم ليعالجها طوعاً للملاحظات التي تبديها اللجنة، ثم ترد إليها لترى إذا كانت صالحة بالعلاج أم لا»

سألت: هل لرأي النقاد المسرحيين قيمة في نظر اللجنة؟ فأجاب «ليس للنقاد المسرحيين رأي في النواحي التي ذكرناها (كذا) وإنما لهم رأي من ناحية الاخراج، كمدات الاخراج، وطول الروايات وقصرها عن الوقت المناسب، ونحو ذلك مما يتعلق بعملهم الفني البحت (؟؟!!) أما أن الروايات قيّمة أو ليست قيمة، أو مناسبة أو غير مناسبة، فمن عمل اللجنة وحدها» ثم أردف قائلاً «لم أر إلى الآن في مصر نقداً فنياً قوياً يستطيع أن يسقط الروايات أو يعليها، وكل الذي رأيت محاولات أولية من هذا القبيل. وهب أنه كان هناك نقد قوي فأعضاء اللجنة نقاد أيضاً (كذا) فلنا رأينا كما لهم رأيهم»

هذا من جهة النقاد الفنيين، أما من جهة جمهور النظارة فقد يخالف حكمه حكم اللجنة فيقدر تقديراً عالياً رواية حكمت اللجنة أنها متوسطة، أو يحكم عليها بأنها متوسطة وقد حكمت اللجنة

عليها أنها راقية . وسبب ذلك أن الجمهور قد يقدر الروايات من نواح غير فنية ككثرة ما فيها من فكاهات ، أو لأن مغزاها قريب المتناول ، وهذا لا يظهر إلا بعد أن تكون اللجنة قد أصدرت حكمها من قبل . ومع هذا فاللجنة تستفيد من رأى الجمهور فيما لا يعجبهم وما لا يعجبهم ، وكل هذا يؤثر عند نظر اللجنة فى الروايات المقبلة لا فى الروايات التى أصدرت حكمها عليها

قلت : هل معنى كلامكم أن اللجنة تؤثر حكم الجمهور وتستفيد من رأى الجمهور ولا تأبه لرأى النقاد ؟

فأجاب : « لا ، من غير شك . يجب أن يكون رأى النقاد الفنيين فى المقام الأول لأن منزلتهم منزلة الخبراء ، ولكن قلت لك إننى فيما قرأت لم أر نقداً قوياً إلا فى القليل النادر ، وما عدا ذلك فمدح مفرط من غير أسباب فنية ، أو ذم مفرط لأسباب شخصية غير فنية . والرأى الواجب الاحترام هو ما يصدر من فنيين راقين ينقدون الفن للفن . وإذا حدث ذلك ، وقليلا ما يحدث ، أحللناه المحل الأول من الاعتبار وقدرناه أكثر من تقدير الجمهور » قلت : هل لاحظتم تقدماً فى تأليف الروايات خلال السنوات الثلاث ، لأنى أزعم أن الروايات التى مثلتها الفرقة فى عامها الثالث أحط منزلة من الروايات التى مثلت فى السنتين الثانية والأولى ؟ فقال :

« من غير شك لاحظت هذا التقدم خصوصاً عند ما قرأنا الروايات التى قدمت للمسابقة الأخيرة . نعم إننا لم نجد روايات حازت المكافأة الأولى ، ولكننا رأينا روايات ظهرت فيها القدرة الفنية ، وظهر فيها حسن السبك ، وحسن الحوار ، وإذا قارناها بالروايات التى قدمت فى ظروف أخرى قبلها رأينا هذا التقدم محسوساً »

قلت : ما رأيكم فى رواية ردتها لجنة القراءة إلى مؤلفها غير مرفقة بأسباب الرفض رأفة به ، ثم أعيد تقديم تلك الرواية المرفوضة بعينها إلى اللجنة مع ما تقدم إليها من روايات للمباراة ففازت وأعلن فوزها مع أنه لم يتغير فيها سوى اسم مؤلفها الشاب باسم فتاة ، فهل المسؤول عن هذه « اللعبة » مدير الفرقة أم لجنة القراءة ؟

حدجنى محدثى الفاضل بنظرة الدهشة والاستغراب ، وبعد صمت هنيهة قال : « أحب أن أعرف رأى مدير الفرقة فى هذه الواقعة » فأجبته بأن مهمتى هى استطلاع رأيه هو لا نقل آراء زملائه إليه

لم أحاول الاتصال بالشيخ الثالث من أعضاء لجنة القراءة لأن مهام الحكم أبعدته عنها ، فلم يبق أمامى سوى رابع الشيوخ الأجلاء . وقد كنت أؤمل أن يكون بعيداً عن تخبطات زميليه الفاضلين فيما قالاه عن النقد والنقاد وفيما زعماه من نضوج الفكر الروائى السريع ومن تقدم المسرح نحو الكمال ؛ غير أن حضرته أعز الله به دولة الأدب قال لى ما نصه : « يمكنك أن تقول لقراء الرسالة أو من شئت من الناس إن فلاناً ، وذكر اسمه مجرداً من اللقبين العلمى والحكومى ، لا يريد أن يقول كلمة فى الفرقة القومية » وأرى أن فى إصراره على عدم الكلام هو الهرب ، وهو يتهرب من الكلام عن المسرح الذى طالما تكلم عنه قبل أن يكون لنا فرقة قومية

بقى مدير الفرقة وهو الشيخ الخامس المتمم لأعضاء لجنة القراءة ، وهو ما فتئ يقول للمجلات الأسبوعية إن فرقته ستصل إلى مستوى الكمال بعد حين ، وأنه سيبنى لها مسرحاً من المال المدخر ، وأن الأدباء لا يوالونه بالتعضيد لأغراض ذاتية ، وأن الصحافة لا تأخذ بناصره قبل أخذ ما بخزانته

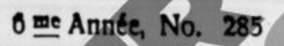
لم يتيسر لى حضور تمثيل رواية « طبيب المعجزات » والذى أعرفه عنها ، وقد قرأتها قبل عرضها على لجنة القراءة ، أنها تدور حول شاب طبيب انقطع إلى البحوث العلمية فهداه علمه وتجاريبه إلى استنباط إكسير يطيل الحياة ويقضى على الموت . تفرح الأمة والحكومة ، وتفرح حماته أيضاً بهذا الاختراع الذى أنقذ البشرية من الموت المكروه ، ورفع مقام صهرها إلى مصاف الخالدين بتخليده الحياة

تجمع الأمة والحكومة على تكريمه ، ثم لا يلبث الحال أن ينقلب عليه لفساد جميع النظم الاجتماعية وتغير الأوضاع وتساوى الحياة فيثور الناس على المخترع المسكين فيممم إلى قواريره فيكسرها وإلى عقاقيره فيفسدها ليعيد العالم سيرته الطبيعية

وبهذه المناسبة أقول لحضرات أعضاء لجنة القراءة : إن قراءة الرواية شىء يختلف جد الاختلاف عن مشاهدتها تلبس ثياب الحياة على المسرح ، وأن لا محيد للقارئ عن خصائص فنية مكتسبة وموهوبة تجعل حكمه غير مقتصر على الخلق والاجتماع واللغة فقط

ابن عساكر





6 me Année, No. 285

Lundi - 19 - 12 1938

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

مـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٢٨٥ « القاهرة فى يوم الأثنين ٢٧ شوال سنة ١٣٥٧ — ١٩ ديسمبر سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

صـفحة

من مآسى الحياة

يا إنسان! أين الاحسان؟

ما أطول أحاديث البؤس وأكثر حوادثَ أهله !

كان للمقالين اللذين كتبناهما فى غفوة الاحسان عن مرتجيه، وقسوة الوقف على مستحقيه ، رجعٌ شديد فى أكثر النفوس . فقد غدا علينا البريد بعشرات من الرسائل الباكية كأنما كتبت بدموع العيون ودماء القلوب فلا تدرى أهى كلمات أم أنّات ! ولو شئت أن أنقل إليك بعض ما فيها لدهشت أن يكون فى مصر — وهى البلد الذى يجرى نيله بماء الحياة ، ويفيض ثراه بطيبات الرزق — خَلْقٌ من بنى آدم يدمنون الصيام من الجوع ، ويلبسون الظلام من العُرْى ، وتصبح أمانيُّهم على الله أن ينقذهم من الحياة بالموت !!

هاك حالة واحدة من ألوف : روى الشيخ عبد الغنى فى رسالته الضافية ما ألخصه لك فى هذه الأسطر :

طرابيشى فى حى (السيدة زينب) كان يعيش من فضل الله وربح الحرفة فى نعمة سابغة . كان رحْب الدكان والصدر ، يجلس عنده سراة الحى فيتحادثون ويتنادرون ويفضى بعضهم إلى بعض بأسرار

البيوت وأخبار الصحف ، والمكاوى لا تنقطع عن الكي ، والعمال لا يفترون عن البيع . وكان رخى البيت والأسرة ، يغشى فناءه السهل ذوو القربى وأولو الحاجة ، يتقلبون فى أعطافه ، وينالون من ألطافه ، ويستريحون إلى ظله . فلما تعود الناس قلة النفقات من كثرة الأزمات ، ووفدت على مصر من وراء البحر بدعة العُرى ، فتعرّت أرجل النساء من الجوارب ، ورؤوسُ الرجال من الطرابيش ، أخذت نار الطرابيشى تنطفئ وحركته تسكن ومورده يغيض ، وأخذ الغرماء مجالس العملاء ، وزاد عدد المحضرين على عدد المشترين ؛ فكان الرجل يفتح دكانه يوماً ويغلقه أسبوعاً ، حتى فدحه الدَّين وأعيته الحيلة فباع الملك ، وركبه الهم والمرض فلزم البيت ، وتفجّرت عليه المصائب من كل جانب ، فمات ولده الوحيد وكان فى السنة الثالثة من كلية الطب ، وتوفى أخوه البارّ وكان موظفاً فى إدارة القرعة ، وتأيمت أخته الفقيرة الولود فلاذت بحماه ، ووجد الداء فى جسمه الواهن المنحلّ مجالاً فاستشرى ، ورأف الله به أن يعانى الألم فى نفسه وفى أهله طويلا فتوفاه . وبقيت بعده زوجته المقطوعة ، وأخته الأرملة ، وابنتاه العانستان ، يعشن على خمسين قرشاً فى الشهر ! أتدرى من أين تأتيهن هذه الخمسون قرشاً ؟ تأتى من أجرة الدكان . فقد استأجر الصانع الذى كان يعمل فيه آلاته وأدواته وأثاثه بمائة قرش، فكن يعطين وزارة الأوقاف منها ثمانين كراء المحل، حتى سعى لهن أهل الخير لديها فجعلته خمسين .

ويتساءل الناس بعد ذلك كيف يعيش هؤلاء النساء الأربع على هذا النزر اليسير من الرزق فلا يستطيع أحد أن يجيب ، لأنهن أغلقن على أنفسهن وعلى بؤسهن غرفة من غرف الغسيل فى بيت متهدم من بيوت (زين العابدين) فلا يدخل عليهن إلا جارة برغيف ، أو خادمة بصحن ... !

فليت شعرى أتقنع الفتاتان كما قنعت المرأتان بهذا العيش ، أم تُحملان آخر الأمر على ركوب الغواية والطيش ؟

ذلك سؤال كان ينبغى أن يوجه إلى وزارة الأوقاف وأغنياء الأمة ؛ ولكن وزارة الأوقاف ليست بيت المال الذى كان يقوم عليه عمر ، والأغنياء فى مصر كلما أفعم الله جيوبهم بالمال، أفرغ جنوبهم من الرحمة . فأموالهم للأحزاب والانتخاب ، وعواطفهم للخيل والكلاب ، ودنياهم للغرور والأبهة . فلم يبق لطرائد الشقاء وفرائس الفاقة غير الله . ولله فى أموال هؤلاء القساة حق معلوم هو الزكاة . والزكاة ركن من أركان الإسلام كالشهادتين والصلاة . والاسلام يعيد اليوم فى عهد الفاروق زمانه وسلطانه ، فالأمراء والوزراء يصلون ، والمترفون والمثقفون يحجون ، والدين والمدنية يتعاونان على تنزيه النفس وترفيه العيش وتأمين الحياة . فلماذا يظل هذا الركن مهدوماً وهو وحده العماد القوى لبناء الأمة، والطِّباب الناجع لأدواء المجتمع ؟ لقد فرضت الحكومة على الأموال الثابتة والمنقولة ضرائب العمارة والدفاع والأمن ، وجبّتها على الطوع والكره ؛ فما بالها وهى الحكومة الاسلامية القوية لا تجمع بوسائلها الادارية ما جعل الله للفقراء، فى أموال الأغنياء، ثم تقسمها على من سماهم الله فى كتابه، فتأمن بذلك ثورة النفوس واضطراب الأمن وسخط العدالة ؟

إنها إن تفعل ذلك تُرض نفوس العامة . وفى رضا هؤلاء تكثير النسل وتوفير الإنتاج وتيسير المعيشة . ولن تجد فى جباية الزكاة ما تجد فى جباية الخراج من امتعاض أو اعتراض أو مشقة ، فان البذل فى سبيل الله رِبا المؤمن . ومليونا جنيه من الصدقات يدخلان بيت المال فى كل سنة مع الأمانة والعدل، لا يتركان فى الأمة سائلاً فى شارع ، ولا جائعاً فى بيت ، ولا جاهلاً فى عمل . وكلما استبحر العمران ، واستذأب الناس ، واستشرت المطامع ، تبين أقطاب الرأى وأصحاب الأمر أن الله الذى جعل الفساد فى الدنيا ، جعل الصلاح فى الدين ؛ فما من علة فى الفرد ، ولا آفة في الجماعة، إلا نبَّه إليها بنوره، وطبَّ لها فى شرعه ، وخفف منها بلطفه

فهل تفكر حكومة الفاروق خليفة الله على وحيه ، فى إقامة الدين على وجهه، فتهدأ ضلوع ، وتجف دموع ، ويتذوق الناس فى ظلال الأخاء ، سعادة الأرض ونعيم السماء ؟

احمد حسن الزيات

مصر والعـــروبة

الى الدكتور طه حسين

من الأستاذ ساطع الحصرى بك

أيها الأستاذ :

نشرت مجلة المكشوف البيروتية حديثاً جرى بينكم وبين جماعة من شبان العرب ، على ظهر باخرة تمخر عباب البحر الأبيض المتوسط ، قلتم فى خلال ذلك الحديث إنكم تنادون « بتوحيد برامج التعليم فى جميع الأقطار العربية وتسهيل التبادل الثقافى بينها » ، وترون « من المفيد أن يكون تعاوناً اقتصادياً ، وحتى تحالفاً عسكرياً » بين تلك الأقطار ؛ غير أنكم لا ترضون وحدة سياسية ، سواء أكانت « بشكل امبراطورية جامعة » أم على طراز « اتحاد مشابه للاتحاد الأمريكى أو السويسرى » . وعللتم آراءكم هذه بقولكم « إن الفرعونية متأصلة فى نفوس المصريين ؛ وإنها ستبقى كذلك ، بل يجب أن تبقى وتقوى »

قرأت هذه الآراء بدهشة غريبة ، لأننى استبعدت صدورها منكم كل الاستبعاد ، وقلت فى نفسى : « لعل الكاتب نقلها على غير حقيقتها » ، وأعدت قراءتها بامعان ، ولكنى لمحت فى عدة نقاط منها أسلوبكم المعروف ، فقلت لعل الدكتور أراد أن يمتحن هؤلاء الشبان ، ويتأكد من مبلغ إيمانهم بالقضية ، ويسبر غور درمهم لوجوهها المختلفة : فالآراء التى أدلى بها ربما كانت من نوع الآراء الجدلية التى ترمى إلى حمل المخاطب على التعمق فى التفكير . فوجدت نفسي تجاه هذه الملاحظات بين عاملين مختلفين : عامل يدفعنى إلى الاسراع فى مناقشة هذه الآراء لكى لا أترك مجالا لزعزعة إيمان بعض الشبان بتأثير سلطتكم الأدبية السامية ، وأسلوبكم الأخاذ . . . وعامل يدفعنى إلي التريث فى الأمر لكى أتأكد من صحة الحديث المعزو إليكم . تريثت لذلك مدة من الزمن . . ولما لم أطلع على تصحيح أو توضيح صدر منكم ، رأيت من الواجب على أن أقدم على المناقشة بدون أن أنتظر مدة أطول ...

فاذا كان فى الحديث الذى نسب إليكم شىء من البعد عن الواقع ، فأرجو أن تعتبروا كلمتى هذه بمثابة رد على الآراء المسرودة فى ذلك الحديث ، بقطع النظر عن قائلها ؛ وإذا كان فيه شىء من قصد المناقشة الجدلية — كما أسلفت — فأرجو أن تعتبروا هذه الأسطر بمثابة صفحة من صفحات تلك المناقشة الجدلية ...

***

قلتم للشبان الذين تحدثتم إليهم : « إن المصرى مصرى قبل كل شىء ، فهو لن يتنازل عن مصريته مهما تقلبت الظروف... »

فاسمحوا لى أن أسألكم : هل الوحدة العربية تتطلب من المصريين التنازل عن المصرية ؟ أنا لا أتردد فى الاجابة على هذا السؤال بالنفى ، لأنى أعتقد بأن دعوة المصريين إلى الاتحاد مع سائر الأقطار العربية لا تتضمن بوجه من الوجوه حثهم على التنازل عن « المصرية » . إن دعاة الوحدة العربية لم يطلبوا ولن يطلبوا من المصريين — لاضمناً ولا صراحةً — أن يتنازلوا عن مصريتهم ، بل إنهم يطلبون إليهم أن يضيفوا إلى شعورهم المصرى الخاص شعوراً عربياً عاماً ، وأن يعملوا للعروبة بجانب ما يعملونه للمصرية . . فهل لديكم ما يبرهن على أن ذلك من نوع « طلب المحال » ؟ وهل لديكم ما يدل على أن العروبة والمصرية ضدان لا يجتمعان ، وعنصران لا يمتزجان ؟

وقد قلتم لمخاطبكم : «ولا تصدق ما يقوله بعض المصريين من أنهم يعملون للعروبة . . . فالفرعونية متأصلة فى نفوسهم » ثم أضفتم إلى ذلك حكما قاطعاً ، فقلتم : « وستبقى كذلك ... »

فهل تسمحون لى أن أستوضحكم ما تقصدونه من كلمة « الفرعونية » ؟ هل تقصدون منها الأخذ بحضارة الفراعنة ، أم الاعتزاز بثقافة الفراعنة ؟ أم تقصدون منها بعث اللغة الفرعونية أو الآداب الفرعونية ، أو الديانة الفرعونية ، أو السياسة الفرعونية ؟

أنا لا أستطيع أن أشك فى أنكم لم تقصدوا منها الحضارة أبداً : لأنكم لستم — بدون ريب — ممن يقبلون لمصر ولغير مصر — حضارة فى هذا العصر غير الحضارة العلمية الحالية ... كما لا أستطيع أن أشك فى أنكم لم تقصدوا من هذه الكلمة « الديانة الفرعونية » أيضاً ...

هذا ومن جهة أخرى فاننى أجد فى مناداتكم « بتوحيد برامج التعليم فى جميع الأقطار العربية وتسهيل التبادل الثقافى

بينها » دليلا قاطعاً على أنكم لم تقصدوا منها الثقافة الفرعونية أو اللغة الفرعونية أيضاً

فاذا تقصدون منها إذن ؟ السياسة ؟ فهل تعتقدون بأن « السياسة الفرعونية » تتطلب « الاكتفاء بحدود مصر الحالية » فترفض « التوسع » بكل أنواعه ، حتى ولو كان عن طريق « قبول انضمام » الأقطار العربية ؟

إنكم أشرتم فى حديثكم إلى الآثار الباقية من عهد الفراعنة بشكل يستوقف الأنظار ، وأردتم أن تدعموا آراءكم بجلال تلك الآثار إذ قلتم :

« لا تطلبوا من مصر أن تتخلى عن مصريتها ، وإلا كان معنى طلبكم : إهدمى يا مصر أبا الهول والأهرام ، وتناسى عن جميع الآثار التى تزين متاحفك ومتاحف العالم ، وانسي نفسك واتبعينا ... »

يظهر من هذه التأويلات أنكم تودون أن تخلقوا للفكرة العربية خصوماً من الآثار القديمة ، وأن تضعوا فى سبيل تيار هذه الفكرة سدوداً من الرموس والأطلال . فهل فاتكم أن التعارض والتصادم لا يحدثان إلا بين الأشياء التى تسير على مستوي واحد ، فى عالم واحد ؟ وأن الفكرة العربية التى تعمل في القرن العشرين — للأجيال القادمة — لا يمكن أن تتعارض مع آثار بقيت ميراثاً من ماض سحيق ، يرجع إلى أكثر من خمسة آلاف من السنين ؟

إن مصر قد تباعدت عن ديانة الفراعنة دون أن تهدم أبا الهول ؟ وتخلت عن لغتها القديمة دون أن تقوض الأهرام ؛ وجميع آثار الفراعنة التى زينت بها متاحف مصر ومتاحف العالم لم تولد نزوعاً للعودة إلى الديانة التى أوجدت تلك المآثر الخالدة ، ولاحركة ترمى إلى بعث اللغة التى رافقتها خلال قرون طويلة، فهل من موجب لطلب هدم الأهرام وتناسي الآثار لأجل الوحدة العربية؟

إن الأهرام — مع جميع الآثار الفرعونية — لم تمنع مصر من الاتحاد مع سائر الأقطار العربية اتحاداً تاماً — فى ميدان اللغة — فهل يمكن أن تحول دون اتحادها مع تلك الأقطار فى ميدان السياسة أيضاً ؟

كلا أيها الأستاذ . إن التيارات القوية العميقة التى جرفت حياة مصر إلى اتجاهات جديدة منذ عشرات القرون ، والتى أخرجتها من ديانتها القديمة وأنستها لغتها الأصلية — بالرغم من وجود الأهرام وقيام أبى الهول — سوف لا تحتاج إلى هدم شيء من آثارها القديمة، لتجرفها نحو السياسة التى يؤمن بها دعاة الوحدة العربية ، ولا سيما أن هذه السياسة ليست إلا نتيجة طبيعية للغة مصر الحالية ووضعها العام

إن دعاة الوحدة العربية لم يقولوا ولن يقولوا لمصر : « انسى نفسك » بل يقولون وسيقولون لها : « استزيدى من ثروة نفسك » بالعمل على توحيد أبناء لغتك . « انهم لم يقولوا ولن يقولوا لها : « اتبعينا » ، بل يقولون وسيقولون لها : سيري إلى الأمام ، ونحن نتبعك على الدوام

* * *

سألتم خلال الحديث : «أتريدون أن تتحقق الوحدة العربية؟ فعلى أى أساس علمى تنادون بها؟» ثم قلتم : «تعالوا معى نستعرض الروابط التى تصل مصر بالأقطار العربية الأخرى» فاسمحوا لى أن أشترك معكم فى الاستعراض ، لأناقشكم فى أهم المواقف التى وقفتموها خلاله :

لقد وقفتم أولا أمام قضية « الأصل والدم » وقلتم : « إن الأكثرية الساحقة من المصريين لا تمت بصلة إلى الدم العربى ، بل تتصل مباشرة بالمصريين القدماء »

وأنا لا أود أن أنطرق — فى هذا المقام — إلى مسألة أصل المصريين القدماء ، ولا أن أبحث عن علاقتهم أو عدم علاقتهم بالساميين عامة وبالعرب خاصة ... سأسلم — جدلا — بما تقولونه فى هذا الباب ، مع هذا سأسألكم بدوري : هل علمتم وجود أمة على الأرض انحدرت من أصل واحد تماماً ؟ وهل تستطيعون أن تذكروا لى أمة واحدة ترتبط بروابط الدم فعلا وحقيقة ؟

إن جميع الأبحاث العلمية تدل على عكس ذلك تماماً . إنها تدل على أنه لا توجد على وجه البسيطة أمة خالصة الدم ... حتى الأمة الفرنسية التى سبقت جميع الأمم الأوربية فى طريق الوحدة والاستقرار ، لا تدعى وحدة الأصل والدم . وعلماؤها يعترفون بأن الأجناس التى دخلت فى تركيبها تعد بالعشرات ، كما يعترفون مثلا بأن أهالى جنوب فرنسا يختلفون عن سكان شمالها — من حيث الأصل والدم — اختلافاً كبيراً . أيمكنكم أن تدعو — والحالة هذه — أن عدم وحدة الأصل والدم ، يجب أن

يحول دون انضمام مصر إلى حركة الوحدة العربية ؟

ثم وقفتم أمام مسألة التاريخ ، وادعيتم أن « تاريخ مصر مستقل تمام الاستقلال عن تاريخ أي بلد آخر »

فاسمحوا لى أن أقول بأن هـذا الادعاء افتئات صارخ على الحقائق الواقعة ... فان تاريخ مصر اختلط اختلاطاً عميقاً بتاريخ سائر البلاد العربية وتشابكت أوشاجه معها، خلال القرون الثلاث عشرة الأخيرة على الأقل... فكيف يحق لكم أن تحذفوا هذه القرون من تاريخ مصر ؟ ... أنا لا أنكر أن تاريخ مصر لم يبق متصلاً بتاريخ سائر الأقطار العربية على الدوام ، غير أنني أدعى أن ذلك شأن تواريخ الأمم الأخرى بدون استثناء . فان تواريخ الأمم تشبه الأنهر الكبيرة التي تتكون من روافد عديدة بوجه عام

إن من يلقى نظرة عامة على تواريخ الأمم المعاصرة لنا كان يستعرض تفاصيل تاريخ الأمة الفرنسية التي سبقت جميع الأمم في طريق الوحدة القومية — كما ذكرت آنفاً — يضطر إلى التسليم بأن العلاقات التاريخية التي تربط مصر بسائر الأقطار العربية ، أقوى وأعمق وأطول من العلاقات التاريخية التي تربط الأقاليم الفرنسية بعضها ببعض ...

وإذا أظهرتم شيئاً من الريب في هذا الباب فانى مستعد لذكر التفاصيل والأسانيد التي تبرهن على صحة دعواي برهنة قطعية

***

والآن أنتقل معكم إلى آخر المواقف التي وقفتموها خـلال استعراض الصلات . . . لقد أنكرتم « تأثير اللغة » في تكوين « الوحدة العربية » وقلتم : « لا تنخدعوا ، لو كان للغة وزن في تقرير مصير الأمم لما كانت بلجيكا وسويسرا ، ولا أمريكا ولا البرازيل ولا البرتغال . . »

فاسمحوا لى أن أناقشكم في هذا الموضوع المهم مناقشة طويلة :

لو كنتم أقدمتم أيها الأستاذ على كتابة بحث مثل هذا البحث للبرهنة على نظرية مثل هذه النظرية — قبل ربع قرن — لاستطعتم أن تضيفوا إلى هذه الأمثلة مثالين آخرين . . لقلتم عندئذ : « لا تنخدعوا ، لو كان للغة وزن في تقرير مصير الأمم لما كانت الأمبراطورية النمسوية ، ولا السلطنة العثمانية ... »

ولو كنتم ممن عاشوا وكتبوا قبل ذلك بنصف قرن ... لاستطعتم أن تضيفوا إلى أمثلتكم عشرات الأمثلة الأخرى ، ولأرخيتم العنان لقلمكم الجواب لينتقل من جنوب إيطاليا إلى شمال ألمانيا . . ولقلتم : « لو كان للغة وزن في تقرير مصير الأمم ... لما كانت ساردونيا وساكسونيا ، ولا بيه ده مونته وبادبرا ... »

غـير أن تقلبات الزمان ، أزالت من عالم الوجود جميع تلك الأمثلة والشواهد الكثيرة ، وحرمت النظرية التي تقولون بها إمكان الاستناد إليها، لحصرت الأمثلة في الأسماء التي ذكرتموها . . أفلا ترون أيها الأستاذ أن هذه الملاحظة وحدها كافية للبرهنة على أن مثل هذه البراهين لا تخلو من مزالق كثيرة ، فلا يجوز الاعتماد عليها في حل القضايا الاجتماعية ؟ .

أفتلومونني إذا قلت إن هـذه المحاكمة لا تخلو من الشبه بمحاكمة من يقول : « لو كان لجاذبية الأرض وزن في تقرير مواضع الأجسام لما بقيت القناديل معلقة في السقوف ، ولما صعدت الأدخنة إلى السماء ، ولما طارت الطيور وارتفعت المناطيد . ؟

اسمحوا لى أن أستعرض الظروف الخاصة التي تلازم كل واحد من الأمثلة التي ذكرتموها ، لكي أبرهن على صحة تشبيهي هذا .

إن أول الأمثلة التي ذكرتموها للتدليل على عدم « وزن اللغة في تقرير مصير الأمم » هو وجود بلجيكا . وهل فاتكم أن بلجيكا ليست متجانسة من حيث اللغة ، بل هي من المناطق التي تتلاقى وتتشابك فيها اللغات ؟ ولا شك في أنكم تعلمون أن النصف من سكانها يتكلم الفرنسية، في حين أن النصف الآخر منها يتكلم الفلامندية . . . فاتحاد كل فريق من هؤلاء مع سائر أبناء لغتهم يتوقف على « تجزئة وتقسيم بلجيكا » في حين أن ذلك يصطدم بمشاكل عظيمة وموانع جسيمة من الوجهة الجغرافية والاقتصادية والسياسية . »

أولا — إن حـدود الألسن في بلجيكا لا تخلو من تشابك وتعقيد ؛ فعاصمتها بروكسل — مثلا — تقع في منطقة فلامندية مع أنها من أهم المراكز الفرنسية ، يتكلم سكانها اللغة الفرنسية في حين أن سكان القرى والقصبـات المحيطة بها يتكلمون الفلامندية ؛ ولا شك في أن هذا التشابك يجعل أمر تجزئة هذه المملكة من المشاكل العويصة من الوجهة المادية والجغرافية .

ثانياً — إن حـدود المناطق اللغوية في بلجيكا لا تتفق مع حدود المناطق الاقتصادية ، مما يجعل أمر التقسيم عسيراً جداً من الوجهة الاقتصادية أيضاً ...

ثالثاً — تشغل بلجيكا موقعاً هاماً بين ثلاث من أعظم الدول الأوربية وهي ألمانيا وفرنسا وانكلترا، ولا حاجة لايضاح أن تعارض منافع هذه الدول المنظمة الثلاث « جمل أمر » إبقاء المملكة البلجيكية على حالها وعلى حيادها « من لوازم التوازن الدولي العام، ومن مستلزمات « السياسة العالية الهامة، فكيف يجوز لكم أن تعتبروا « وجود بلجيكا » دليلا على عدم « وزن اللغة » في تقرير مصير الأمم ؟ أفلم أكن محقاً فيما قلت : — إن ذلك يشبه اعتبار توازن بعض الأجسام دليلا على عدم تأثير الجاذبية الأرضية عليها ؟ . . .

هذا ، ومن جهة أخرى أود أن أسألكم : هل من وجه لتشبيه قضية « بلجيكا والأمم المجاورة لها » بقضية مصر والبلاد العربية المتصلة بها ؟ وهل من مجال لاعتبار مصر أو الأقطار العربية المتصلة بها من مناطق تشابك اللغات وتعقدها ؟ وهل يتوقف اتحاد مصر مع سائر الأقطار العربية على تجزئتها أو تجزئة غيرها ؟

ترون أيها الأستاذ أنه لا يوجد في مثال بلجيكا ما يؤيد دعواكم بوجه من الوجوه .

أما قيمة المثال الثاني الذي ذكرتموه ، فلا تختلف عن ذلك كثيراً : فان سويسرا أيضاً من مناطق تلاقي وتشابك اللغات ، تتلاقى فيها اللغات الفرنسية والألمانية والايطالية ، كما تتلاقى فيها أهم سلاسل الجبال الأوربية . . فلا يجوز اتخاذها دليلا على عدم وزن اللغة في تقرير مصير الأمم بوجه من الوجوه . .

وأما المثال الثالث الذي ذكرتموه، فهو أيضاً لا يؤيد دعواكم في هذا الباب : أنا لا أرى لزوماً — في هذا المقام — إلى شرح خصائص أمريكا ، ولا إلى البحث في قضية العناصر بها . . . بل سأكتفي بالاشارة إلى عظمة المحيط الاطلنتيكي الذي يفصلها عن القارة الأوربية . . . وأعتقد أن هذه الاشارة وحدها تكفي للبرهنة على أن قضيتها لا تشبه قضية البلاد العربية بوجه من الوجوه . . . فان الأقطار العربية متصل بعضها ببعض اتصالاً جغرافياً تاماً ... والقطر المصري يشغل بين هذه الأقطار مركزاً هاماً . وأما الحدود التي تفصلها عن سائر الأقطار العربية ، فتنحصر — في بعض الجهات — بخطوط وهمية تمتد فوق رمال الصحراء ... فهل تعتقدون أن هذه الخطوط الوهمية التي تفصل مصر عن سائر الأقطار العربية بصورة اعتبارية واصطناعية ، تستطيع أن تعمل عملاً مماثلاً لعمل المحيط الذي يفصل أمريكا من أوربا بصورة حقيقية وطبيعية ؟ ...

***

بعد أن شرحتم ، أيها الأستاذ ، وجهة نظركم في الوحدة العربية ، رأيتم أن تقدموا نصيحة إلى محدثيكم الشبان ، فقلتم :

إن كان لي نصيحة أسديها إليكم فأن تتمسكوا بالواقع العملي وتهملوا سواه ، مهما كانت قوته العاطفية والخيالية . افهموا أن المنفعة تسير الشعوب . فان لم تفهموا هذا اليوم فسترغمون على فهمه غداً ...

أنا أضم صوتي إلي صوتكم في هـذه النصيحة ، من حيث الأساس ؛ غير أنني أنكر عليكم النتائج التي وددتم أن تصلوا إليها تحت حماية هذه النصيحة ...

تقولون إن المنفعة تسيّر الشعوب ؛ فهل تعتقدون أن « اتحاد الأقطار العربية » مخالف لمنافعها أو خال منها ؟ وهل تدعون أن منافع كل واحد من الأقطار العربية ستحول دون اتحادها ؟

أما أنا فأعتقد عكس ذلك تماماً . أعتقد أن فكرة الوحدة العربية لا تستند إلى العاطفة وحدها ، بل تستند إلى المنفعة أيضاً . أعتقد أن منفعة مصر نفسها تتطلب منها الاتحاد مع سائر البلاد العربية، كما أعتقد أن منفعة مصر في هذه القضية ليست من المنافع البسيطة الطفيفة ، بل هي من المنافع الهامة الحيوية .. وإذا كان الذين يقدرون أهمية هذه المنافع لا يزالون قليلين اليوم ، فلا شك في أنهم سيكثرون يوماً بعد يوم

وعلى كل حال أؤكد لكم أنني من الذين يؤمنون بالوحدة العربية ويدعون إليها ، لا بتأثير العواطف فحسب ، بل بملاحظة المنافع أيضاً . . ولهذا السبب عند ما قرأت قولكم : « إن المنفعة تسيّر الشعوب » قلت في نفسي حالاً : « وهذه المنفعة هي التي ستسيّر المصريين نحو الوحدة العربية ، عاجلاً أو آجلا »

هـذا ، وأرى ألا أختم اعتراضاتي دون أن أتوجه إليكم بكلمة شكر ، فاني أشكركم من صميم فؤادي على مناداتكم بتوحيد الثقافة بين البلاد العربية ، لأنني أعتقد أن توحيد الثقافة من أهم العوامل التي تهيئ سائر أنواع التوحيد ... فأقول بلا تردد : اضمنوا لي وحدة الثقافة ، وأنا أضمن لكم كل ما بقي من ضروب الوحدة . « بغداد »

أبو خلدون ساطع الحصري

مقياس الثقـــافة

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

يرى أكثر الناس أن الحق جوهر لا يتجزأ ، وأنه إذا كان عند إنسان أو طائفة من الناس لم يكن عند خصومه أو خصومهم شيء منه . ومن ير هـذا الرأى تضؤل ثقافته ويضؤل فكره . وهؤلاء المؤمنون بالحق قد يرون من المنكر الشنيع أن يجزئوه بين خصمين أو أكثر . وفى الناس طائفة أخرى على شيء من الثقافة تستطيع أن ترى ما للأضداد من الحق ، ولكنها من أجل ذلك لا تؤمن بالحق لزعمها أن الحق لا يتجزأ ، فإن تجزأ انعدم؛ وإنكارها الحق بسبب تجزئه نقص فى ثقافتها ينشأ من قليل من الثقافة ، فان بعض الثقافة قد يعوّق عن بعض . والدهماء وأشباه المتعلمين يغرون بمحاكاة هذه الطائفة فى إنكار الحق ، والتشبه بها فى الزراية عليه من غير بصيرة ولا فهم ، ويتشبهون بها فى الزراية على كل ذى حق من فضل فى العلم أو العمل أو الخلق ، ويتشبهون بها فى إظهاره بمظهر الزيف الخادع . وإذا كثر أمثال هؤلاء وأشباههم فى أمة ماتت روحها وأصابها الركود وإن كانت حية ترزق . والرجل من هؤلاء إذا وجد لانسان حقاً أنكره ، وإذا وجد له نصف حق أنكره ، وإذا وجد له ثلث حق أو ربع حق أنكره ، لأنه فى سريرة نفسه لا يرى لنفسه ذرة صغيرة من الحق تعدل اعترافه بجزء غيره من الحق أو كله . وكلما عظمت الثقافة عرف كل خصم جانب الحق الذى لخصمه ، بقدر عرفانه جانب الحق الذى فى ناحيته ؛ وهم إذا عرفوه حقيقون أن تقل الخصومة بينهم ، ولكن ربما لا تنعدم ، لأن كل إنسان يرى لنفسه من الحق نصيباً أكثر من نصيب غيره ، فيتقاتلون على تعيين حدود أجزاء الحق إن لم يتقاتلوا على تعيين حدود الحق كله . على أن الثقافة كفيلة بأن تلطف تلك الخصومة ، لأن المثقف الباحث فى نفسه المفكر فيها كثيراً ما يراجعها ، فاذا عادى عادى وهو يحسب فى خصومته حساباً لما قد يكون من خطأ النفس الذى لم يفطن له بعد فى تقدير حقها ، ويحسب أنه ربما يفطن له فى مستقبل أمره . أما غير المثقف فانه لا يستطيع أن يحسب حساباً لما قد يكون من خطأ النفس الذى لم يفطن له . ولعل ألصق خصائص الثقافة وألزمها لها عرفان أوجه الحق عرفاناً ملحاً يدعو إلى الاعتراف بها ويدعو إلى حسبان سقطات الفكر من غير قصد وإلى إسقاط المرء الشيء ولو القليل من الثقة بالفكر كى يعدل به ما قد يكون من خطأ لم يفطن له .

وقد ولع بعض الكتاب بالزراية على الحق زراية ليست زراية من يريد أن يقلقل المتنطسين فى التشيع لجانب منه عن تنطسهم كي يدركوا الجوانب الأخرى ، وإنما هى زراية الجاهل الذى يريد أن تعم الفوضى كى يكتسب فيها ومنها من غير حق ، كاللص الذى ينتهز فرصـة فوضى العراك كي يسرق دراهم الناس . وأمثال هؤلاء الكتاب يجدون رواجاً فى أوساط التدهور حيث يصير السخر بالحق وأوجهه خطة عامة لا يستثنى منها فضل أو علم أو عمل أو خلق . فلا غرابة إذا ماتت روح أمة هذا شأنها وإن كانت حية ترزق . والحق عند الجاهل كالدنيا عند الأبله الساذج بقعة حول نفسه أو داره أو قريته . وكلما زاد المرء علماً كبرت الدنيا فى نظره حتى يعرف أنها عوالم ونظم شمسية عديدة لم تحص بعـد . وكلما ازداد المرء فطنة وثقافة عظم الحق فى ذهنه كعظم الدنيا فى رأى علماء الجغرافية والفلك . على أن عظم الحق فى نظر الفكر قد يعدم الحق كما رأينا ، فيقول المرء لا حقيقة فى الحياة ، بل كل أقوال الناس دعاوى باطلة ، وإنما مَثَلُ نظر هذا الفكر إلى الحق مَثَلُ نظر الُطِلّ فى الماء وقد قذف فيه بحجر ، فهو ينظر إلى دائرة موقع الحجر فى الماء تتسع حتى تفنى . ولكن هناك حالة من حالات الثقافة يطمئن فيها المرء إلى أن تباين أوجه الحق لا ينفى الحق . ألم تر أن الدواء يشمل الأضداد ويشمل حتى السم ، فلا ينفى ذلك أنه دواء . وحبذا لو فطن إلى ذلك أصحاب الأوهام الغريبـة الذين لا يرون الخير إلا الخير المطلق الذي ليس متصلا بالشر ، والحقيقة المطلقة التى لا تتصل بباطل ولا تتجزأ ، فاذا وجدوا أن الخير فى الحياة ممتزج بالشر قالوا أن لا خير ولا شر؛ وإذا وجدوا أن الحق ممزوج بالباطل قالوا أن لا باطل ولا حق ، وإنما هى كلمات واصطلاحات ، وإن كل إنسان يعد الحق والخير ما فى ناحيته وما فيه نفعه ، ولكن لو أن أحد الناس نظر فى وجوه الناس ثم فى وجوه الحيوانات والطيور ثم قال : إن اختلافها يدل على أن ليس فى الكون ما يسمى وجها أ كان يكون مصيبا فى مقاله ؟

وكذلك من نظر إلى الدنيا نظرة الراهب الزاهد فيها ونظرة المقبل على مباهجها وأطايبها ونظر إليها نظرة القوى ثم نظرة الضعيف وجد أن أوجه الحق مختلفة، أكان يكون مصيبا لو قال إن اختلاف أوجه الحق ينفى الحق ؟ أليس قوله مثل قول من يعرف أن النور إنما يتكون من ألوان عدة، ويقول إن اختلاف مظاهر الألوان التى يتكون منها شعاع النور ينفى وجود النور . وإنما دفعه إلى إنكار الحق أن تغاير وجوه الحق قد يجعله عند الناس كمقياس من الجلد القابل للتمدد يتخذونه لقياس الأقمشة وهم تارة يمطونه إلى نصف مط، وتارة يمطونه إلى آخر ما يستطاع فيه من المط حسب أهوائهم . وكذلك يطيلون الحق ويقصرونه حسب أهوائهم فيصير الحق مقياس محتال وآلة خداع فتقل حماسة المرء فى سبيل الحق، ويحتقر الجهاد فى الحياة لنصرة الحق، ويدفعه اختلاف أوجه الحق إلى إنكار الحق، ويهيىء له العذر فى نصرة الباطل لأنه يرى أن الاحساس بالحق والباطل يختلف كاختلاف الاحساس بالحر والبرد حسب الأمزجة والطبائع . وإذا نظرنا إلى أكثر المتمضين من الحياة الراجين إصلاحها وجدناهم من أصحاب المزاج الشاذ أو من ذوى الفشل أو الفقر؛ وبالرغم من أن أساس هذا الامتعاض فردى ، وأنه شعور خاص ، فانه من وسائل الرقى والاصلاح، ويؤدى إلى كثير من الخير والحق . وكذلك إذا نظرت إلى أصحاب المزاج المعتاد وأهل النجاح والسعادة وجدتهم يكرهون كل تغيير ، ويرون صلاح الحياة فى بقاء كل قديم على حاله ؛ وبالرغم من أن أساس رأيهم شعور خاص بما فيه النفع لهم فانهم يدافعون عن الحق الكائن والخير القديم ويفطنون إلى ما فى رأى المتمضين من الحياة الراغبين فى إصلاحها من وهم وباطل وشر وإن لم يفطنوا إلى ما فى رأى هؤلاء من حق وخير . والرجل المثقف هو الذى يستطيع أن يجمع بين النظرتين من غير أن ينعدم الحق فى نظره ، والذى يعد فريضة التشبث بالقديم ليست من الباطل بل هى الحجر الذى يحتك به زناد المتطلعين إلى منازل الرقى الراغبين فى إصلاح الحياة فيورى هذا الاحتكاك نور الحق ونار الحياة . وإنما ضربنا مثل هاتين الطائفتين كى نوضح أن اختلاف منازل الحق لا ينفى الحق . وليس من الصعب تطبيق هذه الفكرة بالرجوع إلى كل أمر من أمور الحياة ، وإلى كل فريق من طوائف الفكر والعمل ، وإلى كل مذهب من مذاهبهما

ومن أجلها كانت كل حقيقة متممة لأختها؛ ولا يتم الحق فى رأى إلا بما فى نقيضه من حق ، كما لا يتم الباطل فى رأى إلا بما فى نقيضه من باطل متصل به أو قد يتصل به . والذى يحير الفكر الذى لا يجد فى الثقافة عزاء ولا هو ممن يتغلب على نزعات الفكر الحر بالتعصب لجانب منه أنه يريد حياة بسيطة ولكنها ليست بسيطة، بل إنها كالخيط المعقد تلوى بعضه فى بعض . فاذا استراح المرء إلى الثقافة وجد فيها عزاء، ورحب صدره ولبه بقدر اتساع الحق فى نظره، ولم يحزنه اختلاف أوجه الحق، ولم يضله إلا فى ساعات كلل الذهن أو ساعات الخوف أو التعب أو السقم والتشاؤم الذى يتهيأ فى هذه الحالات أو فى مثلها . على أن مذهب من ينكر الحق بسبب اختلاف مظاهره هو أيضا من الوسائل التى تستقيم بها الحياة وتستفيد منها ، فالحياة تتخذ من كل مذهب وسيلة وتقبل نفعه وتدفع ضره، وبمذهب من ينكر الحق لاختلاف مظاهره تستطيع الحياة أن تداوى نقيضه وهو مذهب التعصب لجانب واحد من جوانب الحق . وإن الفكر ليرى فى العقل البشري على العموم خصيصة تمكنه فى بعض حالاته من قبول أى رأى أو معتقد سواء أكان قريباً أم بعيداً، متزنا أم غير متزن، جليلا أم غير جليل . وهذه الخصيصة قد تدعو إلى الباطل، ولكن من الثقافة ألا ييأس المفكر من أجلها لأنها دليل على أن العقل البشرى قادر على أن يرى كل جانب من جوانب الحق فى الأمور فى أثناء التخبط فى جوانب الباطل منها . ومادام الرأى لا يصير عادة أو قيدا وسجنا أو ألفاظا ميتة مستحجرة أو شيئا لا يصح الرجوع عنه بطريق الثقافة ، فالأمل معقود بالتخبط والتهدي حتى ولو قبل العقل البشرى من الآراء فى بعض الأماكن والأزمنة والحالات ما قبلته عقول زنوج الغابات ونفوسها وما قبلته عقول القبائل البشرية من آراء رهيبة يصف أمثالها السير جيمس فريزر وسجموند فرويد . وأشد منها رهبة وخطراً على العقول البشرية أن يحرم محرم فى أرقى الدول الحديثة حضارة وفكراً على العقل البشرى أن يفكر إلا فيما تسمح بالتفكير فيه تلك الدول ، لأن الأمل معقود بتخبط الفكر البشرى وتهديه ما دامت الثقافة رائده ، وما دام الرجل المثقف يفسح صدره لرأى خصومه ، لأن كل جانب من جوانب الحق قد يتصل بجانب من جوانب الباطل، إذ بينهما تقارب وتناسب ؛ فالرغبة فى بلوغ الكمال وولوع الفكر

به وبتحقيقه مما يوطد سبل التقدم، ولكنها أمور قد تدفع إما إلى اليأس إذا فشلت، وإما إلى الاجرام في أثناء محاولة تنفيذ أغراضها، فتكون داعية إلى الحق من ناحية. وإلى الباطل من ناحية أخرى، وكذلك الرأي القائل بانكار استطاعة رقى الانسانية وكما لها قد يؤدى إلى الحق الذى فى جانب الاتزان والتؤدة والمحافظة على الحق المستطاع بدل افقطه فى سبيل الحق المنشود. ولكنه قد يؤدى من ناحية أخرى إلى الأثرة وتبرير الفساد الموجود لأنه موجود فى وجود أنكر هذا الرأى إمكان إصلاحه . والرأى القائل بالايثار له جانب حق كما أن للأثرة جانباً آخر يُنشد فى تهيئة الآحاد والأفراد بالقوة والاقدام ، وفى قوتهم وإقدامهم قوة للمجتمع الانسانى وإقدام له

وعمل الثقافة فى الحياة هي أن تؤسس الحياة على أساس صالح يوفق بين جوانب الحق فى الاضداد ، وأن تفصل بين كل جانب من جوانب الحق وما يلائمه من جوانب الباطل

عبد الرحمن شكرى

صور من الحياة فى بغداد

للدكتور زكى مبارك

يظن فريق من الناس أن الحياة متشابهة الألوان ، وإن اختلفت البلاد . وحجة هذا الفريق أن الناس متقاربون أشد التقارب فى الغرائز والميول . ويشهد بصحة هذه الحجة أن مذاهب الناس فى ملاعبهم وملاهيهم قد تقترب فى هذه الأيام مما كانت عليه قبل آلاف السنين. وكذلك تقترب مذاهبهم فى فهم الحقائق الأخلاقية والاجتماعية ، بحيث يمكن القول بأن حكماء مصر وبابل والهند والصين فى العصر القديم عبروا عن آراء وأفكار ليست بعيدة كل البعد عما نعرف فى العصر الحديث

وقد دهشتُ حين زرت مدينة رُوَان فى سنة ١٩٢٧ فقد رأيت بعض الأحياء القديمة هناك تشبه بعض الأحياء القديمة فى القاهرة من حيث تخطيط الشوارع وهندسة البيوت

وكذلك دهشت حين زرت بغداد فى السنة الماضية، فقد رأيت فيها أحياء تشبه بعض الشبه حىّ الداوودية بالقاهرة ، من حيث إقامة الرواشن وزخرفة الأبواب

والحق أن هناك موجات مدنية تغمر العالم من حين إلى حين فتوحّد مذاهبه فى العيش بعض التوحيد . وأوضح ذلك ما نراه من طغيان المدنية الأوربية فى هذا العصر : فهى تكاد تحوّل العالم إلى شكل واحد فى الملابس والعادات والمذاهب المعاشية ، وكذلك كان الحال يوم سادت المدنية المصرية والمدنية الرومانية والمدنية العربية

ولكن تشابه الناس فى بعض مناحى التفكير وخضوعهم لطغيان بعض المدنيات لا يمنع من وجود خصائص أصيلة يمتاز بها بلد عن بلد ، وشعب عن شعب

وهل يمكن القول بأن الوحدة السياسية فى قطر من الأقطار تفرض أن يتّسم بوحدة اجتماعية ؟

إننا نعرف أن أهل مصر يختلفون فى كثير من العادات والتقاليد باختلاف المناطق ، ولو شئت لقلت إن عندنا مِصرَين : مصر الشمالية ، ومصر الجنوبية ؛ ولكل ناحية من هاتين الناحيتين خصائص ومميزات تتمثل فى أشياء كثيرة منها طرائق التعبير وأساليب الغناء

ونعرف أيضاً أن فرنسا تنقسم إلى أمم وشعوب بالرغم من وحدتها السياسية ، ولكل أمة من تلك الأمم مذاهب فى العيش والتعبير ، ولها كذلك أذواق خاصة فى الطعام والشراب

فاذا انتقلنا إلى العراق الذى نخصه بهذا الحديث لم نجده بدعاً بين الأمم والشعوب ، وإنما نجده يتأثر فى عاداته وتقاليده بما يخضع له من تيارات جوية واجتماعية واقتصادية

وهل يمكن أن يتم التشابه بين أهل البصرة وأهل الموصل فى كل شىء ؟

إن الذى يطلب ذلك يصح فى ذهنه أن يتشابه (الصعايدة) و(البحاروة) فى كل شىء ، وذلك غير معقول

تقدّم الموصل فتروعك سنابل الحنطة وهى تتموج فى واسعات الحقول ، وتقدّم البصرة فيروعك النخيل الذى يعدّ بألوف الألوف

وتدخل بغداد فترى فيها سمات من الشمال وسمات من الجنوب

* * *

فهل نستطيع بعد هذا التمهيد أن نجد صوراً خاصة من صور الحياة فى بغداد ؟

إن الصور التى تنفرد بها بغداد كثيرة جداً ، ولكن كيف نبرز الملامح من تلك الصور الخصوصية ؟

هنا أشعر بأن الوصف أصعب ضروب البيان ، ولكنى سأحاول رسم ما رأت عيناى من الصور البغدادية

وأبدأ بالحديث عن أذواق أهل بغداد فى تنظيم السهرات

وكلامى فى هذه القضية يحتاج إلى سناد مما قرأتم فى كتب الأدب والتاريخ ، وأنتم قد قرأتم أن البغداديين كانوا مولعين بالموسيقا والغناء . فاعرفوا اليوم أن هذه النزعة لا تزال حية فى بغداد ، ومن النادر أن تقوم سهرة بلا غناء

ويظهر جمال هذه العادة اللطيفة إذا تصورتم ما يقع فى دجلة أيام الصيف . ولدجلة من هذه الناحية منظر أخاذ حين تمسي ملعباً للسفائن الخفيفة الروح التى تحمل أفواج اللاهين واللاعبين وبأيديهم آلات الطرب وفى قلوبهم مشاعل الوجد المشبوب

وأنتم تذكرون أن الجاحظ نص على استكراه المغنّي الوسط فاعرفوا اليوم أن لذلك صلة بالحياة العراقية . فكل إنسان فى العراق يرى من حقه أن يغنى ، وكان الأمر كذلك لأن جو العراق يهيج الشجون . وقد حدثتكم مرة بأن العراق هو البلد الوحيد الذى لا تنقطع فيه الحمائم عن النواح

ومن أجل هذا أيضاً نص أدباؤهم وفقهاؤهم على آداب الوجد والسماع والشراب ، لأن السهرات الوجدانية لها فى ماضيهم وحاضرهم مكان ملحوظ ؛ وهم يشدون إليها الرحال من أرض إلى أرض ، وقد يتحملون فى سبيلها ما لا يطاق

ولكن ما هو الغناء الذى يميل إليه البغداديون في هذه الأيام ؟

عندهم فن من الغناء يسمى الأبوذية ، وهو فى أغلب أحواله غناء حزين ، ولكنهم مع ذلك يصطنعونه فى الأفراح ، والحجاز بين الفرح والحزن حجاز دقيق عند من يعرف أن العراقى حين يطرب قد تجود عيناه بالدمع السخين

وقد كلفوا في الأعوام الأخيرة بأغانى أم كلثوم ، كلفوا بها كلفاً شديداً جداً ، وهم يعلنون عن سهراتها فى جرائدهم بالمجان . ولشعرائهم فى الهيام بأغانى أم كلثوم قصائد جياد

ولا يبعد عندي أن يدّعوا نسبتها إلى العراق بعد حين ، فأم كلثوم فيما يظهر سرقت حنجرتها من الحمائم الوصلية . والله أعلم !

ولم يكن أهل بغداد يطربون لأغانى عبد الوهاب . ولذلك سبب تحسن روايته فى هذا الحديث

كان عبد الوهاب زار بغداد فى عهد الملك فيصل ، طيب الله ثراه ، وكان وقع في غلطة ذوقية ثار لها البغداديون ، كان لقيهم بمظهر من الارستقراطية لا يرتاحون إليه فانصرفوا عن أغانيه كل الانصراف

ولكن تغير الحال حين رأوا فلم « يحيا الحب » فأحبوه إلى حد الجنون

ويظهر أن السيدة التى غنت أنشودة البرتقال هى السبب فى انجذاب البغداديين إلى عبد الوهاب ، فتلك السيدة عراقية الملامح وهى تشبه ليلى فى تقاسيم الوجه ورخامة الصوت

***

أترك هذا وأنتقل إلي صورة ثانية

قلت مرة إن أنهار العراق مسمكة جداً ، فاعرفوا اليوم أن عندهم لوناً من الطعام هو السمك المسقوف

والسمك المسقوف مشهور جداً فى بغداد ، وينص عليه فى الدعوات كأنه من غرائب الأشياء

ولكن السمك المسقوف له تقاليد يعرفها أهل بغداد ، فهو لا يؤكل فى كل وقت وفي كل مكان ، وإنما يؤكل بالليل وفي الفضاء

وإنما سمى مسقوفاً لأنه يوضع فوق قضبان من الحديد ثم تشب من حوله النار فينضج بالحرارة ، كما يصنع من يشوون اللحم فى محل (الدهان) إن كنتم رأيتموه

وفى دجلة جزيرة صغيرة ينحسر عنها الماء بعد الفيضان ، وهم يسمونها جزرة ، وأهل بغداد يختارون هذا المكان لأكل السمك المسقوف فى ليالى الصيف ، ويظهر أنه كان مجال اللهو والطرب منذ أجيال طوال ، فهو يواجه الكرادة ، والكرادة فيما يظن كثير من البغداديين محرفة عن كلواذ التى قال فيها أبو نواس :

قالوا تنسك بعد الحج قلت لهم
أرجو الاله وأخشى طيرناباذا

أخشى قُضيِّب كرم أن ينازعنى
رأس الخطام إذا أسرعت إغذاذا

فان سلمتُ وما نفسى على ثقة
من السلامة لم أسلم ببغداذا

ما أبعد الرشد ممن قد تضمنه قطرُبلٌ فقرى بنّا فكلواذا

والتى دعا عليها مطيع بن إياس فقال :

حبذا عيشنا الذى زال عنا حبذا ذاك حين لا حبذا ذا
زاد هذا الزمان شرا وعسراً عندنا إذ أحلنا بغـــداذا
بلدة تمطر التراب على النا س كما تمطر السماء الرذاذا
خُرّبت عاجلاً وخرّب ذواله رش بأعمال أهلها كاواذا

وقد دعيت ليلة لأكل السمك المسقوف فى تلك الجزرة ، وكانت سهرة لطيفة فى ليلة قمراء ، ويظهر أن النسيم أراح أعصابى فغلبنى النوم ونحن عائدون فى السفينة ، ثم استيقظت مذعوراً على صراخ النساء فظننت أن السفينة أشرفت على الغرق، ثم ظهر أنها اصطدمت بالأرض ، فضحكت وحمدت الله على النجاة !

وإنما نصصت على هذه الصورة لتعريفكم بأن لأهل بغداد ألواناً من الطعام تغاير الألوان المصرية ، والفرق بعيد جدا بين ألوان الطعام فى القاهرة وألوان الطعام فى بغداد . والظاهر أن المائدة المصرية الحديثة منقولة عن المائدة التركية، ولا كذلك المائدة العراقية فلها مذاق خاص بأهل العراق ، وربما كان لها اتصال بما يتذوق الفرس والهنود

قد تقولون : ولكن أكل ما تختص به بغداد هو الطعام والشراب والغناء ؟

إن قلتم ذلك فانى أجيب بأن لبغداد خصائص غير هذه الخصائص ، منها الجد الرصين الذى يتمثل فى تناول الحياة من نواحيها العنيفة فى الكفاح والجهاد

وأؤكد لكم أن البغداديين صبروا على ما لم يصبر عليه أصدق الرجال

صبر البغداديون على بلايا كثيرة أخفها الأوبئة والطواعين ، وصبروا على مكاره الدهر وتصاريف الزمان

والبغدادى له لحظات بؤس يواجه فيها نفسه وهمومه ورزاياه ، والشعور بالكرب هو أخص ما يلازم البغدادى حين يجلس وحده فى المقهى أوفى البيت ، وهذا الحزن القاتل الذى يساور أهل بغداد من حين إلى حين هو الذى يجعلهم أقرب الناس إلى الفرزة الانسانية ، وهل يسيطر الحزن إلا على كبار القلوب ؟

وأعيذكم أن تظنوا ذلك الحزن علامة من علامات اليأس . لا ، فالبغدادى يأنس بحزنه ليتخذ منه ذخيرة لمواجهة الخطوب . وما عرف البغداديون مواقع النصر فى التاريخ إلا فى أعقاب الأحزان

وتفسير ذلك سهل : فالحزن الموجع هو الذى يحمل الرجل على أن يستيئس فيستقتل ويستميت

والحق أن البغدادى يسرف فى الفرح ويسرف فى الحزن ، ومن هذه الطبيعة المزدوجة استطاع البغداديون أن يكونوا من أسمح الناس وأشجع الناس

وما وقع بصرى على رجل من أهل بغداد إلا تألمت وحزنت، لأنى أرى الدهر طبع على وجوههم سمات الحزن الدفين ، ثم يخف ألمى وحزنى حين أتذكر أن تلك الوجوه الشواحب تعرف كيف تصبر على مواجهة الخطوب

وما كانوا جميعا مكروبين ولا محزونين ، ولكن الأقدار أبت أن تسبغ عليهم ثوب الصفاء ، ليكونوا كأشجار البادية التى تقاوم العواصف وتصبر على الظمأ والقيظ بلا توجع ولا أنين

ولكن ماهى الصور التى يدفع بها العراقيون تلك الموجعات ؟

للعراقيين أساليب كثيرة فى جلب المسرات إلى قلوبهم ، منها الاشتغال بالفروسية والتأهب للحرب ، فمن أعظم الملاهى عند الشبان العراقيين فى هذه الأيام أن يكونوا طيارين وجنوداً وضباطا فى الجيش ، ويظهر هذا اللون من اللهو فى أجمل مظاهره حين يُستعرَض الجيش أو حين يقوم سباق الطيران

وما أقول إن هذا النوع من أنس النفس بمظاهر القوة خاص بالعراق ، لا ، فهو موجود فى كل أرض ، ولكن إقبال العراقيين عليه يتّسم بسمات من الروعة توحى إلى من يراه أنه من خصائص أهل العراق

ومن كان فى ريب من صدق هذه الحقيقة فليتصل بالراديو العراقى مرة ليسمع بعض الأناشيد الوطنية أو العسكرية ، فان فعل فسيعرف أن الحماسة فى صدور الشبان العراقيين حماسة رائعة جدا ، وأنها صادقة كل الصدق لا تكلف فيها ولا افتعال

ومن هذه النزعة نشأ عند العراقيين عيب جميل وهو الغرور القوى ، فالعراقيون يعتقدون اليوم أن جيشهم أقوى جيش فى

فى الشرق ، ويندهشون حين يسمعون أن مدرسة الحربية فى القاهرة أعظم من المدرسة العسكرية فى بغداد . وقد نشرت إحدى جرائدهم مرة أن مصر أوفدت أربعة شبان ليتعلموا فى المدرسة العسكرية عندهم ، فصدقوا الخبر وعلقوا عليه فى المجالس والأندية والجرائد

وترجع هذه السذاجة الظريفة عند الجمهور العراقى إلى منزع جميل هو قوة الروح المعنوى هناك

وهذا الروح تمده روافد كثيرة فى العراق يصدر بعضها عن المدارس وبعضها عن الجمعيات والأحزاب

ويجب أن أنص فى هذا الحديث على ظاهرة نفسية كاد يتفرد بها العراق، وهى إلحاحه على وجوب الاسراع فى تكوين الوحدة العربية ، فهم يتكلمون ويخطبون ويكتبون كل وقت فى تأييد هذه القضية ، ويتمنون على أسلوبهم فى السرعة أن يتم ذلك بعد يوم أو يومين

وهذه الظاهرة تفسر ظاهرة أخرى لا يفطن إليها كثير من الناس

وبيان ذلك أن الصحافة العراقية لا تملك حرية التعبير فى كثير من الأحيان

والذى تصل إلى أذنه أخبار القيود التى تعانيها الصحافة العراقية يتوهم أن العراق يعيش فى ظل الجور والاستبداد

والواقع غير ذلك . الواقع أن الحكومة العراقية تعرف الفورات التى تصطرع فى أنفس الشبان ، وتعرف أنهم يتسامون إلى أغراض لا تتحقق فى عام أو عامين ، فترى من الواجب أن تحمى أولئك الشبان من النزعات المتطرفة التى يخرج لهيبها من الجرائد والمجلات

والواقع أيضاً أن حرية الصحافة فى مصر تؤذى كثيراً من أهل الشرق ، فهم يتوهمون أننا صرنا أعظم منهم لأننا نملك من الحرية الصحفية ما لا يملكون ، ولو أنهم تدبروا لعرفوا أن حرية الصحافة فى مصر لا تؤذى أهل مصر إلا قليلا ، لأن المصريين عرفوا مصايرهم السياسية والاجتماعية منذ أعوام ، وهم لا يستوحون الجرائد فى كل وقت، ولا ينزعجون حين يقرأون غرائب الاتهامات فى الجرائد والمجلات بفضل ما درجوا عليه من نقد الأخبار والأحاديث

وهذا الذى أقوله يفسر الخبر الذى قرأته فى جرائد العراق منذ أسابيع، فقد أصدرت وزارة المعارف العراقية منشوراً يحرم على المدرسين أن يتعرضوا لغير الشؤون العلمية فى ساعات الدروس

وليس فى هذا المنشور شىء من الغرابة، لأن المدرسين ممنوعون من الخوض فى السياسة فى جميع البلاد، ولكن تأكيد هذا المعنى من وقت إلى وقت شىء يحتاج اليه المدرسون فى العراق

قد سمعتم أشياء كثيرة عن العراق فى هذا الحديث، منها الجد الصارم ومنها المزاح المقبول ، فاسمحوا لى أن أضيف إلى الصور السوالف صورة أجمل وأروع ، وهى اهتمام أهل العراق بأخبار أهل مصر وشغفهم بأن يسمعوا ما يسرهم عن هذه البلاد

فمن تقاليد الشبان والكهول فى العراق أن يقرأوا المجلات المصرية وأن يستمعوا ما يأتى فى الاذاعة المصرية ، ومنهم من يعرف تخطيط القاهرة وإن لم يرها مرسومة فى خريطة لكثرة ما يتأثر بالأوصاف المبثوثة فى الجرائد والمجلات

إن الشبان فى العراق يتأثرون خطوات إخوانهم فى مصر ويتمنون لهم المزيد من نعمة الصحة والعافية

فيا أبناءنا فى المدارس المصرية ، تذكروا ، ثم تذكروا

تذكروا أن لكم إخواناً فى الأقطار العربية والاسلامية ، وهؤلاء الاخوان يسألون عنكم فى كل وقت ، ويتمنون أن تتسع آفاق أذهانكم فتعرفوا أنكم لستم غرباء فى الشرق ، وأن الفتى منكم إذا شرّق وجد أهلا بأهل وإخواناً باخوان

إن الشرق يدعوكم إلى أن تتعرفوا إليه كما يتعرف إليكم، فليكن من أمانيكم أن تزوروا الحواضر العربية والاسلامية وأن تعقدوا صلات المودة والاخاء مع إخوانكم فى الشرق

تذكروا يا أبناءنا فى المدارس المصرية أن الوطنىّ الصادق هو الذى يخلق لوطنه صداقات ومودّات ، فكونوا أوفياء لهذه المعانى فى خدمة الوطن الغالى

والله يتولاكم برعايته ، ويسبغ عليكم ثوب العافية فى العزائم والضمائر والعقول

« مصر الجديدة » زكى مبارك

الحقائق العليا فى الحياة

الإيمان . الحق . الجمال . الخير . القوة . الحب

للأستاذ عبد المنعم خلاف

الايمان

بقية الحديث فى مصير الانسانية

إن مصير الانسانية ليس بالأمر الذى يمر عليه القلم بدون إلحاح فى تركيزه فى العقول وتبيين آثاره فى الحياة وفى النفس. إنه الحياة كلها فى رأى الدين، والعدم كله فى رأى الالحاد. وشتان بين الحياة كل الحيــاة، والعدم كل العدم فيما وراءهما من آثار! شتان بين أن يعتقد الانسان أنه جنين فى بطن الدنيا سيولد منها ولادة ثانية، وبين أن يعتقد أنه سيخرج منها سقطاً مَسْبُوتاً هالكاً إلى غير رجعة! إنها مسألة عظمى فى قيمة الانسان وفى سكينته واطمئنانه إلى مركزه فى الحياة

إن الانسان المادى غير الصوفى لا يحتمل أن يتلقى القول بأنه مخلوق للحياة هنا فقط، دون أن يثور على الحياة أو يقنط قنوطاً قاتلاً لحيويته

لقد وصل القول عنــد بعض الفلسفات إلى اعتبار الانسان مظهر الإلــهية أو شرارة من روحها! فكيف إذاً ينطمس هذا المظهر، أو تنطفئ تلك الشرارة؟

ثم لنرجع إلى ما يثبته العقل للخالق من حكمة وعدل تقتضيهما ضرورة الكمال الإلــهى الذى لا يستطيع العقــل أن يستغنى عنه كصفة ثابتة للإلــه، فنتساءل: هل فى الدنيا مع آلامها وشرورها عدل مطلق؟ يجيب المؤمن والملحد عن ذلك جواباً واحداً: كلا! ثم يفترقان، فيذهب المؤمن إلى أن كمال العدل المطلق وراء هذه الحياة، فى تلك الحياة المثالية التى فيها كل خيالات الكمال وأطياف السعادة التى طافت بأحلام كل الناس وسكنت رؤوس الفلاسفة والحكماء، أوجدها فى نفس الانسان إلهام عميق خفى لتتم الصورة العقلية للكمال الإلــهى. وفى هذه المقدمات وفى نتائجها المستمدة من منطق الطبع ومنطق التجريد راحة النفس المؤمنة وسكونها وطمأنينتها

أما النفس الملحدة فماذا عساها أن تصنع غير طيران خواطرها فى فراغ لا قرار له؟ إنها لا تملك أن تسقط على قرار حتى تتحطم فتستريح! ومِلاكُ ما تنتهى إليه أن حياتها كحياة تلك الحشرات والديدان التى «تعيش» على الروث والعفونة فى الظلمات ثم تموت عليها وتدفن فيها! ولْتَنْحَ بعــد ذلك السموات أو فلتسقط! ولتكن هذه العوالم الزاخرة بالعلوم والجمال والعجب العجاب لتراها فقط أشباح تلك الحشرات الصغيرة والكبيرة من بُعْدٍ فتقتل غيظاً كل يوم ألف مرة ثم تذهب إلى غيبوبتها الكبرى مع الجمادات كما كانت! والحياة إذاً بلا قصد أو غاية، والرءوس الانسانية إذاً تفرز التفكير كما تفرز الكبد الصفراء، أو كما يفرز ذيل العقرب السم!

سلام لك أيتها النفوس المعذبة مما أنت فيه وإنه لعذاب غليظ!

إن الإلهام الذى فيك من الخالق ينــاديك: أنت المقصودة بالخلق فى الأرض ... أنت خالدة ...

«يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى»

«وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين. لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين. بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق. ولكم الويل مما تصفون»

* * *

ثم مادام كل ما فى الفلسفة فروضاً لا تدخل فى قليل أو كثير إلى العلم اليقينى، فما بالنا نترك الايمان بوجود مصير رفيع للانسانية على أنه فرض فلسفى؟ إنه أصح الفروض وأصلحها للحياة الدنيا وأدعاها إلى الاصلاح المستمر المخلص

وهنا دليل ينبع ويستنبطه العقل من بين ما أقول: ذلك أن أقرب الفروض إلى الحق فى الدنيا هو ما يدعو إلى صلاحية النفس للحياة وإصلاحها لها، وما يحل به أكبر مقدار ممكن من المشكلات، وما صح تطبيقه على وجه الشمول بين الناس فى كل مكان وزمان. ذلك مبدأ تسلم به الفلسفة والعلم ومذاهب الأخلاق

ومصير الانسانية إلى حياة أخرى أسمى من هذه الحياة هو ذلك الفرض الذى ينطبق عليه ذلك التعريف السابق، هو لا غيره

وقد عودتنا الحياة الدنية أنها لا تحترم ولا تبقى إلا ما يتفق

مع حفظ قوانينها ويضمن اطراد تقدمها . فتى خلينا الدنيا من هذا الفرض أمام الانسان فهنالك تكون الحالقة : حالقة العمران. وإذا كانت معرفة مثل الزهاوى أن الانسان لا يأتى إلى هذه الدنيا مرتين قد حملته على أن يطلق لنفسه العنان في اقتراف اللذات ويدعو إلى ذلك فيقول :

لا تقف في وجه الدا تك مكتوف اليدين
أنت لا تأتى إلى دنيـــاك هذى مرتين

فما بالنا لو عرف الناس أنهم لا يأتون إلى دنياهم ولا يذهبون إلى مصير آخر ؟ إنهم يفعلون كل جريمة للذة وانتهاز فرصة الوجود الواحد فى هذه الحياة التى ليست حينذاك إلا وليمة أدبها لنا القدر لنتلذذ ونتشهى فيها كما قال الأول :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

وحق لهم أن يفعلوا ذلك !

* * *

ينبغى أن نعلم ونتذكر دائماً أن « إرادة الحياة » إنما تحفل غاية الاحتفال بعقليات أكثرية الانسانية لا بعقليات هؤلاء الفلاسفة المسرفين ، وقطيع الانسانية يسير بإلهام مركب كما تسير قطعان الحيوانات الأخرى بإلهام بسيط ، وإذا كانت قطعان الحيوان لا تحتاج فى حياتها إلى فلسفة لأنها تسير بنظام أشبه بالنظام الآلي فان الانسانية تحتاج فى سيرها فى الحياة إلى الفلسفة ولكن من غير إسراف . فلا يفرضن حكيم أو فيلسوف شذت فيه شعلة الخيال والذكاء وقوة الافتراض عقله وطريقة إدراكه للأشياء على جميع عقليات الانسانية المرهونة بالبسائط والسجينة فى أقفاص فولاذية من الضرورات الجسدية . وقد دلت الانسانية بتاريخها المتيد أنها لا تستجيب لخيال الفلاسفة المسرفين إلى درجة الهذيان أحياناً . ومن مصيبة بعض الفلسفات أنها تتخذ الشك ديناً ؛ والشك حسن على أنه باب إلى اليقين عند من فى عقولهم محطات ورباطات تقفهم عند البديهي ، لا على أنه حالة استقرار فانه حينئذ يُجنّ ويشقى ويشرد العقل الانسانى وينفيه من حياة الالهام البسيط والمركب ، وكل شيء فى الحياة لغز وأحجية من ذرة المادة وصورها وتكوينها وطاقاتها وقواها إلى الروح وأسرارها وخفاياها . كل شيء يحمل كل عقل بصير يقظ على أن يقف أمامه دائراً بأسئلة عنه لا عدد لها . وقد نقلنا فى مقال « النار المقدسة » المنشور فى عدد سابق من الرسالة عن « ملكن » العالم الكهربائى الكبير قوله : « خبرونى ما هي المادة ؟ أخبركم ما هى الروح ... »

وقد خابت الفلسفة اليونانية فى أن تخرج ديناً عاماً يتبعه جميع اليونان ، دع عنك أكثر الناس . وكانت كل مدرسة من مدارسها لا تظفر إلا بعدد محدود من التلاميذ لا يلبثون أن يتفرقوا بعد موت أستاذهم أو فى حياته ، من غير أن تقدم إحدى تلك المدارس إلى الناس وازعاً يقوم مقام وازع الوثنية التى كانت تضج بها معابدهم . ولا يزال « العقليون » خائبين فى إيجاد ذلك الوازع الأدبي الذى يحكم الجماعة من الداخل كما تحكمها القوانين من الخارج . ذلك لأن الانسانية ممدودة بالالهام الذي يربطها بما وراء الطبيعة . ولن تستغنى عن وازعه بما تقدمه لها العقول ؛ إذ هى من جهة حائرة فى أى العقول تتبع ، ومن جهة أخرى هى لا تؤمن بما تصنعه هى ، ولا تعتمد عليه فى رغبتها ورهبتها . وما تقدمه إليها العقول مصنوع مخلوق أمامها فهو أرضى ضعيف غير ممدود بما وراء الطبيعة ، فلا يعزى ولا يخيف ولا يرغب .

وهذا هو ما يسلمنا إلى الحديث عن « النبوة والرسالة » ووجوبهما . والعمدة فيهما على معرفة « الوحى » وقد خرج الحديث عن الوحى من منطقة الفلسفة إلى منطقة العلم بالبحوث العلمية الأخيرة فى النفس الانسانية وقواها وأسرارها . وهي بحوث مبنية على التجارب التى هى أداة « العلم » بمعناه الاصطلاحى الآن .

الرستمية عبد المنعم خلاف

وقعت بعض الأخطاء المطبعية فى المقال الثانى مما لا يتغير معه المعنى كثيراً ومما يدركه القارئ بالسياق إلا واحدة أرجو تصحيحها هى : « علما منهم أن الله راض لهم الفتنة » وصوابها : « راصد لهم الفتنة »

أمـــــر ؟!!

من زينب الحكيم إلى توفيق الحكيم

هناك فى حلوان على يسار الداخل إلى الجهة اليمنى (الشرقية) من الحديقة « اليابانية » يرى الزائر : جانباً من الحديقة منسقاً بفكرة خاصة ؛ حيث هيئت بركة مائية على شكل حدوة الحصان من قاعها ، وينتهى وسطها بزاوية حادة من أعلى حواشيها

وأقيم كشك على شكل مظلة، على الأرض التى تتوسط البركة من الطرف المفتوح من الحدوة، وقد زين هامشها بالزهور وسياج من السلك الشائك . ووضع تحت المظلة مقاعد خشبية ، جلست على مقعد منها ، بحيث أتمكن من رؤية البركة كلها وما يحيط بها

نسق هذا الجزء من أرض الحديقة ، على شكل سهل يرتفع بالتدريج ، إلى ربوة منحدرة خضراء ، شيدت على قمتها مظلة مثل التى أجلس تحتهـا . أما حواشى البركة فترتفع من الجهة اليمنى ، وتنخفض من الجهة اليسرى تبعاً لطبيعة ذلك الجزء من الأرض . وأقيم على حافتها من الجهة الشمالية الشرقية ، عدة تماثيل طوبية اللون (أى أشبه بلون طوب البناء الأحمر الضارب إلى الصفرة)

والذى استرعى انتباهى هو اتحاد جميع التماثيل فى الشكل والنوعية والفن . ولم يشذ منها إلا تمثال واحد ، تبينت أنه لسيدة ، وهو أكبر حجما

أحصيت تمثال الرجل الواحد فوجدتها ثمانية وأربعين تمثالاً، صُف ستة عشر منها على حافة البركة اليمنى، ثم يأتى تمثال السيدة، ويتبعه على الجهة ذاتها اثنا عشر تمثالاً يقع موضع آخر واحد منها فى وسط هامش البركة . ثم يتبعه فى اتجاه مقابل من الجهة اليسرى عشرون تمثالا

ما عسى أن يكون المعنى الذى يشير إليه هذا الوضع ؟ إنه يشبه مجلساً ملكياً ترأسه ملكة وهؤلاء مستشاروها . لكن الغريب فى هؤلاء المستشارين أنهم جميعاً سواسية فى الجلسة والهيئة والسحنة والرداء وكل شىء ، حتى تلك الدائرة الصغـيرة البارزة الموضوعة على جباههما . ورءوسها كلها عارية خالية من الشعر ، أما رأس الملكة فتغطيه جدائل سميكة من الشعر ، مصففة بشكل يحيط الرأس ويغطى الجبهة حتى تلك الدائرة الصغيرة البارزة فى وسطها

عجيب هذا ! — وما معناه — ؟ الكل يرتدى ثوباً منسدلا منسجما عليه بنظام واحد كون شبه قلادة حول العنق تتدلى إلى الجزء الأعلى من البطن ، أما عنـد السيدة فتنحدر قليلا إلى أسفل . ووضعت اليدان متقابلتين على الحجر فوق الركبتين ، والراحتان منقبضتين فى يسر ، والابهامان ملتصقين ، وشكلها كما لو كان الانسان يفكر فى شىء مهم يشغل كل انتباهه وجميع حواسه . فالتماثيل كلها مسبلة الجفنين ، مطبقة الشفتين ، تومئ قليلا إلى أسفل ، وتتجه جميع الوجوه إلى الأمام

عجيب هذا الأمر الذى جعل من تسع وأربعين شخصية مختلفة شخصية واحدة ، كأنما تنازلت عن ذواتها فى سبيل هذا الأمر الواحد، فظهرت كلها متحدة متشابهة ! أو لعلها شخصية واحدة نحت لها ثمانية وأربعون تمثالا وراءها تمثال لسيدة لا يختلف عنها كثيراً !

وأنت أيتها السيدة ، منصرفة إلى تفكير عميق مثلهم ، لا تمتازين إلا بشىء آخر غير الشعر ، وهو أن يديك وإن كانتا تشبهان باقى الأيدى فى وضعها إلا أنهما شاذتان عنها فى نوع القبضة وتقابل الابهامين ، حيث يدل منظرها على تمسك برأى أو بمبدأ . وكأنما تعرضين هذا الأمر على مجلسك فيقبله مستشاروك بروح سلام وإعمال فكر ، بدت آثاره على محياهم ، وانصرف جميعهم إلى التفكير العميق فيه بلا انقطاع؛ ويلوح أن الكل مشبع بروح الود والاخلاص والتضحية، والرأى لم يبرز نتاجه بعد ، ولم يتم حكمه

ترى ما هذا الأمر الذى لا يترك أثراً للتأفف على الوجوه ، ولا على السلوك ؟ !

ها هى ذى الشمس تشع ، ويسطع نورها على التماثيل التسعة والأربعين فيعمل اختلاف مسقط الظل عمله، فتظهر التماثيل المتحدة، بأشكال وسمات مختلفة ؛ وبذلك تنعكس طبائع النفوس على حقيقتها وإن اتسمت كلها بسمة واحدة ووضع واحد ونوعية واحدة فى ظاهرها . إن فن المنظور يحتم تضاؤل أو تعاظم هذه التماثيل بالنسبة لارتفاع المواضع أو انخفاضها ، وبالنسبة لبعدها أو قربها. وها هى ذى عين الانسان ، تتغير نظرتها وتتبدل ، بالنسبة لهذه التماثيل مرات فى وقت قصير

الشمس تحجبها السحب ، فيظهر المنظر كله من نوع آخر ومعنى آخر . وإذا ماء البركة الذى كان يتماوج ويوحى الفلسفة ،

ويدعو إلى التفكير ويستلهم منه مجلس التماثيل الاستشاري الصامت إلهامه من لحظات مضت — قد تسرب ، وظهر قاع البركة جافا ، إلا من بضع نقر بها أوشال من الماء هنا وهنا . ولكن التماثيل لا تزال هي هي ، في وضعها وسماتها ، توميء إلى تلك البركة في رخائها وجدبها ، وارتفاعها وانخفاضها ، وطهرها وأسنها

وعقلية تلك التماثيل ومنطق وضعها الدال على فكرة خاصة ومقصد مبهم ، لا تزال جادة في تفكيرها وتدبيرها لذلك الأمر الواحد

ترى ما هو ؟!

الطبيعة الصامتة تكوّن بيئة فخمة لذلك المجلس الصامت . العشب الزبرجدي يكسو الربوة العظيمة التي خلف الملكة وحاشيتها من الناحية اليمنى ، والشجيرات الأرجوانية الزهر ، نامية رابية وراء الصف المقابل من التماثيل في الناحية اليسرى ، ويهتز مع النسيم ورق وغصون الأشجار العالية خلفها جيماً ، والشجيرات الخضراء التي بين كل تمثال وآخر ، تحمل قليلاً من الزهر الأبيض النقي ، بضع أوسمة على صدور بعض التماثيل ، وتمسح غصون لطيفة خضراء على رءوس البعض الآخر أو تظللها .

ويحجب بعض التماثيل كلها أو أجزاء منها عن ناظري الأشجارُ المشذبة المتناثرة هنا وهنا ؛ والطيور تحلق وتغرد ، وتهبط وتصمد ، والزوار يغدون ويروحون منهم المفكر واللاهي ، والمستشفي والساعي ، ومنهم الطفل ومنهم الكهل .

كلها مناظر وأوضاع تستدعي الانتباه واليقظة ، ولكن يخرجني من هذا كله صوت ذلك الناقوس البعيد ، فأنظر إلى السماء فاذا بها السماء بزرقتها وسحبها وطيورها ، وأنظر إلى الأرض ، فاذا بها الأرض بترابها وأحجارها ، ومائها ودوابها وأشجارها .

وأنظر إلى ما حولي ، فاذا بي أرى المجلس الصامت بين الطبيعة الصامتة ، والكل وراء أمر غامض .

ترى ما هو ؟!

وأنظر أخيرا إلى ساعتي ، فاذا بها الواحدة ، ووقت الغداء في الفندق قد حان ، فأنصرف مسرعة الى الحياة العملية التي لا نصيب منها الا كسرة بها نقتات ، وخرقة بها نحتمي .

أما التفكير ، وأما الفلسفة ، وأما التصور — فلغير هذا العالم .

زينب الحكيم

جورجياس او البيان

لافلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ١٦ —

« تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجل محاوراته وأكملها وأجدرها جيماً بان تكون « إنجيلا » للفلسفة ! »

« رينوفييه »

«إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائما وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »

٢ — جورجياس : السفسطائي : « ج »

٣ — شيريفين : صديق سقراط : « سه »

٤ — بولس : تلميذ جورجياس : « ب »

٥ — كاليكليس : الأثيني : « ك »[(١)]

ط — (رداً على بولس الذي سلم بقول سقراط) ولنأخذ الآن الحالة المضادة ، ولنفرض أنه يجب أن ننزل شراً بأحد من الناس عدواً كان أم غير عدو ، وإنما على شريطة ألا نكون قد أصبنا منه بسوء — إذ يجب أن نحذر من ذلك تماماً — فاذا كان إذاً

(١) انتصر « سقراط » كما مر بنا على « جورجياس » ، ثم انتصر من بعده على تلميذه « بولس » عند ماقرر في العدد الماضي وجوب التقدم للعقاب وقبول أحكامه بارتياح لأنه الوسيلة المجدية في « تحرير النفس » وتخليصها من أردأ الشرور وأقبحها وأعني به «الظلم» . وسنرى اليوم « كاليكليس » الأثيني يدخل في المناقشة بكل نشاطه وحماسه ليسند جانب « جورجياس » المتداعي ، وليشد أزر « بولس » المهزوم ، كما سنرى المناقشة تدور حول « حق الأقوى » في الطبيعة وما يتصل به من الحرب والاستعمار . ولعل القارىء الكريم يذكر أن فلسفة « نيتشه » قد دارت حول ذلك الموضوع بالذات ، بل لعله يرى أن « نيتشه » لا يكاد يخرج في العصر الحديث عن أقوال « كاليكليس » مخلوق أفلاطون العجيب ، ومن هنا سيكون إعجابنا عظيما عند ما نرى «سقراط» يمزق تلك الأقوال بيراعته الفائقة «المعرب»

غيرنا هو الذى أصيب منه ، فيجب أن نبذل كل الجهود الممكنة من أعمال وأقوال حتى لا يعاقب ولا يمثل أمام القاضى ، وإذا هو قُدّم إلى المحكمة فيجب أن يمد السبيل لفراره وعدم عقابه ، بحيث لو كان قد سرق كمية كبيرة من الذهب فانه لا يعيدها إلى صاحبها بل يبقيها وينفقها على نفسه وأتباعه بطريقة ظالمة جاحدة ، وبحيث لو كان قد استحق الموت بجرائمه فانه ينجو منه ، بل إذا أمكن ألا يموت أبداً وأن يخلد برداءته وشره ، أو إذا أمكن على الأقل أن يعيش إلى أطول حد مستطاع بحالته تلك — فليكن له ذلك ... !

تلك يا بولوس هى الغايات التى يلوح لى أن البيان يستطيع أن يخدمها[1] لأنى لا أراه يقدم فائدة كبيرة لذلك الذى لا يستطيع أبداً أن يرتكب ظلامة ما ، إذا صح أن يقدم له أية فائدة ! وقد رأينا فى مناقشتنا السابقة أنه (أى البيان) لا يصلح لشىء[2]

ك — أخبرنى يا شيريفين ! أترى سقراط جاداً فيما يقول أم هو يهذر[3] ؟

ش — يلوح لى يا كاليكليس أنه جاد كل الجد ، ولكن ليس أفضل من أن توجه إليه سؤالك

ك — وأنا أرغب فى ذلك كل الرغبة وحق الآلهة ! أخبرنى يا سقراط : أيجب أن نعتقد أنك كنت جاداً طوال هذه اللحظة أم كنت تهذر ؟ ذلك أنه إذا كان كلامك مقصوداً ، وإذا كان قولك حقا ، فان حياتنا الاجتماعية لا شك معكوسة ، وإنا لنفعل — فيما يلوح — نقيض ما يجب أن يفعل !

ط — إذا لم يكن الناس يا كاليكليس خاضعين لأهواء واحدة وكان لهؤلاء اتجاه ولأولئك اتجاه آخر ، بل وكان لكل منا هواه الخاص الذى لا يتصل بأهواء الغير ، فانه لا يكون سهلاً ولا ميسوراً أن نجعل الغير يدرك ويفهم ما نشعر به ، وإذا كنت أقول ذلك فانما أقوله لأنى قد لاحظت أننا الآن — أنت وأنا — فى نفس الحالة ، فنحن الاثنين عاشقان لموضوعين اثنين ، أنا « لألسبياد بن كليناياس » والفلسفة ؛ وأنت « لديموس » الأثينى « ولديموس بن فيريلامب[1] » ، ولذلك أتخيل دائماً أنه بالرغم من فصاحتك الخاصة ، فان كل مايقوله موضوع غرامك وهواك وأى نحو يرى به الاشياء ، لن يجد منك القدرة على مناقضته ! بل إنك سوف تترك نفسك كالريشة فى مهب أفكاره ، بحيث لو قد بسطتَ فى الجمعية العمومية فكرة ما ، وقام « ديموس » الأثينى يعارضها ، فانك ستتركه يفعل ما يشاء ، وستعدل من لهجتك تبعاً لأهوائه ؛ كما أنك قمين بأن تفعل مثل ذلك إزاء هذا الفتى الجميل ابن « فيريلامب » ! ذلك لأنك يا كاليكليس فى حالة لا تسمح لك بمعارضة رغبات وأقوال محور عشقك وهواك[2] ، بحيث إذا دُهِشَ بعضهم وبُهت فى كل مرة تتكلم فيها ، وسابر أقوالك فوجدها سخيفة مملة فانك ستستطيع أن تجيبه — إذا أردت أن تقول الحق — بأنه إذا لم يمنع أحد « غرامك » من أن يتكلم كما يتكلم ، فانك لن تستطيع أن تمنع نفسك من أن تقول ما تقول ! فقل لنفسك إذاً إنها يجب أن تنتظر نفس الاجابة من ناحيتى . ولا تعجب من الأقوال التى سأقولها ، ولكن أرغم — (إذا استطعت[3]) —موضوع حبى — (وهو الفلسفة)— على أن يكفّ عن قول ما يقول ! إنه هو فى الحقيقة يا صديقى العزيز الذى يقول من غير توقف ماتسمعنى أردده فى هذه اللحظة ، وإنه لأقل تغيراً بكثير من موضوعات غرامى الأخرى ؛ لأن « ابن كليناياس » يتكلم أحياناً بطريقة أخرى ، بينما لا تتخذ الفلسفة دائماً إلا قولاً واحداً ؛ إنها هى التى نطقت بالأقوال التى أدهشتك ، والتى ساعدت بنفسك فى مناقشتها ؛ وأكرر أنها بالتالى هى التى عليك أن تناقضها ، فبرهن إذاً على أن ارتكاب الظلم والعيش بعد ارتكابه دون عقاب ليس بأفدح الشرور ؛ وإلا فاذا تركت ذلك القول دون أن تنقضه ، فانى أقسم لك « بالكلب » إله المصريين يا « كاليكليس » أنك لا تتفق مع نفسك ، وأنك تعيش معها فى اضطراب دائم ؛ وأنا أفضل من ناحيتى يا صديقى الحاذق أن تكون لى ربابة غير متوافقة الأوتار وكلها نشوز ، أو أن أكون رئيساً لفرقة مغنين مضطربة

(١) أليس ذلك ما يحدث أحيانا فى المحاكم حيث يسخر بعض المحامين بيانهم فى تبرئة « الظالم » على حساب المظلوم ؟ سنرى سقراط ينزه « البيان » فيما بعد ويسمو به عن الانحطاط إلى ذلك التسخير ، بل ويقصره على خدمة العدالة وحدها وإذاعتها بين الناس

(٢) حسبما استطاع سقراط أن يخرج من أقوال الدعى « جورجياس »

(٣) وهنا مبدأ دخول « كاليكليس » الأثينى فى المحاورة بكل نشاطه بعد هزيمة « بولوس » « المعرب »

(١) تلاحظ هنا براعة سقراط فى دخوله على خصمه الجديد فنرجو القارئ متابعة هذه البراعة بصبر حتى مبدأ المناقشة الجدية فى الموضوع لأنها عذبة للغاية « المعرب »

(٢) هكذا يقرر علم النفس الحديث . ويلاحظ أن الترجمتين اللتين تحت يدنا تختلفان هنا لفظاً ومعنى فآثرنا الاعتماد على ترجمة الأستاذ « شامفرى » لأنها أقرب للمعقول « المعرب »

(٣) زائدة للانسجام « المعرب »

الأصوات ، أو أن أجد نفسى معارضاً ومناقضاً لأغلب الناس ، على أن أكون مختلفاً فقط مع نفسى ومناقضاً لها[1]

ك — [2] يبدو لى يا سقراط أنك تبدع فى كلامك كما يبدع الخطيب الشعبى ؛ وإنك لتخطب هكذا لأن بولوس قد أصيب بنفس النقيصة التى قد اتهم جورجياس بإصابته بها حيال أقوالك. والحق أن بولوس كان محقاً فى قوله إن اعتراف جورجياس — عند ما سألته أنت هل سيعلم « العدالة » لذلك الذى سيقصد إلى مدرسته راغباً فى تعلم البيان دون أن يعرف شيئاً عنها، وأجابك هو بأنه سيعلمه إياها جرياً وراء خجله الكاذب ، وخوفاً من أن يصدم آراء أتباعه السابقة الذين كانت ستغضبهم أية إجابة غير هذه — أقول الحق إن بولوس كان محقاً فى قوله . إن هذا الاعتراف جعل الرجل يتناقض مع نفسه ويحقق ما كنت تبغيه منه تماماً ؛ ولكن ها هو ذا بولوس قد أصبح بحق « أيضاً » [3] موضع سخريتك فيما يلوح لي ، وذلك هو السبب الذى جعله يضع نفسه موضع جورجياس : فانى لم أرض من ناحيتى عن موافقته لك على أن « الأقبح » هو ارتكاب الظلم لا احتماله : لأنك استطعت بعد ذلك التنازل منه عن رأيه أن تعرقل مناقشته بتدليلك ، وأن تقفل فمه فلم يجرؤ على الكلام متابعاً رأيه ، والواقع أنك فى الوقت الذى تزعم فيه وتؤكد أنك تبحث عن الحقيقة وحدها نراك تسلك مسلك الخطيب الشعبي المهرج وتوجه الكلام نحو « الجميل » لا تبعاً لأحكام الطبيعة ، بل تبعاً لأحكام القانون ، ولكن الحق أن الطبيعة والقانون يتناقضان في أغلب الأحيان ، فاذا حدث وغلب الحياء على المتكلم فمنعه من التصريح بما يراه فانه يضطره إلى مناقضة نفسه ؟ وذلك هو السر الذى اكتشفته يا سقراط لتستعمله في نصب أشراكك وفخاخك فى المحاورة ، حتى إذا تكلم أحدنا مشيراً إلى القانون ، سألته أنت بالاشارة إلى الطبيعة ، وإذا تحدث عما هو كائن فى نظام الطبيعة سألته مشيراً إلى القانون ، وهكذا فعلت مثلا فى الظلم المرتكب والمتحمل ، إذ بينما كان بولوس يتكلم عن الأقبح تبعاً للقانون ، كنت أنت تتابع المناقشة مشيراً إلى الطبيعة ، لأن كل ما هو « أردأ » فى نظرها هو أيضاً « الأقبح » مثل احتمال الظلم ، بينما « الأقبح » تبعاً للقانون هو « الارتكاب » لا الاحتمال ، والواقع أنه ليس من طبيعة الانسان الحر أن يحتمل الظلم ، وإنما ذلك من طبع العبد الذى يرى أن الموت أفضل من الحياة ، والذى يؤثر ألا يدافع عن نفسه وهو محتقر مكلوم ، وألا يدافع أيضاً عمن يهمه أمرهم ؛ ولكنى أرى أن الضعفاء والسواد الأعظم هم الذين سنوا القوانين ! وهم لذلك قد جعلوها لأنفسهم ولصالحهم ! لهذا تراهم لا يوزعون ثناءهم ومديحهم ، أو لومهم وعتابهم ، إلا من أجل ذلك الصالح الخاص ولكيما يخيفوا الأقوياء — وهم أولئك الذين يستطيعون أن يعلوا عليهم — ولكيما يحولوا بينهم وبين ذلك العلو ، تراهم يقولون إن الظلم والعار فى الطمع فيما هو أكثر من نصيبك ، وأن الظلم إنما يقوم في الرغبة فى امتلاك شىء أكثر مما يمتلك الآخرون؛ وإنى لأتخيلهم يرضون ويقنعون بأن يكونوا على قدم المساواة مع من هم أفضل منهم ! وذلك هو السبب فى أنهم يقررون فى عالم القانون أن الطمع فى إحراز ما هو أكثر من النصيب العام للأفراد ظلم وقبح ! بل ذلك هو ما يسمونه « بالظلم » ! ولكنى أرى أن الطبيعة نفسها تعلن أن العدل إنما يقوم فى أن ينال الأحسن أكثر من الأسوأ ، والقوى أكثر من الضعيف[1] ، وإنها لتقدم لنا ألف مثال لتثبت أن الأمر كذلك ، لا فى عالم الحيوان فحسب ، بل فى النوع الانسانى أيضاً بين المدن والأجناس جميعاً ، حيث نستطيع أن نتبين أن العدالة تبغى أن يسود « الأقوى » على « الأقل قوة » وأن ينال نصيباً أوفر من نصيبه. فمثلا بأى حق فى الواقع قام « Xerxès » بالحرب فى بلاد الاغريق؟ وبأى حق قام بها أبوه فى Scythie ؟ هذا إذا تركنا الأمثلة اللانهائية التى نستطيع أن نذكرها من ذلك النوع . إنهم يعملون فيما أرى تبعاً لطبيعة « الحق » ! وقسماً بزيوس ، تبعاً « لقانون الطبيعة » الذى ربما خالف قانون الناس ! [2]

(يتبع) محمد حسن ظاظا

(١) عظمة هذا الكلام فى غير حاجة إلى بيان

(٢) يبدأ كاليكليس هنا يبسط أقواله الطويلة فى أن « الحق للأقوى » كما هو الحال فى نظر الطبيعة وفى حياة الحيوان وفي نضال الأمم بعضها بعضاً. ونرجو أن تتم هذه الأقوال في العدد القادم

(٣) زائدة للانسجام (المعرب)

(١) تلك هى النظرة التى خرجوا بها من نظرية التطور بما فيها من قوانين تنازع البقاء وبقاء الأصلح ، والتى حاول أن يتخذ منها « نيتشه » فلسفة التوسع والاستعمار ، وألمانيا فوق الجميع ؟ بل تلك هى النظرة التى طبقتها « السياسة » منذ فجر الانسانية حتى اليوم ، والتى يسرنى ويسر القراء جميعا أن نستمع إلى رد سقراط عليها فى الأعداد القادمة « المعرب »

(٢) لحديث كاليكليس بقية طويلة طريفة « المعرب »

التعليم والمتعطلون في مصر

عيوب التعليم الحاضر وطرق إصلاحها

للأستاذ عبد الحميد فهمي مطر

العيوب العامة

وجهنا عنايتنا في الماضي إلى نشر التعليم فقط بدليل البيان البليغ الذي نشره معالي هيكل باشا وزير المعارف الحالي في أول عهده بهذه الوزارة في مايو سنة ١٩٣٨. ولقد قمنا بما قمنا به من نشر على أساس النظم القديمة من غير أن نعمل عملا جدياً في سبيل إقامة التعليم على أساس جديد وطيد سداه المبادئ التعليمية الحديثة ولحمته القومية المصرية والطابع القومي، فالرجل المتخرج في إحدى المدارس القائمة منذ نصف قرن من الزمان إذا دخلها اليوم يرى الطابع القديم بارزاً بها، والروح القديمة متأصلة فيها، والنظام القديم قائماً بين جدرانها؛ ولا يرى التغيير إلا في إحلال مدرسين وتلاميذ حديثين بدلا من غيرهم من القدامى. وليس معنى ذلك الثبات على تقاليد قديمة مألوفة، ولكن معناه مع الأسف الجمود على نظم بالية معروفة؛ ومعناه كذلك أن كل مدرسة مصرية سواء أكانت في قنا أو الاسكندرية تسير على وتيرة أختها في كل شيء بدون تبديل ولا تحوير مهما بعدت الشقة بينهما ومهما اختلفت ظروفهما ومهما تفاوتت بيئتهما، مما دعا المستر مان إلى القول في تقريره: «قد سبق توجيه النظر في الفصل الثاني المختص بإدارة التعليم العامة في مصر إلى خلو نظام التعليم العام من المرونة والتنوع. رأينا بعض ما ينجم من هذا الجمود من النتائج السيئة الأثر في التربية القومية، بيد أنه يستحسن أن نعيد القول هنا بأن كل مدرسة مصرية تماثل في الوقت الحاضر كل مدرسة أخرى من درجتها كل المماثلة التي يستطاع إيجادها بواسطة اللوائح والقوانين، وبأن نظار المدارس ومدرسيها يكادون يعدون بمثابة آلات لانفاذ ما تفرضه الادارة الرئيسية من خطط دراسية لم يشتركوا في وضعها، ولم يؤخذ رأيهم فيها إلا في حالات لا نكاد نذكر، وهذه الخطط تطبق تطبيقاً عاماً من الشلال إلى الاسكندرية على نمط واحد بدون أية مراعاة لمصالح التلاميذ وحاجاتهم المتنوعة وبغض النظر بتاتاً عما إذا كانوا من سكان الريف أو المدن وعما إذا كانوا سيحترفون في المستقبل الزراعة أو سيزاولون التجارة أو الصناعة في المدن. ويجب أن نؤكد مرة أخرى أن مثل هذا النظام لا يحول فقط دون الانتفاع بخبرة النظار والمدرسين الفنية ومعرفتهم للشئون المحلية في أغراض التعليم العامة، بل يمنعهم فعلا من استخدام مواهبهم وكفايتهم استخداماً تاماً في إدارة مدارسهم بحسب ما تقتضيه أحوال البيئة ومرامي التعليم، لأنهم مهما رأوا في المنهج العام وخطة الدراسة وعدم الملاءمة لحاجات تلاميذهم الخاصة فان واجبهم يحتم عليهم أن يتبعوها اتباعاً دقيقاً. أعود فأذكر أن ليس معنى ذلك الثبات على تقاليد معينة، إذ ليس لاحدى مدارسنا القديمة تقليد معين كتلك التقاليد المرعية التي يعرفها خريجو المدارس في انجلترا مثلا، ويفخرون بها، ويحافظون عليها.

هذا والمعلم القديم الذي باشر العمل في المدارس المصرية منذ عشرين سنة ولا يزال يباشره إلى اليوم يشعر بالأسف العميق يملأ جوانح قلبه مما يراه اليوم من الانحطاط العام الذي أصاب حالة التعليم فيها ومن روح التواكل والتكاسل التي عمت أرجاءها؛ وهو لا شك يشعر بالأسف العميق أيضاً إذ يحس أن روح الجد والعمل من ناحية التلاميذ قد انقلبت إلى روح استهتار وقلة اكتراث وكسل يصحبها ميل شديد إلى الأخذ بأكبر نصيب من المتعة واللذة وحياة الطراوة والهزل حتى حار فيهم المربون وضاقوا بهم ذرعاً، واستولى اليأس من إصلاحهم على قلوب الكثيرين؛ وأصبحت الحالة لا تطاق بين جدران المدارس بسبب ما يوجد من الاستهتار والرعونة والخروج على المبادئ الأساسية المرعية بين التلميذ ومعلمه. وإن الفوضى التي تنتاب المدارس أحياناً وبخاصة في الأسبوع الأخير من العام الدراسي من خروج على النظام والآداب وإتلاف لبعض أثاث المدرسة مما يتناول كرامتها وكرامة أساتذتها، لما تحزن له النفس ويهلع له القلب.

وهذه حال ستؤدي حتماً إلى تدهور خلقي أشنع مما تقاسيه البلاد الآن إذا لم تجد اليد القوية الحازمة الرادعة التي تضع الأمور في نصابها فتعيد إلى المدرسة كرامتها، وتجعل أساس المعاملة بين

التلميذ وأستاذه ومدرسته الاحترام الحقيقي المشوب بالعطف الأبوي يقابله في الوقت نفسه حب بنوي . وفي هذا يقول سعادة حافظ عفيفي باشا في كتابه على هامش السياسة « أما أسباب هذه الفوضى فهي ترجع إلى عدم تنفيذ القوانين المتعلقة بنظام المدارس تنفيذاً لا استثناء فيه . وإلى تركيز كل السلطة في وزير المعارف نفسه وإلى أخذ التلاميذ بسياسة مضطربة ، فهي الشدة المتناهية أحياناً واللين المتناهي أحياناً أخرى والذبذبة بين الشدة واللين في أكثر الأحيان . الخ » وبعد كلام طويل عن تعديل القوانين بما يضمن للطالب الحرية في حدودها المعقولة ، وللناظر والمعلم التمتع بالاحترام الواجب قال « . . . أما أن يشير ناظر المدرسة على وزارة المعارف بأن تتخذ نحو تلميذ بالذات قراراً معيناً فترفضه الوزارة أو تعدله فهذا هو الوسيلة لاضاعة نفوذ ناظر المدرسة . وبالتالي هو السبب لافساد النظام نهائياً فيها ... »

فاذا كانت المدرسة قد جدت في نظامها فان التلميذ قد اندفع في حريته إلى الفوضى التي لا يقرها عدل ولا نظام . وخير علاج للحالة الأخيرة هو طريق الاقناع الفردي الودي المشوب بالعطف؛ فاذا لم يجد ذلك كانت الشدة واجبة كل الوجوب . ولا بأس من استعمال العصى أحياناً بيد عاقلة حازمة كما يجري في كلية فكتوريا وفي المدارس الانجليزية البحتة وقت اللزوم اتقاء للخروج على الآداب ودرءاً للخطر في المستقبل، متمثلين بقول الشاعر :

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً فليقس أحياناً على من يرحم

أما العيوب الفنية العامة الأخرى بالمدارس المصرية فتتلخص فيما يأتي :

أولا : خلق الطبقات

الطفل المصري الراغب في التعليم الآن يجد أمامه من المدارس المختلفة المراتب والأوضاع والمزايا روضة الأطفال ، والمدرسة الالزامية ، والمدرسة الأولية ، وفرقة تحفيظ القرآن الكريم ، والمدرسة الابتدائية ، والمعهد الديني ، والملجأ ، والمدرسة الأجنبية ، والشارع وهو أهمها الآن ، إذ تجد به من الأطفال حوالى مليون ونصف مليون ، بينما جميع المدارس السابقة الذكر لا يبلغ عدد من يؤمها اليوم المليون عدا . فهذه المدارس الشعبية الأولى المتعددة تخلق أول تصدع في بناء الأمة الواحدة لأنها تخلق نظام الطبقات المختلفة في جسم هذه الأمة ذات الدين الواحد والعادات المتحدة ، واللغة الواحدة . وخلق الطبقات بين أمة هذا حالها لا يقره دين ولا نظام ، فالديمقراطية تنفر منه كل النفور لأنه لا يمكن أن يؤدي إلى الاشتراك في الميول والرغبات، ولا يمكن أن يؤدي إلى الاتحاد في الفهم العام ، وهو أساس التفاهم بين الأفراد ، فهو إذن ينزع إلى التفرقة الشاملة بين أفراد الأمة الواحدة ، ولعل قيامه بهذا الشكل السر الأول في هذه الفرقة التي نحسها في ديارنا في كل شئ ، وما دام قائماً في هذه المدارس المتباينة التي نرى في كل منها اختلافا في الطرائق والأساليب والمذاهب وطرق التفكير فلن تكون لنا وحدة متماسكة ولن نستطيع أن نخلق من أبناء النيل أمة متحدة في الفهم والقصد ترمى إلى غرض واحد وتتعاون في طريق واحد ! فالى متى يا ترى يستمر تعليمنا عاملا جوهرياً من عوامل التفرقة ، وخلق الطبقات المختلفة المتباعدة في الفهم، المتنافرة في التفكير، مما يؤدي إلى النزاع الدائم المستمر الذي ينهى الله عنه بقوله « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » ولقد كانت هذه النقطة هي الأولى التي لفت إليها نظر معالي وزير المعارف في تقريري الذي رفعته إليه من مدرسة الفيوم الابتدائية في ١٦ مارس سنة ١٩٣٦ لأنها من الأهمية بحيث تحتل المكان الأول من الاصلاح المطلوب ، فلا سبيل إلى محو تلك الفروق والتقليل من تلك النزعات المختلفة بين أفراد الشعب الواحد والتقريب بين أفهامهم إلا بجعل أساس التعليم واحداً ، ألا ترى كيف تعمل الدول المختلفة على نشر ثقافتها بين الشرقيين ، وكيف تجهد نفسها ، وتنفق الطائل من أموالها في سبيل جعل لغتها وطرق تعليمها هي السائدة حتى تتمكن من التفاهم مع تلك الشعوب . وتفوز بكسب عطفها وتقديرها

فالتعليم هو الطريق الفعال المؤدي إلى التفاهم والتعاون، لذلك أرى أن أساس الاصلاح هو في التوحيد بحيث لا يوجد بيننا غير نوع واحد من المدارس يبنى على أساس واحد يسمى بالمدارس الشعبية ، تندمج في تكوينه كل أنواع المدارس السالفة الذكر ، ويتعلم فيها أبناء النيل على السواء لا فرق في ذلك بين غني وفقير أو عظيم وحقير ، تتلوه بعد ذلك مراحل التعليم الأخرى المختلفة فيشعر أطفالنا في تلك المدارس الشعبية العامة بأنهم جميعاً أبناء

شعب واحد تسرى عليهم حالة واحدة كما هو الحال فى سائر البلاد الأخرى ، ولا تفضيل لأحدهم على الآخر إلا بالجد والعمل والأخلاق الكريمة الفاضلة ، كما نشعر جميعاً ونحن فى المساجد متراصين متوجهين إلى الله أن لا فرق بين صعلوك وأمير . وكبير ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الناس سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » . هذه الوحدة الشاملة والألفة العامة ، هى التى يجب أن تكون الغرض الأساسى من التعليم ، والتى يجب أن تكون المدرسة أول عامل على خلقهـا . قال ديوى : « ومن مفسدات الديمقراطية أن يسمح بإنشاء طبقات مستقلة فى الأمة ، فان التباين فى الثروة، ووجود عدد وافر من جهلة أرباب الصناعة، واحتقار العمل اليدوى والعجز عن إدارة التربية التى تمكن من التقدم فى سبيل الحياة ، كل ذلك يتضافر على إحداث طبقات مستقلة متفرقة وتوسيع شقة الخلاف والتفريق . على أن فى إمكان أرباب السياسة والتشريع أن يدفعوا شيئاً من هذه النوائل ، كما أن على أهل المساعى الخيرية القيام بشىء من هذا الغرض النبيل . إلا أن العامل الأكبر الأصيل فى هذا السبيل هو النظام المدرسى الشامل للأمة جماء » ثم يقول: «لا يجوز أن تكون تفرقة بين أنظمة المدارس، فلا ينبغى وجود نظام لأبناء الموسرين ، وآخر لأولاد العاملين بالأجور، فان الفصل الذى بين الفريقين بسبب هذا التنظيم لا يتفق مع ترقية روح الإخاء المتبادل »

ثانياً — عزلة المدرسة

الدرسة المصرية معزولة عن بيئتها عزلا تاما ، فترى التلاميذ يدخلونها فينقطعون عن كل ما يحيط بهم من الأعمال ، كما ترى المدرس أو ناظر المدرسة خصوصا فى الأقاليم يترفع عن الشعب الذى يزود المدرسة بأبنائه ، ويحاول الابتعاد عن أولئك الفلاحين كأنهم من طينة أخرى غير طينته ، لأنه يعتبر نفسه موظف حكومة كمأمور المركز، عليه أن يحتفظ بينهم بمكانته وعلو مركزه كما يتوهم ، وبذلك لا يختلط بهم ، ولا يمكنه أن يعرف الأحوال الحقيقية لأبنائهم الذين بالمدرسة ، ولا يستطيع أن يتعاون معهم التعاون الفعال على إصلاحهم بمعرفة نقط الضعف المختلفة فى تكوينهم . ثم إن التلميـذ يرسخ فى ذهنه الاعتقاد بأن المدرسة لا صلة لها بالحياة وما يجري فيها من زراعة أو صناعة أو تجارة أو أعمال، وبأنه إنما يجىء إليها ليقضى جزءاً من وقته فيها لغير غرض واضح فى ذهنه ، اللهم إلا إعداده لأن يكون موظفا حكوميا، ولذلك يندفع فى الابتعاد عن كل ما يمت إلى الحياة العملية بسبب، حتى إن بعض التلاميذ يتعجب عند ما يعلم أن المياه التى يشربها والتى تصل إلى منزله عن طريق الأنابيب أو عن طريق الترع والقنوات ، ما هى إلا من مياه نهر النيل الذى يرسمه فى علم الجغرافيا ، فما بالك بعد هذا إذا خرج يسعى إلى الكسب فى الحياة العامة ؟ إنه لا شك يكون كالأعمى أو كالذى يذهب إلى ديار مجهولة لا يعلم عن أهلها وعن أعمالهم شيئا ، فيحار فى أمره ويرتبك فى حياته ولا يدرى ما يعمل ليكسب قوته . وهـذا فى الحقيقة هو السبب الأساسى فى خلق المتعطلين وقعودهم عن العمل لجهلهم بأحوال بيئتهم وما يحيط بهم من ظروف وأعمال . ولو أن المدرسة لم تفصلهم انفصالا تاماً عن المزارع والمتاجر والمصانع المحيطة بهم وجعلت بينهم وبينها صلة قوية وجعلت من نفسها وحدة تشابه بيئتها لما كان ذلك العجز عن مواجهة الحياة . فهى إذن بعزلتها هذه تقصر فى تربية التلميذ وتكوينه من الوجهتين الفعالتين القويتين : وجهة الاتصال المباشر بالمنزل، إذ الواجب يقضى بتعاونهما تعاوناً عملياً على النهوض بالتلميذ وتحسين حاله الصحى والثقافى والخلقى ، ووجهة فصل التلميذ عن بيئته ، وما يجرى فيها من أعمال يحتاج إلى مزاولتها وممارستها فى مستقبل حياته . ولقد أصبح لزاماً على المدرسة المصرية كغيرها من سائر المدارس أن توجه أكبر عنايتها إلى ذلك .

عبد الحميد فهمى مطر

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ — ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ٤٥ —

ليس الغرور ليت بمتاع ؛ وما يجدي شيئاً على الرافعي أن يكون كل وفاء العربية له أن نقول : كان وكان رحمه الله !

لقد كان الرافعي صاحبَ دعوة في العربية وفي الاسلام يدعو إليها ؛ لحقُّه على العربية ، وحقُّ العربية على أدبائها ، وحق الاسلام على أهله ، أن نجدّد دعوته ، وأن نبقي ذكره ، وأن ننشر رسالته ، وأن نُعنى بآثاره ؛ فإذا نحن قد وُفّقنا إلى كل أولئك فقد وَفينا له بعض الوفاء !

والآن فلننظر لنرى مقدار ما يمكن أن تصل إليه هذه الدعوة من النجاح ؛ وأمامنا إلى ذلك وسيلتان :

أولاهما أن نعرف مدى تأثير الناشئة من المتأدبين اليوم بأدب الرافعي ومذهبه ؛ والثانية هي البحث عن آثار الرافعي ومنشآته الأدبية وتراثه الفكري لنحرص عليه من الضياع

فأما الأولى فان بين الرافعي والأكثرين من ناشئة المتأدبين في هذا الجيل حجاباً كثيفاً يمنعهم أن ينفذوا إليه أو يتأثروا به لعوامل عدة :

فالرافعي أديب الخاصة ، كان ينشئُ إنشاءه في أي فروع الأدب ليضيف ثروة جديدة إلى اللغة تعلو بها وتَميزُ مكاناً بين اللغات ؛ ثم ليبدع أدباً يسمو بضمير الأمة ويشرع لها طريقاً تسير فيه إلى عظمة الخلد ومجد التاريخ

وشبابنا أصلحهم الله لا يعرفون الأدب إلا ملهاةً وتسلية ، لا ينشدونه للذة العقلية وسموّ النفس ولكن ينشدونه لمقاومة المَلَل وإزجاء الفراغ

فهذا سبب

والثاني أن الرافعي — رحمه الله — لم يكن يكتب الكتابة الصحافية التي ينشئها أكثر كتابنا ليتملقوا غرائز القراء بالعبارة المتهافتة والقول المكشوف . وعند المتأدبين من ناشئة اليوم أن قيمة الأدب هي بمقدار انطباقه على أهواء النفس وارتياحها إليه وقدرتها على أن تسيغه بلا تكلف ولا عناء

وثمة سبب آخر ، هو طغيان السياسة على الأدب في هذا الجيل طغياناً أقحم على الأدب ما ليس فيه وعلى الأدباء من ليس منهم ؛ بحيث يتحرج أكثر الأدباء أن يقولوا قالة أو رأياً أديباً في أديب أو شاعر إلا متأثرين بما كان له من مذهب سياسي أو رأي في السياسة المصرية .

والرافعي رجل — كان — لا يعرف السياسة ولا يخضع لمؤثراتها، ولم يكن يعتبر له مذهباً في النقد إلا المذهب الأدبي الذي لزمه منذ نشأ في الأدب ؛ فمن ذلك كانت خصوماته الأدبية تنتهي نهايتها إلى اتهامه في وطنيته وفي مذهبه السياسي ؛ ورآها أكثر خصومه من كتاب الشعب فرصة سانحة لينالوا منه عند القراء ، فانتهزوها ، وبالغوا في اتهامه ، وأغرقوا في الطعن على وطنيته وتأولوا مذهبه ، حتى عاد عند أكثر القراء رجلا لا وطنية له ولا إنسانية فيه ولا إخلاص في عقيدته . وما تزال السياسة عند أكثر شباننا ذات سلطان ، وما زال الأدب يجري في غبار السياسة وهو أعلى مكاناً وأرفع منزلة ...

ولقد يضاف إلى كل أولئك سبب أخير ، هو أن أكثر ما كان يتناوله الرافعي من شئون الأدب هو مايتصل بحقيقة الاسلام أو معنى من معانيه . على أن الكثرة من ناشئة المتأدبين يريدون أن يفرقوا بين الأدب والدين ، فلا يرون ما ينشأ في هذا الغرض لوناً من ألوان الأدب أو مذهباً من مذاهبه .

تلك جملة الأسباب ، أو مجمل الأسباب ، التي باعدت بين أدب الرافعي وبين الجمهور من ناشئة المتأدبين ، ما بد من النظر فيها والبحث عن علاجها حين نهم بأن نجدد دعوة الرافعي وننشر رسالته ، إن كان ثمة يقين بأن أدب الرافعي حقيق بالخلود ؛ وإن اليقين به ليعمر قلب كل أديب يؤمن بأن الدين واللغة هما أول المقومات لقوميتنا العربية المسلمة .

ذلك شيء .

أما آثار الرافعي فلها حديث طويل

هذه دكاكين الوراقين ليس فيها كتاب من كتب الرافعي ،

وهذا مكتب الفقيد عليه كتب من كتبه لم تطبع ولا يعرفها أحد من الأدباء

كل ما فى يد العربية من منشآت الرافعى هو صدى كلمات وعنوانات كتب ، أما حقيقتها ومعناها فقد انفرط الجيل الذى درسها أو كاد فلم يبق للجيل الناشئ منها غير عنوان :

ديوان الرافعى ، ديوان النظرات ، تاريخ آداب العرب ، إعجاز القرآن ، حديث القمر ، المساكين ، رسائل الأحزان ، السحاب الأحمر ، أوراق الورد ، تحت راية القرآن ، على السفود ، وحى القلم

هذا كل ما طبع من مؤلفات الرافعى ؛ فليسأل كل أديب نفسه : ماذا قرأ من هذه الكتب وماذا حصّل وماذا أفاد ؟

إنها لمكتبة حافلة جديرة بأن تنشئ مدرسة جامعة لمن يريد أن يتزود من العربية أمرأ زاد وأشهى غذاء ، ليكون أديبا له لسان وله بيان وله منزلته الأدبية فى غد

إنى لأكاد أوقن أن تسعين من كل مائة من القراء لا يعرفون من هذه الكتب إلا أسماءها ، وإن منهم لمن يتوهم أن من حقه أن يتحدث عن الأدب ويؤرخ لأدباء الجيل

وما عيب على من لم يقرأها أنه لم يقرأها ؛ ولكن العيب كل العيب علينا عامة نحن المشتغلين بالأدب أن يكون كل وفائنا لمن يموت من أدباء العربية أن نقول كان وكان ويرحمه الله ولا نعمل على تخليد أدبه بما ننشر من آثاره

لقد أدى الرجل واجبه ما استطاع وبقى علينا فرض واجب الوفاء

على أن ما سبق طبعه من كتب الرافعى هين خطبه ؛ فسيأتى جيل يكون أكثر تقديرا لأدب الرافعى من هذا الجيل وسيعيد سيرته وينشر أدبه

ولكن كتبا هناك ما تزال قصاصات من ورق على مكتب الفقيد تنتظر من يخرجها للناس قبل أن يسبق إليها العث والفيران

فهل فى أدبائنا وفي حكومتنا من العزم وحسن التقدير ما يحملهما على معرفة واجب العربية وواجب هذا الراحل ؟

كم نبكى وكم نعول على ما ضاع من تراثنا الأدبى وما فقدته المكتبة العربية من منتوج أدبائها الفحول فى عصر الجهل والانحطاط ، وهذا تراث بين أيدينا يوشك أن يتبدد ويذروه الهواء !

* * *

لقد أورثنى الرافعى بعض تبعاته ، وإنى لأحس بثقلها على عاتقى أكثر مما أحس بحاجتى إلى التحدث عن ماضيه

لقد عاش الرافعى حياته يجاهد لأمته ما لم يجاهده أديب فى العربية منذ قرون ، وقضى حياته باقى من العقوق ونكران الجيل ما لم يلق أديب فى العربية منذ كانت العربية ؛ ومات فما كان حظه منا فى أخراه أحسن منه فى دنياه . فهل لى أن أؤمل أن تتنبه الأمة والحكومة إلى ما ينبغى أن يكون ، وفاء لهذا الراحل الكريم ؟

ليس يكفى أن يكون كل وفائنا للرافعي ، حفلة لتأبينه وبضع كلمات فى الصحف لرثائه ، ولكن الوفاء حق الوفاء أن نعمل على تخليد ذكراه بتخليد أدبه ، وتجديد دعوته ، وإبقاء ذكره ، ونشر رسالته ، فليكن هذا الكتاب الذى أنشأته عن « حياة الرافعى » أولا له ما بعده ، لنفكر فى الوسائل النافعة التى تجدى على الأدب والعربية أكثر مما تجدى رسائل التأبين وكلمات الترحم والاسترجاع !

أما هو فقد انطوى تاريخه على هذه الأرض ، فلن يجدى عليه شيئاً ما نعمل وما نقول ؛ ولكن ما نفعله وما نفكر فيه إنما هو لخيرنا وجدواه علينا ، فلنفكر فى أنفسنا وفى ذواتنا وفيما يعود علينا وعلى العربية فى تجديد ذكر الرافعي ، إن كان يعز علينا أن نعمل أو أن نفكر إلا فيما تكون منفعته إلينا ولنا من ثمراته نصيب !

« شبرا » محمد سعيد العريان

في اللغة

المؤنث والمـــذكر
في اللغات السامية
للأستاذ عمر الدسوقي

(تتمـــة)

ذكرت في المقال السابق أن المؤنث ليست له علامة خاصة به من حيث كونه مؤنثاً باعتبار الجنس ، وأن بعض الجموع والمصادر والصفات الدالة على المبالغـة ، والأمور المعنوية ، تلحقها نفس العلامات التي تلحقه . وقلت إن الصلة بينها جميعاً هي الدلالة على القوة وبلوغ النهاية ؛ ووعدت أن أوضح سبب نظرة الساميين إلى هذه الأشياء نظرة الاكبار والتعظيم .

أتى على الانسان عصر كان يقدس فيه القوى الطبيعية ، المنتج منها والمدمر، يتملقها بالعبادة والقرابين استرضاء لها واتقاء لشرها

كان يقدس الريح ، لأنها إذا سخطت أتت صرصراً عاتية ، تعبث به وبكوخه ومتاعه ، وتزأر زئيراً يقشعر له بدنه، وترتجف منه أوصاله ؛ وإذا رضيت أتت رخاء لينة ، تخفف حدة القيظ ، وقر الشتاء .

كان يقدس الشمس ، لأنها تبعث في الحيوان والنبات الحياة والقوة ، وتجلب الضوء فتمكنه من السعي في مناكب الأرض والخروج للصيد ، وتجعل من رمال الصحراء [1] ناراً متقدة ، ومن حرم ضوءها ذوى وذبل .

وكان ينظر إلى السماء وما حوت نظرة تقديس وإجلال ، فيراها موطن الأجسام المتلألئة اللامعة ، تهديه في سراه ، وتمن عليه بالضوء ليلاً ونهاراً ، ويتطلع إليها كأنها مصـدر القوى المسيطرة على العالم . [2]

(١) اتفق العلماء على أن موطن الساميين الأصلي هو جزيرة العرب ، خرجوا منه على دفعات تختلف المـدة التي بينها طولا وقصراً ، وآخر هذه الموجات التي انفصلت عن الجزيرة العربية ، هي الموجة التي استولى فيها العرب على العالم القديم من بحر الظلمات غربا إلى الصين شرقاً في صدر الاسلام . أنظر تاريخ الموجات البشرية للأستاذ محب الدين الخطيب صاحب المطبعة السلفية ومكتبتها .

(٢) ولعل هذا هو السر في بقاء طوائف كبيرة من العرب تعبد الأجرام السماوية حتى مجيء الاسلام

وكان يري في الأرض أماً يسكن إليها إذا ربع ، ويعتمد عليها في طعامه ، وشرابه ، وحياته . درج عليها صغيراً ، وجاب نواحيها كبيراً . زرع فيها الحب فآتى أكله ، وغرس فيها الشجر فأثمر .

وكان يرى في السحب إله الرحمة، تنقع غلته من حياها، وتنمى زرعه من غيثها، وتدر الماء فتربو الأرض وتنتج من كل زوج بهيج

وكان يرى النار مصدراً للخير والشر ، تنضج له طعامه ، وتدفئ له كوخه ، وتلتهم كل ما يملك

اعتبر كل هذه القوى أشياء طبيعية ، خفية ، غامضة ، ذات قدرة سحرية ، قادرة على النفع والضر ، فأشار إليها بضمير خاص مميزاً لها عن بقية الأشياء التي تقع تحت سمعه وبصره ، ذلك الضمير الذي يشير به إلى الأنثى ، وكانت في نظره قوة منتجة ذات تأثير بين في حفظ النسل وإخراجه إلى الحياة وتمهده بالرضاعة والنمو، ولأنها لغز لم يستطع إدراكه، فهو لا يستطيع الحياة بدونها، ويجدها مصدر العطف والرحمة ، واللذة والألم ، والقسوة والصبر

وكان الآشوريون وهم أقدم الأمم السامية وأقربهم إلى الأمة الأصلية ، يعتقدون أن المرأة وحدها هي التي تستطيع أن تفهم السحر وتقوم بالأعمال السحرية ، وأنهـا تعرف أسرار الغيب ، والتكهن بالمستقبل [1]

وكان عند العرب من العرافات والكواهن في الجاهليـة عدد لا بأس به كطريفة الخير [2] ، وسلمى الهمدانية [3]

وكان العرب يسمون كثيراً من آلهتهم بأسماء الاناث ، ولا سيما أقدمها وأعظمها ، فكانت « مناة » أعظم أصنام الأوس والخزرج ، وكانوا يجلونها وتعتبر أقدم أصنامهم [4] . وكانت « اللات » أكبر أصنام ثقيف . وكانت « العُزّى » أعظم أصنام قريش، يزورونها ، ويهدون لها ، ويتقربون إليها . وقد قيل إن الرسول عليه الصلاة والسلام ذكرها مرة فقال : « لقد أهديت للعزى شاة عفراء وأنا على دين قومي » [5] . وهذه الأصنام الثلاثة هي التي خصها القرآن الكريم بالذكر

تلك كانت نظرة الساميين القدماء للأنثى : اعتبروها قوة من

(١) أنظر كتاب العلامة Winsing وهو Some Aspects of Gender in the Semitic Languages

(٢) زوج عمر بن عامر مزيقياء : أحد ملوك اليمن

(٣) بنت سيد همدان

(٤) راجع الأصنام لابن الكلبي

(٥) راجع الاصنام لأبن الكلبي ، ومعجم البلدان لياقوت

القوى المنتجة ، ونسبوا إليها القدرة على القيام بالأعمال السحرية والكهانة والعرافة

ولذلك أنثوا كل الكلمات الدالة على القوة ، والتي ترمز إلى أمر خطير ذي أثر بين في حياتهم : أنثوا الخمر لأنها تجلب إليهم المرح والسرور ، وتنسيهم أحزانهم وآلامهم ؛ وأنثوا الروح والنفس ، لأنهما من القوى الخفية التي بها يحيا الانسان وبدونها يصير جثة هامدة ، لم يقفوا على سرهما وكنههما : « ويسألونكَ عن الرُّوحِ قل الرُّوحُ من أمر ربي » . والنفس عندهم تعني الدم والنَّفَس ، ولا زال النَّفَس يعد قوة سحرية ، يسلطه السحرة على الأفاعي لتسكن إليهم وتطيع أوامرهم ولا تؤذيهم . وكانوا ينفخون على الجروح لتبرأ ، ولازال هذا معمولا به إلى اليوم

وأنثوا الحرب ، لأن فيها ضرا وفيها نفعاً ؛ يتخذونها مورداً لأرزاقهم ، فيسبون ويغنمون ، وإن كانوا يعرضون أنفسهم للتهلكة ؛ وتاريخ العرب في الجاهلية على ذلك شهيد

وأنثوا من أعضاء جسم الانسان أحد عشر عضواً ، كاليد والأذن والعين ، لأنها أوعية القوى التي يكون بها الانسان إنساناً ؛ وكانت اليد عندهم آلة البطش والقدرة والتأثير : « يَدُ الله فوقَ أيديهم » . « بيده المُلك »

وأنثوا من الآلات أحد عشر اسماً ، كالفأس والرحى والدرع ، لأنها تمنيهم على الانتاج والدفاع والقوة

وربمـا قال قائل : إن كل الأسماء التي ذكرتها خالية من علامات التأنيث ، وقد اعتبرها العرب مؤنثاً مجازياً . وأقول : هو ذاك ؛ هي مؤنثة باعتبار الفكرة التي كانت تدور في أذهانهم ، ومع ذلك فالعلامة ليست شرطاً في التفرقة بين المؤنث الحقيقي والمذكر . خذ مثلاً : الأب ، والأم . والحصان والفرس ، والحمار والأتان . وتجد أن الصفات التي اختص بها المؤنث لا تحتاج إلى علامة مثل : مرضع وحامل وحائض وعاقر ، وثيب وعانس . وذلك لأن فكرة التأنيث عند ذكر هذه الصفات والأسماء كانت حاضرة في تخيلهم . ويذهب العلامة بروكلمان إلى أبعد من ذلك فيقول : لم تكن الحاجة ماسة في أول الأمر للتمييز بين المؤنث والمذكر بعلامة ، إذ كانت الطبيعة قد وضحت بينهما . وهذه الكلمات التي ذكرت آنفاً تعتبر من أقدم الكلمات في اللغات السامية[1] . ووضعت علامة التأنيث فيما بعد لمـا اعتبره الساميون مؤنثاً لتقوية الـكلمة وتشديدها ، وزيادة تمييزها عن غيرها[1]

أما الأمور المعنوية ، كالرحمة والقسوة ، والشفقة والبغضاء ، والبلواء ، والسعادة والبأساء ، فلأنها أمور دقيقة لم يستطع ذلك الانسان الفطري إدراك كنهها ، وإنمـا عرفها بآثارها الظاهرة المحسوسة ، فألحقها بالمؤنث ، ووضع لها العلامة لأن فكرة التأنيث بها ربما كانت غامضة ، أو ضعيفة فقواها

أما الجموع فأمرها هين ولا سيما جموع العقلاء ، مثل عامل وعملة ، وكاتب وكتبة ، وصبي وصبية ، وكرماء وأشداء وعظماء وأقوياء[2] ، إذ أن الجموع قوة تستطيع أن تفعل مالا يفعله الفرد

أما المصدر ففكرة مجردة ، ويقول العلامة « دلمان »[3] إن الفكرة المجردة يتصورها الانسان كقوى منتجة خالقة ، ولذلك جاء الكثير منها مؤنثاً .

ويمكنك أن تدرك الفكرة التي حدت بالساميين إلى تأنيث بعض الأسماء والصفات في تلك النعوت التي تدل على المبالغة وبلوغ النهاية مثل : راوية ونابغة ، وداهية ... الخ .

أما أمكنة الاقامة ، كالمدينة ، والقبة ، والدار ، فلاتصالها بالأرض ، وقد بينت في أول المقال كيف نظر الساميون إلى الأرض . وتسألني ما بال البيت مذكراً ؟ . نعم إن البيت مذكر ، ولكن أثراً من آثار صيغته الأصلية المؤنثة لا يزال موجوداً في اللغة الآشورية ، حيث يستعمل مذكراً تارة ومؤنثاً أخرى ، كأجزاء الأرض مثل الطريق ، والسبيل . ولعلك تتذكر أني بينت في المقال الأول كيف تخرج هذه الكلمات من المؤنث تدريجاً لضعف فكرة التأنيث فيها .

ولعلي أكون قد وفقت في توضيح هذه الفكرة التي حدت بالساميين لتأنيث بعض الأسماء وتذكير بعضها الآخر ، فالغرض من علامات التأنيث هو تقوية الكلمة ، والضغط عليها ، وإظهارها بمظهر الشدة ، لما ترمز إليه من المعنى القوي ، والأمر الخفي ذي الأثر والنفوذ والقدرة السحرية .

عمر الدسوقي

---

(١) أنظر كتاب العلامة Brockelmann وهو Précis de Lingaistique Semitique

(١) نجد كثيراً من هذه الكلمات قد أخذت علامة التأنيث في اللغات السامية الأخرى غير العربية فمثلا : نفس بالآرامية نفسا وبالآشورية نفستو ؛ وأرض بالآرامية أرضى ، وبالآشورية ، إرضيتو

(٢) راجع المقال السابق

(٣) هاك النص الانجليزي لما يقوله الأستاذ Dillmann في كتابه قواعد اللغة الحبشية عند الكلام على المذكر والمؤنث ص ٢٧٢

In Lact pure ideas «Abstracts» are usually conceived of as procreative and productive powers, and there for ex pressed in the Feminine form

رسالة من باريس

بعض الدكاترة الفخريين

الذين منحوا الدكتوراه الفخرية في فرنسا هذا العام

للباحث الأديب مصطفى زيور

— ٢ —

إذا أضفنا إلى هذه المحاولات لتركيب المواد الزلالية وبالتالي المادة الحية من المواد اللاعضوية البسيطة ، إذا أضفنا إلى ذلك نتائج بحوث الكيميائي الكبير « لوب » التي أثبتت بطريقة لا يحتمل الشك العلمي أن المواد الزلالية لا تختلف في قوانين تفاعلاتها الكيميائية عن قوانين تفاعلات المواد اللاعضوية ، وبعبارة أخرى أن المادة الزلالية لا تنفرد بكيمياء خاصة ، فإنه يبدو لنا أن هؤلاء العلماء المنكبين على دراسة المادة الحية يتخذون فرضاً لعملهم وبحوثهم أن هذه المادة تخضع لنفس القوانين التي تخضع لها المواد الأخرى . وليس في ذلك غرابة فإن أي تقدير من جانبهم يختلف عن ذلك كأن تعتبر المادة الحية خاضعة لسلطان ميتافيزيقي يجعل موقفهم متناقضاً ، لأن البحث التجريبي لا يمكن أن يتناول إلا ما يقبل التجريب وبالتالي ما يخضع لقانون طبيعي

ولكن المسألة التي استرعت اهتمام سورنس بنوع خاص هي من غير شك مسألة « مبلغ تركيز ذرات الهيدروجين المكهربة » في سائل بعينه، وأهمية ذلك بالنسبة للمظاهر الحية. ويجدر بي قبل أن أبين خطر هذه البحوث أن أقدم لها بكلمة قصيرة أبين فيها ما الذي يعنونه بمبلغ تركيز ذرات الهيدروجين المكهربة أو جهد الهيدروجين المكهرب

لاحظ فراداي ، ذلك العبقري الانجليزي أحد مؤسسي المنطيسية الكهربائية في أوائل القرن التاسع عشر ، أننا إذا أحدثنا فرقاً في الجهد الكهربائي بين قطبين منغمسين في محلول ملح ما فإننا نرى تياراً كهربائياً يمر يصحبه انحلال الملح إلى أجزاء تحمل شحنة كهربائية بعضها موجب يوجهها إلى السير نحو القطب السالب ، وبعضها سالب يوجهها نحو القطب الموجب ، وهكذا يتكون لدينا تيار من هذه الأجزاء ناقل للشحنات الكهربائية أي لكمية الكهرباء . هذه الأجزاء المكهربة هي التي يسمونها منذ فراداي باللفظة اليونانية «أيون» أي سائرة ومتجهة . على أن « أرينيوس » بيّن فيما بعد أن انحلال الجسم الذائب في سائل ما إلى أيون لا يحدث تحت تأثير مرور تيار كهربائي . بل إن هذا الانحلال يحدث لمجرد ذوبان الجسم في السائل ؛ ذلك لأن ذرة كل جسم تتكون من نواة ذات شحنة موجبة يحيط بها كهيربات ذات شحنات سالبة يدعونها « ألكترون » تعادل الشحنة الموجبة فتصبح الذرة متعادلة لا هي موجبة ولا هي سالبة ؛ فإذا ما أذيب جسم في سائل يضطرب هذا التعادل بأن تفقد الذرة كهيربا سالباً فتصبح موجبة أو تكسب كهيرباً سالباً فتصبح سالبة

فإذا أذبنا حامضا في سائل ما، وليكن حامض الكلوريدريك المكون جزآه من ذرة من الكلور وذرة من الهيدروجين فإن بعض هذا الحامض ينحل إلى ذرات كلور ذات شحنة سالبة، وذرات هيدروجين ذات شحنة موجبة. ولكن ذرات الهيدروجين المكهربة هي التي تعين الحموضة ، فكلما كانت قابلية الحامض إلى الانحلال كبيرة، وبالتالي عدد أيون الهيدروجين المنتشرة في السائل كبير، كانت درجة الحموضة كبيرة ، بصرف النظر عن كمية القلوى الذي يمكن أن يعادلها ذلك الحامض ، والتي تعين قوته الحامضية الكاملة . وكذلك الحال في جسم قلوى مثل الصودا الكاوية المكون جزآها من ذرة صوديوم متحدة مع مركب يدعونه هيدروكسيل يتألف من ذرة هيدروجين وذرة أكسجين ، فإذا أذيبت الصودا الكاوية في سائل فإن جزءاً منها ينحل إلى ذرات صوديوم تحمل شحنة موجبة، وإلى عدد من الهيدروكسيل المذكور يحمل شحنة سالبة . وكما أن عدد ذرات الهيدروجين المكهربة هو الذي يعين درجة الحموضة الحالية ، فإن عدد الهيدروكسيل المنتشر هو الذي يعين درجة القلوية الحالية

ولكن ظاهرة الانحلال هذه تحدث حتى بالنسبة للماء النقي ؛ فنحن نعلم أن جزئي الماء يتكون من ذرة أكسجين يرمز لها بالحرف (ا) ، (أي الحرف الأول من اكسجين) وذرتين هيدروجين يرمز لكل منهما في العربية بذلك الرمز العجيب (يد)، (الحرفان الثاني والثالث من هيدروجين) . وهنا أحب أن يسمح لي القارئ أن أترك موضوعنا لحظة لكي أعلق على هذا الرمز الغريب ، فلست أشك أن المترجم المصري عند ما أراد ترجمة الرمز

الدولى للهيدروجين H عند بدء النهضة العلمية الحديثة فى مصر منذ نحو ربع قرن ، ظن أن الكلمة هى إيدروجين بإبدال الهاء همزة كما يحصل فى النطق الفرنسى ، ويدل على ذلك ما جري عليه الكيمائيون فى مصر من كتابة هذا العنصر على هذا النحو الأخير أى إيدروجين . ولما كان الحرف (ا) سبق أن اختاره المترجم المصرى رمزاً للعنصر ا كسجين فلم يكن بد من اختيار الحرفين الثانى والثالث من ايدروجين بجعلهما رمزاً لهذا العنصر . ولكن الواقع أن الكلمة هى هيدروجين بصرف النظر عن نطقها فى بعض اللغات . والواجب إذن أن يتخذ الحرف (هـ) الذى يقابل H الدولية رمزاً لهذا العنصر إذا كان لا بد لنا من الاستمرار فيما درجنا عليه منذ نحو ربع قرن من نقل الرموز الدولية إلى رموز عربية . فماذا يرى عالمنا الكبير الدكتور احمد زكي ؟

رأينا أن جزئيات الماء التى تتكون من ذرة من الأكسجين وذرتين من الهيدروجين ومن ثم يرمزون لها يد٢ ا ينحل بعضها إلى ذرات هيدروجين موجبة يرمز لها هكذا يد+ وهيدروكسيل سالبة يرمز لها هكذا ا يدَ ؛ ولكنه من الواضح أن أيون الهيدروجين الذى يحمل شحنة موجبة لا بد أن يتحد من جديد مع أيون الهيدروكسيل الذى يحمل شحنة سالبة فتتكون جزئيات مائية من جديد ، بينما تنحل جزئيات مائية أخرى إلى أيون هيدروجين وهيدروكسيل ، وهكذا حتى تصبح سرعة التفاعل فى الناحيتين متعادلة ، فينتج لدينا حالة استقرار فى مبلغ تركيز الأيونات يمكن التعبير عنها بأن حاصل ضرب عدد الأيونات مقسوم على عدد الجزئيات الغير منحلة ينتج عدداً ثابتاً :

[يد+] × [ا يدَ] / [يد ٢ ا] = ث (عدد ثابت يدل على حالة الانحلال وبالتالى يدل فى حالة حمض أو قاعدة على قوة الحمض أو القاعدة) .

ولكن فى حالة الماء فان الجزئيات الغير منحلة قليلة التغير وبالتالى فان حاصل ضرب [يد+] × [ا يدَ] يكون ثابتاً ، وتقدر قيمته فى لتر من الماء بكسر اعتيادى مقامه الوحدة يتبعها أربعة عشر صفراً ١/١٠^١٤ فاذا تصورنا الماء فى حالة التعادل التام أى أن أيون الهيدروجين يساوى عدد أيون الهيدروكسيل فان الرقم الذى يدل على تركيز أيون الهيدروجين يكون فى هذه الحالة ١/١٠^٧

ولتسهيل الاشارة إلى الحموضة الحالية أى لمبلغ تركيز اليون يد+ أو جهد الهيدروجين اقترح سورنسن أن يعبر عنه بمقلوب اللوغارتم العشرى أى بعدد الأصفار الذى يتبع الوحدة فى مقام الكسر الاعتيادى الدال على مبلغ التركيز أى بالعدد ٧ فى حالة التعادل ، وأن يرمز له بالحروف الدولية P H وهو ما يمكن ترجمته بالحروف العربية ج يد حيث أن P هو الحرف الأول من الكلمة Potentiel أى جهد (وليس القوة كما أشار بذلك البعض لأن لفظة القوة ترجمة فلسفية قديمة وتدل عند المشتغلين بالعلم فى مصر على محدث العمل) . كما كان لسورنسن الفضل فى استنباط طريقة لقياس درجة الحموضة هذه بواسطة تفاعلات ملونة

أهمية مبلغ تركيز ذرات الهيدروجين المكهربة أو جهد الهيدروجين ج يد فى المظاهر الحية

قد لا يكون من المبالغة أن نقرر أنه ما من ظاهرة من ظواهر الحياة لا تخضع لهذا العامل الأساسى : مقدار الحموضة الحالية أى ج يد ؛ فقد تبين أن الكائنات الحية حتى الدنيئة منها مثل الجراثيم لا يمكن أن تعيش إلا فى وسط له درجة حموضة معينة خاصة بكل نوع من أنواع الكائنات لا يجب أن تتغير وإلا فقدت الحياة . ويكفى أن أشير إلى أن درجة الحموضة فى دم الانسان ثابتة ثباتاً يسترعى النظر حقاً ، وتعمل على هذا الثبات وظائف لها من الدقة والانتظام مايدل على خطورة مقدار الحموضة الحالية فى بقاء الحياة . وتبدو هذه الخطورة بوضوح إذا علمنا أن تلك الصدمات العنيفة المصحوبة بهبوط شديد فى ضغط الدم والحرارة وضربات القلب بحيث يصبح الموت قاب قوسين أو أدنى ، والتى تحدث من إدخال بعض المواد الغريبة في الدم أو نتيجة لبعض الأمراض ، هذه الصدمات يصحبها تغير فى درجة الحموضة المذكورة

وهنا يجب أن أشير إلى ما يدعونه نقطة التساوى الكهربائى فى الزلاليات حتى يتم لنا هذا العرض السريع لمسألة الحموضة وأهميتها البيولوجية

سبق أن ذكرت أن المواد الزلالية تتركب من أحماض أمينية تحتوى جنباً إلى جنب على وظيفة حمضية ووظيفة قلوية ؛ وعلى ذلك من السهل أن نفهم أن المواد الزلالية تنحل فتترك ذرات هيدروجين موجبة من جهة كما يحدث فى الأحماض ، وهيدروكسيل سالبة من جهة أخرى كما يحدث فى القلويات .

فاذا ما كانت درجة الحموضة الحالية جـيد في الوسط الموجودة فيه هذه المواد الزلالية كبيرة فإن هذه المواد تسلك كما لو كانت قلوية فقط فلا تنحل إلا إلى أيونات هيدروكسيل (أو على الأقل فان النتيجة العملية هي كذلك) ، وبالعكس فيما لو كانت درجة حموضة الوسط قليلة أي قلوية ؛ وبين هذين الطرفين توجد نقطة في درجة الحموضة تنحل عندها الزلاليات إلى مقدار متساو من أيون الهيدروجين وأيون الهيدروكسيل ، فيحدث نوع من التساوى الكهربائي يمكن أن نرمز له هكذا جـيدس (س = الحرف الأول من الفعل الماضى أصل الاشتقاق ساوي)

والآن من السهل أن نفهم أهمية نقطة التساوى هـذه إذا تذكرنا أن العامل الرئيسي في ثبات المحلولات الغروية هو وجود شحنة كهربائية تمنع الجزيئات من التهالك ، ولما كانت هذه الشحنات الكهربائية تنحط إلى مقدار ضعيف عند نقطة التساوى ونتيجة لهـذا التساوى ، فيمكننا أن نتنبأ بقلة ثبات المحلولات الغروية وبالتالي المادة الحية وميلها إلى الانهيار عند هذه النقطة . وهذا ما يحدث بالفعل ويوضح لنا أهمية درجة الحموضة جـيد والخطر الذى ينتج من تغيرها على مظاهر الحياة .

وأخيراً فان الفضل يرجع إلى سورنسن في بيان أهمية درجة الحموضة بالنسبة للتفاعلات الخميرية ، فقد بين كيف أن الخمائر — وهى تلك المواد الخاصة بالكائنات الحية تساعدها على تحقيق التفاعلات الكيميائية — لا تقوم بعملها إلا في درجـة حموضة معينة خاصة بكل خميرة ؛ فنحن نعلم مثلا أن خمائر المعدة لا تقوم بعملها في الهضم إلا في درجة حموضة معينة مرتفعة بالنسبة لدرجة الحموضة اللازمة لخمائر الأمعاء .

وفى النهاية لست أحب أن أترك القارىء يفهم أن جميع المسائل التى ذكرتها ومحصولنا العلمى فيها يرجع إلى أبحاث سورنسن وحده ، فانى أكون إذن تعديت الأمانة التاريخيـة ؛ ولكنه لم يكن في استطاعتى أن أبين قيمة أبحاثه دون أن أذكر بجانبها الأبحاث التى أثارها ، ثم الأبحاث التى سبقته حتى نقدر مجهود هذا الكيميائى الكبير . وبعد كل شيء فانى لم أقصد إلى تحقيق تاريخى فليس هنا مقام ذلك ، ولكنى قصدت إلى اتخاذ بحوث هذا العالم مناسبة للاشارة إلى بعض التيارات العلمية السائدة . « للكلام بقية » مصطفى زبور

أتـــوق

لشاعر الهند رابندرانات طاغور

بقلم الآنسة الفاضلة « الزهرة »

أتوق إلى مخاطبتك بأدق الكلمات وأملأها بالمعانى العميقة التى تجيش في حناياملي، ولكنى لا أجرؤ خشاة أن تضحكي مني لذلك أضحك من نفسى ، وأشجب سرى الخفيّ بالهزل والتنادر ، وأذيبه في شظايا النكات والاشارات

وأستخف بألمى لكيلا تستهيني أنت به

أتوق إلى مصارحتك بأصدق الكلمات ، ولكنى لا أجرؤ خشاة ألا تصدقيها ...

لذلك أطويها في رداء التمويه ، وأضفى عليها أبراد الكذب ، وأقول عكس ما أبطن ، وأجمل ألمى يبدو بلا سبب ولا علة لكيلا ترى أنت فيه هذا الرأى

أتوق إلى صوغ أثمن الكلمات التى أدخرها لأجلك ، ولكنى لا أجرؤ خشاة أن تبخسيها حقها وتصفقيني صفقة الغبن والخسران

لذلك أنتحل لك صفات فظة ، وأطلق عليك أسماء غليظة ، وأتبجح بقسوتى وصلابتى، وأباهى بقوتى وأيدى، وأنالك بالأذى، خشاة ألا تفقهى للألم معنى أو تذوقى لمرارته طعماً

أتوق إلى الجلوس قربك صامتاً ، ولكنى لا أجرؤ لئلا يقفز قلبي من بين شفتى ويترامى تحت قدميك

لذلك أثرثر وأهذر وأتنادر لكى أخفى سر قلبى وراء ألفاظى، وأتلاعب بألمى في عنف دون هوادة ولا رفق خشاة أن تتلاعبي أنت به ...

أتوق إلى الابتعاد عنك ، ولكنى لا أستطيع أن أجد إلى الفرار منك سبيلا ، لئلا ينكشف أمامك جبنى ، ويستعلن لك خوفى ووجلى ...

لذلك أرفع رأسي بافتخار، وأشمخ أنفى في شمم، وأمثل أمامك غير حافل ولا مبال . مع أن السهام المنطلقة من عينيك على الولاء تجدد ألمى باستمرار . . .

(الزهرة)

التاريخ فى سير أبطاله

ابراهام لنـــكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادى ! خذوا معانى العظمة فى نسقها الأعلى من سـيرة هذا العصامى العظيم ......

— ٢٩ —

وكان لهذا القائد الذى بزغ نجمه شبه كبير بالرئيس فى نشأته وفى كثير من طباعه ، كلاهما واجه الحياة وهو فى سن اللهو واللعب ، وكلاهما شق طريقه فيها بنفسه فكان كالنبتة القوية المستقيمة التى تفلق التربة وهي بعد صغيرة ، لا كتلك الألفاف الملتوية التى لا تعرف من معنى النماء إلا أن تتسلق على غيرها وهى فى ذاتها هزيلة محيلة ...

كان جرانت كأبراهام قوة إرادة ومضاء عزيمة ، وكان مثله يلم بما حوله من المشكلات إلماماً تاماً ويستوعب أجزاءها لاتفوته منها صغيرة ولا تستعصى عليه كبيرة ، كما كان يعرف فى كل موقف قدر نفسه لا يفتر ولا يزهى ولا يتضاءل ولا ينكص .. وهو وإن لم تكن له سماحة الرئيس وعذوبة روحه ، فقد توفر له الكثير من بساطته ووداعته ...

كان جندياً فى سنى يفاعته، ثم انصرف عن الجندية إلى الزراعة حيناً ثم إلى التجارة بعد ذلك ، وظل بضع سنين حائراً يضرب فى الأرض فى طلب الرزق. ولو لم تقم تلك الحرب الأهلية لما وعى التاريخ عنه إلا بقدر ما يعى عن الآلاف غيره من البشر الذين يعبرون هذا الوجود وكأن لم يخلقوا !

وأحس لنكولن أن فى هذا الرجل من الصفات ما يعد متمماً لصفاته ، فهو متحمس سريع المضى إلى غايته إذا اتجه همه إلى أمر؛ وهذه الحمية يقابلها عند الرئيس الروية قبل البدء، والتمهل إذا مضى فى سيره ...

هذا هو القائد الذى أحس ابراهام أن سوف يكون على يديه النصر بعد تلك الهزائم الشائنة ، وبعد أن خذلته الظروف ، وتنكر له الرجال وضايقوه على صورة لم يكن يطيقها غيره ...

أراد الجنوبيون أن يقوموا بهجوم قوى على العاصمة الشمالية فيضربوا الاتحاد الضربة الحاسمة ، فزحف قائدهم الكبير لى بجيشه فعبر نهر بوتوماك وسار حتى أصبح على بعد خمسين ميلا أو نحوها من وشنجطون فى مكان يدعى جتسبرج ، وهناك التقى به جيش الشماليين بقيادة ميد وهو قائد جديد جعله لنكولن على رأس جيش البوتوماك بعد أن ضاق بتلكؤ سلفه

ودارت فى هذا المكان معركة عنيفة دامت ثلاثة أيام ، وقد استبسل الفريقان فيها واستقتلوا وتوالى بينهما الجزر والمد ، وكأنما طاب لهم الموت فتسابقوا إليه جماعات ، وانتهى الصراع بانسحاب لى ولكن فى ثبات واطمئنان . فكانت هذه المعركة التى سقط فيها أكثر من عشرين ألفاً من الضحايا فاتحة الانتصارات الكبيرة لأهل الشمال . وما أن وصلت أنباؤها إلى العاصمة حتى تدفق الناس إلى حيث يجلس الرئيس وهم من فرط ما قد سرهم من النبأ لا يدرون ماذا يفعلون للتعبير عما فى نفوسهم نحو رجالهم، نحو هذا الحصن الحصين وهذا المتاد المتين

وكان هذا النصر الباهر فى اليوم الثالث من يوليو عام ١٨٦٣ ولقد نام الرئيس ليلته ملء جفونه لأول مرة منذ قامت الحرب ، وفى اليوم التالى حمل إليه البرق رسالة من القائد جرانت ، وكانت له القيادة فى الغرب على ضفاف المسيسبى ... وفض الرئيس الرسالة فاذا جرانت ينبئه أن قد سقطت فى يده فِكِسبرج ... وكانت هـذه المدينة تسمى « جبل طارق » الغرب ، إذ كانت مفتاح النهر إلى الجنوب. ولقد جمع فيها أهل الجنوب ما استطاعوا من قوة وعدة ؛ وكان جرانت قد اتجه إليها منذ فاتحة ذلك العام ، وكان هو وجنوده يلقون النار الحامية من المدافعين عنها ، ولكنه لم يعبأ بمـا كان يلقى ، ولبث يعمل فى صمت وهدوء حتى أحكم الخطة فأحاط بالمدينة ، وأتى حاميتها من فوقهم ومن أسفل منهم وما زال بهم حتى أجبروا على التسليم تاركين فى يده ثلاثين ألفا من الأسرى وعدداً هائلاً من البنادق والأسلحة ومقدارا كبيرا من المؤونة والزاد ...

ولا تسل عمـا فاض فى العاصمة الشمالية من مظاهر الجذل والحبور ؛ فلقد شعر الناس بقرب انكشاف الغمة والتمعت فى نفوسهم بوارق الأمل فى النصر النهائى بعد هذا العذاب الشديد ..

واشتدت المزائم ورأى المستضعفون والذين استكبروا ما كانوا قبل فى عمى عنه ؛ رأوا فضل رئيسهم وعاقبة ثباته وصبره ، فراحوا يتوبون إليه ويهنئونه بما صبر ...

والرئيس يشارك القوم جذلهم ، ولكن نشوة النصر لاتصرف عينيه عما هو فيه ، كالربان الماهر الحاذق ، لن يدير عينيه عن البحر إذا هو اجتاز مكاناً تتجمع فيه الصخور ، ولن يزال محدقا متيقظا حتى تلق السفينة مراسيها ...

وكان فى نفس الرئيس شئ يكاد يكربه فينسيه فرحة النصر ، وذلك أن ميد قد وقف فلم يتعقب لى ويجهز على جيشه لدى انسحابه ، فلقد كان عليه أن يعبر النهر ليعود إلى ولاية فرجينيا ، وعبور النهر ليس بالأمر الهين على جيش ينسحب ؛ ولكن ميد كان يرى الجيش فى حالة من الاعياء لايستطيع معها أن يقوده إلى أى زحف مهما هان أمره ، فلقد جاء نصره بشق الأنفس .. وأحس القائد المنتصر الحرج من موقف الرئيس حياله فطلب إليه أن يعفيه من القيادة، فرد عليه الرئيس ملاطفا فى صفح يشبه الاعتذار

وكأنما جاء انتصار الشماليين فى المركتين فى تلك الأيام على قدر من الظروف ، فلقد كانت تأتى الأنباء من خارج أمريكا بسوء موقف الحكومة الانجليزية من قضية أهل الشمال ؛ تلك الحكومة التى كان يعتقد لنكولن أنها سوف تحمد له قضاءه على العبودية فأعلن قرار التحرير وفى نفسه هذا الرجاء ؛ ولشد ما آلمه بعدها أن يرى الحكومة تتذبذب وتلتوى ولا تخطو إلا على هدى من مصالحها المادية

وكان مما يخفف وقع هذا الجحود على نفس الرئيس ما كانت تأتى به الأنباء من موقف أحرار الشمائل من الشعب الانجليزى حياله ، فلقد علم أن اجتماعات عقدت فى مانشستر ولندن هتف فيها باسم الرئيس هتافاً عالياً حتى لقد وقف الناس فى أحدها دقائق يلوحون بقبعاتهم فى الهواء عند ذكر اسمه؛ وظل هذا موقف الأحرار فى الشعب الانجليزى حتى وصلت إليهم الأنباء بالانتصار السالف الذكر فاستخذى الطامعون وذوو الأغراض من رجال الحكومة والبرلمان ، هؤلاء الذين كانوا يريدون أن يتخذوا من انتصار الجنوبيين ذريعة لاعلان اعترافهم بهم كأمة مستقلة ، والذين بلغ بهم الحقد على لنكولن وحكومته أن جهزوا سفناً لمناوأة تجارة الشماليين فى المحيط وأرسلوا بعضها فعلا لهذا الغرض

تلك هى نتائج الانتصار فى المركتين وأثره فى الداخل والخارج .. قال لنكولن عند ما قرأ رسالة جرانت: « الآن يستطيع أبو المياه أن يذهب من جديد إلى البحر وليس فى سبيله عائق » ..

واجتمع الناس فى حفل كبير فى مكان معركة جتسبرج ليمجدوا ذكرى ضحاياها وطلبوا إلى الرئيس أن يخطبهم فى هذا الحفل المشهود فكان مما قاله: « منذ سبعة وثمانين عاماً أقام آباؤنا فى هذه القارة أمة جديدة ، نشأت على الحرية وعلى ما نودى به من أن الناس خلقوا جميعاً على سواء ، ونحن الآن فى حرب أهلية هى بمثابة اختبار لنرى هل تستطيع هذه الأمة أو أية أمة نشأت نشأتها أن تعيش طويلا ... ونحن نجتمع هنا لنخلد موضعاً منها نجعله مقراً نهائياً لهؤلاء الذين بذلوا أرواحهم كى تستطيع أمتهم أن تعيش ؛ وهذا عمل مناسب ولائق بنا ، ولكنا لن نستطيع فى معنى أوسع أن نخلد أو نقدس هذه البقعة ... إن البواسل من الرجال سواء فى ذلك الأحياء والأموات الذين ناضلوا هنا قد خلدوها أكثر مما تستطيع قوتنا أن تزيد عليها أو تنقص منها ، وإن العالم سوف لايهتم كثيراً وسوف لا يتذكر طويلا ما نقول هنا ولكنه لا يستطيع أن ينسى ما فعل هؤلاء » ... ثم زاد على ذلك فقال « يجب أن نصمم على ألا ندع موت هؤلاء يذهب عبثاً وعلى أن تمطى هـذه الأمة فى عناية الله مولداً جديداً هو مولد الحرية ، وعلى أن تكون حكومة الشعب التى قامت بالشعب وللشعب ، بحيث لا تزول أبداً من فوق الأرض »

هذا هو خطاب الرئيس الذى سمعه الناس فى تلك البقعة التى صبغتها دماء المجاهدين . ولقـد وصلت كلماتها إلى أعماق نفوسهم فهزتها هزاً لم يتمالك معه الـكثيرون أن يحبسوا دموعهم من فرط ما أحسوا من المعاني ...

وآمن كثير من دعاة الهزيمة والتردد بما كان لثبات الرئيس من فضل ، وأيقنوا أن سوف يكون مرد انتصارهم فى النهاية إلى هذا الذى يحمل أثقال قومه فلا ينوء بها ولا يزداد على المحن إلا صلابة واعتزاما .

ولاحظ عليـه المتصلون به أن تلك الشدائد وإن لم تنل من عزمه ، قد نالت من جسده ، ورأوا السنديانة يمشى إليها الذبول شيئا فشيئا حتى ليخافوا أن تذوى فتسقط — أجل فزع الناس أن يروا إرهاقهم تتجمع وتتزايد فى وجهه التجاعيد وهو من صدر

شبابه لم يك خلوا منهـا ، وأن يلمحوا فى صفحة هذا الوجه المحبوب أمارات الجهد ، وفى نظرات تلك العينين الواسعتين أثر السهد وطول العناء ...

ولـكن روحه أقوى وأعظم من أن يتطرق إليها الوهن ، أو أن تتأثر بشيء مما يصيب جسده . . . أليسوا إذا جلسوا إليه لا يزالون يستمتعون بأحاديثه العذبة ونكاته الطريفة ؟ أوليسوا يسمعون حتى فى تلك الأيام ضحكاته التى قد يطلقها أحيانا فتذهب فى أرجاء الحجرة مجلجلة مدوية ؟ ذهب إليه أحد الرجال فى أمر من الأمور الهامة فأخـذ الرئيس يقص عليه من قصصه حتى لم يطق الرجل صبرا فقال وفى لهجته حدة وفى عبارته شدة: « أيها الزعيم إنى ما جئت هنا هذا الصباح لأسمع قصصا .. إن الوقت عصيب » . فاستمع إلى الرئيس يقول له فى رزانة وأدب « اجلس ياأشلى، إنى أحترمك كرجل مخلص ذى حمية ، وإنك لن يبلغ اهتمامك أكثر مما بلغ اهتمامى هذا الذي ما فارقنى منذ أن بدأت تلك الحرب ، وإنى أقول لك الآن إنه لولا هذا الذى نفس به أحيانا عن نفسى لحاق بى الموت »

ومن أولى من هـذا الرجل وأحق أن ينفس عن صدره فى هذه الشدائد المتلاحقة ؟ هذا إلى أنه فيما يفعل إنما يصـدر عن طبيعة لا قبل له بالتخلص منها . ولقد كان مما يستعين به فى ضيقه أن يقرأ ، وكانت مآسى شكسبير وفى طليعتها ما كبث ما يتناوله من الـكتب . وإنه يفرح ويهش لمن يشاركه عواطفه وميوله كما أنه كان يضيق بالمتزمتين الذين يزبدون الحياة بتبرمهم وسخطهم أثقالا فوق أثقالهم ..

وسار العام الثالث إلى نهايته والبلاد يتزايد أملها فى النجاح بعد أن كاد يعصف اليأس بالقضية كلها فيأتى عليها ، فلقد رأينا ما كان من دعاة أعداء الحرب وعملهم على عرقلة مساعى الرئيس ومن هؤلاء ولد نجهام الذى مر بنا ذكره ... وهنا نشير إلى رجل آخر هو حاكم ولاية نيويورك ، فلقد كان هذا الرجل من أكبر المنادين بضرورة وضع حد لهذه الحرب أن كان لا يصيب الشماليين منها إلا الهزائم ... ولقـد أدت سياسته إلى قيام ثورة عنيفة فى مدينة نيويورك قام فيها المشاغبون ودعاة الفوضى بأعمال عنيفة ، وبالغوا فى تمردهم وعصيانهم ، حتى اضطرت الحـكومة أن ترسل عليهم فريقاً من الجند يقضون على الفتنة . ومن غريب أمر هؤلاء المتمردين أن قامت حركتهم التى دبروها من قبل عقب الانتصار فى جتسبرج وفكسبرج ، وسبب عصيانهم يرجع إلى قرار أصدره المجلس التشريعى فى مستهل ذلك العام بناء على اقتراح الرئيس بحتم على كل رجل صحيح البدن بين العشرين والخامسة والأربعين أن يحمل السلاح فى سبيل قضية الاتحاد ... ولقد كانت حركة نيويورك هذه من مآسى ذلك العام، ولولا أن جاء النصر وأشرق نور الأمل فى ظلام اليأس لـكان من الجائز أن تمتد الفتنة فتأتى على كل شيء

وافتتح العام الرابع والأحزاب تتأهب للانتخاب ، فلقد قرب موعد الانتخاب للرياسة ، ورأى المخالفون الفرصة توانيهم ليعلنوا ما فى نفوسهم نحو الرئيس لنكولن وسياسة حكومته

وظهرت فى الصحف وتواترت على الألسن أسماء مرشحين جـدد لينافسوا الرئيس ؛ فان الديمقراطيين كانوا يقدمون ما كليلان ، ذلك الذى انسحب من الحرب على نحو ما رأينا ؛ وكان بعض الجمهوريين، وعلى رأسهم جريلى، ذلك الذى ما فتىء ينتقد الرئيس ويسدى له النصح ، يرشحون جرانت وتشيس وزير المالية ، وفريق منهم رشحوا فريمونت لهذا المركز السامى

ولبث الرئيس مطمئناً ساكناً إن خاف على شيء فليس خوفه على كرسى الرياسة ، ومتى ذاق طعم الراحة فى ذلك الـكرسى ؟ وإنما كان يخشى أن يترك قيادة السفينة لربان غيره وهى لما تزل فى طريقها ، ولو أنه كان موقنا أنه يوجد غيره يقودها كما يقود هو لما تردد أن يعطيها له ، فحسبه أن تصل إلى المرفأ ... وكثيراً ما كان يقول : إنه لو وجـد فى الرجال من يحسن إدارة الأمور خيراً منه لتنازل له عن طيب خاطر بل لقبل ذلك مبتهجاً إذ يرى فيه وسيلة من وسائل النجاح

على أنه يترك الأمر للبلاد فهى صاحبة القول الفصل ، قال فى تلك الأيام لبعض جلسائه : « إن انتخابى للرياسة مرة ثانية إنما هو شرف عظيم كما أنه عبء عظيم ، وإنى لن أجفل منهما إذا قدر لى ذلك ...

ولكن البلاد لم تبغ من رجلها بديلا ، وما لبث أن أدرك مخالفوه أنهم كانوا واهمين ، وكيف تتخلى البلاد عن ذلك الذى

تدين بنجاحها له؟ ولماذا ينصرف عنه الناس ومكانته عندهم فى صميم قلوبهم؟ لأنه أبلى فأحسن البلاء، وصبر فاجتنى من الصبر الظفر، وسهر فلم يشك يوماً من السهر؟ ... لقد كان الناس يدعونه فى تلك الأيام بقولهم: «أبونا إبراهام» وكانوا يخاطبونه فيقولون: يا أبانا ماذا ترى فى كيت وكيت، وما كان أحلى هذا اللقب يضاف إلى ألقابه ...

ألا إن الناس ليحرصون على «أبيهم» لا تدور أعينهم إلى غيره ولا تتسع قلوبهم لسواه؛ فها هى ذى العرائض بترشيحه تترى على الحزب من أنحاء البلاد ومن ميادين القتال فى كثرة عظيمة تليق بجلال قدره وخطورة شأنه وجليل ما قدمت يداه...

وندع الآن ذلك لنعود إلى الحرب وشؤونها؛ وأول ما نذكره أن الرئيس قد اتفق مع المجلس التشريعى على إسناد القيادة العليا للجيوش جميعاً إلى القائد جرانت.. ثم كتب إلى جرانت يدعوه إلى إلى العاصمة فحضر إليها، وذهب إلى البيت الأبيض فلقى الرئيس وسمع منه عبارات الاطراء والثناء ثم تلقى منه نبأ تعيينه فى منصبه الخطير.

ولقد تزاحم الناس وتدافعوا بالمناكب حول البيت الأبيض وفى قاعاته ليروا هذا القائد الذى تعلق عليه بعد زعيمهم الآمال... ولقد علق جرانت على هذا اللقاء العظيم بقوله «هذه معركة أشد حراً مما شهدت فى الميادين من المعارك .. »

وبعد أن درس القائد خططه المقبلة مع الزعيم ورجاله، استأذن فى الرحيل فطلب إليه الرئيس أن يبقى قليلا ليحضر وليمة أعدتها زوجه تكريما للقائد ولم يكن يعلم بها من قبل ليدعوه إليها فاعتذر شاكراً من عدم قبوله بقوله «حسبى ما لاقيته من تلك المظاهر أيها الزعيم ... » وفرح الزعيم أن يسمع ذلك من القائد وهل يهدم الرجال إلا الغرور وحب المظاهر الفارغة؟

ورحل جرانت إلى الميدان وقد زوده الرئيس بقوله «أنت رجل همة وعزيمة، وأنا لا أريد وقد سرنى ذلك أن أضع فى طريقك ما عساه أن يعوقك، وإذا كان فى طاقتى أى شئ يمكنى أن أمدك به فدعنى أعرف ذلك ... والآن سر فى عون الله على رأس جيش باسل وفى سبيل قضية عادلة»

« التتمة فى العدد القادم » **الخفيف**

فى الأدب العراقى

ديوان الشبيبى العتيد

للاستاذ الحومانى

فى الكرادة من ضواحى بغداد وعلى شاطئ دجلة بيت متواضع يسكنه الشاعر العراقى الكبير الشيخ (محمد رضا الشبيبى) وزير معارف العراق

هو فى منتهى دور الكهولة ويوشك أن ينهد إلى التحسين، يعمل عقله فيما يجيب أو يقترح، تتخلل جمله فى القول فترات تنم على ذلك، رزين كل الرزانة وهو يحدث، ويعمل فى شعره إلى الاصلاح الأخلاق فى المجتمع. لا يحب أن يجامل ولا أن يظهر أمام زائره بمظهر العز المكسوب، يزيد التألم خديه وما أحدق بعينيه — وهو يتكلم — تجمداً يبدو لك من ورائه ومن خلال ابتساماته الضئيلة سر عميق فى نفسه يبعثه البؤس والشقاء مما يكابد فى قومه. وإذا لم يرقه حديث جلسائه ولم يستطع مغادرة المجلس تشاغل بمطالعة الصحف، وقد يشيح بوجهه وهو يتكلم كأنما قد ذكر أمراً قد أنسيه، ثم يمعن فى التشاغل عنك حتى إذا لفته إليك أدب المجالسة عاد مقبلا عليك تقرأ فى وجهه الاعتذار لك. لا يستقر به المجلس أكثر من بضع دقائق، وإذا لفته الزهر المحدق بالمجلس رأيته على ما فيه من رزانة يستخفه النظر فيهم فى الروض مع نسيم دجلة البليل

***

الروح الشاعرة إما أن يربيها الألم فينشأ صاحبها متشائماً قليل الحظ من متع الحياة، فلا تراه فى شعره غير شاك أو متألم؛ وإما أن تربيها اللذة فينشأ صاحبها متفائلا لا يعرف وجهاً للألم فى الحياة وقد تربى الروح الأولى فى النفس نقمة على المجتمع واستعداداً للانتقام منه، كما قد تربى الروح الثانية فى نفس الشاعر النكتة فى الأدب والاستسلام للشهوات

وقد يتعزى الشاعر المتألم بملهى أو مقهى كما قد يثوب أخوه الناوى ويرعوى عن غيه فيلهمان معاً جمال الشعر النفسى فى معرض الآلام، على أن الأول أكثر تألماً لما يستقبل، والثانى أمضى ألماً على ما خلف

يعجبني من النوع الأول شعر العلامة الشبيبي يقول :

همى الرسائل والأشعار والخطب ... همٌّ علىَّ ثقيل هذه الكتب

إحدى العجائب عداً أن يثقفنا ... قوم ثقافتهم فى أرضنا عجب

من معدن الشر ماسنوا وما شرعوا

ومن معانيه ما خطوا وما كتبوا

فى كلماته هذه صورة بالغة فى الألم النفسى . وأمض ما يؤلم الشاعر الحر أن يرى الحق مهجوراً والباطل يعمل به ، وآلم لديه من ذلك أن يرى ذا الباطل يتولى الحكم فى الناس على أنه محق ثم يعاقب المحق على أنه مبطل

يرى الشاعر الحر كل ذلك ثم يرى بعده أن المجتمع راض عن هذه الحكومة ، أو يتجرعها على مضض وهو يستطيع أن يلفظها ، فلا يلبث شاعر الانسانية أن يقذف بركانه حجراً تفيض به نفسه شعراً

شر العصور وفى العصور تفاوتٌ ... عصر به تتقـــدم الأوغاد

أنظر إلى الاعجاز كيف تصدرت ... وعمائم السادات كيف تُساد

ثم هو يقول وقد غادر وطنه العراق إلى دمشق لحن إلى الكرخ أحد أحياء بغداد :

ببغداد أشتاق الشآم وها أنا ... إلى الكرخ من بغداد جم التشوق

هما وطن فرد وقد فرقوهما ... رمى الله بالتشتيت شمل الفرق

ويقول فى التمدن العصرى مشيراً إلى الغرب :

يعيش سعيد مفرد بين معشر ... شقى وحىٌّ واحد بين أموات

وكم جسد فوق الأخادع شاخص ... إلى جثة تحت الأخامص ملقاة

وما الزمن الماضى بأعظم محنة ... من الحاضر الموصول بالزمن الآتى

يظنون هذا العصر عصر هداية ... وأجدر أن ندعوه عصر ضلالات

فان خرافات مضت قد تبدلت ... حقائق إلا أنها كالخرافات

تلك هى نفثات شاعر المجتمع ينظر إلى أمة بعين ملؤها الحنان وقد ضغطها ظلم القوى فأهابت بشاعرها وهو مغلول اليد فأطلق فكره من عقال الوهم والخيال ، ثم أجالها فيا يقمع الظلم ويتمشى معه إلى إصلاح شعبه . ألم تره وقد لاح له بارق أمل يتلمس فى أمته روح النهضة من ورائه ، يثير الهمم ويشحذ العزائم حيث يقول :

نفد الصبر فهبت فزعاً ... وأبى السيف لها أن تضرعا

أمة خرساء كم واش وشى ... بنواديها وكم ساع سعى

أزمعت ألا يراها حملا ... غاصب صال عليها سبعا

إلى أن قال :

صلة الشرق بالماضي ارجعى ... لا تعودى سنداً منقطعا

جـددى عهد على غزياً ... وأعيـدى مالـكا والنخعا

ربما وقفت من الشاعر على بيت واحد علمك أنه شاعر ، فلا أريد أن أشير لك إلى هذه القطع وما فيها من روح فياضة بالألم الممض مما يسمع ويرى ، ولا أن أقول لك إن الروح الفياضة بالحزن أدق شعوراً بالحياة من الروح الفياضة بالسرور ، وقد عرضت لاثبات ذلك مراراً مرت بك . اجل ، ولا أريد أن أرجع بك فى إثبات الشاعرية لهـذا المصلح العراقي الكبير ، إلى ما فى هذه الأبيات من دقائق وقفت بالشعور الحى أن يتجاوزها إلى ما تسمع كثيراً وتقرأ كثيراً من شعرائنا الخنع فى عصر النهضة .

وإنمـا أريد أن تعود معى إلى تصفح هذه القطع مرة ثانية لأسألك عمـا تشعر وأنت تقرأ عجز المطلع الأول : همٌّ علىَّ ثقيل هذه الكتب . وعمـا يخلقه في نفسك حنينه وهو فى الشام إلى الكرخ من بغداد ؟ ثم إلى ماذا يصل بك عبث الخيال وما يأتيه من فن ؟

قد يحسب العقل الواهم أن الشاعر قلما يعمل الخيال فيما تثور معه العاطفة من شعر ، وكثيرا ما يقولون : إذا ثارت العاطفة كان الشعر ، غالباً ، خلواً من الابداع فى الفن

أما إن عنوا بذلك خلوه من الفن اللفظى فأنا معهم ، لأن توجيه الفكر إلى صناعة اللفظ يحول دون فيضان الروح بما تتأثر به من مشهد يثير فيها عاطفة ما ، وإذا تأثرت الروح فليس للعاطفة أن تمهل الفكر فى إعمال الخيال ، ضرورة أن الابداع فمل ، وثورة النفس انفعال يجيش بركانه فى الصدر فيقذف حممه

وأما أن يريدوا خلوه من الابداع فى الفن من حيث تناوله اللفظ والمعنى معاً أو المعنى فقط فلا أرانى على وفاق تام معهم لما سمعت من قوله «شر العصور الخ» إلى ماجاء في القطعتين الأخيرتين فقد يبرهن لك عن اجتماع الخيال مع العاطفة فيخرج الشعر خالد الفن بين خيال يبدع وعاطفة تثور

هذه كلمة نسوقها تمهيدا لهذا الشعر الخالد من الشعر العبقري قبل أن يخرج ولما يزل تحت الطابع ؛ وسوف نمزها بكلمات بعد خروجه تكشف عن كثير من أسرار هـذا الشاعر العبقرى المعجز فى عالم الفن

الحوماني
نزيل بغداد

النارنجة الذابلة في الربيع

لفقيد الشباب والأدب المرحوم محمد الهمشري

كانت لنا عند السياج شجيرة ألف الغناء بظلها الزرزور
طفق الربيع يزورها متخفياً فيفيض منها في الحديقة نور
حتى إذا حل الصباح تنفست فيها الزهور وزقزق العصفور
وسرى إلى أرض الحديقة كلها نبأ الربيع وركبه المسحور

كانت لنا... ياليتها دامت لنا ! أو دام يهتف فوقها الزرزور

قد كنت أجلس صوبها في شرفتي أو كنت أجلس تحتها في ظلتي
أو كنت أرقب في الضحى زرزورها
متهللا ينشى نوافذ حجرتي
طوراً ينقر في الزجاج وتارة يسمو يزرزر في وكار سقيفتي
فاذا رآني طار في أغرودة بيضاء واستوفى غصون شجيرتي
فتى يؤوب هتافه ؟ ومتى أرى نوارك الثلجي يا نارنجتي ؟ !
ومتى أطير إليك ... ترقص مهجتي
فرحاً ... وآخذ مجلسي من شرفتي ؟ !

هيهات لن أنسى بظلك مجلسي وأنا أراعي الأفق نصف منمض
خنقت جفوني ذكريات حلوة من عطرك القمري والنغم الوضي
فانساب منك على كليل مشاعري ينبوع لحن في الخيال مفضض
وهفت عليك الروح من وادي الأسى
لتعبَّ من خمر الأريج الأبيض

هيهات ... لن أنسى ضحى (سبتمبر)
والنحل ينشى نورك المتلالي
ومساء مارس كيف يهبط تلة شفقية ... ممدودة الأظلال
نزل الحديقة تحت أرهام الندى وضفا عليك مطرف الأذيال
فهناك كم ذهبية شفت بها روحي فتاهت في مروج خيال

وهنا تحركت الشجيرة في أسى وبكى الربيع خيالها المهجور
وتذكرت عهد الصبى فتأوهت وكأنها بيد الأسى طنبور
وتذكرت أيام يرشف نورها ريق الضحى ويزرزر الزرزور
وعرائس النارنج تحلم في الندى فيرف فيها طيفه المسحور

وتذكرت عند (السياج) أزاهراً صفراء رفت في ظلال الموسج
« زهر القطيفة » كيف خان عهودها
نسي الهوى من عطرها المتبلج
وتذكرت . في دعشة لما سبا زرزورها منها ولم يتحرج
وهنا نشبت في الشجيرة خاجة وبكت حنيناً للشذا المتأرج

وتذكرت شفقاً توهج حمرة خلل الغيوم على ربا الآصال
وبدت غصون الجزورين كأنها قلع ترفرف في بحار خيال !

وهنا تحركت الشجيرة في أسى وبكى الربيع خيالها المهجور
وتذكرت عهد الصبا فتنهدت وكأنها بيد الأسى طنبور

وتذكرت شجر النخيل وهدهداً قد كان يقصدها صباح مساء
وتذكرت في اليوسفي يمامة كانت تنوح الليلة القمراء

وضفت على كل الغصون سحابة وزكا الغصين وفتح النوار
وتهلل الزرزور في أوراقها وزها السياج وفاحت الأعطار

حلمت بأرض في الخيال سحيقة في ذلك الأفق القصي النائي
خلدت إلى صمت هناك مخيم تسجو عليه خوافق الأفياء
هي جنة الأشجار والأظلال والأ أعطار والأنسام والأنداء

يتزاهر البشنين فوق شطوطها ويغازل الدفلي زهر اللوتس
وعرائس النارنج فاح عبيرها بالنخل تحلم في السكون المشمس
وهناك زرزور يغرد دائماً ويقص أحلام الزهور النعس
يروي لها أسطورة سحرية مما يفوح به خيال النرجس

نارنجتي ! والله مذ فارقتني وأنا حليف كآبة خرساء
أصبحت بعدك في انقباض موحش
وكأنني منه مساء شتاء
تستشرف الأعطار في آفاقها روحي إليك وراء كل فضاء
وترف في دهليز كل أشعة قمراء أو ترنيمة بيضاء

قد كنت أرجو أن تكون نهايتي في ظل هذا السور حيث أراك
ويكون آخر ما يخدر مسمعي زرزورك الهتاف فوق ذراك
ويطوف في غيبوبتي فيفيقني لحن قصير البث من رياك
والآن إذ عجل القضاء فانما سيقوم في الذكرى خيال شذاك

وسرى إلى أرض الحديقة كلها نبأ الربيع وركبه المسحور
كانت لنا ... ياليتها دامت لنا أو دام يهتف فوقها الزرزور

محمد الهمشري



كتاب جديد في التصوف الاسلامي

محي الدين بن العربي من كبار متصوفة الاسلام وأقطاب فلاسفته الذين تركوا ذخيرة فكرية غير ضئيلة ، ولم يتعرض لدرسها غير نفر قليل من أعلام المستشرقين ، فقد تناولوا بعض نواحيها بما هي جديرة به من البحث والتنقيب . وتقوم اليوم جامعة كمبردج بطبع رسالة لأستاذ مصري هو الدكتور أبو العلا عفيفي قدمها منذ بضع سنوات لنيل إجازة الدكتوراه منها وهي
Mystical Philosophy of Mohyi el Din Ibn El Arabi

وقد تناول المؤلف في هذا البحث القيم عدة نواح جديدة في فلسفة ابن العربي ، ودرسها دراسة عميقة ، محللاً ومفسراً وناقداً فقسمها إلى أربعة أقسام .

تناول في القسم الأول « النظرية الوجودية » عند هذا الفيلسوف المسلم ، وهي تتعلق بنظرته للوجود الالهي وبوجود العالم ؛ ثم خصص القسم الثاني منها لنظريته « المعرفة » وبحث فيه عن أنواع المعارف الانسانية عامة والمعرفة الصوفية خاصة وكيف يتوصل إليها ، والذين درسوا التصوف الاسلامي لابد قد أدركوا « غموض المعرفة » وما يحتاج إليه دارسها من صبر طويل في تقصيها من نواحيها المختلفة .

وتناول الدكتور أبو العلا عفيفي في القسم الثالث منها « علم النفس كما يفهمه ابن عربي » وهو باب جديد في دراسة ابن العربي استطاع المؤلف فيه أن ينفذ إلى آفاق جديدة وأن يخرج منها بآراء مستجدة في هذه الناحية المجهولة .

وتناول في القسم الرابع والأخير منها آراءه في الأخلاق والجمال وفي مصير الانسان وفي معنى الجزاء بصورتيه (الثواب والعقاب) وفي الدار الآخرة . ولا مشاحة في أن قيام جامعة كمبردج بطبع هذا السفر للمؤلف المصري دليل على أهمية الكتاب من حيث التحليل والبحث لشخصية تعد في طليعة الشخصيات التي تركت أثراً عظيماً في الفلسفة الاسلامية وفي التفكير الاسلامي ونحت به منحي خاصاً فيه كثير من العمق . (ع . ع)

النظام والخليل في ضحى الاسلام

روى الأستاذ أحمد أمين في كتابه ضحى الاسلام (٣ : ١٠٦) في سياق ترجمته للنظام — عن صاحب كتاب سرح العيون — أن النظام دخل على الخليل بن أحمد وهو صغير ، ثم ساق محاورة جرت بينهما لا يعنينا أمرها ، وإنما يعنينا أن هذه الرواية مدخولة ظاهرة الدخل من حيث إمكان التلاقي بين الخليل والنظام . فأما النظام فقد ذكر الأستاذ في الصفحة نفسها أنه مات سنة ٢٢١ في نحو السادسة والثلاثين من عمره . ومعنى هذا أنه ولد في نحو سنة ١٨٥ وأما الخليل فقد ذكر الأستاذ أيضا في ضحى الاسلام (٢ : ٨٤) أنه مات سنة ١٧٥ ، كما ذكر ابن النديم أنه مات سنة ١٧٠ ، يعني أن بين موته وبين ميلاد النظام عشر سنوات على الأقل .

فرواية سرح العيون لم يكن من اللائق علميا أن يعتمد عليها وخصوصا إذا كانت هذه الرواية قد أوردها الجاحظ في الحيوان (٣ : ١٤٦) بصورة أخرى لم يذكر فيها اسم الخليل .

لعل الذي حمل الأستاذ على الاحتفاء برواية سرح العيون ، وإغفال رواية الحيوان ، هو أن الأولى مفصلة والأخرى مجملة ، وليس هذا بمرجح في التحقيق العلمي ، فلعل ذلك التفصيل هو من قبيل الحمل والتزيد . إن مما يحمل على العجب أن تفضل رواية ابن نباتة في القرن الثامن عن النظام على رواية معاصره الجاحظ فما بال الأستاذ إذا كانت رواية ابن نباتة على ما رأينا من فساد ظاهر ؟

أبو عبادة

رابطة التربية الحديثة

تنوى رابطة التربية الحديثة أن تدعو الأستاذ ادولف فريير وهو من أعلام التربية الحديثة لالقاء بضع محاضرات عامة في هذا الشتاء

وقد تلقت الرابطة من مركزها الرئيسي بلندن قائمة تنظيم الموضوعات التي تشغل بال رجال التربية في الوقت الحاضر وهي :— التنافس والتعاون . المقصود من الحرية في التربية . النظام .

المسئولية والحكم الذاتى . المدرسة كمجتمع . الطرق الفردية فى الفصل . علم النفس الحديث والطفل . الدين والتعليم الدينى . تشغيل الأحداث وبطالتهم . آثام الأحداث . التعبير الذاتى الابتكارى . إعداد المعلم

وستعمل الرابطة على دراسة تلك الموضوعات دراسة علمية فنية. أما أعضاء الرابطة المصريون فقد قام لفيف منهم بدراسة بعض الموضوعات فى إجازة الصيف. ونذكر رؤوس تلك الموضوعات فيما يلى:

التربية الجنسية . مشروع لمدارس الحضانة . تقريرا مان وكلاباريد وما استفادته مصر وما يمكن أن تستفيده منهما . البحث العلمى فى التربية . سجل التلميذ . التفرقة أو التوحيد بين الولد والبنت فى التعليم . مشكلة تعليم اللغات الأجنبية فى مصر . وسائل النهوض بالحياة الريفية . اتجاه جديد فى دراسة الأدب العربى . حاجة مصر للتوجيه المهنى . هل يقوم التعليم الصناعى على أسس صحيحة . التوفيق بين طريقة المشروع والبرامج الحالية فى مصر والخارج . سياسة التعليم بمصر . الروح المدرسية

دار العلوم وكلية اللغة العربية

كتبت فى الرسالة (العدد ٢٨٣) كلمة عرضت فيها بعض الحجج التى تدفع محاولة الأزهر منافسة دار العلوم فى تدريس اللغة العربية بالمدارس ، وتبين تفرد دار العلوم من حيث ثقافتها الشاملة ومن حيث أنها البيئة التى تمد فيهـا وزارة المعارف المعلم على الغرار الذى تتطلبه لمدارسها . فتعرض (أزهرى) فى العدد (٢٨٤) لما سقته فى الكلمة السابقة وناقش المسائل الآتية :

قلت : ليس من المساواة الحقيقية أن يعين الأزهريون فى وظائف التدريس بالمدارس دون أن يعين أبنـاء دار العلوم فى وظائف التدريس بالأزهر . فرد (أزهرى) على هذا بأن فى المعاهد الأزهرية مدرسين من أبناء الدار كثيرين . فهو يحتج بوجود كبار الأساتذة من أبناء دار العلوم الذين انتدبهم الأزهر أو عينهم حين بدىء فى إدخال عناصر ثقافية جديدة فيه . وأنا لم أقصد هؤلاء لأن الأزهر استدعاهم لحاجته الطارئة ، وإنما أعنى الذين يتخرجون فى دار العلوم فى الحال : هل يأخذ الأزهر منهم للتدريس فى معاهده كما يأخذ من المتخرجين فى كلياته ؟ أم هل يجرى بين هؤلاء وهؤلاء مسابقة لذلك ، كما يريد الأزهريون أن يشغلوا وزارة المعارف بإجراء مسابقة — لا مقتضى لها — بينهم وبين أبناء دار العلوم للتدريس فى المدارس ؟

وقلت إن دار العلوم فى عهدها الجديد تنفرد من بين جميع معاهد التعليم بالجمع بين الدراسة العربية المستفيضة ودراسة اللغات الأجنبية والسامية وآدابها . فقال (أزهرى) أن المعهد الجديد يميل بدار العلوم إلى التعاليم الغربية الجامحة التى تباعد بين القديم الخالد وبين ناشئة الأمة . وهذه فلتة من فلتات ما وراء الشعور، فالأزهر يحرص فى هذه الأيام على الدعوى بأنه يعمل على مسايرة روح العصر . وليعلم (أزهرى) أن النهضة الفكرية والأدبية خاصة قامت على الجمع بين الثقافتين العربية والغربية وإنكار ذلك من قبيل إنكار البدهيات ؛ وهذا ما عنيت بالتبرئة من الجمود، أبرأ الله (أزهرينا) منه .

وقال (أزهرى) : لو راجع الكاتب ذاكرته لذكر أن الاتفاق على حلول كلية اللغة العربية محل دار العلوم ، حديث مفروغ منه . فمتى كان هذا الاتفاق ؟ ولم ؟ وفى أى ذاكرة يوجد غير ذاكرة الأحلام ؟ ! والغريب أن يتمثل بعد ذلك بالبيت الذى أصلحت (الرسالة) روايته :

أريد حيـاته ويريد قتلى عذيرك من خليلك من مراد

وهو يريد تنفيذ ذلك الاتفاق الموهوم بالغاء دار العلوم ، فكيف يريد حياتها ؟ !

وبعد فان إخواننا الأزهريين فى مطلبهم ذلك إما أنهم يريدون أن ينفعوا بعلمهم ، وإما أنهم طلاب وظائف فحسب . أما الأولى فان أبناء دار العلوم يقومون بالمهمة خير قيام ، ولا نحسب خريجى كلية اللغة العربية أكثر كفاية من الذين ينتدب الأساتذة من بينهم لتعليمهم ، فيبقى الأمر الثانى وهو أنهم يطلبون الوظائف فحسب ، وهـذا مالا حق لهم فيه ، فان فى ميدان الوظائف الأزهرية ما يكفهم عن مزاحمة أبناء دار العلوم فيما يضيق بهم ، وما خلقوا من أجله .

(ع . ح . خ)

وفاة شاعر شاب

فجع الشباب والأدب فى ليلة الأربعاء الماضى بوفاة الشاعر الوجدانى الرقيق محمد الهمشرى محرر مجلة التعاون بوزارة الزراعة، فكان لنعيه الفاجىء وجوم شديد فى أندية الأدب والصحافة ، لأنه كان أملا من آمال الشعر الحديث، ومثلا من الأمثال الطيبة للخلق والصداقة . وقد نشر الفقيد ملحمة بعنوان « شاطىء الاعراف» واشتهر بقصيدته (جيث الفاتنة) وكان بصدد أن يجمع من شعره ما نشر وما لم ينشر فى ديوان . رحمه الله رحمة واسعة وألهم أهله وصحبه جميل الصبر .

رواية جان دارك

الموضوع : جان دارك ، والمؤلف : برنارد شو ، والمترجم : الدكتور أحمد زكي بك ناقل ذات الكمليا وقصة الميكروب ! فالقارىء لا يدرى من أية جهة يأخذه البيان والفن والسمو ! أخرجتها لجنة التأليف والترجمة والنشر فيما أخرجت من عيون الأدب الغربي فكانت واسطة القلادة . نبادر اليوم باعلان ظهورها إلى قراء الرسالة ، وسنعود إلى الحديث عنها في العدد القادم

رواية بيت

حضرة الأستاذ الأديب الكبير صاحب الرسالة الكريمة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عذيرك من خليلك من مراد أريد حياته ، ويريد قتلى

أوردت البيت على هذه الصورة في كلمتي التي تفضلت الرسالة بنشرها في العدد (٢٨٤) دار العلوم والأزهر — فعلقتم عليه بما نصه : الرسالة : « روي الأستاذ الكاتب هذا البيت على هذا النحو ، وهو لدريد بن الصمة ، وصوابه :

أريد حياته ، ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

وفي الأغاني ج ١٤ ص ٣٢ طبعة الساسي المغربي ، في أخبار عمرو بن معد يكرب ما نصه : « وكان عمرو غزا هو وأُبيّ المرادي ، فأصابوا غنائم ، فادعى أبي أنه قد كان مسانداً ، فأبى عمرو أن يعطيه شيئاً ، وكره أبي أن يكون بينهما شر... فأمسك عنه . وبلغ عمرا أنه توعده ، فقال عمرو في ذلك قصيدة له ، أولها :

أعاذل ، شكتي بدني ورمحي وكل مقلص سلس القياد

إلى أن قال فيها :

ولو لاقيتني ومعي سلاحي تكشف شحم قلبك عن سواد

أريد حِباءه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

وفي أخبار دريد بن الصمة ج ٩ ص ١٢ من الكتاب نفسه ما نصه :

عن أبي عبيدة قال : قالت امرأة دريد له : قد أسننت ، وضعف جسمك ، وقتل أهلك ، وفني شبابك ، ولا مال لك ولا عدة ، فعلى أي شيء تعول إن طال بك العمر ؟ أو على أي شيء تخلف أهلك إن قتلت ؟ فقال دريد :

أعاذل ، إنما أفني شبابي ركوبي في الصريخ إلى المنادى

وبعد أن روى أبياتاً من هذه القصيدة قال :

هذا الشعر رواه أبو عبيدة لدريد ، وغيره يرويه لعمرو بن معد يكرب ، وقول أبي عبيدة أصح . إلى أن قال : « وخلط المغنون بهذا الشعر قول عمرو بن معد يكرب في هذين اللحنين :

أريد حِباءه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

ولو لاقيتني ، ومعي سلاحي تكشف شحم قلبك عن سواد اهـ

ومثل ذلك في معاهد التنصيص ص ٢٢٥ ج ١ ، الطبعة البهية المصرية

فالبيت على رواية سيدي الأستاذ — مع استبدال حباءه بحياته — لعمرو بن معد يكرب ، لا لدريد بن الصمة ، كما قال حضرته ، وقد كنت أجزم بذلك من قبل ، بيد أن شاعراً (أنسيته) أورده على سبيل التضمين ، مقلوباً في قصيدة لامية ، فكانت صورته في نفسي أنسب بمضمون كلمتي ، ولذلك لم أنسبه والأمر سهل ، والعصمة لله وحده

أزهرى

(الرسالة) أجل هو لعمرو بن معد يكرب ، وقد نسبناه إليه في كتابنا تاريخ الأدب العربي صفحة ٢٢

مكتب البعث العربي

إن البسالة العربية التي أعرب عنها المجاهدون العرب في فلسطين، في مواقفهم الدامية وجهادهم الدائب لهي من الأمور التاريخية التي ترفع جبين القومية العربية عالياً وتوقظ في الشعب أحلام الوطنية الصحيحة والتفاني المجيد . ولا شك أن ثورة فلسطين التي هي ثورة الحق على الباطل، وثورة العدل على الظلم، هيأت الأسباب التحريرية الباعثة على النهوض في قابلية العرب الطبيعية الذين منهم الأفراد المهاجرة في الأمريكتين الجنوبية والشمالية ، وأفريقيا الفرنسية والانكليزية وسائر المقاطعات الأخرى ، هؤلاء الأفراد الذين نزحوا بأجسامهم إلى ما وراء المحيطات المائجة الصاخبة ، وتركوا قلوبهم نائرة في أقاليمهم وطافحة بذكر الله وذكر الوطن ؟!

ولذلك فان مكتب البعث العربي — تقديراً لهذا الجهاد المشترك — يضع أمام شعراء العرب هدية نفيسة تقدر قيمتها بخمسين دولاراً أميركياً لأحسن نشيد ينظم للمجاهدين والمهاجرين. وتفسير ذلك أن توضع قطعة نشيد للمجاهد وأخرى للمهاجر يدور محورها على استعراض ما يقوم به هؤلاء من تضحيات هائلة لم يشهدها التاريخ ، على أن ترسل جميع الأناشيد بالعنوان المرقوم أسفل حيث تنظر اللجنة فيها وتقوم باعلان النتيجة في العاشر من شهر إيار — شهر الزهر سنة ١٩٣٩

عبد الله برى

مدير مكتب الشعب العربي العام

A. Berry
1732 Salina St. Dearborn
Mich. U. S. A.

الرســـالة في عامهـــا الســـابع

المجلة التى أحدثت فى الأدب الحديث مدرسة خاصة

المجلة التى ثبتت على مكاره الجهاد والانتقاد والزمن

المجلة التى تنسم باريج الاسلام والعروبة والشرق

المجـلة التى لا تتخلف ولا تتوقف ولا تهن

ستخطو هــذا العــام اوسع خطواتهــا واجرأها

أدب ، علم ، فن ، فلسفة ، اجتماع ، سياسة ، اقتصاد ، قصص ، شعر

نقد ، محادثات ، ريبورتاج ، مترجمات ، مختارات ، أخبار ، مسرح ، سينما

أسرة الرســـالة في سنتهـــا الجـــديدة

الأستاذ العقاد ، الأستاذ المازنى ، الأستاذ توفيق الحكيم ، الأستاذ عبد الرحمن شكرى ، الأستاذ اسعاف النشاشيبى ، الأستاذ ساطع بك الحصري ، الدكتور محمود عزمى ، الدكتور عبد الوهاب عزام ، الدكتور زكى مبارك ، الدكتور محمد محمود غالب ، الدكتور أحمد مومى ، الدكتور يوسف هيكل ، الأستاذ محمد أحمد الغمراوى ، الأستاذ سعيد العريان ، الأستاذ درينى خشبة ، الأستاذ عبد المنعم خلاف ، الأستاذ محمود الخفيف ، الأستاذ عمر الدسوقى ، الأستاذ محمد حسن ظاظا ، الأستاذ أحمد خاكى ، الأستاذ على الطنطاوى ، الأستاذ أنور المعطار ، الأستاذ أمجد الطرابلسى ، الأستاذ الحومانى ، الآنسة أسماء فهمى ، الآنسة زينب الحكيم ، الآنسة الزهرة ، الآنسة فلك طرزي ، الأستاذ محمد لطفى جمعة ، الأستاذ فليكس فارس ، الأستاذ أحمد حسن الزيات .

ادفع من الآن لغـــاية آخر يناير ستين قرشا

تكسب مجلة الرواية ومعها كتاب متوسط بالمجان ، أو كتاب كبير بالتخفيض ، أو مجموعة السنة الأولى والثانية من مجلة الرواية بحيث يصبح اشتراك الرسالة مع هذه الهدايا عشرين قرشاً . والاشتراك فى الخارج هو مثله فى الداخل ، ويزاد عليه ثلاثون قرشاً مصرياً فرق أجور البريد . وسنعلن عن كتب الهدايا فى الرسالة خلال شهر يناير — أما الاشتراك بعد مدة التخفيض فهو ستون قرشاً للرسالة وثلاثون للرواية فى الداخل ، ومائة قرش الرسالة وخمسون فى الخارج للرواية ويخصم فى كل منهما للطلاب ٢٥ ٪ .

تظهر فى ثوبها الجديد : بحروف جديدة ، وطبع متقن .



الفرقة القوميـــة

مديرها وسكرتيرها الفنى

رواية شمشون لا رواية طبيب المعجزات

يرى المقبل على دار الأوبرا رقعة عريضة طويلة مكتوباً عليها بخط يقرؤه الأعشى عن بُعد أمتار «طبيب المعجزات» ويقرأ الناس فى الاعلانات الملصقة على جدران الأوبرا وفى الشوارع وعلى مدخل غرفة بيع التذاكر مايفيد أن هذه الرواية تمثل ابتداء من ٩ لغاية ١٣ من الشهر الحالى

أخذت تذكرتى على هذا الاعتبار وجلست فى مكانى أنتظر مشاهدة تمثيل رواية طبيب المعجزات — درة الموسم — حائزة الجائزة في المباراة

رفع الستار وإذا بالممثلين يمثلون رواية «شمشون» . دهشت لهذه الصدمة الباردة ، ثم عدت فافترضت أيسر الفروض المبررة لهذه الفعلة وأبعدها عن التعسف ، افترضت مرض ممثلين هما بطلا الرواية وقلت : هل يعيق الفرقة مرض ممثلين اثنين عن تمثيل رواية ملأت الاعلانات عنها الشوارع والمنازل ومركبات الترام وصحف القاهرة؟ وسألت : أين الممثلون الاحتياطيون للطوارئ؟

قيل لى إن علاماً الممثل مريض فعلاً، فقلت: أما كان الأخلق بمدير الفرقة الفنى أن يمثل رواية من روايات الموسم، أى يقدم رواية متأخرة بدلاً من تمثيل هذه الرواية التى جمع مؤلفها الفاضل جميع ألفاظ السباب والشتم المعروفة لغة وعرفاً وحشرها فى هذه الرواية الفاضلة ؟ يقول شمشون لخليلته دليلة : « إنى أفرغ فيك شهوتى كأنى أفرغها فى جميع بنات قومك » ، ويقول مصرابيم لكهنة اليهود: « تتوهم دليلة أنى خصمى فى حين أنى .. أموت وجداً بها » ولقد سمعنا مئات من كلمات الفحش والفاسقة والمومس ، والوحش والشهوانى وما إليها من ألفاظ تتناثر من أحاديث شمشون ودليلة . ولعل أغرب من كل ما حوته هذه الرواية الفاضلة من تعابير لا أسمح لقلمى بتدوينها هى أن يجر شمشون خليلته دليلة إلى خبائها فنسمع من وراء الستار زمجرة الشهوة شهوة شمشون، وأنين اللذة أو الألم لذة دليلة، ثم تخرج هى شعثاء الشعر وهو محلول الازار . وهنا يصح أن نسأل حضرات الشيوخ الأفاضل أعضاء لجنة القراءة هل نظروا « النواحى الفنية والخلقية والاجتماعية واللغوية » فى هذه الرواية الفاضلة ؟

أرى الحديث يجذبنى للسؤال (عن المدير الفنى) وذلك بمناسبة الحديث الممتع الذى أفضى به حضرة مدير الفرقة إلى محرر مجلة الصباح بمناسبة استقالة سكرتير الفرقة والاستعاضة عنه بالقائم بأعماله الآن ما نصه : « كان ودى أن تتحقق أمنيتى ، أن أخلق من الفرقة ومن بين أفرادها مديراً فنياً يتولى جميع أعمالها الفنية ويدير شؤونها من هذه الناحية وتكون له السلطة النافذة .. إلى آخره » فهل تحققت أمنيته يا ترى فى إيجاد « السكرتير » الحالى القائم فعلا بالادارة الفنية وغير الفنية، فارتأى هذا بثاقب فنه إرجاء تمثيل رواية طبيب المعجزات لأن بطلها الممثل علام مريض والاستعاضة عنها بتمثيل رواية « شمشون » ثم روايتى فتياتنا سنة ١٩٣٧ ومجنون ليلى وبطلهما الممثل علام المريض ! أم أن هناك

باعثاً فنياً قاهراً أوجب تأجيل عرض رواية طبيب المعجزات استيفاء لأغراض فنيـة ، أو أن هنالك أسباباً غير ما ذكرنا يجهلها مدير الفرقة غير الفنى ويتحدث بها الأدباء والممثلون فى مجالسهم ؟

السكرتير الحالى رجل فاضل يضرع رواية شمشون بالفن والفضل ، ودليل ذلك أنه كان قبل أن يرقى إلى (مقامه) الحالى ، يشرف على نشر الاعـلانات وإلصاقها فى الشوارع ، وهو هو صاحب الاعلان المشهور عن رواية « الفاكهة المحرمة » فقد طبعه وحده — على ما نقل إلى — ووزعه وألصقه على الجدران ولم ينتبه للغلطة العربية الفاضحة « تأليف الأستاذان » إلا بعـد أن ضج الناس وهرعوا إلى التلفون ينبهون مدير الفرقة إلى هذه الغلطة الشائنة

ما كنت أقصد ذكر هذه الحادثة الفردية التى تدل على مدى فضل « السكرتير الفنى » الذى اصطفاه مدير الفرقة لولا اتصالها بلب موضوعى وهوالفوضى المطلقة فى الجهل المطلق للفن المسرحى

عرف مدير الفرقة غلطة من اختاره ليكون خير خلف لخير سلف فهل غضب لها ؟

كلا لم يغضب ، بل أمر — أدام الله دولته — بطبع الاعلان صحيحاً من الغلط وأن يلصق فوق الاعلان الأول ليستر فضيحة الجهل بأبسط قواعد اللغة

ولم الغضب ، وأجرة استعادة طبع الاعلان وتوزيعه وإلصاقه لا تقلل كثيراً ولا قليلا من مبلغ الخمسة عشر ألفا من الجنيهات المنتزعة من الأمة ، المرصـدة على « تكية » التمثيـل وإعاشة المرتزقة . إن أجرة الاعلان المغلوط لا تساوى عشر ثمن رواية واحدة من الروايات التى فرضتها لجنة القراءة على مدير الفرقة كما يقول هو ، أو التى قبلها هو ودفع ثمنها ليدفنها فى أدراج مكتبه

أعرف عشرات من هذه الروايات المدفونة، أذكر منها الأجنبية لمعربها جورج سمان، والصدر الأعظم لمصنفها شوكت التوني المحامى، ووحيد لمؤلفها حسين عفيف المحامى وغيرها لمحمود كامل المحامى صاحب مجلة الجامعة وسواه من أنداده. فما قيمة أجرة إعلان ضاعت سدى إزاء أثمان هذه الروايات التى لا تقل أدناها عن خمسين جنيهاً ؟ !

لست أحاول النيل من أدب الأدباء الذين أهملت رواياتهم ولا القول البات بأن مدير الفرقة دفن هذه الروايات دفناً أبدياً ، بل أشعر بالواجب الأدبى يدعونى إلى السؤال عن معنى الرجوع إلى الروايات القديمة وعنـد مدير الفرقة عشرات من الروايات التى لم تمثل بعد . فهل فى ذلك سر غير سر الوحى الذى يطيب للمدير أن يتلقاه من موح جديد يرتاح إليه كما يرتاح الشعراء إلى وحى شيطانهم ؟

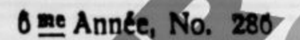
هل لاحظت لجنة التحقيق بوزارة المعارف هذا الضرب من الاسراف والتبذير ، أو الاعانة الفردية على حساب الأمة ؟ هل فكرت فى حصر المبالغ التى دفعتها الفرقة ثمنا للروايات فعرفت ما مثل وما دفن منها ؟

ابن عساكر



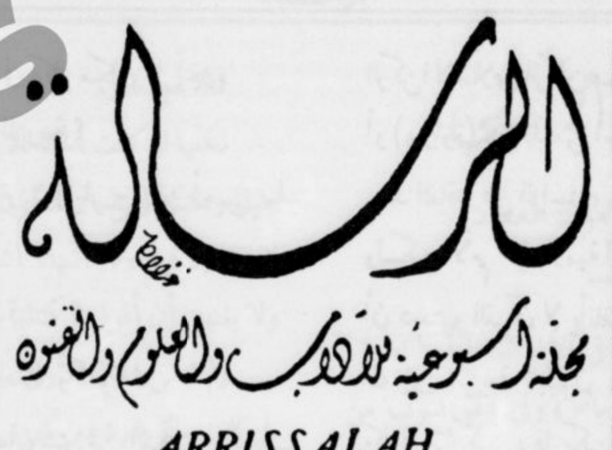
6 me Année, No. 286

Lundi - 26 - 12 - 1938



بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ٢٨٦ «القاهرة فى يوم الأثنين ٤ ذى القعدة سنة ١٣٥٧ — ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٣٨» السنة السادسة

الفهـــــرس

تنظيم الاحســـان

الإحسان فى مصر — وإن شئت قلت فى بلاد الإسلام — فوضى . وإذا كان للفوضى نظام فهو أن ينال المستطيع ويدرك السريع ويظفر المُلِح. والبؤس يسلب المُنّة ويعقل القدم؛ فلا يغشى مساقط الندى ومهابط الرحمة إلا من اتخذ الفقر تجارة والتكفف حرفة . أما الذين وارام التعفف وأقعدهم العجز ، فهم يتضاغون من السغوب وراء الحجب ، فلا تبصرهم عين ، ولا تسمعهم أذن . والناس من هؤلاء العاجزين المتعففين ، وأولئك القادرين المتكففين فى مأساة تبكى وملهاة تضحك !

دخل علينا القهوة ذات مساء فتى ريّانُ الجسم بالشباب والصحة ؛ على رأسه طربوش ، وحول عنقه كوفية ، وفى يده خيزرانة ؛ فحيا بأدب وضراعة ، ثم أخذ يسترحم القلوب ويستندى الأكف بأسلوب يخبُل العقل النير ويختُل الطبع الحريص . وكان خطابه التمثيلى المؤثر يدور على عزته التى لا تألف الهُون ، وأسرته التى لا تصيب الدُّون ، وكفايته التى لا تجد العمل ... فأعطاه بعض من فى المجلس ، ثم استدناه صديق من أهل السراء وأرباب الضياع وقال له :

— لِمَ لا تطلب العيش من طريق أخلق بالرجولة وأليق بالكرامة ؟

— طلبتُ العمل يا سيدي في كل مكان فلم أجده

— أتقبل العمل عندى فى المزرعة ؟

فبدا على الفتى شىء من التردد والحرج لأنه أحس الجد فى لهجة الرجل ، ولكنه سأل :

— وماذا يعطينى البك إذا قبلت ؟

— ثلاثة جنيهات غير طعامك وكسوتك

فابتسم الفتى ابتسامة فيها معان شتى من الدهش والعجب والتهكم ، وقال وهو يدنى فمه من أذنه كأنما يريد أن يساره :

يا سيدي ، إنى أسأل فى اليوم الواحد ألفاً على الأقل ممن أتوسم فيهم رقة القلب وكرم الهزة ؛ فاذا أعطانى مائة وردنى تسعمائة تجمّع لى من ذلك فى الشهر خمسة عشر جنيها، أصيبها وأنا فى القاهرة أتقلب بين مطاعمها ومقاهيها ، وأتمتع بمناعمها وملاهيها . فكيف تريدنى على أن أقبل ثلاثة جنيهات فى الريف على عمل قذر متعب بين الأجلاف والبهائم ؟

أرأيت ؟ خمسة عشر جنيها يجبيها من الأغرار هذا المتبطل المتعطل وينفقها فى الخمر والقمر والحشيش ، ومئاتٌ من الأسر الكريمة تكابد عبث الأقدار أو خطأ الأغيار فلا تجد مواسيا فى معروف الأحياء ، ولا فى موقوف الموتى ! وخمسة عشر ألف فدان يقتنيها ذلك الغنى الشره ينفق ريعها الفياض على وساوس غيه وهواجس أحلامه ، ومن حوله ألوف وألوف لا يدرون من طول الحرمان لماذا شق الله لهم الأفواه وجوّف فيهم الأبطن !

هذا البليد الملحف ، وذلك الجمّاع الطماع هما اللذان أكلا نصيب العاجز من رزق الله ! فلو أن السائل المحترف ترك نفحات الأيدى للفقير ، والغنى المنهوم عف عن فضول الرزق للعاجز ، لما رأيت عليها رجلاً يشرَق بالدموع بجانب آخر يشرق بالشمبانيا ! ولكن النفس البشرية تؤثر الجانب الأيسر من العيش، وتطلب النصيب الأوفر من المتاع، فلا بد من سلطان يقيم المعدلة بين الساعى بقوته والقاعد لضعفه . ومن ثمّ جعل الاسلام تنظيم العلاقة بين الغنى والفقير ركناً من أركانه الخمسة، يصلح به وبالحج أمر الجماعة، كما يصلح بالصلاة والصيام أمر الفرد . وكان هذا الركن الإسلامى الركين عسيًّا بعناية أولى الأمر يجملونه (مصلحة) أو (وزارة) ، تأخذ من أموال الناس صدقة تزكى النفوس من حقد الفاقد على الواجد ، وتطهر المجتمع من بغى طبقة على طبقة . ولكن الأمم الإسلامية الحديثة توزعتها الجهالة والذلة ، فحسبت أن دستور القرآن لا يأتلف مع المدنية الغالبة ؛ فتركت شريعة الله إلى شريعة نابليون ، وهجرت سياسة الرسول إلى سياسة كارل مَرْكس ، فلم يكن بدٌّ من قسوة الأكباد لجفاف القانون، وثورة الأطماع من شدة التنافس . وليست الرهبانية من نظم الإسلام حتى تقوم الراهبات بما لم تقم به الحكومات من جمع الزكوات وتوزيعها على صرعى الفاقة وأسرى المرض ، فكان ما لا حيلة فى اتقائه من فوضى الإحسان ، فحبس عن غير أهله ، وحل فى غير محله ، وذهب كله للمتشردين فى الطرق ، والمحتالين فى البيوت ، والمتبطلين فى المساجد

إن فريضة الزكاة فى الاسلام هى الفرق بين الدين والقانون، وبين الشرق والغرب ، وبين الانسان الذى يعيش بالروح والانسان الذى يعيش بالآلة . فمن المحتوم على دولة تطمح إلى الخلافة أن تُلزم بها الناس لتكون حكومتها للشعب كله . وإلا فما جَداى أن أقول إن لى دولة دستورها المساواة وقانونها العدل ، ووطنا ثراه الذهب وماؤه الكوثر ، وأنا محروم لا أنتفع بخير الحياة ، ومهضوم لا أتمتع بحقوق الحى ؟

إما أن تقولوا إن من عجز عن واجب السعى نزل عن حق الوجود ، وإما أن تنصفوا بعض الناس من بعض فيشعروا أنهم عباد لإله واحد ورعايا لملك واحد . أمّا أن تتعدد الآلهة فيكون لكل أرض إله وهو المالك ، وتتنوع الملوك فيكون لكل عمل ملك وهو المموّل ، فذلك ما لا يطيب به عيش ولا يصلح عليه أمر

إفرضوا الإحسان كما فرضه الله ، ونظموه كما نظمته الشريعة ، واجبوه كما جباه الراشدون ، ووزعوه كما وزعه القرآن ، تضمنوا للفقير سكون الجوف ، وللغنى زوال الخوف ، وللأمة بأسرها السلام والوئام والمحبة

احمد حسن الزيات

المـــذياع الآدمى

للأستاذ عباس محمود العقاد

حالة نفسية غير نادرة ، ولا سيما فى الأيام القاتمة أو الماطرة .

على الأفق البعيد رباب مسف جاثم ، وفى الجو شوب من ضباب كالغبار يحجب صفاء السماء ، والأشجار هنا وهنالك كأنما تتوارى من الناس ، وعلى النفس سآمة قانعة لا تتحرك كأنها فرغت من النقاش والسؤال عن الأسباب ، وخلصت إلى اليقين والقرار ، وكل شىء عبث ... وكل عمل عقيم . . وما هذه الدنيا القائمة بالباطل ، وما هذا العناء فى غير طائل ؟ باطل الأباطيل ... قبض الريح ... متاع الغرور !

حالة غير نادرة

لكنها لو كانت الحالة الأولى من نوعها لجعلتها فلسفة حياة وصبغت بها وجه الكون ، وبسطتها على الدنيا ، أو قبضت الدنيا حتى انطوت فيها ، وكنت من المتشائمين

لم تكن الحالة الأولى من نوعها، فلهذا لم تكن فلسفة باقية، بل كانت حالة عابرة غير نادرة ، واستطاعت النفس أن تنتزع منها زاوية صغيرة يهمس فيها هامس مسموع مستجاب : كلا ! ليست الدنيا كذلك . ليست الدنيا كذلك ... إنمـا هى نوبة تزول ، وركود راحة بعد جهاد ، أو ركود استجمام قبل وثوب

* * *

وحالة أخرى غير نادرة ، ولا سيما فى أيام الاشراق والنضرة والاقبال ، صيفا كانت أو شتاء ، وربيعا كانت أو خريفا . فهى شائعة موزعة بين جميع المواسم والفصول

لمسة الشعاع على الصخرة اللقاة تبعث الفرح من أعماق السريرة ، ورجفة الورقة على الغصن رقص وانتشاء ، ومشية المسرع استطارة سرور ، ومشى المتأنى فكأنه يتملى متعة المشى ويستوفى نعمة الرياضة ، ومنظر الشجرة كأنها بانفة تنطلق فى السماء ، وليست بالجاثمة المقيدة بالغبراء ، وكل شىء حسن كما هو فى غير حاجة إلى تفسير أو عاقبة منظورة ، وليس فى الامكان أبدع مما كان

حالة غير نادرة

لكنها لو كانت الحالة الأولى من نوعها لجعلتها كذلك فلسفة حياة ونفثتها فى ضمائر الكون ، ورأيت الدنيا معها فردوسا سماويا لا حدود فيه ولا انتهاء لمشاهده ومعانيه ، وكنت فى عليين ولا يغنيني أن أقول : كنت من المتفائلين

ولم تكن الحالة الأولى من نوعها فلهذا لم تكن فلسفة باقيـة بل كانت حالة عابرة غير نادرة ، واستطاعت النفس أن تملك زمامها وهى إلى جوارها فلا يزال فيها هامس مسموع مستجاب يردد فى غير إلحاح ولا إعنات: كلا . لست فى عليين، لست فى عليين !

* * *

أ إذا عرفنا أسباب الحالة الأولى جاز لنا أن نقول: إنمـا هى ضلالة فى الحس من أثر الغيم أو من أثر السوداء أو من أثر المعدة الشاكية ؟

كلا . لأن معرفة السبب الذي يريك الشىء لن تنفى وجوده ، كما أن شعورك بألم الآخرين من أجل القرابة بينك وبينهم لا ينفى أنهم متألمون وأن الألم موجود هناك . ثم نقترب من المحسوسات فنقول إن رؤيتك الجراثيم بالمجهر وعلمك بأن المجهر هو سبب الرؤية لا ينفى الجراثيم ولا ينقض صحة ما تراه

وكذلك الحالة الثانية لا يدحضها أن تعلم أسبابها ، وهى الاشراق والصحة وامتناع الأكدار والأحزان ، فان العلم بأسباب إحساس من الأحاسيس لا يقدح فى حقيقته ولا فى صواب الشعور به حيث كان .

* * *

لذلك أقول إن السريرة الآدمية كالمذياع ، وإن الدنيا المحزنة والدنيا المفرحة ودنيا القنوط ودنيا الرجاء موجودة لا تظهر للنفس إلا حين يصل المفتـاح إلى وجهته المرسومة ، وإلا فهى صمت وخفاء

فى النفس الانسانية متسع لجميع العوالم ، ولكنها تتهيأ لكل عالم من هذه العوالم بحالة من الحالات ، أو بمفتاح من المفاتيح ، فاذا هو موجود مسموع منظور محسوس ، وإذا أنت لا تسمع غيره ولا تعيش فى غـيره ، لأن إدارة المفاتيح كلها هى الفوضى التى يبطل فيها الاحساس ، ويفسد فيها التعبير المفهوم ، فهو إذن لغط وأصداء

إن كنت تسمع حديث القاهرة فليس معنى هذا أن حديث باريس باطل ، وإنما معناه أن المفتاح فى هذا الاتجاه وليس فى اتجاه غيره ، وحديث باريس بعد ذلك صادق عند أناس آخرين صدق حديث القاهرة ، وغيره من الأحاديث

وإن كنت فى دنيا من دنياوات الاقبال والتفاؤل فليس معنى ذلك أن دنيا السآمة والقنوط عدم وضلال ، وإنما معناه أن المفتاح هنا ، وأنه لو تحول قليلاً لأصبح هناك ! !

* * *

امتناع الحس لا يدل على امتناع المحسوس

وبهذا نفسر العبقرية التى ترى الأخيلة والشكول والمعانى والتوفيقات حيث لا يبصرها أحد ولا يسمعها أحد ولا يدرى بها أحد ، ولكنها تظل فى صمتها وخفائها حتى تصادف من يدرى بها ويستمع إليها ، فهى موجودة له معدومة لسواه

وبهذا نفسر الصوفية التى تلمح من الخفايا ما ليس يلمحه المصاقبون والجيران ، وتقترب من الآمال والمخاوف قبل أن يقترب منها المزاملون والرفقاء ، وتبصر بعينى « حزام » والناس من حولها ضاحكون لا يصدقون ، وإن قال لهم ألف قائل :

إذا قالت حزام فصدقوها فان القول ما قالت حزام

لأن ما يرى بالعين على مسيرة يوم سوف يرى بالعين على مسيرة ساعة . أما ما يرى بالسريرة فقد تكثر فيه المغالطة والمكابرة كلما اقترب واقترب حتى تتناوله جميع السرائر : أهذا الذى أنبأتنا به ؟؟ لا . إنك أنبأتنا بغير هذا ، ولن تزال فى ضلالك القديم ! !

* * *

ولنهبط من العبقرية والصوفية إلى المشاهد الملموسة فى حياة الحيوان .

فأين من الناس من يشعر بأن ملامسة اليد للمنديل تترك فيه أثراً من الرائحة المحسوسة يشمها الأنف بعد أيام ؟ وأين من يثبت لهم ذلك لولا أن شاهدوه وكرروا شهوده من بعض الحيوان ؟ ؟

أفينقض « وجود » تلك الرائحة أن يقول قائل : بل ما أدركها ذلك الحيوان إلا لأنه كلب يشم بحاسة الكلاب ؟

أفينقض « وجود » تلك المعانى والتوفيقات أن يقول قائل : بل ما أدركها ذلك الناظم أو ذلك الموسيقى إلا لأنه مجنون مخبول ؟

فلم لا يكون الخبل المزعوم هو المفتاح الذى يوجه السريرة إلى وجهة تلك المعانى والتوفيقات ؟ ؟ ولم ننكر « المحطة » لأننا لا نملك المفتاح وإن رأينا من يسمعها ويروى لنا ألحانها وأناشيدها فى تناسق وانتظام ؟

فالعالم حافل بما يحس ويشعر

حافل بالمنظورات وإن لم يشهدها كل نظر ، وحافل بالمسموعات وإن لم تسمعها كل أذن ، وحافل بالطعوم وإن لم يذقها كل لسان ، وحافل بالحياة وإن لم تتصل بها اتصال التعاطف والتفاهم كل حياة

فلم لا نقول على هذا القياس إنه حافل بالمعانى ، وحافل بالمدركات ، وحافل بالوحى والتعبير ، وإن العبقرى له حاسة فى الروح تلتقط هاتيك المعانى والمدركات من حيث لا يحلم أحد بوقعها هناك ؟ ؟

لم لا نفهم أن المحسوسات الذهنية التى تتناولها العبقرية لن تنفد بالتقاط الأذهان منها لأنها ليست بأجسام ، وأن الشىء الذى ليست له مادة تنفد لن يرى على وضع واحد بل يرى على ألوف الألوف من الأوضاع حسب من ينظرون إليه وينفذون فيه ؟

لم لا نكون الدنيا مفرحة محزنة ، عادلة ظالمة ، منظومة مشتتة ، لأن هذه المعانى لا تتناقض فى عالم الالهام كما تتناقض السوداء والبيضاء فى عالم العيان ، وإنما يصعب التوفيق بينهما فى إلهام واحد كما يصعب التوفيق بين مفاتيح المذياع ، فنخرج إذا أدرناها جميعاً من الفهم والنظام ، إلى أصداء لا تقبل الفهم ولا النظام ؟

* * *

إذا مرت بي حالة عابرة إلي جانب الحزن والقنوط قلت هى حالة صادقة فى مفتاحها

وإذا مرت بى حالة عابرة إلى جانب الفرح والرجاء قلت هي أيضا حالة صادقة فى مفتاحها

ولم أقل إن العالم السرمدى ينحصر فى هذه أو فى تلك ، ولكنى أتلقى درساً من المذياع وأومن بأن السريرة الانسانية أكبر — على الأقل — من صندوق الكهرباء ، وإن عالم الادراك أكبر — على الأقل — من مراكز الاذاعة ، وأن الوصلة بين الطرفين أكثر على الأقل من الموجات القصار والوسطى والطوال .

عباس محمود العقاد

مصر والعــــروبة

للدكتور طه حسين بك

« أخى العزيز

قرأت مقال الأستاذ ساطع الحصرى بك فى رسالة الاثنين الماضى ، وأظن أن من حق عليك أن تنشر ردى على هذا المقال ، وما أرى أنك تبخل على بهذا الحق

وهذا الرد فصل من كتاب (مستقبل الثقافة) الذى سيظهر بعد أيام ، فهو إذن قد كتب وطبع قبل مقال الأستاذ الحصرى ... ولك أصدق المودة وأخلص الاخاء »

طه حسين

قد أشرت منذ حين إلى أن من الحق على الدولة المصرية للثقافة أن تذيعها فى طبقات الشعب المصرى من جهة ، وأن تتجاوز بها الحدود المصرية إلى الأقطار التى تستطيع أن تسيغها وأن تنتفع بها من جهة أخرى

ولأمر ما قالت بعض الأقطار الشرقية لمصر إنها زعيمة الشرق العربى ، ولأمر ما صدّقت مصر ما قيل لها . فان كان هذا حقاً فان له نتائج يجب أن تنشأ عنه وتبعات يجب أن تترتب عليه . وإن لم يكن هذا حقاً فان من الواجب علينا أن نحققه لأن فيه تحقيقاً لكرامتنا من ناحية ، ولأن فيه ارتفاعاً عن الأثرة التى تليق بشعب كريم . والشئ الذي لا شك فيه هو أن الله قد هيأ لمصر من أسباب القدرة على إحياء الثقافة ونشرها ما لم يهيء لغيرها بعد من الأمم العربية . فما لا يليق بالمصريين وقد تسامع الناس بأنهم كرام ، وزعموا هم لأنفسهم أنهم كرام أيضاً ، ممـا لا يليق بهم أن يؤثروا أنفسهم بما أتيح لهم من الخير ويختصوها بمـا أتيح لها من النعمة ، وإنما الذى يلائم كرمها وكرامتها وما تطمح إليه من المثل الأعلى أن يكون حديثها ملاءماً لقديمها، وأن تكون مشرق النور لما حولها من الأقطار، وأن تكون البلد الذى تهوي إليه أفئدة الراغبين للعلم والراغبين فيه

وقد يظن المصريون أنهم يبلون فى سبيل ذلك بلاء حسناً . فأحب أن أصارحهم بأنهم لم يفعلوا فى سبيل ذلك شيئاً

إن الأقطار العربية تقرأ ما ينشر في مصر من الصحف والكتب والمجلات ، ولكن مصر لم تصنع إلى الآن شيئاً لتيسر لهذه الأقطار قراءة كتبها وصحفها ومجلاتها . ولعل من هذه الأقطار ما يلاقي كثيراً من الجهد في الظفر بحاجته من هذه الكتب والصحف والمجلات . ولوقد يسرت مصر للأقطار العربية قراءة آثارها المطبوعة لما بلغت من خدمة الثقافة إلا أيسرها وأهونها ، على أن ذلك يعود عليها بالمنفعة المادية والمعنوية جميعاً

نعم ، إن مصر تيسر لبعض البـلاد العربية استدعاء بعض المعلمين ، ولعلها تنفق فى ذلك شيئاً من المال ، ولعلها تجد فى ذلك شيئاً من الجهد ، ولكن هذا من أيسر الأمر أيضاً . وتبعات المركز الممتاز الذى أتيح لها بين الأقطار العربية تفرض عليها أكثر من ذلك . ولست أذكر إلا أمرين اثنين ، أحدهما قد أخذت مصر بأسبابه ولكن فى بطء وتردد ، وهو فتح أبواب مدارسنا ومعاهدنا للطلاب الشرقيين والعناية بهم إذا وفدوا على بلادنا ، لا بأن نيسر لهم طلب العلم فحسب بل بأن نيسر لهم حياتهم فى مصر أيضاً . وإنى لأوازن بين ما تصنعه البلاد الأوربية لتحقيق العناية بالطلاب الأجانب وما نصنعه نحن فأوازن بين الوجود والعدم . ومع ذلك فأوربا حين تعنى بالطلاب الأجانب إنما تنشر الدعوة لنفسها وتستقدم الأجانب لينفقوا فيها أموالهم وليعودوا منها وقد تأثروا بها وأصبحوا لها رسلاً فى بلادهم . فأما نحن فلسنا فى حاجة إلى نشر الدعوة لأننا لا نطمع فى شىء ، ولأن الدعوة المصرية تنشر نفسها فى الأقطار العربية لما تقوم عليه من الحب والمودة والإخاء . وإنما يجب علينا أن نيسر لطلاب الأقطار العربية الدرس والاقامة فى مصر أداء للحق ونهوضاً بالواجب ووفاء للأصدقاء وصرفاً لهؤلاء الأصدقاء عن الرحلة إلى أقطار الغرب إن وجدوا فى هذه الرحلة مشقة أو عناء .

والأمر الثانى دعوت إليه مراً منذ أكثر من عشرة أعوام حين تولى حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا وزارة المعارف للمرة الأولى . فقد شهدت مؤتمراً للآثار عقد فى سوريا ولبنان وفلسطين . فلما عدت رفعت إلى الوزير تقريراً خاصاً طلبت فيه أن تنشئ مصر مدارس مصرية للتعليم الابتدائى والثانوى فى هذه الأقطار . وكان الذى أثار فى نفسى هذا الاقتراح ما رأيته من السلطان المقلى للمدارس الأجنبية على هذه الأقطار . وكنت أرى أن العقل المصرى أقرب إلى العقل السورى والفلسطينى وأحرى أن يتصل به ويؤثر فيه تأثيراً حسناً من العقل الأمريكى أو الفرنسى . ولكن وزير المعارف حينئذ نبهنى باسماً إلى أن ذلك

ليس ميسوراً ، فقد تريده مصر ولكن السياسة الأجنبية ستأباه من غير شك . وكان هذا حقاً حينئذ ، فأما الآن وقد عقد بيننا وبين أوربا اتفاق مونترو، وقد ظفرت سوريا ولبنان ببعض الحرية، واستقلت العراق ، فما أرى أن مصاعب سياسية تقوم دون هذا النوع من التعاون الثقافي بين الأقطار العربية التي يجمعها وحدة اللغة والدين والمثل الأعلى ، والتي تشترك في منافع اقتصادية عظيمة الخطر .

ما أظن أن السياسة الوطنيـة لهذه الأقطار تكره أن تنشأ فيها مدارس مصرية تحمل إلى أبنائها ثقافة عربية شرقية ، ويحملها إليهم معلمون شرقيون مثلهم وعرب مثلهم يتحدثون إليهم بلغتهم ويشاركونهم في الذوق والميل والشعور . وما أظن أن السياسة الأوربية تمانع في ذلك وقد تم الاتفاق بيننا وبين أوربا على أن تستقر في بلادنا مدارس أوربية وتستمتع بكل ما يمكنها من النهوض بمهمتها في حدود القوانين المصرية، وعلى أن يكون التبادل أساساً لهذا الاتفاق

وواضح أننا لا نريد أن ننشئ مدارسنا المصرية في فرنسا أو انجلترا أو إيطاليا ؛ ولكن من حقنا أن ننشئ المدارس المصرية في البلاد العربية التي تتأثر بسلطان هذه البلاد ونفوذها تأثراً قليلاً أو كثيراً

ومن المحقق أننا إذا أنشأنا المدارس المصرية في الأقطار العربية فسننشئها وسنسيّرها على النحو الذي نحب أن تنشأ عليه المدارس الأجنبية في بلادنا وأن تسير عليه أيضاً . سننشئها على أنها معاهد للتعاون الثقافي بيننا وبين أهل هذه البلاد ، لا يستأثر المصريون وحدهم بالعمل فيها ، بل يستعينون بمن يقدرون على معونتهم من الوطنيين . ولا نفرض فيها الجغرافيا المصرية والتاريخ المصري دون الجغرافيا الوطنية والتاريخ الوطني، وإنما تكون معاهد ينشأ فيها الوطنيون لأوطانهم لا لمصر ، وحسب مصر أنها تعين على ذلك وتشارك فيه وتؤدي ما عليها من الحق لجيرانها وشركائها في اللغة والدين والاقتصاد ، وحسبها أن تظفر منهم بالحب والمودة والاخاء

وقد يقال إن أعباء الدولة المصرية أثقل من أن تسمح لهـا بمثل هذا التوسع في إذاعة الثقافة خارج حدودها على حين أنها في أشد الحاجة إلى إذاعة الثقافة داخل هذه الحدود . وقد يكون هذا حقاً من بعض الوجوه ، ولـكن من الحق أيضاً أن لحياتنا المستقلة تبعاتها ، وأن التقصير في النهوض بهذه التبعات لا يلائم ما نزعمه لأنفسنا من الكرامة والزعامة

ومما لا شك فيه أن هذه المدارس إن أنشأناها ستكون أنفع لمصر وللبلاد التي تنشأ فيها من كثير من القنصليات والمفوضيات التي نبثها في أقطار الأرض ولا نـكاد نجني منها ، ولا تـكاد البلاد التي نبثها فيها تجني منها نفعا

ومما لا شك فيه أيضاً أن العبء المالي الذي يتبعه إنشاء هذه المدارس لا ينبغي أن يقع كله على الدولة وإنما ينبغي أن يشارك فيه القادرون على هذه المشاركة من المصريين أولا ومن الوطنيين ثانياً . وحسب الدولة أن تعينها معونة قيمة بالمال والرجال

على هذا النحو تحمل مصر تبعاتها وتنهض بواجباتها الثقافية ، وتلائم بين حديثها وقديمها ، فقد كانت مصر فيما مضى من العهود الاسلامية مصدر الثقافة والعلم للأقطار العربية في الشرق القريب . لم تقصر في ذلك إلا حين اضطرها السلطان العثماني إلى التقصير فيه . فأما الآن وقد استردت استقلالها فيجب أن تسترد مكانتها الثقافية في الشرق القريب . وهناك بلاد عربية لم ينشئ فيها الأجانب ولا يستطيعون أن ينشئوا فيها المدارس والمعاهد ، ولا يجد أهلها فضلا من المال ينفقونه في تنمية الثقافة كما ينبغي . فالحق على مصر أن تسرع إلى معونة هـذه البلاد وألا تدخر جهداً إلا بذلته في هذه السبيل ، وهذه البلاد هي الحجاز وبلاد الدولة العربية السعودية بوجه عام . وما أشك في أن المصريين يرضون كل الرضى عن إنشاء مدرستين على أقل تقدير ، إحداهما في مكة والأخرى في المدينة ، بل ما أشك في أنهم يتجاوزون الرضى إلى البذل والانفاق . وقد علمت أن أهل الحجاز أنفسهم يتمنون ذلك ويلحون فيه

وليس هـذا كل ما ينبغي أن تنهض به مصر لنشر الثقافة في الأقطار العربية ، بل هناك شيء آخر قدعم الشعور به واشتدت الحاجة إليه حتى أخذت وزارة المعارف تفكر فيه وتستعد له وهو : التعاون على تنظيم الثقافة وتوحيد برامجها بالقياس إلى الأقطار العربية كافة . يدعو إلى ذلك حاجة هذه البلاد إلى توحيد الجهود ما دام مثلها الثقافي الأعلى واحداً ؛ ويدعو إلى ذلك أن التعليم العالي في مصر قد بلغ من الرقي درجة تدعو إليه طلاب العلم في الأقطار العربية ، والتعليم العالي في مصر نظم دقيقة شاقة قد تحول بين هؤلاء الطلاب وبين الانتفاع به والظفر بإجازاته

ودرجاته، فلا بد من أن يهيأ هؤلاء الطلاب لهذا التعليم تهيئة حسنة تلائم تهيئة المصريين له. وقد اجتمع فريق من قادة الرأى الشرقي العربي منذ أكثر من عام فى لجنة التأليف والترجمة والنشر وتشاوروا فى ذلك كما تشاوروا فى غيره من ألوان التعاون الثقافى، ورسموا لذلك خطة وشرعوا له نظاماً. ثم أخذت وزارة المعارف تفكر فيه وتستعد للدعوة إلى مؤتمر عربى شرقى . والذى أرجوه أن يكون انعقاد هذا المؤتمر دورياً وأن يكون هذا المؤتمر متنقلا فى الأقطار العربية على نحو ما يسير عليه المؤتمر الطبى الذى أنشىء منذ حين .

وقد شهدت فى العام الماضى — ممثلا لوزارة المعارف — مؤتمر اللجان الوطنية للتعاون الفكرى ، فتحدثت فيه إلى المؤتمرين بأن مصر تستطيع أن تكون مركزاً من أهم المراكز لهذا التعاون الفكرى إذا نهضت بتبعاتها الثقافية نحو الأقطار العربية . ذلك لأنها بحكم مركزها الجغرافى وبحكم نهضتها الحديثة أصدق صورة لما تطمح إليه عصبة الأمم من هذا التعاون الفكرى الخالص الذى يقارب بين الأمم ويلغى ما بينها من الفروق ويرتفع بحياتها العقلية عن ألوان الخصومة وضروب النزاع . فالجامعة المصرية مثلا بيئة تلتقى فيها الثقافات الانسانية كلها تقريباً ، يحملها إليها أساتذة ممتازون من المصريين ومن الأوربيين على اختلاف أوطانهم ومذاهبهم فى السياسة والدين والاقتصاد . وهذه الثقافات كلها تلتقى وتمتزج وتصهر فى العقل المصرى الذى يسيغها ويتمثلها ويطبعها بعد ذلك شيئاً ما بطابعه المصرى الخاص . وهو قادر بعد هذا على أن يذيعها فى بلاد الشرق شرقيــة غربية عربية أوربية بريئة مما يفسد الثقافة عادة من التعصب والهوى .

وقد وقع هذا الحديث من المؤتمرين موقعاً حسناً . فهل يقع هذا الحديث من المصريين أنفسهم موقعاً حسناً ، وهل يشعر المصريون بأن فرصة ذهبية كما يقال تتاح لهم الآن ؟ ، فلكل شر أثر حسن ، والشر أن حاجتنا إلى الأوربيين لا تزال شديدة فى التعليم ، والأثر الحسن لهذا الشر أننا نستطيع أن نكون رسل العلم والثقافة والأمن والسلم والتوفيق بين الشرق والغرب جميعاً .

فاذا أرادت مصر أن تنتهز هــذه الفرصة فذلك يسير عليها لا يحتاج إلا إلى أن تعنى بتقوية الصلة بينها وبين لجنة التعاون الفكرى فى جنيف ومعهد التعاون الفكري فى باريس من جهة ، وبينها وبين البيئات والمعاهد العلمية فى الشرق العربى ، بل فى الشرق الاسلامى من جهة أخري .

طه حسين

الحــــج

للدكتور عبد الوهاب عزام

كان سلفنا إذا أرادوا الحج تأهبوا لسفر شاق ، وغاية بعيدة وتزودوا لشهور عدة ، ووطنوا أنفسهم على ما يلقون من المشقات والشدائد والأخطار . كان المصريون يذهبون بالبر من طريق سيناء فالعقبة لا يركبون البحر، أو يسيرون إلى القصير فيجتازون البحر إلى الحجاز. ثم جاء عصر البواخر فتيسرت النالة وقصرت المدة، ولكن بقى بعد هذا قطع المسافة بين مكة والمدينة على ظهور الابل ، وبقى سوء الأحوال الصحية فى مجامع الحج ، والتعرض للصوص وقطاع الطريق فى كل مرحلة وكل حين . بل كان المحمل المصرى وهو فى حراسة الجند والمدافع لا يجتاز المسافة بين مكة والمدينة إلا بعد إرضاء القبائل الضاربة على الطريق . وكان هؤلاء يتحكمون ويشتدون فى مطالبهم، فاذا لم تجب مطالبهم باغتوا الحجيج بالغارة . بل قال المرحوم ابراهيم رفعت باشا الذى تولى إمارة المحمل سنين إنه زار غار حراء سنة ١٣١٨ ومعه مائة جندى وقال « ومما ينبغى لزائرى هذا الجبل أن يحملوا معهم الماء الكافى وأن يكونوا جاعاً يحملون السلاح حتى يدفعوا عن أنفسهم شر اللصوص من العربان الذين يتربصون الفرص لسلب الحجاج أمتعتهم ونقودهم خصوصا فى مكان منقطع كهذا لا يقصــده إلا بعض الحجاج . وقد بلغنى أن أعرابياً قتل حاجا فلم يجد معه غير ريال واحد فقيل له : تقتله من أجل ريال؟ فقال وهو فرح : الريال أحسن منه »

ذلكم الحج قبل سنين، وأما الحج فى هذا العصر فقد تهيأت وسائله وتيسرت مسافاته وأمنت سبله . تنقل الحجاج بواخر كبيرة . وحسبك ببواخر شركة مصر التى أعدت لراحة الحجاج وتمكينهم من أداء فرائض الدين فى يسر وطمأنينة . فى كل باخرة مصلى تقام فيه الصلوات الخمس ويؤذن لكل وقت . فاذا بلغ الحاج جدة وجد المطوفين فى انتظاره يتكفل المطوف الذى يختاره براحته وإعداد السيارات له فى كل طريق . ويجدون فى مكة العناية

براحة الحجيج وصحته . فالحكومة تتخذ الوسائل التي تمنع الزحام ، وتراقب مساكن الحجاج وتلزم أصحابها أن يطهروها وينظفوها

فاذاحان وقت الخروج إلى منى وعرفات ، احتاطت الحكومة فمنعت التزاحم فى الطريق وعنيت براحة الحجاج على قدر استطاعتها. وإذا قضى الناس مناسكهم وأرادوا السفر إلى المدينة رُخِّص لهم فى السفر على ترتيب قدومهم مكة الأسبق فالأسبق حتى لا يختل النظام ، ويشتد الزحام ، وحتى لا نضيق بهم المدينة . وكذلك يلزم زائرو المدينة . الخروج بعد ثمانية أيام ليفسحوا لغيرهم فلا يجتمع فيها إلا وفود ثمانية أيام طول الموسم

والناس فى إقامتهم بمكة ، وسيرهم إلى منى وعرفات ، وسفرهم إلى جدة والمدينة يرحلون بالليل والنهار آمنين مطمئنين لا يخافون على نفس ولا مال . ويظفرون بطمأنينة لا يظفرون بمثلها فى البلاد الأخرى ، ولا يغلو فى الحق من يقول إن الأمن فى بلاد الحجاز اليوم لا يظفر به إنسان فى غيره من بلاد العالم . فاذا خرج الرجل الفرد يملأ جيوبه الذهب يقطع الطريق بين مكة والمدينة نهاراً وليلاً ليس معه رفيق ولا حارس لم يخش على نفسه ولا ماله ، وأحاط به الأمن فى يقظته ونومه وليله ونهاره . أمر لم نسمع به ولا نسمع به اليوم فى قطر من أقطار العالم المتمدن أو المتوحش

وقد حدثنى أحد الحجاج ونحن بمكة أنه ذهب إلى المدينة فى رفقة فوقعت منهم حقيبة فى الطريق ولم يشعروا بها وتعطلت السيارة فى الطريق يوماً أو يومين . فلما بلغوا المدينة افتقدوا الحقيبة فأخبروا الشرطة فردتها إليهم بعد قليل . وأخبرت أن حاجاً آخر كان يطوف بالكعبة فسقطت منه ساعة فذهب إلى الشرطة فردوها إليه . وأعرف أن طالباً من طلبة الجامعة سقطت منه ورقة بنك قيمتها جنيه فى سوق مكة ولم يفتقدها إلا بعد أن رجع إلى المدرسة السعودية التى كنا نزل بها . فلما رجع إلى السوق وجدها حيث سقطت أمام الدكان الذى كان يشترى منه . وقد تواترت الأقوال فى أمثال هذه الحوادث حتى لم يبق مكان للشك فيها ، وحتى اطمأن الناس فتركوا أمتعتهم الثقيلة فى مساكنهم ليرجعوا إليها بعد قضاء مناسكهم ولم يجدوا حاجة إلى أخذها معهم . فنحن تركنا بعض متاعنا فى جدة أمام الفندق المصرى فأرسل إلينا فى أيام مختلفة لم نفقد منه شيئاً وقد تأخر متاع بعض الطلبة كثيراً فقلق ؛ فقلت له : ستأتى حقائبك لا محالة فان شيئاً لا يضيع فى هذه البلاد . وكان يسكن إلى قولى حيناً ثم يتماده القلق حتى جاءت أمتعته كاملة . وأخبرنى مخبر عن رجل من الذين ذهبوا إلى الحجاز أنه كان فى سيارة ضاقت بأمتعة الراكبين فأخذوا حقيبة عليها اسم صاحبها وتركوها فى الطريق عمداً ليتحققوا ثم طلبوها حينما بلغوا غايتهم فردت إليهم

والمسافة بين مكة والمدينة زهاء ٥٠٠ كيلو كانت تقطع فى أربعة عشر يوماً وقد قطعها ركب المحمل المصرى سنة ١٣١٨ من الهجرة فى ١٢٥ ساعة وخمسين دقيقة فى أربعة عشر يوماً. وتقطعها السيارات الكبيرة اليوم فى أربع عشرة ساعة ، ولكن المسافرين يحتاجون إلى الراحة مرات على الطريق فيبيتون ليلة فى بعض المراحل ، والطريق كله غير معبّد ، وفيه مسافة قصيرة رملية تسوخ فيها السيارات إن لم يحذر السائق

وقد خرجنا من جدة إلى المدينة بعد المغرب فبلغنا رابغاً بعد سبع ساعات ، وبتنا بها ثم استأنفنا السير ضحى آملين أن نبلغ المدينة فى نهارنا ولكن ساخت بعض السيارات فى الطريق فآثرنا أن نبيت فى مكان اسمه أبيار بنى حصان . وخرجنا منها ضحى فبلغنا المدينة بعد العصر . ولكنا فى رجوعنا إلى جدة خرجنا من المدينة ضحى فبلغنا رابغاً وقت العشاء بعد أن استرحنا فى الطريق ساعتين ونصفاً فى ثلاثة مواضع . وبتنا فى رابغ وتركناها ضحى فبلغنا جدة ظهراً بعد سير خمس ساعات . فكان سيرنا من المدينة إلى جدة ثلاث عشرة ساعة ونصفاً . وإذا أصلح الطريق سهل أن تقطع المسافة كلها فى عشر ساعات . وأمكن الراكب المتعجل أن يقطعها فى ثماني ساعات أو سبع . وما أقرب هذا سفراً وأيسره

— ٢ —

ولست أقول إن وسائل الحج بلغت من اليسر والنظام الغاية التى نرجوها ؛ ولا أزعم أن الحرمين الشريفين والحجاز، فى الحال التى يتمناها مفكرو المسلمين ؛ فلا يزال المسلمون يرجون للحجاز نظاماً وعمراناً لا يذكر منه ما يسره الله فى السنين الأخيرة من الاصلاح والتنظيم . لا يزال مفكرو المسلمين يطمعون فى أن يروا فى الحجاز آثار التعاون الاسلامى ، وبذل المال فى سبيل الله

حتى تكون أحوال الحجاز مكافئة لمكانته عند المسلمين ، ومصورة عناية المسلمين به وتقديسهم إياه

لا يزال المسلمون يتمنون أن يروا الحجاز آخذاً من ثروة المسلمين وعلومهم وفنونهم ما تأخذه الأماكن المقدسة الأخرى من الدين يقدسونها

وما أسعد المسلم الغيور على دينه المعنىّ بإقامة شعائره يوم يذهب إلى الحجاز فيرى الطرق ممهدة بين جدة ومكة فمنى فعرفات وبين جدة فالمدينة ، ويرى فى طريق المدينة فنادق يأوى إليها فيجد راحته وطعامه وشرابه كما يشتهي ، ويجد مواضع للوضوء والصلاة تمكنه من إقامة الشعيرة على خير الوجوه

ما أسعده يوم يجد فى منى وعرفات مواضع للطهارة والصلاة ميسرة على وجه يليق بهذه البقاع الطاهرة . إن المسلمين يضربون اليوم خيامهم فى منى وعرفات فى أمن وسلام ونظام ، ولكن هذه الخيام المتفرقة تقسمهم فلا يجتمعون إلا قليلا . فما أجمل أن يهيأ فى منى وفى عرفات مكان واسع جامع يسع الناس جميعاً فى صعيد واحد يرى بعضهم بعضاً فيشعر المسلم بالجماعة الاسلامية ممثلة والأخوة الاسلامية مصورة . فاذا استمع هؤلاء جميعاً إلى خطيب أو واعظ أو داع يتكلم فى مجهر فيسمعهم معاً ويعظهم معاً ويدعو فيؤمنون بصوت واحد ويرفعون أيديهم جملة واحدة كان فى هذا من الجمال والروعة ما لا ينساه المسلم على مر الزمان وبقيت هذه الصورة فى نفسه حيثما سار تذكره بالأخوة الاسلامية

وهل أغلو إذا قلت إن من المسلمين من يرجو أن يكون فى منى مدرج ينحت فى الجبل يسع مئات الآلاف من الحجاج يجتمعون إذا شاءوا ويتفرقون فى سكون وطمأنينة وسلام فى وقت قليل وحركة يسيرة كما تفعل الأمم الأخرى فى مجامعها التى تضم آلافا كثيرة ؟ ولماذا لا يكون للأمم الاسلامية بيت فى مكة أو المدينة يجتمع فيه بعد موسم الحج مثلا ممثلو هذه الأمم ليتشاوروا فيما بينهم ويداولوا الآراء فيما يصلح المسلمين ويرفع أخلاقهم ويسمدهم بين الأمم ؟ . لماذا لا يبذل المسلمون من أموالهم وأفكارهم لانشاء المدارس والملاجئ والمستشفيات فى الحجاز ، وفى إنشاء المكاتب ونشر الكتب الاسلامية والمجلات تبحث الأمور الاسلامية المشتركة وتقصد إلى التقريب بين التربية الاسلامية والثقافة الاسلامية فى العالم الاسلامى جهد الطاقة . إن الحجاز ينبغى أن يكون ملتقى الثقافات الاسلامية

ثم يرجو كل مسلم أن يصلح المسعى بين الصفا والمروة فيفصل من السوق والطريق ويجعل على شاكلة تشعر الساعى أنه فى عبادة ينبغى أن تفرغ لها نفسه ، ويتم لها توجهه . وما أحوج الحرمين فى مكة والمدينة إلى أن تزحزح عنهما الأبنية المجاورة ويدور بهما مهيع واسع بظلله الشجر . وهناك بعد هذا إصلاح مذبح منى وحفظ لحوم الأضاحى وجلودها لينتفع بها أو بأثمانها الفقراء طول العام . ثم تعبئة ماء زمزم فى أوان ترسل إلى الأقطار الاسلامية ، وقد أثبت البحث أنه ماء نافع مرىء فضلا عما له فى نفوس المسلمين من حرمة . ثم إضاءة مكة والمدينة وسوق الماء إلى دورها ومساجدها ، وأمور غير هذه كثيرة

هذا كله جدير بعناية المسلمين وتعاونهم وبذلهم من أموالهم وأفكارهم وأعمالهم . ولن يؤدوا واجبهم ويعربوا عن اهتمامهم بدينهم ويبرءوا من التقصير حتى يحققوا هذا كله بل أكثر منه

وقد تحقق الشرط الأول لكل إصلاح وهو الأمن الشامل والطمأنينة العامة يسرهما الله للحكومة السعودية واستحقت بهما مثوبة الله وشكر المسلمين كافة . فعلى المسلمين جميعاً أن يتقدموا فيتعاونوا جميعاً على خطة معينة خالصة لوجه الله يعالجون بها من أمور الحجاز مايجعله صورة لحضارة المسلمين وتآلفهم وتعاونهم . ومن أولى من المسلمين بالتعاون والتآخى ودينهم دين الأخوة العامة والتعاون على البر والتقوى . والله يهيئ للمسلمين من أمرهم رشداً ويوفق للخير حكومات الاسلام عامة والحكومة المصرية خاصة وهى التى حملت النصيب الأوفر فى أمور الحجاز منذ قرون كثيرة والتى يؤمل المسلمون فيها خيراً كثيراً فى رعاية جلالة الملك الصالح « فاروق الأول » حفظه الله

فبلغنا رابغا بعد ثلاث عشرة ساعة ، وقد استرحنا على الطريق ثلاث ساعات وعشرين دقيقة فى ثلاثة منازل . فكان مسيرنا بين المدينة ورابغ زهاء عشر ساعات

واستأنفنا السير ضحوة الغد فبلغنا جدة بعد خمس عشرة ساعة وكان توقفنا على الطريق ساعة فى منزلين ، فكان مسيرنا من طيبة إلى جدة أربع عشر ساعة . والمسافة بينهما نحو خمسمائة كيلو تقطعها السيارات بالسير الوسط فى عشر ساعات ويستطيع المتعجل أن يطويها فى ثماني ساعات أو سبع . فماذا يشكو المسافر من سفر يقدره بالساعات لا الأيام والشهور ثم لا يمسه فيه ظمأ ولا جوع ولا حر ولا قر ولا خوف ؟

عبد الوهاب عزام

الحقائق العليا في الحياة

الايمان . الحق . الجمال . الخير . القوة . الحب

للأستاذ عبد المنعم خلاف

الايمان والعلم :

لا حاجة بنا إلى إفاضة القول فى أن العلم بمعناه الحالى — وهو اليقين والاثبات المبنى على التجربة والمشاهدة الحسية — إنما هو من أدوات الايمان بالخالق المدبر . فلو فرضنا وقالت كل الفلسفات والجدليات إنه ليس هناك خالق للكون لظل العلم وحده يقول بوجود ذلك الخالق . لأن كل ما فى الطبيعة يشير ويصيح بأن له خالقاً عالماً يقف أمامه العقل العلمى حائراً دهشاً من سر صنعته وتركيبه وإعداده الأشياء للحياة !

واعتقادى أن أكبر خادم للايمان هو العلم الكونى ، وأن المختبرات والمعامل لو أنصف الناس لعدوها من أقدس المحاريب التى يعبد فيها الاله ويسبح بما يليق بكماله وجلاله .

والالحاد بين علماء الطبيعة أقل منه فى أى طائفة من طوائف علماء العلوم أو الفنون الأخرى . ولذلك قال القرآن « إنما يخشى الله من عباده العلماء » وصدر الآية يدل على أن العلماء هنا مقصود بهم علماء الطبيعة والمتأملون فيها إذ يقول « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك . إنما يخشى الله من عباده العلماء »

ولو أن علماء الطبيعة يدخلون معاملهم ومختبراتهم مستحضرين روح العبادة كما يفعلون إذ دخلوا إلى المعابد إذاً لتنزل عليهم إلهام وتوفيق ولذات لا تفنى .

العلم لا سلطان له على البحث فى ذات الخالق لأنه ليس من مجاله ، فمجاله ما يقع تحت الحواس ، وإنما يستطيع أن يستنتج صفات الخالق . وهو فى هذا الاستنتاج يلتقى مع الفلسفة ، فأرسطو الفيلسوف وأرسطو العالم الطبيعى التقيا فى إثبات « السبب الأول »

وكذلك اسحق نيوتن الفيلسوف والعالم التقيا فى قوله « إن خالق هذا الكون على علم تام بعلم الميكانيكا ! » وقل مثل ذلك فى بقية العلماء الالهيين كباستور وغيره من العلماء الذين إن ألحدوا فى إله الكنيسة فلن يلحدوا فى إله الطبيعة الذى هم أقرب الناس إلى معرفته وتقدير صفاته .

ومن المؤسف أن إله الكنيسة فى أغلب الأديان غير الاله كما يدركه العلماء فى الطبيعة . هو إله بشرى يتشكل فى أجساد البشر فى بعض الأديان ، خاص بقبيل من الناس فى بعضها الآخر ، محب للدماء فى البعض الثالث ، محب لعذاب الناس وفناء أجسادهم فى البعض الرابع ، معقد فيه ناسوت ولاهوت وأقانيم متعددة فى البعض الخامس . وهكذا وهكذا مما يعذر العلماء السائرون مع الفطرة البسيطة إذا كفروا به وآمنوا بمن يجدون يده فى الطبيعة

وهنا يمتاز الاسلام امتيازاً رائعاً فى تقديم صورة للاله هى أسمى ما يمكن أن يدركه عقل عالمى عن الكمال الالهى مع بساطة واستيعاب هما سر الفطرة وطابعها الذى يأخذ بنواصى جميع الناس علمائهم المنتهين وجهالهم المبتدئين ومن بينهما فى آفاق المعرفة والادراك فى القطبين وفى خط الاستواء وفى الشرق والغرب .

والواقع أن كل الأديان الالهية قدمت هذه الصورة التى يدرسها العقل . ولكن يد التحريف وحب التأويل وتزيدات الكهان وعوامل الفناء التى لحقت الأديان وتقلبات الحوادث بنصوصها الأصلية هي التي مسخت الصورة الرائعة الكاملة التى قدمها الرسل عن الاله كما أوحى إليهم .

لقد وصف الاسلام الاله بما يرضى جميع الناس ، فوصفه بأنه جبار قهار ، ورحيم لطيف ، ومنتقم ورؤوف ، إلى آخر الأسماء الحسنى حتى يرضى أمثال زنوج أفريقيا وبرابرة التبت الذين لا يعبدون الاله إلا إذا كان جباراً ، ولذلك يصورون آلهتهم كالفيلة بصور هائلة ذات عدة رؤوس وأيد وأرجل ، وليرضى أمثال اليونانيين الذين كانوا يتخيلون آلهة متعددة للرحمة والجمال والتناسق والقوة والحب والحرب وغيرها .

وكأن الاسلام يقول لهؤلاء وهؤلاء : ربكم واحد فيه جميع ما تتصورون جميعاً من الصفات الحسنى ، فالتقوا جميعاً فى رحابه بعبادة واحدة وأسلموا وجوهكم وقلوبكم إليه . « ولله المشرق

والمغربُ فأينما تولّوا فثمّ وجهُ الله إنّ الله واسعٌ عليمٌ » « وهو الذى فى السماء إلــه وفى الأرض إلــه » « هو اللهُ الذى لا إلــه إلا هو الملكُ القدوسُ السلامُ المؤمنُ المهيمنُ العزيزُ الجبارُ المتكبرُ. سبحانَ الله عمّا يشركون، هو اللهُ الخالقُ البارئُ المصوّر. له الأسماء الحسنى »

ولذلك حينما وصف الاسلام لنيتشه أوشوبنهاور — لا أذكر — قال لمحدثه « إذا كان الاسلام كما وصفت فنحن كنا مسلمون ! » مع أنه كان ملحداً منكراً لعقيدة الجماهير

ولبساطة العقيدة الاسلامية ووضوحها وقوتها وتمشيها مع الفطرة لم يجد الالحاد طريقاً إلى الذين اشتغلوا قديماً بالفلسفة والعلم من المسلمين؛ لأنهم كانوا مزودين بتلك الصور الواضحة البسيطة من قضايا الدين. وكانت الفروض التى قرأوها فى الفلسفة اليونانية والهندية والفارسية فروضاً ناقصة أو معقدة أومختلة لا تنهض أمام ذلك اليقين الفطرى الذى يستطيع الفلاح والفيلسوف أن يفهماه ويعتقداه بكل راحة وطمأنينة فى الاسلام

وعلى العكس عند غير المسلمين، فقد كان كل فيلسوف لا بد أن يكون « هرطيقاً » ولذلك كان كل من يدرس الفلسفة مطارداً من السلطة الدينية لأنها تعلم أن العقيدة الموروثة ستهزم أمام التفكير؛ ولما خابت المطاردة، نظراً إلى نزوع الناس وتطور الزمان وهجوم العلوم، زعموا أن الدين قلبى وجدانى فقط لا أثر فيه للتفكير، وإنما يستند إلى ذلك الشعور، ليقولوا بعد ذلك إن الانسان يستطيع أن يجمع بين متناقضين أحدهما يسكن فكره والآخر يسكن قلبه! مع أن أساس الدين قائم على التفكير وإلا ما لزمت حجة الله أحداً من خلقه مادام فكره لم يعقل ولم يفهم وهو منصف، بل مادام فكره ينقض ما يأتى به الدين فى بعض الأحيان

ومن المؤسف أن المسلمين ورثوا هذه الفكرة الباطلة مؤخراً من أرباب الأديان الأخرى، مع أن الاسلام قائم على التفكير، وحجته العقل، ومعجزته عقلية دائمة تسير مع رشد الانسان وتقول له « لا تقفُ ماليس لك به علم » « والذين إذا ذُكروا بآيات ربهمْ لم يخرّوا عليها صمًّا وعُمياناً ! »

وآفة الاسلام هى جهل أكثر المسلمين بأصوله وتفاصيله، واتباعهم القضايا التى لم تمحص وتنطبق على بيئتهم وما فيها، وتسليمهم بالنظريات الغربية كما يسلمون بالمسائل العلمية المادية

وأحسب أن أكثر قادة الفكر والمصلحين الغربيين لو أتيح لهم أن يطلعوا على الاسلام الصحيح لتغيرت أحكامهم التى أرسلوها فى مسائل الخلاف بين الدين والعلم. ويكفى دليلا على ذلك مقال فلتير فى مارتن لوثر: « إنه لا يصلح أن يحل نعل محمد ... » مع أن فلتير لم ينصف محمداً للسيرة المشوهة التى لم يتهيأ له أن يعرف عن محمد سواها

ومن قرأ كتاب « الزنجية تبحث عن الله » لبرنارد شو يدرك أن « شو » ارتفع بمحمد والاسلام إلى قمة الأنبياء والنبوة. وسيرة « جوته » تدل على أنه افتتن بالاسلام، ولذلك شرع فى تعلم العربية وفى تأليف « رواية » عن محمد. وقد مدح أسلوب القرآن وطريقته ككتاب دين. وكلمة شوبنهاور أو نيتشه التى أشرنا إليهـا سابقاً تدل على أن أى عقل متمرد قد يجد سلامه وطمأنينته فى الاسلام. ومقال كارليل عن رسول الاسلام لا يغيب عن بال أحد

وهكذا وهكذا مما لا مجال لذكره الآن، ومما يبين قوة غزو الاسلام للعقول المتمردة والآراء الفلسفية، ومما لا يصح معه إدخاله مع غيره فى مسائل الخلاف بين العلم والدين

واعتقادى أن الاسلام هو الذى يستطيع وحده أن يحمى الايمان من أن تجرفه تيارات المادية والالحاد، وهو الذى يستطيع أن يقره فى كل نفس كما هو فى الطبيعة البشرية بجانب « نزعة الاثبات » التى أنتجت العلم و « نزعة التأمل » التى أنتجت الفلسفة بحيث يعود الايمان باعث فخار بين الناس كما كان وكما يفتخرون الآن بالعلم والفلسفة، لا كما يفضى بعضهم منه حياء إذا قيل عنه إنه مؤمن. وترجمة هذا القول عند الجهال بالعلم والدين معاً: إنه مخرف.

وقد تراكمت عقد خفية فى نفوس إنسانية هذا العصر حول الدين لأن كثيراً من الذين ينتسبون إليه حملوا عليه ميراثاً كبيراً من الخرافات ومن تضييق الواسع ومن غباوة بعض رجاله الذين لا يعرفون المهمة الأصلية فيه، ومن تحويل التدين إلى نوع من الهستريا المنفعلة المنغلقة عن حكمة الله فى اختلاف الانسانية فى الآراء والمعتقدات.

وكم هى كبيرة جناية الرموز والطقوس وثياب رجال الدين

وشاراتهم وسماتهم التى تميزوا بها من غيرهم ! إنها جناية تحويل الملكية العامة إلى احتكار . . . وجناية إقامة السدود والقيود على الطريق الواسع الذى يوصل كل شخص إلى الله .. وجناية تحديد أبواب معينة لا يحل لأحد أن يجتاز إليه من غيرها ، وجناية إقامة حراسة وخفارة عليها من فئة معينة ربيت تربية خاصة منفصلة عن تربية بقية الناس لا يدخل أحد إليه إلا باذنها ... وجناية تحديد بقع ضيقة من الأرض لا يحل التعبد له إلا فيها ، بعد بخور وعطور وطبول وزمور . كأنهم يستحضرون عفريتا من الجن إلى حفلة زار ! »

وقد أطلق الاسلام الدين من كل هذا الذى ألصقه به الأطفال والمجسمة والمشبهة ، وجرد محيط العبادة من التماثيل ، والصور والرموز ، وجعل الأرض كلها مكان عبادة فأعاد إلى الطبيعة قيمتها كمحراب دائم للصلاة . وجعل روح الدين فى الشارع والسوق كروحه فى المسجد : ففى السوق والشارع عبادة عملية ، وفى المسجد عبادة نظرية هى موقف تصفية وجرد لشئون الحياة كلها !

ولم يجعل طبقة معينة تحتكر شئون الدين وتلبس زيا خاصا بها بل حتم على جميع معتنقيه أن يكونوا علماء به ما أمكنهم العلم ، ورأى لأئمته ألا يتزيوا بزى خاص بهم حتى لا يشعر الناس بانفصال حياة الدين عن حياة الدنيا .

ولو فهم الناس أن الدين فى الشارع والسوق أهم منه فى المعبد لتغير وجه الحياة وسير التاريخ ، ولحلت المشكلة التقليدية الموروثة المعنونة « الدين والدنيا »

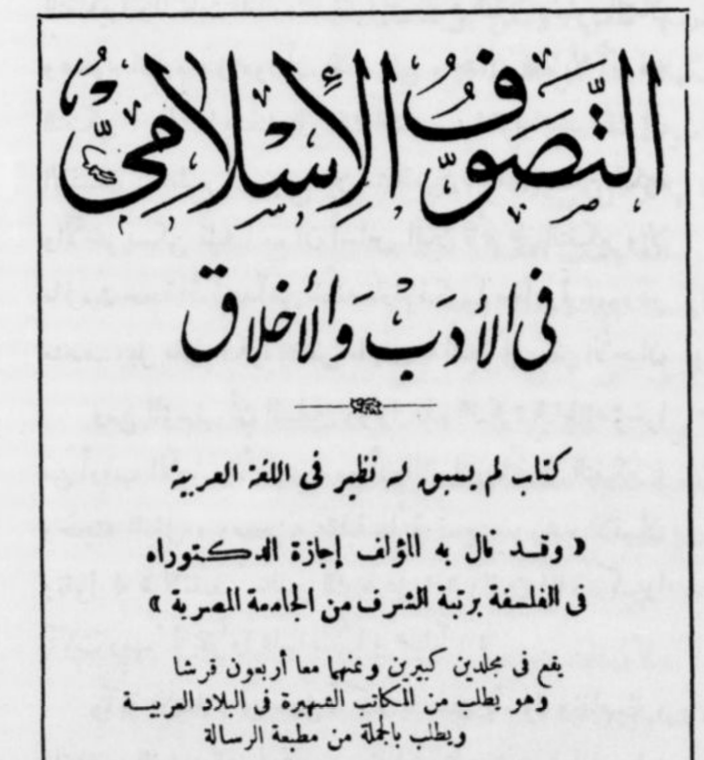
* * *

من هنا يتبين لنا أن عبء المسلمين فادح وحسابهم عسير أمام الله والحق والبر بالانسانية، لأن إهمالهم إصلاح نفوسهم وتثقيفها وإعدادها بما فى الاسلام لأداء رسالته العالمية هو الذى يجر على الناس كل الشقات والمصائب والحيرة والضياع ، وهو الذى يخرج من حظيرة الايمان كل عقل غربي كبير بما يقرؤه من الفروض الفلسفية وبما يلمسه من وجوه الخلاف بين قضايا العلم وبعض نصوص دينه المتهافتة التى تدل أول نظرة صحيحة إليها أنها من غير المنبع الالهى .

ومن الغريب المؤسف أن القائمين على الشيوعية أو الفوضوية مثلاً يجاهدون فى سبيلها جهاداً مستميتاً لينشروها ويحملوها دين الناس ويحسبون أنفسهم أصحاب رسالة يجب أن تعم وتشمل الأرض جميعها ... بينما المسلمون الذين عندهم علاج كل نكبة فى العقل أو فى النفس أو فى المال يجهلون مهمتهم ولا يؤدون رسالتهم كما كان أجدادهم الأقدمون يؤدونها ويموتون فى سبيلها على ضفاف الكنج وأسوار الصين وشواطىء بحر الظلمات ، وهم معتقدون أنهم يؤدون إلى الناس أعظم خدمة وأكبر منة تطيب بها نفوسهم عن اقتحام ديارهم وثل عروشهم وهدم أصنامهم الحسية والمعنوية !

إن إنسانية الشرق والغرب لا تزال حائرة ترسل روادها وأرصادها « للبحث عن غد » يشرق عليها ضحاه وهى فى واحة السلام والطمأنينة . . . لا تزال « زنجية تبحث عن الله » ! والمسلمون الذين أسعدهم الله بمعرفته وبالطمأنينة والهدى لا يشعرون بتبعاتهم الثقيلة نحوها ، ولا يزالون يعيشون لأجسادهم وأنفسهم فقط ... بل إن الثقة بما عندهم قد ذهبت عنهم . وقاتل الله الجهل وحياة الفسولة !

(الرستمية) عبد المنعم خلاف



للتاريخ السياسي

جهود المستر تشمبرلين
وما ادت إليه

للدكتور يوسف هيكل

من الممراندوم الى مؤتمر مونيخ

ظنت الدوائر السياسية أن الأزمة الدولية قد انفرجت بقبول تشيكوسلوفاكيا مشروع لنـدن ، وهو عبارة عن تحقيق مطالب الهر هتلر . وغادر صباح ٢٢ سبتمبر (ايلول) المستر تشمبرلين لندن إلى ألمانيا مرتاح النفس مطمئنها . وقبل صعوده إلى الطائرة قال : « إن تسوية المشكلة التشيكوسلوفاكية تسوية سلمية تعد شرطاً أساسياً لتفاهم الشعبين الانـكليزي والألماني . وقد كان هذا الشرط أيضاً أساساً ضرورياً للسلم الأوربي الذي ترمي إليه جهودنا ، وإني أرجو أن تفتح زيارتي الطريق التي تؤدي إليه »

وبعد ظهر يوم وصوله إلى « كودسبرغ » اجتمع بالمستشار الألمـاني ، وعرض عليه ما اتفقت عليه حكومتا لندن وباريس ، من التنازل عن الأقاليم السوديتية لألمانيا ، وتعيين حدود جديدة لتشيكوسلوفاكيا ، وضمانها ضد الاعتداء غير المحرض عليه

لم يعترض الهر هتلر على فكرة الضمان ، غير أنه أبان أنه لا يضمن الحـدود الجديدة إلا إذا كانت الدول الأخرى ، ومن بينها إيطاليا ، ضامنة لها أيضاً ؛ وأنه لا يشترك في الضمان الدولي لتشيكوسلوفاكيا إلا بعد أن تنال الأقليات الأخرى فيها مطالبها . أما الاقتراحات الثانية التي وضحها له المستر تشمبرلين ، فلم يقبلها الهر هتلر ، بحجة أنها لا تحقق حلاً سريعاً ، وتعطي فرصاً عديدة للتشيك للتهرب منها. وقد أصر على ضرورة حل سريع للمشكلة التشيكوسلوفاكية ، وأخـذ يوضح للمستر تشمبرلين نوع هذا الحل الذي وضعه فيما بعد بمذكرة (ممراندوم)

كم كانت دهشة المستر تشمبرلين عظيمة عند ما وجد نفسه في وضعية لم تكن منتظرة قط . إنه كان يعتقد اعتقاد اليقين ، أن ما عليـه عند ما يذهب إلى كودسبرغ إلا أن يبحث مع الهر هتلر الاقتراحات التي قدمها إليه ، بحثاً هادئاً يؤدي إلى الاتفاق السريع عليها . لأن الهر هتلر أعلم المستر تشمبرلين في برختسكادن أنه إذا قبل مبدأ حق تقرير المصير ، فانه مستعد ليبحث معه الطرق والوسائل لتنفيذها . ولما قبل المستر تشمبرلين هذا المبدأ ، وقدم مشروع لندن المبني عليه ، رفضها الهر هتلر رفضاً باتاً حين ابتداء المحادثات . كان ذلك صدمة عنيفة للمستر تشمبرلين ، وخيبة لآماله التي كان يعلل النفس بها . ولـكي يهون عليه الهر هتلر ذلك ، ويجد لموقفه المناقض مع قوله عذراً ، قال لرئيس وزارة انجلترا إنه لم يخطر على باله أنه (أي المسـتر تشمبرلين) يتمكن من العودة إلى ألمانيا حاملا قبول مبدأ حق تقرير المصير

كانت الصدمة عنيفة حتى أن المستر تشمبرلين شعر أنه في حاجة إلى الوقت ليفكر فيما يجب عليه عمله ، فانسحب ، وقبل انسحابه طلب من الهر هتلر أن يبيدله التأكيد بعدم الزحف على تشيكوسلوفاكيا أثناء المحادثات ، فأكد له الهر هتلر ذلك

وكان موعد متابعة المحادثات الساعة الحادية عشرة والنصف من اليوم التالي؛ وكان المستر تشمبرلين يتأكد من أن الهر هتلر لم يفهم حق الفهم ما كان يقول له عن طريق الترجم ، لهذا فكر أن من الحكمة أن يرسل إليه قبل الشروع في المحادثات، ملاحظاته كتابة على مطالب الهر هتلر الجديدة . ومما قال في ملاحظاته أنه سيرسل المطالب إلى الحكومة التشيكوسلافية ، وأبان الصعوبات العظيمة التي تحول دون قبولها . ولما تسلم المستشار الكتاب ، أظهر رغبته في الجواب عليه كتابة . ولذلك ألغي الاجتماع لمتابعة المحادثات وأرسل الجواب بعد الظهر .

ظن المستر تشمبرلين أن التأخـير في إرسال الجواب ناجم عن إجراء بعض تعديلات في مطالب الهر هتلر . وعندما تسلم الكتاب خاب ظنه ، إذ وجده يحتوي على توضيحات للمطالب ولا يعدل فيها شيئا . فطلب المستر تشمبرلن نص المطالب ، وصورة من الخريطة المرفقة بها ، لارسالها إلى براغ ، وعزم على العودة إلى لندن . فقدم إليه ذلك خلال اجتماعه بالهر هتلر الذي ابتدأ الساعة العاشرة والنصف من مساء ٢٣ سبتمبر (إيلول) واستمر حتى الصباح الباكر .

وقبل أن يودع المستر تشمبرلن الهر هتلر ، قال له زعيم ألمانيا إن بلاد السوديت آخر الأراضي التي يطمع فيها بأوربا ، وإنه لا يرغب في أن يضم إلى الريخ شعوبا غير ألمانية . وقال أيضاً إنه

يرغب فى أن يكون صديقاً لانكلترا . ثم أردف قائلاً : صحيح أن هناك مسألة المستعمرات ، ولكنها لا تولد حرباً ، ولا تنتج تعبئة عامة

عاد المستر تشمبرلن إلى لندن فى ٢٤ سبتمبر (أيلول)، حاملا مذكرة الهر هتلر بدلا من الموافقة على اقتراحات لندن . وهذه المذكرة تحتوى على النقاط التالية :

١ — سحب جميع القوى التشيكية من جند وشرطة وبوليس جمارك وحراس حدود من المقاطعات التشيكوسلوفاكية المعينة فى الخريطة المرفقة ، والتى يجب أن تسلم إلى ألمانيا فى ١ أكتوبر

وتحتل الجيوش الألمانية هذه المقاطعات دون اعتبار وجود الأكثرية التشيكية فى بعض أجزاء هذه الأقاليم . وتسليم هذه الأقاليم يكون بحالتها الراهنة، أي من غير تخريب وإتلاف أي شيء من الأملاك والأموال ، حتى إنه لا يجوز سحب المواد الغذائية والبضائع ، والحيوانات ، والمواد الخام .

٢ — إجراء استفتاء فى المقاطعات التى فيما وراء المقاطعات التى ستحتل ، والمبينة فى الخريطة ، قبل ٢٥ نوفمبر تحت إشراف لجنة دولية . ويحق الانتخاب للأشخاص الذين كانوا يقطنون هذه المقاطعات فى ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٣٨ ، وكذلك للأشخاص الذين ولدوا .

٣ — تعيين لجنة ألمانية تشيكية ، ولجنة دولية ، للحدود الجديدة الناجمة عن الاستفتاء ...

٤ — تشكيل لجنة ألمانية تشكية لتسوية التفاصيل الأخرى. وعلى الحكومة التشكية أن تسرح حالاً جميع الألمان السوديت الذين يخدمون فى الجيش والبوليس ، وأن تخلى جميع المسجونين من السياسيين الألمانيين .

أرسل المستر تشمبرلن المذكرة إلى حكومة براغ لدى وصوله لندن فى ٢٤ اكتوبر فوصلها مساء ذلك اليوم . وفى اليوم التالى تسلمت حكومة المستر تشمبرلن جواب حكومة الجنرال سيروفي ، الذى أكدت فيه أن مطالب الهر هتلر ، بصفتها الحالية ، غير مقبولة بلا قيد ولا شرط ، لأسباب ذكرتها ، ومنها أن هذا المراندوم يحرم تشيكوسلوفاكيا ، من بلادها الصناعية ، ومن تحصيناتها ، ومن أموالها المنقولة ، من قطارات وعربات ، بل يحرم المزارعين الذين يريدون الرحيل عن وطنهم من أخذ مواشيهم وحيواناتهم وهو يدخل ٨٣٦٠٠٠ تشيكى تحت السيادة الألمانية . أما المقاطعات التى تريد ألمانيا إجراء الاستفتاء فيها فتحتوى على ١٬١١٦٬٠٠٠ تشيكى و ١٤٤٬٠٠٠ ألمانى ؛ وهو يقصى الدول الغربية ، (أي فرنسا وانكلترا) عن تصفية بقية المسائل ويضع تشيكوسلوفاكيا تحت رحمة ألمانيا . والمراندوم لا يذكر شيئاً عن ضمان الحدود الجديدة

***

ذعر الرأي العام ، واضطربت الدوائر السياسية من ممراندوم الهر هتلر . وأصبح الكل يعتقد أن الحرب واقعة لا محالة . وتواردت ألوف الرسائل على المستر تشمبرلين وعلى زوجته ، شكر مرسلوها فيها مساعيه للسلم، وأبدوا رغبتهم فى منع الحرب وأظهروا كرههم لها . وذهب المسيو دلادييه والمسيو بونيه مساء ٢٥ سبتمبر (إيلول) إلى لندن ، لتداول الأمر ، فوقفا فيها على جواب حكومة براغ . وفى اليوم التالى تابع ممثلو الحكومتين درس الموقف ، فأكد مسيو دلادييه لزملائه البريطانيين أنه إذا هوجمت تشيكوسلوفاكيا فان فرنسا تقوم بواجباتها نحوها . فأجاب المستر تشمبرلين ، أنه إذا كانت نتيجة هذه الواجبات اشتباك الجيوش الفرنسية مع القوى الألمانية ، فان الحكومة الانكليزية تشعر بأنها مجبرة على معاضدتها . وقد صدر فى اليوم نفسه بيانٌ بهذا المعنى . وفى ٢٦ سبتمبر (إيلول) أعلنت تشيكوسلوفاكيا التعبئة العامة ، واتخذت فرنسا إجراءات حربية واسعة ، وأمر وزير البحرية البريطانى ، دوف كوبر ، الأسطول بأن يكون على استعداد . فأصبح الرأى العام ينتظر انفجار قنبلة الحرب العامة من ساعة إلى أخرى .

(للمقال بقية)

يوسف هيكل



من رحلة الشتاء

في مضارب شمر

البادية

للآنسة زينب الحكيم

إن للبادية طابعاً خاصاً ، فهى فى النهار غيرها فى الليل ، وهى فى شقشقة الفجر غيرها فى غلس المساء . فى الصباح الباكر تبدو الطبيعة هواؤها وماؤها ، نباتها وطيورها ، حيوانها وإنسانها متمالكاً قواه ، على أتم استعداد للنشاط والانتاج ، يبدو الزهد على كل شئ والتضحية بكل شئ ، ويظهر محيط موحد يضم هذه العناصر جميعها .

يبقى هذا المنظر لحظات سريعة المرور خطيرة الأثر . وتبكر الشمس فتمتد خيوطها الجميلة فتحيي الزهر ، وتنعش العشب ، وتنشط الهواء ، وتداعب الندى .

وتسرع القطعان ورعاتها للسعى والتنقيب ، فينكسر سكون الصباح ، وتسمع هنا مواء ، وهنا نباحاً ، وهناك صياحاً وغناء .

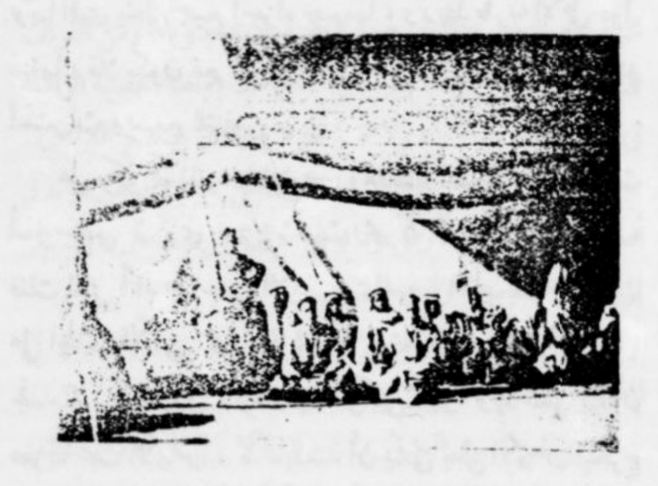
ويدور الأحياء دورتهم ، في شؤون الحياة العملية الصرفة ، صابرين على هجير البادية وقارس بردها ، وعلى جدبها وخصبها ، راضين بسكونها وثورتها .

ها هو ذا المساء يتقدم ، وذكاء على وشك الغروب وراء الأفق ، وكذلك تسرع القطعان ورعاتها إلى حظائرها ، ويدور الفلك دورته المكسية الأبدية . يالله من أضداد الطبيعة ، وهى هى بعناصرها ومحتوياتها ، سكون شامل رهيب ، يتلاشى فيه ثناء الأغنام وهدير الابل ، ويرتفع فيه نباح الكلاب — ترهف فيه الأسماع وكل الحواس . قبة زرقاء صافية في الصباح الباكر ، يزينها الضوء الهادئ البديع ، والضباب الخفيف والنسيم العليل ؛ وقبة زرقاء ، قاتمة فى المساء ، تتلألأ فيها نجوم زاهرة ، وتتماوج نسائم بليلة حائرة ، وتشمل الكون بمن فيه رهبة قاهرة .

ليلة ؟؟

أذهب مسرعة إلى الخيمة التى أعدت لنومى وسط هذه الطبيعة الغريبة ، والبادية البعيدة ، فيدخل معى الشيخ ليدلنى على نظمهم ، ومعه خادمان ، يحمل أحدهما مصباحاً ، والثانى طستاً وإبريقاً به ماء دافئ ؛ وأشكر الشيخ على شدة عنايته باستكمال وسائل راحتى ، فيقول: عمى مساء، وينصرف فى رداء العربى الشريف ، ونظرة البدوى الشجاع .

ويحملق العبد فى وجهى يسألنى إذا كنت أريد شيئاً قبل أن ينصرف فأشكره وآمره أن يترك المصباح عندى على المنضدة . وسألته إذا كان لديه شمعة وعلبة ثقاب . فناولنى علبة الثقاب أما الشمعة فلا توجد . وضعت الكبريت على الكرسى القريب من السرير ؛ وقلت للعبد: من فضلك اخرج وأقفل باب الخيمة . فبدأ يضع الحبل فى الثقوب المعدة لذلك بشكل فنى ، وكنت واقفة أرقب ما يعمل (وهنا تذكرت خيام الكشافة ، وكل ما تعلمته من حركاتها النافعة ، وأوصى كل فتاة وكل فتى أن يندمج فى سلكها وقتاً ما ، فإنها للحياة العملية وحياة السياحة والمخاطرات من الدرجة الأولى فى الأهمية) .



مجلس العرب البدو في الجزيرة — (قبائل شمر) وبينهم بعض الزوار

أوشك العبد أن يتم عمله ، ولم يبق إلا ثقبان بدون توثيق ، فنظر إلىّ من بين طرفى الباب والخيمة ، بحيث لم يظهر منه إلا وجهه الأسود ، بأنفه الكبير الفرطح ، وعينيه اللامعتين المخيفتين ، وشاربه الطويل الغزير ، وظهرت أسنانه الكبيرة البيضاء ولسانه الأحمر العريض عند ما قال: عمى مساء سيدتي . قلت: عم مساء وأشكرك. وفى سرى قلت: (أبغض منظرك المخيف الماثل فى هذه الظلمة الحالكة ، والسكون الرهيب)

وأردت أن أستوثق من أن جوانب الخيمة محبوكة ، فأطمئن إلى أن كائنا ما لا يمكنه دخولها ، فجلست القرفصاء أختبر ذلك . وما كان أشد جزعى ، وأبعد تخيلى عما توهمت ! لقد وجدت طرف الخيمة يصل إلى حافة السجاد المغطى أرض الخيمة فحسب ، والهواء البارد يمر من جميع نواحيها ، ويستطيع

أى حيوان أليف أومتوحش ، الدخول بلا أدنى عائق . فاستولى على جزع لم أعهده فى حياتى ، وعبثا أحاول إقناع نفسى بالتذرع بالشجاعة ، أوباستعادة الماضى . فكم من ليال غمتها فى أشباه هذه الخيمة فى انجلترا ، فى أجواء أردأ وأشد صقيعاً ومطرا بل وثلجا .

وإن تمح من ذا كرتى أهم الحوادث الغريبة ، التى حدثت لى فى بعض هذه المخاطرات ، فلن تمحى الحادثة الآتية التى حدثت لى مرة ونحن نخيم فى البرية فى جهة من جهات انجلترا :

اتخذنا مخيمنا وسط أرض جيـدة ، توسمنا أنها خير ما ظهر لناظرنا صالحا لهذا الغرض . وكنا بعيدين جداً عن السكان ، وكنا كلنا طالبات فتيات ، متخذات من شبابنا قوة على أعمال الكشف والتقشف . وبعد جهاد يوم شاق من الصباح البا كر إلى المساء المتأخر ، أخذنا عدتنا للنوم ، فدخلت كل منا فى كيس نومها الذى يغطي جميع أجزاء جسمها ، وتربط طرفه الأعلى حول عنقها ، فلا يكون غير الوجه ظاهرا ، ويغطى بغطاء خفيف يمنع الحشرات ويسمح للتنفس .

على بركة الله افترشنا الأرض والتحفنا الخيمة ؛ وما كدت أسلم جفنى للكرى حتى شعرت بحركة غريبة تحت جنبى ، فقلت لعلنى أنام على جنبى الأيسر ، مما سبب للقلب قلقا ، فانقلبت على الجانب الأيمن ، ولـكن الحركة استمرت ، بل زادت شدة ، فجمد الدم فى عروقي ، وهدأت حركتى قسرا ، إذ تصورت أن عفريتا تحت الأرض ، كأنما يقصد أن يشق بطن الأرض فيخرج منها ، ويتخذ جسمى بديلا. وخطرت ببالى جميع خرافات الجن والشياطين والأرواح، وعقد الخوف لساني، فلم أستطع الاستغاثة بصديقاتي ، ولا أملك تحريك أطرافى فأدفع عن نفسى ذلك العفريت الأرضى .

ولما اشتدت حركات العفريت وعنفت صرخت مستغيثة كمن أصابه مس مؤكد . فهرعت إلىّ الطالبات ، يستفسرن الخبر فأخبرتهن ، فقالت واحدة : أسرعى «درثى» أحضرى الكيس ، وصاحت أخرى: «نللى» أحضري حبلا ، وأسرعت ثالثة ورابعة بأيديهما سكين ومسدس ، وتصورت أن الجنى قد أتت ساعته ، وحان حينه ، وأنى كنت على حق فيما أحسست ، وحمدت الله على أنى لم أكن مدعية ، وبدأت أنشط مع الجماعة لأنتقم لنفسى من ذلك الشرير الذى طالما اختفى ، وها قد حان الوقت لرؤيته وكشف سر العفاريت كلها بعد كشف حاله .

ووضعت الفتيات الكيس مقلوبا على المكان الذى تصورنا أن العفريت سيخرج منه ، بحيث انسجمت فتحة الكيس على الموضع تماما ، واجتمعت الأيدى على تثبيتها بحيث لا يستطيع فكاكا .

وتوجهت همة الفتيات كلها إلى القبض عليه فى الكيس حيا .

وأخيرا وبعد جهد شاق ، قفزت عفاريت ثلاثة من باطن الأرض إلى داخل الكيس المتين ، ثم انتهت الحركة فى باطن الأرض ، فقبضت الطالبات على فتحته ، وبدأن يذبحن الشياطين الكفرة ! قاتل الله الأرانب البرية ! لقد كان شكلها جميلا وطعمها لذيذا ، ولكن فعلتها كانت شنيعة بالنسبة لى وحدي ، لأنه لم تكن لى هذه التجربة من قبل، مثل باقى زميلاتى ، اللاتى اعتبرن حدوثها لى حسن حظ وتوفيق أنى للجماعة الكشفية ، عن طريق الساحرة المصرية ، التى تعرف سر الكشف عن الكنوز فى زعمهن .

هذه هى قصة الحادثة الغريبة التى سبق أن حدثت لى ، وكان يجب أن أكون أكثر شجاعة مما كنت تلك الليلة فى مضارب شمر . ولكن ليذكر القارىء أن شعور الأمان والنظام الذى يحسه الانسان فى بلاد الانجليز ، غير الشعور الذى يحسه فى أى بلد آخر . فما بالنا بما يشعر الانسان به بين أشد القبائل البدوية مراسا وقوة ! إن تلك الحادثة على فظاعتها وما سببته لى من رعب لم تكن أشد تأثيرا فى نفسى من تلك الليلة فى خيمة البادية .

لم أذق للنوم طعما طول تلك الليلة ، لاخوفا من البدو والعرب أنفسهم ، ولا من عبيد الشيخ كما توهمت ، بل بالتحليل النفسى الذى شغلت نفسى به ، توصلت إلى التعليـل الآتى ، وأظنه معقولا تماما :

١ — كان الطريق وعرا جدا وطويلا متعبا إلى أقصى حد احتملته ، فضعفت عندى قوة المقاومة والتعليل الوقتى المتزن .

٢ — هذا بالاضافة إلى حياة مباينة كل التباين لما سبق أن اعتدته زمنا طويلا من النوم داخل مبان ، مما جعلنى أشعر أنى أنام فى العراء ، وسبب هذا لى وحشة شديدة لم تتحملها أعصابى وجسمى التعبان ، فحدث لى الأرق والرعب .

ومع كل هـذا أشهد أنى قمت فى الصباح ، تاركة فراشى على أحسن ما يمكن من الصحة والنشاط ، كما لو كنت نمت الليل كله ملء جفنى ، فان الهواء هناك صحى منعش ، وبذلك قد عوضنى بدل

النوم ، ولعل هـذا سبب ثالث لعدم نومى ، ولعله من الأسباب المهمة أيضا فى قوة بنية البدو أنفسهم .

الحياة الاجتماعية عند البدو « لقبائل شمر »

لهم مجالس محادثات فى الأمور الماشية ، ثم لهم مجالس السمر والرواية . وتستعمل الربابة قليلا ، والموسيقى كانت من أهم الأشياء التى افتقدتها فى العراق وكردستان ، وفى الجزيرة .

أما الراديو ، فيعوض الآن جانبا كبيرا من هـذا النقص ، و(يتونس) به البدو،على حد تعبيرهم بدرجة محسة كما أداره الشيخ وألعابهم كثيرة منها نوع يشبه الهوكى ، ومطاردات الخيل (الفروسية) أما المبارزة فانقرضت الآن .

يلعبون ألعاب الورق (الكوتشينة) قليلا للتسلية فقط .

أما فى أيام رمضان فيلعبون (الورسان) Warsan وهو نوع من أزلام الميسر ؛ ويلعبون الضامة .

شخصية الشيخ عجيل الياور

لا يمكن وصفها أو تصورها تماما لعظمتها ، ويكفى أن يقال فيه : إنه خبير وداهية البادية ، ولو أنه أمى ، إلا أنه يبز كثيرين جدا من المتعلمين .

ابنه الشيخ صفوك الياور :

ثقافته حديثة ، فقد درس فى الكلية الأمريكية ببيروت ، ثم عاد إلى البادية لمساعدة والده فى سياسة العشائر .

وسياسة رؤساء العشائر عربية كانت أو كردية ، فى تربية أبنائهم ، هي أن يعلموهم الآن فى المعاهد الحديثة لينوروهم ، ويقووا عقلياتهم ، لا على أن يهجروا البادية ، بل ليزدادوا حبًا لها ، وعناية بمصالح البدو . وهم لذلك يحرصون الحرص كله على إبعـاد كل فكرة من شأنها إفساد أبنائهم عليهم أو تنفيرهم من الحياة التى شب آباؤهم وأجدادهم عليها .

وأهم الصعوبات فى سياسة العشائر هى المخاصمات بينهم ، ثم الذود عن مصالحهم عند الحكومة ، لأنهم جهلة ، لا يستطيعون قضاء مصالحهم ، أو حل مشكلاتهم بأنفسهم لقلة خبرتهم . والذى يقوم بأداء هذا كله الشيخ وابنه .

معلومات عن قبائل شمر وعددها

وهى مستقاة من ابن شيخ المشايخ :

قبائل شمر مكونة من مجموع قبائل : (١) زوبع (٢) السناعيس (٣) أهل الحية (٤) أولاد على .

وكل ما يعلم عن قبائل شمر أنهـا متنوعة ومتفرقة جداً ، ولا يكاد المرء يحيط بها لكثرتها . والقبائل المذكورة اختلطت فروعها بعضها ببعض .

نبذة عن قبائل شمر – من الملاحظ الخاص

تنقسم قبائل شمر إلى قسمين ، قسم منها يقطن جنوبى العراق ويسمى « شمر الطوقة » وقد صاروا من القبائل المتحضرة .

ويسمى القسم الآخر « شمر الجربة » وهو يتألف من القبائل الساكنة فى شمالى العراق فى الجزيرة بين دجلة والفرات . وقد هاجرت هذه القبائل من جبل حائل فى منتصف القرن السابع عشر .

أما الأرض التى تقطنها شمر الجربة فى الجزيرة ، فتمتد من شرقي دير الزور شمالاً إلى هور «عقرقوف» جنوباً ، ومن الفرات غرباً إلى الموصل شرقاً، وتراها قد احتفظت بالبقعة الخصبة الواقعة فى شمال شرق الخابور ، ولا سيا حوض وادى جنجغ الفياض .

وتعيش شمر على حالة البداوة ، وتسكن بيوت الشعر ، وتنزل أحياناً ، بين شهرى أبريل ومايو فى شمال جبل سنجار ، وتنتشر إلى جوار نصيبين ووادى السويدية .

أما فى الأشهر الأخرى فتنزح إلى الجنوب ، وتتحول فى المنطقة الواقعة فى جنوبى جبل سنجار .

وهى من أقوى العشائر مشاجرة ، ولا تزال فى خصام مستمر مع قبائل دليم وبقارة ، وعشائر على الكردية .

والعداء القديم متمكن بينها وبين قبائل عنزة ، وهذه تملك أحسن الجياد وأكثر الجمال . ويبلغ عدد نفوس قبائل شمر من ٥٠ إلى ٦٥ ألف نفس .

زينب الحكيم

الى شباب القصصيين

كيف احترفت القصة

قصة المستر كومبتون ماكينزى

للأستاذ أحمد فتحى

من المحقق أنى قد تبيَّنت ميولى الأدبية وأنا لا أزال فى دراستى الجامعية ، إذ كنت أصدر مجلة خاصة فى أكسفورد كانت تظهر لى فيها بعض الأشعار ، كما أننى كتبت فى عام ١٩٠٠ أقصوصة صغيرة تافهة ، ثم أتبعتها بأخرى بعد عامين . وكان أهلى على قلة تفاؤلهم يتوقعون لى شيئا من الحظ في احتراف الأدب ، وتجلى ذلك فى أن أبى قد اتفق معى على أن يظل خمسة أعوام يوظف لى مائة وخمسين جنيهاً فى السنة . غير أن الاتفاق أوشك أن ينقض حين أقدمت على الزواج ؛ فرأى أبى أن هذا الزواج أمر خارج على حدود الاتفاق . ولكننى عالجت الموضوع من ناحية أخرى ، إذ جهدت غاية الجهد حتى كتبت مسرحية كاملة فى أسبوعين فقط سميتها « ذو الرداء الداكن » وقدمتها إلى أبى وقام باخراجها على المسرح الملكى فى « إدنبره » فى فبراير ١٩٠٧ واحتجزها مدى خمسة أعوام أكبر الظن أنها مثلت خلالها مرات ومرات . وبعد ذلك انصرفت إلى الريف حيث دفعت إلى المطبعة بمجموعة من شعرى قام بنشرها « بلا كويل » . وفى خريف ذلك العام مضيت إلى حيث أقضى الشتاء عند صديق قديم كان حينذاك قسًّا فى « كورنوول » ، آملاً أن أوفق فى وضع مسرحيات جديدة ...

ولعل سرورى بظهور هـذه المجموعة الشعرية قد ترك أثره فى نفسى ، إذ فضلت الاشتغال بوضع الكتب على كتابة القصص للمسرح . ويخيل إلي أن الكتاب المبتدئين يؤثرون مشاهدة قصصهم تمثل وراء ستار المسرح على أن يظلوا يقلبون صفحات كتبهم بعد طبعها ؛ بيد أنى آثرت تأليف الكتب على أى حال . ولعل مبعث ذلك إنما هو عدم رضاى عن قيام الممثلين بأدوارهم ، إذ كنت شديد الثقة بأننى أستطيع أن أقوم بتمثيل الأدوار خيراً مما يصنعون جيماً ! والعجيب أن هذا الاعتقاد نفسه قد عزف بى عن احتراف التمثيل ! والحق أننى كنت أضيق بطريقة أداء الممثلين لأدوارهم ، فقد كنت أتبين أن الشخصيات التى وضعتها فى مسرحيتى لم تكن تخرج على المسرح ولها الخواص والمميزات التى كنت حريصاً عليها حين وضعت أشخاص مسرحيتى قبل التمثيل .

واتفق بعد ذلك أن نضجت فى ذهنى فكرة قصتى الأولى « الزواج السري » . وظلت صورة بطلتها تتمثل لى مع كل صباح ؛ حتى كان نوفبر سنة ١٩٠٧ ، إذ جلست إلى منضدتى أسجل بقلم الرصاص فصول هذه القصة التى تولى نشرها « مارتن سيكر » فى صيف عام ١٩١٠

* * *

مضيت في كتابة هذه القصة ببطء شديد . ولم تكن لى مرانة قصصية تذكر ، غير أنى مضيت فى تسجيل فصولها على غرار الأساليب المعروفة فى القرن الثامن عشر ، وكذلك كانت هـذه الفصول تدور حول حياة أشخاص عاشوا في ذلك القرن نفسه . وإنى لأذكر أننى فرغت من كتابتها فى عام ١٩٠٩ ، ثم آثرت أن أبعث بها إلى صديقى « جون مورای » الذي كانت لأبيه دار للنشر . على أنى كنت ضعيف الأمل فى أنه مستطيع أن يحمل والده على قبول نشر قصتى . ولم ألبث بعد إرسالها إليه سوى أسبوعين ، كتب إلىّ بعدهما يقول إن ممن يقرأون لهم اثنين نصحا لهم بعدم نشر هذه القصة ، وإنه لا يستطيع أن يصنع من أجلى شيئاً ! ! وقد عجبت لذلك كثيراً ...

وبعد ذلك تلقى أبي من صديقه « هنرى جيمس » كتاباً يقول فيه إنه بعث بقصتى إلى الناشر الأشهر « هانيان » وطلب إليه أن يعيرها عناية خاصة . وقد كان أبى حينذاك ينظر إلى كتابتى القصصية على أنها ليست فقط مضيعة لوقتى ، بل هى فوق ذلك مضيعة لنقوده أيضاً !

كان « هنرى جيمس » رجلا طيب القلب إلى أبعد حد . غير أنه لم يكن ذا ولع بأن يقرأ قصة من طراز القرن الثامن عشر ؛ وقد بدا ذلك جلياً فى خطابه ذاك . وإنى لأقرر فى هذا الصدد أننى أستطيع أن أعد على أصابع اليد الواحدة أولئك الناشرين الذين

يحكمون على ما ينشرونه بمحض آرائهم الخاصة . ولعل ذلك من أشنع العيوب التي يمكن اجتلاؤها في ميدان النشر

وأكبر الظن أن القصة لم تصل إلى يدى «هانيان» إذ بعث بها «هنرى جيمس» إليه . فقد عاد بها البريد إلىّ بعد ثلاثة أيام مع أن «هانيان» كان وقتها مسافراً في مكان بعيد، كما علمت بعد ذلك . وقد أرسلت بها مرة أخرى إلى ناشر آخر لم يوافق على طبعها إلا إذا قمت بنفقات الطباعة ! فقصدت إلى ناشر غيره رفض أيضاً ، ثم إلى ناشر ثالث حجزها بضعة شهور قبل أن يرفضها هو أيضا . وهكذا تعدد عرضى إياها على الناشرين ، كما تعدد إصرارهم على الرفض . وكان أبسط نتائج هذه الحالة أننى يئست من مستقبلي ككاتب قصصي ، فعدت أحاول أن أعالج المسرحية من جديد ، فكتبت قصة تمثيلية جديدة وقدمتها إلى والدى ولكنه رفض إخراجها ! فعزف بي ذلك عن كل رغبة في احتراف القلم ؛ وبدا لى أن من الأوفق أن أجرب حظى في الاشتغال بتربية الأزهار واستنباتها، وقد أصبت في هذا العمل حظاً من التوفيق فأصررت على ألا أخط بقلمى حرفاً واحداً من قصة جديدة ؛ إلا إذا طبعت قصتى الأولى «الزواج السرى» ورأيتها منشورة في كتاب يجثم على مائدتى !!.

وحدث بعد ذلك أن أنذرنى أبي بأنه قد بر بوعده وأمضى خمس سنين وهو يعطيني مائة وخمسين جنيهاً في العام — غير أنه لا ينوى استئناف تأدية هذا المال معاونة لى على استنبات الأزهار أو كتابة القصص ! وهكذا وجدتنى مرغماً على احتراف التمثيل مثله . وكان هو في ذلك الحين قد أرصد قدراً من المال لإخراج مسرحية جديدة للكاتب العظيم «هول كين» في سنة ١٩١٠ وكان في هذه المسرحية الجديدة دور يلائمنى ، ولم تكن أمامى عقبة سوى موافقة المؤلف «هول كين» نفسه لأقوم بأداء هذا الدور في نظير أجر أسبوعى قدره عشرة جنيهات

وأخرجت المسرحية ، ولعبت دورى فيها ؛ وظللنا نخرجها أسبوعاً واحداً . غير أنها جلبت علىّ بعض الحظ . فان بعض أصدقائى الفنانين قد أخبرنى بأن الموسيقى «بليسييه» كان يبحث عن شاعر يضع لفرقته بعض الأناشيد ، غير أنى لم ألبث أن مرضت بالتهاب في الحلق ، ولكن مرضى لم يحل دون قيامى بنظم ما يريده من شعر غنائى ومن حوار موسيقى . وهكذا وجدت لدى الرجل عملاً موافقاً لمدة عام واحد كتبت خلاله قصتى الثانية الشهيرة «كارنيفال»

وفي تلك الأثناء أخبرنى بعض الأصدقاء بأن «مارتن سيكر» يلح في طلب قصتى الأولى «الزواج السرى» ، التي كان قد قرأها قبل أن يحترف النشر وأنه يحب أن يجعلها أحد كتابين يريد أن يبدأ بطبعهما حياته العملية كناشر . فتواعدنا على اللقاء في مشرب للشاى . وفي هذا اللقاء اتفقنا على كل ما يعنينى ويعنيه من أمر النشر ، بعد أن غيرت اسم القصة فصار «الزواج السرى» بعد أن كان اسمها إلى ذلك الحين «موارد الدينار» ، وقد سر المستر «سيكر» بهذا التغيير أيما سرور

كنت أختلس الفراغ بين مشاغلى لأقوم بمراجعة «بروفات» الكتاب حال طبعه ، إذ كنت أعمل مع الموسيقى «بليسييه» كما قدمت ، ولم يكن عملى معه يقتصر على تأليف الأغانى بل كان يتعداه إلى كثير من المهام الفنية المتصلة بطبيعة عمله . بل إنى لم أكن أفرغ لمراجعة هذه «البروفات» إلا وقد نال منى الجهد وكدت أسقط من الإعياء ، وقد سبب ذلك وقوع كثير من الأخطاء المطبعية المضحكة في الطبعة الأولى من الكتاب .

ولم يكن الناس يعتبرون «يناير» من شهور موسم النشر ، ولكن بدا لى أن ظهور كتاب جديد لمؤلف مغمور في مثل هذا الوقت الخارج عن موسم النشر قد يكون تنبيها خاصاً إلى ظهوره . وقد أسفرت التجربة عن صحة حدسى . وكانت الصحف كريمة في استقبال كتابى غاية الكرم . وأفاد الكتاب من هذا كثيراً ، إذ بيع منه خمسة آلاف نسخة قيمة كل منها ستة شلنات، وكان هذا العدد يعتبر ضخماً في ذلك العهد .

وينبغى أن أذكر هنا أننى أشرت على الناشر بأن يبذل غاية الجهد في سبيل الاعلان عن الكتاب في كل مكان . وقد أثر الاعلان كما كنت أرجو ، إذ استلفت أنظار القراء إلى كتابى الأول .

كومبتون ماكنزى

الرســـالة في عامهـــا الســـابع

المجلة التى أحدثت فى الأدب الحديث مدرسة خاصة

المجلة التى ثبتت على مكاره الجهاد والانتقاد والزمن

المجلة التى تنسم بأريج الاسلام والعروبة والشرق

المجـلة التى لا تتخلف ولا تتوقف ولا تهن

ستخطو هــذا العـــام أوسع خطواتهـــا وأجرأها

أدب ، علم ، فن ، فلسفة ، اجتماع ، سياسة ، اقتصاد ، قصص ، شعر

نقد ، محادثات ، ريبورتاج ، مترجمات ، مختارات ، أخبار ، مسرح ، سينما

أسرة الرســـالة في سنتهـــا الجـــديدة

الأستاذ العقاد ، الأستاذ المازنى ، الأستاذ توفيق الحكيم ، الأستاذ عبد الرحمن شكرى ، الأستاذ اسعاف النشاشيبى ، الأستاذ ساطع بك الحصري ، الدكتور محمود عزمى ، الدكتور عبد الوهاب عزام ، الدكتور زكى مبارك ، الدكتور محمد محمود غالب ، الدكتور أحمد موسى ، الدكتور يوسف هيكل ، الأستاذ محمد أحمد الغمراوى ، الأستاذ سعيد العريان ، الأستاذ درينى خشبة ، الأستاذ عبد المنعم خلاف ، الأستاذ محمود الخفيف ، الأستاذ عمر الدسوقى ، الأستاذ محمد حسن ظاظا ، الأستاذ أحمد خاكى ، الأستاذ على الطنطاوى ، الأستاذ أنور العطار ، الأستاذ أمجد الطرابلسى ، الأستاذ الحومانى ، الآنسة أسماء فهمى ، الآنسة زينب الحكيم ، الآنسة الزهرة ، الآنسة فلك طرزي ، الأستاذ محمد لطفى جمعة ، الأستاذ فليكس فارس ، الدكتور بشر فارس ، الأستاذ محمود غنيم ، الأستاذ محمود حسن اسماعيل ، الأستاذ أحمد حسن الزيات .

ادفع من الآن لغـــاية آخر يناير ستين قرشا

تكسب مجلة الرواية ومعها كتاب متوسط بالمجان ، أو كتاب كبير بالتخفيض ، أو مجموعة السنة الأولى أو الثانية من مجلة الرواية بحيث يصبح اشتراك الرسالة مع هذه الهدايا عشرين قرشاً . والاشتراك فى الخارج هو مثله فى الداخل ، ويزاد عليه ثلاثون قرشاً مصرياً فرق أجور البريد . وسنعلن عن كتب الهدايا فى الرسالة خلال شهر يناير ـ أما الاشتراك بعد مدة التخفيض فهو ستون قرشاً للرسالة وثلاثون للرواية فى الداخل ، ومائة قرش للرسالة وخمسون فى الخارج للرواية ويخصم فى كل منهما للطلاب ٢٥ ٪ .

تظهر فى ثوبها الجديد : بحروف جديدة ، وطبع متقن .

مـــدام كورى

للدكتور محمد محمود غالى

مدام كورى مكتشفة الراديوم التى ارتفعت إلى مقام نيوتن ودريكات وباستور ، أستاذة السوربون وحائزة جائزة نوبل للطبيعة سنة ١٩٠٣ وجائزة نوبل للسكيمياء سنة ١٩١١

إن الذين يعجبون فى قرارة نفوسهم إعجاباً علمياً بالراديو والتليفزيون وغيرهما ويشعرون بالدور الذى ينبغى أن تلعبه مصر والبلاد الشرقية لاستكمال الانتصارات العلمية لتقدم الانسان يهتمون ولا شك بمعرفة أخبار المعامل العلمية ، فتلك الهياكل المقدسة كما يسميها باستور ، هى التى يجب أن نحميها أكثر من حمايتنا لأنفسنا ، إذ فيها تنمو الانسانية وتقوى ويزدهر التنسيق العالمى ، بينما الانسان فى خارجها ينساق أحياناً لأعمال بربرية وتحمس أحمق لتحطيم نفسه وتحطيم البشر

وإنه ليحلو لى فى هذه الأيام التى يهتم العالم فيها بالتسلح والتسابق للتهلكة ، فى هذا العهد الذى يقف فيه كل عمل إيجابي لتنساق إلى ما هو سلبي ، يحلو لى أن أحدث القراء فى أحب سير المعامل العلمية ، فأحدثكم عن مدام كيرى واكتشافها للراديوم : قصة وإن لم تكن قصة اليوم ، وعمل وإن لم يكن وليد هذه الساعة ، إلا أنها ليست بالقصة التى ننساها مع الزمن ، ولا بالعمل العادى الذي يمر ككل عمل

إن عمل كيرى للنجاح لا يقف عند حد ، فقد كنا أمام مادة جديدة فى طبيعتها وخواصها ، بل كنا أمام نشاط إشعاعى حرارى كهربائى ، بل كنا أمام تكوين جديد للهيليوم وتحول للعناصر وتغيير فجائى فى المادة ، فلا عنصر بالمعنى الذى كنا نفهمه، ولا ذرة غير قابلة للتجزئة ، إذ فى كل ثانية تمر تطرد جسيمات الراديوم ملايين من ذرات الهيليوم بقوة كبيرة . على أن بقايا هذا الانفجار هى ذرات غازية تتحول هى أيضاً إلى جسم إشعاعى آخر ، ثم يتحول هذا من جديد ، وهكذا سلسلة من الأعضاء كل عضو فى أسرة سلالة آبائه الذين تحولوا إليه . فالبولونيوم من سلالة الراديوم، والراديوم من سلالة الأورانيوم ، وهذه الأجسام التى تتكون فى كل لحظة تنعدم من جديد وفق قانون أزلى ، وهكذا فى المادة السماء التى كنا نعتقد جمودها نجد عالماً حافلا بالمواليد والوفيات والحوادث والاصطدامات . فيه صورة للحياة وفيه طريق الموت

هذه الحقائق الأولى التى كانت نتيجة لاكتشاف الراديوم عظيمة إلى أقصى درجات العظم ، فهى تضم فلسفة جديدة وتفكيرا جديدا وعلما يختلف عن كل ما تقدمه ، ونتائج تقلب ما ألفناه ، حتى كان على الفلاسفة أن يبدأوا فلسفتهم من جديد، وعلى الطبيعيين أن يعيدوا فى ضوء هذه الحقائق بناء العلم الحديث

ولا يمكن فى مقال واحد أن نستعرض الانقلاب الذى حدث من جراء اكتشاف الراديوم فى التفكير الطبيعى أو فى الناحية الرياضية أو الجيولوجية. لقد كان له فى هذه العلوم أثر كبير، وكان له فى الناحية الطبية معجزة أخيرة فان الراديوم يلعب دوراً فى سعادة الانسان . وعلى حد تعبير أيف كيرى Eve Curie فى كتابها(١) عن والدتها: « قد تحالف الراديوم مع البشر ضد مرض خبيث هو السرطان »

وقد ذكرت فى المحاضرة التى ألقيتها فى كلية العلوم مساء الأربعاء ٣٠ نوفمبر بمناسبة الذكرى الأربعينية لاكتشاف النشاط الاشعاعى النتائج الأولى لاكتشاف الراديوم وهى المحاضرة التى بسطتها فى حديث فى نفس المساء من محطة الأذاعة اللاسلكية ، كما ذكرت فى المحاضرة التى ألقيتها فى يوم الأحد ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٣٨ فى كلية الطب وهى المحاضرة الرابعة فى أسبوع السرطان النتائج الأولى لفالكوف وجيزل اللذين بينا ما للراديوم من التأثير الفسيولوجى . كما ذكرت علاقة هذه النتائج بالابحاث التى قام بهـا بيير كيرى (Pierre Curie) الذى عرض ذراعه لفعل الراديوم ، وذكرت دراسته الخاصة بأثر الراديوم فى الحيوان واشتراك أطباء من أعـلام الطب مثل بوشار (Bouchard) وبالتازار (Balthazard) اللذين افتتنا من اللحظة الأولى فى « تيرابى » جديدة سموها كيرى تيرابى من اسم مدام كيرى ، كما نوهت بأعمـال دولوس ودجريه وفيكام وغيرهم ، وهم الذين كانوا أسبق الأطباء إلى استعمال الراديوم بنجاح فى الأغراض الطبية »

وهكذا لم يصبح الراديوم موضوعاً خاصاً بالعلوم البحتة والعلوم

(١) مدام كيرى ، لأيف كيرى الطابع جاليمار باريس
Madame Curie par Eve Curie, Gallimarde — 43 rue de Beaune Paris

التجريبية فقط بل أصبح مادة لازمة ونافعة ، وهكذا لم ينشأ علم جديد فحسب بل نشأت صناعة جديدة أيضاً

ولنبدأ الآن في سرد الوقائع التي أدت إلى اكتشاف الراديوم والنشاط الاشعاعي بعد أن اكتشف رنتجن أشعة X . عرض هنري بوانكاريه الرياضي الفرنسي المعروف بتكهناته المديدة في جلسة بالمجمع العلمي الفرنسي أول لوح فوتوغرافي أخذ بهذه الأشعة وفكر مع بكارل (Becquerel) فيما إذا كانت هناك أشعة أخرى غير الأشعة السينية (X) من نوعها يكون مصدرها الأجسام الفلورية أي الـ (Floreocents) عند تعرضها للضوء

فامتحن هنري بكارل أملاح بعض المعادن النادرة « الايران » وبدل أن يقع على الظاهرة التي يتوقعها مع زميله بوانكاريه وجد ظاهرة أخرى تختلف عن الأولى كل الاختلاف . ذلك أن ملح الايرانيوم تنبعث منه دون تأثير سابق للضوء أشعة طبيعتها غير معروفة . ومما يجدر بالذكر أن تجارب بكارل كانت تنحصر في أن يعرض الايرانيوم لضوء الشمس ثم يضعه على اللوح الفوتغرافي ليرى أثر الاشعاع الذي اكتسبه من الشمس ، وقد حدث أن الجو ظل قاتماً في باريز بطريق الصدفة ثلاثة أيام متتالية (يقول سودى[1] في كتابه ثلاثة أسابيع) في وقت كان قد نسى فيه بكارل قطعة من الايرانيوم على لوح فوتوغرافي مغطى بورقة سوداء رغم عدم تعرض هذه القطعة لضوء الشمس . وقد تأكد بكارل أن هذه الخواص لا تتعلق بتعرض سابق للشمس، بل إن هذا الاشعاع يستمر مهما طالت المدة التي تحجز فيها قطعة من الايرانيوم في الظلام . وهكذا اكتشف بكارل في الواقع الظاهرة التي أسمتها مدام كيرى فيما بعد بالنشاط الاشعاعي

وكانت مارى سكلودوفسكا (مدام كيرى فيما بعد) قد انتهت من حصولها على ليسانس العلوم في السوربون بباريز وشرعت تبحث عن مكان للبحث في المعامل التي يديرها في ذلك الوقت الأستاذ لمان (Lippmann) والتي يديرها اليوم أستاذي الكبير كوتون (A. Cotton) رئيس المجمع العلمي الفرنسي ، وكانت تتجه في ذلك الوقت إلى بحث الأمواج اللاسلكية ، فلم تجد مكاناً لها بالمعمل وكانت تطالع النشرات الأخيرة للمجمع العلمي الفرنسي علها تجد مبحثاً آخر لا يحتاج للأدوات المديدة التي يحتاجها الموضوع الأول (الذي كما ذكر « سودى » حضرت فيه درجة أستاذ في العلوم) وإنه ليسرني أن أسرد هـذه الوقائع في مصر لأول مرة هذا الشهر وهي التي استقيتها من الأستاذ الكبير جيبه (A. Cuillet) أثناء إقامتي الطويلة بالسوربون . وما كان أسعد حظ العالم عندما طالعت مدام كيرى نشرة بكارل الخاصة بأشعاع الايرانيوم

لفليب فرانك أستاذ جامعة براج دراسة فلسفية في مناقشة الأسباب والمسببات وكتاب لاقينا صعوبة في دراسته ، ولأميل بورل (Emile Borel) الوزير السابق وأستاذ السوربون دراسة هامة في موضوع الصدفة والاحتمالات . ولو أنهما في دراستهما للأسباب والمصادفات أرادا أن يجدا مثلا أعلى بضربانه لحدوث المصادفة والمصادفة السعيدة للعالم ، لاعتبرا الساعة التي طالعت فيها مدام كيرى نشرة بكارل من الساعات السعيدة للعالم ! ومن يدرى فان مركزنا العلمي اليوم وطريقة فهمنا للأشياء في العلوم الطبيعية ، في نظرية الكم وغيرها ، كان يتغير تغييرا كليا ، لو أن كيرى لم تطالع هذه النشرة من نشرات المجمع العلمي

لقد شغلت أشعة بكارل ذهن مدام كيرى : من أين هذا النشاط ؟ وما هي طبيعته ؟ هذا موضوع شائق للبحث . هذه تصلح رسالة تحضرها بعد أستاذية العلوم للحصول على دكتوراه الدولة في العلوم . هذه أرض عذراء للعمل والانتاج ، فأعمال بكارل حديثة لم يتعمق أحد في كل معامل البحث في أوربا فيها ، فلا كتب ولا نشرات علمية ولا مقدمات غير هذه النشرة الخالدة لبكارل التي تحمل سنة ١٨٩٦ مولد الكثير من الأحياء منا

وهكذا احتوت مدام كيرى حجرة خالية من وسائل التدفئة ليست بالسوربون بل بفناء مدرسة الطبيعة بشارع لوموند ، ولا يهم المشتغل بالأبحاث العلمية في جامعة كبيرة كالسوربون سوى السماح له بمكان يعمل فيه ، وعلى الذين يقصرون عنايتهم على المباني فينفقون عليها الأموال الطائلة أن يتذكروا أن المباني

(١) لم أذكر في محاضرتي بكلية الطب شيئاً عن المدة التي ترك فيها بكارل هذه الألواح الفوتوغرافية في درج معمله ، وذكرت في محاضرتي بكلية العلوم وفي حديثي من محطة الاذاعة اللاسلكية أن بكارل ترك بطريق الصدفة هذه الألواح ثلاثة أيام في أحد الأدراج لتغيب الشمس هـذه المدة وقد وجدت أثناء تحضيري هذا المقال في كتاب سودى أستاذ جامعة اكسفورد Soddy عن النشاط الاشعاعي أن هذه المدة كانت ثلاثة أسابيع أما مرجعي في مدة الثلاثة الأيام فهو كتاب « جان بكارل » نجل بكارل نفسه وعلى كل فليس للموضوع أهمية غير الأهمية التاريخية

ليست كل شيء ، فالجامعات لم تكن يوماً أعمدة وصالات ونواقيس وأبراج ، إذ من تلك الحجرة المتواضعة خرجت أبحاث الراديوم للعالم منتصرة مؤذنة بعصر جديد ، تلك الأبحاث التي استحقت عليها مدام كيري جائزة نوبل مرتين

وقد بدأت أعمالها بأن تقيس قوة إشعاع الأيرانيوم وتوصلت في المبدأ لقواعد هامة غاية في الأهمية، منها أن قوة الأشعاع تتناسب مع كمية الأيرانيوم وأن الأشعاع لا يتأثر بالتفاعل الكيميائي للأيرانيوم ولا بالعوامل الخارجية كالحرارة والضوء

يحدث كثيراً في العلوم التجريبية أن ظواهر لا تجد تفسيراً في المبدأ ويحار الباحث في تعليلها، ولكنه لا يلبث أن يجد التفسير في قوانين معروفة وسابقة فيقف التجديد في هذه الناحية عند هذا الحد . أما هذه الملاحظات الأولى وغيرها لمدام كيري فقد كانت على عكس ذلك ، إذ ظهر لها أنها أمام ظواهر جديدة وأن أصل الأشعاع لا بد وأن يكون خواص جوهرية للذرة نفسها

وقد تساءلت فيما إذا كان هناك أجسام أخرى لها هذه الخاصية من الأشعاع ، فتركت مؤقتاً دراسة الأيرانيوم إلى دراسة كل الأجسام الكيميائية المعروفة ، فوجدت أن لمركبات مادة أخرى اسمها « الثوريوم » إشعاعاً له نفس القوة

وهكذا وجدت أن ظاهرة الاشعاع لم تكن خاصة بمادة دون الأخرى، لذلك سمتها النشاط الأشعاعي ونعت الأجسام التي لها هذه الخواص عناصر مشعة

ولقد كانت مدام كيري متعطشة للمعرفة لأقصى حد ، وهي صفة من صفات العلماء ، فبدل أن تحصر دراستها في المركبات البسيطة بدأت تفحص جميع العينات التي كان يختارها معها بيير كيري والموجودة بطريق الصدفة في مدرسة الطبيعة فتضعها الواحدة بعد الأخرى أمام الألكتروسكوب . وقد حصرت مجهودها في جميع العينات التي تحوي فقط الأيرانيوم أوالتوريوم ، وهنا كانت الفاجأة الكبرى والنتيجة غير المتوقعة فقد وجدت أن الأشعاع هذه المرة أقوى بكثير جدا من الأشعاع الذي تسببه نفس الكمية الموجودة من الأيرانيوم أو التوريوم في هذه العينات

وقد اعتقدت مدام كيري أن هذه المفاجأة قد تكون وليدة خطأ في سير التجارب نفسها ، ومن عادة الباحثين أن يجعلوا الشك في العمل أولى دائما من الاعتقاد بالوصول إلى شيء جديد ، ولكن كيري أعادت هذه التجارب عشرات المرات دون أن يتغير الموقف ، ولم يكن للمالة سوي مخرج واحد وتفسير واحد هو ضرورة احتواء هذه المعادن على مادة أكثر إشعاعا من الأيرانيوم والتوريوم . ولكن ما هي هذه المادة يا ترى ، ونحن نعلم أن مدام كيري كانت قد قامت بتحليل كل العناصر الكيميائية ؟

لقد أجابت مدام كيري على هذا السؤال بشيء من الثقة بالنفس ، إجابة هي طابع كبار العلماء ، فوضعت فرضاً جديداً ورأياً جريئاً ، هو أن هذه المادة عنصر جديد غير العناصر التي نعرفها ورجحت وجود عنصرين لا عنصر واحد

هكذا اكتشفت مدام كيري وقرينها عنصري البولونيوم ، نسبة إلى بولونيا موطنها الأصلي ، ثم الراديوم الذي يزيد إشعاعه على مليون مرة بالنسبة لاشعاع الايرانيوم الذي اكتشفه بكارل ، وهكذا تمت الخطوات الخمس من اكتشاف الراديوم والنشاط الاشعاعي

الخطوة الأولى : اكتشاف أشعة X وملاحظة بوانكاريه وبكارل

الخطوة الثانية : النشرة التي وقعها بكارل سنة ١٨٩٦ عن اكتشاف خواص الايرانيوم

الخطوة الثالثة : النشرة التي وقعتها كيري بمفردها عن اكتشاف خواص التوريوم

الخطوة الرابعة : اكتشافها مع قرينها البولونيوم ، على أثر ملاحظتها الشخصية عن زيادة الاشعاع في مركبات تحوي مواد مشعة إشعاعاً ضعيفاً

الخطوة الخامسة : اكتشافها مع بيير كيري وبمون Bémont الراديوم

وإذا ألقينا نظرة على ما نشر بعد اكتشاف بكارل ثبت لنا بلاجدال أن الدور الهام بين الثلاثة الذين تكاتفوا في الأيام الأولى لاكتشاف الراديوم كان لمدام كيري (ماري سكلودوفسكا في ذلك الوقت) ، ولعل أعظم هذه الأيام ذلك اليوم التاريخي الذي دخلت فيه ماري معمل ليمان بالسوربون لتكتب نشرتها الخالدة للمجمع العلمي الفرنسي المؤرخة ١٢ إبريل سنة ١٨٩٨ ، والتي بينت فيها زيادة الأشعاع في مادة بها ايرانيوم عن الأيرانيوم نفسه والتي استنتجت فيها العناصر الجديدة

ولقد انحصرت المسألة بعد ذلك في عمل مضن طويل لعزل

رسالة من باريس

بعض الدكاترة الفخريين

الذين منحوا الدكتوراه الفخرية في فرنسا هذا العام

للباحث الأديب مصطفى زيور

— ٣ —

العلامة تزنت جيورجي

لا يمكن أن تذكر مسألة الفيتامين دون أن يذكر اسم العالم البيولوجي والطبيب المجري تزنت جيورجي ؛ فاذا علمنا أن مسألة الفيتامين كسبت في ثلاثة السنوات الأخيرة أهمية جديدة بما أحرزته البحوث فيها من تقدم كبير ، وبما ألقته هذه البحوث من ضوء جديد على طائفة من أهم مسائل علم الحياة ، فإننا نفهم كيف أن جائزتين من جوائز نوبل تمنحان هذا العام لعالمين هما تزنت جيورجي و « كارر » اللذان وقفا مجهوديهما على البحث في هذه المسألة ، وكيف أنهما يفوزان في نفس العام بالدكتوراه الفخرية من باريس، بحيث يمكننا أن نقول إن عام ١٩٣٨ هو عام الفيتامين .

ولكي نقدر مجهود هذين العالمين ونفهم خطورة أبحاثهما ، أرى من الواجب أن أقدم لذلك بكلمة تاريخية قصيرة في مسألة الفيتامين ، حتى يتبين كيف أن هذه المواد التي كانوا يصفونها منذ بضعة سنوات بأنها « غامضة » أو « خفية » أصبحت من الأشياء التي يحضرها الكيميائي في معمله بل يركبها تركيباً صناعياً من مواد بسيطة محاكياً في ذلك الوظائف الحية ، ويضعها في أوعية يأخذها الطبيب ليعالج بها مرضاه.

نشأت فكرة الفيتامين حوالي سنة ١٩١٢ على أثر ملاحظات وتجارب عديدة قام بها الأطباء من ناحية وعلماء وظائف الأعضاء من ناحية أخرى ، أدت إلى فكرة وجود مواد طبيعية في الأغذية وظيفتها حفظ التوازن الحيوي ودرء أمراض معينة .

أما ملاحظات الأطباء فقد كانت في الأمراض الآتية :

(١) — مرض البري بري : (لفظ من أصل سنغالي معناه الضعف) وهو مرض منتشر في شرق آسيا ويظهر على أحد شكلين : شكل يتميز بالشلل وضمور العضلات ، وشكل يتميز برشح المصل الدموي في الأنسجة فيحدث أوراماً مائية مصحوبة بأعراض خطيرة مختلفة لا تلبث أن تؤدي بالمريض إلى الموت .

(٢) مرض الاسقربوط (سكوربيك): كاسماه الهولنديون (أصلها من الألمانية القديمة schorbock ويسميه الفرنسيون Scorbut والانجليز Scurvy) ينتاب هذا المرض المعروف منذ أبقراط سكان المدن الواقعة تحت الحصار والنوتية الذين يقلمون في أسفار طويلة ، أي كلما اقتصر غذاء الانسان على الأطعمة المحفوظة لمدة طويلة . وتبدأ أعراضه بأورام وأوجاع في المفاصل ونزيف في اللثة لا يلبث أن يشمل باقي الأعضاء فيهزل الجسم ويدنو المريض شيئاً فشيئاً من نهاية محزنة .

(٣) — مرض البلاجرا : مرض معروف في بعض أرياف مصر وفي جنوب أمريكا وبعض بقاع جنوب أوربا ، يتميز بطفح جلدي خاص (ومن هنا جاء اسمه : من Pellis اللاتينية أي جلد و oegria أي خشن) ثم باضطرابات في القناة الهضمية مصحوبة بالاسهال ، وأخيراً بهزال شديد ثم باضطرابات عصبية وعقلية مصحوبة بالهذيان فالموت .

(٤) — الكساح : وهو مرض ينتاب الأطفال فيضطرب نمو عظامهم وينتج عن ذلك اعوجاج في العمود الفقري والأطراف

هذين العنصرين البولونيوم والراديوم ، حيث تطالع في النشرات الخاصة بوجودها أسماء مدام كيري وبيير كيري وبيمون ، وحيث نرى كلمة راديوم لأول مرة في نشرة وقعها الثلاثة معاً في ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٩٨ ، وحيث نعلم أنه لتحضير أول ديسجرام من الراديوم قضت مدام كيري وقرينها أربعة أعوام في هذه الحجرة الخالية من وسائل التدفئة بل في هذه السقيفة المجهولة ، وهي الكمية الأولى التي كانت لازمة لتواجه بها علماء الطبيعة والكيمياء والتي استطاعت أن تحسب بواسطتها الوزن الذري للمادة الجديدة التي وضعتها في جدول العناصر

ومما يجدر بالذكر أنه عند ما قرر المجمع العلمي باستوكهولم إعطاء جائزة نوبل للطبيعة في نوفمبر سنة ١٩٠٣ قرر منحها لبكارل ومدام كيري وبيير كيري

« للكلام بقية »

محمد محمود غالي

دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون

(٥) – كرتومالامى : وهو مرض فى قرنية العين لدى الأطفال فلا تلبث أن يصيبها العطب وتصحبه قابلية شديدة للعدوى بالأمراض المعفنة .

لم يغب عن الأطباء طويلا أمر هذه الأمراض ، فقد تبينوا منذ القرن السابع عشر أن مرض الاسخربوط يصيب من امتنع عن الخضروات والفواكه الطازجة ، كما لاحظوا فيما بعد أن مرض البرى برى يحل فى الشعوب التى يتألف غذاؤها الرئيسى من الأرز المقشور (كما فى الصين وفى اليابان) ، وأن البلاجرا تنال من الجماعات التى تقتصر فى غالب الأمر على الذرة (كما في بعض أرياف مصر ورومانيا وأسبانيا . الخ) ، وأن الكساح يصيب من الأطفال من ساءت تغذيته وحرم ضوء الشمس . أما كرتومالامى فينتاب من الأطفال من يودر بتغذيته غذاء قوامه دقيق الحبوب . وهكذا تبين لهم أن السبب فى جميع هذه الأمراض يرجع إلى تغذية سيئة تقوم على نوع بعينه من الطعام ، أو على طعام أحاله القشر وما إليه من العمليات الصناعية إلى غذاء ناقص، ومن ثم لم يكن من الصعب أن يجدوا العلاج لهذه الأمراض : أرز كامل بدلا من الأرز المقشور ضد البرى برى ، والفواكه والخضروات الطازجة ضد الاسخربوط، وغذاء متنوع ضد البلاجرا ، وضوء الشمس ضد الكساح، وأخيرا زيت سمك الحوت ضد هذا المرض وضد كرتومالامى . ويلاحظ أن الأطباء كانوا يصفون زيت السمك دون أن يعرفوا فائدته فى شفاء الكساح ، كما يلاحظ أن بعض وسائل العلاج لهذه الأمراض ، وقعت عليها الجماعات من تلقاء نفسها بمجرد التجربة اليومية ، فقد كان سكان النرويج يعالجون من أصابه مرض الاسخربوط بشيء من عصير البرتقال. ومما يلفت النظر أن مقدارا تافها من هذا العصير — وهذه نقطة رئيسية فى فهم طبيعة عمل الفيتامين — يكفى للوقاية من هذا المرض الخطر .

أما بحوث علماء وظائف الأعضاء التى قاموا بها مستقلين عن الأطباء وأدت إلى نفس النتيجة التى وصل إليها الأطباء ، فقد كانت ترمى إلى دراسة غذاء الانسان ودراسة كميته وكيفيته لمعرفة المواد الغذائية اللازمة وحفظ توازنه الحيوى ، وتحديد المقادير والصفات الكيميائية التى لا مندوحة عنها حتى يكون الغذاء كاملا .

كان محصولنا فى الكيمياء البيولوجية عند بدء هذه البحوث بحيث لم يلبث علماء وظائف الأعضاء أن تبينوا ضرورة ثلاث مواد عضوية رئيسية هى: البروتيد أى المواد الزلالية، والليبيد أى المواد الدهنية، والجلوسيد أى المواد النشوية السكرية، ثم بعض الأملاح المعدنية مثل كلورور الصوديوم أى ملح الطعام وأملاح الحديد والكلسيوم ، وأخيراً مقدار من مواد غير قابلة للهضم مثل السليلوز لتنبيه الأمعاء على القيام بوظيفتها فى الطرد . هذه هي المواد التى رأى علماء وظائف الأعضاء فى باديء الأمر ضرورة وجودها بمقادير خاصة فى غذائنا حتى نحصل على حاجتنا من الطاقة من جهة وعلى المواد اللازمة لبناء أنسجتنا وإصلاح ما تفقده منها من جهة أخرى .

وطبقا لمبدأ التحقيق التجريبى فى البحث العلمى بادر علماء وظائف الأعضاء بتغذية بعض الحيوانات المستعملة فى المعامل لهذا الغرض (مثل الفيران والأرانب وغيرها) بمقادير معينة من هذه المواد للتحقق من قيمة النتائج التى أوصلتهم إليها البحوث الكيميائية السابقة . وإليك مثلين تاريخيين لهذه التجارب :

فى سنة ١٨٨١ عمد « لونين » السويسرى إلى فيران يغذيها باللبن فبقيت عدة أشهر فى صحة جيدة ، حتى إذا بدأ يغذيها بالمواد العضوية الرئيسية التى يتركب منها اللبن أى الكازيين وهو زلال اللبن ثم الزبد وهو مادته الدهنية ثم اللكتوز وهو سكر اللبن وأضاف إليها المواد المعدنية التى يحتوى عليها اللبن — رأى لونين هذا الغذاء لا يلبث أن يورث الفيران انحرافا فتضطرب صحتها وتموت ، والنتيجة المنطقية من هذه التجربة أن اللبن يحتوى على مواد لازمة للحياة غير المواد المعروفة إلى ذلك الوقت .

وهاهو ذا « هبكنز » الكيميائى الانكليزى الكبير يقوم حوالى ١٩٠٦ بتجربة مشابهة فيعمد إلى فيران يطعمها غذاء مكونا من المواد الآتية : زلال اللبن والسكر والنشا وشيء من دهن الخنزير وبعض المواد المعدنية ، فلا تلبث هذه الفيران أن يقف نموها وتهزل ، حتى إذا أضاف إلى غذائها ثلاثة سنتيمترات مكعبة من اللبن يوميا أى ما يساوى نصف ملعقة صغيرة تقريبا ، فانها تبل مما أصابها وتتقدم صحتها . ولكن هذا المقدار من اللبن لا يمكن أن يعتبر غذاء فى ذاته لقلته ؛ إذن النتيجة المنطقية من هذه

التجربة أن الأغـذية الطبيعية تحتوى زيادة على المواد الأربعة الرئيسية المعروفة (الزلاليات والدهنيات والنشويات والمعدنيات) على مقادير صغيرة من مادة طبيعية أخرى لازمة للحياة تقوم بوظيفة « العامل المساعد » فى التغذية كما يقول هبكنز ، أى كما يحدث فى التفاعلات الكيميائية العادية كأن يضاف قليل من ثانى أكسيد المنجنيز إلى كلورات البوتاس حتى يساعـدها على التفاعل واستخلاص الأكسجين الذى تحتوى عليه .

والآن يمكننا أن نتبين كيف نشأت فكرة الفيتامين على أثر ملاحظات الأطباء وتجارب علماء وظائف الأعضاء التى لم يكن بينها علاقة فى بادىء الأمر . لاحظ طبيب هولندى كان يعمل فى مستشفى الحكومة فى جاوة حيث كان ينتشر مرض البرى برى بين الأهالى ، أن الفراخ الموجودة فى فناء المستشفى والتى كانت تتغذى بالأرز المقشور — وهو الغذاء الرئيسى للأهالى — كان يبدو عليها أعراض مرض يشبه مرض البرى برى . فما لبث أن نشأت لديه فكرة وجود علاقة بين الغذاء المكون من الأرز المقشور وبين ظهور أعراض هذا المرض ، ومن ثم بادر باعطاء هذه الفراخ « ردة » فشفيت مما أصابها . على أثر هذه التجربة عمد كيميائى بولونى يدعى فونك حوالى سنة ١٩١٢ إلى قشر الأرز يستخلص منه « العنصر » الفعال فى شفاء البرى برى ، فنجح فى استخلاص مادة فعالة ، ولو أعطيت بمقادير صغيرة ، ولما كانت هذه المادة تحتوى على وظيفة أمينية (وظيفة قلوية تحتوى على الآزوت ومنتشرة فى المواد العضوية) ، ثم لما كانت وظيفة هذه المادة حفظ التوازن الحيوى فقد دعاها فيتامين (فيتا اللاتينية أى حياة وأمين الخاصة الكيميائية) وهكذا وجدت كلة جديدة فى لغة العلم بل فكرة عامة جديدة لأن هذه الكلمة لم تلبث أن عمت وأطلقت على مختلف المواد العضوية الغذائية اللازمة بمقادير صغيرة لحفظ توازن الحياة .

ولكن العلم لا يدين للكيميائى فونك باكتشافه الكيميائى فحسب ، بل إن هذا الاكتشاف على خطورته لم يكن نهائياً من الناحية الكيميائية ، لأن المادة التى استخلصها لم تكن « العنصر » الفعال فى شفاء البرى برى ولكنها مادة تحتوى على ذلك العنصر كما تحتوى على عناصر أخرى استخلصت فى حالة النقاء فيما بعد ، ومن ثم لم يمكنه تحديد تركيبها الكيميائى . يدين العلم لفونك قبل كل شىء بادراكه العلاقة بين ملاحظات الأطباء المبعثرة من جهة وتجارب علماء وظائف الأعضاء من جهة أخرى ، كما يدين له بادراكه خطورة اكتشافه وتعميم فكرته على مواد لم تكن بينها رابطة واضحة فى بادىء الأمر .

ويمكننا الآن بعد هذه المقدمة أن نعرف الفيتامين : « بأنها مواد عضوية لازمة بمقادير صغيرة لنمو الجسم وحفظ توازنه الحيوى وقدرته على التناسل ، مواد يجب أن يحتويها غذاؤنا (أو على الأقل يحتوى على المواد التى يمكن للجسم أن يؤلف منها حاجته) وإلا انحرفت الصحة ولحق الجسم أمراض معينة »

وها هى ذى أنواع الفيتامين المختلفة التى استخلصت فى حالة النقاء وتمت دراسة تكوينها الكيميائى بل ركبت تركيباً صناعياً من مواد بسيطة .

(١) فيتامين ا : (أو : أكسروفرول) وهو مادة لا تذوب إلا فى المواد الدهنية مثل زيت السمك والزبد، وتوجد فوق ذلك فى كثير من النباتات على شكل مادة يدعونها « كاروتين » نسبة إلى كاروت أى الجزر لأنهـا المادة الملونة للجزر) يحولها الجسم إلى فيتامين ا ، وأهم هذه النباتات هى الجزر ثم السبانخ والطماطم والخس والذرة ثم كثير من النباتات الخضراء ذات الكلوروفيل (أى مادة النبات الخضراء) لأن الكاروتين يوجد عادة بجانبها وإن غلب لون الكلوروفيل لون الكاروتين . يقوم هذا الفيتامين بوظيفة العامل المساعد فى النمو والوقاية من الأمراض المعفنة ومن مرض يصيب قرنية العين يدعى كسروفتالمى (ومنه اسم الفيتامين ا : أكسيرفرول)

(٢) فيتامين د : (أو : كالسفيرول) وهو مادة لا تذوب كالمادة السابقة إلا فى المواد الدهنية ، توجد فى زيت السمك واللبن وصفار البيض ولا تكاد توجد فى غير ذلك من الأطعمة ، وظيفتها مساعدة عنصر الكلسيوم اللازم لبناء العظام على الاندماج فى هـذا البناء ، فإذا ما خلا الغذاء من الفيتامين د وخاصة لدى الأطفال بقى الكلسيوم الذى نحصل عليه من المواد الغذائية دون أن يدخل فى بناء العظام وطرد من الجسم فى النهاية مع الافرازات وتكون النتيجة أن يصيب الأطفال اضطراب فى نمو عظامهم يورثهم الكساح .

(٣) فيتامين هـ : (أو : توكوفيرول) وهو مادة لا تذوب كالمواد السابقة إلا فى المواد الدهنية ، توجد فى بذور الحبوب

وخاصة القمح ثم فى الخس . ووظيفتها مساعدة القدرة على التناسل ويحدث عدمها عقماً فى الذكر وفى الأنثى .

(٤) فيتامين ج : (أو : حامض آسكوربيك) وهو مادة تذوب فى الماء منتشرة فى النباتات وعلى الأخص فى الفواكه الطازجة مثل البرتقال والليمون والعنب والموز، وفى الخضروات مثل الطماطم والخس والاسبانخ والكرنب والفاصوليا الخضراء الخ ووظيفتها كما سأبين ذلك بالتفصيل مساعدة تفاعلات الاحتراق والاختزال فى الأنسجة وينتج من عدمها مرض الاسخربوط . ويتميز هـذا الفيتامين بشدة حساسيته للحرارة والتأكسد بالأكسجين الهواء .

(٥) فيتامين ب[1] : (أو : أنورين) وهو مادة تذوب فى الماء لا توجد إلا بمقادير تافهة فى بعض المواد الغذائية مثل بذور الحبوب وخميرة البيرة وبعض البقول وصفار البيض واللبن وبعض الخضروات . وظيفتها مساعدة الأحماض الناتجة من اختمار النشويات أن يكتمل تحللها .

وينتج من عدم الفيتامين ب[1] نقص فى هذا التحلل فيصيب الأعصاب تسمم من هذه الأحماض يورث مرض البرى برى .

(٦) فيتامين ب ٢ : (أو : لا كتوفلافين) وهو مادة ملونة تذوب فى الماء منتشرة فى الفصيلتين النباتية والحيوانية ، وتوجد على الأخص فى اللبن ومصل اللبن (السائل الذى ينفصل عن اللبن إذا تخثر) وظيفتها مساعدة تمثيل المواد النشوية ، وتدخل هـذه المادة فى تكوين خميرة بيولوجية هامة تدعى الخميرة الصفراء أو خميرة التنفس وظيفتها مساعدة تفاعلات الاحتراق والاختزال فى الأنسجة أى التنفس داخل الأنسجة كما يفعل فيتامين ج ؛ وينتج من عدم فيتامين ب[2] اضطراب فى تمثيل المواد النشوية ولذلك يصفونها دواء فى بعض حالات مرض السكر .

وهناك عدة أنواع أخرى من الفيتامين لم يعرف بعد تركيبها الكيميائى بالدقة وأهمها الفيتامين الواقى من البلاجرا ثم الفيتامين المدر للبن ثم الفيتامين الواقى من عطب يصيب جدار قنوات الدم الشعرية .

والآن بعد هذه المقدمة يمكننا أن نتناول بحوث تزنت جيورجى

« للكلام صلة » مصطفى زبور

رد على باحث فاضل

بين الغـــــرب والشرق

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

(بقية ما نشر فى العدد ٢٨٤)

إن معنى النظر فى العالم المنظور هو النظر الحر من أوجه العالم المشهودة بدون أن يشوب هذا النظر اتجاهات مستنزلة من النظر الغيبى ، والبحث عن الخالق عن طريق الطبيعة نظرة للطبيعة ولكن مشوبة بالنظر الغيبى . إذن فمن سبق الشرق الغرب بمثل هذه النظرة الحرة للأشياء من أوجهها المشهودة ؟ أليس اليونان أول من أطلقوا العقل من عقاله وحرروه من الخضوع فى اتجاهاته للنظر الغيبى ، وأعادوا العقل إلى مكانه الصحيح فى عالم الشهادة ؟

وبعد فيظهر أن باحثنا الفضال ، متأثراً بعقليته الشرقية من جهة وبعدم تفهمه ما وراء عباراتنا من معان من جهة أخرى ، انساق لاعتراضات ومواقف ليست من الحقيقة فى شىء . ولا أدل على ذلك من تعليقه على رأينا « من أن الجانب العلمى والفلسفى من الثقافة الاسلامية نتيجة للأخذ بأساليب الفكر اليونانى » بقوله : « ولماذا لا يكون هذا الجانب نتيجة للأخذ بأساليب الدين الاسلامى وتعاليمه ؟ » ونحن إزاء هذا التساؤل لا نملك أنفسنا من السخط لا على أن باحثنا أتى بشىء ليس لنا قبل برده ؛ ولكن لاعتراضه على حقيقة معروفة للجميع بمثل هذا التساؤل الذى لا يعني شيئاً غير قصور صاحبه عن الوقوف على تأثير الفكر اليوناني في نشأة الثقافة الاسلامية . يقول البروفسور نيلينو المستشرق الايطالى المعروف فى كتابه تاريخ علم الفلك عند العرب ص ١٤١ ما نصه:

« فى أواخر مدة الدولة الأموية ، ثبتت سلطة الاسلام على جميع الأمصار والأقطار التى دخلها ألويته عنوة أو صلحاً أثناء المغازى المتواصلة والفتوح من أقصى بلاد ما وراء النهرين فى تركستان إلى منتهى المغرب والأندلس . فعمت اللغة العربية الشريفة أهل تلك الولايات والبلدان وغلبت على ألسنتهم الأصلية فأخذ المسلمون كلهم من أى جنس أو ملة لا يستخدمون فى الانشاء أو التأليف إلا لغة العرب . فابتدأت وحدة الدين

تستوجب وحدة اللسان والحضارة والعمران ، فصار الفرس وأهل العراق والشام ومصر يدخلون علومهم القديمة فى التمدن الاسلامى الجديد »

وقد قلنا فى نفس هذا المعنى شيئاً فى كتابنا « الرسالة الأولى من مصادر التاريخ الاسلامى » ص ٣٧ — ٣٨ (طبع ١٩٣٦ — الاسكندرية)

(لقد فتح العرب البلاد وملكوا الأمصار عن طريق الحرب وقد نجحوا فى نشر الاسلام فى الأمم المغلوبة . ودخول هذه الأمم الاسلام جعلهم يخضعون لروح الاسلام الدينى والاجتماعي إلى حد . إذ لم يكن هؤلاء إلا أبناء تواريخ مجيدة وحضارات تليدة فسرعان ما رأيناهم قادة المدنية الاسلامية فى ساحات التفكير والحضارة ... دخل أبناء هذه الأمم الاسلام وهم يحملون فى تضاعيف عقولهم مرونة فكرية ، وبين ظهرانيهم كانت مذاهب دينية متعددة فى انتشارها من الوثنية إلى المسيحية فى صورتيها النسطورية واليعقوبية ، وكانت عقولهم تحمل فى طياتها بذور المدنية اليونانية كما نقلها لهم اليعاقبة ، ولم تخل أذهانهم من منازعات ستة قرون فى المسائل الدينية

دخلوا الاسلام فمحا كل هذه المظاهر من عالم الشعور ، ولكنه لم يمحها من طيات النفس وعالم اللاشعور ، فأثرت هذه العوامل على مر الزمن عن طريق غير شعورى فى تعاليم الاسلام فظهر علم الكلام

فاذا كان علم الكلام وهو من أخص العلوم الاسلامية ، ظهر تحت تأثير الامتزاج الغريب بين العناصر الثقافية المختلفة فى كيان الشرق العربي مع غلبة للعنصر الثقافى اليونانى فى هذا الامتزاج ، فلا شك أن مثل الدعوى التى يقدمها باحثنا الفاضل بأن العلم والفلسفة فى تاريخ المدنية الاسلامية يرجعان إلى أصل من الاسلام فى القرآن ، دعوى لا تجد لها ما يسندها من حقائق التاريخ الاسلامى وفلسفة هذا التاريخ

ونقطة أخرى من نقط اعتراضات كاتبنا « باحث فاضل » فهو يعلق على قولنا « انتهى متكلمة المسلمين إلى أن العالم حادث وانتهى الغربى إلى أنه قديم » بأن معنى حادث عند متكلمة المسلمين لا تدل على تاريخ معين ، وإنما أراد بها المتكلمة أن العالم حادث بالنسبة للخالق ، ونحن نقول: من ذا الذى أنبأ صاحبنا بأننا لا نعنى من كلمة حادث مايعنيه المتكلمون ، ونحن ننسبها لأصحاب الكلام من المسلمين. والمسألة عندى أن الشرق يعتقد أن العالم حادث على الوجه الذى تكلم به الامام الغزالى، والغربى يعتقد أن العالم قديم على الوجه الذى تكلم به ابن رشد فيلسوف قرطبة ، و « تهافت الفلاسفة » و « تهافت التهافت » هو الحد الفاصل بين هذين الاعتقادين : اعتقاد فى حدوث العالم من جهة المتكلمين ، واعتقاد في قدمه من جهة الغربيين انتهت إلى صورة فى الفكر الاسلامى على أنها من آراء الفلاسفة الواجب تكفيرهم من أجلها . وبعد فهذه المسألة معروفة لطالب الثانوى من طلبة المعاهد الدينية فى مصر ، وهم يدرسونها فى علم التوحيد (الكلام) فكيف بعد ذلك يسمح كاتبنا الفضال لنفسه أن يتخذ من هذه الأولية مثاراً لاعتراض ؟ ! ...

هذا وقد وقف الفاضل فى القسم الثانى من تعليقه فى الرسالة يغمز غمزات ويدير الكلام على وجه لا يتفق مع الحقيقة ، من ذلك أنه علق على قولنا (انتهى الغربى إلي أن إرادة الله مقيدة بنظام الكون وأفعاله قائمة على عنصر اللزوم والاضطرار بعبارة من عنده قائلاً : كلام من ؟ وأى كلام هذا ؟ ...

أما كلام من ؟ فالاجابة هينة : هو رأى الفكر الغربى إذا ما آمن بالله ؛ وإذا أراد باحثنا الفاضل أكثر من ذلك قلنا له إنه رأى الفلاسفة من المسلمين. ذلك أن هذا الرأي قائم على الاعتقاد بأن وجود العالم صادر عن الله بطريق التعليل . أما استنكار الكاتب هذا الكلام فليس لنا فى هذا الكلام شئ فنحن نقرر الواقع ، ولكن لنا أن نتساءل : لم هذا الاستنكار ؟

أليس هذا رأيا يدرسون فى كلية (أصول الدين) بالأزهر دلائله ويناقشونها مناقشة جدلية صرفة ؟ أليست كتب الكلام فيها عشرات الصفحات فى مناقشة هذا الرأى ؟

أليس تكفير الغزالى لابن سينا والفارابى كان من أجل هذا ؟ ألم يرد ابن رشد على الغزالى فى تكفيره ابن سينا والفارابى من أجل هذا الموضوع فى كتابه (تهافت التهافت) ؟

وبعد فيظهر أن باحثنا الفاضل نسى أو تناسى كل هذا فوقف يصرخ قائلا : من قال بأن الغربى يعتقد هذا إلا إذا نقد الجانب العلمي من قوى تفكيره ؟ أما هذا القائل فهو أنا . . . ذلك أن الغربى حين نظر للأشياء نظر إليها من ناحيتها المشهودة الواقعة

فى العالم المنظور، فانتهى عن طريق النظر فيها إلى أن العالم مسوق فى سيره بسنن وقوانين ونواميس، وهذا جمله ينتهى بتفكيره إلى اكتشاف الأسلوب العلمى

وقد جاء لنا فى ذلك من بحث منشور بالمقتطف م ٩٣ ج ٤ (نوفمبر ١٩٣٨) ما نصه :

(لقد كان الانسان من عهد سقراط الحكيم (٤٦٩-٣٩٩ ق م) يرى غاية التفكير فى إدراك الماهية، وذلك بمعنى تكوين معانى تامة الحد . وكان معين التفكير طيلة هذا العهد منحصراً فى الاستقراء حيث يتدرج العقل من الجزئيات إلى الماهية المشتركة بينها راداً كل جدل إلى الحد والماهية

وفى أوائل القرن السادس عشر أخذت جماعات قليلة من مفكرى الغرب يشكون فى قدرة الأسلوب التجديدى وإمكان الوصول به إلى نتائج عملية تطبيقية . وأخذت هذه الجماعات تعمل على إدماج النتائج التى تسفر عنها المشاهدات والتجارب فى نظام مادّى على قاعدة الوحدة والعلاقة . . . وكان يحدوهم فى تفكيرهم هذا إيمان ثابت بنظام العالم الخارجى وتجانسه ووحدته

إذن يتبين أن التفكير العلمى قام على أساس أولى هو الايمان بنظام العالم الخارجى وثبات هذا النظام . وهذا يعنى أن العالم بقوانينه ونواميسه خالد (أبدى) ، فاذا انتهى رجل العلم اليوم إلى الخالق قيده بنظام هذا الكون ، على اعتبار أن العالم صادر عنه بطريق التعليل

وصرخة أخرى . . . ذلك أننا قلنا : « إن فى قدرة الانسان تغيير المقدر له عن طريق معرفة النواميس المتحكمة فى وجوده » وهنا أولاً : نسبة هذه الوجهة من النظر إلى الغربى . ثانياً : ورود لفظ النواميس بجعل معنى المقدر للانسان ما قدر له حسب نواميس الطبيعة . وهذا المقدور بطبيعة الحال يفترق عن مفهوم المقدر للانسان فى علم الله عند الشرق . فاذا كان الأول من الممكن تغييره ، وحياة الانسان منذ بدء وجوده على الأرض تغيير للمقدرات الطبيعية له ، فان الثانى ليس فى الامكان تغييره . . . وكأنى بصرخة باحثنا الفاضل قد انبعثت من عدم تفهمه كلامنا على وجهه الصحيح .

وبعد فننهي ردنا هذا بكلمة هادئة لباحثنا الفاضل، فقد وهم حين ظننا من العرب أولا ومن الشرقيين ثانياً ، فلسنا من أصل عربى ولسنا شرقيين ، وهذا نسبنا وتاريخ حياتنا مبسوط فى شىء من الاسهاب فى مقدمة دراستنا التحليلية (طه حسين) التى صدرت زبيع هذا العام . وعلى فرض أننا شرقيون ومن أرومة عربية فهل كوننا شرقيين أو عرباً يمنعنا عن قول الحقيقة إذا كانت ضدنا ؟

أما ما أثاره الباحث الفاضل من إشكالات فى نهاية مقاله فوعدنا بالرد عليه مقال تال ، نضمنه رداً لنا على ما أثاره من إشكالات واهية ذلك الأديب الكبير الذي حاول أن يتعرض لاحدى فكراتنا بالمناقشة بين سطور مقال كتبه فى مناقشة لكتاب البروفسور مارتن الانجليزى .

اسماعيل احمد أدهم

التاريخ فى سير أبطاله

ابراهام لنكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادى ! خذوا معانى العظمة فى نسقها الأعلى من سيرة هذا العصامى العظيم ......

(تتمة)

برز جرانت إلى الميدان وفى نفسه من العزم بقدر ما في فؤاده من الأمل ، وكأنما سرت عزمته إلى قواده وجنوده فما منهم إلا من وطد النفس على أن يخوض أهوال القتال إلى النصر ، ونبغ من هؤلاء البواسل قائدان صار لهما فى تلك الحرب خطر عظيم هما شيرمان وشريدان

وزحف جرانت بجيشه فى مايو عام ١٨٦٤ وكانت خطته أن يواصل الزحف ما وسعه القتال حتى يأتى رتشمند عاصمة الجنوبيين فيحصرها . ولقد لازمه النصر فى هذا الهجوم على الرغم من مقاومة أعدائه، وما زال يدفعهم أمامه حتى أصبح على مقربة من عاصمتهم ؛ وكانت تصل أنباء انتصاره إلى العاصمة فتهزها هزاً وكان الناس يجتمعون حول البيت الأبيض فيطل الرئيس عليهم ويخطبهم وقد سره أن ذهب عنهم الروع

وكذلك سار شيرمان مبتدئاً من الغرب، وراح يدفع أعداءه أمامه، وإنهم لينازعونه الأرض شبراً شبراً ويعركون جيشه عركا شديداً حتى واتاه النصر عليهم فى اليوم الثانى والعشرين من شهر يوليو، فسقطت فى يده مدينة أتلنتا بعد أيام، وهى موقع حصين ومركز حربى خطير ، وكان على رأس الجنوبيين فى تلك الجهة قائدهم هود ، وهو من ذوى البأس ولقد لم شمل جيشه وخاض الحرب مرة أخرى ولكنه ما لبث أن عاودته الهزيمة ، وسر الرئيس وأصحابه بانهزام هود وجنوده فلقد كانوا يوجسون منه شراً

ونشط الشماليون فى البحر وضيقوا الخناق على أعدائهم فأذاقوهم لباس الجوع والخوف ، وكانت سيطرة فراجت على البحر وثيقة ، فكان بذلك موقفه عاملا من أكبر عوامل النصر

وراح جرانت يبذل كل ما فى وسعه ليحيط بالقائد الكبير (لى) قائد الجنوبيين ، فانه يدرك أن تطويقه خير وسيلة لهزيمته وإجباره على التسليم ؛ وكان جرانت يدرك أن عدته وجنده أوفر مما هو لدى عدوه منها ، ولذلك عول أن يشد عليه الوثاق

وكان لنكولن وأصحابه يتلقون هاتيك الأنباء الطيبة فتطمئن نفوسهم ، ولكن الرئيس كان لا يفتأ مهموماً ضائق الصدر ؛ وكيف يطيق قلبه الكبير أن يعلم نبأ هاتيك الضحايا دون أن يتحرك ؟ لقد كان يجزع أشد الجزع لمرأى الأمهات والزوجات يقفن فى طريقه أو يجتمعن حول البيت الأبيض متسائلات وإنه ليسأل الله أن يجعل للناس من هذا البلاء مخرجاً ...

وبينما كان جرانت وشيرمان يروعان بجيشيهما أهل الجنوب على هذه الصورة ، زحف أحد قواد الجنوب ويدعى إرلى زحفاً باغت به وشنجطون إذ صار منها على سبعة أميال ... ولقد كان عمله هذا من أسوأ ما لاقته تلك المدينة في هذه الحرب، فما أقبح الخوف بعد الأمن وما أوجع الكربة بعد الفرح. ولكن جرانت لم يلبث أن أرسل شريدان فأقصى هذا العدو ورماه بالهزيمة وكان

ذلك فى أوائل سبتمبر عقب سقوط أتلنتا بيوم واحد ...

وكان انتصار الجيوش على هذا النحو مما قضى على كيد الكائدين من خصوم الرئيس إذ كانت البلاد تتأهب للانتخاب؛ وكان الديمقراطيون يذيعون فى الناس أن من مصالحهم أن يختاروا رئيساً غير هذا الرئيس، وراحوا تارة يقولون إن الحكومة من الوجهة الحربية قد منيت بالفشل منذ قامت الحرب ولا محيص من أن تتبع فى الحرب سياسة أقوى وأسرع من سياستها، وتارة أخذوا يطالبون بمصالحة أهل الجنوب ووضع حد لهذا البلاء، وهم فى ذلك يرشحون ماكليلان للرياسة ضد إبراهام، ولقد اختاره لذلك مؤتمرهم الذى انعقد فى شيكاغو فى أغسطس من ذلك العام

وكان بعض الجمهوريين من حزب لنكولن يدعون إلى انتخاب غيره إذ كانوا ينقمون عليه كما يزعمون ابتعاده عن مبادىء الحزب وروحه، فهم يخالفونه فيما أعلن غداة تحرير العبيد من أن ذلك كان من أجل ضرورة حربية وهم يعيبون عليه مسلكه تجاه الولايات الوسطى وتجاه أهل الجنوب، كما أنهم يقولون إن الحرب لا تسير على خير ما يرجى

وكان هؤلاء الجمهوريون يرشحون جرانت تارة، وفريمونت تارة، ولكن معظمهم كان يميل إلى تشيس وزير المالية، وكان تشيس هذا من أكفأ الرجال، وكان الرئيس يحترم آراءه ويحرص على أن ينتفع بها كما كان يشهد له بالذكاء ويقر بفضله ... ولكنه كان دائم الشكاوى من الرئيس وكثيراً ما ضايقه بتقديم استقالاته من الحكم، وكانت أخرى تلك الاستقالات فى صيف هذا العام، ولشد ما أدهش الوزير أن قبلها الرئيس فى غير تردد. وكان تشيس ينفس على الرئيس مركزه ويعتقد أنه أحق به منه وأجدر

وما كان الرئيس كما أسلفنا يحرص على الحكم إلا أن يكون وسيلة لتحقيق غرضه، قال ذات مرة يرد على الداعين إلى ترشيح جرانت: «إذا كان الناس يعتقدون أن القائد جرانت يكون أسرع فى القضاء على الثورة إذا كان فى مركزى فإنى أتخلى عنه له»

وعلى الرغم من ذلك كان خصومه يدعون أنه حريص على الحكم مولع بالرياسة، وكان من أقدر هؤلاء الخصوم وأنشطهم الصحفى جريلى، ذلك الذى طالما حرص الرئيس على مودته وعمل على إرضائه ... على أن الرئيس كان على علم بهذا كله فلم يعبأ به وذلك لأنه كان يجعل اعتماده على عامة الناس، وهل اعتمد على غيرهم منذ كان يلوح بين الأحراج؟ وجاءت بعد ذلك أنباء انتصار جنده فكان ذلك أبلغ رد على ما زعم المخالفون والخوارج

ولقد كان مؤيدو الرئيس من الجمهوريين أعز نفراً وأعلى فى البلاد صوتاً، وهؤلاء أجمعوا أمرهم على ترشيحه فى مؤتمرهم الذى عقدوه فى الثامن من يونيو عام ١٨٦٤، وكانت حماستهم له جديرة به شديدة على خصومه وكارهيه ... وحمل إليه نبأ ذلك فتلقاه على عادته فى دعة، قال: «إنهم رشحونى لا لأنهم رأونى أعظم وأفضل رجل فى أمريكا، وإنما كان ذلك لأنهم لم يروا من الحكمة أن يستبدلوا الخيل أثناء عبورهم الماء، ولأنهم رأوا بعد ذلك أني لست فرسا بلغ من السوء مبلغا لا يمكن معه استخدامه ولو فى مشقة أثناء محاولة ذلك العبور» ...

وكان المؤتمر قد عبر عن رغبته فى تعديل الدستور بحيث لا يكون من مواده ما يتضمن الاعتراف بنظام العبيد حتى لا يتعارض قرار التحرير مع نصوص الدستور. ولقد وافق الرئيس على ذلك قائلا: «إن مثل هذا التعديل المقترح يجىء خاتمة مناسبة ضرورية للنجاح النهائى لقضية الاتحاد، وهذا وحده يقف ردا على كل مجن ... وإن الذين يوافقون على الوحدة بلا شرط من الشماليين والجنوبيين يدركون خطورته ويتملاون به، فباسم الحرية والوحدة مجتمعين دعونا نعمل على أن نكسبه صفة شرعية وأثرا عمليا». وسمع أن ولاية ماريلند قد عدلت دستورها على هذا الأساس فعلا فاغتبط قائلا «إن ذلك عندي يساوى انتصارات كثيرة فى الميدان»

وحسب جريلى أنه واجد غمزة أخرى فى سياسة الحرب فراح يندد بها وبتطاولها ويدعو إلى الصلح قائلا إن البلاد قد باتت على شفا جرف هار وإن السلم على شروط معقولة خير من هذه الحرب التى ضجت البلاد منها ورزحت تحت أعبائها. ومما ساقه فى هذا المجال أنه على صلة بقوم من الجنوب يقبلون الصلح على أساس الوحدة والقضاء على العبودية، وهنا لم يتردد الرئيس أن يرسل إليه يقول إنه على استعداد أن يلتقى أى رجل أو جماعة من الجنوب يفاوضونه على هذا الأساس على شرط أن يكونوا مسؤولين وليكن جريلى شاهداً على ذلك؛ وعاد جريلى مستخذياً وقد رأى أن الذين دعوه إلى السلم من الجنوبيين قوم لا أهمية لهم ..

وتطلبت الحرب عدداً جديداً من الرجال وأشفق أنصار لنكولن أن يدعوا البلاد إلى رجال فى مثل هاتيك الظروف، ولكن هل كان مثله يحجم عن أمر يعتقد صوابه وعلى الأخص

إذا كان هذا الأمر يتعلق بالحرب بله الحرب تحت قيادة جرانت ؟. لم يحجم الرئيس ولم يتردد وأصدر أمره فى ثبات وجرأة ...

وجاء يوم الانتخاب فكان فوز الرئيس عظيماً كما كان تواضعه غداة فوزه عظيما . قال وما أجمل ما قال: « إنى أعرف قلبي وأرى غبطتى لايشوبها شائبة من الفوز الشخصى، وإنى لا أعترض على بواعث أى شخص ضدى . وليس مما يسرنى أن أظفر على أحد ولكنى أشكر الله على هذا البرهان الشاهد على اعتزام الناس أن يؤيدوا الحكومة الحرة وحقوق الانسانية »

وكان الداعون إلى السلم ينشرون مبدأهم فى العاصمة الشمالية ولم يكفوا عن ذلك منذ الصيف. وفى الشتاء وجدت دعوتهم قبولاً لدى الكثيرين فى العاصمة الشمالية حتى لقد أخذوا على الرئيس أنه يصم أذنه عن هذه الدعوة ... وحدث أن أرسل جفرسون دافز رسولاً إلى لنكولن يدعوه إلى السلم ويقترح عقد مؤتمر لتقرير ذلك . وكتب الرئيس لنكولن رداً حمله ذلك الرسول إلى جفرسون وفيه يوافق الرئيس على عقد المؤتمر ؛ واجتمع فى مركز قيادة القائد جرانت ثلاثة من قبل أهل الجنوب وناب عن الشماليين سيوارد ثم لحق به الرئيس، وعرض الشماليون شروطهم فلم تحز قبولاً لدى خصومهم. ورأى الرئيس أن فى الأمر خداعاً وأنهم لا يريدون سوى أن يكسبوا الوقت بالمفاوضة ريثما يعدون ما يستطيعون من قوة ... ولذلك نراه ينصح إلى جرانت ألا يتهاون أو يخفف من وطأته وانفض المؤتمر ولم يصل إلى رأى ...

وأوضح الرئيس سياسته فى خطابه الرسمى الذى ألقاه غداة تسلمه أزمة الأمور للمرة الثانية . وإنك لتجدها واضحة فى تلك العبارة الجميلة التى اختتم بها ذلك الخطاب قال : « والآن فمن غير موجدة على أحد ، بل مع الاحسان للجميع ، والثبات على الحق كما يطالب الله أن نرى الحق ، دعونا نجهد لنفرغ من هذا العمل الذى نحن بصدده ، وأن نضمد جراحات الأمة ، وأن نعنى بهؤلاء الذين قاموا بالجهاد وبأراملهم وأيتامهم . وأن نبذل كل ما فى وسعنا لنصل إلى السلام الدائم ونمزه بين أنفسنا وبين جميع الأمم »

وجعل الرئيس ينتظر أخبار الميادين ، وكثيراً ما كان يقضى وقتاً طويلا فى غرف البرق يترقب ويتوقع ... وكثيراً ما كان الرئيس يشخص بنفسه إلى مراكز الجنود فيزورها واحداً بعد الآخر ! وجاءت البشائر بالنصر يتلو النصر. ففى الحادى والعشرين من ديسمبر أخذ شيرمان مدينة سفانا عنوة فأبرق إلى الرئيس يقول: « أرجو أن تسمح لى أن أقدم إليك مدينة سفانا كهدية فى عيد الميلاد » واستمر شيرمان فى زحفه فاستولى على كولومبيا وشارلستون ، وما زال حتى دخل ولاية كارولينا الشمالية وأصبح على اتصال بجنود جرانت وبذلك أوشكت جنودهما أن تحيط بجيش الشماليين

وكان جرانت يثخن فى أرض الجنوبيين لا يألوهم نزالا كأهول ما يكون النزال ، وكانت ضحاياه كثيرة يدمى لها قلب الرئيس ، ولكنه كان لا يلين وما لبث هو وأعوانه أن هزموا الجنوبيين فى كل مكان حتى لم يبق فى الميدان غير لى ...

وحاصر جرانت مدينة رتشمند ودام حصاره لها طوال أشهر الصيف من عام ١٨٦٤ وأشهر الشتاء من عام ١٨٦٥ ، وفى السابع والعشرين من مارس التقى لنكولن وجرانت وشيرمان على ظهر زورق بحارى فى نهر جيمس بالقرب من مركز القيادة وتداول ثلاثتهم فى الأمر . ولشد ما تألم الرئيس أن علم أنه لا يزال دون النصر معركة حامية ، وراح يتساءل فى جزع : « ألا يمكن تجنب تلك المعركة ؟ ألا يمكن تجنب تلك المعركة ؟ »

وأمكن تجنب تلك المعركة الحامية فلقد تمكن شيريدان وكان إلى يسار جرانت أن يقطع على (لى) آخر منفذ للهرب فتم لهما تطويقه ، وأصبح تسليمه أمراً لا بد منه . وفى اليوم الثالث من ابريل سقطت رتشمند التى كانت طروادة هذا الصراع المنيف وأنى للكلام أن يصف مبلغ ما كان بالعاصمة من شعور الفرح والحبور .. لقد بات الناس وأفاقوا على مثل مظاهر العيد. وأى عيد أجمل من هذا الذى يبشر الناس فيه بانفراج النمة واتحاد الأمة ؟

وكان الرئيس فى المعسكر منذ شهر مارس يبيت مع الجند ويستطلع الأنباء كل يوم ولقد نال الجهد والاعياء من جسده حتى ليبدو كالمريض وهو الرجل الذى عرف فيما سلف بقوة بدنه ووفرة حيويته ... ولما بلغه سقوط رتشمند وصل إليها فى بساطة وهدوء ، وليس معه إلا بحارة قارب حربى كان يرسو على مقربة منها فلا خيل من حوله ولا جند يفسحون له الطريق . ودخل الرئيس العظيم المدينة يمسك بيده يد ابنه الصغير تاد وهو يمشى على الأرض هوناً وليس فى وجهه زهو ولا تطاول

وهرع الناس من كل فج يشهدون الرجل الذى دوت البلاد

باسمه ، فلما رأوه شعروا جميعاً نحوه بمثل ما يشعر الأبناء نحو أبيهم ، وهو بين الجموع رابط الجأش يظهر قوامه الطويل للأعين. وتلفت الرئيس فاذا جموع السود تتقاطر من كل صوب وهم يملأون الجو بهتافاتهم باسم مخلصهم ومحطم أغلالهم ، وكانوا من حوله يرقصون ويقفزون فى الهواء لا يدرون ماذا يفعلون للتعبير عما فى نفوسهم نحو هذا المحرر الأعظم ... ثم تقدموا متزاحمين فتلاقوا على الأرض أمامه يقبلون قدميه وهو يرفعهم بيديه ويمسح بهما على جباههم وأكتافهم والدموع تتسابل كبيرة ساخنة من عينيه الواسعتين فتجرى على محياه الكريم

وحار الرئيس برهة ماذا يقول وهو الذى لم يعرف قبل عياً ولا حصراً، ثم ناداهم قائلا « أى أصدقائى المساكين. أنتم أحرار، أحرار كالهواء . إنكم تستطيعون أن تطرحوا اسم العبودية وتطأوه بأقدامكم ؛ فأنكم لن تسمعوه بعد اليوم ... إن الحرية حقكم الذي منحكم الله كما منح غيركم » وتألم الرئيس من أن يخروا سجداً على قدميه فقال : « لا تسجدوا لى ، هذا ليس بالصواب ، يجب أن تسجدوا لله وحده وأن تشكروه على الحرية التى سوف تتمتعون بها منذ اليوم ... »

وعاد الرئيس إلى وشنجطون وفى وجهه مثل ما يكون فى وجوه الأبرار الصالحين، والناس حول ركابه يهتفون باسم «أبيهم إبراهام» بطل الحرية ومحطم الأصفاد ومعيد الوحدة إلى البلاد وحامى دستورها ورسول حاضرها إلى غدها ...

وفى اليوم التاسع من هذا الشهر المشهود سلم لى جيشه للقائد جرانت وتلقت العاصمة النبأ وتلقاه الرئيس ، وتنفس الناس الصعداء . وأحس ابن الأحراج بعد هذا الكفاح الطويل الشاق أن قد آن له أن يستريح ولو بضعة أيام ... وتزاحم الناس حول البيت الأبيض وهم من فرط سرورهم يبدون كأنما طاف بهم طائف من الجنون ، وأطل الرئيس عليهم وهم يتصايحون ويتواثبون ويقذفون بقبعاتهم فى الهواء ، فلم يدر ماذا يقول . ثم مسح بيده الدموع المنحدرة من عينيه وطلب إليهم أن يهتفوا ثلاثاً بحياة القائد جرانت ورجاله ، وحياة القواد البحريين ورجالهم، وعاد إلى داخل حجرته ...

وفى اليوم الرابع عشر كان على مجلس الوزراء أن يجتمع ظهراً، وكان جرانت ممن سوف يشهدون الاجتماع . وكان يبدو على محيا الرئيس قبل الاجتماع شىء من الهم ، قال لبعض أصحابه : إنى رأيت حلما كريها لا أرى مثله إلا قبيل حادث عظيم .. واجتمع المجلس ليرى ماذا تفعل الحكومة لاصلاح ما أفسدته الحرب . وفى هذا الاجتماع عارض الرئيس القائلين بالانتقام من أهل الجنوب وصاح بهم « كفانا ما ضحينا من الأنفس . يجب أن نطفىء فى قلوبنا السخائم إذا أردنا أن نقيم الوحدة والوفاق » ألا ليت أعداءه سمعوه وهو يقول ذلك ، ألا ليتهم سمعوه ...

وركب الرئيس وزوجه فى نزهة عصر ذلك اليوم . وفى المساء ذهب ليشهد رواية تمثيلية فى المسرح ، وكانت الصحف قد نشرت اعتزامه الحضور ومعه القائد جرانت ، وتخلف القائد لأمر ما ، وذهب الرئيس وجلس فى مقصورة هو وزوجه وقائد من القواد . وفى الساعة العاشرة والنصف تسلل إلى باب مقصورته رجل فاقتحمه وفى يده مسدس أطلقه على رأس الرئيس ... وكانت فى يده الأخرى مدية طعن بهـا القائد ، وقفز إلى خارج المسرح وكان هو وشركاؤه قد أعدوا حصانا ليهرب به عدوا ...

وروعت العاصمة بالنبأ الفاجع ، وتلاقت أمة تحمل شهيدها الأكبر ومحررها العظيم إلى مقره ليستريح الراحة الأبدية ، وذهبوا بجثمان البطل إلى سبرنجفيلد فى نفس الطريق الذى جاء منه إلى العاصمة قبل ذلك بأربع سنوات ، والناس على جانبيه يشهقون اليوم ويجهشون ولا يملكون غير الدمع فى هذا الخطب الفادح . ودفن الرئيس إلى جانب ابنه الصغير ... ألا ليتهم حملوه إلى الغابة ليدفن حيث نشأ وحيث شب

« تم » الخفيف

يوم مطــــر

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

نهار تدانى الدَّجْنُ فى علوا أُفقه   مُبَلَّلَةٌ أرجاؤه ومَنَاكِبُهْ
خَبَتْ شمسه كالجمر يخبو لهيبه   وعاد رمادا حسنُهُ وعجائبُهْ
دجا مثـل وجه الهمِّ إلا جلاله
فللدَّجْنِ سحر يَحْزُنُ النفسَ خالبُهْ (١)
ثقيلٌ على القلب البهيجِ عُبُوسُهُ
ولـكنه قد يَسْحِرُ القلبَ كارِبُهْ (٢)
كما كان بعضُ الحزنِ للنفسِ شائقا
تُعَاقِرُهُ فى نشوة وتُقَارِبُهْ
ترى قطراتِ الغيث كالخيل أُطْلِقَتْ
لِكَسْبِ رهانٍ أحرز السبقَ كاسبه
وتحسبها كالطــير تهفو تَنَزِّياً
تَنَزِّىَ الدَّبَى إن أهرق الغيثَ ساكبه (٣)
كأن الصِّلال الزاحفاتِ على الثرى
تجوس إذا ما الغيث جاست سواربه (٤)
كما عاج حيران يمينا ويسرة
من الذعر، شر الذعر ما عاج صاحبه (٥)
على الأرض والجدران والدوح قطرُهُ
ويَدْفَعُ فى وجه المُشَرَّدِ حَاصِبُهْ

أيسطو عليه الغيث يغسل نحسه   أم الغيث من لَهْوٍ تراه يداعبه
كَلَهْوِ غلام مُلْكُ القَسْوِ قَلْبُهُ   إذا حيوانٌ هابَهُ فَهْوَ ضاربه (١)
سجيةُ كل الناس من هاب شرَّهم
رَمَوْهُ بِبأسِ اللؤم والخوفُ شائبه (٢)
ويعزو خيال المرء للكون روحَهُ   مناقبـــه تُجْلَى به ومثالبه
إذا رَنَّقَ التربُ الهواء انبرى له
من الوَدْقِ طُهْرٌ يغسل الجو صائبه
ترى البرقَ فيه مُصْلِتاً سيف نقمة
لها الرعد صوت يذهل اللبَّ راعبُهْ (٣)
إذا خف كان الغيث لهوًا ونعمة   وإن لج لاحت للعيون خرائبه
ويطغى على الوادى بجيش عَرَمْرَمٍ
مسالكه مذمومـــة وعواقبـــه
يخف على لوح الزجاج فصوته   طنين فَرَاشٍ مرَّ باللوح حاصبه
وطورًا يُلِحُّ الودق منـــه فصوته
خريرٌ كما يَسْتَحْلِبُ الدَّرَّ حالبه (٤)
ويرنو إليه المرء من ثقب بيته   كأنَّ غريبًا يَتَّقِى منه هائبه
وطورًا ترى الغلمان تلقط طَـلَّهُ
يداعب صِنْوٌ صِنْوَهُ ويلاعبه (٥)
ترى كل لَوْنٍ بعده قد زها به   كأن طِلاءً فوقه لجَّ خاضبه
يُعَلِّقُ قُرْطاً فى ذرى الدوح قطره
فتحسبه قد نَظَمَ الدُّرَّ ثاقبـــه

عبد الرحمن شكرى

---

(١) أى الخالب منه الذى يأخذ القلب بالخلابة
(٢) البهيج هنا الدائم السرور وقد تأتى بمعنى الجميل . والـكارب : مسبب الـكرب
(٣) التنزى التذبذب والاهتزاز . والدبى صغار الجراد
(٤) الصلال جمع صل الثعابين . فى البيت تشبيه انسراب مياه المطر على الأرض بسير الأفاعى
(٥) الهارب الحيران يعوج يمينا وشمالا من الحيرة فسيره فى ميله يمينا وشمالا كسير مياه الأمطار على الأرض المنبسطة

---

(١) القسو معناها القسوة
(٢) شائبه مخالطه
(٣) مصلتا شاهرا
(٤) الدر بفتحتين اللبن والودق قطر الغيث
(٥) الطل ضد الوبل والأول هو الخفيف من المطر . الصنو القريب النسب



موعد العيد الألفي للقاهرة

سئلت كلية الآداب بالجامعة عن اليوم الذي يحسن أن يجرى فيه الاحتفال بالعيد الألفي لمدينة القاهرة . وقد أحالت الكلية هذا السؤال على أساتذة التاريخ بها . فدرسوه وأصدروا قراراً قدموه إلى مجلس جامعة فؤاد الأول في اجتماع يوم الأحد الماضي فأقره ورفعه إلى مجلس الوزراء مقدما إليه بهذا البيان :

« دخل جوهر مدينة الفسطاط في ١٧ من شعبان سنة ٣٥٨ هـ (١٧ يولية سنة ٩٦٩ م) ووضع في تلك الليلة نفسها أساس المدينة التي عزم على إنشائها لتكون حاضرة الدولة الفاطمية . وفي ليلة الأربعاء ١٨ من شعبان سنة ٣٥٨ هـ وضع جوهر أساس القصر الذي بناه لمولاه المعز

ولما فرغ جوهر من بناء قصر الخليفة وأقام حوله السور سمى المدينة كلها بالمنصورية نسبة إلى الخليفة المنصور أبي المعز . وظلت هذه التسمية حتى قدم الخليفة المعز ، فسماها القاهرة

وكانت القاهرة في عهد ولاية جوهر صغيرة ليس بها سوى قصر الخليفة والجامع الأزهر وثكنات الجنود ورجال الحاشية ودور المغاربة الذين استعان بهم الخليفة المعز في فتح مصر — ثم ظلت تتدرج في العمران حتى بلغت في نهاية عصر الفاطميين درجة كبيرة من التقدم

« وفي يوم الجمعة ٢٤ من شعبان سنة ٣٦٢ هـ و ٣٠ مايو سنة ٩٧٣ م دخل المعز الاسكندرية وسافر منها في أواخر الشهر المذكور فوصل إلى الجيزة في ٢ من رمضان — وأقام فيها أياماً — ثم عبر النيل ووصل إلى القاهرة في يوم الثلاثاء ٧ من رمضان سنة ٣٦٢ هـ . (الأربعاء ١١ يونية سنة ٩٧٣ م) ودخل القصر الذي بناه له جوهر . وفي اليوم التالي لوصول المعز خرج أشراف مصر وقضاتها ووجهاؤها ورجال العلم فيها لتهنئته والاحتفاء به .

وفي يوم ١٥ من شهر رمضان سنة ٣٦٢ هـ جلس المعز في الديوان الكبير من قصره على السرير الذي أعده له جوهر ، واستأثر الخليفة الفاطمي بكل ما كان يتمتع به جوهر في مصر من نفوذ . وأصبحت مصر منذ ذلك الحين دار خلافة بعد أن كانت دار إمارة تابعة للخلفاء الفاطميين ببلاد المغرب . وغدت القاهرة — بدل المنصورية مركز الدولة الفاطمية الشاسعة الأرجاء

والأزهر أول مسجد بني في القاهرة، شرع جوهر في بنائه يوم ٤ من شهر رمضان سنة ٣٥٩ هـ (١١ يولية سنة ٩٧٠ م) وتم بناؤه في سنتين تقريباً . وأقيمت الصلاة فيه لأول مرة في ٧ من رمضان سنة ٣٦١ هـ (٢٢ يونيو سنة ٩٧٢ م)

ونرى أن يقع الاحتفال الألفي بمدينة القاهرة في يوم ٧ من رمضان سنة ١٣٦٢ هـ (٧ سبتمبر سنة ١٩٤٣ م) أي بعد مرور ألف عام على دخول الخليفة المعز لدين الله الفاطمي مدينة القاهرة واتخاذها حاضرة للخلافة الفاطمية »

وقد علمنا أن الكلية ستساهم في هذا الاحتفال التاريخي بطائفة من الأعمال ، منها إنشاء متحف تاريخي يمثل القاهرة في مختلف عصورها ، وإصدار كتاب جامع عن القاهرة، وإخراج بعض النصوص التي تتصل بهذا التاريخ

افتتاح الدورة السادسة للمجمع اللغوي

افتتحت في الأسبوع الماضي الدورة السادسة لمجمع فؤاد الأول للغة العربية ، فوفد على داره أعضاؤه ماعدا الأستاذ هيتمن الذي سيحضر إلى مصر في أوائل شهر يناير القادم، والأستاذ حسن حسني عبد الوهاب باشا العضو التونسي الذي اعتذر من عدم حضور هذه الدورة لأعمال اضطرته للتخلف في تونس

وقد حضر جلسة الافتتاح كثير من الكبراء يتقدمهم أصحاب المعالي والسعادة وزير الأوقاف وعبد الرحمن رضا باشا و محمد قاسم بك

عميد دار العلوم وجاد المولى بك مفتش اللغة العربية وحسن فايق بك مراقب التعليم الثانوى وغيرهم

وحضر معالى الدكتور هيكل باشا وافتتح الجلسة بخطاب قيم ثم وقف على أثره الدكتور محمد توفيق رفعت باشا رئيس المجمع فألقى كلمة الافتتاح . ثم وقف الأستاذ الشيخ محمد الخضر حسين الأستاذ بكلية أصول الدين وعضو المجمع فألقى قصيدة . ووقف الدكتور فيشر فألقى كلمة فى الموازنة بين المجامع الغربية وهذا المجمع، وقد ألم فيها إلى ما سبق فى عصور التاريخ العربى من مجامع عربية كان لها الأثر المشكور فى إحياء اللغة العربية ونحوها

ثم ألقى الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربى عضو المجمع خطبة ضمنها الرد على ملاحظات الجمهور على أعمال المجمع وذكر الخطة التى يجب أن تتبع لابلاغ الجمهور حاجته التى يرجوها من المجمع

وبذلك أعلن انتهاء الاحتفال ونزل معالى وزير المعارف وكبار الزوار إلى حجرة رئيس المجمع ودعى حضرات الأعضاء إلى الاجتماع فى حجرة أخرى حيث عينت مواعيد الجلسات اليومية وهى الساعة الخامسة من مساء أيام السبت والأحد والاثنين والساعة العاشرة من صباح الثلاثاء والأربعاء والخميس

وذهب بعد ذلك حضرات الأعضاء وفى مقدمتهم معالى وزير المعارف إلى القصر الملكى لتسجيل أسمائهم فى سجل التشريفات

المجمع اللغوى يتجه الى الاتصال بالشعب

ظهرت أخيراً فى أفق المجمع اللغوى ظاهرة طيبة وهى محاولة الاتصال بالمصالح الشعبية لتبادل الرأى معها . وقد تألفت لهذا الغرض لجنة من حضرات الأعضاء الأساتذة عبد القادر المغربى وعلى بك الجارم وماسينيون المستشرق الفرنسى . ومهمة هذه اللجنة بحث خير الطرق للاتصال بالمصالح الشعبية ، تمهيداً للتعاون معها ومعرفة دوران الأساليب والمفردات الشعبية ، للاهتداء بها فيما يقر المجمع من مصطلحات أو يضع من مفردات

ولكننا علمنا أن هذه اللجنة اصطدمت بقرار سابق للمجمع حظر فيه التعريب على غير العرب الأولين. وهو قرار يعرقل العمل الجدى للمجمع ، ويقوم سدا بينه وبين التجديد المفيد فيحسن به أن يعيد النظر فيه

الثقافة العربية وترجمة آدابها الى اللغة الفرنسية

تقوم الآن الجمعية الفرنسية المعروفة باسم « جيوم بادوا » بنشر الآثار العلمية والأدبية والفلسفية لليونان والرومان ، ونشر ما يتصل بحضارة البحر الأبيض المتوسط من الأدب القديم والمتوسط والحديث

ولما كانت مصر تعتبر فى مقدمة الدول التى أثرت منذ فجر التاريخ فى حضارة العالم وهى تقع في مركز ممتاز بين دول البحر الأبيض المتوسط رأت الجمعية أن تعنى عناية خاصة، إلى جانب عملها على نشر آداب اليونان والرومان، بنشر المشهور من الأدب العربى وترجمته إلى اللغة الفرنسية ، ورغبت لتحقيق هذه الغاية فى أن يكون لها فى مصر فرع يشترك فى أعمالها

وقد عرضت هذه الفكرة على صاحب المعالى وزير المعارف فأبدى ارتياحه لها. وستؤلف لهذا الغرض لجنة يكون معاليه رئيس الشرف لها وصاحب العزة وكيل الوزارة رئيسها العامل

أما أعضاء اللجنة فسيختارون من بين أساتذة الجامعة المصرية وبعض المستشرقين ، على أن يشترك معهم من الموظفين الأجانب فى مصر مسيو ڤييت مدير الآثار العربية، والمسيو دريوتون مدير المتحف المصرى

مجلس الابحاث الأهلى

كان البرلمان قد أبدى لمناسبة التفكير فى تخليد ذكرى الملك فؤاد الأول رغبته فى أن ينشأ لهذا الغرض معهد للأبحاث العلمية؛ وكان صاحب المعالى وزير التجارة والصناعة قد قدم إلى مجلس الوزراء مذكرة بسط فيها قيمة البحث العلمى وأثره فى ترقية الصناعة . واقترح أن يؤلف المجلس المصرى على غرار مجلس الابحاث الأهلية فى إيطاليا .

وقد تم إعداد المشروع الخاص بهذا المجلس . وينص فى أول مواده على اعتباره هيئة مستقلة تتألف من كبار العلماء والعاملين فى الصناعة والمشتغلين بالبحث العلمى من الجامعيين .

ونص المشروع على ضرورة رجوع الحكومة إلى المجلس قبل إقرار التشريعات الخاصة بالانتاج الصناعى والزراعى وغيرها من التشريعات التى يمكن أن تفيد فى البحث العلمى .

ويتجه المشروع إلى تركيز البحث العلمى فى الهيئة التى يتألف منها المجلس بحيث يكون كالرأس المدبرة التى تشرف على شتى مناحى التفكير والتجارب العلمية ، فهو ليس معهدا نظريا ولكنه ، إلى جانب فكرة التركيز المشار إليها، يتجه فى عمله إلى الافادة من العلم وتطبيقه لما فيه مصلحة البلاد

والمجلس المقترح لا يمس الوظائف الجامعية ، ولا ينقص من نشاطها فالجامعة تختص بالبحث النظرى الخالص . أما هذا المجلس

فسيعنى بالبحث العلمى الصناعى ، والتطبيقات العملية للاستنباطات النظرية والاستفادة منها اقتصاديا .

وسيعرض المشروع على اللجنة الوزارية المؤلفة برياسة وزير المعارف وعضوية وزير الأشغال ووزير التجارة ومدير الجامعة وعميد كلية الطب ومدير مصلحة المعامل ، وعمداء كليات العلوم والزراعة والهندسة .

ومتى أتمت هذه اللجنة بحث المشروع اتخذ مراحله التشريعية المعتادة .

تخليد ذكرى شاعر الهند محمد اقبال

من أنباء بمباى أن الجمعيات الأدبية والعلمية فى الهند قررت تخليد ذكرى الشاعر الهندى الكبير المرحوم السير محمد اقبال فأنشأت فى جايبور بولاية راجبوتانا مؤسسة باسم (مؤسسة اقبال) وانتخبت السيد جوپال مديراً لها . وأصدرت المؤسسة مجلتين باسم (اقبال) الأولى باللغة الانكليزية والثانية باللغة الأوردية .

وصدر من المجلة عددان فى شهر أكتوبر الماضى . وكان العدد الأول يحتوى على مباحث باللغتين الانكليزية والأوردية فى تمجيد أعمال الشاعر الراحل وشرح مؤلفاته . وقد أعطيت جوائز للكتاب والرسامين الذين ساهموا فى إصدار هذا العدد الممتاز

وقد عقد السيد رشيد أحمد مقالاً مسهباً عن الشاعر اقبال فى إحدى صحف لاهور قال فيه: إن الفقيد العظيم قد أعطى الشعر الهندى أجنحة للتحليق فى أسمى ارتفاع بلغه الشعر إلى الآن . وتمتاز فلسفة محمد اقبال في نظرياته الخاصة بالله عز وجل وما ينال الانسان من نعم الخالق القدير . وقد مات محمد اقبال تاركاً للهند وللمسلمين على الخصوص أثراً قيماً بمؤلفاته التى تعد مفخرة من مفاخر الهند . وفيها عالج اقبال جميع الموضوعات من أصغرها إلي أكبرها بمقدرة لم يبلغها سواه من قبل . فهو جدير باللقب الذى أقر له به الأجانب قبل أبناء الهند وهو لقب شكسبير الهند

افتتاح المعرض السادس لفن التصوير الشمسى

افتتح فى الأسبوع الماضى حضرة صاحب المعالى وزير المعارف المعرض السادس لفن التصوير الشمسى

وقد أشرفت على إقامة المعرض جمعية محبى الفنون الجميلة التى يرأسها حضرة صاحب السعادة محمد محمود خليل بك رئيس مجلس الشيوخ

وعلى الرغم من أن غالبية العارضين كانت من الأجانب فان معروضات الفنانين المصريين كانت موضع إعجاب الزائرين من أجانب ومصريين ، وعلى الأخص معروضات الدكتور أحمد موسى محرر الرسالة الفني؛ ومن بين لوحاته لوحة سماها «فى رحاب الفضاء» بلغ من روعتها أن الكثيرين حسبوها خدعة لا صورة من الطبيعة ، لأنها صورة فلكية أخذها الدكتور فى الاتجاه الجنوبى الغربى للقبة السماوية فبدت الكواكب فيها نقطاً لامعة فى السماء أخذت اتجاهين مختلفين أبدعت عدسة الفوتوغرافية فى التقاطها

ولوحات الدكتور موسى الأخرى مثل عال فى التصوير الفوتوغرافى وخاصة لوحاته فى الطبيعة ، ومنها : « الانساق » و « أحزان الفسق »

وتبلغ لوحات المعرض حوالى ٣٥٠ لوحة يلمس الشاهد فيها كثيراً من روائع الفن الفوتوغرافى فى مختلف البيئات المصرية والأجنبية وفى مختلف الدراسات والاتجاهات الفنية

الخطأ فى طبعات المعجمات

فى البقية من نقدى (كتاب البشرين المزور) فى الجزء السابق من (الرسالة) الغراء فى كلام ابن الأنبارى المروى عن اللسان والتاج — : « لأن الرجل لا يذهب زاده بموت امرأته إذا لم تكن قيمة عليه » « ولا يلزمه شيء من ذلك » والصواب (إذ) (ولا يلزمها) وإذ للتعليل . وليست زيادة الألف تطبيعاً بل هى خطأ فى طبعتى اللسان والتاج . والتطبيع فى هذين المصنفين — يا طالب العلم — كثير ، وهما الترجمان المظلمان فى اللغة . وما أقول ما أقول لكى أنحي مسرعة قد أخطأت — مما لا نجاة منه . إنها للومة وربها ملوم

الاسكندرية ***

مخطوط ثمين نادر

أضافت الجمعية الملكية الآسيوية فى البنغال إلى مجموعتها الثمينة مخطوطاً فريداً . وكان هذا المخطوط إلى الآن ملكا لسلطان ميسور ومحفوظاً في مكتبته . وقد اشتراه الدكتور هداية حسين من أعضاء الجمعية الملكية الآسيوية . وعنوان المخطوط (جلزار اى ابراى) أى ورود الأبرار ؛ وهو مكتوب بالفارسية ويحوى سيرة حياة الأولياء الصوفيين فى الهند من القرن الثالث عشر إلى القرن السادس عشر ؛ وفيه ٥٧٥ سيرة كاملة . ولا يوجد فى العالم غير نسخة واحدة كاملة من هذا المخطوط الثمين . وفى المتحف البريطانى فى لندن جزء يسير منه . فالنسخة التى حصلت عليها الجمعية الآسيوية فريدة فى العالم



جان درك

تأليف برنارد شو
وتعريب الدكتور أحمد زكى بك

الحقيقة بطبيعتها جافة ثقيلة على النفس ، ولكنها إذ تمتزج بالفن يتجلى فيها الجلال والجمال ، والقوة والأناقة ، والبهاء والرواء ، والصفاء والوضوح ، فتهش لها النفس ، وتهفو نحوها الروح ، وينطلق العقل فى رحابها الفسيح نشوان متيقظا كالنحل يرف على رحيق الزهر

ولا غرابة إذا لم يكن للحقيقة من نفسها بعض هذا ، وكان لها من الفن كل هذا ، فان مهمة الفن أن يجمل الأشياء ، ويقرب الأوضاع ، ويزين الواقع ، ويصل الحقائق المجردة بالعواطف والأحاسيس ، وغاية الرضا عند الانسان أن يشبع ما فيه من العواطف والأحاسيس

لهذا نجدنا نجفو كثيراً من الحقائق إذ يسردها التاريخ ، ولكننا نهش إليها إذ يرويها الفن ، وإنا لنرددها كثيراً فلا تزيدنا إلا امتاعاً ولذة ، ونكررها مراراً فلا تغمرنا إلا بالراحة والاطمئنان . وها نحن أولاء نحب أن نتغنى كثيراً بحروب طروادة ، ونشغف بأخبارها وملاحمها غاية الشغف ولكن لا كما رواها الرواة ودونها المؤرخون ، بل كما أنشدها فى القديم الغابر شاعر ضرير اسمه « هوميروس »

وهذه القصة التى تقدمها للقراء اليوم إنما هي حقيقة من تلك الحقائق التاريخية خرجت فى إطار من الفن المهذب ، فموضوعها (حياة جان درك) وهى أشهر مجاهدة قديسة فى تاريخ النصرانية ، وأغرب شخصية بين الكفايات الممتازة الشاذة الأطوار فى القرون الوسطى ، جاهدت أن تفرض نفسها ودعاواها على الناس فرضا ، فشاع اسمها وذاع فى غرب أوربا ، ولم تكن بلغت العشرين بعد ، وقد نهضت من الحضيض إلى الملاء نهضة باغتة ، فلم يكن للناس فيها إلا رأيان : رأي يقول : إنها آية من آيات الله ، ورأى يقول : إنها امرأة ثقيلة الظل لا يطيقها إنسان[1]

أما واضع القصة ومؤلفها فهو (جورج برناردشو) وهو فى الأدب الانجليزى من أكبر شخصياته إن لم نقل أكبرها في القرن العشرين ، وفى أحقاب خلت ... والقوم هناك يقدسونه إلى حد كبير ، فلن تجد بينهم اسماً فى عالم الأدب والسياسة ترهف له الآذان كاسمه ، ولا جدلاً يهرع الناس لحضوره كجدله ، ولا لساناً أقذع فى النقاش وألدع فى الجواب كلسانه ، ولا فكاهة تنم عن صاحبها كفكاهته ، فهو شخصية قوية ، وعبقرية متميزة بكثير من المواهب ، وإن له فى فن القصة آيات بينات[2] .

وأما المترجم فهو رجل درس العلم ، واتصل بالأدب ، وعالج الترجمة ، فأكسبه العلم الدقة فى الأسلوب ، والتعقل فى الاختيار ، وأفاده الأدب السلامة فى التعبير ، والأناقة فى اللفظ ، وكان له من علاج الترجمة خير مران مكنه فى هذه الناحية وثبت قدمه ، فهو أمين فى نقل غرض المؤلف ، فطن فى فهم إشاراته ومراميه ، واضح فى التعبير عن ذلك كل الوضوح . وتلك درجة قل فى المترجين من يبلغها ، وهى الفرق بين ترجمة وترجمة ... وهى التى تثبت شخصية المترجم فيما ينقل ، وأنا إذ أقول سلامة التعبير ، فأنا أشهد بأن المترجم قد بلغ فى ذلك الغاية ، فقد قرأت الرواية وأنا أراقب الرجل فى أسلوبه ، وحاولت جاهداً أن أحصى عليه ، فلم أقع إلا على (أصواتها الداوية ص ٧١) ، (كلما داهمهم ص ٢٣٤) (نقص نضوجها ص ٢٦٨) . على أن تلك من الأخطاء الشائعة فى الألسن والأقلام ، فقليل فى الأدباء من يفطن إلى الصواب فى ذلك فيقول : (مدوية . ودهمهم . والنضج) . على أن الأخيرة مما يصح فى القياس وإن لم تثبت فى السماع .

---

(١) راجع مقدمة المؤلف
(٢) راجع مقدمة المترجم

ولقد كثرت الترجمة فى هذه الأيام ، وملأت فجاج الأرض وزادت على حاجة القراء خصوصاً فى الأدب الروائى ، ولكنها فى الواقع ترجمة رخيصة مبتذلة ، لا تتصل بفن ، ولا تقوم على وضع ولا تزيد فى الثروة الأدبية ولكنها نقص وتدهور ، فهى لا تعنى إلا بالقصص الداعر ، والغراميات الحيوانية ، وحوادث الاجرام واللصوصية ، والسفك والانتحار ، وكل ما هو تمرد على الأخلاق وقلب للأوضاع ، واستهانة بالتقاليد . أما الترجمة القويمة التى نحن فى أشد الحاجة إليها لتنهض بنا فى مناحى العقل والتفكير والشعور والاحساس والحب والعطف والخير والكمال فذلك عندنا شىء قليل نادر كالكبريت الأحمر ، وما ترجمة (جان درك) إلا من هذا الشىء القليل النادر ، المفيد النافع ، فهى ليست من القصص الفارغ الذى يطلبه القارئ لقتل الوقت وتزجية الفراغ ، ولكنها أثر أدبى جليل حى بموضوعه وبفنه ، فترجمتها إلى العربية يد جليلة وفكرة رشيدة قد أسداها الدكتور الفاضل إلى اللغة العربية والفكرة العربية .

وقد تقول : إن قصة (جان) أليمة فى وقائعها قاسية على العواطف بفجائعها ، وأنا أقول : أجل ولكنها مع ذلك سائغة محتملة بالفكاهة الطريفة والنكتة المستملحة ، والنادرة الساخرة ، والبادرة البارعة ، يحرص (شو) على ذلك فى كل مواقف الرواية وحوادثها ، وناهيك بفكاهة (شو) وبراعته فى ذلك ، ولقد زاد فى قوة الرواية الفنية تلك الحياة التى خلقها (شو) فى كل أشخاصها فكل منهم متحرك فى عمله ، وكل منهم ظاهر بنفسه فى تأدية دوره ، فلا ظهور لشخص على حساب شخص معطل كما يفعل ذلك كثير من القصصيين ، ولا نبو ولا شذوذ ولا إغراق كما صنع مارك توين فى قصته عن (جان) ولكنها الحوادث تجرى على الوضع الطبيعى ، وتستقر على النهج المألوف

ومما يزيد فى قيمة الرواية ورفعها تلك المقدمة الحافلة التى تناول فيها المؤلف شخصية (جان درك) الغريبة ، فنظر إليها من جميع جهاتها ، وأبدى رأيه صريحاً فى كل مظهر من مظاهرها وقارن بينها وبين الأشخاص الذين هم على شاكلتها ، وأنت تعلم أن جان فرنسية ، وشو انجليزى ، وجان كاثوليكية ، وشو نشأ فى بيئة بروتستنتيه ، وجان روحانية فى تفكيرها وفى آرائها ، وشو رجل يحترم عقله ويقدس العلم والفكر الحديث ، ولكنه فيما كتبه عن جان وضع الحق فوق كل اعتبار فكان حراً صريحاً ، وكان باحثاً مخلصاً ينظر إلى الواقع بعقله وقلبه وروحه وشعوره وعلمه وخبرته ، وقد استعرض (شو) أقوال الكتاب والروائيين الذين كتبوا عن (جان) من قبله ، فانتقد ما فيها من التهافت والاغراق ، وحاول أن يظهر جان فى شخصيتها الطبيعية مرتفعاً بها عن مبالغات قوم قدسوها فطاروا بها إلى مسبح الأملاك ، وتحامل قوم حقروها فانحطوا بها إلى مجرى الأسماك ، وعندما يقف عقل (شو) فلا يجد له منفذاً للتأويل والتخريج تجد الرجل لا يوارى ولا يدارى ولكنه يصارحك بالحقيقة التى فى نفسه كما يقول وهو يتحدث عن أصوات جان وأطيافها : إن العقيدة تتحصل للانسان فيما تتحصل من أنماط عيشه وعادات بيته ، فأما أنماط عيشى ففكتورية ، وأما عادات بيتى فبروتستنتية ، فمن أجل عاداتى وأنماطى هذه أجدنى عاجزا عن التملص من نفسى لأحكم حكما مجرداً بأن أطياف جان كانت أطيافا حقة »

ففى قصة جان وفى مقدمتها اجتمع فن (شو) وعقله ، وتجلت عبقريته وبراعته ، وإن الدكتور احمد زكى بك خير من يؤدي ذلك بدقته وأناقته ، فلا غرابة إذا قلنا إن القصة قد جاءت فى موضوعها وفى تأليفها وفى ترجمتها آية القوة والبراعة والدقة

محمد فهمى عبد اللطيف



آراء أعضاء لجنة القراءة
فى الفرقة القومية

نعود الآن إلى الآراء التى أبداها أعضاء لجنة القراءة لنتبيّن منها مدى معرفتهم فن الرواية ، وروح المسرح ، وخاصية الناقد ، إذ على الادراك الصحيح يقوم البناء الصحيح للمسرح ، فأعضاء اللجنة يرى — من تكلم منهم ومن آثر الصمت — (١) شبه طفرة فى الرواية المؤلفة مما يدل على أخذ الفكر الروائى فى نضوج سريع (٢) وأن الفرقة لم تبلغ الكمال ولم تقترب منه بعد إنما هى تمضى سراعاً إلى الكمال (٣) وأن رأى النقاد المسرحيين يجب ألا يدنو من النواحى الفنية والخلقية والاجتماعية واللغوية ، لأنها من اختصاص أعضاء لجنة القراءة وحدهم (٤) وأن اختصاص النقاد يجب ألا يتعدى ناحية إخراج الرواية وممدات الاخراج وطول الرواية وقصرها عن الوقت المناسب (٥) وأن حكم النقاد على أن الرواية قيمة أو ليست قيمة ، أومناسبة أوغير مناسبة، فن عمل اللجنة وحدها (٦) وأن ليس فى مصر الآن نقد فنى قوى يستطيع أن يسقط الروايات أو يعليها (٧) وأن النقد الحالى محاولات أولية قائمة على مدح مفرط من غير أسباب فنية ، أو ذم مفرط لأسباب شخصية (٨) وأنه إن كان هناك نقد قوى فأعضاء اللجنة نقاد أيضاً (٩) وأن النقاد يبدون آراءهم فى الرواية حيث يكون الأمر قد انتهى وخرج من يد اللجنة ، وأن الكرامة تأبى على مدير الفرقة سحب رواية وضح فشلها (١٠) وأنه قد يحدث أحياناً أن ترجع اللجنة بواسطة مدير الفرقة بالضرورة إلى رأى كبار المخرجين و كبار الممثلين لترى إذا كان يمكن تمثيل الرواية على الصورة التى قدمت بها (١١) وأن كبار المؤلفين لاشىء يسدهم عن الفرقة سوى تهيبهم كتابة الرواية المسرحية ووقوفهم فى صف واحد مع الكتاب الناشئين

هذه خلاصة لما رآه أعضاء لجنة القراءة وهم عمد المسرح الحقيقيون ودعامته القوية ، ولكن ما قول هؤلاء الأعضاء الأجلاء إذا كان فن الرواية ، وروح المسرح ، والواقع المنظور المحسوس الملموس تنكرعليهم دعاواهم ؟ ما قولهم إذا لم يكن فى البلد أديب واحد يقرهم على أقوالهم وهى التخبط بعينه ؟ ما قولهم وقد دلت أقوالهم على أنهم في درك الوادى وأن فن المسرح والرواية فى القمة الشاهقة ؟ ما قولهم وقد كاد الأدباء يجمعون رأيهم يأساً وقنوطاً على ضرورة إهمال الروايات المؤلفة والالتفات إلى الترجمة فهى أقل أذى للنفوس من الروايات الموضوعة ؟ ما قولهم فى أن الروايات التى قبلتها الفرقة وبذلت الحكومة من أجلها من أموال الأمة مبلغ ستين ألفاً من الجنيهات هى أقل قيمة وأحط معنى ومبنى من الروايات التى كانت تمثلها فرقة السيدة فاطمة رشدي وفرقة رمسيس فى بداية أعمالها ؟ ما قولهم فى أن الأدب والأدباء والفن والفنانين ، وكل من يشيع فيه روح الغيرة على الأدب والفن يصرخون فى خمسة شيوخ جامدين ، جامدين ، جامدين، وغرباء جد الغربة عن روح المصر وروحى البيئة والجيل ؟

أيريد هؤلاء السادة الأجلاء المعترف لهم بعلمهم وأدبهم وفضلهم وغيرتهم على الثقافة العامة أن نقول لهم : اعتزلوا أيها السادة أما كنكم قبل أن يقبض أعضاء البرلمان أيديهم عن الفرقة وهى جد عزيزة علينا ؟

أيريد هؤلاء السادة الأجلاء ، المعترف لهم — مرة ثانية — بعلمهم وأدبهم وفضلهم وغيرتهم على الثقافة العامة أن نقول لهم بصراحة أن ليس فيهم من يعرف حدود المطلوب منه ، أو المطالب به فينتحل كل واحد لنفسه السلطة التى يشتهيها ، والأستاذية التى يفرضها على الناس ، والحق فى الطعن فى ذوق الأمة وفى كفاية المثقفين

(البقية على صفحة ٢١٢٨)

فهرس الموضوعات للمجلد الثانى للسنة السادسة

فهرس الكتاب للمجلد الثانى من السنة السادسة

(ز)

(س)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(ف)

(ق)

(ك)

(م)

(بقية المنشور على صفحة ٢١٢٠)

أيريدون الاطلاع على بواعث ما انتابهم وأحرج الصدور وأرهف الأقلام لنقد أعمالهم ؟

الباعث الأول — فى اعتقادى — هو الادارة الفوضى التى يتولاها ذهن هو مثال لمداوة النظام وحب الاستئثار

فالنظام يقضى أن يتولى مدير الفرقة بذاته وبمؤازرة سكرتيره الفنى فحص الروايات التى تقدم إليه والتى يكلف تراجمة أكفاء بترجمتها فيختار مايصلح منها ، أى ما يوائم (رسالة) الفرقة الثقافية

والنظام يقضى بأن يستعين مدير الفرقة بأعضاء لجنة القراءة على فحص الروايات التى تقدم إليه ، لا أن يتخذ منهم أساتذة أو مستشارين أوغلالة يسترضمفه وراءهم . والنظام يقضى أن تؤلف لجنة من الممثلين والمخرجين تكون مسؤولة عن فشل الرواية أوسقوطها لأن لهؤلاء دراية فنية تكتسب بالمران ليس للمدير نظيرها

ولكن الفوضى ، بله الضعف الادارى بأوسع معانيه ، وافتقار مدير الفرقة إلى معرفة فن المسرح وفن الرواية ، وهو الذى جعل لأعضاء لجنة القراءة قوة غير قوتهم وسلطاناً غير سلطانهم، وسوّل لبعضهم أن يفضح ذاته ويعرض أقرانه للفضيحة، فاضطرنا ذلك إلى نقل مركز الثقل من على كتف المدير المسؤول لنضعه على أكتاف من تطوعوا لتحمل المسؤولية لوجه شيطان الكبر والادعاء

يحسن الوقوف قليلا عند رواية طبيب المعجزات، أو لا لأنها رواية المصطفاة من بين الروايات التى حازت جائزة المباراة؛ ثانيا لأنها توضح بأجلى بيان مبلغ فهم القائمين على شئون الفرقة للفن المسرحى والتأليف الروائى . وزواية طبيب المعجزات هذه كما لخصتها فى مقال سابق معتمداً على قراءتها قبل تمثيلها وقد استبدلت خاتمتها بسواها ، تدور حول طبيب استغرقه البحث العلمى فتوصل بعد جهد ومثابرة إلى اكسير يطيل الحياة مئات من السنين ؛ وإذ يبلغ الأمة خبر هذا الاختراع العجيب من الصحافة التى رصدت له أوجه صفحاتها تهلل وتكبر وتفرح بطول الحياة ، ثم تشارك الحكومة الأمة فى تقدير العالم الجليل فتمنحه رتبة الباشوية وألزمت الناس بالتطعم بهذا الطعم .

ينام الطبيب فتتجلى له فى الحلم مضار اختراعه . فيرى الحكومة تكلفه رسميا إلقاء محاضرة يوضح فيها خواص الاكسير، ويسمع أسئلة الناس تنهال عليه .

ونسمع الطبيب يوضح خواص اختراعه فيقول إن الرضيع تدوم مدة رضاعته خمس عشرة سنة ، ويبلغ سن الرشد فى سن المائتين والخمسين، وهكذا تتراكم على الطبيب الخيالات فى الحلم فيهدم ما بناه فى اليقظة .

هذه هى ، رواية الموسم ، هل تجد فيها « الفكر الروائى الناضج » أم هى « كوميديا » من النوع الذى يسر بعض أوساط من الناس عائشين على هوامش الحياة ؟ هل يمكن أن تكون هذه الرواية أنموذجاً للكمال الذى قال فيه أحد أعضاء لجنة القراءة « إن الفرقة تمضى سراعاً إلى الكمال » ؟

ابن عساكر

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى - عابدين)